الأنوار النعمانية

لمؤلفه

العالم العامل والكامل الباذل صدر الحكماء ورئيس العلماء

السيد نعمة الله الجزائري

طاب ثراه وجعل الجنة مثواه

المتوفى ١١١٢ هـ

الجزء الأول

دار الكوفة

دار القارئ

الطبعة الأولى
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

دار القارئ للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف: ٤١٣٢٥٦ / ٠٣ بيروت ـ لبنان بريد إلكتروني: DAR_ALKARI@hotmail.com

دار الكوفة طباعة ـ نشر ـ توزيع ـ بيروت ـ لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد نعمة الله الجزائري

اسمه ونسبه :

هو السيد نعمة الله الحسيني الموسوي الجزائري ابن السيد عبد الله بن السيد محمد ابن السيد حسين بن السيد أحمد بن السيد محمود بن السيد غياث الدين بن السيد مجد ‹ صفحة ٦ › الدين بن السيد نور الدين بن السيد سعد الدين بن السيد عيسى بن السيد موسى بن السيد عبد الله بن الإمام موسى الكاظم عليه السلام . هكذا أورد المترجم نسبه الشريف في كتابه الأنوار النعمانية [١].

آراء العلماء فيه

قال شيخه الجليل العلامة المجلسي في اجازته له : السيد الأيد ، الحبيب اللبيب ، الأديب الأريب ، الفاضل الكامل ، المحقق المدقق ، جامع فنون العلم وأصناف السعادات ، حائز قصبات السبق في مضامير الكمالات ، الأخ الوفي ، والصاحب الرضي ، السيد نعمة الله الحسيني الجزائري ، رزقه الله الوصول إلى أعلى مدارج المتقين ، واقتفاء آبائه الطاهرين ، فاستجازني تأسيا بسلفنا الصالحين ، ولينظم بذلك في سلك رواة أخبار أئمة الدين سلام الله عليهم أجمعين ، وكان ذلك بعد أن بلغ الغاية القصوى في الدراية ، ورقى العلوم ومناكبها ، ورمى بأرواقه عن مراكبها ، وعقدت لإفادته المجالس ، وغصت بمواعظه المحافل والمدارس ، وصنف في أكثر العلوم الدينية والمعارف اليقينية مصنفات رائقة ، يسطع منها أنوار الفضل والعرفان .

وقال شيخه المحدث الحر العاملي [٢]

فاضل ، عالم ، محقق ، علامة ، جليل القدر ، مدرس من المعاصرين .

وقال المولى الميرزا عبد الله الأفندي [٣]

فقيه ، محدث ، أديب ، متكلم ، معاصر ، ظريف ، مدرس ، والآن هو شيخ الاسلام من قبل السلطان بتستر .

وقال الفقيه المحدث الشيخ يوسف البحراني [٤]

---

(١) (١ : ٣٨٠) . في الإجازة الكبيرة ،ص ٧٧ لحفيده العلامة السيد عبد الله الجزائري وكذا في مستدرك الوسائل للنوري ٣: ٤٠٤.

(٢) أمل الآمل ٢ : ٣٢٦

(٣) رياض العلماء ٥ : ٢٥٣ .

(٤) لؤلؤة البحرين ص ١١١ .

كان هذا السيد فاضلا ، محدثا ، مدققا ، واسع الدائرة في الاطلاع على أخبار الامامية وتتبع الآثار المعصومية الخ .

وقال حفيده العلامة السيد عبد الله الجزائري (٥)

المتبحر الجليل النبيل ، المشهور ذكره في الآفاق ، المشهود بفضله على الاطلاق ، وكان من مبدأ نشوئه إلى آخر عمره مولعا بطلب العلم ونشره وترويجه ، كدودا لا يفتر عنه ولا يميل ، وكان في أسفاره يستصحب ما يقدر عليه من الكتب ، فإذا نزلت القافلة وضعها واشتغل بها إلى وقت الرحيل ، وربما كان يأخذ الكتاب بيده يطالع فيه وهو راكب في المسير . ثم قال : انتقل إلى تستر وأقام بها ووقع من نفوس أهلها أعظم موقع ، ونشر فيها العلوم الشرعية ، وقنن محاسن الشرع - وكانت مهجورة فيها منذ زمن الشيخ عبد اللطيف الجامعي - وحث الناس على بناء المساجد وأداء الجماعات والجمعات ، وتصدى للأمور الحسبية على أكمل نظام ، وجميع ما يوجد إلى الآن من الرسوم والآداب الشرعية في هذه البلدة فإنما هي من بقايا آثاره ، وجميع من نشأ بعده من العلماء والمشتغلين وأئمة المساجد والوعاظ والمتهذبين فهم من تلامذته وأتباعه ولو بالواسطة .

وقال المحقق الشيخ أسد الله التستري (٦)

السيد السند ، والركن المعتمد ، الفقيه الوجيه ، المحدث النبيه ، المحقق النحرير ، المدقق العزيز النظير ، واسع العلم والفضل ، جليل القدر والمحل ، سلالة الأئمة الأبرار ، والد الأماجد الأعاظم الأكارم الأخيار والأكابر المنتشرين نسلا بعد نسل في الأقطار والأمصار ، العلامة الفهامة ، التقى الرضي السري.

وقال العلامة الخوانساري (٧)

السيد السند المعتمد الجليل الأواه نعمة الله . . . . كان من أعاظم علمائنا المتأخرين ، وأفاخم فضلائنا المتبحرين ، واحد عصره في العربية والأدب والفقه والحديث ، وأخذ حظه من المعارف الربانية بحثه الأكيد وكده الحثيث ، لم يعهد مثله في كثرة القراءة على أساتيد الفنون ، ولا في كسبه الفضائل من أطراف الحزون بأصناف الشجون . كان مع مشرب الاخبارية كثير الاعتناء والاعتداد بأرباب الاجتهاد ، وناصر مذهبهم في مقام المقابلة منهم بأصحاب العناد وأعوان الفساد ، صاحب قلب سليم ، ووجه وسيم ، وطبع مستقيم ، ومؤلفات مليحة ، ومستطرفات في السير والآداب والنصيحة ، ونوادر غريبة في الغاية ، وجواهر من أساطير أهل الرواية . إلى غير ذلك

---

(٥) الإجازة الكبيرة ص ٧٠.

(٦) مقابس الأنوار ص ١٧ .

(٧) روضات الجنات ٨ : ١٥٠

من اطراء أصحاب المعاجم وأرباب التراجم ، ولقد وصفوه وأثنوا عليه جميل الثناء ، واكتفينا بهذا النزر القليل من الاطراء عليه ، وفيه كفاية لمن له قلب سليم .

مشائخه ومن روى عنهم :

تتلمذ المترجم على كثير من فحول أهل زمانه وروى عنهم ، وهم :

١ - الميرزا إبراهيم ابن الملا صدرا ، المتوفى سنة ١٠٧٠ هـ ق .

٢ - الأمير إسماعيل بن الأمير محمد باقر الخواتون آبادي ، المتوفى سنة ١١١٦ هـ ق .

٣ - الشيخ جعفر بن كمال الدين البحراني ، المتوفى سنة ١٠٩١ هـ ق .

٤ - الشيخ حسين بن سبتي .

٥ - المحقق الشيخ آقا حسين الخوانساري ، المتوفى سنة ١٠٩٨ هـ ق .

٦ - شاه أبو الولي بن شاه تقي الدين الشيرازي .

٧ - الشيخ صالح بن عبد الكريم الكركزاني البحراني ، المتوفى سنة ١٠٩٨ هـ ق .

٨ - الشيخ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي ، المتوفى سنة ١٠٧٥ هـ ق .

٩ - السيد شرف الدين علي بن حجة الله الطباطبائي الشولستاني الغروي ، المتوفى سنة ١٠٦٣ هـ ق .

١٠ - الشيخ علي حفيد الشهيد الثاني ، المتوفى سنة ١١٠٤ هـ ق .

١١ - الشيخ عماد الدين اليزدي .

١٢ - العلامة الشيخ محمد باقر المجلسي ، المتوفى سنة ١١١٠ هـ ق .

١٣ - المولى محمد باقر السبزواري ، المتوفى سنة ١٠٩٠ هـ ق .

١٤ - الشيخ محمد بن سلمان الجزائري .

١٥ - الميرزا رفيعا محمد بن حيدر الطباطبائي ، المتوفى سنة ١٠٧٩ هـ ق .

١٦ - ملا محسن الفيض الكاشاني ، المتوفى سنة ١٠٩١ هـ ق .

١٧ - السيد محمد الميرزا الجزائري بن شرف الدين علي الموسوي .

١٨ - السيد هاشم بن الحسين الأحسائي .

١٩ - الشيخ يوسف بن الشيخ محمد البنا الجزائري ، المتوفى سنة ١٠٧٠ هـ ق .

تلامذته ومن روى عنه

تتلمذ عليه جماعة من العلماء ، وكان المترجم مدرسا رسميا في أصفهان وتستر ، وتخرج من مدرسته جماعة من فحول الاعلام ، كما أنه قدس سره أجاز جماعة منهم ، وهم :

١ - المولى أبو الحسن الشريف الفتوني النباطي العاملي ، المتوفى سنة ١١٣٨ هـ ق .

٢ - الحاج أبو الحسن بن الحاج زمان الشوشتري ، المتوفى سنة ١١٤٣ هـ ق .

٣ - المير أبو القاسم بن المير محمد الحسيني المرعشي الشوشتري .

٤ - الملا أحمد بن الملا كاظم الكبابي الشوشتري ، المتوفى سنة ١١٤٦ هـ ق .

٥ - الشيخ بهاء الدين محمد الجزائري .

٦ - الشيخ حسين البحراني .

٧ - الشيخ حسين بن محي الدين بن عبد اللطيف الجامعي العاملي .

٨ - الشيخ شمس الدين بن صقر البصري الجزائري .

٩ - الحاج عبد الحسين بن الحاج كلب علي الكركري ، المتوفى سنة ١١٤١ هـ ق .

١٠ - الملا عبد الغفار الصراف الشوشتري ، المتوفى سنة ١١٤٧ هـ ق .

١١ - الخواجة علي بن الخواجة إسماعيل الصراف الشوشتري ، المتوفى سنة ١١٢٨ هـ ق .

١٢ - الشيخ علي بن الشيخ حسين بن الشيخ محي الدين الجامعي العاملي .

١٣ - الحاج عناية الله أخ الحاج أبي الحسن المذكور ، المتوفى سنة ١١٤٧ هـ ق .

١٤ - القاضي عناية الله بن القاضي محمد معصوم بن القاضي عبد الرضا .

١٥ - الشيخ عوض البصري الحويزي .

١٦ - الملا عيدي محمد القاري بن الملا صالح بن درويش شمس ، المتوفى سنة ١١٣٨ هـ ق .

١٧ - الشيخ فتح الله بن علوان الكعبي الدورقي القباني ، المتوفى سنة ١١٣٠ هـ ق .

١٨ - فتح علي آقا بن آقا محمد بن أسد الله قزلباش ، المتوفى سنة ١١٣٥ هـ ق .

١٩ - الملا فرج الله بن الملا محمد حسين السيد محمد شاهي ، المتوفى سنة ١١٢٨ هـ ق .

٢٠ - القاضي مجد الدين بن القاضي شفيع الدين الدزفولي .

٢١ - الملا محمد باقر بن الملا محمد رضا شانه تراش الشوشتري .

٢٢ - الملا محمد باقر بن محمد حسين السيد محمد شاهي الشوشتري ، المتوفى سنة ١١٣٥ هـ ق .

٢٣ - القاضي محمد تقي بن القاضي عناية الله الشوشتري .

٢٤ - الشيخ محمد الجزائري ، المتوفى سنة ١١٣١ هـ ق .

٢٥ - الملا محمد زمان بن الملا محمد رضا الصحاف الشوشتري .

٢٦ - السيد محمد شاه بن مير محمد حسين المرعشي الشوشتري ، المتوفى سنة ١١٢٥ هـ ق .

٢٧ - الشيخ محمد الضبيري النعيمي البلادي البحراني ، المتوفى سنة ١١٣٠ هـ ق .

٢٨ - الملا محمد طاهر بن الملا كمال الدين الشوشتري ، المتوفى سنة ١١٢٧ هـ ق .

٢٩ - الشيخ محمد علم الهدى ابن الفيض الكاشاني .

٣٠ - مير محمد هادي بن مير السيد محمد المرعشي الشوشتري ، المتوفى سنة ١١٣٧ هـ ق .

٣١ - الشيخ محمد بن علي بن الحسين النجار الشوشتري ، المتوفى سنة ١١٤١ هـ ق .

٣٢ - الحاج محمود بن مير علي الميمندي .

٣٣ - السيد نجم الدين بن السيد محمد بن السيد عبد الرضا الجزائري .

٣٤ - مولانا نظر علي الزجاجي الشوشتري ، المتوفى سنة ١١٤٦ هـ ق .

٣٥ - القاضي نعمة الله بن محمد معصوم الشوشتري ، المتوفى سنة ١١١٢ هـ ق .

٣٦ - السيد نور الدين ابن السيد نعمة الله الجزائري .

٣٧ - الشيخ يعقوب البختياري الحويزي ، المتوفى سنة ١١٤٧ هـ ق .

مؤلفاته القيمة :

كتب السيد الجزائري مؤلفات ورسائل كثيرة، قد تجاوزت جهود الفرد الواحد ، على الرغم كما عرفناه من سيرة حياته ، من عدم استقراره وتفرغه للعلم ، وتوارد الهموم والغموم والغربة عليه ، ولكن تلك التأليفات الرائقة فضل وتوفيق من الله تعالى لعباده الصالحين ، وهي :

١ - الإجازات ، كتبها لتلاميذه ومعاصريه .

٢ - الأنوار النعمانية في بيان معرفة النشأة الانسانية .

٣ - أنيس الفريد أو أنيس الوحيد في شرح التوحيد ، وهو عين كتابه نور البراهين .

٤ - الأيام النحسة والسعيدة .

٥ - تحفة الاسرار في الجمع بين الاخبار .

٦ - الجواهر الغوالي في شرح عوالي اللآلي .

٧ - حاشية الاستبصار .

٨ - حاشية أمل الآمل .

٩ - حاشية توحيد الصدوق قدس سره .

١٠ - حاشية زبدة البيان .

١١ - حاشية شرح ابن أبي الحديد على نهج البلاغة .

١٢ - حاشية شرح الجامي .

١٣ - حاشية شرح اللباب .

١٤ - حاشية الصحيفة الكاملة .

١٥ - حاشية المغني اللبيب عن كتب الأعاريب .

١٦ - حاشية نقد الرجال .

١٧ - حواشي الكتب الأربعة وغيرها .
١٨ - الحواشي الضافية والموازين الوافية ، حواش على نهج البلاغة .
١٩ - حل مشكلات العلوم .
٢٠ - رياض الأبرار في مناقب الأئمة الأطهار (٨)
٢١ - زهر الربيع (٩).
٢٢ - شرح الصحيفة الكاملة .
٢٣ - شرح عقائد الصدوق .
٢٤ - شرح عينية ابن سينا .
٢٥ - شرح الفوائد الضيائية .
٢٦ - شرح ملحقات الصحيفة .
٢٧ - شرح منهاج الصواب .
٢٨ - شرح نهج الصواب إلى علم الاعراب في النحو .
٢٩ - طريق السالك في توضيح المسالك في النحو .
٣٠ - عقود المرجان في تفسير القرآن .
٣١ - الغاية القصوى في النحو .
٣٢ - غاية المرام في شرح تهذيب الأحكام .
٣٣ - الفوائد في النحو .
٣٤ - الفوائد النعمانية في الحديث .
٣٥ - الفوائد النعمية في النحو .
٣٦ - قاطع اللجاج في شرح الاحتجاج للطبرسي .
٣٧ - كشف الاسرار في شرح الاستبصار .
٣٨ - لوامع الأنوار في شرح عيون الأخبار .
٣٩ - مسكن الشجون في وجوب الفرار من الطاعون .
٤٠ - مشكلات المسائل في النحو .
٤١ - مفتاح اللبيب في شرح التهذيب في النحو .

---

(٨) طبع في دار التاريخ العربي في بيروت ناق الجزء الاول

(٩) طبع على الحجر وفي المطبعة الحيدرية وفي لبنان مرات عديدة كثر النقاش حول فصه الاخير واعتبر البعض ان الفصل مدخولاً على النسخة الاصلية

٤٢ - مقامات النجاة في شرح الأسماء الحسنى .
٤٣ - مقصود الأنام في شرح تهذيب الأحكام .
٤٤ - مناهج المطالب في النحو .
٤٥ - منبع الحياة في اعتبار قول المجتهدين من الأموات .
٤٦ - منتهى المطلب في النحو .
٤٧ - منهاج الصواب إلى علم الاعراب في النحو .
٤٨ - منهاج المبتدي في النحو .
٤٩ - نزهة الاخوان وتحفة الخلان .
٥٠ - نوادر الاخبار .
٥١ - نهج الصواب في علم الاعراب .
٥٢ - نهج اليقين في النحو .
٥٣ - نور الأنوار في شرح كلام خير الأخيار .
٥٤ - نور البراهين في بيان أخبار السادة الطاهرين [١٠]
٥٥ - النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين [١١]
٥٦ - هديه المؤمنين في الفقه .

هذا ما عثر عليها أرباب التراجم والمعاجم من تأليفاته وتصنيفاته الثمينة .

ولادته ووفاته :

ولد السيد سنة (١٠٥٠) ه ق في قرية الصباغية من أرض الجزائر قرب البصرة ، ولا زالت القرية تعرف بهذا الاسم إلى اليوم .

وتوفي قدس سره ليلة (٢٣) شوال سنة (١١١٢) ه ق ، وذلك بعد سنتين من وفاة أستاذه العلامة المجلسي قدس سره ، وكان عمره الشريف (٦٢) سنة ، ودفن في جايدرفيلي وتسمى اليوم پل دختر ، ومرقده معروف يزار هناك ويتبرك . وكان مزاره الشريف مع كثرة المراجعين وقضاء الحوائج عنده متروكا ومخروبا ، إلى أن وفق الله تعالى العلامة السيد طيب الجزائري دامت توفيقاته بتجديد البناء ، فشمر الباع لهذا المقصد الكثير العناء مع بعد مقره عنه ، فبني على الجدار القديم الحجري الدائر مداره بناية غالية وقبة عالية ، وأخرجت القبة الأولى المخروبة من جوفها [١٢]

---

(١٠)طبع في ايران بتحقيق مهدي الرجائي

(١١) اشهر كتبه ذيوعا واكثرها انتشاراً وطباعة

(١٢) نور البراهين ج١ ص٣٤ بتحقيق مهدي الرجائي

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمده بنعمته على نعمائه ونصلي على عبده المقرب لديه محمداً وآله.

(وبعد) فأن المذنب الفقير، صاحب الخطاء والتقصير،قليل البضاعة، وكثير الإضاعة، نعمة الله الحسيني، عفى الله عن ذنوبه وستر منه فاضحات عيوبه.

لما فرغ من كتابيه غاية المرام في شرح تهذيب الأحكام، وكشف الأسرار في شرح الإستبصار، تاقت نفسه إلى تأليف كتاب غريب على نمط عجيب لم يكتب في زبر الأولين ولم تسمح به قريحة أحد من المتأخرين، يكون للأمي وإعظاً ومونساً، وللعالم مطرحاً ومجلساً، ينتفع منه كل أحد على قدر رتبته، ويستضيء به كل من اراد رفع ظلمته، يشتمل على تفصيل أحوال الإنسان قبل خلقته، ويبين شأنه الى يوم ولوج حفرته ويعقبه بذكر أحواله إلى يوم دخول ناره أو جنته، بل يفَصل فيه أحوال الدنيا وأهلها قبل وجودها وبعد وجودها، وبعد ما يكتب عليها الفناء، ومستمداً من الله سبحانه التوفيق لرفع الإحتياج إلى المخلوقين لحصول أسباب الغناء.وسميته كتاب الأنوار النعمانية في بيان معرفة النشأة الإنسانية راجياً منه سبحانه أن يجيرنا من أحوال البرزخ والحساب، وأن يجعله مقبولاً عند أصفيائه أولي الألباب وقد إلتزمنا أن لا نذكر فيه إلا ما أخذناه عن ارباب العصمة الطاهرين، أو ما صحّ عندنا من كتب الناقلين، فأن كتب التواريخ أكثرها قد نقله الجمهور من تواريخ اليهود، ولهذا كان اكثر ما فيها الأكاذيب الفاسدة، والحكايات الباردة وقد رتبنّاه على أبواب ثلاثة.

(الباب الاول) يشتمل على أنوار

نورٌ في معرفة الباري سبحانه

إعلم أن المحققين قد أكثروا الدلائل على إثبات الواجب، وعلى كيفية صفاته الثبوتية والسلبية، وقد كثرت المناقشة بينهم حتى قال بعضهم إنه لم يقم دليل على إثبات الصانع ووحدته خال عن إلاعتراض لإبتناء أكثرها على إبطال الدوّر والتسلسل وفي إبطالهما كلام كثير وإذا كان الحال على هذا المنوال فكيف يعلّق إثبات الواجب ووحدته وما يتبعهما على مثل هذا. مع أن الدلائل على مثل هذا لا تكاد تحصى. وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد[١٣].وفي الدعاء يا

---

(١٣)هذا البيت لابي المتاهية الشاعر المشهور وهو ابوا اسحاق اسماعيل بن القاسم بن مؤيد بن كيان العنزي بالولاء العيني الولود(١٣٠)هـ والمتوفى(٢١٠) وفي تاريخ وفاته اقواله اخر.بي

خفياً من فرط الظهور. وقد نقل لي أن الفاضل الدواني لما أراد كتابة رسالة في إثبات الواجب قالت له أمه ما تكتب فقال لها رسالة في إثبات الواجب فقالت له، أفي الله شك خالق السموات والأرض فترك تأليف ما أراد ومن تأمل دليل الأعرابي حيث سئل عن الدليل على وجود الصانع فقال البعرة تدل على البعير وآثار الأقدام على المسير أفسماءٌ ذات أبراج وأرض ذات فجاج[١٤] لا تدل على وجود اللطيف الخبير يجده أدلّ على المطلوب[١٥] من البراهين التي ذكرها إبن سينا في كتابيه (الشفا والإشارات) والطوسي قدس الله روحه في (قواعده وتجريده) فإنك قد عرفت إبتنائها على ما لا يتم والعقول سيالة ولذا ترى كل لاحق يغلط سابقه وينقض دلائله وقد استفاض في الاخبار ان كل مولود يولد على الفطرة إلاَ أن أبويه يهودانه وينصرانه وهذا المعنى شايع لا ينكر.فإن قلت إذا كان معرفته تعالى على هذا النحو من الظهور فما بال العقلاء إختلفوا في إثباته، وكيفية صفاته، وبعضهم نفاه رأساً وقال ما يهلكنا إلا الدهر وبعضهم أثبت له شركاء كالمسيح، وعزير، وقالت طائفة الملائكة بنات الله، وبعضهم قالوا بجسميته، حتى أن طائفة من طوائف المسلمين كالحنابلة ذهبوا إلى أنه جسم كالأجسام وأنه في صورة شاب حسن الصورة ينزل كل ليلة جمعة راكباً على حمار فيدبر أمر الأرض إلى الجمعة الأخرى حتى أنهم ربما وضعوا لحماره شعيراً فوق سطوحهم، وبعضهم صنعوا له شريكاً من التمر وهم بنو حنظلة، وكانوا يعبدونه، قال صاحب الكشاف ما انتفع كافر من ربه مثل انتفاع بني حنظلة، فانهم كانوا يصنعون صنماً من التمر والحلوا فيكثرون السجود له، فإذا جاعوا أكلوه، وكان ذلك العام عام قحط ومجاع وبعضهم أثبت إلهين وهما النور والظلمة، وقال إن النور يفعل الخير والظلمة يفعل الشر، إلى غير ذلك من المذاهب الفاسدة والاراء الكاسدة.قلت الجواب عن هذا من وجوه ألاول: وأن ما وقع به الإختلاف ليس هو محل الظهور فإنك قد تحققت أن مكان الظهور، وهو كونه موجوداً صانعاً، وهذا لم يشك به عاقل وما ورد من فرق الكفّار من الانكار له تعالى، فهو من مجرد اللسان، كما حكاه سبحانه بقوله ﴿وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم﴾، وقول أهل عبادة الأصنام ﴿ ما نعبدهم إلا ليقربونا الى الله زلفى ﴾.الثاني: أن الإختلاف قد جاء من تقليد الأسلاف كما حكاه عنهم من قولهم ﴿ إنا وجدنا آباءنا على امة وإنا على اثارهم مقتدون ﴾ واما أسلافهم فقد أخذتهم الحميّة الجاهلية، عن متابعة الانبياء لأنهم بزعمهم انهم، أهل ملّة يقتدى بهم الناس فكيف يحسن منهم الترك لرتبة الإمامة والتنزل إلى درجة المأموميّة، ولهذا ما كان يقتدى بالأنبياء سوى الفقراء

---

(١٤)الفجاج الطريق الواسع الواضح بين جبلين.

(١٥)هذا الدليل الاني ادل على المطلوب بالنسبة الى افهام اكثر الناس من العوام والخواص واما البراهين العقلية التي ذكروها في الكتب والاسفار العقلية فهي ادل على المطلوب عند اهل النظر والتحقيق والفكر العميق.

والمساكين وقد عيَروا به الأنبياء حيث قالوا، واتبعك الأرذلون ﴿ وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا ﴾ بادى الرأي ولا يستبعد هذا من الكفار، فان مثله قد وقع في فرق الإسلام ومن محققيهم حتى أن السيد المدقق السيد شريف في شرحه على المواقف لما ذكر مطاعن الثلاثة، وذكر فضائل امير ألمؤمنين عليه السلام ومدائحه، قال لكنا وجدنا السلف قالوا بأن الأفضل أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي وحسن ظننا بهم يقضي بأنهم لو لم يعرفوا ذلك لما أطبقوا عليه فوجب علينا إتباعهم في ذلك القول، وتفويض ما هو الحق فيه إلى الله ومثل هذا قد وقع من علماء الإسلام كثيراً، حتى في أصل المذهب، والحمد لله الذي منَ علينا بإيمان الاباء والأجداد، فإنه وعمرك من أفضل النعم، وأوفر القسم..الثالث- أن الإختلاف قد جاء ايضاً من زيادة الجاه والأعتبار، ووفور المال في ما بين اهل تلك المذاهب الفاسدة، فاهم كثيراً ما يعظمون علمائهم، ويحملون إليهم انواع الهدايا، والعوام تبع لأهل العلم في كل ملة وقبيلة، وقد حكى تعالى عنهم بقوله عز من قائل ﴿إتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله﴾، وفي الرواية ما صلوا ولا صاموا، ولكن حللَوا لهم حراماً وحرموا لهم حلالاً فقبلوه منهم فمن هذه الجهة قال أرباباً من دون الله، ومثل هذا في فرق الإسلام كثير.

الرابع- أن العقول كلها سافرت طالبة لمعرفته، وقاصدة للوصول إلى قرب حضرته وفي الدعاء يا مطلوب كل طالب، وقد كانت مسافة السفر بعيدة جداً، لأنه وإن كان أقرب من حبل الوريد، لكنه على فاستعلى فكان بالمنظر الأعلى، وفي الدعاء يا بعيداً في دنوه، ومع بعد هذه المسافة قد كانت مشتملة على اخطار وآفات وقد كان سالكها يحتاج إلى جماعة من الرفقاء وإلى مطية تحمله وإلى نور شمس يستضيء بها في سيره ودليل حاذق قد تكرر سلوكه لذلك الطريق، يعرف موارد مهالكه من أماكن النجاة.فالدليل الحاذق لهذه المسافة، هم الأنبياء وأوصياؤهم المعصومون المحدثون من جانب الغيب ولذا جرت العادة الإلهية بعدم ارسال رسول الا بعد استكمال كمالاته وبلوغه الأربعين، فإنها أقصى غايات الكمال، وفي هذه المدة قد كان الباري سبحانه يعلمه ويؤدبه ويعرفه أماكن النجاة وسلوك الطريق إليه، فبعد إكمال المدة أرسله الى الخلائق هادياً لأنه سبحانه قد هداه سابقاً. وكرر تردده في طريق قربه ومعرفته، ومن ثم ذهب المحققون إلى أن أشدّ صدمة على الأنبياء من امتهم هو معاشرتهم معهم، فأن النفوس القدسية إذا تنزلت إلى مخالطة الحيوانات، وتعليمها المراتب الكمال كان عليها في نهاية الإشكال، ومن هذا ما أرسل نبي ذو كتاب، إلا بعد رعي الأنعام في البراري والقفار، ليتعودوا على معاشرة الحيوانات، حتى يسهل الخطب عليه بعد الإرسال، روى أن موسى عليه السلام كان يرعى أغنام شعيب عليه السلام فانهزم من قطيعه تيس فصعد الجبل فبقى موسى تابعاً له، عامة يومه في رؤوس الجبال، فلما لزمه قبَله

على وجهه، ومسح التراب من فوقه، وقال معتذراً عنده: أيها الحيوان أتعبتك هذا اليوم من جهة الطلب ولا كان المقصود منك القيمة، ولكن الخوف عليك من الذئاب، ثم حمله على عاتقه حتى وصله إلى الحيوانات، فلما كمل له هذا الخلق اوحى اليه أن يا موسى قد صرت قابلاً للرسالة فامض إلى فرعون وقل له قولاً لينا لعله يتذكر أو يخشى، ومثل هذا قد وقع من نبينا ﷺ في موارد كثيرة نذكرها في موضعها إنشاء الله.والحاصل أن الأدلة لهذا الطريق هم الأنبياء عليهم السلام وأما النور الذي به يقطع تلك المسافة فهو نور العلم فإن العقل إنما يسير بنور العلم، ومن هنا ترى من فقد هذا النور واقفاً لا يهتدي إلى سلوك ما أمامه من الطريق، تابع لكل ناعق ينعق به، ويقول هذا هو الطريق، وهذا شأن أكثر العوام من كل الملل، والأديان وأما مطيّة هذ المسافة فهي التحمل والصبر حتى لا يسأم من كثرة السفر وأما أخطارها فهم الشياطين فإن على رأس كل منزل جماعات كثيرة، منهم يرغبون ذلك المسافر في النزول معهم، لقرب المسافة عندهم ولمكان الإستراحة لديهم، ولا يعرف ذلك الرجل أن غرضهم أخذ ما معه من ثياب الإيمان، والأموال التي هي قيمة دين الاسلام.وفي الحديث عن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ الإسلام عريان فلباسه الحياء وزينته الوقار ومروته العمل الصالح، وعماده الورع ولكل شيء أساس وأساس الإسلام حبّنا أهل البيت. وعند سلوك هذه المسافة حصل الإختلاف في الوصول إلى المقصود فبعض بقي متابعاً لدليل الطريق الحاذق فوصل إلى أن قال، لو كشف الغطاء لما ازددت يقيناً وبعض تابع دليلاً لا معرفة له بتلك المسافة ولا رآها قبل تلك المرة فضلّ به عن الطريق، فكلما أمعن في السير لم يزدد من المقصود إلاّ بعداً، وهؤلاء المحكىّ عنهم بقوله عزّ من قائل ﴿ ومنهم أمة يهدون الى النار ﴾ وبقوله تعالى ﴿ إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا لما رأوا العذاب ﴾ وبعض اقتفى الاثر وهم المؤمنون الامثل فالامثل على تفاوت درجات الاقتفاء وبعض ضل فأخذته شاطين القفار، وربما منّ الله عليه بالنجاة بعد هذا فلما رجعت جماعة المسافرين، كانت على أنحاء شتى فمنهم الواصل حتى رأى بالعيان ومنهم القريب إلى الحمى ومنهم المسلوب ثياب ايمانه، وكذا في درجات المعرفة، فإنّ بعضهم يقول رأيت وبعضهم يقول سمعت والسماع يختلف اختلافاً كثيراً، ومن هذا قال بعض بالولد وآخرون بالصاحبة وجماعة بالجسمية، الى غير ذلك مما عرفت، وإن اردت ضرب مثال حسي، فانظر الى قاصدي مكة شرّفها الله تعالى، فإن كل الحاج مقصدهم واحد، ويرجع جماعة حاجين وآخرون غير حاجين، وثالث قد حجوا حجاً فاسداً وجماعة ما أدركوا الا الاضطراريين، أو احد الاختياريين، وأناس عدلوا من نوع الحج الى نوع آخر، وليس هذا الاختلاف الا لنظير ما عرفت، وبعد المراجعة قيل سافرت فيك العقول فما ربحت الا اذى السفر.الخامس- انه سبحانه قد احتجب عن الحواس، وفي الحديث ان الله احتجب عن

العقول كما احتجب عن الابصار، وان الملأ الاعلى يطلبونه كما تطلبونه انتم وما اثبت له من الصفات انما هو على قدر اوهامنا، وما تصل اليه افهامنا، فأنا نعتقد اتصافه سبحانه بأشرف طرفي النقيض بالنظر الى عقولنا القاصرة، وهو تعالى ارفع واجل، وفي كلام الصادق عليه السلام، اشارة الى هذا المعنى، حيث قال كل ما ميزتموه بأوهامكم في ادَق معانيه، مخلوق مصنوع مثلكم، مردود اليكم، ولعل النمل الصغار، تتوهم ان لله تعالى زبانيتين، فإن ذلك كمالها، وتتوهم ان عدمها نقصان لمن لا يتصف بهما وهكذا حال العقلاء فيما يصفون الله تعالى به.قال الفاضل الدواني هذا كلام، دقيق، رشيق، أنيق، صدر من مصدر التحقيق ومورد التدقيق والسير في ذلك ان التكليف إنما يتوقف على معرفة الله تعالى بحسب الوسع والطاقة وإنما كلفوا ان يعرفوه بالصفات التي الفوها وشاهدوها فيهم، مع سلب النقائص الناشئة، عن انتسابها اليهم، ولما كان الانسان واجباً بغيره، عالماً، قادراً، مريداً، حياً، متكلماً، سميعاً، بصيراً بأن يعتقد تلك الصفات في حقه تعالى مع سلب النقائص الناشئة عن انتسابها الى الايمان، بأن يعتقد انه تعالى واجب لذاته، لا بغيره عالم بجميع المعلومات، قادر على جميع الممكنات وهكذا في سائر الصفات ولم يكلف باعتقاد صفة، له تعالى لا يوجد فيه مثالها ومناسبها بوجه، ولو كلّف به لما امكن تعقله في الحقيقة، وهذا احد معاني قوله عليه السلام من عرف نفسه فقد عرف ربه انتهى. وحينئذ فمن وصفه بالولد، فبزعمه انه كمال له تعالى عنه، وكذا من وصفه بالجسمية الى آخر ما عرفت، فهذا ايضاً هو السبب في الاختلاف.وقد اخطأ جماعة من الصوفية في اعتقادهم الوصول الى كنه حقيقته، وانه لا يحتاج الواصل منهم الى العبادات لانها وسائل، قال العلامة الحلي قدس الله ضريحه في كتاب كشف الحق ونهج الصدق، اني شاهدت جماعة من الصوفية في حضرة مولانا الحسين عليه السلام وقد صلّوا المغرب سوى شخص واحد منهم كان جالساً ولم يصلِّ، ثم صلوا بعد ساعة لعشاء سوى ذلك الشخص فسئلت بعضهم عن ترك صلوة ذلك الشخص فقال وما حاجة هذا الى الصلوة، وقد وصل أيجوز ان يجعل بينه وبين الله تعالى حاجباً فقلت لا فقال الصلوة حاجب بين العبد والرب انتهى. اقول امثال هذا قد شاهدنا منهم كثيرا وسننقل احوالهم انشاء الله تعالى واسباب الاختلاف كثيرة لا نطول الكتاب بذكرها.

نور الهي

يتضمن برهاناً مختصراً في اثبات الواجب وسائر صفاته، يتفرع عليه من التفريعات ما لا يحصى، اعلم ان هذا الصانع المحكم صنعه، على هذا النظام الذي ترى يجب ان يكون في غاية

الكمال، بالنظر الى كل كمال ويجب ايضاً ان يكون كمالاته كلها موجودة خارجة من القوة لانه لو كان له كمال، منتظر الخروج من لقوة الى الفعل لكان ناقصاً بالنظر الى ذلك الكمال فلم يكن كاملاً من جميع الوجوه، وقد وجب ان يكون كاملاً فيه واذا كان كذلك وجب ان يكون واحداً بالذات والصفات لان غاية الكمال، كمال فوق جميع الكمالات ولا ريب ان الواحد بالذات والصفات اكمل من المثيل في جميع الكمالات اذ يعقل فوق المثيل اكمل في الكمالات وهو اللاَّ المثيل في الذات والصفات ولا يعقل فوق الوحيد اكمل في الكمالات فهو في غاية الكمال في جميع الكمالات ويجب حينئذ ان يكون هذا الصانع موجوداً لان الوجود كمال والعدم نقص ويجب ايضاً ان يكون عالماً وقادراً ومختاراً في فعله ومريداً وحياً وسميعاً وبصيراً الى غير ذلك من صفات الايجاب وذلك لان نقائضها نقص وقد تحققت انه يجب ان يكون في غاية الكمال فلا يحتاج الى الاستدلال على كل واحدة من هذه الصفات بدليل عليحدة، كما فعل المتكلمون.ويندفع بهذا الدليل ايضاً شبهة ابن كمونة المشهورة، وحاصل تقريرها: انه لا يجوز ان يكون الواجب بالذات ذاتين متباينتين، مستجمعتين، لجميع صفات الكمال بان يكون امتيازهما بالذات، ووجودهما عين ذاتيهما، كالصفات، ولا يكون وجوب الوجود مشتركاً بينهما، بل كيفية نسبة الوجود اليهما، فيجاب عنها، بانهما لا يخلوان بحسب الفرض، عن انه إما ان يكونا في الصفات الخاصة بكل منهما متساويين بأن يكونا في جميع الكمالات مثلين، أو يكون احدهما اكمل بتفاوت في البين فعلى الثاني انما الواجب هو الاكمل وعلى الاول لا يكونان في غاية الكمال، اذ يعقل فوقهما اكمل وهو عديم المثال، والواجب وجب ان يكون في غاية الكمال، في جميع مراتب الجلال والجمال، ومن جملة فروع هذا الاستدلال، ظهور حدوث العوالم الممكنة المتناهية في جانب الازل والابد حدوثاً زمانياً فإن من اعلى مراتب الكمال صدق قوله عليه السلام كان الله ولم يكن معه شيء صدقاً متناولاً لجميع الاكوان ذاتاً أو زماناً وكذا قوله عز من قائل في الحديث القدسي كنت كنزاً مخفياً فأحببن ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف فانه بظاهره دال على حدوث الممكنات حدوثاً زمانياً والاصل عدم التأويل فتكون الاشياء مخلوقة حادثة فلنبين أي مخلوق سبق المخلوقات وجوداً.

نور نبوي

اعلم ان الاخبار قد اختلفت في اول مخلوق خلقه الله تعالى.فروى رئيس المحدثين الكليني قدس الله روحه بإسناده الى الصادق عليه السلام انه قال ان الله خلق العقل وهو اول خلق من الروحانيين عن يمين العرش من نوره.وفي تفسير علي بن ابراهيم عن الصادق عليه السلام انه اول ما خلق الله القلم.وفي الاخبار المروية عن النبي صلى الله عليه وآله اول ما خلق الله نوري وبلفظ آخر اول ما خلق الله روحي.وفي الاخبار عن علي عليه السلام اول ما خلق الله النور.وروى ان اول مخلوق هو الهوى ذكره علي بن ابراهيم في تفسير قوله تعالى ﴿ وكان عرشه على الماء﴾.قال وذلك في مبدأ الخلق ان الرب تبارك وتعالى خلق الهوائ، ثم خلق القلم فأمره ان يجري فقال يا رب بم اجري فقال بما هو كائن، ثم خلق الظلمة من الهوائ، وخلق النور من الهوئ، وخلق الماء من الهوائ، وخلق العرش من الهوئ، وخلق العقيم من الهوائ، وهو الريح الشديدة، وخلق النار من الهوائ، وخلق الخلق كلهم من هذه الستة التي خلقت من الهوائ.وفي الروضة مسنداً الى ابي محمد بن عطية قال جاء رجل الى ابي جعفر عليه السلام من اهل الشام من علمائهم فقال يا ابا جعفر جئت اسئلك عن مسألة قد أعيت عليَ ان اجد أحداً يفسرها، وقد سئلت عنها ثلاثة اصناف من الناس فقال كل صنف منهم شيئاً غير الذي قال الصنف الاخر فقال له ابو جعفر عليه السلام ما ذاك قال فأني اسألك عن اول ما خلق الله من خلقه، فإن بعض من سئلته قال القدر، وقال بعضهم القلم وقال بعضهم الروح، فقال ابو جعفر عليه السلام ما قالوا شيئاً اخبرك ان الله تعالى كان ولا شيء غيره وكان عزيزاً ولا احد كان قبل عزّه وذلك قوله ﴿ سبحان ربك رب العزة عما يصفون ﴾ وكان الخالق قبل المخلوق، ولو كان اول ما خلق الله من خلقه الشيء اذا لم يكن له انقطاع ابداً ولم يزل الله اذاً ومعه شيء، ليس هو يتقدمه ولكنه كان اذ لا شيء غيره وخلق الشيء الذيجميع الاشياء منه، وهو الماء الذي خلق الاشياء منه فجعل نسب كل شيء الى الماء ولم يجعل للماء نسباً، يضاف اليه وخلق الريح من الماء ثم سلّط الريح على الماء فشققت الريح متن الماء حتى ثار من الماء زبد على قدر ما شاء ان يثور الحديث.فان قلت فما وجه التوفيق بين هذه الاخبار.فالجواب ان بعضها محمول على الاولية الاضافية وبعضها محمول على الاولية الحقيقية اما اولية الماء فهو بالاضافة الى الاجسام الكثيفة التي تقع عليها الابصار واما الهوى الذي خلق الماء منه فهو ليس من الاجسام الكثيفة المرئية حتى ان بعضهم ذهب الى انكاره واما اولية العقل فقد صرح فيه بانه اول خلق من الروحانيين أي الاجسام اللطيفة التي شبهت بالروح في اللطافة والصفاء ومنه الملائكة الروحانيون وهم نوع من الملائكة سموا به لما فيهم من اللطافة وعدم الكثافة كما في باقي انواعهم مع ان بعض المحققين ذهب الى ان العقل الوارد في الاخبار بانه اول المخلوقات هو نوره صلى الله عليه وآله وسيأتي الكلام فيه.واما اولية القلم فهي بالنظر الى ما جانسه من ادوات الكتابة كالمداد ونحوه وفي العرف يقال في شأن

الكاتب انه اول ما برأ القلم.ويؤيد ما رواه عبد الرحيم القصير عن ابي عبد الله عليه السلام قال سئلته عن ﴿ ن والقلم ﴾ قال ان الله تعالى خلق القلم من شجرة في الجنة يقال لها الخلد قم قال لنهر في الجنة كن مداداً فجمد النهر وكان اشد بياضاً من الثلج واحلى من الشهد ثم قال للقلم اكتب قال يا رب وما اكتب قال اكتب ما كان وما هو كائن الى يوم القيامة الحديث وسيأتي بتمامه ان شاء الله تعالى.واما الاخبار الواردة بأولية النور، ونوري، وروحي، فهي واحدة وهي عبارة عن نوره صلى الله عليه وآله وهو اول مخلوق على الاولية الحقيقية ليس فيه للاضافة مدخل بوجه من الوجوه لأنه قد استفاض في الاخبار ان نوره صلى الله عليه وآله افرزه الله سبحانه من نوره وافرز من ذلك النور انوار الائمة الطاهرين وافرز من ذلك النور الثاني انوار المؤمنين، كما سيأتي بيانه في محله ان شاء الله تعالى فهو الاول والاخر والظاهر والباطن ومن هذا قال صلى الله عليه وآله كنت نبياً وآدم بين الماء والطين.وقد ذكر في شرح المواقف وجهاً لجمع الاخبار الثلاثة وهي اول ما خلق الله العقل وأول ما خلق الله القلم، وأول ما خلق الله نوري، وهو أنَ المعلول الاول من حيث إنه مجرد يفعل ذاته ومبدأه يسمى عقلاً ومن حيث أنه واسطة في صدور سائر الموجودات ونقوش العلوم، يسمى قلماً، ومن حيث توسطه في افاضة أنوار النبوة كان نوراً لسيد الانبياء، وهذا يجري على مذاهبهم كما لا يخفى.واما حقيقة هذه الانوار فلا نتحققها على حقيقتها ولكن المفهوم من هذه الاخبار هو ان المراد بهذه الانوار اجسام لطيفة نورانية على قالب هذه الاجسام وتفارقها في النور واللطافة والصفا ولما خلقها وادخل الارواح فيها كانت اجساماً فيها ارواح في عالم الملكوت تسبح الله وتقدسه وتمجده وتعلّم الملائكة بعد ان خلقوا للعبادة والتسبيح.ومنه قال صلى الله عليه وآله سبّحنا فسبحت الملائكة بتسبيحنا، وقدسنا فقدست الملائكة بتقديسنا، الحديث.وروى صاحب بستان الكرامة ان النبي صلى الله عليه وآله كان جالساً،وعنده جبرئيل عليه السلام فدخل علي عليه السلام، فقام له جبرئيل عليه السلام فقال النبي صلى الله عليه وآله أتقوم لهذا الفتى فقال له صلى الله عليه وآله نعم ان له عليَّ حق التعليم فقال النبي صلى الله عليه وآله كيف ذلك التعليم يا جبرئيل، فقال لما خلقني الله تعالى سئلني من أنت، وما اسمك، ومن أنا، وما اسمي فتحيرت في الجواب وبقيت ساكتاً ثم حضر هذا الشاب في عالم الانوار، وعلمني الجواب فقال قل أنت ربي الجليل، واسمك الجليل وانا العبد الذليل واسمىْ جبرئيل ولهذا قمت له وعظمته فقال النبي صلى الله عليه وآله كم عمرك يا جبرئيل فقال يا رسول الله يطلع نجم من العرش في كل ثلاثين الف سنة مرة وقد شاهدته طالعاً ثلاثين الف مرة الى هذا الحديث نظر محيي الدين بن عربي حيث قال في اول خطبة فتوحاته الحمد لله الذي جعل الانسان الكامل معلم الملك وادار بانقساره[١٦]بقات الفلك فالنبي واهل بيته

---

(١٦)قسرة على الامر يقسره قسراً اكرهه عليه وقهره.

صلوات الله عليهم قد شاركوا الملائكة في افضل صفاتهم التي هي النورية الخاصة، وزاد عليهم في الصفات العالية التي لا تكاد تحصى.ومن هذا اجاب شيخنا طاب ثراه عن شبهة من ذهب الى افضلية الملائكة على الانبياء بأن في الملائكة من لا يفتر عن الطاعة والعبادة من اول عمره الى آخر فناء الدنيا.وحاصل الجواب ان هذه الصفة تنغمر في صفات الانبياء عليهم السلام فأن ارشاد الخلائق الى طريق الهداية بعد الضلالة يفضل عبادة الملائكة بحكم قوله تعالى ﴿ ومن احياها فكأنما احيا الناس جميعاً ﴾ أي من انقذها من الضلالة التي هي شبيهة بالموت بل اعظم منه كما ورد في الخبر في روايات الفريقين ان جبرئيل عليه السلام قد اتى يوماً الى منزل فاطمة عليها السلام فتكلمت معه، وكان فيما خاطبته ان قلت له يا عمّ فلما دخل النبي صلى الله عليه وآله قال له جبرئيل ان فاطمة عليها السلام قالت لي يا عم فكيف هذا ونحن معاشر الملائكة قد خلقنا من النور وانتم معاشر البشر قد خلقتم من الطين فقال له النبي صلى الله عليه وآله صدقت فاطمة، ثم قال يا جبرئيل نحن ايضاً مخلوقون من النور أتعرف النور اذا رايته قال نعم فقال صلى الله عليه وآله ادعوا لي علياً فلما دخل قال يا علي أدن مني فدنى نه فوضع جبهته على جبهته وحكها فيها فظهر نور لا تكاد الابصار تطيق النظر اليه، فقال النبي صلى الله عليه وآله يا جبرئيل تعرف هذا النور فقال نعم، هذا النور الذي كنا نراه في قوائم العرش، فقال يا جبرئيل من هذا قالت لك فاطمة يا عم، وفي هذا الحديث اسرار الهية وحكم ربانية لا تبلغ العقول اكثرها منها:الاشارة الى ان الايمان لا يتم بالشهادتين فقط بل لا بد من الولاية، لانه قسيمه في الكمال والى هذا الاشارة بقوله عز من قائل ﴿ اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا ﴾لما نوه النبي صلى الله عليه وآله بولايته يوم الغدير، وقال من كنت مولاه فهذا علي مولاه، ومنها ان المساواة بينهما انما أتت من عالم الملكوت، نعم إنما فضّله بالنبوة وبتوسط التعليم والى هذا الاشارة بقوله صلى الله عليه وآله أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي.وأما قول علي عليه السلام انا عبد من عبيد محمد صلى الله عليه وآله فهو إما كما قال الصدوق طاب ثراه من ان المراد عبد طاعة لا عبد ملك أو يكون من باب التواضع لجنابه صلى الله عليه وآله.والظاهر انه لا يجوز لنا نحن ان نقول هذا القول وننسبه الى ما نسب نفسه لان عبارات التواضع لا تحسن إلا من قائلها كما هو المتعارف في العادات الزمانية كيف لا وقد روى الصدوق طاب ثراه عن النبي صلى الله عليه وآله قال اعطيت ثلاثاً وعلي مشاركي فيها واعطى علي ثلاثة ولم اشاركه فيها فقيل يا رسول الله وما الثلاث التي شاركك فيها علي عليه السلام قال لواء الحمد لي وعلي حامله والكوثر لي وعلي ساقيه والجنة والنار لي وعلي قسيمها، وأما الثلاث التي اعطى علي ولم اشاركه فيها فأنه اعطي شجاعة ولم اعط مثله واعطي فاطمة الزهراء زوجة ولم اعط مثلها واعطي ولديه الحسن والحسين عليهما السلام ولم اعط مثلهما.وينبغي ان يراد بالشجاعة هنا اعمالها وممارسة الحروب والدخول فيها لا مبدءها من قوة القلب والجرأة على اقتحام الحروب لان النبي

ﷺ منها الحظ الاوفر.نعم لما كان هو الملك والسلطان لم يباشر الحروب بنفسه المباركة بل تصدى لها علي عليه السلام.وروى ايضاً عن عبد الله بن مسعود قال دخلت على رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله أرني الحق لأصل اليه قال يا عبد الله الج المخدع[١٧]ولجت المخدع وعلي بن ابي طالب عليه السلام يصلي ويقول في ركوعه وسجوده، اللهم بحق محمد عبدك اغفر للخاطئين من شيعتي فخرجت حتى اخبر رسول الله ﷺ فمسعته يقول الله بحق علي بن ابي طالب عبدك إلاّ ما غفرت للخاطئين من امتي قال فأخذني من ذلك الهلع[١٨]العظيم، فأوجز النبي ﷺ في صلاته وقال يا بن مسعود أكفر بعد ايمان فقلت حاشا وكلا يا رسول الله ولكن رأيت علياً يسئل الله بك ورأيتك تسئل الله به ولا اعلم ايكما افضل عند الله تعالى فقال اجلس يا بن مسعود فجلست بين يديه.فقال اعلم ان الله خلقني وعلياً من نور عظمته، قبل ان يخلق الله الخلق بالفي عام اذ لا تسبيح ولا تقديس ولا تهليل ففتق نوري فخلق منه السموات والارض وانا والله اجل من السموات والارض، وفتق ونور علي بن ابي طالب فخلق منه العرش والكرسي وعلي والله اجل من العرش والكرسي، وفتق نور الحسن عليه السلام فخلق منه اللوح والقلم والحسن والله اجلّ من اللوح والقلم، وفتق نور الحسين عليه السلام وخلق منه الجنان والحور العين والحسين والله اجل من الجنان والحور العين، ثم اظلمت المشارق والمغارب فشكت الملائكة الى الله تعالى ان يكشف عنهم تلك الظلمة، فتكلم الله جل جلاله بكلمة فخلق منها روحاً ثم تكلم فخلق من تلك الكلمة الاخرى نوراً فأضاف النور الى تلك الروح وأقامها اما العرش، فأزهرت المشارق والمغارب، فهي فاطمة الزهراء عليها السلام، فلذلك سميت الزهراء، يا بن مسعود اذا كان يوم القيامة يقول الله جل جلاله، لي وبعلي ادخلا الجنة من شئتما، وأدخلا النار من شئتما وذلك قوله تعالى ﴿ القيا في جهنم كل كفار عنيد ﴾ فالكافر من جحد نبوتي والعنيد من جحد ولاية علي بن ابي طالب.وروى عن تاج الدين عن ابن عباس قال كان رسول الله ﷺ في مجلسه وعنده جماعة من المهاجرين والانصار اذ نزل عليه جبرئيل عليه السلام وقال له يا محمد الحق يقرئك السلام ويقول لك احضر علياً واجعل وجهك مقابل وجه ثم عرج جبرئيل عليه السلام الى السماء فدعا رسول الله ﷺ علياً فأحضره وجعل وجهه مقابل وجهه فنزل جبرئيل عليه السلام ثانياً، ومعه طبق فيه رُطب فوضعه بينهما ثم قال كلا فأكلا ثم احضر طشتاً وابريقاً فقال يا رسول الله قد امرك الله ان تصبّ الماء على يد علي بن ابي طالب فقال ﷺ السمع والطاعة لما امرني به ربي ثم أخذ الابريق وقام يصب الماء على يد علي بن ابي طالب عليه السلام فقال له علي عليه السلام يا رسول الله انا أولى ان أصب الماء على يديك فقال له يا علي إنّ الله

---

(١٧)المخدع والمخدع الخزانة أي البيت الصغير توضع فيه الامتعة جمع مخادع

(١٨) هلع الرجل يهلع هلعاً جزع او افحش الجزع.

سبحانه وتعالى امرني بذلك وكان كلما اصبَ الماء على يد علي بن ابي طلب عليه السلام لم يقع منه قطرة في الطشت فقال علي عليه السلام يا رسول الله إني لم أرَ شيئاً من الماء يقع في الطشت فقال رسول الله صلى الله عليه وآله يا علي إن الملائكة يتسابقون على أخذ الماء الذي يقع من يديك فيغسلون به وجوههم ليتبركوا به وغير ذلك من الاخبار.

نور امامي

قد تحققت ان النبي صلى الله عليه وآله والائمة صلوات الله عليهم قد خلقوا من نور واحد والنبي صلى الله عليه وآله له فضيلة وأما سيد الموحدين أمير المؤمنين عليه السلام فقد فضله على الأئمة عليهم السلام وذكروا أن له الفضل على الأئمة ووجهه ظاهر وأما الحسنان صلوات الله عليهما فالذي يظهر من أخبارهم عليهم السلام أن لهما الفضيلة أيضاً على باقيهم ولعل وجهه القرب من النبي صلى الله عليه وآله ومشاهدة الوحي وهبوط الملائكة في منازلهم والقرب من زمان الأسلام وغير ذلك وأما هما صلوات الله عليهما فلا نعرف الأفضليه بينهما لأن الإمامة والخلافة قد أتتهما من جدّهما صلى الله عليه وآله معاً وقد كانا في الكمالات كفرسي رهان مع ما خص به الحسين عليه السلام عوض الشهادة بأن جعل الشفاء في تربته والدعاء مستجاب تحت قبته والأئمة من ذريته ولا تعد أيام زائره جائيا وراجعا من عمره،وفي الروايات الخاصة أن فاطمة عليها السلام أتت بهما الى النبي صلى الله عليه وآله فقالت يا رسول الله، ورث ولديك، فقال صلى الله عليه وآله أما الحسن فله سؤددي وعلائى وأما الحسين فله سخاوتي وشجاعتي، ومن هذا كان الحسين عليه السلام في الدرجة القصوى من الكرم والشجاعة أما الكرم فقد كان الحسن عليه السلام يكتب إليه بأنك تعطي الشعراء ونحوهم كثيرً من الأموال فأجابه الحسين عليه السلام بأنك تعلم يا أخي أن خير المال ماصين به العرض، وفيه دلالة على أن الإعطاء بقصد صون العرض حسنة، ولو لم يكن من أهل الأستحقاق وروى مصرحاً به في بعض الأخبار، من أن الإعطاء لصون العرض، يكتب فيه ثواب الصدقة، وأما الشجاعة فناهيك بواقعة الطَفوف، وقدومه على الجهاد، مع ستين ألفاً، وقتله الجماعات منهم حتى أحتالوا عليه بأن زاحموا إليه كلهم، وقد كانت العادة بينهم قديما أن يبرز واحد لواحد مع ما لحقه من العطش، ولأذى بقتل أهل بيته، وإخوته ولكن قد سبق الكتاب أجله، وسيأتي بيان هذا إنشاء الله تعالى. وفي الروايات أن الحسنين عليهما السلام قد تكاتبا، فجاء الى النبي صلى الله عليه وآله ليميز بين كتابيهما وقد كانا أطفالا فقال لهما، أنا أمي ولكن أمضيا الى أبيكما فجاء أليه، فقال أبوهما أمضيا الى أمكما لتميز بينكما فلما أتيا إليها، قالت يا ولداي، عندي عقد فيه سبع من اللؤالى فأن أقطعه، فكل من يحوز الأربع فسطره الأحسن فلما ألقتها تبادر إلى التقاط فالتقط كل واحد منهما ثلاثة وأتى جبرئيل عليه السلام يضرب بجناحه اللؤلؤة وقدها نصفين فأخذ كل واحد منهما

نصفاً، فأنظر نصفين فأخذ كل واحد منهما نصفاً، فأنظر إلى رعاية حرمتهما حيث لم يرد الله، ورسوله وأبوهما وإمهما إدخال غم الترجيح عليهما وأمثال هذه الروايات الدالة على المساوات بينهما لاتكاد تحصى مع أنه ﷺ، ورثهما من بدنه الشريف، فكان الحسن عليه السلام يشبه من السرة إلى فوق والحسين عليه السلام يشبهه في النصف الباقي.وفي الروايات الكثيرة أن الجنة قالت يا رب أسكنتني الضعفاء والمساكين قال لها الله تعالى، ألا ترضين أني زينت اركانك بالسن والحسين عليهما السلام، قال فماست كما تميس العروس فرحاً وروى أنه كان رسول الله ﷺ يخطب فجاء الحسن والحسين عليهما السلام وعليهما قميصان احمران يمشيان ويعثران، فنزل رسول الله ﷺ من المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه ثم قال صدق الله ورسوله ﴿انما اموالكم واولادكم فتنة﴾ نظرت الى هذين الصبيين يمشيان ويعثران، فلم اصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما.وأما بقي الائمة عليهم السلام فالاخبار قد اختلفت في احوالهم، في المساواة والاشرفية فروى الصدوق مسنداً الى مولانا أبي عبد الله الحسين عليه السلام قال دخلت أنا وأخي على جدي رسول الله ﷺ فأجلس أخي على فخذه الايمن وأجلسني على فخذه الاخرى، ثم قبَلنا وقال بأبي أنتما من أمامين صالحين اختاركما الله مني، ومن ابيكما، وأمكما واختار من صلبك يا حسين تسعة أئمة عليهم السلام تاسعهم قائمهم، كلهم في الفضل والمنزلة عند الله سواء.وفي الروايات الأخرى، ان افضلهم قائمهم، ولعل افضليته عليه السلام باعتبار تشييد اركان الدين، وكثرة جهاده واعزاز المؤمنين به، ونحو ذلك مما يأتي تفصيله ان شاء الله.

نور علوي

إعلم أنه لا خلاف بين اصحابنا رضوان الله عليهم في اشرفية نبينا ﷺ على سائر الانبياء عليهم السلام للأخبار المتواترة وإنما الخلاف بينهم في افضلية امير المؤمنين والائمة الطاهرين عليهم السلام على الانبياء مما عدا جدهم ﷺ فذهب جماعة الى انهم افضل باقي الانبياء ما خلا اولي العزم .فانهم افضل من الائمة عليهم السلام، وبعضهم الى المساواة واكثر المتأخرين الى افضلية الائمة عليهم السلام، على اولي العزم، وهو الصواب والدليل عليه امور:الاول: قول النبي ﷺ لولا علي لم يكن لفاطمة كفؤ آدم عليه السلام فمن دونه، وقد اعترض الرازي على هذا بأن ابراهيم واسماعيل ابواها، فلا يدخلان في هذا العموم والجواب ظاهر وان المراد النظر الى الكفوية، مع قطع النظر عن الابوية، مع ان غيرهما كاف في باب التفضيل، اذ لا قائل بالفرق بين موسى وابراهيم.الثاني: ما رواه المفضل بن عمر، قال ابو عبد الله عليه السلام، ان الله تبارك وتعالى خلق الارواح قبل الاجساد بالفي عام، فجعل اعلاها واشرفها، ارواح محمد وعلي والحسن والحسين

والائمة صلوات الله عليهم فعرضها على السموات والجبال فغشيها نورهم فقال الله تبارك وتعالى للسموات والارض والجبال هؤلاء احبائي واوليائي وحججي على خلقي وأئمة بريتي ما خلقت خلقاً هو أحب اليّ منهم، ولمن تولاهم خلقت جنتي ولمن خالفهم، وعاداهم خلقت ناري الى ان قال، فلما اسكن آدم عليه السلام وحوى الجنة نظر الى منزلة النبي صلى الله عليه وآله والائمة، فوجداها اشرف منازل اهل الجنة، فقال لهما سبحانه لولاهما، لما خلقتكما ولا يعترض على هذا، بأن الافضلية باعتبار المجموع الذي قد دخل فيه النبي صلى الله عليه وآله لان قوله سبحانه ما خلقت خلقاً هو أحب اليّ منهم بمنزلة قوله، ما خلقت خلقاً أحبَ اليّ من محمد، وما خلقت خلقاً احبَ اليّ من علي وهكذا مع ان الاخبار الواردة على طريق الوحدة متكثرة جداً ولعلك تطلع على بعضها ان شاء الله تعالى في تضاعيف هذا الكتاب.

الثالث: ما روى مستفيضاً من قوله صلى الله عليه وآله اذا كان يوم القيامة اقام الله عز وجل جبرئيل ومحمد عليهما السلام على الصراط لا يجوز احد الاّ من كان معه براءة من علي بن ابي طالب عليه السلام والا هلك وانزله اله الدرك الاسفل وكذا روى انه لا يدخل الجنة احد الا من كان معه براءة من علي بن ابي طالب عليه السلام واحد من الموضعين نكرة في سياق النفي، وتوجيه هذا ظاهر فأنه سيأتي ان شاء الله تعالى في نور عرصات القيامة، ان الله تعالى يبعث رضوان بمفاتيح الجنة، ومالكاً بمفاتيح النار فيدفعهما الى علي بن ابي طالب عليه السلام، ويأتي شفير جهنم فيقف والملائكة تسوق الناس الى الصراط، وهو واقف عنده فيقول يا نار هذا لي وهذا لك وهذا معنى كونه قسيم الجنة والنار، على ما تواترت به الاخبار، وفي احاديث عيون اخبار الرضا عليه السلام ان النبي صلى الله عليه وآله سمَي ابا القاسم لانه ربَى علياً في حجره لما اخذه من ابي طالب عام القحط، وعلي قاسم الجنة والنار، والنبي ابوه فهو ابو القاسم.الرابع: ما رواه ابن عباس، في تفسير قوله تعالى ﴿ وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون ﴾ قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وآله فأقبل علي بن ابي طالب عليه السلام فلما رآه النبي صلى الله عليه وآله تبسم في وجهه وقال مرحباً بمن خلقه الله تعالى، قبل ابيه آدم عليه السلام بأربعين الف عام، فقلت يا رسول الله أكان الابن قبل الاب فقال نعم ان الله خلقني وخلق علياً قبل ان يخلق آدم عليه السلام بهذه المدة خلق نوراً فقسمه نصفين فخلقني من نصفه وخلق علياً من النصف الاخر، قبل الاشياء فنورها من نوري ونور علي جعلنا عن يمين العرش ثم خلق الملائكة فسبحنا فسبحت الملائكة وهللنا فهللت الملائكة وكان ذلك من تعليمي وتعليم علي وكان ذلك في علم الله السابق ان الملائكة تتعلم منا التسبيح، والتكبير والتهليل، وكل شيء سبح الله وكبره، وهلله بتعليمي وتعليم علي، وكان في علم الله السابق ان لا يدخل النار محب لي ولعلي، وكذا كان في علمه تعالى ان لا يدخل الجنة مبغض لي ولعلي الا وان الله عز وجل خلق ملائكة بأيديهم اباريق اللجين مملوة من ماء الجنة من الفردوس،

فما أحد من شيعة علي الا وهو طاهر الوالدين تقي نقي، مؤمن بالله فاذا اراد واحدهم ان يواقع اهله جاء ملك من الملائكة الذين بأيدهم اباريق الجنة فطرح من ذلك الماء في انائه الذي يشرب فيه، فيشرب هو ذلك الماء فينبت الايمان في قلبه كما ينبت الزرع فهم على بينة من ربهم ومن نبيهم ومن وصيي علي ومن ابنتي فاطمة الزهراء ثم الحسن ثم الحسين والائمة من ولد الحسين عليهم السلام الحديث ووجه الاستدلال بهذا ظاهر لان مرتبة الاستناد الاولى اعلى درجة من درجة التلميذ كما يظهر من قوله ﷺ وكل شيء سبح الله بتعليمي وتعليم علي.الخامس: ما استفاظ في الاخبار من ان علم الائمة عليهم السلام اكمل من علوم كل الانبياء وذلك ان من جملته علم الاعظم، وهو ثلاثة وسبعون حرفاً حرف منها استأثر به الله سبحانه واثنان وسبعون علمها لرسوله، وأمره ان يعلمها اهل بيته واما باقي الانبياء عليهم السلام فقال الصادق عليه السلام ان عيسى بن مريم عليه السلام اعطي حرفين كان يعمل بهما واعطي موسى عليه السلام اربعة أحرف واعطي ابراهيم عليه السلام ثمانية احرف واعطي نوح عليه السلام خمسة عشر حرفاً، واعطي آدم عليه السلام خمسة وعشرين حرفاً وقد جمع كل ذلك لمحمد وآله، سوى حرف واحد استأثر به الله.وروى صاحب كتاب الاربعين عن عمار بن خالد عن اسحاق الازرق عن عبد الملك بن سليمان قالا وجد في ذخيرة حواري عيسى عليه السلام في رق مكتوب انه لما تشاجر موسى والخضر عليهما السلام في قصة السفينة والغلام، والجدار ورجع موسى الى قومه فسأله اخوه هارون عما شاهده من عجائب البحر قال موسى عليه السلام انا والخضر على شاطئ البحر اذ سقط بين ايدينا طاير فأخذ في منقاره قطرة من ماء البحر ورمى به نحو المشرق وأخذ الثانية ورمى بها نحو المغرب فأخذ الثالثة ورمى بها نحو السماء واخذ الرابعة فرمى بها نحو الارض ثم أخذ خامسة فالقيها في البحر فبهتَ أنا والخضر من ذلك وسألته عنه فقال لا اعلم فبينما نحن كذلك واذا بصياد في البحر فنظر الينا وقال مالي اركما في فكرة من أمر الطاير فقلنا هو كذلك فقال انا رجل صياد وقد علمت اشارته وأنتما بيان لا تعلمان، فقلنا لا نعلم إلاَ ما علمنا الله عز وجل فقال هذا الطائر في البحر يسمى مسلماً لأنه اذا صاح يقول في صياحه مسلم فاشارته برمي الماء يقول يأتي في آخر الزمان نبي يكون علم اهل السموات والارض والمشرق والمغرب عند علمه مثل هذه القطرة الملقاة في هذا البحر ويرث علمه ابن عمه ووصيه علي بن ابي طالب فعند ذلك سكن ما كنا فيه من التشاجر واستقل كل واحد منا علمه.واما حوادث العلوم المتجددة بحوادث الايام في اعصار الائمة عليهم السلام فقد روى ان علمها يعرض على روح النبي ﷺ ومن بعده من الائمة عليهم السلام ثم يعرض على الامام الحي حتى لا يكون لاخرهم فضل على اولهم بالعلم ومن كان اعلم كان افضل لقوله سبحانه ﴿ هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر اولوا الالباب ﴾.السادس: انه قد روى في عدة اخبار انه قد اجتمع في علي عليه السلام من

الصفات ما وجد في غيره متفرقاً من الانبياء السابقين.روى الصدوق طاب ثراه باسناده الى سليم بن قيس قال قال رسول الله ﷺ علي في السماء السابعة كالشمس بالنهار في الارض وفي السماء السادسة الدنيا كالقمر بالليل في الارض اعطى الله تعالى علياً من الفضل جزءاً لو قسّم على الارض لوسعهم واعطاه الله من الفهم جزء لو قسم على اهل الارض لوسعهم شبهت لينه بلين لوط عليه السلام وخلقه بخلق يحيى عليه السلام وزهده بزهد ايوب عليه السلام وسخاؤه بسخاء ابراهيم عليه السلام وبهجته ببهجة سليمان بن داود عليهما السلام وقوته بقوة داود عليه السلام له اسم مكتوب على حجاب في الجنة بشرني ربي الحديث وكل من جمع الاوصاف الحسنة له فضل على كل من فيه احدها.السابع: انه روى في صفة منبر الوسيلة عن النبي ﷺ انه منبر يؤتى به يوم القيامة فيوضع عن يمين العرش فيرقاه النبي ﷺ ثم يرقى من بعده امير المؤمنين عليه السلام فيجلس في مرقاة دونه ثم الحسن عليه السلام في مرقاة دونه الى آخر الائمة ثم يؤتى بابراهيم وموسى وعيسى والانبياء عليهم السلام فيجلس كل واحد على مرقاة من دون المراقي وفي هذا ايضاً دلالة على ترتيب الفضل والشرف.الثامن: ما رواه ابو حمزة الثمالي قال دخل عبد الله بن عمر على زين العابدين عليه السلام وقال يا بن الحسين انت الذي تقول ان يونس بن متى إنما لقى من الحوت ما لقى لانه عرضت عليه ولاية جدي فتوقف عندها قال عليه السلام بلى ثكلتك امك قال فأرني آية ذلك ان كنت من الصادقين فأمر بشد عينه بعصابة وعيني بعصابة ثم امر بعد ساعة بفتح اعيننا فاذا نحن على شاطئ بحر تضطرب امواجه فقال ابن عمر يا سيدي دمي في رقبتك الله الله في نفسي ثم قال عليه السلام ايتها الحوت قال فأطلع الحوت رأسه البحر مثل الجبل العظيم وهو يقول لبيك لبيك يا ولي الله فقال من انت قال انا حوت يونس يا سيدي ان الله لم يبعث نبياً من آدم الى ان صار جدك محمداً ﷺ الا وقد عرض عليه ولايتكم اهل البيت فمن قبلها من الانبياء سلم وتخلص ومن توقف عنها وتتعتع[١٩]ي حملها لقى ما لقى آدم عليه السلام من المصيبة وما لقى نوح عليه السلام من الغرق وما لقى ابراهيم عليه السلام من النار وما لقى يوسف عليه السلام من الجب وما لقى ايوب عليه السلام من البلاء وما لقى داود عليه السلام من الخطيئة الى ان بعث الله يونساً عليه السلام فأوحى الله اليه ان يا يونس تولّ امير المؤمنين علياً والائمة الراشدين من صلبه فقال كيف اتولى من لم اره ولم اعرفه وذهب مغاضباً فأوحى الله تعالى اليّ ان التقمي يونس ولا توهني له عظماً فمكث في بطني اربعين صباحاً يطوف معي البحار في ظلمات ثلث ينادي ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين قد قبلت ولاية علي بن ابي طالب والائمة الراشدين من ولده عليهم السلام فلما آمن بولايتكم امرني ربي فقذفته على ساحل البحر فقال زين العابدين عليه السلام ارجعي ايتها الحوت الى وكرك فرجع

---

(١٩)تتتع في الكلام تردد من حصر اوعى وتعتعت الدابة ارتطمت في الرمل.

الحوت واستوى الماء.التاسع: ما اورده الصدوق طاب ثراه نقلاً عن جماعة قال لما وردت حرّة بنت حليمة السعدية رضي الله عنهما على الحجاج بن يوسف الثقفي وجلست بين يديه فقال لها انت حرّة بنت حليمة قد قيل انك تفضلين علياً على ابي بكر وعمر وعثمان قالت لقد كذب الذي قال اني افضله على هؤلاء خاصة قال وعلى من غير هؤلاء قالت افضله على آدم ونوح ولوط وابراهيم وموسى وداود وسليمان وعيسى بن مريم فقال لها ويلك اقول لك انك تفضليه على الصحابة فتزيدين عليهم ثمانية من الانبياء من اولي العزم فان لم تأتيني ببيان ما قلت والا ضربت عنقك فقالت ما انا فضلته على هؤلاء الانبياء بل الله عز وجل فضله في القرآن عليهم في قوله في حق آدم فعصى آدم ربه فغوى وقال في حق علي عليه السلام وكان سعيهم مشكوراً فقال احسنت يا حرة فبم تفضليه على نوح ولوط قالت الله تعالى فضله عليهم بقوله ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما وعلي بن ابي طالب كان ملكه تحت سدرة المنتهى زوجته بنت محمد صلى الله عليه وآله فاطمة الزهرا عليها السلام التي يرضى الله لرضاها ويسخط لسخطها، فقال الحجاج احسنت يا حرّة فبم تفضليه على اب الانبياء ابراهيم خليل الله عليه السلام فقالت الله فضله بقوله ﴿ قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى قال او لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ﴾ وامير المؤمنين قال قولا لم يختلف فيه احد من المسلمين لو كشف الغطاء ما أزددت يقينا وهذه كلمة لم يقلها قبله ولا بعده أحد قال أحسنت ياحرّة فبم تفضليه على موسى عليه السلام نجي الله قالت بقول الله عز وجل فخرج منها خائفاً يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين وعلي بن أبي طالب بات على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله لم يخف حتى أنزل الله في حقه ﴿ومن الناس من يشري نفسه إبتغاء مرضات الله ﴾، قال أحسنت يا حرة قال فبما تفضليه على داود عليه السلام قالت ألله فضله عليه بقوله ﴿يا داود أنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى﴾ قال فأي شيئ كانت حكومته قالت في رجلين أحدهما كان له كرم وللاخر غنم فنفشت الغنم في الكرم فرعته فأحتكما الى داود فقال تباع الغنم وينفق ثمنها على الكرم، حتى يعود على ما كان عليه فقال له ولده يا أبه بل يأخذ من لبنها وصوفها فقال الله عز وجل ﴿ففهمناها سليمان ﴾.وأن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام قال أسئلوني عما فوق السماء إسألوني عما تحت العرش إسألوني قبل أن تفقدوني وأنه عليه السلام دخل على النبي صلى الله عليه وآله يوم فتح خيبر فقال النبي صلى الله عليه وآله للحاضرين أفضلكم وأعلمكم علي فقال لها أحسنت يا حرة، فبم تفضليه على سليمان عليه السلام فقالت الله فضله عليه بقوله ﴿رب هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي ﴾ومولانا عليه السلام قال يا دنيا طلقتك ثلاثاً لا رجعة لي فيك فعند ذلك أنزل الله عليه﴿ تلك الدار الأخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين﴾ قال أحسنت ياحرة فبم تفضليه على عيسى بن مريم عليه السلام قالت ألله فضله عليه

بقوله إذ قال الله﴿يا عيسى بن مريم ءأنت قلت للناس أتخذوني وأمي الهين من دون الله قال سبحانك ﴾الى أخر الأية.وعلي بن أبي طالب عليه السلام لما إدعوا النصيرية فيه ما ادعوا لم يعاتبه الله سبحانه فقال احسنت يا حرَة خرجت من جوابك ولولا ذلك لما كان ذلك ثم اجازها واعطاها وسرحها سراحاً حسناً.اقول هذا الجواب منها قد ورد في الاخبار ولكن لم يجتمع في خبر فلذلك نقلناه من كلام حرة والاَ فقد رويناه في الاخبار عن الائمة الطاهرين.وفي كتاب المناقب مسنداً الى صعصعة بن صوحان انه دخل على امير المؤمنين عليه السلام لما ضرب فقل يا امير المؤمنين أنت افضل ام آدم ابو البشر؟قال علي عليه السلام تزكية المرء نفسه قبيح لكن قال الله تعالى لادم ﴿ يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ﴾ وانا اكثر الاشياء اباحها لي وتركتها وما قاربتها ثم قال أنت افضل يا امير المؤمنين أم نوح قال علي عليه السلام ان نوحاً دعا على قومه وانا ما دعوت على ظالمي حقي وابن نوح كان كافراً وابناي سيدا شباب اهل الحنة قال انت افضل ام موسى قال عليه السلام ان الله تعالى ارسل موسى الى فرعون فقال اني اخاف ان يقتلوني حت قال الله تعالى لا تخف اني لا يخاف لديّ المرسلون وقال رب اني قتلت منهم نفساً فاخاف ان يقتلون وانا ما خفت حين ارسلني رسول الله صلى الله عليه وآله بتبليغ سورة براءة ان اقرأها على قريش في الموسم مع اني كنت قتلت كثيراً من صناديدهم فذهبت بها اليهم وقرأتها عليهم وما خفتهم ثم قال انت افضل ام عيسى بن مريم قال عيسى عليه السلام كانت امه في بيت المقدس فلما جاء وقت ولادتها سمعت قائلاً يقول اخرجي هذا بيت العبادة لا بيت الولادة وانا امي فاطمة بنت اسد لما قرب وضع حملها كانت في الحرم فانشق حايط الكعبة وسمعت قائلاً يقول ادخلي فدخلت في وسط البيت وانا ولدت به وليس لاحد هذه الفضيلة لا قبلي ولا بعدي.العاشر: ما رواه الصدوق باسناده الى عمار بن ياسر رضي الله عنه قال لما سار علي بن ابي طالب عليه السلام الى صفين وقف بالفرات وقا لاصحابه اين المخاض فقالوا انت اعلم يا امير المؤمنين فقال الرجل من اصحابه امض الى هذا التل وناديا جلنداً فأين المخاض قال فسار حتى وصل التل ونادى يا جلندا فاجابه من تحت الارض خلق عظيم فبهت ولم يعلم ماذا يصنع فأتى الى امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام فقال جاوبني خلق كثير فقال الامام يا قنبر امض وقل يا جلندا بن كركر اين المخاض قال فمضى وقال يا جلندى بن كركر اين المخاض قال فكلمه واحد وقال لهم يا ويلكم من عرف اسمي واسم ابي عرف اين المخاض وانا في هذا المكان وقد بقيت تراباً وقدمت من ثلاثة الاف سنة وقد عرَفكم بأسمي واسم ابي وهو لا يعلم اين المخاض فوالله اعلم بالمخاض مني يا ويلكم ما اعمى قلوبكم واضعف يقينكم امضوا اليه واتبعوه فأين خاض خوضوا معه فأنه اشرف الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله

اقول: وجه الاستدلال من هذا الخبر ان اخص اوصاف عيسى عليه السلام ومعجزاته احياء الموتى وهنا قد احيا الله الاموات لرسول علي بن ابي طالب عليه السلام فأين هذا من ذاك.الحادي عشر: ما رواه صاحب كتاب القدسيات وهو من اعظم محققي الجمهور عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال لعلي يا علي ان الله تعالى قال لي يا محمد بعث علياً مع الانبياء باطناً ومعك ظاهراً ثم قال صاحب ذلك الكتاب وصرح بهذا المعنى في قوله انت مني بمنزلة ارون من موسى ولكن لا نبي بعدي ليعلموا ان باب النبوة قد ختم وباب الولاية قد فتح.واشارة بعث علي عليه السلام مع الانبياء عليهم السلام باطناً الى سر الولاية التي ظهرت بعد النبي صلى الله عليه وآله ليكون علماء امته الذين هم الاولياء داعين للناس في سواديه دايرة الولاية وبياضيتها الى الحق.اقول هذا الذي رواه من بعثه عليه السلام باطناً قد روى مضمونه في اخبار اهل البيت عليهم السلام عن علي بن ابي طالب عليه السلام وهو اشارة الى سر الهي في الغاية القصوى من التحقيق وهو انه قد روى عنه عليه السلام انه قال في جواب من سئله عن فضله وفضل من تقدمه من الانبياء مع انهم حازوا غاية الاعجاز اما ابراهيم عليه السلام فقد نجاه الله سبحانه من نار النمرود وجعلها عليه برداً وسلاماً ونوح عليه السلام قد نجاه الله مع الغرق وموسى عليه السلام من فرعون واتاه التورية وعلمه اياها وعيسى عليه السلام اتاه النبوة في المهد وانطقه بالحكمة والنبوة وسليمان عليه السلام الذي سخر له الريح والجن والانس وجميع المخلوقات فقال عليه السلام والله قد كنت مع ابراهيم في النار وانا الذي جعلتها برداً وسلاماً وكنت مع نوح في السفينة فانجيته من الغرق وكنت مع موسى فعلمته التورية وانطقت عيسى في المهد وعلمته الانجيل وكنت مع يوسف في الجب فانجيته من كيد اخوته وكنت مع سليمان على البساط وسخرت له الرياح.وفي الروايات الخاصة ان النبي صلى الله عليه وآله كان يوماً جالساً ومعه رجل من الجن يسئله عن اشياء من احكام الدين فدخل علي عليه السلام فتصاعر ذلك الجني خوفاً حتى صار مثل العصفور فقال يا رسول الله اجرني من هذا الشاب فقال النبي صلى الله عليه وآله ولم تخافه فقال لاني تمردت على سليمان بن داود عليه السلام وسلكت البحار فارسل الى جماعة من الجن والشياطين فلم يقدروا عليّ وأتاني هذا الشاب وبيده حربة فضربني بها على كتفي والى الان اثر جراحته فقال له النبي صلى الله عليه وآله ادن من علي تطيب جراحتك وتؤمن به وتكون من شيعته ففعل وخطبة البيان[٢٠]المنقولة عنه عليه السلام تبين هذا كله وهي الاسرار التي لا يعرف معناها الا العلماء الراسخون.الثاني عشر: ما استفاض في الروايات من ان ابراهيم عليه السلام طلب في مدة عمره من الله سبحانه مرة واحدة ان يطلعه على للملكوت ليشاهده عياناً فقال رب ارني ملكوت السموات والارض فرفع الحجاب عن وجهه حتى نظر بهذه العين الباصرة الى ما خلق الله في الارض

---

(٢٠)خطبة البيان من خطب امير المؤمنين عليه السلام وفقراتها تحتاج الى شروح.

والسماء.واما مولانا امير المؤمنين علي عليه السلام فقد كانت له هذه الحالة طول عمره كما روى انه عليه السلام كان يخطب يوماً على المنبر فقال ايها الناس سلوني قبل ان تفقدوني اسئلوني عن طرق السموات فاني اعرف بها مني بطرق الارض فقام رجل من القوم فقال يا امير المؤمنين اين جبرئيل هذا الوقت فقال عليه السلام دعني انظر فنظر الى فوق والى الارض ويمنة ويسرة فقال انت جبرئيل فطار من بين القوم شق سقف المسجد بجناحه فكبر الناس وقالوا الله اكبر يا امير المؤمنين من اين علمت ان هذا جبرئيل فقال اني لما نظرت الى السماء بلغ نظري الى ما فوق العرش والحجب ولما نظرت الى الارض خرق بصري طبقات الارض الى الثرى ولما نظرت يمنة ويسرة رأيت ما خلق ولم ارَ جبرئيل في هذه المخلوقات فعلمت انه هو.وروى الشيخ الطوسي قدس الله روحه باسناده الى ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول اعطاني الله تبارك وتعالى خمساً واعطى علياً خمساً اعطاني جوامع الكلم[٢١]اعطى علياً جوامع العلم وجعلني نبياً وجعله وصياً واعطاني الكوثر واعطاه السلسبيل واعطاني الوحي واعطاه الالهام واسري بي اليه وفتح له ابواب السماء والحجب حتى نظر اليّ ونظرت اليه قال ثم بكى رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت له ما يبكيك فداك ابي وامي فقال يا بن عباس ان اول ما كلمني به ان قال يا محمد انظر تحتك فنظرت الى الحجب قد انخرقت والى ابواب السماء قد فتحت ونظرت الى علي عليه السلام وهو رافع رأسه اليّ فكلمني وكلمته وكلمني ربي عز وجل فقلت يا رسول الله بم كلمك قال قال لي يا محمد اني جعلت علياً وصيك ووزيرك وخليفتك من بعدك فاعلمه فيها هو يسمع كلامك فاعلمته وانا بين يدي ربي عز وجل فقال لي قد قبلت واطعت فامر الله الملائكة ان تسلّم عليه ففعلت فرد عليهم السلام ورأيت الملائكة يتباشرون به وما مررت بملائكة من ملائكة السماء الا هنؤني وقالوا يا محمد والذي بعثك بالحق نبياً لقد دخل السرور على جميع الملائكة باستخلاف الله عز وجل لك ابن عمك ورأيت حملة العرش قد نكسوا رؤسهم الى الارض فقلت يا جبرئيل لم نكس حملة العرش رؤسهم الى الارض فقال يا محمد ما من ملك من الملائكة الا وقد نظر الى وجه علي بن ابي طالب استبشاراً به ما خلا حملة العرش فانهم استأذنو الله عز وجل في هذه الساعة فأذن لهم ان ينظروا الى علي بن ابي طالب فنظروا اليه فلما هبطت جعلت اخبره بذلك وهو يخبرني به فعلمت اني لم اطأ موطأ الا وقد كشف لعلي عنه حتى نظر اليه.اقول هذا الحديث يدل على ان علياً عليه السلام عرج الى ملكوت السماء وهو جالس في بيته هذه المناقب لا قعبان من لبن شيبا بماء فصار بعد ابوالا وهذا الحالة قد

---

(٢١)او تيت جوامع الكلم يعني القرآن جمع الله بلطفه في الالفاظ اليسيرة منه معاني كثيرة واحدها جامعة أي كلمة جامعة ومنه الحديث في صفته(ص) انه كان يتكلم بجوامع الكلم أي انه كان كثير المعاني قليل الالفاظ قاله ابن الاثير في النهاية انظر من ١٧٦ج١ط مصر.

كانت للائمة عليهم السلام اعني مشاهدة الملكوت وبها فضلوا على سائر الانبياء عليهم السلام.وروى صاحب مشارق الانوار باسناده الى مفضل بن عمر قال سألت ابا عبد الله عليه السلام عن الامام كيف يعلم ما في اقطار الارض وهو في بيته مرخى عليه ستره قال يا مفضل ان الله جعل فيه خمسة ارواح روح اليحوة وبها دبّ ودرج وروح القوة وبها نهض وروح الشهوة وبها يأكل وروح الايمان فبها امر وعدل وروح القدس وبها حمل النبوة فاذا قبض النبي صلى الله عليه وآله انتقل روح القدس الى الامام فلا يغفل ولا يلهو وبها يرى ما في الاقطار وان الامام لا يخفى عليه شيئاً مما في الارض ولا مما في السماء وانه ينظر في ملكوت السموات فلا يخفى عليه شيء ولا همهمة ولا شيء فيه روح ومن لم يكن بهذه الصفات فليس بامام.والدلائل والاخبار الدالة على هذا المطلب كثيرة جداً والذي اطلعنا عليه منها زها الف حديث ولكن اردنا ان لا يخلو هذا الكتاب من بعض مدائحه الربانية فلذا ذكرنا هذا الطرف القليل وكفاه شرفاً ان رقاه كتف رسول الله صلى الله عليه وآله عند كسر الاصنام وما احسن ما قيل فيه:

قيل لي قل في علي مدحاً ... ذكره يخمد ناراً موصده
قلت لا اقدم في مدح فتى ... حار ذو اللب الى ان عبده
والنبي المصطفى قال لنا ... ليلة المعراج لما صعده
وضع الله بظهري يده ... فأحس القلب ان قد برده
وعلي واضع اقدامه ... بمحل وضع الله يده

وليس المطلب اظهار مدائحه فأنا نجلّه ونعظّمه عن مدحنا لانّ من مدحه الله سبحانه في محكم آياته ومتشابهها ومدحه انبياؤه المرسلون وملائكته المقربون لا يليق بنا ان نذكر شيئاً من مناقبة على طريق المدح وانما المقصود من هذا تحصيل المثوبات الاخروية بأن نتسبب بهذا وامثاله الى الانسلاك في سلك عبيدهم.وروى الصدوق (ره) في الفقيه عن ابي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام قال للإمام علامات يكون اعلم الناس واحكم الناس واتقى الناس واحلم الناس واشجع الناس واعبد الناس واسخى الناس ويولد مختوناً ويكون مطهراً ويرى من خلفه كما يرى من بين يديه ولا يكون له ظل واذا وقع على الارض من بطن امه وقع على راحتيه رافعاً صوته بالشهادة ولا يحتلم وتنام عيناه ولا ينام قلبه ويكون محدثاً ويستوي عليه درع رسول الله صلى الله عليه وآله ولا يرى له بول وغايط لان الله عز وجل قد وكل الارض بابتلاع ما خرج منه ويكون رائحته اطيب من رائحة المسك ويكون اولى بالناس منهم بانفسهم واشفق عليهم من آبائهم وامهاتهم ويكون اشد

الناس تواضعاً لله جل ذكره ويكون اخذ الناس بما يأمر به واكف الناس عما ينهى عنه ويكون دعائه مستجاباً حتى انه لو دعا على صخرة لانشقت بنصفين ويكون عنده سلاح رسول الله ﷺ وسيفه ذو الفقار ويكون عنده صحيفة فيها اسماء شيعته الى يوم القيامة وصحيفة فيها اسماء اعدائه الى يوم القيامة ويكون عنده الجامعة وهي صحيفة طولها سبعون ذراعاً فيها جميع ما يحتاج اليه من ولد آدم ويكون عنده الجفر الاكبر والاصغر اهاب ماعز واهاب كبش فيهما جميع العلوم حتى ارش الخدش وحى الجلدة ونصف الجلدة وثلث الجلدة ويكون عنده مصحف فاطمة عليها السلام.روى الصدوق قدس الله روحه باسناده الى الصادق عليه السلام قال قال رسول الله ﷺ ان الله تبارك وتعالى جعل لاخي علي بن ابي طالب عليه السلام فضائل لا يحصى عددها غيره فمن ذكر فضيلة من فضائله مقراً بها غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر ولو وافى القيامة بذنوب الثقلين ومن كتب فضيلة من فضائل علي بن ابي طالب عليه السلام لم تزل الملائكة تستغفر ما بقي لتلك الكتابة رسم ومن استمع الى فضيلة من فضائله غفر الله الذنوب التي اكتسبها بالاستماع ومن نظر الى كتابه فضيلة من فضائله غفر الله له الذنوب التي اكتسبها بالنظر ثم قال رسول الله ﷺ النظر الى علي بن ابي طالب عليه السلام عبادة وذكره عبادة ولا يقبل ايمان عبد الا بولايته والبراءة من اعدائه.وهذا الذي يحدو المؤلفين على ذكر ما ذكروا من مناقبه عليه السلام وقد قيل ان معوية يسئل رجلاً من الشيعة كم لابن ابي طالب من المناقب فقال كيف اقول في من كتم شيعته مدائحه خوفاً منك وكتم اعداؤه مناقبه حسداً منهم وقد ظهر بين الكتمانين ما ملأ الخافقين وما احسن قول الشافعي

اولوا النهى عجزت عن — والعارفون بمعنى ذاته تاهوا

ان ادعه بشراً فالعقل يمنعني — واتقى الله في قولي هو الله

وكذا قول بعضهم

هو النبأ العظيم وفلك نوح — وباب الله وانقطع الخطاب

وما اقول في من ينوبه الملائكة في الحروب.روى العامة والخاصة ان النبي ﷺ غزى غزوة فلما رجع المدينة وكان علي عليه السلام قد تخلف عند اهله فقسم المغنم فدفع الى علي بن ابي طالب سهمين وهو بالمدينة متخلف فقال معاشر الناس ناشدتكم بالله وبرسوله الم تروا الى الفارس الذي حمل على المشركين من يمين العسكر فهزمهم ثم رجع اليّ فقال ان لي معك سهماً وقد جعلته لعلي بن ابي طالب فهو جبرئيل عليه السلام معاشر الناس ناشدتكم بالله وبرسوله هل رأيتم الفارس الذي حمل على المشركين من يسار العسكر ثم رجع فكلمني فقال لي يا محمد ان لي معك سهماً وقد جلعته لعلي بن ابي طالب فهو ميكائيل فوالله ما دفعت لعلي الا سهم جبرئيل

وميكائيل. وروى عن الرضا عليه السلام ان علياً عليه السلام قال يا رسول الله انت افضل ام جبرئيل قال يا علي ان الله تعالى فضّل انبيائه المرسلين وفضلني على جميع النبيين والمرسلين والفضل لك يا علي وللائمة من بعدك.

فايدة

ما تضمنه الدليل التاسع من قوله عليه السلام لو كشف الغطاء لما ازددت يقيناً مما استفاض نقله عنه عليه السلام وقد اورد اصحابنا رضوان الله عليهم اشكالاً في هذا المقام وحاصله ان النبي ﷺ قد كان يطلب زيادة المعرفة بقوله ﷺ اللهم زدني فيك معرفة وقوله ﷺ تب علينا فإننا بشر ما عرفناك حق معرفتك.وعلى هذا فيلزم ان يكون علي عليه السلام اكمل في المعرفة منه ﷺ وقد تفصّى عنه محققونا بوجوه.أولها ما نقل عن العلامة الحلي قدس الله روحه من أن المراد أن علياً عليه السلام لما كانت مادة استعداده لمراتب المعرفة انقص من مادة استعداد النبي ﷺ فكأنه عليه السلام قال اني وصلت في درجات المعرفة الدرجة التي لا اتعداها فلو كشف الحجاب وصار ما يدرك بالبصيرة مدركاً بلبصر لما ازداد علمي ويقيني وهذا الجواب كما ترى.وثانيها ما قاله شيخنا البهائي طاب ثراه من أن قول امير المؤمنين عليه السلام منزل على درجات القيامة ومراتبها والمعنى لو كشف الغطا عن مراتب الاخرة وما قاله الانبياء عليهم السلام في وصفها لما ازددت علما في معرفتها وانا في هذه الدنيا فلا يكون قوله عليه السلام في المعرفة ودرجتها بل في احوال النشأة كما رواه رئيس المحدثين الشيخ الكليني نور الله ضريحه عن اسحاق بن عمار قل سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول ان رسول الله ﷺ صلّى بالناس الصبح فنظر الى شاب في المسجد وهو يخفق ويهوي برأسه مصفراً لونه قد نحف جسمه وغارت عيناه في رأسه فقال له رسول الله ﷺ كيف اصبحت يا فلان قال اصبحت يا رسول الله ﷺ موقنا فعجب رسول الله ﷺ من قوله وقال ان لكل يقين حقيقة فما حقيقة يقينك فقال ان يقني يا رسول الله هو الذي احزنني واسهر ليلي وأظمأ هواجري فعرفت نفسي عن الدنيا وما فيها حتى كأني انظر الى عرش ربي وقد نصب الحساب وحشر الخلائق لذلك وانا فيهم وكأني انظر الى اهل الجنة وهم يتنعمون في الجنة ويتعارفون على الارائك متكئون وكأني انظر الى اهل النار وهم فيها معذبون مصطرخون وكأني الان اسمع زفير النار يدور في مسامعي فقال رسول الله ﷺ لاصحابه هذا عبد نور الله قلبه للايمان ثم قال له الزم ما انت عليه فقال الشاب ادع الله لي يا رسول الله ان ارزق الشهادة معك فدعا له رسول الله ﷺ فلم يلبث ان خرج في بعض غزوات النبي ﷺ فاستشهد بعد تسعة نفر وكان هو العاشر.

وفي رواية اخرى ان ذلك الشاب هو حارثة بن مالك الانصاري.وثالثها ما قاله بعض الاذكياء من المعاصرين وهو ان يكون يقيناً منصوباً على المفعولية لا على التمييز وحاصله ان لي يقيناً في مراتب المعرفة ولو كشف الغطاء لم ازدد يقيناً غير ذلك اليقين ان يتغير علمي ويحدث لي علم يغايره كما هو واقع في علومنا وليس المراد ان ذلك اليقين لا يقبل الزيادة والنقصان بل هو قابل له غير انه لا يتغير الى يقين يغايره.ورابعها ما خطر لنا ويعد هذا رأينا في شرح استاذنا الاجل الشيخ علي اعلى الله شأنه على شرح اللمعة وحاصله ان النبي ﷺ كانت مراتب معرفته تتزايد يوماً بعد يوم على طول مدة عمره الشريف وكان يحدث له بالوحي والالهام من درجات المعرفة ما يعد الدرجة السابقة ذنباً بالنسبة الى الدرجة اللاحقة ولذا قال ﷺ اني لاستغفر الله كل يوم سبعين مرة من غير ذنب فكان ﷺ يطلب زيادة مراتب المعرفة في حيوته لانها تفاض عليه آناً بعد آن ولما استكملت مدته استكمل له ما يليق بمادته النبوية من افاضة العلوم اللايقة بذاته الشريفة التي هي منتهى مراتب البشر ولما مرض مرضه الذي انتقل الى جوار القدس طلب علياً وادناه منه وعلمه علوم مدة عمره الشريف بلحظة واحدة فلذا قال عليه السلام لما سئل ما علّمك رسول الله ﷺ انه علمني الف باب من العلم ينفتح من كل باب الف باب ومن هذا صار البطين لتراكم العلوم في صدره الشريف فهو عليه السلام بعد النبي ﷺ يقول اني عرفت الله سبحانه بما علمته من النبي حتى لو كشف الغطاء لم ازدد علما يضاف الى معرفتي الكاملة ويحتمل معان اخر ايضاً.

نور مرتضوي

في بيان ان افضل الخلق بعد رسول الله ﷺ هو علي بن ابي طالب عليه السلام وهذا على سبيل الاغماض عن النور الاول لان من كان افضل من ابراهيم ونوح وموسى وعيسى بالدلائل السابقة لا يحتاج تفضيله على غيرهم الى الدليل ولكن قد وقع الخلاف بين جماهير المسلمين فذهب الاشاعرة وجماعة من المعتزلة الى ان افضل الخلق بعد رسول الله ﷺ هو ابو بكر وذهبت الشيعة واكثر المعتزلة الى ان الافضل علي بن ابي طالب عليه السلام والحق ان المعتزلة لم يخالف احدح منهم في افضلية علي عليه السلام سوى شاذ نادر واما الاشاعرة فأن تفضيل ابي بكر وان نقله عنهم علماؤهم المتأخرون الا ان المتقدمين منهم قد وافقوا الشيعة على ما ذهبوا اليه ولننقل كلام اعلم محققيهم حتى يتضح الحال فنقول ذكر محمد بن عمر الرازي المعروف بابن خطيب الري[٢٢] وهو اعلم علماء الاشعرية صاحب التصانيف الكثيرة فانه قال في الكتاب الذي صنفه وجعله دستوراً لولده

---

(٢٢)هو الامام فخر الدين الرازي الشهير المتوفى سنة(٦٠٦)هـ وقد يعبر عند السيد الداماد قدس سره بامام المشككين.

وسماه كتاب الاربعين في الفصل الخامس من المسئلة التاسعة والثلاثين في بيان افضل الصحابة بعد رسول الله ﷺ واورد عشرين حجة في ان علي بن ابي طالب عليه السلام افضل الصحابة قال في الحجة الثالثة ما هذا لفظه الحجة الثالثة ان علياً عليه السلام كان اعلم الصحابة والاعلم افضل وانما قلنا ان علياً كان اعلم الصحابة للاجمال والتفصيل اما الاجمال فهو انه لا نزاع في ان علياً عليه السلام كان في اصل الخلقة في غاية لذكاء والفطنة والاستعداد للعلم وكان محمد ﷺ افضل الفضلاء واعلم العلماء وكان علي عليه السلام في غاية الحرص في طلب العلم وكان محمد ﷺ في غاية الحرص في تربيته وزفي ارشاده الى اكتساب الفضائل ثم ان علياً عليه السلام ربّي من اول صغره في حجر محمد ﷺ وفي كبره صار ختنا له وكان يدخل اليه في كل الاوقات ومن المعلوم ان التلميذ اذا كان في غاية الذكاء والحرص على التعلم وكان الاستاذ في غاية الفضل وفي غاية الحرص على التعليم ثم اتفق لمثل هذا التلميذ ان يتصل بخدمة هذا الاستاذ من زمان الصغر وكان ذلك الاتصال بخدمته حاصلاً في كل الاوقات فانه يبلغ ذلك التلميذ مبلغاً عظيماً وهذا بيان اجمالي في ان علياً عليه السلام كان اعلم الصحابة فأما ابو بكر فانه انما كان اتصل بخدمته في زمان الكبر وايضاً ما كان يصل الى خدمته في اليوم والليلة الا مرة واحدة زماناً يسيراً واما علي عليه السلام فانه اتصل بخدمته في زمن الصغر وقد قيل العلم في الصغر كالنقش في الحجر والعلم في الكبر كالنقش في المدر فثبت بما ذكرنا ان علياً عليه السلام كان اعلم من ابو بكر.واما التفصيل فيدل عليه وجوه:الاول: ان اكثر المفسرين سلموا ان قوله ﴿ وتعيها اذن واعية ﴾ نزل في حق علي عليه السلام تخصيصه بزيادة الفهم يدل على اختصاصه بمزيد العلم.

الثاني: قوله ﷺ أقضاكم علي والقضاء يحتاج الى جميع أنواع العلوم فلما رجحه على الكل في القضاء لزم أنه رجحه عليهم في كل العلوم وأما سائر الصحابة فقد رجحه كل واحد منهم على غيره في علم واحد كقوله (أفرضكم زيد وأقرأكم أبى[٢٣]).الثالث: روى أن عمراً أمر برجم إمرأة ولدت لستة أشهر فنبهه علي عليه السلام بقوله ﴿وحمله وفصاله ثلاثون شهراً﴾ فقال عمر لولا علي لهلك عمر وروى أن أمرأة أقرت بالزنا وكانت حاملا فأمر عمر برجمها فقال له علي عليه السلام إن كان لك سلطان عليها فما سلطانك على ما في بطنها فترك عمر رجمها وقال لولا علي لهلك عمر فان قيل لعل عمر أمر برجمها من غير تفحص عن حالها فظن أنها ليست بحامل فلما نبهه علي عليه السلام ترك رجمها قلت هذا يقتضي أن عمر ما كان يحتاط في سفك الدماء وهذا أشر من الأول ورووا أيضاً أن عمر قال يوماً على المنبر إلا لا تغالوا مهور نسائكم فمن غالى في مهر إمرأته

---

(٢٣) من هذا يعلم وجه تخصيصه صلى الله عليه واله علياً عليه السلام بقوله اقضاكم علي ولم يخصه بسائر الاوصاف كقوله افقهكم او اعلمكم او افرضكم او غيرها فان القضاء لابد فيه من اجتماع جميع تلك الاوصاف باسرها ق

جعلته في بيت المال فقامت عجوز فقالت يا عمر أتمنع منا ما جعله الله لنا وقد قال الله تعالى ﴿وإن أردتم أستبدال زوج مكان زوج وأتيتم أحديهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئا أتاخذوا منه بهتانا وأثماً مبيناً ﴾ فقال عمر كلكم افقه من عمر حتى المخدرات في البيوت وهذه الوقايع وقعت لغير علي ولم يتفق مثلها لعلي.الرابع: نقل عن علي عليه السلام انه قال والله لو كسرت لي الوسادة ثم جلست عليها لقضيت بين اهل التوراية بتوريتهم وبين اهل الانجيل بانجيلهم وبين اهل الزبور بزبورهم وبين اهل الفرقان بفرقانهم والله ما من آية نزلت في بحر ولا بر وفي سهل ولا جبل ولا ارض ولا سماء ولا ليل ولا نهار الا وانا اعلم فيمن نزلت وفي أي شيء نزلت طعن ابو هاشم في هذا فقال التورية منسوخة فكيف يجوز الحكم بها الجواب من وجوه:الاول: لعل المراد شرح كمال عليه بتلك الاحكام المنسوخة على التفصيل وبالاحكام الناسخة لها الواردة في القرآن .الثاني: لعل المراد لو ان قضاة اليهود والنصارى يمكنون من الحكم والقضا على وفق اديانهم بعد بذل الجزية وكان المراد انه لو جاز لمسلم ذلك لكان هو قادراً عليه الثالث لعل المراد انه يستخرج من التورية والانجيل نصوصاً دالة على نبوة محمد صلى الله عليه وآله وكان ذلك قوياً في التمسك بها.الخامس: انا نفحص عن احوال العلوم واعظمها علم الاصول وقد جاء في خطب امير المؤمنين عليه السلام من اسرار التوحيد والعدل والنبوة والقضا والقدر واحوال المعاد ما لم يأت في كلام سائر الصحابة وياضاً فجميع فرق المتكلمين ينتهي آخر نسبتهم في هذا العلم اليه اما المعتزلة فانهم ينسبون انفسهم اليه واما الاشعرية فكلهم ينتسبون الى الاشعري وهو كان تلميذاً لابي علي الجبائي المعتزلي وهو منتسب الى امير المؤمنين عليه السلام واما الشيعة فانتسابهم اليه ظاهر وكلهم تلامذة علي عليه السلام واما الخوارج فهم مع بعدهم عنه كلهم منتسبون الى اكابرهم واولئك الاكابر كانوا تلامذة علي بن ابي طالب عليه السلام فبينا ان جمهور المتكلمين من فرق الاسلام منسوبة اليه وافضل فرق الامة الاصوليين وكان هذا منصباً عظيماً في الفضل ومنها علم التفسير وابن عباس رضي الله عنه رئيس المفسرين وهو كان تلميذ علي بن ابي طالب عليه السلام ومنها علم الفقه وكان فيه الدرجة ولهذا قال صلى الله عليه وآله اقضاكم علي وقال علي بن ابي طالب عليه السلام لو كسرت لي الوسادة وجلست عليها لحكمت بين اهل التورية بتوراتهم الخبر ومنها علم الفصاحة ومعلوم ان احداً من الفصحاء الذين بعده لم يدركوا درجته ولا القليل ومنها علم النحو ومعلوم انه انما ظهر منه وهو الذي ارشد ابا الاسود الدؤلي ومنها علم تصفية الباطن ومعلوم ان نسبة هذه العلوم تنتهي اليه فثبت بما ذكرنا انه عليه السلام كان استاذ العالمين بعد محمد صلى الله عليه وآله في جميع الخصائل المرضية والمقامات الشرعية واذا ثبت انه اعلم الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وجب ان يكون افضل الخلق بعده لقول الله تعالى ﴿ قل هل يستوي الذين يعلمون والذي لا يعلمون انما يتذكر اولوا الالباب ﴾ وقوله تعالى ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين

اوتوا العلم درجات ﴾ ثم قال ذلك الفاضل الاشعري الحجة العشرون اعلم ان الفضائل اما نفسانية واما بدنية واما خارجية اما الفضائل النفسانية وهو محصورة في نوعين العلمية والعملية اما العلمية فقد دللنا على ان علم علي عليه السلام كان اكثر من علم سائر الصحابة ويقوي ذلك ما روى ان علياً عليه السلام قال علمني رسول الله صلى الله عليه وآله الف باب من العلم فانفتح منم كل باب الف باب واما الفضائل النفسانية العملية فأقسام منها العفة والزهد وقد كان في الصحابة جمع من الزهاد كأبي ذر وسلمان وابي الدرداء وكلهم كانوا فيه تلامذة علي عليه السلام ومنها الشجاعة وقد كان في الصحابة كأبي دجانة وخالد بن الوليد وكانت شجاعته اكثر عنفاً من شجاعة الكل الا ترى ان النبي صلى الله عليه وآله قال يوم الاحزاب لضربة علي خير من عبادة الثقلين وقال علي بن ابي طالب عليه السلام ما قلعت باب خيبر بقوة جسمانية ولكن بقوة ربانية ومنها السخاوة وقد كان في الصحابة جمع من الاسخياء وقد بلغ اخلاصه في سخاوته الى ان اعطى ثلاثة اقراص فانزل الله تعالى في حقه ﴿ ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً واسيراً ﴾ ومنها حسن الخلق وقد كان مع غاية شجاعته وبسالته حسن الخلق جداً وقد بلغ فيه الى حيث نسبه اعداؤه الى الدعابة ومنها البعد عن الدنيا وظاهر انه مع انفتاح ابواب الدنيا عليه لم يظهر التنعم والتلذذ وكان مع غاية شجاعته اذا شرع في صلوة التهجد وشرع في الدعوات والتضرعات الى الله تعالى بلغ مبلغاً لا يوازيه احد ممن جاء بعده من الزهاد ولما ضربه ابن ملجم عليه اللعنة قال فزت ورب الكعبة ومنها الفضائل البدنية فمنها القوة والشدة وكان فيها عظيم الدرجات حتى قيل انه يقطّ الهام قط الاقلام ومنها النسب العالي ومعلوم ان اشرف الانساب هو القرب من رسول الله صلى الله عليه وآله وكان اقرب الناس نسباً اليه.واما العباس فانه وان كان عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله الا ان العباس كان اخاً لعبد الله من الاب لا من الام واما ابو طالب فانه كان اخاً لعبد الله من الاب والام وايضاً فان علياً عليه السلام كان هاشمياً من الاب والام لانه علي بن ابي طالب بن عبد المطلب بن هاشم وامه فاطمة بنت اسد بن هاشم ومنها المصاهرة ولم يكن لاحد من الخلق مصاهرة مثل ما كانت له واما عثمان فهو وان شاركه في كونه ختنا لرسول الله صلى الله عليه وآله الا ان اشرف اولاد رسول الله صلى الله عليه وآله هي فاطمة عليها السلام ولذلك قال صلى الله عليه وآله سيدة نساء العالمين اربع وعدَ منهنَ فاطمة عليها السلام ولم يحصل مثل هذا الشرف للبنتين اللتين هما زوجتا عثمان ومنها انه لم يكن لاحد من الصحابة اولاد يشاركون اولاده في الفضيلة فالحسن والحسين عليهما السلام هما سيدا شباب اهل الجنة ولداه ثم انظر الى اولاد الحسن مثل الحسن المثنى والمثلث وعبد الله بن المثنى والنفس الزكية والى اولاد الحسين مثل الامام زين العابدين والباقر والصادق والكاظم والرضا عليهم السلام فان هؤلاء الاكابر يعتّد بفضيلتهم وعلّو درجاتهم على كل مسلم ومما يدّل على علو شأنهم ان افضل المشايخ واعلاهم درجة ابو يزيد البسطامي وكان سقّاء في دار جعفر الصادق عليه السلام واما

معروف الكرخي فانه اسلم على يد علي بن موسى الرضا عليه السلام وكان بواب داره وبقي على هذه الحالة الى آخر عمره ومعلوم ان امثال هذه الاولاد لم يتفق لاحد من الصحابة ولو اخذنا في الشرح والاطناب لطال انتهى كلام الرازي وفيه كفاية للعاقل المنصف والعجب من هؤلاء القوم مع نقلهم مناقبه ومدائحه في كل باب وايراد مطاعن مناديى الخلافة من المتخلفين كيف فضلوا غيره عليه حتى انهم لم يرضوا بالافضلية بدرجة بل قالوا ان ابا بكر افضل من عمر بسبعين درجة وعمر افضل من عثمان بسبعين درجة والخلاف انما وقه بينهم في عثمان وعلي فهل هما في الفضل سواء الاكثر على تفضيل عثمان عليه بسبعين درجة والاقل على المساواة وهذا هو المصيبة العظمى والداهية الكبرى نعوذ بالله من سوء عاقبتها واما محققوهم كالتفتازاني والسيد الشريف واضرابهم فقد سمعت انهم بعد ان حاولوا إتمام مدحة من مدائح الثلاثة ولم يتم لهم لكثرة الواردات عليه قالوا انا نكل هذا التفضيل الى السلف لحسن الظن بهم، وهذا منهم اعجب من الاول فان الله سبحانه قد ذم اقواماً في تقليدهم الاباء والاسلاف في مسائل الاصول ذماً شنيعاً والعجب ان امثال هؤلاء الافاضل لم يرضوا في تقليدهم الاسلاف بالمسائل الفروعية فكيف رضوا في تقليدهم بما هو اهم واعلى الذي هو مسائل الاصول لكن ابليس اغواهم وصيرهم عمياً وبكماً فلا سمعاً ولا بصراً روى عن عمر بن الخطاب قال والله لقد تصدقت باربعين خاتماً وانا راكع لينزل فيَّ ما نزل بعلي بن ابي طالب فما نزل وكأنهم اخذوا التقليد من امامهم هذا.

فايدة

في ايضاح ما ذكره ذلك الفاضل:اما قوله بأن علياً عليه السلام كان يدخل على النبي صلى الله عليه وآله في كل حين فهو حق لان علياً عليه السلام كان له المحرمية بالنسبة الى بيت النبي صلى الله عليه وآله فقد روى عنه عليه السلام قال كنت معه في بعض الغزوات فحميت ولم يكن عند النبي صلى الله عليه وآله سوى لحاف واحد وكانت معه زوجته عايئة فانامني مه ومع زوجته تحت ذلك اللحاف ولما اقام لصلوة الليل ثنى بعض اللحاف بيني وبين زوجته وقد رأت عائشة انه صلى الله عليه وآله يقرّ به هذا القرب وكونه يدخل في كل وقت هو احد الاسباب في كون القرآن الذي كتبه علي عليه السلام قد كان اكثر من القرانات التي كتبها كتّاب الوحي لان جبرئيل عليه السلام قد كان يأتي الى النبي صلى الله عليه وآله في اكثر الخلوات ولا كان يدور معه فيها الا علي عليه السلام ولذا قال علي عليه السلام كان النبي صلى الله عليه وآله يديرني معه كيف دار.واما قوله بأن ابا بكر ما كان يدخل على النبي صلى الله عليه وآله الا مرّة واحدة فهذا منه تواضع لابي بكر لانه ربما دخل من بين الايام مرة واحدة لمكان ابنته وفي هذا الموضع عجب عجيب وهو ان العامة نقلوا ان ابا هريرة قد تفرد بنقل اثني عشر الف حديث لم يشاركه في نقلها غيره وقد تنبه لهذا المعنى سراج الدين البقيني وهو من اعظم محققيهم فأبطل كل ما تفرد بنقله ابو هريرة وقال ان وقت النبي صلى الله عليه وآله قد كان مضبوطاً بالنقل من اليسر

والتواريخ والاحاديث لانه كان يخرج عند طلوع الفجر الى المسجد ويصلّي بالناس ويبقى معقباً الى طلوع الشمس مع الناس ثم يدير وجهه الى الناس حتى يقضي حوائجهم ويبقى معهم في الكلام حتى يقرب الظهر فيدخل منزله ويخلو مع زوجاته الى صلوة الظهر ثم يخرج يصلّي بالناس ويحول وجهه اليهم بعد الصلوة لتعليم الاحكام الى قبل الغروب فيدخل منزله الى وقت الصلوة ثم يخرج للصلوة بالناس فيدخل منزله وينام مع زوجاته الى نصف الليل ثم يقوم لصلوة الليل الى طلوع الفجر فهذا ليله وذاك نهاره ففي أي وقت تفرّد به ابو هريرة مع بعده عن النبي ﷺ في النسب والحسن حتى روى عنه هذه الاخبار المتكثرة وانت اذا تصفحت اكثر اخبارهم وجدتها على هذا المنوال وسيأتي تمام الكلام فيه ان شاء الله تعالى.واما قوله ان القضاء يحتاج الى جميع انواع العلم فهو كما قال وقد اطبق اصحابنا رضوان الله عليهم على ان من شرائط القاضي ان يكون مجتهداً في اربعة عشر علماً وهي علوم الاجتهاد المذكورة في كتب الاصحاب واما قضاة الامصار في هذه الاعصار فقد صار من جملة شرائطهم الجهل في العلوم المذكورة وموافقة الحكام الجائرين لعلة المجانسة وكل شكل لشلكه الف اما ترى الفيل يألف الفيل ولعمرك انهم باعوا حظَهم من دار الامان بدار الغرور وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون وكفى لهم بشارة قول الصادق عليه السلام ان النواويس وهي طبقة من طبقات جهنم شكت الى الله عز وجل شدَة حرّها فقال لها عز وجل اسكتي فان موضع القضاة اشدّ حراً منك روى ابو حمزة الثمالي عن ابي جعفر عليه السلام قال كان في بني اسرائيل قاض يقضي بينهم قال فلما حضره الموت قال لامرأته اذا مت فاغسليني وكفنيني وضعيني على سريري وغطي وجهي فانك لا ترين سوءاً فلما ان مات فعلت به ذلك ثم مكثت حيناً وكشفت عن وجهه لتنظر اليه فاذا هي بدودة تقرض منخره ففزعت لذلك فلما كان الليل اتاها في منامها فقال لها افزعك ما رأيت قالت اجل لقد فزعت فقال اما انك فزعت فما كان ما رأيت الا من هوى اخيك فلقد اتاني ومعه خصم له فلما جلسا اليَ قلت اللهم اجعل الحق له ووجه القضاء له على صاحبه فلما اختصما ليَ كان الحق له فرأيت ذلك بيّناً في القضاء له على صاحبه فأصابني ما رأيت لموضع هوى كان معه وان وافقه الحق وروى حريز عن ابي بصير عن ابي عبد الله عليه السلام قال ايما رجل كان بينه وبين اخ له مماراة في حق له فدعاه الى رجل من اخوانكم ليحكم بينه وبينه فأبى إلاَ ان يرافعه الى هؤلاء يعني القضاة مان بمنزلة الذين قال الله ﴿ الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به ﴾ وقال الصادق عليه السلام القضاة أربعة ثلاثة في النار وواحد في الجنة رجل قضى بجور وهو يعلم فهو في النار ورجل قضى بجورهم وهو لا يعلم فهو في النار ورجل قضى بحق وهو لا يعلم فهو في النار ورجل قضى بحق وهو يعلم فهو في الجنة وأغلب قضاة هذه الاعصار من

الاولين لانهم أخذوا القضاء بالبذل لمن هو أعلى منهم أو بالميراث من أسلافهم أو بهما جميعاً وأما أخذ الحق بحكمهم وان كان حقاً فقد مال بعض مشايخنا وبعض من تقدمنا الى عدم جوازه ولعله الاولى لما رواه مشائخنا المحدثون في كتب الاصول عن عمر بن حنظلة قال سألت ابا عبد الله عليه السلام عن رجلين من اصحابنا يكون بينهما منازعة في دين أو ميراث فتحاكما الى السلطان أو الى القضاة أيحلَ ذلك فقال من تحاكم الى الطاغوت فحكم له فأنما يأخذه سحتاً وان كان حقه ثابتاً لأنه أخذه بحكم الطاغوت وقد امر الله عز وجل ان يكفر بها قلت كيف يصنعان قال انظروا الى من كان منكم قد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف احكامنا فلترضوا به حكماً فأني قد جعلته عليكم حاكماً فاذا حكم بحكمنا فلم يقبل منه فانما بحكم الله استخف وعلينا ردَ والرادَ علينا الرادَ على الله وهو على حدَ الشرك بالله عز وجل ويستفاد من هذا الحديث ان علماء الامامية رضوان الله عليهم في هذه الاعصار منصوبون للقضاء من الامام عليه السلام عموماً ولا يجوز لاحد ردَ حكمهم ومن ردَ حكمهم عليهم كان على حدّ الشرك بالله ولا يبعد ان يقال يجب على العلماء والمجتهدين في مثل هذه الاعصار اذا تمكنوا من القضاء ان يتصدوا له وان يظهروا علومهم فإنَ بدع القضاة قد ظهرت وقال صلى الله عليه وآله اذا ظهرت البدع فليظهر العالم علمه ومن لم يظهره الجمه الله لجاماً من نار.واما قوله في الثالث ان عمر قال لولا علي لهلك عمر قال صاحب الكشاف وهو من علماء الحنفية ان عمر قال هذه الكلمة في سبعين موضعاً حتى اشتهرت في الامثال ونقلها علماء العربية في بحث لو الشرطية.واما قول عمر بعد رد المرأة عليه كلكم افقه من عمر حتى المخدرات في البيوت فقد نقل علماء الفريقين انه قال بعد هذا ان لي شيطاناً يعتريني فاذا عثرت فقوموني واذا غلطت فسددوني ولا تدعوا النساء تردَ عليَ كلامي وقد صدق في هذا القول ونقل ايضاً مثله عن ابي بكر وهو صادق ايضاً.واما قول علي عليه السلام لو كسرت لي الوسادة ثم جلست عليها الحديث معناه اني لو تمكنت من الحكومة بين الناس من غير منازع وهذا يدل على انه عليه السلام لم يكن متمكناً في وقت خلافته من اقامة الاحكام على وجهها لما تقدمه المتخلفون في البدع فصار لا يقدر ان يغير ما فعلوه فمنه عزل شريح عن القضا اراده عليه السلام فلم يتمكن منه لانه كان منصوباً من قبل المتقدمين ومنه صلوة الضحى فلقد ارسل ابنه الحسن عليه السلام ان ينادي في مساجد الكوفة ان لا تصلي فضج الناس ضجة واحدة وقالوا واعمراه امرنا بالصلوة وانت تنهانا عنها أرأيت الذي ينهى عبداً اذا صلَى ومنه رد الفدك والعوالي الى اولاد فاطمة فانه كان مظنة الفتنة والفساد بتغليط من تقدمه وقد روى الصدوق طاب ثراه في كتاب العلل عللاً أخرى منها ما رواه مسنداً الى ابي بصير عن ابي عبد الله عليه السلام قال قلت له لمَ لمْ يأخذ امير المؤمنين عليه السلام فدكاً لمّا ولَى الناس ولأية علة تركها فقال لأن الظالم والمظلوم قد كانا قدما على الله عز وجل واثاب الله المظلوم وعاقب الظالم فكره ان

يسترجع شيئاً قد عاقب الله عليه غاصبه واثاب عليه المغصوبة وذكر ايضاً جواباً آخر رواه باسناده الى ابراهيم الكرخي قال سألت ابا عبد الله عليه السلام فقلت لأي علة ترك امير المؤمنين عليه السلام فدكاً لما ولى الناس فقال للاقتداء برسول الله صلى الله عليه وآله لما فتح مكة وقد باع عقيل بن ابي طالب داره فقيل له يا رسول الله الا ترجع الى دارك فقال صلى الله عليه وآله وهل ترك لنا عقيل داراً ونحن اهل بيت لا نسترجع شيئاً شيئاً يؤخذ منّا ظلماً فلذلك لم يسترجع فدكا لما ولى وذكر ايضاً جواباً ثالثاً باسناده الى علي بن فضال عن ابي الحسن عليه السلام قال سألته عن امير المؤمنين عليه السلام لِمَ لمْ يسترجع فدكاً لما ولى الناس فقال لانّا اهل بيت لا يأخذ لنا حقوقنا ممن ظلمنا الا هو يعني الله ونحن اولياء المؤمنين انما نحكم لهم ونأهذ حقوقهم ممن ظلمهم ولا نأخذ لانفسنا وهذا احد اسباب غضب فاطمة عليها السلام على ابي بكر وعمر روى اصحابنا ان رجلا من اولاد البرامكة عرض لعلي بن موسى الرضا عليه السلام بخراسان ولزم لجام دابته وقال ما تقول في ابي بكر وعمر فقال له سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر فألح السائل عليه في كشف الجواب فقال عليه السلام كانت لنا ام صالحة ماتت وهي عليهما ساخطة ولم يأتنا بعد موتها خبر انها رضيت عنهما وذكر ابو هلال العسكري ان اول من رد فدكاً على ورثة فاطمة عليها السلام عمر بن عبد العزيز وكان معاوية أقطعها لمروان بن الحكم وعثمان بن عفان ويزيد بن معاوية وجعلها بينهم اثلاثاً ثم قبضت من ورثة فاطمة عليها السلام فردها السفاح ثم قبضت منهم فردها عليهم المأمون وقبضت منهم بعد المأمون فردها عليهم الواثق ثم قبضت فردها عليهم المنتصر ثم قبضت فردها عليهم المعتمد ثم قبضت فردها عليهم المعتضد ثم قبضت فردها عليهم الراضي واما حدودها فقال موسى بن جعفر عليهما السلام ان حدها الاول عريش مصر والحد الثاني دومة الجندل والحد الثالث تيما والحد الرابع جبل احل من المدينة.واما قوله ومنها علم التفسير الى اخره فقد تحقق في الاخبار من العامة والخاصة ان قوله تعالى ﴿ وكل شيء احصيناه في امام مبين ﴾ المراد به علي بن ابي طالب عليه السلام وهو الذي فسّر الباء من بسم الله الرحمن الرحيم لابن عباس فقل يابن عباس لو طال الليل لطلناه وفي الروايات الخاصة عنه عليه السلام انه قال علم ما كان وما يكون كله في القرآن وعلم القرآن كله في سورة الفاتحة وعلم الفاتحة كله في البسملة منها وعلم البسملة كله في بائها وانا النقطة تحت الباء وهذا الحديث من مشكلات الاخبار واكثر الاشكالات انما هو في قوله وانا النقطة تحت الباء ويحتمل ان يكون معناه أنّي أبين علوم القرآن وأوضح مجملاتها كما ان نقطة الباء توضحه وتميز عما يشاركه في الصورة كالتاء المثناة والثناء المثلثة ويحتمل معان كثيرة لا يخفى بعضها على اولي الالباب والحاصل ان العلوم كلها تنتهي اليه ولم يؤخذ علم الا منه والعلماء كلهم تلاميذه اما المعتزلة فلأن كبيرهم واصل بن عطا تلميذ ابي هاشم بن عبد الله بن محمد بن الحنفية وابو هاشم تلميذ ابيه وابو تلميذ علي عليه السلام واما الاشعرية فانهم ينتهون الى ابي الحسن الاشعري وهو

تلميذ واصل بن عطا وكل فقيه في الاسلام فإليه يعزي اما مالك فأخذ الفقه عن ربيعة الراي وهو أخذه عن عكرمة وهو عن عبد الله بن عباس وهو عن علي عليه السلام واما ابو حنيفة فعن الصادق عليه السلام واما الشافعي فهو تلميذ مالك واما الحنبلي فهو تلميذ الشافعي.واما قوله منها علم النحو وهو الذي علمه الدؤلي قال ابو القاسم الزجاج في اماليه حدثنا ابو جعفر محمد بن رستم الطبري قال حدثنا ابو حاتم السجستاني قال حدثنا يعقوب بن اسحاق الحضرمي قال حدثنا سعيد بن مسلم الباهلي قال حدثنا ابي عن جدي عن ابي الاسود الدؤلي قال دخلت على علي بن أبي طالب عليه السلام فرأيته مطرقاً مفكراً فقلت فيم تفكر يا أمير المؤمنين قال أني سمعت ببلدكم هذا لحنا فأردت ان اصنع كتاباً في اصول العربية فقلت ان فعلت هذا احييتنا وبقيت لنا هذه اللغة ثم أتيته بعد ثلاث فألقى اليَ صحيفة فيها بسم الله الرحمن الرحيم الكلام كله اسم وفعل وحرف فالاسم ما أنبأ عن المسمى والفعل ما أنبأ عن حركة المسمى والحرف ما أنبأ عن معنى ليس بأسم ولا فعل ثم قال لي تتبعه وزد ما وقع لك واعلم يا ابا الاسود ان الاشياء ثلاثة ظاهر ومضمر وشيئ ليس بظاهر ولا مضمر وانما تتفاضل العلماء في معرفة ما ليس بظاهر ولا مضمر قال ابو الاسود فجمعت منه اشياء وعرضتها عليه فكان من ذلك حروف النصب فذكرت فيها إنَ وأنَ وليت ولعل وكأنَ ولم أذكر لكن فقال لي لم تركتها فقلت لم احسبها فيها فقال بل هي منها فزدها فيها انتهى. وذكر ابن الاثير في المثل السائر في ابتداء وضع النحو ان ابنة لابي الاسود الدؤلي قالت له يوماً يا أبت ما أشد الحر فضمت الدال وكسرت الراء، فظنها ابوها مستفهمة فقال شهر آب فقالت يا أبت إنما أخبرتك ولم أسئلك فأتى ابو الاسود الى امير المؤمنين عليه السلام وقال له يا امير المؤمنين ذهبت لغة العرب واخبره بخبر بنته فقال صلوات الله عليه، هلّم صحيفة ثم املى عليه اصول النحو وهذه الكلمات هي اصل علوم العربية وقد بسطت الكلام في هذ المقام في كتبنا النحوية.قوله ومها علم تصفية الباطن اراد به علم رياضة النفس الذي تدعيه الصوفية وتسميه العلم الحقيقي وكان عليه السلام يقول انه ما عرض لي امران الا اخترت اشقهما على بدني ولعلك تقول ان هذا مناف لقول الباقر عليه السلام فيما رواه الشيخ (ره) في كتاب الاستبصار في باب من احرم قبل الميقات لا يعرض لي بابان كلاهما حلال الا ان أخذت باليسير وذلك لان الله يسير يحب اليسير ويعطي على اليسير ما لا يعطي على العنف ووجه التوفيق اما يأن نقول كل امام مكلف بتكاليف خاصة به فلعل هذا من ذاك واما بأن نقول ان الباقر عليه السلام كان بادنا، وقد كان بدانته تمنعه عن ارتكاب التكاليف الشاقة كما روى عنه عليه السلام انه كان يصلي بعض النوافل جالساً وكان يعتذر بكثرة اللحم والبدانة.واما قوله منها العفة والزهد فحاله فيه مشهور وهو على الالسن مذكور في الكتب مسكور روى العامة والخاصة انه دخل ضرار بن ضمرة الليثي على معاوية فقال له صف علياً فقال أو لا تعفيني من ذلك فقال لا أعفيك فقال كان

والله بعيد المدى شديد القوى يقول فصلاً ويحكم عدلاً يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه يتوحش من الدنيا وزهرتها ويستأنس بالليل ووحشته كان والله غريز العبرة طويل الفكرة يقلّب كفه ويخاطب نفسه ويناجي ربه يعجبه من اللباس ما خشن ومن الطعام ما جشب كان والله فينا كأحدنا يدنينا اذا اتيناه وحيجيبنا اذا سئلناه وكنا مع دنوه منا وقربنا منه لا نكلمه لهيبته لا نرفع اعيننا اليه لعظمته فان تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم يعظم اهل الدين ويحب المساكين لا يطمع القوي في باطله ولا ييأس الضعيف من عدله واشهد بالله لقد رأيته ف بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه وهو قائم في محرابه قابض على لحيته يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين فكأني الان أسمعه وهو يقول يا دنيا يا دنيا أبي تعرضت أم أليّ تشوقت هيهات هيهات غريَ غيري لا حاجة لي فيك قد طلقتك ثلاثاً لا رجعة فيك فعمرك قصير وخطرك يسير واملك حقير آه آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق وعظم الموقف فوكفت دموع معوية على لحيته فنشفها بكمه واختنق القوم بالبكاء ثم قال كان والله ابو الحسن ذكلك فكيف كان حبك اياه قال كحب ام موسى لموسى واعتذر الى الله من التقصير، فقال كيف صبرك عنه يا ضرار قال صبر من ذبح واحدها على صدرها فهي لا ترقى عبرتها ولا تسكن حرارتها.ثم قل وخرج وهو باك فقال معوية اما لو انكم فقدتموني لما كان فيكم من يثني عليّ مثل هذا الثناء فقال له بعض من كان حاضراً الصاحب على قدر صاحبه، وروى عن سويد بن غفلة قال دخلت على امير المؤمنين عليه السلام بعد ما بويع بالخلافة وهو جالس على حصير صغير ليس في البيت غيره فقلت يا أمير المؤمنين بيدك بيت المال ولست أرى في بيتك شيئاً مما يحتاج اليه البيت فقال عليه السلام يا ابن غفلة ان البيت لا يتأثث في دار النقلة ولنا دار أمن قد نقلنا اليخا خير متاعنا وانا عن قليل صائرون، وكان عليه السلام اذا اراد ان يكتسى دخل السوق فشيتري الثوبين فيخير قنبر اجودهما، ويلبس الاخر ثم يأتي النجار فيمدله احدحى كميه ويقول له خذ بقدومك ويقول هذه تخرج في مصلحة أخرى ويبقى الكم الاخرى بحالها ويقول هذه نأخذ فيها من السوق للحسن والحسين.وروى عن الاسود وعلقمة، قال دخلنا على علي عليه السلام وبين يديه طبق من خوص عليه قرص أو قرصان من شعير، وان اسطار النخالة ليبين في الخبز، وهو يكسره على ركبتيه ويأكل بملح جريش فقلنا لجارية له اسمها فضة الا نخلت هذا الدقيق لامير المؤمنين عليه السلام فقالت أيأكل هو المهنى ويكون الوزر في عنقي فتبسم وقال انا امرتها ان لا تنخله قلنا ولم يا أمير المؤمنين قال ذلك اجدر ان تذل النفس ويقتدى في المؤمن فالحق باصحابي.واما سلمان وابو ذر فحالهما فيه مشهور، روى الشيخ الورام طاب ثراه ان سلمان الفارسي لما مرض مرضه الذي مات أتاه سعد يعوده فقال كيف انت يا عبد الله فبكى فقال ما يبكيك فقال والله ما أبكي حرصاً على الدنيا ولا حباً لها ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله عهد الينا عهداً

فقال ليكن بلاغ احدكم من الدنيا كزاد راكب فأخشى ان تكون قد جاوزنا مره وهذه الاساور حولي وليس حوله الا مطهرة فيها ماء واجانة وجفنة ودخل رجل على سلمان الفارسي رضي الله عنه فلم يجد في بيته الا سيفاً ومصحفاً فقال ما في بيتك الا ما أرى قال ان امامنا عقبة كؤداً وانا قدمنا متاعنا الى المنزل اولاً فاولا وقال وقع الحريق فأخذ سلمان سيفه ومصحفه وقال هكذا ينجو المخفون.وفي عيون الاخبار باسناده الى الصادق عليه السلام قال دعى سلمان ابا ذر رحمة الله عليهما الى منزله فقدّم اليه رغيفين فأخذ أبو ذر رضي الله عنه الرغيفين فقبلهما فقال سلمان رضي الله عنه يا ابا ذر لأي شيء تقلّب هذين الرغيفين قال خفت الا يكونا ناضجين فغضب سلمان من ذلك غضباً شديداً ثمّ قال ما اجرأك حيث يقلب الرغيفين فوالله لقد عمل في هذا الخبز الماء الذي تحت العرش وعملت فيه الملائكة حتى القوه الى الريح وعملت فيه الريح وحتى القته الى السحاب وعمل فيه السحاب حتى امطره الى الارض وعمل فيه الرعد والملائكة حتى وضعوه وعملت فيه الارض والخشب والحديد والبهائم والنار والحطب والملح وما لا احصيه اكثر فكيف لك ان تقوم بهذا الشكر فقال ابو ذر الى الله اتوب واستغفر الله مما أحدثت واليك اعتذر مما كرهت قال ودعا سلمان ابا ذر رحمة الله عليهما ذات يوم الى ضيافته فقدم اليه جرابه كسرة يابسة وبلّها من ركوته فقال ابو ذر ما أطيب هذا الخبر لو كان معه ملح فقام سلمان وخرج فرهن ركوته وحمل اليه فجعل ابو ذر يأكل من ذلك الخبز ويذّر عليه من ذلك الملح ويقول الحمد لله الذي رزقنا هذه القناعة فقال سلمان لو كانت قناعة لم تكن ركوتي مرهونة.وروى انه لما بعث الى المدائن ركب حماره وحده فأتصل بالمداين خبر قدومه فاستقبله اصناف الناس على طبقاتهم فلما رأوه قالوا ايها الشيخ اين خلفت قال ومن اميركم قالوا الامير سلمان الفارسي (ره) صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لا اعرف الامير وانا سلمان ولست بأمير فترجلوا له وقادوا اليه المراكب والجنائب فقال ان حماري هذا خير لي وارفق فلما دخل البلد ارادوا ان ينزلوه دار الامارة قال كيف انزل دار الامارة ولست بأمير فنزل على حانوت في السوق فقال ادعوا لي صاحب الحانوت فاستاجر منه وجلس هناك يقضي بين الناس وكان معه وطاء يجلس عليه ومطهرة يتطهر بها للصلوة وعكّازة يعتمد عليها في المشي فاتفق ان سيلاً وقع في البلد وارتفع صياح الناس بالويل والعويل يقولون وا اهلاه ووالداه وامالاه فقام سلمان ووضع وطائه في عاتقه واخذ مطهرته وعكازته بيده وارتفع على الصعيد وقال هكذا ينجو المخففون يوم القيامة.واما قوله لضربة علي خير من عبادة الثقلين الى يوم القيامة فهو مما استفاض نقله بل كان متواتراً وقد اعترض بعضهم بأنه كيف جاز ان يكون ضربة واحدة خيراً من عبادة الجن والانس الى يوم القيامة واجاب عنه العامة والخاصة اما الخاصة فقالوا ان ضربة ابن عبد ودّ انما قصد بها وجه الله سبحانه ولم يقصد اظهار الشجاعة المتعارفة بين

الشجعان مع ان قتل مثله مما تفخر به اكابر العرب لانه كان يعدَ بألف رجل فاخلاص نيته عليه السلام في قتل مثل هذا اوجب له الفضل على عبادة الثقلين ويؤيده انه عليه السلام لما صرعه وركب على صدره ضجَ المسلمون وقالوا يا رسول الله قل لعلي يجعل على ازهاق روحه فقال دعوه هو اعلم بما يصنع منكم ولما قمع رأسه واتى به الى النبي صلى الله عليه وآله فقال ما بالك يا علي توقفت في قطع رأسه فقال يا رسول الله أنني لما صرعته شتمني فغضبت عليه وخفت ان اقتله لاجل شتمه اياي فتوقفت حتى سكن غضبي فقتلته لاجل وجه الله سبحانه.واما الوجه الذي ذكره جمهور المخالفين فهو ان الاسلام ذلك الوقت كان منحصراً في المدينة المشرفة فلو غلب ابن ودّ على الاسلام ذلك ليوم لانهدم اساس الايمان فضربة علي عليه السلام هي التي بسببها بقي الاسلام فهي اصل في وجوده وعبادة الثقلين فرع عليها والاصل اشرف من فرعه وهذا المعنى لطيف جداً ويؤيده قوله صلى الله عليه وآله حين برز علي عليه السلام برز الاسلام كله الى الكفر كله.وفي هذا المقام روى قيس بن هلال ان ابن ود نادى عمر بأسمه يا عمر فحاد عنه ولاذ بأصحابه حتى تبسم رسول الله صلى الله عليه وآله مما داخله من الرعب ولقد قال لاصحابه الاربعة اصحاب الكتاب الذين تعاهدوا عليه الرأي أرى والله ان ندفع محمداً برمته ونسلم قال امير المؤمنين عليه السلام انهم قالوا هذا القول حين جاء العدوّ من فوقنا ومن تحت ارجلنا كما قال الله تعالى ﴿وزلزلوا زلزالاً شديداً ويظنون بالله الظنونا واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا ﴾ فقال صاحبه لا ولكن نتخذ صنماً عظيماً نعبده لانا لا نأمن ان يظفر ابن ابي كبشة فيكون هلاكنا ولكن يكون ذخراً فان ظفرت قريش اظهرنا عبادة هذا الصنم واعلمناهم اننا لم نفارق ديننا وان رجعت دولة ابن ابي كبشة كنا مقيمين على عبادة الصنم سراً فأخبر بها جبرئيل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وآله فخبرني بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله بعد قتل عمر بن عبد ودَ فدعاهما فقال كم صنم عبدتما في الجاهلية فقالا يا محمد لا تعيرنا بما في الجاهلية فقال كم صنماً تعبدان اليوم فقالا والذي بعثك بالحق نبياً ما نعبد الا الله منذ اظهرنا لك من دينك ما اظهرنا فقال يا علي خذ هذا السيف ثم انطلق الى موضع كذا وكذا فاستخرج الصنم الذي يعبدانه فأت به فان حال بينك وبينه أحد فاضرب عنقه فانكبا على رسول الله صلى الله عليه وآله يقبلانه ثم قالا استرنا يسترك الله فقلت انا ضامن لهما من الله ورسوله ان لا يعبدا الا الله ولا يشركا به شيئاً فعاهدا رسول الله صلى الله عليه وآله على ذلك وانطلقت حتى استخرجت الصنم من موضعه ثم انصرفت الى رسول الله صلى الله عليه وآله فوالله لقد تبين ذلك في وجوههما.

وقد ابدى ابن ابي الحديد عذرهما حيث قال:

عذرتكما إن الحمام لمبغض	وان بقاء النفس للنفس محبوب
دعا قصب العلياء يملكها امرء	بغير افاعيل الدنائة مغصوب

ولا تعجب من هذا الحديث فأنه قد روي في الاخبار الخاصة ان ابا بكر كان يصلي خلف رسول الله ﷺ والصنم معلق في عنقه، وسجوده له.ويوضح هذا المعنى ما ذكره البلاذري وهو من الجمهور في تأريخه قال لما قتل الحسين بن علي عليه السلام كتب عبد الله بن عمر الى يزيد بن معاوية، اما بعد فقد عظمت الرزية وجلّت المصيبة، وحدث في الاسلام حدث عظيم ولا يوم كيوم الحسين فكتب اليه يزيد لعنه الله يا احمق إنا جئنا الى بيوت منجدة وفرش ممهدة ووسائد منضدة فقاتلنا عنها فان يكن الحق لنا فعن حقنا وان يكن لغيرنا فابوك اول من سنّ هذا وابتزه واستأثر بالحق على اهله فبعث الى عبد الله بن عمر عهداً كتبه ابوه الى معاوية هذا عهد من عمر بن الخطاب الى معاوية بن ابي سفيان:اعلم يا معاوية ان محمداً قد جاء بالافك والسحر ومنعنا من اللات والعزّى وحوّل وجوهنا الى الكعبة التي يزعم انها القبلة الاسلامية، فكان هذا من غاية غلّوه وعلّوه ومهارته في السحر الذي بهر به على موسى وعيسى وكافة بني اسرائيل، ونحن على الذي كنا قبل ذلك وما تركنا اللات والعزّى والهبل، ولما توفي محمد تواطينا مع اربعين رجلاً من اهل نحلتنا وشهدنا انه قال الائمة من قريش، وعزلنا علياً عن الخلافة التي فوضها اليه وجعلها مخصوصة له ثم كتفناه واخرجناه من بيته وجئنا به الى ابي بكر وامرنا الناس ببيعته، وكنا نظاهر بسنة محمد لئلا يهرب الناس عنا ولكنّا في باطن الامر على الذي كنّا قبل ذلك انتقمنا من اولاده وذراريه على حسب طاقتنا وقدرتنا، واما انت يا معاوية فأوصيك الا تسمح فيها واقتل من اولاده واحفاده ما تصل اليه يدك وقدرتك، ولو لم تقدر على استيصال طائفته خوفاً منم تنَفر الناس وتباعدهم عنك وخروجهم عليك فكن في باطن الامر على دفعهم وازالتهم عن مقامهم وانحطاط من مراتبهم، ولا تخرج محبة اللات والعزى من قلبك، فانها طريقنا وطريق آبائنا وانا على اثارهم مقتدون.فان قلت فاذا كان حالهما هذا من حب الاصنام وعبادتهما فما سبب مبادرتهما الى الاسلام في اوائله والنبي ﷺ بمكة زادها الله شرفاً وتعظيماً، قلت هذه شبهة قديمة فتحتاج الى جواب من المعصوم عليه السلام وقد روى صاحب كتاب الاحتجاج عن سعد بن عبد الله القمس الاشعري حديثاً طويلاً قال فيه اني بليت بأشد النواصب منازعة فقال لي يوماً معاشر الروافض تقولون ان الاول والثاني كانا منافقين وتستدلون على ذلك بليلة العقبة اخبرني عن اسلامهما كان عن طوع ورغبة او كان عن اكراه واجبار فاحترزت عن جواب ذلك وقلت مع نفسي ان كنت اجبته بأنه كان عن طوع فيقول لا يكون على هذا الوجه ايمانهما عن تفاق، وان قلت كان عن اكراه واجبار لم يكن في ذلك الوقت للاسلام قوة حتى يكون اسلامهما باكراه وقهر، فرجعت عن هذا الخصم على حال ينقطع كبدي، فكتبت مسائل كثيرة وقصدت مولاي الحسن العسكري عليه السلام فدخلت عليه وصاحب الزمان

عليه السلام جالس معه وهو غلام، فاجابني مولانا صاحب الزمان عليه السلام عن المسائل كلها ثم قال:واما ما قال لك الخصم بأنهم اسلما طوعاً أو كرهاً لِمَ لم تقل بل انهما اسلما طمعاً وذلك انهما كانا يخالطان اليهود ويخبرون بخروج محمد صلى الله عليه وآله وسلم واستيلائه على العرب من التورية والكتب المتقدمة، وملاحم قصة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ويقولون لهما يكون استيلاؤه على العرب كاستيلاء بخت نصر على بني اسرائيل الا انه يدَعي النبوة ولا يكون من النبوة في شيء فلما ظهر امر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تساعدا معه على شهادة ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طمعاً ان يجدا من جهة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولاية بلد اذا انتظم امره وحسن حاله واستقامت ولايته فلما ايسا من ذلك فتوافقا مع امثالهما ليلة العقبة، وكان حالهما كحال طلحة والزبير اذ جاءا علياً عليه السلام وبايعاه طمعاً ان يكون لكل واحد منهما ولاية، فلما لم يكن ذلك وأيسا من الولاية نكثا بيعته وخرجا عليه حتى آلَ امر كل واحد منهما الى ما يؤل اليه امر من ينكث العهود والمواثيق.وبالجملة فشجاعة علي عليه السلام مما لا يحتاج بيانها الى الاستدلال روى البرسي في كتابه لما وصف وقعة خيبر، وان الفتح فيها كان على يد علي عليه السلام ان جبرئيل عليه السلام جاء الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مستبشراً بعد قتل مرحب فسئله النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن استبشاره فقال يا رسول الله ان علياً لما رفع السيف ليضرب به مرحباً امر الله سبحانه اسرافيل وميكائيل ان يقبضا عضده في الهوى حتى لا يضربه بكل قوته، ومع هذا قسمه نصفين وكذا ما عليه من الحديد وكذا فرسه ووصل السيف الى طبقات الارض فقال لي الله سبحانه يا جبرئيل بادر الى تحت الارض وامنع سيف علي عن الوصول الى ثور الارض حتى لا تنقلب الارض فمضيت فامسكته فكان على جناحي اثقل من مدائن قوم لوط وهي سبع مدائن قلعتها من الارض السابعة، ورفعتها فوق ريشة واحدة من جناحي الى قرب السماء، وبقيت منتظراً الامر الى وقت السحر حتى امرني الله بقلبها فما وجدت لها ثقلاً كثقل سيف علي فسأله النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم لا قلَبتها من ساعة رفعها فقال يا رسول الله انه قد كان فيهم شيخ كافر نائم على قفاه وشيبته الى السماء فاستحى الله سبحانه ان يعذبهم فلما كان وقت السحر انقلب ذلك الشائب على قفاه فأمرني بعذابها وفي ذلك اليوم لما فتح الحصن واسروا نسائهم فكان فيهن صفية بنت ملك الحصن فأتت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفي وجهها اثر شجّة فسئلها النبي صلى الله عليه وآله وسلم عنها فقالت ان علياً عليه السلام لما اتى الحين وتعسر عليه اخذه اتى الى برج من بروجه فهزّه فاهتز الحصن كله وكل من كان فوق مرتفع سقط عنه وانا كنت جالسة فوق سريري فهويت من عليه فاصابني السرير فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم يا صفية ان علياً لما غضب وهزَ الحصن غضب الله لغضب علي فزلزل السموات كلها حتى خافت الملائكة ووقعوا على وجوههم، وكفى بها شجاعة ربانية.واما باب خيبر فقد كان اربعون رجلاً يتعاونون على سدّه وقت الليل ولما دخل الحصن طار ترسه ممن يده من كثرة الضرب فقلع الباب وكان في يده

بمنزلة الترس، يقاتل وهو في يده حتى فتح الله عليه، وروى ان بعضهم دخل عليه ذات يوم وبين يديه خبز يابس وهو يريد كسره فيعجز عنه فيضعه على ركبته حتى يقدر عليه، فقال له ذلك الرجل يا علي اين تلك القوة التي قلعت بها باب خيبر، فقال تلك قوة الله تعالى وهذا قوتي، والنقل من هذه وامثاله يفضي الى فناء الاوراق وكسر الاقلام وجفاف المداد، وفي شعره عليه السلام

صيد الملوك أرانب وثعالب   واذا ركبت فصيدي الابطال

واما قوله ومنها السخاوة، فقد عجزت اصحاب النبي صلى الله عليه وآله مع كثرة اموالهم عن الوصول الى ادنى درجة من سخائه روى الصدوق طاب ثراه بإسناده الى خالد بن ربعي قال ان امير المؤمنين عليه السلام دخل مكة في بعض حوائجه، فوجد اعرابياً متعلقاً بأستار الكعبة، وهو يقول يا صاحب البيت البيت بيتك والضيف ضيفك ولكل ضيف من مضيفه ضيفة قراي فاجعل قراي منك الليلة المغفرة، فقال امير المؤمنين عليه السلام لاصحابه اما تسمعون كلام الاعرابي قالوا نعم قال الله اكرم من ان يرد ضيفه قال فلما كان من الليلة الثانية وجده متعلقاً بذلك الركن وهو يقول يا عزيزاً في عزك فلا اعز منك في عزك اعزني بعز عزك في عزّ لا يعلم احد كيف هو أتوجه اليك واتوسل اليك بحق محمد وآل محمد عليك اعطني ما لا يعطيني احد غيرك وأصرف عني ما لا يصرفه احد غيرك، فقال قال امير المؤمنين عليه السلام لاصحابه هذا والله الاسم الاعظم بالسريانية اخبرني به حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله سأله الجنة فأعطاه وسأله صرف النار فصرفها عنه.قال فلما كان ليلة الثالثة وجده وهو متعلق بذلك الركن، وهو يقول يا من لا يحويه مكان ولا يخلو منه مكان بلا كيفية كان ارزق الاعرابي أربعة آلاف درهم قال فتقدم امير المؤمنين عليه السلام وقال يا اعرابي سئلت ربك فاقراك وسئلته الجنة فاعطاك وسألته ان يصرف عنك النار وقد صرفها عنك وفي هذه الليلة تسئله اربعة آلاف درهم قال الاعرابي من انت قال انا علي بن ابي طالب قال الاعرابي انت والله بغيتي وبك انزلت حاجتي.قال سل يا اعرابي فقال اريد الف درهم للصداق، والف درهم اقضي به ديني، وألف درهمك اشتري به داراً، وألف درهم أتعيش به، قال انصفت يا اعرابي، فاذا خرجت من مكة فسل عن داري بمدينة رسول الله صلى الله عليه وآله فأقام الاعرابي بمكة اسبوعاً وخرج في طلب امير المؤمنين عليه السلام الى المدينة، ونادى من يدلّني على دار امير المؤمنين عليه السلام فقال الحسين بن علي من بين الصبيان انا أدلك على دار امير المؤمنين، وانا ابنه الحسين بن علي، فقال الاعرابي من ابوك قال امير المؤمنين علي بن ابي طالب قال من أمك قال فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين.

قال من جدك قال محمد بن عبد الله بن عبد المطلب قال من جدتك قال خديجة بنت خويلد قال من اخوك قال ابو محمد الحسن بن علي قال قد اخذت الدنيا بطرفيها إمش الى امير المؤمنين وقل له ان الاعرابي صاحب الضمان بمكة على الباب قال فدخل الحسين بن علي عليهما السلام

فقال يا أبة اعرابي بالباب يزعم انه صاحب الضمان بمكة قال فقا يا فاطمة عندك شيء يأكله الاعرابي، قالت اللهم لا فتلبّس امير المؤمنين عليه السلام وخرج، وقال ادعوا لي ابا عبد الله سلمان الفارسي.قال فدخل سلمان الفارسي رضي الله عنه فقال يا ابا عبد الله اعرض الحديقة التي غرسها رسول الله صلى الله عليه وآله على التجار، قال فدخل سلمان الى السوق وعرض الحديقة فباعها بأثني عشر ألف درهم واحضر المال واحضروا الاعرابي فاعطاه اربعة الاف درهم واربعين درهما نفقة، ووقع الخبر الى سؤّال المدينة فأجتمعوا، ومضى رجل من الانصار الى فاطمة عليها السلام فأخبرها بذلك، فقالت آجرك الله في ممشاك، فجلس علي عليه السلام والدراهم مصبوبة بين يديه، حتى اجتمع اليه اصحابه فقبض قبضة قبضة وجعل رجلاً رجلاً حتى لم يبق معه درهم واحد فلما اتى المنزل قالت فاطمة عليها السلام يا ابن العم بعت الحائط الذي غرسه لك والدي، قال نعم بخير منه عاجلاً وآجلاً، قالت فأين الثمن قال دفعته الى اعين إستحييت ان اذلها بذّل المسألة، اعطيتها قبل ان تسألني.

قالت فاطمة عليها السلام انا جائعة وإبناي جائعان، ولا أشك إلاّ وأنك مثلنا في الجوع لم يكن لنا منه درهم، وأخذت بطرف ثوب علي عليه السلام فقال علي عليه السلام يا فاطمة خلّيني فقالت لا والله أو يحكم بيني وبينك أبي، فهبط جبرئيل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال يا محمد ربك يقرئك السلام ويقول إقرء علياً مني السلام وقل لفاطمة ليس لك ان تضربي على يديه ولا تلزمي بثوبه، فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وآله منزل علي عليه السلام وجد فاطمة عليها السلام ملازمة لعلي فقال لها يا بنية ما لك ملازمة لعلي فقالت يا ابه باع الحائط الذي غرسته له باثني عشر الف درهم لم يحبس لنا منه درهماً نشتري به طعاماً، فقال يا بنية ان جبرئيل يقرئني من ربي السلام ويقول إقرأ علياً من ربي السلام، وأمرني ان اقول ليس لك ان تضربي على يديه ولا تلزمي بثوبه، قالت فاطمة استغفر الله ولا اعود ابداً.قالت فاطمة عليها السلام فخرج ابي في ناحية وزوجي في ناحية، فما لبث ان اتى ابي صلى الله عليه وآله ومعه سبعة دراهم سود هجرية، فقال يا فاطمة اين ابن عمي، فقلت له خرج فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله هاك هذه الدراهم، فاذا جاء ابن عمي فقولي له يبتاع لكم بها طعاماً فما لبث الا يسيراً حتى جاء علي عليه السلام، فقال رجع ابن عمي فأني اجد رائحة طيبة قالت نعم وقد دفع اليّ شيئاً تبتاع به طعاماً، فقال علي عليه السلام هاتيه، فدفعت اليه سبعة دراهم سود هجرية، فقال بسم الله والحمد كثيراً طيباً، وهذا من رزق الله ثم قال يا حسن قم معي فأتيا السوق فاذا هما برجل واقف وهو يقول من يقرض العلي الوفي قال بني نعطيه قال أى والله فاعطاه علي عليه السلام الدراهم كلها قال يا أبتاه أعطيته الدراهم كلها قال نعم يا بني إن الذي يعطي القليل قادر أن يعطي الكثير، قال فمضى علي عليه السلام الى باب رجل يستقرض منه شيئاً، فلقيه أعرابي ومعه ناقة، فقال يا علي أشتري مني هذة، قال ليس معي ثمنها

قال فإني أنظرك به الى القبض قال بكم يا أعرابي قال بمائة درهم فقال علي عليه السلام خذها يا حسن فأخذها فمضى علي عليه السلام فلقيه أعرابي آخر ألمثال واحد و الثياب مختلفة، فقال يا علي تبيع الناقة، قال علي عليه السلام وما تصنع بها، قال أغزو بها اول غزوة يغزوها أبن عمك، قال أن قبلتها فهي لك بلا ثمن قال معي ثمنها وبالثمن أشتريها فبكم أشتريتها، قال بمائة درهم قال الأعرابي فلك سبعون ومائة درهم، قال علي عليه السلام للحسن خذ السبعين والمائة وسلم المائة للأعرابي الذي باعنا الناقة والسبعين لنا نبتاع بها شيئا فأخذ الحسن عليه السلام الدراهم وسلم الناقة، قال علي عليه السلام فمضبت أطلب الأعرابي الذي أبتعت منه الناقة لأعطيه ثمنها فرأيت رسول الله صلى الله عليه وآله جالساً في مكان لم أره فيه قبل ذلك اليوم ولابعده على قارعة الطريق فلما نظر النبي صلى الله عليه وآله الي تبسم ضاحكا حتى بدت نواجده،قال علي عليه السلام أضحك الله سنك وبشرك بيومك، فقال يا أبا الحسن إنك تطلب الاعرابي الذي باعك الناقة لتوفيه الثمن، فقلت أي والله فداك ابي وامي، فقال يا ابا الحسن الذي باعك الناقة جبرئيل والذي اشتراها منك ميكائيل والناقة والدراهم من عند رب العالمين عز وجل فانفقها في خير ولا تخف إقتاراً.واما قوله النسب العالي فلا نسب أفخر من أخي رسول الله صلى الله عليه وآله وقد روى الخاصة والعامة مسفيضاً عن ابن عباس، قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله أتاني جبرئيل عليه السلام وهو فرح مستبشر فقلت يا حبيبي جبرئيل مع ما أنت فيه من الفرح ما منزلة أخي وابن عمي علي بن ابي طالب عند ربه، فقال جبرئيل يا محمد والذي بعثك بالنبوة واصطفاك بالرسالة ما حبطت في وقتي هذا الا لهذا، يا محمد العلي الاعلى يقرء عليك السلام ويقول محمد نبي ورحمتي وعلي مقيم حجتي لا اعذب من والاه وان عصاني ولا ارحم من عاداه وان اطاعني.وقد استشكل هذا بعض المحققين من المعاصرين وقال انه محمول على المبالغة، والجواب انه لا يحتاج الى الحمل على المبالغة، بل هو محمول على الحقيقة فان فساق الشيعة مما يكره اعمالهم ولكن لانتسابهم الى امير المؤمنين عليه السلام بالمحبة والولاية رفع الله عنهم الخلود في النار، بل ظاهر بعض الاخبار ان منهم من لا يعذب اصلاً، واما المخالفون فمع ما عليه بعضهم من العبادة والزهادة وسائر انواع البر لا يدخلون الجنة باجماع اصحابنا، وذلك ليس الا بمعاداتهم علياً عليه السلام وهو عليه السلام اول هاشمي تولدَ بين هاشميين، ولا بأس بالتعرض لنسب الخلفاء.

في نسب الخلفاء

اما ابو بكر فلم يتعرض احد لنسبه بسوء لا من العامة ولا من الخاصة، نعم ذكر المنذر بن هشام الكلبي وهو من علمائهم في كتاب المثالب ما هذا لفظه، وممن كان ينادي على طعام بن جذعان بن سفيان بن عبد الاسد المخزومي ابو قحافة، فهل ترى لأبي قحافة مالاً أو ثروة فمن اين انتقل الى ابي بكر حتى صار يغني رسول الله ويطعن بذلك على الله، حيث قال سبحانه ووجدك

عائلاً فأغنى، فكابروا هذا القول وردوا عليه وقالوا بل اغناه ابو بكر بماله واما عدم الطعن عليه بالسوء كما سيأتي في أنساب امثاله فلعله لان الائمة عليهم السلام من نسله، وذلك لان أم فروة هي ام الصادق عليه السلام بنت القاسم بن محمد بن ابي بكر.نعم لما وليّ أبو بكر الخلافة كان ابوه ابو قحافة بالطائف فلما بويع لابي بكر كتب لابيه كتاباً، عنوانه من خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله الى أبيه ابي قحافة أما بعد فإنَ الناس قد تراضوا بي فأني اليوم خليفة الله، فلو قدمت علينا كان أحسن بك فلما قرأ أبو قحافة الكتاب، قال للرسول ما منعكم عن علي قال هو حدث السن وقد أكثر القتل في قريش وغيرها، وأبو بكر أسنَ منه قال ابو قحافة ان كان الامر في ذلك بالسن فأنا أحق من ابو بكر، لقد ظلموا علياً وقد بايع له النبي صلى الله عليه وآله وأمرنا ببيعته، ثم كتب، من ابو قحافة الى ابي بكر اما بعد فقد أتاني كتابك فوجدته كتاب أحمق ينقض بعضه بعضاً، مرة تقول خليفة رسول الله ومرة تقول خليفة الله ومرة تقول تراضوا بي الناس وهو أمر ملتبس فلا تدخلنَ في امر يصعب عليك الخروج منه غداً، وتكون عقباك منه الى الندامة وملامة النفس اللوامة لدى الحساب يوم القيامة، فأن للامور مداخل ومخارج وأنت تعرف من هو أولى منك، فراقب الله كأنك تراه ولا تدعن صاحبها، فانَ تركها اليوم احق عليك واسلم لك.وبقي الكلام في النسب الشريف للخليفة الثاني، فروى ابن عبد ربه في المجلد الثاني من كتاب العقد، قال وخرج عمر بن الخطاب ويده على المعلى بن جارود فليقته امرأة من قريش فقالت يا عمر فوقف لها فقالت كنا نعرفك مرة عميرا ثم صرت من بعد عمير عمر ثم صرت من بعد عمر امير المؤمنين فاتق الله يا ابن الخطاب وانظر في امور الناس، فأنه من خاف الوعيد قرب عليه البعيد ومن خالف الموت خشى الفوت، ومن طريف ما بلغوا اليه من القدح في اصل خليفتهم عمر، ان جدته صهاك ولدته من سفاح يعني من زنا ورووا ان ولد الزنا لا ينجب ثم مع هذا ولَواه الخلافة وشهدوا عليه بالزنا فمن رواياتهم في ذلك ما ذكره ابو المنذر هشام بن محمد السائب الكلبي، وهو من رجالهم في كتاب المثالب ما هذا لفظه في عدد جملة من ولدوا من سفاح، هشام عن ابيه قال كانت صهاك امة حبشية لهاشم بن عبد مناف فوقع عليها عبد العزى بن رياح، فجائت بنفيل جد عمر بن الخطاب فهل بلغت الشيعة الى اقبح من هذه الانساب.ومن عجيب ما رووه عن الخطاب والد عمر بن الخطاب انه كان سرَاقاً وقطع في السرقة، ما ذكره ابو عبيد القسم بن سلام في كتاب الشهاب، في تسمية من قطع من قريش في الجاهلية في السرقة ما هذا لفظه، قال والخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عدي بن كعب ابو عمر بن الخطاب قطعت يده في سرقة قدر ومحاه ولاية عمر ورضى الناس عنه قال بعض المسلمين الا تعجب من قوم رووا ان عمر كان ولد زنا، وأنه كان في الجاهلية نخّاس الحمير وأنه كان أبوه سرَاقاً وأنه ما كان يعرف الا بعمير لرذالته ثم مع هذا جعلوه خليفة قائماً مقام نبيهم ونائباً

عن الله في عباده وقدموه على من لا طعن عليه في حسب ولا نسب ولا إرب ولا سبب ويا ليتهم حيث ولواه وفضحوا انفسهم بذلك كانوا قد سكتوا عن نقل هذه الاحاديث التي قد سمت بها الاعداء وجعلوها طريقاً الى جهلهم بمقام الانبياء وخلافة الخلفاء.واما روايات الخاصة في هذا الباب فكثيرة ولنذكر منها حديثاً واحداً وهو ما رواه رئيس المحدثين محمد بن يعقوب (ره) باسناده الى سماعة، قال تعرض رجل من ولد عمر بن الخطاب بجارية رجل عقيلي فقالت له أنّ هذا العمري قد آذاني فقال لها عديه وادخليه الدهليز فادخلته فسدّ عليه فقتله والقاه في الطريق، فاجتمع البكريون والعمريون والعثمانيون، وقالوا ما لصاحبنا كفو لن نقتل به الا جعفر بن محمد عليه السلام وما قتل صاحبنا غيره، وكان ابو عبد الله عليه السلام قد مضى نحو قبا فلقيته بما اجتمع القوم عليه فقال دعهم فلما جاء وثبوا عليه وقالوا ما قتل صاحبنا احد غيرك، ولا نقتل به احداً غيرك فقال ليكلمني منكم جماعة فاعتزل قوم منهم فأخذ بأيديهم وادخلهم المسجد فخرجوا وهم يقولون شيخنا ابو عبد الله جعفر بن محمد صلوات الله عليهما معاذ الله ان يكون مثله يفعل هذا أو يأمر به، فانصرفوا قال فمضيت معه فقلت جعلت فداك ما كان اقرب رضاهم من سخطهم، قال نعم دعوتهم فقلت امسكوا وإلاّ اخرجت الصحيفة فقلت ما هذه الصحيفة جعلني الله فداك، فقال ان ام الخطاب كانت امة للزبير بن عبد المطلب فشطر بها نفيل وهو ابو الخطاب فاحبلها فطلبه الزبير فخرج هارباً الى الطائف فخرج الزبير خلفه فبصرت به ثقيف، فقالوا يا ابا عبد الله ما تعمل هيهنا قال جاريتي شطر بها نفيلكم فهرب الى الشام، وخرج الزبير في تجارة له الى الشام فدخل على ملك الدومة، فقال له يا ابا عبد الله لي اليك حاجة قال وما حاجتك ايها الملك، فقال رجل من اهلك قد اخذت ولده فاحبّ ان ترده عليه فقال ليظهر لي حتى اعرفه فلما ان كان من الغد دخل الى الملك فلما راه الملك ضحك فقال ما يضحكك ايها الملك قال ما اظن هذا الرجل ولدته عربية، لما رآك قد دخلت لم يملك استه ان جعل يضرط فقال يا ايها الملك اذا صرت الى مكة قضيت، فلما قد الزبير تحمل عليه ببطون قريش كلها ان يدفع اليه ابنه فأبى ثم تحمل عليه بعد المطلب فقال ما بيني وبينه عمل، اما علمتم ما فعل في ابني فلان ولكن امضوا انتم اليه فكلموه فقصدوا فقال لهم الزبير ان الشيطان له دولة وان ابن هذا ابن الشيطان ولست آمن أن يترأس علينا، ولكن أدخلوه من باب المسجد علي على أن احمي له حديدة وأخط في وجه خطوطاً، وأكتب عليه وعلى أبنه أن لا يتصدر في مجلس ولا يأمّر على أولادنا ولا يضرب معنا بسهم، قال ففعلوا وخط وجهه بالحديدة وكتب عليه الكتاب، وذلك الكتاب عندنا فقلت لهم أن أمسكتم وألا أخرجت الكتاب ففيه فضيحتكم فأمسكوا، والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة فهذا نسب الخليفة الثاني .وأما أفعاله الجميلة فلقد نقل منها محبوه ومتابعوه مالم ينقله أعداؤه منها مانقله صاحب

كتاب الأستيعاب في الرجال وهو من أفاضلهم، فقال أن عمر لما ضربه أبو لؤلؤة بالسكين في بطنه قال أدعو لي الطبيب فدعى الطبيب، فقال أي الشراب أحب إليك قال النبيذ فسقي نبيذاً فخرج من بعض طعناته فقال الناس هذا دم هذا صديد، قال أسقوني لبناً فخرج من الطعنة فقال له الطبيب لاأرى أن تمسى فما كنت فاعلا فأفعل، وذكر تمام الخبر في الشورى، والنبيذ هو شراب التمر ولقد كان يحب أن يلاقي الله سبحانه وبطنه المزوقة ممليه من الشراب، فأنظروا يا أهل الألباب .ومنها ما قال المحقق جلال الدين السيوطي في حواشي القاموس عند التصحيح لغة الأبنة، وقال هناك وكانت في جماعة في الجاهليه أحدهم سيدنا عمر واقبح منه ما قاله الفاضل أبن الأثير وهما من أجلاء علمائهم قال زعمت الروافض أن سيدنا عمر كان مخنثاً كذبوا، ولكن كان به داء دواؤه ماء الرجال وغير ذلك مما يستقبح من نقله، وقد قصروا في إضاعة مثل هذا السر المكنون المخزون ولم أرى في كتب الرافضة مثل هذا، نعم روى العياشي منهم حديثاً حاصل معناه أن الأسم الذي هو لفظ أمير المؤمنين قد خص الله به علي بن أبي طالب عليه السلام، وبهذا لم تسم الرافضة أئمتهم بهذا الأسم ومن سمى نفسه به غير علي بن أبي طالب فهو مما يؤتى في دبره، وهذا شامل لجميع المتخلفين من الأموية والعباسية وقد نقلت أهل السنة هيهنا عن أمامهم ماهو أقبح من هذا،ولا حول ولا قوة الإبالله العلي العظيم وقد بقي أشياء كثيرة.منها ما ذكر الطبري في تاريخه وهو من علمائهم قال أتى عمر بن الخطاب إلى منزل علي عليه السلام فقال والله لأحرقن عليكم او لتخرجن للبيعة، فخرج عليه الزبير مصلتاً بالسيف فعثر فسقط السيف من يده فوثبوا عليه فأخذوه، قال زيد بن اسلم وهو منهم كنت ممن حمل الحطب مع عمر الى باب فاطمة عليها السلام، حين امتنع علي واصحابه عن البيعة، فقال عمر لفاطمة اخرجي من البيت والا احرقته ومن فيه، قال وفي البيت علي والحسن والحسين عليهم السلام وجماعة من اصحاب النبي صلى الله عليه وآله فقالت فاطمة عليها السلام تحرق علي وولدي فقال أي والله أو ليخرجنَ وليبايعنَ.اقول وقد اعترف بهذا النقل من متقدميهم جمهور المتأخرين منهم لكن قالوا ان الوالي يفعل ما يقتضيه المصلحة ولا يخفى ما فيه، فأنّ فعله هذا انما كان في زمن خلافة ابي بكر وانتم ما اثبتتم خلافة ابي بكر الا من جهة الاتفاق وحينئذ كان الواجب على عمر ان يصبر حتى يحصل الاتفاق من علي وامثاله، فتثبت خلافة ابي بكر وولايته فاذا ثبتت فعل ما يقتضيه رأيه ولا كان ينبغي لعمر ان يفعل ابتدا الامر ما يبطل دليل خلافة صاحبه، ولكن هذا ليس بأول قارورة كسرت في الاسلام.واما عثمان فقد شهدوا عليه بارتداده عن الايمان، روى السدي وهو من مفسريهم في تفسير قوله تعالى ﴿ ويقولون آمنا بالله وبالرسول واطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما اولئك بالمؤمنين ﴾ قال السدي نزلت في عثمان بن عفان قال لما فتح رسول الله صلى الله عليه وآله بني النضير وقسم اموالهم، فقال لعلي عليه السلام إئت

رسول الله ﷺ فاسئله ارض كذا وكذا، فان اعطاكها فأنا شريكك فيها وآته واسأله انا فان اعطانيها فأنت شريكي فيها فسأله عثمان اولاً فاعطاه اياها، فقال له علي عليه السلام اشركني فأبى عثمان الشركة فقال بيني وبينك رسول الله ﷺ فأبى ان يخاصمه الى النبي ﷺ فقال هو ابن عمه فأخاف ان يقضي له فنزل قوله ﴿ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ (٤٨) وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (٤٩) أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ فلما بلغ عثمان ما انزل الله فيه اتى النبي ﷺ وأقرّ لعلي عليه السلام بالحق وشركه في الارض.ومن غريب ما شهدوا به على طلحة وعثمان من شكهم في الاسلام وشهادة الله عليهم بالكفر بعد اظهار الايمان ما ذكره السدي ايضاً، في تفسير قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ قال لما اصيب اصحاب النبي ﷺ بأحد قال عثمان لالحقنّ بالشام فأنّ لي به صديقاً من اليهود يقال له دهلك فلاخذنّ منه أماناً فاني اخاف ان يدال[٢٤] علينا اليهود وقال طلحة بن عبد الله لاخرجنّ الى الشام فانّ لي به صديقاً من النصارى فلاخذنّ منه اماناً فاني اخاف ان يدال علينا النصارى.قال السدي فأراد احدهما ان يتهود والاخر ان يتنصر، قال فأقبل طلحة الى النبي ﷺ وعنده علي بن ابي طالب عليه السلام فاستأذنه طلحة في المسير الى الشام، وقال ان لي بها مالاً اخذه ثم انصرف، فقال النبي ﷺ على مثل هذا الحال تخذلنا وتخرج فأكثر على النبي ﷺ من الاستيذان فقال علي عليه السلام يا رسول الله إئذن لابن الحضرمية فكفّ طلحة الاستيذان عند ذلك فأنزل الله عز وجل فيهما ﴿ ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم حبطت اعمالهم ﴾ يقول انه يحلف لكم انه مؤمن معكم فقد حبط عمله بما دخل فيه من امر المسلمين حيث نافق فيه.

ومن غريب ما بلغوا اليه من الطعن في اصل عثمان ونسبه ما رواه علمائهم وذكره ابو المنذر هشام بن السائب الكلبي في كتاب المثالب فقال ما هذا لفظه، وممن كان يلعب به ويتخنث ثم ذكر من كان قال وعفان بن ابي العاص بن امية ممن كان يتخنث ويلعب به واغرب من هذا ما ذكره في ذم اصل طلحة بن عبد الله وطعنهم في نسبه وكونهم جعلوه ولد زنا، وقد ذكره جماعة من الرواة وذكره ايضاً ابو المنذر هشام بن محمد السائب الكلبي في كتاب المثالب، فقال وذكر من جملة البغايا من ذوي الرايات صعبة فقال واما صعبة فهي بنت الحضرمي كانت لها راية بمكة فوقع عليها ابو سفيان، وتزوجها عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم فجائت بطلحة

---

(٢٤) دالت الايام دارت ودال الزمان دولة انقلبت من حال الى حال يقال دالت له الدولة ودالت الايام بكذا ودال الرجل دولا ودألة صارة شهرة.

بن عبيد الله لستة اشهر، فأختصم ابو سفيان وعبيد الله في طلحة فجعلا امرهما الى صعبة فالحقته بعبيد الله، فقيل لها كيف تركت ابا سفيان فقالت يد عبيد الله طلقة ويد ابي سفيان تربة ثم ذكر صاحب كتاب المثالب المشار اليه هجاءاً لبني طلحة بن عبيد الله من جملته:

فاصدقوا يا قومنا انسابكم ... ثم اقيمونا على الامر الجلي

لعبيد الله انتم معشر ... ام ابو سفيان ذاك الاموي

وذكر ايضاً في كتاب المذكور ما هذا لفظه قال وممن كان يلعب به ويتخنث عبيد الله ابو طلحة بن عبيد الله.

ومن طريف ما بلغوا اليه من القدح في ولادة معاوية بن ابي سفيان ما رووه في كتبهم ورواه ابو المنذر هشام بن محمد السائب الكلبي في كتاب المثالب فقال كان معاوية لاربعة لعمارة بن الوليد بن المغيرة المخزومي ولمسافر بن عمر ولابي سفيان ولرجل اخر سماه، قال وكانت هند امه من المعتلمات وكان احب الرجال اليها السودان، وكانت اذا ولدت اسود قتلته، وقال في موضع آخر من الكتاب واما حمامة فهي من بعض جدات معاوية كان لها راية بذي المجاز يعني من ذوي الرايات في الزنا، وما احسن قول بعض المسلمين

ان هذا النسب مما يقلقل ... تقوم تعظيماً له عند ذكره

وقد نقل في كتب كثيرة ان يزيد قد تعشق عمته وكانت بكراً فاستحى ان يظهر لها الحال فاراد ان يمتحنها، فأتى معها الى بستان وجلست في موضع فأمر ان ينزي حصان[٢٥] على فرس وعمته تنظر اليهما، فلما نزى عليها وهي تنظر اليهما اتاها يزيد وامرها بالقيام من مكانها فلما قامت رأى في مكانها إراقة المني فعلم ارادتها لذلك الغرض فاتى اليها، فلما جامعها لم يجدها بكراً فقال لها اين بكارتك فقالت له ان اباك لم يترك بكراً، فظهر ان معاوية قد كان مخالطاً لها وهذا العجب العجيب والامر الغريب.

واما يزيد لعنه الله فحاله اشهر من ان يذكر وسبب ولادته ما قاله بعض مفسريهم ان معاوية لعنه الله كان ذات يوم يبول فلدعته عقرب في ذكره فزوجوه عجوزاً ليجامعها ويشتفي من دوائها، فجامعها مرة وطلقها فوقعت النطفة مختلطة بسم العقرب في رحم العجوز فحصل منها يزيد هذا هو المشهور ولكن رأيت في بعض كتب المسلمين انه كان عند معاوية جارية هندية تخدمه فحبلت منه وجائت بيزيد الكلب النجس، وقال النبي ﷺ اتقوا اليهود والهنود ولو الى سبعين بطناً.

---

(٢٥) الحصان الفرس العتيق وكل ذكر من الخيل.

وروى الكليني انه كان بين الحسين وبين يزيد لعنه الله عداوة اصلية وعداوة فرعية، اما الاصلية فانه ولد لعبد مناف ولدان هاشم وامية ملتزقاً ظهر كل واحد منهما بظهر الاخر ففرق بينهما بالسيف، فلم يرتفع السيف من بينهما وبين اولادهما حتى وقع حرب بن امية وعبد المطلب بن هاشم وبين ابي سفيان بن حرب وبين ابي طالب وبين معاوية بن ابي سفيان لعنهما الله تعالى وعلي بن ابي طالب عليه السلام وبين يزيد بن معاوية لعنه الله والحسين بن علي عليه السلام .

واما العداوة الفرعية فان يزيد قال لابيه يا أبه قد هيأت لي وراثة الملك وما قصرت في حقي غير انه كات لعبد الله بن الزبير امرأة يقال لها فاطمة من اجمل النساء فأريد ان تزوجنيها فدعا معاوية عبد الله بن الزبير وقال اريد ان ارعى قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وآله وازوجك ابنتي واجعل لك ولاية مصر فانخدع به عبد الله ورضى فبعد يوم دعاه واخبره بانها لا ترضى الا ان يطلق زوجته خوفاً من الغيرة لجمالها فطلقها فبعد يوم دعاه واخبره بانها تأبى وتقول انه لم يف لصاحبة الجمال فكيف يصنع بي اذا زال الملك والمال فاغتم عبد الله فسلاه معاوية وقال لا تغتم فاني سأرسل اليها بنساء يرضينها، فلما انقضت عدّة فاطمة ارسل اليها ابا موسى الاشعري ليخطبها ليزيد فمر ابو موسى بقثم بن العباس فقال قثم اني راغب فيها ايضاً، ثم بالحسين عليه السلام كذلك فلما دخل عليها قال لها ما قالوا وقال اني راغب فيك ايضاً فقالت اما انت فشيخ وانا شابة ولكن اريد منك طلب المصلحة، فقال ان تريدي الولاية والتنعم الدنيوي فيزيد، وان تريدي العلم والجمال وقرابة الرسول صلى الله عليه وآله فقثم، وان تريدي العلم والزهد وبنوة النبي فالحسين وقد رأيت النبي صلى الله عليه وآله يقبله ويقول سيد شباب اهل الجنة، فقالت اخترت الحسين فسمع معاوية وغضب على ابي موسى الاشعري.

فان قلت على ما ذكرت أيجوز اطلاق ولد الزنا على ما ذكرت من هؤلاء الجماعة ام لا يجوز، قلت ان هذا الاطلاق وان لم يصح على اولاد الكفار ونحوهم ممن تميز نكاحهم عن سفاحهم، الا ان هذا الاطلاق على ما ذكرت من الجماعة جائز لانه سفاح في مذهبهم والشارع جوَّز عليهم هذا الاطلاق كما جوَّزه على من حضر واقعة الطفوف من اهل العراق والشام وغيرهم واما باقي الكفار فلا يجوز روى عمارة بن نعمان الجعفي قال كان لابي عبد الله عليه السلام صديق لا يكاد يفارقه اين ذهب فبينما يمشي معه في الحذّائين ومعه غلام سندي يمشي خلفه اذ التفت الرجل يريد غلامه ثلاث مرات فلم يره، فلما نظر في الرابعة قال يا بن الفاعلة اين كنت قال فرفع ابو عبد الله عليه السلام يده فصكَ بها جبهته، قال سبحان الله تقذف امّة قد كنت أرى ان لك ورعاً فاذا ليس لك ورع، فقالت جعلت فداك انَ امّه سندية مشركة فقال اما علمت ان لكل امّة نكاحاً فتنحَ عني فما رأينته يمشي معه حتى فرّق الموت بينهما ونحوه كثير.

واما قوله ومنها المصاهرة فلا درجة اعلى منها وذلك ان النبي ﷺ كان يتمنى بان يكون له زوجة مثل فاطمة فلم يحصل وكفى به شرفاً ان اكابر العرب خطبتها منه فاعرض عنهم وما زوجها علياً عليه السلام حتى زوجه الله في السماء روى الصدوق(ره) باسناده الى الصادق عليه السلام قال قال علي عليه السلام، لقد هممت بتزويج فاطمة بنت محمد ﷺ حيناً ولم أتجرأ أن أذكر ذلك للنبي ﷺ وأن ذلك أختلج في صدري ليلاً ونهاراً حتى دخلت على رسول الله ﷺ فقال يا علي قلت لبيك يا رسول الله، قال هل لك حاجة في التزويج قلت رسول الله أعلم وظننت أنه يريد أن يزوجني بعض نساء قريش، وأنى لخائف على فوت فاطمة فما شعرت بشئي أذ أتاني رسول رسول الله ﷺ فقال لي أجب النبي ﷺ وأسرع فما رأينا رسول الله ﷺ أشد فرحاً منه اليوم، قال فأتيته مسرعاً فأذا هو في حجرة أم سلمة فلما نظر الي تهلل وجهه وتبسم حتى نظرت الى بياض أسنانه، فقال أبشر يا علي فأن الله عز وجل قد كفانى ما كان أهمنى من أمر تزويجك فقلت وكيف ذلك يا رسول الله، فقال أتاني جبرئيل ومعه من سنبل الجنة وقرنفلها ولنيهما فأخذتهما فشممتها فقلت ما سبب هذا القرنفل والسنبل،فقال أن الله تبارك وتعالى أمر سكان الجنة من الملائكة ومن فيها أن يزينوا كلها بمغارسها وأشجارها وثمارها وقصورها وأمر ريحها فهبت بانواع العطر والطيب وأمر حور عينها بالقرائة فيها بسورة طه و طواسين وحمعسق ثم نادى مناد من تحت العرش ألا أن اليوم وليمة علي بن أبي طالب ألا أنى أشهدكم إني قد زوجت فاطمة بنت محمد من علي بن أبي طالب رضى منى بعضها لبعض ثم بعث الله سبحانه سحابة بيضاء فمطرت عليهم من لؤلؤها وزبرجدها ويواقيتها، ومالت الملئكة فنثرت من سنبل الجنة وقرنفلها هذا مما نثرت الملئكة .

ثم أمر الله تبارك وتعالى ملكاً من ملوك الجنة يقال له راحيل وليس في الملئكة أبلغ منه فقال أخطب يا راحيل فخطب بخطبة لم يسمع مثلها أهل السماء ولا أهل الأرض ثم نادى منادي ألايا ملائكتي وسكان جنتي باركوا على علي بن أبي طالب حبيب محمد فقد باركت عليهما ؛ألا أني قد زوجت أحب النساء الي من أحب الرجال الي بعد النبيين والمرسلين فقال راحيل الملك وما بركتك فيهما بأكثر مما رأينا لهما في جنانك ودارك، فقال عز وجل يا راحيل من بركتي عليهما أني أجمعهما على محبتي و أجعلهما حجتي على خلقي وعزتي وجلالي لأخلقن منهما خلقاً ولإنشئن منهما ذرية أجعلها خزاني في أرضي ومعادن لعلمي ودعاة الى ديني بهم أحتج على خلقي بعد النبيين والمرسلين فأبشر يا علي فأن الله عز وجل أكرمك كرامة لم يكرم بمثلها أحداً، وقد زوجتك أبنتي فاطمة على ما زوجك الرحمن وقد رضيت لها بما رضى الله لها فدونك اهلك فأنك أحق بها مني، ولقد أخبرني جبرئيل عليه السلام ان الجنة مشتاقة اليكما ولولا أن الله عز وجل قدر أن يخرج منكما ما يتخذه على الخلق حجة لأجاب فيكما الجنة وأهلها، فنعم الأخ أنت ونعم الختن

انت وكفاك برضا الله رضى قال علي عليه السلام يا رسول الله بلغ من قدري حتى ذكرت في الجنة، وزجني الله في ملئكته فقال صلى الله عليه وآله أن الله عز وجل أذا اكرم وليه وأحبه اكرمه بما لا عين رأت ولا أذن سمعت فأختارها الله لك يا علي فقال علي عليه السلام رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي فقال رسول الله صلى الله عليه وآله آمين .

وروى ان شجرة طوبى وهي شجرة في الجنة أصلها في منزل علي أن أبي طالب عليه السلام وفي كل منزل من مناز الشيعة غصن من أغصانها فيه جميع أنواع الثمار أهتزت في ذلك اليوم، وألقت جميع أنواع الحلي الحلل والجواهر والياقوت فالتقطه أهل الجنه لكونه نثار فاطمة، فهم يتهادون به الى يوم القيامة وكان فيما ألقت تلك الشجرة قراطيس كثيرة، وفي كل قرطاسة أسم واحد من الشيعة وأنه معتق من النار لكرامة فاطمة وعلي عليهما السلام، وتلك القراطيس عند أهل الجنة.

وأما مهرها عليها السلام فهو ثمن درع علي عليه السلام وهو خمسمائة درهم قيمة كل درهم أثنا عشر غازياً ونصف غازي بقيمة هذه الأعصار،وقد كان في عصر النبي صلى الله عليه وآله كل مثقال ذهب وهو الأ شرفي الأن قيمته عشر دراهم، لكن في هذة الأوقات أرتفعت قيمة الذهب وأنحطت الفضة فما تعارف في بعض البلاد من ان مهر السنة هو تسعة عشر مثقالاونصف مما لا وجه له، وهذا هو المهر الذي وقع التراضي عليه في الأرض وأما العقد السماوي الذي تقدم ذكره فقد روى في كثير من الاخبار ان الله سبحانه جعل مهر فاطمة عليها السلام جميع الاراضي والمياه ومن هذا قال الصادق عليه السلام ان فاطمة عليها السلام لم تجعل احداً في حل من الارض بالمساكن وغيرها ولا بالانتفاع من الماء الا لشيعتها ومحبيها، وكفانا بهذا مفخراً حين نفخر، وقد وقع التزويج الارضي في اول يوم من ذي الحجة قاله الكفعمي.وقال الشيخ الطوسي قدس الله روحه بأسناده الى أبان قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام يا أبن رسول الله لم سميت الزهراء فقال لأنها تزهر لأمير المؤمنين عليه السلام في النهار ثلاث مرات بالنور، كان يزهر نور وجهها صلاة الغداة والناس في فرشهم فيدخل بياض النور الى حجراتهم بالمدينة فتبيض حيطانهم فيعجبون من ذلك فيأتون النبي صلى الله عليه وآله فيسألون عما رأوا فيرسلهم الى منزل فاطمة عليها السلام فيأتون منزلها فيرونها قاعدة في محرابها تصلي والنور يسطع من وجهها عليها السلام بالصفرة فتدخل الصفرة حجرات الناس فتصفر ثيابهم وألوانهم فيأتون النبي صلى الله عليه وآله فيسألونه عما رأوا فيرسلهم الى منزل فاطمة عليها السلام فيرونها قائمة في محرابها وقد زهر نور وجهها عليها السلام بالصفرة فيعلمون ان الذي رأوه كان من وجههافأذا كان آخر النهار وغربت الشمس إحمر وجه فاطمة عليها السلام وأشرق نور وجهها بالحمرة فرحاً وشكر الله عز وجل فكان يدخل حمرة وجهها حجرات القوم وتحمر حيطانهم فيعجبون من ذلك ويأتون النبي صلى الله عليه وآله ويسألونه عن ذلك فيرسلهم الى منزل فاطمة عليها السلام فيرونها جالسة تسبح الله وتمجدّه ووجهها يزهر بالحمرة فيعلمون ان الذي رأوا كان من نور وجه

فاطمة عليها السلام فلم يزل ذلك النور في وجهها حتى ولد الحسين عليه السلام فهو يتقلب في وجوهنا الى يوم القيامة في الائمة منّا اهل البيت امام بعد امام ولعلّك تطلب وجه اختصاص هذه الانوار بهذه الاوقات.

فنقول يجوز ان يكون وجهه انّ النور الابيض يدخل اليهم وقت الصبح وهم نيام ليكشف عنهم بقية ظلام الليل فيقومون الى الصلوة، وايضاً ينبغي ان يكون مخالفاً لاول نور الشمس عند طلوعها حتى لا يشتبه على الناس احد النورين بالاخر، فأن نور الشمس اصفر في ذلك الوقت واما عند انتصاف النهار فنور الشمس ابيض فيكون نورها عليها السلام اصفر خلافاً له لتلك العلّة، ولأنه نور الخوف لان وقت الزوال تفتح ابواب السماء وتنظر الملائكة الى الارض ونور الخوف اصفر، وأما آخر النهار فهو نور المحبة والشكر على اداء الفرائض كما يظهر من قوله عليه السلام فرحاً وشكراً لله عزَ وجل ونور المحبة احمر كما هو المتعارف.

واعلم ان مخالفينا لما رأوا ان الطعن على الثلاثة قد تكثر من طرقهم وبعد عن ساحة عزَ علي عليه السلام رام بعضهم ان يذكر له طعنا، حتى يشارك فيه فجال في ميدان التفحص فما وجد الا ان علياً عليه السلام اغار فاطمة عليها السلام، بأن اراد ان يتزوج عليها فشكته الى ابيها فقال فاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني فلا بأس ان نشير اليه فنقول:

روى الصدوق باسناده الى ابن ابي المقدام وزياد بن عبيد الله، قال أتى رجل ابا عبد الله عليه السلام فقال رحمك الله هل شيّعت الجنازة بنار ومشى معها بمجمرة او قنديل او غير ذلك مما يضائبه، قال فتغير لون ابي عبد الله عليه السلام من ذلك واستوى جالساً ثم قال انه جاء شقيّ من الاشقياء الى فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله فقال لها انا علمت ان علي بن ابي طالب عليه السلام خطب بنت ابي جهل فقالت حقاً ما تقول حقاً ما تقول ثلاث مرات فدخلها من الغيرة ما لا تملك نفسها وذلك ان الله تبارك وتعالى كتب على النساء غيرة وجعل على الرجال جهاداً، وجعل للمحتسبة الصابرة منهنَ من الاجر ما جعل للمرابط المهاجر في سبيل الله فاشتدّ غم فاطمة عليها السلام من ذلك وبقيت متفكرة حتى جاء الليل، فحملت الحسن على عاتقها الايمن والحسين على عاتقها الايسر وأخذت بيد أم كلثوم اليسرى بيدها اليمنى، ثم تحولت الى حجرة ابيها فجاء علي عليه السلام فدخل حجرته فلم يرَ فاطمة عليها السلام، فأشتد بذلك غمه وعظم عليه ولم يعلم القصة ما هي فاستحى ان يدعوها من منزل ابيها، فخرج الى مسجد فصلّى فيه ما شاء الله ثم جمع شيئاً من كثيب المسجد واتكى عليه.

فلما رأى النبي صلى الله عليه وآله ما فاطمة عليها السلام من الحزن افاض عليه من الماء ولبس ثوبه ثم دخل المسجد فلم يزل بين راكع وساجد وكلما صلّى ركعتين دعى الله ان يذهب ما بفاطمة من الحزن والغمَ، وذلك انه خرج من عندها وهي تتقلب وتتنفس الصعداء فلما رآها النبي صلى الله عليه وآله انه لا يهنيها

النوم وليس لها قرار قال لها قومي يا بنية، فقامت فحمل النبي ﷺ الحسن وحملت ؑ الحسين واخذت بيد ام كلثوم فانتهى الى علي ؑ وهو نائم في المسجد فوضع النبي ﷺ رجله على رجل علي ؑ وغمزه وقال قم يا ابا تراب فكم ساكن أزعجته أدع لي ابا بكر من داره وعمر من مجلسه فخرج علي ؑ فاستخرجهما من منزلهما واجتمعوا عند رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ يا علي اما علمت ان فاطمة بضعة مني وانا منها فمن آذاها فقد آذاني ومن آذاها بعد موتي كان كمن اذاها في حياتي ومن آذاها في حياتي كان كمن اذاها بعد موتي قال فقال علي ؑ بلى يا رسول الله قال فما دعاك الى ما صنعت فقال علي ؑ والذي بعثك بالحق نبياً ما كان مما بلغها شيء ولا حدّثت به نفسي، فقال النبي ﷺ صدقت وصدقت فاطمة، فعند ذلك تبسمّت حتى رأى ثغرها، فقال احدهما لصاحبه انه لعجب ما دعاه الى دعائنا هذه الساعة، قال ثم أخذ النبي ﷺ بيد علي فشبك اصابعه فحمل النبي ﷺ الحسن وحمل علي الحسين وحملت فاطمة ام كلثوم فادخلهم النبي ﷺ بيتهم، ووضع عليهم قطيفة واستودعهم الله ثم خرج وصلّى بقية الليل.

فلما مرضت فاطمة ؑ مرضها الذي ماتت فيه أتيا عائدين وأستأذنا عليها فأبت ان تأذن لهما فلما رأى ذلك أبو بكر أعطى الله عهداً أن لا يظله سقف بيت حتى يدخل على فاطمة ويتراضاها فبات ليلته في البقيع ما أظله شئ ثم إن عمر أتى علياً ؑ فقال له ان ابا بكر شيخ رقيق القلب، وقد كان مع رسول الله ﷺ في الغار فله صحبة وقد أتيناها غير هذه المرة مراراً، نريد الأذن عليها وهي تأبى ان تأذن لنا حتى ندخل عليها فنتراضا فان رأيت ان تستأذن لنا عليها فافعل، قال نعم فدخل علي ؑ على فاطمة فقال لها يا بنت رسول الله قد كان من هذين الرجلين ما قد رأيت وقد ترددا مراراً كثيرة ورددتهما ولم تأذني لهما وقد سألاني ان استأذن لهما عليك، فقالت والله لا اذن لهما ولا اكلمهما من رأس حتى ألقى ربي فأشكوهما اليه بما صنعاه وارتكباه مني.

قال علي ؑ فأني ضمنت لهما ذلك قالت ان كنت قد ضمنت لهما شيئاً فالبيت بيتك والنساء تتبع الرجال لا اخالف عليك بشيء فاذن لمن احببت فخرج علي ؑ فأذن لهما فلما وقع بصرهما على فاطمة ؑ سلّما عليها فلم تردّ عليهما، وحوّلت وجهها عنهما فتحولا واستقبلا وجهها حتى فعلت مراراً وقالت يا علي جاف الثوب عليّ وقالت لنسوة حولها حوّلن وجهي، فلما حوّلن وجهها حولاً وجوههما اليها فقال ابا بكر يا بنت رسول الله إنما اتيناك ابتغاء مرضاتك واجتناب سخطك نسألك ان تعفى عنا وتصفحي عما كان منا اليك، قالت لا اكلمكما من رأسي كلمة واحدحة ابداً حتى القى ربي واشكوكما اليه واشكو صنعكما وفعالكما وما ارتكبتما مني قالا إنا جئناك معتذرين مبتغين مرضاتك فاغفري واصفحي عنّا ولا تؤاخذينا بما كان منّا.

فالتفت الى علي عليه السلام وقالت اني لا اكلمهما من رأسي كلمة حتى أسالهما عن شيء سمعا من رسول الله صلى الله عليه وآله فان صدقا رأيت قالا اللهم ذلك لها وانا لا نقول الا حقا ولا نشهدكما الا صدقا، فقالت انشدكما بالله اتذكران ان رسول الله صلى الله عليه وآله استخرجكما في جوف الليل بشيء كان حدث من أمر علي فقالا الله نعم، قالت انشدكما بالله فهل سمعتما النبي صلى الله عليه وآله يقول فاطمة بضعة مني وانا منها من آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذاها بعد موتي كم آذاها في حيوتي ومن آذاها في حيوتي كان كمن آذاها بعد موتي قالا اللهم نعم قالت الحمد لله ثم قالت الله اني اشهدك فاشهدوا يا من حضرني انهما قد اذياني في حيوتي وعند موتي والله لا اكلمهما من رأسي كلمة واحدة حتى لقى ربي فأشكوكما اليه بما صنعتما بي وارتكبتما مني.

فدعا ابو بكر بالويل والثبور وقال يا ليت امي لم تلدني فقال عمر عجباً للناس كيف ولوَك امورهم وانت شيخ قد خرفت تجزع لغضب امرأة وتفرح برضاها، وما يبلغ من غضب امرأة فقاما وخرجا فلما نعى الى فاطمة عليها السلام نفسها ارسلت الى أم ايمن وكانت أوثق نسائها فقالت لها يا ام ايمن ان نفسي نعيت اليَ فادع لي علياً فدعته لها فلما دخل عليها قالت له يا بن عمَ اريد ان اوصيك بأشياء فاحفظها عليَ فقال لها قولي ما احببت قالت له تزوج فلانة تكون لولدي مربية من بعدي مثلي واعمل نعشي فاني رأيت الملائكة قد صورته لي، فقال لها علي عليه السلام أريني كيف صورته فارته ذلك كما وصفت له وكما امرته به ثم قالت اذا قضيت نحبي فأخرجني من ساعتك أي ساعة كانت من ليل او نهار ولا يحضرنَ من اعداء الله واعداء رسوله للصلوة عليَ قال علي عليه السلام أفعل فلما قضت نحبها وهي في جوف الليل أخذ علي عليه السلام في جهازها من ساعته كما اوصته به فلما فرغ من جهازها خرج مع الجنازة واشعل النار على جريدة النخل ومشى مع الجنازة بالنار حتى صلَى عليها ودفنها ليلاً، فلما اصبح ابو بكر وعمر عاودا عائدين لفاطمة عليها السلام فليقا رجلاً من قريش فقالا له من أين اقبلت قال عزَيت علياً بفاطمة قالا وقد ماتت قال نعم ودفنت في جوف الليل فجزعا جزعاً شديداً ثم اقبلا الى علي بن ابي طالب عليه السلام فليقا وقالا له والله ما تركت شيئاً من غوائلنا ومساوينا، وما هذا الا شيء في صدرك علينا هل هذا الا كما غسلت رسول الله صلى الله عليه وآله دوننا ولم تدخلنا معك، وكما علمَت ابنك ان يصيح بأبي بكر ان انزل عن منبر أبي.

فقال لهما علي عليه السلام أتصدقاني ان حلفت لكما قالا نعم فحلف فادخلهما المسجد فقال ان رسول الله صلى الله عليه وآله لقد اوصاني وتقدم اليَ أنه لا يطلَع على عورته أحد إلاَ ابن عمه فكنت أغسله والملائكة تقلَبه والفضل بن العباس يناولني الماء وهو مربوط العينين بالخرقة ولقد اردت ان انزع القميص فصاح بي صائح من البيت سمعت الصوت ولم أرَ الصورة لا تنزع قميص رسول الله صلى الله عليه وآله ولقد سمعت الصوت يكرر عليَ فادخلت يدي من بين القميص فغسلته ثد قدم الى الكفن

فكفنته ثم نزعت القميص بعد ما كفنته واما الحسن ابني فقد تعلمان ويعلم اهل المدينة انه كان يتخطى الصفوف حتى يأتي النبي ﷺ وهو ساجد فيركب على ظهره فيقوم النبي ﷺ واحدى اليدين على ظهر الحسن والاخرى على ركبته حتى يتم الصلوة قالا نعم قد علمنا ذلك ثم قال تعلمان ويعلم اهل المدينة ان الحسن كان يسعى الى النبي ﷺ ويركب رقبته ويدلي رجليه على صدر النبي ﷺ حتى يرى بريق خلخاليه من اقصى المسجد والنبي ﷺ يخطب ولا يزال على رقبته حتى يفرغ النبي ﷺ من خطبته والحسن على رقبته فلما رأى الصبي على منبر أبيه غيره شقَّ عليه ذلك والله ما أمرته بذلك ولا فعله عن أمري.

واما فاطمة فهي المرأة التي أستأذنت لكما عليها فقد رأيتما ما كان من كلامها لكما، والله لقد اوصتني ان لا تحضرا جنازتها ولا الصلوة عليها وما كنت الذي اخالف امرها ووصيتها اليَّ فيكما، فقال عمر إذن نحفر قبرها فقال علي عليه السلام والله لو ذهبت تروم من ذلك شيئاً لعلمت انك لا تصل الى ذلك حتى يبدر عنك الذي فيه عيناك، فأني كنت لا اعاملك الا بالسيف قبل ان تصل الى شيء من ذلك، فوقع بين علي عليه السلام وبين عمر كلام فتلاحيا واجتمع المهاجرون والانصار فقالوا والله ما نرضى بهذا ان يقال في ابن عم رسول الله وأخيه ووصيه، وكادت ان تقع فتنة فترفقا.

قال مؤلف هذا الكتاب هذا الذي حصّلوه بعد غاية الفحص عن مطاعن علي عليه السلام ويا ليتهم سكتوا على هذا من غير ان يضيفوا اليه ما تشهد العقول والعادات بكذبه، بل قالوا ان فاطمة لما شكت علياً الى ابيها من جهة أنه يريد يخطب عليها بنت أبي جهل صعد النبي ﷺ المنبر وقال سمعت ان علياً يريد ان يتزوج أبنة عدو الله على ابنة ولي الله، وما كان هذا يجوز ان فاطمة بضعة مني الحديث. وكل عاقل يجزم ان هذا لا يليق بمرتبة النبوة وان مثله يخاصم لابنته من جهة الزوجية مع انه ﷺ هو الذي اباحه وعمل به، والعادات جرت بقبح هذه المخاصمة الا ترى ان المأمون لما كتبت اليه ابنته ام الفضل تشكو من الجواد عليه السلام وانه يتسرّى عليها، كتب اليها اننا ما زوجناه لنحرم عليه حلالاً وقد كان يمكنه أشد المنع لكنه لاحظ الشرع ومجارى العادات.

كيف لا يكون هذا والحال ان طوائف العامة والخاصة رووا ان عثمان قد ضرب رقية زوجته وهي بنت النبي ﷺ بزعمهم ضرباً مبرحا حتى اثرت السياط في بدنها على غير جناية تستحقها، ولما أتت النبي ﷺ شاكية تكلم عليها وقال لا يليق بالمرأة ان تشكو من زوجها وامرها بالرجوع الى منزله، ثم كرر عليها الضرب فأتت النبي ﷺ ثم ردها ثم ضربها الضرب الذي كان السبب في موتها فأمر النبي ﷺ علياً عليه السلام ان يخرجها من منزل عثمان فأتى بها الى بيت النبي ﷺ وماتت فيه.

فأن قلت اذا كانت فاطمة عليها السلام مطهرة معصومة من أدناس نساء الدنيا فكيف جاز منها اعمال هذه الغيرة البشرية من غير ان تتفحص عن تحقيق الحال قلت الجواب عن هذا من وجوه:

الاول: ان هذا وامثاله غير مناف للعصمة ولا للطهارة من الادناس البشرية وذلك ان الله سبحانه غيور والنبي صلى الله عليه وآله كان يمتدح بأنه أغير على اهله من الصحابة على اهلهم وكذلك الائمة عليهم السلام، ولا يخفى ان التمدح بالغيورية انما كان في الامور المباحة والا فالمحرمات مما لا يمتدح بها النبي صلى الله عليه وآله على الصحابة بأنه أغير منهم لانه أفعل التفضيل لا معنى له حينئذ وتزويج ما فوق الواحدة مباح وليس بمستحب وانما الفضل في اصل التزويج والخروج به عن العزوبة، ولعلها عليها السلام خطر ببالها الشريف ان علياً عليه السلام اذا تزوج عليها وصارت ضرّة لغيرها لزم منه تحمل علي عليه السلام ارتكاب الهموم والمشاق التي حصلت على النبي صلى الله عليه وآله من تعدد الازواج والضرّات ووصل اليها ايضاً من أنواع الاذى ما كانت تشاهده في ازواج ابيها.

هذا وقد صدر من بنات الانبياء ما هو اعظم وأشد فان سارة من بنات الانبياء عليهم السلام والزمت ابراهيم عليه السلام ان يخرج عنها هاجراً وابنها اسماعيل الى وادٍ غير ذي زرع، ولا ينزل معهما بل يضعهما فيه وهو راكب ويرجع اليها، وقد امر الله ابراهيم بأن يمتثل امر سارة ولو كان محرماً في الشريعة لما امره به، فيستفاد من هذا كله ان اصل غيرة النساء على الرجال في هذا وامثاله ليس من الامر الحرام نعم لا يجب على الرجال قبوله الا ان يدل عليه بدليل من خارج كما وقع في شأن ابراهيم وزوجته سارة من الامر.

الثاني: ان المعصومين عليهم السلام قد كانوا احياناً ينتزلون عن مراتبهم الى مراتب البشر ويقع منهم الغضب والرضا والمحاورات المتعارفة في مجارى العادات، لحكم ومصالح يجوز ان يكون منها ان لا يظن بهم فوق مراتبهم كما وقع من الغلاة وأشباههم وهذا يظهر من تتبع الاخبار كثيراً ومنها ايضاً ان يتعقبه المحبة والخلّة المستقيمة كما روى انه قد جرى بين الحسنين عليهما السلام نوع من الكلام بعث على الانقطاع، وبعده قيل للحسين عليه السلام انت أصغر من أخيك فلم لا تمشي اليه وتصالحه، قال أني سمعت من جدي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول من كان يسبق بالصلح فهو السابق الى الجنة وما أحب ان اسبق اخي الى الجنة فبلغ الحسن عليه السلام فأتى الى اخيه الحسين عليه السلام .

الثالث: وهو الاظهر عندي انها عليه السلام انما فعلته لمعرفتها بما يؤل اليه الامر من احضار النبي صلى الله عليه وآله لمن احضر حتى يكون باعثاً لاتمام الحجة عليهما، فإذا ترتب عيل مثل هذا امثال هذه الحجج والفوائد فلا ريب ان فعله أحسن من تركه، كما وقع منها عليها السلام مرة أخرى لفائدة جليلة، وهو ما رواه الصدوق طاب ثراه باسناده الى ابي ذر (ره) قال كت انا وجعفر بن ابي طالب مهاجرين الى بلاد الحبشة فأهديت لجعفر جارية قيمتها أربعة الاف درهم فلما قدمنا الى المدينة اهداها لعلي عليه السلام

تخدمه فجعلها علي عليه السلام في منزل فاطمة عليها السلام فدخلت عليها السلام يوماً فنظرت الى رأس علي عليه السلام في حجر الجارية فقالت يا ابا الحسن فعلتها فقال لا والله يا بنت محمد صلى الله عليه وآله ما فعلت شيئاً، فما الذي تريدين قالت تأذن لي في المسير الى منزل ابي رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لها ذنت لك فتجلببت بجلبابها وتبرقعت ببرقعها وارادت النبي صلى الله عليه وآله ، فهبط جبرئيل عليه السلام فقال يا محمد ان الله يقرئك السلام ويقول ان هذه فاطمة تشكو علياً فلا تقبل منها في علي شيئاً، فدخلت فاطمة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله جئتني تشكو علياً قالت أي والله رب الكعبة، فقال لها ارجعي اليه فقولي له رغم انفي لرضاك ثلاثاً فرجعت فاطمة عليها السلام الى علي عليه السلام فقالت يا ابا الحسن رغم انفي لرضاك فقال علي عليه السلام شكوتني الى خليلي وحبيبي رسول الله واسئتاه من رسول الله صلى الله عليه وآله اشهد الله يا فاطمة ان الجارية حرة لوجه الله تعالى وان الاربعمائة درهم التي فضلت من عطائي صدقة على فقراء اهل المدينة ثم تلبس وتنعل واراد النبي صلى الله عليه وآله .

فهبط جبرئيل عليه السلام فقال يا محمد ان الله يقرئك السلام ويقول لك قل لعلي ان الله يقرئك السلام ويقول لك قد اعطيتك الجنة يعتقك الجارية في رضا فاطمة والنار بالاربعمائة دراهم التي تصدقت بها، فادخل الجنة من شئت برحمتي واخرج من النار من شئت بعفوي فعندها قال علي عليه السلام انا قسيم الله بين الجنة والنار، وترتب مثل هذه الفائدة الجليلة على مثل هذا حسن جداً، وبالجملة فان اندفعنا الى ذكر بعض اوصاف الزهراء عليها السلام لطال الكتاب ولكنّا من اهل طلب المحال.

واول عداوة خربت الدنيا وبنى عليها جميع الكفر والنفاق الى يوم القيامة هي عداوة عائشة لمولاتها الزهراء عليها السلام على ما روى عن الطاهرين عليهم السلام وذلك لما روى ان النبي صلى الله عليه وآله كان يحب فاطمة حباً مفرطاً، وكان اذا اشتاق الى الجنة وثمارها اتى الى فاطمة عليها السلام وقبّلها، وما كان ينام ليلة الا بعد ان يأتي اليها ويشمها ويقبلها، وذلك انه صلى الله عليه وآله لما عرج الى السماء ودخل الجنة ناوله جبرئيل عليه السلام تفاحة من تفاحها فأكلها ولما نزل الى الارض واقع خديجة فكانت النطفة من تلك التفاحة، ومن ثم كان حمرة وجهها منها، وقد انتقلت الى الائمة عليهم السلام فكانت في وجوههم فغارت عايشة وبغضت مولاتها فاطمة لهذا وسرت هذه العداوة من عايشة الى ابي بكر فعادا مولاه امير المؤمنين عليه السلام وعمر كان من احباب ابي بكر لجامع النفاق فشركه في العداوة فاستمرت الى يوم القيامة.

واما قوله واما عثمان فهو وان شاركه في كونه ختناً أقول الاختان اللتان اخذهما عثمان هما رقية تزوجها عتبة بن ابي لهب فطلقها قبل ان يدخل بها ولحقها منه اذى فقال النبي صلى الله عليه وآله اللهم سلط على عتبة كلباً من كلابك فتناوله الاسد من بين اصحابه وتزوجها بعده بالمدينة عثمان

بن عفان فولدت له عبد الله ومات صغيراً نقره ديك على عينيه فمرض ومات، وتوفيت بالمدينة زمن بدر فتخلف عثمان على دفنها ومنعه ذلك ان يشهد بدراً، وقد كان عثمان هاجر الى الحبشة ومعه رقية، والاخرى ام كلثوم تزوجها ايضاً عثمان بعد اختها رقية وتوفيت عنده.

وقد اختلف العلماء لاختلاف الروايات في انهما هل هما من بنات النبي ﷺ من خديجة او انهما ربيبتاه من احد زوجيها الاولين فانه اولاً قد تزوجها عتيق بن عائذ المخزومي فولدت له جارية، ثم تزوجها ابو هالة الاسدي فولدت له هنداً بنت هالة، ثم تزوجها رسول الله ﷺ وهذا الاختلاف لا أثر له لأن عثمان في زمن النبي ﷺ قد كان ممن أظهر الاسلام وأبطن النفاق وهو ﷺ قد كان مكلفاً بظواهر الاوامر كحالنا نحن ايضاً وكان يميل الى مواصلة المنافقين رجاء الايمان الباطني منهم، مع أنه ﷺ لو اراد الايمان الواقعي لكان أقل قليل، فأن اغلب الصحابة كانوا على النفاق لكن كانت نار نفاقهم كامنة في زمنه، فلما انتقل الى جوار ربه برزت نار نفاقهم لوصيه ورجعوا القهقرى، ولذا قال عليه السلام إرتد الناس كلهم بعد النبي ﷺ الا اربعة سلمان وابو ذر والمقداد وعمار وهذا مما لا اشكال فيه.

وانما الاشكال في تزويج علي عليه السلام ام كلثوم لعمر بن الخطاب وقت تخلفه لانه قد ظهرت منه المناكير وارتد عن الدين ارتداداً اعظم من كل من ارتد، حتى انه قد وردت في روايات الخاصة ان الشيطان يغلَ بسبعين غلاً من حديد جهنم ويساق الى المحشر فينظر ويرى رجلاً امامه تقوده ملائكة العذاب وفي عنقه مائة وعشرون غلاًمن اغلال جهنم فيدنو الشيطان اليه ويقول ما فعل الشقي حتى زاد عليَ في العذاب وانا اغويت الخلق واوردتهم موارد الهلاك، فيقول عمر للشيطان ما فعلت شيئاً سوى اني غصبت خلافة علي بن ابي طالب، والظاهر انه قد استقل سبب شقاوته ومزيد عذابه، ولم يعلم ان كل ما وقع في الدنيا الى يوم القيامة من الكفر والنفاق واستيلاء اهل الجور والظلم انما هو من فعلته هذه، وسيأتي لهذا مزيد تحقيق ان شاء الله تعالى.

فاذا ارتد على هذا النحو من الارتداد فكيف ساغ في الشريعة مناكحته وقد حرم الله تعالى نكاح اهل الكفر والارتداد واتفق عليه علماء الخاصة.

فنقول قد تفصّى الاصحاب عن هذا بوجهين عامي وخاصي.

اما الاول فقد استفاض في اخبارهم عن الصادق عليه السلام لما سئل عن هذه المناكحة فقال انه اول فرج غصبناه، وتفصيل هذا ان الخلافة قد كانت اعزّ على امير المؤمنين عليه السلام من الاولاد والبنات والازواج ووالاموال، وذلك لان بها انتظام الدين واتمام السنة ورفع الجور واحياء الحق وموت الباطل، وجميع فوائد الدنيا والاخرة، فاذا لم يقدر على الدفع عن مثل هذا الامر الجليل الذي ما تمكن من الدفع عنه زمان معاوية وقد بذل عليه الارواح وسفك فيه المهج، حتى أنه قتل

لاجله ستين الفاً في معركة صفين وقتل من عسكره عشرون الفاً، وواقعة الطفوف اشهر من أن تذكر، فاذا قبلنا منه العذر في ترك هذا الامر الجليل وقد كان معذوراً كما سيأتي الكلام فيه عند ذكر اسباب تقاعده عليه السلام عن الحرب في زمان الثلاثة ان شاء الله تعالى. والتقية باب فتحه الله سبحانه للعباد وامرهم بارتكابه والزمهم به، كما اوجب عليهم الصلوة والصيام حتى انه ورد عن الائمة الطاهرين عليهم السلام لا دين لمن لا تقية له، فقبل عذره عليه السلام في مثل هذا الامر الجزئي، وذلك انه قد روى الكليني (ره) عن ابن ابي عمير عن هشام بن سالم عن ابي عبد الله عليه السلام قال لما خطب اليه قال له امير المؤمنين عليه السلام انها صبية، قال فلقى العباس فقال له ما لي أبي بأس، قال وما ذاك قال خطبت الى ابن اخيك فردني اما والله لاعودنَ زمزم ولا ادع لكم مكرمة الا هدمتها ولا قيمن عليه شاهدين بأنه سرق ولاقطعنّ يمينه، فأتاه العباس واخبره وسأله ان يجعل الامر اليه فجعل اليه.

واما الشبهة الواردة على هذا وهي انه يلزم ان يكون عمر زانياً في ذلك النكاح وهو مما لا يقبله العقل بالنظر الى ام كلثوم فالجواب عنها من وجهين.

احدهما ان ام كلثوم لا حرج عليها في مثله لا ظاهراً، ولا واقعاً وهو ظاهر، واما هو فليس بزان في ظاهر الشريعة لانه دخول ترتب على عقد باذن الولي الشرعي، واما في الواقع وفي نفس الامر فعليه عذاب الزاني، بل عذاب كل أهل المساوي والقبائح. الثاني ان الحال لما آل الى ما ذكرنا من التقية فيجوز ان يكون قد رضى عليه السلام بتلك المناكحة رفعاً لدخوله في سلك غير الوطي المباح.

واما الثاني وهو الوجه الخاصي فقد رواه السيد العالم بهاء الدين علي بن عبد الحميد الحسيني النجفي في المجلد الاول من كتابه المسمى بالانوار المضيئة قال مما جاز لي روايته عن الشيخ السعيد محمد بن محمد بن النعمان المفيد (ره) رفعه الى عمر بن اذينة قال قلت لابي عبد الله عليه السلام ان الناس يحتجون علينا ان امير المؤمنين عليه السلام زوّج فلانا ابنته ام كلثوم وكان عليه السلام متكياً فجلس وقال اتقبلون ان علياً عليه السلام انكح فلاناً ابنته، ان قوماً يزعمون ذلك ما يهتدون الى سواء السبيل ولا الرشاد، ثم صفق بيده وقال سبحان الله ما الله ما كان امير المؤمنين عليه السلام يقدر ان يحول بينه وبينها كذبوا لم يكن ما قالوا ان فلانا خطب الى علي عليه السلام بنته ام كلثوم فأبى فقال للعباس والله لئن لم يزوجني لانزعن منك السقاية وزمزم، فأتى العباس علياً عليه السلام فكلمه، فأبى عليه فألح عليه العباس، فلما رأى امير المؤمنين عليه السلام مشقة كلام الرجل على العباس وانه سيفعل معه ما قال، ارسل الى جنية من اهل نجران يهودية يقال لها سحيفة بن حريرية، فأمرها فتمثلت في مثال ام كلثوم وحجبت الابصار عن ام كلثوم بها، وبعث بها الى الرجل فلم تزل عنده حتى انه استراب بها يوماً

وقال ما في الارض اهل بيت أسحر من بني هاشم، ثم اراد ان يظهر للناس فقتل فأخذت الميراث وانصرفت الى نجران واظهر امير المؤمنين عليه السلام أم كلثوم اقول وعلى هذا فحديث اول فرج عصبناه محمول على التقية والاتقاء من عوام الشيعة كما لا يخفى.

ظلمة حالكة في ما بقي من فضائل الشيخين اعلم ان من أقوى الدلائل والمناقب التي ذكروها لابي بكر هي حكاية الغار، لانها المصرح بها في محكم القرآن حيث قال ثاني اثنين إذ هما في الغار. الاية.

ويعجبني نقل كلام وقع اليَ من جانب شيخنا المفيد نور الله ضريحه، قال رأيت فيما يرى النائم كأني اجتزت في بعض الطرق فاذا انا بحلقة كبيرة دائرة وفيها رجل يعظ، فقلت من هذا فقيل عمر بن الخطاب فاستفرجت الناس فافرجوا اليَ فدخلت اليه فقت أتأذن لي في مسألة فقال سل، فقلت أخبرني عن فضل صاحبك عتيق بن ابي قحافة من قول الله ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه، فاني أرى من ينتحل مودتكما يذكر ان له فضلاً كثيراً، فقال الدلالة على فضل صاحبي عتيق ابن ابي قحافة من هذه الاية من ستة اماكن.

الاول: ان الله عز وجل ذكر النبي صلى الله عليه وآله وذكر ابا بكر فجعله ثانيه فقال ثاني اثنين، الثاني وصفهما بالاجتماع في مكان واحد لتأليفه بينهما فقال اذ هما في الغار، الثالث انه قد اضافه اليه بذكر الصحبة ليجمع بينهما في الرتبة، اذ يقول لصاحبه الرابع انه اخبر عن شفقته عليه ورفقته به لمكانه عنده، فقال اذ يقول لصاحبه لا تحزن الخامس انه اخبر عن كون الله معهما على حد سواء ناصراً لهما ودافعاً عنهما، فقال ان الله معنا، السادس انه اخبر عن نزول السكينة على ابي بكر لان الرسول صلى الله عليه وآله لم تفارقه السكينة قطّ فقال فأنزل الله سكينته عليه فهذه اماكن لا يمكنك ولا غيرك الطعن فيها على وجه من الوجوه ولا سبب من الاسباب، فقلت له حررت كلامك هنا واستقصيت البيان فيه واتيت بما لا يقدر احد ان يزيد عليه غير اني بعون الله سأجعله كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف.

اما قولك ان الله تعالى ذكر النبي وذكر ابا بكر فجعله ثانيه فهو عند التحقيق إخبار عن العدد فقط، ولعمري لقد كانا اثنين فما في ذلك من الفضل، ونحن نعلم ضرورة ان مؤمناً ومؤمناً اثنان ومؤمناً وكافراً اثنان، فما أرى في ذلك العدد طائلاً يعتمد عليه.

واما قولك انه وصفهما بالاجتماع في مكان واحد فهو كالفضل الاول واضعف لان المكان يجمع المؤمنين والكفار كما يجمع العدد المؤمنين والكفار وذلك ان مسجد النبي صلى الله عليه وآله افضل واشرف من الغار وقد جمع النبي والمنافقين والكفار، قال الله عز وجل فما للذين كفروا قبلك

مهطعين عن اليمين وعن الشمال عزين، أيطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم، وايضاً فان سفينة نوح عليه السلام افضل واشرف من الغار وقد حملت النبي والشيطان والبهيمة، والمكان لا يدلَ على ما ادعيت من الفضل فبطل فضلان.

واما قولك انه اضافه اليه بذكر الصحبة فهو كالفضلين الاولين واضعف وذلكان اسم الصحبة يقع بين المؤمنين والكفار قال الله عز وجل حكاية عن بعض انبيائه قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم نطفة ثم سواك رجلاً فسماه صاحباً وهو كافر، وقد سمَت العرب الحمار ايضاً صاحباً فقالت في ذلك:

إن الحمار مع الحمير مطيَة ... واذا خلوت به فبس الصاحب

وسموا ايضاً الجماد صاحباً فقالوا من ذلك للسيف. شعر

زرت هندا وذاك بعد إجتناب ... ومعي صاحب كلوم اللسان

فاذا كان اسم الصحبة قد وقع بشهادة كتاب الله عز وجل بين نبي وكافر وبشهادة لسان العرب بين عاقل وبهيمة وبين جماد وحيوان، فأي فضل لصاحبك فيه.

واما قولك انه قال لا تحزن فهو وبل عليه ومنقصة له، وذلك دليل على خطائه، لأن قوله لا تحزن نهي له وذلك ان صورة النهي عند العرب قول القائل لا تفعل كما ان صورة الامر عندهم القائل افعل، وليس يخلو حزن ابي بكر من ان يكون طاعة او معصية، فلو كان طاعة لم ينه النبي صلى الله عليه وآله عنه فثبت انه معصية ويجب عليك ان تستدل على أنه انتهى لان في الاية دليلاً على عصيانه بشهادة النبي صلى الله عليه وآله وليس فيها دليل على انه قد انتهى.

واما قول النبي صلى الله عليه وآله ان الله معنا فعلى الاختصاص وعبّر عن نفسه بلفظ الجمع ونون العظمة وذلك مشهور في كلام العرب قال الله غز وجل انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وانا لنحن نحي ونميت ونحن الوارثون وقد قالت الشيعة في ذلك قولاً غير بعيد وهو انهم قالوا ان ابا بكر قال له يا رسول الله ما معك اخوك علي بن ابي طالب وذلك انه خلفه على الفراش فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله لا تحزن ان الله معنا، أي معي ومع اخي علي بن ابي طالب.

واما قولك ان السكينة نزلت على ابي بكر فهو كفر محض لان الله تعالى اخبر ان الذي أنزل عليه السكينة هو الذي أيده بلجنود ودلَ على ذلك بحرف العطف فقال عز وجل فأنزل الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها، فان كان ابو بكر هو صاحب السكينة فهو صاحب الجنود، وهذا إخراج للنبي صلى الله عليه وآله من النبوة، وبعد فقد أخبر الله عز وجل انه انزل السكينة على نبيه في مكانين وكان معه فيها قوم مؤمنون فشركهم معه فيها، فقال في موضع فأنزل الله سيكنته على رسوله وعلى المؤمنين، وقال في موضع آخر ثم وليتم مدبرين ثم انزل الله سكينته على رسوله

وعلى المؤمنين ولما كان في هذا الموضع خصّه وحده بالسكينة، فقال عز وجل فأنزل الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها فلو كان معه في الموضع مؤمن لشركه معه في السكينة كما شرك من تقدم فدلّ اخراجه من السكينة على خروجه من الايمان فلم يحر جواباً وتفرقوا واستيقظت انتهى.

اقول: انما أجرى الله سبحانه تلك الاستدلالات من الاية على لسان عمر ليسمع الجواب عنها، والا فهو عاجز عن تقرير مثل هذه الاستدلالات.

ومن عجيب ما رووه في كتبهم ان النبي ﷺ ما صحب ابا بكر في الغار الا خوفاً منه ان يدلَ الكفار عليه رواه ابو القاسم نصر بن الصباح في كتاب النور والبرهان رواه عن ابن شهاب قال حدثنا شهاب بن عمر (معمر خ ل) عن ابي يحيى عن محمد بن اسحاق، قال قال حسان قدمت مكة معتمراً وناس من قريش يعذبون اصحاب محمد ﷺ يقول حسان في هذا الحديث ما هذا لفظه، فأمر رسول الله ﷺ علياً عليه السلام فنام على فراشه وخشى من ابن ابي قحافة ان يدلهم عليه فأخذه معه ومضى به الى الغار، اقول ويقوى هذا انه لما كان معه في الغار وسمع أصوات المشركين اراد الكلام، لان يدل على النبي ﷺ فقال لا تحزن، ثم أنه مد رجله الى باب الغار كي يعلموا بمكانهما، فخرجت حية لدغته في رجله، فبكى فأبرأها النبي ﷺ بدعائه لئلا يرفع صوته.

المنقبة الثانية من مناقب الشيخين كونهما ضجيعين لرسول الله ﷺ وقد روى انه مرّ فضال بن الحسن بن فصال الكوفي بأبي حنيفة وهو في جمع كثير يملي عليهم من فقهه وحديثه، فقال لصاحب له والله لا ابرح حتى اخجل ابا حنيفة، فقال صاحبه الذي كان معه ان ابا حنيفة ممن قد علت حاله وظهرت حجته، قال مه هل رأيت حجة علت على حجة مؤمن، ثم دنى منه فسلم عليه فرده ورد القوم بأجمعهم فقال يا ابا حنيفة ان أخاً لي يقول ان خير الناس بعد رسول الله ﷺ علي بن ابي طالب، وانا اقول ابو بكر خير الناس وبعده عمر، فما تقول انت رحمك الله فأطرق ملياً ثم رفع رأسه، فقال كفى بمكانهما من رسول الله ﷺ كرماً وفخراً أما علمت انهما ضجيعاه في قبره فأي حجة تريد أوضح من هذا فقال له أني قد قلت ذلك لاخي فقال والله لئن كان المكان لرسول الله ﷺ دونهما فقد ظلما بدفنهما في موضع ليس لهما بحق، وان كان الموضع لهما فوهباه لرسول الله ﷺ فقد اساءا وما احسنا إذ رجعا في هبتهما ونسيا عهدهما فأطرق ابو حنيفة ساعة ثم قال له لم يكن له ولا لهما خاصة، ولكنهما نظرا في حق عائشة وحفصة فاستحقا الدفن في ذلك الموضع بحقوق ابنتيهما فقال فضّال قد قلت له ذلك فقال انت تعلم ان النبي ﷺ مات عن تسع نساء ونظرنا فكان لكل واحدة منهن تسع الثمن .

ثم نظرنا في تسع الثمن فاذا هو شبر في شبر فكيف يستحق الرجلان اكثر من ذلك، وبعد فما بال عائشة وحفصة ترثان رسول الله ﷺ وفاطمة بنته تمنع الميراث فقال ابو حنيفة يا قوم نحوّه عني فانه رافضي خبيث لعنه الله تعالى.

اقول ويوضح هذا ما رووه في الجمع بين الصحيحين للحميدي وغيره ان النبي ﷺ لما هاجر الى المدينة اقام ببعض دور اهلها واستعرض مريداً للتمر كان لسهل وسهيل كانا يتيمين في حجر سعد بن زرارة ليشتريه فوهباه له.

وروى الحميدي رواية أخرى وهو ان النبي ﷺ اراد ان يشتري موضع المسجد من قوم بني النجار فوهبوه له، وقد تضمّن القرآن كون البيوت للنبي ﷺ بقوله يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام، ومن المعلوم ان زوجته عائشة لم يكن لها دار بالمدينة ولا لأبيها، ولا لقومها لانهم من اهل مكة ولا روى أحد انها بنت بيتاً لنفسها، ومع هذا فلمّا ادعت حجرة النبي ﷺ بعد وفاته التي دفن فيها صدّقها ابو بكر وسلّمها اليها بمجرد سكناها أو دعواها، ومنع فاطمة عليها السلام عن فدك ولم يصدقها مع شهادته لها بالعصمة والطهارة وردّ شهودها بأن اباها وهبها ذلك في حيوته ومنع فاطمة من ميراثها واعطى ابنته الحجرة ميراثاً، ودفن امواتهم فيها وضربوا المعاول عند رأسه.

واعجب من هذا ان جماعة من جهالهم ظنّ ان البيت لعائشة باضافته اليها في المحاورات ولم يدر أنه من باب قوله تعالى واذا طلقتم النساء فطلقوهنّ لعدتهنّ واحصوا العدّة واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهنّ ولا يخرجن الا ان يأتين بفاحشة مبينة، ومعلوم ان البيوت انما هي للازواج.

وحيث انجر الكلام الى هنا فلا بأس بذكر بعض احوا فدك من طريقهم لانه منه يظهر ايضاً فضائل الشيخين، فنقول ذكر صاحب التاريخ المعروف بالعباسي في حوادث سنة ثماني عشرة ومأتين ان جماعة من ولد الحسن والحسين عليهم السلام رفعوا قصة الى المأمون يذكرون فدك والعوالي وانها كانت لامهم فاطمة عليها السلام ومنعها أبو بكر بغير حق، فسألوا المأمون انصافهم وكشف ظلامتهم، فأحضر المأمون مائتي عالم من علماء الحجاز والعراق وغيرهم من علماء الجمهور، وتوكل عليهم في اداء الصدق وسألهم عما عندهم من الحديث في ذلك، فروى غير واحد منهم عن بشر بن الوليد والواقدي وبشر بن عتاب في احاديث يرفعونها الى النبي ﷺ انه لما افتتح خيبر اصطفى لنفسه قرى من قرى اليهود فنزل جبرئيل عليه السلام بهذه الايات وآت ذا القربى حقه، فقال النبي ﷺ ومن ذا القربى وما حقه، فقال فاطمة تدفع اليها فدك، فدفع اليها فدك ثم اعطاها العوالي بعد ذلك فاستغلتها حتى توفى ابوها.

فلما بويع ابو بكر منعها وكلمته فاطمة عليها السلام في رده، فقالت ان ابي دفعها عليَّ فقال لا امنعك ما اعطاك ابوك، واراد ان يكتب لها كتاباً فاستوقفه عمر بن الخطاب وقال انا امرأة فادعوها بالبينة على ما ادعت فأمرها ابو بكر ان تفعل فجائت بأم ايمن واسماء بنت عميس مع علي بن ابي طالب عليه السلام فشهدوا لها جميعاً بذلك، فكتب لها ابو بكر فبلغ ذلك عمر فأخبره ابو بكر الخبر، فأخذ الصحيفة فمحاها، فقال ان فاطمة امرأة وعلي بن ابي طالب زوجها، وهو جار الى نفسه النفع ولا يكون بشهادة امرأتين دون رجل، فأرسل ابو بكر الى فاطمة عليها السلام فأعلمها ذلك فحلفت بالله الذي لا اله الا هو انهم ما شهدوا الا بالحق، فقال ابو بكر لعلك ان تكوني صادقة ولكن احضري شاهداً لا يجر الى نفسه النفع فقالت فاطمة عليها الم تسمع من رسول الله صلى الله عليه وآله يقول اسماء بنت عميس وام ايمن من اهل الجنة فقالا بلى، فقالت امرأتان من اهل الجنة تشهدان بباطل فانصرفت صارخة تنادي اباها وتقول، قد اخبرني ابي عليه السلام اني اول من يلحقه فوالله لاشكونهما اليه، فلم تلبث ان مرضت فأوصت علياً عليه السلام ان لا يصليا عليها وهجرتهما فلم تكلمهما حتى ماتت.

ثم احضر في يوم آخر الف رجل من اهل الفقه والعلم وشرح لهم الحال وامرهم بتقوى الله ومراقبته، فتناظروا واستظهروا ثم افترقوا فرقتين فقالت طائفة منهم الزوج عندنا جار الى نفسه فلا شهادة له، ولكنا نرى يمين فاطمة عليها السلام قد اوجبت لها ما ادعت مع شهادة المرأتين، وقالت طائفة نرى اليمين مع الشهادة لا توجب حكماً، ولكن شهادة الزوج عندنا جائزة ولا نراه جاراً الى نفسه، وقد وجب بشهادته مع المرأتين لفاطمة عليها السلام ما ادعت فكان اختلاف الطائفة اجماعاً منهم على استحقاق فاطمة عليها السلام فدك والعوالي، فسألهم المأمون بعد ذلك عن فضائل لعلي بن ابي طالب عليه السلام فذكروا منها طرفاً جليلاً وسالهم عن فاطمة عليها السلام فرووا لها عن ابيها فضائل جميلة وسألهم عن ام ايمن واسماء بنت عميس فرووا عن نبيهم صلى الله عليه وآله انهما من اهل الجنة.

فقال المأمون أيجوز ان يقال او يعتقد ان علي بن ابي طالب مع ورعه وزهده يشهد لفاطمة عليها السلام بغير حق وقد شهد الله ورسوله صلى الله عليه وآله بهذه الفضائل أو يجوز مع علمه وفضله ان يقال انه يمشي على شهادة وهو يجهل الحكم فيها، وهل يجوز ان يقال ان فاطمة عليها السلام مع طهارتها وعصمتها وانها سيدة نساء العالمين وسيدة نساء اهل الجنة كما رويتم تطلب شيئاً ليس لها، تظلم فيه جميع المسلمين وتقسم عليه أو يجوز ان يقال عن ام ايمن واسماء بنت عميس انهما شهدتا بالزور وهما من اهل الجنة، وان الطعن على فاطمة وشهودها طعن على كتاب الله والحاد في دين الله، ثم عارضهم المأمون بحديث رووه ان علي بن ابي طالب عليه السلام أقام منادياً بعد وفاة محمد صلى الله عليه وآله ينادي من كان له على رسول الله صلى الله عليه وآله دين او عدة فليحضر فحضر جماعة فأعطاهم علي بن ابي

طالب عليه السلام ما ذكروه بغير بينة، وان ابا بكر امر منادياً ينادي بمثل ذلك فحضر جرير بن عبد الله وادعى على النبي صلى الله عليه وآله عدة فأعطاه ابو بكر ما ادعاه بغير بينة وحضر جابر بن عبد الله وذكر ان محمد صلى الله عليه وآله وعده ان يحثو له ثلاث حثوات من مال البحرين فلما قدم مال البحرين بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله اعطاه ابو بكر ثلاث حثوات بغير بينة.

وفي الجمع بين الصحيحين في الحديث التاسع من افراد مسلم في مسند جابر وان جابراً قال فعددتها فاذا هي خمسمائة فقال ابو بكر لجابر خذ مثلها، فتعجب المأمون من ذلك فقال اما كانت فاطمة وشهودها يدرون مجرى جرير بن عبد الله وجابر بن عبد الله ثم جعل فدك والعوالي في يد محمد بن يحيى بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليهم السلام يعمرها ويستغلها ويقسم دخلها بين ورثة فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله .

ومما يقال في هذا المقام انهم رووا في صحاحهم ان علي بن ابي طالب عليه السلام ممدوح مزكّى زمن حياته وبعد وفاته وانه افضل الصحابة وان جاز الشك على الموصوف بتلك الصفات فانما هو شك فيمن اسندوا اليه تلك الروايات وتكذيب لانفسهم فيما صححوه مع انهم رووا عن عطية عن ابي سعد قال لما نزلت وآت ذا القربى حقه دعا رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام فاعطاها فدك.

ومما يقال ايضاً أن علياً عليه السلام مع اتصافه بتلك الصفات كيف يترك زوجته المعظمة تطلب شيئاً لا يثبت لها ولا تقبل في الشرع شهادة شهودها، وكيف يقدم على الشهادة لها مع ان شهادته في الشريعة غير جايزة لها.

ومما يعجب منه في اعتذارهم لابي بكر ما قاله المحمود الخوارزمي في كتاب الفائق قال ان فاطمة صادقة وانها من اهل الجنة قال فكيف تشك في دعواها فدك والعوالي وكيف يجوز ان يقال عنها انها ارادت ظلم جميع المسلمين واصرتّ على ذلك الى الوفاة فقال الخوارزمي ما هذا لفظه، كون فاطمة صادقة في دعواها وانها من اهل الجنة لا يوجب العمل بما تدعيه الاّ ببينة لان حالها لا يكون أعلة من حال النبي صلى الله عليه وآله ولو ادّعى النبي صلى الله عليه وآله مالاً على ذمي وحكم حكماً ما كان للحكم أن يحكم له لنبوته وكونه من اهل الجنة الا ببينة.

اقول هذا الكلام مما يضحك منه العقول ويكشف عن انهم ما صدقوا نبيهم في التحريم والتحليل والعطا والمنع، مع انهم ما عرفوا ثبوت البينة وصحة العمل بها الا من نبيهم فكيف يكون ثبوت صدقه الان في الدعوى على الذمي بالبينة مع انهم ذهبوا الى ان حاكم الشرع يجوز له العمل بما علم وهو من جملة اسباب الحكم.

ومما يقال ايضاً من طرائف ما تجدد لفاطمة عليها السلام معهم انها لما رأت تكذيبهم لها وشكهم فيها وفي شهودها بأن اباها وهبها ذلك في حياته ارسلت الى ابي بكر ورووا انها حضرت بنفسها تطلب فدك بطريق الميراث من ابيها لان المسلمين اجمعوا على ان فدك كان لابيها او لها.

فمن الروايات في ذلك ما ذكره البخاري في صحيحه في الجزء الخامس من اجزاء ثمانية باسناده ان فاطمة بنت رسول الله صلوات الله عليهما ارسلت الى ابي بكر تسأله ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وآله مما افاء الله عليه بالمدينة من فدك وما بقي من خمس خيبر فقال ابو بكر ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال لا نورث ما تركناه صدقة، وانما يأكل آل محمد عليهم السلام من هذا المال واني والله لا اغيِّر شيئاً من صدقة رسول الله صلى الله عليه وآله عن حالها التي كانت عليه على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ولاعملنَ فيها بما عمل به رسول الله فأبى ابو بكر ان يدفع الى فاطمة منها شيئاً فغضبت فاطمة عليها السلام في ذلك على ابي بكر فلم تكلمه حتى توفيت وعاشت بعد النبي صلى الله عليه وآله ستة اشهر فلما ماتت دفنها زوجها علي عليه السلام ليلاً ولم يؤذن بها ابو بكر وصلَى عليها علي عليه السلام .

وروى مسلم في صحيحه هذا الحديث ايضاً في الجزء الثالث وهذا بزعم ابي وصاحبه يقتضي ان محمداً صلى الله عليه وآله اعمل اهل بيته الذين قال الله له عنهم وانذر عشيرتك الاقربين وفي القرآن يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة.فيلزم على هذا انه لم ينذر عشيرته ولا وقى اهله ولا عرفهم انهم لا يرثونه ولا عرف علياً عليه السلام ولا عباس ولا احداً من بني هاشم ولا ازواجه ولا سمعوا بهذا الحديث الذي رواه ابو بكر مدّة حياة نبيهم ولا بعد وفاته، حتى خرج بعضهم بطلب ميراته وبعضهم يرضى بذلك الطلب، وخرجب ابنته الطاهرة المعصومة تطلب ظلم جميع المسلمين على قولهم مع مخالطتها لابيها سراً وجهراً وليلاً ونهاراً ولا اسمعها ولا اسمع زوجها ذلك الحديث واسمعه ابا بكر ما هذا الا شيء عجاب ما سمعنا بهذا في كل الملل والاديان.

وبعض الجمهور لما صحَ عنده عموم آية الارث وما طاوعته نفسه على تكذيب ابي بكر ذكر الحديث تأويلاً، وهذا هو الامام الرازي في تفسيره الكبير عند قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين بعد ان نقل الحديث الذي رواه ابو بكر نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة، قال يحتمل ان يكون قوله ما تركناه صدقة صلة، لقوله لا نورث، والتقدير ان الشيء الذي تركناه صدقة لا نورَث، ويكون المراد ان الانبياء اذا عزموا على التصدق شيء فبمجرد العزم على ذلك يخرج ذلك الشيء عن ملكهم فلا يرثه انتهى والكلام على هذا التأويل واسع الميدان.

والعجب انهم شهدوا في هذه الاحاديث ان فاطمة عليها السلام هجرت ابا بكر وصاحبه الى وقت الموت وخرجت من الدنيا غاضبة عليهما مع ان مسلماً روى في صحيحه في الجزء الرابع من ثلثه الاخير ورواه ايضاً مسلم في صحيحه في الجزء الرابع من آخره ورواه الحميدي في الجمع بين الصحيحين ورواه صاحب كتاب الجمع بين الصحاح الستة في الجزء الثالث ورووه كلهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال فاطمة بضعة مني فمن اغضبها فقد اغضبني وانه قال فاطمة سيدة نساء اهل الجنة .

ويعجبني نقل مباحثة جرت بين شيخنا البهائي قدس الله روحه وبين علماء مصر وهو اعلمهم وافضلهم، وقد كان شيخنا البهائي (ره) يظهر لذلك العالم انه على دينه فقال له ما تقول الرافضة الذين كانوا قبلكم في الشيخين فقال البهائي (ره) قد ذكروا لي حديثين فعجزت عن جوابهم، فقال ما يقولون، قلت يقولون ان مسلماً روى في صحيحه ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال من آذى فاطمة فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله فقد كفر وروى ايضاً مسلم بعد هذا الحديث بخمسته اوراق ان فاطمة عليها السلام خرجت من الدنيا وهي غاضبة على ابي بكر وعمر فما ادري ما التوفيق بين هذين الحديثين فقال له العالم دعني الليلة انظر فلما صار الصبح جاء ذلك العالم وقال للبهائي (ره) الن اقل لك ان الرافضة تكذب في نقل الاحاديث البارحة طالعت الكتاب فوجدت بين الخبرين اكثر من خمسة اوراق، هذا اعتذاره عن مارضة الحديثين.

فان قلت هذا الحديث الذي ادعيتم ان ابا بكر قد اختلقه مروي عندكم فما الجواب عنه وذلك انه قد روى الصدوق باسناده الى الصادق عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً الى الجنة وان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضى به وانه ليستغفر لطالب العلم من في السموات ومن في الارض حتى الحوت في البحر وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم ليلة البدر وان العلماء ورثة الانبياء وان الانبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ولكن ورّثوا العلم فمن اخذ به اخذ بحظ وافر.

والجواب بعد صحة الرواية وبعد ان لا نحملها على التقية بوجوه:

الاول: انهم لم يقصدوا الى توريث الدراهم والدنانير لاولادهم واهل ميراثهم مثل غيرهم من الناس فانهم يقصدون الى جمع الاموال وتبقيتها بعدهم لاهل ميراثهم اما اذا بقي من الانبياء شيء من الميراث اتفاقاً فلا بأس به ولا ينافي الحديث.

الثاني: ان الانبياء من حيث النبوة لم يورثوا الا العلم اما من حيث الانسانية والبشرية فيجوز ان يخلفو اشياء من الاموال ومن هذا قال بعض المحققين العلماء اولاد روحانيون للانبياء لانهم يقتبسون العلوم من مشكوة انوارهم ويرثون ملكات ارواحهم كما ان الاولاد الحقيقية

والاقارب الصورية يرثون الاموال بل النسبة الاولى آكد من الثانية ولذلك كان حق المعلم الرباني على المتعلم اولى من حق ابيه الجسماني عليه والحاصل انه من باب تعليق الحكم على الوصف المشعر بالعليَة.

الثالث: انهم لم يخلفوا جنس الدرهم والدينار الذي يخلفه اهل الثروات اما غيرهما من الاملاك والزراعات والمنازل فلا بأس بأن يخلفوها ومما يقال ايضاً في هذا المقام ما رواه الشيخ اسعد في كتاب الفائق باسناده الى عروة عن عائشة انها قالت لما بلغ فاطمة ان ابا بكر قد اظهر منعها فدك وضعت خمارها على رأسها واشتملت بجلبابها واقبلت في حفدة من نسائها تطأ ذيولها تمشي مشية رسول الله ﷺ حتى دخلت على ابي بكر وهو في جماعة من المهاجرين والانصار وغيرهم ثم اجهش القوم بالبكاء فخطبت خطبة بليغة اظهرت فيها الشكاية من ابي بكر وصاحبه ومن المهاجرين والانصار في ترك نصرتهم لها في ميراثها وفي آخرها ثم انكفأت الى قبر ابيها وهي تقول:

قد كان بعدك انباء وهنبثة	لو كنت حاضرها لم تكثر
انا فقدناك فقد الارض وابلها	واختل اهلك فاشهدهم ولا

وقالت فيها افعلى عمد تركتم كتاب الله واتخذتموه وراءكم ظهرياً اذ يقول تعالى وورث سليمان داود مع ما اقتص الله من خبر زكريا عليه السلام اذ قال وهب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث م آل يعقوب، وقال واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله، وقال يوصيكم الله ثم عطفت على قبر ابيها وبكت وتمثلت بقول صفية:

وكان قربك بالايات يونسنا	فغاب عنّا فكل الخير محتجب
وكنت بدراً ونوراً يستضاء به	عليك ينزل من ذي العزة
فجبهتنا[٢٦] رجال واستخف	مذ غبت عنّا ونحن اليوم
ابدت رجال لنا فحوى	لما مضيت وحالت دوننا
فقد رزئنا بما لم برزه احد	من البرية لا عجم ولا عرب
فسوف نبكيك ما عشنا وما	منا الشئون بتهمال[٢٧] لها

---

(٢٦) جبهة كمنعة ضرب جبهته وردها ولقيه بما يكره.

(٢٧) هملت عينه فاضت دموعاً.

(٢٨) سكب الماء سكباً صبه.

اقول: والله لو وفدت بهذا الكلام على ملك من ملوك الكفار لما ردها عما طلبت ولكان اعطاها من ماله مضاعف ما ارادت ان منعها عما طلبت لكن سيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون وهذا كلام وقع في البين فلنرجع الى فضائل الشيخين.

فنقول روى صاحب كتاب الاحتجاج طاب ثراه ان المأمون بعد ما زوّج ابنته ام الفضل ابا جعفر عليه السلام كان في مجلس وعنده ابو جعفر عليه السلام ويحيى بن اكثم وجماعة كثيرة فقال ل يحيى بن اكثم ما تقول يا بن رسول الله في الخبر الذي روى انه نزل جبرئيل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال يا محمد ان الله عز وجل يقرئك السلام ويقول لك سل ابا بكر هل هو عني راض فانا عنه راض، فقال ابو جعفر عليه السلام يجب على صاحب هذا الخبر ان يأخذه مثال الخبر الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله في حجة الوداع قد كثرت عليّ الكذابة وستكثر فمن كذب عليّ معتمداً فليتبوأ مقعده من النار،فاذا اتاكم الحديث فاعرضوه على كتاب الله عز وجل وسنتي فخذوا به وما خالف كتاب الله وسنتي فلا تأخذوا به وليس يوافق هذا الحديث كتاب الله قال الله تعالى ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد، فالله عز وجل خفي عليه رضاء ابي بكر من سخطه حتى سأل عن مكنون سره هذا مستحيل في العقول.

ثم قال يحيى بن اكثم وقد روى ان مثل ابي بكر وعمر في الارض مثل جبرئيل وميكائيل في السماء، فقال وهذا ايضاً يجب ان ينظر فيه لان جبرئيل وميكائيل ملكان مقربان لم يعصيا الله قط ولم يفارقا طاعته لحظة واحدة، وهما قد اشركا بالله عز وجل وان اسلما بعد الشرك، وكان اكثر ايامهما الشرك بالله فحال ان يشبها بهما قال يحيى بن اكثم وقد روى ايضاً انهما سيدا كهول اهل الجنة فما تقول فيه، قال عليه السلام وهذا الخبر محال ايضاً لان اهل الجنة كلهم يكونون شباباً ولا يكون فيهم كهل، وهذا الخبر وضعه بنو امية لمضادة الخبر الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله في الحسن والحسين عليهما السلام بأنهما سيدا شباب اهل الجنة، فقال يحيى بن اكثم وروى ان عمر بن الخطاب سراج اهل الجنة، فقال عليه السلام وهذا ايضاً محال لان في الجنة الملائكة المقربين وآدم ونوح وجميع الانبياء والمرسلين لا يضيء بانوارهم حتى يضيء بنور عمر.

فقال يحيى قد روى ان السكينة تنطق على لسان عمر، فقال عليه السلام ان ابا بكر افضل من عمر فقال على رأس المنبر ان لي شيطاناً يعتريني فاذا ملت فسددوني، فقال يحيى قد روى ان النبي صلى الله عليه وآله قال لو لم ابعث لبعث عمر فقال عليه السلام كتاب الله اصدق من هذا الحديث، يقول في كتابه ولقد اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح، فقد اخذ الله ميثاق النبيين فكيف يمكن ان يبدل ميثاقه وكل الانبياء عليهم السلام لم يشركوا بالله طرفة عين فكيف يبعث بالنبوة من اشرك وكان اكثر ايامه مع الشرك بالله، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله نبئت وآدم بين الروح والجسد.

فقال يحيى بن اكثم وقد روى ان النبي ﷺ قال ما احتبس عليّ الوحي قطّ الا ظننته قد نزل على آل الخطاب فقال عليه السلام وهذا محال ايضاً لانه لا يجوز ان يشك النبي ﷺ في نبوته، وقال الله تعالى يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس فكيف يمكن ان ينتقل النبوة ممن اصطفا الله تعالى الى من اشرك به قال يحيى قد روى ان النبي ﷺ قال لو نزل العذاب لما نجى منه الا عمر بن الخطاب فقال عليه السلام وهذا ايضاً محال لان الله تعالى يقول وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم، وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون، فأخبر سبحانه انه لا يعذب احداً ما دام فيهم رسول الله ﷺ وما داموا يستغفرون الله تعالى الى غير ذلك من الاخبار الموضوعة الذي استقصاؤها يفضي الى الملال.

ولا تعجب من كثرة الاخبار الموضوعة فانهم بعد النبي ﷺ قد غيّروا وبدّلوا في الدين ما هو اعظم من هذا كتغييرهم القرآن وتحريف كلماته وحذف ما فيه من مدائح آل الرسول والائمة الطاهرين وفضائح المنافقين واظهار مساويهم كما سيأتي بيانه في نور القرآن فان قلت العجب العجيب والامر الغريب قبول الناس مبتدعاتهم بعد النبي ﷺ مع حدوث العهد به وسبب وضع الاخبار الكثيرة في مدائح المتخلفين وآل امية وآل ابي سفيان مع انهم رووا عن النبي ﷺ الاخبار الدالة على نفاقهم وخبث سريرتهم.

قلت الجواب عن هذا اجمالاً وتفصيلاً اما الاول فقد روى مستفيضاً عن النبي ﷺ من طريق العامة والخاصة انه قال كذب عليّ في حيوتي وستكثر عليّ الكذابة بعد فوتي الا فمن كذب عليّ معتمداً فليتبوأ مقعده من النار، حتى قال جماعة من الرواة انه لا خبر متواتر اللفظ عنه ﷺ سوى هذا بعد اختلافهم في تواتر الحديث المشهور وهو قوله انما الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى.

وقد وقعت مباحثة بين السيد المرتضى قدس الله روحه وجماعة من الجمهور، حيث ذكروا ان الشيعة يقولون ويروون ان الناس كذبوا على رسول الله ﷺ بعد فوته ومن ذا الذي يقدر على ان يتعمد الكذب عليه فتلا المرتضى هذا الحديث، وقال فهذا خبر مسند عن النبي ﷺ فهو اما صدق واما كذب، فان كان صدقاً تمّ المطلوب وان كان كذباً فهو من الاخبار المكذوب بها على النبي ﷺ وهذا من الاجوبة الحاضرة كجواب شيخنا البهائي (ره) لمّ تباحث مع بعض علماء المخالفين، فقال له لم جوّزتم ايها الشيعة قتل عثمان مع انه كان من اكابر الصحابة وقال النبي ﷺ في اصحابه اصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم، فقال البهائي (ره) جوّزنا قتله بهذا الحديث الذي قلته لان الذي قتله وسعى فيهم هم الصحابة محمد بن ابي بكر واضرابه وهؤلاء من الصحابة فلما ارتكبوا القتل ارتكبنا نحن التجويز.

وهذا مما يناسب جواب الصادق عليه السلام وقد سئل في مجلس الخليفة عن الشيخين فقال هما امامان عادلان قاسطان كانا على الحق فماتا عليه عليهما رحمت الله يوم القيامة. فلما قام من المجلس تبعه بعض اصحابه وقال يا ابن رسول الله قد مدحت ابا بكر وعمر هذا اليوم فقال انت لا تفهم معنى ما قلت فقال بيِّنه لي فقال عليه السلام اما قولي هما امامان فهو اشارة الى قوله تعالى ومنهم أئمة يدعون الى النار.

واما قولي عادلان فهو اشارة الى قوله تعالى والذين كفروا بربهم يعدلون واما قولي قاسطان فهو المارد من قوله عز من قائل واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا، واما قولي كانا على الحق فهو من المكاونة والكون ومعناه انهما كاونا على حق غيرهم لان الخلافة حق علي بن ابي طالب وكذا ماتا عليه فانهما لم يتوبا بل استمرا على افعالهم القبيحة الى ان ماتوا وقولي عليهما رحمة الله المراد به النبي صلى الله عليه وآله بدليل قوله تعالى وما ارسلناك الى رحمة للعالمين، فهو القاضي والحاكم والشاهد على فعلوه يوم القيامة، فقال فرّجت عني فرج الله عنك.

ومما يناسب هذا جواب بعض مشائخنا المعاصرين وكان رجلاً مزَاحاً فسأله سلطان البصرة يوماً بحضور جماعة من علماء الجمهور، وكان ذلك السلطان منهم ايضاً فقال يا شيخ ايما افضل فاطمة عليها السلام ام عائشة فقال ذلك الشيخ عائشة افضل فقال ولم هذا فقال لقوله تعالى فضل الله المجاهدين على القاعدين درجة، وعائشة خرجت من المدينة الى البصرة وجهزت العساكر وجاهدت علياً وبني هاشم واكابر الصحابة حتى قتل بسببها خلق كبير، واما فاطمة عليها السلام فقد لزمت بيتها وما خرجت منه الا الى المسجد لطلب فدك والعوالي من ابي بكر ولما منعها منه استقرت في مكانها الى يوم موتها فضحك السلطان والحاضرون وقال السلطان هذا يا شيخ تشنيع لطيف ومثل هذه الجوابات كثير وسنفرد له نوراً ان شاء الله تعالى.

فان قلت قوله صلى الله عليه وآله اصحابي كالنجوم بأيِّهم اقتديتم اهتديتم أهو حديث صحيح ام خبر مختلق قلت بل هو حديث صحيح ويدلّ عليه ما رواه الرازي عن ابيه عن الرضا عليه السلام قال سئل عن قول النبي صلى الله عليه وآله اصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وعن قوله عليه السلام دعوا لي اصحابي فقال هذا صحيح يريد من لم يغير بعده ولم يبدل قيل وكيف نعلم انهم غيّروا وبدّلوا قال لما يروونه من انه صلى الله عليه وآله قال ليذادَن رجال من اصحابي يوم القيامة عن حوضي كما تذاد[٢٩] غرائب الابل عن الماء فاقول يا رب اصحابي اصحابي فيقال لي انك لا تدري ما احدثوا بعدك فيؤخذ بهم ذات الشمال فاقول بعداً لهم وسحقاً افترى هذا لمن لم يغيِّر ولم يبدِّل.

---

(٢٩)ذاده ذوداً وذياداً دفعه.

وما الجواب التفصيلي فهو ان الناس انما قبلوا مبتدعات عمر واصحابه لما قاله بعض المحققين من العارفين بضلالة الضالين، فقال ان السبب في ذلك هو ان المنافقين وهم اكثر المسلمين قد كان لهم طرف وافر من التعصب على اهل البيت عليهم السلام لعلل واسباب يطول شرحها وكون اكثر البلاد انما فتحت في خلافة عمر، فلما خرجوا من الكفر الى الاسلام صادفوا مبتدعات عمر المحدثة ولم يكونوا عالمين بسنن النبي ﷺ فتلقوا سنن عمر رهبة ورغبة من نوابه، كما تلقنوا شهادة ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله فنشأ عليها الصغير ومات عليها الكبير ولم يعتقد اصحاب البلاد التي فتحت ان عمر يقدم على تغيير شيء من سنن نبيهم، ولا ان احداً يوافقه على ذلك فأضلَ عمر نوابه واضل نوابه من تبعهم، فما اقرب وصفهم يوم القيامة بما تضمنه كتابهم اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب، وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرَة فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار.

واما الاخبار الموضوعة في مدائح المتخلفين واضرابهم، فمن جملة اسبابه ما روى في كتاب سليم بن قيس وهذا لفظه، وكتب معاوية الى ولاته في جميع الارضين ان لا يجيزوا لاحد من شيعة علي واهل بيته شهادة ولا لأهل ولايته الذين يروون فضله ويتحدثون بمناقبه وكتب الى عماله انظروا الى من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه واهل ولايته والذين يروون فضله ويتحدثون بمناقبه فادنوا مجالسهم وقربوهم واكرموهم وشرفوهم، واكبوا اليَ بما يروي كل رجل منهم فيه بأسمه واسم ابيه وممن هو ففعلوا ذلك حتى كثر في عثمان الحديث وبعث اليهم بالصلاة والكسى واقطع اكثرهم القطائع من العرب والموالي وكثروا في كل مصر وتنافسوا في المنازل والضياع واتسعت عليهم الدنيا فليس احد يأتي على مصر او قرية فيروى في عثمان مناقباً وفضلاً الا كتب اسمه واعطى عطايا جزئيلة ثم كتب الى عماله ان الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل قرية ومصر وناحية فاذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس الى الرواية في ابي بكر وعمر فان فضلهما وسوابقهما احب اليَ واقرَ لعيني وادحض لحجة اهل هذا البيت واشدَ عليهم من مناقب عثمان وفضله، فقرأ كل امير وقاض كتابه على الناس فاشتغل الناس بوضع الروايات والمناقب وعلموه غلمانهم وصبيانهم وتعلموه كما يتعلمون القرآن حتى علَموه بناتهم ونسائهم وخدّامهم وحشمهم فلبثوا بذلك ما شاء الله.

ثم كتب نسخة الى جميع عماله الى جميع البلدان ان انظروا الى من قامت عليه البينة انه يحب علياً واهل بيته فامحوه من الديوان ولا تجيزوا له شهادة، ثم كتب كتاباً آخر من اتهمتموه ولم

تقم عليه بينة انه منهم فاقتلوه فقتلوهم على التهم والظنون والشبه تحت كل كوكب[٣٠] حتى انه كان الرجل يسقط[٣١] بكلمة فيضرب عنقه ولم يكن ذلك البلاء في بلد أشد ولا اكثر منه بالعراق ولا سيما الكوفة، حتى انه كان الرجل من شيعة علي من اهل المدينة وغيرها يأتيه من يثق به فيدخل بيته ويلقى عليه ستره ويخاف خادمه ومملوكه ولا يحدثه حتى يأخذ عليه الايمان المغلظة ليكتمنَ عليه وجعل الامر لا يزداد الا شدة وكثر عدد محبيهم واظهروا الاحاديث الكاذبة من اصحابهم من الزور والبهتان فلبسوا على الناس ولا يتعلمون الا منهم ومضى عليه قضاتهم وولاتهم وكان اعظم الناس في ذلك فتنة وبلية القرّاء المذبذبين الذين يظهرون الكذب ويختلقون الاحاديث ليحظوا بذلك عندهم وعند ولاتهم ويدنوا مجالسهم ويصيبون بذلك الاموال والقطائع والمنازل حتى صارت احاديثهم شايعة كثيرة، فوقعت بيد من لا يستحل الكذب فقبلوها وهم يرون انها حق ولو علموا انها باطل لم يرووها ولم يتدينوا بها ولم يبغضوا من خالفهم فصار الصدق كذباً والكذب صدقاً، وقد قال رسول الله ﷺ لتشملنكم بعدي فتنة يربوا فيها الوليد ويشبَ عليها الكبير تجري الناس عليها تتخذونها سنّة فاذا غيّر منها شيء قيل اتى الناس منكراً غيَرته السنَة، وكان عادة المتخلفين من الاموية والعباسية انهم اذا مالت طباعهم الى فعل محرم طلبوا من علمائهم من يرو لهم حديثاً في مدحه الراوون عندهم كثيرون لاجل الصلات والقطائع.

كما روى ان الخليفة المهدي العباسي كان مولعاً بلعب الحمام وبالمراهنة عليه ثم طلب من يروي له حديثاً في مدحه وجوازه فأتى اليه وهب بن وهب القرشي وحفص بن غياث القاضي ورويا له في مدحه كثيراً من الاحاديث فأعطاهم اموالاً جزيلة، فلما خرجا منه قال اعطيتهما واعلم ان لحييهما لحيى كذاب، وقد نقل هذا المضمون جماعة من علماء الجمهور وقواعدهم وعاداتهم الى هذا الوقت على نحو ما سلف..

نور علوي

يكشف عن سبب تقاعد امير المؤمنين عليه السلام في خلافة المتخلفين، مع انهم على ما ذكرنا من الارتداد بعد النبي ﷺ وتغيير سنته والواجب على المتمكن من المنع على مثله ان يبذل الجهد والطاقة فيه وقد تقدم ان علياً عليه السلام اشجع الناس وبه قد كانت تضرب الامثال، فكيف ساغ له الجلوس والحال على ما وصفت قلت ربما وقع فيه خلاف بين الاصحاب فبعضهم قال الذي اقعده

---

(٣٠) ذهبوا تحت كل كوكب أي تفرقوا.

(٣١) سقط بكلامه اخطأ.

هو العجز وعدم التمكن من الدفاع، وبعضهم قال السبب فيه هو عهد عهده اليه رسول الله ﷺ في ترك المجاهدة مهم اقول وهذان القولان كلاهما حق والعلل الشرعية معرَفات لا مؤثرات وقد روت الخاصة بل والعامة ايضاً لتقاعده عليه السلام عللاً متكثرة.

منها ما رواه الكليني والصدوق قدس الله روحيهما باسنادهما الى الصادق عليه السلام قال قلت ما بال امير المؤمنين عليه السلام لم يقاتل فلاناً وفلاناً، قال آية في كتاب الله عز وجل لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذاباً اليماً قال قلت وما يعني بتزايلهم قال ودائع المؤمنين في اصلاب قوم كافرين، وكذلك القائم عليه السلام لن يظهر ابداً حتى تخرج ودائع الله عز وجل فاذا خرجت على من ظهر من اعداء الله فقتلهم اقول ان اكثر المؤمنين والشيعة انما خرجوا من اصلاب اولئك الاقوام المرتدين فلو حاربهم علي عليه السلام كما فعل يوم البصرة وصفين والنهروان لضاع المؤمنون في تلك الاصلاب واما المقتولون في المواطن الثلاثة فلم يكن في اصلابهم احد من المؤمنين بعلم الله تعالى فلذا قتل منهم الالوف واوصلهم الحتوف(٣٢).

ومنها ما رواه الرماني قال سئلت الرضا عليه السلام فقلت يا بن رسول الله اخبرني عن علي بن ابي طالب عليه السلام لِمَ لمْ يجاهد اعدائه خمساً وعشرين سنة بعد رسول الله ﷺ ثم جاهد في ايام ولايته فقال لانه اقتدى برسول الله ﷺ في تركه جهاد المشركين بمكة ثلاث عشرة سنة بعد النبوة وبالمدينة تسعة عشر شهراً وذلك لقلة اعوانه عليهم فلما لم تبطل نبوة رسول الله ﷺ مع تركه الجهاد لم تبطل ولاية علي عليه السلام بتركه الجهاد خمساً وعشرين سنة اذ كانت العلة المانعة لهما من الجهاد واحدة، وسئل ابو عبد الله عليه السلام ما بال امير المؤمنين عليه السلام لم يقاتلهم، قال للذي سبق في علم الله ان يكون وما كان له ان يقاتلهم وليس معه الا ثلثة رهط من المؤمنين اقول قوله عليه السلام للذي سبق في علم الله معناه والله اعلم ان الله تعالى قد علم بافعالهم الاختيارية وعلمه تعالى ليس علة لها بل وقوعها منهم على طريق الاختيار في المستقبل علة لتعلق العلم بها في الازل فالعلم تابع للمعلوم وليس علة له كما توهمه مجوس هذه الامة وهم الاشاعرة.

ومنها ما رواه الصدوق (ره) باسناده الى بن مسعود قال اجتمع الناس في مسجد الكوفة فقالوا ما بال امير المؤمنين عليه السلام لم ينازع الثلاثة كما نازع طلحة والزبير وعائشة ومعاوية فلبغ ذلك علياً عليه السلام فأمر ان ينادي الصلوة جامعة فلما اجتمعوا صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال معاشر الناس أنه بلغني عنكم كذا وكذا قالوا صدق امير المؤمنين قد قلنا ذلك قال فان لي بستة من الانبياء أسوة فيما فعلت قال الله عز وجل في محكم كتابه لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة

---

(٣٢) الحتوف جمع الحتف بمعنى الموت.

قالوا ومن هم يا امير المؤمنين قال اولهم ابراهيم عليه السلام اذ قال لقومه واعتزلكم وما تدعون من دون الله فان قلتم ان ابراهيم اعتزل قومه لغير مكروه اصابه منهم فقد كفرتم وان قلتم اعتزلهم لمكروه رآه منهم فالوصي اعذر، ولي بابن خالته لوط اسوة، اذ قال لقومه لو ان لي بكم قوة أو آوي الى ركن شديد فان قلتم ان لوطاً كانت له بهم قوة فقد كفرتم وان قلتم لم يكن له بهم قوة فالوصي اعذر ولي بيوسف عليه السلام اسوة اذ قال رب السجن احب اليّ مما يدعونني اليه فان قلتم ان يوسف دعا ربه وسئله السجن لسخط ربه فقد كفرتم وان قلتم انه اراد بذلك لئلا يسخط ربه عليه فاختار السجن فالوصي اعذر ولي بموسى عليه السلام اسوة اذ قال ففرت منكم لما خفتكم فان قلتم ان موسى عليه السلام فرّ من قومه بلا خوف كان له منهم فقد كفرتم وان قلتم ان موسى خاف فالوصي اعذر ولي بأخيه هارون عليه السلام اسوة اذ قال لاخيه يا ابن ام ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني، فان قلتم لم يستضعفوه ولم يشرفوا على قتله فقد كفرتم وان قلتم استضعفوه واشرفوا على قتله فلذلك سكت عنهم فالوصي اعذر ولي بمحمد صلى الله عليه وآله اسوة حين فرّ من قومه ولحق بالغار من خوفهم وانامني على فراشه فان قلتم فرّ من قومه لغير خوف منهم فقد كفرتم وان قلتم خافهم وانامني على فراشه ولحق هو بالغار من خوفهم فالوصي اعذر.

ومنها ما رواه عن زرارة قال قلت لابي عبد الله عليه السلام ما منع امير المؤمنين عليه السلام ان يدعو الناس الى نفسه قال خوفاً أن يرتدّوا قال علي[٣٣] أحسب في هذا الحديث قال ولا يشهدون ان محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله .

ومنها ما رواه ابن قيس قال يا ابن ابي طالب ما معنك حين بويع اخو بني تيم واخو عدي واخو بني امية ان تقاتل وتضرب بسيفك فانك لم تخطبنا خطبة مذ قدمت العراق الا قلت فيها والله اني اولى الناس بالناس، وما زلت مظلوماً منذ قبض رسول الله صلى الله عليه وآله فما منعك ان تضرب بسيفك دون من ظلمك، قال قد قلت فاسمع الجواب، لم يمنعني من ذلك الجبن ولا كراهة المغازي، ولا ان اكون لا اعلم بأنّ ما عند الله خير لي من الدنيا بما فيها ولكن منعني من ذلك امر رسول الله صلى الله عليه وآله وعهده اليّ اخبرني بما احدث الامة بعده فلم اكن بما صنعوا حين عاينته باعلم به مني ولا اشدّ يقيناً به مني قبل ذلك بل انا بقول رسول الله صلى الله عليه وآله أشد يقيناً بما عاينت وشاهدت فقلت لرسول الله صلى الله عليه وآله فما تعهد اليّ اذا كان ذلك قال فان وجدت اعواناً فانبذ اليهم وجاهدهم، وان لم تجد اعواناً فكفّ يدك واحقن دمك حتى تجد على اقامة كتاب الله وسنتي اعواناً، واخبرني ان الامة ستخذلني وتتبع غيري واخبرني اني منه بمنزلة هارون من موسى، وان

---

(٣٣) اسم احد الرواة الذين هم في سلسلة السند.

الامة سيصيرون بعده بمنزلة هارون ومن يتبعه وبمنزلة العجل ومن تبعه، فقال موسى يا هرون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا الا تتبعنَ افعصيت امري قال يا ابن ام ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني، وقال يا ابن ام لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي اني خشيت ان تقول فرّقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي وانما يعني ان موسى امر هارون حين استخلفه عليهم ان ضلوا ثم وجدوا اعواناً ان يجاهدهم، وان لم يجد اعواناً ان يكفّ يده ويحقن دمه ولا يفرّق بينهم، واني خشيت ان يقول ذلك اخي رسول الله ﷺ فرّقت بين الامة ولم ترقب قولي وقد عهد اليك ان لم تجد اعواناً فكفّ يدك واحقن دمك ودم اهل بيتك وشيعتك، فلما قبض رسول الله ﷺ مال الناس الى ابي بكر فبايعوه وانا مشغول بغسل رسول الله ﷺ ثم شغلت بالقرآن وآليت على نفسي ان لا ارتدي برداء الا للصلوة حتى اجمعه في كتاب ثم حملت فاطمة ثم أخذت بيد ابني الحسن والحسين فلم ادع احداً من اهل بدر واهل السابقة ومن المهاجرين والانصار الا ناشدتهم الله في حقي ودعوتهم الى نصرتي فلم يستجب لي من الناس الا اربعة رهط، الزبير وسلمان وابو ذر والمقداد ولم يبق معي من اهل بيتي احداً طول به واقوى.

واما حمزة فقتل يوم احد وجعفر قتل يوم مؤتة، وبقيت بين حليفين خائفين ذليلين حقيرين العباس وعقيل، وهم قريبوا عهد بالاسلام واكرهوني وقهروني كما قال هرون لاخيه يا ابن ام ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلي بهرون اسوة حسنة ولي بعهد رسول الله ﷺ حجة قوية، وساق الحديث الى ان قال ويلك يا ابن قيس كيف رأيتني صنعت حين قتل عثمان اذ وجدت اعواناً أهل رأيت مني فشلاً او جبناً او تقصيراً في وقعتي يوم البصرة فلما بغوا عليّ فنفرت اليهم في اثني عشر الفاً وهم عشرون ومائة الف فنصرني الله عليهم، وقتلهم بأيدينا وشفى صدور قوم مؤمنين، وكيف رأيت يا ابن قيس وقعتنا بصفين وان الله قتل منهم بأيدينا خمسين الفاً في صعيد واحد الى النار، وكيف رأيت يوم النهروان اذ لقيت المارقين وهم يومئذ مذبذبين كما قال الله عز وجل الذي ضلّ سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا، فقتلهم الله بأيدينا في صعيد واحد الى النار لم يبق منهم الا عشرة ولم يقتلوا من المسلمين غير عشرة، وساق كلامه الى ان قال اما الذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو وجدت يوم بويع أخو تيم الذي عيرتني بدخولي في بيعته أربعين رجلاً كلهم على مثل بصيرة الاربعة الذي وجدت لما كففت يدي ولناهضت، ولكن لم أجد خامساً قال الاشعث قلت فمن الاربعة قال سلمان وابو ذر والمقداد والزبير ابن صفية قبل نكثه بيعتي، فأنه بايعني مرتين.

اما الاولى فالتي وفى بها فإن عتيقا لما بويع أتاني اربعون رجلاً من المهاجرين والانصار فبايعوني فأمرتهم وفيهم الزبير ان يصبحوا عند بابي محلقين رؤوسهم عليهم السلاح فما وفى ولا

صدقني غير اربعة سلمان وابو ذر والمقداد والزبير واما البيعة الاخرى فانه اتاني هو وصاحبه طلحة بعد قتل عثمان فبايعاني غير مكرهين ثم رجعا عن دينهما مدبرين ناكثين مكابرين حاسدين فقتلهما الله الى النار واما الثلاثة سلمان وابو ذر والمقداد فثبتوا على دين محمد ﷺ الحديث.

اقول هذه الاخبار تكشف لك عن اسباب تقاعده عليه السلام وان القولين السابقين كلاهما حقّ وذلك ان النبي ﷺ وان امره بالتقاعد في زمن الثلاثة لكن ما امره به الا بشرط عدم المعاون ولذا امره بالمجاهدة زمن معاوية لما يعلم من حصول الماظهر والمعاون ولم يأمره النبي ﷺ بارتكاب المذلة وتحمل المهانة، ولكن علم ان الصلاح في ترك منابذتهم تلك المدة.

واما شجاعة علي عليه السلام فلم يكن بأشد من شجاعة النبي ﷺ وما تقول من وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بالنسبة الى علي عليه السلام فنقول هو بالنسبة الى النبي ﷺ اوجب فلم ترك منابذة الكفار بمكة وبعد قدومه الى المدينة حتى قويت شوكته وحصل له المعين وقوي الاسلام، فعلي عليه السلام انما ترك جهاد جماعة كانو متجاهرين بالاسلام.

واما النبي ﷺ فانما ترك جهاد اهل عبادة الاصنام فما توردون من الاعتراض علينا بالنسبة الى قعود علي عليه السلام فنحن نورده عليكم بالنسبة الى قعوده ﷺ ومما يوضح ما قلناه ان الحسين عليه السلام كان من الشجاعة بمكان لا يدانى فيه، كيف لا وقد سبق ان النبي ﷺ ورثه شجاعته وسخاوته، ولما صار لطلب حقه وقلّت اعوانه وكثرت الاعداء عليه اصيب بتلك المصيبة التي صدعت اركان الدين وزلزلت السموات والارض، وهي كالحجة على ان علياً عليه السلام انما قعد عن المنازلة لمثل هذا مع ان علياً عليه السلام قد كان له قوة الهية وبها قلع باب خيبر وقوة بشرية ولم يكن بها قادراً على كسر قرص الشعير اليابس فبالنظر الى القوة الاولى قد كان قادراً لولا تلك الموانع من ارتداد الناس عن الدين ومن جهة الودائع التي كانت في اصلاب المرتدين واما بالنظر الى القوة الثانية فهو كغيره من افراد البشر يوصف بالعجز ونحوه.

نور سماوي

يكشف عن ثواب يوم قتل عمر بن الخطاب، رويناه من كتاب الشيخ الامام العالي ابي جعفر محمد بن جرير الطبري قال المقتل الثاني يوم التاسع من شهر ربيع الاول[٣٤] اخبرنا الامين السيد ابو المبارك احمد بن محمد بن اردشير الدستاني قال اخبرنا السيد ابو البركات بن محمد الجرجاني قال اخبرنا هبة الله القمي واسمه يحيى قال حدثنا احمد بن اسحاق بن محمد البغدادي، قال حدثنا الفقيه الحسن بن الحسن السامري انه قال كنت انا ويحيى بن احمد بن جريح البغدادي فقصدنا احمد بن اسحاق القمي وهو صاحب الامام الحسن العسكري عليه السلام بمدينة قم فقرعنا عليه الباب فخرجت الينا من داره صبية عراقية فسئلناها عنه فقالت هو مشغول وعياله فأنه يوم عيد، قلنا سبحان الله الاعياد عندنا اربعة عيد الفطر وعيد النحر والغدير والجمعة، قالت روى سيدس احمد بن اسحاق عن سيده العسكري عن ابيه علي بن محمد عليهم السلام ان هذا يوم عيد وهو من خيار الاعياد عند اهل البيت عليهم السلام وعند مواليهم، قلا فأستأذني بالدخول عليه وعرَفيه مكاننا، قال فخرج علينا وهو متزر بمئزر له متَشح بكسائه يمسح وجهه فأنكرنا عليه ذلك فقال لا عليكما انني كنت اغتسل للعيد فان هذا اليوم وهو يوم التاسع من شهر ربيع الاول يوم

---

(٣٤) لايخفى على القارئ العزيز مافي هذه الرواية من المخالفة لما هو المشهور بين ان عمر بن الخطاب توفى في اواخر ذي الحجة سنة(٢٣)هـ فقيل توفي ليلة الاربعاء لثلاث بقين من ذي الحجة وقيل طعن الاربعاء لاربع يقين من ذي الحجة ودفن يوم الاحد هلال محرم سنة(٢٤)هـ وقيل توفي لاربع يقين من ذي الحجة وقيل ان وفاته كانت في غرة المحرم سنة(٢٤)هـ وقيل طعن لسبع يقين من ذي الحجة وقيل لست بقين منه وقيل غير ذلك .

انظر تاريخ الطبري ج٣ص٢٦٥-٢٦٦ط مصر سنة(١٣٥٧)هـ وتهذيب الاسماء للنووي ج٢ص١٤ وابن الاثير ج٣ص٢٠ وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص١٣٦ ط مصرسنة(١٣٧١)هـ وغيرها من الكتب الكثيرة ولكن يظهر من النووي في تهذيب الاسماء ان في تاريخ الطعن على عمر ومدة خلافته ووفاته اقوال اخر ولايبعد ان يكون منها القول بكون قتله في اليوم التاسع من ربيع الاول كما انه يظهر من العلامة عبد الجليل الرازي في كتاب(النقض) الملف في حدود سنة(٥٦٠)هـ ان قتل عمر في اليوم التاسع منه كان مشهوراً بين الشيعة انظر ص٢٨٠ وتعليق الفاضل المعاصر المحدث عليه والرواية التي نقلها المصنف لاتخلو من المناقشات التي لاسعة في المقام لذكرها ولا سيما ما في ذيل الرواية من قوله: وامرت الكرام الكاتبين ان يرفعوا القلم عن الخلق ثلاثة ايام ولا اكتب عليهم شيئاً من خطاياهم) فان ظاهر هذه الفقرة مخالف لقواعد المذهب واصول المسلمة ولابد من تأولها وتوجيها واخراجها عن ظاهرها

ونقل هذه الرواية العلامة المجلسي(ره) في البحار عن السيد ابن طاووس(ره) انظر المجلد العشرين ص٣٣٠ط امين الضرب وفيها زيادات في آخر الرواية وذكر اثنين وسبعين اسماً ليوم التاسع من ربيع الاول

والذي يهون الخطب ان هذه الرواية لم نجدها في الجوامع الحديثية المعتبرة كالكتب الاربعة- عند الامامية ولذا يشكل الاعتماد على جميع فقراتها.

عيد فأدخلنا داره واجلسنا على سرير له ثم قال لنا اني قصدت مولاي ابا الحسن العسكري عليه السلام مع جماعة من اخواني في مثل هذا اليوم وهو اليوم التاسع من ربيع الاول فراينا سيدنا عليه السلام قد أمر جميع خدمه ان يلبس ما يمكنه من الثياب الجدد وكان بين يديه مجمرة يحرق فيها العود قلنا يا ابن رسول الله هل تجد في هذا اليوم لاهل البيت فرحاً فقال عليه السلام وأي يوم اعظم حرمة من هذا اليوم عند اهل البيت وأفرح.

وقد حدثني ابي عليه السلام ان حذيفة دخل في مثل هذا اليوم وهو اليوم التاسع من شهر ربيع الاول على رسول الله صلى الله عليه وآله قال حذيفة فرأيت امير المؤمنين عليه السلام مع ولديه الحسن والحسين عليهما السلام مع رسول الله صلى الله عليه وآله يأكلون والرسول صلى الله عليه وآله يتبسم في وجوههما ويقول كُلا هنيئاً مريئاً لكما ببركة هذا اليوم وسعادته فأنه اليوم الذي يقبض الله فيه عدوه وعدو جدكما ويستجيب دعاء امكما، فأنه اليوم الذي يكسر فيه شوكة مبغض جدكما وناصر عدوكما كُلا فأنه اليوم الذي يفقد فيه فرعون اهل بيتي وهامانهم وظالمهم وغاصب حقهم كُلا فأنه اليوم الذي يفرج الله فيه قلبكما وقلب امكما قال حذيفة قلت يا رسول الله في امتك واصحابك من يهتك هذا الحرم قال رسول الله صلى الله عليه وآله جبت من المنافقين يظلم اهل بيتي ويستعمل في امتي الريا ويدعوهم الى نفسه ويتطاول على الامة من بعدي ويستجلب اموال الله من غير حلّه وينفقها في غير طاعته ويحمل على كتفه درّة الخزى ويضل الناس عن سبيل الله ويحرف كتابه ويغيّر سنبي ويغصب ارث ولدي وينصب نفسه علماً ويكذبني ويكذب اخي ووزيري ووصي وزوج ابنتي، ويتغلب على ابنتي ويمنعها حقها وتدعو فيستجاب لها الدعاء في مثل هذا اليوم.

قال حذيفة قلن يا رسول الله ادع الله ليهلكه في حياتك قال يا حذيفة لا احب ان اجترئ على الله لما قد سبق في علمه لكني سألت الله عز وجل ان يجعل لليوم الذي يقبضه فيه اليه فضيلة على سائر الايام ويكون ذلك سنة يستن بها احبائي وشيعة اهل بيتي ومحبوهم فأوحى الله عز وجل اليَ فقال يا محمد انه قد سبق في علمي ان يمسك واله بيتك محن الدنيا وبلاؤها وظلم المنافقين والمعاندين من عبادي ممن نصحتهم وخانوك ومحضتهم وغشوك وصافيتهم وكاشحوك واوصلتهم وخالفوك واوعدتهم فكذبوك، فأني بحولي وقوتي وسلطاني لافتحنَ على روح من يغصب بعدك علياً وصيك وولي حقك من العذاب الاليم ولاوصلنه واصحابه قعراً يشرف عليه ابليس فيلعنه ولاجعلنَ ذلك المنافق عبرة في القيامة مع فراعنة الانبياء واعداء الدين في المحشر، ولاحشرنهم واولياءهم وجميع الظلمة والمنافقين في جهنم ولادخلنهم فيها ابد الابدين، يا محمد انا انتقم من الذي يجتري عليَ ويستترك كلامي ويشرك بي وبصدّ الناس عن سبيلي وينصب نفسه عجلاً لامتك ويكفر بي اني قد امرت سكان سبع سمواتي من شيعتكم ومحبيكم ان يتعيدوا في هذا اليوم الذي

اقبضه اليَ فيه وامرتهم ان ينصبوا كراسي كرامتي بإذاء بيت المعمور ويثنوا عليَ ويستغفروا لشيعتكم من ولد آدم، يا محمد وامرت الكرام الكاتبين ان يرفعوا القلم عن الخلق ثلثة ايام من اجل ذلك اليوم ولا اكتب عليهم شيئاً من خطاياهم كرامة لك ولوصيك يا محمد اني قد جعلت ذلك عيداً لك ولاهل بيتك وللمؤمنين من شيعتك، وآليت على نفسي بعزتي وجلالي وعلوي في رفيع مكاني ان من وسع في ذلك اليوم على اهله واقاربه لازيدنَ في ماله وعمره ولاعتقنه من النار ولاجعلنَ سعيه مشكورا وذنبه مغفورا واعماله مقبولة، ثم قام رسول الله ﷺ فدخل بيت ام سلمة فرجعت عنه وانا غير شاكٌ في امر الشيخ الثاني حتى رأيته بعد رسول الله ﷺ قد فتح الشر واعاد الكفر والارتداد عن الدين وحرّف القرآن.

اقول وذكر صاحب الاستيعاب وهو من رجال العامة، قال ذكر الواقدي قال اخبرني نافع عن ابي نعيم عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن ابيه، قال غدوت مع عمر بن الخطاب الى السوق وهو متكي على يدي فلقيه ابو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة فقال الا تكلم مولاي يضع عنّي من خراجي، قال كم خراجك قال دينار قال ما أرى ان افعل لعامل محسن وما هذا بكثير ثم قال له عمر الا تعمل لي رحى قال بلى قال فلما ولّى قال ابو لؤلؤة لاعملنَ لك رحى يتحدث بها ما بين المشرق والمغرب قال فوقع في نفسي قوله قال فلما كان في النداء لصلوة الصبح وخروج عمر الى الناس قال ابن الزبير وانا في مصلاي وقد اضطجع به ابو لؤلؤة فضربه بالسكين ست صنعات احديهن تحت سرته هي قتلته فصاح لعبد الرحمن بن عوف فقال قم فصلَ بالناس واحتملوا عمر فقالوا له لم لا تولي الخلافة لعلي بن ابي طالب قال ان ولّوها الاجلح[٣٥] سلك بهم الطريق المستقيم يعني علي بن ابي طالب وقال له ابنه ما يمنعك ان تقدم علياً قال اكره ان اتحملها حياً وميتاً. اقول انظر الى هذا الجواب والاعتذار والاقرار منه حال موته بأنه قد كان متحملاً للخلافة غير قابل لها والا فلو كان من اهلها كان اعرف بمواقعها ولا كان يحتاج الى ذلك التلبيس المذكور في حكاية الشورى التي خربت بناء الاسلام وهدمت اركان الدين واحزنت سيد الموحدين، حيث قال في خطبة الشقشقية:

اما والله لقد تقمصها فلان وانه ليعلم ان محلّي منها محل القطب من الرحى ينحدر عني السيل ولا يرقى اليَ الطير فسدلت دونها ثوباً وطويت عنها كشها وطفقت ارتأي بين ان اصول بيد جذّاء أو اصبر على طخية عمياء يهرم فيها الكبير ويشيب فيها الصغير ويكدح فيها مؤمن حتى

---

(٣٥)جلح جلحاً انحسر شعره عن جانبي رأسه فهو الجح.

يلقى ربه، فرأيت ان الصبر على هاتا احجى، فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجى، أرى تراثي نهباً، حتى مضى الاول لسبيله فأدلى بها الى فلان بعده.

شعر

شتّان ما يومي على كورها   ويوم حيّان اخي جابر

فيا عجباً بينا هو يستقلها في حياته اذ عقدها لاخر بعد وفاته لشدّ ما تشطّر اضرعيها فصيّرها في حوزة خشناء يلغظ كلمها[٣٦] ويشخن مسها، ويكثر العثار فيها والاعتذار منها فصاحبها كراكب الصعبة ان اشنق لها خرم وان ابليس لها تقحّم فمنى الناس لعمر الله بخبطٍ وشماسٍ وتلوّن واعتراض، فصبرت على طول المدة وشدة المحنة حتى اذا مضى سلبيله جعلها في جماعة زعم اني احدهم فيالله وللشورى متى اعترض الريب فيّ مع الاول حتى صرت اقرن الى هذه النظائر، لكني اسففت اذ اسفوا وطرت اذا طار وافصعني منهم رجل لضغنه ومال الاخر لصهره مع هنٍ وهنٍ الى ان قام ثالث القوم نافجاً حضينه بين نثيله ومعتلفه وقام معه بنو ابيه يخضمون مال الله تعالى خضم الابل نبتة الربيع الى ان انتكث عليه فقتله واجهز عليه عمله وكبت به بطنته فما راعني الاّ والناس كعرف الضبع اليّ ينثالون عليّ من كل جانب حتى لقد وطئ الحسنان وشقّ عطفاي مجتمعين حولي كربيضة الغنم، فلما نهضت بالامر نكثت طائفة ومرقت أخرى وقسط آخرون كأنهم لم يسمعوا كلام الله سبحانه حيث يقول تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين بلى والله لقد سمعوها ووعوها، ولكنهم حليت الدنيا في اعينهم وراقهم زبرجها اما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر وما أخذ الله على العلماء الا يقاروا على كظّة ظالم ولا سغب مظلوم لالقيت حبلها على غاربها ولسقيت آخرها بكأس اولها ولالفيتم دنياكم هذه عندي أزهد من عفطة عنز[٣٧] قال وقام اليه رجل من اهل السوّاد عند بلوغه الى هذا الموضع من خطبته فناوله كتاباً فأقبل ينظر فيه فلما فرغ من قرائته قال له ابن عباس رضي الله عنه يا امير المؤمنين لو اطردت مقالتك من حيث افضيت، فقال هيهات يا ابن عباس تلك شقشقة هدرت ثم قرّت قال ابن عباس والله ما أسفت على كلام قطّ كأسفي على ذلك الكلام ان لا يكون امير المؤمنين عليه السلام بلغ حيث اراد منه.

---

(٣٦) الكلم بمعنا الجرح كانه يقول خشونتها تجرح جرحاً غليظاً وفي نسخة: كلامها بالضم الارض الغليظية:

(٣٧) قال الشخ محمد عبدة عقطة العنز ماتنثره من انفها كالعطفة عطفت تعطف من باب ضرب غير ان اكثر مايستعمل ذلك ف النعجة والاشهر في العنز النفطة بالنون يقال ماله عافط ولا نافط أي نعجة ولاعنز كما يقال ماله ثاغية وراغية والعفطة الحبقة ايضاً لكن الاليق بكلام امير المؤمنين (عليه السلام) هو ماتقدم.

اقول لا يخفى ما في هذه الخطبة البليغة من الذم لمن تقدمه من الثلاثة ومن يكون على مثل هذه الحال كيف يكون قد رضى بأبي بكر وصاحبيه وبايعهما طوعاً كما يقول جماعات العامة، ومن هذا ذهب بعضهم الى ان هذه الخطبة من قول السيد الضري (ره) جامع نهج البلاغة، ويردَ هذا القول ان صاحب كتاب معاني الاخبار قد نقلها مسندة ومفسرة بتفسير الحسن بن سعيد العسكري وهو من اعيان الجمهور، وتاريخ وفات صاحب كتاب معاني الاخبار قبل ولادة المرتضى اخي الرضي الذي هو اكبر من الرضي رحمهما الله تعالى. وقد نقلها صاحب كتاب الغارات مسندة باسانيدهم، وتاريخ الفراغ من ذلك يوم الثلاثا لثلاث عشرة خلون من شوال سنة خمسة وخمسين وثلثمائة وهذه هي السنة التي ولد فيها المرتضى الموسوي، وهو اكبر من أخيه الرضي كما عرفت وقد اعترف ابن ابي الحديد في الشرح انه اطلع عليها في نسخة تاريخها قبل ولادة الرضي مع ان طبقة كلامه عليه السلام لا تخفى على من له معرفة بعلم البلاغة فان كلامه عليه السلام كما قيل فوق كلام المخلوق وتحت كلام الخالق وحينئذ فلا بأس بالاشارة الى حلَ الفاظها والا فبسط الكلام فيها يحتاج الى كتاب بانفراد.

قوله عليه السلام اما والله لقد تقمصها فلان، يعني ابا بكر لبس الخلافة متكلفاً لها وليس هو من اهلها وقوله عليه السلام محل القطب من الرحى، معناه ان مدار الرحى ومناط عملها انما هو على القطب ولولاه لكانت الرحى صخرة موضوعة على صخرة لا ينتفع بها بوجه من الوجوه وقوله عليه السلام ينحدر عني السيل شبَه علومه وحكمه الواصلة الى الناس بالماء الجاري من المحل المرتفع الى المكان المنخفض فالمراد بالسيل علومه ومنافعه.

وقوله عليه السلام ولا ترقى اليّ الطير معناه ان الطير لو اراد الطيران الى ادنى درجة من درجات كماله لم يبلغها، وهو من تشبيه المعقول بالمحسوس، وقوله عليه السلام فسدلت دونها ثوباً وطوبت عنها كشحاً، معناه اني ارخيت بيني وبين الخلافة ثوباً ولم اطلبها، وكذا طوبت عنها كشحاً معناه اني اعرضت عن طلبها اعراضاً، والكشح هو الخاصرة.

وقوله عليه السلام وطفقت ارتأي بين ان اصول بيد جذّاء او اصبر على طخية عمياء، معناه اني شرعت انظر وأتأمل ان اصول بيد مقطوعة، وهو كناية عن قلة الناصر والمعين والطخية الليلة المظلمة السوداء، وهي خلافة الثلاثة كما قال تعالى او ظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض، اذا اخرج يده لم يكد يراها، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور، وقد ورد في الحديث تفسير الظلمات بخلافاتهم، قوله عليه السلام يهرم فيها الكبير ويشبَ فيها الصغير معناه ان الكبير يسرع اليه الهرم كما ان الصغير يسرع اليه الشيب بسبب هذه

الطخية العمياء ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه الكدح التعب أي المؤمن يتعب نفسه في هذه الطخية الى ان يلقى ربه.

وقوله عليه السلام على هاتا احجى أي على الطخية اولى فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجى، الشجى ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه والمراد به هنا المصيبة المانعة من لذل الاكل والشرب وقوله عليه السلام ارى تراثي نهبا، التراث الميراث والمراد به الخلافة فانها ميراثه من النبي صلى الله عليه وآله والمراد ما هو اعمَ يتناول فدك والعوالي فانه بعد فاطمة عليها السلام صار ميراثاً، قوله عليه السلام حتى اذا مضى الاول وهو ابو بكر لسبيله فادلى بها الى فلان يعني انه دفعها الى عمر بطريق النص والوصية وقوله عليه السلام شتَان، البيت وهو للاعشى يقول تفرق ما بين يومي يوم سروري وهو مناد متى لاخي حيّان، ويوم شدتي وركوبي على متن ناقتي في البراري والقفار، فهو عليه السلام قد استعار هذا ليوميه يوم فرحه لما كان نديمه النبي صلى الله عليه وآله ويوم تعبه وهو يوم ركوبه المشاق والحروب وحده بلا معاون ونصير.

وقوله عليه السلام فيا عجبا بينا هو يستقيلها في حيوته اذ عقدها لاخر بعد وفاته أي قوم اعجبوا عجباً، بين اوقات ابي بكر يقول اقيلوني اقيلوني فلست بخيركم وعلي فيكم رواه الجمهور عن ابي بكر، اذ عقدها لعمر بعد وفاته، وفي هذا دلالة على ان تلك الاستقالة كانت خدعة منه، ومن ثم قال بعض المحققين معنى استقالته الامر بقتل علي بن ابي طالب عليه السلام يعني ما دام علي فيكم موجوداً فأنا لست بخيركم فاقتلوه حتى اكون انا الخليفة من غير منازع، وفي هذا دلالة على مخالفة ابي بكر للنبي صلى الله عليه وآله لانهم يزعمون ان النبي صلى الله عليه وآله مات ولم يوص الى احد، ولا ريب ان هذا باعتقادهم كان هو الاولى حتى يكون الاختيار مفوضاً الى الناس فكيف يصنع ابو بكر مثل صنعه ان هذا الا خلاف بيَن، وقوله عليه السلام لشدّ ما تشطر اضرعها، شبّه عليه السلام الخلافة بناقة لها ضرعان وكان كل واحد منهما أخذ منها ضرعاً لنفسه يحلب منه.

وقوله عليه السلام فصيرها في حوزة خشنا الحوزة الطبيعة والمراد ان صاحب تلك الطبيعة فظَ غليظ القلب وقوله يغلظ كلمها معناه ان تلك الطبيعة يعظم جرحها وهو كناية عن ايذائه المؤمنين ويكثر العثار فيها أي يقع في الاحكام الشرعية في زمن خلافة الثاني عثار كثير وهو الغلط في الاحكام حتى كان يتعذر من كثرة اغاليطه بقوله كل الناس افقه من عمر حتى المخدرات تحت الحجال، وقوله لولا علي لهلك عمر في سبعين موضعاً قوله عليه السلام فصاحبها كراكب الصعبة ان اشنق لها خرم وان اسلس لها تقحم، يقال شنق البعير يشنقه أي كفه بزمامه حتى الزق ذفراه بقادمة الرجل، والمعنى ان صاحب تلك الطبيعة الخشنة التي يكثر منها العثار في الاحكام والاعتذار عن الغلط في المسائل كراكب الصعبة ان كفها بزمامها خرم وشقه لانها لا تقف بسهولة

وان ارخى لها الزمام اسلسها تقحم في اودية الهلاك، وهذه طبيعة المتخلف الثاني مع انه لم يرد كفها وهي كالناقة الصعبة فلا جرم رمت به في وادي الضلال.

وقوله عليه السلام فمنى الناس لعمر الله بخبط وشماس وتلون واعتراض منى على المجهول بمعنى ابتلى يقال منى بكذا ابتلى به، والخبط مسّ الشيطان والشمّاس الامتناع من قبول الحق بسبب تسويلات عمر ووساوسه لهم، والتلون عدم الثبوت على هيئة وصفة واحدة والاعتراض المنع والاصل فيه ان الطريق اذا اعترض فيه بناء او غيره منع السائلة من السلوك وهو قد اعترض لهم في طريق الحق فمنعهم عن سلوكه قوله عليه السلام فصبرت على طول المدة وشدة المحنة حتى اذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم اني احدهم.

وطول مدة خلافتهما هو ان مدة خلافة ابي بكر سنتان وستة أشهر وايام ومدة خلاقة الثاني عشر سنين فصبر عليها فلما اراد الله ان يقبضه الى ما هيأ له من اليم العذاب جعل عمر الخلافة في ستة رجال وجعل علياً عليه السلام منهم، وهي علي عليه السلام وسعد بن ابي وقاص وعبد الرحمن بن عوف والزبير وطلحة وعثمان، ودعا ابا طلحة زيد بن سعد الانصاري فقال له كن في سبعين (خمسين خ ل) رجلاً من قومك فاتقل من ابى ان يرضى ان يكون من هؤلاء الستة وان اختلفوا فالحق في القوم الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف، فقال العباس لعلي بن ابي طالب عليه السلام ذهب الامر منا لان عبد الرحمن كانت بينه وبين عثمان مصاهرة وامور توجب انه لا يختار عليه احداً فقال علي عليه السلام انا اعلم ذلك ولكن ادخل معهم في الشورى لا عمر قد استصلحني الان للخلافة، وكان يقول من قبل ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال ان النبوة والامامة لا تجتمعان في بيت واحد، واني ادخل في ذلك ليظهر انه كذب نفسه، لما روى اولاً وكان مقصد عمر من هذه الشورى قتل علي بن ابي طالب عليه السلام لعلمه بأنه لا يطيع عبد الرحمن بن عوف، فانظر الى شدّة عداوته لاهل البيت عليهم السلام ومن جملة مكائده في هذه الوصية انه لم يوص الى ابنه عبد الله بن عمر وقيل له في ذلك فقال انه لم يعرف يطلق زوجته فكيف اوليه الخلافة وكان اخراجه مكيدة على الناس وباعثاً لهم على قبول الشورى.

وقوله عليه السلام فيالله وللشورى متى اعترض الريب فيّ مع الاول حتى صرت اقرن الى هذه النظائر، أي فيارب انت المغيث والمعين والمخلصّ من شدة الشورى ومشقتها يا رب واين انا من الشورى وما لي وللشورى متى اعترض الشك فيّ بمساواة ابي بكر حتى قرنني عمر بمن هو ادنى منه ومن صاحبه الاول وقوله عليه السلام لكني اسففت اذ اسفوا وطرت اذا طاروا اسف الرجل أي تتبع مداق الامور وهرب من صاحبه وطلب الامور الدنية، والمعنى انهم حين ارادوا المكر والخدعة تابعتهم تقية من القتل وطرت معهم الى مطالبهم لما طاروا تقية ايضاً .

قوله عليه السلام فصنعي منهم رجل لضغنه أي مال رجل من اهل الشورى وهو سعد بن ابي وقاص من الحق الى الباطل لحقده وحسده لعلي عليه السلام فمال عنه الى عثمان، ومال الاخر لصهره مع هن وهن أي مال الرجل الاخر وهو عبد الرحمن بن عوف لمصاهرة بينه وبين عثمان مال اليه لانه كان زوجاً لاخت عثمان من امه، وهي كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط، وهذا الميل ايضاً ليس لمجرد المصاهرة بل كان معه شيء من البغض والحسد لعلي عليه السلام، وهو المراد بقوله وهن وهن أي مع شيء شيء.

قوله عليه السلام الى ان قام ثالث القوم نافجاً حضينه بين نثيله ومعتلفه يعني حتى بايعوا عثمان وقام بأمر الخلافة منتفخاً جنبيه من البغض والحسد او من الاكل والشرب والنثيل الروث والمعتلف الاكل ومعناه ان غرض عثمان وحاجته الاكل والروث يعني يأكل ويروث.

وقوله عليه السلام وقام مه بنو ابيه يخضمون مال الله تعالى خضم الابل نبتة الربيع أي اتفق مع عثمان بنو ابيه وهم بنو امية بن عبد الشمس يأكلون مال الله تعالى من غير مبالات كأكل الابل نبات الربيع، كان يصرف مال الله تعالى على نفسه وعلى اقاربه حتى انه اعطى منه اصهاره اربعمائة الف درهم حتى وصل الامر الى ان قال له المهاجرون والانصار اما تخلع نفسك من الخلافة او نقتلك فاختار القتل على خلع نفسه فقتلوه وكان مطروحاً في خندق اليهود الى ثلاثة ايام فلا يستحل احد دفنه ولا يقدم احد على ذلك خوفاً من المهاجرين والانصار حتى نهبه بنو امية ودفنوه وقيل كان مطروحاً في مزبلة اليهود ثلاثة ايام حتى اكلت الكلب احدى رجليه فاستأذنوا علياً عليه السلام فأذن في دفنه وهذا الذي في المدينة هو عثمان بن مظعون لا عثمان بن عفان، فان قبره الان غير معلوم.

قوله عليه السلام الى ان انتكث عليه فتله واجهز عليه عمله وكبت به بطنته النكث هو النقض والبطنة كثرة الاكل قوله عليه السلام فما راعني الا والناس اليّ كعرف الضبع ينثالون عليّ من كل جانب حتى لقد وطئ الحسنان وشقّ عطفاي أي اعجبني امر مثل هذا الامر وهو اجتماع الناس على بيعتي وتواليهم وازدحامهم مثل عرف الضبع وينثالون بمعنى ينصبون عليّ كانصباب الماء وشقّ عطفاي أي شق جانبا ثوبي من كثرة ازدحام الناس.

قوله كربيضة القنم أي كاجتماع الغنم حول راعيها وقوله عليه السلام فنكث طائفة ومرقت اخرى وقسط آخرون أي نقض بيعتي وهم اهل البصرة ومرقت أخرى وهم اهل النهروان وقسط آخرون وهم اهل صفين وقد اخبره النبي صلى الله عليه وآله بقوله انك يا علي ستقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين، رواه العامة والخاصة قوله عليه السلام لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر وما اخذ الله على العلماء الا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم أي لولا حضور الحاضر لاجل بيعتي

وقيام الحجة على سبب وجود المعين والناصر، ولولا ما اخذ الله على العلماء ان لا يقاروا أي لا يلبثوا ولا يداهنوا على ظلم الظالمين والكظة بالكسر البطنة وشيء يعترى من امتلاء البطن ولا سغب مظلوم أي على جوعه وتعبه الذي اصابه من ظلم الظالم.

قوله عليه السلام لالقيت حبلها على غاربها هو جواب الشرط أي لتركت الخلافة او الامة ولالقيت زمامها على ظهرها قوله عليه السلام ولسقيت آخرها بكأس اولها أي لخليتهم يشربون من كأس الحيرة والجهالة بعد عثمان كما شربوه اولاً في زمن الثلاثة وقوله عليه السلام وتلك شقشقة هدرت، الشقشقة بالكسر شيء كالسرية يخرجه البعير من فيه اذا هاج، شبه هذه الخطبة بها لانها انما صدرت منه حين هاجت نفسه الشريفة من ظلم الظالمين(٣٨).

واما الكتاب الذي دفعه الرجل الى امير المؤمنين عليه السلام فروى انه قد كان فيه عدة مسائل منها انه سئله ما الحيوان الذي خرج من بطنه حيوان آخر وليس بينهما نسب فأجابه بأنه يونس بن متى خرج من بطن الحوت، ومنها ما الشيء الذي قليله مباح وكثيره حرام، فقال عليه السلام نهر طالوت لقوله تعالى الا من اغترف غرفة بيده، ومنها ما العبادة التي ان فعلها احد استحق العقوبة، وان لم يفعلها ايضاً استحق العقوبة فاجاب بانها صلاة السكارى، ومنها ما الطائر الذي لا فرخ له ولا اصل ولا فرع، فقال هو طائر عيسى عليه السلام في قوله تعالى واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيه.فلينظر الى هذ الخطبة وما اشتملت عليه من الشكاية ممن تقدمه، والعجب العجيب من جماعة المخالفين كيف احبوا علياً وعمر وكيف جمعوا بين حب علي وعمر في قلب واحد مع ان حبهما مما لا يجتمعان ابداً كما سيأتي تحقيقه، واعجب من هذا دعواهم حب علي معاوية واعتقادهم الخير في كليهما مع ان كل واحد منهما قد كفَر الاخر واستحل قتله، ولعمرك لو تمكن معاوية في حرب صفين من قتل علي عليه السلام لقتله بيده كما ان ولده الخبيث لما تمكن من قتل ولده الحسين عليه السلام قتله واسر حريمه وفعل فعلته الشنيعة، ولكن جوابهم انهما مجتهدان قد اخطأ واحد منهما، ويقولون المخطي هو معاوية لكن المجتهد المخطي لا عقاب عليه في اجتهاده الخطأ.

فنقول لهم اولاً ان معاوية كان اعلم منكم بأحوال علي عليه السلام واستحقاقه الخلافة لان الخلافة عند كافة المسلمين طريق ثبوتها، اما النص كما يقوله الامامية او الاجماع كما تقولونه انتم وبعد قتل عثمان لم يحصل الاتفاق والبيعة الا لعلي عليه السلام فهو بعد عثمان خليفة واجب الطاعة باجماع كل المسلمين ومعاوية كان اعرف بهذا الامر من كل احد، وقد رويتم انتم في اخباركم عن معاوية طرفاً وافراً من علمه واظهاره واستحقاق علي عليه السلام الخلافة دونه وكذا علم اكابر اصحابه

---

(٣٨) وسميت هذه الخطبة الشريفة بالشقشقية لقوله عليه السلام فيها انها شقشقت هدرت ثم قرت.

مثل عمرو بن العاص واشباهه كما رويتم في كتبكم عن عدي بن ارطأة قال قال معاوية يوماً لعمرو بن العاص يا ابا عبد الله اينّا ادهى قال عمرو انا للبديهة وانت للروية قال معاوية لي على نفسك وانا ادهى منك في البديهة، قال عمرو فأين دهاؤك يوم رفعت المصاحف، قال بها غلبتني يا ابا عبد الله أفلا اسألك عن شيء تصدقني فيه، قال والله ان الكذب لقبيح فسل عمّا بدا لك اصدقك، فقال هل غششتني منذ نصحتني قال لا قال بلى والله لقد غششتني اما اني لا أقول في كل المواطن ولكن في موطن واحد قال واي موطن هذا قال يوم دعاني علي بن ابي طالب للمبارزة فاستشرتك فقلت ما ترى يا ابا عبد الله فقلت كفو كريم فأشرت عليَ بمبارزته وأنت تعلم من هو فعلمت انك غششتني قال يا امير المؤمنين دعاك رجل الى مبارزته عظيم الشرف جليل الخطر فكنت من مبارزته على أحد الحسنيين اما ان تقتله فتكون قد قتلت قتّال الاقران وتزداد شرفاً الى شرفك وتخلو بملكك واما ان تعجل الى مرافقة الشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا، قال معاوية هذه اشر من الاولى والله اني لاعلم اني لو قتلته دخلت النار ولو قتني دخلت النار قال له عمرو فما حملك على قتاله قال الملك عقيم ولن يسمعها مني احد بعدك فهذا اعتراف صريح من معاوية بأن علياً عليه السلام هو القابل للخلافة وهي له.

وقد قال له عمرو بن العاص قصيدة[٣٩] في وصف حاله مع معاوية لما وعده معاوية امارة مصر كذب عليه اولها:

معاوية الحال لا	وعن سنن الحق لا

الى ان قال:

وعلمتكم كشف	لردَ الغضنفرة المقبل
وقلت لكم ان	عليها المصاحف
ولولاي كنت شبيه	تعاف الخروج من
خلعت الخلافة من	محل النعال من

(٣٩) هي القصيدة المسماة بالجلجلية كتبها عمرو بن العاص الى معاوية بن ابي سفيان في جوابه كتابه اليه يطلب خراج مصر ويعاتبه على امتناعه عنه ولما سمع معاوية هذه الابيات لم يتعرض له بعد ذلك وتسمى بالجلجلية لما فيها في آخرها:

(ففي عنقي علق الجلجل) مثل يظرب انظر لسان العرب ج١٣ص١٢٩ ط مصر والجلجل الجرس الصغير يعلق في اعناق الدواب ونقل تلك القصيدة برمتها حضرة العلامة الكبير شيخنا الاميني دام ظله في كتابه القيم النفيس•الغدير) ج٢ ص١١٤ وذكر. ترجمة عمرو بن العاص بن وائل الابتر ابن الابتر شاني محمد وآل محمد في الجاهلية والاسلام واحد دهات العرب الخمس الذين منه دئت الفتن واليه تعود انظر من صفحة(١٢٠) الى (١٧٦) تجد ترجمة مفصلة على نحو التحقيق والتحليل.

والبستها فيك يا ابن	كلبس الخواتيم في
ولا لك فيها ولا ذرة	ولا لجدودك من
ورقيتك المنبر	بلا جذب سيف ولا
وكم قد سمعنا من	وصايا مخصصة في
وفي يوم خمَ رقى	وبلَغ والصحب لم
وامنحه أمرة	فنال بها شرف
وفي كفه كفه معلنا	ينادي باسم العزيز
فمن كنت مولاه	علي له الان نعم
فوال مواليه يا ذا	وعاد معادي اخي

الى ان قال:

فان قيل بينكما نسبة	فأين الحسام من
واين الثريا واين	واين معاوية من
وقد بدت تذرق	حذار[٤١] الغضنفرة

وعلى نحو هذه الابيات من مدح علي عليه السلام وذمّ معاوية وهي قصيدة طويلة قال في آخرها:

فان أك فيها بلغت	ففي عنقي علّق

واما ثانياً فلأن اجتهاد معاوية قد قتل في معركة واحدة على ما تقدم ستين الفاً من عسكره وعشرين الفاً من عسكر علي عليه السلام فاذا كان صاحب هذا الاجتهاد معذوراً فلم لا تعذروا الشيعة في لعن عمر وصاحبيه فان مجتهديهم قد اجتهدوا في جواز هذا السب واللعن وجوّزوه بل ربما صرح بعضهم بوجوبه وتوجيهه ان الله سبحانه قد كلفنا بالتوحيد والاقرار بالرسالة والامامة فان هذه الثلاثة من اركان الدين.

فاما الوحيد فهو مركب من ايجاب وسلب تجمعهما كلمة التوحيد وهي لا اله الا الله فاما من قال ان الله اله ولكن له شريك فهو مشرك ليس بمسلم بالاجماع، وكذا رسالة النبي صلى الله عليه وآله مركبة من ايجاب وسلب ايضاً، وهو ان محمداً رسول الله وانّ من ادعى الرسالة غيره ليس بنبي مثل مسيلمة الكذاب ونحوه فمن شرّك بينهما لا يكون مسلماً ايضاً وكذلك الامامة تابعة لهما في التركيب، فيجب على القائل بها ان يقول عليّ هو الخليفة والامام وان من ادعى الخلافة غيره ليس بامام، بل هو كاذب فكما يجب علينا التبري من الاصنام ولعنها ولعن من اتخذه الهة وكذا

---

(٤٠)المنجل بكسر الميم ما يحصد به الزرع.

(٤١) حذاراً من البطل المقبل خ ل.

يجب التبري من مسيلمة ولعنه يجب ايضاً التبرئ واللعن على من ادعى الامامة وليس لها بأهل فكما عذرتم معاوية في ذلك الاجتهاد الذي سفكت فيه الدماء فاعذروا الشيعة في هذا الاجتهاد وان كان خطاء ولا تقولون بأن من ثبت انه لعن واحداً من الخلفاء الثلاثة وجب احراقه لان هذا منكم محض عناد وتعصب فان معاوية سبَ علياً عليه السلام على المنابر وقذف فاطمة واستمر السب والقذف ثمانين سنة الى خلافة ابن عبد العزيز حتى كان هو الذي رفعه بلطائف الحيل فاذا جاز مثل هذا بالاجتهاد جاز للشيعة ما قلناه ايضاً بالاجتهاد.

ومن العجب ان كل متخلف من خلفاء الجور قد زاد على الاول في مخالفته للنبي صلى الله عليه وآله اما ابو بكر فقد خالفه بالنص على عمر فأنهم يزعمون ان النبي صلى الله عليه وآله لم ينص على احد واما عمر فقد خالف النبي صلى الله عليه وآله وخالف شيخه ابا بكر في امر الشورى بل كان الواجب عليه متابعة احدهما، واما عثمان ومعاوية فقد زاد على الكل وليت شعري اذا كان صلاح الامة في ترك النص على واحد بزعمكم كما تقولونه بالنسبة الى النبي صلى الله عليه وآله فكيف ابو بكر لم يراع هذا الاصلح ولم يترك النص على عمر اقتداءاً بالنبي صلى الله عليه وآله ما هذا الا عجب عجيب وامر غريب.

ومما يناسب هذا المقام نقل حديث ونقل بعض الاشعار اما الحديث فقد رواه رئيس المحدثين محمد بن يعقوب (ره) باسناده الى يونس بن يعقوب قال كان عند ابي عبد الله الصادق عليه السلام جماعة من اصحابه فيهم حمران بن اعين ومؤمن الطاق وهشام بن سالم والطيّار وجماعة من اصحابه فيهم هشام بن الحكم وهو شاب، فقال ابو عبد الله عليه السلام يا هشام قال لبيك يا ابن رسول الله قال الا تحدثني كيف صنعت بعمرو بن عبيد وكيف سألته، قال هشام جعلت فداك يا ابن رسول الله اني اجلّك واستحييك ولا يعمل لساني بين يديك فقال ابو عبد الله الصادق عليه السلام اذا امرتكم بشيء فافعلوه، قال هشام بلغني ما كان فيه عمرو بن عبيد وجلوسه في مسجد البصرة وعظم ذلك عليَ فخرجت اليه ودخلت البصرة في يوم الجمعة فأتيت المسجد فاذا انا بحلقة كبيرة واذا انا بعمرو بن عبيد عليه شملة سوداء متزر بها عن صوف وشملة مرتد بها والناس يسألونه فاستفرجت الناس فأفرجوا لي ثم قعدت في آخر القوم على ركبتي ثم قلت ايها العالم انا رجل غريب أتأذن لي فأسألك عن مسألة، قال نعم قال قلت له ألك عين قال يا بني أي شيء هذا من السؤال فقلت هكذا مسألتي فقال يا بني سل وان كانت مسألتك حمقا، قلت اجبني فيها قال فقال سل قلت ألك عين قال نعم قلت فما ترى بها قال الالوان والاشخاص، قال قلت ألك أنف قال نعم قال قلت له فما تصنع به قال أعرف به طعم الاشياء قال قلت ألك لسان قال نعم قلت فما تصنع به قال أتكلم به قال قلت ألك أذن قال نعم قلت وما تصنع به قال أسمع به الاصوات، قال قلت ألك يد قال نعم قلت وما تصنع بها قال ابطش بها قلت ألك قلب قال نعم قلت وما تصنع

به قال أميّز به كل ما ورد على هذه الجوارح، قال قلت أفليس في هذه الجوارح غنى عن القلب قال لا قلت وكيف ذلك وهي صحيحة سليمة قال يا بني أن الجوارح اذا شكت في شيء شمّته او رأته أو ذاقته أو سمعته أو لمسته ردته الى القلب فتتيقن اليقين ويبطل الشك قال قلت انما أقام الله القلب لشك الجوارح قال نعم قال فقلت يا ابا مروان ان الله تبارك وتعالى ذكره لم يترك جوارحك حتى جعل لها إماماً يصحح لها الصحيح وتيقن ما شكّ فيه ويترك هذا العالم كله في حيرتهم وشكهم ويقيم لك إماماً لجوارحك ترد اليه حيرتك وشكك قال فسكت ولم يقل شيئاً.

قال ثم التفت اليَ فقال أنت هشام فقلت لا فقال لي أجالسته قلت لا قال فمن أين، قلت من اهل الكوفة فقال اذاً هو ضمني اليه واقعدني في مجلسه وما نطق حتى قمت فضحك ابو عبد الله عليه السلام ثم قال يا هشام من علّمك هذا قال قلت يا ابن رسول الله جرى على لساني، قال يا هشام هذا والله مكتوب في صحف ابراهيم وموسى.

اقول من الامور الغريبة ان واحداً من جماعات المسلمين لو كان صاحب اولاد وعيال واطفال فمات ولم يوص الى أحد يتكفل احوالهم وضبط اموالهم لذمه العقلاء من اهل عصره كما هو المعروف الان فكيف جاز للنبي صلى الله عليه وآله ان يخرج من الدنيا ويدع هذه الامة الكثيرة بلا راع ولا داع ولا وصي ولا ولي، ان هذا من الامر الطريف.

واما الاشعار فهي ان الشيخ العالم العامل الشيخ صالح الجزائري كتب الى الشيخ المحقق خاتمة المجتهدين شيخنا الشيخ بهاء الدين تغمده الله برحمته كتابة هذا لفظها، ما قول سيدي وسندي ومن عليه بعد الله واهل البيت معولي ومعتمدي في هذه الابيات لبعض النواصب بتر الله اعمارهم وخرّب ديارهم فالمأمول من انفاسكم الفاخرة والطافكم الظاهرة ان تشرفوا خادمكم بجواب منظوم تكسر سورة هذا الناصب وشبهته وامثاله من الطغاة، نصر الله بكم الاسلام بمحمد وآله الكرام يقول:

أهوى علياً أمير المؤمنين ولا	ارضى بسب ابي بكر ولا عمرا
ولا اقول اذا لم يعطيا فدكا	بنت النبي رسول الله قد كفرا
الله يعلم ماذا يأتيان به	يوم القيامة من عذر اذ اعتذرا

فأجابه الشيخ بهاء الدين طاب ثراه الثقة بالله وحده التمست ايها الاخ الافضل الصفي الوفي الالمعي الزكي والذكي أطال الله بقال وادام في معارج القرار تقاك الاجابة عما ذهر به هذا المخذول فقابلت التماسك بالقبول وطفقت أقول:

يا ايها المدّعي حب الوصي ولم	تسمح بسب ابي بكر ولا عمرا
كذبت والله في دعوى محبته	تبّت يداك ستصلى في غد سقرا

فكيف تهوى امير المؤمنين وقد ... اراك في سبّ من عاداه مفتكرا
فان تكن صادقاً فيما نطقت به ... فابرأ الى الله ممن خات او غدرا
وأنكرَ النص في خم وبيعته ... وقال ان رسول الله قد هجرا
أتيت تبغي قيام العذر في فدك ... أتحسب الامر بالتمويه مستترا
ان كان في غصب حق الطهر فاطمة ... ستقبل العذر ممن جاء معتذرا
فكل ذنب له عذر غداة غده ... وكل ظلم ترى في الحشر مفتقرا
فلا تقولوا لمن أيامه صرفت ... في سب شيخيكم قد ضلّ أو كفرا
بل سامحوه وقولوا لا نوأخذه ... عسى يكون له عذر اذا اعتذرا
فكيف والعذر مثل الشمس اذ بزغت ... والامر متضح كالصبح اذ ظهرا
لكن ابليس اغواكم وصيركم ... عمياً وصماً فلا سمعاً ولا بصرا

وحيث انتهى الحال الى هنا فلا بأس بذكر يوم الغدير والكشف عنه.

نور غديري

يضمن حكاية يوم الغدير ونص النبي ﷺ فيه على علي عليه السلام بالخلافة والامامة أعلم ان النص من الله ومن رسوله ﷺ على أمير المؤمنين عليه السلام يوم الغدير مما تواتر عند شيعة أهل البيت عليهم السلام نقلوه عن أئمتهم المعصومين عليهم السلام بالاسانيد المتكثرة حتى بلغ حد التواتر واهل البيت أدرى بما فيه كما أن أهل كل أمام هم اعلم بأقوال امامهم من غيرهم فأن اصحاب ابي حنيفة اعرف بمذهب ابي حنيفة من اصحاب الشافعي، وكذلك اصحاب الشافعي اعرف بمذهبه من غيرهم، واما مخالفوهم فقد اختلفوا في التقصي عن يوم الغدير، فمنهم من انكره رأساً، وقال ام ذلك العام قد كان علي عليه السلام في اليمن أرسله النبي ﷺ لقبض الجزية من نصارى نجران، فهذا قد انكر يوم الغدير من اصله وهذا هو الذي ذهب اليه اكثر متأخريهم وبعضهم قال به ولكن قدح في دلالة الالفاظ على النص بتأويل ركيك سيأتي ان شاء الله .

اما الجواب عن انكاره فالظاهر انه غير محتاج اليه لان الاحكام الشرعية انما وصلت الينا واليهم من صاحب الشرع باخبار الاحاد ووجب علينا العمل بمضمونها وخبر الغدير قد نقل بالتواتر الينا واليهم اما من طرقنا فهو اجماعي واما من طرقهم فمن خلع حبل التعصب عنقه ولم يتلفت على انا وجدنا اباءنا على امة، يظهر له تواتره ايضاً، وقد صنف علماؤهم في يوم الغدير كتباً متعددة فممن صمف فيه ابو العباس احمد بن محمد بن سعيد الهمداني الحافظ المعروف بابن عقدة وهو ثقة عند ارباب المذاهب وجعل ذلك كتاباً مجرداً سمّاه حديث الولاية، وذكر الاخبار

عن النبي ﷺ بذلك واسماء الرواة من الصحابة وهذه اسماء من روى عنهم يوم الغدير، ونص النبي ﷺ على علي بالخلافة واظهار ذلك عند الكافة.

أبو بكر بن عبد الله، عمر بن الخطاب، عثمان بن عفان، علي بن ابي طالب عليه السلام، طلحة بن عبيد الله، الزبير بن العوام، عبد الرحمن بن عوف، سعيد بن مالك، العباس بن عبد المطلب، الحسن بن علي بن ابي طالب عليه السلام، الحسين بن علي بن ابي طالب عليه السلام، عبد الله بن جعفر بن ابي طالب، عبد الله بن مسعود، عمار بن ياسر، ابو ذر جندب بن جنادة الغفاري، سلمان الفارسي، اسعد بن زرارة الانصاري، ابو ايوب خالد بن يزيد الانصاري، سهل بن حنيف الانصاري، عثمان بن حنيف الانصاري، حذيفة بن اليمان، عبد الله بن عمر بن الخطاب، البراء بن عازب، رفاعة بن رافع الانصاري، سمرة بن جندب، سلمة بن الاكوع السلمي، زيد بن ثابت الانصاري، ابو ليلى الانصاري، ابو قدامة الانصاري، سهل بن سعد الانصاري، عدي بن حاتم الطائي، ثابت بن زيد بن وديعة، سعد بن عجرة الانصاري، ابو الهيثم الهيّان الانصاري، هاشم بن عتبة بن ابي وقاص الزهري، المقداد بن عمرو الكندي، عمر بن ابي سلمة، عبد الله بن ابي عبد الاسد المخزومي، عمر بن حصين الخزاعي، بريدة بن الخضيب الاسلمي، جبلة بن عمرو الانصاري، ابو هريرة الدوسي، ابو برزة، نضلة بن عتبة الاسلمي، ابو سعيد الخدري، جابر بن عبد الله الانصاري، جرير بن عبد الله، زيد بن ارقم الانصاري، ابو رافع مولى رسول الله ﷺ، ابو عمير بن عمرو بن محصن الانصاري، انس بن مالك الانصاري، ناجية بن عمرو الخزاعي، ابو زينب بن عوف الانصاري، يعلى بن مرة الثقفي، سعيد بن سعد بن عبادة الانصاري، حذيفة بن اسيد ابو سريحة الغفاري، عمرو بن الحمق الخزاعي، زيد بن حارثة الانصاري، مالك بن الحوريث، ابو سليمان جابر بن سمرة السوراني، عبد الله بن ثابت الانصاري، عبد الله بن أبي اوقر الاسلمي، يزيد بن شراحيل الانصاري، عبد الله بن يسر المازني، النعمان بن العجلان الانصاري، عبد الرحمن بن يعمر الديلمي، ابو الحمراء خادم رسول الله ﷺ، ابو فضالة الانصاري، عطية بن بشر المازني، عامر بن ليلى الغفاري، ابو الطفيل عمرو بن واثلة الكناني، عبد الرحمن بن عبد ربه الانصاري، حسان بن ثابت الانصاري، سعيد بن جنادة العوفي، عامر بن عمير النموي، عبد الله بن باميل، حية بن خوبه العوني، عقبة عامر الجهني، ابو دبب الشاعر، ابو شريح الخزاعي، ابو حجيفة وهب بن عبد الله السوني، ابو امامة الصيدي بن عجلان الباهلي، عامر بن ليلى بن ضمرة، جندب بن سفيان العجلي، اسامة بن زيد بن حارثة الكلبي، وحش بن حرب، قيس بن ثابت الانصاري، عبد الرحمن مديح، حبيب بن بديل الخزاعي، فاطمة بنت رسول الله ﷺ عائشة بنت ابي بكر ام المؤمنين، ام هانئ بنت ابي طالب، فاطمة بنت حمزة بن عبد المطلب،

اسماء بنت عميس الخثعمية، ثم ذكر ابن عقدة ثماني وعشرين رجلاً من الصحابة لم يذكر اسماؤهم ايضاً.

وقد صنف ابو سعد مسعود بن ناصر السجستاني كتاب دراية حديث الولاية وهو شبعة عشر جزء وهو من اوثق رجال الاربعة المذاهب وقد كشف عن يوم الغدير ونص النبي ﷺ على علي بالخلافة بعده ورواه عن مائة وعشرين نفساً من الصحابة منهم ست نساء وعدد اسانيد هذا الكتاب على ما قاله صاحب الطرائف ألف وثلثمائة وخمسة وثلاثون اسناداً وقد كان هذا في حجة الوداع وهي آخر ما كان له من المواقف والاسفار فنعي الى المسلمين نفسه وعرفهم انه قد قرب انتقاله، فأقام باقي ذي الحجة ومحرماً وتوفي في صفر وقيل في ربيع الاول، وقد روى حديث يوم الغدير محمد بن جرير الطبري صاحب التاريخ من خمس وسبعين طريقاً، وأفرد له كتابَ سمّاه كتاب الولاية ذكر أنه انما صنفه للرد على الحرقوصية يعني الحنبلية لان احمد بن حنبل من ولد حرقوص بن زهير الخارجي.

وممن صنف في حديث يوم الغدير الحاكم عبد الله بن عبيد الحسكاني كتاباً سمّاه كتاب دعاة الهداة الى اداء حق الموالاة، وذكر محمد بن الحسن الطوسي في كتاب الاقتصاد وغيره انه قد روى خبر يوم الغدير من مائة وخمسة وعشرين طريقاً، ورواه ايضاً أحمد بن حنبل في مسنده من خمسة عشر طريقاً، ورواه الفقيه بن المغازلي في كتاب المناقب من اثني عشر طريقاً، وقال ابن المغازلي بعد رواياته لخبر يوم الغدير هذا حديث صحيح عن رسول الله ﷺ وقد روى حديث غدير خم من نحو مائة نفس منهم العشرة وهو حديث ثابت تفرد علي بهذه الفضيلة لم يشركه فيها أحد هذا كلامه، فمن روايات الفقيه ابن المغازلي في كتاب المناقب باسناده الى جابر بن عبد الله الانصاري، قال قال رسول الله ﷺ بمنى واني لادناهم في حجة الوداع قال لالفينكم ترجعون بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض وايم الله لئن فعلتموها لتعرفنني في الكتيبة التي تضاربكم ثم التفت الى خلفه فقال أو علي أو علي ثلاثاً فرأينا ان جبرئيل عليه السلام غمزه فأنزل الله تعالى على أثر ذلك فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون بعلي بن ابي طالب الى آخر الحديث.

ومن ذلك ما رواه ايضاً الفقيه الشافعي ابن المغازلي في كتاب المناقب باسناده الى الوليد بن صالح عن زيد بن ارقم، قال اقبل نبي الله في حجة الوداع حتى نزل بغدير الحجفة بين مكة والمدينة فأمر بالدرجات فقمّ ما تحتهن من شوك ثم نادى الصلاة جامعة فخرجنا الى رسول الله ﷺ في يوم شديد الحر وساق الحديث الى ان قال ثم أخذ بيد علي عليه السلام فرفعها فقال من كنت مولاه فعلي مولاه ومن كنت نبيه فهذا وليه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه قالها ثلاثا.

ومن ذلك ما رواه ابو بكر بن مردويه الحافظ عندهم باسنادهم الى ابي سعيد الخدري ان النبي ﷺ يوم دعا الناس الى غدير خم امر بما كان تحت الشجرة من الشوك فقمّ وذلك يوم الخميس ثم دعا الناس الى علي عليه السلام فأخذ بضبعيه فرفعها حتى نظر الناس الى بياض إبط رسول الله ﷺ لم يتفرقا حتى نزلت هذه الاية اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً، فقال رسول الله ﷺ الله اكبر على اكمال الدين ورضى الرب برسالتي والولاية لعيل عليه السلام ثم قال اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم والي من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره وأخذل من خذله الحديث وكذلك رواه ابو سعيد مسعود بن نصار الحافظ السجستاني ومن ذلك ما رواه ابن المغازلي في كتابه ايضاً باسناده الى ابي هريرة قال من صام يوم ثماني عشرة من شهر ذي الحجة كتب له صيام ستين شهراً وهو يوم غدير خم لما أخذ النبي ﷺ بيد علي بن ابي طالب فقال ألست أولى بالمؤمنين من انفسهم، قالوا بلى يا رسول الله قال من كنت مولاه فعلي مولاه فقال عمر بن الخطاب بخ بخ لك يا ابن ابي طالب اصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة، فأنزل الله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً، ولو استقصينا الاخبار التي نقلها الجمهور في باب يوم الغدير لافضى الى تطويل الكتاب.

واما التأويل فقد قاله اكثر محققيهم، وحاصله ان المولى قد ورد في اللغة لمعان منها الناصر، ومنها المحب ومنا الاولى من كل أحد كما يقال مولى العبد وحينئذ فقوله ﷺ من كنت مولاه فعلي مولاه أي من كنت ناصره فعلي ناصره فلا يستلزم الاولوية المطلقة والجواب عن هذا ظاهر فان هذا القول منه ﷺ انما صدر بعد ان قال للناس ألست اولى بكم من انفسكم كما في الروايات من العامة والخاصة، وحينئذ فقوله ﷺ من كنت مولاه فعليٌ مولاه منزّل على تلك الاولوية لانتظامها معها في سياق واحد مع ان هذا المعنى الذي قالوه لا يحتاج الى هذا التأكيد العظيم في ذلك الحر الشديد، وليس هو من خصائص علي عليه السلام لانه يجب على كل مؤمن ان يحب وينصر من أحبه ونصره رسول الله ﷺ .

ولو سلّمنا انه اراد الناصر كما زعمتم فالنصرة لا يمكنه اجراؤها الا اذا رجعت الامور اليه وكان هو الخليفة، حتى يتمكن من نصر من نصره النبي ﷺ ، ولا كان يدع عثمان يخرج ابا ذر من المدينة ويفعل ما فعل، وكذلك من تقدمه من المتخلفين ولكن باب التأويل واسع ولو فرضت ان النبي ﷺ نص على علي عليه السلام بأصرح من هذه الالفاظ لامكن تأويلها، وحيث انجرّ الكلام الى هنا فلنذكر الصلوة على محمد وآله وكذا لعن اعدائهم.

نور صلواتي

يكشف عن الصلوة على النبي ﷺ ولواحقها، روى العامة والخاصة في تفسير قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين آمنوا صلَوا عليه وسلموا تسليماً قالت الصحابة يا رسول الله قد علمنا السلام عليك، فكيف الصلوة عليك قال قولوا اللهم صلّ على محمد وآل محمد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد، وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد، رواه الثعلبي في تفسيره والحميدي في الجمع بين الصحيحين والبخاري في الجزء السادس ومسلم في الصحيح وهذه هي الكيفية الكاملة للتصلية وادنى ما يجزي اللهم صلّ على محمد وآل محمد وصلّى الله على محمد وآل محمد ونحوهما.

واما وجوب الصلوة عليه اذا ذكر أو استحبابها ففيه خلاف بين الاصحاب والذي دلّت عليه الاخبار الصحيحة هو الوجوب كلما ذكره ذاكر سواء اتحد مجلس الذكر او تعدد وسواء صلّى عليه سابقاً لا سواء ذكر باسمه او بقلبه او بكنيته، بل وبالضمير الراجع اليه فانه كناية عنه.

روى الكليني وغيره بالاسانيد المتكثرة عن النبي ﷺ انه قال من ذُكرت فلم يصلّ عليّ دخل النار فأبعده الله، فجيب الصلوة عليه عند ذكره ولو كان السامع مشغولاً بالصلوة الواجبة قطعها وصلّ عليه كما جاء في الرواية وهي على ما صلى. واما صلوة المخالفين وبعض صلوة عوام الشيعة وهي الصلوة عليه وحده بدون ضمّ الآل فهي صلوة لا يقبلها الله سبحانه ولا هي الكيفية المأمور بها، روى بالاسانيد المعتبرة عنه ﷺ انه قل لا تصلوا عليّ الصلوة البتراء، فقالوا يا رسول الله وما الصلوة البتراء قال ان تقولوا اللهم صلّ على محمد بل قولوا اللهم صلّ على محمد وآل محمد وسمع الصادق عليه السلام رجلاً يقول اللهم صلّ على محمد فقال الصادق عليه السلام لا تبترها ولا تلظمنا حقنا قل وآل محمد.

وفي صحيح الاخبار انه قال من صلّى عليّ ولم يصلّ على آلي لم يجد ريح الجنة وان ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام، وقال ﷺ اذا صلّى عليّ ولم يتبع بالصلوة على اهل بيتي كان بينها وبين السماء سبعون حجاباً يقول الله عزّ وجل لا لبيك ولا سعديك يا ملائكتي لا يصعدوا دعائه الا ان يلحق بنبيي عترته فلا يزال محجوباً حتى يلحق بي اهل بيتي.

واما ثواب الصلوة عليه فقد روى عنم المعصومين عليهم السلام ما لا يكاد يدخل تحت قلم الضبط، منها ما رواه ابو بصير عن الصادق عليه السلام قال اذا ذكر النبي ﷺ فاكثروا الصلوة عليه فانه من صلّى على النبي ﷺ صلوة واحدة صلىّ الله عليه في الف صفّ من الملائكة، ولم يبق

شرء مما خلقه الله الا صلّى على ذلك العبد لصلوة الله عليه وصلوة ملائكته، فمن يرغب في هذا فهو جاهل مغرور قد برئ الله منه وملائكته ورسوله.

وينبغي ان تكتب الصلوة لا بلفظ الرمز كما هو المتعارف في هذه الاعصار، قال شيخنا الشهيد الثاني قدس الله روحه الو من كتب صلعم قطعت يده واقلّ ما في الاخلال بها تفويت الثواب العظيم عليها، فقد ورد عنه ﷺ انه قل من صلىّ علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب انتهى.

وفي الروايات انه لما نظر آدم الى حوا قال يا رب زوجني منها فقال جل اسمه هات مهرها يا آدم، فقال آدم يا رب ما اعلم قال الله تعالى يا آدم صلّ على محمد وآل محمد عشر مرات، فصلّى آدم كما أمره الله جلّ جلاله فزوجه بها، فاذا كانت الصلوة مهر حوا فكيف لا يكون مهر الحور العين.

وفي الروايات ايضاً ان الله تعالى قد خلق ملائكة سيّاحين في الارض وليس لهم غرض إلاّ تبليغ النبي ﷺ صلوة من يصلي عليه ﷺ في اطراف الارض يقولون له يا رسول الله فلان قد بلّغك السلام والصلوة، فيقول النبي ﷺ وعلى فلان الصلوة والسلام وكذلك يبلّغونه زيارات الزائرين كما يبلغون الائمة عليهم السلام صلوات المصلين وزيارات الزائرين وسلام المسلّمين، وروى ايضاً ان الله سبحانه قد خلق ريحا تبلّغ النبي ﷺ سلام المسلّمين وصلوة المصلين.

وروى ابو سعيد في كتاب الوفي لشرف المصطفى عن علي عليه السلام انه قال قال رسول الله ﷺ اكثروا عليَ الصلوة قلت وهل تبلغك الصلوة بعد ان تفارقنا، قال نعم يا علي ان الله تبارك وتعالى وكلّ بقبري ملكاً يقال له صلصائيل وهو في صورة الديك متن عرفه تحت عرش الرحمن ومخالبيه في تخوم الارض السابعة، له ثلاث اجنحة اذا نشرها واحداها بالمشرق والاخر بالمغرب والاخر منتشر على ارض قبري فاذا قال العبد اللهم صلّ على محمد وآل محمد كما صليت وباركت وترحمت على ابراهيمخ وآل ابراهيم انك حميد مجيد لقطها كما يلقط الطير الحب ثم يرفرف على قبري ويقول يا محمد يا محمد ان بن فلان صلّى عليك وأقرأك السلام فيكتب له في رقَ من نور بالمسك الاذفر ويرفع له عشرون الف حسنة ويمحي عنه عشرون الف سيئة ويغرس له عشرون الف شجرة، ومن كانت له حاجة الى الله سبحانه واراد قضائها فليعمل ما قاله الصادق عليه السلام وهو ان يصلي على محمد وآله في اولها وآخرها ويذكر حاجته في الوسط فان الله سبحانه اكرم من ان يقبل الطرفين ويرد الوسط وهذا من باب بيع الصفقة فاما ان يقبل الكل او يرد الكل والطرفان مقبولان فيقبل الوسط ايضاً.

واما آله ﷺ فقد اختلف المسلمون في المراد بهم، والذي اجتمعت عليه شيعتهم بسبب النقل المستفيض عن المعصومين انهم المعصومون عليهم السلام لا غير.

ويعجبني نقل كلام ذكره المحقق الدواني[٤٢] وهو من علماء الجمهور في حواشي شرح الهيا كل وهذه عبارته آل الشخص من يؤل الى ذلك الشخص فآله ﷺ من يؤل اليه ﷺ اما بحسب النسب أو النسبة اما الاول فهم الذين حرّم عليهم الصدقة في الشريعة المحمدية وهم بنو هاشم وبنو عبد المطلب عند بعض الائمة وبنو هاشم فقط عند البعض واما الثاني فهم العلماء ان كانت النسبة بحسب الكمال الصوري اعني العلم التشريعي فالاولياء والحكماء المتألهون وان كانت النسبة بحسب الكمال الحقيقي اعني علم الحقيقة.

اقول وكما حرم على الاول الصدقة الصورية حرم على الثاني الصدقة المعنوية اعني تقليد الغير في العلوم والمعارف، قال ﷺ من يؤل اليه اما بحسب نسبة لحياته الجسمانية كولاده النسبية ومن يذو حذوهم من اقاربه الصورية، او بحسب نسبته لحياته العقلية كولاده الروحانية من العلماء الراسخين والاولياء الكاملين والحكماء المتألهين المقتبسين من مشكاة انواره سواء سبقوه زماناً أو لحقوه ولا شك ان النسبة الثانية اوكد من الاولى والثانية من الثانية اوكد من الاولى منها واذا اجتمع النسبتان بل النسب الثلاث كان نوراً على نور كما في الائمة المشهورين من العترة الطاهرة صلوات الله عليهم اجمعين.

ثم قال ويحتمل ان يكون مراد المصنفين جميع افراد الآل اعني الصوريين والمعنوية وان يكون مرادهم المعنوية سواء كانا سابقين عليه بالزمان او لاحقين له سواء انتسبوا اليه في العلم بظاهر التشريع او باطنه انتهى كلامه.

وشيخنا البهائي طاب ثراه بعد ان نقل حاصل هذا الكلام قال وهو مما يستوجب ان يكتب بالتبر على الاحداق بال بالحبر على الاوراق.

وبقي الكلام هنا في تحقيق مسأل علمية في التشبيه الذي في قوله كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم، وحاصل تقريرها ان هنا اشكالاً وهو ان في التشبيه يعتبر كون المشبه به اقوى في وجه الشبه او مساوياً، والصلوة هنا الثناء والعطا والمنحة التي هي من آثار الرحمة والرضوان فتستدعي

---

(٤٢)هو المحقق الحكيم المتكلم الشهير المولى جلال الدين محمد بن اسعد الدواني المتوفى سنة(٩٠٨)هـ المنتهى نسبه الى محمد بن ابي بكر كان في اوائل امره على مذهب اهل السنة ثم صار من الشيعة وصنف رسالة فارسية سماها(نور الهداية) صرح فيها بتشيعه توجد نسختها اليوم في بعض مكتبات النجف الاشرف، والسيد القاضي نور الله الشهيد لم يطلع عليها فتمسك في اثبات تشيعه بما لايخلو عن تسعف ،راجع الى الكتاب مجالس المؤمنين تجد صدق ما قلناه انظر الى تنقيح المقال ج١ ص٢٣٠ط نجف والى الكنى والالقاب للقمي ج٢ ص٢٠٦ طصيدا .

ان يكون عطاء ابراهيم والثناء عليه فوق الثناء على محمد ﷺ او مساوياً له وليس كذلك والا لكان افضل منه والواقع خلافه، وقد تصدى المحققون للجواب عنه من وجوه:

اولها ان يكون المراد تشبيه اصل الصلوة بالصلوة لا الكمية بالكمية كما في كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلم، والمراد في اصله لا في قدره، ووقته ورده شيخنا الشهيد قدس الله روحه بأن الكاف للتشبيه وهو صفة مصدر محذوف أي صلوة مماثلة للصلوة على ابراهيم، والظاهر ان هذا يقتضي المساواة اذ المثلان هما المتساويان في الوجوه الممكنة.

وثانيها ان الصلوة بهذا اللفظ جارية في كل صلوة على لسان كل مصلِّ الى انقضاء التكليف، فيكون الحاصل لمحمد ﷺ بالنسبة الى مجموع الصلوات اضعافاً مضاعفة واورد عليه ايضاً بان التشبيه واقع في كل صلوة تذكر في حال كونها واحدة فالاشكال قائم .

وثالثها ان مطلوب كل مصلِّ المساواة لابراهيم في الصلوة فكل منهم طالب صلوة مساوية للصلوة على ابراهيم واذا اجتمعت هذه المطلوبات كانت زائدة على الصلوة على ابراهيم.

ورابعها ان الدعاء انما يتعلق بالمستقبل فمتى وقع تشبيه بين لفظين فانما يقع في المستقبل وحاصله ان الدعاء انما يتعلق بالمستقبل ونبينا محمد ﷺ كان الواقع قبل هذا انه أفضل من ابراهيم وهذا الدعاء يطلب فيه زيادة على هذا الفضل مساوية لصلوته على ابراهيم فهما وان تساويا في الزيادة الا ان الاصل المحفوظ خال من معارضة الزيادة.

وخامسها ان المشبه به المجموع المركب من الصلوة على ابراهيم وآله ومعظم الانبياء آل ابراهيم، والمشبه الصلوة على نبينا وآله فاذا قوبل آله بآلهم رجحت الصلوة عليهم على الصلوة على آله فيكون الفاضل من الصلوة على آل ابراهيم لمحمد ﷺ فيزيد به على ابراهيم، ويشكل بأن ظاهر اللفظ تشبيه الصلوة على محمد ﷺ بالصلوة على ابراهيم والصلوة على آله بالصلوة على آل ابراهيم تطبيقاً بين المسميين والآلين فكل تشبيه على حدته فلا يؤخذ من احدهما للآخر.

وسادسها ان التشبيه انما هو في صلاة الله على محمد وفي صلاته على ابراهيم وآله فقوله اللهم صلِّ على محمد على هذا منقطع عن التشبيه وفي هذين الجوابين هضم لآل محمد كما قيل، وقد قدمنا الدلائل على افضلية علي عليه السلام على الانبياء، وهو واحد من الآل فيكون السؤال عند الامامية باقياً له بحاله.

وسابعها انه ﷺ من آل ابراهيم فهو داخل في الصلوة المشبه بها منضَماً الى غيره، والصلوة المشبه مختصة به وحده فصارت الاولى افضل بهذا الاعتبار وعلى هذا نزلوا الجواب عن الاشكال الوارد على ظاهر قوله تعالى وفدنياه بذبح عظيم، بارادة الحسين عليه السلام من الذبح العظيم

كما روى تفسيره عنهم عليهم السلام وحاصل الاشكال ان الحسين عليه السلام فضل من اسماعيل فكيف يكون فداءً له.

والجواب ان الحسين وحده وسائر المعصومين عليهم السلام من اولاد اسماعيل فالحسين عليه السلام انما صار فداء لهذه السلسلة الطاهرة وهو واحد منها والاصوب في الجواب عن هذا الاشكال هو ما رواه الصدوق طاب ثراه في عيون اخبار الرضا باسناده الى الفضل بن شاذان، قال سمعت الرضا عليه السلام يقول لما امر الله تبارك وتعالى ابراهيم عليه السلام ان يذبح مكان ابنه اسماعيل الكبش الذي انزله عليه تمنى ابراهيم عليه السلام ان يكون قد ذبح ابنه اسماعيل عليه السلام بيده انه ولن يؤمر بذبح الكبش مكانه ليرجع الى قلبه ما يرجع الى قلب الوالد الذي يذبح اعزّ ولده بيده فيستحق بذلك ارفع درجات اهل الثواب على المصائب فأوحى الله عزّ وجل اليه يا ابراهيم من احب خلقي اليك، فقال يا رب ما خلقت خلقاً هو احب اليّ من حبيبك محمد صلى الله عليه وآله فأوحى الله عز وجل اليه يا ابراهيم هو احب اليك ام نفسك قال بل هو احب اليّ من نفسي، قال فولده أحب اليك او ولدك، قال بل ولده قال فذبح ولده ظلماً على ايدي اعدائه اوجع لقلبك ام ذبح ولدك بيدك في طاتي، قال يا رب بل ذبحه على ايدي اعدائه اوجع لقلبي.

قال يا ابراهيم ان طائفة تزعم انها من امة محمد صلى الله عليه وآله ستقتل الحسين ابنه من بعده ظلماً وعدواناً كما يذبح الكبش، ويستوجبون بذلك سخطي، فجزع ابراهيم عليه السلام لذلك وتوجع قلبه واقبل يبكي فأوحى الله عز وجل اليه يا ابراهيم قد فدين جزعك على ابنك اسماعيل لو ذبحته بيدك بجزعك على الحسين وقتله، وأوجبت لك ارفع درجات اهل الثواب على المصائب، وذلك قول الله عز وجل وفديناه بذبح عظيم وحاصله ان الفداء بمعنى التعويض وهو معناه اللغوي.

وثامنها ان القوة في التشبيه هنا ترجع الى الظهور والوضوح، الصلوة على ابراهيم ظاهرة مشهورة عند ارباب الملل، والاديان اجابة لدعائه، حيث قال واجعل لي لسان صدق في الاخرين، يعني ذكراً جميلاً، ومن هذا كانت الانبياء عليهم السلام ينسبون انفسهم اليه والى دينه، فيكون هذا التشبيه من باب قوله تعالى مثل نوره كمشكوة، لان نور المشكوة محسوس مشاهد لكل احد.

وتاسعها ان الكاف للتعليل مثلها في قوله تعالى واذكروا الله كما هديكم، وقد بقيت هنا وجوه أخرى، ذكرناها في شرحنا الصغير على الصحيفة السجادية، اذا انتقش هذا على صحيفة بالك فأعلم ان شيخنا الشهيد قدس الله روحه بعد ان ذكر بعض هذه الوجوه قال قلت كل هذا بناء على ان صلوتنا عليه صلى الله عليه وآله تفيده زيادة في رفع الدرجة ومزيد الثواب وقد انكر هذا جماعة من المتكلمين وخصوصاً الاصحاب وجعلوا هذا من قبيل الدعاء بما هو واقع امتثالاً لاوامر الله تعالى والا فالنبي صلى الله عليه وآله قد اعطاه الله من الفضل والجزاء والتفضيل ما لا يؤثر فيه صلوة مصلٍ وجدت او

عدمت، وفائدة هذا الامتثال انما يعود الى المكلف فيستفيد به ثواباً كما جاء في الحديث من صلى عليَ واحدة صلّى الله عليه بها عشراً وحينئذ فيظهر ضعف الجواب الرابع من طلب المنافع في المستقبل فان هذا كله في قوة الاخبار عن عطاء الله تعالى وحينئذ يكون جواب التشبيه للاصل بالاصل سديداً ويلزمه المساواة في الصلوتين ولكن تلك الامور موهبية فجاز تساويهما فيها وان تفاوتا في الامور الكسبية المقتضية للزيادة فان الجزاء على الاعمال هو الذي تتفاضل فيه العمال لا المواهب التي يجوز بسببها كل واحد تفضلاً خصوصاً على قواعد العدلية وهب ان الجزاء كله تفضل كما تقوله الاشعرية الا ان الصلاة موهبية محضة ليست باعتبار الجزاء فالذي يسمى جزاء عند العمل وان لم يكن مسبباً عن العمل هو الذي يتفاضلان فيه، هذا واضح انتهى كلامه طاب ثراه.

ويخطر بالبال التكلم عليه من وجوه اولها ان قوله ان الله اعطى من الفضل والجزاء ما لا يؤثر فيه صلوة مصل وجدت او عدمت قد دلت الاخبار على نقيضه، فان درجات نواله تعالى مما لا تقف الى حد، وكل درجة فوقها درجة ونبينا ﷺ قد امتاز عن سائر الانبياء عليهم السلام بزيادة القبول للفيوض الربانية، وكان ﷺ يقول ان ربي قد وعدني درجة لا تنال الا بدعاء امتي، وكان يطلب الدعاء من صلحاء المؤمنين واكابر المتقين مع ان دعاءنا له ﷺ وطلبنا مزيد نوال الله سبحانه له انما هو من جملة اعماله ﷺ التي يستحق بها مزيد القرب والدرجات، لانه ﷺ قد استنقذنا من ورطة الهلاك وقد كان الناس على شفا جرف من النار فأخذ بايديهم وبلّغهم الى اقصى درجات المقربين وكذلك اولاده المعصومين عليهم السلام فقد استحقوا بهذا منّا الصلوة وطلب الرحمة من الله تعالى، فدعاؤنا لهم من جملة اعمالهم، ولا شك ان اعمالهم مما يوجب مزيد الثواب لهم بلا خلاف منّا، وليس هذا الا من باب دعاء المؤمن لاخيه بظهر الغيب، فانه مما يوجب مزيد الاجر للداعي والدعو له، وقد اورد على هذا بأنه مناف لقوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى.

والجواب عن تلك الشبهة كما قلنا هو جواب عن هذه ايضاً، فان المؤمن لما صار مؤمناً باختياره وفعل ما حبب به نفسه الى المؤمنين حتى قدم المؤمنون على الدعاء له بظهر الغيب سواء كان حياً أو ميتاً كان دعاء الداعي من جملة اعمال المدعو له، وفي الحديث القدسي مما اوحى الله عز وجل الى موسى على نبينا وآله وعليه السلام ان قل له يا موسى ادعني بلسان لم تعصني به، قال يا رب كيف ذاك ولساني قد عصيتك به قال اطلب من اخوانك الدعاء فانك لم تعصني بلسان احد منهم، وموسى عليه السلام قد كان من اولي العزم المقربين ودرجته بالنسبة الى دعاء امته كدرجة نبينا ﷺ بالنسبة الى دعائنا كما يستفاد من ظاهر بعض الروايات.

وثانيها انه طاب ثراه قد فسر الصلوة بالعطا والمنحة التي هي من آثار الرحمة والعطا والمنحة التي نطلبها للنبي واهل بيته ليست مخصوصة بما يتعلق بهم وحدهم بل هو عطاء يزيد في علوهم ويرفع شرفهم فوق شرف الانبياء عليهم السلام، واكمل هذا واهمه هو مقام شفاعتهم من امتهم، ومقام شهادتهم على تبليغ سائر الانبياء والمرسلين عليهم السلام كما روى في الاخبار الصحيحة ونحو هذين وهذا الدعاء وان كان لهم صورة الا انه في المعنى ترجع فائدته الينا واليهم، فالينا بقبول شفاعتهم في حقنا للخلاص من اليم العذاب واليهم باظهار قبول شفاعتهم وحصول ملتمسهم على رؤوس الاشهاد بحضور الملائكة المقربين والانبياء المرسلين والعباد الصالحين.

ولا ريب ان قبول الالتماس من ارفع الدرجات كما ان ردّه من اعظم النكبات ولا تظنَ ان اعلى هو اعالي الجنان واللوس مع الحور والغلمان فان هذا من لذات البدن وذاك من لذات الروح، وهم عليهم السلام انما كان مطمح انظارهم هو طلب اللذة المعنوية، كما قاله سيد الموحدين عليه افضل التسليمات ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنتك ولكن وجدتك اهلاً للعبادة فعبدتك، وفي القرآن العزيز بعد ان ذكر سبحانه اللذات الحسية من الاشجار والانهار والحور والغلمان قال ورضوان من الله اكبر، فانه لذة معنوية كما عرفت والاشارة الى نقيضه واقعة بقوله تعالى حكاية عن دخول جهنم ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته، وذلك ان الخزي عذاب روحاني وحرارة نار جهنم وما أعدّ فيها من العقارب والافاعي عذاب جسماني، والاول افظع وأشدّ هولاً من الثاني ولذا لم يقل من تدخل النار فقد احرقته أو عذبته أو نحو ذلك والحاصل ان هذا الدعاء الخاص بالصلوة على النبي ﷺ من باب ما ورد في ادعية الصلوة وتقبّل شفاعته في امته وارفع درجته، فأن رفع الدرجة وان كان اعمَ الا انه هنا كالتفسير والبيان لقبول الشفاعة على ما عرفت مع أنه ورد في الروايات ان معن السلام على المعصومين عليهم السلام هو سلامتهم وسلامة دينهم وشيعتهم في زمن القائم عليه السلام هذا مما يتعلق بالادعية وتزيد التأثيرات فيه كما لا يخفى.

وثالثها ان قوله طاب ثراه وتلك الامور موعبية فجاز تساويهما، يرد عليه انك قد فسرت الصلوة بالعطاء الذي هو من آثار الرحمة، فنعود ونقول ما هذا العطاء واي شيء ذلك العطاء الذي فضّل الله فيه ابراهيم على محمد ﷺ بل ساواه فيه ان كان هو في عالم الدنيا فهذا عالم محسوس مشاهد وهو ﷺ قد فضل على سائر الانبياء في جميع الكمالات وان كان في النشأة الاخرى فقد روى ان الحوض والكوثر ومقام الشفاعة قسمة الجنان والنيران والشهادة للانبياء بالتبليغ والسبق بدخول الجنة ول كمال هناك انما هو آئل اليه ﷺ والى اهل بيته من غير مشاركة أحد فأين هذا العطاء الموهبي الذي تساويا فيه مع ان المواهب التي تتفاوت فيها الدرجات انما

يكون مسببة عن الاعمال والاخلاص فيها، ومن ثم فصلت ضربة ابن عبد ودّ اعمال الامة الى يوم القيامة، ولا خلاق في ان اعماله ﷺ قد فضلت اعمال الانبياء فتكون مواهب الله سبحانه أزيد وأكثر وبالجملة اعتقادنا في هذه المسئلة هو ان الصلوة على النبي ﷺ مما يعود نفعها الينا واليه بما عرفت والله اعلم.

(خاتمة هذا النور في لعن المخالفين والمتخلفين)

اعلم انه قد ورد الخلاف هنا ايضاً وهو ان المؤمن اذا لعن من يستحق اللعن من ظالمي اهل البيت وغيرهم فهل يكون هذا اللعن مما يزيد في عذابهم ام ان الله سبحانه قد بلغ بهم الى اقصى دركات العذاب بحيث يكون اللعن لا يزيدهم عذاباً وانما يزيد المؤمن ثواباً، والاولى بل هو المستفاد من الاخبار هو اوضحية القول الاول، وذلك ان رئيس الظالمين هو ابليس اللعين وقد روى في وصف مجيئه الى يحيى بن زكريا انه قد كان على راسه بيضة، فقال له يحيى عليه السلام ما هذه البيضة التي على رأسك فقال بها أتوقى لعنات المؤمنين، وذلك ان كل لعنة تأتي اليّ منهم كالشهاب الثاقب فأتوقى منها بهذه البيضة.

واما اخوته الثلثة المتخلفون فمن اسباب تضاعف عذابهم بلعن اللاعنين هو ان اسباب ظلمهم وجورهم، وما أحكموه في زمانهم قد امتدّ الى يوم القيامة على كل المؤمنين ولو قلت لك ان ظلمهم على آحاد المؤمنين أعظم منه على امير المؤمنين عليه السلام لكان قريباً من الصواب، وذلك ان اشتباه الاحكام في هذه الايام وانتشار اعلام الجور وانزواء الحق واهله انما جاء من قبلهم، وكذلك استتار الائمة عليهم السلام على ما حققناه سابقاً وهو الذي اثار الفتن وصدع اركان الدين ففي كل ساعة وفي كل لحظة يحصل للمؤمن الم من هذه الجهات فيلعنهم فيكون لعنه مقارناً لايذاء المتخلفون له فكيف لا يكون سبباً في مزيد عذابهم بل ولو من غير تذكر تألم لكان كذلك ايضاً لمقارنته لحالات الظلم، ومن هذا قال الصادق عليه السلام والله ما اريقت محجمة دم في الاسلام الى يوم القيامة الا وهي في اعناقهما.

وفي الاخبار ما هو اغرب من هذا وهو ان مولانا صاحب الزمان عليه السلام اذا ظهر وأتى المدينة اخرجهما من قبريهما فيعذبهما على كل ما وقع في العالم من الظلم المتقدم على زمانيهما كقتل قابيل هابيل وطرح اخوة يوسف له في الجبّ ورمي ابراهيم في نار نمرود، واخراج موسى خائفاً يترقب وعقر ناقة صالح وعبادة من عبد النيران، فيكون لهما الحظ الاوفر من انواع ذلك العذاب.

ولعلك تقول ان هذا ينافي العدل اذهما لم يحضرا تلك الاعصار ولم يكونا من اسباب ما وقع فيها من الظلم، كما كانا اسباباً لاستمرار الظلم بع زمانهم الى يوم القيامة فنقول هذا لا ينافيه

بوجه، وذلك ان الله سبحانه قد اخبر النبي الصادق بأن كل من يغصب خليفتك من بعدك ويجتري على ابنتك بمنعها حقها وميراثها يكون شريكاً للظالمين في عذابهم، والنبي ﷺ قد اسمعهما مثل هذا فقدما على اسباب العذاب بعد العلم والسماع من الصادق الامين باختيار منهما فيكون ذلك العذاب قد استحقاه وقبلاه فلا يكون من انواع الظلم في شيء، وليس الا من قبيل تخليد الكفار في النار الى ما لا نهاية له مع ان اعمارهم التي كانت مدة زمان كفرهم اقل قليل.

وذلك ان الله سبحانه قد قرر هذا العذاب بازاء تلك المعصية وطول زمان المعصية وقصره مما لا مدخل له في طول العذاب وقصره، وكذلك ازمنة الطاعات والثواب على المترتب فعلها.

نور في ابتداء خلق الدنيا

روى الثقاة من اصحابنا عن النبي ﷺ ان موسى سأل ربه عزَ وجل ان يعرفه بدء الدنيا منذ كم خلقت فأوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام تسألني عن غوامض علمي فقال يا رب أحب ان اعلم، فقال تعالى يا موسى خلقت الدنيا منذ مائة الف عام عشر مرات وكانت خراباً خمسين الف عام ثم بدأت في عمارتها فعمرتها خمسين الف عام، ثم خلقت فيها خلقا على مثال البقر يأكلون رزقي ويعبدون غيري خمسين الف عام ثم افنيتهم كلهم في ساعة واحدة، ثم خربت الدنيا خمسين الف عام ثم بدأت في عمارتها فمكثت عامرة خمسين الف عام ثم خلقت فيها بحراً فمكث البحر خمسين الف عام ثم خلقت دابة وسلطتها على ذلك البحر فشربته في نفس واحدة، ثم خلقت خلقاً اصغر من الزنبور واكبر من البق، فسلطت ذلك الخلق على هذه الدابة فلدغها وقتلها فمكثت الدنيا خراباً خمسين الف عام، ثم بدأت في عمارتها فمكثت خمسين الف سنة، ثم خلقت الدنيا كلها آجام القصب وخلقت السلاحف وسلطتها عليه فاكلها حتى لم يبق منه شيء ثم اهلكتها في ساعة واحدة فمكثت الدنيا خراباً خمسين الف عام، ثم بدأت في عمارتها فمكثت عامرة خمسين الف عام ثم خلقت ثلاثين آدم في ثلثين الف سنة من آدم الى آدم الف سنة فأفنيتهم كلهم بقضائي وقدري، ثم خلقت فيها خمسين الف الف مدينة من فضة بيضاء، وخلقت في كل مدينة مائة الف قصر من الذهب الاحمر، فملأتها خردلاً وكان الخردل يومئذ الذّ من الشهد وأحلى من العسل وابيض من الثلج ثم خلقت طيراً واحد أعمى وجعلت زرقه في كل سنة حبة من خردل فأكلها حتى فنيت، ثم خربتها فمكثت خراباً خمسين الف عام ثم اباك آدم عليه السلام بيدي يوم الجمعة وقت الظهر ولم اخلق من الطين غيره واخرجت من صلبه النبي ﷺ .

اقول المراد بالدنيا في هذا الحديث هو ما سوى الله سبحانه من اصناف المخلوقات كلها فتشمل الافلاك والعناصر والنفوس الناطقة وغيرها، وهذا هو مذهب كافة اهل الملل كالمسلمين واليهود والنصارى والمجوس، واما حكماء الفلاسفة فقد ذهبوا في القدم والحدوث الى مذاهب كثيرة، فذهب ارسطو ومن تبعه من متأخري الفلاسفة كالفارابي وابن سينا الى انّ الاجسام قديمة بذواتها وصفاتها، وتفصيل مذهبهم انهم قالوا الاجسام تنقسم الى فلكيات وعنصريات اما الفلكيات فانها قديمة بموادها وصورها الجسمية والنوعية واعراضها المعينة من المقادير والاشكال وغيرها الا الحركات والاوضاع الشخصية فانها حادثة قطعا، ضرورة ان كل حركة مسبوقة بأخرى لا الى نهاية، وكذا الاوضاع المعينة التابعة لها، واما مطلق الحركة والوضع فقديم ايضاً لان مذهبهم ان الافلاك متحركة حركة مستمرة من الازل الى الابد بلا سكون اصلاً.

واما العناصر فقديمة بموادها وصورها الجسمية بنوعها، وذلك لان المادة لا تخلو عن الصورة الجسمية التي هي طبيعة واحدة نوعية لا تختلف الا بأمور خارجة عن حقيقها يكون نوعها مستمر الوجود بتعاقب افرادها ازلاً وابداً، وبصورها النوعية بجنسها وذهب بعضهم الى انها قديمة بذواتها محدثة بصفاتها، وهو قول من تقدم ارسطو من الحكماء وهؤلاء قد اختلفوا في تلك الذوات القديمة فمنهم من قال انه جسم واختلف في ذلك الجسم أي الاجسام هو، فقال ثاليس الملطي انه الذي هو المبدع الاول، ومنه ابدع الجواهر كلها من السماء والارض وما بينهما، وقال صاحب الملل والنحل وكأنه أخذ مذهبه من الكتب الالهية، ففي التورية ان الله تعالى خلق جوهرة ونظر اليها نظر الهيبة فذابت وصارت ماء فحصل البخار وظهر على وجهها بحسب الحركة زبد وارتفع منها دخان وحصل من زبدها الارض ومن دخانها السماء، وقيل الارض وحصلت البواقي بالتلطيف وقيل النا وحصلت البواقي بالتكثيف وقيل البخار وحصلت العناصر بعضها بالتلطيف وبعضها بالتكثيف وقيل الخليط من كل شيء لحم وخبز وغير ذلك، ومنهم من قال انه ليس بجسم، فقالت الثنوية من المجوس النور والظلمة، فانهما قديمان وبدؤ العالم من امتزاجهما، وقال الحرنانيون منهم القائلون بالقدماء الخمس النفس والهيولى وقد عشقت النفس بالهيولى لتوقف كمالاتها عليها فحصل من اختلاطهما أنواع المكونات، وقيل هي الوحدة فانها تحيرت وصارت الواحدات نقطاً ذوات اوضاع واجتمعت النقط فصارت خطّا واجتمعت الخطوط فصارت سحطا واجتمعت السطوح فصارت جسماً وذهب جالينوس الى التوقف في الكل اذ يحكى عنه انه قال في مرضه الذي توفي فيه لبعض تلامذته أكتب عني اني ما علمت ان العالم قديم او حادث وان النفس الناطقة هي المزاج أو غيره، وقد طعن فيه اقرانه بذلك حين اراد من سلطان

زمانه تلقيبه بالفيلسوف، هذا محصّل مقالتهم وأما الشبه التي استندوا اليها في تصحيح هذه المذاهب الفاسد فمذكورة في كتب الحكمة وكذا الاجوبة عنها.

فان قلت لعله قد روى في الاخبار ان الله تعالى لم يزل خلاّقاً وهذا الحديث بظاهره ينافي الحدوث قلت الجواب عنه من وجهين الاول ان معناه والله اعلم انه لم يزل متصفاً بهذه الصفة وهو صفة الخلاقية باعتبار القدرة على الخلق، فان القادر على الشيء يوصف به وان لم يصدر منه ذلك الفعل ويدلّ عليه ما روى في الاخبار وكان خالقاً اذ لا مخلوق وعالماً اذ لا معلوم وقادراً اذ لا مقجور والثاني ان الخلق بمعنى الايجاد تارة، وبمعنى التقدير أخرى وفي المثل اني اذا خلقت فريت أي اذا قدرت امضيت قال الصدوق طاب ثراه وفي قول ائمتنا عليهم السلام ان افعال العباد مخلوقة خلق تقدير لا خلق تكوين وخلق عيسى عليه السلام من الطين كهيئة الطير، وخالقه في الحقيقة الله عز وجل اقول وعلى هذا ينزّل قوله تعالى تبارك الله احسن الخالقين وهذا في الحقيقة، راجع الى العلم، فأنه عزَ سلطانه قد علم بالمخلوقات قبل ايجاده كعمله بعد ايجادها.

واما قوله سبحانه في الحديث القدسي كنت كنزاً مخفياً فأحببت ان اعرف فخلقت لاعرف، فالخلق في قوله فخلقت بمعنى الايجاد، وقد اورد على هذا الحديث اشكال وحاصله ان الخفا لا يكون الا مع وجود أحد يخفى عليه الشيء حتى يتصف ذلك الشيء بالخفا كما يقال هذا الشيء مخفي عن فلان، وخفى عليه الشيء الفلاني ولم يكن في عالم الاول مخلوق حتى يتصف سبحانه بالخفاء عنه فكيف قال مخفياً والجواب عن هذا الاشكال من جهين.

الأول: ان ارباب اللغة قد صرحوا بان خفي بمعنى ظهر قال في الصحاح نقلاً عن الاصمعي خفيت للشيء أخفيته كتمته وخفيته ايضاً أظهرته وهو من الاضداد ونقل عن ابي عبيدة ايضاً مثله، ونزل عليه قوله تعالى ان الساعة آتية اكاد اخفيها في من قرأ بفتح الهمزة أي اظهرها وفي نهاية ابن الاثير فالمعنى حينئذ اني كنت كنزاً ظاهراً فخلقت الخلق ليعرفوني على هذا الظهور الذي انا عليه، ولو لم اكن بهذه الغاية من الظهور لما توصلوا الى معرفتي بعد خلفي اياهم الثاني ان يكون الخفا بمعناه الاخر وهو الانسب بالكنز ولكن المبادئ انما تطلق عليه سبحانه باعتبار غاياتها ولوازمها ومعناه حينئذ اني كنت كنزاً مستوراً ومحتجباً تحت سرادق العز والجلال فأحببت ان ابرز من تحت هذا الحجاب، فخلقت الخلق واظهرت نفسي لهم من تحت السرادقات ليعرفوني فانه سبحانه لما خلق مخلوقاته تنزّل من ذلك الحجاب الى غاية الظهور وأزال المواقع التي لو بقيت بعد خلق الخلق على ما كانت عليه لم تصل الى اقرب درجة من مراتب معرفته العقول الطامحة بل انبسط معهم في الخطاب وعاتبهم على ما جنوا أرفق عتاب، فقال عز من قائل من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له، وقال ان تنصروا الله ينصركم، حتى قالت المنافقون واليهود ان رب

محمد قد افتقر وانه صار عاجزاً فطلب النصر فقال امير المؤمنين عليه السلام استقرضكم وله خزائن السموات والارض، واستنصركم وله جنود السموات والارض وفي الحديث القدسي يا ابن آدم ما اقلَ حياك كم أتحبب اليك بالاحسان وتتبغض اليَ بالمعاصي، خيري اليك نازل وشرك اليَ صاعد حتى كأني المحتاج اليك وانت الغني عني، ويكفيك في لطيف خطابه قوله يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن، الى غير ذلك من الايات والاخبار وهو الذي اطلع ابناء التراب على جناب قدسه العزيز وادناهم الى حماه المكين الحريز حتى اسند صفاته المتعالية اليهم وافعالهم الحميدة اليه مع نقصها عن قابلية الكمال.

وروى في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال ان الله عزَ وجل يقول يوم القيامة يا ابن آدم مرضت فلم تعدني، قال يا ربَ كيف ادعوك وأنت رب العالمين قال أما علمت ان عبدي فلاناً مرض فلم تعده أما علمت انك لو عدته لوجدتني يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني قال يا رب وكيف اطعمك وانت رب العالمين قال اما علمت انه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه اما علمت انك لو اطعمته لوجدت ذلك عندي يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني قال يا رب كيف اسقيك وانت رب العالمين قال استسقاك عبدي فلان فلم تسقه اما علمت انك لو سقيته لوجدت ذلك عندي وامثال ذلك من الاخبار كثيرة.

نور سماوي يكشف عن ابتداء خلق السموات

وكيفيتها وما يتبع ذلك إعلم وفقك الله ان الفلاسفة وجمعاً كثيراً من علماء الاسلام قد مهدَوا اصلاً فاسداً ولفقوا له دلائل أوهن من بيت العنكبوت وبنوا عليه فروعاً كثيرة لا تكاد تحصى وذلك انهم نظروا الى ان الله تقدس وتعالى واحد حقيقي من جميع الجهات ليس للتركيب فيه مدخل بوجه من الوجوه لا خارجاً ولا عقلاً ولا وهماً ولا غير ذلك كل مركب محتاج الى اجزائه التي تركبَ منها وأطالوا في البراهين على هذا، والبرهان اذلي ذكرنا في اول هذا الكتاب متناول له ايضاً كما لا يخفى فلما ثبتت وحدته الحقيقية قالوا ان هذا الواحد الحقيقي لا يجوز ان يكون مبدءً الا لفعل واحد والا لزم تعدد الجهات فيه، فذهبوا الى ان الصادر منه جوهر واحد وهو العقل الواحد فهو مخلوقه لا غير، وذلك انه واحد فلا يصدر منه الا واحدح وهذا الصادر الاول له اعتبارات ثلاثة وجوده في نفسه ووجوبه بالغير وامكانه لذاته فيصدر عنه بكل اعتبار امر فباعتبار وجوده يصدر عقل وباعتبار وجوبه يصدر نفس باعتبار امكانه يصدر جسم هو الفلك الاول وكذلك يصدر من العقل الثاني عقل ثالث ونفس ثانية وفلك ثان وهكذا الى العقل العاشر الذي في مرتبة التاسع من الافلاك، وهو فلك القمر ويسمى العقل الفعَال المؤثر في هيولى العالم

السفلي المفيض للصور والنفوس على البسائط وعلى المركبات بحسب الاستعدادات المسببة عن الحركات الفلكية والاتصالات الكوكبية، ويلزم على هؤلاء ان هذه الاعتبارات ان كانت وجودية فلا بد لها من مصادر متعددة والا بطل اصلهم، وهو ان الواحد لا يصدر عنه الا واحد، وان كانت اعتبارية امتنع ان تصير جزء مصوراً لامور وجودية فان اجيب بأنها ليست جزء منالمؤثر بل هي شروط التأثير والشرط قد يكون امر اعتبارياً، قلنا فليكن هذه الاعتبارات من السلوب والاضافات عارضة للمبدأ الاول فيكون بحسبها مصدراً لأمور متعددة كالمعلول الاول، فيبطل ما ذهبوا اليه، مع اسناد الفلك الثامن مع ما فيه من الكواكب المختلفة المقادير المتكثرة كثرة لا تحص الى جهة واحدة في العقل الثاني كما زعموه مشكل جداً كما قيل وكذلك اسناد الصور والاعراض التي في عالمنا هذا مع كثرتها الى العقل الفعال اشكل من الاول كما لا يخفى.

وبالجملة فهذه العقول العشرة عندهم انها جواهر مجردة عن المكان والمدة والمادة فهذه السموات التي تمدح الله عز وجل بخلقها نسبوها الى امو وهمي لم يتم عليه دليل عقل كما اعترف به المحققون، والادلة النقلية من الكتاب والسنة والاجماع والدليل العقلي ايضاً ينادي بتكذيبه وانه لا مؤثر في ايجاد الموجودات الا بالله سبحانه ولعمرك ان هذه الطائفة اشرّ من المجوس فان المجوس اثبتوا له سبحانه شريكاً يفعل الشر سموه اهرمن وهو بلغتهم الشيطان وفاعل الخير هو يزدان وهو بلسانهم الواجب تعالى، فقد اثبتوا له كل افعال الخير واما المشركون بالاصنام فقد حكى الله سبحانه عنهم ما اعتقدوه، حيث قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى، وكذلك سائر طوائف الكفار على ما سيأتي ان شاء الله تعالى، عند ذكر الفرق الاسلامية وغيرها، وهؤلاء الحكماء الذين بلغوا من مراتب الادراك الى ان قالوا انّا لا نحتاج الى ارسال الانبياء عليهم السلام انما يرسلهم الله تعالى الى اهل العقول الناقصة واما نحن فقد كملت احلامنا وعقولنا قد عزلوا الله سبحانه عن عالم ملكوته كلاً ورأساً وليتهم ذهبوا الى ما ذهبت اليه المجوس وطوائف الكفار، والعجب ان جماعة من اهل عصرنا ممن يتدين بدين الاسلام قد وافقوهم على هذه الهفوات وخرجوا عن الدين من حيث لا يشعرون وهذا كله انما جاء من جهة التعويل على العقول الناقصة.

واما المتأخرون من الحكماء ومن حذى حذوهم من طوائف المسلمين فلما رأوا قول قدمائهم بمكان من الشرك والبعد عن قول أهل الملل والاديان اوّلوا قول قدمائهم وقالوا لا مؤثر في الوجود الا الله معناه ان تلك العقول المجردة هي آلات ووسائط بين الله سبحانه وبين مخلوقاته تسبب بها الى خلق ما خلق كما يتسبب النجار الى قطع خشبته بالمنشار وكالوالدين في حصول الاولاد وهذا تأويل لكلام من لا يرضى به وقد صرّح بخلافه مع ان مفاسده كثيرة لا تحصى.

واعجب من هذا كله ان من وافق الفلاسفة من علماء الاسلام كيف غفل عن هذا المعنى وهو ان كتاب ربهم وسنَة نبيهم لم تهمل مما يحتاج اليه الخلق ومما لا يحتاجون اليه حتى ان الائمة عليهم السلام رووا في أدنى الامور كالكنف واضرابه ضروباً من الاخبار عن جدهم ﷺ وذكروا آداب الاكل والشرب والجلوس الى غير ذلك واهملوا هذا الامر العظيم الذي يدور عليه مدار الخلق والايجاد، وبه يتحقق الكفر والالحاد وكيف لم تذكر هذه العقول وافاعليها في آية من الايات ولا في حديث من الاحاديث ولا في تاريخ من التواريخ، ولا نقله خلف عن سلف وكذا ما سيأتي من اعتقادات الحكماء ومتابعيهم من اهل الاسلام كيف اهملها الشارع ولم يتعرض لها بوجه من الوجوه.

ومن الطرائف في هذا المقام ان أنجس المخلوقات وادناها شرفاً هو الكلب مع انه سبحانه لما امر صاحبه بتعليمه للصيد لم يرض له بتعليم صاحبه الذي يعلمه، بل قال عز من قائل يسئلونك ماذا أحل لهم قل احلَ لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله، أي من العلم الذي امركم على لسان رسول الله ﷺ ان تعلموه الكلاب من اتباع الكلب الصيد بارسال صاحبه وانزجاره بزجره، ولا يعتاد اكل ما امسكه، وقوله مكلبين مشتق من الكلب، أي حال كونكم صاحبي كلاب او معلمي كلاب، فاذا لم يحسن في الشرع تعليم الكلب الا من العلوم الالهية فكيف جاز لكم ايها الحكماء والعلماء ان تعلموا الانسان الذي هو اشرف المخلوقات الذي تمدَح الله عند تمام خلقه بقوله فتبارك الله احسن الخالقين، العلم الذي توهمته عقولكم وحصلته اوهامكم وزعمتم انه علم ولم يذكر في شيء من الكتب السماوية وما سمعنا ايضاً الهيولى والصورة ولا الجزء الذي لا يتجزئ في شيء من الاخبار وان هذا اقل فساداً مما تقدم اذا عرفت هذا.

فاعلم ان الافلاك التي اثبتها الحكماء والرياضيون بالارصاد بسبب اختلاف الحركات تسعة افلاك كلية، ولكنها تشتمل على افلاك جزئية واول تلك الكليات عندهم هي فلك الافلاك وهو المسمى عندهم بالفلك الاطلس، لانه غير مكوكب قالوا وهذا هو الذي يسمى بالعرش المجيد في لسان الشرع، وتحته فلك الثوابت قالوا وهو المسمى بالكرسي في الشرع، ثم فلك زحل ثم فلك المشتري، ثم فلك المريخ ثم فلك الشمس ثم فلك عطارد، ثم فلك القمر وهو السماء الدنيا، قالوا دلَ على ترتيبها الحجب فما هو اسفل يحجب ما هو أعلى، أي يصير ساتراً له عنَا اذا وقع على محازاته، فانهم وجدوا القمر يحجب سائر السيارة فعلم انه تحت الجميع ووجدوا عطارد يكسف الزهرة الزهرة والمريخ والمريخ المشتري، والمشتري زحل وحل بعض الثوابت.

واما الشمس فانها لا تنكسف الا بالقمر ولا يتصور كسفها بشيء من الكواكب لانها تستتر بشعاعها اذا قربت منها لكن لها اختلاف المنظر دون العلوية فهي تحتها وفوق القمر وبقي الاشتباه في انها فوق الزهرة وعطارد او تحتها اذ لا سبيل الى معرفة ذلك من الكسف لما عرفت من احتراقهما تحت الشعاع عند القرآن فلذلك عدل بطليموس الى طريقة الاستحسان فقال هي كشمسة القلادة متوسطة بين السبعة السيارة اعني بين العلوية وبين السفليين والقمر وقد زعم مؤيد الدين العرضي المهندس ان فلك الزهرة دون فلك عطارد، وفوق فلك الشمس وزعموا ان هذه الافلاك لها نفوس درّاكة في نهاية الادراك وان هذه الافلاك عندهم اكمل من الانبياء لان شرف العناصر عندهم انما هو للتشبيه بالافلاك، وقد سأل بعض تلامذة المولى صدر الدين الشيرازي المولى المذكور عن الافلاك هل لها نفوس ناطقة ام لا فأجابه بانه اذا كنت على هذه الحالة الحقيرة من صغر البدن وقلّة الكمالات لك نفس ناطقة فكيف لا يكون للافلاك نفوس ناطقة مع ما هي عليه من العظمة والجلالة، وزعموا ان حركاتهم ارادية اختيارية فصار الحاصل من هذا كله ان مذهبهم هو ان هذه الافلاك بسائط لها نفوس ناطقة وحركات ارادية اختيارية وهذا كله مخالف لما ورد عن الائمة الطاهرين عليهم افضل الصلوات وهم اعلم بالافلاك وغيرها من بطليموس وغيره، وكان علي عليه السلام يقول سلوني عن طرق السموات فاني اعرف بها مني بطرق الارض، وذلك انهم علموها بالحس والعيان كما في الاخبار المستفيضة عنهم عليهم السلام من ان ارواحهم تزور العرش في كل ليلة جمعة، وانهم يستفيدون علوماً جديدة في كل زيارة وهؤلاء الحكماء قد اخذوا ما قالوه عن آرائهم وعقولهم او بالسماع من امثالهم، وليس الرائي كالسامع فلنشرع في ما اردنا بيانه ولنذكر بعض الاخبار ليتضح بها الحال فنقول:

روى الصدوق طاب ثراه باسناده الى الرضا عليه السلام قال كان علي بن ابي طالب عليه السلام بالكوفة في مسجد الجامع اذ قام اليه رجل من اهل الشام فقال يا امير المؤمنين اني اسألك عن اشياء فقال سل تفقهاً ولا تسئل تعنتاً، وأحدق الناس بأبصارهم فقال اخبرني عن اول ما خلق الله تبارك وتعالى، قال خلق النور، قال مم خلق السموات قال من بخار الماء قال مم خلقت الارض، قال من زبد الماء، قال فمم خلقت الجبال قال من الامواج، قال فلم سميت المكة أم القرى قل لان الارض دحيت من تحتها وسأله عن سماء الدنيا مم هي قال من موج مكفوف وسأله عن طول الشمس والقمر وعرضها قال تسعمائة فرسخ في تسعمائة فرسخ وسأله كم طول الكوكب وعرضه، قال أثنا عشر فرسخاً في اثني عشر فرسخاً وسأله عن الوان السموات السبع واسمائها، فقال اسم السماء الدنيا رفيع وهي من ماء ودخان واسم السماء الثانية قيدوم وهي على لون النحّاس، ولسماء الثالثة اسمها المادوم وهي على لون الشبه والسماء الرابعة اسمها ارقلون وهي

على لون الفضة، والسماء الخامسة هيعون وهي على لون الذهب والسماء السادسة اسمها عروس وهي ياقوتة خضراء، والسماء السابعة اسمها عجماء وهي درة بيضاء وسأله عن المد والجزر ما هما قال ان الله تعالى ملكاً موكلاً بالبحار يقال له رومان فاذا وضع قدميه في البحر فاض الماء، واذا اخرجهما غاض وسأله لم صار الميراث للذكر مثل حظّ الانثيين قال لأن السنبلة كان عليها ثلاث حبات فبادرت اليها حوى فأكلت منها حبة واطعمت آدم حبتين فمن ذلك فمن ذلك ورث الذكر مثل حظَ الانثيين وسأله عن أول من قال الشعر فقال آدم وما كان شعره قال لما نزل الى الارض من السماء فرأى تربتها وسعتها وهواها وقتل قابيل هابيل فقال آدم:

تغيرَت البلاد ومن عليها ... فوجه الارض مغبر قبيح
تغيَر كل ذي لون وطعم ... وقلَ بشاشة الوجه المليح

فأجابه ابليس

تنحَ عن البلاد وساكنيها ... فبي في الخلد ضاق بك الفيسح
وكنت بها وزوجك في قرار ... وقلبك من أذى الدنيا مريح
فلم تنفك من كيدي ومكري ... الى ان فاتك الثمن الربيح
فلو لا رحمة الجبار اضحى ... بكفك من جنان الخلد ريح

وسأله عن بكاء آدم على الجنة وكم كان دموعه التي خرجت من عينه، قال بكى مائة سنة وخرج منعينه اليمنى مثل دجلة ومن عينه اليسرى مثل الفرات وسأله عن اول من وضع سكك الدراهم فقال نمرود بن كنعان بن نوح عليه السلام وسأله عن معنى هدير الحمام الراعبية فقال تدعو على اهل المفازف والقيان والمزامير والعيدان وسأله ما بال الماعز بادي العورة فقال لان الماعز عصت نوحاً عليه السلام لما ادخلها السفينة فدفعها فكسر ذنبها والنعجة مستورة العورة لان النعجة بادرت الى السفينة فمسح نوح عليه السلام يده على حياها وذنبها فاستوت الالية، والحديث طويل اخذنا منه موضع الحاجة وغيرها، وتفصيل كلام امير المؤمنين عليه السلام ما رواه رئيس المحدثين الشيخ الكليني طاب ثراه باسناده الى محمد بن عليّة، قال جاء رجل الى ابي جعفر عليه السلام من اهل الشام من علمائهم، فقال يا ابا جعفر جئت اسألك عن مسألة فأجابه عليه السلام وساق الكلام الى ان قال، ولكن الله كان اذ لا شيء غيره وخلق الشيء الذي جميع الاشياء منه وهو الماء الذي خلق الاشياء منه وخلق الريح من الماء ثم سلط الريح على الماء فشققت الريح متن الماء حتى ثار من الماء زبد على قدر ما شاء ان يثور فخلق من ذلك الزبد ارضاً بيضاء نقيَة ليس فيها صدع ولا نقب ولا صعود ولا هبوط ولا شجر، ثم طواها فوضعها فوق الماء ثم خلق الله النار من الماء فشققت النار متن الماء حتى ثار من الماء دخان على قدر ما شاء الله ان يثور فخلق من ذلك الدخان سماء صافية نقية

ليس فيها صدع ولا نقب، وذلك قوله تعالى والسماء وما بناها رفه سمكها فسويها، واغطش ليلها واخرج ضحيها والارض بعد ذلك دحيها، قال ولا شمس ولا قمر ولا نجوم ولا سحاب ثم طواها فوضعها فوق الارض، ثم نصب الخليقتين فرفع السماء قبل الارض، وذلك قوله عز ذكره والارض بعد ذلك دحيها، يقول بسطها فقالله الشامي يا ابا جعفر قول الله عز وجل أولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما، فقال له ابو جعفر عليه السلام فلعلك تزعم انهما كانتا رتقا ملتزقتان ملتصقتان ففتقت احدهما عن الاخر، فقال نعم، فقال ابو جعفر عليه السلام استغفر ربك فان قول الله عز وجل كانتا رتقا يقول كانت السماء رتقا لا تنزل المطر، وكانت الارض رتقا لا تنبت الحب فقال الشامي اشهد انك من اولاد الانبياء وان علمك علمهم، وفي هذا الحديث دلالة على ان السموات خلقت من الدخان كما هو ظاهر قوله تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان، والاخبار في هذا المعنى كثيرة جداً ويدلّ ايضاً على ان الارض مخلوقة من زبد الماء.

والاخبار الكثيرة ايضاً دالة عليه روى علي بن ابراهيم في تفسيره انه قال ابو عبد الله عليه السلام لأبرش الكلبي يا ابرش هو كما وصف نفسه، كان عرشه على الماء والماء على الهوى، والهوى لا يحدد ولم يكن يومئذ خلق غيرها، والماء يومئذ عذب فرات فلما اراد ان يخلق الارض امر الرياح فضربت الماء، حتى صارت موجاً ثم ازيد فصار زبداً واحداً فجمعه في موضع البيت، ثم جعله جعلاً من زبد ثم دحى الارض من تحته، فقال الله تبارك وتعالى ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً، وفي ذلك التفسير فسلّط العقيم على الماء فضربته فاكثرت الموج والزبد وجعل يثور دخانه في الهواء فلما بلغ الوقت الذي اراد به قال للزبد اجمد فجمد وقال للموج اجمد فجمد، فجعل الزبد ارضاً وجعل الموج جبالاً رواسي للارض.

وبالجملة فالمحصّل من هذه الاخبار ان الماء اول مخلوق من هذه الاجسام كما تقدم في اول الكتاب وخلق من ذلك الدخان اذلي اثار منه السموات كمكا ان خلق الارض سابقاً على السماء انما هو من ذلك الزبد والمراد بالسموات هنا السبع والا فالكرسي والعرش يأتي تحقيقه ان شاء الله تعالى وفي قوله عليه السلام فرفع السماء قبل الارض (اه) دفع لما توهمه بعض الملاحدة من التناقض بين الايات في تقديم خلق السموات على الارض أو بالعكس فان ظاهر هذه تقدم خلق السماء لمكان قوله والارض بعد ذلك أي بعد رفع السماء دحيها وسواها وظاهر آيتين في القرآن العكس من هذا.

اما الاولى فقوله تعالى لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له انداداً ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدّر فيها اقواتها في أربعة ايام سواء

للسائلين ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض إئتيا طوعاً أو كرها قالتا أتينا طائعين فقضيهن سبع سموات في يومين.

واما الثانية فقوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعاً ثم استوى الى السماء فسوهنَ سبع سموات وهو بكلّ شيء عليم، وحاصل الجواب الذي اشار عليه السلام هو ان الله سبحانه خلق مادة الارض وهي الزبد قبل خلق الدخان الذي خلق منه السماء فلما خلق السماء من ذلك الدخان رجع الى تسطيح الارض ودحوها فدحاها ووسعها ولم يكن قبل هذا الدحو الا الارض التي هي موضع الكعبة الان ومنه سميت مكة ام القرى لان ارضها مادة لكل الاراضي، فتقدم كل من السماء والارض على الاخر باعتبار فلا تناقض.

واجيب عن رفع التنافي ايضاً بأن كلمة بعد في قوله تعالى والارض بعد ذلك دحيها، ليست للتأخر الزماني بل انما هو على جهة تعداد النعم والاذكار لها كما يقول القائل اليس قد اعطيتك وفعلت بك كذا وكذا، وبعد ذلك خالطتك، وربما يكون بعض ما تقدم في اللفظ متأخراً بحسب الزمان لانه لم يكن الغرض الإخبار عن الاوقات والازمنة بل المراد ذكر النعم والتنبيه عليها وربما اقتضت الحال ايراد الكلام على هذا الوجه وقد مال بعض اساتيذنا الى ان وجه الجمع هو ان تسوية السماء المطلقة متقدمة على دحو الارض واما تسويتها سبعاً فمتأخرة عنه، وقيل فيه وجوه أخرى والمعوّل على ما اشار اليه الامام عليه السلام .

فان قلت الحكم بأن الماء اول مخلوق من الاجسام ينافي ما ورد في التورية وما في تفسير علي بن ابراهيم الذي لم يأخذ كلامه في ذلك التفسير الا من الاخبار اما الذي وجد في التورية فهو ان مبدأ الخلق هو ان الله سبحانه وتعالى خلق جوهرة ثم نظر اليها نظر الهيبة فذابت اجزاؤها فصار الماء فثار من الماء بخار كالدخان فخلق منه السموات وظهر على وجه الارض مثل زبد البحر فخلق منه الارض ثم ارسلها بالجبال.

واما الذي ذكره علي بن ابراهيم قدس الله روحه فقد ذكر في تفسير قوله تعالى وكان عرشه على الماء، قال وذلك في مبدء الخلق ان الربّ تبارك وتعالى خلق الهوى ثم خلق القلم فأمره ان يجري فقال يا رب بما اجري فقال بما هو كائن ثم خلق الظلمة من الهوى وخلق النور من الهوى، وخلق الماء من الهوى، وخلق العرشي من الهوى، وخلق العقيم من الهوى، وهو الريح الشديد، وخلق النار من الهوى، وخلق الخلق كلهم من هذه الستة التي خلقت من الهوى.

قلت: قد ذكرنا سابقاً الوجه في الجمع بين اسبقية الهوى على الماء بان اسبقية الماء اضافية بالنسبة الى محسوسات الاجسام والهوى ليس بمحسوس، ومن ثم انكر بعضهم وجوده بقي الكلام في الدرة والهوى فيجوز ان يكون سبحانه قد كوّن الدرة من الهوى فخلق الماء من الدرة هو خلق

الماء من الهوى لانتهائه اليه فتأمل. ولم يوافق الشرع من الحكماء على هذه المقالة سوى ثاليس الملطي الاسكندراني فانه قال بعد ان وحّد الصانع ونزّهه لكنه أبدع العنصر الي فيه صور الموجودات والعلومات كلها وهو المبدع الاول وهو الماء ومنه انواع الجواهر كلها من السماء والارض وما بينهما وذكر ان من جمود الماء تكونت الارض ومن انحلاله تكوّن الهوى ومن صفوته تكوّنت النار ومن الدخان والابخرة تكوّنت السماء وفي قوله عليه السلام في الحبر الاول استغفر ربك الى آخر كلامه ابطال لما ذهب اليه الحكماء ومتابعوهم من علماء الاسلام من اصليين اصليين بزعمهم.

الاول ان الفلك عندهم لا يقبل الخرق ولا الالتيام فان فتقه بالامطار خرق له ومعراج نبينا صلى الله عليه وآله ببدنه الشريف سبع سموات مما يبطله ايضاً وتأويلهم له بالمعراج الروحي زندقة والحاد[٤٣] واما الامطار فمن اماكن مختلفة يأتي تفصيلها ان شاء الله تعالى في نور المطر ولنروِ هنا حديثاً واحداً وهو ما رواه علي بن ابراهيم باسناده الى الصادق عليه السلام قال كان علي صلوات الله عليه يقوم في المطر اول ما يمطر حتى يبتلَ رأسه ولحيته وثيابه فقيل له يا امير المؤمنين الكن الكن فقال ان هذا ماء قريب العهد بالعرش ثم انشأ يحدّث صلوات الله عليه فقال ان تحت العرش بحراً فيه ماء ينبت ارزاق الحيوانات فاذا اراد الله عزّ ذكره ان ينبت به ما يشاء رحمة منه لهم اوحى الله اليه فمطر ما شاء من سماء الى سماء حتى يصير الى السماء الدنيا فيما اظنّ فيلقيه الى السحاب والسحاب بمنزلة الغربال ثم يوحي الى الريح ان اطحنيه واذيبيه ذوبان الماء ثم انطلقي به الى موضع كذا وكذا فامطري عليهم فيكون كذا وكذا عباباً وغير ذلك فتقطر عليهم على النحو الذي يأمرها به فليس من قطرة تقطر الا ومعها ملك حتى يضعها موضعها، ولم ينزل من السماء قطرة من مطر الا بعدد معدود ووزن معلوم الا ما كان من ايام الطوفان فانه نزل ماء منهمر بلا وزن ولا عدد وقال في آخره قال رسول الله صلى الله عليه وآله لا تشيروا الى المطر ولا الى الهلال فان الله عز وجل يكره ذلك.

الاصل الثاني لهم هو نفي الخلا وان الافلاك ليس بينهما فرجة بل مقعر كل فلك مماس لمحدب الفلك الاخر فان الشامي كان يعتقد مثل هذا بالاخذ عن كتب الحكماء واهل الرياضيات فقال له عليه السلام استغفر ربك من هذا الذنب العظيم فيدلّ على تحريم هذا الاعتقاد وامثاله وعلى ان الجاهل في معرفته ليس بمعذور فابطل عليه السلام الالتزاق والملاصقة وفي حديث زينب العطارة المسند الى الصادق عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وذكر الحديث الى ان قال والارضون السبع ومن فيها ومن عليها عند

---

(٤٣)الاشكال في مسألة المعراج مبني على الهيئة القديمة لذا فتحوا باب التاويل فيها واما على الهيئة الجديدة فليس فيها ادنى اشكال اصلا.

السماء الاولى كحلقة في فلاة قيٍ، وهذا كله والسماء الدنيا ومن عليها ومن فيها عند التي فوقها كحلقة في فلاة قيٍ وهاتان السماءان ومن فيهما ومن عليهما عند التي فوقهما كحلقة في فلاة قيٍ حتى انتهى الى السابعة وهنّ ومن فيهن وعليهنّ عند البحر المكفوف عن اهل الارض كحلقة في فلافة قيٍ هذا السبع والبحر المكفوف عند جبال البرد كحلقة في فلاة قيٍ، وتلا هذه الاية وننزّل من السماء من جبال من برد وهذه السبع والبحر المكفوف وجبال البرد عند الهوى الذي تحار فيه القلوب كحلقة في فلاة قيٍ، وهذه السبع والبحر المكفوف وجبال البرد والهوى عند حجب النور كحلقة في فلاة قيٍ وهذه السبع والبحر المكفوف وجبال البرد والهوى وحجب النور عند الكرسي كحلقة في فلاة قيٍ، ثم تلا هذه الاية وسع كرسيه السموات والارض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم، وهذه السبع والبحر المكفوف وجبال البرد والهوى وحجب النور والكرسي عند العرشي كحلقة في فلاة قيٍ، وتلا هذه الاية الرحمن على العرش استوى، وفي رواية الحسن الحجب قبل الهوى الذي تحار فيه القلوب، واذا كان الحال على هذا المنوال فأين الملاصقة والمماسة وكيف نفوا الخلاء بدلائلهم العقلية.

وقد روى ايضاً مستفيضاً ان غلظ كل سماء مسيرة خمسمائة عام ومنم بين السماء الى السماء كذلك ايضاً، ومن هنا الى السماء الدنيا مثلها فكيف الملاصقة والحال كما عرفت، والقيّ بكسر القاف والتشديد المفازة الخالية من الماء والكلاء، وقد ذهب الحكماء ومتابعوهم الى ان الافلاك غير ملونة.

واستدل عليه رئيس المشككين في كتاب الملخص بدليلين الاول لو كانت الافلاك ملونة لحجبت الابصار عن رؤية ما وراها فكان يجب ان لا نرى الكواكب الثاني الافلاك بسيطة والبسيط لا لون له، والجواب عن الاول على طريقتهم انا لا نسلمّ ان كل لون حاجب فان الماء له لون ولذلك يرى وكذلك الزجاج والبلور وهما لا يحجبان، مع ان هذا الدليل لا يجري في الفلك الاعظم وعن الثاني بمنع كلية الصغرى وينقض كلية الكبرى بالقمر واما على طريقة الشرع فمنع الثاني ظاهر لان الاخبار على ما عرفت انما هي دالة على عدم بساطة الافلاك بل على تركبها وتلونها كل سماء بلون كما في حديث امير المؤمنين عليه السلام السابق.

واما الاول فلا نسلم ان الثوابت في الفلك الثامن فان في الاخبار ما ينافيه صريحاً وان بيننا وبين الفلك الثامن جبالاً وبحوراً واجساماً كثيفة تمنع مما قالوه مع ان قوله عز من قائل انا زيّنا السماء الدنيا بزينة الكواكب، وكذا قوله تعالى انا زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين، ظاهر في ان هذه الكواكب انما هي في السماء الدنيا لا غير ومال الى هذا شيخنا البهائي (ره) وكذا بعض مفسري الجمهور، وما ذكره المنجمّون والحكماء من ترتيب الكواكب في الافلاك

لك يدلَ عليه دليل من الشرع بل الاخبار على خلافه، ونقلها يفضي الى التطويل لان موضوع الكتاب ليس للمباحثة معهم وانما موضوعه نقل الكائنات في الافلاك واارضين على طريقة الشرع، لكن لزم منم هذا ابطال مذاهبهم المأخوذة من الحدس والرياضة اذا عرفت هذا.

فاعلم ان الظاهر من هذه الاخبار وغيرها هو ان السموات طبقات كما ان الارض طبقات لكن روى علي بن ابراهيم عن ابيه عن الحسين بن خالد عن الرضا عليه السلام قال قلت له اخبرني عن قول الله والسماء ذات الحبك، فقال هي محبوكة الى الارض، وشبك بين اصابعه فقلت كيف تكون محبوكة الى الارض والله يقول رفع السموات بغير عمد ترونها فقال سبحان الله أليس يقول بغير عمد ترونها قلت بلى قال فثمَ عمد ولكن لا ترونها قلت كيف ذلك جعلني الله فداك، قال فبسط كفه اليسرى ثم وضع اليمنى عليها فقال هذه ارض الدنيا ومساء الدنيا عليها فوقها قبَة والارض الثانية فوق سماء الدنيا وسماء الثانية فوقها قبةَ، والارض الثالثة فوق سماء الثانية وسماء الثالثة فوقها قبة، والارض الرابعة فوق سماء الثالثة، ومساء الرابعة فوقها قبة، والارض الخامسة فوق سماء الرابعة وسماء الخامسة فوقها قبة، والارض السادسة فوق سماء الخامسة وسماء السادسة فوقها قبة والارض السابعة فوق سماء السادسة وسماء السابعة فوقها قبة وعرش الرحمن تبارك وتعالى فوق السماء السابعة، وهو قول الله تعالى الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهنَ يتنزل الامر بينهن فاما صاحب الامر فهو رسول الله صلى الله عليه وآله والوصي بعد رسول الله قائم هو على وجه الارض، فانما يتنزل الامر اليه من بين السموات والارضين قلت فما تحتنا الا ارض واحدة، فقال ما تحتنا الى ارض واحدة وان الست كلهم فوقنا.

اقول لا يخفى ما في هذا الحديث من الاشكال وعدم امكان تأويله حتى ينطبق على الاخبار وظواهر الايات او على اقوال الحكماء والرياضيين، وهذا لا يوجب رده بل يجب التسليم والانقياد له وارجاعه الى متشابهات الاخبار، فان كلامهم صلوات الله عليهم كالقرآن له ظاهر وباطن، ومنه محكم ومتشابه وعامّ وخاصَ، ومطلق ومقيد ومجمل ومبين الى غير ذلك.

نعم قد وقع الخلاف بين ارباب الرياضي في الارضين السبع، فقال بعضهم بأنها طبقات سبع كما هو مدلول الاخبار، ومنهم من قال انها طبقة واحدة لكن تعددها باعتبار الاقاليم السبعة، وآخرون ذهبوا الى انها ثلث طبقات الارض الصرفة البسيطة والطينية والظاهرة التي على وجه الارض وهي مع كرة الماء كرة واحدة وثلث كرات الهوى وكرة النار ومنهم من جعل الارض كرتين البسيطة وغيرها، والماء كرة ومنهم من قسّم الهوا كرتين، ومنهم من قسمها اربع كرات، وهذه الوجوه لا ينطبق شيء منها على ظواهر الاخبار.

نور عرشي

يكشف عن بعض احوال العرش والكرسي

اعلم ان العرش في اصطلاح الحكماء ومتابعيهم هو الفلك التاسع كما عرفت، وهو المحيط بكل المخلوقات وليس فوقه شيء ولذا سموه محدد الجهات ومنتهى الاشارة، واما في اصطلاح اهل الشرع، فيقال على معان:

اولها علم الله عز وجل المحيط بكل شيء كاحاطة العرش الحسي بكل المخلوقات كما روينا في الاحاديث عن الصادق عليه السلام في قول الله عز وجل وسع كرسيه السموات والارض، فقال السموات والارض وما بينهما في الكرسي، والعرش هو العلم الذي لا يقدر احد قدره، هذا العرش هو المراد من قوله سبحانه ويحمل عرش ربك فزقهم يومئذ ثمانية فقد روى ان الثمانية الذين يحملون هذا العرش يوم القيامة اربعة من الاولين واربعة من الاخرين فاما الاولون فهم نوح وابراهيم وموسى وعيسى، واما الاخرون فهم محمد صلى الله عليه وآله وعلي والحسنان عليهم السلام لانهم عن حمل العرش بمعنى الجسم المخصوص في شغل شاغل، وقال الصدوق (ره) في الاعتقادات وانما صار هؤلاء حملة العلم لان الانبياء الذين كانوا قبل نبينا صلى الله عليه وآله كانوا على شرائع الاربعة نوح وابراهيم وموسى وعيسى، وعن قبل هؤلاء صارت العلوم اليهم وكذلك صار العلم من بعد محمد صلى الله عليه وآله لعلي وابنيه.

وثانيها الملك كما رواه ابن سدير قال سألت ابا عبد الله عليه السلام عن العرش والكرسي فقال ان للعرش صفات كثيرة مختلفة، له في كل سبب ووضع في القرآن صفة على حدة فقوله رب العرش العظيم يقول الملك العظيم.

وثالثها عالم الامكان وهو ما سوى الله سبحانه، روى في تفسير قوله تعالى الرحمن على العرش استوى، قال على كل شيء فليس شيء اقرب اليه من شيء وذلك ان عرش اسلطان هو محل جلوسه ومظهر عظمته، وهنا كل ذرة من ذرات المخلوقات فيها من الشواهد على غرائب صنعه وظهور قدرته ما لا يدخل تحت العدّ والاحصاء.

وفي كــل شــيء لــه آيــة تــدلّ علــى انــه واحــد

فكل مخلوق عرش له تعالى

ورابعها صفات الجلال والاكرام فانها مظهر قدرته واسباب عظمته.

وخامسها قلوب عباده المؤمنين فان كل قلب منها عرش لمحل معرفته ومعدن عظمته، وفي الحديث القدسي لا تسعني ارضي ولا سمائي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن ومن هذا روى ان

التفريق بين يوسف ويعقوب هو ان يعقوب قد شغف بحبَ يوسف فأدخل البيت غير صاحبه فرماه الله سبحانه بأيدي الفراق، وسمعت مشافهة من شيخنا الاجل صاحب التفسير الموسوم بنور الثقلين ان العرش يطلق في اصطلاح الاخبار على ستين معنى ولعله قال سبعين.

وسادسها المعنى المبحوث عنه هنا وهو الجسم العظيم المحيط بالسموات والارضين والكرسي ايضاً على ما عرفت من الاخبار السابقة، وفي بعضها ان الكرسي شامل للعرش وهو فوقه، وحينئذ فيحمل على احد معاني العرش غير الجسم المحيط مما يناسبه وروى الصدةق طاب ثراه باسناده الى ابي الصلت الهروي قال سأل المأمون ابا الحسن الرضا عليه السلام عن قول الله عز وجل وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملاً فقال ان الله تبارك وتعالى خلق العرش والماء والملائكة قبل خلق السموات والارض وكانت الملائكة تستدل بانفسها وبالعرش وبالماء على الله عز وجل ثم جعل عرشه على الماء ليظهر بذلك قدرته للملائكة فتعلم انه على كل شيء قدير ثم رفع العرش بقدرته ونقله فجعله فوق السموات السبع، ثم خلق السموات والارض في ستة ايام وهو مستولي على عرشه وكان قادراً على ان يخلقها في طرفة عين ولكنه عز وجل خلقها في ستة ايام ليظهر للملائكة ما يخلقه منها شيئاً بعد شيء، فتستدلَ بحدوث ما يحدث على الله تعالى ذكره، وقيل انه سبحانه علّم خلقه التثبت والرفق في الامور وروى ذلك عن سعيد بن جبير.

اقول وهذا الجسم العظيم قد خلق من النور كما دلت عليه الاخبار الكثيرة وفي بعضها انه مخلوق من الهوى كما تقدم، ولا منافاة بينهما لا مكان ان يكون مركباً من الامرين الا ان الدزء الغالب فيه هو النور، فلذا اضيف اليه وكذلك الكرسي، وفي الرواية عن الباقر عليه السلام عن علي بن الحسين عليهما السلام قال ان الله عز وجل خلق العرش ارباعاً لم يخلق قبله الا ثلاثة اشياء الهواء والقلم والنور، ثم خلقه من انوار مختلفة فمن ذلك النور نور اخضر اخضرت منه الخضرة، ونور اصفر اصفرت منه الصفرة، ونور احمر احمرت منه الحمرة، ونور ابيض وهو نور الانوار ومنه ضور النهار، ثم جعله سبعين الف طبق غلظ كلّ طبق كأول العرش الى اسفل الاسفلين ليس من ذلك طبق الا يسبح بحمد ربه ويقدسه باصوات مختلفة والسنة غير مشتبهة، ولو اذن للسان منها فأسمع شيئاً مما تحته لهدم الجبال والمدائن والحصون ولخسف البحار ولاهلك ما دونه، له ثمانية اركان على كل ركن منها من الملائكة ما لا يحصى عددهم الا الله عز وجل يسبحون الليل والنهار لا يفترون ولو حسَ شيء مما فوقه ما قام لذلك طرفة عين بينه وبين الاحساس الجبروت والكبرياء والعظمة والقدس والرحمة، ثم العلم وليس هذا مقال وليسا في التركيب من الدخان كالسموات السبع.

واما كيفية عظمة هذا الجسم فلا يحيط بها الا علاّم الغيوب، وفي الخبر عن النبي ﷺ قال لما خلق الله تعال العرش خلق له ثلثمائة وستين الف ركن، وخلق عند كل ركن ثلثمائة وستين الف ملك لو اذن الله لاصغرهم ان التقم السموات السبع ما كان ذلك بين لهاته الا كالرملة في المفازة الغضغاضة[٤٤] فقال الله تعالى لهم يا عبادي احملوا عرشي هذا فتعاطوه فلم يطيقوا حمله ولا تحريكه، فخلق الله مع كل واحد منهم واحداً فلم يقدروا ان يزعزعوه[٤٥] فخلق الله مع كل واحد عشرة فقلم يقدروا ان يحركوه، فخلق بعدد كل واحد منهم مثل جماعتهم فلم يقدروا ان يحركوه، فقال عز وجلَ لجميعهم خلّوه عليَ امسكه بقدرتي فخلوه فأمسكه بقدرته، ثم قال لثمانية منهم احملوه انتم فقالوا لم نطقه وهذا الخلق الكثير والجم العفير فكيف نطيقه الان دونهم فقال الله عز وجل ذلك لاني انا الله المقرب للبعيد والمذلل للعنيد والمخفف للشديد والمسهل لعسير افعل ما اشاء واحكم ما اريد اعلمكم كلمات تقولون بها يخفف عنكم قالوا وما هي يا ربنا قال تقولون بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله على محمد وىله الطيبين الطاهرين، فقالوها فحملوه وخفّ على كواهلهم كشعرة نابتة على كاهل رجل جلد قوي، فقال الله لسائر تلك الاملاك خلّوا على هؤلاء الثمانية عرشي ليحملوه وطوفوا انتم حوله وسبحوني ومجدوني وقدسوني فاني انا الله القادر على ما رأيتم وعلى كل شيء قدير.

وعن الصادق عليه السلام ان حملة هذا العرش اربعة املاك احدهم على صورة آدم يسترزق الله سبحانه لبني آدم والثاني على صورة الديك يسترزق الله سبحانه للطيور والثالث على صورة الاسد يسترزق الله سبحانه للسباع، والرابع على صورة الثور يسترزق الله سبحانه للبهائم، وهو قد نكس راسه حياء من الله تعالى من عبد بنو اسرائيل العجل، ولا تنافي بين الاخبار لجواز ان يكونوا اربعة في وقت وثمانية في وقت آخر.

وروى عن زين العابدين عليه السلام انه قال ان لله ملكاً يقال له خرقائيل له ثمانية عشر الف جناح، ما بين الجناح الى الجناح خمسمائة عام فخطر له خاطر هل فوق العرش فزاده الله تعالى مثلها اجنحة اخرى، فكان له ست وثلاثون الف جناح ما بين الجناح الى الجناح خمسمائة عام، ثم اوحى الله اليه ايها الملك طر، فطار مقدار عشرين الف عام لم ينل قائمة من قوائم العرش ثم ضاعف الله له في الجناح والقوة وامره ان يطير فطار مقدار ثلاثين الف عام لم ينل ايضاً، فأوحى الله اليه ايها الملك اوطرت الى نفخ الصور مع اجنحتك وقوتك لم تبلغ الى ساق عرشي، فقال الملك سبحان ربي الاعلى.

---

(٤٤) غضغف الماء: نقصه وتغضغض الماء نقص وغاض.

(٤٥) أي يحركوه زعزعة حركة شديداً.

وعن الصادق عليه السلام انه قال في العرش تمثال جميع ما خلق الله في البر ولبحر قال وهذا تأويل وان من شيء الا عندنا خزائنه، وان بين القائمة من قوائم العرش والقائمة الاخرى خفقان الطير المسرع مسير الف عام، والعرش يكسى كل يوم سبعين الف لون من النور لا يستطيع ان ينظر اليه خلق من خلق الله سبحانه وفي الخبر عن الصادق عليه السلام قال ان للعرش صفات كثيرة مختلفة له في كل سبب ووضع في القرآن صفة على حدة فقوله رب العرش العظيم، يقول الله الملك العظيم وقوله الرحمن على العرش استوى يقول على الملك احتوى وهذا ملك الكيفوفة في الاشياء ثم العرش في الاصل منفرد عن الكرسي لانهما بابان من اكثر ابوبا الغيوب وهما جميعاً غيبان وهما في الغيب مقرونان لان الكرسي هو الباب الظاهر من الغيب الذي منه مطلع البدع ومنه الاشياء كلها والعرش هو الباب الباطن الذي يوجد فيه علم الكيف والكون والقدر والحد والاين والمشيئة وصفة الارادة وعلم الالفاظ والحركات والترك وعلم العود والبدء وهما في العلم بابان مقرونان لان ملك العرش سوى ملك الكرسي وعلمه اغيب من علم الكرسي فمن ذلك قال رب العرش العظيم، أي صفته اعظم من صفة الكرسي وهما في ذلك مقرونان قلت جعلت فداك فلم صار في الفضل جار الكرسي، قال انه صار جاره لان علم الكيفوفية فيه وفيه الظاهر من ابواب البدع واينيتها وحدّ رتقها وفتقها فهذان جاران احدها حمل صاحبه في الظرف الحديث.

نور حجابي يكشف عن بعض ما فوق العرش

قد عرفت ان الحما والرياضيين والمنجمين وكثيراً من علماء الاسلام قد ذهبوا الى ان العرش هو منتهى المخلوقات وليس فوقه شيء وقد اكثروا عليه من الدلائل وليس دلائلهم هذا الا كدلائلهم على الاحكام السابقة التي كذبهم فيها القرآن والسنة المتواترة نعم العرش منتهى مسافة العقول والافهام فلا تصل الى ما هو فوقه ولا حامت حول الكلام فيه والعرش في جهة الفوق كلثرى في جهة التحت، وقال الصادق عليه السلام ذا انتهى الكلام الى الثرى فقد انقطع علم العلماء، والظاهر ان المراد كون الثرى والعرش نهايتين للعلم الكسبي الذي يمكن محاولته بالفكر والنظر وان كان بعضه صحيحاً والاخر باطلاً فان العقول تتفاوت في الادراك والاوهام تزيد وتنقص لاسبابها المألوفة كما قرر في محله.

واما العلم الالهي اذلي اتاه النبي واهل بيته عليهم السلام فق تجاوزا العرش وتحت الثرى، فقد روى عن الطاهرين عليهم السلام ان الله تعالى خلق مائة الف قنديل وعلقها، والعرش والسموات والارض وما فيها حتى الجنة والنار كلها في قنديل واحد ولا يعلم ما في القناديل الباقية الا الله، وروى الصدوق قدس الله روحه عن الرضا عليه السلام انه قال أترى ان الله لم

يخلق بشراً غيركم بلى والله لقد خلق الف الف عالم والف الف آدم انت في آخر تلك العوالم واولئك الادميين.

وروى الصادق عليه السلام انه قال ان الشمس تقطع اثنى عشر برجاً واثنى عشر براً واثنى عشر بحراً واثنى عشر عالماً، وقال عليه السلام ان الله خلق اثنى عشر الف عالم كل عالم منهم اكبر من سبع سموات وسبع ارضين ما يرى عالم غيرهم واني الحجة عليهم، ولا يخفى ان هذه العوالم لا يكون الا فوق السموات والاول صريح في كونها فوق العرش وان العرش في بطن القناديل، فسبحان من جلت عظمته ومنعت حوزته.

قال محيي الدين بن العربي في الباب الثامن من الفتوحات ان من جملة العوالم عالماً على صورنا اذا ابصره العارف يشاهد نفسه فيه، وقد اشار الى ذلك عبد الله بن عباس فيما روى عنه في حديث الكعبة انها بيت واحد من اربعة عشر بيتاً، وان في كل من الارضين السبع خلقاً مثلنا حتى ان فيهم ابن عباس مثلي، وصدقت هذه الرواية عند اهل الكشف وكلما فيه حي ناطق وهو باق لا يتبدل، واذا دخله العارفون فانما يدخلونه بارواحهم لا بأجسامهم فيتركون هياكلهم في هذه الارض ويتجردون، وفيها مدائن لا تحصى وبضها تسمى مدائن النور لا يدخلها من العارفين الا كل مصطفى مختار وكل حديث وآية وردت عنها مما صرفها العقل عن ظاهرها وجدناها على ظاهرها في هذه الارض، انتهى.

وهذ العالم تسميه حكماء الاشراق الاقليم الثامن وعالم المثال وعالم الاشباح قال التفتازاني في شرح المقاصد وعلى هذا بنوا امر المعاد الجسماني فان البدن المثالي الذي تتصرف فيه النفس حكمه حكم البدن الحسي في ان له جميع الحواس الظاهرة والباطنة فتلتذ وتتألم باللذات والالام الجسمانية.

وقال صاحب شرح حكمة الاشراق ان الصور الخيالية لا يكون موجودة في الاذهان لامتناع انطباع الكبير في الصغير، ولا في الاعيان والا لرءاها كل سليم الحس، وليست عدما محضاً والا لما كانت متصورة ولا متميزاً بعضها عن بعض، ولا محكوماً عليها بأحكام مختلفة، واذاً هي موجودة فليست في الاعيان ولا في الاذهان ولا في عالم العقول لكونها صوراً جسمانية لا عقلية فبالضرورة تكون موجودة في صقع، وهو عالم يسمى بالعالم المثالي والخيالي متوسط بين عالمي العقل والحس لكونه بالرتبة فوق عالم الحس ودون عالم العقل لانه اكثر تجرداً من الحس واقل تجرداً من العقل، وفيه جميع الاشكال والصور والمقادير والاجسام وما يتعلق بها من الحركات والسكنات والاوضاع والهيئة وغير ذلك قائمة بذاتها متعلقة لا في مكان ومحل، واليه الاشارة بقوله والحق في صور المرايا والصور الخيالية انها ليست منطبعة، أي في المرأة والخيال لا في غيرهما، بل

هي صياصي أي ابدان معلقة في عالم المثل ليس لها محل لقيامها بذاتها وقد يكون لها أي لهذه الصياصي المعلقة لا في مكان مظاهر ولا يكون فيها لما بينا فصور المرءاة مظهرها المرءاة وهي معلقة لا في مكان ولا في محل، وصور الخيال مظهرها الخيال وهي معلقة لا في محل.

واما الحجب فهي قسمان قسم منها تحت العرش وقسم منها فوقه روى الصدوق (ره) مسند الى وهب قال سئل امير المؤمنين عليه السلام عن الحجب فقال اول الحجب سبعة، غلظ كل حجاب منها مسيرة خمسمائة عام وطوله خمسمائة عام حجبة كل حجاب منها سبعون الف ملك قوة كل لك منها قوة الثقلين، منها ظلمة ومنها نور ومنها دخان ومنها سحاب ومنها رعد ومنها برق ومنها ضوء ومنها رمل، ومنها جبل ومنها عجاج ومنها ماء ومنها انهار، وهي حجب مختلفة غلظ كل حجاب مسيرة سبعين الف عام، ثم سرادقات الجلال وهي ستون سرادقاً في كل سرادق سبعون الف ملك بين كل سرادق وسرادق مسيرة خمسمائة عام، ثم سرداق الفخر ثم سرادق الكبرياء ثم سرادق العظمة ثم سرادق القدس ثم سرادق الجبروت ثم سرادق الفخر ثم سرادق النور الابيض ثم سرادق الوحدانية وهي مسيرة سبعين الف عام، ثم الحجاب الاعلى وانقضى كلامه وسكت عليه السلام ثم قال عمر لا بقيت ليوم لا اراك فيه يا ابا الحسن وقال عليه السلام ان لله سبعين الف حجاب من نور لو كشف منها حجاب واحد لاحرقت سبحات جلاله ما في الكونين، والاخبار الواردة في هذا الباب كثيرة، فدلّ هذا وامثاله على ان العرش ليس هو منتهى المخلوقات بل فوقه ما هو اعظم منه بمراتب غير متناهية فلا تغفل.

نور قمري يتعلق باحوال القمر

اعلم ان الذي بينوه هو ان نور القمر مستفاد من نور الشمس ومستضيء به ويزيد وينقص نوره بالقرب من الشمس والبعد عنها كما هو مذكور في كتب الهيئة، ومن هذا تمت المشابهة في تفسير قوله تعالى والشمس وضحها والقمر اذا تليها، بان المراد من الشمس رسول الله صلى الله عليه وآله ومن القمر امير المؤمنين عليه السلام فان نور علمه مأخوذ من نور علم النبي صلى الله عليه وآله، ولكن سيأتي ان شاء الله تعالى في الاخبار ما يدل على ان للقمر نوراً ذاتياً غير مأخوذ من غيره، ولا منافاة بينهما لجواز اجتماع النورين فيه كما اجتمعا في المشبه الذي هو علي عليه السلام فان الله تعالى قد أتاه من العلم فنوناً كثيرة فأكملها النبي صلى الله عليه وآله في حياته وعند وفاته حيث ادخله تحت ثيابه، ولما خرج قيل له يا علي ما قال لك ابن عمك قال علمني الف باب من العلم ينفتح من كل باب الف باب.

واما مادة القمر واجزاؤه فقد عرفت اجماع الفلاسفة ومتابعيهم على بساطة الكواكب وعدم تركبها واما اخبار اهل البيت عليهم السلام فقد روى الصدوق طاب ثراه باسناده الى ابن

مسلم قال قلت لابي جعفر عليه السلام جعلت فداك لاي شيء صارت الشمس اشد حرارة من القمر، فقال ان الله تبارك وتعالى خلق الشمس من نور النار وصفو الماء طبقاً من هذا وطبقاً من هذا حتى صارت سبعة اطباق البسها لباساً من نار، فمن صارت اشد حرارة من القمر وخلق القمر من نور النار وصفوا الماء طبقاً من هذا وطبقاً من هذا حتى صارت سبعة اطباق البسها لباساً من ماء، فمن ثم صار القمر ابرد من الشمس، ويجوز ان يكون التركيب من الاطباق السبع لاستضائة السموات السبع، واما العرش والكرسي فلهما نور غيرهما هذا كما سيأتي.

فان قلت اذا كان وجه القمر من صافي الماء فما هذا السواد والكلف الذي على وجه القمر قلت قد تحَير ارباب علم الفلك في سببه على اقوال سبعة، الاول ما قيل انه خيال لا حقيقة له، ورد بأنه لو كان كذلك لاختلف الناظرون فيه لاستحالة توافقهم كلهم في خيال واحد، الثاني ما قيل من انه شبح ما ينطبع فيه من السفليات من الجبال والبحار وغيرهما واجيب عنه بأنه يلزم ان تختلف القمر في قربه وبعده وانحرافه عما ينطبع فيه.

الثالث انه السواد الكائن في الوجه الاخر وردَ بأنه يجب على هذا ان لا يرى هذا متفرقاً، الرابع ان سببه التأذي من كرة النار لقرب ما بينهما واجاب عنه ابن سينا في شفائه بأن هذا لا يلائم الاصول الحكمية، فان الاجرام الفلكية لا تفعل عن الاجسام العنصرية وايضاً قالوا ان الفلك غير قابل للتسخنَ عندهم الخامس ان جزء منه لا يتقبل النور كسائر اجزائه القابلة له قلنا فاذن لا يطرد القول ببساطة الفلكيات كما زعمتم اذ القمر حينئذ مركب من اجزاء متخالفة الحقايق، ويبطل على هذا جميع قواعدهم المبينة على بساطتها.

السادس هو وجه القمر فانه مصوّر بصورة انسان أي بصورة وجه الانسان، فله عينان وحاجبان وأنف وفم، وردَ بأه يلزم ان يتعطل فعل الطبيعة عندهم، لان لكل عضو طلب نفع او دفع ضرر، فان الفم لدخول الغذا والانف لفائد الشم والحاجبين لدفع العرض عن العينين، وليس القمر قابلاً لشيء من ذلك فيلزم التعطيل الدائم فيما زعمتم انه أحسن النظام وابلغه، السابع وهو الذي اختاره صاحب التذكرة وكثير من المتأخرين ان هذا الكلف اجسام سماوية مختلفة معه في تدويره غير قابلة للانارة بالتساوي حافظة لوضعها معه دائماً، فاذا كانوا على هذا النحو من الاختلاف في جزئي من جزئيات الكواكب فكيف اطلعوا على كلياتها واحاطوا بها، ما هذا إلاَ رجم بالغيب وقول مستند الى الريب.

واما سببه من طريق الاخبار فروى الصدوق قدس الله روحه مسنداً الى يزيد بن سلام قال ما بال الشمس والقمر لا يستويان في الضوء والنور، قال لما خلقهما الله عز وجل اطاعا ولم

يعصيا شيئاً فأمر الله عز وجل جبرئيل ان يمحو ضوء القمر فمحاه فأثر المحو في القمر خطوطاً سوداء ولو ان القمر ترك على حاله بمنزلة الشمس لما عرف الليل من النهار ولا النهار من الليل.

وروى القاسم بن معاوية قال قلت لابي عبد الله عليه السلام هؤلاء يروون حديثاً في معراجهم أنه لما اسرى برسول الله صلى الله عليه وآله رأى على العرش لا اله الا الله محمد رسول الله ابو بكر الصديق فقال سبحان الله غيروا كل شيء حتى هذا قلت نعم قال ان الله عز وجل لما خلق العرش كتب عليه لا اله الا الله محمد رسول الله ولما خلق الماء كتب في مجراه لا اله الا الله محمد رسول الله علي امير المؤمنين ولما خلق الله عز وجل الكرسي كتب على قوائمه لا اله الا الله محمد رسول الله علي امير المؤمنين، ولما خلق الله عز وجل اللوح كتب فيه لا الا الله محمد رسول الله علي امير المؤمنين، ولما خلق اللخ اسرافيل كتب على جبهته لا اله الا الله محمد رسول الله علي امير المؤمنين ولما خلق السموات كتب على اكنافها لا اله الا الله محمد رسول الله علي امير المؤمنين، ولما خلق الله عز وجل الارضين كتب على اطباقها لا اله الا الله محمد رسول الله علي امير المؤمنين، ولما خلق الله عز وجل الجبال كتب على رؤسها لا اله الا الله محمد رسول الله علي امير المؤمنين، ولما خلق الله عز وجل الشمس كتب الله عز وجل عليه لا اله الا الله محمد رسول الله علي امير المؤمنين، ولما خلق الله عز وجل القمر كتب عليه لا اله الا الله محمد رسول الله علي امير المؤمنين، وهو السواد الذي ترونه في القمر، فاذا قال احدكم لا اله الا الله محمد رسول الله فليقل علي امير المؤمنين ولا منافاة بين هذين الخبرين لجواز ان يكون المحو الواقع في حديث الاول بهذه الكتابة الواقعة في الحديث الثاني، واماعدم مشاهدة هذا السواد في جرم الشمس فلعله باعتبار زيادة نورها لا يرى ما في وجهها كما هو شأن الاجسام المضيئة.

وقد وقع الخلاف بين اهل صناعة الفلك في ان فلك الشمس هو هو فوق فلك الزهرة وعطارد او تحتهما، وذلك لما عرفت من ان الشمس عندهم لا تنكسف الا بالقمر ولا يتصور كسفها بشيء من الكواكب لانها تستتر بشعاعها، ومن هذا ارجعوا الترتيب الى شمسة القلادة لكن قال ابن سينا وجماعة انهم رأوا الزهرة في وجه الشمس كالشامة كاسفة لها، وذهب مؤيد الدين العرضي وصاحب التحفة الى ان فلك الزهرة دون فلك عطارد وفوق فلك الشمس، وكذّبوا ابن سينا فيما زعم، وقالا ان في وجه الشمس نقطة سوداء فوق مركزها بقليل كالمحو في وجه القمر، فهذه النقطة هي الشامة واما الشامتان فجاز ان تكون احديهما هذه النقطة والاخرى عطارد هذا كلامهم.

اقول بناء على هذه الاخبار يجوز ان يكون ذلك السواد المشاهد على وجه الشمس هو هذا المكتوب فتارة يشاهد نقطة وتارة يشاهد نقطتان، وهذا المحو الذي في القمر هو احد معاني

قوله عز من قائل فمحونا آية الليل وجعلنا ىية النهار مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربكم، ويستفاد من قوله عليه السلام اذا قال احدكم لا اله الا الله محمد رسول الله فليقل علي امير المؤمنين، عموم استحباب المقارنة بين اسميهما عليهما السلام الا ما اخرجه الدليل كالتشهدات الواجبة في الصلوة لانها وظائف شرعية، واما الاذان فهو وان كان من مقدمات الصلوة الا انه مخالف لها في اكثر الاحكام، فلا يبعد القول من هذا الحديث باستحباب لفظ علي ولي الله أو امير المؤمنين او نحو ذلك في الاذان لان الغرض الاتيان بأسمه كما لا يخفى.

ويؤيد هذا ما رأيته في الطيف ليلة عيد شهر رمضان المبارك والظاهر انها كانت ليلة الجمعة وقد حصل لي في النهار انكسار وخشوع وتضرع، فرأيت كأني في بريّة واسعة واذا فيها بيت واحد الناس تقصده من كل طرف فقصدته معهم فرأيت رجلاً جالساً على باب ذلك البيت وهو يفتي الناس بالمسائل فسألت عنه فقالوا هذا هو رسول الله صلى الله عليه وآله فأستفرجت الناس وتقدمت اليه صلى الله عليه وآله فقلت له يا جدّه انه قد انتهى اليّ دعاء من جنابكم انه يقرأ اول الصلوة، وهو اللهم اني اقدم اليك محمداً بين يدي حاجتي وأتوجه به اليك الدعاء، ولم يذكر مع اسمك المبارك اسم علي بن ابي طالب والفقير يقرن بين اسميكما ويخاف ان يكون قد ابدع في الدعاء حيث انه لم ينقل اليه عنكم الا كما قلت، فقرن بين اصبعيه على ما اظن وقال ان ذكر اسم علي مع اسمي ليس ببدعة، والظاهر انه امرني بما ورد في هذا الحديث من انك اذا ذكرت اسمي فاذكر معه اسم علي فلما تيَقظت رأيت ذلك الدعاء في بعض الكتب وفيه اسم علي عليه السلام والذي يأتي على هذا ان يذكر اسم علي عليه السلام في الاذان وما شابهه نظراً الى استحباب العام ولا يقصد انه وظيفة شرعية في خصوص هذا الموضع، وهكذا الحال في اكثر الاذكار مثلاً قول لا اله الا الله مندوب اليه في كل الاوقات، فلو خصّ منه عدد في وم معين لكان قد ابدع في الذكر وكذا سائر العبادات المستحبة فتأمل.

بقي الكلام في خسوف القمر فقد قال الرياضيون السبب فيه انه قد يكون القمر مقابلاً للشمس بقرب العقدتين فتكون الارض حينئذ واقعة بينه وبين الشمس فتمنع الارض ضوءها عنه فيرى كماكما هو لونه الاصلي، ولان جرم الارض كثيراً من جرم الشمس وذكروا انه يقابل جرم الارض بثلثمائة مرة فيقع الظل الناشئ من الارض مخروطاً قاعدته دائرة صغيرة على الارض ورأسه على محاذاة جزء من اجزاء فلك البروج مقابلاً لجزء منه حلّ فيه الشمس، فان لم يكن للقمر في حال المقابلة عرض بأن يكون في احدى العقدتين انخسف كله لانه اصغر من الارض، بل من غلظ الظل حيث وصل اليه فيقع كله في داخله ومكث فيه زماناً، وان كان له عرض فان كان ذلك العرض بقدر نصف قطر صفحة القمر ونصف قطر دائرة الظل لم ينخسف، وان كان ذلك

العرض اقلَ من مجموع النصفين انخسف بعضه، وذلك بقدر تقاطع القطرين أي تلاقيهما وتداخلهما، فان فرض ان هذا العرض الاول يساوي فضل نصف قطر الظل على نصف قطر القمر انخسف كله وماسَ سطحه دائرة الظل من داخل ولم يكن له مكث، وان كان اقل من ذلك الفضل انخسف بتمامه ومكث بحسب وقوعه في الظل هذا محصّل ما قالوه في خسوف القمر.

واما كسوف الشمس فقالوا انه عند اجتماع القمر بالشمس في النهار اجتماعاً مرئياً لا حقيقياً، ان لم يكن للقمر عرض مرئي يحجب بيننا وبين الشمس لوقوعه على الخط الخارج من ابصارنا اليها، فلم نر ضوء الشمس بل نرى لون القمر الكمد في وجه الشمس، فنظن ان الشمس ذهب ضوئها وهو الكسوف، ليس الكسوف تغيّر حال في ذات الشمس كالخسوف في ذات القمر، ولذلك امكن ان يقع كسوف بالقياس الى قوم دون قوم ويكون ذلك بقدر صفحة القمر فربما انكسف الشمس كلها، ان كان اصغر منها وذلك لانه اقرب الين-ا فيؤثر قطره الزواية تؤثرها الشمس كملا فتحجب به عنا بتمامها.

وربما يكون الشمس وقت انكسافها في حضيضها فلقربها منا ترى اكبر ويكون القمر حينئذ في اوجه فلبعده عنا يرى اصغر فلا يكسف جميع صفحتها، بل يبقى منها حلقة نور محيط، به وقد قيل ان تلك الحلقة النورانية رأت على وجهها في بعض الكسوفات مع ندرته وان كان للقمر في ذلك الاجتماع عرض مرئي، فان كان ذلك العرض بقدر مجموع نصف قطرهما لم يكسفها، وان كان اكثر منهما فبالطريق الاولى، وان كان اقل منهما كسفها بقدر ذلك، هذا حاصل كلامهم في الكسوفين.

واما الذي ورد في الاخبار عن الائمة عليهم السلام فروى الصدوق طاب ثراه عن زين العابدين عليه السلام انه قال ان من الايات التي قدرّها الله عز وجل للناس مما يحتاجون اليه البحر الذي خلقه الله بين السماء والارض، قال وان الله تعالى قد قدر منها مجاري الشمس والقمر والنجوم وقدّر ذلك على الفلك، ثم وكلّ بالفلك ملكاً معه سبعون الف ملك يديرون الفلك، فاذا اداروه دارت الشمس والقمر والنجوم معه فنزلت منازلها التي قدرها الله تعالى ليومها وليلتها، فاذا كثرت ذنوب العباد واحبَ الله ان يستعتبهم بآية من آياته امر الملك الموكل بالفلك ان يزيل الفلك عن مجاريه، قال فيأمر الملك السبعين الالف الملك ان يزيلوا الفلك عن مجاريه قال فيزيلونه فتصير الشمس في ذلك البحر الذي كان فيه الملك، فيطمس ضوئها ويتغير لونها فاذا اراد الله عز وجل ان يعظم الاية غمست في البحر على ما يحب ان يخوف عباده بالاية قال وذلك عند انكساف الشمس وكذلك يفعل بالقمر، فاذا اراد الله عز وجل ان يجريها ويردّها الى مجريها امر الملك الموكل بالفلك ان يردّ الفلك الى مجراه فيرد الفلك وترجع الشمس الى مجريها، قال فتخرج من الماء

وهي كدرة والقمر مثل ذلك، قال علي بن الحسين عليهما السلام اما انه لا يفزع للايتين ولا يرهب الا من كان من شيعتنا، فاذا كان ذلك منهما فافزعوا الى الله تعالى وراجعوه.

قال الصدوق (ره) ان الذي يخبر به المنجمون من الكسوف فيتفق على ما يذكرونه ليس من هذا الكسوف في شيء وانما يجب الفزع الى المساجد والصلوة عند رؤيته، لانه مثله في المنظر وشبيه له في المشاهدة كما ان الكسوف الواقع مما ذكره سيد العابدين عليه السلام انما وجب الفزع فيه الى المساجد والصلوة لانه آية تشبه آيات الساعات وكذلك الزلازل والرياح والظلم وهي آية تشبه آيات الساعة، فأمرنا بتذكر القيامة عند مشاهدتها والرجوع الى الله تبارك وتعالى بالتوبة والانابة، والفزع الى المساجد التي هي بيوته في الارض، والمستجير بها محفوظ في ذمة الله تعالى ذكره.

اقول قوله عليه السلام البحر الذي خلقه الله بين السموات والارض كما تضمنه هذا الحديث موجود في كثير من الاخبار، وهو ان الله سبحانه خلق بحراً بين السماء والارض وامسكه بقدرته، وهذه الخضرة التي نراها هي خصرة ماء ذلك البحر ولا يحتاج هذا وامثاله الى التأويل حتى ينطبق على مذهب الفلاسفة، لان مثله يحوج الى تأويل الاخبار كلها من غير ضرورة، وتصديق هذا ما رواه صاحب كشف الغمة باسناد الى صفوان الجمال، قال كنت ند ابي عبد الله عليه السلام بالحيرة اذ اقبل الربيع، فقال أجب امير المؤمنين فلم يلبث ان عاد فقلت دعاك فأسرعت الانصراف، فقال انه سألني عن شيء فألق الربيع فاسأله عنه كيف صار الامر الذي سألني عنه قال صفوان وكان بيني وبين الربيع لطيف، فخرجت فأتيت الربيع فسألته عما دعا المنصور ابا عبد الله عليه السلام لاجله، فقال الربيع اخبرك بالعجب ان الاعراب خرجوا يجتنون الكمأة فأصابوا في البدو خلقاً ملقى فأتوا به فأدخلته على المنصور لاعجبه منه، فوضعته بين يديه فلما رآه قال نحّه وادع لي جعفر بن محمد عليه السلام فدعوته فقال يا ابا عبد الله أخبرني عن الهوى ما فيه، فقال في الهوى موج مكفوف فقال فيه سكان، قال نعم قال وما سكّانه قال خلق ابدانهم خلق الحيتان رؤسهم رؤس الطير ولهم اعراف كأعراف الديكة وبغابغ كبغابغ الديكة، واجنحة كأجنحة الطير في الوان اشد بياضاً من الفضة المجلوة، فقال المنصور هلّم الطشت فجئت بها وفيها ذلك الخلق فاذاً هو والله كما وصف جعفر بن محمد عليهما السلام فلما نظر اليه جعفر عليه السلام قال هذا هو الخلق الذي يسكن الموج المكفوف، فأذن له بالانصراف فلما خرج قال ويلك يا ربيع هذا الشجا المعترض في حلقي من اعلم الناس.

واما قوله عليه السلام ثم وكّل بالفلك ملائكة يديرونه، فهو مما يدل على ان حركته ليست بالارادة والاختيار منه كما قاله الفلاسفة ومتابعوهم من ان الافلاك بأجمعها حيّة ناطقة عاشقة مطيعة لمبدعها وخالقها، واكثرهم على ان غرضها من حركاتها نيل التشبيه بجانبه والتقرّب اليه جلّ شأنه، وبعضهم على ان حركاتها لورود الشوارق القدسية عليها آناً فآناً، فهي من قبيل الطرب

والرقص الحاصل من شدة السرور والفرح، وقال ان البعوضة والنملة فما دونها حيّة فما ظنك بأجرام شريفة تنزل من حركاتها البركات، وهذا الكلام مصادم للاجماع والاخبار.

اما الاول فقال علم الهدى طاب ثراه في كتاب الغرر والدرر لا خلاف بين المسلمين في ارتفاع الحيوة عن الفلك وما يشتمل عليه من الكواكب فأنها مسخرة ومدبرة واما الثاني فالاخبار الدالة عليه مستفيضة بل متواترة، منها ما رواه رئيس المحدثين شيخنا الكليني طاب ثراه في باب حدوث العالم عن الصادق عليه السلام مع الزنديق، قال فيه أما ترى الشمس والقمر والليل والنهار يلجان فلا يشتبهان ويرجعان قد اضطرا ليس لهما مكان الا مكانهما فان كانا يقدران على ان يذهبا فلم يرجعان وان كانا غير مضطرين فلم لا يصير الليل نهاراً والنهار ليلاً إضطرا والله يا أخا اهل مصر الى دوامها والذي اضطرهما احكم منهما واكبر الحديث.

نعم نقول ان الافلاك كغيرها من سائر الجمادات لها شعور التسبيح والذكر والخضوع والانقياد لخالقها بلسان المقال لا بلسان الحال كما قاله المرتضى (ره) وشاهده قوله عز من قائل وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم، وفي الخبر ان تسبيح الماء دويه والرعد صوته والجدار سقوطه، وقد راز عابد عابداً فلما جلس معه في البيت واذا السقف يتقرقع فخاف الضيف، فقال له صاحب المنزل لا تخف فان هذا السقف يسبح الله ويعبده فقال الضيف نعم يا أخي ولكن أخاف أن تدركه الرقة فيسجد ونظر بعض الاعلام الى ظاهر الاية وقال ان تسبيح الحصا في يده صلى الله عليه وآله ليس بمعجزة له، بل المعجزة هنا اسماع الصحابة ذلك التسبيح وكذلك الوحوش والطيور والحيتان على ما روى من ان الطير لا يقع في الحبالة الا عند غفلته عن ذكر الله والتسبيح، وكذلك السمك والوحوش والطيور.

وقوله عليه السلام وذلك عند انكساف الشمس وكذلك يفعل بالقمر فيه دلالة ظاهرة على ان الشمس والقمر في فلك واحد، ولا يعارض هذا سوى أقاويل المنجمين ودلائلهم والا فقد تحققت ان الثوابت انما هي في السماء الاولى ولا نقول كل الكواكب فيها (فيه خ ل) فأنه قد روى في الاخبار ان من الكواكب ما يكون في غيرها روى الصدوق طاب ثراه بأسناده الى ابن مزاحم قال سأل علي عليه السلام عن الطارق، قال هو احسن نجم في السماء وليس تعرفه الناس، وانما سمى الطارق لانه يطرق نوره سماء سماء الى سبع سموات ثم يطرق راجعاً حتى يرجع الى مكانه، وعن الصادق عليه السلام انه قال لليماني ما زحل عندكم في النجوم فقال اليماني نجم نحس، فقال ابو عبد الله عليه السلام لا تقل هذا فأنه نجم امير المؤمنين عليه السلام وهو نجم الاوصياء عليهم السلام وهو نجم الثاقب الذي قال الله في كتابه فقال اليماني فما معنى الثاقب فقال ان مطيعه في السماء السابعة وانه ثقب بضوئه حتى اضاء في السماء الدنيا فمن ثم سماه الله النجم الثاقب.

أقول يمكن ان يكون هذا هو الطارق بعينه ويكون معنى قوله عليه السلام **لا تعرفه الناس انهم لا** يعرفون صفاته وعلاماته وانتهاء انواره وان عرفوا اسمه وبعض احكامه، فان الكواكب التي عرفوها بالارصاد هي السبعة السيارة وعرفوا من الثوابت الفا واثنين وعشرين او خمساً وعشرين ثوابت، رصدوها وعينوا مواضعها طولاً وعرضاً بالنسبة الى منطقة البروج واما غير المرصودة من الثوابت فغير محصورة.

وروى رئيس المحدثين شيخنا الكليني طاب ثراه عن الصادق عليه السلام قال ان الله عز وجل خلق نجماً في الفلك السابع فخلقه من ماء بارد وسائر النجوم الستة الجاريات من ماء حار وهو نجم الانبياء والاوصياء وهو نجم امير المؤمنين عليه السلام يأمر بالخروج من الدنيا والزهد فيها ويأمر بافتراش التراب وتوسد اللبن واكل الجشب وما خلق الله نجماً اقرب الى الله منه وهذا النجم هو زحل، وفيه دلالة على خطاء المنجمين في طبائع الكواكب وفي سعودها ونحوسها، فان زحل عندهم انحس الكواكب كما عرفت.

وام قول الصدوق (ره) ان الذي يخبر به المنجمون من الكسوف فهو غير هذا فلا يخفى ما فيه اذ المنجمون يخبرون بأكثر الكسوفات بل بكلها على ما هو المشاهد منهم في هذه الاعصار، نعم قد يخبرون عنه فلا يقع ولكن كلما يقع يخبرون عنه قبل وقوعه وسيأتي تحقيق الجواب عنه في النور الاتي ان شاء الله تعالى اذا عرفت هذا.

فاعلم ان بعض المحققين ممن قال بمقالة المنجمين واهل الفلسفة من حيوة الافلاك والكواكب وان كل واحد من السيارات السبع مدبر لفلكه كالقلب في بدن الحيوان ان كل كوبك منها ينزل مع افلاكه منزلة حيوان واحد ذي نفس واحدة يتعلق بالكواكب اول تعلقها، وبواسطة الكواكب يتعلق بالافلاك كما يتعلق نفس الحيوان بقلبه وبأعضائه الباقية بعد ذلك، فالقوة المحركة منبعثة عن الكواكب الذي هو كالقلب في افلاكه التي هي كالجوارح والاعضاء الباقية، قد استدل علىحيوة القمر وتصرفه في فلكه بالفقرات المذكورة في اول دعاء الهلال من الصحيفة السجادية، وهي قوله عليه السلام ايها الخلق المطيع الدائب السريع، المتردد في منازل التقدير المتصرف في فلك التدبير، ووجه الاستدلال بأمور.

الاول من جهة الخطاب وتوجيهه اليه وذلك لا يكون الا لصاحب الحيوة الثاني وصفه بالسرعة فان المراد بحركته السريعة اما الحركة اذلاتية التي يدور بها على نفسه كما قال به جمع كثير من محققي الحكماء في كل الكواكب وفرّع عليه المحقق الطوسي طاب ثراه كون المحق المرئي في وجه القمر شيئاً غير ثابت في جرمه والا لتبدّل وضعه واما حركته العرضية التي بتوسط فلكه وهو

الاظهر لان الاولى غير محسوسة ولا معروفة والحمل على المحسوس المتعارف أولى وسرعة حركة القمر بالنسبة الى سائر الكواكب.

اما الثوابت فظاهر لكون حركتها من ابطأ الحركات حتى ان اكثر القدماء لم يدركوها، ومن ادركها من قدمائهم ومتأخريهم قال انها تتمّ الدورة في ثلاثين الف سنة، وقيل انها تتم الدورة في ستة وثلاثين الف سنة بناء على ان بطليموس وجد بالرصد انها تقطع في كل سنة جزء واحداً، وقيل تتم الدورة في ثلاثة وعشرين الف سنة وسبعمائة وستين سنة بناء على ما وجده المتأخرون في زمان المأمون من انها تقطع درجة واحدة في كل ست وستين سنة، وقيل تتمها في خمسة وعشرين الف سنة ومائتي سنة بناء على ان جماعة من محققي المتأخرين وجدوها تقطع جزءً واحداً في كل سبعين سنة وهذا هو الموافق للرصد الجديد الذي بمراغة، واما السيارات فلأن زحل يتم الدورة في ثلاثين سنة، والمشتري في اثنتي عشرة سنة، والمريخ في سنة وعشرة أشهر ونصف وكلاً من الشمس والزهرة وعطارد في قريب من السنة.

واما القمر فيتم الدورة في قريب من ثمانية وعشرين يوماً، وقال شيخنا البهائي (ره) لا يبعد ان يكون وصفه عليه السلام القمر بالسرعة باعتبار حركته المحسوسة على انها ذاتية له بناء على تجويز بعض الحركات للسيارات في افلاكها من قبيل الحيتان في الماء كما ذهب اليه جماعة، ويؤيده ظاهر قوله تعالى والشمس والقمر كل في فلك يسبحون، ودعوى امتناع الخرق على الافلاك لم تقترن بالثبوت وما لفقه الفلاسفة لاثباتها اوهن من بيت العنبكوت لابتنائه على عدم قبول الافلاك بأجزائها الحركة المستقيمة ودون ثبوته خرط القتاد، والتنزيل الالهي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ناطق بانشقاقها، وما ثبت من معراج نبينا صلى الله عليه وآله بجسده المقدس الى السماء السابعة فصاعداً شاهد بانخراقها.

الثالث من قوله عليه السلام المتصرف في فلك التدبير فان ظاهر التصرف الحيوة والادراك كما هو ظاهر والجواب اما عن الاول فبأن الخطاب لا يدل على الحيوة لانه قد تعارف نداء الاطلال والمنازل واما عن الثاني فبأن خالقه ومدبره ومقدره هو الذي يحركه بسرعة وبطوء واما عن الثالث فبأن اضافة الفلك الى التدبير من قبيل اضافة الط\ظرف الى المظروف أي الفلك الذي هو محل التدبير نظراً الى ان ملائكة سماء الدنيا يدبرون امر العالم السفلي كما ذكره جماعة من المفسرين في قوله فالمدبرات امراً.

نور شمسي

اعلم وفقك الله ان من اعظم نعم الله تعالى على عباده خلق الشمس ضياءً لهم وللسعي الى المعايش ولنضج الاثمار ولمعرفة الاوقات وغير ذلك من الفوائد وهذا النور الذي هو فيها هل هو ذاتي لها أم حصل لها من جسم آخر كالعرش كما حصل للقمر نور منها، ولعل في الاخبار دلالة على الامرين، ووجه الجمع ما تقدم في القمر وقد روى شيخنا الكليني عطر الله مرقده بسند صحيح عن عاصم بن حميم عن ابي عبد الله عليه السلام قال ذاكرت أبا عبد الله عليه السلام فيما يروونه من الرؤية فقال الشمس جزء من سبعين جزء من نور الكرسي والكرسي جزءاً من سبعين جزء من نور العرش، والعرش جزءاً من سبعين جزءاً من نور الحجاب جزء من سبعين جزء من نور الستر، فان كانوا صادقين فليملؤا اعينهم من نور الشمس ليس دونها سحاب، وهذا الحديث يحتمل الامرين لان قوله عليه السلام جزء من سبعين جزءاً يجوز ان يكون المراد في المقابلة والمعادلة، ويجوز ان يكون في الاكتساب والاستفاضة منه.

وروى الصدوق (ره) باسناده الى ابي ذر الغفاري (رض) قال كنت آخذاً بيد النبي صلى الله عليه وآله ونحن نتماشى جميعاً، فما زلنا ننظر الى الشمس حتى غابت فقلت يا رسول الله أين تغيب قال في السماء، ثم ترفع من سماء الى سماء حتى ترفع الى السابعة العليا حتى تكون تحت العرش فتخرّ ساجدة معها الملائكة الموكلون بها، ثم تقول يا رب من اين تأمرني ان اطلع من مغربي أو من مطلعي، فذلك قوله عز وجل والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم، يعني بذلك صنع الرب العزيز في ملكه بخلقه، قال فيأتيها جبرئيل عليه السلام بحلّة ضوء من نور العرش على مقادير لساعات النهار في طوله في الصيف أو قصره في الشتاء أو ما بين ذلك في الخريف والربيع، قال فتلبس تلك الحالة كما يلبس أحدكم ثيابه ثم تنطلق بها في جو السماء حتى تطلع من مطلعها، قال النبي صلى الله عليه وآله فكأني بها قد حبست مقدار ثلاث ليال ثم لا تكسى ضوء وتؤمر ان تطلع من مغربها، فذلك قوله عز وجل اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت، والقمر كذلك من مطلعه ومجراه في افق السماء ومغربه وارتفاعه الى السماء السابعة ويسجد تحت العرش وجبرئيل يأتيه بالحلّة من نور الكرسي، فذلك قوله عز وجل وجعل الشمس ضياء والقمر نورا، قال ابو ذر (ره) ثم اعتزلنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله فصلينا المغرب.

واما حركة الشمس فقد عرفت انها بالجبر والاضطرار لا بالشعور والاختيار كما قاله الحكماء والمنجمون، روى الصدوق (ره) عن محمد بن مسلم أنه سئل ابا جعفر عليه السلام عن ركود الشمس فقال يا محمد ما اصغر جثتك واعضل مسألتك وانك لاهل الجواب، ان الشمس اذا

طلعت جذبها سبعون الف ملك بعد ان أخذ بكل شعبة منها خمسة الاف من الملائكة من بين جاذب دافع حتى اذا بلغت الجو وجازت الكوّة قلّبها ملك النور ظهر البطن فصار ما يلي الارض الى السماء وبلغ شعاعها تخوم العرش، فعند ذلك نادت الملائكة سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والحمد لله الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له وليّ من الذل وكبره تكبيرا، فقلت له جعلت فداك أحافظ على هذا الكلام عند زوال الشمس فقال نعم حافظ عليه كما تحافظ على عينيك، فاذا زالت الشمس صارت الملائكة من ورائها يسبحون الله في ذلك الجو الى ان تغيب.

اقول يستفاد من هذا الحديث اسرار، الاول ان نور الشمس اذا زالت يشرع في النقصان الى ان تغيب، فظهر ان السبب فيه قلب ملك النهار لها وكون قفاها صار الينا وضوئها اقلّ من ضوء وجهها، الثاني ان حركة الشمس من ابتداء الزوال يكون اسرع من حركتها اول النهار كما هو المشاهد فظهر سببه ايضاً وهو أنها في اول النهار كانت صاعدة ومن الزوال صارت هابطة، وحركة الهبوط اسرع من حركة الصعود كما لا يخفى، وقد لحظ الشارع هذا فجعل لفريضة الظهر قدمين وللعصر اربعة، وذلك ان الجسم الاخذ في الهبوط كلما توغل فيه اسرع في الحركة فيكون اربعة أقدام للعصر موازية لقدمي الظهر في الزمان.

الثالث ان هذا الركود هو زمان قلب ملك النور لها ظهر البطن، وقد سئل الصادق عليه السلام عن الشمس كيف تركد كل يوم ولا يكون لها يوم جمعة ركود، قال لان الله عز وجل جعل يوم الجمعة أضيق الايام قال لانه لا يعذب المشركون في ذلك اليوم لحرمته عنده وعلّة أخرى رواها حريز بن عبد الله قال كنت عند ابي عبد الله عليه السلام فسأله رجل فقال له جعلت فداك ان الشمس تنقض ثم تركد ساعة من قبل ان تزول فقال انها تؤامر أتزول أم لا تزول فهذه ثلاث علل لركود الشمس، وتفصيل العلة الثانية ما رواه محمد بن اسماعيل بن بزيع عن الرضا عليه السلام قال قلت له بلغني ان يوم الجمعة أقصر الايام قال كذلك هو قلت جعلت فداك كيف ذلك، قال قال ابو عبد الله عليه السلام ان الله يجمع ارواح المشركين تحت عين الشمس، وعذبت ارواح المشركين بركود الشمس فاذا كان يوم الجمعة لا يكون ركود، ورفع عنهم العذاب لفضل يوم الجمعة فلا يكون للشمس ركود.

بقي كلام في تحقيق الركود هنا لما يرد على ظاهره من ان كل نقطة من مدار الشمس محاذية لسمت رأس أفق من الافاق، فيلزم سكون الشمس دائماً لو سكنت حقيقة عند الزوال، وتخصيص الركود بأفق خاص كمكة أو المدينة مع بعده يستلزم سكونها في البلاد الاخر بحسبها في اوقات آخر، فان ظهر مكة مثلاً يكون وقت الضحى في بلاد أفق آخر فيلزم ركودها في ضحى

ذلك الافق ولا يلتزمه أحد ومن ثم قال بعض محققي مشائخنا رحمهم الله تعالى الوجه ركود الشمس قبل الزوال تزايد شعاعها آناً فآناً وانتقاص الظل الى حد ما ثم انتقاص الشعاع وتزايد الظل.

وقد ثبت في محله ان كل حركتين مختلفتين لا بد بينهما من يكون فبعد بلوغ نقصان الظل الى الغاية وقبل أخذه في الازدياد لا بدّ وان يركد شعاع الشمس في الارض ساعة، ثم يزيد وهذا ركودها في الارض من حيث شعاعها بحسب الواقع وقد حصل بتبعية الظلال، والحاصل ان المراد بركود الشمس حين الزوال عدم ظهور حركتها بقدر يعتّد بها عند الزوال وعدم ظهور تزايد الظل حينئذ بخلاف الساعات السابقة واللاحقة وعبّر عن ذلك بالركود بناء على الظاهر وفهم العوام، هذا كلامهم قدس الله ارواحهم.

ويمكن ان يقال انك قد تحققت العلة في ركود الشمس وهو تعذيب ارواح الكفار وأرواح الكفار انما تعذب في نار الدنيا وهي وادي برهوت في حضرموت اليمن كما ان ارواح المؤمنين تنعم في وادي السلام الواقع في ظهر الكوفة، وتعذيب ارواح الكفار في ساعة ركود الشمس في حرارتها انما هو نوع خاص من العذاب، وحينئذ فينبغي ان يكون منطا الركود هو بلاد التعذيب وما شابهها وهو اليمن ومكة والمدينة والعراق وما والاه وكون هذا السكون في ضحى بلاد أفق آخر مما نلتزمه ونقول به، مع ان مبنى هذا كله انما هو على كروية الارض ودونه خرط القتاد كما سيأتي ان شاء الله تعالى، فظهر من هذا ان الفلك ليس منتظم الحركة لا يخرج عن وضعه كما قاله الفلاسفة، وسيأتي لهذا مزيد تحقيق اذا وصلت التنوبة الى انوار الارض ان شاء الله تعالى، وحيث انتهى الحال بنا الى هذا المقال فلا بأس بذكر العلم المتعلق بالنجوم وحقيقته او ابطاله.

نور نجومي

في بيان العلم الذي انكبَ عليه الناس في هذه الاعصار في اكثر بلاد الاسلام وأخذوا ساعات سعودهم ونحوسهم منه وهو علم النجوم، وتحقيق الكلام فيه لا يتم الا بنقل كلام اعيان الاصحاب والاخبار الواردة فيه عن الائمة الطاهرين عليهم السلام حتى يظهر ان اتفاق الاصحاب انما جاء من قبل اتفاق الاخبار فنقول قال شيخنا المفيد نور الله ضريحه في كتاب المقالات اقول ان الشمس والقمر وسائر النجوم أجسام نارية لا حيوة لها، ولا موت ولا تميز خلقها الله تعالى لينتفع بها عباده، وجعلها زينة لسمواته وآيات من آياته، كما قال سبحانه هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدرّه منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق نفصل الايات لقوم يعلمون، وقال تعالى هو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في

ظلمات البر والبحر قد فصلنا الايات لقوم يعلمون، وعلامات وبالنجم هم يهتدون، وقال تعالى انا زينا السماء الدنيا بمصابيح، فاما الاحكام على الكائنات بدلائلها والكلام على مدلول حركاتها فان العقل لا يمنع منه ولسنا ندفع ان يكون الله تعالى أعلمه بعض انبيائه وجعله علماً له على صدقه، غير انا لا نقطع عليه ولا نعتقد استمراره في الناس الى هذه الغاية، واما ما نجده من احكام المنجمين في هذا الوقت واصابة بعضهم فيها فانا لا ننكر ان يكون ذلك بضرب من التجربة وبدليل عادة، وقد يختلف احياناً ويخطي المعتمد عليه كثيراً ولا يصح اصابته فيه ابداً لانه ليس بجار مجرى دلائل العقول ولا براهين الكتاب واخبار الرسول وهذا مذهب جمهور متكلمي اهل العدل واليه ذهب بنو نوبخت رحمهم الله تعالى من الامامية، وابو القاسم وابو علي من المعتزلة هذا كلامه طاب ثراه.

وقال سيدنا المرتضى اعلى الله مقامه في دار المقامة في جواب المسائل السلارية بعد ما ابطل كون النجوم مؤثرة بدلائل وبراهين واما الوجه الاخر وهو ان يكون تعالى اجرى العادة بان يفعل افعالاً مخصوصة عند طلوع كوكب او غروبه او اتصال ما او مفارقته فقد بينا ان ذلك ليس بمذهب المنجمين البتة وانما يتحملون الان باظهاره وانه قد كان جائزاً ان يجري الله العادة بذلك لكن لا طريق الى العلم بان ذلك قد ثبت ووقع ومن اين لنا طريق ان الله تعالى اجرى العادة بأن يكون زحل او المريخ اذا كان في درجة الطالع كانا نحساً، وان المشتري اذا كان كذلك كان سعداً واي شيء خبر به واستفيد من جهته، فان عوّلوا في ذلك الى التجربة وانا جربنا ذلك ومن كان قبلنا فوجدناها على هذه الصفة، واذا لم يكن موجباً فيجب ان يكون معتاداً.

قلنا ومن سلّم لكم صحة هذه التجربة وانتظامها واطرادها وقد رأينا خطائكم فيها اكثر من صوابكم وصدقكم اقل من كذبكم، فان نسبتم الصحة اذا اتفقت منكم الى الاتفاق الذي يقع من التخمين والرجم فقد رأينا من يصيب من هؤلاء اكثر مما يخطئ وهو على غير اصل معتمد ولا قاعدة صحيحة، فان قلتم سبب خطاء المنجم زلل دخل عليه في اخذ الطالع او في سير الكواكب قلنا ولم لا كانت اصابته سببها الاتفاق والتخمين وانما كان يصح لكم هذا التأويل والتخريج لو كان على صحة احكام النجوم دليل قاطع هو وغير اصابة المنجم فاما اذا كان دليل صحة الاحكام الاصابة فقد كان دليل فسادها الخطأ.

ومما افحم به القائلون بصحة الاحكام ولم يحصل عنه منهم جواب ان قيل لهم في شيء بعينه خذوا الطالع واحكموا هل يؤخذ او يترك، فان حكموا إمّا بالاخذ أو الترك خولفوا وفعل خلاف ما اخبروا به وقد اعضلتهم هذه المسألة.

ثم قال ان من معجزات الانبياء عليهم السلام إخبارهم بالغيوب فكيف يقدر عليها غيرهم فيصير ذلك مانعاً من ان يكون ذلك معجزاً لهم، ثم قال والفرق بين ذلك وبين سائر ما يخبرون به من تأثيرات الكواكب في اجسامنا، فالفرق بين الامرين ان الكسوفات واقترانات الكواكب وانفصالها طريقة الحساب وسير الكواكب، وله اصول صحيحة وقواعد سديدة وليس كذلك ما يدعونه من تأثيرات الكواكب الخير والشر والنفع والضرر ولو لم يكن من الفرق بين الامرين الا الاصابة الدائمة المتصلة في الكسوفات وما يجري مجراها ولا يكاد يتفق خطاء البتة فان الخطأ المعهود الدائم انما هو في الاحكام الباقية حتى ان الصواب هو العزيز فيها وما يتفق بقلة فيها من اصابة فقد يتفق من المنجمين اكثر منه فحمل احد الامرين على الاخر قلّة دين وحياء انتهى.

وقال في الغرر والدرر قد اجمع المسلمون قديماً وحديثاً على تكذيب المنجمين والشهادة بفساد مذاهبهم وبطلان احكامهم ومعلوم من دين الاسلام ودين الرسول ﷺ ضرورة التكذيب لما يدعيه المنجمون والازراء عليهم والتعجيز لهم وفي الروايات عنه ﷺ ما لا يحصى كثرة وكذا من علماء اهل بيته عليهم السلام وخيار اصحابه فما زالوا يتبرأون من مذاهب المنجمين ويعدونها ظلالاً ومحالاً هذا كلامه طاب ثراه.

وقال العلامة قدس الله روحه في المنتهى التنجيم حرام، وكذلك تعلّم النجوم مع اعتقاد انها مؤثرة او ان لها مدخلاً في التاثير في النفع والضرر، وبالجملة كل من يعتقد ربط الحركات النفسانية والطبيعية بالحركات الفلكية والاتصالات الكوكبية كافر. وأخذ الاجرة على ذلك حرام، واما من يتعلم النجوم ليعرف قدر سير الكواكب وبعده واحواله منم التربيع والكسوف وغيرهما فانه لا باس به انتهى.

وقال شيخنا الشهيد (ره) في قواعده كل من اعتقد في الكواكب انها مدبّرة لهذا العالم وموجدة ما فيه فلا ريب انه كافر، وان اعتقد انها تفعل الاثارة المنسوبة اليها والله سبحانه هو المؤثر الاعظم كما يقوله اهل العدل فهو مخطئ اذ لا حيوة لهذه الكواكب ثابتو بدليل عقلي ولا نقلي وبعض الاشعرية يكفرون هذا كما يكفرون الاول، واوردوا على انفسهم عدم إكفار المعتزلة وكل من قال بفعل العبد، وفرقوا بأن الانسان وغيره من الحيوان يوجد فعله من ان التذلل ظاهر عليه فلا يحصل منه اهتضام بجانب الربوبية بخلاف الكواكب فانها غاية عنّا فربما ادلّ ذلك الى اعتقاد استقلالها وفتح باب الفكر.

واما ما يقال من ان استناد الافعال اليها كاستناد الاحراق الى النار وغيرهما من العاديات بمعنى ان الله تعالى اجرى عادته انها اذا كانت على شكل مخصوص او وضع مخصوص يفعل بما ينسب اليها ويكون ربط المسببات بها كربط مسببات الادوية والاغذية بها مجازا باعتبار الربط

العادات الفعلي الحقيقي فهذا لا يكفر معتقده ولكنه مخطئ ايضاً وان كان اقلَ خطأ من الاول، لان وقوع هذه الاثار عندها ليس بدائم ولا اكثري.

وقال في الدروس ويحرم اعتقاد تأثير النجوم مستقلة او بالشركة والاخبار عن الكائنات بسببها اما لو اخبر بجريان العادة ان الله تعالى يفعل كذا عند كذا لم يحرم وان كره، على ان العادة فيها لا تطرد الا فيما قلَ، واما علم النجوم فقد حرمه بعض الاصحاب ولعله لما فيه من التعرض للمحظور من اعتقاد التأثير، أو لان احكامه تخميناً واما علم هيئة الافلاك فليس حراماً بل ربما كان مستحباً لما فيه من الاطلاع على حكم الله وعظم قدرته.

وقال شيخنا الشيخ علي قدس الله روحه التنجيم الإخبار عن احكام النجوم باعتبار الحركات الفلكية والاتصالات الكوكبية التي مرجعها الى القياس والتخمين الى ان قل وقد ورى عن صاحب الشرع النهي عن تعلم النجوم بابلغ وجوهه، حتى قال امير المؤمنين صلوات الله عليه غياكم وتعلم النجوم الا ما يهتدى في بر أو بحر، فانها تدعوا الى الكهانة والمنجم كالكاهن والكاهن كالساحر والساحر كالكافر والكافر في النار.

اذا تمهَد (تقرر خ ل) ذلك فاعلم ان التنجيم مع اعتقاد ان للنجوم تاثيراً في الموجودات السفلية ولو على جهة المدخلية حرام، وكذا تعلم النجوم على هذا الوجه بل هذا الاعتقاد كفر في نفسه نعوذ بالله منه، اما التنجيم لا على هذا الوجه مع التحرز عن الكذب فانه جائز فقد ثبت كراهية التزويج وسفر الحج في العقرب وذلك من هذا القبيل نعم هو مكروه لئلا ينجر الى الاعتقاد الفاسد وقد ورد النهي مطلقاً حسماً للمادة.

وقال شيخنا البهائي عطر الله مرقده ما يدعيه المنجمون من ارتباط بعض الحوادث السفلية بالاجرام العلوية ان زعموا ان تلك الاجرام هي العلة المؤثرة في تلك الحوادث بالاستقلال وانها شريكة في التأثير فهذا لا يحل للمسلم اعتقاده، وعلم النجوم المبتني على هذا كفر والعياذ بالله، وعلى هذا حمل ما ورد في الحديث من التحذير عن علم النجوم والنهي عن اعتقاد صحته، وان قالوا ان اتصالات تلك الاجرام وما يعرض لها من الاوضاع علامات على بعض حوادث هذا العالم مما يوجده الله تعالى بقدرته وارادته كما ان حركات النبض واختلاف اوضاعه علامات يستدَل بها الطبيب على ما يعترض للبدن من قرب الصحة او اشتداد المرض ونحو ذلك، وكما يستدل باختلاج بعض الاعضاء على بعض الاحوال المستقبلة فهذا لا مانع منه ولا حرج في اعتقاده وما روى من صحة علم النجوم وجواز تعلمه محمول على هذا المعنى واما السيد الاجل ابن طاووس طاب ثراه فقد صنَف رسالة نفي فيها تأثيرات الكواكب واثبت فيها كونها علامات ودلائل على الحوادث، وجوَز تعليمهاوتعلمها والنظر فيها اذا عرفت هذا.

فاعلم ان محصل كلام الاصحاب هو هذا وهو ان المفيد طاب ثراه اثبت كون الاصابة في علم النجوم انما هي مبني على التجربة، واما المرتضى طاب ثراه فقد نفاه حتى التجارب فهو قد نفى علم النجوم اصلاً ورأساً، نعم اثبت الكسوفات ونحوها بالحساب وليس هو من علم النجوم في شيء، واما العلامة ومن تأخر عنه فقد قالوا بأنه علم لكن يحرم تعلمه الا لمعرفة قدر سير الكواكب وبعده وبعضهم حرمه مطلقاً واما السيد ابن طاوس وشيخنا البهائي فقد جوزا تعلمه وتعليمه على وجه خاص وهو كون النجوم علامات والذي دلت عليه الاخبار هو ان هذا العلم علم شريف وان النجوم علامات على الكائنات، ولكن قد ورد النهي من الشارع عن هذا العلم فهيهنا ثلث مقامات.

المقام الاول في ان علم النجوم علم شريف من اشرف العلوم وقج علمه الله تعالى لانبيائه والاوصياء منهم وتصديقه ما رواه السيد ابن طاوس باسناده الى قيس بن سعد قال كنت كثيراً ما اساير امير المؤمنين صلوات الله عليه اذا سار الىة وجه من الوجوه فلما قصد اهل النهروان وصرنا بالمدائن وكنت يومئذ مسايراً له اذ خرج اليه قوم من اهل المدائن ودهاقينهم معهم برازين قد جاؤا بها هدية اليه فقبلها، وكان فيمن تلقاه دهقان من دهاقين المدائن يدعى سرسقيل[٤٦] وكانت الفرس تحكم برأيه فيما مضى وترجع الى قوله فيما سلف فلما بصر بأمير المؤمنين عليه السلام قال يا امير المؤمنين لترجع عما قصدت، قال ولمَ ذاك يا دهقان قال يا امير المؤمنين تناحست النجوم الطوالع، فنحس اصحاب السعود وسعد اصحاب النحوس ولزم الحكيم في مثل هذا اليوم الاستخفاء والجلوس، وان يومك هذا يوم مميت قد اقترن فيه كوكبان قتّالان، وشرق فيه بهرام في برج الميزان، وانقدح من برجك النيران وليس الحرب لك مكان فتبسم امير المؤمنين صلوات الله عليه ثم قال ايها الدهقان المنبئ بالاخبار والمحذر من الاقدار ما نزل البارحة في آخر الميزان واي نجم حلَ في السرطان، قال سأنظر ذلك وأخرج من مكه اصطرلاباً وتقويماً، قال له امير المؤمنين صلوات الله عليه انت مسير الجاريات قال لا قال فأنت تقضي على الثابتات قال لا قال فأخبرني عن حلول (طول خ ل) الاسد وتباعده عن الطالع والمراجع، واما الزهرة من التوابع والجوامع، قال لا علم لي بذلك قال فما بين السواري الى الداري وبين الساعات الى المعجزات، وكم قدر شعاع المبدرات، وكم يحصل العجز في الغدوات، قال لا علم لي بذلك قال فهل علمت يا دهقان ان الملك اليوم انتقل من بيت الى بيت بلصين،وانقلب ببرج ما جين واحترقت دور بالزنج وطفح جبَ سرانديب وتهدّم حصن الاندلس وهاج نمل الشح وانهزم مراق الهندي، وفقد ديدان اليهود

---

(٤٦) وفي رواية عن الاصبغ بن نباته ان اسمه سرسفيل سوار وفي آخرها قال لأمير المؤمنين (عليه السلام) مديدك فانا اشهد ان لا اله الا الله وحده لاشريك له وان محمدا عبده وسروله وانك الامام الوصي المفترض الطاعة.

بايله، وهدم بطريك الروم برومية وعمى راهب عمودية، وسقطت شرافات القسطنطنية أفعالم أنت بهذه الحوادث وما الحوادث وما الذي أحدثها شرقيها أو غربيها من الفلك، قال لا علم لي بذلك قال فهل علمت انه سعد اليوم اثنان وسبعون عالماً في كل عالم سبعون عالماً منهم في البر وبعض في الجبال وبعض في العمران وما الذي اسعدهم، قال لا علم لي بذلك قال يا دهقان اظنك قد حكمت على اقتران المشتري وزحل لما استتارا لك في الغسق وظهر تلألؤ شعاع المريخ وتشريفه في السحر وقد سار فأتصل جرمه بجرم تربيع القمر، وذلك دليل على استحقاق اللف الف من البشر كلهم يولدون اليوم والليلة، ويموت مثلهم واشار بيده الى جاسوس في عسكره لمعاوية فقال ويموت هذا فأنه منهم، فلما قال ذلك ظن الرجل انه قال خذوه فأخذه شيء بقلبه وتكسرت نفسه في صدره فمات لوقته، فقال عليه السلام يا دهقان الم ازل عين التقدير في غاية التصوير، قال بلى يا امير المؤمنين قال يا دهقات انا خبرك اني وصحبي هؤلاء لا شرقيون ولا غربيون انما نحن ناشية القطب وما زعمت انه البارحة انقدح من برجي النيران فقد كان يجب ان تحكم معه لان نوره وضياءه عندي ولهبه ذاهب عني، يا دهقان هذه قصبة عيس فاحسبها وولدها ان كنت عالماً بالاكوار والادوار قال لو علمت ذلك لعلمت انك تحصي عقود القصب في هذه الاجمة ومضى امير المؤمنين عليه السلام فهزم اهل النهروان وقتلهم وعاد بالغنيمة والظفر، فقال الدهقان ليس هذا العلم بما في ايدي اهل زماننا هذا علم مادته من السماء.

وروى شيخنا الطبرسي قدس الله روحه في كتاب الاحتجاج عن ابان بن تغلب قال كنت عند ابي عبد الله عليه السلام اذ دخل رجل من اهل اليمن فسلّم عليه فرَد عليه ابو عبد الله عليه السلام فقال ما صناعتك يا سعد، فقال جعلت فداك انا من اهل بيت ننظر في النجوم لا يقال ان باليمن احداً أعلم بالنجوم منّا، فقال ابو عبد الله عليه السلام ما اسم النجم الذي اذا طلع هاجت الابل، فقال اليماني لا ادري، فقال ابو عبد الله عليه السلام صدقت فما اسم النجم الذي اذا طلع هاجت البقر، فقال اليماني لا ادري،فقال ابو عبد الله عليه السلام صدقت فما اسم النجم الذي اذا طلع هاجت الكلاب، فقال اليماني لا ادري والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة وهو الدلالة على ان النجوم من اشرف العلوم، ويستفاد منه ايضاً ان النجوم علامات على ما في هذا العالم.

وروى ابن طاوس باسناده الى ابي جعفر عليه السلام قال قد كان علم نبوة نوح عليه السلام بالنجوم وروى ايضاً باسناده الى عطا قال قيل لعلي بن ابي طالب عليه السلام هل كان للنجوم اصل قال نعم نبي من الانبياء قال له قومه لا نؤمن لك حتى تعلمنا بدؤ الخلق وآجاله فأوحى الله عز وجل الى غمامة فأمطرتهم واستنقع حول الجبل ماءاً صافياً، ثم اوحى الله الى الشمس والقمر والنجوم ان تجري في ذلك الماء، ثم اوحى الله الى ذلك النبي ان يرتقي هو وقومه على الجبل فارتقوا الجبل فقاموا

على الماء حتى عرفوا بدؤ الخلق وآجاله بمجاري الشمس والقمر والنجوم وساعات الليل والنهار كان احدهم يعلم من يموت ومتى يمرض ومن ذا الذي يولد له ومن ذا الذي لا يولد له، فبقوا كذلك برهة من دهرهم ثم ان داود عليه السلام قاتلهم على الكفر فأخرجوا الى داود عليه السلام في القتال من لم يحضر اجله ومن حضر اجله خلّفوه في بيوتهم وكان يقتل من اصحاب داود عليه السلام ولا يقتل من هؤلاء أحد فأوحى الله عز وجل اليه اني كنت علمتهم بدؤ الخلق وآجاله انما أخرجوا اليك من لم يحضر اجله ومن حضر اجله خلّفوه في بيوتهم فمن ثم يقتل من اصحابك ولا يقتل منهم احداً قال داود عليه السلام يا رب على ماذا علّمتهم، قال على مجاري الشمس والقمر والنجوم وساعات الليل والنهار، قال فدعى الله فحبس الشمس عليهم فزاد في النهار واختلطت الزيادة بالليل والنهار فلم يعرفوا قدر الزيادة فاختلط حسابهم وقال عليه السلام فمن ثمّ كره النظر في علم النجوم.

وروى ايضاً باسناده الى يونس بن عبد الرحمن قال قلت لابي عبد الله عليه السلام جعلت فداك أخبرني عن علم النجوم ما هو، قال هو علم من علم الانبياء قال فقلت كان علي بن ابي طالب عليه السلام يعلمه، فقال كان اعلم الناس، وروى ايضاً في كتاب مسائل الصباح باسناده الى الريان بن الصلت ان الصباح سأل الرضا عليه السلام عن علم النجوم، فقال هو علم من اصل صحيح وذكروا ان اول من تكلم بالنجوم ادريس عليه السلام وكان ذو القرنين بها ماهراً وأصل هذا العلم من عند الله عز وجل، ويقال ان الله بعث النجم الذي يقال له المشتري الى الارض في صورة رجل، فأتى بلد العجم فعلمهم في حديث طويل فلم يستكملوا ذلك، فأتى بلد الهند فعلّم رجلاً منهم فمن هناك صار علم النجوم بها، وقال قوم هو علم من علم الانبياء خصّوا به لاسباب شتى فلم يستدرك المنجمون فيها فشابوا الحق بالكذب.

وروى ايضاً عن الصادق عليه السلام قال في السماء الرابعة نجوم لا يعلمها الا اهل بيت من العرب واله بيت من الهند يعرفون منها نجماً واحداً فبذلك قام حسابهم، أقول المراد بالعرب اوصياء محمد صلى الله عليه وآله كما ان المراد بيت الهند اوصياء ادريس عليه السلام او الذي علمه المشتري من اهل الهند، وروى ايضاً باسناده الى الصادق عليه السلام في قوله تعالى يوم نحس مستمر قال كان القمر منحوساً بزحل فهذا جملة من الاخبار الدالة على كونه علماً وعلى استمرار بعض احكامه ووقوعه في ايدي المنجمين، وان النجوم علامات على آثار القادر المختار لكن لا يعرفها على الاطراد والتحقيق الا من كان كاملاً في العلوم، وليس هو الا الانبياء والائمة عليهم السلام، وقد كان دانيال له معرفة عظيمة فيه وكان منجم بخت نصر وكان له كتاب في النجوم بقى الى هذا الان وليس هذا العلم الا كباقي العلوم الحقة كالحديث والفقه فانه لا يعرفها كما هو الا من أتاه الله الحكم وفصل الخطاب.

واما هؤلاء المنجمون فقد وقع بأيديهم منه احكام قليلة قد شيب صدقها بكذبها كما اشير اليه سابقاً، فمن هذا قصرت معرفتهم عن الاحاطة بما احاط به الائمة عليهم السلام ووقع الخلاف في اكثر اخباراتهم فهي ليست اتفاقية او بالتجارب كما قاله شيخنا المفيد طاب ثراه.

المقام الثاني قد تحقَّقت ان السيد بن طاوس وشيخنا البهائي قدس الله روحيهما ذهبا الى جواز تعلّمه وتعليمه اذا كان الاعتقاد على كونه علامة، ولكن ظاهر الاخبار النهي عنه مطلقاً وتحريمه وان كان على سبيل كونه علامة، روى الصدوق قدس الله روحه باسناده الى عبد الله بن عوف قال لما اراد امير المؤمنين عليه السلام المسير الى النهروان أتاه منجم فقال له يا امير المؤمنين لا تسر في هذه الساعة سر في ثلاث ساعات يمضين من النهار، فقال امير المؤمنين عليه السلام ولمَ ذاك؟، قال لانك ان سرت هذه الساعة اصابك واصاب اصحابك اذىً وضرّ شديد، وان سرت في الساعة التي امرتك بها ظفرت وظهرت واصبت كما طلبت، فقال امير المؤمنين عليه السلام أتدري ما في بطن هذه الدابة أذكر أم انثى قال ان حسبت علمت قال له امير المؤمنين عليه السلام من صدقّك على هذا القول كذَب بالقرآن ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت ان الله عليم خبير، ما كان محمد صلى الله عليه وآله يدّعي ما أدعيت أتزعم انك تهدي الى الساعة التي من سار فيها صرف عنه السوء، والساعة التي من سار فيها حاق به الضرّ، من صدقك بهذا استغنى بقولك عن الاستعانة بالله عز وجل في ذلك الوجه واحوج الى الرغبة اليك ودفع المكروه عنه، وينبغي له ان يوليك الحمد دون ربه عز وجل فمن آمن لك بهذا فقد أتخذك من دون الله، نداً وضداً ثم قال اللهم لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك ولا اله غيرك بل نكذبك ونخالفك ونسير في الساعة التي نهيت عنها.

وروى السيد الرضي في نهج البلاغة قال ومن كلام له عليه السلام ايها الناس اياكم وتعلم النجوم الا ما يهتدى به في بر او بحر فانها تدعو الى الكهانة، المنجم كالكاهن والكاهن كالساحر والساحر كالكافر والكافر في الناس سيروا على اسم الله وعونه والحديث طويل، وفي الاحتجاج عن هشام بن الحكم في خبر النزديق الذي سأل ابا عبد الله عليه السلام من مسائل وكان فيما سأله ما تقول في علم النجوم، قال هو علم قلّت منافعه وكثرت مضراته لانه لا يدفع به المقدور ولا يتقي به المحذور، وان اخبر المنجم بالبلا لم ينجع التحرز من القضا وان اخبر هو بخير لم يستطع تعجيله، وان حدث به سوء لم يمكنه صرفه، والمنجم يضاد الله في علمه بزعمه انه يردّ قضاء الله عن خلقه.

وفي الخصال عن ابي الحصين قال سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول سأل رسول الله صلى الله عليه وآله عن الساعة فقال عند ايمان بالنجوم وتكذيب بالقدر، وروى فيه باسناد آخر عن الباقر عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن خصال وساق الحديث الى ان قال وعن النظر في

النجوم، وروى ابن طاوس (ره) في كتاب فتح الابواب قال ذكر الشيخ الفاضل محمد بن علي بن محمد في كتاب له في العمل ما هذا لفظه جعاء الاستخارة عن الصادق عليه السلام تقوله بعد فراغك من صلوة الاستخارة تقول اللهم انك قد خلقت اقواماً يلجأون الى مطالع النجوم لاوقات حركاتهم وسكوتهم وتصرفهم وعقدهم، وخلقتني ابرأ اليك من اللجاء اليها ومن طلب الاختيارات بها، وتيقن انك لم تطلع احداً على غيبك في مواقعك ولم تسهل له السبيل الى تحصيل افاعيلها، وانك قادر على نقلها في مداراتها في سيرها عن السعود العامة والخاصة الى النحوس ومن النحوس الشاملة والمفردة الى السعود لانك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك ام الكتاب ولانها خلق من خلقك وصنعة من صنعك وما اسعدت من اعتمد على مخلوق مثله استمد الاختيار لنفسه وهم اؤلئك ولا اشقيت من اعتمد على الخالق الذي لا اله الا أنت وحدك لا شريك لك الدعاء، ويظهر من هذا الخبر ومن غيره ايضاً ان التطيّر والتفأل بالنجوم انما هو لمن يعتمد ويتوكل على الله سبحانه فان من تطيَر من شيء وقع في ضرره ولا يخلصه الى التوكل والصدقة، روى الصدوق (ره) بسند صحيح عن ابن ابي عمير انه قال كنت أنظر في النجوم واعرفها واعرف الطالع فيدخلني من ذلك شيء فشكوت ذلك الى ابي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام فقال اذا وقع في نفسك شيء فتصدّق على اول مسكين ثم امض فان الله عز وجل يدفع.

وروى رئيس المحدثين شيخنا ابن يعقوب الكليني عن الصادق عليه السلام قال كان بيني وبين رجل قسمة أرض وكان الرجل صاحب نجوم وكان يتوخى ساعة السعود فيخرج فيها وأخرج انا في ساعة النحوس فاقتسمنا فخرج لي خير القسمين فضرب الرجل يده اليمنى على اليسرى، ثم قال ما رأيت كاليوم قطّ ويل لك ما ذاك، قال اني صاحب نجوم اخرجتك في ساعة النحوس وخرجت انا في ساعة السعود، ثم قسمنا فخرج لك خير القسمين فقلت الا احدثك بحديث حدثني به ابي عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله من سرّه ان يدفع الله عنه نحس يوم فليفتتح يومه بصدقة يذهب الله بها عنه نحس يومه ومن أحب ان يذهب الله عنه نحس ليلته فليفتتح ليلته بصدقة يدفع الله عنه نحس ليلته، فقلت اني افتتحت خروجي بصدقة فهذا خير لك من النجوم والاخبار الواردة بهذا المضمون ست وعشرون نقلناها في كتاب نوادر الاخبار.

المقام الثالث فيما استدل به ابن طاوس (ره) على جواز تعلّمه وتعليمه روى من كتاب التجمّل عن محمد وهارون ابني ابي سهل انهما كتبا الى ابي عبد الله عليه السلام ان ابانا وجدناه كان ينظر في النجوم فهل يحلّ النظر فيها، قال نعم الحديث، والجواب انه خبر مرسل ومجهول فلا يعارض الاخبار النقية مع ان النظر فيه لا يستلزم جواز تعلمه والعمل بما فيه كما لا يخفى.

بقي الكلام في الكسوفات يخبر بها المنجمون وان سببها اما حيلولة القمر أو حيولة الارض ويتفق على ما يقولون وقد عرفت ان المرتضى (ره) مع كونه قد ذهب الى انكار علم النجوم وانها لا حقيقة له كالسحر، قال بحقيّة قولهم في الكسوفات لكنه اخرجها من قواعد النجوم وادخلها في طريقة الحساب، وهذا لا اشكال فيه انما الاشكال في ان الوارد عن الائمة عليهم السلام في سبب الكسوفات هو ادخال الشمس والقمر ورميهما في ذلك البحر تبعاً لرمي الفلك فيه عند معاصي العباد وارادة الله تعالى ان يهدهم ويستعتبهم ويمكن التوفيق بما عرفت من ان النجوم واوضاعها علامات على الافعال الصادرة من القادر المختار فيجوز ان يكون وقت هذه الحيلولة هو علامة الغضب وارادة تهديد العباد، فيقارنه القاء الفلك في ذلك البحر لان بعض علامات غضب الله سبحانه معلومة من الشرع فلتكن هذه مستندة الى العقل والحدس، والله اعلم بحقائق غيبه.

بقي الكلام في بيان ان علم النجوم اذا كان من اشرف العلوم فلم ورد النهي البليغ من صاحب الشرع بالخوض فيه وعن تعلمه وتعليمه وتصديق العالم به حتى قال من صدّق منجماً فقد كذّب بما انزل الله على محمد قلت الحكم والمصالح موجودة قطعاً وان خفى اكثرها عنا ولعل ما ندركه بهذه العقول القاصرة أمور.

احدها ان من أعظم معجزات الانبياء عليهم السلام هو الإخبار بالمغيبات، فاذا فتحنا باب جواز تعلّم النجوم وأخبر المنجم بما هو غائب عن الحواس مستقبل المجيء في الاوقات صغرت معجزات الانبياء والائمة عليهم السلام في الانظار خصوصاً عند عوام الناس، وثانيها ان الخوض في هذا العلم يؤل الى اعتقاد التأثير كما مرّ تحقيقه في كلام الاصحاب لان النجوم عندهم ناطقة حية يرون هذه الاثار تترتب على اوضاعها فينجرّ بهم الحال الى تأثيرها، وقد عرفت أنه كفر ولا ريب ان ما يؤدي الى الكفر حرام قطعاً.

وثالثها انك قد عرفت أنه علم شريف ولا تحتمله عقول اكثر الناس ولا حواصلهم فربما ذهبوا الى دعوى الامور الفاسدة من النبوة والامامة كما اتفق لبعض المنجمين من ذوي العقول الناقصة بسبب تلك الاخبارات ونحوها، ورابعها انه يرفع التوكل على جناب الحق ويؤل الى ابطال قضاء الله وقدره ومحوه وإثباته مع انه كل يوم في شأن وخامسها ان الذي وقع الى ايدي الناس من علم النجوم انما هو الحثالة[٤٧] منه التي لا ينتفع منها بشيء، وهذه الحثالة كثيراً ما يغلط المنجمون فيها وقد شاهدنا جماعات كثيرة من المنجمين ومن يعمل باحكامهم في تعب عظيم

(٤٧) الحثالة بالضم: ما يسقط من قشر الشعير والارز والتمر وكل ذي قشارة اذا نقى وحثالة الدهن ثفله فكأنه الردئ من كل شيء.

ومشقة شديدة من ملاحظات الساعات والاوقات للخروج والدخول والاقامة والسفر والاكل والشرب ولبس الثياب والكلام ونحو ذلك، ومع هذه المشاق الدنيوية لم تبلغ اعمارهم الا نصف الاعمار المتعارفة او اقل منه وجماعة منهم قد خلَدوا في سجن الملوك والسلاطين اكثر اعمارهم فلم يقدروا على الاهتداء الى تخليص انفسهم من عذاب الدنيا، وعذاب الاخرة أشد وابقى لو كانوا يعلمون.

وقد كان بعض مشائخنا رحمهم الله تعالى اذا أتى بثوب جديد يقول للخادم أخره حتى تأتي الساعة المنحوسة عند المنجمين فأتني به البسه، فيؤخره الخادم الى أنحس ساعاتها فيلبسه فيكون عليه مباركاً الى ان يصير خلقاً، وبلغ من العمر اضعاف اعمار المنجمين قدس الله روحه في جنات النعم، نعم قد رخَص من علم النجوم معرفة ما يهتدي به المسافرون وهذا يعرفه اكثر عوام الناس، وكذلك ورد في اخبار غير نقيّة السند ملاحظة برج العقرب عند ارادة التزويج والسفر الى مكة، فمعرفة مثل هذا لا بأس به مع أنه يمكن دفع نحوسة مثل هذا بالصدقة برغيف وفلس من الفلوس، مع ان صدقة الرغيف أولى في نظر الشارع من ملاحظة برج العقرب، فليأت به وليترك الخوض في ذلك العلم أو الذهاب الى أهله لسؤالهم عن تلك الساعة المستلزم لزيارة المنجَم، والاتيان اليه مع ما روى عن امير المؤمنين عليه السلام أنه قال ونهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن اتيان العرّاف وقال ان من أتاه وصدَقه فقد برئ مما انزل الله على محمد، وقد نص أهل اللغة على ان العرّاف المنجَم وبالجملة فعلم يكون الرغيف خيراً منه لا يكون الخوض فيه الا لداعي الخسّة واضرابه.

نور في بعض الامور التابعة للكواكب

منها المجرة وهي الدايرة المسماة عند العوام بسبيل التبانين، وعند الاخرين بمجر الكبش، وسببه على ما قاله الحكماء احتراق حدث من الشمس في تلك الدايرة في بعض الازمان السالفة، وأجاب عنه بعضهم بأنه انما يصح اذا كانت الشمس موصوفة بالحرارة والاحراق، وكان الفلك قابلاً للتأثر والاحتراق وقال بعضهم ان السبب فيه هو انه بخار دخاني واقع في الهواء، ويرد عليه انه يلزم منه اختلافها في الصيف والشتا لقلّة المدد في احدهما وكثرته في الاخر، وقيل أنه كواكب صغار متقاربة متشابكة لا تتمايز حساً بل هي لشدة تكاثفها وصغرها صرت كأنها لطخات سحابية قال الامدي بعض نقل هذ الاقوال والغرض من نقل هذه الاختلافات ابداء ما ذكروه من الخرافات ليتحقق ويتبين للعاقل الفطن أنه لا حجة لهم فيما يقولونه ويتعقدونه ولا معوَل على ما ينقلونه من اوايلهم ويعتمدونه وانما هي خيالات فاسدة وتمويهات باردة يظهر ضعفها بأوائل النظر ثم البعض بالبعض يعتبر.

واما اخبار الائمة الطاهرين عليهم السلام فقد ورد في الرواية عن الصادق عليه السلام ان وقت الطوفات في ايام نوح عليه السلام لما امر الله سبحانه السماء بماء منهمر انشقت السماء ونزل الماء منها دفعة لا قطرة قطرة، فلما بلغ الطوفان كمال حدّه امر الله السماء فأمسكت مائها، فتلايمت واندملت فهذه المجرة هي اثر ذلك الاندمال، كالجرح الذي يندمل ويبقى أثره.

ومنها قوس الله وتسميه عامة الناس قوس قزح تبعاً للحكماء والمنجمين، وهو وان كان عندهم من كائنات الجو لا تعلق له بالسماء لكن لما كان في الشرع قد ذكر من السماويات ذكرناها هنا وسببه على ما قالوه انه اذا وجد في خلاف جهة الشمس اجزاء مائية شفافة صافية وكان وراءها جسم كثيف اما جبل او سحاب مظلم، ثم كانت الشمس في افق الاخر فاذا ادبرنا على الشمس ونظرنا الى تلك الاجزاء وانعكس شعاع البصر عنها الى الشمس فيرى في كل من تلك الاجزاء ضوءها دون شكلها، لانا نعلم بالتجرية ان الصقيل الذي ينعكس منه شعاع البصر اذا صغر جداً ادَى الضوء واللون دون الشكل فكانت تلك الاجزاء على هيئة قوس مستضيئة اقلّ من نصف الدائرة، وبحسب ارتفاع الشمس ينتقص هذا القوس لانتقاص الاجزاء التي تنعكس منها الاشعة البصرية الى الشمس من الطرفين واما اختلاف الوانها فقيل ان السبب فيه ان الناحية العليا منها لما قربت من الشمس قوى فيها الاشراق فيرى احمر ناصعاً واما الناحية السفلى فلما بعدت عنها كانت اقلَ اشراقاً فيرى فيها حمرة الى سواد، وهو الارجواني وما توسط بينهما فان لونه متولد من ذينك اللونين وهو الكراسي هذا ما قالوه.

واما الاخبار الواردة فيه فهو من ان الصاد ق عليه السلام سأل وقيل ما تقول في قوس قزح فقال عليه السلام لا تقل قوس قزح فان قزح اسم الشيطان بل قل قوس الله، ولم يكن قبل نوح عليه السلام في السماء وذلك انه لما ذهب الطوفان خاف نوح عليه السلام من طوفان آخر فأوحى الله عز وجل اليه يا نوح اني خلقت خلقي لعبادتي وامرتهم بطاعتي فقد عصوني وعبدوا غيري واستوجبوا بذلك غضبي فغرقتهم، واني جعلت قوساً اماناً لعبادي وبلادي وموثقاً مني بيني وبين خلقي يأمنون به الى يوم القيامة من الغرق، ومن أوفى بعهده مني ففرح نوح عليه السلام بذلك وتباشر وكانت القوس فيها سهم ووتر فنزع الله عز وجل السهم والوتر من القوس وجعل اماناً لعباده وبلاده من الغرق، قال ابن الاثير في الحديث لا تقولوا قوس قزح فأن قزح من اسماء الشيطان قيل سميَ به لتسويله الناس وتحسينه اليهم من المعاصي من التقزيح وهو التحسين، وقيل من القزح وهي الطرايق والالوان التي في القوس، الواحدة قزحة او من قزح الشيء اذا ارتفع كأنه كرة ما كانوا عليه من عادات الجاهلية، وان يقال قوس الله فيرفع قدرها كما يقال بيت الله وقولوا قوس وامان من الغرق.

نور ملكي يكشف عن بعض احوال الملائكة

قال الله سبحانه الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملائكة رسلاً أولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء ان الله على كل شيء قدير، قال بعض المفسرين المراد بقوله يزيد في الخلق أي في خلق اجنحتهم كما روى ان رسول الله ﷺ رأى ليلة المعراج لجبرئيل عليه السلام ستمائة جناح، وسيأتي تحقيقه ان شاء الله تعالى والملائكة اجسام نورانية أي مخلوقة من النور، وقيل انها مخلوقة من الريح مادية لا مجردة اقدرها الله تعالى التشكل بالاشكال المختلفة وان كان لها شكل واحد في ابتداء الخلق، كما روى ان جبرئيل عليه السلام كان يأتي النبي ﷺ بصورة دحية الكلبي، فقال له ﷺ يا جبرئيل احبّ ان اراك بصورتك الاولية فقال لا تطيق يا رسول الله فقال بلى فقال نعم آتيك غداً فلما ان كان الغدا أى جبرئيل عليه السلام فنظر رسول الله ﷺ فاذا هو قد نزل من السماء ونشر جناحين له جناح في المشرق وجناح في المغرب وملأ ما بين الخافقين ببدنه فلم يتمكن من النظر اليه حتى غشى عليه، فتصوّر بصورة أخرى ثم افاق النبي ﷺ من غشيته وقد كان امير المؤمنين عليه السلام يعجب من كثرة الملائكة وعظم خلقتهم، وبديع صنايع الله فيهم وقال عليه السلام منهم سجود لا يركعون وركوع لا يتصببون وصافّون لا يتزايلون ومسبحون لا يغشاهم نوم العيون ولا سهو العقول، ولا فترة الابدان ولا غفلة النسيان، ومنهم امناء الله على وحيه والسنته الى رسله ومختلفون بقضائه وامره، وفيهم الحفظة لعباده والسدنة لابواب جناحه، ومنهم الثابتة في الارضين السفلى اقدامهم والمارقة من السماء العليا اعناقهم والخارجة من الاقطار اركانهم والمناسبة لقوائم العرش اكتافهم، ناكسة دونه ابصارهم ملتفعون تحته بأجنحتهم، مضروبة بينهم وبين من دونهم حجب العزّة وأستار القدرة الحديث.

وقال عليه السلام ايضاً ان لله تبارك وتعالى ملائكة لو ان ملكاً منهم هبط الى الارض ما وسعته لعظم خلقه وكثرة اجنحته ومنهم من لو كلّفت الانس والجنس ان يصفوه ما وصفوه لبعد ما بين مفاصله وحسن تركيب صورته، وكيف يوصف من ملائكته من سبع مأة عام ما بين منكبيه وشحمة أذنيه، ومنهم من يسدّ الافق بجناح من اجنحته دون عظم بدنه، ومنهم من السموات الى حجزته، ومنهم من قدمه على غير قرار في جوّ الهوى الاسفل والارضون الى ركبته ومنهم من لو ألقى في نقرة ابهامه جميع المياه لوسعته، ومنهم من لو القيت السفن في دموع عينيه لجرت، دهر الداهرين فتبارك الله أحسن الخالقين.

فان قلت قوله عليه السلام لا يغشاهم نوم العيون، لعلك تقول انه بظاهره ينافي قوله تعالى لا تأخذه سنة ولا نوم، فأنه سبحانه قد تمدّح بهذه الحالة فلا ينبغي ان يشارك فيها وأجاب بعض

المحققين بأن حالة السنة وهو أول النعاس يأخذ الملائكة، والتمدّح انما هو بمجموع الامرين لا بكل واحد والذي أظن ان الجواب التحقيقي هذا، وهو ان مثل هذه الحالات لا تأخذه معناه انها ليست لها عليه تصرف ولا تسلط ولا هي قابلة ان تكون من حالاته فلا يتصف هو بقبولها ولا تتصف بأنها من الحالات القابلة، لان من تداولت عليه حالات الغفلة لا يكون رباً وهو ظاهر بخلاف انواع الملائكة فان حالة النوم من الاحوال القابلة لاتصافهم بها بالنظر الى الامكان والمخلوقية، ولو لحقتهم لم يكن ذلك الاختلال اللازم هناك لازماً لكن خالقهم كلّفهم بهذه الحالة فقبلوا تكليفه وامتثلوا امره فأقدرهم على القيام بهذه الحالة بخلاف البشر فان ابدانهم لا تقدر على القيام بها ولم يكن المصلحة الالهية موجودة بأقدارهم عليها فمن كانت حالته من غيره كيف يكون حالته معارضة لمن كانت حالته من نفسه، وليس هذا الاَ من قبيل ما تمدّح الله بها من بعض نعوته كقوله تعالى ليس بظلام للعباد، فنقول ان الله ليس بظلام والانبياء والائمة لهم هذه الصفة ايضاً فقد شاركوه فيما تمدح به، والجواب عن هذا كله واحد بما عرفت فتحفظ على هذا فأنه ينفعك في مواطن كثيرة تأتي ان شاء الله تعالى في تضاعيف هذا الكتاب.

وقد ورد في الاخبار جواب آخر رويناه باسنادنا الى الصدوق (ره) قال حدثني ابي رضي الله عنه، قال حدثنا سعد بن عبد الله باسناده الى داود العطار قال قال لي بعض اصحابنا اخبرني عن الملائكة أينامون فقلت لا أدري، فقال يقول الله عز وجل يسبحون الليل والنهار لا يفترون، ثم قال الا اطرفك عن ابي عبد الله عليه السلام فيه بشيء فقلت بلى فقال سأل عن ذلك فقال ما من حي الا وهو ينام خلا الله وحده عز وجل والملائكة ينامون، فقلت يقول الله عز وجل يسبحون الليل والنهار لا يفترون فقال انفاسهم تسبيح، فالفترة هي الكف عن اظهار الامر والنهي واللغة تدلَ على ذلك كما قاله الصدوق يقال فتر فلان عن طلب فلان وفتر عن حاجته وانما ذلك تراخ عنه وكفَ لا بطلان الشخص والعين، ومنه قول الرجل اصبتني فترة أي ضعف، وحيئنذ قوله عليه السلام لا يغشاهم نوم العين، انه لا يغشاهم النوم كما يغشى غيرهم بأن يشغلهم عن التسبيح والتقديس، وهذا من باب ما روى في باب صفات النبي صلى الله عليه وآله وخواصه منان عينه تنام وقلبه لا ينام انتظاراً للوحي الالهي، فالنوم وان اعتراه لكن لا يعطله عن مراقبة ربه سبحانه كم ا يعطل غيره.

فان قلت ما فائدة تعدد الاجنحة في الملائكة وزيادتها على المعتاد وهو الجناحين قلت يجوز ان يكون لزيادة القدرة والقوة على الطيران والمسارعة الى قطع المسافات السماوية، فان الوحي الذي يتلقاه جبرئيل من العرش وحواليه فيسعى به الى النبي صلى الله عليه وآله فيما هو اسرع من ارتداد طرف العين وغلظ كل سماء مسيرة خمسمائة ام وبين كل سمائين مسيرة خمسمائة عام على ما تقدم، ويجوز ان يكون فايدة التعدد ما روى ان صنفاً من الملائكة لهم ستة اجنحة فجناحان يلقون

بهما اجسادهم، وجناحان يطيرون بهما في الامر من امور الله وجناحان مرخيان على وجوههم حياء من الله، وحينئذ فكل جناحين لفائدة من الفوائد، وبهذا يظهر فائدة الجناح الثالث في قوله أولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع فيكون الثالث لفائدة أخرى غير الطيران، واما محلَه فيجوز ان يكون في وسط الظهر بين الجناحين يمدها قوة.

واما في جانب الكثرة فلا يعلم عددهم سواه وفي الخبر عن الصادق عليه السلام وقد سأل عن الملائكة أكثر بنوا آدم، فقال والذي نفسي بيده لملائكة الله في السموات اكثر من عدد التراب في الارض، وما في السماء موضع قدم الا وفيها ملك يسبحه ويقدسه، ولا في الارض شجر ولا مدر الا وفيها ملك موكَل يأتي الله كل يوم بعملها وما منهم احد الا ويقرّ كل يوم بولايتنا اهل البيت ويستغفر لمحبينا، ويلعن اعدائنا ويسأل الله تعالى ان ينزل عليهم العذاب، ويكفي بهم كثرة ان مع كل قطرة مطر ملكاً يضعها الموضع المأمون به ولا يصعد الى السماء الى يوم القيامة، بل يبقون في الارض يسبحون الله ويقدسونه وثوابه لشيعة اهل البيت، وفي الروايات ان اكثر اماكنهم المساجد.

واعلم ان الملائكة على كثرتهم لا يخلو احد منهم من خدمة خاصة، وكل منهم له مقام معلوم كما حكاه تعالى عنهم، وما منّا الا له مقام معلوم، وهو مقام في السموات فان كل جماعة منهم له مكان خاص وعبادة خاصة والمثل ولله الامثال العليا، كما ان السلطان له اتباع وكل صنف منهم قد وكَل بخدمة فمنهم من اولاه على رعيته للحماية والحراسة والاطلاع على ما يأتون ويذرون، وجماعة نسبهم اليه لكن على طريق التشريك بخدمة رعيته كالوزير واضرابه، وجماعة منهم اختصهم به من غير شركة، وذلك كاصحاب السلطان المخصوصين لديه، ومن ذلك انقسمت الملائكة الى ملائكة كروبيين أي مقربين لديه، ذوي قوة على امتثال اوامره من التقديس مأخوذ من الكرب وهو القوة او من الكرب وهو الحزن لشدة خوفهم من جنابه تعالى، وذلك انه كلما زيد في قرب الوزير زيد في خوفه من السلطان لاطلاعه على حقايق بطشه، والى ملائكة روحانيين أي انهم يشبهون الارواح في اللطافة فهم الطف من باقي الملائكة، وهؤلاء النوعان هما سادات الملائكة وهما المشار اليهم في الحديث الصحيح عن الصادق عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله مررنا ليلة المعراج بملائكة من ملائكة الله عز وجل خلقهم الله كيف شاء ووضع وجوههم كيف شاء ليس شيء من اطباق وجوههم الا وهو يسبح الله ويحمده من كل ناحية بأصوات مختلفة اصواتهم مرتفعة بالتسبيح والبكاء من خشية الله فسألت جبرئيل عنهم فقال كما ترى خلقوا، ان الملك منهم الى جنب صاحبه ما كلمه قطَ، ولا رفعوا رؤسهم الى ما فوقهم ولا خفضوها الى ما تحتهم خوفاً من الله وخشوعاً فسلَمت عليهم فردوا عليَ ايماء برؤسهم لا ينظرون اليَ من الخشوع، فقال لهم جبرئيل هذا محمد نبي الرحمة ارسله الله الى العباد رسولاً ونبياً وهو خاتم النبيين

وسيدهم أفلا تكلمونه قال فلما سمعوا ذلك من جبرئيل أقبلوا عليَ بالسلام وبشروني واكرموني بالخير لي ولامتي.

واما سبب تفاوت مراتبهم في القرب والبعد فقد ورد في الروايات عن الصادق عليه السلام ان الله سبحانه عرض ولايتنا على الملائكة فمن بادر اليها وعقد قلبه عليها صار من المقربين وسيأتي ان انواع المخلوقات انما صارت نوعين لهذا، ومن هذا قال جبرئيل عليه السلام أقرب الخلق الى الله انا واسرافيل، وقسم منهم قد شركوا في الخدمات، فمنهم ملائكة العرش قال سبحانه الذين حملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به يستغفرون للذين آمنوا، ومنهم جبرئيل عليه السلام فأنه السفير بين الله وانبيائه وهي الساعي في تبليغ الوحي.

فان قلت اخبرني كيف يتلقى جبرئيل الوحي الالهي وكيف يبلغه قلت قد ورد في الاخبار على وجوه:

الاول ما روى ان جبرئيل عليه السلام قال لرسول الله عليه السلام في وصف اسرافيل هذا حاجب الرب وأقرب خلق الله منه، واللوح بين عينيه من ياقوتة حمراء، فاذا تكلم الرب تبارك وتعالى بالوحي ضرب اللوح جبينه فنظر فيه، ثم القى الينا نسعى به في السموات والارض، والثاني ما روى ايضاً أنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله لجبرئيل عليه السلام من أين تأخذ الوحي قال آخذه من اسرافيل، قال ومن أين يأخذه اسرافيل قال يأخذه من ملك فوقه من الروحانيين، قل ومن اين يأخذه ذلك الملك، قال يقذف في قلبه قذفاً.

الثالث ما ورد في الاسانيد النقية حدَث به الصادق عليه السلام عن ابيه عن جده عن علي بن الحسين عن الحسين بن علي عن علي بن ابي طالب عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله عن جبرئيل عن ميكائيل عن اسرافيل عن اللوح عن القلم عن الله تبارك وتعالى قال ولاية علي بن ابي طالب حصني من دخله أمن من عذابي، وهذا الاختلاف منزّل على تعدد الكيفيات وينبغي ان يراد باللوح والقلم في هذا السند الملكان فأنه قد ورد لهما في الاخبار معان متعددة وثم ذهب الصدوق طاب ثراه في اعتقاداته الى ان اللوح والقلم ملكان، والحق ان هذا من جملة معانيهما وقوله عليه السلام في الحديث السابق من ياقوتة حمراء من جملة معانيه ايضاً ومن هذا النوع الملكي الروح، وهو المراد من قوله سبحانه يسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا، على ما في الروايات الصحيحة.

منها ما رواه الصفار عن هشام بن سالم قال سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول يسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي،قال خلق اعظم من جبرئي وميكائيل لم يكن مع احد ممن مضى غير محمد صلى الله عليه وآله وهو مع الائمة عليهم السلام يرفقهم ويسددهم وليس كلما طلب وجد، وعن امير

المؤمنين عليه السلام ان له سبعين الف وجه لكل وجه سبعون الف لسان لكل لسان سبعون الف لغة يسبح الله تعالى بتلك اللغات كلها يخلق الله تعالى بكل تسبيحة ملكاً يطير مع الملائكة الى يوم القيامة، ولم يخلق الله خلقاً اعظم من الروح غير العرش ولو شاء ان يبلغ السموات السبع والارضين السبع بلقمة واحدة لفعل، وعن الصادق عليه السلام ان الملائكة تقف كلها في صف واحد يوم القيامة ويقف هو في صف وهذا النوع يجوز ان يكون منحصراً في فرد ويجوز ان يكون متعدد الافراد وكل فرد منه متعبد بنوع خاص من التعبدات ومن هذا النوع ميكائيل عليه السلام سمي به لانه يكيل السحاب من ماء البحر ويرسل معه جماعة من الملائكة الى الموضع الذي امر فيه.

وروى الصدوق طاب ثراه عن جعفر بن البختري عن الصادق عليه السلام قال ان الله تبارك وتعالى اذا اراد ان ينفع بالمطر امر السحاب ان يأخذ الماء من تحت العرش، واذا لم يرد النبات امر السحاب فأخذ الماء من البحر، قيل ان ماء البحر مالح، قال ان السحاب يعذبه فهذا الحديث دالَ على ان مار المطر يأتي من اماكن مختلفة لمصالح كثيرة، وقد تقدم ان المطر الذي يكون اوائل المطر يجيء من تحت العرس، وقال النبي صلى الله عليه وآله ما اتى على أهل الدنيا يوم واحد منذ خلقها الله عز وجل الا والسماء فيها تمطر فيجعل الله ذلك حيث يشاء وقال رسول الله صلى الله عليه وآله ما خرجت ريح قطّ الا بمكيال الا زمن عاد، فانها عتت على خزّانها فخرجت في مثل خرق الابرة فأهلكت قوم عاد، وما نزل مطر قطّ الا بوزن الا زمن نوح عليه السلام فانه عتى على خزّانه فخرج مقل خرق الابرة فأغرق الله فيه قوم نوح.

اقول هذا العتو منهما انما هو غضب الله سبحانه فان قلت كيف يكون مثل خرق الابرة من الماء والهوى باعثاً لغرق آلاف من الناس واهلاكهم، قلت يجوز ان يكون الضمير في قوله فأغرق الله فيه راجعاً الى الماء الذي قد خرج من الخزّان لاجل الغرق لا الى الماء العاتي وحده الذي هو خرق الابرة، ويجوز ان يكون المراد بخرق الابرة موضع خروج الماء العاتي لا قدر الماء الخارج وحينئذ فيكون قد خرج من مثل هذا المكان الضيق ماء كثير وهواء كثير في مدّة كثيرة، فكان بانضمامه الى ذلك الماء والهوى باعثاً لاهلاكهم وغرقهم، مع ان الله سبحانه قد أهلك العظيم بالحقير والكثير بالقليل فسبحان من هو قادر على ان يدخل الدنيا في بيضة من غير ترقيق الدنيا ولا تعظيم للبيضة وجواب آخر في الهوى رواه الكليني طاب ثراه في الروضة عن الباقر عليه السلام في حديث قال فيه واما الريح العقيم فانها ريح عذاب تخرج من تحت الارضين السبع، وما خرجت منها ريح قطّ الا على قوم عاد حين غضب الله عليهم فأمر الخزّان ان يخرجوا منها على قدر سعة الخاتم، قال فعتت على الخزّان فخرج منها على مقدار منخر الثور تغيظاً منها على قوم عاد فضجّ الخزان الى الله عز وجل من ذلك فقالوا ربنا انها قد عتت عن امرنا انا نخاف ان تهلك

من لم يعصك من خلقك وعمّار بلادك فبعث الله عز وجل اليها جبرئيل فأستقبلها بجناحه فردها الى موضعها، وقال لها اخرجي على ما امرت به واهلكي قوم عاد ومن كان بحضرتهم وحينئذ فيجوز ان يكون في الماء مثل ذلك كما لا يخفى.

وقال امير المؤمنين عليه السلام السحاب غربال المطر لولا ذلك لافسد كل شيء وقع عليه وسأل ابو بصير ابا عبد الله عليه السلام عن الرعد أي شيء يقول، قال انه بمنزلة الرجل يكون في الابل فيزجرها هاي هاي (هاهي هاهي خ ل) كهيئة ذلك قال قلت جعلت فداك فما حال البرق قال مخاريق الملائكة تضرب السحاب فتسوقه الى الموضع الذي قضى الله عز وجل فيه المطر، وقال عليه السلام الرعد صوت الملك والبرق سوطه وروى ان الرعد صوت ملك اكبر من الذباب واصغر من الزنبور فينبغي لمن سمع صوت الرعد ان يقول سبحان من سبّح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وقد ذكر الحكماء للامطار والرعد والبرق اسباباً أخرى سيأتي ان شاء الله تعالى، ومن الملائكة كتّاب الاعمال فأنه سبحانه بمقتضى حكمته لضبط اعمال الخلايق وافعالهم واقوالهم وكّل على كلّ واحد ملكين يكتبان اعماله كما قال سبحانه ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد، فرقيب كاتب الحسنات على يمين المكلّف وعتيد كاتب السيآت معه على يساره وسيأتي تمام الكلام فيهما ان شاء الله تعالى عند انوار المكلفين.

ومن انواع الملائكة ملائكة قد وكّل الله كل واحد منهم بحراسة ابن آدم من التردي في الابار او مواضع الهلاك او السباع، فاذا جاء الاجل بعَدوا عنه وقالوا أنت وهو ومنهم من وكّله الله سبحانه بحراسة ثمر الاشجاء وحمل النخيل عن الدواب والافات ولذا كره البول والغايط تحت الاشجار المثمرة لمكان الملائكة، ومن ثم قال الصادق عليه السلام الا ترى ان للشجرة إنسا وقت الثمرة، وهذا الانس بالملائكة ومنهم من يسكن الهوى ومن ثم ورد النهي من صاحب الشرع بكراهة تطميح البول في الهوى، ومنهم من يسكن المياه، ومن ثم كره البول في الماء مطلقاً، وكره ايضاً دخول المياه بغير ازار لمكان سكانه من الملائكة، ومنهم جماعة ملازمون الابواب والمساجد يكتبون اوّل داخل وآخر خارج، ومنهم جماعة ورد في الروايات ان الانسان اذا اراد زيارة مولانا الحسين عليه السلام بعث الله اليه جماعة من الملائكة لاعانته على قضاء حوائجه ويشيعونه ذهاباً واياباً، ويلازمون عتبة بابه اذا رجع وثواب تقديسهم له، فاذا مات لازموه في قبره للانس وخرجوا معه من قبره الى ارض القيامة.

ومنهم من هو بصورة الديك روى الصدوق طاب ثراه باسناده الى ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان لله تبارك وتعالى ديكاً رجلاه في تخوج الارض السابعة ورأسه عند العرش ثاني عنقه تحت العرش وملك من ملائكة الله عز وجل خلقه الله تبارك وتعالى رجلاه في تخوم الارض

السابعة السفلى مضى مصعداً فيها مدى الارضين حتى خرج منها الى افق السماء ثم مضى فيها مصعداً حتى انتهى قرنه الى العرش، وهو يقول سبحانك ربي، ولذلك الديك جناحان اذا نشرهما جاوز المشرق والمغرب، فاذا كان في آخر الليل نشر جناحيه وخفق بهما وصرخ بالتسبيح يقول سبحان الملك القدوس الكبير المتعال القدوس لا اله الا هو الحي القيوم، فاذا فعل ذلك سبحت ديكة الارض كلها وخفقت باجنحتها وأخذت في الصراخ، فاذا سكن ذلك الديك في السماء سكنت الديكة في الارض فاذا كان في بعض السحر نشر جناحيه فجاوز المشرق والمغرب، وخفق بهما وصرخ بالتسبيح فيقول سبحان الله العظيم سبحان الله العزيز القهار، سبحان رب العرش المجيد سبحان رب العرش الرفيع، فاذا فعل ذلك سبّحت ديكة الارض فاذا هاج هاجت الديكة في الارض تجاوبه بالتسبيح والتقديس لله عز وجل ولذلك الديك ريش ابيض كأشد بياض ما رأيته قط، وله زغب اخضر تحت ريشه الابيض كأشد خضرة ما رأيتها قط، فما زلت مشتاقاً الى ان انظر الى ريش ذلك الديك.

وروى عن النبي ﷺ قال ان لله تبارك وتعالى ملكاً من الملائكة نصف جسده الاعلى نار ونصفه الاسفل ثلج، فلا النار تذيب الثلج ولا الثلج يطفئ النار، وهو قائم ينادي بصوت له رفيع سبحان الله الذي كفَ حرَ هذه النار فلا تذيب هذا الثلج، وكفَ برد هذا الثلج فلا يطفئ حر النار، اللهم مؤلفاً بين الثلج والنار ألّف بين قلوب عبادك المؤمنين على طاعتك.

وروى ايضاً باسناده الى ابن نباته قال جاء ابن الكوا الى امير المؤمنين عليه السلام فقال يا امير المؤمنين والله ان في كتاب الله عز وجل لآية قد افسدت عليّ قلبي وشككتني في ديني فقال له عليه السلام ثكلتك امك وعدمتك وما تلك الاية قال قول الله عز وجل والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه فقال له امير المؤمنين عليه السلام يا ابن الكوا ان الله تبارك وتعالى خلق الملائكة في صور شتى، ان لله تبارك وتعالى ملكاً في صورة الديك ابح اشهب براثنه في الارض السابعة السفلى،وعرفه مثنى تحت العرش له جناحان جناح في المشرق وجناح في المغرب، واحد من نار والاخر من ثلج فاذا حضرت وقت الصلوة قام على براثنه ثم رفع عنقه من تحت العرش ثم صفق بجناحيه كما تصفق الديوك في منازلكم فلا الذي من النار يذيب الثلج ولا الذي من الثلج يطفي النار فينادي اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمداً سيد النبيين وان وصيه سيد الوصيين، وان الله سبَوح قدوس رب الملائكة والروح، قال فتخفق الديكة بأجنحتها في منازلكم فتجيبه على قوله وهو قوله عز وجل والطير صافات كل قد علم صلوته وتسبيحه من الديكة في الارض وبالجملة فهم مما لا تتناهى انواعهم وسيأتي بعض انواعهم ان شاء الله تعالى في تضاعيف هذا الكتاب.

والحاصل ان لكل نوع منهم مقاماً من التكليف واما حدّهم في عالم الملكوت الذي لا يتعدونه ففي الروايات عن ابن عباس ان رسول الله ﷺ لما اسرى به الى السماء انتهى به جبرئيل الى نهر يقال له النور، وهو قول الله عز وجل وخلق الظلمات والنور فلما انتهى به الى ذلك النهر فقال له جبرئيل اعبر يا محمد على بركة الله فقد نوّر الله لك بصرك ومدّ لك املك، فأن هذا نهر لم يعبره أحد لا ملك مقرّب ولا نبي مرسل غير ان لي في كل يوم اغتماسة فيه ثم أخرج منه فأنفض اجنحتي، فليس من قطرة تقطر من اجنحتي الا خلق الله تبارك وتعالى منها ملكاً مقرباً له عشرون الف وجه واربعون الف لسان في كل لسان يلفظ بلغة لا يفققها اللسان الاخر، فبر برسول الله ﷺ حتى انتهى الى الحجب والحجب خمسمائة جحاب، من حجاب الى حجاب مسيرة خمسمائة عام، ثم قال تقدّم يا محمد فقال له جبرئيل ولم لا تكون معي، قال ليس لي ان اجوز هذا المكان فتقدم رسول الله ﷺ ما شاء الله ان يتقدم حتى سمع ما قال الرب تبارك وتعالى انا المحمود وانت محمد شققت اسمك من اسمي فمن وصلك وصلته ومن قطعك بتكته انزل على عبادي فأخبرهم بكرامتي اياك، واني لم ابعث نبياً الا جعلت له وزيراً وانك رسولي وان علياً وزيرك فهبط رسول الله ﷺ وكره ان يحدّث الناس بشيء كراهة ان يتهموه لانهم كانوا حديثي عهد والجاهلية والخبر طويل.

اقول هذا النهر انما هو فوق العرش، وايضاً قد سأل الصادق عليه السلام ما فضل جدَك على سليمان بن داود الذي سخر له الريح غدوّها شهر ورواحها شهر، فقال عليه السلام ان سليمان كان يقطع الشهرين بيوم واحد واما جدي فقد قطع مسير خمسين الف سنة بساعة واحدة، ولما رجع الى لحافه كان حاراً لم يبرد لقصر زمان سفره، ومن العرش الى الارض لا يبلغ هذه المسافة اذا عرفت هذا كله.

فاعلم ان الاخبار قد تظافرت بأن الملائكة طعامهم التحميد وشرابهم التقديس، وليس لهم شهوة الحيوان ولا ميل الى انواع اللذات الدنيوية، فاذا كان الله قد خلقهم على هذا المنوال فما لهم من الفضل في انفسهم حتى يفضلوا غيرهم من صلحاء المؤمنين على ان المعتزلة وابا عبد الله الحليمي والقاضي ابا بكر من الاشاعرة ذهبوا الى تفضيل الملائكة العلويين على الانبياء عليهم السلام، واما الملائكة السفلية فلا خلاف في تفضيل الانبياء عليهم.

قلت قد اشكل هذا المعنى على جماعة من الاصحاب حتى ان شيخنا المعاصر ادام الله ايامه ذهب الى ان الملائكة لهم نوع من الميل الى اللذات الحسية لكنهم يجاهدون انفسهم ويمنعونها عن الارادات البشرية حتى يكون لهم جزيل من الثواب ويستحقوا محامد الثنا والتفضيل، والجواب التحقيقي عند هذا القاصر غير هذا، وحاصله ان الله سبحانه قد اقدر الملائكة على انواع

العبادات كما اقدر البشر عليها وان كان قوة الملائكة على العبادات اشدّ واكثر، والبشر مع قدرتهم على اكثر انواع العبادات من الواجبات والسنن قد فتروا عنها واقبلوا على تركها، واما الملائكة فقد اقبلوا على فعلها، والاتيان بما وصلت اليه قدرتهم، ومع هذا قد صارت العبادات مستلذة عندهم كاستلذاذ الاكل والشرب عندنا، فهم يأتون بكل ما يقدرون من انواع العبادات على وجه الاستلذاذ ونحن انما نأتي ببعض ما نقدر على وجه التكليف والمشقة والخوف من العقاب فهم فضلونا باتيانهم بافعال يمكنهم تركها فلم يتركوها، ومن ثم قد وقع من بعضهم الترك حتى عوقب عليه فاحترقت اجنحته وسقط من مقامه كما وقع الملك الذي وقع من السماء في زمن ادريس عليه السلام حتى لجاء الى ادريس عليه السلام فدعى له فرجع الى مقامه، وكالملك الذي فتر عن العبادة في عصر النبي صلى الله عليه وآله فسقط ايضاً من عالم الملكوت ولجأ الى الحسين عليه السلام فتمسح به ورجع ببركة الحسين عليه السلام الى مقامه.

واما الانبياء والائمة عليهم السلام فهم قد فعلوا افعال الملائكة مع اتصافهم بالقوى الحيوانية، فهم افضل من الملائكة كما انعقد عليه اجماعنا، ومن ثم كان العامل منا بما يطيق من انواع العبادات افضل من الملائكة كما ذهب اليه بعض الاصحاب ودلّت عليه بعض الاخبار.

نور ملوكتي

في بعض ما في عالم الملكوت

فنقول روى الصدوق (ره) باسناده الى الرضا عليه السلام عن علي عليه السلام قال دخلت انا وفاطمة على رسول الله صلى الله عليه وآله فوجدناه يبكي بكاءً شديداً فقلت فداك ابي وامي يا رسول الله ما الذي أبكاك فقال يا علي ليلة اسري بي الى السماء رأيت نساء امتي في عذاب شديد فأنكرت شأنهنَ، فبكيت لما رأيت من شدة عذابهن، رأيت امرأة معلقة بشعرها يغلي دماغ رأسها، ورأيت امرأة معلقة بلسانها والحميم يصبّ في حلقها ورأيت امرأة معلقة بثدييها ورأيت امرأة تأكل لحم جسدها والنار توقد من تحتها، ورأيت امرأة قد شدّت رجلاها الى يديها وقد سلّط عليها الحيّات والعقارب، ورأيت امرأة صمّاء عمياء خرساء في تابوت من نار يخرج دماغ راسها من منخرها وبدنها منقطع من الجذام والبرص ورأيت امرأة يقرض لحمها بالمقاريض ورأيت امرأة معلقة برجليها في تنور من نار ورأيت امرأة يحرق وجهها ويداها وهي تأكل امعاءها ورأيت امرأة رأسها رأس خنزير وبدنها بدن حمار وعليها الف الف لون من العذاب، ورأيت امرأة على صورة الكلب والنار تدخل في دبرها وتخرج من فيها، والملائكة يضربون راسها ويديها بمقامع من نار،

فقالت فاطمة عليها السلام حبيب وقرّة عيني اخبرني ما كان عملهنَ حتى وضع الله عليهنَ العذاب فقال يا بنيتي:

اما المعلقة بشعرها فانها كانت لا تغطي شعرها من الرجال، واما المعلقة بلسانها فانها كانت تؤذي زوجها، واما المعلقة بثدييها فانها كانت تمتنع من فراش زوجها، واما التي علقت برجلها فانها كانت تخرج من بيتها بغير اذن زوجها، واما التي كانت تأكل لحم جسدها فانها كانت تزيّن بدنها للناس، واما التي شدّت يداها الى رجليها وسلّط عليها الحيات والعقارب فانها كانت قذرة الوضوء قذرة الثياب وكانت لا تغتسل من الجنابة والحيض ولا تتنظف وكانت تستهين بالصلوة، واما العمياء الصماء الخرساء فانها كانت تلد من الزنا فتعلقه في عنق زوجها، واما التي تقرض لحمها بالمقاريض فانها كانت تعرض نفسها على الرجال، واما التي كانت يحرق وجهها ويداها وهي تأكل امعائها فأنها كانت قوّادة واما التي كانت رأسها راس الخنزير وبدنها بدن الحمار فانها كانت نمامة كذابة، واما التي على صورة الكلب والنار تدخل في دبرها وتخرج من فيها فأنها كانت قينة[٤٨] نواحة حاسدة ثم قال ويل لامرأة أغضبت زوجها وطوبى لامرأة رضي عنها زوجها.

فان قلت اكشف لنا عن حقيقة هؤلاء المعذبات أهنَ في الارض أم في السماء واذا كنَ في السموات ما حقيقة هذا المرئى منهنَ، قلت اما ما وقع في هذا الحديث وفي كل ما روى في معناه من قوله صلى الله عليه وآله رأيت ليلة اسري بي ولم يقيّده في مكان فالظاهر انه صلى الله عليه وآله انما رآه في الارض قبل صعوده السموات بل يكون في عرض الطريق، فقد نقل في الاخبار انه رأى اعاجيب كثيرة واحوالاً غريزة، ويؤيده ما رواه صاحب روضة الواعظين في كلام طويل في صفة المعراج، قال فيه ثم مضى مع جبرئيل عليه السلام فمر على قوم معلقين بعراقيبهم بكلاليب[٤٩] من نار، فقال ما هؤلاء يا جبرئيل،فقال هؤلاء الذين اغناهم الله بالحلال فيبتغون الحرام، قال قال ثم مرَ على قوم تخاط جلودهم بمخائط من نار فقال ما هؤلاء يا جبرئيل فقال هؤلاء الذين يأخذون عذرة النساء بغير حلَ ثم مضى، فمرَ على رجل يرفع خرمة من حطب كلما لم يستطع ان يرفعها زاد فيها، فقال من هذا يا جبرئيل فقال هذا صاحب الدين يريد ان يقضي فاذا لم يستطع زاد عليه، ثم مضى حتى اذا كان بالجبل الشرقي من بيت المقدس وجد ريحاً حارة وسمع صوتاً، فقال ما هذه الريح يا جبرئيل التي اجد وما هذا الصوت الذي اسمع، قال هذه جهنم فقال النبي صلى الله عليه وآله اعوذ بالله من جهنم ثم وجد ريحاً عن يمينه طيبة وسمع صوتاً، فقال ما هذه الريح التي اجد وما هذا الصوت

---

(٤٨) الاقينة الامة مغنية كانت او غير مغنية.

(٤٩) الكلاليب من الكلاب بالضم كتفاح خشبة او حديدة معوجة الرأس.

الذي اسمع، قال هذه الجنة فقال اسأل الله الجنة، قال ثم مضى حتى انتهى الى باب مدينة بيت المقدس، وفيها هرقل الحديث، فان في هذا تصريحاً بكون ما رآه قبل الصعود.

واما الذي وقع التصريح برؤيته في السموات وهو كثير، كما نقل في ذلك الكتاب من قوله فلما انتهى الى باب السماء استفتح جبرئيل عليه السلام فقالوا من هذا قال محمد قالوا نعم المجيء جاء فدخل فما مرّ على ملاء من الملائكة الا سلموا عليه ودعوا له ثم مضى فمر على شيخ قاعد تحت شجرة وحوله اطفال، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله من هذا الشيخ يا جبرئيل قال هذا ابوك ابراهيم فقال ما هؤلاء الاطفال، فقال هؤلاء اطفال المؤمنين حوله يغذوهم ثم مضى فمرَ على شيخ قاعد على كرسي اذا نظر عن يمينه ضحك وفرح واذا نظر عن يساره حزن وبكى فقال من هذا يا جبرئيل قال هذا ابو آدم اذا رأى من يدخل الجنة من ذريته ضحك وفرح، واذا رأى من يدخل النار من ذريته حزن وبكى ثم مضى فمرَ على ملك قاعد على كرسي فسلّم عليه فلم يرَ منه من البشر ما رأى من الملائكة فقال يا جبرئيل ما مررت بأحد من الملائكة الا رأيت منه ما احب الا هذا فمن هذا الملك، قال هذا الملك خازن النار اما انه قد كان من احسن الملائكة بشراً واطلقهم وجهاً فلما جعل خازن النار إطلّع فيها اطلاعة فرأى ما اعدّ الله فيها لاهلها فلم يضحك بعد ذلك ونقل غير هذا ايضاً.

والجواب عن الكل واحد لكنه على وجوه احدها ما روى عنه صلى الله عليه وآله انه قال ان الله جلَ اسمه لما عرج بي اليه مثّل لي امتي في الطين من اولها الى آخرها حتى انا اعرف بهم من احدهم بأخيه وعلمني الاسماء كلها فيكون هذا الذي رآه صلى الله عليه وآله من التمثيلات الطينية باعتبار ما يأول اليه حالهم، فان علمه صلى الله عليه وآله مأخوذ من علم الله سبحانه وعلمه بالاشياء قبل وجودها كعلمه بها بعد وجودها فمثلت له الاشياء قبل وجودها وشاهدها بعين العيان.

وثانيها انه قد روى عن الصادق عليه السلام في تفسير قوله عليه السلام يا من اظهر الجميل وستر القبيح ان الله سبحانه خلق تمثالاً في السماء لكل انسان في الارض يعمل مثل عمله فاذا عمل الانسان في الارض عمر خير عمل تمثاله مثل عمله فأظهر الله تعالى ذلك التمثال لاهل السموات يرونه فيعلمون ان ذلك الانسان يعمل ذلك العمل الحسن فشكرته الملائكة واستغفرت له ومن هذا قال في الحديث القدسي اشكرني ابن آدم في ملائك اشكرك في ملاءٍ خير منه اشكرك في الانبياء والمرسلين والملائكة المقربين وهو عبارة عن شكر الملائكة والانبياء وفي بعض الروايات انه سبحانه يخلق صوتاً في عالم الملكوت يشكر به ذلك الشاكر وقيل المراد بشكر الله سبحانه للعبد المجازات له على الشكر وكل هذا حق لما ورد في الحديث القدسي ايضاً من تقرب اليَ شبراً تقربت اليه ذراعاً ومن تقرب اليَ ذراعاً تقربت اليه باعاً، وهو يسبق من اراد السبق اليه واذا شغل الانسان في الارض بالمساوي والاعمال القبيحة عمل ذلك التمثال ذلك العمل فيأمر الله سبحانه بملك يرخى

على ذلك التمثال ستراً حتى لا تراه الملائكة فهذا معنى يا من اظهر الجميل وستر القبيح وحينئذ فيكون ﷺ قد كشف له عن تلك التمثالات ليلة المعراج فرأى التمثال على ما هو عليه من الاحوال المطابقة لذوي التمثال لان ذلك المعراج قد كان بعد مبعثه ﷺ بخمس سنين فعملت نساء امته ورجالها ما رآه في عالم الملكوت.

وثالثها ان يكون حكمته تعالى قد اقتضت ان بعض هذه الامة ينتقلون بعد الموت اما بهذه الابدان الجسمانية او القوالب المثالية الى جنة السموات ونارها وهما جنة الاخرة ونارها واما جنة الدنيا ونارها فهما في الارض كما سيأتي بيانها ان شاء الله تعالى كما ان آدم وابراهيم وموسى وادريس قد انتقلوا الى السموات والجنان بهذه الابدان فيكون ﷺ قد شاهد المعذبين في نار السموات وهي نار الاخرة كما روى انه ﷺ قال لجبرئيل في ليلة المعراج وهو في السموات يا جبرئيل اطّلعني على النار اراها، فقال يا رسول الله لا تطيق النظر اليها فستأذن مالك خازن النار فكشف له الغطا عن تنور منها فثار منه دخان احاط بالسموات كلها سواده فغشي على النبي ﷺ فوضع الغطا على التنور فأفاق وما تضمنه الحديث السابق من قوله يرفع خرمة الحطب الحديث فينبغي ان يحمل على من لم يكن له عزم على اداء الدين كما ورد في حديث آخر، ويجوز حمله على من اسدان ولم يكن له وجه مال لادائه فان جماعة من الاصحاب ذهبوا الى عدم جواز الاستدانة لمثل هذا وقدموا عليه السؤال بالكفَ وان لم يكن من اهله لقوله عليه السلام الدين مفكَرة بالليل مذَلة بالنهار، قضاء في الدنيا وقضاء في الاخرة لانه يؤخذ من حسنات المديون لصاحب الدين وان لم يكن له حسنات أخذ من ذنوب صاحب الدين ووضعت في عنق المديون وهو احد معاني قوله سبحانه يحملون اثقالهم واثقالاً مع اثقالهم ومن جملة ما في السموات الانبياء عليهم السلام اما ارواحهم بناء على عدم تجرد الارواح كما هو القول الاظهر، او مع الاجساد المثالية او هذه الاجسام بعينها فان الارض لا تأكل لحوم الانبياء ولا اوصياءهم عليهم السلام.

روى الصدوق عن الصادق عليه السلام ان رسول الله ﷺ لما اسرى به امره ربه بخمسين صلوة فمرَ على النبيين نبي نبي لا يسألونه عن شيء حتى انتهى الى موسى بن عمران عليه السلام فقال بأي شيء امرك ربك فقال بخمسين صلوة فقال موسى سل ربك التخفيف فان امتك لا تطيق ذلك فسأل ربه فحطَ عنه عشراً ثم مرَ بالنبيين نب ينبي لا يسألونه عن شيء حتى مرَ بموسى بن عمران عليه السلام فقال بأي شيء امرك ربك فقال بأربعين صلوة فقال سل ربك التخفيف فان امتك لا تطيق ذلك، فسأل ربه فحطَ عنه عشراً ثم مرَ بالنبيين نبي نبي لا يسألونه عن شيء حتى مرَ بموسى بن عمران عليه السلام فقال بأي شيء امرك ربك فقال بثلاثين صلوة، فقال سل ربك التخفيف فان امتك لا تطيق ذلك، فسأل ربه عز وجل فحطَ عنه عشراً ثم مر بالنبيين نبي نبي لا يسألونه عن شيء حتى مرَ بموسى بن

عمران عليه السلام فقال بأي شيء امرك ربك فقال بعشرين صلوة فقال سل ربك التخفيف فان امتك لا تطيق ذلك، فسأل ربه عز وجل فحطّ عنه عشراً ثم مرّ بالنبيين نبي نبي لا يسألونه عن شيء حتى مرّ بموسى عليه السلام فقال بأي شيء امرك ربك فقال بعشر صلوات، فقال سل ربك التخفيف فان امتك لا تطيق ذلك فاني جئت الى بني اسرائيل بما افترض الله عز وجل عليهم فلم يأخذوا به ولم يقرّوا عليه فسأل النبي صلى الله عليه وآله ربه عز وجل فخفف عنها فجعلها خمساً ثم مرّ بالنبيين نبي نبي لا يسألونه حتى مر بموسى عليه السلام فقال له بأي شيء امرك ربك فقال بخمس صلوات فقال اسئل ربك التخفيف عن امتك فان امتك لا تطيق ذلك فقال اني لاستحي ان اعود الى ربي فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله بخمس صلوات وقال رسول الله صلوات الله عليه وىله جزء الله موسى بن عمران عن امتي خيراً فلما هبط الى الارض نزل عليه جبرئيل فقال يا محمد ان ربك يقرئك السلام فيقول انها خمس بخمسين ما يبدّل القول لدي وما انا بظلام للعبيد اقول وجه كونها بخمسين ان الحسنة بعشر فخمس بخمسين.

ومن السماويات البيت المعموم وهو بيت في السماء الرابعة بحيال الكعبة تعمره الملائكة بالطواف مثل الكعبة وهو المروي عن امير المؤمنين عليه السلام وفي الصحيح عن الصادق عليه السلام انه في السماء السابعة يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه ابداً، وروى عن النبي صلى الله عليه وآله انه في السماء الدنيا وفي السماء الرابعة نهر يقال له الحيوان يدخل فيه جبرئيل عليه السلام كل يوم طلعت فيه الشمس واذا خرج انتفض انتفاضة جرت منه سبعون الف قطرة فيخلق الله من كل قطرة ملكاً يؤمرون ان يؤتوا البيت المعمور فيصلّون فيه ثم لا يعودون اليه ابداً وهو اول مسجد وضع للعبادة في الارض فلما خلقت الكعبة شرّفها الله تعالى رفع الى حيالها، ويجوز ان يكون وجه حمل البيت المعمور على الجنس فيكون في كل واحدة من السموات المذكورة بيت للطواف مثل الكعبة بالنسبة الى اهل الارض يسمى البيت المعمور، ولشرفه عند خالقه اقسم به فقال والبيت المعمور والسقف المرفوع ويؤيده ما روى عن الرضا عليه السلام ان الله سبحانه وضع في السماء الرابعة بيتاً بحذاء العرش، يسمى الصراخ ثم وضع في السماء الدنيا بيتاً يسمى المعمور بحذا الصراخ ثم وضع هذا البيت بحذاء البيت المعمور الحديث.

ومنها البحار روى شيخنا الصدوق (ره) باسناده الى ابن درّاج قال سألت ابا عبد الله عليه السلام هل في السماء بحار قال نعم اخبرني ابي عن ابيه عن جدّه عليهم السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان في السموات السبع لبحاراً عمق احدها مسيرة خمسمائة عام، فيها ملائكة قيام منذ خلقهم الله عز وجل والماء الى ركبهم ليس فيهم ملك الا وله الف واربعمائة جناح في كل جناح اربعة وجوه في كل وجه اربعة افواه في كل فم اربعة السن ليس فيها جناح ولا وجه ولا لسان ولا فم الا

وهو يسبح الله عز وجل بتسبيح لا يشبه نوع منه صاحبه، اقول واحد منها فسر البحر المسجور أي الممتلئ ماءً او حرارة او غضباً على اهل المعاصي.

نور يكشف عن مكان الجنة والنار الاخرويتان

اعلم ان الامامية رضوان الله عليهم قد اجمعوا استناداً الى ظاهر الايات والاخبار المتواترة على كون الجنة والنار مخلوقتين الان[٥٠] وقصة آدم وحواً واسكانهما الجنة واخراجهما عنها وقوله تعالى اعدت للمتقين واعدت للكافرين وغير ذلك من الايات شواهد صدق عليه.

وام جمهور مخالفينا فذهب الاشاعرة وابو علي الجبائي وبشر بن المعتمر وابو الحسين البصري من المعتزلة الى انهما مخلوقتان الان كما قلنا، وانكره اكثر المعتزلة كابي هاشم وعبد الجبار وعباد الصمري وضرار بن عمرو تعويلاً على العقل والنقل اما الاول فمبناه على امتناع الخرق والالتيام على الافلاك وهو اضعف من غزل العنكبوت واما الثاني فقوله تعالى عرضها السموات والارض وهذا يقتضي ان لا يوجد الا بعد فناء السموات والارض في القيامة والجواب عن هذا قد روى عن الرضا عليه السلام وذلك انه قد سأل عن هذا بان عرضها اذا كان كعرض السموات والارض فالان اين تكون فقال عليه السلام انها ليست في السموات ولا في الارض ولكن فوق السموات وسقفها العرش فعلى هذا يكون ارضها محدّب الكرسي، فتكون تحت العرش وفوق الكرسي وقد دخلها النبي صلى الله عليه وآله ليلة المعراج واكل منها تفاحة، ولما أتى منزله قارب خديجة فحملت بفاطمة فكانت النطفة من تلك التفاحة ومنها كان حمرة وجوه الائمة عليهم السلام وكان النبي صلى الله عليه وآله اذا اراد ان يشمَ رائحة الجنة وتفاحها أتى الى فاطمة وشمها وقبلها، ومن ثم حسدتها عائشة على هذا المعنى واضمرت لها عداوتها وعداوة زوجها واولادها ولما مضى النبي صلى الله عليه وآله اظهرت نار نفاقها فجهزت العساكر وجمعت الجموع حتى خذلت وغلبت وظفر الله المسلمين على عساكرها كما سمعت.

---

(٥٠) وخالف عن الامامية في هذا الاعتقاد سيدنا الاعظم السيد الشريف الرضي جامع نهج البلاغة المتوفى سنة(٤٠٦) هـ قال في الجزء الخامس من كتابه حقائق التاويل في متشابه التنزيل ماهذا لفظه(فصل في ذكر الجنة والنار هل هما مخلوقتان الان ام تخلقان بعد فناء العباد وقد اختلف العلماء في ذلك فمنهم من قال هما الان مخلوقتان وقال بعضهم: ان الجنة خاصة مخلوقة والصحيح انهما تخلقان بعد الخ ص ٢٤٥ط نجف والى هذا القول مال اخيه رئيس المذهب السيد الشريف المرتضى علم الهدى قدس سره ولكن القول الحق مال اخيه رئيس المذهب السيد الشريف المرتضى علم الهدى قدس سره ولكن القول الحق هو ما ذهب اليه المصنف ره.

واما نار الاخرة فهي في السماء ايضاً وقد استفاضت الاخبار بالدلالة عليه وقد شاهدها النبي ﷺ ليلة المعراج، وقد حصل له فزع عظيم من هول ما شاهده منها كما تقدم الا انها تحت الجنة وظاهر الاخبار انها في السماء الرابعة وقد رآها ادريس النبي عليه السلام ودخلها لحظة، وكانت عليه برداً وسلاماً، وسيأتي تمامه في مكانه ان شاء الله وهذه الجنة والنار السماويتان غير الجنة والنار المخلوقتين في الارض لعالم البرزخ لعذاب الفاسقين ولنعيم المؤمنين، فان جنة الدنيا وادي السلام في ظهر الكوفة ونار البرزخ برهوت وهو واد في حضرموت اليمن، وتفصيلهما يذكر في محله ان شاء الله تعالى، فاذا كان يوم القيامة وطوى الله سبحانه بقدرته السموات كطيّ السجل واعدمها وكذلك بدَل الارض كما قال يوم تبدل الارض غير الارض والسموات مطويات فيومئذ ينزل الجنة والنار من مكانهما فتمون الجنة في موضع السموات تتفاوت درجات اهلها بتفاوت اعمالهم فمسافة ارتفاع السموات كلها تكون من بعض درجات الجنة فتكون هذه الارض اسفل قيعان الجنة ودرجاتها، وتنتهي في العلو والارتفاع الى ما فوق العرش فان الله سبحانه كما روى عن الصادقين عليهما السلام يعطى المؤمن في الجنة ما يقابل الدنيا مرةً، وروى سبعين مرة هذا الاقل، واما الاكثر فلا يعلم مقداره الا هو.

واما النار فاذا نزلت يوم القيامة مكانها طبقات الارض وتتفاوت طبقاتها في العمق على قدر تفاوت المعاصي فيكون اسفل الجنة اعلى النار، لانه قد روى ان اهل الجنة لهم غرف تفتح بعض ابوابها الى النار، حتى يشاهدوا عذاب اهلها فتعظم نعمت الله في اعينهم، فعند تلك المشاهدة يقول لهم اهل النار افيضوا علينا مما افاض الله عليكم فيقول لهم اهل الجنة ان طعام الجنة وشرابها محرم على الكافرين.

نور آدمي

في ابتداء خلق ابينا آدم وامنا حوى عليهما السلام

وما يتبع ذلك روى القطب الراوندي وهو من اعظم محدثي الشيعة في كتاب قصص الانبياء عليهم السلام باسناده الى الباقر عليه السلام قال سأل امير المؤمنين عليه السلام هل كان في الارض خلق من خلق الله تعالى يعبدون الله قبل آدم عليه السلام وذريته؟ فقال نعم قد كان في السموات والارض خلق من خلق الله تعالى يعبدون الله تعالى قبل آدم عليه السلام وذريته يقدسون الله ويسبحونه ويعظمونه بالليل والنهار، ولا يفترون فان الله عز وجل لما خلق الارضين خلقها قبل السموات ثم خلق الملائكة

روحانيين لهم اجنحة يطيرون بها حيث شاء الله فأسكنهم فيما بين اطباق السموات يقدسونه الليل والنهار واصطفى منهم اسرافيل وميكائيل وجبرئيل.

ثم خلق عز وجل في الارض الجن روحانيين لهم اجنحة فخلقهم دون خلق الملائكة وخفضهم ان يبلغوا مبلغ الملائكة في الطيران وغير ذلك فاسكنهم فيما بين اطباق الارضين السبع وفوقهن، يقدسون الله بالليل والنهار لا يفترون، ثم خلق خلقاً دونهم لهم ابدان وارواح بغير اجنحة يأكلون ويشربون[1]سناس اشباه خلقهم الله وليسوا بأنس واسكنهم اوساط الارض على ظهر الارض مع الجن يقدسون الله بالليل والنهار لا يفترون قال وكان الجن تطير في السماء فتلقى الملائكة في السموات فيسلمون عليهم فيزورونهم ويستريحون اليهم ويتعلمون منهم الخبر ثم ان طائفة من الجن والنسناس الذين خلقهم الله واسكنهم اوساط الارض تمردوا وعتوا عن امر الله فمرحوا وبغوا في الارض بغير الحق وعلا بعضهم على بعض في العتو على الله تعالى حتى سفكوا الدماء فيما بينهم واظهروا الفساد وجحدوا ربوبية الله تعالى، قال وأقامت الطائفة المطيعون من الجن على رضوان الله وطاعته وباينوا الطائفتين من الجن والنسناس الذي عتوا عن امر الله تعالى قال فحطَ الله اجنحة الطائفة من الجن الذيت عتوا عن امر الله تعالى وتمردوا وكانوا لا يقدرون على الطيران الى السماء والى ملاقاة الملائكة لما ارتكبوا من الذنوب والمعاصي قال وكانت الطائفة المطيعة امر الله من الجن تطير الى السماء في الليل والنهار على ما كانت عليه، وكان ابليس واسمه الحارث يظهر للملائكة انه من الطائفة المطيعة.

ثم خلق الله خلقاً على خلاف الملائكة وعلى خلاف خلق الجن وعلى خلاف خلق النسناس يدّبون كما تدبَ الهوام في الارض يأكلون ويشربون كما تأكل الانعام من مراعي الارض كلهم ذكران ليس فيهم اناث لم يجعل الله فيهم شهوة النساء ولا حبَ الاولاد ولا الحرص ولا طول الامل ولا لذة العيش لا يلبسهم الليل ولا يغشاهم النهار، ليسوا ببهائهم ولا هوام لباسهم ورق الشجر وشربهم من العيون الغزار والاودية الكبار ثم اراد الله ان يفرقهم فرقتين فجعل فرقة خلف مطلع الشمس من وراء البحر فكوّن لهم مدينة انشاءها لهم تسمى جابرسا طولها اثنى عشر الف فرسخ في اثنى عشر الف فرسخ وكوّن عليها سوراً من حديد يقطع الارض الى السماء ثم اسكنهم فيها واسكن الفرقة الاخرى خلف مغرب الشمس من وراء البحر وكوّن لهم مدينة انشأها تسمى جابلقا طولها اثنى عشر الف فرسخ في اثنى عشر الف فرسخ، وكوّن لهم سوراً من حديد يقطع الى السماء فاسكن الفرقة الاخرى فيها لا يعلم اهل جابرسا بموضع اهل

---

(١) ثم خلق النسناس ــ كذا في النسخة المخطوطة.

جابلقا، ولا اهل جابلقا بموضع اهل جابرسا ولا يعلم بهم اهل اوساط الارض من الجن والنسناس فكانت الشمس تطلع على اهل اوساط الارضين من الجن والنسناس فينتفعون بحرّها ويستضيئون بنورها ثم تغرب في عين حمئة فلا يعلم بها اهل جابلقا اذا غربت ولا يعلم بها اهل جابرسا اذا طلعت لانها تطلع من دون جابرسا وتغرب من دون جابلقا.

فقيل يا امير المؤمنين فكيف يبصرون ويجيئون ويأكلون ويشربون وليس تطلع الشمس فقال صلوات الله عليه انهم يستضيئون بنور الله فهم في اشد ضوء من نور الشمس ولا يرون ان الله تعالى خلق شمساً ولا قمراً ولا نجوماً ولا كواكب لا يعرفون شيئاً غيره فقيل يا امير المؤمنين فاين ابليس عنهم قال لا يعرفون ابليس ولا سمعوا بذكره ولا يعرفون الا الله وحده لا شريك له لم يكسب احد منهم قطّ خطيئة ولم يقترف اثماً لا يسقمون ولا يهرمون الى يوم القيامة يعبدون الله لا يفترون الليل والنهار عندهم سواء، قال ان الله احبّ ان يخلق خلقاً وذلك بعد ما مضى للجن والنسناس سبعة الاف سنة فلما كان من خلق الله ان يخلق آدم للذي اراد من التدبير والتقدير فيما هو مكوّنه في السموات والارضين كشط عن اطباق السموات ثم قال للملائكة انظروا الى اهل الارض من خلقي من الجن والنسناس هل ترضون اعمالهم وطاعتهم لي فاطلعت ورأوا ما يعملون من المعاصي وسفك الدماء والفساد في الارض بغير الحق اعظموا ذلك وغضبوا لله واسفوا على اهل الارض ولم يملكوا غضبهم.

وقالوا يا ربنا انت العزيز الجبار الظاهر العظيم الشأن وهؤلاء كلهم خلقك الضعيف الذليل في ارضك كلهم يتقلبون في قبضتك ويعيشون في رزقك ويتمتعون بعافيتك وهم يعصونك بمثل هذه الذنوب العظام لا تغضب ولا تنتقم منهم لنفسك بما تسمع منهم وترى وقد عظم ذلك واكبرناه فيك فلما سمع الله تعالى مقالة الملائكة قال اني جاعل في الارض خليفة فيكون حجتي على خلقي في ارضي، فقالت الملائكة سبحانك ربنا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك فقال الله تعالى يا ملائكتي اني اعلم ما لا تعلمون اني اخلق خلقاً بيدي أجعل خلفائي على خلقي في ارضي ينهونهم عن معصيتي وينذرونهم ويهدونهم الى طاعتي ويسلكون بهم طريق سبيلي اجعلهم حجة لي عذراً أو نذراً وأنفي الشياطين من ارضي واطهرها منهم فاسكنهم في الهوى واقطار الارض وفي الفيافي فلا يراهم خلق ولا يرون شخصهم ولا يجالسونهم ولا يخالطونهم ولا يؤاكلونهم ولا يشاربونهم وانفرد مردة الجن العصاة من نسل بريتي وخلقي وخيرتي فلا يجاورون خلقي واجعل بين خلقي وبين الجانّ حجاباً فلا يروا خلقي شخص الجن ولا يجالسونهم ولا يشاربونهم ولا ينهجون نهجهم.

ومن عصاني من نسل خلقي الذي عظمته واصطفيته اسكنهم مساكن العصاة واوردهم موردهم ولا ابالي فقالت الملائكة لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العزيز الحكيم، فقال الملائكة اني خالق بشراً منم صلصال من حماء مسنون، فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين، قال وكان ذلك من الله تقدمة للملائكة قبل لمن يخلقه احتجاجاً منه عليهم وما كان الله ليغيَر ما بقوم الا بعد الحجة عذراً أو نذراً، فأمر تبارك وتعالى ملكاً من الملائكة فاغترف غرفة بيمينه فصلصلها في كفَه فجمدت فقال الله تبارك منك أخلق .

وروى عن امير المؤمنين عليه السلام قال ان الله تعالى خلق آدم من اديم الارض[1]منه السباخ والمالح والطيب، ومن ذريته الصالح والطالح، وقال ان الله تعالى لما خلق آدم ونفخ فيه من روحه نهض ليقوم فقال الله وخلق الانسان عجولا، وهذا علامة الملائكة ان من اولاد آدم عليه السلام يكون من يصير بفعله صالحاً ومنهم من يكون طالحاً بفعله لا ان من خلق من الطيِّب لا يقدر على القبيح ولا ان من خلق من السبخة لا يقدر على الفعل الحسن.

وقال الصادق عليه السلام كانت الملائكة تمر بآدم عليه السلام أي بصورته وهو ملقى في الجنة من طين فتقول لامر ما خلقت وقال عليه السلام ان القبضة التي قبضها الله تعالى من الطين الذي خلق آدم عليه السلام منه ارسل اليها جبرئيل ان يأخذ منها ان شاء فقالت الارض اعوذ بالله ان تأخذ مني شيئاً، فرجع فقال يا رب تعوَذت بك، فارسل اليها اسرافيل وخيَره فقالت مثل ذلك ورجع فارسل اليها ميكائيل وخيَره ايضاً، فقالت مثل ذلك فرجع فارسل الله تعالى اليها ملك الموت فأمره على الحتم فتعوَذت بالله ان يأخذ منها فقال ملك الموت وانا اعوذ بالله ان ارجع اليه حتى آخذ منك قبضة، وانما سمى آدم لأنه أخذ من اديم الارض وقال ان الله تعالى خلق آدم من الطين وخلق حوى من آدم فهَمة الرجال الارض وهمَة النساء الرجال، وقيل اديم الارض الرابعة الى اعتدال لانه خلق وسطا من الملائكة.

وروى مسنداً عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله لما ان خلق الله تعالى آدم اوقفه بين يديه فعطس فالهمه الله تعالى ان حمده فقال يا آدم حمدتني فوعزتي وجلالي لولا عبدان اريد ان اخلقهما في آخر الزمان ما خلقتك قال آدم يا رب بقدرهم عندك ما اسمهم فقال تعالى يا آدم انظر نحو العرش فاذاً بسطرين من نور السطر الاول لا اله الا الله محمد نبي الرحمة، وعلي مفتاح الجنة، والسطر الثاني آليت على نفسي ان ارحمن من والاهما وأعذَب من عاداهما، وتفصيل مقدمات آدم وحوى عليهما السلام قد ذكر في القرآن والاخبار.

---

(١) اديم السماء او الارض: ما ظهر منهما.

اما القرآن فقال سبحانه في سورة البقرة واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خلفية قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم ما لا تعلمون، وفيها ايضاً واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين، وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين، فأزلهما الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا فيه، وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم.

وقال سبحانه في سورة الاعراف ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين قال ما منعك الا تسجد اذ امرتك قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال فاهبط منها فما يكون لك ان تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين، قال انظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين قال فبما اغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولا تجد اكثرهم شاكرين، قال اخرج منها مذموماً مدحوراً لمن تبعك منهم لاملأن جهنم منكم اجمعين ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوءاتهما وقال نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين وقاسمهما اني لكما من الناصحين فدليهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفات عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين، قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين، وقال تعالى في سورة ﷺ اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشراً من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين، قال يا ابليس ما معنك ان تسجد لما خلقت بيديّ أستكبرت ام كنت من العالين قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين، قال فاخرج منها فانك رجيم وان عليك لعنتي الى يوم الدين، قال رب فأنظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم، قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين.

ونحو ذلك من الايات التي كرر فيها قصتهما ناعياً عليهما زلتهما اشارة الى ان من خالف الاوامر يكون مصداق بطون هذه الايات، وذلك الشيطان هو هذا بعينه وابونا آدم عليه السلام فعل زلّة واحدة فاخرج من جوار الله فكيف يكون حالنا نحن مع فعل الالاف من الذنوب كل يوم ومع هذا

نطمع في جنة الخلد ما هذا الا من سخافة عقولنا، لكن بالنظر الى رحمته تعالى لا يكون بعيداً، وما احسن قول شيخنا البهائي طاب ثراه في الشعر الفارسي

جدّ تو آدم بهشتش	قدسيان كردند بهر او
يك كنه جون كرد	مذنبي مذنب بروبيرون
تو طمع داري كه	داخل جنت شوى اى

اما الاخبار فحيث انها لم تجتمع في خبر واحد، فلا بأس بأخذ القصة من مجموع الاخبار موافقاً لمضمون (لمفهوم خ ل)الايات فنقول ان الله سبحانه قد اقتضت حكمته ان يخلق آدم، ويجعله خليفة له في الارض موضع الجان بن الجان وتلك المخلوقات التي مرّ ذكرها وانها كانتت تفسد في الارض فان قلت اذا كان سبحانه قد اخبر الملائكة قبل خلق آدم بأن الغرض من خلقه خلافة الارض لا الخلود في الجنة فآدم على كل حال ينبغي اخراجه من الجنة الى الارض لاجل المقصود من خلقته فكيف نعى عليه سبب الخروج من الجنة الى الارض وهو انما خلق له قلت كان بنغي ان لا يخرج بسبب المعصية بل بسبب الارسال ونحوه من ايجاد النسل، وعمارة الارض ونحو ذلك كما أنه سبحانه لما علّم النبي صلى الله عليه وآله من ايام طفوليته حتى بلغ الاربعين واستكمل كمالاته حتى صار منه قاب قوسين او ادنى نزّله من هذه المراتب العليّة الى تلك المراتب السفلية لانقاذ عباده من الغرق ببحار الهلاك الى ساحل النجاة وامره بمخالطتهم ومعاشرتهم ومكالمتهم على قدر عقولهم واحتمال الاذى منهم وكان تحمّل هذه المشّاق عليه أشد واصعب مما لاقى من اهوال الرسالة للطافة روحانية بسبب تعليم ذلك المعلم لك المدة الكثيرة، وهذا التنزيل المعنوي له في مراتبه صلى الله عليه وآله هو المراد من قوله عز من قائل انا انزلنا اليكم ذكرا رسولا فانه صلى الله عليه وآله لم يكن في مكان مرتفع في الحس حتى نزل عنه، كما كان لابينا آدم عليه السلام قد نزل من حسي ومعنوي الى حسي ومعنوي ونبينا صلى الله عليه وآله قد نزل من مكان معنوي الى مكان حسي، ومكان معنوي ولكن فرق كثير بين النزولين مع ان ترك الخوض في حكاية هذا الاعتراض اولى من التعرض له، وذلك لما روى من ان آدم وموسى عليهما السلام قد التقيا في السموات فقال موسى يا آدم انت الذي اشقيت الناس واخرجتهم من الجنة فقال له آدم انت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه وانزل عليك التورية قال نعم قال فوجدته قدّره لي قبل ان يخلقني، قال نعم قال فحج آدم موسى، وهذا الخبر لصعوبة معناه قد ردّه صاحب الطرايف (ره) ولكن هذا المضمون وامثاله قد روى في اخبارنا بطرق متكثرة وهو راجع الى العلم وانه ليس علة في وجود المعلوم وحصوله وسيجيء تحقيق هذه المسألة ان شاء الله تعالى.

واما قول الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء، فهو قياس منهم لادم على من تقدمه من الجان والمخلوقات، يعني ان الخليفة مثل من تقدمه ويجوز هذا القول منهم على جهة

العلم من الالواح السماوية، كما قاله جماعة من المفسرين فلما اراد خلقه ارسل جماعة من الملائكة الى الارض ليأخذوا من ترابها كما تقدم فلم يقدم على ذلك الفعل الا ملك الموت فأخذ قبضة من أديم الارض أي من وجهها وبه سمى آدم وتلك القبضة من حلو الارض ومالحها وسهلها وجبلها وخيرها وشرها وذلك ليكون مواد مختلفة لانواع المختلفين (المخلوقين) من اولاد آدم فقال سبحانه لعزرائيل لما أجترأت على أخذ قبضة التراب من الارض فلتكن انت الذي تقبض ارواح آدم واولاده الذين يخلقون من هذه التربة فأمر الملائكة ووضعوا ذلك التراب في المنخل ونخلوه فما كان لباباً صافياً أخذ لطينة آدم عليه السلام وما بقي في المنخل خلق الله منه النخلة، وبه سميت لانها خلقت من تراب بدن آدم عليه السلام وهي العجوة[1]

ومن ثم قال النبي صلى الله عليه وآله اكرموا عماتكم النخل لانها اخت الاب وقد شابهت الانسان في اكثر الاحوال وقد كان آدم عليه السلام يأنس بها في الجنة ولما نزل الى الارض واستوحش بمفارقة الجنة طلب من الله سبحانه ان ينزل النخلة التي كان يأنس بها فأنزلها عليه فغرسها في الارض وكان يأنس بها في حيوته، ولما قرب وفاته اوصى الى ولده ان يضع معه في قبره جريدة منها ليأنس بها في قبره فصارت سنة فيما بين الانبياء عليهم السلام الى زمان عيسى عليه السلام فندرست في زمن الفترة واحياها النبي صلى الله عليه وآله وقال انها ترفع عذاب القبر ما دامت خضراء، فاستعملها شيعة اهل البيت عليهم السلام من ائمتهم ورواه الجمهور عن النبي صلى الله عليه وآله بطرق كثيرة منها:

انه قال صلى الله عليه وآله للأنصار خضَروا صاحبكم فما اقلَ المخضرين يوم القيامة قالوا وما التخضير قال جريدة خضراء توضع من اصل اليدين الى اصل الترقوة[2]ا رأوا استعمال الشيعة له اقبلوا على انكاره وعلى كونه بدعة لانه صار شعار الروافض، ومما خلق من طينة آدم عليه السلام الحمام ومن ثم سنَ الشرع تربيته في البيوت وانه يطرد الشياطين وتدخل الملائكة الى ذلك المنزل وصارت تستعمل في حمل الرسائل فلما نخل ذلك التراب امر الله سبحانه فأمطر عليه الماء المالح اربعين صباحاً ثم امطر عليه الماء الحلو اربعين صباحاً حتى امتزج الطين والماء الحلو والمالح فخمَر طينة آدم عليه السلام تخميراً، حتى بقيت اربعين صباحاً بين الطين والماء الى هذا الوقت الخاص اشار النبي صلى الله عليه وآله بقوله كنت نبياً وآدم بين الطين والماء ثم لما اكمل خلقه من الطين بقي شبحاً ملقى في السموات بغير روح ولكن عزازيل الذي صار اسمه الشيطان بعد العصيان كان يمر على ذلك الشبح كل يوم

---

(١) في الحديث العجوة من الجنة قيل هي ضرب من اجود التمر يضرب الى السواد من غرس النبي ص بالمدينة ونخلها تسمى اللينة قيل اراد بذلك مشاركتهما ثمار الجنة في بعض ماجعل فيها من الشفاء والبركة بدعائه ص ولم يرد ثمار الجنة نفسها.

(٢) الترقوة مقدم الحلق في اعلى الصدر حيثما يرتقي فيه النفس.

ويقول لامر ما خلقت ثم انه دخل يوماً الى جوفه فغوط فيه ومن ثم صار الغائط نجساً ومنتناً لمكان غايط الشيطان في جوف آدم عليه السلام .

فأمر الله سبحانه روح آدم ان تدخل في بدنه،فابت وقالت يا رب كيف ادخل هذا البدن، واغفل عن طاعتك وتعتريني معاصي الابدان، ولعلها انما قالت هذا لعملها السابق بالجان الذين كانوا في الارض فان الارواح مخلوقة قبل الابدان بالفي عام وروى اكثر من هذا فلطف بها سبحانه وقال انه سأخرج من هذا البدن اقواماً لا يعصوني طرفة عين وهم حججي على عبادي فدخلت الروح فلما استقرت في البدن عطس آدم فقال الحمد لله رب العالمين فقال له الله تعالى رحمك الله يا آدم وهذا معنى ما جاء من قوله يا من سبقت رحمته غضبه، فأن اول خطاب كان مع نبينا آدم عليه السلام هذه الرحمة فقد ابتدأ العالم بحمده وختم به كما سيأتي من ان اهل الجنة اذا دخلوا الجنة، واهل النار اذا دخلوا النار قال اهل الجنة اذا خرجوا من هذه الدنيا الى الجنة الحمد لله رب العالمين كما حكاه الله سبحانه بقوله وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين.

وبالجملة فقد خلق الله سبحانه آدم عليه السلام على تلك الصورة التي خلقه عليها، من غير ان يتخلق عليه الصور نطفة وعلقة ومضغة وعظاماً كما تداولت على اولاده وهذا هو احد معاني قوله صلى الله عليه وآله ان الله خلق آدم على صورته وقد اجبت بهذا الجواب لما سألني بعض الافاضل في مجلس بعض الملوك وجواب آخر ايضاً خطر بالبال ذلك الوقت وحاصله انه قد روى ان ملائكة التصوير اذا ارادوا تصوير النطفة ذكراً او انثى يقولون يا رب على أي صورة نصوره فان كان ذكراً قال سبحانه احضروا صور ابيه آدم وصوروه مثل واحدة منها، وان كان انثى قال احضروا صور امهاته الى حوى فصوروه على صورة واحدة منها ومن ثم قال عليه السلام لا ينبغي لاحد ان يطعن في نسب ولده لاجل انه لا شبهه في الصورة فعله انما صوّر مثل واحد من آبائه، وهذا في غير ابينا آدم عليه السلام واما هو فليس له آباء ولا امهات حتى يتصور مثل واحدة منها بل خلق على تلك الصورة التي خلق عليها وقال المحقق صاحب عوالي اللئالئ المراد بالصورة الصورة المعنوية، كما قال عليه السلام تخلقوا بأخلاق الله فيكون الضمير حينئذ راجعاً الى الله سبحانه يعني على صورة الله المعنوية ومصداقه الحديث القدسي قال فيه اذا تقرب عبدي اليّ بالنوافل كنت سمعه الذي يسمع ويده التي بها يبطش[1]رجله التي بها يمشي الحديث.

وقال سيدنا المرتضى نوّر الله مضجعه ان على بمعنى مع يعني انه سبحانه خلق مادته مع صورته فيكون رداً على ما زعمه الطبيعيون من ان المادة مخلوقة والصورة من مقتضياتها، والذي

---

(١) البطش الاخذ بشرعة والاخذ بعنف وسطوة.

ورد في تفسير هذا الحديث من الاخبار حديثان، احدهما ما رواه رئيس المحدثين شيخنا الكليني قدس الله روحه باسناده الى محمد بن مسلم قال سألت ابا جعفر عليه السلام عما يروون ان الله خلق آدم على صورته فقال هي صورة محدثة مخلوقة اصطفاها الله واختارها على ساير الصور المختلفة فاضافها الى نفسه كما اضاف الكعبة الى نفسه والروح الى نفسه، فقال بيتي ونفخت فيه من روحي.

وثانيهما ما رواه شيخنا الصدوق (ره) باسناده الى الحسين بن خالد، قال قلت الرضا عليه السلام يا ابن رسول الله ان الناس يروون ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال ان الله خلق آدم على صورته فقال قاتلهم الله لقد حذفوا اول الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وآله مرّ برجلين يتسابان فسمع احدهما يقول لصاحبه قبّح الله وجهك ووجه من يشبهك فقال عليه السلام يا عبد الله لا تقل هذا لأخيك فان الله خلق آدم على صورته، وكان المرتضى طاب ثراه انما تكلم على معنى الحديث بما سمعت من جهة ان هذين الخبرين لم يثبتا عنده بناء على اصله من عدم الاعتماد على العمل باخبار الاحاد، ولما خلق الله آدم عليه السلام اسجد له الملائكة وأبى عزازيل وقال ان مادتي وجوهري الناري خير من جوهر آدم الطيني فلا أسجد له لان السجود انما هو لمكان شرف الجوهر وجوهر النار يقتضي الصعود وجوهر التراب يقتضي التسفل والانحطاط، ومن هذا قال الصادق عليه السلام يا ابا حنيفة بلغني انك تقيس قال نعم قال لا تقس فإن اول من قاس ابليس حين قال خلقتني من نار وخلقته من طين فقاس ما بين النار والطين ولو قاس نورية آدم بنورية النار لعرف فضل ما بين النورين وصفاء احدهما على الاخر، وعن الصادق عليه السلام قال موسى عليه السلام الهي كيف استطاع آدم ان يؤدي شكر ما اجريت عليه من نعمك خلقته بيديك واسجدت له ملائكتك واسكنته جنتك فاوحى الله تعالى اليه ان آدم علم ان ذلك كله مني فذلك شكره.

واعلم ان هذا القياس الذي قاسه ابليس وابطله الصادق عليه السلام هو قياس الاولوية واما اصحابنا رضوان الله عليهم فهم وان ابطلوا العمل بالقياس الا ان اكثرهم قال بصحة العمل بقياس الالووية، وكذا منصوص العلة ومثلوا للأول بقوله تعالى ولا تقل لهما افٍ، حيث قاسوا تحريم الضرب على تحريم التأفيف، وللثاني بقوله صلى الله عليه وآله وقد سأل عن جواز بيع الرطب مثلاً بمثل قال أينقص اذا جف، فقيل نعم فقال فلا آذن فيكون العلة في المنع النقصان عند الجفاف فيقاس عليه كل ما وجدت فيه هذه العلة والانصاف يقتضي المنع من العمل بهذا النوعين ايضاً لوجوه احدها استفاضة الاخبار عن الطاهرين عليهم السلام بنفي القياس مطلقاً من غير تقييد بأحد افراده رداً على ابي حنيفة واهل الرأي، وقد كانوا يعملون بكل انواع القياس، وحمل العام على احد افراده من غير مخصص، مع امكان حمله على جميع الافراد لا يجوز عند اهل الاصول.

وثانيها ان مبنى الشرع على اختلاف احكام المتفقات واتفاق احكام المختلفات كما يظهر من حكاية نزح البئر بورود الاعيان النجسة عليه لعل غرض الشارع من مثله سدّ باب العقل، حتى لا يدخل في الاحكام الشرعية فاذا كان الحال على هذا لم يحصل لنا الظنّ بثبوت الحكم في المحل الخارج عن النص وان اقتضاه القياس.

وثالثها ما رواه الصدوق وغيره من اهل الاصول في باب الديات عن ابان بن تغلب قال قلت لابي عبد الله عليه السلام ما تقول في رجل قطع اصبعاً من اصابع المرأة كم فيها قال عشرة من الابل قال قلت قطع اثنين فقال عشرون قطع ثلثا قال ثلثون، قلت قطع اربعا قال عشرون، قلت سبحان الله يقطع ثلاثاً فيكون عليه ثلاثون فيقطع اربعاً فيكون عليه عشرون ان كان هذا يبلغنا ونحن بالعراق فنبرأ ممن قاله، ونقول الذي قاله شيطان فقال مهلاً يا بان هذا حكم رسول الله صلى الله عليه وآله ان المرأة تعاقل الرجل الى ثلث الدية، فاذا بلغت الثلث رجعت المرأة الى النصف يا ابان انك اخذتني بالقياس والسنَة اذا قيست محق الدين وهذا في ابطال قياس الاولوية.

ورابعها قول الصادق عليه السلام لابي حنيفة لو كان الدين يؤخذ بالقياس لوجب على الحايض ان تقضي الصلوة لانها افضل من الصوم، وبالجملة فالاخبار الدالة على نفي مطلق القياس وخصوص قياس الاولوية كثيرة جداً.

وخامسهاً ما قاله المرتضى (ره) حيث ابطل قياس منصوص العلة بأن علل الشرع انما تبتنئ عن الدواعي الى الفعل او عن وجه المصلحة وقد يشترك الشيئان في صفة واحدة ويكون في احدهما داعي الى فعله دون الاخر، مع ثبوتهما فيه وقد يكون مثل المصلحة مفسدة وقد يدعو الشيء الى غيره في حال دون حال ووقت دون وقت وعلى وجه منه دون وجه وقدر منه دون قدر، ثم قال واذا صحَت هذه الجملة لم يكن في النص على العلة ما يوجب التخطي والقياس وجرى النص على العلة مجرى النص على الحكم في قصره على موضعه فان قلت اذا بطلت قياس الاولوية فكيف يمكنك استفادة تحريم الضرب وباقي انواع الاذى من الاية، قلت ان القرآن انما أنزله الله سبحانه بلغة العرب، واجراءه على مقتضى محاوراتهم واصطلاحاتهم، وكل أحد يعلم من تتبع كلامهم ان فيه الدلالة اللغوية والعرفية والمطابقة والتضمن والالتزام، وحينئذ فمثل قوله تعالى ولا تقل لهما اف اذا صدر من آحاد العرب لا يكون الغرض منه في الاصطلاح الا شمول جميع انواع الاذى من الضرب وغيره فالضرب داخل في مفهوم الكلام عرفا، وهذا معنى قول المحقق قدس الله روحه لما نفى قياس الاولوية قال ان قوله تعالى ولا تقل لهما أف منقول عن موضوعه اللغوي الى المنع من جميع انواع الاذى لاستفادة ذلك المعنى من اللفظ من غير توقف على استحضار القياس.

واما قياس منصوص العلة فقد تكون القرآن الحالية قائمة على دخول الفرد الغير المذكور في الحكم المذكور ويكون المذكور من قبيل اللفظ العام المتناول لغير المذكور وحينئذ فدلالته عليه كالاول وقد لا يكون كذلك فلا يدلّ عليه بهذا الدليل، بل يحتاج الى دليل خاص والا رجع فيه الى الاصل اذا عرفت هذا ظهر ان الشيطان قد غلط في هذا القياس من اصله، وجعله قياس اولوية وذلك لان جوهر النار وان كان في طبعه طلب المحيط وجهة العلو الا ان علوه غير دائم وذلك ان النور انما تشبَ في الحوى لحظة ثم تجمد بخلاف التراب، فانه وان كان فب طبعه طلب الهبوط، الا ان الله تعالى بسبب هذا التواضع منه اودعه اسرار حكمته وجعله مادة لخلق انبيائه وحججه ومعدناً للمعادن ومحلاً للنبات والرياحين وحلاّه حلية لم يحل بها غيره من العناصر.

فان قلت الشيطان مع طول عبادته وكثرتها في السموات حتى أنه روى انه عبد الله ستة آلاف سنة إما من سني الدنيا أو من سني الاخرة فكيف ابى عن هذا التكليف الخاص مع قبوله لغيره وكيف خلاّه الله ونفسه ولم يمنحه الالطاف الالهية، التي تمنعه عن ارتكاب المعصية كما عصم غيره من الملائكة مع ان العبادة التي صدرت منه قبل العصيان ازيد من عبادة الملائكة، حتى انه صار من رؤساء الملائكة وطاووسهم وكان يجلس على كرسي في السموات والملائكة تقف امامه تعظيماً فكيف لم يعصمه الله تعالى عن ارتكاب مثل هذا .

قلت قد خاجلتني هذه الشبهة برهة من الزمان حتى اطلعني شيخنا صاحب بحار الانوار على اخبار تحلَ هذه الشبهة وحاصلها ان الشيطان كما تحققت قد كان من جملة الجان الذين كانوا في الارض فلما ارسل الله سبحانه الملائكة اليهم بالسيوف قتلوهم ونفوهم من الارض، فبقى هذا الملعون فأظهر للملائكة انه من الطائفة المؤمنين، فقال للملائكة قتلتم اهلي وطوائفي وانا بقيت وحيداً فخذوني معكم الى السموات لاعبد الله تعالى معكم فأستأذنوا في هذا فأذن لهم فلما بلغ السموات وطاف بها إطّلع على الالواح السماوية والدفاتر الالهية، فقرأ في بعضها ان الله سبحانه لا يضيع عمل عامل بل من عمل واراد الدنيا اعطاه الله منها، ومن عمل واراد الاخرة بلّغه الله مناه كما قال سبحانه ومن يرد حرث الاخرة نزد له في حرثه ومن يرد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الاخرة من خلاق، فاضمر في نفسه الخبيثة ان الاخرة مؤخرة والدنيا معجلة فقصد حرث الدنيا من تلك العبادة الكثيرة ولما علم انه قد استتم نصيبه من الدنيا بادر الى اظهار ما قصده فأظهره في الاستكبار عن السجود ولو انه قصد الله سبحانه بتلك العبادة، بل واقلّ منها لما خلّى ونفسه بل كان قد تداركته الالطاف الالهية، وقد كان له مرتبة في العلم لا يدانى فيها لان علمه كان من الملكوت.

روى ان واحداً من قوم فرعون اعطاه[1]نقود عنب وقال اريد ان تخلق هذا جواهر كبارا لانك رب قادر، فأخذه فرعون فلما جنّ عليه الليل سد ابواب بيته وقال لا يدخل عليَ أحد فبقي متفكراً في حال العنب فأتاه الشيطان فدّق عليه الباب فقال فرعون من في الباب فقال ابليس ضرطتي في لحية رب لا يدري من في الباب فعرفه فرعون فقال ادخل يا ملعون، فقال ابليس ملعون يدخل على ملعون فلما دخل عليه رأى عنقود العنب بين يديه وهو حيران فقال ناولني هذا العنقود فقرأ عليه اسماً فاذا هو احسن ما يكون من اللئالئ، فقال له الشيطان انصف يا عديم الانصاف انا في مثل هذا العلم والكمال اردت ان اكون عبداً من جملة العبيد، فما قبلوني عبداً لباب هذا السلطان وانت مع جهلك هذا وحماقتك اردت ان تكون رباً وادعيت هذه المرتبة العظيمة فقال له فرعون يا ابليس لأي شيء ما سجدت لادم لما امرت فقال لاني علمت ان طينتك هذه الخبيثة في صلبه ومن هذا امتنعن من السجود له.

ولما صنع نوح عليه السلام السفينة واركب فيها انواع الحيوانات بقي الحمار خارج السفينة، وخاف عليه نوح من الغرق وكلما امره بالركوب امتنع، فغضب عليه نوح وقال اركب يا شيطان مخاطباً للحمار فسمع الشيطان كلام نوح فتعلق في ذنب الحمار وركب في السفينة ونوح عليه السلام كان يظن انه لم يركب ولم يرخص له فلما اخذت السفينة مأخذها وطافت على الماء نظر نوح فرأى ابليس جالساً صدر السفينة، فقال له من رخصك فقال انت الم تقل اركب يا شيطان، ثم انه قال يا نوح ان لك عندي يدا ونعمة اريد ان اكافيك عليها فقال نوح وما هي قال انك دعوت على قومك فاغرقتهم بساعة واحدة، ولو بقوا لكنت متحيراً في اضلالهم وايرادهم مورد الهلاك فلما علم نوح ان الشيطان قد شمت به بكى وناح بعد الطوفان خمسمائة عام، فسمى نوحاً وقد كان من قبل اسمه عبد الجبار فأوحى الله سبحانه الى نوح ان اسمع ما يقول لك الشيطان، واقبل كلامه فقال ما تقول يا ابليس فقال يا نوح انهاك عن خصال.

اولها الكبر والعجب فإنّ اول ما عصى الله به التكبر وذلك انه امرني بالسجود لابيك آدم ولو سجدت لما اخرجوني من عالم الملكوت، وثانيها الحرص، فان الله تعالى قد اباح الجنة كلها لابيك آدم ونهاه عن شجرة واحدة، فدعاه حرصه الى الاكل منها فأكل فصار عليه ما صار.

وثالثها ان لا تخلو بامرأة اجنبية الا ويكون معكما ثالث فانك ان خلوت بها من غير ثالث كنت انا الثالث، فأسوّل لك الامور حتى اوقعك في الزنا، فأوحى الله اليه بقبول قول الشيطان، ومن هنا قال عليه السلام الحكمة ضالة المؤمن وذلك انه يدورها اينما كانت وفي يد من كانت حتى

---

(١) ظاهر المصنف (ره) ان هذا النقل ليس من المعصوم عليه السلام واظنة مطابقة من الاساطير.

يحصلها، ومعنى آخر وهو ان الحكمة لما كانت ضالة المؤمن فيجب على كل من وجدها ان يدفعها اليه لانها ضالته وقد وقع الخلاف في سجود الملائكة لآدم عليه السلام على أي وجه كان، فذهب اكثر المفسرين الى انه على وجه التكرمة لادم والتعظيم لشأنه وتقديمه عليهم ولذا جعل اصحابنا رضي الله عنهم هذه الاية دالة على ان الانبياء عليهم السلام افضل من الملائكة وقال الجبائي وابو القاسم البلخي وجماعة انه جعله قبلة لهم فأمرهم بالسجود الى قبلتهم وفيه ضرب من التعظيم.

وردّه شيخنا الطوسي (ره) بأنه لو كان على هذا الوجه لما امتنع ابليس من ذلك ولما استعظمته الملائكة، وقد نطق القرآن بأن امتناع ابليس من السجود انما هو لاعتقاده تفضيله به وتكرمته مثل قوله ارأيتك هذا الذي كرمّت عليَّ لئن اخرتني الاية ولو لم يكن الا (الامر خ ل) على هذا الوجه لوجب ان يعلمه الله تعالى بأنه لم يأمره بالسجود على جهة تعظيمه وتفضيله عليه وانما امره على الوجه الاخر الذي لا تفضيل فيه، ولم يجز اغفال ذلك فانه سبب معصية ابليس وضلالته فلما لم يقع ذلك علمنا ان الامر بالسجود انما كان على وجه التعظيم لادم هذا والذي ورد في الاخبار عن الائمة الاطهار عليهم السلام ان الامر بالسجود للملائكة انما كان لمكان نور النبي صلى الله عليه وآله واهل بيته فانه كان في صلب آدم فالسجود انما هو لتعظيم ذلك النور، ومن ثم كان النور اولاً في ظهر آدم وكانت الملائكة تأتيه من قفاه وتسجد لذلك النور، فقال آدم يا رب ما هذا النور الذي في ظهري وتعظمه الملائكة فقال هذا نور حججي على خلقي ولولاهم لم اخلقك يا آدم ولم اخلق سماء ولا ارضاً، فقال يا رب حوّل النور الى وجهي حتى تستقبلني الملائكة فكان ذلك النور في جبهة آدم فما زال ينتقل من صلب الطاهرين الى ارحام الطاهرات حتى وافى صلب عبد المطلب فافترق فرقتين فصار فرقة في جبين عبد الله والاخرى كانت في جبين ابي طالب فمن هناك كانت الاخوة بينهما عليهما افضل الصلوات وعلى آلهما اكمل التحيات هذا خلق آدم وكيفيته.

واما خلق حوا وكيفيته فقد روى عن زرارة بن اعين انه قال سأل ابو عبد الله عليه السلام عن خلق حوى وقيل له اناساً عندنا يقولون ان الله عز وجل خلق حوا من ضلع آدم الايسر الاقصى فقال سبحان الله وتالى عن ذلك علواً كبيراً عما يقولون من يقول هذا ان الله تبارك وتعالى لم يكن له القدرة ما يخلق لادم زوجة من غير ضلعه، ويجعل للمتكلم من اهل التشنيع سبيلاً الى الكلام ان يقول ان آدم كان ينكح بعضه بعضاً اذا كانت من ضلعه ما لهؤلاء حكم الله بيننا وبينهم، ثم قال ان الله تبارك وتعالى لما خلق آدم من الطين وامر الملائكة بالسجود له والقى عليه (عينيه خ ل) النوم ثم ابتدع له حوى فجعلها في موضع النقرة التي بين وركيه وذلك لكي تكون المرأة تبعاً (تابعة خ ل) للرجل فأقبلت تتحرك فانتبه لتحركها، فلما انتبه نوديت ان تنحي عنه فلما

نظر الى خلق حسن يشبه صورته غير انها انثى فكلمها فكلمته بلغته، فقال لها من أنت قالت له خلق خلقني الله كما ترى فقال آدم عليه السلام عند ذلك يا رب ما هذا الخلق الحسن الذي قد آنسني قربه والنظر اليه فقال الله تعالى يا آدم هذه امتي حوى أفتحب ان تكون معك تونسك وتحدثك وتكون تبعاً لامرك فقال نعم يا رب وذلك بذلك عليّ الحمد والشكر ما بقيت، فقال له عز وجل فاخطبها اليّ فانها امتي فقد تصلح لك ايضاً زوجة للشهوة والقى الله عليه الشهوة وقد علمه قبل ذلك المعرفة بكل شيء فقال يا رب فأني اخطبها اليك ما رضاك بذلك، فقال عز وجل رضاي ان تعلمها معالم ديني فقال ذلك لك يا رب عليّ ان شئت ذلك لي فقال عز وجل وقد شئت ذلك وقد زوجتكها فضمها اليك، فقال لها آدم عليه السلام فاقبلي فقالت له بل انت فاقبل اليّ فأمر الله عز وجل آدم ان يقوم اليها ولولا ذلك لكان النساء هنّ يذهبن الى الرجال حتى يخطبنَ على انفسهنَ فهذه قصة حوى صلوات الله عليها.

واما قوله عز وجل يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبثّ منهما رجالاً كثيراً ونساء، فأنه روى انه عز وجل خلق من طينتها زوجها وبث منها رجالاً كثيراً ونساء قال الصدوق طاب ثراه والخبر الذي روي ان حوى خلقت من ضلع آدم الايسر صحيح معناه من الطينة التي خلقت من ضلعه الايسر فلذلك صارت اضلاع الرجل انقص من اضلاع النساء بضلع، اقول كأن الصدوق (ره) قصد وجهاً لجمع الاخبار الدال اكثرها على ان حوى لم تخلق من ضلع آدم الايسر الاقصى كما قاله جمهور مخالفينا من ان حوى خلقت من ضلع آدم بعد حيوته ومنه سميت حوى عندهم لانها خلقت من حيّ وبين الاخبار الدالة على انها خلقت من ضلعه وحاصل وجه الجمع انه سبحانه قد قرر لكل عضو من اعضاء آدم عليه السلام طينة منفردة وركبَ الطينات كما تركب العضاء والاجزاء في المركبات وتلك الطينة التي قررت وعزلت لضلع آدم الايسر لم تدخل في تركيب اعضاء آدم بل ابقيت لخلق حوى فخلقت منها حوى لا انها خلقت من آدم بعد الحيوة كما قاله الجمهور، حتى يتوجه علينا تشنيع اهل الاديان والمجوس بأن آدم كيف ينكح بعضه بعضاً، وحينئذ فوجه التسمية كونها اما للاحيا كما قيل، وعلى التقديرين صارت اضلاع الرجل ناقصة عن اضلاع المرأة بواحدة.

روى محمد بن قيس عن الباقر عليه السلام قال ان شريحاً القاضي بينما هو في مجلس القضا اذ أتته امرأة فقالت ايها القاضي اقضِ بيني وبين خصمي، قال لها من خصمك قالت انت قال افرجوا لها فافرجوا لها فدخلت، فقال لها وما ظلامتك فقالت ان لي ما للرجال وما للنساء قال شريح فان امير المؤمنين عليه السلام يقضي على المبال، قالت فاني ابول بهما جميعاً ويسكنان معاً، قال شريح والله ما سمعت بأعجب من هذا قالت ساورد عليك من امري ما هو اعجب من هذا قال وما هو

قالت جامعني زوجي فولدت منه وجامعت جاريتي فولدت مني فضرب شريح احدى يديه على الاخرى متعجباً ثم جاء الى امير المؤمنين عليه السلام فقال يا امير المؤمنين لقد ورد عليّ شيء ما سمعت بأعجب منه ثم قصّ عليه قصة المرأة فسألها امير المؤمنين عليه السلام عن ذلك فقالت هو كما ذكر فقال عليه السلام لها ومن زوجك قالت فلان فبعث اليه فدعاه، قال أتعرف هذه قال نعم هي زوجتي فسأله عمار قالت قال هو كذلك فقال عليه السلام لأنت اجرأ من خاصي الاسد[1] حيث تقدم عليها بهذه الحال، ثم قال يا قنبر ادخلها بيتاً مع امرأة تعدّ اضلاعها، فقال زوجها يا امير المؤمنين لا امن عليها رجلاً ولا ائتمن عليها امرأة فقال علي عليه السلام عليّ بدينار الخصي، وكان من صالحي اهل الكوفة وكان يثق به فقال له يا دينار ادخلها بيتاً، وعرّها من ثيابها ومرها ان تشدّ ميزراً وعدّ اضلاعها، ففعل دينار ذلك وكان اضلاعها سبعة عشر، تسعة في اليمين وثمانية في اليسار فالبسها عليه السلام ثياب الرجال والقلنسوة والنعلين والقى عليه الرداء والحلقه بالرجال، فقال زوجها يا امير المؤمنين بنت عمي قد ولدت مني تلحقها بالرجال، فقال اني حكمت عليها بحكم الله ان الله تبارك وتعالى خلق حوى من ضلع آدم الايسر الاقصى، واضلاع الرجال تنقص واضلاع النساء تمام.

وبالجملة لما خلق حوى تولّى تزويجها من آدم، وفي الحديث ان الله تعالى لم يتولّ تزويج أحد من النساء سوى حوى من آدم وزينب بنت جحش من رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها، وفاطمة من علي بن ابي طالب عليه السلام كما تقدم فاسكنهما الجنة واخرج عنهما عزازيل وسمّاه الشيطان، فنونه ان كانت اصلية كان من الشطن أي البعد لانه بعد عن الخير الذي كان فيه أو من الحبل الطويل، كأنه طال في الشروان جعلتها زائدة كان من شاط يشيط اذا هلك، أو من استشاط غضباً اذا التهب في غضبه وسمّاه ايضاً ابليس من الابلاس وهو التحيّر والدهشة، لتحيّره في امره فأخرجه الملائكة من الجنة وبقى آدم وزوجته فأباح لهما كل الجنة الا شجرة واحدة، اما بالنوع او الشخص فقيل هي الحنطة وقيل التين وقيل العنب الى غير ذلك وقال الصادق عليه السلام كل هذا حقّ لان شجرة الجنة لثمارها الف طعم ففيها من كل نوع طعم وفي حديث آخر ان شجرة الجنة تحمل انواعاً كثيرة، فالتعدد يكون باعتبار الحمل لا باعتبار الطعم.

روى الصدوق في عيون الاخبار مسنداً الى الهروي قال قلت للرضا عليه السلام يا ابن رسول الله اخبرني عن الشجرة التي اكل منها آدم وحوى، ما كانت فقد اختلف الناس فيها فمنهم من يروي انها الحنطة ومنهم من يروي انها العنب ومنهم من يروي انها شجرة الحسد فقال كل ذلك حق فقلت فما معنى هذه الوجوه على اختلافها، فقال يا ابا الصلت ان شجرة الجنة تحمل انواعاً

(١) في اكثر نسخ الحديث: لانت اجرا من راكب الاسد.

وكانت شجرة الحنطة وفيها وليست كشجرة الدنيا وان آدم عليه السلام لما اكرمه الله تعالى ذكره باسجاد الملائكة له وبادخال الجنة قال في نفسه هل خلق الله بشراً افضل مني، فعلم الله عز وجل ما وقع في نفسه فناداه ارفع رأسك يا آدم فانظر الى ساق العرش، فرفع آدم رأسه فنظر الى ساق العرش فوجد عليه مكتوباً لا اله الا الله محمد رسول الله علي بن ابي طالب امير المؤمنين وزوجته فاطمة سيدة نساء العالمين والحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة من الخلق اجمعين، فقال آدم يا رب من هؤلاء فقال عز وجل هؤلاء من ذريتك وهم خير منك ومن جميع خلقي ولولاهم ما خلقتك ولا خلقت الجنة ولا النار ولا السماء والارض فأياك ان تنظر اليهم بعين الحسد وتمني منزلتهم فنظر اليهم بعين الحسد وتمنى منزلتهم فتسلط عليه الشيطان حتى أكل من الشجرة التي نهى عنها وتسلط على حوى لنظرها الى فاطمة بعين الحسد حتى اكلت من الشجرة كما أكل آدم فأخرجهما الله عز وجل من جنته واهبطهما من جواره الى الارض.

فان قلت ما وجه الحكمة في نهي آدم عليه السلام عن الشجرة قلت قد ورد في حديث معتبر ان هذه الشجرة شجرة غرسها الله تعالى بيد قدرته لما خلق الجنة، وجعلها لعلي بن ابي طالب عليه السلام وشيعته، بأن لا يأكل احد قبله منها كما هو المتعارف في بعض الاقطار من ان احداً اذا احدث بستاناً وغرس فيه الشجر يغرس شجرة واحدة من احسن الشجر ثمراً ويخصها باسم حبيب له، ويقول هذه لفلان لا يأكل احد منها الا هو وينهى المتردين الى ذلك البستان عن تناول شيء منها ومن ثم قال بعض الاصوليين ان آدم عليه السلام لم يصدر منه الخطأ وانما صدر منه الغلط فسماه الله تعالى خطاء اذ كان اللازم عليه الفحص والسؤال عن حال الاكل (الكل خ ل)وذلك انه تعالى قال لهما ولا تقربا هذه الشجرة، فظنا انه تعالى انما اراد الشجرة المشار اليها لا نوعها فأكلا من ذلك النوع ولكن غير الشجرة المشار اليها، ويبعد هذا قول الشيطان لهما ان الله لم ينهكما عن هذه الشجرة الا لان كل من اكل منها كان ملكاً خالداً في الجنة وهو لا يريد لكما الخلود فتوصل الشيطان الى ايقاعهما فيما نهيا عنه وذلك بسبب الحية كما في بعض الروايات.

وذلك ان الشيطان لما اخرج من الجنة لم يقدر على الدخول اليها فأتى الى جدار الجنة ورأى الحية على أعلى الجدار، فقال لها ادخليني الجنة واعلمك الاسم الاعظم فقالت له ان الملائكة تحرس الجنة فيرونك فقال لها ادخل في فمك واطبقي عليَ حتى ادخل ففعلت ومن ثم صار السم في انيابها وفمها لمكان جلوس الشيطان فيه، فلما ادخلته قالت له اين الاسم الاعظم فقال لو كنت اعلمه لما احتجت اليك في الدخول فأتى آدم فوسوس له وأقسم له بالنصيحة فلم يطعه وأتى الى حوى وقال لها هذه شجرة الخلد، واقسم لهما ولم يعهدا قبل ان احداً يقدر على ان يقسم بالله كاذباً، فأتت حوى الى آدم فصارت عوناً للشيطان عليه فقام آدم عليه السلام معها الى الاكل

من الشجرة فكانت اول قدم مشت الى الخطيئة فلما مدّا ايديهما اليها تطاير ما عليهما من الحلي والحلل وبقيا عريانيين فأخذا من ورق التين فوضعها على عورتيهما فتطاير الورق فوضع آدم احدى يديه على عورته والاخر على رأسه كما هو شأن العراة ومن ثم امر بالوضوء على هذه الهيئة.

روى الصدوق طاب ثراه انه جاء نفر من اليهود الى رسول الله ﷺ فسألوه عن مسائل فكان فيما سألوه اخبرنا يا محمد لاي علّة توضئ هذه الجوارح الاربع وهي انظف المواضع في الجسد قال النبي ﷺ لما ان وسوس الشيطان الى آدم عليه السلام دنى من الشجرة فنظر اليها فذهب ماء وجهه ثم قام ومشى اليها وهي اول قدم مشت الى الخطيئة ثم تناول بيده منها ما عليها فأكل فطار الحلي والحلل عن جسده فوضع آدم يده على أم رأسه وبكى فلما تاب الله عز وجل عليه فرض عليه وعلى ذريته تطهير هذه الجوارح الاربع فأمره الله عز وجل بغسل الوجه لما نظر الى الشجرة وامره بغسل اليدين الى المرفقين لما تناول بهما وامره بمسح الرأس لما وضع يده على ام رأسه وامره بمسح القدمين لما مشى بهما الى الخطيئة.

وهذه العلة لا تنافي ما روى عن الرضا عليه السلام من ان العلة في توضئ هذه الجوارح هو كونها الاعضاء الظاهرة التي يواجه بها الله سبحانه حال الصلوة ويلاقي بها الكرام الكاتبين لان علل الشرع معرفات لا مؤثرات فيجوز اجتماعها على المدلول الواحد ثم ان آدم عليه السلام وحوى انزلا من السموات على جبل في شرقي الهند يقال له ياسم، وفي رواية أخرى سرانديب وهو في الاقليم الاول مما يلي معدّل النهار، وقد كانت حوى ضفرت رأسها فقالت ما اصنع بهذه الضفرة وانا مغضوب عليّ ثم انها حلّت ضفرتها، وفي خبر آخر انها حلّت عقيصة واحدة فأطارت الريح ذلك الطيب في بلاد الهند فمن ثم كان اكثر الطيب منه ثم أتى جبرئيل عليه السلام فأخذ آدم الى مكة ليعلمه المناسك فطوى له الارض فصار موضع قدميه عمران وما بينهما خراب، فأهبط آدم على الصفا وبه سمي لهبوط صفي الله عليه، وحوى على المروة وبه سميت لنزول المرأة وهي حوى عليه، فبكى آدم على ما وقع منه وعلى فراق الجنة ثلثمائة سنة من ايام الدنيا، وفي ايام الاخرة يوم كألف سنة ما بين العصر الى العشا وبكى حتى صار على خدّيه كالنهرين فخرج من عينه اليمنى دموع مثل دجلة ومن عينه اليسرى مثل الفرات ثم ان آدم وحوى يوم الثامن من شهر ذي الحجة فلم يعرفها ذلك اليوم لشعث احوالهما ولطول حزنهما فتروّى وتفكر ذلك اليوم ثم أنه عرفها يوم التاسع فمن ثم سميَ اليوم الثامن يوم التروية والتاسع يوم عرفة، ولا ينافي هذا الوجه ما روى من ان الوجه فيه هو ان ابراهيم عليه السلام رأى في تلك الليلة التي رأى فيها ذبح الولد رؤياه فأصبح يروي

في نفسه هو حلم أم من الله تعالى فسمي يوم التروية فلما كان يوم عرفة رأى ذلك ايضاً فعرف أنه من الله فسمى يوم عرفة.

وعن الصادق عليه السلام قال معاوية بن عمار سألته لم سمي عرفات فقال ان جبرئيل خرج بابراهيم عليهما السلام يوم عرفة فلما زالت الشمس قال له جبرئيل عليه السلام يا ابراهيم اعترف بذنبك واعرف مناسكك فسميت عرفات لقول جبرئيل عليه السلام اعترف وفي رواية أخرى ان آدم عليه السلام لما كان في الجنة نظر يوماً الى ساق العرش وكان اليوم الثامن فرأى سطوراً من نور فيها اسم محمد وأهل بيته صلوات الله عليهم فتروى ليعرفهم فلما كان الغد وهو اليوم التاسع عرّفه الله مراتبهم وانه لولاهم لم يخلقه ولا غيره فسميَ يوم عرفة ولما لم تقبل توبته في تلك السنين والاعوام أتى اليه جبرئيل عليه السلام فقال يا آدم ادع الله بالاسماء التي رأيتها مكتوبة على ساق العرش بسطور النور، وقل اللهم بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والائمة ان تقبل توبتي، وهنّ الكلمات المرادة من قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه، كما هو في روايات العامة والخاصة، فأوحى الله اليه يا آدم لو لم تدعني بهذه الاسماء لما قبلت توبتك وأقسمت انه لم يدعني مذنب بها الا قبلت توبته، ووجه عدم المنافات ظاهرة مما عرفت من ان علل الشرع معرّفات.

وقيل سمي عرفة لارتفاعه على الارض مأخوذ من عرف الديك ويوم التروية لقولهم ترويتم ترويتم من الماء لان عرفات لم يكن بها ماء في تلك الاوقات ثم ان آدم عليه السلام لما نزل من الجنة ظهرت به شامة سوداء في وجهه من قرنه الى قدمه فطال حزنه وبكاؤه على ما ظهر به فأتى اليه جبرئيل عليه السلام فقال ما يبكيك يا آدم فقال من هذه الشامة التي ظهرت بي قال يا آدم قم فصلّ فهذا وقت الصلوة الاولى أي الظهر فصلاها فانحطت الشامة الى عنقه وجاء في وقت صلاة العصر فأمره فصلاها فانحطت الى سرته، وفي وقت الثالثة امره بها فانحطت الشامة الى ركبته وفي الرابعة صلاها فانحطت الى قدميه فصلّى الخامسة فخرج منها فحمد الله وأثنى عليه فقال جبرئيل عليه السلام يا آدم مثل ولدك في هذه الصلوات كمثلك في هذه الشامة من صلّى من ولدك في كل يوم وليلة خمس صلوات خرج من ذنوبه كما خرجت من هذه الشامة، ولما تاب في وقت المغرب امر بصلوة ثلاث ركعات لخطيئته وركعة لخطيئة حوى وركعة لتوبته ومن ثم فرضت صلاة المغرب كفّارة للذنوب وباعثا لقبول التوبة.

واما صلاة العصر فقد عرفت ان ذلك الوقت وقت معصية ابينا آدم فتكون صلوة ذلك الوقت كفّارة ايضاً لذنوبنا وذنب ابينا آدم عليه السلام ثم ان الله سبحانه لما قبل توبته اتاه جبرئيل بخيمة من خيام الجنة فوضعها له بمكة في موضع الكعبة، وتلك الخيمة من ياقوتة حمراء لها بابان شرقي وغربي من ذهب منصوبات معلّق فيها ثلاث قناديل من تبر الجنة تلتهب نوراً ونزل الركن وهو

ياقوتة بيضاء من ياقوت الجنة وكان كرسياً لآدم عليه السلام يجلس عليه وان خيمة آدم لم تزل في مكانها حتى قبضه الله تعالى ثم رفعه اليه وبنى بنو آدم في موضعها بيتاً من الطين والحجارة ولم يزل معموراً وأعتق من الغرق ولم يخر به (يجربه خ) حتى ان بعث الله تعالى ابراهيم عليه السلام، كذا في بعض الروايات اقول ولعل هذا هو البيت المعمور الذي رفعه الله سبحانه الى السماء الرابعة ثم بنى الكعبة موضعه .

وفي الروايات الخاصة ان الله سبحانه ارسل سحابة سوداء فظللت موضع البيت فأمر آدم ان يخط موضعها في الارض وهو الكعبة وكذلك مسجد منى، واما قبل آدم فقد حجّه الملائكة بألفي عام، واما الحرم ومقداره فقد روى عن المفضل انه سأل ابا عبد الله عليه السلام عن التحريف لاصحابنا ذات اليسار عن القبلة وعن السبب فيه، فقال ان الحجر الاسود لّما انزل به من الجنة ووضع في موضعه جعلوا نصاب الحرم[1] من حيث يلحقه النور نور الحجر فهي عن يمين الكعبة اربعة اميال، وعن يساره ثمانية اميال كله اثنى عشر ميلاً فاذا انحرف الانسان ذات اليمين خرج عن حدَ القبلة لقلَة انصاب الحرم واذا انحرف ذات اليسار لم يكن خارجاً عن حدّ القبلة، وسيأتي تحقيق الحجر في بعض الانوار السماوية ان شاء الله تعالى.

واما طول آدم عليه السلام لما نزل من الجنة فروى مسنداً الى مقاتل بن سليمان قال قلت لابي عبد الله عليه السلام كم طول ابينا آدم صلوات الله عليه حين أهبط الى الارض وكم كان طول حوى عليها السلام فقال وجدنا في كتاب علي عليه السلام ان الله تعالى لما اهبط آدم صلوات الله عليه وزوجته عليهما السلام الى الارض كان رجلاه على ثنية الصفا ورأسه دون افق السماء وانه شكى الى الله تعالى مما يصيبه من حر الشمس فصيّر طوله سبعين ذراعاً بذارعه وجعل طول حوى خمسة وثلاثين ذراعاً بذراعها والثنية على ما في النهاية العقبة أو الطريق العالي، وقيل اعلى المسيل في رأسه وقوله دون افق السماء أي قريباً منه ودونه والافاق النواحي.

واعلم ان المحققين من اصحابنا المتأخرين قد اوردوا الاشكال على هذا الحديث من وجهين، ومن هذاعدَ عندهم من مشكلات الاخبار وحاصل الاشكال الاول هو انه قد تقرر في علم الهيئة والفلك ان حرارة الشمس انما هو بسبب الانعكاس من الاجرام الارضية وقد ذكروا ان الانعكاس يبلغ في الهوى الى مقدار اربعة فراسخ، وكلما ارتفعت الاجرام من الارض ازدادت برودة كما هو المشاهد في الجبال الشاهقة فكيف يصير قصر القامة سبباً في رفع التأذي من جهة

---

(١) النصب بضمتين حجر كانوا ينصبونه في الجاهلية ويتخذونه صنما ويعبدونه والجمع انصاب وقيل هو حجر كانوا ينصبونه ويذبحونه عليه فيحمر بالدم انظر مجمع البحرين مادة (نصب).

الحر بل يكون الامر بالعكس واما الاشكال الثاني فهو ان كون آدم عليه السلام سبعين ذراعاً بذراعه يستلزم عدم استواء الخلقة منه كما هو المشاهد في اولاده لان تناسب الاعضاء شرط في استوائها.

والجواب عن الاشكال الاول من وجهين احدهما انه يجوز ان سلّمنا القاعدة الرياضية ان يكون للشمس حرارة بالانعكاس وأخرى بالذات فوق الطبقة الزمهريرية ويكون طول قامة آدم عليه السلام متجاوزاً تلك الطبقة كما رواه الصدوق (ره) بسند صحيح عن الصادق عليه السلام قال لما بكى آدم صلوات الله عليه على الجنة وكان رأسه في باب من ابواب السماء وكان يتأذى بالشمس فحطّ من قامته، ويؤيده ما روى من ان عوج بن عنق كان يضرب يده فيأخذ الحوت من اسفل البحر ثم يرفعه الى الشمس فيشويه في حر الشمس فيأكله وكان عمره ثلاثة آلاف وستة مأة سنة، وروى انه لما اراد نوح ان يركب السفينة جاء اليه عوج فقال له احملني معك، فقال نوح اني لم اومر بذلك فبلغ الماء اليه وما جاوز ركبتيه وبقى الى ايام موسى عليه السلام فقتله موسى ويؤكد ما نحن فيه ما روى ان الشمس يوم القيامة تنزل حتى تسامت رؤس الخلائق فيكون حرارة القيامة منها، ويحتاج الخلائق الى الظ، ويكون الحرارة م قرصها كما هو الظاهر من تلك الاخبار الوجه الثاني ان تأذيه يجوز ان يكون السبب فيه انه مع ما كان عليه من الطول ما كان يمكنه ان يستظل ببناء ولا جبل ولا غير ذلك فلما قصر امكنه الاستظلال بالاظلة وهو ظاهر.

واما الجواب عن الاشكال الثاني فمن وجوه: الاول وهو الاولى ان استواء الخلقة وعدمه ليس منحصراً فيما هو معهود في هذه الاعصار بل استواء الخلقة في كل عصر بما يليق بذلك العصر وآدم عليه السلام لم يكن في مثل هذه الاعصار حتى نحل تقصيره باستواء خلقته بل لو كنا نحن في عصره على هذه الخلقة لظهر عدم استواء خلقتنا نحن وكذلك فيما بعده من الاعصار التي كانت الخلائق فيها اطول واجسم وأقوى، كما روى ان موسى عليه السلام أرسل الى العمالقة اثنى عشر نقيباً للفحص عن حالهم فظفر بهم واحد من العمالقة وادخل الاثنى عشر في ناحية من ردن[١] ثوبه وأتى به الى ملكهم فلم يقتلهم بل ارسلهم الى موسى عليه السلام فأمر لهم بزاد للطريق وهو رمانة واحدة نصفها خال من الحب والاخر فيه حب وذاك الخالي كالغطا فوق النصف الاخر فكان الاثنى عشر رجلاً ينامون الليل في النصف الخالي وفي النهار يجعلونه فوق النصف الذي يأكلون من حبّه وتحمله البقر معهم وكذا يدلّ على هذا المعنى ما استفاض في الاخبار من صفات حور العين من ان لبعضهن سبعين الف ذوابة كل ذوابة تحملها سبعون الف خادمة، وكذا في جانب عظم البدن والاعظاء مع ان اهل الجنة على اكمل الاوصاف في كل باب.

---

(١) الردن اصل الكم وطرفه الواسع وكانت العرب تضع فيه الدراهم والدنانير ومنه ثقل ردنه أي كثر ماله جمع ارادن.

الوجه الثاني ان الباء في قوله بذارعها وبذراعه باء المصاحبة ومعناه انه كما قصر طوله قصر ذراعه ايضاً وخصّ الذراع لان الاعضاء داخله في تقصير البدن بخلاف الذراع وحينئذ فالمراد بالذراع في قوله سبعين ذراعاً إما ذراع من كان في عصر آدم أو ذراع من كان في زمان من صدر عنه الخبر الثالث ان في الكلام استخداماً بأن يكون المراد بآدم حين ارجاع الضمير اليه آدم ذلك الزمان من اولاده عليه السلام وقد نقل هذا عن شيخنا البهائي طاب ثراه وقد قيل وجوه أخرى كثيرة لكنها تشتمل على انواع من البعد والتعسف وقد حررناها في كتاب نوادر الاخبار.

فان قلت مذهبكم ايها الامامية هو عدم جواز الذنب على الانبياء صغائرها وكبائرها قبل البعثة وبعدها فكيف صدر من آدم عليه السلام مخالفة الامر وكيف نعت عليه هذه الزلّة (الذلة خ ل) في آيات من القرآن قلنا قد صنَّف اصحابنا رضوان الله عليهم في هذا الباب كتباً كثيرة ومن جملتهم سيدنا المرتضى في كتاب تنزيه الانبياء ولكن كشف الغطاء عن مثل هذه الغوامض لا يقع بمحلّ من القبول الا اذا صدر عن الائمة عليهم السلام وقد روى هذا الكشف عن الرضا عليه السلام رواه الصدوق (ره) باسناده الى الهروي قال لما جمع المأمون لعلي بن موسى الرضا عليه السلام أهل المقالات من اهل الاسلام والديانات من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين وسائر اهل المقالات فلم يقدم احد الا وقد الزمه حجته كأنه قد القم حجراً فقام اليه علي بن الجهم فقال له يا ابن رسول الله أتقول بعضمة الانبياء قال بلى قال فما تقول في قوله عز وجل وعصى آدم ربه فغوى وقوله عز وجل وذا النون اذ ذهب مغاضباً فظن ان لن نقدر عليه وقوله في يوسف ولقد همّت له وهمّ بها لولا ان رأى برهان ربه وقوله عز وجل في داود وظن داود انما فتناه، وقوله في نبيه صلى الله عليه وآله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه، فقال مولانا الرضا عليه السلام ويحك يا علي اتقّ الله ولا تنسب الى انبياء الله الفواحش ولا تتأول كتاب الله برأيك فان الله عز وجل يقول وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم.

واما قوله عز وجل في آدم وعصى آدم ربه فغوى، فأن الله عز وجل خلق آدم حجة في ارضه وخليفة في بلاده لم يخلقه للجنة وكانت المعصية من آدم في الجنة لا في الارض لتتم مقادير الله عز وجل فلما اهبط الى الارض وجعل حجة وخليفة عصم بقوله عز وجل ان الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين، واما قوله عز وجل وذا النون اذ ذهب مغاضباً فظن ان لن نقدر عليه، انما ظن ان الله عز وجل لا يضيق عليه رزقه الا تسمع قول الله عز وجل واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه أي ضيّق عليه ولو ظن ان الله تبارك وتعالى لا يقدر عليه لكان قد كفر، واما قوله عز وجل في يوسف ولقد همّت به وهم بها، فأنها همّت بالمعصية وهمّ يوسف

بقتلها ان جبرته لعظم ما داخله فصرف الله عنه قتلها والفاحشة وهو قول الله عز وجل كذلك لنصرف عنه السوء يعني القتل والفحشاء يعني الزنا.

واما داود فما يقول من قبلكم فيه فقال علي بن الجهم يقولون ان داود كان في محرابه يصلي اذ تصوَر له ابليس على صورة طير احسن ما يكون من الطيور فقطع صلوته فقام ليأخذ الطير فخرج الطير الى الدار فخرج في اثره فطار الطير الى السطح فصعد في طلبه فسقط الطير في دار اوريا بن حنان فطلع داود في اثر الطير فاذا امرأة اوريا تغتسل فلما نظر اليها هواها وكان اوريا قد اخرجه داود في بعض غزواته فكتب الى صاحبه ان قدّم اوريا امام الحرب فقدّم فظفر اوريا بالمشركين فصعب ذلك على داود، فكتب الثانية ان قدّمه امام التابوت فقدمه فقتل اوريا وتزوج داود بامرأته قال فضرب الرضا عليه السلام بيده جبهته وقال انا لله وانا اليه راجعون لقد نسبتم نبياً من انبياء الله تعالى الى التهاون بصلوته حتى خرج في اثر الطير ثم بالفاحشة ثم بالقتل فقال يا ابن رسول الله ما كانت خطيئته فقال ويحك ان داود انما ظن ان ما خلق الله عز وجل خلقاً هو اعظم منه فبعث الله عز وجل اليه ملكين فتسوّرا المحراب فقالا خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط، ان هذا اخي له تسع وتسعين نعجة ولي نعجة واحدة فقال اكفلنيها وعزني في الخطاب، فعجّل داود عليه السلام بالمدعى عليه فقال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه ولم يسأل المدعي البينة على ذلك ولم يقبل على المدعي عليه فيقول ما تقول فهذا خطيئة حكمه لا ما ذهبتم اما تسمع قول الله عز وجل يقول يا داود انا جعلناك خليفة في الارض الاية. فقلت يا ابن رسول الله فما قصته مع اوريا فقال الرضا عليه السلام ان المرأة في ايام داود كانت اذا مات بعلها او قتل لا تتزوج بعده ابداً واول من اباح الله عز وجل له ان يتزوج بامرأة قتل بعلها داود فذلك الذي شقّ على اوريا.

واما محمد نبيه صلى الله عليه وآله وقوله عز وجل وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه فان الله عز وجل اعلم نبيه صلى الله عليه وآله اسماء ازواجه في دار الدنيا واسماء ازواجه في الاخرة وانهن امهات المؤمنين واحدى من سمّى له زينب بنت جحش وهي يومئذ تحت زيد بن حارثة فأخفى صلى الله عليه وآله اسمها في نفسه ولم يبدها لهم كي لا يقول احد من المنافقين انه قال في امرأة في بيت رجل انها احدى ازواجه من امهات المؤمنين، وخشى قول المنافقين فقال الله عز وجل والله احق ان تخشاه في نفسك، قال فبكى علي بن الجهم وقال يا ابن رسول الله انا تائب الى عز وجل ان انطق في انبياء الله بعد يومي هذا الا بما ذكرته.

اقول لعلك تقول أنه قد ورد في احاديث الشيعة ما تقوله المخالفون في الانبياء عليهم السلام من وقوع المعاصي ومثل هذه الامور التي نفاها الرضا عليه السلام في هذا الحديث والجواب ان كل

ما ورد من ذلك فسبيله الحمل على التقية وقد روى علي بن الجهم حديثاً طويلاً عن الرضا عليه السلام ايضاً وفيه نوع مغايرة لهذه الاجوبة وزيادات في السؤال والجواب، منها قول المأمون فأخبرني عن قول الله تعالى ولقد همت به وهمّ بها لولا ان رأى برهان ربه، فقال الرضا عليه السلام لقد همت به ولولا ان رأى برهان ربه لهمّ بها كما همت به لكنه كان معصوماً والمعصوم لا يهمّ بذنب ولا يأتيه، فقال المأمون لله درك يا ابا الحسن فأخبرني عن قول الله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال الرضا عليه السلام لم يكن أحد عند مشكري مكة اعظم ذنباً من رسول الله صلى الله عليه وآله لانهم كانوا يعبدون من دون الله ثلثمائة وستين صنماً، فلما جائهم صلى الله عليه وآله بالدعوة الى كلمة الاخلاص كبر ذلك عليهم وعظم، وقالوا أجعل الالهة إلهاً واحداً ان هذا لشيء عجاب فلما فتح الله على نبيه صلى الله عليه وآله مكةّ قال يا محمد إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر عند مشركي اهل مكة بدعائك الى توحيد الله فيما تقدم وما تأخر، فقال المأمون لقد شفيت صدري يا ابن رسول الله واوضحت لي ما كان ملتبساً فجزاك الله عن انبيائه وعن الاسلام خيراً.

وحاصل جوابه عليه السلام هيهنا عن حكاية يوسف جواب الشرط محذوف، والتقدير لولا ان رأى برهان ربه لهمَ بها كما همّت به لكنه رأى البرهان فلم يهمَ بها والبرهان هو الالطاف الالهية والتوفيقات السبحانية، ويجوز ان يكون كلامه عليه السلام اشارة الى ان الجواب مقدّم على الجزاء كما ذهب اليه بعضهم لكن المحققون على عدم جوازه فمن ثمّ كان الاول هو الاولى، وحاصل الجواب عن مقدمة كون فتح مكة سبباً لغفران الذنب ما ذكره اصحاب السير انّ المشركين كانوا يقولون ان مكن الله محمداً من بيته وحكمّه في حرمه تبيّنا انه نبي حق، فلما يسّر له فتح مكة دخلوا في دين الله افواجا واذعنوا بنبوته كما نطق به الكتاب العزيز، وزال انكارهم عليه في الدعوة الى ترك عبادة الاصنام، وصار ذنبه مغفوراً كما قررّه الامام عليه السلام وقد اجاب المفسرون عن هذه الشبهات بأجوبة لا يخلو بعضها من تكلّف لكن الجواب الاصح هو ما صدر عن ارباب العصمة عليهم السلام وقد يظهر من تعمق النظر في الاخبار وتتبع كتب خواص الائمة الاطهار عليهم السلام جواب عن هذه الشبهات كلها، ولكن فيه نوع دقة.

وحاصله ان الله سبحانه قد اسمع الشيطان اولاً ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وكذا اعترف الشيطان ايضاً بتصديق هذا المعنى، حيث قال لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين وآدم ومن تلاه من الانبياء عباد مخلصون مطهّرون منزّهون فالشيطان ليس له عليهم تسلط، ولكن الله سبحانه يحب تضرع العباد اليه وبكائهم من خشيته، وهذه المحبة تتفاوت بتفاوت مراتب العباد واكملهم الانبياء عليهم السلام، وكلّ امر يحتاج الى سبب وداع حتى يكمل ذلك السبب فهو سبحانه قد يترك احدهم مع نفسه البشرية لحظة واحدة فيحصل معه بمقتضى الطبيعة البشرية فعل

الى الله سبحانه لاشتغالك بالملك فاشتق لك اسم من السلامة من التودد والمداواة وارجوا ان تلحق بأبيك في التوبة والفراغ لعبادة الله سبحانه.

كما روى ان سليمان عليه السلام رأى عصفوراً يقول لعصفورته لم تمنعيني نفسك ولو شئت أخذت قبَة سليمان بمنقاري فألقيتها في البحر، فتبسّم سليمان من كلامه ثم دعا بها فقال للعصفور أتطيق أن تفعل ذلك فقال لا يا رسول الله ولكن المرء قد يزيّن نفسه ويعظمها عند زوجته، والمحبَ لا يلام على ما يقول، فقال سليمان للعصفورة لم تمنعينه من نفسك وهو يحبّك فقال يا نبي الله انه ليس محباً ولكنه محب مدّع لانه يحب معي غيري فأثر كلام العصفور في قلب سليمان وبكى بكاء شديداً واحتجب عن الناس اربعين يوماً يدعو الله ان يفرغ قلبه بمحبته وان لا يخالطها بحبة غيره .

وروى ايضاً انه عليه السلام مرّ يوماً بعصفور يقول لزوجته ادني مني حتى اجامعك لعل الله يرزقنا ولداً يذكر الله تعالى فإنّا قد كبرنا فتعجب سليمان عليه السلام وقال هذه النيّة خير من مملكتي، ويجوز ان يكون معناه على هذا التقدير ان الحرف الزايد في اسمك للدلالة على الجرح الزائد في قلبك، فان الذنب في القلب كالاصبع الزايدة فهذه الزيادة اللفظية دالة على تلك الزيادة المعنوية.

التوجيه الثاني ان يكون المعنى على ذلك الى قوله وانت سليمان وحاصله ان داود صدرت منه زلَة داواها بالتودد والتوبة فاشتق له منها اسم وانت سليمان أي سليم انت من ذلك الذنب فلهذا سميت به اشتقاقاً من السلامة وان زيادة ذلك الحرف يدلّ على زيادة معنى فيك وهو السلامة من الذنب فقولها وارجوا ان تلحق بابيك أي في الجلالة وعظم الشأن فانه بالتوبة عرج معارج السابقين وسليمان عليه السلام بسبب الاشتغال بالملك قد قصر عنه.

والحاصل ان صدور مثل هذا من الانبياء عليهم السلام انما هو لنيل الكرامات الحاصلة بسبب التوبة فانه قد روى ان من علامات المؤمن انه مفتن تواب وروى انه لو لم يصدر منكم الذنب فالتوبة لاماتكم الله وخلق بدلكم اقواماً يذنبون ثم يتوبون وفي الحديث ان الله افرح بتوبة المؤمن من رجل كان في مفازة مع رفقة في ليل اظلم، فلما اقاموا للركوب ضلَ بعيره في ذلك الليل فطلبه فلم يجده وارتحل عنه رفقاؤه، وبقى في تلك المفازة وحده في ذلك الليل والمفازة ليس فيها زاد ولا ماء فلما ايس من البعير اتى الى محله وجلس واضعاً رأسه بين ركبتيه منتظراً للسبع او الموت، فما لبث الا وقد اتى اليه رجل بذلك البعير فقال له اركب حتى ابلغك الى رفقائك فيدخله ذلك الوقت من السرور ما لا يحصى فالله سبحانه افرح بتوبة المؤمن من ذلك الرجل، وفي عرف العوام ليس صحبة الا من بعد عتبه وهذا جار في التجارب كما لا يخفى على المتتبع اذا عرفت هذا.

فأعلم انه قد بقى الكلام في ادعية الائمة عليهم السلام واطوارهم واعترافهم بالذنوب وكثرة بكائهم عليها خصوصاً سيد الساجدين عليه السلام فان صحيفته الشريفة قد تضمنت استقالته من الذنوب وحزنه عليها ونحن قد تقرر باجماعنا ان الائمة عليهم السلام منزَهون عن انواع الذنوب فكيف صدر منهم هذه المقالات مع انه لم ينقل احد من المخالفين مع تكثرهم في كل الاعصار وتفحصهم على طعن عليهم بوجه من الوجوه يتعلقون به في التشنيع على مذهبنا وعلى الائمة عليهم الطاهرين الاسلام فلم يظفروا به فلم تنع عليهم زلة ولا ذكر فيهم من المساوئ شيء، وحينئذ فما وجه هذه الاعترافات منهم.

فنقول قد ذكرنا في شرحنا على الصحيفة وجوها كثيرة بعضها من محققي اصحابنا وبعضها من سوانح البال فلنذكر هنا بعضاً منها، الاول ما قاله بعض اهل العرفان من انَ مثل هذا انما هو تعليم منهم للامة كيف يتضرعون ويبكون على ذنوبهم وكيف يعترفون فان الانبياء عليهم السلام قبلهم كان مناط تبليغهم الرسالة على التنزل الى مكالمات البشر بمقتضى عقولهم، حتى انه صلى الله عليه وآله قال للحسين عليه السلام وهو طفل كخ كخ يا حسين لَمّا أخذ تمر من تمر الصدقة، ولا يخفى من هذا لمن تتبع اطوارهم عليهم السلام فان مدلول كلامهم في مناجاتهم انما هو صدره عن نار حزن كامنة في القلوب، وخوف قد احاط بمجامع اعضائهم مع امكان تعليم الامة مثل هذه التضرعات بالقول دون الفعل، وهذا الوجه هو الذي اختاره الغزالي في كتاب الاحياء بالنسبة الى ما صدر عن الانبياء عليهم السلام من الاعتراف بالذنب وكثرة البكاء والتضرع، وقد عرفت ما يرد عليه.

الوجه الثاني انهم عليهم السلام لما كانوا في هذه النشأة والانسان لا يخلو فيها اما من فعل مكروه أو ترك مستحب، وذلك كالصلوة في الثياب السود وكالنوم على جانب اليسار ونحو ذلك، فهم عليهم السلام قد عدَوا هذه ذنوباً وانقطعوا الى الله سبحانه من تبعاتها، والظاهر ان هذا ايضاً غير تامَ لانهم عليهم السلام اهل الشرع الانور، وقد كانوا يرتكبون مثل هذه الامور تعليماً للامة بجواز تلك الافعال، حيث انه قد ورد النهي عن فعل ذلك المكروه بذلك الفعل المستحب فربما ادَى فعل ذلك المكروه الى الوجوب عليهم كما لا يخفى.

الثالث ما ذهب اليه شيخنا المعاصر[١] ايده الله تعالى منان صدور هذا وامثاله منهم عليهم السلام ليس هو من باب الاخبار عن فعل سابق بل هو من قبيل التواضع الانشائي كقول علي بن الحسين عليهما السلام انا مثل الذرة او دونها، وكا يقال في العرف عند التواضع انا مقصر في خدمتك يا فلان وانا عبدك، وهذا الوجه له وجه في الجملة، وربما كان في الاخبار دلالة عليه.

---

(١) هو العلامة المجلسي المولى محمد باقر الاصفهاني الشهير صاحب بحار الانوار.

الرابع وهو الذي قاله صاحب كشف الغمة وتلقته الاصحاب بالقبول وحاصله انهم عليهم السلام اوقاتهم مستغرقة بذكره تعالى وخواطرهم متعلقة بالملك الاعلى وهم ابداً في المراقبة كما قال عليه السلام اعبد الله كأنك تراه فان لم تره (فان لم تكن ترا خ ل) فأنه يراك، فهم ابداً متوجهون اليه منقلبون بكليتهم عليه، فمتى انحطوا عن تلك المرتبة العالية والمنزلة الرفيعة الى الاشتغال بالمأكل والمشرب والتفرغ للنكاح وغيره من المباحات عدّوه ذنباً واستغفروا منه، الا ترى ان بعض عبيد ابناء الدنيا لو قعد يأكل ويشرب وينكح وهو يعلم انه بمرئ من سيده ومسمع لكان ملوماً عند الناس ومقصراً فيما يجب عليه من خدمة سيده ومالكهن فما ظنك بسيد السادات ومالك الاملاك والى هذا اشار صلى الله عليه وآله بقوله انه ليران على قلبي واني لاستغفر الله بالنهار سبعين مرة، وقوله حسنات الابرار سيئات المقربين فان قلوبهم عليهم السلام اتمّ القلوب صفاءاً واكثرها ضياءً واعرفها عرفانا وكانوا مع ذلك قد عيّنوا لترشيع الملّة فلم يكن لهم بدّ من النزول الى الرخص والالتفات الى حظوظ النفس مع ما كانوا ممتحنين به من الاحكام البشرية فكانوا اذا تعاطوا شيئاً من ذلك اسرعت كدورة ما الى قلوبهم لكمال رقّتها وفرط نورانيتها فان الشيء كلما كان ارق واصفى كان كدورات المكدرات عليه أبين وأهدى وكانوا عليهم السلام اذا أحسوا بشيء من ذلك عدّوه على النفس ذنباً واستغفروا منه وهذا الوجه جيّد.

الخامس ان مراتبهم عليهم السلام بالنسبة الى المعارف اليقينية والحقائق الالهية كانت تزداد يوماً بعد يوم، مثل جدهم صلى الله عليه وآله فانه سبحانه قد جمع له جميع الكمالات البشرية عند آخر عمره الشريف، وفي مدّة عمره كانت المعرفة والوحي يتجدد عليه فاذا ترقّوا من درجة الى درجة أعلى منها عدّوا تلك السابقة ذنباً الى هذه اللاحقة، وهذا سرّ لطيف يدرك بالتأمل.

السادس ان العبد الممكن المتلوث بشوائب العجز والتقصير قابل للتلبّس بجميع المعاصي لولا الالطاف الالهية وحينئذ فالاعتراف بالذنب انما بالنسبة الى المادة البشرية لا بالنظر الى العصمة الالهية فانها من غيرهم فهم على حدّ الذنب (المذنب خ ل) ولكن المانع من الغير وقد اشير الى هذا في قول الصديق عليه السلام ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي وما حكاه سبحانه (من خ) في شأن حبيبه صلى الله عليه وآله ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئاً قليلاً، وقوله صلى الله عليه وآله اللهم لا تكلني الى نفسي طرفة عين، فقالت له بعض زوجاته لو وكلّلك الى نفسك ما كنت تفعل يا رسول الله، قال كنت فاعلاً ما فعله اخي يونس بن متى.

وروى شيخنا الكليني طاب ثراه باسناده الى الباقر عليه السلام قال ان الله عز وجل اوحى الى داود عليه السلام ان آت عبدي دانيال، فقل له انك عصيتني فغفرت لك وعصيتني فغفرت لك وعصيتني فغفرت لك فان عصيتني الرابعة لم اغفر لك، فأتاه داود عليه السلام فقال يا دنيال انني رسول الله اليك،

وهو يقول انك عصيتني فغفرت لك وعصيتني فغفرت لك وعصيتني فغفرت لك فان عصيتني الرابعة لم اغفر لك، فقال له دانيال قد بلّغت يا نبي الله فلما كان في السحر قام دانيال فناجى ربه، فقال يا رب ان داود نبيك اخبرني عنك انني قد عصيتك فغفرت لي وعصيتك فغفرت لي وعصيتك فغفرت لي، واخبرني عنك اني ان عصيتك الرابعة لم تغفر لي فوعزتك وجلالك لئن لم تعصمني لاعصينك ثم لاعصينك ثم لاعصينك قالها خمساً، فهذا اعتراف من دانيال النبي عليه السلام بان المنع عن المعاصي انما هو من جهة الالطاف الالهية والعصمة الربانية، وقد كان بعض مشائخي ادام الله ايامه يعدّ هذا الوجه من الالهامات الربانية.

الوجه السابع وهو من الوجوه التي خطرت بالبال ان نعم الله سبحانه على العبد كلما كانت اكمل كان تكليفه اشد وهذا ظاهر ولا شك انه سبحانه قد اعطاهم من النعم ما لا يحدّ بحدّ، ومن ذلك انه اوجب طاعتهم على سائر مخلوقاته، وخلق لاجلهم الجنان والنيران كما قال عليه السلام لو اجتمع الناس على حب علي بن ابي طالب لما خلق الله النار فهم عليهم السلام يريدون ان يشكروا الله سبحانه الشكر اللائق به الموازي لانعامه عليهم فلا يقدرون عليه فيعدّون عدم القدرة ذنباً، كما روى ان النبي صلى الله عليه وآله بكى ذات ليلة بكاءاً كثيراً، فقالت زوجته ما يبكيك يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال صلى الله عليه وآله أفلا أكون عبداً شكورا، ولم لا افعل وقد انزل الله عليّ ان في خلق السموات الاية، ونظيره ما روى انه مرّ بعض الانبياء عليهم السلام بحجر صغير يخرج منه ماء كثير فتعجب فانطقه الله تعالى فقال منذ سمعت قوله تعالى وقودها الناس والحجارة انا ابكي من خوفه فسأله ان يجيره من النار فأجاره، ثم رآه بعد مدة مثل ذلك، فقال لم تبكي الان فقال ان ذاك بكاء الخوف وهذا بكاء الشكر والسرور.

الثامن انهم عليهم السلام ملوك الامة وساسة العباد والذنب الذي يصدر من الرعية ينسب الى كبيرهم والعامل عليهم فهم عليهم السلام قد عدّوا ذنوبنا ذنباً لهم كما روى في تفسير قوله تعالى ليغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ان المراد ذنب امتك وبقيت وجوه اخرى حررناها في الشرح المذكور من ارادها فليطلبها من هناك، وهذا كلام وقع في البين فلنرجع الى ما نحن فيه من مقدمات ابينا آدم عليه السلام .

وهو انه علمه جبرئيل عليه السلام مناسك الحج وطاف طواف النساء هو وزوجته قال له جبرئيل عليه السلام قد حلّت لك زوجتك يا آدم فضُمها اليك فضَمها اليه واما كيفية ابتداء النسل فرواه الصدوق (ره) باسناده الى زرارة قال سأل ابو عبد الله عليه السلام عن بدأ النسل من آدم صلوات الله عليه كيف كان وعن بدأ النسل من ذرية آدم فان اناساً عندنا يقولون ان الله تعالى اوحى الى آدم ان يزوج بناته من بنيه وان هذا الخلق كله اصله من الاخوة والاخوات، فمنع ابو عبد الله عليه السلام من ذلك

مكروه وترك مستحب حتى يكون منشاءاً لتحصيل الدرجات العليّة والتوفيقات الالهية كما جرى لادم عليه السلام حيث بكى على خطيئته ثلثمائة سنة فاصطفاه الله بسبب هذا وجعله صفيه، وكذا داود عليه السلام فقد ورد في الرواية ان داود عليه السلام بكى اربعين يوماً ساجداً لا يرفع رأسه حتى نبت المرعى من دموعه حتى غطى رأسه، فنودي يا داود أجائع أنت فتطعم أم ظمأن فتسقى، أم عريان فتكسى، فنحب نحبة هاج العود فاحترق من خوفه ثم انزل الله التوبة والمغفرة، فقال يا رب أجعل خطيئتي في كفي فصارت خطيئته في يده مكتوبة وكان لا يبسط كفّه لطعام ولا شراب ولا لغيرهما الا رأها فأبكته قال وكان يؤتى بالقدح ثلثاه ماء فاذا تناوله ابصر خطيئته فما يضعه على شفته حتى يفيض من دموعه.

وروى انه ما رفع رأسه الى السماء حتى مات حياءاً من الله تعالى، وكان يقول في مناجاته اذا ذكرت خطيئتي ضاقت عليَ الارض برحبها واذا تذكرت رحمتك ارتدت اليَ روحي سبحانك الهي اتيت اطباء عبادك ليداووا خطيئتي فكلهم يدلوني عليك فبؤساً للقانطين من رحمتك وكان اذا اراد ان ينوح مكث قبل ذلك سبعاً لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب، ولا يقرب النساء فاذا كان قبل ذلك بيوم أخرج له منبر الى البر فيأمر سليمان عليه السلام ان ينادي بصوت فيستقري البلاد ومن حولها من الغياض والاكام والجبال والبراري والصوامع والبيع فينادي فيها الا من اراد ان يسمع نوح داود فليأت فتأتي الوحوش من البراري والاكام وتأتي السباع من الغيايص وتأتي الهوَام من الجبال وتأتي الطير من الاوكار وتأتي العذارى من خدورهم حتى يرقى المنبر وكلَ صنف على حدته يحيطون به وسليمان عليه السلام قائم على رأسه فيأخذ في الثناء على ربه فيضجون بالبكاء والصراخ ثم يأخذ في ذكر الجنة فيموت الهوَام وطائفة من الوحوش والسباع والناس ثم يأخذ في اهوال القيامة وفي النياحة على نفسه فيموت من كل نوع طائفة فاذا رأى سليمان عليه السلام كثرة الموتى، قال يا ابتاه قد مزقت المستمعين كل ممزق وماتت طوائف من بني اسرائيل ومن الوحوش والهوَام فيأخذ في الدعاء فبينا هو كذلك اذ ناداه عبَاد بني اسرائيل يا داود عجّلت بطلب الجزاء على ربك، قال فخَر داود مغشياً عليه فلما نظر سليمان الى صاحبه وما اصابه اتى بسرير له فحمله عليه ثم امر منادياً ينادي الا من كان له مع داود حميم فليأت بسريره يحمله عليه فان الذين كانوا معه قد قتلهم ذكر الجنة والنار ثم اذا افاق داود دخل بيت عبادته.

وروى عن الصادق عليه السلام قال ان داود خرج ذات يوم يقرأ الزبور وكان اذا قرأ الزبور لا يبقى جبل ولا حجر ولا طائر ولا سبع الا جاوبه، فما زال يمرَ حتى انتهى الى جبل فاذا على ذلك الجبل نبي عابد يقال له حزقيل عليه السلام فلما سمع دوي الجبال واصوات السباع والطير علم انه داود عليه السلام، فقال صوت مذنب، فقال الله يا حزقيل لا تعيّر داود سلني العافية، فقام حزقيل فأخذ بيد

داود فرفعه اليه، فقال داود يا حزقيل هل هممت بخطيئة قطّ، قال لا قال فهل دخل العجب فيما انت فيه من عبادة الله قال لا قال فهل ركنت الى الدنيا فأحببت ان تأخذ بشهوتها ولذتها، قال بلى ربما عرض بقلبي قال فماذا تصنع اذا كان قال ادخل هذا الشعب فاتبر مما فيه قال فدخل داود النبي عليه السلام الشعب فاذا بسرير من حديد عليه جمجمة بالية، وعظام فانية فاذا لوح من حديد فيه كتابة فقرأها داود عليه السلام فاذا هي انا اروى شلم ملكت الف سنة وبنيت الف مدينة وافتضضت الف بكر فكان آخر عمري ان صار التراب فراشي والحجارة وسادتي والديدان والحيات جيراني فمن رأني فلا يغتر بالدنيا.

وكان الخليل عليه السلام اذا ذكر خطيئته يغشى عليه ويسمع اضطراب قلبه ميلا في ميل فيأتيه جبرئيل عليه السلام فيقول له الجبار يقرئك السلام ويقول هل رأيت خليلاً يخاف خليله فيقول يا جبرئيل اني اذا ذكرت خطيئتي نسيت خلّتي، ونحو هذا من اطوارهم عليهم السلام فهو سبحانه قد كان يحبَ ان يسمع مثل هذا منهم وعلى ما ذكر في توبة آدم ينزّل ما رواه الصدوق طاب ثراه في كتاب العلل في قول النملة لسليمان عليه السلام انت اكبر ام ابو قال سليمان عليه السلام بل ابي داود قالت النملة فلم زيد في حرف اسمك حرف على اسم ابيك قال سليمان ما لي بهذا علم، قالت النملة لان اباك داود داوى جرحه بودَ وأنت سليمان ارجوا ان تلحق بأبيك.

اقول هذا الحديث وهو حديث النملة عدَ من مشكلات الاخبار وقد تصدى لبيان معناه محققوا الاصحاب بوجوه كثيرة والذي يخطر بالبال في ايضاحه وجهان احدهما ان يكون المراد من قولها انت اكبر أم ابوك المراد بالكبر العظمة والشأن وكانت النملة عالمة بهذا لكن سألت عنه تمهيداً للجواب الاتي، فقال سليمان ان ابي اعظم مني فقالت ذا كان اعظم منك فلم زيد في حروف اسمك حرف مع ان زيادة المباني مما يدلَ على زيادة المعاني واسماء الانبياء عليهم السلام كلها مأخوذة من الوحي الالهي فيكون زيادة الحروف ونقصانها لا يخلو من حكمة وفايدة فقال سليمان عليه السلام لا ادري فقالت لان اباك داود لما صدرت منه الزلة التي نعيت عليه تاب الى الله وتودد اليه فاشتق له اسم من مجموع داوى جرحه بودّ فصار اسمه على ما ترى، واما أنت فقد نعيت عليك زلَة وهي ما حكاه في القرآن من قوله اني احببت حبّ الخير عن ذكر ربي حتى تواريت بالحجاب ردوها عليَ فطفق مسحاً بالسوق والاعناق، وحاصله ان الخيل وهي المراد من الخير قد عرضت علي سليمان ليراها فما استتم رؤيتها حتى توارت الشمس تحت حجابها فدعى سليمان عليه السلام ان يرد الله سبحانه الشمس له ليصلي فردّت الشمس عليه فشرع في الوضوء ومسح ساقه وعنقه كما هو الوضوء المأمور به في الشرع القديم فلم تداوها بالتوبة والتفزع (التفرّغ خ ل)

وقال نبئت ان بعض البهائم تنكرت له اخته فلما نزى عليها ونزل ثم علم انها اخته قبض على غرموله أي ذكره باسنانه حتى قطعه فخرَ ميتاً، وآخر تنكرت له امه ففعل هذا بعينه، فكيف الانسان في فضله وعلمه غير ان جيلاً من هذه الامة الذين يرون انهم رغبوا عن علم اهل بيوتات انبيائهم فأخذوه من حيث لم يؤمروا بأخذه فصاروا الى ما ترون من الضلال، وحقاً أقول ما اراد من يقول هذا وشبهه الا تقوية لحجج المجوس.

ثم أنشأ يحدثنا كيف كان بدء النسل فقال ان آدم صلوات الله عليه ولد له سبعون بطناً فلما قتل قابيل هابيل جزع جزعاً قطعه عن اتيان النساء فبقى لا يستطيع ان يغشى حوى خمسمائة سنة، ثم وهب الله له شيئاً وهو هبة الله وه اول وصي اولى اليه من بني آدم في الارض، ثم رواه بعد يافث فلما ادركا واراد الله ان يبلغ بالنسل ما ترون أنزل الله بعد العصر في يوم الخميس حوراء من الجنة اسمها نزلة فأمره الله ان يزوجها من شيث ثم انزل الله بعد العصر من الغد حوراء من الجنة اسمها منزلة فأمر الله عز وجل آدم ان يزوجها يافث فزوجها منه فولد لشيث غلام وولدت ليافث جارية فأمر الله عز وجل آدم عليه السلام حين ادركا ان يزوج ابنة يافث من ابن شيث ففعل فولد الصفوة من النبيين والمرسلين نسلهما، ومعاذ الله ان يكون لك على ما قالوه من الاخوة والاخوات ومناكحتهما والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة وما تضمنّه اول الحديث من قوله فان اناساً عندنا يقولون المراد بهم جمهور المخالفين فانهم قالوا ان حوى امرأة آدم كانت تلد في كل بطن غلاماً وجارية فولدت اول بطن قابيل وتوأمته اقليميا، والبطن الثاني هابيل وتوأمته ليوذا فلما ادركوا جميعاً امر الله تعالى ان يكنح قابيل اخت هابيل وهابيل اخت قابيل فرضى هابيل وابى قابيل لان اخته كانت حسناء، وقال ما امر الله سبحانه بهذا ولكن هذا من رأيك فأمرهما آدم ان يقربا قربانا فرضيا فانطلق هابيل الى افضل كبش في غنمه فقربه التماساً لوجه الله تعالى ومرضاة ابيه واما قابيل فانه قرّب الزوان الذي يبقى في البيدر الذي لا يستطيع البقر ان تدوسه فقرب ضغثا منه لا يريد به وجه الله تعالى ولا رضا ابيه فقبل الله قربان هابيل وأتت نار بيضاء من السماء فأخذته وردَ على قابيل قربانه فقال ابليس لقابيل انه يكون لهذا عقب يفتخرون على عقبك بان قبل قربان ابيهم فاقتله حتى لا يكون له عقب فقتله.

وهذه مقالة المخالفين وهي موافقة لمذاهب المجوس، فان المجوس كان لهم ملك فسكر ليلة فوقع على اخته وامه فلما أفاق ندم وشقّ ذلك عليه فقال للناس هذا حلال فامتنعوا عليه فجعل يقتلهم وحفر لهم الاخدود، وفي خبر آخر انه احتج لهم على جوازه باولاد آدم من انهم قد كانوا ينكحون اخواتهم فقبله جماعة وبقوا عليه الى الان ومن لم يقبله قتله، والعجب من صاحب روضة الشهداء كيف عوّل على هذا النقل من تزويج الاخوة الاخوات مع ورود الاخبار بخلافه،

واعجب منه شيخنا الطبرسي (ره) في كتاب مجمع البيان لم يذكر سوى مقالة المخالفين ولم يتعرض لهذه الاخبار بوجه مع انها من مرويات الصدوق (ره) وهو من المتقدمين، نعم روى هذا المعنى عن الباقر عليه السلام لكن الرواية محمولة على التقية قطعاً.

واما حكاية القربان فقد حكاه الله سبحانه في سورة المائدة حيث قال واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الاخبر قال لاقتلنك قال انما يتقبل اله من المتقين، وذلك لان الصدقة اذا لم يكن صاحبها ممن اتقى في تحصيلها او لم يخلص لله سبحانه حال دفعها لا تقع من محل القبول بشيء، كما روى (في الاحتجاج خ ل) عن الصادق عليه السلام انه قال ان اتبع هواه واعجب برأيه كان كرجل سمعت غثاء العامة تعظمه وتصفه فاحببت لقاءه من حيث لا يعرفني لانظر مقداره ومحله فرأيته في موضع قد احدق به خلق من غثاء العامة منتبذاً عنهم متلثماً انظر اليه واليهم فما زال يراوغهم حتى خالف طريقهم وفارقهم ولم يقرّ فتفرقت العوام عنه لحوائجهم وتبعته اقتفى اثره، فلم يلبث اذ مرّ بخباز فتغفله فأخذ من دكانه رغيفين مسارقة فعجبت منه، ثم قلت في نفسي لعله معاملة ثم مرّ بصاحب رمان فما زال به حتى تغفله فأخذ من عنده رمانتين مسارقة، فعجبت منه ثم قلت في نفسي لعله معاملة ثم اقول وما حاجته اذاً الى المسارقة ثم لم أزل ابتعه حتى مرّ بمريض فوضع الرغيفين والرمانتين بين يديه ومشى فتبعته حتى استقر في بقعة من الصحراء، فقلت له يا عبد الله لقد سمعت بك فأحببت لقاءك فلقيتك لكنني رأيت منك ما شغل قلبي، قال وما هو قال رأيتك مررت بخباز وسرقت منه رغيفين ثم بصاحب الرمان وسرقت منه رمانتين، قال فقال لي قبل كل شيء حدثني من انت قلت رجل من اهل بيت رسول الله، قال اين بلدك قلت المدينة، قال لعلك جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب قلت بلى قال فما ينفعك شرف اصلك مع جهلك بما شرفت به وتركك علم جدك وابيك، قلت ما هو قال القرآن كتاب الله قلت وما الذي جهلت منه، قال قول الله عز وجل من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها، واني سرقت الرغيفين كانت سيئتين ولما سرقت الرمانتين كانت سيئتين فهذه اربع سيئات فلما تصدقت بكل واحدة منها كانت اربعين حسنة فانقص من اربعين حسنة اربع سيئات يبقى لي ستة وثلاثون، قلت ثكلتك امك أنت الجاهل بكتاب الله اما سمعت الله عز وجل يقول انما يتقبل الله من المتقين، انك لما سرقت الرغيفين كانت سيئتين فلما دفعتهما الى غير صاحبهما بغير امر صاحبهما كنت انما اضفت اربع سيئات الى اربع سيئات، فجعل يلاحظني فانصرفت وتركته قال الصادق عليه السلام بمثل هذا التأويل القبيح المستنكر يضلّون ويضلّون.

وهذا نحو تأويل معاوية لعنه الله لما قتل عمار بن ياسر فارتعجت فرائص خلق كثير وقالوا قال رسول الله صلى الله عليه وآله عمار تقتله الفئة الباغية، فدخل عمرو على معاوية وقال يا امير المؤمنين قد هاج الناس واضطربوا، قال لماذا؟ قال قتل عمار قال معاوية قتل عمار فماذا، قال أليس قال رسول الله صلى الله عليه وآله عمار تقتله الفئة الباغية؟ فقال له معاوية دحضت[1] في قولك أنحن قتلناه انما قتله علي بن ابي طالب لما القاه بين رماحنا فاتصل ذلك بعلي بن ابي طالب عليه السلام فقال فاذاً رسول الله صلى الله عليه وآله هو الذي قتل حمزة لما القاه بين رماح المشركين.

وبالجملة فابتداء النسل على ما عرفته، نعم روى الصدوق طاب ثراه قال ان الله تبارك وتعالى انزل على آدم حوراء من الجنة فزوجها احد ابنيه وتزوج الاخر ابنة الجان فما كان في الناس من جمال كثير أو حسن خلق فهو من الحوراء وما كان منهم (فيهم) من سوء خلق فهو من ابنة الجان، ووجه الجمع بين هذا وما تقدم اما حمل هذين الولدين على غير يافث وشيث لكن لما اختلط النسل في المراتب اللاحقة سرى اخلاق ابنة الجان في ذراري آدم عليه السلام واما بأن يكون كل واحد من يافث وشيث قد زوج زوجتين وعلى التقادير كلها يستلزم بقاء بنات آدم بلا زواج الا ان يجوز تزويج العمات دون الاخوات، هذا حال الخليفة الاول وهو آدم عليه السلام وقد بقى له احوال سماوية وكذا لذريته فلنرجع الى احوال السماء حتى اذا فرغنا منها انتلقنا الى احوال الارض واهلها.

فان قلت ما معنى قولك ان آدم هو الخليفة الاول وكم الخلفاء بعده، قلت قد روى ان علياً عليه السلام كان يمشي مع النبي صلى الله عليه وآله في بعض شوارع المدينة واذا برجل اعرابي له لحية طويلة فسلّم وقال السلام عليك يا امير المؤمنين السلام عليك يا رابع الخلفاء ثم انه غاب عن اعينهم فقال النبي صلى الله عليه وآله أتدري يا علي معنى ما قال، هذا هو اخوك الخضر قال قال لا قال اما الخليفة الاول فهو ابوك آدم حيث قال تعالى واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة، واما الثاني فهو هارون حين قال له موسى فاخلفني في قومي واما الثالث فهو داود حيث قال تعالى يا داود انا جعلنا خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق واما الرابع فهو أنت يا علي فانك خليفتي من بعدي وقاضي ديني.

وسأل الصادق عليه السلام عن آدم وعلي عليهما السلام ايهما افضل فقال ان الله تعالى اباح الحنطة لعلي عليه السلام فلم يأكل منها تواضعاً لله تعالى حتى قبض، واما آدم فقد نهاه عنها فما لبث حتى أكل منها فاين علي من آدم ومن جهة خلق هذه الابدان من التراب السابق روى انه سأل جعفر بن محمد

---

(١) دحضت الحجة بطلت.

عليه السلام لِمَ صار الناس يكلبون ايام الغلا على الطعام ويزيد جوعهم على العادة في الرخص، قال لانهم بنوا من الارض فاذا قحطت قحطوا واذا خصبت خصبوا وحيث انّا نريد بيان عالم الذر واخذ الميثاق في عالمي الارواح والذر وكيفية احاديث الطينة وهذا كله مما يتوقف على الروح كما سيأتي فلا بأس بالكلام فيها والله الموفق للصواب.

نور روحاني

يكشف عن الروح وتوابعها

الروح جوهر درّاك يتعلق بالبدن لتدبيره، واعلم ان ارباب العلل قد اتفقوا على حدوث النفوس الناطقة اذ لا قديم عندهم الا الله لكنهم اختلفوا في انها هل تحدث مع حدوث البدن او قبله فقال بعضهم تحدث معه لقوله تعالى بعد تعداد اطوار البدن ثم انشأناه خلقا آخر، وقال بعضهم بل قبله لقوله صلى الله عليه وآله خلق الارواح قبل الاجساد بألفي عام، اقول الاخبار الدالة على ان الروح مخلوقة قبل البدن بالفي عام أو اكثر ما وردت به الاخبار مستفيضة بل متواترة حتى لا يبقى الريب في تقدمها.

وقوله صلى الله عليه وآله بألفي عام المراد به تقدمها على نوع البدن وان كان واحداً، وهو بدن ابينا آدم عليه السلام ول فكل روح بالنظر الى البدن التي خلقت له متقدمة عليه بآلاف من السنين كما لا يخفى، وقوله تعالى ثم انشأناه خلقا آخر المراد به افاضة النفس على البدن كما هو المصرح به في كلام الصادقين عليهم السلام.

واما الحكماء فانهم قد اختلفوا في حدوثها فقال به ارسطو ومن تبعه ومنعه من قبله وقالوا بقدمها، واما حقيقتها فلم تظهر لنا ولذا قال تعالى ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا، فان المنقول عن ابن عباس وابن مسعود والجبائي وجماعة انهم سأله عن هذه الروح التي في البدن فعدل عن جوابهم لعلمه بأنه الاصلح، وقيل ان اليهود قالت لكفار قريش سلوا محمداً عن الروح فان اجابكم فليس بنبي وان لم يجبكم فهو نبي فانا نجد في كتبنا ذلك، فأمره سبحانه بالعدول عن جوابهم، وهذا يدل على ان الانبياء المتقدمين لم يتكلموا في حقيقة الروح للامة لانه الاصلح بحالهم، والمذاهب المنقولة فيها بين اهل العلم متكثرة وقد ضبطها شيخنا البهائي نور الله ضريحه في كتاب الكشكول حيث قال المذاهب في حقيقة النفس اعني ما يشير كل أحد يقوله انا كثيرة والدائرة منها على الالسنة والمذكورة في الكتب المشهورة اربعة عشر مذهباً.

احد هذا الهيكل المحسوس المعبّر عنه بالبدن وثانيها انها القلب اعني العضو الصنوبري، اللحماني المخصوص، وثالثها انه الدماغ، ورابعها انها اجزاء لا تتجزئ في القلب وهو مذهل النظّام ومتابعيه، وخامساً انها الاعضاء الاصلية المتولدة من المني وسادسها انها المزاج، وسابعها انها الروح الحيواني ويقرب منه ما قيل انها جسم لطيف سار في البدن كسريان الماء في الورد والدهن في السمسم وثامنها انها الماء وتاسعها انها النار والحرارة الغريزية، وعاشرها انها النفس وحاي عشرها انها هي الواجب تعالى عما يقولون علواً كبيراً، وثاني عشرها انها هي الاركان الاربعة، وثالث عشرها انها صورة نوعية قائمة بمادة البدن وهو مذهب الطبيعين.

ورابع عشرها انها جوهر مجرد عن المادة الجسمانية وعوارض الجسمانيات لها تعلَق بالبدن تعلق التدبير والتصرف والموت هو قطع هذا التعلق، وهذا هو مذاهب الحكماء الالهيين واكابر الصوفية والاشراقيين وعليه استقر رأي المحققين من المتكلمين كالامام الرازي والغزالي والمحقق الطوسي وغيرهم من الاعلام وهو الذي اشارت اليه الكتب سماوية وانطوت عليه الانباء النبوية وانقادت اليه الامارات الحسية والمكاشفات الذوقية انتهى كلامه والانصاف ان الروح وان طوى عنّا الاطلاع على حقيقتها ولذا قال الاكثر المراد من قوله عليه السلام من عرف نفسه فقد عرف ربه انه لا يمكن معرفة النفس كما لا يمكن معرفة الرب، لكن الذي اشارت اليه الكتب والاخبار هو ما قيل انه يتقرب من المذهب السابع وهو انها جسم لطيف سار في البدن وليست مجردة.

قال في مجمع البيان اختلف العلماء في ماهية الروح فقيل انه جسم رقيق هوائي متردد في مخارق الحيوان وهو مذهب اكثر المتكلمين واختاره الاجلّ المرتضى علم الهدى وقيل هو جسم هوائي على بنية حيوانية في كل جزء منه حيوة، عن علي بن عيسى قال لكل حيوان روح وبدن الا ان فيهم من الاغلب عليه الروح، ومنهم من الاغلب عليه البدن، وقيل ان الروح عرض ثم اختلف فيه فقيل هو الحيوة التي يتهيأ بها المحلّ لوجود القدرة والعلم والاختيار، وهو مذهب الشيخ المفيد ابي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان رضي الله عنه والبلخي وجماعة من المعتزلة البغدايين وقي هو معنى في القلب عن الاسواري وقال بعض العلماء ان الله تعالى قد خلق الروح من ستة اشياء من جوهر النور والطيب والبقاء والحيوة والعلم والعلو الا ترى انه ما دام في الجسد كان الجسد نورانياً يبصر بالعينين ويسمع بالاذنين ويكون طيباً فاذا خرج من الجسد نتن ويكون باقياً فاذا فارقه الروح بلى وفنى، ويكون حياً وبخروجه يكون ميتاً، ويكون عالماً فاذا خرج منه الروح لم يكن شيئاً ويكون علوياً لطيفا توجد به الحيوة بدلالة قوله تعالى في صفة الشهداء بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله واجسامهم قد بليت في التراب ولا يخفى ان اكثر هذه المذاهب التي نقلها الشيخ الطبرسي (ره) لم يتعرض لنقلها شيخنا الشيخ بهاء الدين قدس الله

روحه مع انه في مقام حصر المذاهب المنقولة في الكتب وما نقل عن الاجل علم الهدى طاب ثراه وان لم يكن عين المذهب الذي نقل انه قريب من السابع لكنه يول اليه، والايات والاخبار كما عرفت انما اشارت اليه، وذلك لان المجرد على تفسيرهم انه الموصوف بلا مكان فهو مجرد عن المكان والالات وغيرها ولا ريب ان الاخبار قد اشتملت على اتصاف الروح باوصاف الاجسام من الصعود والهبوط والطيران وزيارة العرش والجلوس حلقا.

روى عن الصادق عليه السلام انه قال ارواحنا تزور العرش في كل ليلة جمعة وتستفيد منه العلوم، ولولاه لنفد ما عندنا، وكما رواه الكليني قدس الله روحه باسناده الى العرني قال خرجت مع امير المؤمنين عليه السلام الى الظهر بوادي السلام كأنه يخاطب الاقوام فقمت لقيامه حتى عييت ثم جلست حتى مللت وفعل (فعلت خ) ذلك غير مرة ثم عرضت على امير المؤمنين عليه السلام الجلوس، فقال يا حبة ان هو الا محادثة مؤمن او موانسة، ولو كشف لك لرايتهم حلقا حلقا يتحادثون، فقلت اجسام او ارواح فقال ارواح، وما من مؤمن يموت في بقعة من بقاع الارض الا قيل لروحه الحقي بوادي السلام، وانها لبقعة من جنة عدن، وفي سؤال الزنديق عن الصادق عليه السلام اخبرني الروح أغير الدم، قال نعم الروح على ما وصفت لك، مادتها من الدم فاذا جمد فارق الروح البدن، قال فهل توصف بخفة وثقل ووزن، قال الروح بمنزلة الريح في الزق فاذا نفخت فيه امتلاء الزق منها فلا يزيد في وزن الزق ولوجها فيه ولا ينقصه خروجها منه، كذلك الروح ليس لها ثقل ولا وزن، وهذا الحديث كما لا يخفى ظاهر في عدم تجردها.

وروى ايضاً عن الصادق عليه السلام ان ارواح المؤمنين لفي شجرة في الجنة يأكلون من طعامها ويشربون من شرابها، وعنه ايضاً انه عليه السلام قال ان الارواح في صفة الاجساد في شجر في الجنة يأكلون من طعامها ويشربون من شرابها، فاذا قدمت الروح (روح ظ) عليهم يقولون دعوها فانها أقبلت من هو عظيم ثم يسألونها الى غير ذلك من الاخبار المتضمنة لتنعم الروح وتعذيبها وسيرها من مكان الى مكان واقامتها وترفرفها فوق تابوت الميت حتى يجعل في القبر فتدخل فيه، وتأويل هذا بارادة البدن المثالي الذي تحلّ فيه في وقت ما في كل هذه الاوقات خلاف الظاهر ونقل عن شيخنا المفيد (ره) أنه كان يقول بتجرد النفس فتاب الى الله سبحانه وقال قد ظهر لنا انه لا مجرد في الوجود الا الله.

واما تعلقها بالبدن فقال الحكماء والمتكلمون ليس هو تعلقاً ضعيفاً يسهل زواله بادنى سبب مع بقاء المتعلق بحاله كتعلق الجسم بمكانه والا لتمكنت النفس من مفارقة البدن بمجرد المشية من غير حاجة الى امر آخر، وليس ايضاً تعلقاً في غاية القوة بحيث اذا زال التعلق بطل المتعلق مثل تعلق الاعراض والصور المادية بمحالها لما ذهبوا اليه من انها مجردة بذواتها غنية عما تحل فيه، بل

هو تعلق متوسط بين بين كتعلق الصانع بالالات التي يحتاج اليها في افعاله المختلفة وكتعلق العاشق بالمعشوق عشقاً جبليّا الهامياً فلا ينقطع ما دام لبدن صالحاً لان يتعلق به النفس، الا ترى انها تحبه ولا تمله مع طول الصحبة وتكره مفارقته، وذلك لتوقف كمالاتها ولذاتها العقلية والحسية عليه، فانها في مبدأ خلقتها خالية عن الصفات الفاضلة كلها فاحتاجت الى آلات تعينها على تلك الكمالات وتحتاج الى ان تكون تلك الالات مختلفة فيكون لها بحسب كل آلة فعل خاص حتى اذا حاولت فعلاً خاصاً كالابصار مثلاً التفت الى العين فتقوى على الابصار التام، وكذا الحال في سائر الافعال، ولو اتحدت الالات لاختلطت الافعال ولم يحصل لها شيء منها على الكمال فاذا حصلت لها الاحساسات توصلت منها الى الادراكات الكلية ونالت حظها من العلوم والاخلاق المرضية، وترفت الى لذاتها العقلية بعد احتظائها باللذات الحسية فتعلقها بالبدن على وجه التصرف والتدبير كتعلق العاشق في القوة بل اقوى بكثير.

اقول وبناءاً على ما قاله الاجل علم الهدى وهو الاولى يكون تعلقهاً بالبدن من باب تعلق الاحوال بمحالها.

واعلم انه قد ورد في اخبار اهل البيت عليهم السلام تعدد الارواح، رواه جابر عن الباقر عليه السلام قال خمسة ارواح في المقربين، روح القدس وبه علموا جميع الاشياء وروح الايمان وبه عبدوا الله، وروح القوة وبه جاهدوا العدو وعالجوا المعاش، وروح الشهوة وبه اصابوا لذة الطعام والنكاح وروح البدن وبه يدبّون ويدرجون، واربعة لاصحاب اليمين لفقد روح القدس منهم، وثلاثة لاصحاب الشمال لفقد روح الايمان منهم، وعلى هذا نزّل ما روى عنه عليه السلام لا يزني الزاني وهو مؤمن وذلك ان روح الايمان تخرج من بدنه الى ان يفرغ فان عاد الى التوبة عادت تلك الروح الى بدنه والا فارقته، وكذا معنى لا يسرق السارق وهو مؤمن، وما روى من ان المؤمن لا يكذب كله منزَل على هذا فان روح الايمان تفارقه حال صدور الذنب منه واذا رجع رجعت كما ورد في الروايات واذا نام لم تفارقه روح الحيوة وان فارقه غيرها، كما سيأتي تحقيقه ان شاء الله تعالى في نور المنام اذا عرفت هذا.

فاعلم ان قدماء الحكماء قالوا ان للحيوانات نفوساً ناطقة مجردة، وهو مذهب الشيخ المقتول، وقد صرَح الشيخ الرئيس في جواب اسؤلة بهمنبار ان الفرق بين الانسان والحيوانات في هذا الحكم مشكل، وقال القيصري في شرح فصوص الحكم ما قال المتأخرون من ان المراد بالنطق ادراك الكليات لا التكلم، مع كونه مخالفاً لوضع اللغة لا يقيدهم لانه موقوف على ان النفس الناطقة المجردة للانسان ولا دليل لهم على ذلك ولا شعور لهم بأن الحيوانات ليس لها ادراك الكليات والجهل بالشيء لا ينافي وجوده، وامعان النظر فيما يصدر عنها من العجائب يوجب ان

يكون لها ادراك الكليات انتهى، وكلام القيصري يعطي ان مراد المتقدمين بالنطق هو المعنى اللغوي وبذلك صرَح ابو علي بن سينا.

نور ميثاقي يشتمل على التكليف الاول

اعلم ان الاخبار قد استفاضت بل تواترت بأن هذه الارواح قبل دخولها في هذه الاجسام قد حصل لها نوع من التكليف الالهي لما كانت في عالم الملكوت، وقد أخذ الله سبحانه عليها العهود المكررة والمواثيق المغلظة بأنه رب وواحد لا شريك له فأقروا عموماً، واما الاقرار بالولاية لعلي عليه السلام واهل بيته ففي أحد المواثيق، ولعله الميثاق الاول وهي ارواح خالصة قبل ان تباشر الذرات قد اقرت واذعنت، ومن ثم قال عليه السلام قد اخذ الله ولاية الائمة عليهم السلام على الناس من يوم العهد والميثاق، وفي احد المواثيق قد انكرت ولم تبادر الى القبول فمن ثم كانت السعادة والشقاوة من هناك، ومن هذا قال سيد الموحدين عليه السلام ان لله سبحانه قد كتب اسامي شيعتنا واسامي آبائهم وامهاتهم من وجد منهم ومن لم يوجد الى يوم القيامة بصحيفة، وتلك الصحيفة عندنا، وكانت الكتابة في ذلك الميثاق وهذه الصحيفة الان بعد ما توارثها الائمة عليهم السلام انتهت نوبتها الى مولانا صاحب الزمان عليه السلام فهي الان عنده، وكان اذا اتى رجل الى علي عليه السلام وقال انا شعيتك كذبَه علي عليه السلام وقال لست ارى لك اسماً في صحيفة الشيعة، فيكون ذلك الرجل مدعياً وكان بعض خوَاص الشيعة اذا دخل على الصادق عليه السلام رآه يتصفح كتاباً فسأله عنه فيقول هذا الكتاب الذي اسماء شيعتي الى يوم القيامة، فيقول عليه السلام أحب ان ترى اسمك واسم ابيك فيقول نعم، فيطلعه عليه وهذا لا يكون من الارواح الا من بعد ما اعطاه الله سبحانه نوعاً من الفهم والشعور تفهم به معنى التكليف والثواب والعقاب، لانه صار ذلك التكليف الاولى مناطاً لاكثر احكام هذا التكليف الاخرى.

روى الصدوق طاب ثراه باسناده الى ابن اذينة عن ابي عبد الله عليه السلام قال كنّا جلوساً عنده فذكرنا رجلاً من اصحابنا فقلنا فيه حدة فقال من علامة المؤمن ان يكون فيه حدة، قال قلنا له ان عامَة اصحابنا فيهم حدة فقال ان الله تبارك وتعالى في وقت ما ذرأهم امر اصحاب اليمين وانتم هم ان يدخلوا النار فدخلوها فاصابهم وهج فالحدة من ذلك الوهج، وامر اصحاب الشمل وهم مخالفونا ان يدخلوا النار فلم يفعلوا فمن ثم لهم سمت ولهم وقار والايات والاخبار دالة على أخذ الميثاق في العالم الاول.

اما الايات فقال عز من قائل واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا ان يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين، او يقولوا

انما اشرك اباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون، قال اكثر المفسرين معناه ان الله تعالى أخرج ذرية آدم من صلبه كهيئة الذر فعرضهم على آدم فقال اني آخذ على ذريتك ميثاقهم ان يعبدوني ولا يشركون بي شيئاً وعليّ ارزاقهم، ثم قال ألست بربكم قالوا بلى شهدنا انك ربنا فقال للملائكة اشهدوا فقالوا شهدنا وقيل ان الله تعالى جعلهم فهماء عقلاء يسمعون خطابه ويفهمونه، ثم ردهم الى صلب آدم والناس محبوسون باجمعهم حتى يخرج كل من أخرجه في ذلك الوقت وكل من ثبت على الاسلام فهو على الفطرة الاولى ومن كفر وجحد فقد تغيّر عن الفطرة الاولى، وفي بعض الاخبار المعتبرة ان الخطاب هكذا ألست بربكم ومحمد نبيكم وعلي امامكم قالوا بلى فحذفوا تمام الاية كما تصرفوا في غيره من الايات فيكون هذا الميثاق مما اقروا فيه ايضاً بولاية الائمة عليهم السلام فيكون عدم القبول لها في ميثاق آخر جمعاً بين الاخبار.

واعلم ان تأويل الاية على هذا المذكور مما دلّت عليه الاخبار النقية السند وذهب اليه جمع اكثير من المفسرين، وقد ردّه المرتضى طاب ثراه وشيخنا الطبرسي (ره) قالوا ان الله سبحانه قال واذ أخذ ربك من بني آدم ولم يقل من آدم، وقال من ظهورهم ولم يقل من ظهره، وقال ذريتهم ولم يقل ذريته، ثم اخبر تعالى بأنه فعل ذلك لئلا يقولوا انهم كانوا عن ذلك غافلين او يعتذروا بشرك آبائهم وانهم نشأوا على دينهم وهذا يقتضي ان يكون لهم آباء مشركون فلا يتناول ولد آدم لصلبه وايضاً فان هذه الذرية المستخرجةمن صلب آدم لا يخلو إما ان يكون قد جعلهم الله عقلاء او لم يجعلهم كذلك فان لم يجعلهم عقلاء فلا يصح ان يعرفوا التوحيد وان يفهموا خطاب الله تعالى، وان جعلهم عقلاء وأخذ عليهم الميثاق فيجب ان يتذكروا ذلك ولا ينسوه،لان أخذ الميثاق لا يكون حجة على المأخوذ عليه الا ان يكون ذاكراً له فيجب ان نذكر نحن الميثاق، ولانه لا يجوز ان ينسى الجمع الكثير من العقلاء شيئاً كانوا عرفوه وميّزوه حتى لا يذكره واحد منهم الى غير ذلك من الاعتراضات الظاهرة الدفع التي لا ينبغي ان تذكر في معارضة خبر من الاخبار فارتكبوا في تأويل الاية معنى آخر، وهو انه سبحانه أخرج بني آدم مناصلاب آبائهم الى ارحام امهاتهم ثم رقاها درجة درجة علقة ثم مضغة ثم انشأ كلاً منهم بشراً سوياً ثم حياً مكلفاً واراهم آثار صنعته ومكنَهم من معرفة دلائل حتى كأنه اشهدهم وقال لهم ألست بربكم قالوا بلى، فعلى هذا يكون معنى اشهدهم على انفسهم دلّهم بخلقه على توحيده وانما اشهدهم على انفسهم بذلك لما جعلهم في عقولهم من الادلة على وحدانيته وركّب فيهم من عاجئب خلقته وغرائب صنعته وفي غيرهم فكأنه سبحانه بمنزلة المشهد لهم على انفسهم وكانوا في مشاهدة ذلك وظهوره فيهم على الوجه الذي اراده الله وتعذّر امتناعهم منه بمنزلة المعترف المقرّ وان لم يكن هناك اشهاد صورة وحقيقة، والعجب ان هذا المعنى مع احتياجه الى التأويل في كل ظواهر لفظ

الاية ومع عدم اعتضاده بخبر يدل عليه كيف خرّجوا عليه واهملوا ذلك المعنى الاول مع تظافر دلالة الاخبار عليه وكلام المفسرين، ومن هذا ذهب ابو الهذيل في كتاب الحجة ان الحسن البصري واصحابه كانوا يذهبون الى ان نعيم الاطفال في الجنة ثواب عن ايمانهم في الذر واما الاخبار.

فمنها ما رواه شيخنا الكليني طاب ثراه بسند صحيح عن حبيب السجستاني قال سمعت ابا جعفر عليه السلام يقول ان الله عز وجل لما اخرج ذرية آدم من ظهره ليأخذ عليهم الميثاق بالربوبية له وبالنبوة لكل نبي فكان اول من أخذ عليهم الميثاق بنبوته محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله، ثم قال الله عز وجل لآدم انظر ما ترى قال فنظر آدم عليه السلام الى ذريته وهم ذر قد ملأوا السماء، قال آدم عليه السلام يا رب ما أكثر ذريتي ولامر ما خلقتهم فما تريد منهم بأخذك الميثاق عليهم، قال الله عز وجل يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ويؤمنون برسلي ويتبعونهم، قال آدم يا رب فما لي أرى بعض الذر أعظم من بعض وبعضهم له نور كثير وبعضهم له نور قليل وبعضهم ليس له نور، فقال الله عز وجل كذلك خلقتهم لأبلوهم في كل حالاتهم قال آدم يا رب أفتأذن لي في الكلام فأتكلم قال الله عز وجل تكلم فان روحك من روحي وطبيعتك خلاف كينونتي، قال آدم يا رب فلو كنت خلقتهم على مثال واحد وطبيعة واحدة وجبلّة واحدة والوان واحدة واعمار واحدة وارزاق سواء لم يبغ بعضهم على بعض ولم يكن بينهم تحاسد ولا تباغض ولا اختلاف في شيء من الاشياء .

قال الله تعالى يا آدم برحي نطقت ويضعف قوتك تكلفت ما لا علم لك به وانا الخالق العليم وبعلمي خالفت بين خلقهم وبمشيئتي يمضي فيهم امري والى تدبيري وتقديري صائرون ولا تبديل لخلقي، انما خلقت الجن والانس ليعبدوني وخلقت الجنة لمن عبدني واطاعني منهم واتبع رسلي ولا ابالي، وخلقت النار لمن كفر بي وعصاني ولم يتبع رسلي ولا ابالي، وخلقتك وخلقت ذريتك من غير حاجة بي اليك واليهم وانما خلقتك وخلقتهم لابلوك وابلوهم ايّم احسن عملاً في دار الدنيا في حياتكم وقبل مماتكم، فلذلك خلقت الدنيا والاخرة والحيوة والموت والطاعة والمعصية والجنة والنار، وكذلك اردت في تقديري وتدبيري وبعلمي النافذ فيهم خالفت بين صورهم واجسامهم والوانهم واعمارهم وارزاقهم وطاعتهم ومعصيتهم، فجعلت منهم الشقي والسعيد والبصير والاعمى والقصير والطويل والجميل والذميم والعالم والجاهل والغني والفقير والمطيع والصحيح والسقيم ومن لا عاهة له، فينظر الصحيح الى الذي به العاهة فيحمدني على عافية وينظر الذي به العاهة الى الصحيح فيدعوني ويسألني ان اعافيه ويصبر على بلائي فأثيبه جزيل عطائي، وينظر الغني الى الفقير فيحمدني ويشكرني، وينظر الفقير الى الغني فيدعوني ويسألني وينظر المؤمن الى الكافر فيحمدني على ما هديته فلذلك خلقتهم لابلوهم في السراء

والضراء وفيما اعافيهم وفيما ابتليهم وفيما اعطيهم وفيما امنعهم، وان الله الملك القادر ولي ان امضي جميع ما قدرت على ما دبّرت ولي ان اغير من ذلك ما شئت، واقدّم من ذلك ما أخرّت وأؤخر ما قدمت من ذلك وأنا الله الفعال لما أيريد لا أسأل عما أفعل وأنا أسأل خلقي عما يفعلون .

وفي قوله سبحانه ولي ان أغير من ذلك ما أشئت أشارة الى أنه لايجوز لك ان تقول ان الأمر قد فزع منه كما قالت اليهود وتابعهم جمهور المخالفين من حيث لايشعرون فانه سبحانه خلقهم على ما رءاه آدم عليه السلام ولكن الله يمحو ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب وسيأتي تحقيقه إن شاء الله تعالى في نور الاجال والأعمار، وفي الروايات أن تكليف اهل الشمال بدخول النار قد وقع مراراً كثيرة، قال الصادق عليه السلام في حديث طويل لما اراد ان يخلق آدم خلق (تلك خ) تينك الطينتين ثم فرقهما فرقتين، فقا لاصحاب اليمين كونوا خلقا بأذني فكانوا خلقا بمنزلة الذرّ يسعى، وقال لاهل الشمال كونوا خلقا فكانوا خلقا بمنزلة الذر يدرج، ثم رفع لهم نارا فقال لهم ادخلوها باذني فكان اول من دخلها محمد صلى الله عليه وآله ثم اتبعه اولوا العزم من الرسل واوصيائهم واتباعهم، ثم قال لاصحاب الشمال ادخلوها باذني فقالوا ربنا خلقتنا لتحرقنا فعصوا فقال لاصحاب اليمين اخرجوا باذني من النار فخرجوا لم تكلم النار منهم كلماً ولم يؤثر فيهم اثراً، فلما رآهم اصحاب الشمال قالوا ربنا نرى اصحابنا قد سلموا فاقلنا ومرنا بالدخول، قال قد اقلتكم فادخلوها فلما دنوا واصابهم الوهج رجعوا فقالوا يا ربنا لا صبر لنا على الاحتراق فعصوا فأمرهم بالدخول ثلاثاً كل ذلك يعصون ويرجعون، وأمر اولئك ثلاثاً كل ذلك يطيعون ويدخلون ويخرجون فقال لهم كونوا طيناً باذني فخلق منه آدم، قال فمن كان من هؤلاء لا يكون من هؤلاء ومن كان من هؤلاء لا يكون من هؤلاء الحديث، وفيه دلالة على ان هذا التكليف للارواح المتعلقة بالذرات قبل ان يخلق الله آدم، فلما كلّفها وتبين حالها جمعها وخلق منها آدم وطينته.

واما أخذ العهد والميثاق عليهم بقوله ألست بربكم فالذي يظهر من الحديث السابق انه قد وقع بعد هذا التكليف وبعد ان خلق آدم وصوره فأخرج تلك الذرات من ظهوره وعلّق بها الارواح فأخذ عليها العهد والميثاق، ولا تستبعد مثل هذا بأن بدن آدم عليه السلام وحده كيف صار معدنا لكل ذرات ذراريه، لانك قد تحققت كبر بدنه المبارك وعظمته وان رجليه كانتا على الصفا ورأسه في باب من ابواب السماء مع ان الذرات في غاية الصغر والحقارة وفي هذا اشارة لطيفة الى ان من كان اعظم احواله واحسنها كونه ذرة لم يحسن منه التجبر والكبرياء وعدم امتثال الاوامر والنواهي، فكيف تسئل عن احواله الاخرى وهي كونه تارة منياً وأخرى دماً ولحماً ثم يتدرج من النجاسة ويترقى الى ان يكون ظرفها ومعدنها ثم يصير الى حالة نجاسته الاولى ويجب على كل من

مسَه ولاقاه ان يغتسل عن مباشرته فهو اسوء حالاً من الكلب، ومن هذا قال عليه السلام يا بن آدم انَى لك والكبر والفخر فان اولك جيفة وآخرك جيفة وفيما بينهما حامل الجيف، والاقرار بالربوبية لما استسهلوه لعدم النار والتكليف فيه اقروا به ولما اراد سبحانه امتحانهم بما فيه كلفة فصاروا من هناك فرقتين بالاختيار والعلم والعقل والتكليف كما في احوال هذه النشأة، وهذه العهود التي اخذت على الخلائق قد اودعها الله سبحانه الحجر الاسود.

وفي الروايات عن الطاهرين عليهم السلام ان الله عز وجل لما أخذ الميثاق له بالربوبية ولمحمد صلى الله عليه وآله بالنبوة ولعلي عليه السلام بالوصية اصطكت فرائص الملائكة وأول من اسرع الى الاقرار بذلك الحجر فلذلك اختاره الله عز وجل والقمه الميثاق، وهو يجيء يوم القيامة وله لسان ناطق وعين ناظرة يشهد لكل من وافاه الى ذلك المكان وحفظ الميثاق، وانما اخرج الحجر من الجنة ليذكر آدم عليه السلام ما نسى من العهد والميثاق وفي الرواية ايضاً انه انما يقبَل الحجر ويستلم ليؤدى الى الله عز وجل العهد الذي أخذ عليهم في الميثاق، وانما وضع الله عز وجل الحجر في الركن الذي هو فيه ولم يضعه في غيره لانه تبارك وتعالى حين أخذ الميثاق أخذه في ذلك المكان.

اقول معنى هذا والله العالم انه قد ورد في الروايات السابقة ان الركن كان كرسياً لادم عليه السلام في الجنة يجلس عليه والحجر قد كان فيه وهو في الجنة وفي وقت أخذ الميثاق فلما انزلهما الله سبحانه الى بيته بقيا على ما كانا عليه وهما في الجنة، وكان عمر اذا قبَل الحجر قال، اني لاعلم انك حجر لا تضرَ ولا تنفع، ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله قبَلك فأقبلك لتقبيله اياك، فلما بلغ كلامه الى علي عليه السلام كذَبه، وقال ان هذا الحجر ملك عظيم المحل يشهد يوم القيامة لمن صافحه، ومن هنا ورد انه اذا استلم الحجر قال امانتي اديتها وميثاقي تعاهدته لتشهد لي بالموافاة الدعاء.

وفي الرواية ايضاً انما يستلم الحجر لان مواثيق الخلائق فيه، وكان اشدَ بياضاً من اللبن فاسودَ من خطايا بني آدم، ولولا ما مسَه من ارجاس الجاهلية ما مسه ذو عاهة الا برأ، وأما التنافر والالفة في هذا العالم فهما مسببان عنهما في ذلك العالم، ومن هذا قال الصادق عليه السلام لم تتواخوا على هذا الامر وانما تعارفتم عليه يعني به كما قال المحدثون رضوان الله عليهم انكم لم تتواخوا على امر الدين ايها الشيعة في هذا العالم بل الله سبحانه هو الذي آخا بينكم في عالم الارواح، وانتم في هذا العالم تجددون تلك الاخوة والمحبة وتتعارفون وقد روى انه سأل الصادق عليه السلام فقيل له يا ابن رسول الله اني أرى الرجل في النظرة الاولى لم اره قبل ذلك فيميل قلبي اليه واحبه من تلك الساعة، واظنَ اني رأيته قبل ذلك واقول لا ادري اني رأيت هذا الرجل، وبعض الناس اعاشره، واجاوره مدَة مديدة من العمر وكلما رأيته كأني غريب منه وهو غريب مني لعدم الالفة.

فأجاب عليه السلام بما حاصله ان الارواح قد توافقت وائتفلت في العالم الاول وتناكرت واختلفت فيه ايضاً، ونسيت احوال ذلك العالم بما حصل لها من الاشتغال، بعلائق هذه الابدان لكن اذا نظرت الى من الفته في العالم القديم تشوقت اليه وعرفته معرفة ما ومالت بالالفة اليه، واذا رأيت من تناكرت معه في ذلك العالم لم تنعطف عليه في هذا العالم، ولم خالطته المخالطة التامة والمعاشرة الطويلة، ومن هذا ما وقع في الاخبار الخاصة في سبب الحزن والفرح من غير سبب يعرفه الانسان وحاصله كما قال عليه السلام ان الانسان يكون له أخ ومحب بعيد عنه ويصل اليه اسباب الحزن والفرح على بعده والروح من هيهنا يصير لها نوع من الاطلاع على حزن ذلك الاخ البعيد وفرحه فتفرح وتحزن في مكانها والسبب غير معروف في الظاهر، ومن ثمَ اذا كان لبعض الارواح علاقة شديدة مع البعض الاخر يكون الحزن والموت الذي يحيط بتلك النفس البعيدة معلوماً بالمنام او غيره لهذه النفس فاذا ضبط التاريخ كان وقت الاطلاع هنا موافقاً لوقت الوقوع هناك، وله اسباب اخرى ايضاً يأتي بيانها في نور الفرح والسرور ان شاء الله تعالى والدالَ على ذلك كلَه قوله صلى الله عليه وآله الارواح جنود مجنَدة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وهذا حديث مستفيض رواه العامة والخاصة وجعلوه هو المراد من هذه المقالة.

قال ابن الاثير مجنَدة أي مجموعة كما يقال الوف مؤلفة ومعناه الإخبار عن مبدأ كون الارواح وتقدمها على الاجساد انها خلقت اول خلقها على قسمين من ائتلاف واختلاف كالجنود المجموعة اذا تقابلت وتواجهت، ومعنى تقابل الارواح ما جعلها الله من السعادة والشقاوة والاخلاق في مبدأ الخلق، يقول ان الاجساد التي فيها الارواح تلتقي في الدنيا وتأتلف وتختلف على حسب ما خلقت عليه، ولهذا ترى الخيِّر يحبّ الاخيار ويميل اليهم، والشرير يحبّ الاشرار ويميل اليهم.

وروى عن الباقر عليه السلام قال ان العباد اذا ناموا خرجت ارواحهم الى السماء فما رأت الارواح في السماء فهو الحق وما رأت في الهوى فهو الاضغاث الا وان الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف فاذا كانت الروح في السماء تعارفت وتباغضت فاذا تعارفت في السماء تعارفت في الارض، واذا تباغضت في السماء تباغضت في الارض وحيث عرفت مثل هذا فلا بأس بمعرفة احوال الطينة لانها مناط فوائد كثيرة.

نور طيني

يكشف عن احوال طينة المؤمن وغيره

اعلم ان الله سبحانه بمقتضى حكمته خلق طينة المؤمن من اعلى عليين وهو اعلى مكان في الجنة وطينة الكافر وهو غير المؤمن من سجيل وهي اسفل مكان في النار لكنه خلط بين الطينتين لمصالح كثيرة، روى الصدوق قدس الله روحه في آخر كتاب علل الشرائع مسنداً الى ابي اسحاق الليثي قال قلت لابي جعفر عليه السلام يا ابن رسول الله اخبرني عن المؤمن المستبصر اذا بلغ في المعرفة وكمل هل يزني، قال اللهم لا قلت فيلوط، قال اللهم لا قلت فيسرق قال اللهم لا قلت فيشرب الخمر قال اللهم لا قلت فيأتي كبيرة من هذه الكبائر او فاحشة من هذه الفواحش قال لا قلت فيذنب ذنباً قال نعم هو مؤمن مذنب ملّم قلت ما معنى ملمّ قال الملمّ بالذنب الذي لا يلزمه ولا يصرَ عليه، قال فقلت سبحان الله ما اعجب هذا لا ينزني ولا يلوط ولا يسرق ولا يشرب الخمر ولا يأتي كبيرة من الكبائر ولا فاحشة فقال لا عجب من امر الله ان الله عز وجل يفعل ما يشاء ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون فممَ عجبت يا ابا ابراهيم سل ولا تستحسر ولا تستنكف، فان هذا العلم لا يتعمله مستكبر ولا مستحسر قلت يا ابن رسول الله اني اجد من شيعتكم من يشرب ويقطع الطريق ويخيف السبيل ويزني ويلوط ويأكل الربى ويرتكب الفواحش ويتهاون بالصلاة والصيام والزكوة ويقطع الرحم ويأتي بالكبائر فكيف هذا ولم ذاك؟ فقال يا ابا ابراهيم وهل يختلج في صدرك شيء غير هذا قلت نعم يا ابن رسول الله أخرى اعظم من ذلك، فقال ما هي يا ابا اسحاق، قال فقلت يا ابن رسول الله وأجد من اعدائكم ومن ناصبيكم من يكثر من الصلوة ومن الصيام ويخرج الزكوة ويتابع بين الحج والعمرة، ويحرص على الجهاد ويصل الارحام ويقضي حقوق اخوانه ويواسيهم من ماله، ويتجنب شرب الخمر والزنا واللواط وسائر الفواحش فممَ ذاك فسّره لي يا ابن رسول الله، وبرهنه وبينه فقد والله كثر فكري واسهر ليلي وضاق ذرعي، فتبسّم الباقر عليه السلام ثم قال خذ اليك يا ابا ابراهيم بياناً شافياً فيما سألت، وعلماً مكنوناً من خزائن علم الله وسره، اخبرني يا ابا ابراهيم كيف تجد اعتقادهما قلت يا ابن رسول الله اجد محبيكم وشيعتكم على ما هم فيه مما وصفته من افعالهم لو اعطى احدهم ما بين المشرق والمغرب ذهباً وفضة لان يزول عن ولايتكم ومحبتكم الى موالات غيركم والى محبتهم ما زال ولو ضربت خيائيمه بالسيوف فيكم ولو قتل فيكم ولا ارتدع ولا رجع عن محبتكم وولايتكم وارى الناصب على ما هو عليه مما وصفته من افعالهم لو اعطى احدهم ما بين المشرق والمغرب ذهباً وفضة ان يزول عن محبة الطواغيت وموالاتهم الى مولاتكم ما فعل ولا زال ولو ضربت خياشيمه بالسيوف فيهم ولو قتل

فيهم ما ارتدع ولا رجع، واذا سمع احدهم منقبة لكم وفضلاً اشمأز من ذلك وتغير لونه ويرى كراهية ذلك في وجهه بغضاً لكم ومحبة لهم، قال فتبسم الباقر عليه السلام ثم قال يا ابا ابراهيم من هيهنا هلكن العاملة الناصبة تصلى ناراً حامية تسقى من عين آنية، ومن اجل ذلك قال الله عز وجل وقجمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثورا، ويحك يا ابا ابراهيم أتدري ما السبب والقصة في ذلك وما الذي قد خفى على الناس منه، قلت يا ابن رسول الله فبينه لي واشرحه وبرهنه، قال يا ابا ابراهيم ان الله تبارك وتعالى لم يزل عالماً قديماً خلق الاشياء لا من شيء، ومن زعم ان الله عز وجل خلق الاشياء من شيء فقد كفر لانه لو كان ذلك الشيء الذي خلق منه الاشياء قديماً معه في ازليته وهويته كان ذلك الشيء ازلياً، بل خلق عز وجل الاشياء كلها لا من شيء ومما خلق الله عز وجل ارضاً طيبة ثم فجر منها ماءاً عذباً زلالا فعرض عليها ولايتنا اهل البيت فقبلتها فأجرى ذلك الماء عليها سبعة ايام ثم طبقها وعمها ثم نصب ذلك الماء عنها فأخذ من صفوة ذلك الطين طيناً فجعله طين الائمة عليهم السلام ثم أخذ من ذلك الطين فخلق منه شيعتنا ولو ترك طينكم يا ابا ابراهيم على حاله كما ترك طيننا لكنتم انتم ونحن شيئاً واحداً، قلت يا ابن رسول الله فما فعل بطيننا، قال اخبرك يا ابا ابراهيم خلق الله عز وجل بعد ذلك ارضاً سبخة خبيثة منتنة ثم فجر منها ماءاً اجاجاً آسناً مالحاً فعرض عليها ولايتنا اهل البيت فلم تقبلها فأجرى ذلك الماء عليها سبعة ايام حتى طبقها وعمها، ثم نصب الماء عنها ثم أخذ عصارة ذلك الطين فخلق منه الطغاة وائمتهم، ثم مزجه بثفل طينتكم ولو ترك طينهم على حاله ولم يمزجه بطينكم لم يشهدوا الشهادتين ولا صلّوا ولا صاموا ولا زكوا ولا حجّوا ولا ادوّا امانة ولا اشبهوكم في الصور وليس على المؤمن اكره من ان يرى صورة عدوه مثل صورته، قلت يا ابن رسول الله فما صنع بالطينتين، قال مزج بينهما بالماء الاول والماء الثاني ثم عركها عرك الاديم.

ثم أخذ من ذلك قبضة فقال هذه الى الجنة ولا ابالي، وأخذ قبضة أخرى وقال هذه الى النار ولا ابالي، ثم خلط بينها فوقع من سنخ المؤمن وطينته على سنخ الكافر وطينته، ووقع من سنخ الكافر وطينته على سنخ المؤمن وطينته، فما رايته من شيعتنا من زنا ولواط وترك الصلوة، او صيام او حج أو جهاد او خيانة، او كبيرة من هذه الكبائر فهو من طينة الناصب وعنصره الذي قد مزج فيه لان من سنخ الناصب وعنصره وطينته اكتساب المآثم والفواحش والكبائر، وما رأيت من الناصب ومواظبته على الصلوة والصيام والزكوة والحج والجهاد، وابواب البر فهو من طينة المؤمن وسنخه الذي قد مزج فيه، لان سنخ المؤمن وعنصره وطينته اكتساب الحسنات، واستعمال الخير واجتناب المآثم فاذا عرضت هذه الاعمال كلها على الله عز وجل قال انا عدل لا اجور ومنصف لا اظلم وحكم لا احيف ولا اميل ولا اشطط الحقوا الاعمال السيئة التي اجترحها

المؤمن لسنخ الناصب وطينته، والحقوا الاعمال الحسنة التي اكتسبها الناصب بسنخ المؤمن وطينته، ردوها كلها الى اصلها فاني انا الله لا اله الا انا عالم السر وأخفى، وانا المطلع على قلوب عبادي لا احيف ولا اظلم ولا الزم احداً الا ما عرفته منه قبل ان اخلقه، ثم قال الباقر عليه السلام إقرأ هذه الاية قلت يا ابن رسول الله أية آية، قال قوله تعالى قال معاذ الله ان نأخذ إلاّ من وجدنا متاعنا عنده انا اذا لظالمون، هو في الظاهر ما تفهمونه وهو في الباطن هذا بعينه يا ابا ابراهيم ان للقرآن ظاهراً وباطناً ومحكماً ومتشابهاً وناسخاً ومنسوخاً ثم قال اخبرني يا ابا ابراهيم عن الشمس اذا طلعت وبدا شعاعها في البلدان أهو باين من القرص، قلت في حال طلوعه باين قال أليس اذا غابت الشمس اتصل ذلك الشعاع بالقرص حتى يعود اليه قلت نعم قال كذلك يعود كل شيء الى سنخه وجوهره واصله فاذا كان يوم القيامة نزع الله سنخ الناصب وطينته مع ثقله واوزاره من المؤمن، فيلحقها بالناصب وينزع سنخ المؤمن وطينته مع حسناته وابواب بره واجتهاده من الناصب، فيلحقها كلها بالمؤمن أفترى هيهنا ظلماً أو عدواناً، قلت لا يا ابن رسول الله قال هذا والله القضاء الفاصل، والحكم القاطع، والعدل البيّن لا يسأل عما يفعل، وهم يسألون هذا يا ابا ابراهيم الحق من ربك فلا تكن من الممترين.

قال الليثي فقلت يا ابن رسول الله ما اعجب هذا حسنات اعدائكم فتردّ على شيعتكم وتأخذ سيئات محبيكم فترد على مبغضيكم، قال أي والله الذي لا اله الا هو فالق الحبة وبارئ النسمة وفاطر الارض والسماء، ما اخبرتك الا بالحق ولا انبأتك الا بالصدق وما ظلمهم الله وما الله بظلام للعبيد وان ما اخبرتك به لموجود في القرآن كله، قلت هذا بعينه يوجد في القرآن، قال نعم يوجد في اكثر من ثلاثين موضعاً، في القرآن أتحب ان اقرأ ذلك عليك قلت بلى يا ابن رسول الله فقال قال الله عز وجل قال الذين كفروا للذين آمنوا تبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء انهم لكاذبون وليحملنَ اثقالهم واثقالاً مه اثقالهم الاية، قال ازيدك يا ابا ابراهيم قلت بلى يا ابن رسول الله قال ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم الا ساء ما يزرون أتحب ان ازيدك قلت بلى يا ابن رسول الله قال فاولئك يبدّل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً، يبدّل الله سيئات شيعتنا حسنات ويبدّل الله حسنات اعدائنا سيئات وجلال الله ووجه الله ان هذا لمن عدله وانصافه لا رادّ لقضائه ولا معقّب لحكمه وهو السميع العليم.

الم أبين لك امر المزج والطينتين من القرآن قلت بلى يا ابن رسول الله قال اقرأ يا ابا ابراهيم الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم ان ربك واسع المغفرة هو اعلم بكم اذ انشأكم من الارض، يعني من الارض الطيبة والارض المنتنة فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى

يقول لا يفتخر احدكم بكثرة صلوته وصيامه وزكوته ونسكه لان الله عز وجل اعلم بمن اتقى منكم فان ذلك اللمم وهو المزج ازيدك يا ابا ابراهيم قلت بلى يا ابن رسول الله قال كما بدأوكم تعودون فريقاً هدى وفريقاً حقَ عليهم الضلالة انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله يعني ائمة دون ائمة الحق، ويحسبون انهم مهتدون خذها اليك يا ابا اسحق فوالله انه لم عزيز احاديثنا، وباطن سرائرنا ومكنون خزائنا وانصرف ولا تطلع على سرِّنا أحداً الا مؤمناً مستبصراً فانك ان اذعت سرنا بليت في نفسك ومالك واهلك وولدك.

وعن علي بن الحسين عليهما السلام قال ان الله تعالى خلق النبيين من طينة عليين قلوبهم وابدانهم وخلق قلوب المؤمنين من تلك الطينة، وجعل ابدان المؤمنين من دون ذلك وخلق الكفار من طينة سجين قلوبهم وابدانهم فخلط بين الطينتين فمن هذا يلد المؤمن الكافر ويلد الكافر المؤمن، ومن هنا يصيب المؤمن السيئة، ومن هنا يصيب الكافر الحسنة فقلوب المؤمنين تحنَ الى ما خلقوا منه وقلوب الكافرين تحنَ الى ما خلقوا منه، وقال الصادق عليه السلام الطينات ثلاث طينة الانبياء، والمؤمن من تلك الطينة الا ان الانبياء هم من صفوتها هم الاصل، ولهم فضلهم والمؤمنون الفرع من طين لازب كذلك لا يفرِّق الله عز وجل بينهم وبين شيعتهم.

وقال طينة الناصب من حماء مسنون، وام المستضعفون فمن تراب لا يتحوَّل لمؤمن عن ايمانه ولا ناصب عن نصبه ولله فيهم المشيئة وفي آخر عن الصادق عليه السلام قال الله عز وجل لما اراد ان يخلق آدم عليه السلام بعث جبرئيل عليه السلام في اول ساعة من يوم الجمعة فقبض بيمينه قبضة من السماء السابعة الى السماء الدنيا وأخذ من كل سماء تربة وقبض قبضة أخرى من الارض السابعة العليا الى الارض السابعة القصوى، فأمر الله عز وجل كلمته فأمسك القبضة الاولى بيمينه والقبضة الاخرى بشماله، ففلق الطين فلقتين فذرأ من الارض ذروا ومن السموات ذرواً فقال للذي بيمينه منك الرسل والانبياء والاوصياء الصديقون والمؤمنون والسعداء ومن اريد كرامته فوجب لهم ما قال كما قال وقال للذي بشماله منك الجبارون والمشركون والكافرون والطواغيت ومن اريد هوانه وشقوته، فوجب لهم ما قال كما قال.

ثم ان الطينتين اختلطتا جميعاً، وذلك قول الله عز وجل فالق الحب والنوى فالحب طينة المؤمنين التي القىالله تعالى عليها محبته، والنوى طينة الكافرين الذين ناؤا عن كل خير وانما سمّى النوى من اجل انه نئا عن كل خير وتابعد منه، وقال الله عز وجل يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي، فالحي الذي يخرج من الميت هو المؤمن الذي تخرج طينته من طينة الكافر والميت الذي يخرج من الحي هو الكافر الذي يخرج من طينة المؤمن فالحي المؤمن والميت الكافر وذلك قوله عز وجل أومن كان ميتاً فأحييناه فكان موته اختلاط طينته مع طينة الكافر وكان حيوته حين

فرّق الله عز وجل كذلك يخرج الله عز وجل المؤمن في الميلاد من الظلمة بعد دخوله فيها الى النور ويخرج الكافر من النور الى الظلمة بعد دخوله الى النور وذلك قوله عز وجل لينذر من كان حياً ويحقَ القول الكافرين.

وقال الصادق عليه السلام ان الله خلقنا من عليين وخلق ارواحنا من فوق ذلك وخلق ارواح شيعتنا من عليين، وخلق اجسادهم من دون ذلك فمن اجل ذلك القرابة بيننا وبينهم وقلوبهم تحنَ الينا، وعن الصادق عليه السلام ان الله خلقنا من نور عظمته ثم صوّر خلقنا من طينة مخزونة مكنونة من تحت العرش فاسكن ذلك النور فيه فكنّا نحن خلقاً وبشراً نورانيين، لم يجعل لاحد في مثل الذي خلقنا منه نصيباً، وخلق ارواح شيعتنا من طينتنا وابدانهم من طينة مخزونة مكنونة اسفل من ذلك الطينة، ولم يجعل الله لاحد في مثل الذي خلقنا منه نصيباً، الا للانبياء ولذلك صرنا نحن وهم الناس وسائر الناس همج الناس والى النار.

اقول هذا بعض احاديث الطينة، وقد روى في هذا المعنى اخبار كثيرة باسانيد متعددة، تركنا نقلها حذراً من التطويل، ولانها في المعنى راجعة الى ما ذكرناه، ولا بدّ من الكلام على هذه الاخبار والكشف عن معناها، لان ظاهرها ان يكون الانسان في هذا العالم مجبوراً على كل افعاله وليس له اختيار اذ افعاله بمقتضى الطينة، فيخرج هو عن حالة الاختيار ويكون هذه الاخبار دليلاً لمن قال بأن العبد مجبور على افعاله، كالاشاعرة ومن حذى حذوهم فنقول الكلام فيها يتمّ ببيان امرين الاول في تصحيح الفاظها فنقول قول ابي اسحاق الليثي المؤمن المستبصر المراد به من يكون له بصيرة تامة في امور الدين واما قوله عليه السلام اللهم لا في الزنا وما بعده ونفيه هذه الكبائر فهو اشارة الى ما يحققه عليه السلام بعيد هذا من ان سبب ارتكاب المؤمن هذه الكبائر هو مزج الطينتين فهذه الذنوب وان صدرت منه ظاهراً وهو آلة لها لكنها في الحقيقة قد كان مصدرها غيره وهو الماء الذي دخل في طينته حال المزج بطينة الكافر، فالكافر في الحقيقة هو الفاعل لهذه الافعال.

وقوله عليه السلام ملمّ وما ذكره في تفسيره اشارة الى قوله سبحانه في صفة المؤمنين ويجزي الذين احسنوا بالحسنى الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم، فالزنا وما ذكر بعده من كبائر الذنوب وفواحشها، واللمم ما قل من الذنب وصغر، ومن قولهم المّ بالمكان اذا قلَ فيه لبثه والمَ بالطعام قلَ منه اكله كالنظرة والغمزة والقبلة وقيل المراد باللمم كل ذنب لم يذكر الله عليه حداً ولا عقاباً، وقوله عليه السلام ولا تستحسر معناه، ولا تمل استفعال من حسر اذا اعيا وتعب، وقوله فكيف هذا ولم ذاك أي كيف صدرت منه هذه الذنوب ولم نفيها عنه سابقاً مع وقوعها منه ظاهراً، ويجوز ان يكون قوله عليه السلام ولم ذاك تأكيداً لسابقه بقرينة ما سيأتي وقوله وضاق ذرعى معناه اني عجزت عن البلوغ اليه من قولهم مددت ذرعي اليه، فبلغت ذراعي، ومددت اليه فقصر عنه

ذراعي، لان تناول المحسوسات انما يكون باليد غالباً واتسع فيه فاستعمل في تناول المعقولات والطواغيت هم فلان وفلان ومن حذى حذوهم.

وقوله عليه السلام العاملة الناصبة اشارة الى الاية، وهي هل اتيك حديث الغاشية وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى ناراً حامية تسقى من عين آنية، وفسّرت تارة بأنها عاملة في النار عملا تتعب فيه، وهو جرَها السلاسل والاغلال وارتقاؤها دائبة في صعودها وهبوطها، وأخرى بأنها عملت ونصب في الدنيا في اعمال لا يجديها نفعاً في الاخرة وهذا يؤال الى ما اراده عليه السلام هنا فان المراد هنا انها عاملة لاعمال الخير ظاهراً، ولكنها نصبت العداوة لاهل بيت نبيها ولمحبيهم فلا ينفعها ما عملت والانية الحارة التي بلغت منتهاها، وقوله وقدمنا الى ما عملوا من عمل الاية، فالمراد بها اعمالهم الحسنة كصلة الرحم والعبادات، والهباء ما يخرج من الكوّة مع ضوء الشمس شبيه بالغبار، وفي الاخبار ان الله سبحانه في القيامة يأمر لجماعة باعمالهم الحسنة فتؤتى اليهم وهم ينظرون اليها من بعيد بيضاء نقية كالثياب القبطية، فيفرحون بها فيكونون في اشد ما يكون من الحاجة اليها، فاذا قربت اليهم ارسل الله اليها ريحاً عاصفة، ففرقتها في الهواء وجعلتها هباءاً منثوراً، وهذا هو احد معاني قوله سبحانه ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين.

وقوله عليه السلام فعرض عليها ولايتنا اهل البيت، يدلّ على ما قدّمناه من ان الله سبحانه قد اعطى الجمادات نوعاً من الشعور، والفهم تعرف به خالقها ومبدعها، وتسبحه وتعرف به اولياءه الحجج على الخلق وبه قبلت بعضها ولاية الائمة عليهم السلام فمن قبلتها كانت ارضاً حلوة محلاً للنماء والزرع، ومن لم يقبلها من الارض كانت مالحة منتنة سبخة ليس فيها مدخل للخير بوجه من الوجوه وقد عرضت على الحيتان فمن قبلها صار مباركاً حلال الاكل ومن لم يقبلها كان خبيثاً حرام الاكل لا يأكله الا المخالفون كالجري واشباهه وكذلك الطيور فانه قد روى ان العصفور يحب فلاناً وفلاناً، وهو سني فينبغي قتله بكل وجه واعدامه واكله وكذا ضروب المخلوقات والثمار الحلوة والمرة والبقول.

وقوله اجاجاً آسناً الاجاج المالح الشديد المملوحة، والاسن المتغير الريح والسنخ الاصل من كل شيء واما قوله واوزار الذين يضلونهم بغير علم الاية، فانطباقه على ما هنا مشكل، وذلك لان مخالفينا لم يضلونا ويمكن ان يراد اما اضلال علمائهم لجهالنا فانه قد يقع وان كان نادراً، واما ان يكون تشبيهاً وتمثيلاً لحمل الاوزار، وفايدته نفي الاستبعاد من ان يكون الانسان في القيامة يحمل اوزار غيره وآثامه ولعل هذا هو الاولى، والاصوب في الجواب ان يقال المراد ان ما يقع من المؤمنين من الذنوب والمعاصي انما هو سبب مزج الطينة وسراية ماء طينة الكافر، فكان الذي اضلَ

المؤمن حتى ارتكب الفواحش هو الكافر، فالكافر قد اضل المؤمن وهو لا يعلم، لان مناطه ما وقع في العالم الاول وكل منها قد نسيه.

واما قول علي بن الحسين عليهما السلام من طينة عليين فالمراد بالعليين اما السماء السابعة، واما اعلى مكان في الجنة كما قاله اهل اللغة وسجين اسل مكان في النار وقوله عليه السلام قلوبهم وابدانهم الظاهر ان المراد بالقلوب هنا الارواح بقرينة ما سيأتي اطلق عليها لشدة العلاقة بينهما فان اهل المعقول من الحكماء والاطباء قالوا ان الروح انما تتعلق اولاً بالقلب وتنبعث منه الى الاعضاء.

وقوله لازب قال في القاموس لزب الطين ككرم لزق وصلب، وقوله من حماء مسنون الحمأ الطين الاسود المنتن، والمسنون المنتن، واما قوله واما المستضعفون الظاهر ان المراد منهم مستضعفوا المخالفين، وهم من لم يعاند على الحق ولم يتعصب عليه ولم يبغض احداً من المؤمنين على الدين، وهم طائفة من جهال اهل الخلاف وقول الصادق عليه السلام بعث جبرئيل عليه السلام (ا ه) لا ينافي متقدم، من ان الملك الذي اخذ الطينة هو ملك الموت، واما جبرئيل فقد رجع عن اخذ التربة، لان التي رجع عن اخذها جبرئيل عليه السلام هي طينة ابينا آدم وحدها وهذه المأخوذة هي طينة كل المخلوقات من آدم واولاده ويحتمل العكس.

الامر الثاني في الكشف عن معناها فنقول قد سلك الاصحاب رضوان الله عليهم فيها مسالك مختلفة اولها ما صار اليه سيدنا الاجل علم الهدى طاب ثراه من انها اخبار آحاد مخالفة للكتاب والاجماع فوجب ردها، فلذلك طرحها كما هو مذهبه في اخبار الاحاد اينما وردت، وذلك لان الكتاب والاجماع قد دلاّ على ان صدور الحسنة والسيئة انما هو باختيار العبد وليس فيه مدخل للطينة بوجه من الوجوه.

والجواب ان اصحابنا قد رووا هذه الاخبار بالاسانيد المتكثرة في الاصول وغيرها فلم يبق مجال في انكارها، والحكم عليها بانها اخبار آحاد بل صارت اخباراً مستفيضة بل متواترة، واما مخالفتها للكتاب والاجماع فسيأتي الجواب عنه.

وثانيها ما ذهب اليه ابن ادريس (ره) من انها اخبار متشابهة يجب الوقوف عندها وتسليم امرها اليهم عليهم السلام فان كلامهم متنوع كالقرآن الى محكم ومتشابه ونحو ذلك، وهذا اقرب من الاول واسلم عاقبة منه لكن يرد عليه ان هذه الاخبار قد القاها الائمة عليهم السلام الى آحاد الشيعة، للتفهم والتعليم وان يعتقدوا معانيها كما القيت اليهم ولعلهم قد فهموا معانيها بقرائن الحال والمقال.

وثالثها ما صار اليه بعض المحدثين من حملها على المجاز والكناية كما يقال في العرف لمن اصدى خيره الى عباد الله وحسن خلقه، هذا رجل قد عجنت طينته بفعل الخير وحب الكرم

والتقوى، وهذا في غاية البعد بل حمل هذه الاخبار خصوصاً الخبر الاول على مثل هذا غير محتمل بوجه من الوجوه، وان احتمله بعض اخبار هذا الباب.

ورابعها وهو المشهور في تأويل هذه الاخبار وما ضاهاها مما ظاهره الجبر ونفي الاختيار الوارد في كل الاخبار من انه منزّل على العلم الالهي، فانه سبحانه قد علم الاشياء قبل وجودها كعلمه بها بعد وجودها، وقد علم في الازل احوال الخلق في الابد وما يأتونه وما يذرونه بالاختيار منهم، فلما علم منهم هذه الاحوال وانها تقع باختيارهم عاملهم هذه المعاملة كالخلق من الطينة الخبيثة المنتنة، والاحوال السابقة روى الصدوق طاب ثراه باسناده الى ابن ابي عمير، قال سألت ابا الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام عن معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله الشقي من شقى في بطن امه، والسعيد من سعد في بطن امه، فقال الشقيي من علم الله عز وجل وهو في بطن امه انه سيعمل اعمال الاشقياء والسعيد من علم الله عز وجل وهو في بطن امه انه سيعمل اعمال السعداء، قلت فما معنى قوله صلى الله عليه وآله اعملوا فكلّ مسيّر لما خلق له فقال ان الله عز وجل خلق الجن والانس ليعبدوه ولم يخلقهم ليعصوه وذلك قوله عز وجل وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فيسّر كلاً لما خلق فالويل لمن استحب العمى على الهدى، وهذا الحديث الشريف يكشف عن فرد واحد من افراد هذه المقالة، ولكن الظاهر ان حكم ما عداه حكمه لاتحاد الطريق.

وخامسها ما خطر بالبال ولكن اخذا من الطاهرين عليهم السلام وحاصله انه قد تحققت من الانوار السابقة ان خلق الارواح قد كان قبل خلق عالم الذر، وقد اججَ سبحانه ناراً وكلّف تلك الارواح بالدخول، فمنهم من بادر الى الامتثال ومنهم من تأخر عنه ولم يأت له، فمن هناك جاء الايمان والكفر ولكن بالاختيار فلما اراد سبحانه ان يخلق لتلك الارواح ابدانا تتعلق بها لكل نوع من الارواح مناسباً له من الابدان كان جعل للارواح الطيبة ابدانا مثلها، وكذا للارواح الخبيثة، فيكون ما صنع بها سبحانه جزاءاً لذلك التكليف السابق، نعم لما مزج الطينتين اثر ذلك المزج في قبولا الاعمال الحسنة وضدّها، فان قلت اذا كان الحال على هذا المنوال فلأي شيء قال الصادق عليه السلام لابي اسحاق الليثي لا تطلع على سرنا احداً الا مؤمنا وان اطلعت غيره على هذا ابتليت في نفسك ومالك واهلك، وما معنى هذه التقية ومن أي فريق يكون.

قلت يجوز ان يكون هذه التقية من المخالفين فانهم اذا فهموا هذا العلم علموا من القرائن ان ليس المراد باهل الشمال المذكورين في الخبر الا همّ ومثل هذا مما يتقي فيه قطعاً، ويجوز ان يكون تقية او اتقاءاً على الشيعة فانّ عوامهم اذا سمعوا بمثل هذا اقبلوا على الاتيان بانواع المحارم والذنوب، فيكونون قد اتوا ذنوباً تزيد على ما يقتضيه مزج الطينتين، لانك قد تحققت ان اللمم وهي الصغائر القليلة قد يفعل المؤمن بمقتضى مادته وطبيعته، واما الكبائر كالزنا واللواط ونحو

ذلك فهو انما يفعلها بمقتضى ما وصل اليه من خلط الطينات، فاذا اطلع على مثل هذا الحديث، وتعمَد افعال الكبائر لحصول اللذة الدنيوية، ولعلمه بأن وبالها الاخروي انما هو على غيره، فقد أتى بفعل من مادته وطبيعته، وزاد على ما اتى اليه من خبث المزج، لان معاصي المزج هي المعاصي المتعارفة الوقوع في كل الاعصار بمقتضى الدواعي، واما اذا كان الداعي ما عرفت من انها ذنوب على الغير وان فعلها هو فلا يكون فعلها من المعاصي المتعارفة، فيكون انما اتى بها منه ومن مادته لا من قضية المزج، فتأمل وتفكَر في هذا المقام وقد بقى هيهنا ابحاث شريفة وشَحنا بها شرحنا على الصحيفة.

نور علمي تقديري

نور يكشف عن بعض احوال علمه القديم وتقديره الازلي سبحانه وتعالى

اعلم ان المليين قد ذهبوا الى ان علمه تعالى يعمّ المفهومات كلها، الممكنة والواجبة والممتنعة ويحيط بالكليات على الوجه الكلي، وبلجزئيات على الوجه الجزئي، وقد خالف في هذا الدهرية وقدماء الفلاسفة، وافترقوا ستَ فرق.

الفرقة الاولى من الدهرية ذهبوا الى انه لا يعلم نفسه قالوا لان العلم نسبة والنسبة لا تكون الا بين شيئين متغايرين، ولا تغاير بين الشيء ونفسه، والجواب منع كون العلم نسبة بل هو اما عين الذات او صفة حقيقية ذات نسبة الى المعلوم، ونسبة الصفة الى الذات ممكنة سلّمنا كونه نسبة لكن لا نسلَم ان الشيء لا ينسب الى ذاته نسبة علمية، فان التغاير الاعتباري كاف لتحقق هذه النسبة، وكيف لا يكون كذلك وأحدنا يعلم نفسه مع عدم التغاير بالذات.

الفرقة الثانية من قدماء الفلاسفة من قال أنه لا يعلم شيئاً أصلا تعالى عما يقول الكافرون علواً كبيرا، ودليلهم أنه لو علم لعلم نفسه، اذ على تقدير كونه عالماً بشيء يعلم أنه يعلمه وذلك يتضمن علمه بنفسه، وقد بينا امتناعه في مذهب الفرقة الاولى، والجواب ان مبنى هذا القول على قول الفرقة الاولى، وقد عرفت الجواب عنه.

الفرقة الثالثة قالوا انه عالم بذاته ولكن ليس عالماً بغيره، واستدلوا عليه بان العلم بالشيء غير العلم بغيره من الاشياء الاخر والا يلزم ان من علم شيئاً علم جميع الاشياء لان العلم به عين العلم بها وهو باطل، واذا كان العلم بهذا الشيء مغايراً للعلم بذلك الشيء فيكون له بحسب كل معلوم علم على حدحة، فيكون في ذاته كثرة متحققة غير متناهية وهي العلوم بالمعلومات التي لا

تتناهى، وذلك محال والجواب ان العلم واحد والتكثر انما هو واقع في الاضافات بالنسبة الى المعلومات والعلم واحد لكنه كثير الاضافات والتعلقات.

الفرقة الرابعة قالوا انه لا يعقل غير المتناهي، اذ المقول متميز عن غيره وغير المتناهي لا يتميز عن غيره بوجه من الوجوه، والا كان له حدّ وطرف يتميز به عن الغير واذا كان كذلك فهو غير متناه، والجواب انه معقول له حيث عدم التناهي يعني ان المجموع من حيث هو مجموع متميز عن غيره بوصف اللاتناهي، ومعقول بحسبه او نقول ان المعقول، هو كل واحد واحد من غير المتناهي، وهو متميز عن غيره من تلك الاحاد ومن غيرها، ولا يضر في تميز كل واحد واحد عدم تمَيز الكل من حيث هو كل او نقول لانسلَم ان المعقول المتميز يجب ان يكون له حدّ ونهاية يمتاز بهما عن غيره وانما يكون كذلك ان لو كان تعقله بتميزه منم غيره منحصراً في الحد والنهاية، وهو ممنوع لان وجوه التمييز لا تنحصر فيه.

الفرقة الخامسة وهم جمهو رالفلاسفة قالوا انه سبحانه لا يعلم الجزئيات المتغيرة واستدلوا عليه بأنه اذا علم مثلاً ان زيداً في الدار الان ثم خرج زيد عنها فاما ان يزول ذلك العلم ويعلم أنه ليس في الدار، او يبقى ذلك العلم بحاله، والاول يوجب التغيّر في ذاته من صفة الى اخرى والثاني يوجب الجهل وكلاهما نقص يجب تنزيهه تعالى عنه، وقالوا وكذلك لا يعلم الجزئيات المتشكلة وان لم يكن متغيَرة، كأجرام الافلاك الثابتة على اشكالها، لان ادراكهما إنما يكون بآلات جسمانية وكذا الحال في الجزئيات المتشكلة المتغيّرة اذ قد اجتمع فيها المانعان، بخلاف الجزئيات التي ليست متشكلة ولا متغيرة فانه يعلمها بلا محذور كذاته تعالى وذوات العقول، والجواب منع لزوم التغيَر فيه فان التغير إنما هو في الاضافات لان العلم اما اضافة مخصوصة او صفة حقيقية ذات اضافة، فاللازم انما هو تغيّر الاضافات فقط، فلا يلزم التغيّر في صفة موجودة، بل في امر اعتيادي وهو جايز وادراك التشكل انما يحتاج الى آلة جسمانية اذا كان العلم حصول الصورة، واما اذا كانت اضافة محضة او صفة حقيقية ذات اضافة بدون الصورة فلا حاجة اليها.

الفرقة السادسة منهم قالوا ان الله سبحانه لا يعلم الجميع بمعنى سلب الكل، أي رفع الايجاب الكلي لا بمعنى السلب الكلي كما زعمته الفرقة الثانية، قالوا انه لو علم كل شيء فاذا علم شيئاً علم ايضاً علمه به، لان هذا العلم شيء من الاشياء ومفهوم من المفهومات وكذا علم علمه بعلمه لانه شيء آخر ويلزم التسلسل في العلوم والجواب انه تسلسل في الاضافات لا في امور موجودة، والتسلسل في الاضافات غير ممتنع، هذا محصّل مقالاتهم مجملاً، وهو تعالى علواً كبيراً عن هذه المقالات واشباهها، وسبحان من يعلم دبيب النملة السوداء على الصخرة السوداء في الليلة السوداء، وما ذهبوا الى هذه السخيفة الا لعدم اعتقادهم بأن الرازق على الاطلاق هو

الباري سبحانه اذ لو صاروا اليه لما وسعهم القول بهذه المزخرفات لانه سبحانه قد ضمن ارزاق مخلوقاته في كل احوالها جزئية وكليّة وايصال الرزق في كل الاحوال فرع على العلم فيها كما لا يخفى .

وفي الرواية ان موسى عليه السلام قال يوماً يا رب اريد ان اطلع على رزاقك للعباد، فقال له اذا كان غداً فأمض الى ساحل البحر وانظر ما ترى، فلما كان من الغد أقبل الى الساحل فرأى حيواناً صغيراً يعدو من البر وفي فمه طعمة، فأقبل حتى وصل الى جرف البحر فطلعت ضفدع من البحر وأخذت تلك الطعمة من فيه فغاصت تحت الماء، فقال الله تعالى لموسى عليه السلام إضرب البحر حتى يصير لك في طريق واتبع الضفدع فتبعها في بطن البحر وهي تسعى حتى بلغت بطن البحر واذا فيه صخرة سوداء مربعة وفيها ثقب فخرجت نملة من ذلك الثقب وأخذت الطعمة من فم الضفدع ودخلت، فأمر موسى بفلق الصخرة فلما فلقها نصفين رأى في بطنها دودة عمياء ورأى تلك الطعمة في فم تلك الدودة تأكل منها، فقال موسى سبحانك عجباً لمن عرفك كيف يهتم لرزقه.

وحكى في بعض السير والتواريخ ان ملكاً من الملوك كان جالساً يتغذّى وفوق طعامه دجاجة مطبوخة فلم يشعر الا وقد انكبت عليه حداة من الهوى فأخذت تلك الدجاجة من فوق فغضب لهذا وركب فرسه مع جماعة منعسكره فطلب الحداة حتى امعنوا في طلبها، فوصلت الى جبل عالٍ ومضت الى خلف الجبل فنزلوا عن خيولهم ورقَوا ذلك الجبل فلما صعدوا الى قلّته ونظروا الى خلف الجبل رأوا تلك الحداة قد أتت ونزلت على رجل مضروبة بالاوتاد يداه ورجلاه وملقى على قفاه، فقربت اليه الحداة وجعلت تقطع لحم تلك الدجاجة بمنقارها ومخالبها وتضعه في فم ذلك الرجل حتى يأكله، فلما فرغت من هذا طارت الى عين الماء في ذلك الجبل وحملت اليه ماءاً في حوصلتها وأتت اليه وسقته اياه ثم طارت فأتى اليه ذلك السلطان مع اصحابه وحلّوا اوتاده واجلسوه وسألوه عن قصته فقال اني تاجر وقد قطع اللصوص عليَّ هذا الطريق فأخذوا مالي واتفقوا على ان يحبسوني فوق هذا الجبل بهذه الاوتاد، فلما مضوا عني وبقيت يوماً على هذه الحال أتت اليَّ هذه الحداة مع طعمة وماء وصارت تتعاهدني في كل يوم مرتين كما شاهدتم، فلما رأى السلطان كيف يوصل الله سبحانه روقه الى عباده قال لعن من يهتّم للرزق فترك الملك واشتغل بالعبادة حتى مات، ومن هذا النحو كثير لا نطول بذكره الكتاب ولنرجع الى ما نحن بصدده فنقول.

قد ذهب الاشاعرة وهم اكثر المخالفين الى ان عمله سبحانه بالاشياء في الازل على لوقوعها في الابد، فكل ما يقع في هذا العالم من الفسوق والمعاصي فهو مستند ومعلول لذلك العلم القديم، وحتى ان بعضهم ربما لاط او زنى ولما عنّف اجاب بان الله سبحانه قد علم مني

ذلك في الازل فلو لم افعله لكان قد انقلب علمه سبحانه جهلاً، فهو على‌عيانه يرى ان له الاجر والاحسان على الله تعالى حيث انه لم يخالف علمه سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً، ومن هذا الاصل ذهبوا الى ذلك الفرع الذي امتازوا به عن جميع الملل والاديان، وهو القول بأن العبد ليس له قدرة ولا اختيار على افعاله بل المؤثر فيها والموجد لها هو الله سبحانه، فهو الذي جبَر عبده على الكبائر والمعاصي ومع هذا عاقبه عليها لانه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

والتحقيق ان علمه سبحانه تابع للمعلوم والمعلوم كاشف عنه فعلى أي نحو وقع المعلوم يكون كاشفاً عن ان الله سبحانه قد علمه على هذا النحو، لان علمه الازلي غير معلوم لنا وانما نعلمه بوقوع المعلومات، والاشاعرة قالوا ان المعلوم تابع للعلم ونحن نقول ان العلم تابع للمعلوم، وسيأتي تحقيقه ان شاء الله تعالى في نور افعال العباد.

واما القدرة ومساوقه وهو الفضا فالكلام فيهما مشكل ومع ذلك فقد ورد النهي عنه عن مولانا امير المؤمنين عليه السلام روى الصدوق باسنادع الى الاصبغ بن نباتة قال قال امير المؤمنين عليه السلام في القدر الا ان القدر سرّ من سر الله وحرز من حرز الله مرفوع في حجاب الله مطوي عن خلق الله مختوم بختام الله سابق في علم الله وضع الله العباد عن علمه، ورفعه فوق شهاداتهم ومبلغ عقولهم، لانهم لا ينالونه بحقيقة الربانية ولا بقدرة الصمدانية ولا بعظمة النورانية ولا بغرة الوحدانية لانه بحرز آخر خالص لله عز وجل، عمقه ما بين السماء والارض وعرضه ما بين المشرق والمغرب اسود كالليل الدامس كثير الحيّات والحيتان يعلو مرة ويسفل أخرى في قعرها شمس تضيء، لا ينبغي ان يطلّع عليها الا الله الواحد الفرد فمن تطلّع عليها فقد ضادّ الله عز وجل في حكمه ونازعه في سلطانه وكشف عن ستره وسرّه وباء بغضب من الله ومأويه جهنم وبئس المصير.

فهذا مما يدلّك على ان تحقيق هذا المقام مما حجب عن ابصار العقول فلا ينبغي التفكّر فيه لانه يؤل الى مكان دقيق فيرجع العقل عنه متلبساً بمذهب اهل الحبر، ولكن لا بدّ لنا من الكلام في نوعين من انواع الاحاديث.

النوع الاول الاخبار الدالة على أنه سبحانه قد قضى وفعل ما كان وما يكون ولم يبق شيء من افعاله الابدية تحتاج الى صنع جديد فهو قد فرغ من الامر، منها ما رواه علي بن ابراهيم عن ابيه عن ابن ابي عمير عن هشام عن ابي عبد الله عليه السلام قال اوّل ما خلق الله القلم فقال له اكتب فكتب ما كان وما هو كائن الى يوم القيامة، رواه ايضاً باسناده الى عبد الرحيم القصير عن ابي عبد الله عليه السلام قال سألته عن نون والقلم، قال ان الله تعالى خلق القلم من شجرة في الجنة يقال لها الخلد ثم قال لنهر في الجنة كن مداداً فجمد النهر وكان اشدّ بياضاً من الثلج وأحلى من الشهد

ثم قال للقلم اكتب قال يا رب وما اكتب، قال اكتب ما كان وما هو كائن الى يوم القيامة، فكتب القلم في رقَ اشد بياضاً من الفضة واصفى من الياقوت، ثم طواه فجعله في ركن العرش ثم ختم على فم القلم فلم ينطق بعد ولا ينطق ابداً، فهو الكتاب المكنون الذي منه النسخ كلها اولستم عرباً فكيف لا تعرفون معنى الكلام واحدكم يقول لصاحبه انسخ ذلك الكتاب أوليس بنسخ من كاب آخر من الاصل وهو قوله انا كنّا نستنسخ ما كنتم تعملون.

وروى الصدوق طاب ثراه هذا المضمون باسانيد متعددة وكذا رواه العياشي ايضاً وروى الصدوق طاب ثراه انه هبط جبرئيل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله في قباء اسود ومنطقة فيها خنجر، فقال يا جبرئيل ما هذا الزي فقال زي ولد عمك العباس، يا محمد ويل لولدك من ولد عمك العباس فخرج النبي صلى الله عليه وآله فقال يا عمِ ويل لولدي من ولدك، قال رسول الله أفأجاب نفسي قال جرى القلم بما فيه، ومن هذا الحديث اوحى الله الى نبي من انبيائه قل للمؤمنين لا يلبسوا لباس اعدائي ولا يطعموا مطاعم اعدائي ولا يسلكوا مسالك اعدائي فيكونوا اعدائي كما هم اعدائي قال الصدوق (ره) في عيون اخبار الرضا عليه السلام لباس الاعداء هو السواد ومطاعم الاعداء النبيذ والمشكر والفقاع والطين والجري والمامرماهي والزمار والطافي[1] وكل ما ليس له فلوس من السمك والارنب والضبَ والثعلب، وما لم يدّف من الطير وما استوى طرفاه من البيض والدبا بالدال من الجواد وهو الذي لا يستقلّ بالطيران والطحال ومسالك الاعداء مواضع التهمة ومجالس شرب الخمر والمجالس التي فيها الملاهي ومجالس الذين لا يقضون بالحق، والمجالس التي يعاب فيها الائمة عليهم السلام والمؤمنون ومجالس اهل المعاصي والظلم والفساد..

فاما لبس السواد للتقية فلا بأس فيه كما رواه حذيفة انه قال كنت عند ابي عبد الله عليه السلام بالحيرة فأتاه رسول ابي العباس الخليفة يدعوه، فدعا بممطر أحد وجهيه اسود والاخر ابيض فلبسه ثم قال عليه السلام اما اني البسه وانا اعلم انه لباس اهل النار، فاذا صحّت هذه الروايات من قوله جرى القلم بما فيه، فقد صح مذهب من قال ان الله سبحانه قد فرغ من الامر موافقاً لما قالته اليهود، فانهم قالوا انه تعالى خلق ما خلق وصنع وقدّر يوم الاثنين والثلاثا والاربعا والخميس والجمعة وفرغ يوم السبت منكل شيء فمن هذا اتخذوه عيداً لانه وقت فراغه سبحانه من جميع اشغاله حتى ردّ الله عليهن باللعن وانه ليس كما يقولون بل هو كل يوم في شأن وحال يقضى ويحكم ويعزل وينصب ويمحو ويثبت.

---

(١) الطافي السمك الذي يموت في الماء يعلو فوق وجهه يقال طفأ الشيء فوق الماء يطفو طفواً اذا علا ولم يرسب ورسب الشيء في الماء رسوباً سفل فيه.

قلت هذه الاخبار مجملة، وقد روى في هذا المعنى اخبار مفصلة منها ما روى في تفسير قوله تعالى، ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الاية ان الولد اذا كمل له اربعة اشهر في بطن امه بعث الله ملكين خلاّقين فيقتحمان في بطن امه من فمها فيصلان الى الرحم، وفيها الروح القديمة المنقولة في اصلاب الرجال وارحام النساء، فينفخان فيها روح الحيوة والبقاء ويشتقان له السمع والبصر وسائر الجوارح، ثم يوحي الى الملكين اكتبا عليه قضائي وقدري واشترطا لي البداء فيما تكتبان فيرفعان رؤوسهما فاذا اللوح يقرع جبهته وفيه صورته ورؤيته واجله وميثاقه شقيّا أو سعيدا وجميع شأنه، فيملى احدهما على صاحبه فيكتبان جميع ما في اللوح ويختمان الكتاب ويجعلانه بين عينيه والحديث طويل اخذنا منه موضع الحاجة.

ومنها ما رواه شيخنا الكليني طاب ثراه عن الباقر عليه السلام قال أن الله تبارك وتعالى عالم بما غاب عن خلقه فما يقدّر من شيء ويقضيه في علمه قبل ان يخلقه وقبل ان يقضيه الى ملائكته فذلك علم موقوف عنده اليه فيه المشيئة فيقضيه اذا اراد ويبدو له فلا يقضيه فأمّا العلم الذي يقدّره الله عز وجل ويقضيه ويمضيه فهو العلم الذي انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وآله ثم الينا ونحو ذلك من الاخبار الدالة على ان علمه سبحانه نوعان منه، ما علّمه ملائكته ورسله لتسعى به في ما بين السموات والارض فذلك لا يكون فيه محو ولا اثبات ولا تغيير ولا تبديل، وعلم استأثر به في أم الكتاب وهو اللوح المحفوظ الذي تدخل فيه انواع التغييرات والمحو والاثبات.

فان قلت اذا كان ذلك العلم مما يتغير لزم التغير في علمه القديم فيلزم التغير في الذات لانها عين العلم، قلت ذلك المتغير هو العلم الذي ابرزه الى القلم واللوح المحفوظ وكتبا فيه لا العلم الذي هو عين الذات، بل انما يقع التغيير والتبديل في العلوم المكتوبة في الدفاتر الالهية بسبب العلم القديم الذي علم به الاشياء قبل وجودها، واما العلم القديم الذاتي فلا يقال له تقدير ولا حكم ولا مكتوب، نعم اذا برز الى الوجود الخارجي اتصف بهذه الصفات، كما ان السلطان اذا علم انه يصنع غداً في ملكه الفعل الفلاني فقبل امره به وابرازه الى الوجود لا يتصف بالقضاء والحكم والامر نعم يتصف بالتقدير لمكان التروي والتفكر في حقه لا في حق الله سبحانه.

فصار الحاصل ان الذي كتبه القلم وختم عليه وقوله جرى القلم بما فيه علوم تداخلها المشيئة والتغيير لمكان المصالح بل وبما وقع المحو والاثبات في العلوم الخارجة الى الانبياء كما قال امير المؤمنين عليه السلام لولا آية في كتاب الله لاخبرتكم بما كان وما يكون الى يوم القيامة وهي قوله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب وكما وقه في شأن الذي اخبر عيسى عليه السلام بموته فلما كان الغد ولم يمت، قال له الحواريون يا روح الله لم يمت فقام معهم اليه فرأى الرجل حاملاً حزمة حطب، فقال له ضعها في الارض فلما وضعها قال له حلّها فحلها فرأى فيها حية سوداء عاضة

على حجر صلب فقال له يا عبد الله هذا قد ارسل اليك ليقتلك فما فعلت في يومك حتى كفَ الله عنك فقال يا روح الله كان عندي رغيف فتصدقت به على فقير، فقال نعم هذا الحجر الذي في فم هذا الثعبان هو الرغيف الذي تصدقت به، وقد وقع مثله في اخبارات محمد ﷺ وهذا لا يلزم منه تكذيب الانبياء عليهم السلام لاشتماله على تصديقهم في الاخبار وظهور معجزة على يديهم وان المحو والاثبات انما كان لهذا السبب الخاص.

النوع الثاني في اخبار القضاء الدالة على انه تعالى قضى كل شيء الخير والشر وافعال العباد كلها، روى الصدوق (ره) باسناده الى الحسن (الحسين خ) بن علي عليهما السلام قال سمعت ابي علي بن ابي طالب عليه السلام يقول الاعمال على ثلثة احوال فرائض وفضائل ومعاص، فاما الفرائض فبأمر الله عز وجل وبرضاء الله وبقضاء الله وتقديره ومشيته وعلمه، واما الفضائل فليست بأمر الله ولكن برضاء الله وبقضاء الله وبقدر الله ومبشية الله، واما المعاصي، فليست بأمر الله ولكن بقضاء الله وبقدره وبمشيته وبعلمه ثم يعاقب عليها، وعن الصادق عليه السلام انه جاء اليه رجل فقال له بأبي أنت وأمي عظني موعظة، فقال عليه السلام ان الله تبارك وتعالى تكفل الرزق فاهتمامك لماذا وان كان الرزق مقسوماً فالحرص لماذا، وان كان الحساب حقاً فالجمع لماذا، وان كان الخلف من الله عز وجل حقاً فالبخل لماذا وان كان العقوبة من الله عز وجل النار فالمعصية لماذا، وان كان الموت حقاً فالفرح لماذا وان كان العرض على الله عز وجل حقاً فالمكر لماذا، وان كان الشياطان عدواً فالغفلة لماذا، وان كان الممر على الصراط فالعجب لماذا، وان كان كل شيء بقضاء وقدر فالحزن لماذا، وان كان الدنيا فانية فالطمأنينة فيها لماذا، الى غير ذلك من الاخبار الدالة على انه تعالى قد قضى الخير والشر وقضى جميع افعال العباد وقدّرها قبل خلق العالم بألفي عام وظاهرها يوافق مذهب الاشاعرة القائلين بأن افعال العباد مخلوقة لله تعالى، والعبد محل للفعل وليس لقدرة العبد مدخل في افعاله، قلت الجواب عن هذا هو انه قد ذكر جماعة من قدماء المحدثين ان القضاء يقال على عشرة معان:

اولها العلم ومنه قوله تعالى الا حاجة في نفس يعقوب قضيها يعني علمها،وثانيها الاعلام ومنه قوله عز وجل وقضينا الى بني اسرائيل، وقوله قضينا اليه الامر أي اعلمناه، وثالثها الحكم ومنه قوله تعالى يوم يقضي بالحق يعني يحكم، وروى يزيد بن معاوية الشاميّ قال دخلت على الرضا عليه السلام بمرو، فقت له يا ابن رسول الله روى لنا عن الصادق عليه السلام انه قال لا جبر ولا تفويض ولكن امر بين امرين فما كعناه فقال عليه السلام من زعم ان الله عز وجل فعل افعالنا ثم يعذبنا عليها فقد قال بالجبر، ومن زعم ان الله فوّض امر الخلق والرزق الى حججه فقال قال بالتفويض، فالقائل بالجبر كافر والقائل بالتفويض مشرك فقلت له يا ابن رسول الله فما امر بين امرين؟ قال وجود

السبيل الى اتيان ما امروا به وترك ما نهوا عنه، فقلت فهل لله مشيئة وارادة في ذلك، فقال اما الطاعات فارادة الله ومشيئته فيها الامر بها والرضا لها والمعاونة عليها، وارادته ومشيئته في المعاصي النهي عنها والسخط لها والعقوبة عليها والخذلان لها، فقلت فلله فيه القضا، قال نعم ما من فعل فعله العباد من خير او شرّ الا ولله فيه القضا، فقلت فما معنى هذا القضا، قال الحكم عليهم بما يستحقونه على افعالهم من الثواب والعقاب في الدنيا والاخرة.

ورابعها القول ومنه قوله تعالى يقضي بالحق أي يقول بالحق، وخامسها الحتم كما قال فلما قضينا عليه الموت يعني حتمناه فهو القضاء الحتم.

سادسها الامر ومنه قوله وقضى ربك الا تعبدوا إلا اياه يعني امر ربك، وسابعها الخلق كما قال وقضيهنَ سبع سموات في يومين يعني خلقهنَ، وثامنها الفعل ومنه فاقض ما انت قاض أي افعل ما انت فاعل، وتاسعها الاتمام نحو فلما قضى موسى الاجل أي اتمه وقوله ايّما الاجلين قضيت أي اتممت، العاشر الفراغ من الشيء ومنه قوله عز وجل قضى الامر الذي تستفتيان، وقول القائل قد قضيت لك حاجتك اذا تحققت هذا.

فاعلم ان القضاء في كل خبر ينزل على معنى من المعاني الماسبة له فما وقع في الروايات من قولهم عليهم السلام ان الاشياء كلها بقضاء الله وبقدره تبارك وتعالى بمعنى ان الله عز وجل قد علمها وعلم مقاديرها، وله عز وجل في جميعها حكم من خير او شر فما كان من خير فقد قضاه بمعنى انه امر به وحتمه وجعله حقاً وعلم مبلغه ومقداره، وما كان من شر فلم يأمر به ولم يرضه ولكنه عز وجل قضاه وقدره بمعنى انه علم بمقداره ومبلغه وحكم فيه بحكمه واما المعاصي فقضاء الله عز وجل فيها حكمه فيها ومشيئته فيها نهيه عنها، وقدره فيها علمه بمقاديرها ومبالغها، وهذا كله مأخوذ من كلام قدماء المحدّثين الذين لا يتكلمون الا عن الاخبار الواضحة، ومن الاخبار الواردة بظواهر مثل ما تقدّم من ايهامها كون الضلال والاضلال عنه تعالى لفظ الفتنة فانه قد نسب في الايات والاخبار اليه سبحانه والجواب ايضاً ان الفتنة كما يستفاد من الاحاديث والمحدثين يقال على عشرة اوجه.

اولها الضلال وهو ظاهر، وثانيها الاختبار ومنه وفتّناك فتونا، وقوله ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون، وثالثها الحجة نحو ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ما كنا مشركين ورابعها الشرك نحو قوله تعالى والفتنة اشد من القتل، وخامسها الكفر ومنه الا في الفتنة سقطوا يعني في الكفر، وسادسها الاحراق بالنار نحو ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات الاية، يعني احرقوا في الكفر، وسابعها العذاب ومنه يوم هم على النار يفتنون يعني يعذبون وقوله ذوقوا فتنتكم هذا يعني عذابكم وقوله ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً وثامنها القتل نحو ان خفتم ان يفتنكم

الذين كفروا وقوله فما آمن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملأه ان يفتنهم، وتاسعها الصد نحو وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك يعني ليصدونك.

وعاشرها شدَة المحنة نحو ربنا لا يجعلنا فتنة للذين كفروا، وقوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين أي محنة فيفتنوا بذلك ويقولوا في انفسهم لم نقتلهم والا ودينهم الباطل وديننا الحق فيكون داعياً لهم الى النار على ما هم عليه من الكفر والظلم، وزاد علي بن ابراهيم على هذه الوجوه وجهاً آخر وهو المحبة نحو قوله عز وجل انما اموالكم واولادكم فتنة أي محبة، والذي روى في ذلك ان وجوه الفتنة عشرة على ما قاله الصدوق (ره) وان الفتنة في هذا الموضع ايضاً المحنة بالنون لا المحبة بالباء، وتصديق ذلك قول النبي ﷺ الولد مجهلة محنة منجلة رواه الصدوق قدس الله روحه.

واما قول الصادق عليع السلام ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ففيه وجوه اربعة الاول ما قاله شيخنا المفيد نور الله ضريحه من ان هذا مخصوص بافعاله تعالى دون افعال المكلفين يشهد بذلك قوله والله لا يحب الفساد وما الله يريد ظلماً للعباد، ويكون حاصل معناه ان كل فعل يريد الله وقوعه فانه يقع وكذا ما لم يرد وقوعه فانه لا يقع بخلاف العباد فان كل ما يريدون فعله لا يدخل تحت قدرتهم، الثاني القول بعمومه وشموله لافعال المكلفين لكن المشيئة فيه بمعنى العلم كما هو الوارد في بعض الروايات مثل المشيئة في قوله تعالى وما تشاؤون الا ان يشاء الله أي ما تريدون شيئاً الا ان الله سبحانه قد علمه في الازل لكن قد تحققت ان علمه تعالى ليس علة للمعلول كما لا يصير علمنا بان الشمس تطلع غداً علة في طلوعها.

الثالث ان يكون المشيئة في كل فقرة قد استعملت بواحد من معانيها ففي قوله عليه السلام ما شاء الله كان بمعنى الارادة، وفي قوله ما لم يشأل لم يكن بمعنى العلم جمعاً بين العقل والنقل، الرابع ان يكون المشيئة في اللفظين بمعنى الارادة لكنها في الثاني مجاز عن عدم الحليلولة ومنع الالطاف الربانية الحاجزة عن افعال المساوى والذنوب، فيكون من قبيل قوله تعالى يدي من يشاء ويضلَ من يشاء فان الاضلال كما توافق عليه العقل والنقل لا يريده الله سبحانه ولا يأمر به لكنه عبارة عن تخلية المرء ونفسه، وقد تقدَم في دعائه ﷺ رب لا تكلني الى نفسي طرفة عين، وحكاية دانيال وداود قد تقدمت ايضاً وعلى هذا يحمل كل ما ورد في القرآن الشريف والسنة من الالفاظ الموهمة لنسبة الاضلال اليه سبحانه.

فان قلت كيف جاز الخطاب منه سبحانه للعباد بمثل هذه الالفاظ الموهمة حتى تمسّك بها اهل الجبر في صحة مذهبهم السخيف واعتمدوا عليها وجعلوها دلائلهم على ان العبد ليس له اختيار في فعل من افعاله مقل قوله تعالى وما تشاؤون الا ان يشاء الله ومثل قوله تعالى قل كل من عند الله، ومثل قوله يهدي من يشاء ويضلَ من يشاء الى غير ذلك من الايات والاخبار.

قلت ان القرآن بحر واسع ظاهره انيق وباطنه عميق قد اشتمل على انحاء الكلام والتعبيرات الواقعة في كلام العرب المتداولة فيما بينهم من المجاز والكناية والاستعارة وإطلاق السبب على المسبب وعكسه ولا يميز مواقع كلامه تعالى بعضها عن بعض الا منم خاطبه الله به واطلعه على جميع معانيه، وليس هو الا النبي ﷺ وامره الله سبحانه بان يعلّمه اهل بيته المعصومين عليهم السلام ويجب على الناس ان يرجعوا اليهم في اخذ علوم القرآن، فهذه الالفاظ الموهمة انما هي موهمة عندنا وليس نحن مما خوطبنا به حتى يلزم الاغراء بما له ظاهر واريد خلاف ظاهره، والذين خوطبوا به قد فهموا معانيه منه تعالى من غير ابهام،ولذا سمّاهم تراجمة وحيه، وليس هذا الا من باب ان يكون سلطان له رعية لا يفهمون كلامه فيجعل بينهم وبيه مترجماً في تفهيم كلام ذلك السلطان للرعية فهو يخاطب المترجم ويفهمه ما اراد والمترجم يفهم الرعية معنى كلام السلطان، فليس للرعية ان يعترضوا ويقولوا ان هذا السلطان قد خاطبنا بما لا نفهم لانه لم يخاطبهم بل خاطب المترجم، وليس لهم ايضاً ان يأتوا الى كلام الملك ويحاولوا فهم معناه لعدم قابليتهم لفهمه لانه رموز وكنايات بينه وبين من وجه الخطاب اليهم فربما فهموا من كلامه غير ما اراد كما اتفق في تفاسير الجمهور من حمل كلام الباري سبحانه على المحامل التي ارادوها بآراعهم الفاسدة.

ومن هذا ذهب بعض مشائخنا المحققين الى ان القرآن كله متشابه بالنسبة الينا لا يجوز لنا ان نتكلم في محكمه على ما هو الظاهر منه، حتى انه قد سأله بعض الافاضل وانا كنت من الحاضرين في مسجد الجامع من شيراز فقال له ما تقول في قل هو الله احد فانها آية محكمة ظاهرة الدلالة على معناها، فأجابه بأنَ الاحد ما معناه وما مبدء اشتقاقه وما الفرق بينه وبين الواحد، واطال الكلام في مثل هذا وطبق عليه ما روى من قوله عليه السلام من فسّر القرآن برأيه فقد كفر، فان ظاهره شمول كلَ آياته ولما انتهى بنا الحال الى هنا فلا بأس بتحقيق هذا المقام ولم نر من حققه سوى شيخنا شيخ الطائفة طاب ثراه في تفسير التبيان وهذا كلامه.

واعلم ان الرواية ظاهرة في اخبار اصحابنا في ان تفسير القرآن لا يجوز الا بالاثر الصحيح عن النبي ﷺ او عن الائمة عليهم السلام الذين قولهم حجة كقول النبي ﷺ وان القول فيه بالرأي لا يجوز، وروت العامة ايضاً عن النبي ﷺ انه قال من فسّر القرآن برأيه فأصاب الحق فقد اخطأ وكره جماعة من التابعين وفقهاء المدينة القول في القرآن بالرأي كسعيد بن المسيب وعبيدة السلماني ونافع بن محمد بن القسم وسالم بن عبد الله وغيرهم ورووا عن عائشة انها قالت لم يكن النبي ﷺ يفسّر القرآن الا ان يأتي به جبرئيل عليه السلام والذي نقوله في ذلك انه لا يجوز ان يكون في كلام الله تعالى وكلام نبيه ﷺ تناقض وتضادّ وقد قال تعالى انا جعلناه قرآناً عربياً، وقال بلسان

عربي، وقال وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه، وقال فيه تبيان كل شيء، وقال وما فرطنا في الكتاب من شيء فكيف يجوز ان يصفه بأنه عربي وانه بلسان قومه وانه بيان للناس ولا يفهم من ظاهره شيء وهل ذلك الا وصف له باللغز والمعمى الذي لا يفهم المراد به الا بعد تفسيره وذلك منزَه عن القرآن.

وقد مدح الله تعالى اقواماً على استخراج معاني القرآن فقال لعلمه الذين يستنبطونه منهم، وقال تعالى في قوم يذمهم حيث لم يتدبروا القرآن أفلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها، وقال النبي ﷺ اني ﷺ اني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي فبين ان القرآن حجة كما ان العترة حجة وكيف يكون حجة ما لا يفهم منه شيء وروى عنه عليه السلام قال اذا جاءكم عني حديث فاعرضوه على كتاب الله فما وافق كتاب الله فاقبلوه وما خالفه فاضربوا به عرض الحائط، وروى مثل ذلك عن ائمتنا عليهم السلام وكيف يكون العرض على كتاب الله وهو لا يفهم منه شيء وكلّ ذلك يدلّ على ان ظاهر هذه الاخبار متروك والذي نقول ان معاني القرآن على اربعة اقسام.

احدها ما اختص الله تعالى بالعلم به فلا يجوز لاحد تكَلف القول فيه ولا تعاطى معرفته وذلك مثل قوله تعالى يسألونك عن الساعة ايان مرساها قل انما علمها عن ربي لا يجليها لوقتها الا هو، ومثل قوله ان الله عنده علم الساعة الاية، فتعاطى معرفة ما اختصّ العلم به خطأ، وثانيها ما يكون ظاهره مطابقاً لمعناه فكل من عرف اللغة التي خوطب بها عرف معناه، مثل قوله تعالى ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق، ومثل قوله قل هو الله أحد، وغير ذلك، وثالثها ما هو مجمل لا ينبئ ظاهره عن المراد به مفصلاً مثل قوله تعالى اقيموا الصلوة واتوا الزكاة، وقوله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا، وقوله تعالى وآتوا حقَه يوم حصاده، وقوله وفي اموالهم حقَ معلوم، وما اشبه ذلك فأن تفاصيل اعداد الصلاة وعدد ركعاتها وتفصيل مناسك الحج وشروطه ومقادير النصاب في الزكوة لا يمكن استخراجه الا ببيان النبي ﷺ ووحي من جهة الله تعالى فتكلف القول في ذلك خطأ ممنوع ويمكن ان يكون الاخبار متناولة له.

ورابعها ما كان اللفظ مشتركاً بين معنيين فما زاد عليهما، ويمكن ان يكون كل واحد منها مرادا فأنه لا ينبغي ان يقدم أحد فيقول ان مراد الله منه بعض ما يحتمل الا بقول نبي أو امام معصوم، بل ينبغي ان يقول ان الظاهر يحتمل الامور وكل واحد يجوز ان يكون مراداً على التفصيل والله اعلم بما اراد، ومتى كان اللفظ مشتركاً بين شيئين او ما زاد عليهما ودلّ الدليل على أنه لا يجوز ان يريد الا وجهاً واحداً جاز ان يقال انه هو المراد، ومتى قسمنا هذه الاقسام نكون قد قبلنا هذه الاخبار ولم نردها على وجه يوحش نقلتها والمتمسكين بها، ولا منعنا بذلك

من الكلام في تأويل الاي جملة، ولا ينبغي لاحد ينظر في تفسير آية لا ينبئ ظاهرها عن المراد مفصلاً ان يقلد احداً من المفسرين الا ان يكون التأويل مجمعاً عليه فيجب اتباعه لمكان الاجماع لان من المفسرين من حمدت طرائقه ومدحت مذاهبه كابن عباس والحسن وقتادة وغيرهم، وفيهم من ذمت مذاهبه كأبي صالح والسدي والكلبي وغيرهم هذا في الطبقة الاولى.

واما المتأخرون فكلٌ واحد منهم نصر مذهبه وتأوّل على ما يطابق اصله فلايجوز لاحد ان يقلد احداً منهم بل ينبغي ان يرجع الى الادلة الصحيحة، اما العقلية او الشرعية من اجماع عليه او نقل متواتر به عمّن يجب اتباع قوله،ولا يقبل في ذلك خبر واحد وخاصة اذا كان مما طريقه العلم، ومتى كان التأويل مما يحتاج الى شاهد من اللغة فلا يقبل من الشاهد الا ما كان معلوماً بين اهل اللغة شايعاً فيما بينهم، فأما ما طريقه الاحاد من الابيات النادرة فأنه لا يقطع بذلك ولا يجعل شاهداً على كتاب الله وينبغي ان يتوقف فيه، ويذكر ما يحتمله ولا يقطع على المراد منه بعينه، فانه متى قطع على المراد كان مخطئاً وان اصاب الحق، كما روى عنه ﷺ قال ذلك تخميناً وحدساً ولم يصدر ذلك عن حجة قاطعة وذلك باطل بالاتفاق انتهى. وهو كلام رشيق انيق، ويستفاد من آخره ان القول فيما يدرك من القرآن بقواعد لعربية تخميناً وتشهياً خطأ ايضاً وان اصاب وقد اشار الى هذا المحقق الشريف في حاشية الكشاف ويظهر من كلام الشيخ (ره) ان اللفظ اذا احتمل وجوها ولم يذكر المتقدمون الا وجهاً واحداً منها لم يجز للمتأخر ان يحمل الاية على غيره.

وذهب الاجل المرتضى (ره) في الذريعة الى جوازه وهذه عبارته والذي يوضح ما ذكرناه انا اذا تأولنا قوله تعالى وجوه يومئذ ناظرة الى ربها ناظرة على ان المراد بها الانتظار لا الرؤية، وفرضنا انه لم ينقل عن المتقدمين الا هذا الوجه دون غيره جاز للمتأخر ان يزيد على هذا التأويل ويذهب الى ان المراد أنهم ينظرون الى نعم الله لان الغرض في التأويل جميعاً انما هو ابطال ان يكون الله تعالى في نفسه مرئياً والتأويلان مشتركان في دفع ذلك، وقد قام كل واحد مقام صاحبه في الغرض المقصود وجرى التأويلان مجرى الادلة في انه يغني بعضها عن بعض، ثم قال وقد خالفت في هذا المذاهب انتهى. ولا بأس به غير ان مراده بالمذاهب بعضها فان المخالف في ذلك بعض العامة واما اكثرهم فمعترفون بان استنباط المعاني على قوانين اللغة العربية مما لا قصور فيه بل يعدونه فضلاً وكمالاً كما يعلم من تتبع كلامهم وما ذكره من جواز التأويل لا يخلو من قوة وقد بقى من عالم الملكوت احوال كثيرة كالاجال والارزاق نذكرها ان شاء الله تعالى في الانوار الارضية.

واما خلق النهار والليل وان ايهما اسبق فروى عن الرضا عليه السلام انه قد سألني رجل بالمدينة فقال النهار خلق قبل ام الليل، وكان الفضل بن سهل والمأمون حاضرين فقلت لهم فما عندكم

فقال الفضل للرضا عليه السلام أخبرنا بها، قال من القرآن ام من الحساب فقال له الفضل من جهة الحساب، قال علمت يا فضل ان طالع الدنيا الرسطان والكواكب في موضع شرفها فزحل في الميزان والمشتري في السرطان والشمس في الحمل والقمر في الثور، فذلك يدل على كينونة الشمس في الحمل في العاشر من الطالع في وسط الدنيا فالنهار خلق قبل الليل، وفي قوله تعالى لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار، أي قد سبقه النهار، واما سبب الظلمة فروى ابو ولاّد قال قال ابو عبد الله عليه السلام ان الله تعالى خلق حجاباً من ظلمة مما يلي المشرق ووكّل به ملكاً فاذا غابت الشمس اغترف ذلك الملك غرفة بيديه ثم استقبل بها المغرب يتبع الشفق ويخرج من بين يديه قليلاً قليلاً ويمضي فيوافي المغرب عند سقوط لشمس فيسرح في الظلمة، ثم يعود الى المشرق فاذا طلع الفجر نشر جناحيه فاستاق الظلمة من المشرق الى المغرب يوافي بها المغرب عند طلوع الشمس.

نور يشتمل على العجائب

الواقعة بين السماء والارض اعلم ان الحكماء ومتابعيهم ذهبوا الى ان طبقات العناصر سبع اعلاها الطبقة النارية الصرفة، وهي كرة محدبها مماس لمقعر فلك القمر وتحته طبقة نارية مخلوطة من النار الصرفة والاجزاء الهوائية الحارة تتلاشى في هذا الطبقة الادخنة المرتفعة، وتتكون فيه الكواكب ذوات الاذناب والنيازك وما يشبهها بل قيل ان فيها تكون الشهب، ثم الطبقة الزمهريرية وهي الهواء الصرف الي برد لمجاورة الارض والماء ولم يصل اليه اثر انعكاس الاشعة، والمشهور بينهم ان هذه الطبقة منشأ السحب والرعد والبرق والصواعق فلا يكون هواءاً صرفاً ثم الطبقة البخارية وهي الهوائية المخلوطة مع المائية، ثم الطبقة الترابية وهي ما فيه ارضية وهوائية ثم الطبقة الطينية وهي ارضية مع مائية، ثم الطبقة الارضية الصرفة التي هي قريبة من المركز، هذا المحصل وفي طبقات العناصر اقوال مختلفة لا فائدة في استقصائها.

وتفصيل القول في هذه الامور على ما قالوه هو ان حرّ الشمس وغيرها يصعد الى الجو اجزاءاً إمّا هوائية ومائية مختلطتين وهو البخار وصعوده ثقيل، وإمّا نارية وارضية وهو الدخان وصعوده خفيف، وقلمّا يصعدان سازجين بل يتصاعد البخار والدخان في الاغلب ممتزجين، ومنهما تتكون جميع الاثار العلوية على زعم الحكماء اما البخار فان قل واشتد الحر في الهوى خلل الاجزاء المائية وقلّبها الى الهوائية وبقى الهواء الصرف، وان كان البخار كثيراً ولم يكن في الهواء من الحرارة ما يخلّله، فان وصل ذلك البخار بصعوده الى الطبقة الزمهريرية التي هي الهواء البارد جمعه ببرودة وتكاثف فصار سحاباً وتقاطرت الاجزاء المائية، اما بلا جمود اذا لم يكن

البرد شديد وهو المطر، وإمّا مع جمود كما اذا كان البرد شديدا، فان كان الجمود قبل الاجتماع والتقاطر وصيرورته حبّات كباراً فهو الثلج، وان كان الجمود فهو البرد بفتح الراء وان لم يصل البخار الصاعد الى الزمهريرية فإمّا ان يكون كثيراً وقليلاً فالكثير قد ينعقد سحاباً ماطراً كما حكوه عن ابن سينا من انه شاهده في بعض الجبال، وقد لا ينعقد فهو الضباب[1] المجاور للارض وهذا القليل الذي لم يصل الى الطبقة الزمهريرية قد يتكاثف ببرد الليل فينزل نزولاً ثقيلاً في اجزاء صغار لا يحسن بنزولها الا عند اجتماع شيء يعتدّ به، فاما بلا جمود بعد النزول وهو الطلّ[2] او معه وهو الصقيع ونسبته الى الطلّ كنسبة الثلج الى المطر.

وقد يتكون السحاب من انقباض الهواء بالبرد الشديد فيحصل حينئذ منه الاقسام المذكورة واما الدخان فربما يخالط السحاب ان يرتفع ابرخة وادخنة كثيرة مختلطة الى الطبقة الزمهريرية فيتكاثف البخار وينعقد سحاباً فينحس ذلك الدخان في جوف السحاب فيحرقه امام في صعوده بالطبع لبقائه على حرارته المقتضية لتصعيده او عند هبوطه للتكائف بالبرد الشديد فيحدث من خرق الدخان للسحاب ومصاكته اياه صوت هو الرعد وقد يشتعل الدخان بقوة التسخين وذلك لانه شيء لطيف وفيه مائية وارضية عمل فيها الحرارة والحركة عملاً قرب مزاجه من الدهنية فصار بحيث يشتعل بأدنى سبب فكيف لا يشتعل بالتسخين القوى الحاصل من الحرارة الشديدة والمصاكة، واذا اشتعل فاللطيف منه ينطفي سريعاً وهو البرق وكثيفه لا ينطفي حتى يصل الى الارض وهو الصاعقة واذا وصل اليها فربما صار لطيفاً ينفد في المتخلل ولا يحرقه.

وحكوا في كتبهم ان صبياً كان في صحراء فأصابت ساقيه صاعقة فسقط رجلاه ولم يخرج منه دم لحصول الكي بحرارتها، وقد يصل الدخان الى كرة النار لانه اجزاء ارضية يابسة فتحفظ الحرارة التي تصعدها بخلاف البخار، فاذا وصل الدخان الى تلك الكرة فيحترق الدخان كالشمعة التي تطفى ويحاذى بها من تحت شمعة مشتعلة فيشتعل الدخان الواصل الى الشمعة الفوقانية وتتصل النار التي وقعت في ذلك الدخان بالشمعة السفلانية فتشعل بهذه النار فما كان من ذلك الدخان لطيفاً صار مشتعلاً ونفذ النار فيه بسرعة فرأى ذلك لمشتعل كأنه كوكب ينقضّ وهو الشهاب، وما كان منه كثيفاً لا في الغاية تعلّق به النار تعلقاً تاماً م نغير اشتعال بل ثبت فيه الاحتراق ودام متصلاً لا ينطفي اياماً وشهوراً ويكون على صورة ذوابة او ذنب او رمح او حيوان له قرون.

---

(١) الضباب كسحاب جمع ضبابة كسحابة وهو ندى يغشي الارض بالغدوات وفي الصحاح سحابة تغشي الارض كالدخان.

(٢) الطل المطر الضعيف القطر والجمع الطلال بالكسر.

وحكى ان بعد المسيح عليه السلام بزمان كثير ظهر في السماء نار مضطربة من ناحية القطب الشمالي وبقيت السنة كلها وكانت الظلمة تغشى العالم من تسع ساعات من النهار الى الليل حتى انه لم يكن أحد يبصر شيئاً وكان ينزل من الجو شبه الهشيم[1] والرماد واذا كان البحار غليظاً او كثيفاً جداً تعلَق به النار تعلقاً ما فيحدث في الجو علامات سود او حمر على حسب غلظ المادة، فاذا كانت غليظة ظهرت الحمرة واذا كانت اغلظ ظهر السواد، وقد تقف الذوابات ونحوها تحت كوكب فيدبرها الفلك معه مشايعة اياه فيرى كأن لذلك الكوكب ذوابة او ذنباً او قرناً، وان اتصل الدخان بالارض تشتعل النار فيه نازلة الى الارض ويسمى الحريق واما اسباب الهوى فقد ذكروا فيه ان الدخان قد ينكسر حرَه عند الوصول الى الكرة الزمهريرية فيرجع بطبعها الى الارض، وقد لا ينكسر وحينئذ يصعد ويصادم كرة النار فيرجع ويمتدّ بمصادمة كرة النار المتحركة بحركة الفلك رجوعاً الى جهات مختلفة فيتموج الهواء ويضطرب وهو الريح، والريح كما يحدث بهذا يحدث ايضاً بان يتخلل الهواء فيندفع عن مكانه بواسطة عظم مقداره فيدافع ما يجاوره فيطاوعه ويدافع ذلك المجاور ايضاً، فيتموج الهوى ويتضعف تلك المدافعة شيئاً فشيئاً الى غاية ما فيقف، وقد تحدث رياح مختلفة الجهة دفعة فتدافع تلك الرياح الاجزاء الارضية فتنضغط الارضية بينها مرتفعة كأنها تلوى على نفسها وهي الزوايع والاعصار، ويقال له بالفارسية (كردباد).

واما مهبّ الرياح فغير منحصرة حقيقة في عدد الا انهم جعلوا اصولها اربعة هي نقطة المشرق والمغرب والشمال والجنوب، والعرب تسمي الرياح التي تهب منها بالقبول والدبور والشمال والجنوب، وتسمى التي تهبّ مما بينها نكبا، وهذا كله انما قال به الفلاسفة لاجل نفيهم القادر المختار، فأحالوا اختلاف الاجسام بالصور الى استعداد في موادّها يقتضي اختلاف الصور الحالة فيها، واحالوا اختلاف آثارها الى صورها المتباينة وامزجتها المخالفة، واحالوا كلّ هذا الى حركات الافلاك واوضاعها واما المتكلمون فقالوا الاجسام متجانسة بالذات لتركبها من الجواهر الافراد، وانها متماثلة لا اختلاف فيها وانما يعرض الاختلاف للاجسام لا في ذواتها بل بما يحصل فيها من الاعراض بفعل القادر المختار، هذا محصّل مقالتهم وهي عن الشرع بمعزل فانه قد ورد في الشريعة الغراَ لكل واحد من هذه الامور اسباب من جهة القادر المختار دلّنا عليها من رأى السموات وصعد اليها ومشى فوقها وشاهدها عيانا وهو النبي الامي صلى الله عليه وآله ولنشرع الان في بيان اسبابها من الايات والاخبار فنقول.

---

(١) الهشيم اليابس من النبيت وتهشم وتكسر هشمت الشيء كسرته.

اما الشهب فقال تعالى انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد، لا يسَمَّعون الى الملأ الاعلى ويقذفون من كل جانب دحوراً ولهم عذاب واصب الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب، فانه سبحانه في مقام الامتنان على عبيده بأنه زيّن لهم هذه السماء الدانية اليهم وهو الاولى بزينة الكواكب الظاهرة المشاهدة وحفظها من صعود الشياطين اليها بانهم اذا صعدوا اليها لاستماع ما تقوله الملائكة قذفوهم بالشهب من كل جانب من جوانب السموات دحورا أي طردا، ولهم عذاب في القيامة واصب أي دائم، الا من خطف الخطفة والتقدير انهم لا يسمعون الى الملائكة الا من وثب الوثبة الى قريب من السماء لتسلب السماع بسرعة فأتبعه شهاب ثاقب أي فلحقته نار محرقة، وقد اوضح في موضع آخر عن رؤيتنا لتلك الشهب فقال الا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين لانهم كانوا يسترقون السمع ويستمعون الى كلام الملائكة ويلقون ذلك الى ضعفة الجن وكانوا يوسوسون بها في قلوب الكهنة ويوهمونهم انهم يعرفون الغيب، وقد كان الشيطان بعد ان طرد الى الارض يصعد الى السموات ويطلّع على ما في عالم الملكوت فلما ولد عيسى عليه السلام منع عن ما فوق السماء الرابعة، ولما ولد النبي صلى الله عليه وآله منع من السموات كلها فهذ الشهب المشاهدة هي النيران السماوية التي تطرد الملائكة بها الشياطين المخترقة للسمع.

وقد رام بعض المتكلفين التوافق بين هذا وبين قول الفلاسفة السابق بأن يكون احتراق تلك الاجرام مقارنة لصعود الشياطين ورمى الملائكة لهم، ولا يخفى انه صلح من غير تراضي الخصمين مع ان مفاسده مما لا تحصى كثرة، واما السحاب فهو مخلوق من مخلوقاته سبحانه لايصال الارزاق الى عباده، ولها مكان خاصَ تستقرّ فيه فاذا اراد الله سبحانه ان يحملها المياه امر الملائكة المؤكلين بها فيسوقونها الى البحر على مقدار احتياج العباد، وميكائيل عليه السلام على البحر فيكيل لها الماء ويأمرها بالمسير الى المكان الذي يريده، ويجعل مع كل سحابة ملكاً يسوقها، وهو اصغر من الزنبور واكبر من الذبابة، وفي يده سوط يسوقها فالرعد صوته والبرق سوطه، وقد شاهدنا نحن وغيرها من السحاب نوعاً من الشعور، وهو انه ربما استقر وسكن على رؤوس الجبال اما في ذهابه او ايابه فاذا اتى الانسان نحوه وقرب اليه ارتفع من بين يديه سريعاً حتى انه ربما اصطادوه كما يصطادون الحيوانات، وذلك انهم يجعلون كلاباً في راس جبل طويل ويحفرون لهم حفائر في رؤوس الجبال فيخفون انفسهم فيها، فاذا وقع السحاب على الجبال خرجوا بسرعة من الحفيرة، فاذا ارتفع رموه بذلك الجبل فيعلق بالكلاب منه قطعة تنعزل من السحابة فيأخذونها لمصالح كثيرة، وقد رأيناها على هيئة بيت الزنبور لاجل ان تكون غربالاً للمطر حتى يقع متقاطراً والا خرّب البلاد التي قع فيها كما في وقت طوفان نوح عليه السلام، ويجوز ان يكون ذلك الاحساس للملك الموكل بالسحابة فتأمل.

روى الكليني باسناده الى العزرمي رفع قال قال امير المؤمنين عليه السلام وسأل عن السحاب اين يكون قال يكون على شجر كثيب على شاطئ البحر يأوي اليه فاذا اراد الله عز وجل ان يرسله ارسل ريحاً فأثارته، ووكّل به ملائكة يضربونه بالمخاريق وهو البرق فيرتفع ثم قرء هذه الاية وهو الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه الى بلد ميت، والملك اسمه الرعد.

واما الامطار فقد تقدّم ان المطر الاول يأتي من بحر تحت العرش وهو الذي ينبت به ارزاق الحيوانات، والبعض الاخر يأتي من البحر من الملك الموكل به، وهو ميكائيل وفي الحديث ان الله سبحانه قد خلق في السماء من برد وجبالاً من ثلج وجبالاً من الجمد، فاذا اراد ان يمطر منه امطر، وذهب افلاطون الى ان لكل قطرة من المطر والثلج وكلّ حبة من حب الغمام وكل شجر ونبت وحيوان عقلاً مربياً له في العالم العلوي يحصل منه نماه ونشوه، وتفاضلها في هذا العالم لوناً وطعماً ورايحة وانما هو باعتبار تفاوت مراتب تلك العقول المربية، وبالغ متابعوه في هذا المعنى حتى قالوا ان لكل ريشة من الطاووس عقلاً يستند اليه اختلاف الوان ذلك الريش، والتوفيق بين القولين بأن البخار ينعقد حال هذه الارادات لا يخلو من تكلّف لان غرض الفلاسفة هو عدم اسناد هذه الامور اليه سبحانه بناء على ذلك الاصل الضعيف، وهو ان الواحد لا يصدر عنه الا فعل واحد مع انه سبحانه على ما يشاء قدير.

واما الرياح فهي من اقوى جنود الله سبحانه ومنها رياح رحمة، ومنها رياح عذاب ونقمة كما قال سبحانه انا ارسلنا الرياح لواقح، وقال الريح العقيم فانها تعقم الشجر من حمل الثمار وتعقم ارحام النساء واصلاب الرجال، كما روى ان الله سبحانه لما اراد إهلاك قوم نوح ارسل الريح العقيم فهبت عليهم فعقمت الاصلاب والارحام فبقوا اربعين سنة لا يولد لهم مولود حتى اغرقهم لان الاطفال لا ذنب لهم وقول نوح عليه السلام لا يلدوا الا فاجراً كفاراً لعله اراد انهم لما بلغوا كانوا كذلك، او انه اشار الى ان ولد الكافر يجري عليه ما جرى على ابويه من الاسم وبعض الاحكام، قال صاحب الغريبين لم يأت لفظ الريح الا بالشر والرياح الا في الخير، قال الله تعالى وعاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم، وقد صلى علي بن الحسين عليه السلام في الصحيفة على الملائكة القوّام على خزائن الرياح، قال الباقر عليه السلام ان الريح العقيم ريح عذاب تخرج من تحت الارضين السبع وما خرجت منها ريح قطّ الا على قوم عاد حين غضب الله عليهم.

وروى الكليني طاب ثراه في حديث طويلا عن الباقر عليه السلام قال فأما الرياح الاربع الشمال والجنوب والصبا والدبور، فانما هي اسماء الملائكة الموكلين بها، فاذا اراد الله ان يهبّ شمالاً امر الملك الذي اسمه الشمال فيهبط على البيت الحرام فقام على الركن الشامي فيضرب بجناحيه فتفرقت ريح الشمال حيث يريد الله من البر والبحر واذا اراد الله ان يبعث جنوباً امر الملك الذي

اسمه جنوب فيهبط على البيت الحرام، فقام على الركن الشامي فضرب بجناحيه ريح الجنوب في البر والبحر حيث يريد الله واذا اراد الله ان يبعث الصبا امر الملك الذي اسمه الصبا فيهبط على البيت الحرام فقام على الركن الشامي فضرب بجناحيه فتفرقت ريح الصبا حيث يريد الله عز وجل في البر والبحر واذا اراد الله ان يبعث دبوراً امر الملك الذي اسمه الدبور فيهبط على البيت الحرام فقام على الركن الشامي فضرب على جناحيه فتفرقت ريح الدبور حيث يريد الله من البر والبحر، ثم قال ابو جعفر عليه السلام اما تسمع لقوله ريح الشمال وريح الجنوب وريح الدبور وريح الصبا انما يضاف الى الملائكة الموكلين بها وقال عليه السلام واما الريح العقيم فانها ريح عذاب لا تلقح شيئاً من الارحام ولا شيئاً من النبات، وهي ريح تخرج من تحت الارضين السبع وما خرجت منها ريح قط الا على قوم عاد والحديث طويل وقد تقدم تمامه.

وعن العزرمي قال كنت مع ابي عبد الله عليه السلام جالساً في الحجر تحت الميزاب ورجل يخصم رجلاً، واحدهما يقول لصاحبه والله ما تدري من ابن تهب الريح فلما اكثر عليه قال له ابو عبد الله عليه السلام فهل ترى انت قال لا ولكني اسمع الناس يقولون فقلت انا لابي عبد الله عليه السلام جعلت فداك من اين تهب الريح؟ فقال ان الريح مسجونة تحت هذا الركن الشامي فاذا اراد الله عز وجل ان يخرج منها شيئاً اخرجها، اما جنوب فجنوب او شمال فشمال او صباء فصباء او دبور فدبور، ثم قال عليه السلام من آية ذلك انك لا تزال ترى هذا الركن متحركاً ابداً في الشتا والصيف والليل والنهار ولا منافاة بين الخبرين لان قوله عليه السلام مسجونة تحت هذا الركن يجوز ان يكون كناية عن كونه محلاً للرياح التي تحصل من وقوف الملائكة عليه ويجوز ان يكون اشارة الى تنوعه انواعاً.

فان قلت يلزم ان يكون مهبَ الرياح كلها جهة القبلة مع ان الذي ذكره الفقهاء وغيرهم ان الجنوب محلها ما بين مطلع سهيل الى مطلع الشمس في الاعتدالين، والصبا محلها ما بين مطلع الشمس الى الجدي، والشمال محلها من الجدي الى مغرب الشمس في الاعتدال، والدبور محلها من مغرب الشمس الى سهيل، قلنا هذا غير لازم لان جناح الملك لعظمته يمكنه ان يحركه بأي نحو اراد، وقد روى ان ريح الشمال اذا خرجت من محلها تخرج لكنها تمرَ على وادي السلام وهي جنة الدنيا الواقعة بظهر الكوفة فتكتسب منها اللطافة والبرودة واما الجنوب فهي تخرج من محلها باردة لكنها تمرَ على برهوت واد في المن وهو نار الدنيا فتصير حارة بمرورها عليه.

واما الذي رويناه في نور اول المخلوقات من انه تعالى اول ما خلق الماء، ثم خلق الريح من الماء فالظاهر ان المراد به جوهر شفاف مغاير لهذه الرياح، ويجوز ان يكون مادة لها كما كان لغيرها، وروى ابو بصير قال سألت ابا جعفر عليه السلام عن الرياح الاربع الشمال والجنوب والصبا والدبور، وقلت له ان الناس يقولون ان الشمال من الجنة والجنوب من النار، فقال ان لله عز وجل

جنوداً من الريح يعذب بها من عصاه موكّل لكل ريح منهنّ ملك مطاع، فاذا اراد الله عز وجل ان يعذب قوماً بعذاب اوحى الله الى الملك الموكل بذلك النوع من الريح الذي يريد ان يعذبهم بها، فيأمر بها الملك فتهيج كما يهيج الاسد المغضب ولكل ريح منهن اسم تسمع لقول الله عز وجل انا ارسلنا عليهم ريحاً صرصراً في وم نحس مستمر.

وقال عز وجل الريح العقيم وقال فاصابها اعصار فيه نار والاعصار التي فيها نار وما ذكر في الكتاب من الرياح التي يعذب بها من عصاه ولله عز وجل رياح رحمة لواقح ورياح تهب السحاب فتسوق السحاب ورياح تحبس السحاب بين السماء والارض، ورياح تعصره فتمطر باذن الله عز وجل ورياح تفرق السحاب ورياح مما اعدّ الله عز وجل في الكتاب وقال الصادق عليه السلام نعم الريح الجنوب تكسر البرد عن المساكين وتلقح الشجر وتسيل الاودية.

وقال علي عليه السلام الرياح خمسة منها العقيم فنعوذ بالله من شرها وكان النبي صلى الله عليه وآله اذا هبّت ريح صفراء او حمراء او سوداء تغيّر وجهه واصفّر وكان كالخائف الوجل حتى تنزل من السماء قطرة من مطر فيرجع اليه لونه، ويقول جائتكم بالرحمة، وروى انه قال كامل كنت مع ابي جعفر عليه السلام فهبّت ريح شديدة فجعل ابو جعفر عليه السلام يكبّر ثم قال ان التكبير يردّ الريح، وقال عليه السلام ما بعث الله عز وجل ريحاً الا رحمة او عذاباً فاذا رأيتموها فقولوا اللهم انا نسألك خير ما ارسلت له، ونعوذ بك من شرها وشرّ ما ارسلت له وكبروا وارفعوا اصواتكم بالتكبير فانه يسكرها، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله لا تسبوا الرياح فانها مأمورة، ولا الجبال ولا الساعات ولا الايام ولا الليالي فتأثموا وترجع اليكم.

اقول ظاهر قوله صلى الله عليه وآله فتأثموا هو التحريم لان المكروه خال منالاثم ولم يذكره احد من الاصحاب رضوان الله عليهم سوى ظاهر ابن بابويه، والقول بالتحريم غير بعيد لان الريح وما ذكر معها جند من جنود الله ومخلوقات من خلقه خلقها لمصالح العباد ولاستعتابهم وللشهادة عليهم، كما في الحديث ان الايام تتجسم وتأتي في القيامة تشهد للانسان او عليه فلا تستحق السب واللعن، والسب ليس هو خصوص اللعن بل ما يتناوله مع الشتم وفي الحديث ان اللعنة اذا خرجت من صاحبها ترددت فان رأت محلاً علّقت به والا رجعت الى صاحبها وهو اولى بها، ولا شكّ ان هذه الامور ليست محلاً لتلك اللعنة فهي ترجع الى صاحبها ومن هنا حصل له الاثم.

وروى ان رجلاً نازعته الريح فلعنها فقال عليه السلام لا تلعهنا فانها مأمورة، وانه من لعن شيئاً ليس له بأهل رجعت اللعنة عليه، وقال صلى الله عليه وآله لا يأتي على الناس زمان الا والذي بعده شر منه، لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر ومعناه كما قيل لا تسبوا الدهر فان الله مصرّف الدهر ومقلبه ولا فعل للدهر بحال، فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه، وقال بعض الافاضل المعتمد في

الحديث ان الملحدين ومن نفي الصانع منهم نسبوا افعال الله تعالى المختصة به من الموت والحيوة والصحة والمرض الى الدهر جهلاً منهم ويذمون الدهر ويسبّونه من حيث انهم اعتقدوا ان هذه الافعال صادرة منه، فنهاهم النبي ﷺ وقال لا تسبوا الدهر أي لا تسبوا من فعل بكم هذه الافعال ممن تتقدون أنه الدهر فأن الله تعالى هو الفاعل لهذه الافعال، وانما قال فان الله هو الدهر من حيث إنهم نسبوا افعال الله الى الدهر أي من جعلتموه دهراً باعتقادكم الفاسد.

وقد حكى الله ذلك عنهم في قوله ما هي الا حيوتنا الدنيا نموت ونحيى وما يهلكنا الا الدهر، وفي سؤال النزديق للصادق عليه السلام في حديث طويل قال فاخبرني ما جوهر الريح قال الريح هواء اذا تحرك يسمى ريحاً واذا سكن يسمى هواءاً وبه قوام الدنيا ولو كفَت الريح ثلاثة ايام لفسد كل شيء على وجه الارض ونتن، وذلك لان الريح بمنزلة المروحة تذهب وتدفع الفساد عن كل شيء وتطيبه فهي بمنزلة الروح اذا خرجت عن البدن نتن البدن وتغيّر تبارك الله احسن الخالقين.

وفي كتاب الاحتجاج روى عن علي بن يقطين انه قال امر ابو جعفر الدوانيقي يقطين ان يحفر بئراً بقصر العبادي فلم يزل في حفرها حتى مات ابو جعفر ولم يستنبط منها الماء، فأخبر المهدي بذلك فقال احفر ابداً حتى يستنبط الماء ولو انفقت جميع ما في بيت المال، قال فوجّه يقطين أخاه ابا موسى في حفرها فلم يزل يحفرها حتى ثقبوا ثقباً في اسفل الارض فخرجت منه الريح قال فهالهم ذلك فاخبروا به ابا موسى، فقال انزلوني فانزل وكان رأس البئر اربعين ذراعاً في اربعين ذراعاً فاجلس في شق محمل ودلي في البئر فلما صار في قعرها نظر الى هول وسمع دوي الريح في اسفل ذلك فأمرهم ان يوسعوا الخرق فجعلوه شبه الباب العظيم، ثم دلى فيه رجلان في شقّ محمل فقال ائتوني بخبر هذا ما هو قال فنزلا في شقّ محمل فمكثا ملياً ثم حركا الحبل فاصعدا فقال لهما ما رأيتما قالا امراً عظيماً رجالاً ونساءاً وبيوتاً وآنية ومتاعاً كله ممسوخ من حجارة، فأما الرجال والنساء فعليهم ثيابهم فمن بين قاعد ومضطجع ومتكي فلما مسسناهم فاذا ثيابهم تنفش شبه الهبا، ومنازل قائمة، قال فكتب بذلك ابو موسى الى المهدي فكتب المهدي الى المدينة الى موسى بن جعفر عليهما السلام يسأله ان يقدم عليه فقدم اليه فأخبره فبكى بكاءاً شديداً وقال يا امير المؤمنين هؤلاء بقية قوم عاد غضب الله عليهم فساخت بهم منازلهم هؤلاء اصحاب الاحقاف قال فقال له المهدي يا ابا الحسن وما الاحقاف قال الرمل.

والحاصل ان الرياح من جنوده سبحانه وتعالى عما يقول الفلاسفة علواً كبيراً واما الصاعقة فهي نار تتكون من ضرب مخاريق الملائكة للسحاب، وهو جسم كثيف اذا وقع على الارض شقَها، قالوا انه لا يسكن الا اذا وصل الى الماء وذكروا من خواصه انه اذا نزل على ذهب

او فضة في معدن اذابه واذا جعل ذلك الذهب في كيس او نحوه فلا يغيَر جوهره ولا يذيبه، وزعم ابن سينا في شفائه ان السيوف التي تمدحها الشعراء متخذة من حديد الصواعق.

ومن المكونات في الهوى الذرات روى الصدوق (ره) مسنداً الى علي عليه السلام وقد سأل مما خلق الله عز وجل الذر الذي يدخل في كوّة البين فقال ان موسى عليه السلام لما قال رب ارني انظر اليك قال الله عز وجل ان استقر الجبل لنوري فانك ستقوى على ان تنظر اليّ وان لم يستقرّ فلا تطيق ابصاري لضعفك، فلما تجلّى الله تبارك وتعالى للجبل تقطع ثلاث قطع، فقطعة ارتفعت في السماء وقطعة غاصت تحت الارض، وقطعة بقيت فهذا الذر من ذلك الغبار غبار الجبل اقول يجوز ان يكون معناه ان مادة الذر هو ذلك الجبل المتقطع لا انّ كل ذر منه فان المشاهد ان بعض الذر يرتفع من الاجسام المحسوسة ويشاهد في الكوة لكن يكون هذا الذر قد انضاف الى ذلك الذر.

ومن جملة كائنات الهوى الشياطين والجن وهما عند الملّيين اجسام تتشكل بأي شكل شائت وتقدر على ان تتولّج في بواطن الحيوانات وتنفذ في (من) منافذها الضيقة نفوذ الهوى، وقد اختلفوا في اختلافهما بالنوع مع اتفاقهم على انهما من اصناف المكلفين، واما الفلاسفة فقد انكروها رأساً وقالوا ان ما يتوهمه (هم) الناس كونه جنّاً فانما هو خيالات واخلاط من السوداء والصفراء وغير ذلك وقد استندوا في نفيهما الى خيالات وهمية سموها دلائل عقلية لا نطول الكتاب بذكرها لظهور فسادها.

وقال قوم هي النفوس الناطقة المفارقة فالخيرة من المفارقة عن الابدان تتعلق بالخيرة من المقارة لها نوعاً من التعلق وتعاونها على الخير والسداد وهي الجن، والشريرة منها تتعلق بالشريرة وتعاونها على الشر والفساد وهي الشياطين والمفهوم من الايات والاخبار انهما نوعان متقاربان في الذات والصفات داخلان تحت قلم التكليف، الا ان المسلمين من الجن اكثر من مسلمي الشياطين والا فالشياطين فيهم المؤمن ايضاً، روى الصفار وغيره قال قال ابو عبد الله عليه السلام بينا رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم جالس اذ اتاه رجل طويل كأنه نخلة فسلّم عليه، فقال من انت يا عبد الله فقال الهام بن الهيم بن لاقيس بن ابليس، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله كم اتى لك، قال انا ايام قتل قابيل هابيل غلام افهم الكلام وانهى عن الاعتصام وآمر بقطيعة الارحام وافسد الطعام، ولكني تبت على يدي نوح وكنت معه في السفينة (سفينته خ ل) وعاتبته على دعائه على قومه حتى بكا وابكاني، وقال لا جرم اني على ذلك من النادمين، وكنت مع ابراهيم حين القى في النار، وعلمني موسى سفراً من التورية، وعيسى سفراً من الانجيل، وقال ان ادركت محمداً صلى الله عليه وآله فاقرأه مني السلام فدفعه رسول الله صلى الله عليه وآله الى علي عليه السلام وعلمه سوراً من القرآن الحديث.

واما مادة خلقتهما فالمشهور انهام من النار كما قال تعالى والجان خلقناه من قبل من نار السموم، وقوله وخلق الجان من مارج من نار، والمارج هو لهب النار الخالص من الدخان، فعلى هذا يكون عنصره واحداً، وقيل هو مركب من العناصر الاربعة الا ان الاغلب عليه النار فلذا كان هو المنسوب اليه، ويؤيده ان في الايات ذكر خلق الانسان معه هكذا خلق الانسان من صلصال كالفخَار وخلق الجان من مارج من نار والصلصال الطين اليابس، والفخار الطين المطبوخ بالنار، فلذا لم يذكر للانسان سوى الطين لكونه الاغل فيه، ومن ثم كان المكان الطبيعي للجسم هو مكان اغلب عناصره، وقد ثبت هذا بالبرهان والمراد بالجان في هذه الايات على ما قاله اكثر المفسرين ابو الجنَ، وقال الحسن هو ابليس ابو الجن فيكون النوع واحداً وقد تواترت الاخبار ببقائهما بعد النبي ﷺ الى يوم القيامة.

اما الشياطين فلا خلاف فيه بين المسلمين واما الجن فقد نقل لي شيخنا الثقة ان الفاضل القزويني[1] دام الله ايامه قد انكر وجودهم بعد النبي ﷺ وقال انه دعا عليهم فماتوا جميعاً والى هذا ذهب سلطان العلماء قدس الله روحه وحكى لي ابنه المقدس العدل ان اباه كان يتعمد في الليالي للاماكن الموحشة المظلمة لعله يرى احداً منهم فلم يتَفق له قال ولده فقلت له انهم لا يظهرون على من له قوة قلب وانما يظهرون على ضعفاء القلوب، وبالجملة فان علياً عع قد قاتلهم زمن النبي ﷺ فاسلم منهم جماعة وعيَن عليهم خليفة منهم، وكانت خلافه عليهم بعد النبي ﷺ كلما مات خليفة عيَن عليه السلام لهم موضعه خليفة.

وهكذا روى شيخنا المفيد قدس الله روحه في ارشاده مسنداً الى ابن عباس قال لما خرج النبي ﷺ الى بني المصطلق جنَب عن الطريق فادركه الليل ونزل بقرب وادٍ وعر، فلما كان في آخر الليل هبط جبرئيل عليه السلام يخبره ان طائفة من كفَار الجن قد استبطوا الوادي يريدون كيده عليه السلام وإيقاع الشر باصحابه عند سلوكهم اياه فدعى امير المؤمنين فقال له اذهب الى هذا الوادي فسيعرض لك من اعداء الله الجن من يريدك فادفعهم بالقوة التي اعطاك الله عز وجل وتحصَن منهم باسماء الله عز وجل التي خصَك بعلمها وانفذ معه مائة رجل من اخلاط الناس وقال لهم كونوا معه وامتثلوا امره فتوجه امير المؤمنين عليه السلام الى الوادي فلما قرب من شفيره امر المائة الذين صحبوه ان يقفوا بقرب الشفير ولا يحدثوا شيئاً حتى يؤذن لهم، ثم تقدم فوقف على شفير الوادي وتعوَذ بالله من اعدائه وسمى الله عز اسمه واومى الى القوم الذين اتبعوه ان يتقربوا منه، فقربوا وكان بينه وبينهم فرجة مسافتها غلوة سهم ثم رام الهبوط الى الوادي فاعترضت ريح عاصف كاد

---

[1] هو العالم الفاضل الشهير المولى خليل القزويني رحمه الله المتوفى(١٠٨٩)هـ له آراء واقوال غريبة واعوجاج في السليقة وكلمات عجيبة في فهم عبارات الائمة عليهم السلام راجع الى روضات الجنات وغيرها.

ان تقع على وجوههم لشدتها ولم تثبت على الارض من هول الخصم ومن هول ما لحقهم فصاح امير المؤمنين عليه السلام اما علي بن ابي طالب بن عبد المطلب وصي رسول الله وابن عمه اثبتوا ان شئتم، فظهر للقوم اشخاص على صورة الزطّ[1] خيّل في ايديهم شعل النيران قد اطمأنوا واطافوا بجنبات الوادي، فتوغلَ امير المؤمنين عليه السلام بطن الوادي وهو يتلوا القرآن ويومي بسيفه يميناً وشمالاً، فما لبثت الاشخاص حتى صارت كالدخان الاسود وكبّر امير المؤمنين عليه السلام ثم صعد من حيث هبط فقام مع القوم الذين اتبعوه حتى اسفر الموضع عما اعتراه.

فقال له اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ما لقيت يا ابا الحسن فلقد كدنا ان نهلك خوفاً واشفقنا عليك اكثر مما لحقنا، فقال عليه السلام انه لما تراءى لي العدو، جهرت فيهم باسماء الله فتضاءلوا، وعلمت ما حلَ بهم من الجزع فتوغلت الوادي غير خائف منهم، ولو بقوا على نياتهم لاتيت على آخرهم وقد كفى الله كيدهم وكفى المؤمنين شرهم وستسبقني بقيتهم الى رسول الله صلى الله عليه وآله يؤمنون به وانصرف امير المؤمنين عليه السلام بمن معه الى رسول الله صلى الله عليه وآله واخبره الخبر فسرى (فسر ظ) عنه ودعى له بخير، وقال له قد سبقتك يا علي من اخافه الله بك واسلم وقبلت اسلامه، ثم ارتحل بجماعة المسلمين حتى قطع (قطعوا خ) الوادي آمنين غير خائفين اقول هذا الحديث رواه العامة والخاصة، ومثله قتاله عليه السلام مع جنَ وادي البصرة، وايضاً في المدينة الطيّبة قد قاتلهم وفي زمن خلافته اتاه الثعبان وهو على المنبر في مسجد الكوفة وكان ابن خليفته على الجن وقد كان مات ابوه فخلفه موضع ابيه وكان اسمه عمرو بن عثمان وخرج ذلك الثعبان من الباب التي اشتهرت بباب الثعبان، ولما اشتهر ذلك الباب بهذا الوصف ربط به بنو امية فيلاً ليقال له باب الفيل، فانكار الجن في هذه الاعصار انكار للضروريات، وقد كان منهم رجل اسمه عبد علي وامرأة اسمها حنّاء يطرقان محلتنا في بعض الايام لاجل بعض مصالحهما، فحصل بينهما وبين اهل تلك المحلة نوع صداقة ربما سألناهما عن احوال ما غاب عنّا من البلدان وعن اهلها واحوالهم ذلك اليوم ويكون كما قالا.

وكان للصادق عليه السلام جماعة من الجنَ يخدمونه ويرسلهم الى الاماكن البعيدة روى عن سدير الصيرفي قال اوصاني ابو جعفر عليه السلام بحوائج له بالمدينة فخرجت فبينا انا في فج الروحا، وهو موضع بين الحرمين على ثلاثين ميلاً، اذ انسان يلوى بثوبه قال فملت اليه وظننت انه عطشان فناولته الاداوة، فقال لي لا حاجة لي بها وناولني كتاباً طينه رطب، قال فلما نظرت الى الخاتم فاذا

---

(١) الزط بضم الزاي وتشديد المهملة جنس من السودان والهنود وهندي وهنود مثل زنجي وزنوج وزنوج وزط زطا الذباب: صوت في اقرب الموارد: الزط طائفة من اهل الهند معرب جت واليهم تنسب الثياب الزطية الواحد زطى فلان.

خاتم ابي جعفر عليه السلام فقلت متى عهدك بصاحب الكتاب، قال الساعة، واذا بالكتاب اشياء يأمرني بها ثم التفت فاذا ليس عندي احد قال ثم قدم ابو جعفر عليه السلام فلقيته، فقلت له جعلت فداك رجل أتاني بكتابك وطينه رطب فقال يا سدير ان لنا خدماً من الجن فاذا اردنا السرعة بعثناهم، وفي رواية اخرى قال ان لنا اتباعاً من الجن كما ان لنا اتباعاً من الانس فاذا اردنا امراً بعثناهم.

وروى عن النعمان بن بشير قال، كنت مزاملاً[1] جابر بن يزيد الجعفي فلما ان كنّا بالمدينة دخل على ابي جعفر عليه السلام فودعه وخرج من عنده وهو مسرور، حتى وردنا الاخيرجة اول منزل يعدل من فيد الى المدينة يوم الجمعة فصلينا الزوال، فلما نهض بنا البعير اذا انا برجل من طوال آدم مع كتاب فناتوله جابراً فتناوله فقبّله ووضعه على عينيه واذا هو من محمد بن علي الى جابر بن يزيد، وعليه طين اسود رطب فقال له متى عهدك بسيدي، فقال الساعة فقال له قبل الصلوة او بعد الصلوة، فقال بعد الصلوة قال ففكَ الخاتم فأقبل يقرء ويقبض وجهه حتى اتى على آخره، ثم امسك الكتاب فما رأيته ضاحكاً ولا مسروراً حتى وافى الكوفة، فلما وافينا الكوفة ليلاً بتَ ليلتي فلما اصبحت اتيته إعظاماً له فوجدته قد خرج عليَ وفي عنقه كعاب قد علقها وقد ركب قصبة وهو يقول أجد منصور بن جمهور اميراً غير مأمور.

وابياتا من نحو هذا فنظر في وجهي ونظرت في وجهه فلم يقل لي شيئاً ولم اقل له وأقبلت ابكي لما رأيته، واجتمع عليّ وعليه الصبيان والناس وجاء حتى دخل الرحبة فأقبل يدور مع الصبيان والناس يقولون جنّ جابر بن يزيد، فوالله ما مضت الايام والليالي حتى ورد كتاب هشام بن عبد الملك الى واليه، ان أنظر رجلاً يقال له جابر بن يزيد الجعفي،فاضرب عنقه وابعث اليَ برأسه فالتفت الى جلسائه فقال لهم من جابر بنم يزيد الجعفي، قالوا اصلحك الله كان رجلاً له فضل وعلم وحديث وحجَ فجنَ وهو اذاً في الرحبة مع الصبيان على الصقب يلعب معهم، قال فاشرف عليه فاذا هو مع الصبيان يلعب على القصب فقال الحمد لله الذي عافاني من قتله، قال ولم تمض الايام حتى دخل منصور بن جمهور الكوفة، فصنع ما كان يقول جابر.

والحاصل انه بقى متكلفاً للجنون كل زمان هشام فلما جاء خبر نعيه فما اصبح الصباح الا وقد جلس جابر في مسجد المدينة يحدث الناس عن الباقر عليه السلام وذلك الرسول الذي ناوله الكتاب كان من الجانَ، وقد كان جماعة من الجانَ يصعدون النخل عند رجل من اهل بلدتنا وقد كان منفرداً بمنزله وكان منزله في بستان نخل له فاذا صعدوا رموه بالحجارة وكان يشاهدهم ويسمع كلامهم وكانهم قصدوا اخراجه من ذلك المنزل فجمع رجالاً ذات ليلة، ولما شاهدوا الجن على

---

(١) الوميل الذي يزاملك أي يعادلك في المحمل والزميل الرفيق في السفر الذي يعينك على امورك والزميل الرديف.

رأس النخلة صعدوا اليهم فرموا بأنفسهم الى الماء وبقى منهم عباة صغيرة قصيرة ليس على صنعة الناس بل صنعتها على نمط غريب.

واعلم ان جماعة منهم وهو نوع من الغول الجاني يسكن بلادنا الجزائر في الشطوط والمياه ويسمونه طنطلاً بلغتهم وهو اسود البدن طوله كطول النخلة اجعد الشعر اقدامه كحافر الفيل، وقد شاهده بعض ثقاة اخواننا في شط الفرات، ومن خواصه انه يأتي الى الانسان اذا تفرد به فيركبه، وربما اضر بذلك الشخص ركوبه ويخاف من الجري خوفاً كثيراً وذلك انهم عرفوه بهذه الصفة، فاذا اصطادوا السمك صادوا جرية وحفظوها معهم حتى اذا جاء اليهم ذلك الغول، واراد الاضرار بهم اخرجوا اليه تلك الجرية وضربوه بها حتى يرمي بنفسه الى الماء فلا يرونه بعد هذا، والجن والشياطين يسكنون الهوى والمياه وكذا بعض الملائكة ومن ثم كره تطميح البول في الهواء وكذا كره البول في الماء ودخول الانهار والمياه بغير ازار استحياءاً من ساكنيها ولئلا يؤذيهم فيؤذونه.

واما اكل الجانَ فهو العظام وما شابهه اما بالاكل حقيقة واما انهم يشمونها فيشبعون وكلاهما قد روى في الاخبار، ومن ثم كره انتهاك العظام وهو المبالغة في اخذ ما عليها من اللحم، وقال عليه السلام انها طعام من الجن (الجان) فاذا انتهكت العظم اخذوا من طعامك ما قابله، والجمع بين الخبرين إمّا بتعدد انواعهم بان يكون منهم من يشمّ العظام ومنهم من يأكلها واما بالقول بأن العظام طعامهم تارة يأكلونها، وتارة أخرى يشمونها وتكون غذاء لهم على التقديرين، والحق ان هذا طعامهم المعتاد والا فهم يأكلون من طعامنا ايضاً فأنه قد شوهد متواتراً ان الناس يصنعون طعاماً خاصاً لهم في بعض الاوقات ويضعونه في مكان خاص بالقرب منهم ولعلهم يشاهدونه في بعض الاحوال، وتأكله الجان وفي الروايات عن الطاهرين عليهم السلام ان الطعام اذا حضر بين ايدي الجماعة حفته ملائكة وشياطين، فاذا ذكروا اسم الله قبل الاكل او ذكره واحد منهم اقبل الملائكة على الشياطين فطردوهم، وان لم يذكروا اسم الله على الطعام قربت الجن والشياطين فأكلوا معهم، ومن هنا ترى الطعام يؤكل سريعاً ولم يشبع القوم، ويقال ليس لهذا الطعام بركة وسيأتي تمام هذا البحث في آداب الاكل ان شاء الله تعالى، واما طعام دوابهم فقد روى انه الروث، وهو ايضاً إما بالاكل او بالشمّ، وقد عرفت ان من جملة ما في الهوى البحر المكفوف بقدرته سبحانه، وفيه انواع المخلوقات وما يعلم خلق ربك الا هو هذا مجمل ما في العالم العلوي وأتت نوبة العالم السفلي.

نور ارضي

اعلم ان الله سبحانه قد تمدَح في معرض الامتنان بخلق الارض فقال ألم نجعل الارض مهاداً والجبال اوتاداً وقوله فمهدنا فنعم الماهدون، فنحن كالاطفال والارض مهدنا وهو تعالى المربي لنا والمنعم، ومن هذا نعت به نفسه كل وصف فقال الحمد رب العالمين أي مربيهم ومرقّيهم في المراتب الحسية والمعنوية الى درجات الكمال والارض طبقات كما ان السموات طبقات وقد اختلف الاخبار في ترتيب ما تحت الارض، ففي كثير منها ان قرار الارض على عاتق ملك وقد ما ذلك الملك على صخرة والصخرة على قرن ثور والثور قوائمه على ظهر الحوت في اليّم الاسفل، واليمَ على الظلمة والظملة على العقيم، والعقيم على الثرى، وما يعلم تحت الثرى الا الله تعالى.

وفي خبر آخر عن الصادق عليه السلام قال فيه ان الله خلق النهار قبل الليل والشمس قبل القمر والارض قبل السماء ووضع الارض على الحوت في الماء والماء على صخرة مجوفة والصخرة على عاتق ملك، والملك على الثرى، والثرى على الريح العقيم، والريح على الهوى تمسكه القدرة، وليس تحت الريح العقيم الا الهوى والظلمات، ولا وراء ذلك سعة ولا ضيق ولا شيء يتوهَم، ثم خلق الكرسي فحشاه السموات والارض، والكرسي اكبر من كل شيء خلق الله، ثم خلق العرش فجعله اكبر من الكرسي، ويمكن الجمع بين الخبرين بحمل الحوت والثور على انهما ملكان بشكل الحوت احدهما وبشكل الثور الاخر كما في حامل العرش، فان كل واحد بصورة حيوان كما تقدم، او ان يقال بتعدد الهقيم فتكون واحدحة حاملة للثرى، والاخرى محمولة له ونحو ذلك.

فان قلت ما معنى قولهم عليهم السلام انه عند الثرى ينقطع علم العلماء كما قال في الحديث الاول وما يعلم تحت الثرى الا الله تعالى مع ما ورد من شمول علم الائمة عليهم السلام واحاطته بما فوق الثرى وما تحته قلت يجوز ان يكون معناه ان العلم المأذون لهم في تبليغه للأمة وإلقائه اليهم هو ما ينتهي الى الثرى فاذا انتهى الحال اليه انقطع العلم المأذون لهم بتبليغه ويجوز ان يكون من اسرار الحرف الذي هو جزء من الاسم الاعظم الذي امتاز الله سبحانه بعلمه ولم يعلمه نبياً فمن دونه كما سبق في الانوار المتقدمة.

فان قيل كيف بيَن عليه السلام في الحديث الاخير ما تحت الثرى من العقيم والهوى قلت يجوز ان يكون المراد بما تحت الثرى من العلم الذي حجب عن الناس هو العلم بتفاصيله مفصلاً بأن يكون للظلمات والهوى التي هي تحت الثرى احوال غريبة واوضاع عجيبة حجب علمها عن ان يعلم

للخلايق او انه تعالى استأثر به لا بذلك المجمل ويؤيده انه قد ورد في الاحاديث تفاصيل احوال ما فوق الثرى وعدم ذكر احوال التي تحته.

واعلم انه قد وقع الخلاف بين الحكماء والمنجمين في سكون الارض وتحركها فذهب الاكثر الى انها ساكنة غير متحركة وذهب آخرون الى انها هاوية أي متحركة الى اسفل دائماً ابداً فلا تزال الارض تنزل في خلاء غير متناه لما في طبيعتها من الاعتماد والثقل الهابط، وذهب ثالث الى انها تدور متحركة على مركز نفسها من المغرب الى المشرق خلاف الحركة اليومية والحركة اليومية لا توجد على هذا التقدير وانما يتخيل بسبب حركة الارض ان يتبدّل الوضع من الفلك بالقياس الينا دون اجزاء الارض اذ لا يتغيّر الوضع بيننا وبينها فانا على جزء معين منها فانها اذا تحركت من المغرب الى المشرق ظهر علينا من جانب المشرق كواكب كانت مخفية عنّا بحدبة الارض وخفى عنّا بحدبتها من جانب المغرب كواكب كانت ظاهرة علينا فيظنّ لذلك ان الارض ساكنة في مكانها والمتحرك هو الفلك فيكون حينئذ متحركاً من المشرق الى المغرب وذلك كراكب السفينة فانه يرى السفينة ساكنة مع حركتها حيث لا يتبدّل وضع اجزائها منه ويرى الشطَ متحركاً مع سكونه حيث يتبدّل وصعه منه مع ظنّ انه ساكن في مكانه وكذلك يرى القمر سائراً الى الغيم حين يسير الغيم اليه وغير ذلك من الامور التي يغلط بها الحسّ.

واما الوارد في الشريعة المطهرة فهو كونها ساكنة وان الجبال اوجبت سكونها قال الله تعالى والقى في الارض رواسي ان تميد بكم وقال تعالى والجبال اوتادا روى عن ابن عباس انه قال ان الارض بسطت على الماء فكانت تكفأ بأهلها كما تكفأ السفينة فأرساها الله تعالى بالجبال وذكروا لهذا وجوهاً أحدها ما قاله الرازي في التفسير وهو انّ السفينة اذا القيت على وجه الماء فأنها تميل من جانب الى جانب وتضطرب فاذا وقعت الاجرام الثقيلة فيها استقرت على وجه الماء فكذلك لمّا خلق الله تعالى الارض على وجه الماء اضطربت ومادت فخلق الله تعالى عليها هذه الجبال ووتدها بها فاستقرت على وجه الماء بسبب ثقل الجبال ثم اعترض على هذا وحاصله ان حركات الاجسام طبيعية ولا شك ان الارض اثقل من الماء والاثقل يغوص في الماء ولا يبقى طائفاً عليه فامتنع ان يقال انها كانت تميد وتضطرب بخلاف السفينة فانها متخذة من الخشب وفي داخل الخشب تجويفات غير مملوة فلذلك تميد وتضطرب على وجه الماء فاذا ارسيت بالاجسام الثقيلة استقرت وسكنت فظهر الفرق.

واجاب عن هذا الاشكال شيخنا المحقق ادام الله ايامه بان الارض وان كانت ثقيلة وفي طبعها طلب المركز لكنّ الماء يحركها بأمواجه حركة قسرية ويزيلها عن مكانها الطبيعي بسهولة،

فكانت تميد وتضطرب بأهلها وتغوص قطعة منها وتخرج قطعة ولما ارساه الله تعالى بالجبال وثقّلها قاومت الماء وامواجها بذلك الثقل فكانت كالاوتاد مثبتة لها.

وثانيها ما قاله الرازي ايضاً بعد ان زيّف الوجه الاول بايراد اشكالات كما هو شأنه في التشكيك حتى ان المحقق الداماد قدس الله زكي ترتبته سمّاه شيخ المشككين لكثرة تشكيكه في المسائل، قال والذي عندي في هذا الموضع المشكل ان يقال انه ثبت بالدلائل اليقينة ان الارض كرة، وان هذه الجبال على سطح هذه الكرة جارية مجرى خشونات وتضريسات تحصل على وجه هذه الكرة، اذا ثبت هذا فنقول اذا فرضنا هذه الخشونات ما كانت حاصلة بل كانت الارض كرة حقيقية خالية عن هذه الخشونات والتضريسات لصارت بحيث تتحرك بالاستدارة بأدنى سبب لان الجرم البسيط المستدير وان لم يجب كونه متحركاً بالاستدارة عقلاً الا انه بأدنى سبب يتحرك على هذا الوجه اما اذا حصل على سطح كرة الارض هذه الجبال وكانت كالخشونات الواقعة على وجه الكرة فكل واحد من هذه الجبال انما يتوجه طبعه الى مركز العالم، وتوجه ذلك العالم نحو مركز العالم بثقله العظيم وقوته الشديدة يكون جارياً مجرى الوتد الذي يمنع كرة الارض من الاستدارة فكان تخليق هذه الجبال على الارض كالاوتاد المغروزة في الكرة المانعة لها من الحركة المستديرة او كانت مانعة للارض عن الميد والميل والاضطراب بمعنى انها منعت الارض عن الحركة المستديرة، فهذا ما وصل اليها خاطري في هذا الباب والله اعلم، واعترض بعض افاضل العصر عليه بوجوه كثيرة لا نطول الكلام بذكرها.

وثالثها ما قاله بعض مشائخنا من ان يكون مدخلية الجبال بعدم اضطراب الارض بسبب اشتباكها واتصال بعضها في بعض اعماق الارض بحيث يمنعها عن تفتت اجزائها انفكاكها، فهي بمنزلة الاوتاد والمسامير المثبتة في الابواب المركبة من قطع الخشب بحيث تصير سبباً لالتزاق بعضها ببعض، وهذا معلوم ظاهر لمن حفر الابار في الارض فانها تنتهي عند المبالغة في حفرها الى الاحجار الصلبة.

ورابعها ما قاله بعض المحدثين من ان المراد بالجبال والرواسي الانبياء والاولياء والعلماء وبالارض الدنيا، اما وجه التجوّز بالجبال عن الانبياء والعلماء فلان الجبال لما كانت على غاية من الثبات والاستقرار ومانعة لما يكون تحتها من الحركة والاضطراب عاصمة لما يلتجي اليها من الحيوان عما يوجب له الهرب فيسكن بذلك اضطرابه وقلقلتة اشبهت الاوتاد من بعض هذه الجهات، ثم لما كانت الانبياء والعلماء هم السبب في انتظام امور الدنيا وعدم اضطراب احوال اهلها كانوا كالاوتاد للارض فلا جرم صحّت استعارة لفظ الجبال لهم، ولذلك يقال في العرب فلان جبل منيع يأوي اليه كل ملهوف، اذا كان يرجع اليه في المهمات والحوائج والعلماء اوتاد الله

في الارض، والحق ان العلماء وان ورد في الاخبار اطلاق الاوتاد عليهم بل قد فسّر بهم اوتاد الايات الا ان ذلك تفسير لباطن الايات، واما الظاهر فقد فسرت في الاخبار ايضاً فالاعراض عن ارادة الظاهر والاقتصار على ارادة بواطن الايات كما هو أدب بعض المعاصرين ليس من دأب المحققين.

واعلم ان وراء هذه الارض ارضاً أخرى روى عجلان بن ابي صالح قال سألت ابا عبد الله عليه السلام عن قبَة آدم فقلت له هذه قبة آدم، فقال نعم ولله قباب كثيرة ان خلف مغربكم هذا تسعة وثلاثين مغرباً ارضاً بيضاء مملوة خلقاً يستضيئون بنورها لم يعصوا الله طرفة عين لم يدروا ان الله عز وجل خلق آدم ام لم يخلقه يبرأون عن فلان وفلان وفلان قيل كيف هذا وكيف يبرأون من فلان وفلان وفلان، وهم لا يدرون ان الله خلق آدم ام لم يخلقه فقال للسائل عن ذلك أتعرف ابليس، فقال لا الا بالخبر، فقال أفأمرت بلعنته والبراءة منه قلن (قال ظ) نعم قال وكذلك امر هؤلاء.

وروى جابر بن يزيد عن ابي جعفر عليه السلام قال ان وراء شمسكم هذه اربعين عين شمس ما بين عين شمس الى عين شمس أخرى اربعون عاماً، فيها خلق كثير ما يعلمون ان الله خلق آدم أم لم يخلقه، وان من وراء قمركم هذا اربعين قرصاً ما بين القرص الى القرص اربعون عاماً، فيها خلق كثير ما يعلمون ان الله خلق آدم ام لم يخلقه، قد الهموا كما الهمت النحل لعنة الاول والثاني والثالث في كل الاوقات، وقد وكلَ بهم ملائكة متى لم يعلنوا عذّبوا، وسأل رسول الله صلى الله عليه وآله ما خلف جبل قاف، قال خلفه سبعون ارضاً من ذهب وسبعون ارضاً من فضة وسبعون ارضاً من مسك وخلفه سبعون ارضاً سكانها الملائكة لا يكون فيها حرّ ولا برد، وطول كل ارض مسيرة عشرة آلاف سنة، قيل وما خلف الملائكة قال حجاب من ظلمة، قيل وما خلفه، قال حجاب من ريح قيل وما خلفه قال حجاب من نار، قيل وما خلف ذلك قال علم الله تعالى وقضائه وسأل عن عرض قاف وطوله واستدارته فقال عليه السلام عرضه مسيرة الف سنة من ياقوت احمر قصته[1]ن فضة بيضاء وزَجه من زمردة خضراء، له ثلاث ذوائب من نور ذوابة بالمشرق وذوابة بالمغرب والاخرى في وسط السماء عليها مكتوب الاول بسم الله الرحمن الرحيم، الثاني الحمد لله رب العالمين، الثالث لا اله الا الله محمد رسول الله.

واعلم ان من جملة حوادث الارض الزلازل وذكر الحكماء في سببه ان البخار اذا احتبس في الارض يميل الى جهة ويبرد بالارض فقلب مياها مختلطة بأجزاء بخارية ان قلّ، فاذا كثر

---

(١) القصة والقصة والقص الجص لغة حجازية وقيل الحجارة من الجص وقد قصص داره أي جصصها وفي الحديث نهى رسول الله ص عن تقصيص القبور وهو بناؤها بالقصة(لسان العرب).

بحيث لا تسعه الارض اوجب انشقاق الارض وانفجار العيون، واذا غلظ البخار بحيث لا ينفذ في مجاري الارض بأن كانت الارض كثيفة عديمة المسام اجتمع فجنح طالباً للخروج ولم يمكنه النفوذ فزلزلت الارض وربما قويت المادة على شقّ الارض فيحدث صوت هائل، وقد تخرج نار لشدة الحركة المقتضية لاشتعال البخار والدخان الممتزجين على طبيعة الدهن، هذا كلامهم قاتلهم الله واخزاهم، واما الذي ورد عن الائمة الطاهرين عليهم السلام.

فمنها ما رواه الصدوق عن الصادق عليه السلام قال ان ذا القرنين لما انتهى الى السد جاوزه فدخل في الظلمات فاذا هو بملك قائم على جبل طوله خمسمائة ذراع، فقال له الملك يا ذا القرنين اما كان خلفك مسلك، فقال له ذو القرنين من انت قال انا ملك من ملائكة الرحمن موكّل بهذا الجبل وليس من جبل خلقه الله الا وله عرق متّصل بهذا الجبل، فاذا اراد الله عز وجل ان يزلزل مدينة اوحى اليّ فزلتها، ومنها ما روى عنه عليه السلام أنه قال ان الله تبارك وتعالى خلق الارض فأمر الحوت فحملتها فقالت حملتها بقوتي فبعث الله عز وجل اليها حوتاً قدر قشر فدخلت في منخرها فاضطربت اربعين صباحاً، فاذا اراد الله ان يزلزل ارضاً ترائت لها تلك الحوتة الصغيرة فزلزلت الارض خوفاً، ومنها ما روى عنه عليه السلام انه قال ان الله تبارك وتعالى امر الحوت ان تحمل الارض وكل بلد من البلدان على فلس من فلوسه، فاذا اراد الله تبارك وتعالى ان يزلزل ارضاً امر الحوت ان تحرّك ذلك الفلس فتحركه، ولو رفع الفلس لانقلت الارض باذن الله عز وجل وهذه العلل كلها حق وكلها اسباب ويجمعها ارادة الاستعتاب والتوبة من العباد بعد صدور الذنوب الموبقة منهم.

ولقد حدث في عشر الثمانين بعد الالف زلازل بطوس حتى خرّبت البنيان واهلكت النفوس فذهب من المشهد الرضوي على صاحبه افضل الصلوات الاف من الانفس من الرجال والنساء وتصدّعت قبته عليه السلام وذهب من نيشابور فوق اربعة الاف انسان، وقد حدث في شيروان زلازل انقلبت منها بلاد كثيرة وتحولت بها رساتيق من اماكنها الى امكنة بعيدة عن مكانها الاول وذهبت انفس لا يحصى عددها الا الله سبحانه، وكذلك حدث في سنة التاسعة والثمانين بع الالف وهي سنة تاريخ تأليف هذا الكتاب زلازل في بلاد طبرستان حتى ساخت منها بعض البلدان تحت الارض وانقبلت به بعض البلاد وهلكت النفوس، وروى عن الصادق عليه السلام قال اذا فشت ظهرت اربعة، اذا فشا الزنا ظهرت الزلازل، واذا امسكت الزكوة هلكت الماشية، واذا جار الحكام في القضا امسك القطر من السماء واذا خفرت الذمة نصر المشركون وخفر الذمة نقض العهد.

وروى ان الارض التي يزنى عليها تضج الى الله تعالى شاكية، بل ورد ان سبب الوبا هو الزنا وذلك ان الارض لا تقبل غسالة الزاني فيصير ذلك الماء بخاراً فيرتفع الى السماء فلا تقبله السماء ايضاً فينزل على جنسه على الابار والعيون والغدران والانهار والبحار فيتكيّف الهوى عند مرور البخار عليه مرتين بشمومها وسمومها، ويتكيّف المياه ايضاً وأشدّ ما يحتاج اليه الناس في استقامة الامزجة ويخافون منه في انحرافها هو الهوى ثم الماء فيتنفسون في ذلك الهوى المسموم ويشربون من ذلك الماء فتحصل المواد الفاسدة في امزجتهم فتنزل وتظهر في بعض الاعضاء، ولهذا يكثر وقوعه على الاطفال الضعيفة الامزجة والغرباء الغير المعتاد لهواء تلك الارض، وروى انه سبب الطاعون وذلك ان الزنا اذا كثر في ارض سلّط الله على اهلها جنوداً من الجن يحاربونهم ويطعنونهم بحرابهم ويجردونهم ويروعونهم بالتشكل والتخيل في عيونهم فتارة يتمثلون بصور الكلاب والذئاب وطوراً بصور الطوايف المبتدعة الهائلة الصور.

وفي الروايات ان يوشعاً عليه السلام قاد بني اسرائيل بعد موت موسى عليه السلام من التيه الى بلدة الجبابرة وحاصروها فطلب اهلها ان يدعو بلعم على يوشع كما دعى على موسى عليه السلام فقال لهم وما دعاء الكافرين الى في ضلال، ولكن اخرجوا اليهم الزواني والفواحش، ففعلوا فاختلط الرجال بالنساء وكثر الزنا فيما بين جنود يوشع فوقع فيهم الطاعون فهلك خلق كثير فأمر يوشع عساكره (عينا ظ) فطعن رجلاً على امرأة حتى نفذ الرمح من ظهر الرجل وخرج من ظهر المرأة فرفعهما على سنان الرمح ونصب الرمح في وسط المعسكر وهما على السنان، فأمر منادياً ينادي في العسكر الا من زنى بعد اليوم فاني اصنع به ما صنعت بهذين فانقطع فعل الزنا وارتفع الطاعون، وعنه صلى الله عليه وآله انه قال اياكم والزنا فان فيه عشر خصال نقصان العقل والدين والرزق والعمر، وآفة الهجران، وغضب الرحمن وهجوم النسيان، وبغض اهل الايمان وذهاب ماء الوجه وردّ الدعاء والعبادة، ولا يستبعد مثل هذه التاثيرات، فقد روى ان آدم عليه السلام تقيأ ما اكل من شجرة الحنطة على الارض بعد ما بي في بطنه ثلاثين يوماً فنبت منه السموم المعدنية والنباتية، وما بقي من قوته في صلب آدم تولّد قابيل فاذا كان الحرام في بطن آكله سمّاً مضراً له ولغيره الى ان ظهر اثره في نطفته ونسله فليس بعجيب.

ومن تأثيرات الزنا ومقدماته سرايته الى الزاني ومحرماته، روى ان رجلاً سقّاء كان في بلاد بخارى وكان يجيء دار صائغ منذ ثلاثين سنة ولم يصدر منه نظر سوء قطّ، فيوماً جعل السقاء يمسك زوجة الصايغ من زندها ويلمسها ويقبلها ويضمها الى نفسه حتى فعل غير الجماع من دواعيه، فراخ السقّاء وجاء الصايغ فسألته امرأته عن فعله في السوق ذلك اليوم والحتّ عليه في الصدق قال ان امرأة كشف زندها لتدخلها في السوار فلما رأيت ساعدها لمستها بسكر الشهوة،

وقبلت المرأة وفعلت بها غير الجماع من دواعيه فكبرَت زوجته واخبرته بقصة السقاء، وروى عن النب يص انه قال لكل عضو من ابن آدم حظّ من الزنا فالعين زناها النظر، واللسان زناه الكلام، والاذنان زناهما السمع واليدان زناهما البطش، والرجلان زناهما المشي، والفرج يصَدق ذلك ويكذبه، وروى ايضاً انه كان في زمان داود عليه السلام رجل فاسق فأتى يوماً الى امرأة رجل فقير ليزني بها فلما اشتغل بالزنا وقع في قلبه ان رجلاً يزني بامرأته فلما اتى منزله وجد رجلاً فوق بطن امرأته فأخذه الى داود عليه السلام ليقيم عليه الحد، فأوحى الله تعالى الى داود قل له كما تدين تدان، زنيت بامرأة الرجل الفلاني فزنى رجل بامرأتك وفي الحديث ان من زنى فقد زنى به فان لم يكن به فبأولاده وذراريه، وقد عدّ الزنا من الكبائر، ومن هذا كان للمتعفف منه والتائب بعد فعله درجة في الدنيا والاخرة لا يدانى فيها.

روى الكليني قدس الله روحه باسناده الى اسحق بن عمار عن ابي عبد الله عليه السلام قال كان ملك في بني اسرائيل وكان له قاض، وللقاضي أخ وكان رجلاً صدقاً، وكان له امرأة قد ولَدتها الانبياء فاراد الملك ان يبعث رجلاً في حاجة فقال للقاضي إيتني رجلاً ثقة، فقال ما اعلم احداً اوثق من اخي فدعاه ليبعثه فكره ذلك الرجل وقال لاخيه اني اكره ان اضيع امرأتي فعزم عليه فلم يجد بداً من الخروج، فقال لاخيه يا اخي اني لست اخلف شيئاً أهم اليّ من امرأتي فاخلفني وتوَل قضاء حاجتها، قال نعم فخرج الرجل وقد كانت المرأة كارهة لخروجه وكان القاضي يأتيها ويسألها عن حوائجها ويقوم بها، فأعجبته فدعاها الى نفسه فأبت عليه فحلف عليها لئن لم تفعلي لاخبرنَ الملك انها قد فجرت فقالت اصنع ما بدا لك لست اجيبك الى شيء مما طلبت، فأتى الملك فقال ان امرأة اخي فجرت وقد حقّ ذلك عندي فقال له الملك طهّرها فجاء اليها فقال ان الملك قد امرني برجمك فرجمها ومعه الناس فلما ظنَ انها قد ماتت تركها وانصرف وجنَها الليل وكان بها رمق فتحركت وخرجت من الحفرة ثم مشت على وجهها حتى خرجت من المدينة.

فانتهت الى دير فيه ديراني فنامت على باب الدير فلما اصبح الديراني فتح الباب فرءاها فسألها عن قصتها فخبرته فرحمها وادخلها، وكان له ابن صغير لم يكن له غيره وكان حسن الحال فداواها حتى برأت من علتها واندملت، ثم دفع اليها ابنه فكانت تربيه وكان للديراني قهرمان يقوم باوامره فأعجبته فدعاها الى نفسه فأبت فجهد بها فأبت فقال لها لئن لم تفعل لاجهدنَ في قتلك، فقالت اصنع ما بدا لك فعمد الى الصبي فدقّ عنقه واتى الديراني، فقال له عمدت فاجرة فجرت فدفعت اليها ابنك فقتلته، فجاء الديراني فلما رءاه قال لها ما هذا فقد تعلمين صنيعي بك فأخبرته بالقصة فقال لها ليس تطيب نفسي ان تكوني عندي فاخرجي فاخرجها ليلاً ودفع اليها عشرين درهماً وقال لها تزودي هذه الليلة حسبك فخرجت ليلاً.

فأصبحت في قرية فاذا فيها مصلوب على خشبة وهو حيّ فسألت عن قصته فقالوا لها عليه دين عشرون درهماً ومن كان عليه دين عندنا عشرون درهماً لصاحبه صلبه حتى يؤدي الى صاحبه، فأخرجت العشرين درهماً ودفعتها الى غريمه وقالت لا تقتلوه فانزلوه عن الخشبة فقال لها ما احد اعظم عليّ منّة منك نجيتني من الصلب ومن الموت انا معك حيث ما ذهبت، فمضى معها ومضت حتى انتهيا الى ساحل البحر فرأى جماعة وسفنا فقال لها اجلسي حتى اذهب انا اعمل لهم واستطعم وآتيك به، فأتاهم فقال لهم ما في سفينتكم هذه قالوا هذه تجارات وجواهر وعنبر واشياء من التجارة، واما هذه فنحن فيها قال وكم يبلغ ما في سفينتكم هذه، قالوا كثيراً لا نحصيه قال فان معي شيئاً خطيراً هو خير مما في سفينتكم، قالوا وما معك، قال جارية لم تروا مثلها قطّ، قالوا فبعناها قال نعم على شرط ان يذهب بعضكم فينظر اليها ثم يجيء ويشتريها ولا يعلمها ويدفع اليّ الثمن ولا يعلمها حتى امضي انا، فقالوا ذلك لك فبعثوا من نظر اليها فقال ما رأيت مثلها قطّ فشتروها منه بعشرة الاف درهم، ودفعوا اليه الدراهم ومضى لها فلما امعن اتوها فقالوا لها قومي وادخلي السفينة، قالت لِمَ؟ قالوا اشتريناك من مولاك، قالت ما هو بمولاي قالوا تقومين او لنحملنّك فقامت ومضت معهم، فلما انتهوا الى الساحل لم يأمن بعضهم بعضاً عليها فجعلوها في السفينة الى فيها الجواهر والتجارة، وركبوا في السفينة الاخرى فدفعوها فبعث الله عز وجل ريحاً فغرقتهم وسفينتهم ونجت السفينة التي كانت فيها حتى انتهت الى جزيرة من جزائر البحر، فخرجت من السفينة وربطتها ثم دارت في الجزيرة فاذا فيها ماء وشجر فيه ثمر فقالت هذا ماء اشرب منه وثمر آكل منه اعبد الله في هذا الموضع.

فأوحى الله الى نبي من انبياء بني اسرائيل ان يأتي ذلك الملك فيقول له ان في جزيرة من جزائر البحر خلقاً من خلقي فاخرج انت ومن في مملكتك حتى تأتوا خلقي هذا وتقروا له بذنوبكم، ثم تسألوا من ذلك الخلق ان يغفر لكم فان غفر لكم غفرت لكم فخرج الملك بأهل مملكته الى تلك الجزيرة فرأوا امرأة فتقدّم اليها الملك فقال لها ان قاضيّ هذا أتاني فخبّرني ان امرأتي اخيه فجرت فأمرته برجمها ولم تقم عندي البينة فأخاف ان اكون قد تقدمت على ما لا يحلّ لي فأحب ان تستغفري لي، فقالت غفر الله لك اجلس، ثم اتى زوجها ولم يعرفها فقال لها انه كان لي امرأة وكان من فضلها وصلاحها واني خرجت عنها للسفر وهي كارهة لذلك، فأخبرني اخي انها فجرت فرجمها وانا اخاف ان اكون قد ضيعتها فاستغفري لي غفر الله لك، فقالت غفر الله لك اجلس فأجلسته الى جنب الملك.

ثم اتى القاضي فقال انه كان لاخي امرأة وانها اعجبتني فدعوتها الى الفجور فابت فأعلمت الملك انها قد فجرت فأمرني برجمها فرجمتها وانا كاذب عليها فاستغفري لي فقالت غفر

الله لك، ثم اقبلت على زوجها فقالت إسمع، ثم تقدم الديراني فقصَّ قصته وقال اخرجتها بالليل وانا اخاف ان يكون قد لقيها سبع فقتلها فقالت غفر الله لك اجلس، ثم تقدم القهرمان فقصَّ قصته فقالت للديراني اسمع غفر الله لك، ثم تقدم المصلوب فقصَّ قصته فقالت لا غفر الله لك، ثم اقبلت على زوجها فقالت انا امرأتك وكل ما سمعت فانما هو قصتي وليست لي حاجة في الرجال فانا احب ان تأخذ هذه السفينة وما فيها وتخلّي سبيلي فأعبد الله عز وجل في هذه الجزيرة فقد ترى ما لقيت من الرجال ففعل وأخذ السفينة وما فيها وانصرف الملك واله مملكته.

فانظر الى تقوى هذه المرأة كيف عصمها من الرجم ومن تهمة القهرمان ومن رقَ التجار، ثم انظر ما بلغ من كرامتها على الله حيث جعل رضاه مقروناً برضاها ومغفرته بمغفرتها، وكيف جعل من نصب لها مكراً وهيأ لها مكروهاً خاضعاً لها طالباً منها المغفرة والرضا وكيف رفع قدرها ونوّه بذكرها حيث امر نبيه بأن يحشر اليها الملوك والقضاة والعباد ويجعلوها باباً الى الله تعالى وذريعة الى رضوانه، واعجب من هذا أنه سبحانه لم يجر على لسان أحد منهم ذنباً من الذنوب سوى الذنب الذي اتوه الى المرأة مع ان ذنوب كل واحد منهم لا تكاد تحصى، خصوصاً القاضي فان هذا الذنب الذي ذكره حسنة منه بالنسبة الى باقي ذنوبه، ولعمرك ان قضاة زماننا انما تعدَ حسناتهم وافعالهم الجميلة مثل ذنب ذلك القاضي فانظر الى افعالهم السيئة والى ذنوبهم كيف تكون.

وروى عن الصادق عليه السلام قال كان عابد في بني اسرائيل لم يقارف من امر الدنيا شيئاً، فنخر ابليس نخرة فاجتمع جنوده فقال من لي بفلان بن فلان فقال بعضهم انا له، قال من اين تأتيه قال من ناحية النساء قال لست له لم يجرب النساء، قال آخر فانا له من ناحية الشراب واللذات قال لست له، قال آخر فأنا له من ناحية البر قال انطلق فأنت صاحبه، فانطلق الى موضع الرجل فأقام حذاه يصلي، قال وكان الرجل ينام والشيطان لا ينام ويستريح والشيطان لا يستريح فتحوّل اليه الرجل وقد تقاصرت اليه نفسه واستصغر عمله، فقال يا عبد الله بأي شيء قويت على هذه الصلوة، فلم يجبه، ثم اعاد عليه، فقال يا عبد الله اني اذنبت ذنباً وانا تائب منه فاذا ذكرت الذني قويت على الصلاة، قال فأخبرني عن ذنبك حتى اعمله واتوب فاذا فعلته قويت على الصلاة، قال ادخل المدينة وسل عن فلانة البغيّة فاعطها درهمين ونل منها، قال ومن اين لي درهمين ما ادري ما الدرهمين فتناول الشيطان من تحت قدميه درهمين فناوله اياهما، قال فقدم المدينة بجلابيبه فسأل عن منزل فلانة البغيَة فأرشدوه الناس، فظنوا انه جاء يعظها فارشدوه فجاء اليها فرمى اليها بالدرهمين وقال قومي، فقامت ودخلت منزلها، وقالت ادخل وقالت انك جئتني في هيئة ليس يؤتى مثلي في مثلها فاخبرني، فاخبرها فقالت له يا عبد الله ان ترك الذنب اهون من طلب التوبة

وليس كل من طلب التوبة وجدها، وانما ينبغي ان يكون هذا شيطان مثّل لك، فانصرف وماتت من ليلتها فاصبحت فاذا على بابها مكتوب احضروا فلانة فانها من اهل الجنة، فارتاب الناس ومكثوا ثلاثاً لا يدفنونها ارتياباً في امرها، فأوحى الله عز وجل الى نبي من بني اسرائيل لا اعلمه الا موسى بن عمران ان إئت فلانة فصلّ عليها ومر الناس ان يصلوا عليها فأني قد غفرت لها، وأوجبت لها الجنة بتثبيطها فلان عبدي عن معصيتي، فانظر رحمك الله كيف استحقت هذه المرأة التي صرفت عمرها في الزنا مراتب الرحمة بمنعها عبداً من عباد الله عن الزنا.

وفي الرواية عن الصادق عليه السلام ان امرأة كانت في سفينة فانكسرت السفينة وخرجت المرأة على لوح الى جزيرة في البحر، فمشت ساعة وكان هناك رجل قاطع طريق تلك الجزيرة فلما رأى تلك المرأة قال لها انت من الانس ام من الجن، فما تمّ كلامه حتىجلس منها مجلس الرجل من المرأة فارتعدت خوفاً، فقال لها مم تخافين، قالت من الله الذي ينظر الينا، قال لها أفعلت هذا الفعل من قبل هذا؟ قالت لا فقام من فوقها وقال انا احقّ منك بالتوبة لاني فعلت هذا مراراً بالاختيار وانت لم تفعليه وانا قد اضطررتك الى هذا فأنا تائب الى الله تعالى، فأخذ المرأة وسار معها الى البلد فلقيا في الطريق رجلاً عابداً فترافقا معه في الطريق، فلما حميت عليهم الشمس قال العابد لذلك الرجل يا اخي تعال ندعوا الله ان يظللنا بغمامة نمشي تحتها، فقال له الرجل يا اخي ليس لي وجه ابيض عن الله تعالى ولا لي سابقة عمل ارجو به قبول الدعا لكن ادع أنت، فقالوا ادعو انا وانت تؤمن على دعائي فدعى الراهب وامّن ذلك الرجل فاظلتهم سحابة فسارا تحتها فلما بلغا مفترق الطريقين تبعت السحابة ذلك الرجل وبقى العابد يمشي تحت الشمس فرجع العابد وقال له يا اخي الم تقل أنه ليس لك سابقة عمل وهذه السحابة قد سارت معك فاخبرني بما صنعت، فحكى الخبر وماجرى من معاملة المرأة وانصرف معه السحابة.

وروى انه كان في بني اسرائيل ارمأة بغية وكانت مفتتنة بجمالها وكان باب دارها ابداً مفتوحاً، وهي قاعدة في دارها على السرير بحذاء الباب وكلّ من نظر اليها افتتن بها، فان اراد الدخول عليها احتاج الى احضار عشرة دنانير حتى تأذن له بالدخول فمرّ ببابها عابد فوقع بصره عليها فافتتن بها ولم يملك نفسه حتى باع قماشاً له واتى اليها بالدنانير، فأخذتها وجلس معها على السرير فلما مدّ يده اليها وقع في قلبه ان الله يراني على هذه الحالة فوق عرشه، وانا في الحرام وقد حبط عملي كله، فتغير لونه فنظرت اليه فقالت له أي شيء اصابك، قال اني اخاف الله فاذني لي بالخروج، فقالت له ويحك ان كثيراً من الناس يتمنون الذي وجدته فقال لها اني اخاف الله والملك لك حلال فاذني لي بالخروج فخرج من عندها وهو يدعو بالويل والثبور ويبكي على نفسه، فوقع الخوف في قلب المرأة، فقالت ان هذا الرجل اول ذنب اذنبه وقد دخل عليه من الخوف ما دخل

واين اذنبت منذ كذا وكذا سنة، وان ربه الذي يخاف منه هو ربي وخوفي منه ينبغي ان يكون اشد، فتابت الى الله واغلقت بابها ولبست ثياباً خلقة واقبلت على العبادة فقالت في نفسها اني لو انتهيت الى ذلك الرجل فلعله يتزوجني فأكون عنده فأتعلَم منه امر ديني ويكون عوناً لي على عبادة الله فتجهزت وحملت اموالها وخدمها فانتهت الى تلك القرية وسألت عنه فأخبر العابد انها قد قدمت امرأة تسأل عنك فخرج العابد اليها، فلما رأته المرأة كشف عن وجهها ليعرفها فلما رءاها عرفها وتذكر الامر الذي كان بينه وبينها فصاح صيحة وخرجت روحه فبقيت المرأة حزينة، وقالت اني خرجت لاجله وقد مات فهل له من اقربائه احد يحتاج الى امرأة؟ فقالوا ان له اخاً صالحاً ولكنه معسر ليس له مال فتزوجته فولد له منها خمسة اولاد كلهم صاروا انبياء في بني اسرائيل.

ومن ذلك ما روى عن النبي ﷺ انه كان في بني اسرائيل عابد وكان قد اوتي جمالاً وحسناً وكان يعمل القفاف بيده فيبيعها، فمرّ ذات يوم بباب الملك فنظرت اليه جارية لامرأة الملك فدخلت اليها فقالت لها هيهنا رجل ما رأيت احسن منه يطوف بالقفاف يبيعها، فقالت ادخليه عليَ فأدخلته فلما دخل نظرت اليه فاعجبها، فقالت له اطرح هذه القفاف، وخذ هذه الملحفة، وقالت لجاريتها هاتي الدهن يا جارية فقضى منه حاجتنا ويقضيها منّا، وقالت نغنيك عن بيع هذا، فقال ما اريد ذلك مراراً فقالت وان لم ترده فانك غير خارج حتى نقضي حاجتنا منك وامرت بالابواب فاغلقت فلما رأى ذلك قال هل فوق قصركم هذا متوضأ؟ قالت نعم يا جارية إرقى له بوضوء فلما رقى جاء الى ناحية السطح فرأى قصراً مرتفعاً ولا شيء يتعلق به ليرسل نفسه من السطح فجعل يعاتب نفسه ويقول يا نفس منذ سبعين سنة تطلبين رضاء ربك حريصة عليه في الليل والنهار ثم جاءتك عشية واحدة تفسد عليك هذا كله، انت والله خائبة ان جاءتك هذه العشية ارسلي نفسك من هذا السطح تموتين فتلقى الله ببقية عملك فجعل يعاتبها.

قال ﷺ فلما تهيأ ليلقى نفسه قال الله سبحانه لجبرئيل عليه السلام يا جبرئيل قال لبيك وسعديك، قال عبدي يريد ان يقتل نفسه فراراً من سخطي ومعصيتي فالقه بجناحك لا يصيبه مكروه، فبط جبرئيل عليه السلام جناحه فأخذه بيده ثم وضعه وضع الوالد الرحيم لولده قال فأتى امرأته وترك القفاف وقد غابت الشمس فقالت له امرأته اين ثمن القفاف فقال لها ما اصبت لها اليوم ثمناً، فقالت فعلى أي شيء نفطر الليلة قال نصبر ليلتنا هذه ثم قال لها قومي فاسجري تنورك فانّا نكره ان يرى جيراننا اننا لم نسجر التنور فأنهم اذا لم يروا انّا سجرنا التنور اشتغلت قلوبهم بنا، فقامت وسجرت، ثم جاءت وقعدت فجاءت امرأة من جيرانها، فقالت يا فلانة هل عندك وقود؟ فقالت نعم ادخلي وخذي من التنور، فدخلت ثم خرجت فقالت يا فلانة ما لي اراك جالسة

تتحدثين مع فلان يعني زوجها وقد نضج خبزك في التنور يريد ان يحترق، فقامت فاذا التنور محشو خبزاً نقياً فجعلته في جفنة ثم جاءت به الى زوجها، فقالت له ان ربك لم يصنع بك هذا الا وأنت عليه كريم فادع الله ان يبسط علينا بقية عمرنا في معاشنا، قال لها تصبري على هذا فلم تزل به حتى قال نعم افعل فقام في جوف الليل يصلي ودعا الله تعالى، وقال الله ان زوجتي قد سألتني فاعطها ما تتوسع به في بقية عمرها فانفرج السقف فنزلت اليه كفّ عليها ياقوتة بيضاء اضاء لها البيت كما يضيء الشمع، فغمز رجلها وكانت نائمة فقال لها اجلسي وخذي ما سألت فقالت لا تعجل كنت قد رأيت في المنام كأني انظر الى كراسي مصفوفة من ذهب مكلل بالياقوت والزبرجد فيها ثلمة، فقلت لمن هذا قالوا هذا مجلس زوجك فقلت فمم هذه الثلمة فقالوا من اشتغاله بدعاء استجابة ما سألته منه فما لي حاجة في شيء أثلم عليك مجلسك أدع ربك فدعا فرجع الكف.

وقد نقل في بعض التفاسير ان رابعة العدوية قال دخلت ذات يوم على تبة وهو فيما فيه من الزهد والعبادة، فقلت له كيف بدء توبتك، قال اني كنت في حداثتي مولعا بالنساء، وكان يهواني بالبصرة اكثر من الف امرأة فخرجت ذات يوم فاذا انا بامرأة لا يتبين منها غير عينيها فكأنما قدحت من قلبي ناراً، وكلمتها فلم تكلمني فقلت لها ويحك انا عتبة الذي تعشقني اكثر نساء البصرة واكلمك فلا تكلمني، قالت فما الذي تريد مني، قلت اجيء الى ضيافتك قالت يا هذا انا مغطاة فكيف احببتني، قلت لها ان عينيك قد افتتناني قالت صدقت اني غفلت عنهما فتعال الى منزلي لتنال حاجتك فذهبت معها حتى ادخلتني داراً ما رأيت فيها شيئاً من الاساس، فقلت لها ما لي أرى الدار فارغة فقالت حولّنا القماش عنها الى الدار التي قال الله عز وجل تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يرديون علواً في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين.

اياك ان تبيع الجنة بالبدنيا والحوريات بالادميات، فقلت لها دعيني من هذه التقوى واقضي حاجتي، فقالت ولا بدّ من ذلك فقلت نعم فدخلت الى بيت آخر وتركتني فاذا في البيت الاخر عجوز، فصاحت الصبية الى العجوز وقالت لها ايتني بكوز فيه ماء اتوضوء فتوضأت وصلّت الى نصف الليل وانا متفكر فقالت للعجوز اعطيني طبقاً وقطعة قطن فقدمت ذلك اليها، وبعد ساعة صاحت العجوز وقالت انا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم، فنظرت فاذا الجارية قد قعلت عينيها جميعاً وقد طرحتهما على قطعة القطن في الطبق والعينان يلعبان في الشحم، فخرجت العجوز بهما اليّ وقالت خذ ما كنت تعشقهما لا بارك الله لك فيهما، لقد حيرتنا حيّرك الله كانت هذه الصبية تخرج وتشتري وتبيع لنا ونحن عشرة نسوة في هذه المحلة فقد حيرتنا حيرك الله فلما سمعت كلام العجوز غشى عليّ ومرّت عليّ تلك الليلة وانا افكر فلما اصبحت حملت الى منزلي وبقيت في منزلي اربعين يوماً عليلاً فكان هذا سبب توبتي.

وفيه ان زليخا قعدت على ممر يوسف فلما اخبرتها جاريتها بدنوه منها قالت يا يوسف بحق الذي اعزك واذلني ان تقف ساعة ولا تغيب عني، فقال يا زليخا اين مالك وجمالك، قالت ذهبا في سبيلك، قال واين عينيك، قالت ذهبت في البكاء عليك، قال واين عشقك، قالت في صدري كما كان، فقال فأين برهانك، قالت ناولني سوطك فناولها اياه فتأوهت ونفخت فيه فاحترق السوط بنفسها، فألقاه يوسف من يده وصرف عنان الفرس فرارا، فقالت يا يوسف انك بدعوى الرجولية لم تكن مثل المرأة فاني حفظت تلك النار في صدري منذ اربعين سنة ولم انهزم كانهزامك.

وفي اخبارنا عن الائمة عليهم السلام ان زليخا ارادت ان تقف يوماً على طريق يوسف تشكو اليه الحاجة فقالوا لها انك فعلتي ما فعلتي معه ونحن نخاف عليك منه، فقالت زليخا لكني لا اخاف منه لانه رأيته يخاف الله وانا لا اخاف من يخاف الله، فوقفت على طريقه فلما قرب منها قالت يا يوسف الحمد لله الذي جعل العبيد بطاعتهم له ملوكاً وجعل الملوك بمعصيتهم عبيداً، فوقف لها يوسف عليه السلام وقال لها ما حملك على الامر الذي اردته مني، قالت حسنك وجمالك وانه ليس كان في مصر مثلي في الحسن وكان زوجي عنيناً فقال لها يوسف عليه السلام يا زليخا كيف لو رأيت نبياً يكون في آخر الزمان اسمه محمد صلى الله عليه وآله أحسن مني وجهاً واسمح كفاً فقالت آمنت بذلك النبي وصدَقت به فقال كيف تؤمنين به ولم ترينه قالت لانك لما ذكرت اسمه وقع حبّه في قلبي، فأوحى الله سبحانه جبرئيل عليه السلام الى يوسف عليه السلام لما صدّقت زليخا بنبيي ولم تره اعطيتها ما تسأل، فقال لها يوسف عليه السلام يا زليخا هذا جبرئيل عليه السلام يقول إسألي ما اردت، قال أسأل خصالاً ثلاثاً:

الاولى ان يرجع اليَ شبابي، الثانية ان تكون انت زوجي، الثالثة ان اكون معك في الجنة فمسح جبرئيل عليه السلام جناحه عليها فصارت الى شبابها فزوجها جبرئيل عليه السلام يوسف عليه السلام وفي الجنة تكون معه وهذا عاقبة الصبر عن الزنا وهو الوصول الى المطلوب حلالا.

وروى ان مؤذناً لعلي عليه السلام كان يدخل منزله فرأى فيه خادمة فهواها وكلما التقى معها قال اصبر الى ان يحكم الله لي وهو خير الحاكمين، ثم ان الخادمة أتت علياً عليه السلام واخبرته بهوى المؤذن اياها، فقال لها عليه السلام ما قال لك قالت كلما رءاني قال اصبرحتى يحكم الله، فطلبه علي عليه السلام قال يا فلان الان حكم الله فزوجها اياه فاستمتع منها حلالاً.

وفي رواية ان رجلاً عشق جارية لجاره فأتى مولانا الصادق عليه السلام فأخبره فقال له قل كلما رأيتها اللهم اني اسألك من فضلك فكان يكرر هذا الكلام فبعد مدّة اراد مولى الجارية السفر فأتى الى ذلك الرجل ليودعه اياها، فقال يا فلان انا عزب وجاريتك ما احبّ ان تبقى عندي، فقال اقوَمها عليك بقيمة فتنال منها حلالاً، فاذا قدمت من سفري انت مخيّر بين ان تعطيني الثمن او

الجارية، فدفعها واستنمتع منها ثم ان الخليفة احتاج الى جواري فوصفت له الجارية بعد مدة فدفع مالاً جزيلاً الى ذلك الرجل وباعها من الخليفة، ثم لما قدم صاحبها (ر خ) دفع الرجل ذلك المال اليه فقال يا اخي ما آخذ منك الا القيمة التي قومتها عليك، وهذا كله مالك فأخذه فانظر الى عاقبة الصبر كيف استفاد منه التمتع بالجارية والمال.

ومن هذا الباب ما رواه صاحب الروضة قال كان رجل من اهل بيت المقدس ورد الى مدينة رسول الله ﷺ وهو حسن الشباب مليح الصورة، فزار حجرة النبي ﷺ وقصد المسجد ولم يزل ملازماً مشتغلاً بالعبادة صائم النهار قائم الليل، وذلك في زمان خلافة عمر بن الخطاب حتى كان اعبد الناس، والخلق يتمنى ان يكون مثله وكان عمر يأتي ويسأله ان يكلفه حاجة فيقول له المقدسي الحاجة الى الله، ولم يزل كذلك حتى عزم الناس على الحج فجاء الى عمر بن الخطاب وقال يا ابا حفص اني قد عزمت على الحج ومعي وديعة احب ان تستودعها مني الى حين عودي من الحج، فقال عمر هات الوديعة فأحضر الشاب حقاً من عاج عليه قفل من حديد مختوم بخاتم الشاب فتسلمه وخرج الشاب مع الوفد وخرج عمر الى مدقدم الوفد وقال له اوصيك بهذا المقدسي خيراً، فرجع عمر وكان في الوفد امرأة من اهل الشام فما زالت تلاحظ المقدسي وتنزل بقربه حيث نزل فلما كان في بعض الايام دنت منه وقالت له يا شاب اني والله ارق لهذا الجسم الناعم المترف كيف يلبس الصوف، فقال لها يا هذه جسم يأكله الدود ومصيره التراب هذا له كثير، فقالت اني اخاف على هذا الوجه المضيء كيف تشعثه الشمس، فقال لها يا هذه إتقي الله وكفَي فقد اشغلتني بكلامك عن عبادة ربي، فقالت له لي اليك حاجة فان قضيتها فلا كلام وان لم تقضها فما انا بتاركتك حتى تقضيها، فقال لها وما حاجتك؟ قالت له حاجتي ان تواقعني فزرجها وخوَفها من الله عز وجل فلم يردعها ذلك، قالت والله ان لم تفعل ما آمرك به لارمينَك بداهية من دواهي النساء ومكرها فلا تنجو منها، فلم يلتفت اليها ولم يعبأ بكلامها فلما كان في بعض الليالي وقد سهر اكثر ليله من عبادة ربه، ثم رقد في آخر الليل وغلب عليه النوم فأتته وتحت راسه مزادة فيها زاده فانتزعها من تحت رأسه وطرحت فيها كيساً فيه خمسمائة دينار ثم اعادتها تحت رأسه فلما ثور الوفد قامت الملعونة من نومها وقالت انا بالله وبالوفد مستجيرة، وانا امرأة مسكينة وقد سرق مالي ونفقتي انا بالله وبكم فجلس المقدم على الوفد وامر رجلاً من الانصار ورجلاً من المهاجرين ان يفتشا الفريقين ففتشوا (ففتشا خ) فلم (يجدا) يجدوا شيئاً، ولم يبق من الوفد رجل الا وقد فتَش رحله غير المقدسي فأخبروا مقدم الوفد بذلك، فقالت الملعونة يا قوم ما ضركم لو فتشتموه فله اسوة بالمهاجرين والانصار، وما يدريكم ان يكون ظاهره مليحاً وباطنه قبيحاً ولم تزل بهم حتى حملتهم على تفتيش رحله، فقصده جماعة من الوفد وهو قائم يصلي

فلما رعاهم أقبل اليهم فقال ما بالكم وما حاجتكم، فقالوا له هذه الامرأة الشامية ذكرت انه سرق نفقتها وقد فتشّنا رحل الوفد بأجمعه ولم يبق منهم غيرك ونحن لا نتقدم الى رحلك الا بأذنك، لما سبق من وصية عمر في حقك، فقال لهم يا قوم ما يضرني ذلك ففتشوا ما احببتم وهو واثق من نفسه، فأول ما نفضوا المزادة التي فيها زاده وقع منها الهميان، فصاحت الملعونة الله اكبر هذا والله كيسي ومالي فيه كذا وكذا دينار وفيه عقد لؤلؤ ووزنه كذا وكذا مثقال فنظروا فوجدوه كما قالت فمالوا عليه بالضرب الموجع والسبّ والشتم، وهو لا يردّ جواباً فسلسلوه وقادوه الى مكة راجلاً، فقال لهم يا وفد الله بحق هذا البيت الحرام الا ما تصدقتم علي وتركتموني حتى اقضي الحج واشهد الله ورسوله على اني اذا قضيت الحج رجعت اليكم، فأوقع الله الرحمة في قلوبهم فأطلقوه فلما قضى مناسكه وما عليه من الحج والفرائض عاد الى القوم، وقال لهم هنا أنا عدت اليكم فافعلوا بي ما تريدون فقال بعضهم لبعض لو اراد المفارقة لما عاد اليكم فاتركوه، فتركوه ورجع الوفد طالباً مدينة النبي ﷺ فأعوزت تلك المرأة الملعونة الزاد في الطريق فوجدت راعياً فطلبت منه الزاد فقال لها عندي ما تريدين غير اني لا ابيعه فان اردتي ان تمكنيني من نفسك اعطيتك ففعلت وأخذت منه زاداً.

فلما انحرفت عنه اعترض لها ابليس فقال لها يا فلانة انت حامل فقالت ممن فقال لها من الراعي فقالت وافضيحتاه فقال لها مع رجوعك الى الوفد فقولي لهم اني سمعت قراءة المقدسي فقربت منه، فلما غلبني النوم دنى مني وواقعني ولم اتمكن من الدفاع عن نفسي وقد حملت منه وانا امرأة من الانصار وخلفي جماعة، ففعلت الملعونة ما اشار اليها ابليس فلم يشكوا في قولها لما عاينوا من وجود الكيس في رحله فعكفوا على الشاب المقدسي، وقالوا يا هذا ما كفاك السرقة حتى فسقت فأوجعوه ضرباً وشتماً وسباً واعادوه الى السلسلة وهو لا يرد جواباً، فلما قربوا من المدينة على مشرفه وآله السلام خرج عمر بن الخطاب ومعه جماعة من المسلمين للقاء الوفد، فلما قرب من الوفد لم يكن له همّة الا السؤال عن المقدسي، فقالوا له يا ابا حفص ما اغفلك عن المقدسي فقد سرق وفسق وقصوا عليه القصة، فأمر باحضاره بين يديه فأتوا به وهو مسلسل فقالوا له يا ويلك يا مقدسي تظهر بخلاف ما ننظر فيك حتى سرقت وفضحك الله تعالى، لانكلنّ بك اشد النكال وهو لا يرد جواباً، واجتمع الناس ينظرون ماذا يفعل به فبينما هم كذلك واذا بالنور قد سطع، فتأملوه فاذا هو عيبة علم النبوة علي بن ابي طالب عليه افضل الصلوة والسلام فقال ما هذا الوهج في مسجد رسول الله ﷺ فقالوا يا امير المؤمنين ان الشاب المقدسي الزاهد سرق وفسق، فقال عليه السلام والله ما سرق ولا فسق ولا حجَ أحد غيره، فلما اخبروا عمر بذلك قام قائماً

النادمين وأتيت نبيك تائباً فطردني وزادني خوفاً فاسألك باسمك وجلالك وعظمة سلطانك ان لا تخيب رجائي، سيدي ولا تبطل دعائي ولا تقنطني من رحمتك، فلم يزل يقول ذلك اربعين يوماً وليلة ويبكي له السباع والوحوش، فلما تمتَ اربعون يوماً وليلة رفع يديه الى السماء وقال اللهم ما فعلت في حاجتي ان كنت استجبت دعائي وغرفت خطيئتي فأوح الى نبيك عليه السلام وان لم تستجب لي دعائي ولم تغفر لي خطيئتي واردت عقوبتي فعجّل بنار تحرقني او عقوبة في الدنيا تهلكني وخلَصني من فضيحة يوم القيامة، فأنزل الله تبارك وتعالى على نبيه صلى الله عليه وآله والذين اذا فعلوا فاحشة يعني لزنا او ظلموا انفسهم، يعني بارتكاب ذنب اعظم من الزنا، وهو نبش القبور واخذ الاكفان، ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم، يقول خافوا فعجلوا التوبة، ومن يغفر الذنوب الا الله، يقول الله عز وجل اتاك عبدي يا محمد تائباً فطردته فأين يذهب والى من يقصد ومن يسأل ان يغفر له ذنباً غيري، ثم قال عز وجل ولم يصرَوا على ما فعلوا وهم يعلمون، يقول لم يقيموا على الزنا ونبش القبور واخذ الاكفان، اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم اجر العاملين.

فلما نزلت هذه الاية على رسول الله صلى الله عليه وآله خرج وهو يتلوها ويبتسم فقال لاصحابه من يدلني على ذلك الشاب لتائب، قال معاذ انا ادلّك عليه يا رسول الله بلغنا انه في موضع كذا وكذا، فمضى رسول الله صلى الله عليه وآله باصحابه حتى انتهوا الى ذلك الجبل فصعدوا اليه يطلبون الشاب، فاذا هم بالشاب قائم بين صخرتين مغلولة يداه الى عنقه قد اسوَد وجهه وتساقطت اشفار عينيه من البكاء، وهو يقول قد احسنت خلقي واحسنت صورتي فليت شعري ماذا تريد بي أفي نارك تحرقني ام في جوارك تسكنني، ويقول اللهم انك قد اكثرت الاحسان اليّ وانعمت عليّ فليت شعري ماذا يكون آخر امري الى الجنة تزفني ام الى النار تسوقني، اللهم خطيئتي اعظم من السموات والارض ومن كرسيك الواسع العظيم وعرشك العظيم فليت شعري تغفر لي خطيئتي ام تفضحني بها يوم القيامة، فلم يزل يقول نحو هذا وهو يبكي ويحثوا التراب على رأسه وقد احاطت به السباع وصفَت فوق راسه الطير وهم يبكون لبكائه فدنا رسول الله صلى الله عليه وآله فأطلق يديه من عنقه ونفض التراب عن رأسه وقال يا بهلول إبشر فانك عتيق الله من النار، ثم قال لاصحابه هكذا تداركوا الذنوب كما تداركها بهلول، ثم تلا عليه السلام ما انزل الله عز وجل فيه وبشرَه بالجنة.

فان قلت كيف اطمعه النبي صلى الله عليه وآله في قبول التوبة اولاً وان ذنبه قابل للغفران وان كان اثقل من السموات وما ذكر ثم لما ذكر ذنبه اعرض عن قبول توبته وطرده ومنعه.

قلت يمكن التقصي عن هذا بوجوه، الاول ان يكون ذنبه اثقل من الارضين والسموات كما ورد في الاخبار من ان بعض الذنوب من الكبائر اثقل من العرش وما تحته كما ان بعض الطاعات كذلك فيكون قد اطمعه ﷺ في قبول التوبة، فلما رأى عظن ذنبه اعرض عنه.

الثاني انه عليه السلام انما منّاه بالتوبة لظنه ان ذنبه وجرحه (مه) من حقوق الله سبحانه فلما أظهره كان من حقوق الناس فلم يكن له ﷺ يد على قبول توبته حتى قبلها الله سبحانه، الثالث انه تهديد وسياسة للامة حتى لا يقدموا على مثل هذه العظائم من الذنوب كما كان دأبه ﷺ فأنه قد امر باحراق البيوت على من لم يحضر صلوة الجماعة معه مع انها سنة وتطوّع وامثال هذه الحكايات والاخبار كثيرة لا نطوّل الكتاب بذكرها وكفى به قوله ﷺ من عشق فعفّ فمات دخل الجنة، وسيأتي لهذا مزيد بيان في نور العاشقين ان شاء الله تعالى.

نور في سلسلة النبوة والوصاية

روى الصدوق عن الصادق عليه السلام قال قال رسول الله ﷺ انا سيد النبيين ووصيي سيد الوصيين واوصياؤه سادة الاوصاء، ان آدم عليه السلام سأل الله عز وجل ان يجعل له ولياً صالحاً، فأوحى الله تعالى اني اكرمت الانبياء بالنبوة ثم اخترت خلقاً فجعلت خيارهم الاوصياء، فأوحى الله تعالى ذكره اليه يا آدم اوص الى شيث وهو هبة الله بن آدم وأوصى شيث الى ابنه شبان بالشين المثلثة والباء الموحدة وهو ابن نزلة الحوراء التي انزلها الله تعالى على آدم من الجنة فزوجها ابنه شيثاً، واوصى شبان الى محلث بالحاء المهملة والثاء المثلثة، واوصى محلث الى محوق بالحاء المهملة والقاف، واوصى محوق الى عثميا بالثاء المثلثة والياء المثناة بعد الميم، اوصى عثميا على اخنوخ وهو ادريس النبي عليه السلام واوصى ادريس الى ناخور بالنون والخاء المعجمة، ودفعها ناخور الى نوح عليه السلام واوصى نوح الى سام، واوصى سام الى عثامر بالعين المهملة والثاء المثلثة والراء اخيراً واوصى عثامر الى برغيثاشا بالغين المعجمة بعدها ياء تحتانية وبعد الياء ثاء مثلثة وآخر الحروف الف قبلها شين مثلثة، واوصى برغيثاشا الى يافث واوصى يافث الى برة واوصى برة الى جفشية بالجيم والفاء والشين المعجمة بعدها ياء تحتانية، واوصى جفشية الى عمران ودفعها عمران الى ابراهيم الخليل عليه السلام .

واوصى ابراهيم عليه السلام الى ابنه اسماعيل عليه السلام واوصى اسماعيل عليه السلام الى اسحاق واوصى اسحاق الى يعقوب واوصى يعقوب الى يوسف واوصى يوسف الى بثريا (برثيا ظ) بالباء الموحدة والثاء المثلثة واوصى بثريا (برثيا ظ) الى شعيب ودفعها الشعيب الى موسى بن عمران واوصى موسى بن عمران عليه السلام الى يوشع بن نون، واوصى يوشع بن نون الى داود واوصى داود الى

سليمان عليه السلام واوصى سليمان الى آصف بن برخيا، واوصى آصف بن برخيا الى زكريا ودفعها زكريا الى عيسى بن مريم، واوصى عيسى بن مريم الى شمعون بن حمون الصفا واوصى شمعون الى يحيى بن زكريا واوصى يحيى بن زكريا الى منذر، واوصى منذر الى سليمة واوصى سليمة الى بردة، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله ودفعها اليّ بردة وانا ادفعها اليك يا علي، وانت تدفعها الى وصيك ويدفعها وصيك الى اوصيائك من ولدك واحداً بعد واحد حتى تدفع الى خير اهل الارض بعدك، ولتكفرنَ بك الامة وليختلفنّ عليك اختلافاً شديداً والثابت عليك كالمقيم معي والشاذ عنك في النار والنار مثوى الكافرين.

وقال جابر بن عبد الله الانصاري قال دخلت على فاطمة عليها السلام وبين يديها لوح فيه اسماء الاوصياء من ولدها فعددت اثنى عشر احدهم القائم ثلثة منهم محمد واربعة منهم علي عليهم السلام.

فان قلت اذا كان اسماء الائمة عليهم السلام مكتوباً في لوح فاطمة عليها السلام وفي الدفاتر السماوية قبل خلق آدم وبعده فما معنى ما روى من قول ابي عبد الله عليه السلام لابنه موسى عليه السلام لما مات اسمعيل ما بدا لله في شيء مثل ما بدا له في اسمعيل، وقوله عليه السلام يا بني احدث لله شكراً فقد احدث فيك عهداً، فان ظاهرها كما فهم بعض المحدثين ان الامامة كانت في اسماعيل فبدا لله تعالى فيه بمعنى انه رفع ذلك الحكم الثابت فيه، وهو الامامة الى غيره وهو موسى عليه السلام.

قلت ليس معناه ما قالوه بل معناه والله العالم ان الشيعة كانت تعتقد ان الامامة في اسماعيل لانه اكبر الاولاد، ورووا ان الامامة في الاكبر فلما مات اسماعيل زمن ابيه ظهر للشيعة انه ليس بامام فذاك البدا الذي بدا لله هو في ظاهر الحال عند الشيعة لا في الواقع ونفس الامر، وكذا معنى قوله عليه السلام احدث فيك عهداً معناه انه كشف عن امامتك للخلائق بعد ان كنت اماماً عنده، ومن كون اسماعيل كان هو الاكبر وكان الناس يزعمون انه الامام بقي طائفة من الشيعة على ذلك الاعتقاد وقالوا انه حي لم يمت وانه الامام بعد ابيه وهم الاسماعيلية، وستأتي مقالتهم ان شاء الله تعالى عند تعداد الفرق الاسلامية.

واما قوله عليه السلام في الحديث الاول ودفعها زكريا الى عيسى بن مريم الى قوله يحيى بن زكريا فهو مناف لما اشتهر في الكتب من ان يحيى عليه السلام قتل قبل ابيه ومن ثم ذهب بعض المحققين الى تخطئة المشهور لهذا ولرواية بريد (يزيد ظ) الكناسي المذكورة في باب حالات الائمة عليهم السلام، ويمكن ان يقال ان زكريا بعد دفعها الى عيسى عليه السلام كان باقيا حتى قتل يحيى.

واما تاريخ الدنيا من خروج آدم عليه السلام من الجنة الى الارض الى هذه السنة وهي سنة تأليف هذا الكتاب سنة التاسعة والثمانين بعد الالف فقد ذكر اهل التواريخ ان من خروج آدم من الجنة

الى طوفان نوح الفين ومأتين وخمسين سنة، ومن نوح الى ابراهيم الفا ومائة واثنين واربعين سنة ومن ابراهيم الى موسى خمسمائة وستة وستين سنة، ومن موسى الى داود خمسمائة وتسعين سنة، ومن داود الى عيسى الفا وثلثة وخمسين سنة ومن عيسى الى محمد ﷺ ستمأة وستين سنة وحيث انتهى الحال الى هنا فلنذكر اعمار بعض الانبياء والاوصياء عليهم السلام.

فنقول ذكر صاحب كتاب شذور العقود وكتاب مفاتح التنزيل ان آدم عليه السلام عاش تسعمائة وثلاثين سنة ولم يمت حتى بلغ ولده وولد ولده اربعين الفاً، واما حوى فعاشت بعده سنة ودفنت معه، وقد ورد في جملة من الاخبار ان آدم ونوح ضجيعان لامير المؤمنين عليه السلام في قبره، وفي قصص الراوندي روى الباقر عليه السلام ان عمر آدم منذ خلقه الله الى ان قبضه سبعمائة وست وثلاثون سنة، ودفن بمكة وكان بين آدم ونوح صلوات الله عليهما الف وخمسمأة سنة، واما شيث فقد ولد بعد هابيل بخمس سنين ولم يعقب من ولد ابيه غيره واليه تنتهي سلسلة جميع الناس وعاش تسعمائة واثنى عشر سنة.

واما ادريس عليه السلام وهو اخنوخ سمي لكثرة درسه لكتب الله تعالى فقد رفع الى السماء بعد ثلثمائة وخمس وستين سنة، واما نوح عليه السلام فقد عاش الفي سنة وخمسمائة سنة منها ثمانمائة سنة قبل ان يبعث والف وسنة الا خمسون عاماً وهو في قومه يدعوهم ومائتا سنة في عمل السفينة وخمسمائة عام بعدما نزل من السفينة، واما هود فقد عاش ثمانمائة وسبعاً، واما صالح وهو من اولاد ثمود فقد توفي بمكة وعمره ثمانية وخمسين سنة، واما ابراهيم عليه السلام بن تارخ فقد عاش مأة وخمسا وسبعين، واما اسماعيل عليه السلام فقد عاش مأة وعشرين سنة وولد ولابيه اربع وثمانون واما اسحق عليه السلام فقد عاش مأة وثمانين وولد ولابيه مأة سنة، واما يعقوب عليه السلام فعمره مأة وست واربعون، وهو والد الاسباط كلهم، واما يوسف الصديق عليه السلام فعمره مأة وعشرين سنة، واما لوط عليه السلام فهو اول من آمن بابراهيم وكان ابن اخته وقيل ان خالته.

واما شعيب عليه السلام فقد عاش عمراً طويلاً وتزوج بنت لوط عليه السلام والان له مدفن قريب بلد شوشتر، وذكر جماعة من اهل التاريخ ان عسكر الاسلام لما فتح شوشتر أتوا الى مكان وراء حجرة مبنية وعليها قفل حديد ورأوا رجلاً كبير السن خارج تلك الحجرة فسألوه عن احوال ما في الحجرة فقال ان آبائي كانوا يخدمون خارج الحجرة ويذكرون ان في داخلها شعيب النبي، وانا اخدمها على ذلك الحال ولا رأيت الى الان ما في بطن هذه الحجرة، فأتى مقدم العسكر وحلّ الحجرة ودخلها مع جماعة من المسلمين فرأوا سريراً وعليه شيه شائب وهو ميت حسن الوجه طري الجسد فكتبوا الى عمر بن الخطاب لان الفتح كان زمان خلافته، فكتب اليهم ان ادفنوه

فدفنوه حيث قبره الان في قرب بلاد شوشتر، وقد وصلنا اليه مراراً وزرناه، واما ايوب بن الموص فقد تزوج بنت يعقوب وهي التي ضربها بالضغث.

واما موسى بن عمران عليه السلام فقد عاش مأة وستا وعشرين سنة، واما هارون عليه السلام فعمره مأة وثلاث وثلاثون سنة توفي قبل موسى بثلاث سنين، واما يوشع فهو ابن نون بن ابراهيم بن يوسف عليه السلام ، واما الخضر فهو ابن ملكان بن قالع بن هود، واما يونس فهو ابن متى المرسل الى اهل نينوى من اهل الموصل، واما إلياس فهو من سبط يوشع بن نون، واما اليسع فقد كان تلميذ إلياس عليه السلام ونبّاه الله تعالى، واما ذو الكفل فهو نبي بعث قبل عيسى عليه السلام ، قيل سمي بذبك لانه كفل سبعين نبياً ونجّاهم من العذاب وما طالوت فقد تزوج داود ابنته وسمى طالوت لطوله، واما داود بن ايشى فعمره مأة واربعون سنة، واما سليمان عليه السلام فعمره وسبعمأة واثنتى عشرة سنة وملك ثلاثا وعشرين سنة واما زكريا بن آزر من اولاد داود فعمره تسع وتسعون سنة، واما ارميا فهو الذي بعثه الله الى اهل بيت المقدس فكفروا فسلّط الله عليهم بخت نصر، واما حيقوق فهو نبي بعد موسى عليه السلام على دينه.

واما دانيال وعزير فقد اسرهما بخت نصر فنجاهما الله تعالى منه ومال دانيال بناحية الشوش ودفن فيها، والشوش بلد كبير في ناحية شوشتر لكنها هذا الان من توابع الحويزة وقد خربت وصارت تلاً من التراب وقد وصلنا اليها مراراً وشاهدنا فيها اثاراً غريبة واطوار عجيبة وقبر دانيال عليه السلام قريب منها يتبرّك به الناس وقد شوهد (شاهدوا خ) له كرامات كثيرة، وفي بعض الروايات ان اهل الشوش شكوا الى احد المعصومين عليهم السلام كثرة الامطار فكتب اليهم ان عظام اخي دانيال تحت السماء والسماء تهطل[1]موعاً عليه فواروه تحت التراب حتى تسكن عنكم الامطار، فواروه تحت التراب وقريب من قبره المبارك النهر الذي حفره شايور ذو الاكتاف، وقد عمل قريباً من القبر حوض كبير فيه سمك كثير شاهدناها لما وصلنا الى زيارته، وقد الفت الزائرين حتى كنّا قد نجلس على جوف النهر ونضع الخبز في ايدينا وتظهر الحيتان من الماء تأكله من ايدينا شيئاً فشيئاً، والشوش في لغة الفرس القديمة اسم للشيء الحسن ولما بنوا شوشتر سموها بهذا الاسم ومعناه الاحسن يعني انها احسن من الشوش، وفي قبته صخرة اذا وقف عليها الانسان وحركها تحركت مستديرة والانسان فوقها ثم تبقى على الحركة حتى ينزل الانسان من فوقها، واما جرجيس فهو من اهل فلسطين بعثه الله بعد المسيح الى ملك الموصل.

---

(١) تهطل المطر: نزل متتابعاً عظيم القطر.

واما خالد بن سنان وهو من العرب فقد بعث بعد عيسى عليه السلام واما حنظلة بن صفوان فقد كان في زمن الفترة بين عيسى والنبي ﷺ واما ما ورد في الدعاء من قوله عليه السلام اللهم صلّ على الابدال والاوتاد، فروى عن علي عليه السلام ان الابدال بالشام وهم الخيار من الناس، قيل ان الارض لا تخلو من القطب واربعة اوتاد واربعين ابدالاً وسبعين نجيباً وثلثمأة وستين صالحاً، لان الدنيا كالخيمة والمهدي كالعود وتلك الاربعة اطنابها وقد تكون الاوتاد اكثر من اربعة والابدال اكثر من اربعين والنجباء اكثر من سبعين والصالحون اكثر من ثلثمأة وستين، والظاهر كما قيل ان الياس والخضر عليهما السلام من الاوتاد فهما ملاصقان لدائرة القطب.

واما صفة الاوتاد فهم قوم لا يغفلون عن ربهم طرفة عين ولا يجمعون من الدنيا الا البلاغ ولا تصدر منهم هفوات الشرّ ولا يشترط فيهم العصمة من السهو والنسيان بل من فعل القبيح، ويشترط ذلك في القطب، واما الابدال فدون هؤلاء في المراقبة وقد تصدر منهم الغفلة فيتداركونها بالتذكر ولا يتعهدون (يتعاهدون خ) ذنباً، واما النجباء فهم دون الابدال.

واما الصالحون فهم المتقون الموصوفون بالعدالة، وقد يصدر منهم الذنب فيتداركونه بالاستغفار والندم، قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون، قيل اذا نقص احد من الاوتاد الاربعة وضع بدله من الاربعين واذا نقص احد من الاربعين وصع بدله من السبعين، واذا نقص احد من السبعين وضع بدله من الثلثمأة وستين، واذا نقص أحد من الثلثمأة وستين وضع بدله من سائر الناس والله العالم.

نور في مولد النبي ﷺ وعدد اولاده وزوجاته

اما النبي ﷺ فالمشهور بيننا ان مولده الشريف سابع عشر ربيع الاول يوم الجمعة عند طلوع الشمس، واما الجمهور فالمشهور بينهم ان تولده ثاني عشر ذلك الشهر ووافقهم شيخنا الكليني [١] على ذلك، ولعل بعض الاخبار الواردة به محمولة على التقية، فان قلت كيف طريق تصحيح قول الكليني طاب ثراه ان امه حملت به في ايام التشريق عند الجمرة الوسطى، وذلك انه يلزم على هذا ان يكون ﷺ بقى في بطن امه ثلاثة اشهر او سنة وثلاثة اشهر وعلى التقديرين يكون خارقاً للعادة فيكون من خصائصه ﷺ مع ان العلماء واهل السير والتواريخ لم يذكروه ولو كان كذلك لنقل البتة.

---

(١) ووافقهم ايضاً من الامامية على ابن الحسين المسعودي المؤرخ الكبيرصاحب مرج الذهب واثبات الوصية ذلك الكتاب القيم النفيس.

قلت ذكر جماعة من مشايخنا قدس الله ارواحهم أنه مبني على النسئ المراد من قوله تعالى انما النسئ زيادة في الكفر، وذلك ان المشركين كانوا يؤخرون موسم الحجّ فمرة كانوا يحجون في صفر ومرة أخرى في محرم، وهكذا تبعاً لاعتدال الوقت والهوى وكان حجهم في سنة تولده في جمادي الاخرة، ويؤيده ما رواه ابن طاووس في كتاب الاقبال انه ﷺ حملت به امه ثمان عشر مضت من جمادي الاخرة، ولما فتح النبي ﷺ مكة كان حجهم في شهر ذي الحجة فقال ﷺ الان دار الزمان كما كان فلا يجوز لاحد تغييره ولا تبديله، وقد بقي بمكة بعد مبعثه ثلاثة عشر سنة ثم هاجر الى المدينة ومكث بها عشر سنين ثم قبض لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الاول يوم الاثنين [١] وقال الكفعمي وجماعة ان وفاته ﷺ لليلتين بقيتا من صفر.

واما نسبه الظاهر فهو محمد بن عبد الله بن عد المطلب واسمه شيبة الحمد بن هاشم واسمه عمرو بن عبد مناف واسمه المغيرة، بن قصي واسمه زيد بن كلاب بن مرة بن كعب بن لوي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر وهو قريش، بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، روى عنه ﷺ انه قال اذا بلغ نسبي عدنان فامسكوا وروى عن ام سلمة زوجة النبي ﷺ قالت سمعت النبي ﷺ يقول معد بن عدنان بن ادد بن زيد بن ثرا بن اعراق الثرى، قالت ام سلمه زيد هميسع وثرا بنت واعراق الثرى اسماعيل بن ابراهيم، ثم قرأ رسول الله ﷺ وعادت وثمود واصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيراً لا يعلمهم الا الله.

ذكر الشيخ ابو جعفر بن بابويه عدنان بن ا بن ادد بن زيد بن تعدد (يقدد خ) بن تعدم (تقدم خ) بن الهميسع بن بنت بن قيدار بن اسماعيل، وقيل ان الاصح الذي اعتمد عليه اكثر النساب واصحاب التواريخ ان عدنان بن هواد بن ادد بن اليسع بن الهميسع بن سلامان بن بنت بن حمل بن قيدار بن اسماعيل بن ابراهيم عليه السلام بن تارخ بن ناخور بن ساروغ بن ارغون بن قالع بن عاير وهو هود النبي عليه السلام بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح عليه السلام بن ملك بن متشولخ بن اخنوخ وهو ادريس عليه السلام بن بارد (مارد خ) بن مهلائيل بن قينان بن انوش بن شيث بن آدم ابي البشر عليه السلام .

وأمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف واما جدته ام ابيه فهي فاطمة بنت عمرو بن عايذ بن عمران بن مخزوم، وام عبد المطلب سلمى بنت عمر من بني النجار، وام هاشم عاتكة بنت مرة بن هلال من بني سليم وصدع بالرسالة يوم السابع والعشرين من رجب وله يومئذ اربعون سنة، وقبض يوم الاثنين لليلتين بقيتا من صفر سنة عشر من الهجرة وهو ابن ثلاث وستين كذا في اعلام

---

(١) هذا هو المشهور عند جمهور العامة واما الامامية فالمشهور بينهم انه توفى صلى الله عليه واله في الثامن والعشرين في شهر صفر.

الورى، وذكر انه ايضاً عاش ثلاثاً وستين سنة منها مع ابيه سنتين واربعة اشهر ومع جده عبد المطلب ثماني سنين ثم كفله عمه ابو طالب بعد وفاة جده عبد المطلب، وذكر محمد بن اسحاق ان اباه عبد الله مات وامه حبلى، وقيل ايضاً انه مات والنبي ﷺ ابن سبعة اشهر، وذكر ابن اسحاق ان آمنة توفيت والنبي ﷺ ابن ست سنين وهذا لم نتحققه، روى عن ربدة قال انتهى النبي ﷺ الى رسم قبر فجلس وجلس الناس حوله فجعل يحرّك رأسه كالمخاطب ثم بكى، فقيل ما يبكيك يا رسول الله، قال هذا قبر آمنة بنت وهب استأذنت ربي في ان ازوره قبرها فاذن لي فادركتني رقتها فبكيت فما رأيت اكثر باكياً من تلك الساعة.

وتزوج خديجة بنت خويلد وهو ابن خمس وعشرين سنة، وتوفي عمه ابو طالب ولد ست واربعون سنة وثمانية اشهر واربعة عشرون يوماً، وتوفيت خديجة بعده بثلثة ايام وسمى رسول الله ﷺ ذلك العام عام الحزن، واقام بمكة بعد البعثة ثلاث عشر سنة ثم هاجر منها الى المدينة بعد ان استتر في الغار ثلاثة ايام، ودخل المدينة يوم الاثنين الحادي عشر من شهر ربيع الاول وبقي بها عشر سنين ثم قبض ﷺ وسببه ان امرأة يهودية طلبته للضيافة وقدّمت اليه سخلة مسمومة، فلما مدّ يده ليأكل تكلمت السخلة وقالت انا مسمومة فلا تأكل مني، فأتاه جبرئيل عليه السلام فقال له ﷺ قل بسم الله وكل انت واصحابك فسمّوا (فسمى خ) واكلوا بعده امرهم جبرئيل عليه السلام بالحجامة فاحتجموا، وكان في كل سنة تطلع الجراحات في بدنه الشريف من آثار ذلك السم حتى انه مات بذلك السم ليكون له ثواب الشهادة، وقيل انها اهدت اليه كراعاً مسموماً لانه كان يحب اكل الكراع وذلك ان آدم عليه السلام قرّب قرباناً عن الانبياء وسمى لكل نبي عضواً من تلك الشاة فسمى للنبي ﷺ الكراع ومن ذلك كان يكثر اكله، وقال ﷺ ما زالت تلك الاكلة معي حتى قطعت انياط قلبي، ومن هنا قال عليه السلام ما منّا الا قتيل او مسوم، واما ازواجه ﷺ .

فأول امرأة تزوجها خديجة بنت خويلد وكانت قبله عند عتيق بن عايد المخزومي فولدت له جارية، ثم تزوجها ابو هالة الاسدي فولدت له هند بن ابي هالة، ثم تزوجها رسول الله ﷺ وربى ابنها هنداً، فأول ما حملت وولدت عبد الله بن محمد وهو الطيب الطاهر وولدت له القاسم وقيل ان القاسم اكبر ولده وكان يكنى به والناس يغلطون فيقولون ولد له منها اربع بنين، القاسم وعبد الله والطيب والطاهر، وانما ولدت له ابنان واربع بنات زينب ورقية وام كلثوم وفاطمة، فأما زينب بنت رسول الله ﷺ فتزوجها ابو العاص بن الربيع في الجاهلية فولدت له جارية اسمها امامة تزوجها علي بن ابي طالب عليه السلام بعد وفات فاطمة عليها السلام وقتل امير المؤمنين عليه السلام وعنده امامة فخلف عليها بعده المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب وماتت زينب بالمدينة لسبع سنين من الهجرة.

واما رقية فتزوجها عتبة بن ابي لهب فطلقها قبل ان يدخل بها ولحقها منه اذى فقال النبي ﷺ اللهم سلَط على عتبة كلباً من كلابك فتناوله الاسد من بين اصحابه، وتزوجها بعد بالمدينة عثمان بن عفان فولدت له عبد الله ومات صغيراً نقره ديك على عينيه فمرض ومات، وتوفيت بالمدينة زمان بدر فتخلّف عثمان على دفنها ومنعه ذلك ان يشهد بدراً وقد كان عثمان هاجر الى الحبشة ومعه رقية، واما ام كلثوم فتزوج ايضاً عثمان بعد اختها رقية وتوفيت عنده، وذلك انه ضربها ضرباً مبرحاً فماتت منه وقد تقدم اختلاف اصحابنا رضون الله عليهم في ان رقية وام كلثوم هل هما ربيبتاه ﷺ ام ابنتاه والحال عندنا لا يتفاوت لان عثمان في زمان النبي ﷺ كان مظهر للاسلام وكان النبي ﷺ يريد تأليف قلوبهم ودخول الاسلام اليها، فكان يلاطفهم بانواع اللطايف من الاموال والمناكحات وغيرها.

واما فاطمة عليها السلام فالاظهر في روايات اصحابنا رضوان الله عليهم انها ولدت سنة خمس من المبعث بمكة في العشرين من جمادي الاخرة وان النبي ﷺ قبض ولها ثماني عشرة سنة وسبعة اشهر، وروى عن جابر بن يزيد قال سأل الباقر عليه السلام كم عاشت فاطمة عليها السلام بعد رسول الله ﷺ قال اربعة اشهر، وتوفيت ولها ثلاث وعشرون سنة وهذا قريب مما روته العامة، وذكر ابو سعيد الواعظ ان جميع اولاد رسول الله ﷺ ولدوا قبل الاسلام الا فاطمة وابراهيم، واما ابراهيم فهو من مارية القبطية ولد بالمدينة سنة ثمان من الهجرة ومات بها وله سنة وستة اشهر وايام وقبره بالبقيع.

والثانية من زوجها سودة بنت زمعة وكانت قبله عند السكران بن عمرو فمات عنها بالحبشة مسلماً، والثالثة عايشة بنت ابي بكر تزوجها بمكة وهي بنت سبع ولم يتزوج بكراً غيرها ودخل بها وهي بنت تسع لسبعة اشهر من مقدم المدينة وبقيت الى خلافة معاوية لعنه الله، والرابعة ام شريك التي وهبت نفسها للنبي ﷺ واسمها عرنة بنت دودان بن عوف، وكانت قبله عند ابي العكر بن سمى الازدي فولدت له شريكاً، والخامسة حفصة بنت عمر بن الخطاب تزوجها لما مات زوجها خنيس السهمي، وكان رسول الله ﷺ قد وجهه الى كسرى فمات ولا عقب له وماتت بالمدينة في خلافة عثمان، والسادسة ام حبيبة بنت ابي سفيان واسمها رملة وكانت تحت عبيد الله بن جحش الاسدي، والسابعة ام سلمة وهي بنت عمته عاتكة بنت عبد المطلب.

والثامنة زينب بنت جحش وهي بنت عمته ميمونة بنت عبد المطلب وكانت قبله عند زيد بن حارثة وهي التي ذكرها الله سبحانه في كتابه، والتاسعة زينب بن خزيمة الهلالية من ولد عبد مناف، وكانت قبله عند عبيدة الحارث وكانت يقال لها ام المساكين والعاشرة ميمونة بنت الحارث وكانت قبله عند ابي مرة العامري، والحادية عشر حورية بنت الحارث من بني المصطلق سباها

فاعتقها وتزوجها، والثانية عشر صفية بنت حيّ من خيبر اصطفاها لنفسه من الغنيمة ثم اعتقها وتزوجها وجعل عتقها صداقها، وهذه اثنتا عشرة امرأة دخل بهنّ.

وقد تزوج صلوات الله عليه وآله عالية بنت ظبيان وطلقها حين دخلت عليه وتزوّج ابنة قيس فمات قبل ان يدخل بها، وتزوج فاطمة بنت ضحّاك وخيرها حين نزلت عليه آية التخيير فاختارت الدنيا وفارقها (فتة خ) وكانت بعد ذلك تلتقط البعرة وتقول انا الشقية اخترت الدنيا، وتزوّج سنا بنت الصلب فماتت قبل ان تدخل عليه، وتزوج اسماء بنت النعمان، فلما ادخلت عليه قالت اعوذ بالله منك، فقال الحقي بأهلك وكان بعض ازواجه علّمتها ذلك فطلقها ولم يدخل بها، وتزوج الملكية الليثية فلما دخل عليها قال لها هبي لي نفسك، فقالت وهل تهب المليكة نفسها فالحقها باهلها، وتزوج عمرة بنت يزيد فرأى بها بياضاً فقال دلّستم عليّ فردها، وتزوّج ليلى بنت الحطيم فقالت اقلني فاقالها.

وخطب امرأة ن بني مرّة فقال ابوها ان بها برصاً ولم يكن بها فرجع فاذا هي برصاء، وخطب امرأة فوصفها ابوها ثم قال ازيدك انها لم تمرض قطّ فقال ﷺ ما لهذه عند الله من خير، وقيل انه تزوجها فلما قال ذلك ابوها طلقها، فهذه احدى وعشرون امرأة ومات عن عشر واحدة منهنّ لم يدخل بها، وقيل عن تسع عايشة وحفصة وام سلمة وام حبيبة وزينب بنت جحش وميمونة وصفية وحويرة وسودة، وكانت سودة ثد وهبت ليلتها لعايشة حين اراد طلاقها وقالت لا رغبة لي في الرجال وانما اريد ان احشر في ازواجك.

واما مواليه ﷺ فزيد بن حارثة وكان لخديجة اشتراه لها حكيم بن حزام باربعمائة درهم، فوهبته لرسول الله ﷺ فاعتقه وزوجه ام يمن، فولدت له اسامة فتبنّاه رسول الله ﷺ فكان يدعى زيد بن رسول الله، حتى انزل الله ادعوهم لابائهم، وابو رافع اسمه اسلم وكان العباس وهبه له، فلما اسلم العباس بشّر ابو رافع النبي ﷺ باسلامه فاعتقه وزوجه سلمى مولاته، فولدت له عبيد الله بن ابي رافع فلم يزل كاتباً لامير المؤمنين عليه السلام ايام خلافته، وسفينة واسمه رياح اشتراه رسول الله ﷺ فاعتقه، وثوبان من حمير اشتراه رسول الله ﷺ واعتقه، ويسار وكان عبداً نوبياً اعتقه رسول الله ﷺ وشقران واسمه صالح، وابو كبشة واسمه سليمان، وابو ضميرة اعتقه وكتب له كتاباً فهو في يد ولده ومدغم وابو مويهبة وانيسة وفضالة وطهان وابو ايمن، وابو هند وابحشة وصالح وابو سلمى وابو عسيب وابو عبيد، وافلح ورويقع وابو ليقط وابو رافع الاصغر ويسار الاكبر وكركرة ورياح وابو لبابة وابو البشير.

واما مولياته فان صاحب الاسكندرية اهدى اليه جاريتين احدهما مارية القبطية ولدت له ابراهيم ووهب الاخرى لحسان بن ثابت، وام ايمن خاصة النبي ﷺ وكانت سوداء ورثها من

امه، وكان اسمها بركة فاعتقها وزوجها عبيد الله الخزرجي بمكة فولدت له ايمن فمات زوجها فزوجها النبي ﷺ من زيد، فولدت له اسامة اسود يشبهها فاسامة وايمن اخوان لام ريحانة بنت شمعون غنمها من قريضة، واما خدمه من الاحرار فانس بن مالك وهند واسماء ابنا خارجة.

نور في بعض احوال الائمة عليهم السلام

اما امام الموحدين امير المؤمنين عليه السلام فولد بمكة في البيت الحرام[١] يوم الجمعة ثالث عشر من شهر الله الاصم رجل بعد عام الفيل بثلاثين سنة، ولم يولد في بيت الله قطّ غيره، ولقبه امير المؤمنين ولم يجوز اصحابنا ان يطلق هذا اللفظ لغيره من الائمة عليهم السلام وقالوا انه انفرد بهذا اللقب ولا يجوز ان يشاركه في ذلك غيره كما سبق وقبض عليه السلام ليلة الجمعة لتسع بقين من شهر رمضان سنة اربعين من الهجرة، واما اولاده عليه السلام فهم سبعة وعشرون ولداً ذكراً وانثى، الحسن والحسين عليهما السلام، وزينب الكبرى وزينب الصغرى المكنّاة بأم كلثوم امهم فاطمة البتول، ومحمد المكَنى بأبي القاسم امه خولة بنت جعفر بن قيس الحنفية، والعباس وجعفر وعثمان وعبد الله الشهداء مع اخيهم بكربلا امهم بنت البنين بن خزام وكان العباس يكنى ابا قربة لحمله الماء لاخيه الحسين عليه السلام وقتل وله اربع وثلاثون سنة وعمرو ورقية امهما ام حبيب بن ربيعة، وكانا تؤأمين، ومحمد الاصغر المكنى بأبي بكر وعبيد الله الشهيدان مع اخيهما الحسين عليه السلام امهما ليلى بنت مسعود الدارمية، ويحيى امه اسماء بنت عميس الخثعمية وتوفي صغيراً قبل ابيه واخوته لامه عبد الله ومحمد وعون ابناء جعفر بن ابي طالب ومحمد بن ابي بكر وام الحسن ورملة امهما ام سعد بنت عروة بن مسعود الثقفي، ونفيسة وهي ام كلثوم الصغرى وزينب الصغرى ورقية الصغرى وام هانئ وام الكرام والجمانة المكنّاة بأم جعفر وامامة ام سلمة وميمونة وخديجة وفاطمة لامهات اولاد شتى.

واعقب عليه السلام من خمسة بنين الحسن والحسين ومحمد وعباس وعمر، وقد مرّ ان فاطمة عليها السلام اسقطت بعد النبي ﷺ ذكراً وقد سمّاه النبي صلّ الله محسنا، وقد سبق سبب اسقاطها له وهو ضرب غلام ذلك الرجل الخيّر لها، وكونه ضغط بطنها على الباب وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون، فعلى هذا يكون اولاده عليه السلام ثمانية وعشرين ولداً، اما زينب الكبرى بنت فاطمة البتول فتزوجها عبد الله بن جعفر بن ابي طالب وولد له منها علي وجعفر وعون الاكبر وام كلثوم اولاد عبد بن جعفر، واما ام كلثوم التي تزوجها عمر فقد مرّ تحقيق معنى ذلك التزويج، واما رقية

---

(١) هذا هو المعروف بين المسلمين لاشك فيه لاحد.

بنت علي عليه السلام فكانت عند مسلم بن عقيل فولدت له عبد الله قتل بالطف وعلياً ابني مسلم، واما زينب الصغرى فكانت عند محمد بن عقيل فولدت له عبد الله وفيه العقب من ولد عقيل.

واما ام هانئ فكانت عند عبد الله الاكبر بن عقيل بن ابي طالب فولدت له محمداً قتل بالطف وعبد الرحمن واما ميمونة فكانت عند عبد الله الاكبر بن عقيل بن ابي طالب فولدت له عقيلاً، واما نفيسة فكانت عند عبد الله الاكبر بن عقيل فولدت له ام عقيل واما زينب الصغرى فكانت عند عبد الرحمن بن عقيل فولدت له سعداً وعقيلاً، واما فاطمة بنت علي عليه السلام فكانت عند ابي سعيد بن عقيل فولدت له حميدة، واما امامة بنت علي عليه السلام فكانت عند الصلت بن عبد الله بن نوفل الحارث.

واما الحسن الزكي الطيب الطاهر فقد ولد بالمدينة ليلة النصف من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة وكنيته ابو محمد وقبض رسول الله صلى الله عليه وآله وله سبع سنين واشهر وقيل ثماني سنين وقام بالامر بعد ابيه وله سبع وثلثون سنة، واقام في خلافته ستة اشهر وثلثة ايام ووقع الصلح بينه وبين معاوية لعنه الله في سنة احدى واربعين وانما هادنه عليه السلام خوفاً على نفسه اذ كتب جماعة من رؤساء اصحابه بالسر اليه بالطاعة وضمنوا له تسليمه اليه عند دنوهم من عسكره، ولم يكن منهم من يؤمن غائلته الا خاصة من شيعته لا يقومون بأجناد الشام وكتب اليه معاوية في الهدنة والصلح وبعث بكتب اصحابه اليه فصالحه وشرط الحسن عليه السلام شروطاً، وما وفى معاوية بواحد منها فخرج الحسن عليه السلام الى المدينة واقام بها عشر سنين ومضى الى رحمة الله تعالى لليلتين بقيتا من صفر سنة خمسين من الهجرة وله سبع واربعون سنة واشهر مسموماً، سمته زوجته جعدة بنت الاشعث بن قيس وكان معاوية لعنه الله قد دسّ اليها من حملها على ذلك وضمن لها ان يزوجها من يزيد واوصل اليها مأة الف درهم فسقته السم، وبقى عليه السلام اربعين يوماً مريضاً وتولّى اخوه الحسين عليه السلام تجهيزه ودفنه عند جدته فاطمة بنت اسد بالبقيع.

واما اولاد الحسن عليه السلام فهم ستى عشر ذكراً وانثى، زيد بن الحسن واختاه ام الحسن وام الحسين امهم ام بشير بنت ابي مسعود الخزرجية، والحسن بن الحسن امه خولة بنت منظور الفزارية وعمر بن الحسن واخواه عبد الله والقاسم ابنا الحسن عليه السلام قتلا مع الحسين عليه السلام بكربلا امهم ام ولد، وعبد الرحمن بن الحسن امه ام ولد والحسين بن الحسن الملقب بالاثرم واخوه طلحة واختها فاطمة امهم ام اسحق بنت طلحة بن عبيد الله التيمي وابو بكر قتل مع الحسين عليه السلام، وام عبد الله وفاطمة وام سلمة ورقية لامهات اولاد شتى وكان زيد بن الحسن عليه السلام يلى صدقات رسول الله صلى الله عليه وآله وكان جليل القدر ومات وله تسعون سنة وخرج من الدنيا ولم يدّع الامامة ولا ادعى له مدّع من الشيعة.؟

واما الحسن بن الحسن فكان جليلاً فاضلاً وكان يلي صدقات امير المؤمنين عليه السلام وروى انه خطب الى عمه الحسين عليه السلام احدة ابنتيه فقال له الحسين عليه السلام يا بني اختر احبهما اليك، فاستحى الحسن فقال الحسين عليه السلام فاني قد اخترت لك ابنتي فاطمة فهي اكثرهما شبهاً بأمي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وكان عبد الله بن الحسن قد زوجه الحسين عليه السلام ابنته[1] فقتل قبل ان يبنى بها.

واما الحسين عليه السلام فمولده بالمدينة يوم الثلاثا وقيل يوم الخميس لثلاث خلون من شعبان، وقيل لخمس منه سنة اربع من الهجرة، وقيل ولد آخر شهر ربيع الاول سنة ثلاث من الهجرة ولم يكن بينه وبين اخيه الحسن عليه السلام الا الحمل والحمل ستة اشهر وعاش عليه السلام سبعاً وخمسين سنة وخمسة اشهر، وكان مع رسول الله صلى الله عليه وآله سبه سنين ومع امير المؤمنين عليه السلام سبعاً وثلثين سنة، ومع اخيه الحسن عليه السلام سبعاً واربعين سنة، وكانت مدة خلافته عشر سنين واشهراً، وقتل صلوات الله عليه يوم عاشوراء يوم الاثنين، وقيل يوم الجمعة سنة احدى وستين من الهجرة.

واما كيفية مقتله فنفرد له ان شاء الله تعالى نوراً في مصائب المؤمنين، واما اولاده عليه السلام فهم ستة علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام امه شاه زنان بنت كسرى يزدجرد بن شهريار، وعلي الاصغر امه ليلى بنت ابي مرة بن مسعود الثقفية، وجعفر بن الحسين وامه قضاعية ومات في زمن ابيه ولا عقب له، وعبد الله قتل مع ابيه صغيراً وهو في حجره وسكينة بنت الحسين وامها الرباب بنت امرئ القيس بن عدي، وفاطمة بنت الحسين عليه السلام وامها ام اسحق بن طلحة بن عبد الله.

واعلم انه قد وقع خلاف بين علمائنا رضوان الله عليهم في علي المقتول في واقعة الطفوف هل هو علي الاصغر او علي الاكبر، فذهب شيخنا الشهيد (ره) في الدروس وابن ادريس في سرائره والكفعمي في مصباحه الى ان المقتول مع ابيه هو علي الاكبر الذي امه تليلى بنت ابي مرة، وهو اول قتيل في الواقعة وولده في امارة عثمان، وذهب جماعة ومنهم صاحب اعلام الورى الى ان المقتول هو علي الاصغر وهو ابن الثقفية، وان علي الاكبر هو زين العابديحن عليه السلام امه شهربانو بنت كسرى، قال محمد بن ادريس والاولى الرجوع الى اهل هذه الصناعة السابقين واهل السير ةوالتواريخ مثل الزبير بن بكّار وابو الفرج الاصفهاني والبلاذري والمزني والعمري وابن قتيبة والطبري وابي الازهري والدينوري، وصاحب كتاب الانوار وهؤلاء كلهم اتفقوا على ان المقتول المدفون مع ابيه هو علي الاكبر الذي امه الثقفية، ولا فائدة تبنى على مثل هذا الخلاف سوى الاطلاع على احوالهم عليهم السلام، واما القائم على باب الحسين عليه السلام فهو رشيد الهجري.

---

[1] وهي سكينة عليها السلام كما صرح به الامام الطبرسي ره في اعلام الورى انظر ص١٢٧.

واما سيد الساجدين وزين العابدين عليه السلام فيكنّى بأبي محمد وابي القاسم، ومن القابه عليه السلام ذو الثفنات وذلك ان موضع السجود كنقرة البعير من كثرة السجود ولد بالمدينة يوم الجمعة يوم الخميس في النصف من جمادي الاخرة وقيل لتسع خلون من شعبان سنة ثمان وثلاثين من الهجرة، وقيل سنة ستت وثلاثين، وفي اعلام الورى ان علياً عليه السلام ولىّ حريث بن جابر الحنفي جانباً من بلاد المشرق فبعث اليه بأبنتي يزدجرد بن شهريار فنحل ابنه الحسين عليه السلام احدهما فأولدها زين العابدين عليه السلام ونحل اخرى محمد بن ابي بكر فولدت له القاسم بن محمد بن ابي بكر، فهما ابنا خالة وتوفي صلوات الله عليه يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة بقيت من المحرم سنة خمس وتسعين من الهجرة، وكانت مدة امامته بعد ابيه اربعاً وثلاثين سنة، ومات وله سبع وخمسون سنة، وكان في ايام امامته عليه السلام بقية ملك يزيد بن معاوية وملك معاوية بن يزيد ومروان بن الحكم وعبد الملك بن مروان وتوفي في زمان ملك الوليد بن عبد الملك وقد مات مسموماً سمّه هشام بن عبد الملك لعنه الله تعالى.

واما اولاده عليه السلام فهم خمسة عشر ولداً محمد الباقر عليه السلام امه ام عبد الله فاطمة بنت الحسن بن علي بن ابي طالب عليه السلام وابو الحسين زيد وعمر امهما ام ولد، وعبد الله والحسن والحسين امهم ام ولد، والحسين الاصغر وعبد الرحمن وسليمان لام ولد وعلي كان اصغر ولده عليه السلام وخديجة امهما ام ولد ومحمد الاصغر امه ام ولد، وفاطمة وعليّة وام كلثوم وكان زيد بن علي بن الحسين افضل اخوته بعد اخيه الباقر عليه السلام وكان عابداً ورعاً سخيّاً شجاعاً وظهر بالسيف يطلب ثارات الحسين عليه السلام، ويدعوا الى الرضا من آل محمد صلى الله عليه وآله فظنّ الناس انه يريد بلك نفسه، وجاءت الرواية ان سبب خروجه بعد الذي ذكرناه انه دخل عليه السلام على هشام بن عبد الملك وقد جمع هشام اهل الشام ان يتضايقوا له في المجلس حتى لا يتمكن من الوصول الى قربه، فقال له زيد انه ليس من عباد الله احد فوق ان يوصي بتقوى الله، ولا من عباده احد دون ان لا يوصي بتقوى الله وانا اوصيك بتقوى الله يا هشام فافقه، فقال له هشام انت المؤهَل نفسك للخلافة وما انت وذاك لا امّ لك وانما انت ابن امة، فقال له زيد اني لا اعلم احداً اعظم منزلة عند الله من نبي وهو ابن امةن فلو كان ذلك يقصر عن منتهى غاية لم يبعثه وهو اسماعيل بن ابراهيم عليه السلام فالنبوة اعظم منزلة عند الله ام الخلافة، وبعد فما يقصر برجل ابوه (جده ظ) رسول الله صلى الله عليه وآله وهو ابن علي بن ابي طالب عليه السلام، فوثب هشام عن مجلسه ودعا قهرمانه وقال لا يبيتن هذا في عسكري، فخرج زيد وهو يقول انه لم يكره قوم قطّ حرّ السيوف الا ذلّوا، وكان مقتله يوم الاثنين لليلتين خلتا من صفر سنة عشرين ومائة، وكان سنّه يوم قتل اثنين واربعين سنة.

واما الامام الباقر عليه السلام فمولده بالمدينة سنة سبع وخمسين من الهجرة يوم الجمعة غرّة شهر رجب، وقيل الثالث من صفر، وقبض عليه السلام سنة اربع عشر ومأة في ذي الحجة، وقيل في شهر ربيع الاول وقد تمَ عمره سبعاً وخمسين سنة ومات مسموماً سمّه ايضاً هشام بن عبد الملك في وقت ملكه، امه ام عبد الله فاطمة بنت الحسن عليه السلام فهو هاشمي من هاشميين علوي من علويين، وقبره بالبقيع الى جانب ابيه زين العابدين عليه السلام، عاش مع جدّه الحسين عليه السلام اربع سنين، ومع ابيه تسعاً وثلاثين سنة وكانت مدة امامته ثماني عشرة سنة، وكان في ايام امامته بقية ملك الوليد بن عبد الملك وسليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز ويزيد بن عبد الملك وهشام بن عبد الملك وتوفي في ملكه، واما اولاده عليه السلام فهم سبعة ابو عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام وكان يكنّى به، وعبد الله بن محمد وامهما ام فروة بنت القاسم بن محمد بن ابي بكر، وابراهيم وعبيد الله وامهما ام حكيم بنت اسد بن المغيرة الثقفية، وعلي وزينب لام ولد، وام سلمة لام ولد وقيل ان لابي جعفر عليه السلام ابنة واحدة فقط ام سلمة واسمها زينب.

واما الصادق عليه السلام فولد بالمدينة لثلث عشر ليلة بقيت من شهر ربيع الاول سنة ثلاث وثمانين من الهجرة، ومضى عليه السلام في النصف من رجب ويقال في شوال سنة ثمان واربعين ومأة وله خمس وستون سنة، اقام منها مع ابيه وجده اثنتى عشرة سنة، وبعد ابيه ايام امامته اربعاً وثلاثين سنة، وكان في ايام امامته بقية ملك هشام بن عبد الملك وملك الوليد بن يزيد بن عبد الملك وملك يزيد بن الوليد بن عبد الملك وملك ابراهيم بن الوليد وملك مروان بن محمد الحمار، ثم صارت المسودة من اهل خراسان مع ابي مسلم الخراساني سنة اثنين وثلثين ومأة، فملك ابو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس الملقب بالسفاح اربع سنين وثمانية اشهر، ثم ملك اخوه ابو جعفر الملقب بالمنصور احدى وعشرين سنة واحد عشر شهراً، وتوفي الصادق عليه السلام بعد عشر سنين من ملكه قد سمّه بعنب ودفن بالبقيع.

واما اولاده عليه السلام فهم عشرة، اسماعيل وعبد الله وام فروة امهم فاطمة بنت الحسين بن علي بن ابي طالب، وموسى واسحاق وفاطمة ومحمد لام ولد اسمها حميدة البربرية، والعباس وعلي واسماء لامهات اولاد شتى، اما اسماعيل فكان اكبر اخوته فمات في حيوة ابيه بالعريض وحمل على رقاب الرجال الى المدينة حتى دفن بالبقيع وروى ان ابا عبد الله عليه السلام جزع عليه جزعاً شديداً وتقدم سريره بغير حذاء ولا رداء وامر بوضع سريره على الارض قبل دفنه مراراً كثيرة، وكان يكشف عن وجهه وينظر اليه يريد بذلك تحقيق امر وفاته عند الظانين خلافته من بعده، وازالة الشبهة عنهم في حيوته ولما مات اسماعيل انصرف عن القول بامامته بعد ابيه من كان يظنّ كذلك واقام على حيوته طائفة ممن لم يكونوا من خواص ابيه بل كانوا من الاباعد ولما مات

الصادق عليه السلام انتقل جماعة منهم الى القول بامامة موسى بن جعفر عليهما السلام، وافترق الباقون منهم فريقين فريق منهم رجعوا عن حيوة اسماعيل وقالوا بامامة ابنه محمد بن اسماعيل لظنهم ان الامامة كانت في ابيه وان الابن احق بمقام الاب من الاخ، وفريق منهم ثبتوا على حيوة اسماعيل وهذان الفريقان يسميان الاسماعيلية.

واما عبد الله بن جعفر فانه كان اكبر اخوته بعد اسماعيل ولم يكن له منزلة عند ابيه وكان متهماً بالخلاف على ابيه في الاعتقاد وادّعى الامامة بعد وفاة ابيه فاتبعه جماعة ورجع اكثرهم الى القول بامامة موسى عليه السلام لما ظهر عندهم براهين امامته، ولم يبق الا طائفة يسيرة تسمى الفطحية، وذلك لان عبد الله كان افطح الرجلين، او لان داعيهم الى ذلك رجل اسمه عبد الله بن افطح، واما محمد بن جعفر فكان يرى رأي الزيدية في الخروج بالسيف، وكان سخيّاً شجاعاً وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً ويذبح كل يوم كبشاً للضيافة، وخرج على المأمون سنة تسع وتسعين ومأة فخرج لقتاله عيسى الجلودي فهزم اصحابه واخذه وانفذه الى المأمون، فوصله واكرمه وكان مقيماً معه بخراسان واما اسحاق بن جعفر فكان ورعاً فاضلاً مجتهداً وكان يقول بامامة اخيه موسى بن جعفر عليهما السلام.

واما علي بن جعفر فكان من الورع بمكان لا يدانى فيه وكذلك من الفضل ولزم اخاه موسى بن جعفر عليهما السلام وقال بامامته وامامة الرضا والجواد عليهم السلام وكان اذا رأى الجواد مع الصبيان يقوم اليه من المسجد بين جماعة الشيعة وينكب على اقدامه ويمسح شيبه على تراب رجليه ويقول قد رأى الله هذا الصبي اهلاً للامامة فجعله اماماً ولم تر شيبتي هذه اهلاً للامامة لا جماعة من الشيعة كانوا يقولون له انت امام فادّع الامامة وكان لا يقبل منهم قولاً، وروى ان الجواد عليه السلام اذا ارد ان يفصد لاخذ الدم يقول علي بن جعفر للفصّاد تعال افصدني حتى اذوق حرارة الحديد قبل الجواد عليه السلام واما من كان ملازماً لباب الصادق عليه السلام فهو المفضل بن عمر ومن هذا قال المفيد طاب ثراه في ارشاده ان المفضل من شيوخ اصحاب ابي عبد الله عليه السلام وخاصّته وبطانته وثقاته من الفقهاء الصالحين، واكثر اصحابنا من اهل الرجال ضعّفوه بارتفاع القول وبموافقة اخباره لاخبار الغلاة.

يستفاد من كلام ابن طاووس والمفيد وجماعة من القدماء ان الائمة عليهم السلام كانوا يخصّون بعض الشيعة باسرار الاحاديث ولم يحدثوا بها غيرهم لعدم احتمال الغير لها، فاذا حدّث الخواص بتلك الاحاديث ردّت عليهم واتهموا في روايتها ونسبوا الى ارتفاع القول والغلو، والى انها احاديث اختلفوها حيث انه لم يشاركهم في نقلها من الائمة عليهم السلام غيرهم، كمحمد

بن سنان والمفضل بن عمر ونحوهما من الابواب فقد ذمه قوم بما مدحه آخرون، وكم من فرق بين المذهبين وقد حققنا المقام في كتاب كشف الاسرار في شرح الاستبصار والله الموفق للصواب.

واما الكاظم عليه السلام فقد ولد بالابواء وهو منزل بين مكة والمدينة لسبع خلون من صفر سنة ثمان وعشرين ومأة وقبض عليه السلام ببغداد في حبس السندي بن شاهك لخمس بقين من رجب وقيل لسبع خلون من رجب يسنة ثلاث وثمانين ومأة، وله يومئذ خمس وخمسون سنة، وامه ام ولد،يقال لها حميدة البربرية، وكنيته ابو الحسن وهو ابو الحسن الاول وابو ابراهيم وابو علي ويعرف بالعبد (بعبد) الصالح وكانت مدّة امامته عليه السلام خمساً وثلاثين سنة، وقام بالامر وله عشرون سنة، وكانت في ايام امامته بقية ملك المنصور ابي جعفر ثم ملك ابنه المهدي عشر سنين وشهراً ثم ملك ابنه الهادي موسى بن محمد ينة وشهراً ثم ملك هرون بن محمد الملقب بالرشيد، واستشهد عليه السلام بعد مضي خمس عشر سنة من ملكه سمّه هارون في رطب، وقيل في طعام قدمه اليه وقد كان عليه السلام يعلم ان هارون يسمه في الرطبات وكذلك باقي الائمة عليهم السلام.

فان قلت اذا كان الحال على هذا فكيف جاز تناول ذلك الطعام المسموم وهل هذا الا اعانة على النفس والالقاء بالايدي الى التهلكة المنهي عن كل منهما، قلت قد روى عن ابراهيم بن ابي محمود قال قلت لابي الحسن الرضا عليه السلام الامام يعلم متى يموت فقال نعم، قلت حيث بعث اليه يحيى بن خالد بالرطب والريحان المسمومين علم به قال نعم قلت فأكله وهو يعلم فيكون معيناً على نفسه فقال لا انه يعلم قبل ذلك ليتقدم فيما يحتاج اليه فاذا جاء الوقت القى الله على قلبه النسيان ليمضي فيه الحكم، وهذا الحديث يكشف عن الشهبة الواردة على كثير من احوال الائمة عليهم السلام التي كانت السبب في موتهم كما لا يخفى وكفّن فيه حبرة استعملت بالفي وخمسمأة دينار عليه القرآن كله.

واما عدد اولاده عليه السلام فهم سبعة وثلاثون ولداً ذكراً وانثى، الامام علي الرضا عليه السلام وابراهيم والعباس والقاسم لامهات اولاد، واحمد ومحمد وحمزة لام ولد وعبد الله واسحاق وعبيد الله وزيد والحسين والفضل وسليمان لامهات اولاد، وفاطمة الكبرى وفاطمة الصغرى ورقية وحكيمة وام ابيها ورقية والصغرى وكلثم وام جعفر ولبابة وزينب وخديجة وعلية وآمنة وحسنة وبريهة وعايشة وام سلمة وميمونة وام كلثوم، وكان احمد بن موسى عليه السلام كريماً وكان موسى عليه السلام يحبه، وكان محمد بن موسى عليه السلام صالحاً ورعاً وهما مدفونان في شيراز والشيعة تتبرك بقبورهما وتكثر زيارتهما وقد زرناهما كثيرتً، واما ابراهيم بن موسى عليه السلام فكان شجاعاً كريماً واما والد مؤلف الكتاب عفا الله عنه فهو السيد عبد الله ونسبه هكذا نعمة الله بن السيد عبد الله بن السيد محمد بن السيد حسين بن السيد احمد بن السيد محمود بن السيد غياث الدين بن السيد

مجد الدين بن السيد نور الدين بن السيد سعد الدين بن السيد عيسى بن السيد موسى بن السيد عبد الله بن الامام الهمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليهم السلام اولئك آبائي فجئني بمثلهم اذا جمعتنا يا جرير المجامع.

وقد احسن ابو نواس حيث قال في مدح الرضا عليه السلام :

مطهرون نقيات ثيابهم تجري الصلوة عليهم اينما ذكروا
من لم يكن علوياً حين تنسبه فما له من قديم الدهر مفتخر
فانتم الملأ الاعلى وعندكم علم الكتاب وما جائت به السور

فقال له الرضا عليه السلام قد جئتنا بابيات ما سبقك اليها احد وقد مدحه حين جعله المأمون ولي عهده وخطب وضرب الدراهم باسمه واعطى الشعراء الجوائز على مدحه فمدحوه سوى ابي نواس فعاتبه الخليفة على تركه لمدح الرضا عليه السلام فقال:

قيل لي انت اوحد الناس طراً في المعاني وفي الكلام النبيه
لك من جوهر الكلام بديع يثمر الدر في يدي مجتنيه
فعلى ما تركت مدح ابن موسى والخصال التي تجمعن فيه
قلت لا اهتدي لمدح امام كان جبرئيل خادماً لابيه

وقد كان جدنا المرحوم ورد الى الجزائر فبقى فيها والان له ذراري كثيرة واولاد واحفاد كثر الله العلويين في مشارق الارض ومغاربها، واما ابوابه عليه السلام فهو محمد بن الفضل بن عمرو وهو مجهول الحال في كتب الرجال ولكن كونه من الابواب مما يدلّ على مدحه بل على توثيقه، فيكون حديثه صحيحاً وكثيراً ما اهمل الرجاليون توثيق من لا يختلج الريب في حسن حاله، وقد ذكرنا وجهه في شرح تهذيب الحديث.

واما الامام علي الرضا عليه السلام فقد ولد بالمدينة سنة ثمان واربعين ومأة بعد الهجرة ويقال انه ولد لاحدى عشرة ليلة خلت من ذي القعدة، يوم الجمعة سنة ثلث وخمسين ومأة بعد وفاة ابي عبد الله عليه السلام بخمس سنين وقيل يوم الخميس وأمه ام ولد يقال لها ام البنين واسمها نجمة، ويقال لها سكن النوبية، ويقال تكتم وكانت من اشراف العجم، وقد سمه المأمون لعنه الله في رمان وعنب وقد غسله ابنه الجواد عليه السلام اتى اليه من المدينة بطي الارض وهو مريض فأخذ منه علوم الامامة وجهزه ثم تركه فلما دخل عليه المأمون رآه كأنه لم يغسل ولم يكفن ولم يصلَ عليه، وله

من الاولاد ثلاثة اولاد واما من كان بابه فهو عمر بن الفرات وقد ذكر اهل الرجال في شأنه انه كاتب بغدادي غال وهذا ياضاً من ذاك لان وصفه بالغلو لما تقدم فيكون دليلاً على علو رتبته.

واما الامام ابو جعفر محمد بن علي الرضا عليه السلام فقد ولد في شهر رمضان سنة خمس وتسعين ومأة لسبع عشر ليلةمضت من الشهر وقيل للنصف من ليلة الجمعة وفي رواية اين عياش ولد يوم الجمعة لعشر خلون من رجب وقبض عليه السلام ببغداد في آخر ذي القعدة سنة عشرين ومأتين، وله يومئذ خمش وعشرون سنة، وكانت مدة خلافته لابيه سبع عشرة سنة، وكانت في ايام امامته بقية ملك المأمون وقبض عليه السلام في اول ملك المعتصم وامه ام ولد يقال لها خيزران وكانت نوبية، ودفن في مقابر قريش في ظهر جده موسى عليه السلام مات مسموماً قد سمه المعتصم، واما وكيل بابه فهو عمر بن الفرات ايضاً وله من الاولاد علي ابنه الامام عليه السلام وموسى، ومن البنات حليمة وخديجة وام كلثوم، ويقال انه خلف فاطمة وامامة ابنتيه ولم يخلف غيرهم.

واما الامام ابو الحسن علي بن محمد بن علي بن موسى عليهم السلام فقد ولد بالمدينة للنصف من ذي الحجة سنة اثنتي عشر ومأتين، وفي رواية ابن عياش يوم الثلاثا الخامس من رجب وقبض عليه السلام بسر من رأى في رجب سنة اربع وخمسين ومأتين وله يومئذ احد واربعون سنة واشهر، وكانت مدة امامته ثلاثاً وثلثين سنة، وامه ام ولد يقال لها سمانة ولقبه النقي والعالم والفقيه والامين والطيب ويقال له ابو الحسن الثالث، وكانت في ايام امامته عليه السلام بقيت ملك المعتصم ثم ملك الواثق خمس سنين وسبعة اشهر ثم ملك المتوكل اربعة عشر سنة ثم ملك ابنه المنتصر ستة اشهر ثم ملك المستعين وهو احمد بن محمد بن المعتصم سنتين وتسعة اشهر ثم ملك المعتز وهو الزبير بن المتوكل ثماني سنين وستة اشهر وفي آخر ملكه استشهد ولي الله علي بن محمد سمّه المعتزّ لعنه الله تعالى واما وكيل بابه فهو عثمان بن سعيد وهو على باب ابنه الحسن وباب صاحب الدار عليهم السلام، وقد وثقه الاصحاب واثنوا عليه وله عليه السلام من الاولاد ابنه الحسن عليه السلام الامام بعده والحسين ومحمد وجعفر الملقب بالكذاب وابنته غالية.

واما الامام الحسن العسكري عليه السلام فقد كان مولده بالمدينة يوم الجمعة لثمان خلون من شهر ربيع الاول سنة اثنتي وثلثين ومأتين وقبض عليه السلام بسر من رأى لثمان خلون من شهر ربيع الاول سنة ستين ومأتين وله يومئذ ثمان وعشرون سنة، امه ام ولد يقال لها حديثة وكانت مدة خلافته ست سنين ولقبه الهادي والسراج، والعسكري عليه السلام وكان ابوه وجده يعرف كل منهم في زمانه بابن الرضا وكانت في سني امامته بقية ملك المعتز اشهراً ثم ملك المهتدي احد عشر شهراً وثمانية وعشرين يوماً ثم ملك احمد المعتمد على الله ابن جعفر المتوكل عشرين سنة واحد عشر

شهراً وبعد مضي خمس سنين من ملكه سمّه المعتمد ودفن في بيته بسرّ من رأى في البيت الذي دفن فيه ابوه عليه السلام .

نجزَ الجزء الاول من الكتاب على حسب تجزئتنا في الطبع ويتلوه الجزء الثاني واوله (نور في بيان بعض احوال مولانا صاحب الزمان صلوات الله عليه) ونسأل الله التوفيق لاتمامه، والحمد لله اولاً وآخراً، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين صلوات الله عليهم اجمعين.

وقد تصدى لتصحيحه وبذل الجهد فيه العبد الحقير عيسى الاهري وعمران الغريبدوستي ووفقنا الله تعالى لاتمامه في شهر ذي الحجة الحرام سنة ١٣٧٨هـ.

محتويات الجزء الاول

الأنوار النعمانية

لمؤلفه

العالم العامل والكامل الباذل صدر الحكماء ورئيس العلماء

السيد نعمة الله الجزائري

طاب ثراه وجعل الجنة مثواه

المتوفى ١١١٢ هـ

الجزء الثاني

دار الكوفة

دار القارئ

الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

دار القارئ للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف: ٤١٣٢٥٦ / ٠٣ بيروت ـ لبنان بريد إلكتروني: DAR_ALKARI@hotmail.com

دار الكوفة طباعة - نشر - توزيع - بيروت - لبنان

نور في بيان بعض احوال مولانا صاحب الزمان صلوات الله عليه

والكلام هنا يقع في امور:

الاول تحقيق الخلاف بين الشيعة ومخالفيهم في وجوده الان ونقل بعض الدلائل من طريق المخالفين.

إعلم وفقك الله تعالى ان اخبار الشيعة التي نقلوها من النبي والائمة عليهم السلام في المهدي الذي بشرت به المسلمون في جميع الاعصار تواترت على أنه هو صاحب الزمان ابن مولانا الامام الحسن العسكري عليهما السلام واما مخالفونا من جميع فرق الاسلام فقد اجمعوا على وقوع البشارة بالمهدي عليه السلام وانما خالفوا في وقت ولادته وتعيين امه وابيه، واما انكاره مطلقاً فلا يمكنهم لتواتر الاخبار من طرقهم في هذا المعنى، من ذلك ما رووه في الجمع بين الصحاح الستة عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله المهدي مني اجلى الجبهة اقنى الانف يملأ الارض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً يملك سبع سنين وفي رواية كتاب المصابيح تسع سنين.

ومن ذلك ما رووه في الجمع بين الصحاح الستة ايضاً عن ابي اسحاق قال قال علي عليه السلام ونظر الى ابنه الحسين عليه السلام وقال ان ابني هذا سيد كما سمّاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسيخرج من صلبه رجل باسم نبيكم يشبهه في الخلق يملأ الارض عدلاً، وفي كتاب كشف المخفي في مناقب المهدي مأة وعشرة احاديث من طرق رجال الاربعة مذاهب تركنا نقلها طلباً للاختصار، واما الاشارة الى اماكنها فمنها من صحيح البخاري ثلاثة احاديث ومن الجمع بين الصحيحين للحميدي حديثان ومن الجمع بين الصحاح الستة لرزين بن معاوية العبدي احد عشر حديثاً، ومن كتاب الحافظ من مسند احمد بن حنبل سبعة احاديث ومن تفسير الثعلبي خمسة احاديث، ومن غريب الحديث لابن قتيبة الدينوري ستة احاديث ومن كتاب الفردوس لابن شيرويه الديلمي اربعة احاديث، ومن كتاب الدارقطني في مسند سيدة النساء فاطمة عليها السلام ستة احاديث ومن كتاب الحافظ ايضاً في مسند علي بن ابي طالب ثلاثة احاديث ومن كتاب المبتدأ للكسائي حديثان، ومن كتاب المصابيح لابي محمد الحسين بن مسعود الفرا خمسة احاديث ومن كتاب الملاحم لاحمد بن جعفر المناري اربعة وثلاثون حديثاً ومن كتاب الخضرمي المعروف بالمطين ثلاثة احاديث ومن كتاب الرعاية لاهل الرواية ثلاثة احاديث ومنها خبر سطيح برواية الحميدي ايضاً ومن كتاب الاستيعاب لابي عمر يوسف بن عبد البر النميري حديثان وهذه الاخبار على كثرتها قد تضمنت خلقه وخلقه وولادته واحواله على التفصيل.

والمخالفون قالوا انا لا ننكر المهدي وانه من اولاد فاطمة عليها السلام وانه يملأ الارض عدلا ولكن وجوده وولادته في الزمان المستقبل عند خروج الدجال واقوى دلائلهم على هذا استبعاد طول

عمر الشريف فان بنية الانسان على ما هو المشاهد يأخذها السنّ ويهدمها طول العمر والعناصر لا يبقى تركيبها ازيد من العمر المتعارف، ولا يخفى ان هذا سؤال ركيك لا يحتاج الى الجواب لانه قد تواتر كثير من الاخبار بطول عمر جماعة من الانبياء وغيرهم من المعمرين وهذا الخضر عليه السلام على طول السنين واصحاب الكهف لبث ثلثمائة سنين وازدادوا تسعاً وهم احياء كالنيام فهؤلاء المجوفون المحتاجون الى طعام وشراب قد بقوا هذه المدة بغير طعام ولا شراب وبقوا زمن النبي صلى الله عليه وآله حيث بعث الصحابة على البساط للتسليم عليهم فلم يكلّم احداً من الصحابة الا امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام واعتذروا عن عدم تكلمهم الصحابة بأنه لم يؤذن ان تكلّم الا نبياً او وصيه كما رواه الثعلبي وغيره من الجمهور.

ومن المعمرين علي بن عثمان بن خطاب بن مرة بن مؤيد معمّر المغربي ابو الدنيا قال الصدوق طاب ثراه حدثنا ابو سعيد عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب بن نصر الشجري قال حدثنا ابو بكر محمد بن الفتح المزكى وابو الحسن علي بن الحسن حكما الملاشكي ختن ابي بكر قالا لقينا بمكة رجلاً من اهل المغرب فدخلنا عليه مع جماعة من اصحاب الحديث ممن كان حضر الموسم في تلك السنة وهي سنة تسع وثلثمائة، فرأيناه رجلاً اسود الرأس واللحية كأنه ش بال وحوله جماعة من اولاد اولاد اولاده ومشايخ من اهل بلده ذكروا انهم من اقصى بلاد المغرب بقرب باهرق العليا وشهدوا هؤلاء المشايخ انا سمعنا آبائنا حكوا عن آبائهم واجدادهم انا عهدنا هذا الشيخ المعروف بابي الدنيا معمر واسمه علي بن عثمان وذكر انه همداني وان اصله من صنعاء اليمن فقلنا له انت رأيت علي بن ابي طالب عليه السلام فمال بيده ففتح عينيه وقد كان وقع حاجباه على عينيه ففتحهما كانهما سراجان وقال رأيته بعيني هاتين وكنت خادماً له وكنت معه في وقعت صفين وهذه الشجة من دابة علي عليه السلام وارانا اثره على حاجبه الايمن وشهد الجماعة الذين كانوا حوله من المشايخ ومن حفدته واسباطه بطول العمر انهم منذ ولدوا عهدوه على هذه الحالة، قالوا وكذا سمعنا من آبائنا واجدادنا ثم انا فاتحناه وسايلناه عن قصته وحاله وسبب طول عمره فوجدناه ثابت العقل يفهم ما يقال ويجيب عنه بلبّ وعقل فذكر انه كان له والد قد نظر في كتب الاوايل وقرأها وقد كان وجد فيها ذكر نهر الحيوان وانها تجري في الظلمات وانه من شرب منها طال عمره فحمله الحرص على دخول الظلمات فتحمل وتزود حسب ما قدر انه يكتفي به في مسيره واخرجني معه واخرج معنا خادمين وباذلين وعدّة اجمال لبون وروايا وزاد وانا يومئذ ابن ثلاث عشر سنة فسار بنا الى ان وافينا طرف الظلمات ثم دخلنا فسرنا فيها نحو ستة ايام بلياليها وكنّا نميز بين الليل والنهار بأن النهار كان يكون اضوء قليلاً واقلّ ظلمة من الليل فنزلنا بين جبال واودية وذكوات وقد كان والدي رحمه الله وجد في الكتب التي قرأها ان مجرى نهر الحيوان في ذلك الموضع فأقمنا في تلك البقعة اياماً حتى فنى الماء الذي كان معنا واسقينا جمالنا ولولا ان

جمالنا كانت لبون لهلكنا وتلفنا عطشا، وكان والدي يطوف في تلك البقعة في طلب النهر ويأمرنا ان نوقد ناراً ليهتدى اذا اراد الرجوع الينا فمكثنا في تلك البقعة نحواً من خمسة ايام ووالدي يطلب النهر فلا يجده، وبعد الاياس عزم على الانصراف حذراً من التلف لفناء الزاد والماء والخدم الذين كانوا معنا ضجروا وخشوا التلف على انفسهم، فألحوا على والدي بالخروج من الظلمات، فقمت يوماً من الرحل لحاجتي فتباعدت من الرحل قد رمية سهم، فعثرت بنهر ماء ابيض اللون عذباً لذيذاً لا بالصغير من الانهار ولا بالكبير يجري جرياً ليناً فدنوت منه وغرفت منه بيدي غرفتين او ثلاثاً فوجدته عذباً بارداً لذيذاً، فبادرت مسرعاً الى الرحل وبشرت الخدم بأني قد وجدت الماء، فحملوا معنا من القرب والادوات لنملأها، ولم اعلم ان والدي في طلب ذلك النهر وكان سروري بوجود الماء لما كنا عدمنا الماء وفنى ما كان معنا، وكان والدي في ذلك الوقت مشغولاً بالطلب فجهدنا فطفنا ساعة هوية على ان نجد النهر فلم نهتد اليه حتى ان الخدم كذبوني وقالوا لي لم تصدق، فلما انصرفنا الى الرحل وانصرف والدي اخبرته بالقصة، فقال لي يا بني الذي اخرجني الى ذلك المكان وتحمل الخطر كان لذلك النهر ولم ارزق انه ورزقته انت، وسوف يطول عمرك حتى تمل الحيوة ورحلنا منصرفين وعدنا الى اوطاننا وبلدنا، وعاش والدي بعد ذلك سنينات ثم توفى رحمة الله عليه.

فلما بلغ سني قريباً من ثلثين سنة وكان قد اتصل بنا وفاة النبي ﷺ ووفاة الخليفتين من بعده خرجت حاجاً فلحقت آخر ايام عثمان، قال فمال قلبي من جماعة اصحاب النبي ﷺ الى علي بن ابي طالب عليه السلام فأقمت معه اخدمه، وشهدت معه وقايع وفي وقعة صفين اصابتني هذه الشجة من دابته، فما زلت مقيماً معه الى ان مضى لسبيله عليه السلام فالحّ عليّ اولاده وحرمه ان اقيم عندهم فلم اقم، وانصرفت الى بلدي وخرجت ايام بني مروان حاجاً انصرفت مع اهل بلدي والى هذه الغاية ما خرجت في سفر الا ان الملوك في بلاد المغرب يبلغهم خبري وطول عمري فيشخصوني الى حضرتهم ليروني ويسألوني عن سبب طول عمري وعما شاهدت، وكنت اتمنى واشتهي ان احجّ حجة أخرى فحملني هؤلاء حفدتي واسباطي الذين ترونهم حولي وذكر انه ق سقطت اسنانه مرتين او ثلاثة، فسألناه ان يحدثنا بما سمعه من امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام فذكر انه لم يكن له حرص ولا همة في العلم في وقت صحبته لعلي بن ابي طالب عليه السلام والصحابة ايضاً كانوا متوافرين فمن فرط ميلي الى علي عليه السلام ومحبتي له لم اشتغل بشيء سوى خدمته وصحبته، والذي كنت اتذكره مما كنت سمعته منه قد سعه منمي عالم من الناس ببلاد المغرب ومصر والحجاز، وقد انقرضوا وتفانوا وهؤلاء اهل بلدي وحفدتي قد دونوه، فاخرجوا الينا النسخة واخذ يملي علينا من حفظه.

حدثنا ابو الحسن علي بن عثمان ابو الدنيا قال حدثني علي بن ابي طالب عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله من قرأ قل هو الله احد مرة فكأنما قرأ ثلث القرآن، ومن قرأها مرتين فكأنما قرأ ثلثي القرآن، ومن قرأها ثلاثاً فكأنما قرأ القرآن كله، وهذا الرجل ساكن في المغرب واسم بلده طنجه، وحدّث ابو الدنيا قال حضرت مع علي عليه السلام الجمل والصفين فكنت بين الصفين واقفاً عن يمينه اذ سقط سوطه من يده فأكببت آخذه وادفعه اليه وكان لجم دابته حديداً مدمجاً، فرفع الفرس رأسه فشجني هذه الشجة التي في صدري فدعاني امير المؤمنين عليه السلام فتفل فيها واخذ حفنة[1] من تراب فتركه عليها، فوالله ما وجدت لها الماً ولا وجعاً ثم اقمت معه حتى قتل صلوات الله عليه وصحبت الحسن بن علي عليهما السلام حين ضرب بساباط المدائن، ثم بقيت معه بالمدينة اخدمه واخدم الحسين عليه السلام حتى مات الحسن عليه السلام مسموماً، ثم خرجت مع الحسين بن علي عليهما السلام حتى حضرت كربلاء وقتل عليه السلام وخرجت هارباً بدابتي (بديني خ) وانا مقيم بالمغرب انتظر خروج المهدي وعيسى بن مريم عليهما السلام.

قال ابو محمد العلوي رضي الله عنه ومن عجيب ما رأيت من هذا الشيخ علي بن عثمان وهو يحدث فنظرت الى عنفقته[2] قد احمرت ثم ابيضت، فجعلت انظر الى ذلك لانه لم يكن في رأسه ولا في لحيته ولا في عنفقته بياض، قال فنظر الى نظري الى لحيته وعنفقته فقال ما ترون ان هذا يصيبني اذا جعت، واذا شبعت رجعت الى سوادها، فدعا بالطعام فأكل اكل شاب فأسوَدت عنفقته شيئاً فشيئاً حتى رجعت الى سوادها.

قال مؤلف الكتاب رضي الله عنه حدثني اوثق مشايخي السيد هاشم الاحسائي في شيراز في مدرسة الامير محمد عن شيخه العادل الثقة الورع الشيخ محمد الحرفوشي اعلى الله مقامه في دار المقامة انه دخل يوماً مسجداً من مساجد الشام، وكان مسجداً عتيقاً مهجوراً فرأى رجلاً حسن الهيئة في ذلك المسجد فأخذ الشيخ في المطالعة في كتب الحديث، ثم ان ذلك الرجل سأل الشيخ عن احواله وعمّن نقل الحديث فأخبره الشيخ، ثم ان الشيخ سأله عن احواله وعن مشايخه فقال ذلك الرجل انا معمّر ابو الدنيا واخذت العلم عن علي بن ابي طالب عليه السلام وعن الائمة الطاهرين عليهم السلام، واخذت فنون العلم عن اربابها وسمعت الكتب من مصنفيها، فاستجازه الشيخ في كتب الاحاديث الاصول وغيرها وفي كتب العربية والاصول، فاجازه، وقرأ عليه الشيخ بعض الاخبار في ذلك المسجد توثيقاً للاجازة، فمن ثم كان شيخنا الثقة قدس الله روحه يقول يقول لي يا بني ان سندي الى المحمدين الثلاثة وغيرهم من اهل الكتب قصير، فاني اروي عن الفاضل

---

(١) الحفنة ملا الكف.

(٢) العنفقة شعيرات بين الشفة الشفلى والذقن جمع عنافق.

الحرفوشي عن الامام علي بن ابي طالب عليه السلام، وكذا الى الصادق والكاظم عليهما السلام الى آخر الائمة، وكذلك روايتي لكتب الاصول مثل الكافي والتهذيب ومن لا يحضره الفقيه واجزتك ان تروي عني بهذه الاجازة، فنحن نروي الكتب الاربعة عن مصنفيها بهذا الطريق.

ومن المعمرين ذات العماد قال الصدوق طاب ثراه اخبرنا محمد بن هارون الزنجاني فيما كتب اليّ، قال حدثنا معاذ بن المثنى العنبري، قال حدثنا عبد الله بن اسما، قال حدثنا جويرية عن سفيان عن منصور عن ابي وابل، قال ان رجلاً يقال له عبد الله بن قلابة خرج في طلب إبل له قد شردت، فبينما هو في صحاري عدن في تلك الفلوات اذا هو قد وقع على مدينة عليها حصن حول ذلك الحصن قصور كثيرة واعلام طوال، فلما دنى منها ظنَ ان فيها من يساله عن ابله فلم ير داخلاً ولا خارجاً فنزل عن ناقته وعقلها وسلَ سيفه ودخل من باب الحصن فاذا هو ببابين عظيمين، لم ير في الدنيا شيئاً اعظم منهما ولا اطول واذا خشبهما من اطيب عود وعليهما نجوم من ياقوت اصفر فاذا هو بمدينة لم ير الراؤن مثلها قطّ، واذا هو بقصور كل معلق تحته اعمدة من زبرجد وياقوت، وفوق كل قصر منها غرفة وفوق الغرف غرف مبنية بالذهب والفضة واللؤلؤ والياقوت والزبرجد، وعلى كل باب من ابواب تلك القصور مصاريع مثل مصاريع باب المدينة من عود طيب قد نضدت عليه اليواقيت، وقد فرشت تلك القصور باللؤلؤ وبنادق المسك والزعفران، فلما رأى ذلك ولم ير هناك احداً فزعه ذلك، ثم نظر الى الازقة فاذا في كل زقاق منها اشجار قد اثمرت تحتها انهار تجري فقال هذه الجنة التي وصف الله عز وجل لعباده في الدنيا، فالحمد لله الذي ادخلني الجنة فحمل من لؤلؤها ومن بنادق المسك والزعفران ولم يستطع ان يقلع من زبرجدها ولا من ياقوتها، لانه كان مبنياً في ابوابها وجدرانها وكان اللؤلؤ وبنادق الزعفران منثوراً بمنزلة الرمل في تلك القصور والغرف كلها، فأخذ منها ما ارادوا وخرج حتى اتى ناقته فركبها، ثم سار يقفو اثر ناقته حتى رجع الى اليمن واظهر ما كان معه واعلم الناس امره، وباع بعض ذلك اللؤلؤ وكان إصفار وتغير منم طول ما مرَ عليه من الليالي والايام.

فشاع خبره وبلغ معاوية بن ابي سفيان فأرسل رسولاً الى صاحب صنعاء، ثم كتب باشخاصه فشخص حتى قدم على معاوية فخلا به وسأله عما عاين فقص عليه امر المدينة وما رأى فيها، وعرض عليه ما حمله منه (منها) من اللؤلؤ وبنادق المسك والزعفران، فقال والله ما اعطى سليمان بن داود مثل هذه المدنية، فبعث معاوية الى كعب الاحبار فدعاه وقال له يا ابا اسحاق هل بلغك ان في الدنيا مدينة مبنية بالذهب والفضة وعمدها زبرجد وياقوت، وحصباء قصورها وغرفها اللؤلؤ وانهارها في الازقة تجري تحت الاشجار، قال كعب اما هذه المدينة فصاحبها شداد بن عاد الذي بناها، واما المدينة فهي إرم ذات العماد وهي التي وصفها الله عز وجل في كتابه المنزل على نبيه المرسل محمد صلى الله عليه وآله وذكر انه لم يخلق مثلها في البلاد، قال معاوية حدثنا بحديثها.

قال ان عاد الاولى بعماد قوم كان له ابنان سمى احدهما شديداً والاخر شداداً فهلك عاد وبقيا وملكا وتجبرا واطاعهما الناس في الشرق والغرب، فمات شديد بقى شداد فملك وحده ولم ينازعه احد وكان مولعاً بقراءة الكتب وكان كلما سمع بذكر الجنة وما فيها من البنيان والياقوت والزبرجد واللؤلؤ رغب ان يفعل مثل ذلك في الدنيا عتوا على الله عز وجل، فجعل على صنعتها مأة تحت كل واحد منهم الف من الاعوان، فقال انطلقوا الى اطيب فلاة في الارض واوسعها فاعملوا لي فيها مدينة من ذهب وفضة وياقوت وزبرجد ولؤلؤ واصنعوا تحت تلك المدينة اعمدة من زبرجد وعلى المدينة قصور وعلى القصور غرف وفوق الغرف غرف، واغرسوا تحت القصور في ازقتها اصناف الثمار كلها وارجوا فيها الانهار حتى تكون تحت اشجارها، فانى اقرأ في الكتاب صفة الجنة وانا احب اناجعل مثلها في الدنيا، قالوا كيف نقدر على ما وصفت لنا من الجواهر والذهب والفضة حتى يمكننا ان نبني مدينة كما وصفته، قال شداد لا تعلمون ان ملك الدنيا بيدي، قالوا بلى قال فانطلقوا الى كل معدن من معادن الجواهر والذهب والفضة فوكّلوا بها حتى تجمعوا ما تحتاجون اليه وخذوا جميع ما تجدونه في ايدي الناس من الذهب والفضة.

فكتبوا الى كل ملك في الشرق والغرب فجعلوا يجمعون انواع الجواهر عشر سنين فبنوا هذه المدينة في مدة ثلثمائة سنة، وعمر شداد تسع مأة سنة، فلما اتوه فاخبروه بفراغهم منها قال انطلقوا فاجلعوا عليها حصناً، واجعلوا حول الحصن الف قصر عند كل قصر الف علم يكون في كل قصر من تلك القصور وزير من وزرائي، فرجعوا وعملوا ذلك كله له ثم آتوه فأخبروه بالفراغ منها كما امرهم به، فأمر الناس بالتجهيز الى إرم ذات العماد فأقاموا في جهازهم اليها عشر سنين ثم سار الملك يريد إرم ذات العماد فلما كان من المدينة على مسير يوم وليلة بعث الله عز وجل عليه وعلى جميع من كان معه صيحة من السماء فاهلكتهم جميعاً، وما دخل إرم ولا احد ممن كان معه فهذه صفة إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد، واني لاجد في الكتب ان رجلاً يدخلها ويرى ما فيها ثم يخرج فيحدث بما رأى فلا يصدق وسيدخلها اهل الدين في آخر الزمان.

اقول اذا جاز ان يكون في الارض جنة مغيبة عن الناس لا يهتدى الى مكانها احد من الناس ولا يعلمونها ويتعقدون صحة كونها من طريق الاخبار لا يقلون من طريق الاخبار كون القائم عليه السلام الان في غيبته، واذا جاز ان يعمر شداد بن عاد تسعمائة سنة فكيف لا يجوز ان يعمَر القائم مثلها واكثر منها.

ومن المعمرين عبيد بن شريد الجرهمي قال الصدوق طاب ثراه حدثنا ابو سعيد عبيد الله بن محمد بن عبد الوهاب الشجري، قال وجدت في كتاب لاخي ابي الحسن بخطه يقول سمعت بعض اهل العلم ممن قرأ الكتب وسمع الاخبار ان عبيد بن شريد الجرهمي عاش ثلاثمائة وخمسين سنة فادرك النبي صلى الله عليه وآله فأسلم وحسن اسلامه وعمّر بعدما قبض النبي صلى الله عليه وآله حتى قدم الى

معاوية في ايام تغلّبه وملكه فقال له معاوية اخبرني يا عبيد عما رأيت وسمعت ومن ادركت وكيف رأيت الدهر، فقال له اما الدهر فرأيت ليلاً يشبه ليلاً ونهاراً يشبه نهاراً ومولوداً يولد وميتاً يموت ولم ادرك اهل زمان الا وهم يذمون زمانهم، وادركت من قد عاش الف (ثلثمائة خ) سنة فحدثني عمن كان قبله قد عاش الف (الفي خ) سنة فأما ما سمعت فأنه حدثني ملك من ملوك حمير انّ بعض ملوك التبابعة ممن دانت له البلاد كان يقال له ذو سرح كان اعطى الملك في عنفوان شبابه وكان حسن السيرة في اهل مملكته مجيباً فيهم مطاعاً، فملكهم سبعمائة سنة وكان كثيراً ما يخرج في خاصته الى الصيد والنزهة، فخرج يوماً في بعض تنزهه فأتى على حيتين احديهما بيضاء كأنها سبيكة فضة والاخرى سوداء كأنها حممة وهما تقتتلان وقد غلبت السوداء البيصاء وكادت تأتي على نفسها، فأمر الملك بالسوداء فقتلت وامر بالبيضاء فاحتملت حتى انتهى بها الى عين ماء نقي عليها شجرة فأمر فصب عليها من الماء فسقيت حتى رجع اليها نفسها فافاقت فخلّى سبيلها فانسابت الحية ومضت لسبيلها ومكث الملك يومه في تصيده ونزهته، فلما امسى ورجع الى منزله وجلس على سريره في موضع لا يصل اليه حاجب ولا احد فبينما هو كذلك اذ رأى شاباً آخذاً بعضادتي الباب وبه من الشباب والجمال شيء لا يوصف فسلم عليه فذعر منه الملك، فقال له من أنت ومن اذن لك في الدخول عليّ في هذا الموضع الذي لا يصل اليّ فيه حاجب ولا غيره، فقال له الفتى لا ترع ايها الملك اني لست بانسي ولكني فتى من الجن اتيتك لاجازيك ببلائك الحسن الجميل عندي، قال الملك وما بلائي عندك قال انا الحية التي احييتني في يومك هذا بالاسود الذي قتلته وخلصتني منه كان غلاماً لنا تمرد علينا وقد قتل من اهل بيتي عدّة كان اذا خلى بواحد منّا قتله، فقتلت عدوي واحييتني فجئتك لاكافيك ببلائك عندي، ونحن ايها الملك الجن لا الجن، فقال له الملك وما الفرق بين الجن والجنّ؟ ثم انقطع الحديث من الاصل الذي كتب فلم يكن هناك بتمامه.

الامر الثاني في كيفية تولده عليه السلام وما يتبعها من المقدمات رويناه باسانيدنا الى الصدوق طاب ثراه قال حدثنا محمد بن علي بن محمد النوفكي قال حدثنا ابو العباس البغدادي قال حدثنا احمد القمي قال حدثنا محمد الشيباني قال وردت كربلاء سنة ستى وثمانين ومأتين قال وزرت قبر غريب رسول الله صلى الله عليه وآله ثم أتيت الى مشهد الكاظم عليه السلام فرأيت شيخاً قد انحنى صلبه وتقوّس منكباه وهو يقول لاخر معه عند القبر يا ابن اخي لقد نال عمّك شرفاً بما حمله السيدان من غوامض الغيوب وشرايف العلوم التي لا لم يحملها الا سلمان وقد اشرف عمك على استكمال المدة وليس يجد في اهل الولاية رجلاً يفضي اليه بسره، قلت يا نفس لا يزال العنا والمشقة ينالان منك وقد قرع سمعي من الشيخ لفظة تدلّ على علم جسيم واثر عظيم فقلت ايها الشيخ من السيد ان؟ قال النجمان المغيبان تحت الثرى بسر من رأى، قلت فانا اقسم بالموالاة وشرف محل هذين السيدين من الامامة

والوراثة اني خاتطب علمهما وطالب آثارهما وباذل من نفسي الايمان المؤكدة على حفظ اسرارهما قال ان كنت صادقاً فيما تقول فاحضر ما صحبك من الاثار عن نقلة اخبارهم فلما فتَش الكتب وتصفح الروايات منها قال صدقت انا بشر بن سليمان النخّاس من ولد ابي ايوب الانصاري احد موالي ابي الحسن وابي محمد عليهما السلام وجارهما بسر من رأى قلت فاكرم اخاك ببعض ما شاهدت من آثارهما.

قال كان مولانا علي العسكري عليه السلام فقهني في امر الرقيق فكنت لا ابتاع ولا ابيع الا بأذنه فاجتنبت بذلك موارد الشبهات حتى كملت معرفتي فيه فاحسنت الفرق بين الحلال والحرام فبينما اذا ذات ليلة في منزلي بسر من رأى وقد مضى هوى من الليل اذ قرع الباب قارع فعدوت مسرعاً فاذا انا بكافور الخادم رسول مولانا علي بن محمد عليه السلام يدعوني اليه فلبست ثيابي ودخلت عليه فرأيته يحدَث ابنه ابا محمد عليه السلام واخته حكيمة من وراء الستر فلما جلست قال يا بشر انك من ولد الانصار وهذه الولاية لم تزل فيكم يرثها خلف عن سلف فانتم ثقاتنا اهل البيت واني مزكيك ومشرفك بفضيلة تسبق بها سائر الشيعة في الموالاة بها شيء اطلعك عليه وانفذك في تتبع امره وكتب كتاباً ملصقاً بخط رومي ولغة رومية وطبع خاتمه بها واخرج شنتقة (ظ) صفراء فيها مائتان وعشرون ديناراً فقال خذها وتوجه بها الى بغداد واحضر معبر الفرات ضحوة كذا فاذا وصلت الى جانبك زواريق السبايا وبرز الجواري منها فسيحدق بهن طوائف المبتاعين من وكلاء قوّاد بني العباس وشرذام من فتيان العراق فاذا رأيت ذلك فاشرف من العبد على المسمى عمر بن يزيد النخاس عامة نهارك الى ان يبرز للمبتاعين جارية صفتها كذا لابسة خزين صفيفين (صففين ظ) تمنع من السفور ولمس المعترض والانقياد لمن يحاول لمسها او يشغل نظره بتأمل مكاشفها من وراء الستر الرقيق فيضربها النخاس فتصرخ صرخة رومية فاعلم انها تقول وا هتك ستراه فيقول بعض المبتاعين على ثلثمائة دينار فقد زادني العفاف فيها رغبة فتقول بالعربية لو برزت في زي سليمان على مثل سرير ملكه ما بدت لي فيك رغبة فاشفق على مالك فيقول النخاس فما الحيلة ولا بد من بيعك فتقول الجارية وما العجلة ولا بد من اختيار مبتاع يسكن الى امانته ووفائه، فعند ذلك قم الى عمر بن يزيد النخّاس وقل له ان معي كتاباً ملصقاً لبعض الاشراف كتبه بلغة رومية وخطّ رومي ووصف فيه كرمه ووفاه وميله وسخاه فناولها لتتأمل منه اخلاق صاحبه فان مالت اليه ورضيته فانا وكيله في ابتياعها منك.

قال بشر بن سليمان فامتثلت بجميع ما حدّه لي مولاي ابو الحسن عليه السلام في امر الجارية فلما نظرت في الكتاب بكت بكاء شديداً، وقالت لعمر بن يزيد النخاس بعنى من صاحب هذا الكتاب وحلفت انه متى امتنع من بيعها قتلت نفسها فما زلت اشاحه في ثمنها حتى استقر الامر فيه على مقدار ما كان اصحبنيه مولاي من الدنانير في الشنقة (الشنتقة ظ) الصفراء فاستوفاه مني وتسلمت

منه الجارية ضاحكة مستبشرة وانصرفت بها الى حجرتي التي كنت آوي اليها ببغداد فما اخذها القرار حتى اخرجت كتاب مولانا من جيبها وهي تلثمه وتضعه على خدها وتطبقه على جفنها وتمسحه على بدنها فقلت تعجباً منها اتلثمين كتاباً ولا تعرفين صاحبه قالت ايها العاجز الضعيف المعرفة بمحلِ اولاد الانبياء اورعني سمعك وفرّغ لي قلبك انا مليكة بنت يشوعا بن قيصر ملك الروم من ولد الحواريين تنسب الى وصي المسيح شمعون انبأك العجب ان جدي قيصر اراد ان يزودجني من ابن اخيه وانا من بنات ثلاث عشرة سنة فجمع في قصره من نسل الحواريين من القسيسين والاحبار والرهبان ثلثمائة رجل ومن ذوي الاخطار منهم سبعمائة رجل وجمع من امراء الاجناد وقوّاد العساكر ونقباء الجيوش وملوك العشاير اربعة آلاف وابرز من ملكه عرشاً مصنوعاً من اصناف الجواهر الى صحن القصر فرفعه فوق اربعين مرقاة فلما صعده ابن اخيه واحدثت به الصلبان وقامت الاساقفة عكّفا ونشرت اسفار الانجيل تساقطت الصلبان من الاعالي فلصقت بالارض وتقوضت الاعمدة فانهارت الى القرار ورّ الصاعد من العرش مغشياً عليه فتغيرت الوان الاساقفة وارتعدت فرائصهم فقال كبيرهم لجدي ايها الملك اعفنا من ملاقاة هذه النحوس الدالة على زوال هذا الدين المسيحي والمذهب الملكاني فتطير جدي من ذلك تطيراً شديداً وقال للاساقفة اقيموا هذه الاعمدة وارفعوا الصلبان واحضروا اخا هذا المدبر العاثر المنكوس جدّه لازوج هذه الصبية منه فيدفع نحوسكم عنه بسعوده فلما فعلوا ذلك حدث على الثاني ما حدث على الاول وتفرق الناس وقام جدي قيصر مغتماً فدخل قصره واغتم وارخيت الستور فأريت في تلك الليلة كان المسيح وشمعون وعدّة من الحواريين قد اجتمعوا في قصر جدي ورفعوا به منبراً يباري السماء علواً وارتفاعاً في الموضع الذي كان جدي نصب فيه عرشه فدخل محمد ﷺ مع فتية من بنيه فيقوم اليه المسيح فيعتنقه فيقول يا روح الله اني جئتك خاطباً من وصيك شمعون فتاته مليكة لاني هذا واومئ بيده الى ابي محمد صاحب هذا الكتاب فنظر المسيح الى شمعون فقال له قد اتاك الشرف فصل رحمك برحم رسول الله ﷺ قال قد فعلت.

فصعد ذلك المنبر وخطب محمد ﷺ وزوجني من ابنه المسيح وشهد بنو محمد والحواريون فلما استيقظت من نومي اشفقت ان اقص هذه الرؤيا على ابي وجدي مخافة القتل فكنت اسرها في نفسي ولا ابديها لهم وضرب صدري بمحبة ابي محمد حتى امتنعت من الطعام والشراب وضعفت نفسي ودقّ شخصي ومرضت مرضاً شديداً فما بقي في مدائن الروم طبيب الا احضره جدي وسأله عن دوائي فلما برح به اليأس قال يا قرة عيني فهل ببالك شهوة فازودها في هذه الدنيا فقلت يا جدي ارى ابواب الفرج عليّ مغلقة فلو كشفت العذاب عن من في سجنك من اسارى المسلمين وفككت عنهم الاغلال وتصدقت عليهم ومنيتهم الخلاص رجوت ان يهب المسيح وامه لي عافية وشفاء فلما فعل ذلك تجلدّت في اظهار الصحة في بدني وتناولت يسيراً من

الطعام فسر بذلك جدي واقبل على اكرام الاسارى واعزازهم فأريت ايضاً بعد اربع ليال كان سيدة النساء قد زارتني ومعها مريم بنت عمران والف من وصائف الجنان فتقول لي مريم هذه سيدة نساء ام زوجك ابي محمد فاتعلق بها وابكى واشكوا اليها امتناع ابي محمد من زيارتي فقالت سيدة النساء ان ابني ابا محمد لا يزورك وانت مشركة بالله على دين مذهب النصارى وهذه اختي مريم تبرأ الى الله عز وجل من دينك فان ملت الى راضء الله ورضاء المسيح ومريم منك وزيارة ابي محمد اياك فقولي اشهد ان لا الا الله وان ابي محمداً رسول الله فلما تكلمت بهذه الكلمة ضمتني سيدة النساء الى صدرها وطيبت نفسي وقالت الان توقعي زيارة ابي محمد فاني منفذته اليك فانتبهت وانا اقول واشوقاه الى لقاء ابي محمد فرأيت كأني اقول له لك جفوتني يا حبيبي بعد ان شغلت قلبي بجوامع حبك قال ما كان تأخيري منك الا لشركك وقد اسلمت فاني زائرك كل ليلة الى ان يجمع الله شملنا في العليان فما قطع عني زيارته بعد ذلك الى هذه الغاية.

قال بشر فقلت وكيف وقعت في الاسارى فقالت اخبرني ابو محمد ليلة من الليالي ان جدك سيسري جيوشاً الى قتال المسلمين يوم كذا وكذا ثم يتبعهم فعليك باللحاق بهم متنكرة في زي الخدم مع عدة من الوصائف من طريق كذا ففعلت فوقع علينا طلايع المسلمين حتى كان من امري ما رأيت وشاهدت وما شعر بأني ابنة ملك الروم الى هذه الغاية احد سواك وذلك باطلاعي اياك عليه وقد سألني الشيخ الذي دفعت اليه في سهم الغنيمة عن اسمي فانكرته وقلت نرجس اسم الجواري قلت العجب انك رومية ولسانك عربي قالت بلغ من ولوع جدي بي وحمله اياي على تعليم الاداب ان امر امرأة ترجمان له في الاختلاف اليّ وكانت تقصدني صباحاً ومساءً وتفيدني العربية حتى استمر عليها لساني واستقام قال بشر فلما انكفأت بها الى سر من رأى دخلت على مولانا ابي الحسن العسكري عليه السلام قال لها كيف اراك الله عز الاسلام وذلّ النصرانية وشرف اهل بيت محمد صلوات الله عليه وآله، قالت اصف لك يا ابن رسول الله ما انت اعلم به مني قال فاني احب ان اكرمك فأيما احب اليك عشرة الاف درهم ام بشرى لك فيها شرف الابد، قالت بل البشرى قال فابشري بولد يملك الدنيا شرقاً وغرباً فيملأ الارض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً قالت ممن قال ممن خطبك رسول الله صلى الله عليه وآله ليلة كذا من شهر كذا من سنة بالرومية قالت من المسيح ووصيه قال ممن زوجك المسيح قالت من ابنك ابي محمد قال فهل تعرفينه قالت وهل خلوت ليلة من زيارته اياي منذ الليلة التي اسلمت فيها على يد سيدة النساء امه فقال ابو الحسن عليه السلام يا كافور ادع لي اختي حكيمة فلما دخلت عليه قال عليه السلام ها هيه فاعتنقتها طويلاً وسألت بها كثيراً فقال مولانا يا بنت رسول الله اخرجيها الى منزلك وعلميها الفرائض والسنن فانها زوجة محمد وام القائم عليه السلام.

وبالاسانيد المتكثرة عن حكيمة قالت بعث اليّ ابو محمد بن علي عليهما السلام فقال يا عمة اجعلي افطارك الليلة عندنا فانها ليلة النصف من شعبان فان الله تبارك وتعالى سيظهر في هذه الليلة الحجة وهو حجته في ارضه، قالت فقلت له ومن امه قال لي نرجس قلت له والله جعلني فداك ما بها اثر فقال هو ما اقول لك قالت فجئت فلما سلّمت وجلست جائت تنزع خفي وقالت لي يا سيدتي كيف امسيت فقلت بل انت سيدتي وسيدة اهلي قالت فانكرت قولي وقالت ما هذا يا عمة؟ قالت قلت لها يا بنية ان الله تبارك وتعالى سيهب لك في ليلتك هذه غلاماً سيداً في الدنيا والاخرة، قالت فخجلت واستحيت فلما ان فرغت من صلاة العشاء الاخرة افطرت واخذت مضجعي فرقدت فلما ان كان في جوف الليل قمت الى الصلاة ففرغت من صلوتي وهي نائمة ليس لها حادث ثم جلست معقبة ثم اضطجعت ثم انتبهت فزعة وهي راقدة، ثم قامت فصلّت ونامت قالت حكيمة فخرجت اتفقد الفجر فاذا انا بالفجر الاول كذنب السرحان وهي نائمة قالت حكيمة فدخلني الشكوك فصاح بي ابو محمد عليه السلام من المجلس لا تعلجي يا عمة فهاك الامر قد قرب، قالت فقرئت الم السجدة ويس فبينما انا كذلك اذ انتهبت فزعة فوثبت اليها فقلت اسم الله عليك، ثم قلت لها تحسين شيئاً؟ قالت نعم يا عمة فقلت لها اجمعي نفسك واجمعي قلبك فهو ما قلت لك.

قالت حكيمة ثم اخذتني فترة واخذتها فترة فانتبهت بحس سيدي فكشف الثوب عنه فاذا انه به عليه السلام ساجداً يتقلى الارض بمساجده فضممته عليه السلام اليّ فاذا انا به نظيف منظف فصاح بي ابو محمد عليه السلام عليّ اليّ يا عمة فجئت به اليه فوضع يده تحت اليتيه وظهره ووضع قدمه في صدره ثم دلى (ادلى ظ) لسانه في فيه وامر يده على عينيه وسمعه ومفاصله ثم قال تكلم يا بني فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمداً رسول الله ثم صلى على امير المؤمنين وعلى الائمة الى ان وقف على ابيه ثم احجم قال ابو محمد عليه السلام يا عمة اذهبي به الى امه ليسلّم عليها وائتني به فذهبت به فسلّم ورددته ووضعته عليه السلام في المجلس ثم قال يا عمة اذا كان يوم السابع فأتينا قالت حكيمة فلما اصبحت جئت لاسلّم على ابي محمد عليه السلام وكشفت الستر لافتقد سيدي فلم اره فقلت له جعلت فداك ما فعل سيدي؟ قال يا عمة استودعناه الذي استودعته ام موسى، قالت حكيمة فلما كان يوم السابع جئت وسلّمت وجلست فقال هلمي اليّ ابني، فجئت بسيدي عليه السلام وهو في الخرقة ففعل به كفعلته الاولى ثم ادلى لسانه في فيه كأنه يغذيه لبناً او عسلاً ثم قال تكلّم يا بني فقال عليه السلام اشهد ان لا اله الا الله وثنى بالصلوة على محمد وعلي امير المؤمنين وعلى الائمة صلوات الله عليهم اجمعين حتى وقف على ابيه عليه السلام ثم تلا هذه الاية بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون﴾ قال موسى فسألت عقبة الخادم عن هذا فقال صدقت حكيمة.

وفي حديث آخر رواه محمد بن عبد الله الطهوري عن حكيمة وساق الحديث الى ان قالت قال ابو محمد عليه السلام اذا كان وقت الفجر يظهر لك بها الحبل لان مثلها مثل ام موسى لم يظهر بها الحبل ولم يعلم بها احد الى وقت ولادتها لان فرعون كان يشقّ بطون الحبالى في طلب موسى عليه السلام ، قالت حكيمة فعدت الى نرجس واخبرتها بما قال وسألتها عن حالها فقالت يا مولاتي ما أرى بي شيئاً من هذا قالت حكيمة فلم ازل ارقبها الى طلوع الفجر حتى اذا طلع الفجر وثبت فزعة فضممتها الى صدري وسميّت عليها، فصاح بي ابو محمد عليه السلام وقال اقرأي عليه انا انزلناه في ليلة القدر، فأقبلت اقرأ عليها وقلت لها ما حلك قالت ظهر الامر الذي اخبرك به مولاي فأقبلت اقرأ عليها كما امرني فاجابني الجنين من بطنها يقرأ مثل ما اقرأ وسلّم علي قالت حكيمة ففزعت لما سمعت فصاح بي ابو محمد عليه السلام لا تعجبي من امر الله ان الله عز وجل ينطقنا صغارا بالحكمة ويجعلنا حجة في ارضه كبارا فلم يستتم الكلام حتى غيبّت عني نرجس فلم ارها كأنه ضرب بيني وبينها حجاب فعدوت نحو ابي محمد عليه السلام وانا صارخة فقال ارجعي يا عمة فانك ستجديها في مكانها قالت فرجعت فلم انبث ان كيف الغطاء الذي كان بيني وبينها واذا انا بها وعليها من اثر النور ما غشيني (غشى بصري ظ) واذا انا بالصبي عليه السلام ساجد لوجهه جاث على ركبتيه رافع سبباته نحو السماء وهو يقول اشهد ان لا اله الا الله وان جدي رسول الله وان ابي امير المؤمنين ثم عدّ اماماً اماماً الى ان بلغ نفسه، فقال اللهم انجز لي وعدي واتمم لي امري وثبت وطأتي واملأ الارض بي عدلاً وقسطاً فصاح بي ابو محمد عليه السلام فقال يا عمة تناوليه فتناولته وأتيت به نحوه، فلما مثلت بين يدي ابيه وهو على يدي سلّم على ابيه فتناوله الحسن عليه السلام مني والطير ترفرف على رأسه، وناوله لسانه ليشرب منه ثم قال امضي به الى امه لترضعه ورديه اليّ، قالت فناولته امه فارضعته فرددته الى ابي محمد عليه السلام والطير ترفرف على رأسه فصاح بطير منها فقال له احمله واحفظه ورده الينا في كل اربعين يوماً فتناوله الطير وطار به في جو السماء واتبعه سائر الطيور فسمعت ابا محمد عليه السلام يقول استودعك الذي اودعته ام موسى فبكت نرجس فقال اسكتي فان الرضاع محرم عليه الا من ثديك وسيعاد اليك كما ردّ موسى الى ام موسى، وذلك قوله عز وجل ﴿فرددناه الى امه كي تقر عينها ولا تحزن﴾ قالت حكيمة قلت فما هذا الطير؟ قال هذا روح القدس الموكل بالائمة عليهم السلام يوفقهم ويسددهم ويزينهم بالعلم.

قالت حكيمة فلما ان كان بعد اربعين يوماً ردّ الغلام ووجّه الى ابن اخي عليه السلام فدعاني ودخلت عليه فاذا انا بصبي متحرك يمشي بين يديه، فقلت سيدي هذا ابن سنتين فتبسم عليه السلام ثم قال ان اولاد الانبياء والاوصياء اذا كانوا أئمة ينشأون بخلاف ما ينشؤ غيرهم، وان الصبي منّا اذا أتى عليه شهر كان كمن أتى عليه سنة وان الصبي منّا ليتكلم في بطن امه ويقر القرآن ويعبد ربه عز وجل عند الرضاع وتطيعه الملائكة وتنزل عليه بالسلام صباحاً ومساءً، قالت حكيمة فلم أزل ارى

ذلك الصبي في كل اربعين الى ان رأيته رجلاً قبل مضي ابي محمد عليه السلام بأيام قلائل فلم اعرفه، فقلت لابن اخي من هذا الذي تأمرني ان اجلس بين يديه، فقال لي ابن نرجس وهذا خليفتي من بعدي وعن قليل تفقدوني فاسمعي له واطيعي، قالت حكيمة فمضى ابو محمد عليه السلام بعد ذلك بأيام قلائل فافترق الناس كما ترى ووالله اني لاراه صباحاً ومساءً، وانه لينبأني عمّا يسألوني عنه فأخبرهم ووالله اني لاريد ان اسئله عن الشيء فيبدأني به وأنه ليرد عليَّ الامر فيخرج اليَّ من جوابه من ساعته من غير مسألة، وقد اخبرني البارحة بمجيئك اليّ وامرني ان اخبرك بالحقّ قال محمد بن عبد الله فوالله لقد اخبرتني حكيمة بأشياء لم يطلع عليها احد الا الله عز وجل فعلمت ان ذلك صدق وعدل من الله عز وجل قد اطّلعهم على ما لم يطّلع عليه احداً من خلقه وعن ابي جعفر العمري قال لما ولد السيد عليه السلام قال ابو محمد عليه السلام ابعثوا الى ابي عمرو فبعث اليه فصار فقال له اشتر عشرة آلاف رطل خبزاً وعشرة آلاف رطل لحماً وفرقه واحسبه قال علي بن هاشم وعقّ عنه بكذا وكذا شاة.

وكان مولده عليه السلام ليلة النصف من شعبان سنة ستة وخمسين ومأتين وتاريخ ولادته بحساب الجمل نور، وكان وكيله عثمان بن سعيد فلما مات عثمان اوصى الى ابنه محمد بن عثمان واوصى ابو جعفر الى ابي القاسم الحسين بن روح واوصى ابو القاسم الى ابي الحسن علي بن محمد السيمري رضي الله عنهم، فلما حضرت السيمري الوفاة سأل ان يوضي فقال لله امر هو بالغه، فالغيبة التامة هي التي وقعت بعد مضي السيمري رضي الله عنه، وقال وكيله لعمري ان صاحب هذا الامر ليحضر الموسم كل سنة سرى الناس ويعرفهم ويرونه ولا يعرفونه، ولو اردنا ذكر اسماء الرجال الذي رأوه والذين خرجت منه عليه السلام التوقيعات اليهم وما بيّنه عليه السلام للشيعة من غوامض العلوم ومغيبات الاسرار لاحتجنا الى تأليف كتاب آخر لكن شيخنا الصدوق طاب ثراه قد ذكر بعض هذا في كتاب اكمال الدين واتمام النعمة، ويالله العجب العجيب كيف كذبنا المخالفون في هذه الدعوى مع اننا ألوف وعضدونا بالاخبار المروية عن طرقهم، ومثل الاخبار السالفة وصدقوا ابا هريرة في رواية اثنى عشر الف حديث تفرد برواياتها عن النبي صلى الله عليه وآله فجعلوها مستنداً لامور دينهم ولاصولهم وفروعهم هب اننا كفّار بزعمهم لكن الكفار اذا اجتمع منهم آلاف او اقل فاخبروا بقدوم رجل كنّا سمعنا اخباره عن الصادقين لكنا ما علمنا سابقاً يوم قدومه فاذا اخبرنا طوائف من الناس بقدومه علمنا علماً مستنداً الى التواتر ان هذا الخلق الكثير لا يجتمعون على مثل هذا الخبر الا ان يكونوا صادقين فيه، وذلك انك قد عرفت ان الاسلام كلها قد بشرت بالمهدي لكن الشيعة تقول ان المهدي هو ابن الحسن العسكري عليه السلام لان العلاقات المنقولة عن النبي صلى الله عليه وآله وعن اهل بيته من كيفية الخلقوالخلق وغيرها قد وجدت فيه فيكون هو الامام والمخالفون قالوا نحن لا ننكر المهدي من ولد فاطمة وانه امام سيظهر بالسيف لكن نقول انه الى الان لم يتولد

وسيولد عند خروج الدجال ونزول عيسى بن مريم عليه السلام من السماء والجواب عن هذه الشبهة من وجوه.

اولها انه اذا وجدت العلامات المشار اليها ف ابن الحسن ولم نقطع عليه بأنه المهدي لزم الدليل بدون المدلول فلم تكن تلك العلامة علامة هذا خلف.

وثانيها ان قولكم يحتمل ان يتولد بعد هذا من يجمع تلك الصفات احتمال مرجوح وما نقوله نحن ارجح لحصوله بالفعل، والاحتمال المرجوح لا يجوز لنا اهمال العمل بالدليل الراجح لاجله لانا لو جوزنا ذلك لامتنع العمل بأكثر الادلة المثبتة للاحكام، اذ ما من دليل الا واحتمال تجدد ما يعارضه متطرق اليه مع انه لم يمنع من العمل به وفاقاً.

وثالثها ان الله سبحانه لما انزل في التورية على موسى عليه السلام انه يبعث النبي العربي في آخر الزمان خاتم الانبياء ونعته باوصافه وجعلها علامة ودلالة على اثبات حكم النبوة له، وصار قوم موسى يذكرونه بصفاته ويعلمون انه يبعث وكانوا يتهددون المشركين به ويقولون يظهر نبي نعته كذا وكذا نستعين به على قتالكم، فلما بعث وجدوا العلامات كلها اخبروا بها فانكروه وقالوا ليس هو هذا بل هو غيره ولكنه سيأتي في آخر الزمان، فلما جنحوا الى الاحتمال واعرضوا عن العمل بالعلامات والدلائل انزلت الايات القرآنية ناعية عليهم هذا الجنوح مثبتة لهم اوصاف الكفار المعاندين ولكن يلزم على قول المخالفين ان يكون اليهود معذورين بالاخذ بذلك الاحتمال، وبالجملة فهذه الشبهة ضعيفة جداً والاجوبة عنها كثيرة.

الامر الثالث في بعض التوقيعات التي وردت من مولانا صاحب الزمان عليه السلام الى بعض علمائنا، قال شيخنا الطوسي •ره) ورد من الناحية المقدسة حرّسه الله تعالى ورعاها في ايام بقيت من صفر المظفر سنة عشرين واربعمائة على الشيخ المفيد ابي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان (ره) ذكر موصله انه تحمله من ناحية متصلة بالحجاز نسخته الاخ السديد والولي الرشيد الشيخ المفيد ابو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان ادام الله اعزازه من مستودع العهد المأخوذ على العباد، بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد سلام الله عليك ايها الولي الملخص في الدين المخصوص فينا باليقين فانا نحمد الله اليك الذي لا اله الا هو ونسأله الصلوة على سيدنا ومولانا ونبينا محمد وآله الطاهرين ونعلمك ادام الله توفيقك لنصرة دين الحق واجزل مثوبتك على نطقك عنّا بالصدق، أنه قد اذن لنا في تشريفك بالمكاتبة وتكليفك فيها ما تؤديه عنّا الى موالينا قبلك أعزهم الله بطاعته وكفاهم المهم برعايته لهم وحراسته، فقف ايدك الله بعونه على اعدائه المارقين عن دينه على ما نذكره، واعمل في تأديته الى من تسكن اليه بما نرسمه ان شاء الله تعالى، نحن وان كنا

ثاوين[٣] بمكاننا النائي عن مساكن الظالمين حسب الذي ارانا الله تعالى لنا من الصلاح ولشيعتنا المؤمنين في ذلك ما دامت دولة الدنيا للفاسقين، فاننا نحيط علماً بأنبائكم ولا يعزب عنّا شيء من اخباركم، ومعرفتنا بالاذلال الذي اصابكم مذ جنح كثير منكم الى ما كان السلف الصالح عنه شاسعاً، ونبذوا العهد المأخوذ منهم وراء ظهوركم كأنهم لا يعلمون، انا غير مهملين لاعانتكم ولا ناسين لذكركم ولولا ذلك لنزل بكم البلوى ولاصطلمكم[٤] الاعداء، فاتقوا الله جل جلاله وظاهروا على انتباشكم[٥] من فتنة تونسها قد اطافت عليكم يهلك فيها من حم[٦] اجله ويحمي عنها من ادرك امله، وهي امارة لازوف حركتنا ومباثتكم ونهينا والله متم نوره ولو كره المشركون اعتصموا بالتقية من شبّ نار الجاهلية يحششها عصب اموية يهول بها فرقة مهدوية انا زعيم بنجاة من لم يرم منكم فيها المواطن الخفية وسلك في الظعن منها السبل المرضية اذا حلّ جمادي الاولى من سنتكم هذه فاعتبروا بما يحدث فيه واستيقظوا من رقدتكم لما يكون في الذي يليه، وسيظهر لكم في السماء آية جليّة ومن الارض مثلها بالسوية، ويحدث بأرض المشرق ما يحزن ويقلق، ويغلب من بعد على العراق طوائف عن الاسلام فراق فضيق بسوء فعالهم على اهله الارزاق، ثم تتفرج الغمة من بعد بوار طاغوت من الاشرار، ثم يسر بهلاكه المتقون الاخيار، وينفق لمن يريد الحج من الافاق مما يأملونه على توفير عليه منهم وانفاق، ولنا في تيسير حجهمّ (حجتهم ظ) على الاختيار منهم والوفاق شأن يظهر على نظام واتساق فليعمل كل امرء منكم بما يقرب به من محبتنا وليجتنب ما يدنيه من كراهتنا وسخطنا، فان امرنا بغتة فجأة حين لا تنفعه توبة ولا ينجيه من عقابنا ندم على حوبة، والله يلهمكم الرشد ويلطف لكم في التوفيق برحمته.

نسخة التوقيع باليد العليا على صاحبها السلام، هذا كتابنا ايها الاخ الولي والمخلص في ودنا الصفي، والناصر لنا الوفي، حرسك الله بعينه التي لا تنام فاحفظ به ولا تظهر على خطّنا الذي سطرناه بما له ضمنّاه احداً، وادّ ما فيه الى من تسكن اليه واوص جماعتهم بالعمل عليه ان شاء الله وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين، وورد عليه كتاب آخر من قبله صلوات الله عليه يوم الخميس الثالث والعشرين من ذي الحجة سنة اثنتي عشرة واربعمائة.

نسخته من عبد الله المرابط في سبيله الى ملهم الحق ودليله بسم الرحمن الرحيم سلام عليك ايها الناصر للحق الداعي ليه بكلمة الصدق، فانا نحمد اليك الله الذي لا اله الا هو الهنا واله آبائنا الاولين، ونسأله الصلوة على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين وعلى اهل بيته الطاهرين،

---

(٣) ثوى بالمكان يثوى ثواء بالد اذا اقام فيه ومنه قوله تعالى: ثاوياً في اهل مدين أي مقيماً عندهم.

(٤) الاصطلام الاستيصال.

(٥) النوش التناول ولطلب والمشي والاسراع في النهوض والنووش القوى والتناوش التناول كالانتياش.

(٦) أي دنا وحضر.

وبعد فانا كنا نظرنا مناجأتك عصمك الله بالسبب الذي وهبه لك من اوليائه، وحرسك من كيد اعدائه وشفعنا ذلك الان من مستقر لنا بلصب (بصلت خ) في شمراخ من بهما صرنا اليه آنفاً من عماليك الجأنا اليه السبادين من الايمان، ويوشك ان يكون هبوطنا منه الى صحيح من غير بعيد من الدهر ولا تطاول من الزمان، ويأتيك نبأ منا بما يتجدد لنا من حال فتعرف بذلك ما نعتمده من الزلفة الينا بالاعمال، والله موفقك لذلك برحمته وليكن حرسك الله بعينه التي لا تنمام ان تقابل لذلك، ففيه تبل نوس قوم حرثت باطلاً لاسترهاب المبطلين ويبتهج لذمارها المؤمنون ويحزن لذلك المجرمون وآية حركتنا من هذه اللوثة الحادثة بالجرم المعظم من رجس منافق مذمم مستحل للدم المحرم، يغمد بكيده اهل الايمان ولم يبلغ بذلك غرضه من الظلم لهم والعدوان لاننا من وراءه حفظهم بالدعاء الذي لا يحجب عن تلك الارض والسماء، فلتطمئن بذلك من اوليائنا القلوب وليتقوا منه بالكفاية منه وان راعتهم به الخطوب والعاقبة فيه بجميع صنع الله سبحانه يكون حميدة لهم بما اجتنبوا المنهي عنه من الذنوب ونحن نعهد اليك ايها الولي المخلص المجاهد فينا الظالمين ايدك الله بنصره الذي ايد به السلف من اوليائنا الصالحين انه من اتقى ربه من اخوانك في الدين واخرج مما عليه الى مستحقيه كان آمنا من الفتنة المضلة ومحتنها المظلمة المضلة، ومن يبخل منهم بما ارعاه الله من نعمته على من امره بصلته فانه يكون خاسراً بذلك لاولاه واخريه (آخرته خ) ولو ان اشياعنا وفقهم الله لطاعته على اجتماع من القلوب في الوفاء بالعهد عليهم لما تأخر عنهم اليمن بلقائنا، ولتعجلت لهم السعادة بمشاهدتنا على حق المعرفة وصدقها بنا منهم، فما يحبسنا عنهم الا ما يتصل بنا ما نكرهه ولا نؤثره منهم والله المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل وصلواته على سيدنا البشير النذير محمد وآله الطاهرين وسلّم وكتب في غرّة شوال اثنتى عشرة واربعمائة.

نسخة التوقيع باليد العليا صلوات الله تعالى على صاحبها، هذا كتابنا اليك ايها الولي الملهم للحق العلي باملائنا وخطّ ثقتنا فاخفه عن كل احد، واطوه واجعل له نسخة تطلع عليها من تسكن الى امانته من اوليائنا شملهم الله ببركاته ودعائنا ان شاء الله والحمد لله والصلوة على محمد وآله الطاهرين، والتوقيعات التي خرجت منه عليه السلام كثيرة جداً حتى لو اريد حصرها لجائت كتاباً كبير الحجم.

وفي توقيعه عليه السلام الى علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي لما كتب اليه يطلب منه الدعاء بحصول ولد فجاء التوقيع، قد قبل الله الدعاء وسيولد لك ولدان فسم احدهما محمداً والاخر حسينا، فرزقه الله سبحانه الولدين كما قال عليه السلام، وكان الصدوق طاب ثراه يذكر ان جميع ذلك التوقيع عنده بخطّ الامام عليه السلام وكان يفتخر به، ويقول اني ولدت بدعاء مولانا صاحب الزمان عليه السلام وله الفخر بذلك.

نور في غيبته عليه السلام

وفي بيان السبب فيها وذكر الجواب عمّا اورد عليها من شبه المخالفين، اعلم ايدك الله تعالى بتوفيقه ان الغيبة المشار اليها انما تكون فرية في الانظار اذا لم يسبق مثلها من حجج الله على الخلق، ومثل هذه الغيبة التي قد وقع النزاع فيها بيننا وبين المخالفين لنا من الزيدية واهل السنة قد وقعت من الانبياء السابقين عليهم السلام.

فأولهم ادريس وآخرهم محمد صلى الله عليه وآله، اما ادريس عليه السلام فقد غاب عن شيعته حتى آل الامر الى ان تعذر عليهم القوت، وقتل الجبار من قتل منهم وافقر واخاف باقيهم ثم ظهر عليه السلام فوعد شيعته بالفرج وبقيام القائم من ولده وهو نوح عليه السلام، ثم رفع الله عز وجل ادريس عليه السلام فلم تزل الشيعة يتوقعون قيام نوح عليه السلام قرناً بعد قرن وخلفاً عن سلف صابرين من الطواغيت على العذاب المهين حتى ظهرت نبوة نوح عليه السلام واما صالح عليه السلام فقد غاب عن قومه زماناً، وكان يوم غاب عنهم كهلاً فلما رجع اليهم لم يعرفوه من طول المدة وما ابراهيم عليه السلام فانَ غيبته تشبه غيبة مولانا القائم عليه السلام لان الله سبحانه غيبَ اثر ابراهيم عليه السلام في بطن امه حتى حوّله عز وجل بقدرته من بطنها الى ظهرها، ثم اخفى امر ولادته الى وقت بلوغ الكتاب اجله، وذلك ان منجم نمرود اخبره بأن مولوداً يولد في ارضنا فيكون هلاكنا على يديه، وكان فيما اوتي المنجم من العلم انه سيحرق بالنار ولم يكن اوتي ان الله تعالى سينجيه، فحجب النساء عن الرجال فلما حملت ام ابراهيم عليه السلام بعث القوابل اليها فلم يعرفن شيئاً من الحمل، فلما ولد ذهبت به امه الى غار ثم ارضعته وجعلت على الباب صخر ثم انصرفت عنه فجعل الله عز وجل رزقه في ابهامه فجعل يمصها ويشرب لبنا وجعل يشب في اليوم كما يشب غيره في الجمعة، فجعل يكبر في الغار ويشب حتى قام بأمر الله تعالى، وقد غاب غيبة أخرى سار فيها بالبلاد.

واما غيبة يوسف عليه السلام فأنها كانت عشرين سنة وكان هو بمصر ويعقوب عليه السلام بفلسطين وبينهما مسيرة تسعة ايام، فاختلف الاحوال عليه في غيبته حتى أنه روى عن الصادق عليه السلام أنه قدم اعرابي على يوسف عليه السلام ليشتري منه طعاماً فباعه، فلما فرغ قال له يوسف عليه السلام اين منزلك قال بموضع كذا وكذا، فقال له اذا مررت بوادي كذا وكذا فقف فناد يا يعقوب فأنه سيخرج اليك رجل عظيم جميل جسيم وسيم، فقل له رايت رجلاً بمصر وهو يقرئك السلام ويقول ان وديعتك عند الله عز وجل لن تضيع، قال فمضى الاعرابي حتى انتهى الى الموضع، فقال لغلمانه احفظوا عليَ الابل ثم نادى يا يعقوب فخرج اليه رجل اعمى طويل جميل يتقي الحايط

بيده حتى اقبل، فقال له الرجل انت يعقوب، فقال نعم فأبلغه ما قال له يوسف قال فسقط مغشاً عليه ثم افاق، فقال له يا اعرابي الك حاجة الى الله عز وجل، فقال نعم اني رجل كثير المال ولي بنت عمَ ليس يولد لي منها فأحب ان تدعو الله عز وجل اني رزقني ولداً قال فتوضأ يعقوب عليه السلام وصلى ركعتين، ثم دعا سبحانه عز وجل فرزق اربعة ابطن او قال ستة في كل بطن ابنان، وكان يعقوب عليه السلام يعلم ان يوسف حي لن يموت وان الله تعالى ذكره سيظهره له بعد غيبته.

والدليل عليه انه لما رجع اليه بنوه يبكون قال لهم يا بني ما لكم تبكون وتدعون بالويل والثبور وما لي لا ارى فيكم حبيبي يوسف؟ قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما انت بمؤمن لنا ولو كنّا صادقين، وهذا قميصه قد اتيناك به، قال القوه اليَ فالقوه على وجهه فخرّ مغشياً عليه، فلما افاق قال لهم يا بني الستم تزعمون ان الذئب اكل حبيبي يوسف، قالوا نعم، قال ما لي لا اشمّ ريح لحمه ومالي ارى قميصه صحيحاً، هبوا ان القميص انكشف من اسفله ارأيتم ما كان في منكبيه وعنقه كيف خلص اليه الذئب من غير ان يخرقه؟ ان هذا الذئب لمكذوب عليه وان ابني لمظلوم، بل سولت لكم انفسكم امراً فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون وتولى عنهم ليلتهم لا يكلمهم، واقبل يرثي يوسف عليه السلام ويقول حبيبي يوسف الذي كنت اوثره على جميع اولادي فاختلس مني حبيبي يوسف الذي كنت ارجوه من بين اولادي فاختلس مني حبيبي الذي كنت اوسدّه يميني وادثره بشمالي فاختلس مني حبيبي يوسف الذي كنت اونس به وحشتي، واصل به وحدتي فاختلس مني حبيبي يوسف ليت شعري في أي الجبال طرحوك او في أي البحار غرقوك، حبيبي يوسف ليتني كنت معك فيصيبني ما اصابك، وقال الصادق عليه السلام ان يعقوب عليه السلام قال لملك الموت اخبرني عن الارواح تقبضها مجتمعة او متفرقة قال فهل قبضت روح يوسف في جملة ما قبضت من الارواح قال لا فعند ذلك قال لبنيه يا بني اذهبوا فتحسسوا[٧] من يوسف واخبه، فحال العارفين في وقتنا هذا بصاحب الزمان عليه السلام حال يعقوب عليه السلام في معرفته بيوسف وغيبته، وحال الجاهلين به عليه السلام وبغيبته والمعاندين في امره حال اخوت يوسف الذين بلغ من جهلهم بأمر يوسف وغيبته ان قالوا لابيهم يعقوب عليه السلام تالله انك لفي ضلالك القديم.

واما غيبة موسى عليه السلام فقد روى عن النبي صلى الله عليه وآله انه لما حضرت يوسف الوفاة جمع شيعته واهل بيته فحمد الله واثنى عليه، ثم حدثهم شدة تنالهم، يقتل فيها الرجال وتشق فيها بطون الحبالى وتذبح الاطفال حتى يظهر الحق في القائم من ولد لاوى بن يعقوب، وهو رجل اسمر

---

(٧) تحسس الخبر : سعى في ادراكه .تحسس الشيء.تعرفه وتطلبه بالحاسة تحسس منه: تخبر خبره.

طويل ونعته لهم بنعته فتمسكوا بذلك ووقعت الغيبة والشدة على بني اسرائيل وهم منتظرون قيام القائم اربعمائة سنة، حتى اذا بشروا بولادته ورأوا علامات ظهوره اشتدت البلوى عليهم وحمل عليهم بالحجارة والخشب، وطلب الفقيه الذي كانوا يستريحون الى احاديثه فاستتر فواسلهم، وقالوا كنّا مع الشدة نستريح الى حديثك، فخرج بهم الى بعض الصحارى وجلس يحدثهم حديث القائم ونعته وقرب الامر وكانت له فترة فبينا هم كذلك اذا طلع عليهم موسى عليه السلام وكان في ذلك الوقت حدث السن وخرج من دار فرعون يظهر النزهة فعدل عن موكبه واقبل اليهم وتحته بغلة وعليه طيلسان خزَ فلما رآه الفقيه عرفه بالنعت فقام اليه واكبّ على قدمه فقبلها.

ثم قال الحمد للع الذي لم يمتني حتى رأيتك فلما رأى الشيعة ذلك علموا انه صاحبهم فأكبوا على الارض شكراً لله عز وجل فلم يزدهم على ان قال ارجوا ان يعجل الله فرجكم ثم غاب بعد ذلك وخرج الى مدينة مدين، فاقام عند شعيب ما اقام فكانت الغيبة الثانية اشد عليهم من الاولى وكانت نيفاً وخمسين سنة. واشتدت البلوى عليهم واستتر الفقيه فبعثوا اليه بأنه لا صبر لنا على استتارك عنّا فخرج الى بعض الصحاري واستدعاهم، وطيّب نفوسهم واعلمهم ان الله عز وجل اوحلى اليه انه مفرج عنهم بعد اربعين سنة، فقالوا بأجمعهم الحمد لله عز وجل، فاوحى الله اليهم قل لهم قد جعلتها ثلاثين سنة لقولهم الحمد لله، فقالوا كل نعمة من الله فاوحى الله اليه قل لهم قد جعلها عشرين سنة فقالوا لا يأتي بالخير الا الله فاوحى الله اليه قد جعلتها عشراً، فقالوا لا يصرف السوء الا الله، فاوحى الله اليه قل لهم لا يبرحوا فقد اذنت في فرجهم فبينما هم كذلك اذ طلع موسى عليه السلام راكباً حماراً، فاراد الفقيه ان يعرّف الشيعة ما يستبصرون به فيه وجاء موسى حتى وقف عليهم فسلّم فقال الفقيه ما اسمك فقال موسى قال ابن من قال ابن عمران، قال ابن من قال ابن قاهب بن لاوى بن يعقوب قال بماذا جئت قال بالرسالة من عند الله عز وجل فقام اليه فقبّل يده، ثم جلس بينهم وطيّب نفوسهم وامرهم امره ثم فرقهم وكان بين ذلك لوقت وبين فرجهم بغرق فرعون اربعون سنة، وقال الصادق عليه السلام في القائم عليه السلام شبه موسى بن عمران وهو خفاء مولده وغيبته عن قومه، فقال له رجل وكم غاب موسى عن اهله وقومه فقال ثمان وعشرون سنة.

وقال الباقر عليه السلام في صاحب هذا الامر اربع سنن من اربعة انبياء سنّة من موسى وسنّة من عيسى وسنّة من يوسف وسنّة من محمد صلى الله عليه وآله فاما من موسى عليه السلام فخائف يترقب واما من يوسف عليه السلام فالسجن، واما من عيسى عليه السلام فيقال انه مات، ولم يمت، واما من محمد صلى الله عليه وآله فالسيف، وفي رواية أخرى ان سنّى من يوسف عليه السلام أنه يعرف الناس والناس لا يعرفونه مثل

يوسف عليه السلام بالنسبة الى اخوته لما وردوا عليه في مصر، واما غيبة اوصياء موسى عليه السلام الى زمان المسيح عليه السلام وذلك انه ورد في الروايات عن الطاهرين عليهم السلام ان يوسع بن نون وصي موسى عليه السلام قام بالامر بعد موته صابراً من طواغيت زمانه على الجهد والبلاء حتى مضى منهم ثلاث طواغيت فقوى بعدهم امره فخرج عليه رجلان من منافقي قوم موسى عليه السلام بصفرا بنت شعيب امرأة موسى عليه السلام في مأة الف رجل فقاتلوا يوشع بن نون عليه السلام فغلبهم، وقتل منهم مقتلة عظيمة وهزم الباقين باذن الله واسر صفرا بنت شعيب، وقال لها قد عفوت عنك في الدنيا الى ان نلقى نبي الله موسى عليه السلام فاشكو ما لقيت منك ومن قومك فقالت صفرا واويلاه والله لو ابيحت لي الجنة لاستحييت ان ارى فيها رسول الله وقد هتكت حجابه عني وخرجت على وصيه بعده.

قول وقد وقع مثل هذا في هذه الامة حذو النعل بالنعل، فان وصي نبي هذه الامة انما استقل بالامر بعد مضى الطواغيت الثلاثة، ولما استقل خرجت عليه اخت صفراء وهي حميراء اخرجها المنافقان الى ان اسرها علي عليه السلام في حرب البصرة ولكن الفرق بين الامرأتين بأن الاولى ندمت على ما فعلته والثانية لم تندم.

ثم ان الائمة عليهم السلام قد استتروا بعد يوشع الى زمان داود عليه السلام اربعمائة سنة وكانوا احد عشر فكان قوم كل واحد منهم يختلفون اليه ويأخذون منه معالم دينهم حتى انتهى الامر الى آخرهم فغاب عنهم ثم ظهر وبشرهم بداود عليه السلام واخبرهم ان داود عليه السلام هو الذي يأخذ الملك من جالوت وجنوده ويكون فرجهم في ظهوره وكانوا ينتظرونه فلما كان زمان داود عليه السلام كان له اربع اخوة ولهم اب شيخ كبير وكان داود عليه السلام من بينهم خامل الذكر وهو اصغرهم فخرجوا الى قتال جالوت مع طالوت، وخلّفوا داود يرعى الغنم تحقيراً لشأنه فلما اشتدت الحرب واصاب الناس جهد، رجع ابوه وقال لداود احمل الى اخوتك طعاماً فخرج داود والقوم متقاربون فمر داود على حجر فناداه يا داود خذني فاقتل بي جالوت فاني خلقت لقتله فأخذه ووضعه في مخلاته التي كانت تكون فيها حجارته التي كان يرمي بها غنمه.

فلما دخل العسكر رآهم يعظمون امر جالوت فقال لهم ما تعظمون من امره فوالله لئن عاينته لاقتلنه فأدخلوه على طالوت فقال له يا فتى ما عندك من القوة قال قد كان الاسد يعدو على الشاة من غنمي فأدركه وافكَ لحييه من الشاة واخلصها من فيه وقد كان الله اوحى الى طالوت انه لا يقتل جالوت الا من لبس درعك فملأها فدعا بدرعه فلبسها داود فاستوى عليه فراه ذلك طالوت ومن حضره من بني اسرائيل فلما اصبحوا والتقى الناس قال داود اروني جالوت فلما رآه أخذ الحجر فرماه فصكّ بين عينيه وقتله فقال الناس قتل داود جالوت فاجتمعت عليه بنو اسرائيل وانزل الله سبحانه عليه الزبور وليّن له الحديد وامر الجبال

والطيران ان تسبح معه، واعطاه صوتاً لم يسمع بمثله حسناً واقام في بني اسرائيل نبياً وهكذا يكون سبيل القائم عليه السلام فان له سيفاً مغمداً اذا حان وقت خروجه اقتلع ذلك الشيف من غمده وانطقه الله عز وجل فناداه السيف اخرج يا ولي الله فلا يحل لك ان تقعد عن اعداء الله فيخرج فيقتلهم.

ثم ان داود عليه السلام اراد ان يستخلف سليمان لان الله عز وجل اوحى اليه يأمره بذلك فلما اخبر بني اسرائيل ضجّوا من ذلك وقالوا تستخلف علينا حدثاً وفينا من هو اكبر منه فدعا اسباط بني اسرائيل وقال لهم قد بلغني مقالتكم فاروني عصيكم فأي عصاً اثمرت فصاحبها ولي الامر من بعدي، فقالوا رضينا فقال ليكتب كل واحد منكم اسمه على عصاه فكتبوا، ثم جاء سليمان عليه السلام فكتب عليها اسمه ثم ادخلت بيتاً واغلق الباب وحرسته رأوس اسباط بني اسرائيل فلما اصبح فتح الباب فاخرج عيصهم وقد اورقت وعصى سليمان قد اثمرت فسلموا ذلك لداود فقال ان هذا خليفتي من بعدي ثم اخفى سليمان بعد ذلك امره وتزوج بامرأة واستتر عن شيعته ما شاء الله، ثم ان امرأته قالت له ذات يوم بأبي انت وامي ما اكمل خصالك واطيب ريحك ولا اعلم لك خصلة اكرهها الا انك في مؤنة ابي فلو دخلت السوق فتعرضت لرزق الله رجوت ان لا يخيبك فقال لها سليمان اني والله ما عملت عملاً قطّ ولا احسنه فدخل السوق يومه ذلك فرجع ولم يصب شيئاً فقال لها ما اصبت شيئاً قالت لا عليك ان لم يكن اليوم غداً، فلما كان من الغد خرج الى السوق فجال يومه فلم يقدر على شيء فرجع فأخبرها فقالت يكون غداً ان شاء الله تعالى فلما كان اليوم الثالث مضى حتى انتهى الى ساحل البحر فاذا هو بصياد، فقال له هل لك ان اعينك وتعطينا شيئاً قال نعم فأعانه فلما فرغ اعطاه الصياد سمكتين فأخذها وحمد الله عز وجل ثم انه شقّ بطن احديهما فاذا هو بخاتم في بطنها فأخذه فصيّره في ثوبه وحمد الله عز وجل واصلح السمكتين وجاء بهما الى منزله ففرحت امرأته بذلك فرحاً شديدة وقالت له اني اريد ان تدعو والديّ حتى يعلما انك قد كسبت فدعاهما فأكلا معه فلما فرغوا قال لهم هل تعرفوني قالوا لا والله الا انا لم نر خيراً منك قال فاخرج خاتمه فلبسه فخرّ عليه الطير والريح وغشيه الملك، وحمل الجارية وابويه الى بلاد اصطخر واجتمعت عليه الشيعة، واستبشروا به ففرج الله عنهم مما كانوا فيه من حيرة غيبته فلما حضرته الوفاة اوصى الى آصف بن برخيا بأمر الله تعالى فلم يزل بينهم يختلف اليه الشيعة ويأخذون منه معالم دينهم ثم غيب الله تعالى آصف غيبة طال امدها ثم ظهر لهم فبقى بين قومه ما شاء الله ثم انه ودعهم فقالوا له اين الملتقى؟ قال على الصراط وغاب عنهم ما شاء الله فاشتدت البلوى على بني اسرائيل بغيبته وتسلّط عليهم بخت نصّر فجعل يقتل من يظفر به منهم

ويطلب من يهرب ويسبى ذراريهم فاصطفى من السبي من اهل بيت يهود اربعة نفر فيهم دانيال، وصاطفى من ولد هارون عزيراً وهم حينئذ صبية صغار فمكثوا في يده وبنو اسرائيل في العذاب المهين والحجة دانيال عليه السلام اسير في يد بخت نصّر تسعين سنة فلما عرف فضله وسمع ان بني اسرائيل ينتظرون خروجه ويرجون الفرج في ظهوره، وعلى يده امر انيجعل في جبّ عظيم واسع، ويجعل مه الاسد ليأكله فلم يقربه وامر ان لا يطعم وكان الله تبارك وتعالى يأتيه بطعامه وشرابه على يدي نبي من انبيائه فكان دانيال يصوم النهار ويفطر بالليل على ما يدلى اليه من الطعام، واشتدت البلوى على شيعته وقومه المنتظرين لظهوره وشكّ اكثرهم ي الدين لطول الامد، فلما تناهى البلا بدانيال عليه السلام وقومه رأى بخت نصّر في المنام كأن ملائكة السماء هبطت الى الارض افواجاً الى الجبّ الذي فيه دانيال مسلّمين عليه يبشرونه بالفرج، فلما اصبح ندم على ما أتى الى دانيال فأمر بأن يخرج من الجب فلما خرج اعتذر اليه ما ارتكب منه ثم فوّض اليه النظر في امور ممالكه والقضاء بين الناس، فظهر من كان مستتراً من بني اسرائيل ورفعوا رؤوسهم واجتمعوا الى دانيال عليه السلام موقنين بالفرج فلم يلبث الا القليل على تلك الحال، وافضى الامر بعده الى عزير، فكانوا يجتمعون اليه ويأنسون به، ويأخذون منه معالم دينهم فغيّب الله عنهم شخصه مأة عام ثم بعثه وغابت الحجج بعده، واشتدت البلوى على بني اسرائيل حتى ولد يحيى بن زكريا عليهما السلام وترعرع، فظهر وله تسع سنين، فقام في الناس خطيباً فحمد الله واثنى عليه وذكرهم بأيام الله عز وجل واخبرهم ان من محن الصالحين انما كانت لذنوب بني اسرائيل وان العاقبة للمتقين، ووعدهم الفرج بقيام المسيح عليه السلام بعد نيف وعشرين سنة من هذا القول.

فلما ولد المسيح عليه السلام اخفي الله ولادته، وغيّب شخصه لان مريم عليها السلام لما حملته انتبذت به مكاناً قصيّاً[٨] ثم ان زكريا عليه السلام وخالتها اقبلا يقفيان اثرها حتى هجما عليها، وقد وضعت ما في بطنها وهي تقول يا ليتني متّ قبل هذا وكنت نسياً منسياً فاطلق الله تعالى ذكره لسانه بعذرها واظهار حجتها فلما ظهر اشتدت البلوى والطلب على بني اسرائيل واكبّ الجبابرة والطواغيت عليهم حتى كان من امر المسيح عليه السلام ما قد اخبر الله به واستتر شمعون بن حمون والشيعة، ثم افضى بهم الاستتار الى جزيرة من جزائر البحر، فاقاموا بها ففجر الله لهم فيها العيون العذبة، واخرج لهم من كل الثمرات وجعل لهم فيها الماشية، وبعث اليهم سمكة تدعى القمل لا لحم لها ولا عظم وانما هي جلد ودم، وخرجت من البحر واوحى الله عز وجل الى النحل ان يركبها، فركبتها فأتت بالنحل الى تلك الجزيرة، ونهض النحلة وتعلّق بالشجر، فغرس وبنى وكنز العسل، ولم يكونوا يفقدون شيئاً من اخبار المسيح عليه السلام.

---

(٨) أي مكانا بعيداً.

واما المسيح عليه السلام فقد روى انه كان له غيبات يسبح فيها في الارض فلا يعرف قومه وشيعته خبره، ثم ظهر فأوصى الى شمعون بن حمون عليه السلام فلما مضى شمعون غابت الحجج بعده واشتد الطلب وعظمت البلوى ودرس الدين، واميتت الفروض والسنن فذهب الناس يميناً وشمالاً لا يعرفون اياً من أي فكانت مأتين وخمسين سنة، وقال الصادق عليه السلام كان بين عيسى وبين محمد صلوات الله عليهما خمسمائة عام، منها مأتين وخمسون عاماً ليس فيها نبي ولا عالم ظاهر قلت فما كانوا قال كانوا متمسكين بدين عيسى عليه السلام واما النبي صلى الله عليه وآله فغيبته المشهورة قد كانت في الغار، وكل المسلمين اطبقوا على انّغيبته في الغار انما كانت تقية من المشركين وخوفاً على نفسه حتى انه لو لم يذهب الى الغار لقتلوه، لانهم قد كانوا مهدّوا له القتل، وسوّل لهم الشيطان وعلّمهم لطائف الحيل في قتله، وأخذ معه ابا بكر خوفاً منه لئلا يدلّ على الناس عليه كما قالوه في كتبهم.

وروى سعد بن عبد الله القمي قال بليت بأشد النواصب منازعة فقال لي يوماً ان الصديق فوق الصحابة بسبب سبق الاسلام الا تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وآله انما ذهب به ليلة الغار لانه خاف عليه كما خاف على نفسه، ولما علم انه يكون الخليفة في امته واراد ان يصونه كما يصون صلى الله عليه وآله خاصة نفسه كيلا يختلّ حال الدين من بعده ويكون الاسلام منتظماً وقد انام علياً على فراشه، لما كان في علمه انه لو قتل لا يختل الاسلام لقتله لانه يكون من الصحابة من يقوم مقامه لا جرم لم يبال من قتله، فأتى سعد بهذه المسألة مع عدة مسائل، ودخل على مولانا الحسن العسكري عليه السلام وكان صاحب الزمان عليه السلام طفلاً يلعب بين يديه فأمر الحسن العسكري عليه السلام ذلك الطفل ان يجيب عن تلك المسائل.

فأجاب حتى انتهى الى هذه المسألة فقال يا سعد من ادعى ان النبي صلى الله عليه وآله وهو خصمك ذهب بمختار هذه الامة مع نفسه الى الغار فانه خاف عليه كما خاف على نفسه لما علم انه الخليفة من بعده على امته لانه لم يكن من حكم الاختفاء ان يذهب بغيره معه وانما اقام علياً عليه السلام على مبيته لانه علم انه ان قتل لا يكون من الخلل بقتله ما يكون بقتل ابي بكر، لانه يكون لعلي من يقوم مقامه في الامور لم لم تنتقض عليه بقولك اولستم تقولون ان النبي صلى الله عليه وآله قال ان الخلافة من بعدي ثلاثون سنة وصيرها موقوفة على اعمار هذه الاربعة ابي بكر وعمر وعثمان وعلي فانهم كانوا على مذهبكم خلفاء رسول الله صلى الله عليه وآله فان خصمك لم يجد بداً من قوله بلى، ثم قل له فاذا كان الامر كذلك فكما كان ابو بكر الخليفة من بعده كان هذه الثلثة خلفاء امته من بعده، فلم ذهب بخليفة واحد وهو ابو بكر الى الغار ولم يذهب بهذه، فعلى هذا الاساس يكون النبي صلى الله عليه وآله مستخفاً بهم دون ابي بكر، فأنه يجب عليه ان يفعل بهم ما فعل بأبي بكر فلما

لم يفعل ذلك بهم يكون متهاوناً بحقوقهم وتاركاً للشفقة عليهم بعد ان كان يجب عليه ان يفعل بهم جميعاً على ترتيب خلافتهم كما فعل بأبي بكر الحديث.

وبالجملة فغيبة هؤلاء الانبياء والاوصياء كما لا تقدح في نبوتهم ووصايتهم، كذلك غيبة مولانا صاحب الزمان عليه السلام مع قوله صلى الله عليه وآله يجرى في هذه الامة ما جرى في الامم السابقة، حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة، ولم تقع غيبة لوصي في الامة الا به عليه السلام وقد نقل مخالفونا هذا الحديث وصححوه وكذلك هو عندنا صحيح ايضاً، وهو قوله صلى الله عليه وآله من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية فاضطروا الى بيان المراد من الامام فيه فاكثرهم قالوا ان المراد به سلاطين العصر والحكام لانهم المراد بزعمهم من قوله تعالى ﴿اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم﴾ سواء كانوا فجّارا او كفاراً، فمن مات ولم يعرف حاكم عصره الفاسق المتجاهر باللواطة وشرب الخمور وسفك الدماء وانواع الظلم والجور مات على دين الكفر والضلال، ونحن نقول لهم ان فائدة معرفة مثل هذا السلطان المأمور بها المؤكدة بانواع التأكيد ما المراد منها، ان كان المراد منها الرجوع اليه في الاحكام الشرعية والعمل بأقواله وافعاله فقد عرفت أنه جاهل فاسق لا يعرف الاحكام ولا يعمل بها ولا يأمر بها بل هو تايه في غيّه يأمر الناس بمثل افعاله كما هو المشاهد من سلاطين عصرنا من الشيعة واهل السنة، فان من وافقهم على شرب الخمور ونحوها رفعوا درجته واقبلوا عليه بانواع اللطف ومن لم يوافقهم ابعدوه عنهم، وان كان المراد مجرّد معرفته وكونه فلان بن فلان من غير فائدة تترتب عليها فهذا محال في العقول.

وبعض المخالفين لما تفطن لما قلناه قال المراد من الامام في الحديث هو كتاب الله فاضطره الامر الى ان الظاهر من الحديث ومن قوله امام زمانه هو التغيّر والتبدّل على ذلك الامام لانه لم يقل من مات ولم يعرف الامام فتحيّر في المراد من الخبر ولقى الله سبحانه على تلك الحيرة، وهذا شأن علمائهم واهل مذهبهم.

وقد نقل لي انّ الفاضل الدواني صاحب حاشية القديم كان يدرّس في الاحاديث فلما وصل الى هذا الحديث قال لتلامذته ما المراد من الامام هنا فقد قالت الشيعة هو المهدي الان وانتم أي شيء تقولون؟ فقالوا المراد سلطان العصر، وهو الحاكم كما هو مذهبهم، وسلطان ذلك العصر من سلسلة الصفوية وهو الشاه اسماعيل عليه الرحمة والرضوان وهو شيعي، والدواني وتلامذته كانوا من المخالفين، فقال لهم اذن قد اوجب الله علينا معرفة هذا السلطان الرافضي والعمل باقواله، وهو بالفعل يأمرنا بترك هذا الدين والدخول في دين الشيعة فيجب علينا متابعة وقبول قوله، ثم انه غضب من هذا الدين، والدخول في دين الشيعة فيجب علينا

متابعته وقبول قوله، ثم انه غضب من كلامهم وهو ايضاً حيران لم يهتد الى المراد من الامام، فقام من مجلس الدرس وحلف أنه لا يعود الى تدريس الحديث فلزم علم الحكمة ومباحثته ومدارسته، واعتقاد ما يعتقدونه فتاب من الكفر ودخل في الزندقة.

ولما أتى اسماعيل اعلى الله مقامه الى شيراز، وكان اكثر علمائها من المخالفين احضرهم وامرهم بلعن المتخلفين الثلاثة، فامتنعوا عن اللعن لان التقية لا تجوز عندهم في اللعن واضرابه، فأمر بقتلهم ثم قيل له ان واحداً من افاضلهم، وهو شمس الدين الخفري صاحب الحاشية على الهيات التجريد قد بقى فأرسل اليه وامره بلعن الثلاثة فلعنهم لعناً شنيعاً فسلم من القتل ولما خرج من عنده استقبله اهل نحلته، وقالوا كيف ارتددت عن دينك ولعنت ائمتك الثلاثة، فاجابهم بالفارسية (يعني ازبراي دوسه عرب كون برهنه مرد فاضلى همجو من كشته شود) يعني لاجل خاطر هؤلاء الاعراب الثلاثة مكشوف الدبر اقتل انا مع ما انا عليه من الفضل والكمال، وهذا حالهم لانهم يلعنون ائمتهم اذا اعطوا درهماً و اقل منه كما شاهدناهم في النجف الاشرف والحلة وغيرها.

ومما يناسب هذا المقام كلام ذكره علي بن طاووس (ره) في بعض كتبه وحاصله انه اجتمع يوماً في بغداد مع فضلائها، فانجرّ الكلام بينهما الى ذمر المهدي عليه السلام وما يدعيه الامامية من حيوته في هذه المدة الطويلة فشنَع ذلك الفاضل على من يصدّق بوجوده، ويعتقد طول عمره الى ذلك الزمان وانكره انكاراً شديداً بليغاً.

قال السيد (ره) فقلت له انك تعلم انه لو حضر اليوم رجل وادّعى أنه يمشي على الماء لاجتمع لمشاهدته كل اهل البلد، فاذا مشى على الماء وعاينوه وقضوا تعجبهم منه، ثم جاء في اليوم الثاني آخر وقال انا امشي على الماء ايضاً، فشاهدوا مشيه عليه لكان تعجبهم اقل من الاول، فاذا جاء في اليوم الثالث آخر وادّعى انه يمشي على الماء فربما لا يجتمع للنظر اليه الاّ قليلاً ممن شاهد الاولين فاذا مشى سقط التعجب بالكلية، فاذا جاء رابع وقال انا ايضاً امشي على الماء كما مشوا فاجتمع عليه جماعة ممن شاهدوا الثلاثة الاول ثم اخذوا ليتعجبوا (يتعجبون خ) منه تعجباً زايداً على تعجبهم من الاول والثاني والثالث لتعجب العقلاء من نقص عقولهم وخاطبوهم بما يكرهون، وهذا بعينه حال المهدي عليه السلام فانكم رويتم ان ادريس حيّ موجود في السماء من زمانه الى الان ورويتم ان الخضر كذلك في الارض حي موجود من زمنه الى الان، ورويتم ان عيسى عليه السلام حيّ موجوده في السماء، وأنه سيعود الى الارض اذا ظهر المهدي، ويقتدى به، فهذه ثلاثة نفر من البشر قد طالت اعمارهم زيادة على المهدي عليه السلام فكيف لا تتعجبون منهم ويتعجبون من ان يكون لرجل من ذرية النبي صلى الله عليه وآله اسوة بواحد منهم،

وتنكرون ان يكون من جملة آياته ﷺ ان يعمّر واحد من عترته وذريته زيادة على ما هو المتعارف من الاعمار في هذا الزمان والله الهادي، والحق ان بعض اهل الانصاف منهم قد اعترف بوجوده في ظاهر كلامه.

قال محي الدين الاعرابي[٩] في كتاب الفتوحات المكية ان لله خليفة يخرج من عترة رسول الله ﷺ من ولد فاطمة عليها السلام، يواطي اسمه اسم رسول الله ﷺ جدّه الحسين بن علي صلوات الله عليهم يبايع بين الركن والمقام يشبه رسول الله ﷺ في الخلق بفتح الخاء.وينزل عنه في الخلق بضم الخاء اسعد الناس اليه (به) اهل الكوفة يعيش خمساً او سبعاً او تسعاً، يضع الجزية ويدعو الى الله بالسيف، ويرفع المذاهب عن الارض فلا يبقى الا الدين الخالص اعداؤه مقلّدة العلماء اهل الاجتهاد لما يرونه يحكم بخلاف ما ذهب اليه ائمتهم، فيدخلون كرهاً تحت حكمه خوفاً من سيفه يفرح به عامة المسلمين اكثر من خواصهم يبايعوه العارفون من اهل الحقائق عن شهود وكشف بتعريف الهلي، له رجال الهيون يقيمون دعوته وينصرونه، ولولا ان السيف بيده لافتى الفقهاء بقتله، ولكن الله يظهره بالسيف والكرم فيطمعون ويخافون ويقبلون حكمه من غير الايمان ويضمرون خلافه، ويعتقدون فيه اذا حكم فيهم بغير مذهب ائمتهم أنه على ضلال في ذلك لانهم يعتقدون ان اهل الاجتهاد وزمانه قد انقطع وما بقى مجتهد في العالم، وان الله لا يوجد بعد ائمتهم احداً له درجة الاجتهاد، واما من يدعي التعريف الالهي بالاحكام الشرعية فهو عندهم مجنون فاسد الخيال انتهى. وهو كلام انيق بل ربما لاح منه حسن الاعتقاد، والرد على اهل الرأي والقياس كأبي حنيفة واضرابه، ولكنّ الظاهر أنه كان خال من التعصب، وان كان صاحبه منهم.

واما شبه المخالفين التي اوردوها، في هذا المقام فهي انواع الاولى قولهم ما الوجه في غيبته على الاستمرار والدوام، حتى صار ذلك سبباً لانكار وجوده، ونفي ولادته وآباؤه عليهم السلام وان لم يظهروا الدعاء الى نفوسهم فيما يتعلق بالامامة فقد كانوا ظاهرين يفتون في الاحكام لا يمكن احداً نفي وجودهم وهذه المسألة ربما سأل عنها الشيعة ايضاً لكن سؤالهم على وجه الاستفهام والاستعلام، وسؤال المخالفين عنها على وجه النفي والانكار، والجواب عن هذه المسألة بوجوه:

الاول: ما ذكره سيدنا الاجل المرتضى قدس الله روحه، حيث قال ان النقل اذا دلّ على وجوب الامامة وانّ كل زمان كلّف فيه المكلفون، الذين يقع منهم القبيح والحسن ويجوز عليهم

---

(٩) كذا في النسخ والظاهر ان الصحيح: العربي.

الطاعة والمعصية لا يخلو من امام لانَ خلوّه من الامام اخلال بتمكينهم، وقادح في حسن تكليفهم.

ثم دلَ العقل على ان ذلك الامام لا بدَ ان يكون معصوماً من الخطل مأموناً منه كل قبيح وثبت ان هذه الصفة التي دلَ العقل على وجوبها، لا توجد الا فيمن يدَعي الامامية امامته وتعرى منها كل من يدعي له الامامة سواه فالكلام في علّة غيبته وسببها واضح بعد ان تقررت امامته لانا اذا علمنا انه الامام دون غيره ورأيناه غائباً عن الابصار علمنا انه لم يغب مع عصمته وتعيَن فرض الامامة فيه وعليه الا لسبب اقتضى ذلك ومصلحة استدعته، ضرورة حملته عليه، وان لم نعلم وجهه على التفصيل، لان ذلك مما لا يلزم علمه وجرى الكلام في الغيبة ووجهها مجرى العلم بمراد الله تعالى، من الايات المتشابهات في القرآن التي ظاهرها الجبر او التشبيه، فانا نقول اذا علمنا حكم (حكمة خ) الله سبحانه وأنه لا يجوز ان يخبر بخلاف ما هو عليه من الصفات، علمنا على الجملة انَ لهذه الايات وجوهاً صحيحة بخلاف ظاهرها، يطابق مدلولة ادلّة العقل وان غاب عنّا العلم بذلك مفصلاً، فان تكلفنا الجواب عن ذلك وتبرعنا بذكره فهو فضل منّا غير واجب، وكذلك الجواب لمن سأل عن الوجه في ايلام الطفل وجهة المصلحة في رمي الجمار والطواف بالبيت، وما اشبه ذلك من العبادات على التفصيل والتعيين، فاذا عولّنا على حكمة القديم سبحانه وأنه لا يجوز ان يفعل قبيحاً فلا بدَ من وجه حسن في جميع ذلك وان جهلنا بعينه وليس يجب علينا بيان ذلك الوجه وانه ما هو وفي هذا سدّ الباب على مخالفينا في سؤالاتهم وقدع التطويلات عنهم، الا اننا تبرعنا بإيراد الوجه في غيبته عليه السلام على سبيل الاستظهار وبيان الاقتدار وان كان ذلك غير واجب علينا في حكم النظر والاعتبار.

والذي يدل على هذا الوجه ما رواه عبد الله بن الفضل الهاشمي قال سمعت الصادق عليه السلام يقول ان لصاحب هذا الامر غيبة لا بدَ منها يرتاب فيها كل مبطل، فقلت له فلم جعلت فداك قال الامر لم يؤذن لنا في كشفه لكم، قلت فما وجه الحكمة في غيبته قال وجه الحكمة في غيبته وجه الحكمة في غيبات من تقدمه من حجج الله تعالى ذكره، ان وجه الحكمة في ذلك لا ينكشف الا بعد ظهوره كما لم ينكشف وجه الحكمة لمّا اتاه الخضر عليه السلام من خرق السفينة وقتل الغلام واقامة الجدار لموسى عليه السلام الى وقت افتراقهما، يا ابن الفضل ان هذا الامر امر من الله، وسرَ من سر الله وغيب من غيب الله، ومتى علمنا أنه عز وجل حكيم صدّقنا بأن افعاله كلها حكمة وان كان وجهها غير منكشف.

الوجه الثاني: ما ذكره سيدنا المرتضى ايضاً، وهو أنه انما غاب لخوفه على نفسه ومن خاف على نفسه احتاج الى الاستتار فأما لو كان خوفه على ماله او على الاذى على نفسه،

الشبهة الثانية قولهم، اذا كانت العلة في غيبة الامام خوفه من الظالمين واتقاؤه من المخالفين، وهذه العلة منفية عن اوليائه فيجب ان يكون ظاهراً لهم، او يسقط عنهم التكليف الذي امامته لطف فيه، وقد اجاب الاصحاب رضوان الله عليهم عن هذه الشبهة بأمور.

الاول ان غيبته عن اوليائه ليس لعلة الخوف، مثل اعدائه بل لخوف من اشاعتهم خبره، والتحدث منهم بذلك على وجه التشرف بذكره، والاحتجاج بوجوده، فيؤدى ذلك الى علم اعدائه بمكانه فيعقب علمهم بذلك ما ذكرناه من وقوع الضرر به.

الثاني ان غيبته عن اعدائه للتقية منهم، وغيبته عن اوليائه للتقية عليهم، والاشفاق من وقوع الضرر بهم، اذ لو ظهر للقائلين بامامته، وشاهده بعض اعدائه، واذاع خبره طولب اوليائه به اذا فات الطالب بالاستتار اعقب ذلك عظيم المكروه والضرر باوليائه وهذا معروف بالعادات.

الثالث ان في القائلين بامامته من لا يرجع عن الحق وعن اعتقاد امامته والقول بصحتها على حالة من الاحوال، فأمره الله تعالى بالاستتار ليكون المقام على الاقرار بامامته مع الشبهة في ذلك وشدَة المشقة اعظم ثواباً منه على الاقرار بامامته مع المشاهدة له فكانت غيبته عن اوليائه لهذا الوجه، ولم يكن التقية عندهم، ويؤيده قوله تعالى في اول سورة لبقرة ﴿الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون﴾ فان المراد بالغيب على ما وقع في الاخبار المستفيضة هو الامام الغائب عن انظارهم، فقد مدحهم الله سبجحانه على هذه الخصلة، وفي الحديث ان واحداً من الصحابة قال للنبي ﷺ افضل الناس اصحابك يا رسول الل؟ فقال ﷺ لا بل افضل الناس قوم يؤمنون بسواد على بياض لان الحجة تغيب عنهم، وقال عليه السلام اذا غاب الحجة فالقابض على دينه كالقابض[10] على جمر الغضا لان الايمان في حالة الامتحان والشدة اكثر ثواباً من غيره كما قال الصادق عليه السلام والله لتبلبلنَ بلبلة ولتغربلن غربلة ولتساطن سوط القدر فيجعل اعلاكم اسفلكم واسفلكم اعلاكم.

الرابع وهو الذي عوّل عليه المرتضى قدس الله روحه حيث قال اولاً انا لا نقطع على أنه لا يظهر لجميع اوليائه فان هذا امر مغيب عنّا ولا يعرف كل منا الا حال نفسه فاذا جوّزنا ظهوره لهم كما جوزنا غيبته عنهم فنقول في علة عنهم ان الامام عليه السلام عند ظهوره من الغيبة انما يميز شخصه ويعرف عينه بالمعجز الذي يظهر على يديه لان النصوص الدالة على امامته لا تميّز شخصه عن غيره كما ميزّت اشخاص آبائه عليهم السلام والمعجز انما يعلم دلالته بضرب من الاستدلال

---

(١٠) الغضا شجر من الاثل خشبة من اصلب الخشب وجمرة يبقى زمناً طويلاً لاينطفئ الواحدة منه غضاة.

والشبهة تدخل في ذلك فلا يمتنع ان يكون كل من لم يظهر له من اوليائه فانّ (ان ظ) المعلوم من حاله أنه متى ظهر له قصّر في النظر في معجزه ولحق بهذا التقصير بن يخاف منه من الاعداء.

الشبهة الثالثة قال المخالفون اذا كان الامام غائباً بحيث لا يصل اليه احد من الخلق ولا يتنفع به فما الفرق بين وجوده وعدمه وهلاّ جاز ان يميته الله او يعدمه حتى اذا علم ان الرعية تمكنه وتسلّم له اوجده او احياه كما جاز ان يبيحه الاستتار حتى يعلنم منها التمكين له فيظهره والجواب عن هذه الشبهة بوجوه، احدها انا لا نقول ولا نقطع على ان الامام عليه السلام لا يصل اليه احد فهذا امر غير معلوم ان كثيراً من الناس من العامة والخاصة قدر رآه وانتفع منه نوعاً من الانتفاع سواء عرفه وقت الرؤية او لم يعرفه لكن ظهر له بالقرائن المفيدة للقطع بعد الرؤية ان ذلك هو الامام عليه السلام نقل صاحب كشف الغمة حكاية وقعت في زمانه قال كان في بلاد الحلة شخص يقل له اسماعيل بن الحسن الهرقلي من قرية يقل لها هرقل قال أنه مات في زماني وما رأيته لكن حكى لي ولده شمس الدين قال حكى لي والدي أنه خرج فيه وهو شاب على فخذه الايسر توثة مقدار قبضة الانسان وكانت في كل ربع تنشق ويخرج منها دم وقيح يقطعه المها عن كثير من اشغاله وكان مقيماً بهرقل فحضر الى الحلة يوماً ودخل الى مجلس السعيد رضي الدين علي بن طاووس رحمة الله عليه وشكى اليه ما يجد وقال اريد ان اداويها فاحضر له اطباء الحلة واراهمل الموضع فقالوا هذه الجراحة فوق العرق الاكحل وعلاجها خطر ومتى قطعت خيف ان ينقطع العرق فيموت فقال له السيد رضي الدين انا متوجه الى بغداد وربما كان اطباؤها اعرف واحذق من هؤلاء فاصحبني فاصعد معه فاحضر الاطباء فقالوا كما قال اولئك فضاق صدره فقال له السعيد ان الشرع قد فسح لك في الصلوة في هذه الثياب وعليك الاجتهاد في الاحتراس ولا تغزر بنفسك فالله تعالى قد نهى عن ذلك ورسوله.

فقال والدي اذا كان الامر همذا وقد حصلت في بغداد فاتوجه الى زيارة المشهد الشريف بسر من رأى على مشرفه السلام ثم انحدر الى اهلي فحسن له ذلك فترك ثيابه ونفقته عند السعيد رضي الدين قال زرت المشهد ونزلت السرداب واستغثت بالله تعالى وبالامام عليه السلام وقضيت بعض الليل في السرداب وبقيت في المشهد الى الخميس ثم مضيت الى دجلة واغتسلت ولبست ثوباً نظيفاً وملأت ابريقا كان معي وصعدت اريد المشهد فرأيت اربعة فرسان خارجين من باب السور وكان حول المشهد قوم من الشرفاء قوم يرعون اغنامهم حسبتهم منهم وفيهم شيخ منقب بيده رمح ومنهم فارس عليه فرجية ملونة فوق السيف وهو متحنّك فوقف الشيخ صاحب الرمح يمين الطريق ووضع كعب رمحه في الارض ووقف شابان عن يسار الطريق وبقى صاحب الفرجية على الطريق مقابل والدي ثم سلموا عليه فرد عليهم السلام، فقال له صاحب الفرجية

انت غداً تروح الى اهلك فقال له نعم فقال تقدم حتى ابصر ما يوجعك قال فكرهت ملامستهم وقلت اهل البادية ما يكادون يتحرزون من النجاسة وانا قد خرجت من الماء وقميصي مبلول، ثم اني مع ذلك تقدمت اليه فلزمني بيدي ومدني اليه وجعل يلمس جانبي من كتفي الى ان اصابت يده توثة فعصرها بيده فاوجعني ثم استوى في سرج فرسه كما كان فقال لي الشيخ افلحت يا اسماعيل فتعجبت من معرفته باسمي فقلت افلحنا وافلحتم ان شاء الله.

قال فقال هذا هو الامام قال فتقدمت واحتضنته وقبّلت فخذه ثم أنه ساق وانا وامشي معه محتضنة فقال ارجع فقلت لا افارقك ابداً فقال المصلحة رجوعك فأعدت عليه مثل القول الاول، فقال الشيخ يا اسماعيل اما تستحي يقول لك الامام مرتين ارجع وتخالفه فجبهني بهذا القول فوقفت وتقدم خطوات والتفت اليّ وقال اذا وصلت بغداد فلا بد ان يطلبك ابو جعفر يعني الخليفة المستنصر فاذا حضرت عنده واعطاك شيئاً فلا تأخذه وقل لولدنا الرضي ليكتب لك الى علي بن عوض فأنني اوصيه يعيطك الذي تريد ثم سار واصحابه معه فلم ازل قائماً ابصرهم حتى بعدوا وحصل عندي اسف لمفارقته فقعدت على الارض ساعة ثم مشيت الى المشهد فاجتمع القوم حولي وقالوا نرى وجهك متغيراً اوجعك شيء قلت لا قالوا خاصمك احد قلت لا ليس عندي مما تقولون خبر لكن اسألكم هل عرفتم الفرسان الذين كانوا عندكم فقالوا هم الشرفاء ارباب الغنم فقلت لا بل هو الامام ﷺ فقالوا الامام هو الشيخ او صاحب الفرجية الملونة قلت بل صاحب الفرجية فقالوا أريته المرض الذي فيك؟ فقلت هو قبضه بيده واوجعني ثم كشفت رجلي فلم ار ذلك المرض فتداخلني الشكّ من الدهش فاخرجت رجلي الاخرى فلم ار شيئاً فانطبق الناس عليَ ومزقوا ثوبي فادخلني القوّام الخزانة، ومنعوا الناس عني ولما رجع الى بغداد حضر رضي الدين والخليفة واحضر الاطباء فلما رأوها قد زالت بالكلية وقد كانوا رأوها سابقاً صاح واحد منهم وقال هذا والله عمل المسيح وامثال هذه الكرامات قد وقعت منه ﷺ كثيراً.

على ان من جملة منافعه ﷺ بالنسبة الى العلماء والمجتهدين ما كان يذهب اليه شيخنا صاحب التفسير الموسوم بنور الثقلين قدس الله زكيّ تربته واعلى في عليّين رتبته وهو ان المسائل الخلافية بين الاصحاب التي لم يعلم القائل بالطرف الاخر منها احتمالاً راجحاً عنده ان يكون ذلك القول قولاً له ﷺ اوقع الخلاف في المسألة حتى لا تجتمع علماء الشيعة على الخطاء وحتى يتجرى على موافقة ذلك القول لان المسألة اذا كانت اجماعية يتقاعد المجتهدون اللاحقون عن القول بخلافها وان اداهم الدليل اليه كما سمعته من بعض المجتهدين من انّ الحديث الصحيح اذا وجد ولم يعلم به قائل من الاصحاب يجب ردّه او تأويله وهذا مذهب

جماعة منهم وكأنهم اخذوه من مقبولة عمر بن حنظلة وغيرها مما اشتمل على قوله عليه السلام خذ بما اشتهر بين اصحابك ففهموا منه كون المراد الاشتهار في الفتوى لكن الظاهر من سياق تلك الاخبار ان المراد به الاشتهار في النقل لان تلك الاحاديث انما وردت في تعارض الخبرين المنقولين عن المعصوم عليه السلام وحينئذ فالمراد الاخذ بالحديث الذي اشتهر نقله بين الاصحاب وترجيهه على ما لم يشتهر ولاجل ما نقلناه عنه (ره) كان يذهب الى قوة القول الذي لم يعلم قائله ولا نسبه.

وثانيها ان في انتظار خروجه عليه السلام كل يوم وساعة اجر جزيل وثواب جليل ويؤيده ما رواه العلاء بن سيابه عن ابي عبد الله عليه السلام قال من مات منكم على هذا الامر منتظراً له كان كمن ان في فسطاط القائم عليه السلام وروى عبد الحميد الواسطي عن الباقر عليه السلام قال قلت له اصلحك الله لقد تركنا اسواقنا انتظاراً لهذا الامر فقال يا عبد الحميد أترى من حبس نفسه على الله عزَّ وجل لا يجعل الله عز وجل له مخرجاً رحم الله عبداً حبس نفسه علينا رحم الله عبداً احيا امرنا قال قلت فان مت قبل ان ادرك القائم قال القائل منكم ان ادركت قائم آل محمد صلوات الله عليهم نصرته كالمقارع معه بسيفه لا بل كالشهيد معه وقال الصادق عليه السلام لعمّار اما والله يا عمّار لا يموت منكم ميّت على الحال التي انتم عليها الا كان افضل عند الله عز وجل من كثير ممن شهد بدراً واحداً فابشروا وكان عليه السلام اذا ذكر اصحابه القائم عليه السلام وتمنوا لقائه يقول الذي عليكم هو العزم والانتظار وتنالون به ثواب الشهادة وان متم على فرشكم، مع انهم لو بقوا الى وقت خروجه لم يعاونه منهم الا الاقل كما وقع للحين عليه السلام وشيعةابيه فانهم كاتبوه ولما قدم عليهم اسلموه الى القتل ويااليتهم كفّوا عن قتاله ومعاونة الظالمين عليه والحال في صاحب الزمان عليه السلام ذلك الحال بعينه فيكون ثواب الانتظار لهم افضل من ثواب حضورهم معه وهذا احد معاني قوله عليه السلام نية المؤمن خير من عمله وذلك انهم بهذه النية بلغوا درجات الشهداء ولو ادركوه لربما لم يدركوها بل يمكن ان يدركوا نقيضها مع انه قد روى في الاخبار عن الصادقين عليهما السلام ان الشيعة لم تزل تربّى بالاماني فبهذه التنميات من احتمال خروجه هذا اليوم وهذا اليوم وهذا العام يسهل الخطب على الشيعة من ظلم الظالمين لهم ودخولهم في باب التقية من كل وجه.

فلقد رأينا جماعة من اهل الخلاف يفضلون اليهود والنصارى علينا واذا سافرنا معهم يأخذون العشور منّا ويتركون الكفار من غير ان يفتشوا لهم متاعاً وهذا امر عظيم لا يسهله الا احتمال قرب الفرج بخروجه عليه السلام ولا يخفى ان هذا انما يتم على تقدير وجوده واستتاره اما لو كان ميتاً او لم يوجد اصلاً فلا انتظار اصلاً والذي يؤيد هذه المقالة من ان ثواب انتظار الفرج خير لهم من ثواب الحضور ما ورد في الروايات عن الصادق عليه السلام من ان اناساً من الشيعة كانوا

يحرصونه على القيام بالسيف وكانوا يقولون ان لك شيعة في العراق لو حملتهم على اطراف الاسنة لمشوا عليها فقال قائل منهم هذا الكلام وهم يمشون فنظر عليه السلام الى غنيمات ترعى فقال لو كان لنا من الشيعة من يوافقنا في القلب واللسان على امر الخروج بعدد هذه الاغنام لخرج القائم منَا قال الراوي فعددتها فاذا مجموعها سبعة عشر شاة ومرة أخرى ايضاً الحوّا عليه في امر الخروج وفي ان الشيعة كثيرون فلا يسعك الجلوس فأمر عليه السلام بنار فاوقدت (فوقدت) فقال ايكم يدخل هذه النار فتقاعدوا عنها ولم يدخلها احد فقال ان شأن القائم عليه السلام اذا خرج والدخول معه مثل الدخول في هذه النار فمن دخل منكم هذه النار قدر على معاونة القائم والجهاد معه.

وثالثها ما قاله شيخنا الطبرسي في بعض كتبه من ان الفرق بين وجوده غائباً عن اعدائه للتقية وهو في اثناء تلك الغيبة منتظر ان يمكنوه فيظهر ويتصرف وبين عدمه واضح وهو ان الحجة هناك فيما فات من مصالح العباد لازمة لله تعالى وهيهنا الحجة لازمة للبشر لانه اذا خيف فغيب شخصه عنهم كان ما يفوتهم من المصلحة عيقب فعل كانوا هم السبب فيه منسوباً اليهم يلزمهم في ذلك الذم وهم المؤاخذون به الملامون عليه واذا اعدمه الله تعالى كان ما يفوت العباد من مصالحهم ويحرمونه من لطفهم وانتفاعهم به منسوباً الى الله تعالى لا حجة فيه على العباد ولا لوم يلزمهم.

ورابعها ما قاله المرتضى طاب ثراه من ان شيعته واوليائه اذا جوّزوا ان يكون الامام بحيث يراهم ويعرفهم ولا يعرفونه كان اردع لهم عن فعل المعاصي بخلاف ما اذا كان ظاهراً وهو في ناحية وهم في ناحية اخرى وان اطلع عليهم اطلاعاً علمياً لان العادة جرت بقوة الاطلاع الحسي وشدَة تأثيره والا فاطلاع الله على العباد موجود في سائر احوالهم، وكذلك المعصومين عليهم السلام كما ورد في تفسير قوله تعالى ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾ ان المراد بالمؤمنين الائمة عليهم السلام، والا فغيرهم من المؤمنين لا يعلم بعمل من غاب عن عينه، وذلك الاطلاع بما روى ان الملائكة الذين يكتبون اعمال الناس وهم رقيب وعتيد اذا كتبوا اعمال اليوم وارادوا آخر النهار العروج الى عالم الملكوت يأتون اولاً بصحائف الاعمال الى امام العصر فيعرضونها عليه، ويطلّع على تلك الاعمال ثم يعرجون بها، ثم انه عليه السلام يصلح من اعمال شيعته ما يكون قابلاً للاصلاح اما بالاستغفار له او بالشفاعة له عند ربه او بالتفويض اليه ومن ثم كانوا عليهم السلام يطلبون من شيعتهم ان يعملوا اعمالاً قابلة للاصلاح، وذلك كالكتاب الذي فيه غلط فانّ منه ما يكون قابلاً للمقابلة والتصحيح ومنه ما يكثر غلطه حتى يعطل عن الانتفاع به.

وخامسها ما ورد في مكاتبة رواها شيخنا محمد بن يعقوب عن اسحاق بن يعقوب قال سألت محمد بن عثمان العمري وهو وكيل الناحية ان يوصل لي كتاباً قد سألت فيه عن مسائل اشكلت عليَ فورد التوقيع بخطِ مولانا صاحب الزمان عليه السلام اما ما سألت عنه ارشدك الله وثبتك من امر المنكرين لي من اهل بيتنا وبني عمّنا: فاعلم انه ليس بين الله عز وجل وبين احد قرابة، ومن انكرني فليس مني وسبيله سبيل ابن نوح واما سبيل عمي جعفر وولده فسبيل اخوة يوسف عليه السلام الى ان قال عليه السلام واما وجه الانتفاع بي في غيبتي فكالانتفاع بالشمس اذا غيبها عن الابصار السحاب، واني امان لاهل الارض كما ان النجوم امان لاهل السماء، فاغلقوا ابواب السؤال عمّا لا يعينكم، ولا تتكلفوا علم ما قد كفيتم واكثروا الدعاء بتعجيل الفرج فان ذلك فرجكم، والسلام عليك يا اسحاق بن يعقوب وعلى من اتبع الهدى.

الشبهة الرابعة قالوا انه قد وقع الاجماع على أنه لا نبي بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وانتم ايها الشيعة قد زعمتم ان القائم عليه السلام اذا قام لم يقبل الجزية من اهل الكتاب وانه يقتل من بلغ العشرين ولم يتفقه في الدين، ويأمر بهدم المساجد والمشاهد، وأنه يحكم بحكم داود عليه السلام لا يسأل عن بيّنة واشباه ذلك مما ورد في اخباركم، وهذا يكون نسخاً للشريعة وابطالاً لاحكامها فقد اتيتم بمعنى النبوة وان لم تتلفظوا باسمها فما جوابكم؟

والجواب عنها ما قاله صاحب كتاب اعلام الورى من انا لم نعرف ما تضمنه السؤال من انه عليه السلام لم يقبل الجزية من اهل الكتاب وانه يقتل من بلغ العشرين ولم يتفقه في الدين فاما هدم المساجد والمشاهد فقد يجوز ان يختص بهدم ما بنى منذلك على غير تقوى الله تعالى وعلى خلاف ما امر الله سبحانه (وهذا ظ) فهذا مشروع فقد فعله النبي صلى الله عليه وآله واما ما روى منانه يحكم بحكم آل داود ولا يسأل عن بينة فهذا ايضاً غير مقطوع به، وان صحّ فتأويله انه يحكم بعلمه فيما يعلم، واذا علم الامام عليه السلام والحاكم امراً من الامور فعليه ان يحكم بعلمه ولا يسأل البينة وليس في هذا نسخ الشريعة، على ان هذا الذي ذكروه من ترك قبول الجزية واستماع البينة لو صحَ لم يكن ذلك نسخاً للشريعة لان النسخ هو ما تأخر دليله عن الحكم المنسوخ ولم يكن مصاحباً له، فأما اذا اصطحب الدليلان فلا يكون احدهما ناسخاً لصاحبه وان كان يخالفه في الحكم، ولهذا اتفقنا على ان الله سبحانه لو قال الزموا السبت الى وقت كذا ثم لا تلزموه ان ذلك لا يكون نسخاً لان الدليل الرافع مصاحب للدليل الموجب، واذا صحت هذه الجملة وكان النبي صلى الله عليه وآله قد اعلمنا بأن القائم عليه السلام من ولده يجب اتباعه وقبول احكامه فنحن اذا صرنا الى ما يحكم فينا وان خالف بعض الاحكام المتقدمة كنّا غير عاملين بالنسخ لان النسخ لا يدخل

فيما يصطحب الدليلان، ولهم شبه اخرى واهية رأينا الاعراض عن نقلها هو الاولى لظهور وهنها.

نور اسمي يكشف عن أنه هل يجوز تسميته عليه السلام باسمه ام لا؟

اعلم أنه قد وقع الخلاف بين اصحابنا رضوان الله عليهم في هذه المسألة، فذهب شيخنا المفيد والشيخ الطبرسي قدس الله روحيهما وجماعة من المتأخرين الى تحريم تسميته عليه السلام باسمه وذهب جماعة منهم صاحب كشف الغمة والمحقق خاجا نصير الدين الطوسي ومن المتأخرين شيخنا البهائي (ره) الى الجواز، وانما جاء هذا الاختلاف من اختلاف الاخبار اما الذي يدل على القول الاول فأخبار.

منها ما روى عن محمد بن همّام قال سمعت محمد بن عثمان العمري يقول خرج توقيع بخطَ اعرفه من سماني في مجمع من الناس باسمي فعليه لعنة الله، ومنها ما رواه الصدوق طاب ثراه في الصحيح عن ابي عبد الله عليه السلام قال صاحب هذا الامر رجل لا يسميه باسمه الا كافر، يعني والله اعلم من كان شبيهاً بالكافر في مخالفة اوامر الله ونواهيه اجتراءً ومعاندة، وهذا كما تقول لا يجترى على هذا الا اسد، ومنها ما رواه الريان بن الصلت قال سأل الرضا عليه السلام عن القائم عليه السلام فقال لا يرى جسمه ولا يسمى اسمه، ومنها ما روي عن الباقر عليه السلام قال سأل عمر امير المؤمنين عليه السلام عن القائم (المهدي خ) عليه السلام فقال يا ابن ابي طالب اخبرني عن المهدي، قال اما اسمه فلا ان حبيبي وخليلي عهد اليّ ان لا احدّث باسمه حتى يبعثه الله عز وجل، وهو فيما استودع الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وآله في علمه، ومنها ما روى عن ابي هاشم الجعفري قال سمعت ابا الحسن العسكري عليه السلام يقول الخلف من بعدي الحسن ابني فكيف لكم بالخلف من بعد الخلف، قلت ولم جعلني الله فداك، قال لانكم لا ترون شخصه ولا يحلّ لكم ذكره باسمه، قلت فكيف نذكره؟ قال قولوا الحجة من آل محمد صلوات الله عليه وسلامه، ومنها ما رواه ابن ابي يعفور قال قال ابو عبد الله عليه السلام الخامس من ولد السابع يغيب عنهم شخصه ولا يحلّ لهم تسميته، وقد روى صفوان بن مهران عنه عليه السلام مثله، ومنها ما روى عن عبد الله الصالحي قال سألني اصحابنا بعد مضي ابي محمد عليه السلام ان اسأل عن الاسم والمكان، فخرج الجواب ان دللتهم على الاسم اذاعوه، وان عرفوا المكان دلّوا عليه، ومنها ان الائمة عليهم السلام لما عبروا عن اسمه الشريف عبروا عنه بالحروف المقطعة، وهو (م ح م د) ومثل قولهم في التعبير اسمه اسم رسول الله، ونحو ذلك من الكتابات.

واما اهل القول الثاني فقد حملوا هذه الاخبار على حالة الخوف كما كان في زمن غيبة الصغرى وقبل ولادته وبعدها، وكون علي عليه السلام لم يسمه لعمر بن الخطاب يرجع الى حال الخوف عليه ايضاً لان الحسين عليه السلام على ما قاله بعض الاعلام ما قتله الا يوم السقيفة كما تقدم، واستدلوا على الجواز عن ارتفاع الخوف كما في هذه الاعصار بأمور.

الاول ما روى عن علان الرازي قال اخبرني بعض اصحابنا انه لما حملت جارية ابي محمد عليه السلام قال ستحملين ذكراً واسمه محمد، وهو القائم من بعدي.

الثاني ما روى عن علي بن احمد الرازي قال خرج بعض اخواني من اهل الري مرتاداً بعد مضي ابي محمد عليه السلام فبينما هو في مسجد الكوفة مغموم مفكر فيما خرج له يبحث حصاء المسجد بيده فظهرت له حصاة مكتوب فيها محمد قال الرجل فنظرت الى الحصاة فاذا فيها كتابة ثابتة مخلوقة غير منقوشة.

الثالث ما رواه العطار قال حدثني الخيزران عن جارية له كان اهداها لابي محمد عليه السلام، فلما اغار جعفر الكذاب على الدار جائته فارّة من جعفر فتزوج بها قال فحدثتني انها حضرت ولادة السيد عليه السلام وان ابا محمد عليه السلام حدّث ام السيد بما يجري على عياله، فسألته ان يدعو الله لها ان يجعل ميتتها قبله فماتت في حياة ابي محمد عليه السلام وعلى قبرها لوح مكتوب عليه هذا قبر ام محمد.

الرابع ما رواه العلوي عن ابي غانم الخادم قال ولد لابي محمد عليه السلام ولد فسماه محمداً فعرضه على اصحابه يوم الثالث، وقال هذا صاحبكم من بعدي وخليفتي عليكم الحديث.

الخامس ان الحسن العسكري عليه السلام قد كنّى بأبي محمد وليس له ولد اسمه محمد سوى صاحب الدار عليه السلام.

والارجح في النظر هو القول الاول، اما اولاً فلتكثر الاخبار الواردة فيه فأنه قد بقى منها اخبار كثيرة لم نذكرها روماً للاختصار، واما ثانياً فلان ظاهر بعضها وصريح البعص الاخر هو امتداد وقت التحريم الى ان يقوم بالسيف، واما ثالثاً فلان هذه الاخبار غير صريحة بل ولا ظاهرة في جواز تسميته عليه السلام بالنسبة الينا كما لا يخفى واما كنيته عليه السلام فلعلها صارت له بمنزلة الاسم العلمي من غير التفات الى الولد، كما في ابي الحسن الاول وابي الحسن الثاني والثالث، ولعل الحكمة في النهي عن الاسم خفية علينا كما في وجه الحكمة في علّة الغيبة على ما تقدم في بعض الاخبار.

اذا عرفت هذا فقد قال صاحب كشف الغمة من العجب ان الشيخ الطبرسي والشيخ المفيد رحمهما الله تعالى قالا لا يجوز ذكر اسمه ولا كنيته، ثم يقولان اسمه اسم النبي صلى الله عليه وآله

وكنيته كنيته وهما يظنّان انهما لم يذكرا اسمه ولا كنيته وهذا عجيب، والذي اراه ان المنع كان في وقت الخوف والطلب له والسؤال عنه، واما الان فلا والله العالم انتهى، والظاهر ان تعجبه من الشيخين ليس على ما ينبغي لان ذلك القول منها ليس ذكراً لاسمه بل هو تفهيم وتعليم بطريق الاشارة والكناية ولا يكون من باب ذكر الاسم في مجاري العرف والعادات.

بقى الكلام في حديث رواه الفريقان عن النبي ﷺ انه قال لو لم يبق من الدنيا الا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يبعث الله رجلاً من اهل بيتي يواطي اسمه اسمي واسم ابيه اسم ابي يملأ الارض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، وهذا هو احد الشبه التي اوردها المخالفون لان اسم ابي المهدي عليه السلام الحسن العسكري واسم ابي النبي ﷺ عبد الله، فلا يكون المهدي هو ابن الحسن العسكري بل يكون غيره، وقد اجاب عن هذا الفاضل الاربلي بما حاصل انه قد ورد في الكلام الفصيح اطلاق لفظ الاب على الجد الاعلى، قال تعالى ﴿ملة ابيكم ابراهيم﴾ وقال تعالى حكاية عن يوسف ﴿واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب﴾ وفي حديث المعراج قلت من هذا؟ قال هذا ابوك ابراهيم، وكذلك ورد ايضاً اطلاق الاسم على الكنية والصفة، روى الصاعدي (الساعدي خ) عن علي عليه السلام والله ان رسول الله ﷺ سمّاه (ني ظ) بأبي تراب ولم يكن له اسم احب اليه منه فاطلق الاسم على الكنية، وقول الشاعر ومن وصفك فقد سمّاك للعرب.

واذا تحققت هذا وضح لك الجواب، وهو ان النبي ﷺ كان له سبطان ابو محمد الحسن وابو عبد الله الحسين، ولما كان الحجة عليه السلام من ولد ابي عبد الله الحسين وكان كنية الحسين عليه السلام ابا عبد الله اطلق النبي ﷺ الاسم على الكنية لاجل المقابلة بالاسم في حق ابيه واطلق على الجد لفظ الاب، فكأنه قال ﷺ يواطي اسمه اسمي، وهو ظاهر، وكنية جدّه اسم ابي اذ هو ابو عبد الله وابي عبد الله لتكون تلك الالفاظ المختصرة جامعة لجميع صفاته، ولاعلام انه من ولد ابي عبد الله الحسين عليه السلام بطريق جامع موجز لا من ولد الحسن عليه السلام.

نور في بلاد عليه السلام

ومساكن اولاده الطاهرين حال هذه الغيبة الكبرى ذكر المولى الفاضل الملقب بالرضا علي بن فتح الله الكاشاني رحمه الله قال روى الشريف الزاهد ابو عبد الله محمد بن علي بن الحسين بن عبد الله (عبد الرحمن خ) العلوي الحسيني في كتابه باسناده عن الاجل العالم الحافظ حجة الاسلام سعيد بن احمد بن الرضي عن الشيخ الاجل المقري حظير الدين حمزة المسيب بن الحارث، أنه حكى في داري بالظفرية بمدينة السلام في ثامن عشر شعبان سنة اربع

واربعين وخمسمائة، قال حدثني شيخي العالم ابو القاسم عثمان بن عبد الباقي بن احمد الدمشقي في سابع عشر جمادي الاخرة سنة ثلاث واربعين وخمسمائة، قال حدثني الاجل العالم الحجة كمال الدين احمد بن محمد بن يحيى الانباري بداره بمدينة السلام ليلة الخميس عاشر شهر رمضان سنة ثلاث واربعين وخمسمائة، قال كنّا عند العزيز عون الدين يحيى بن هبيرة في رمضان بالسنة المقدَم ذكرها ونحن على طبقه وعنده جماعة فلما افطر من كان حاضراً وتقوَض اكثر من حضر اردنا الانصراف فأمرنا بالتمسي عنده وكان في مجلسه تلك الليلة شخص لا اعرفه ولم اكن رأيته من قبل ورأيت الوزير يكثر اكرامه ويقرِب مجلسه ويصغي اليه ويسمع قوله دون الحاضرين، فتجاوبنا الحديث والمذاكرة حتى امسينا واردنا الانصراف فعرفنا بعض اصحاب الوزير ان الغيث ينزل وانه يمنع من يريد الخروج، فاشار الوزير بمبيتنا عنده فأجبنا فتحادثنا فافضى الحديث حتى تحادثنا في الاديان والمذاهب ورجعنا الى دين الاسلام وتفرَق المذاهب فيه فقال الوزير اقل طائفة مذهب الشيعة وما يمكن ان يكون اكثر منهم في خطتنا هذه وهم الاقل من اهلها، وأخذ يذّم احوالهم ويحمد الله على قلتهم في اقاصي الارض فالتفت الشخص الذي كان الوزير ملتفتاً اليه مقبلاً عليه ومصغياً اليه، فقال ادام الله ايامك احدث بما عندي فيما تفاوضتم فيه او اعزب عنه، فصمت الوزير ثم قال قل ما عندك.

فقال خرجت مع والدي سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة من مدينتنا وهي المعروف بالناهية[١١] ولها الرستاق الذي (التي خ) تعرفه (فها خ) التجار وعدة ضياعها الف ومائتا ضيعة، في كل ضيعة من الخلق ما لا يحصى عددهم الا الله تعالى وهم قوم نصارى وجميع الجزائر التي كانت حولهم على دينهم ومسير بلادهم عشرين يوماً، وكلَ من في البر من الاعراب وغيرهم نصارى وتتصل بالحبشة والنوبة وكلهم نصارى، وتتصل بالبربر وهم على دينهم فان حدَ هذا كان يملأ كل من في الارض ولم يضف اليهم الافرنج والروم وغير خفي ما بالشام والعراق واتفق اننا سرنا في البحر واوغلنا وتعدينا الجهات التي كنَا نصل اليها ورغبنا في المكاسب ولم نزل على ذلك حتى وصلنا على جزائر عظيمة كثيرة الاشجار مليحة الجدر، فيها المدن الممدودة والرساتيق، فأول مدينة وصلنا اليها وارسى المركب بها وقد سألنا الناخذا أي شيء هذه الجزيرة؟ فقال والله ان هذه جزيرة لم اصل اليها ولم اعرفها وانا وانتم في معرفتها

---

(١١) الناهية بالنون كذا فيما وقفنا عليه من نسخ الكتاب المطبوعة والمخطوطة وليس لها بهذا الاسم ذكر في معجم البلدان لياقوت الحمري المتوفى(٦٢٦)هـ وذكرها العلامة المحدث النوري(ره) في الجنة المأوى ص ٢٥٥ وفي كتابه(نجم ثاقب) ص١٦٠(الباهية) بالباء الموحدة وليس لها ايضاً ذكر في معجم البلدان مع كون ياقوت قريب العصر من الوزير ابن هبيرة المتوفى(٥٦٠)هـ الذي وقع ذكر (الناهية) او(الباهية) في مجلسه.

سواء، فلما ارسينا بها وصعد التجّار الى مشرعة تلك الجزيرة وسألنا ما اسمها؟ فقيل هي المباركة فسألنا عن سلطانهم وما اسمه؟ فقالوا اسمه الطاهر، فقلنا واين سرير ملكه، فقيل بالزاهرة وان بينكم وبينها مسيرة عشرة ليال في البحر وخمسة وعشرين ليلة في البر، وهم قوم مسلمون فقلنا من يقبض زكوة ما في المركب لنشرع في البيع والابتياع قالوا تحضرون عند نائب السلطان فقلنا واين اعوانه فقالوا الاعوان له في داره وكل من عليه حقّ يحض عنده فيسلّم اليه فتعجبنا من ذلك فقلنا الا تدلونا عليه؟ قالوا بلى وجاء معنا من ادخلنا داره فراينا رجلاً صالحاً عليه عباة وتحته عباة وهو مفترشها، وبين يديه دواة يكتب فيها من كتاب ينظر اليه فسلّمنا عليه فردّ علينا السلام وحيّانا، فقال من اين اقبلتم فقلنا من كذا وكذا فقال كلكم مسلمون؟ فقلنا لا بل فينا المسلم واليهودي والنصراني، فقال يزن اليهودي جزيته والنصراني جزيته ويناظر المسلم عن مذهبه، فوزن والدي عن خمسة نفر نصارى عنه وعني وعن ثلاثة نفر كانوا معه، ثم وزن تسعة نفر كانوا يهوداً، وقال للمسلمين هاتوا مذاهبكم، فشرعوا معه في مذاهبهم، فقال لستم مسلمين وانما خوارج واموالكم تحلّ للمسلم المؤمن وليس بمسلم من لم يؤمن بالله ورسوله وبالوصي والاوصياء من ذريته حتى مولانا صاحب الزمان صلوات الله عليه وعليهم اجمعين، وضاقت بهم الارض ولم يبق الا أخذ اموالهم.

ثم قال لنا يا اهل الكتاب لا معارضة لكم فيما معكم حيث اخذت منكم الجزية فلما عرف اولئك ان اموالهم معرضة للنهب سألوا ان يحملهم الى سلطانه فأجاب سؤالهم وتلى ﴿ليهلك من هلك عن بينة﴾، فقال للزبان وهو الدليل وقلنا للنواخذة[١٢] هؤلاء قوم عاشرناهم وصاروا رفقة وما نحبّ ان نتخلف عنهم انما نحب ان نكون معهم حتى نعلم ما يستقر حالهم، فقال الزبان والله ما اعلم هذا البحر اين المسير فيه، فأستأجر زبانا ورجالاً وقلعنا القلع وسرنا ثلاثة عشر يوماً بلياليها حتى كان قبل طلوع الشمس قال الزبان هذه والله اعلام الزاهرة ومنارها وجدرها قد بانت، فسرنا حتى تصاحى النهار فقدمنا الى مدينة لم تر العيون احسن منها ولا اخف على القلب ولا ارق من نسيمها ولا اطيب من هواها ولا اعذب من مائها وهي راكبة البحر على جبل من صخر ابيض كأنه لون الفضة وعليها سور الى ما يلي البحر والبر والانهار منخرقة في وسطها يشرب منها اهل الدور والاسواق وتأخذ منها الحمامات، وفواضل الانهار ترمى على البحر ومدى الانهار فرسخ ونصف او دونه وتحت ذلك الجبل بساتين المدينة واشجارها ومزارعها عند العيون، وثمار تلك الاشجار لا يرى اطيب منها ولا اعذب ويرعى الذئب والنعجة عياناً، ولو قصد قاصد الى تخلية دابته في زرع غيره لمارعته ولا قطعت منه قطعة،

---

(١٢) جمع ناخذا معرب ناخذا.

ولقد شاهدت السباع والهوام رابضة في جنب تلك المدينة، وبنوا آدم يمرون عليها فلا تؤذيهم، فلما قدمنا المدينة صعدنا فرأينا مدينة عظيمة كثيرة الخلق وسيعة الربعة فيها الاسواق الكثيرة والمعاش (شر خ) العظيم ويرد اليها الخلق من البر والبحر واهلها على احسن الوجوه قاعدون لا يكون على وجه الارض من الامم والاديان مثلهم وامانتهم حتى ان المتعيّش بسوق المدينة يرد اليه من يبتاع منه حاجته اما بالوزن او بالذراع فيبايعه ليها ثم يقول يا هذا زن لنفسك وابتزن لنفسك فهذه صورة مبايعتهم لا يسمع منهم لغو المقال ولا النميمة ولا يسبّ بعضهم بعضاً واذا نادى المؤذن للاذان لا يتخلف منهم مختلف ذكراً كان او انثى الا سعى الى الصلوة، حتى اذا قضيت الصلوة للوقت المفروض رجع كل منهم الى بيته حتى يكون وقت صلوة أخرى فيكون الحال كما كانت.

فلما دخلنا المدينة وارسينا بمشرعنا امر بحضورنا عند السلطان فحضرنا داره ودخلنا الى بستان في وسطه قبّة من فضة والسلطان في تلك القبة وعنده جماعة، وفي باب القبة ساقية تجري، فوافينا القبة وقد اقام المؤذن الصلوة، فل يكن اسرع من امتلاء البستان بالناس واقيمت الصلوة وصلّى بهم جماعة، فلا والله لم تنظر عيني اخضع لله منه ولا الين جانباً لرعيته فصلّى من صلّى مأموناً، فلما قضيت الصلوة التفت وقال هؤلاء القادمون؟ قلنا نعم وكانت تحيّة الناس له ومخاطبتهم يا ابن صاحب الامر، فقال على خير مقدم فقال انتم تجار ام ضيفان؟ فقلنا تجّار فقال من فيكم المسلم ومن فيكم اهل الكتاب فعرفناه ذلك، فقال ان للاسلام فرقاً وشعباً فمن أي قبيل انتم، وكان معنا شخص يعرف بالمعزي اسمه آذربهان بن احمد الاهوازي يزعم أنه على مذهب الشافعي، فقال انا رجل شافعي قال فمن على مذهبك من الجماعة، قال كلنا الا هذا حسان بن عنب فانه رجل مالكي فقال انت تقول بالاجماع، قال نعم قال اذاً تعمل بالقياس، ثم قال بالله يا شافعي تلوت ما انزل يوم المباهلة، قال نعم قال ما هو قوله تعالى ﴿ قل تعالوا نعد ابنائنا وابنائكم ونسائنا ونسائكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾ فقال بالله عليك من ابناء الرسول ومن نسائه ومن نفسه؟ فأمسك آذربهان، فقال بالله هل بلغك او اتاك ان غير الرسول والوصي والبتول والسبطين دخل تحت الكساء؟ قال لا فقال والله لم تنزل هذه الاية الا فيهم ولا خصّ بها سواهم ثم قال بالله عليك هل تلوت قوله تعالى ﴿انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾ قال نعم قال بالله عليك من عنى بذلك فأمسك فقال والله ما عنى بها الا اهلها، ثم بسط لسانه وتحدّث بحديث امضى من السهام واقطع من الحسام، فقطع الشافعي ووافقه عند ذلك فقال عفواً يا ابن صاحب الامر انسب لي نسبك.

فقال انا طاهر بن محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب ﷺ الذي انزل الله فيه ﴿وكل شيء احصيناه في امام مبين﴾ هو والله الامام المبين، ونحن الذين انزل الله في حقنا ﴿ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم﴾، يا شافعي نحن ذرية الرسول نحن اولوا الامر، فخرّ الشافعي مغشياً عليه لما سمع منه ثم افاق وآمن به، وقال الحمد لله الذي منحني الاسلام والايمان ونقلني من التقليد الى اليقين، ثم امر لنا باقامة الضيافة فبقينا على ذلك ثمانية ايام ولم يبق في المدينة احد الا جاء الينا وحادثنا، فلما انقضت الايام الثمانية سأله اهل المدينة ان يقوموا لنا بالضيافة ففتح لهم في ذلك فكثرت الاطعمة والفواكه وعملت لنا الولائم وبقينا في تلك المدينة سنة كاملة، فعلمنا وتحققنا ان تلك المدينة مسيرة شهرين، وبعدها مدينة اسمها الرايقة سلطانها القاسم بن صاحب الامر مسيرة ملكها شهرين وهي على تلك القاعدة ولها دخل عظيم، وبعدها مدينة اسمها الصافية سلطانها ابراهيم بن صاحب الامر وبعدها مدينة اخرى اسمها ظلوم سلطانها عبد الرحمن بن صاحب الامر مسيرة رستاقها وضياعها شهران، وبعدها مدينة اخرى اسمها عناطيس سلطانها هاشم بن صاحب الامر وهي اعظم دخلا ومسير ملكها اربعة اشهر، فيكون مسيرة هذه المدن الخمس والمملكة مقدار سنة لا يوجد في اهل تلك الخطط الضياع غير المؤمن الشيعي الموحد القائل بالبرائة والولاية الذي يقيم الصلوة ويؤتي الزكوة ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر سلاطينهم اولاد امامهم يحكمون بالعدل وبه يأمرون، وليس على وجه الارض مثلهم، ولو جمع اهل الدنيا لكانوا اكثر عدداً منهم على اختلاف الاديان والمذاهب ولقد اقمنا عندهم سنة كاملة نترقب ورود صاحب الامر اليهم لانهم زعموا انها سنة وروده، فلم يوفقنا للنظر اليه.

واما آذربهان وحسان فإنهما اقاما بالزاهرة يرقبان رؤيته، وقد كنا لما استكثرنا هذه المدن واهلها ودخلها سألنا عنها، فقيل انها عمارة صاحب الامر واستخراجه فلما سمع عون الدين نهض ودخل حجرة لطيفة وقد تقضّى الليل فأمر باحضارنا واحداً واحداً وقال اياكم اعادة ما سمعتم واجرائه على الفاظكم وتأكد علينا فخرجنا من عنده ولم يعد احد منّا مما سمعه حرفاً واحداً حتى هلك، وكنا اذا حضرنا موضعاً واجتمع احدنا بصاحبه قال اتذكر شهر رمضان؟ فنقول ستر الحلال شرط فهذا ما سمعته ورويته والحمد لله رب العالمين، اقول قد وقع في بعض توقيعاته عليه السلام الى شيخنا المفيد (ره) اننا في اليمن بواد يقال له شمروخ وشمريخ (شمرخ) ولعلّ هذا هو اسم المكان الذي يختصّ به عليه السلام.

نور في علامات ظهوره عليه السلام

اعلم ان من جملتها خروج الدجال فلا بأس بنقل بعض احواله وعلامات خروجه لانها علامات ايضاً لظهور المهدي عليه السلام، روى الصدوق قدس الله روحه باسناده الى رسول الله صلى الله عليه وآله قال انه صلى الله عليه وآله صلّى ذات يوم بأصحابه الفجر، ثم قام باصحابه حتى اتى باب دار بالمدينة فطرق الباب، فخرجت اليه امرأة فقالت ما تريد يا ابا القاسم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله يا امّ عبد الله استأذني لي على عبد الله فقالت يا ابا القاسم وما تصنع بعبد الله؟ فوالله أنه لمجهود في عقله يحدث في ثوبه، وانه ليراودني على الامر العظيم فقال استأذني عليه فقالت أفلى ذمتك؟ قال نعم قالت ادخل فدخل فاذا هو في قطيفة له يهيئم فيها فقالت امه اسكت واجلس هذا محمد صلى الله عليه وآله قد اتاك، فسكت وجلس فقال النبي صلى الله عليه وآله ما لها لعنها الله لو تركتني لاخبرتكم أهو هو ثم قال النبي صلى الله عليه وآله ما ترى؟ قال ارى حقاً وباطلاً وارى عرشاعلى الماء فقال اشهد ان لااله الاالله واني (محمدخ) رسول الله.

فقال بل تشهد ان لاالله واني رسول الله، فما جعلك الله بذلك احق مني؟ فلما كان في اليوم الثاني صلّى عليه السلام بأصحابه الفجر ثم نهض ونهضوا القوم معه حتى طرق الباب، فقالت أمه ادخل فدخل فاذا هو في نخلة يغرّد فيها، فقالت له امه اسكت وانزل هذا محمد قد اتاك، فسكت فقال النبي صلى الله عليه وآله ما لها لعنها الله لو تركتني لاخبرتكم أهو هو فلما كان في اليوم الثالث صلى عليه السلام باصحابه الفجر ثم نهض ونهض القوم معه حتى أتى ذلك المكان فاذا هو في غنم له ينعق بها، فقالت له امه اسكت واجلس هذا محمد قد اتاك، فسكت وقد كانت نزلت في ذلك اليوم آيات من سورة الدخان فقرأها عليهم النبي صلى الله عليه وآله في صلوة الغداة، ثم قال اتشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله فقال بل تشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله، وما جعلك بذلك احق مني؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله اني قد خبأت لك خباء فما هو، فقال الدخ الدخ، فقال النبي صلى الله عليه وآله إخس انك لن تعدو اجلك ولن تبلغ املك ولن تنال الا ما قدّر لك.

ثم قال لاصحابه ايها الناس ما بعث الله نبياً الا انذر قومه الدجال، وان الله عز وجل اخره الى يومكم هذا فما تشابه عليكم من امره فان ربكم ليس بأعور انه يخرج على حمار عرض ما بين اذنيه ميل، يخرج ومعه جنة ونار وجبل من خبز ونهر من ماء اكثر اتباعه اليهود والنساء والاعراب يدخل آفاق الارض كلها الا مكة ولا بيتها والمدينة ولا بيتها.

قال المؤلف عفى الله عنه قوله صلى الله عليه وآله لو تركتني لاخبرتكم (آه) يجوز ان يكون اشار لي قوم ام الدجال افلى ذمتك، فيكون معناه أفلى عهد منك بأن لا تخبر احداً بحقيقة هذا الولد ومنتهى عاقبة امره، وما يصدر منه بأن تكون عالمة بمجمل احوال ابنها فلما اعطاها صلى الله عليه وآله ذلك

العهد والذمام اولا منعه من بيان احواله لاصحابه عليه السلام كما ينبغي، وقول الدجال لعنه الله تعالى اري عرشا على الماء، يجوز ان يراد به السماء فيكون معنى حقاً، ويجوز ان يكون اشارة الى قوله تعالى ﴿وكان عرشه على الماء﴾ فأسنده الى نفسه لما سيأتي في احواله من ادّعاء الالهية، واما قوله الدخ الدخ بالدال المهملة والخاء المعجمة فقال في النهاية داخ يدوخ اذا ذلّ، فالدخ هو الذلّ وحينئذ فيجوز ان يكون معناه أنه صلى الله عليه وآله قال قد خبأت لك شيئاً فما هو؟ فقال الدجال هو الذلّ يعني تكون امتك تصير ذليلة لي وتتبع امري، فقال له صلى الله عليه وآله إخس لا يطيعك الا من هو مثلك في الشقاوة.

وروى الصدوق طاب ثراه عن ابن سبرة قال خطبنا علي بن ابي طالب عليه السلام فحمد الله واثنى عليه، ثم قال سلوني ايها الناس قبل ان تفقدوني ثلاثاً، فقام اليه صعصعة بن صوحان فقال يا امير المؤمنين متى يخرج الدجال؟ فقال له عليه السلام اقعد فقد سمع الله كلامك وعلم ما اردت، والله ما المسؤل منه بأعلم من السائل، ولكن لذلك علامات وهنات يتبع بعضها بعضاً كحذو النعل بالنعل فان شئت انبأتك بها قال نعم يا امير المؤمنين فقال احفظ فان علامة ذلك اذا أمات الناس الصلوة واضاعوا الامانة واستحلوا الكذب واكلوا الربوا، واخذوا الرشا وشيدوا البنيان، وباعوا الدين بالدنيا واستعملوا الشفهاء وشاوروا النساء وقطعوا الارحام، واتبعوا الاهواء واستخفوا بالدماء وكان الحلم ضعفاً والظلم فخراً، وكانت الامراء فجرة والوزراء ظلمة، والعرفاء خونة والقرّاء فسقة وظهرت شهادة الزور واستعلن الفجور، وقول البهتان والاثم والطغيان وحليّت المصاحف وزخرفت المساجد وطوّلت المنارات واكرم الاشرار وازدحمت الصفوف واختلفت القلوب، ونقضت العهود واقترب الموعود وشارك النساء ازواجهنّ في التجارة حرصاً على الدنيا، وعلت اصوات الفساق واستمع منهم، وكان زعيم القوم ارذلهم واتقى الفاجر مخافة شره وصدق الكاذب واؤتمن الخائن، واتخذت القنيات والمعازف، ولعن آخر هذه الامة اولها، وركب ذوات الفروج السروج وتشبه النساء بالرجال والرجال بالنساء، وشهد الشاهد من غير ان يستشهد، وشهد الاخر قضاء لحق الذمام بغير حق عرفه وتفقه لغير الدين، وآثروا عمل الدنيا على عمل الاخرة، ولبسوا جلود الضان على قلوب الذئاب، وقلوبهم انتن من الجيف وامرّ من الصبر، فعند ذلك الوحأ الوحأ ثم العجل العجل، خير المساكن يومئذ بيت المقدس ليأتين على الناس زمان يتمنى احدهم أنه من سكانه.

فقام اليه الاصبغ بن نباتة فقال يا امير المؤمنين من الدجال؟ فقال الا ان الدجال صائد بن الصيد فالشقي من صدقه والسعيد من كذبه، يخرج من بلدة يقال لها اصبهان من قرية تعرف باليهودية، عينه اليمنى ممسوحة والعين الاخرى في جبهته تضيء كأنها كوكب الصبح؟ فيها علقة

كأنها ممزوجة بالدم، بين عينيه مكتوب كافر يقرأه كل كاتب وامي يخوض البحار وتسير معه الشمس، بين يديه جبل من دخان واخلفه جبل ابيض يرى الناس انه طعام، يخرج حين يخرج في قحط شديد تحته حمار اقمر خطوة حماره ميل، تطوى له الارض منهلا لا يمرّ بماء الا غار الى يوم القيامة، ينادي باعلى صوته يسمع ما بين الخافقين من الجن والانس والشياطين، يقول اليَ اوليائي انا الذي خلق فسوى وقدّر فهدى انا ربكم الاعلى، وكذب عدو الله انه اعور يطعم الطعام ويمشي في الاسواق وان ربكم جلّ وعز ليس بأعور ولا يطعم ولا يمشي ولا يزول الا وان اكثر اتباعه يومئذ اولاد الزنا واصحاب الطيالسة الخضر، يقتله الله عز وجل بالشام على عقبة تعرف بعقبة افيق لثلاث ساعات من يوم الجمعة على يدي من يصلي المسيح عيسى بن مريم خلفه، الا ان بعد ذلك الطامة الكبرى، قلنا وما ذلك يا امير المؤمنين؟ قال خروج دابة الار من عند الصفا معها خاتم سليمان وعصى موسى، يضع الخاتم على وجه كل مؤمن فينطبع فيه هذا مؤمن حقاً، ويضعه على وجه كل كافر فيكتب فيه كافر حقاً حتى ان المؤمن لينادي اليوم ويل لك يا كافر وان الكافر ينادي طوبى لك يا مؤمن وددت اني اليوم مثلم فأفوز فوزاً عظيماً، ثم ترفع الدابة رأسها فيراها من بين الخافقين باذن الله عز وجل، وذلك بعد طلوع الشمس من مغربها فعند ذلك ترفع التوبة فلا توبة تقبل ولا عمل يرفع ولا ينفع نفساً ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت في ايمانها خيراً.

فان قلت قد روى الصدوق طاب ثراه هذا المضمون باسانيد متعددة من انه في زمن المهدي عليه السلام لا تقبل توبة من لم يتب قبل ظهوره وهذا بظاهره ينافي ما روى في الاخبار المستفيضة من أنه عليه السلام اذا ظهر ضرب الناس بسيفه وبسوطه حتى يدخلوا في دينه طائعين او كارهين، فيجيء تأويل قوله تعالى ﴿هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾، فان ظهور دينه على جميع الاديان انما يكون في زمان المهدي عليه السلام على ما نطقت به الاخبار، قلت قد كنت كثيراً افكر في تلك الاخبار واطلب وجه الجمع بينهما حتى وفق الله تعالى للوقوف على حديث يجمع بين هذه الاخبار وحاصله ان المهدي عليه السلام اذا خرج احيا الله سبحانه له جماعة ممن محّض الكفر محضاً كما سيأتي بيانه، فهؤلاء الاحياء الذين تقدم موتهم ورأوا العذاب عيانا وعذبوا به اضطروا الى الايمان لا يقبل المهدي عليه السلام منهم توبة، لان توبتهم في هذا الحال مثل توبة فرعون لما ادركه الغرق، فقال عز وجل في جوابه الان وقد عصيت قبل، فلم يقبل له توبة، ومثل توبة من بلغت روحه الى حلقه وتغرغرت في صدره ورأى مكانه من النار وعاينه فأنه اذا تاب لا يقبل له توبة ايضاً، فالمراد بالنفس التي لا ينفعها

ايمانها هذه النفس واما الاحياء الذين يكونون في ظمان ظهوره عليه السلام ولم يسبق عليهم الموت فلا يقبل عليه السلام منهم الا القتل او الايمان.

وقال الصادق عليه السلام خمس قبل قيام القائم، اليماني والسفياني والمنادي ينادي من السماء، وخسف بالبيداء وقتل النفس الزكية، وعن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله لا تقوم الساعة حتى يخرج المهدي من ولدي، ولا يخرج المهدي حتى يخرج ستون كذاباً كلهم يقول انا نبي، وقال الصادق عليه السلام لا يخرج القائم حتى يخرج قبله اثنا عشر من بني هاشم كلهم يدعو الى نفسه، وعن محمد بن مسلم قال سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول ان قدّام القائم علامات تكون من الله تعالى للمؤمنين، قلت فما هي جعلني الله فداك؟ قال قول الله عز وجل ﴿ولنبلونكم﴾ يعني المؤمنين قبل خروج القائم ﴿بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين﴾ قال لنبلونكم بشيء من الخوف من ملوك بني فلان في آخر سلطانهم، والجوع بغلاء الاسعار، ونقص من الاموال بفساد التجارات وقلّة الفضل فيها، ونقص الانفس بالموت الذريع ونقص من الثمرات قلة ريع ما يزرع وقلة بركات الثمرات وبشر الصابرين عند ذلك بتعجيل خروج القائم عليه السلام ثم قال لي يا محمد هذا تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم.

وقال الصادق عليه السلام ليس بين قائم آل محمد وبين قتل النفس الزكية الا خمس عشر ليلة، وعن امير المؤمنين عليه السلام قال بين يدي القائم موت احمر وموت ابيض وجراد في حينه وجراد في غير حينه كالوان الدم، فأما الموت الاحمر فالسيف، واما الموت الابيض فالطاعون، وعن الباقر عليه السلام ان من علاماته خسف قرية من قرى الشام تسمى الجابية، ونزول الترك الجزيرة ونزول الروم الرملة، واختلاف كثير عند ذلك في كل ارض حتى تخرب الشام ويكون سبب خرابها اجتماع ثلاث رايات فيها، راية لاصهب وراية الاسع وراية السفياني، وعن البجلي قال سألت ابا عبد الله عليه السلام عن اسم السفياني قال وما تصنع باسمه اذا ملك كور الشام الخمس، دمشق وحمَص وفلسطين والاردن وقنسرين فتوقع الفرج، قلت يملك تسعة اشهر قال لا ولكن يملك ثمانية اشهر لا تزيد يوماً، وقال امير المؤمنين عليه السلام يخرج ابن آكلة الاكباد من الوادي اليابس وهو رجل ربعة وحش الوجه ضخم الهامة بوجهه اثر جدرى اذا رايته حسبته اعور اسمه عثمان بن عنبسه وهو من ولد ابي سفيان حتى يأتي ارضاً ذات قرار ومعين فيستوي على منبرها.

وعن الباقر ء في قوله ﴿ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت اعنقاهم لها خاضعين﴾ قال سيفعل الله ذلك بهم، قال فقلت من هم؟ قال بنو امية وشيعتهم، قلت وما الاية قال ركود الشمس ما بين زوال الشمس الى وقت العصر، وخروج صدر رجل ووجهه في عين الشمس

يعرف بحسبه ونسبه، وذلك في زمان السفياني وعندها يكون بواره وبوار قومه، وعن محمد بن مسلم عن احدهما عليهما السلام قال اذا رأيتم ناراً من المشرق كهيئة البردى العظيم تطلع ثلاثة ايام او سبعة الشك من العلى[١٣] فتوقعوا فرج آل محمد ان الله عزيز حكيم.

وعن الصادق عليه السلام قال خروج السفياني واليماني والخراساني في سنة واحدة في شهر واحد في يوم واحد وليس فيها راية اهدى من راية اليماني لانه يدعو الى الحق، وسأل رجل ابا الحسن عليه السلام عن الفرج فقال اذا ركزت رايات قيس بمصر ورايات كندة بخراسان، وقال عليه السلام سنة الفتح ينشق الفرات حتى تدخل ازقة الكوفة، وقال عليه السلام يزجر الناس قبل قيام القائم عن معاصيهم بنار تظهر في السماء وحمرة تجلل السماء، وخسف ببغداد، وخسف ببلدة بصرة، ودماء تسفك فيها خراب دورها وفناء يقع في اهلها وشمول اهل الطرق خوف لا يكون لهم معه قرار، وقال ابو جعفر الباقر عليه السلام آيتان تكون قبل قيام القائم كسوف الشمس في النصف من شهر رمضان والقمر في آخر الشهر، قال فقلت يا ابن رسول الله تنكسف الشمس في النصف والقمر في آخر الشهر، فقال عليه السلام انا اعلم بما قلت انهما آيتان لم تكونا منذ هبط آدم عليه السلام وذلك ان الذي جرت به العادة وبه قال المنجمون ان خسوف القمر لا يكون الا في الثالث عشر من الشهر او الرابع عشر اوالخامس عشر منه لا غير وذلكعند تقابل الشمس والقمر على هيئة مخصوصة، وان كسوف الشمس لا يكون الا في السابع والعشرين من الشهر او الثامن والعشرين من الشهر او التاسع والعشرين من الشهر وذلك عند اقترانهما على هيئة مخصوصة كما سبق، وقال الصادق عليه السلام ينادي مناد باسم القائم عليه السلام ،قلت خاص او عام، قال بل عام يسمع كل قوم بلسانهم قلت فمن يخالف القائم وقد نودي باسمه؟ قال لا يدعهم ابليس حتى ينادي في آخر الليل يشكك الناس.

وقال الثمالي لابي عبد الله عليه السلام كيف يكون النداء قال ينادي مناد من السماء اوّل النهار الا ان الحق في علي وشيعته، ثم ينادي ابليس في آخر النهار الا ان الحق في عثمان وشيعته، ويرتاب عند ذلك المبطلون، وقل الصادق عليه السلام الصيحة التي في شهر رمضان تكون ليلة الجمعة لثلث وعشرين مضى من شهر رمضان.

وقال عليه السلام لا يكون هذا الامر حتى يذهب ثلثا الناس فقيل له فاذا ذهب ثلثا الناس فما يبقى ؟ قل اما ترضون ان تكونوا الثلث الباقي؟ وقال الصادق عليه السلام اذا هدم حائط مسجد الكوفة مما يلي دار عبد الله بن مسعود فعند ذلك زوال ملك الروم، وعند زواله خروج القائم عليه السلام ، ومن علاماته طلوع نجم بالمشرق يضيء كما يضيء القمر ثم ينعطف حتى يكاد يلتقي

---

(١٣) اسم راومن رواة هذه الرواية.

طرفاه، وعقد الجسر مما يلي الكرخ بمدينة بغداد واختلاف من العجم وسفك دماء فيما بينهم، وخروج العبيد عن طاعة ساداتهم وقتلهم مواليهم وغلبة العبيد على بلاد السادات، وقد بقى بعض العلامات تركنا ذكرها روماً للاختصار.

نور في تعيين وقت ظهوره عليه السلام

إعلم ان اخبارهم عليهم السلام قد وردت بعدم تعيين الوقت لمصالح كثيرة، وذلك ان شيعتهم لم تزل تحيى على هذه الامر والرجاء له وبه سهل عليهم كلَ خطب، فنشأ عليه قوم ومات عليه وآخرون، ولو وقَت وعيَن لانقطع رجاء من علم انه لا يدركه ولفاته ثواب توقع الفرج وانتظاره كما حكيناه سابقاًن روى شيخنا الكليني (ره) في الصحيح عن ابي حمزة الثمالي قال سمعت ابا جعفر عليه السلام يقول ان الله تبارك وتعالى قد كان وقَت هذا الامر في السبعين فلما ان قتل الحسين صلوات الله عليه إشتدَ غضب الله على اهل الارض فأخره الى اربعين ومأة فحدثناكم فاذعتم الحديث وكشفتم قناع الستر ولم يجعل الله له بعد ذلك وقتاً وعندنا، ويمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب، قال ابو حمزة فحدثت بذلك ابا عبد الله عليه السلام فقال قد كان ذلك، وعن ابي بصير عن ابي عبد الله عليه السلام قال سألته عن القائم فقال (قال خ) كذب الوقَاتون انا اهل بيت لا نوقَت.

وعن الفضيل بن يسار عن ابي جعفر عليه السلام قال قلت لهذا الامر وقت؟ فقال كذب الوقَاتون كذب الوقَاتون كذب الوقَاتون ان موسى عليه السلام لما خرج وافداً الى ربه واعدهم ثلثين يوماً فلما زاد الله على ثلثين عشراً قال قومه قد اخلفنا موسى فصنعوا ما صنعوا فاذا حدثناكم بالحديث فجاء على خلاف ما حدثناكم به فقولوا صدق الله توجروا مرتين، وروى عن الحسن بن علي بن يقطين عن اخيه الحسن عن ابيه علي بن يقطين قال قال لي ابو الحسن عليه السلام الشيعو تربَى بالاماني منذ مأتي سنة، قال وقال يقطين لابنه علي بن يقطين ما بالنا قيل لنا وكان وقيل لكم فلم يكن قال فقال له علي ان الذي قيل لنا ولكم كان من مخرج واحد غير ان امركم حضر فأعطيتم محضه فكان كما قيل لكم، وان امرنا لم يحضر فعللَنا بالاماني، فلو قيل لنا ان هذا الامر لا يكون الا الى مأتي سنة او ثلثمائة لقست القلوب ولرجع عامَة الناس عن الاسلام ولكن قالوا ما اسرع الامر واقربه تألفاً لقلوب الناس وتقريباً للفرج.

فان قلت ما معنى الحديث الاول وكيف يستقيم ان يكون امر الخروج في السبعين او بعدها قبل ولادة المهدي عليه السلام مع انه هو القائم الذي يملأها عدلا، قلت معناه والله العالم ان كل واحد من الائمة عليهم السلام قابل للقيام بأمر السيف، ولو لم يحصل من الخلق ما افضى الى التأخير

لكان الحسين عليه السلام اة من بعده قد قام بالامر وخلفه بالقيام من بعده من الائمة عليهم السلام حتى ينتهي النوبة الى المهدي عليه السلام فيكون قائماً ايضاً لكن بلا تعب وجهاد شديد، وبالجملة فهم عليهم السلام ليس بينهم تنافس وتنازع في الدولة على حدّ غيرهم من اهل الدنيا، فلا تفاوت بين ان يكون كل واحد منهم هو القائم ولكن لله عز وجل حكمة هو بالغها والله على ما يشاء قدير.

والظاهر ان المراد في السبعين ان يكون ابتداؤها من الهجرة، ويؤيده ان خروج الحسين عليه السلام انما كان في حدود السبعين واستشراف امر ابي الحسن الرضا عليه السلام انما كان بعد اربعين ومأة بقليل، وقيل ان ابتداء السبعين من الغيبة المهدوية وذلك انه غاب عليه السلام وهو ابن تسع سنين وقيل احدى عشر سنة.

اذا تحققت هذا فاعلم انه قد وردت اخبار مجملة وقد نقلها الاصحاب على اجمالها ولم يتعرضوا لبيان معناها وذلك انها اخبار متشابهة يجب عليما الاذعان لها من باب التسليم، ولما انتهت النوبة الى شيخنا المحقق رئيس المحققين وخاتمة المجتهدين المولى المجلسي صاحب كتاب بحار الانوار ادام الله ايام أفاداته، واجزل في الاخرة مثوباته وسعاداته، توجه الى ايضاحها وتفسيرها، وطبَق بعضها على وقت تعيين ظهور الدولة الصفوية اعلى الله منار بنيانها، وشيّد رفيع اركانها، وطبق البعض الاخر على تعيين وقت ظهور مولانا صاحب الزمان عليه الف سلام فلننقل تلك الاخبار على وجهها ثم نذكر ما افاده سلّمه الله تعالى من البيان والايضاح.

الحديث الاول ما رواه الشيخ الاجل المحدث محمد بن ابراهيم النعماني في كتاب الغيبة بسنده الى ابي خالد الكابلي عن الباقر عليه السلام انه قال كأني بقوم قد خرجوا بالمشرق يطلبون الحق فلا يعطونه ثم يطلبونه فلا يعطونه فاذا رأوا ذلك وضعوا سيفوهم على عواتقهم، فيعطون ما سألوا فلا يقلونه حتى يقوموا ولا يدفعونها الا الى صاحبكم قتلاهم شهداء، قال أدام الله ايامه انه لا يخفى على اهل البصائر انه لم يخرج من المشرق سوى ارباب السلسلة الصفوية وهو الشاه اسماعيل اعلى الله مقامه في دار المقامة، وقوله عليه السلام لا يدفعونها الا الى صاحبكم، المراد به القائم عليه السلام فيكون في هذا الحديث اشارة الى اتصال دولة الصفوية بدولة المهدي عليه السلام فهم الذين يسلمون الملك له عند نزوله بلا نزاع وجدال.

الحديث الثاني ما رواه النعماني ايضاً في ذلك الكتاب باسناد معتبر الى الصادق عليه السلام قال بينا امير المؤمنين عليه السلام يحدّث في الوقايع التي تجري بعده الى ظهور المهدي عليه السلام فقال له الحسين عليه السلام يا امير المؤمنين في أي وقت يطهر الله الارض من الظالمين فقال عليه السلام لا يكون هذا حتى تراق دماء كثيرة على الارض بلا حق، ثم انه عليه السلام فصّل احوال بني امية وبني العباس في حديث طويل اختصره الراوي، فقال امير المؤمنين عليه السلام اذا قام القائم بخراسان وغلب على ارض

كوفان وملطان، وتعدى جزيرة بني كاوان وقام منّا قائم بجيلان، واجابته الابر والديلم، وظهرت لولدي رايات الترك متفرقات في الاقطار والحرمات وكانوا بين هنات وهنات اذا خرجت البصرة وقام امير الامرة، فحكى عليه السلام حكاية طويلة ثم قال اذا جهزت الالوف وصفّت الصفوف وقتل الكبش الخروف هناك يقوم الاخر ويثور الثائر ويهلك الكافر، ثم يقوم القائم المأمول والامام المجهول له الشرف والفضل، وهو من ولدك يا حسين لا ابن مثله، يظهر بين الركنين في ذرَ يسير يظهر على الثقلين ولا يترك في الارض الادنين، طوبى لمن ادرك زمانه ولحق اوانه وشهد ايامه.

قال ضاعف الله ايام سعادته جزيرة بني كاوان جزيرة حول البصرة، واهل الابر جماعة في قرب استرآباد والديلم هم اهل قزوين وما والاها، والحرمات الامكنة الشريفة قوله هنات وهنات أي حروب عظيمة ووقايع كثيرة في وقت خراب البصرة، والمراد بالقائم المأمول هو المهدي عليه السلام، والمراد بالركنين ركنا الكعبة وهو الركن والحطيم الذي هو محل خروجه عليه السلام، وقوله ذر يسير المراد به الجماعة القليلة وهم عدد شهداء بدر، وقوله يظهر على الثقلين يعني به أنه عليه السلام يغلب على الجن والانس سميَا به لانهما يثقلان الارض بالاستقرار فوقها، او لانهما اشرف المخلوقات السفلية والعرب تسمى الشريف ثقلاً لحمله ورزانته، وقيل أنما سميَا به لانهما قد ثقلا بالتكاليف فهما ثقلان بمعنى مثقلان، وقوله الادنين جمع ادنى وهم ارازل الناس وادناهم والمراد بهم الظالمون والكافرون، ثم قال سلّمه الله تعالى الظاهر ان المراد باهل الخروج من خراسان هم امراء الترك مثل جنكيزخان وهلاكوخان، والمراد بالخوارج من جيلان هو الشاه المؤيد الشاه اسماعيل، ومن ثم اضافه عليه السلام الى نفسه وسمّاه ولده، والمراد بأميرة الامرة اما ذلك السلطان المذكور او غيره من السلاطين الصفوية، وقوله وقتل الكبش الخروف الظاهر انه اشارة الى المرحوم صفي ميرزا فان اباه وهو المرحوم الشاه عباس الاول قد قتله، وقوله يقوم الاخر به المراد به المرحوم الشاه صفي فانه اخذ دمه.

واول من قتله هو الذي باشر قتل ابيه صفي ميرزا، وقوله عليه السلام ثم يقوم القائم المأمول اشارة ايضاً الى اتصال الدولة الصفوية بالدولة المهدوية على صاحبها السلام.

الحديث الثالث رواه الشيخ الاجل محمد بن مسعود العياشي وهو من ثقات المحدثين في كتاب التفسير عن ابي لبيد المخزومي عن الباقر عليه السلام بعد ما ذكر ملك شقاوة بني العباس قال يا ابا لبيد ان في حروف القرآن المقطعة لعلماً جماً، ان الله تعالى انزل ﴿الم ذلك الكتاب﴾، فقام محمد صلى الله عليه وآله حتى ظهر نوره وثبتت كلمته وولد يوم ولد، وقد مضى من الالف السابع مأة وثلث سنين، ثم قال وتبيانه في كتاب الله في الحروف المقطعة اذا عددتها من غير تكرار، وليس من

الحروف المقطعة حرف ينقضي الا وقيام قائم من بني هاشم عند انقضائه، ثم قال الالف واحد واللام ثلاثون، والميم اربعون والصاد تسعون فذلك مأو وواحد وستون، ثم كان بدو خروج الحسين بن علي عليه السلام الم الله، فلما بلغت مدته قام قائم ولد العباس عند المص ويقوم قائمنا عند انقضائها بالر، فافهم ذلك وعه واكتمه.

قال ذلك المحقق ايده الله تعالى قوله عليه السلام من الالف السابع المراد به في ابتداءه خلق ابينا آدم عليه السلام ثم قال ايده الله تعالى ان في هذا الحديث في غاية الاشكال وقد ذكرنا له وجوهاً في كتاب بحار الانوار ولنذكر هنا وجهاً واحداً ولكنه مبني على تمهيد مقجمة، وهي ان المعلوم من كتب الحساب المعتبرة ان حساب ابجد له اصطلاحات مختلفة ومناط حساب هذا الحديث على اصطلاح اهل المغرب وقد كان شائعاً بين العرب في الاعصار السابقة، وهو هذا صعفض قرست ثخذ ظغش، فالصاد عندهم ستون والضاد تسعون والسين ثلثمائة والظاء ثمانمائة والغين تسعمائة والشين الف وباقي الحروف على موافقة المشهور.

اذا عرفت هذه المقدمة فاعلم ان تاريخ ولادة نبينا صلى الله عليه وآله يظهر من جميع فواتح السور ولكن باسقاط الحروف المكررة مثلاً الم والر وحم وغيرها من المكررات لا يؤخذ منه بالحساب الا ةاحد وكذلك الحروف المبسوطة مثل الف را لا يحسب منه الا ثلثة وكذا لام واو ونحو ذلك وحينئذ فالف لام ميم الف لام ميم صاد الف لام را الف لا ميم را كاف ها يا عين صاد طا ها طا سين ميم طاسين ياسين صاد حاميم حا ميم عين سين قاف قاف نون، اذا عددت حروفها تكون مأة وثلثاً من وقت خلق ابينا آدم عليه السلام الى وقت النبي صلى الله عليه وآله يكون على وفق هذا الحديث ستة آلاف سنة ومأة وثلثون (ثلث سنين ظ) والاول من كل الف سنة تاريخ، واول كل سابع من الاف مأة وثلاث سنين يكون قد مشت، وعدد هذه الحروف ايضاً يكون مأة وثلاثة على ما عرفت، فيكون الم الذي في اول سورة البقرة اشارة الى مبعث نبينا صلى الله عليه وآله، وقوله عليه السلام وليس حرف ينقضي الا وقيام القائم من بني هاشم عند انقضائه واضح على هذا، وذلك اول دولة بني هاشم ابتداؤها من عبد المطلب ومن ظهور دولة عبد المطلب الى ظهور دولة نبينا صلى الله عليه وآله احدى وسبعين سنة تقريباً عدد الم بحساب ابجد على ترتيب القرآن بعد الم البقرة والم آل عمران، وهو اشارة الى خروج الحسين عليه السلام فانه من ابتداء رواج دولة النبي صلى الله عليه وآله الى وقت خروج الحسين عليه السلام احدى وسبعون سنة تقريباً، وايضاً بحسب ترتيب سور القرآن المص وهو اشارة الى خروج بني العباس فانهم من بني هاشم ايضاً وان كانوا غير محققين في امر الخروج وبحساب ابجد على طريق المغاربة مأة وواحد وثلاثون، ومن اول بعثة النبي صلى الله عليه وآله الى وقت ظهور دولتهم مأة وواحد وثلثون وان كان الى زمان بيعتهم اكثر.

ويحتمل ان يكون ابتداء هذا التاريخ من وقت نزول سورة الاعراف فيكون مطابقاً لوقت بيعتهم وعلى حساب المص على طريق المغاربة يبنى الحديث المروي في كتاب معاني الاخبار وسنذكره ان شاء الله تعالى، واما كون قيام القائم عليه السلام مبنياً على حساب الر فالّذي يخطر بخاطري ان الر قد وقع في القرآن في خمسة مواضع وينبغي ان يحسب كله بقرينة انه عليه السلام لم يتعرض لبيانه كما تعرض لبيان الم ومجموعه الف ومأة وخمس وخمسون سنة تقريباً من سنة تحرير هذه الرسالة، وهو سنة الف وثمان وسبعون من الهجرة فيكون قد بقى من وقت خروجه عليه السلام (سبعة وسبعون ظ) خمس وستون سنة لما كان مبدأ هذه التواريخ من اوائل البعثة، هذا محصل كلامه سلّمه الله تعالى.

اقول ما ذكره ايّده الله تعالى وان كان احتمالاً قريباً والتفأل بالخير الا انا لم نتحقق بل ولا نظنّ ارادة هذا المعنى من الخبر بل الحق انه من قبيل الاخبار المتشابهة التي لا يمكن الوصول الى بيان حقيقتها كيف لا وتحت نتوقع الفرج صبحاً (صباحا) ومساءً، وعلى ما قاله سلمه الله تعالى لا تبلغه اعمارنا على تقدير بلوغها العمر المعتاد فان قضت علينا المنون فانا لله وانا اليه راجعون، ونرجوا من الله سبحانه ان يشرفنا بلقائه انه كريم رحيم.

نور في كيفية رجعته عليه السلام

وفي بيان سيرته ومن يرجع في عصره من الانبياء والاوصياء عليهم السلام، روى الحسن بن محبوب عن علي بن ابي حمزة عن ابي بصير عن ابي عبد الله عليه السلام قال لا يخرج القائم الا في وتر من السنينسنة احدى او ثلاث او خمس او سبع او تسع، وقال عليه السلام ينادي باسم القائم في ليلة ثلاث وعشرين من شهر رمضان، ويقوم يوم عاشورا وهو اليوم الذي قتل فيه الحسين بن علي عليهما السلام لكأني به في يوم السبت العاشر من المحرم قائماً بين الركن والمقام وجبرئيل بين يديه ينادي بالبيعة له، فتصير اليه شيعته من اطراف الارض تطوي لهم طياً حتى يبايعوه فيملأ الله به الارض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً.

وروى صاحب منتخب البصائر بسند معتبر الى المفضل بن عمر قال سألت سيدي الصادق عليه السلام هل للمهدي عليه السلام من وقت موقّت يعلمه الناس؟ فقال حاش لله ان يوقّت ظهوره بوقت يعلمه شيعتنا، قلت يا سيدي ولم ذلك؟ قال لانه هو الساعة التي قال الله عزوجل ﴿ويسألونك عن الساعة قل انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها الا هو﴾، وهي الساعة التي قال الله عز وجل ﴿يسألونك عن الساعة ايّان مرسيها﴾ وقال ﴿وعنده علم الساعة﴾ ولم يقل عند احد، وقال ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾ قلت فما معنى ما يروون؟ قال يقولون متى

ولد متى يظهر شكاً في قضاء الله، اولئك الذين خسروا الدنيا والاخرة، قلت افلا نوقت (توقت خ) فقال يا مفضل ان من وقت لمهدينا وقتاً فقد شارك الله في علمه وادّعى انه اظهر سرّه، قال المفضل يا مولاي وكيف بدو ظهور المهدي؟ فقال يا مفضل يظهر بغتة وينادي باسمه وكنيته ونسبه ويكثر ذلك على المحقّين والمبطلين لتسكن فيهم الحجة على انا قد قصصنا ودللنا عليه وسميّناه وقلنا سمي جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله لئلا يقول الناس ما عرفنا له اسماً ولا كنية، قال المفضل يا مولاي فما تأويل قول الله عز وجل ﴿ليظهره على الدين كله﴾؟ وقال ﴿قاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله﴾ قال فوالله ليرفع الاختلاف بين اهل الملل والاديان ويكون الدين كله واحداً، كما قال تعالى ﴿ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الاخرة من الخاسرين﴾.

قال المفضل فقلت يا مولاي لم سمّى الصابئون؟ قال لانهم صبوا الى تعطيل الاديان والرسل والملل والشريعة، قال المفضل ففي أي بقعة يظهر المهدي؟ قال لا تراه عين وقت ظهوره إلا رأته كل عين وذلك انه يغيب آخر يوم من سنة ست وستين ومأتين ولا تراه عين احد حتى يراه كل احد، ثم يظهر بمكة ووالله يا مفضل كأني انظر اليه داخل مكة وعليه بردة رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى رأسه عمامته وفي رجليه نعل رسول الله المخصوفة، وفي يده عصى النبي صلى الله عليه وآله بين يديه عنزاً عجافاً حتى يصل بها نحو البيت حتى لا يعرفه احد قال المفضل يا سيدي كيف يظهر قال يظهر وحده ويأتي البيت وحده الى الكعبة ويجنّ عليه الليل، واذا نامت العيون وغسق الليل نزل اليه جبرئيل وميكائيل والملائكة صفوفاً، فيقول له جبرئيل يا سيدي قولك مقبول وامرك جار فيمسح يده على وجهه ويقول ﴿الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوء من الجنة حيث نشاء فنعم اجر العاملين﴾، ويقف بين الركن والمقام ويصرخ صرخة يا معشر نقبائي واهل خاصتي ومن خلقهم الله لظهوري على وجه الارض ايتوني طائعين، فترد صيحته عليهم وهم على تجايرهم وعلى فرشهم في شرق الارض وغربها، فيسمعونه في صيحة واحدة في اذن كل رجل فيجيئون نحوه ولا يمضي لهم الا كلمحة بصر حتى يكونوا كلهم بين يديه بين الركن والمقام، فيأمر الله عز وجل بنور فيصير عموداً من الارض الى السماء يستضيء به كل مؤمن على وجه الارض، ويدخل عليه نور في جوف بيته فتفرح نفوس المؤمنين بذلك النور وهم لا يعلمون يظهور قائمنا، ثم يصبحون وقوفاً بين يديه وهم ثلثمائة وثلثة عشر رجلاً بعدّة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر.

قال المفضل فالاثنان وسبعون رجلاً الذين قتلوا مع الحسين عليه السلام يظهرون معه قال نعم يظهرون معه وفيهم الحسين عليه السلام في اثنى عشر الفاً من المؤمنين من شيعة علي عليه السلام عليه عمامة

سوداء يا مفضل سيدنا القائم يسند ظهره الى الحرم ويمدّ يده فترى بيضاء من غير سوء، ويقول هذه يد الله ثم يتلو هذه الاية ﴿ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم﴾ فيكون اول من يقبل يده جبرئيل عليه السلام ثم يبايعه الملائكة ونجباء الجنّ ثم نقباء المؤمنين، ويصبح الناس بمكة فيقولون قد رأينا الليلة عجباً لم نرَ مثله ويقول بعضهم لبعض انظروا هل تعرفون احداً ممّن فيقولون لا نعرف احداً منهم الا اربعة من اهل مكة واربعة من اهل المدينة، ويكون هذا اول طلوع الشمس من ذلك اليوم، فاذا طلعت الشمس واضائت صاح صائح بالخلائق من عين الشمس بلسان عربي مبين يسمع من في السموات والارضين يا معشر الخلائق هذا مهدي آل محمد ويسميَه باسم جده رسول الله صلى الله عليه وآله بايعوه تهتدوا، ولا تخالفوا امره تضلوا، فأول من يقبّل يده الملائكة ثم الجن ثم النقباء فيقولون سمعنا واطعنا، ولا يبقى ذو اذن الا يسمع ذلك النداء، ويقبل الخلائق من البدو والحضر والبر والبحر يحذّر بعضهم بعضاً ما سمعوه بآذانهم، فاذا دنت الشمس من المغرب صرخ صارخ من مغربها يا معشر الخلائق ظهر بكم مولى الناس من ارض فلسطين وهو عثمان بن عنبسة اموي من ولد يزيد بن معاوية لعنهم الله تعالى فبايعوه تهتدوا ولا تخالفوا عليه تضلوا، فيردّ عليه الملائكة والجن والنقباء قوله ويكذبونه، ويقولون سمعنا وعصينا، ولا يبقى ذو شكّ ولا مرتاب الا ضلّ بالنداء الثاني والمنادي هو الشيطان.

وسيدنا القائم مسند ظهره الى الكعبة ويقول يا معشر الخلائق الا ومن اراد ان ينظر الى آدم وشيث فها انا ذا آدم وشيث، الا ومن اراد ان ينظر الى نوح واينه سام فها انا ذا نوح وابنه سام، الا ومن اراد ان ينظر الى ابراهيم وولده (وابنه خ) اسماعيل فها انا ذا ابراهيم واسماعيل، الا ومن اراد ان ينظر الى عيسى وشمعون فها انا ذا عيسى وشمعون الا ومن اراد ان ينظر الى محمد وامير المؤمنين فها انا ذا محمد وامير المؤمنين، ومن اراد ان ينظر الى الحسن والحسين فها انا ذا الحسن والحسين، الا ومن اراد ان ينظر الى الائمة من ولد الحسين فها انا ذا الائمة اجيبوا مسألتي فاني انبأكم بما نبأتم به او لم تنبأوا به، ومن كان يقرأ الكتب والصحف فليسمع مني، ثم يبتدئ بالصحف التي انزلها الله لادم وشيث فتقول امة آدم وشيث هذه والله هي الصحف حقاً، ولقد رأينا ما لم نعلمه فيها وما كان اسقط منها وبدّل وحرّف ثم يقرأ صحف نوح وصحف ابراهيم والتورية والانجيل والزبور فيقول اهل التورية والانجيل والزبور هذه والله صحف ابراهيم حقاً، وما اسقط وبدّل وحرّف منها، هذه والله التورية الجامعة والانجيل الكامل، وانها اضعاف ما ترى فيها، ثم يتلوا القرآن فيقول المسلمون هذا والله القرآن وما حرّف وما بدّل.

ثم تظهر الدابة بين الركن والمقام فيكتب في وجه المؤمن مؤمن وفي وجه الكافر كافر، ثم يظهر السفياني ويسير جيشه الى العراق، فيخربه ويخرب الزوراء ويتركهما ويخرب الكوفة والمدينة وتروث بغالهما في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وجيش السفياني يومئذ ثلثمائة الف رجل بعد ان خرب الدنيا، ثم يخرج الى البيدا، يريد مكة وخراب البيت، فلما صاروا بالبيداء عن يسارها صاح بهم صائح يا بيدا بيديهم، فتبلعهم الارض بخيلهم فيبقى اثنان، فينزل ملك فيحوّل وجوههما الى ورائهما ويقول لمبشّر امض الى المهدي وبشرّه بهلاك جيش السفياني وقال للذي اسمه نذير امض الى السفياني فعرفه بظهور المهدي مهدي آل محمد، فيمضي مبشّر الى المهدي فيعرفه بهلاك جيش السفياني وان الارض التي انفجرت لم تبق من الجيش عقال ناقة، فيمسح المهدي عليه السلام على وجهه فيستوي ويبايع المهدي وتظهر الملائكة والجن ويخالط الناس ويسيرون معه وينزلون ما بين الكوفة والنجف، ويكون عدَة اصحابه ستة واربعين الفاً من الملائكة ومثلها من الجنّ، ثم ينصره ويفتح على يديه.

قال المفضل الجن والملائكة تظهر للناس في ذلك الزمان؟ قال نعم كما يظهر الناس بعضهم لبعض، فقال له المفضل ما يصنع بأهل مكة فقال يدعوهم بالحكمة والموعظة ثم ينصب عليهم خليفة من اهل بيته ويتوجه الى المدينة، فقال المفضل ما ينصع بالكعبة فقال انه يهدم هذا البيت ويبنيه على بناء ابراهيم واسماعيل عليهما السلام، وكذلك يهدم جميع ما بناه الظالمون في كل الاقاليم وكذلك يهدم مسجد الكوفة ويصنعه على الاول فقال المفضل ايقيم في مكة؟ قال لا ولكن ينصب عليهم خليفة من اهل بيته فاذا خرج من مكة قصد اهل مكة الى خليفته فقتلوه، فيرجع المهدي عليه السلام اليهم ويخوّفهم العقوبات فيتوبون فينصب عليهم خليفة منهم، فاذا خرج من مكة عمدوا اليه ايضاً فقتلوه، ثم ان المهدي عليه السلام يرسل اليهم عساكر من الجنّ والنقباء فمن آمن تركوه ومن ابى قتلوه وما يؤمن به من مأة واحد، فقال له المفضل يا سيدي اين يكون منزل المهدي ومحلّ اجتماع المؤمنين معه، فقال ان سرير ملكه يكون بلد الكوفة ومجلسه وموضع حكمه مسجدها، ومكان بين المال وقسمة الغنائم مسجد السهلة، وموضع انفراده ونزاهته النجف الاشرف، فقال له المفضل يكون جميع المؤمنين في الكوفة، فقال بلى والله ما من مؤمن الا وهو اما فيها او في قربها او يكون قلبه مائلاً اليها، ويكون قيمة الارض منها قيمة موضع كل شاة الفا درهم، ويكون سعة بلدها ثمانية عشر فرسخاً، وتتصل قصورها بأرض كربلا وتكون كربلا ملجأ للمؤمنين.

ثم انه عليه السلام تنفَس فقال يا مفضل ان بقاع الارض تفاخرت ففخرت الكعبة على بقعة كربلا، فاوحى الله عز وجل اليها ان اسكتي يا كعبة ولا تفخري على كربلا فانها البقعة المباركة

التي قال الله فيها لموسى عليه السلام ﴿اني انا الله﴾ وهي موضع المسيح وامه وقت ولادته، وانها الدالية التي غسل بها رأس الحسين بن علي عليهما السلام، وهي التي عرج منها محمد صلى الله عليه وآله، وقال المفضل يا سيدي يسير المهدي الى اين قال الى مدينة جدي رسول الله صلى الله عليه وآله فاذا وردها كان له فيها مقام عجيب، يظهر فيه سرور المؤمنين وخزي الكافرين فقال المفضل يا سيدي ما هو ذاك؟ قال يرد الى قبر جده فيقول يا معشر الخلائق هذا قبر جدي فيقولون نعم يا مهدي آل محمد، فيقول ومن معه في القبر فيقولون صاحباه (مصاحباه خ) وضجيعاه ابو بكر وعمر فيقول عليه السلام وهو اعلم الخلق من ابو بكر وعمر وكيف دفنا من بين الخلق مع جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وعسى ان يكون المدفون غيرهما فيقول الناس يا مهدي آل محمد ما هيهنا غيرهما وانهما دفنا معه لانهما خليفتاه وآباء زوجتيه فيقول هل يعرفهما احد فيقولون نعم نحن نعرفهم بالوصف، ثم يقول هل يشكّ احد في دفنهما هنا؟ فيقولون لا، فيأمر بعد ثلاثة ايام ويحفر قبورهما ويخرجهما، فيخرجان طريين كصورتهما في الدينا فيكشف عنهما اكفانهما ويأمر برفعهما على دوحة يابسة نخرة فيصلبهما عليها، فتتحرك الشجرة وتورق وترفع ويطول فرعها، فيقول المرتابون من اهل ولايتهما هذه والله الشرف حقاً ولقد فزنا بمحبتهما وولايتهما، فينشر خبرهما فكلّ من بقلبه حبّة خردل من محبتهما يحضر المدينة فيفتنون بهما، فينادي مناد المهدي عليه السلام هذان مصاحبا رسول الله صلى الله عليه وآله فمن احبهما فليكن في معزل ومن ابغضهما يكن في معزل فيتجزء الخلق جزئين، موال ومعاد، فيعرض على اوليائهما البرائة منهما، فيقولون يا مهدي ما كنّا نبرأ منهما، وما كنّا نعلم ان لهما عند الله هذه الفضيلة فكيف نبرأ منهما وقد رأينا منهما ما رأينا في هذا الوقت من نضارتهما وغضاضتهما وحيوة الشجرة بهما، بلى والله نبرأ منك وممن آمن بك وممن لا يؤمن بهما وممن صلبهما واخرجهما وفعل ما فعل بهما فيأمر المهدي عليه السلام ريحاً فتجعلهم كأعجاز نخ لخاوية ثم يأمر بانزالهما فينزلان فيحيهما باذن الله ويأمر الخلائق بالاجتماع، ثم يقصّ عليهم قصص فعالهم في كل كور ودور حتى يقصّ عليهم قتل هابيل بن آدم وجمع النار لابراهيم وطرح يوسف في الجب وحبس يونس في بطن الحوت، وقتل يحيى وصلب عيسى وعذاب جرجيس ودانيال، وضرب سلمان الفارسي وإشعال النار على باب امير المؤمنين وفاطمة والحسنين عليهم السلام وارادة احراقهم بها، وضرب الكبرى فاطمة الزهراء بسوط ورفس بطنها واسقاطها محسناً، وسمّ الحسن وقتل الحسين عليه السلام وذبح اطفاله وبني عمّه وانضاره وسبي ذراري رسول الله واراقة دماء آل محمد، وكل دم مؤمن وكل فرج نكح حراماً وكل رباء اكل وكل خبث وفاحشة وظلم منذ عهد آدم على قيام قائمنا، كل ذلك يعدده عليهما ويلزمها اياه

ويعترفان به، ثم يأمر بهما فيقتص منهما في ذلك الوقت مظالم من حضر ثم يصلبهما على الشجرة ويأمر ناراً تخرج من الارض تحرقهما والشجرة ثم يأمر ريحاً فتنسفهما في اليم نسفا.

قال المفضل يا سيدي هذا آخر عذابهما؟ قال هيهات يا مفضل والله ليردنَ وليحضرنَ السيد الاكبر محمد رسول الله صلى الله عليه وآله والصديق الاعظم امير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والائمة عليهم السلام وكلّ من محضَ الايمان محضاً وكل من محضّ الكفر محضاً وليقتصنّ منهما بجميع المظالم ثم يأمر بهما فيقتلان في كل يوم وليلة الف قتلة ويردان الى اشد العذاب ثم يسير المهدي الى الكوفة فينزل ما بين الكوفة والنجف في ستة واربعين الفاً من الجنّن ثلثمائة وثلثة عشر من النقباء، فقال له المفضل يا سيدي فالزوراء التي تكون في بغداد ما يكون حالها في ذلك؟ فقال تكون محلَ عذاب الله وغضبه والويل لها من الرايات الصفر ومن الرايات التي تسير اليها في كل قريب وبعيد والله لينزلنّ بها من صنوف العذاب ما نزل بسائر الامم المتمردة من اول الدهر الى آخره، ولينزلن بها من العذاب ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، وسيأتيها طوفان بالسيوف فالويل لمن اتخذ بها مسكناً والله ان بغداد تعمر في بعض الاوقات حتى ان الرائي يقول هذه هي الدنيا لا غيرها، ويظنَ ان بناتها حور العين واولادها اولاد الجنّة، ويظن ان لا رزق الله الا فيها، ويظهر فيه الكذب على الله والحكم بغير الحق وشهادة الزور وشرب الخمور والزنا واكل مال الحرام وسفك الدماء، ثم بعد ذلك يخربها الله تعالى بالفتن وعلى يدي هذه العساكر حتى المارّ عليها لا يرى منها الرسوم بل يقوم هذه ارض بغداد.

ثم يخرج الفتى الصبيح وهو الحسني من نحو الديلم وقزوين فيصيح بصوت له فصيح يا آل محمد اجيبوا الملهوف، فتجيبه كنوز الطالقان كنوز ولا كنوز من ذهب ولا من فضة بلهي رجال كزبر الحديد، لكأني انظر اليهم على البرازين الشهب بأيديهم الحراب يتعاوون شوقاً الى الحراب كما تتعاوى الذباب اميرهم رجل من بني تيم يقال له شعيب بن صالح، فيقبل الحسني فيهم ووجهه كدائرة القمر فيأتي على الظلمة ويقتلهم حتى يرد الكوفة وقد جمع بها اكثر اهل الارض فيتصلّ به وباصحابه خبر المهدي، فيقولون يا ابن رسول الله من هذا الذي نزل بساحتنا، فيقول الحسني اخرجوا بنا اليه حتى ننظر من هو وما يريد وهو يعلم والله انه المهدي وانه يعرفه، فيخرج الحسني وبين يديه اربعة آلاف رجل وفي اعناقهم المصاحف وعليهم المسوح مقلدين سيوفهم فيقبل الحسني حين ينزل بقرب المهدي عليه السلام فيقول اسألوا عن هذا الرجل من هو وماذا يريد؟ فيخرج بعض اصحاب الحسني الى عسكر المهدي فيقول ايها العسكر الحائل من انتم حيّاكم الله ومن صاحبكم وماذا يريد؟ فيقول اصحاب المهدي هذا مهدي آل محمد ونحن انصاره من الجن والانس والملائكة، ثم يقول الحسني خلّوا بيني وبين هذا فيخرج اليه

المهدي فيقفان بين العسكرين، فيقول الحسني ان كنت مهدي آل محمد فأين عصا جدي رسول الله وخاتمه وبردته ودرعه وعمامته السحاب، وفرسه وناقته العضباء وبغلته دلدل وحماره يعفور ونجيبه البراق وتاجه والمصحف الذي جمعه ابي امير المؤمنين بغير تغيير ولا تبديل، فيحضر له السفط الذي فيه جميع ما طلبه.

وقال عليه السلام ان في السفط تركات جميع النبيين حتى عصى آدم ونوح وتركة هود وصالح ومجمع ابراهيم وصاع يوسف ومكتل شعيب وميزانه، وعصى موسى وتابوته الذي فيه بقية (مما خ ل) ما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة ودرع داود وخاتم سليمان وعصاه وتاجه ورجل عيسى وميراث النبيين والمرسلين في ذلك السفط، فيأخذ المهدي العصا وينصبها فوق حجر صلب فتصير شجرة عظيمة يستظل تحتها كل ذلك العسكر فيقول الحسني الله اكبر يا ابن رسول الله مد يدك ابايعه فيبايعه الحسني وسائر عسكره الا اربعة آلاف من اهل المصاحف والمسوح المعروفون بالزيدية فيقولون ما هذا الا سحر عظيم فيختلط العسكران، ويقبل المهدي عليه السلام على هذه الطائفة فيعظهم ويزجرهم الى ثلاثة ايام فلا يزدادون الا بعداً وطغياناً وكفراً، فيأمر المهدي بقتلهم فكأني انظر اليهم قد ذبحوا على مضاجعهم كلهم يتمرغون في دمائهم وتتمرغ المصاحف، فيقبل بعض اصحابه فيأخذ تلك المصاحف فيقول المهدي دعوها تكون عليهم حسرة كما بدلوها وغيروها وحرفوها ولم يعملوا بما حكم الله فيها.

قال المفضل ثم ماذا يعمل يا سيدي؟ قال ثم تثور سراياه الى السفياني الى دمشق فيأخذونه ويذبحونه على الصخرة، ثم يظهر الحسين بن علي عليه السلام في اثنى عشر الف صدّيق واثنين وسبعين رجلاً من اصحابه الذين قتلوا معه يوم عاشورا فيالك عندها من كرة زهراء ورجعة بيضاء، ثم يخرج الصديق الاكبر امير المؤمنين وتنصب له القبة البيضار على النجف وتقام اركانها، ركن بالنجف وركن في هجر وركن بصنعاء اليمن وركن بأرض طيبة وركن بأرض البحرين، كأني انظر الى مصابيحها تشرق في السماء والارض كأضوء من الشمس والقمر فعندها تبلى السرائر وتذهل كل مرضعة عما ارضعت وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد، ثم يظهر السيد الاجل محمد رسول الله صلى الله عليه وآله في انصاره والمهاجرين اليه ويحضر مكذبوه ويحضر الشاكون فيه، ويحضر الكافرون القائلون انه ساحر وكاهن ومجنون ومعلَم وشاعر وناطق عن الهوى ومن حاربه وقاتله حتى يقتص منهم ويجازون بافعالهم منذ وقت ظهر الى ظهور المهدي اياماً اياماً ووقتاً وقتاً ويحق تأويل هذه الاية ﴿ونريد ان نمنَ على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين﴾ الاية.

قال المفضل ما المراد بفرعون وهامان في الاية؟ فقال ابو بكر وعمر قال المفضل قلت يا سيدي ورسول الله وامير المؤمنين يكونان مع المهدي؟ فقال لا بدّ ان يطاءا الارض أي والله حتى ما وراء جبل قاف وما في الظلمات وجميع البحور، ويقيم دين الله في جميع الاماكن وكأني ارى يا مفضل اننا (معاشر ظ) ايها (أي خ ل) الائمة واقفون عند جدنا رسول الله صلى الله عليه وآله نشكو اليه ما صنع بنا هذه الامة من بعده من تكذيبنا وسبّنا واخافتنا بالقتل والاخراج من حرم الله ورسوله وقتلنا وحبسنا، فيبكي النبي صلى الله عليه وآله ويقول قد فعلوا بكم ما فعلوا بجدكم فاوّل من يشكوا اليه فاطمة من ابي بكر وعمر فتقول له انهما اخذا فدك مني بعد ما اقمت البراهين عليهما فلم ينفع والكتاب الذي كتبته لي على فدك اخذه مني عمر بحضور المهاجرين والانصار وتفل فيه ومزقه فأتيت الى قبرك شاكية وابو بكر وعمر بسقيفة بني ساعدة مضوا الى المنافقين وتواطئوا معهم وغصبوا خلافة زوجي فأتوا اليه ليبايعهم فأبى فجمعوا حطباً ووضعوه على باب البيت ليحرقوا اهل البيت فصحت وقلت ما هذه الجرأة على الله وعلى رسوله يا عمر تريد ان تقطع نسل الانبياء فقال عمر اسكتي ليس محمد موجوداً حتى ينزل عليه الملائكة بالامر والنهي قولي لعلي يبايع ابا بكر والا اضرمنا النار في بيتكم، فقلت اشكو الى الله كيف فعلوا بنا بعد النبي صلى الله عليه وآله وغصبوا حقنا فصاح عمر دعينا من هذه الحماقات، الم تعلمي ان الله تعالى لن يجمع النبوة والامامة لكم، فرفع سوطه وضربني به فكسر يدي وعصر الباب على بطني فاسقط مني ولدي المحسن فصحت واابتاه وارسول الله قد كذّبوا ابنتك وضربوها بالسوط واسقطوا منها ولدها المحسن، فاردت يا رسول الله ان اكشف القناع عن رأسي وانشر شعري واشكو الى الله فمنعني علي بن ابي طالب وقال ان اباك قد كان بعث رحمة للامة فلا تكوني انت السبب في عذابهم ولا تنشري شعرك والله ان رفعت راسك بالدعاء ليهلكن الله ما في الارض والهوى فرجعت الى البيت وبقيت مريضة من ذلك الضرب صرت شهيدة منه.

ثم يقوم بعدها امير المؤمنين عليه السلام فيطيل الشكاية ويقول يا رسول الله اني حملت الحسنين ليلاً الى بيوت المهاجرين والانصار الذين اخذت لي البيعة منهم مراراً وطلبت منهم النصرة فوعدوني ولما اصبح الصباح لم ارَ احداً منهم فصار حالي معهم كحال هرون في بني اسرائيل بعد موسى فلما رجع اليه موسى قال له هرون ﴿يا ابن ام ان القوم قد استضعفوني وكادوا يقتلونني﴾ فصبرت في جنب الله على البلاء الذي لم يتحمله غيري من اوصياء الانبياء حتى قتلوني بضربة ابن ملجم، ثم يقوم الحسن عليه السلام فيقول يا جدّا انه لما اتصل خبر شهادة ابي لمعاوية لعنه الله ارسل زياداً وهو ولد زنا مع مأة الف وخمسين الفا من الرجال الى الكوفة ليأخذ عليَّ وعلى اخي الحسين واهل بيتنا البيعة لمعاوية، ومن لم يقبل منا يضرب عنقه ويرسل برأسه الى

معاوية فدخلت المسجد وصعدت المنبر وعظت الناس ودعوتهم الى دينك وخوّفتهم عقابك فلم يجبني منهم الا عشرون فرفعت طرفي في السماء وقلت الله اشهدها بأني دعوتهم الى دينك وخوّفتهم عقابك فلم يطيعوا اللهم ارسل عليهم البلاء والعذاب، فنزلت وتوجهت الى جانب المدينة فتبعوني وقالوا ان هذا عسكر معاوية قد وصل الى الانبار وغار على اهله واخذ اموالهم وسبى ذراريهم فامض معنا حتى نجاهده بالسيوف فقلت لهم انه لا وفاء لكم فأرسلت معهم جماعة وقلت لهم انكم اذا بلغتم معاوية نقضتم بيعتي وتضطروني الى الصلح مع معاوية فما صار الا ما اخبرتهم به ثم يقوم الحسين المظلوم عليه السلام مخضباً بدمه مع جميع الشهداء فينظر النبي صلى الله عليه وآله اليهم فيبكي ويبكي لبكائه اهل السموات والارض، وتصيح فاطمة عليها السلام صوتاً تزلزل الارض وامير المؤمنين والحسن في جانب رسول الله صلى الله عليه وآله وفاطمة عليها السلام في جانب يساره فيحضر حمزة وجعفر وتأتي خديجة وفاطمة بنت اسد ومعهما المحسن بن فاطمة وهما (هم ظ) يبكون فبكى الصادق عليه السلام وقال لا اقر الله عيناً لا تبكى عند ذكر هذه القصة وبكى المفضل فقال يا سيدي ما ثواب ما يبكي لمصابكم فقال ثوابه لا يحصى ان كان من الشيعة.

فقال له المفضل ثم ما يكون بعد هذا يا سيدي قال ان فاطمة تقوم وتقول يا رب اوف بما وعدتني في امر من ضربني وقتل اولادي فتبكي لاجلها اهل السموات والارض ولا يبقى احد من ظالمينا والذين اعانوا علينا والذين رضوا لهم بافعالهم الا ويقتل في ذلك اليوم الف مرة، فقال له المفضل يا سيدي ان في شيعتك من لا يعتقد انك ترجع مع مواليك واعدائك فقال يا مفضل اما سمعوا الاحاديث من رسول الله ومنّا بالرجعة اما سمعوا قوله تعالى ﴿ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر﴾ فالعذاب الادنى هو وقت خروجنا والعذاب الاكبر هو عذاب القيامة ان جماعة من شيعتنا يقولون معنى الرجعة ان الملك يرجع الى آل محمد فيكون مهديهم سلطانا ويلهم على هذا ما اخذ الله منا الملك حتى يرجعه الينا بل فينا ملك النبوة والامامة والدنيا والاخرة دائماً، اما سمعوا قوله تعالى ﴿ونريد ان نمنّ على الذين استضعفوا في الارض فنجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين﴾.

قال ثم بعد هذا يقوم جدي علي بن الحسين وابي محمد الباقر فيشكون الى جدهما من فعل الظالمين، ثم اقوم انا اشكو اليه من منصور الدوانيقي ويقوم ابني موسى فيشكو من هارون الرشيد ثم يقوم علي بن موسى الرضا ويشكو من المأمون الملعون، ثم يقوم محمد التقي فيشكو من المأمون وغيره، ثم يقوم علي النقي فيشكو من المتوكل ثم يقوم الحسن العسكري فيشكو من المعتز، فيقوم المهدي ومعه ثوب رسول الله صلى الله عليه وآله ملطّخ بالدم كان عليه يوم احد وشجوا رأسه وكسروا ضرسه فيه والملائكة حافة به فيقول يا جدّ انك وصفتني للناس وعرفتهم اسمي ونسبي

وكنيتي فانكروني ولم يطعني منهم احد فقال بعضهم لم يتولد وقال آخرون انه مات ولو كان حياً لما غاب هذه الغيبة الطويلة فصبرت الى ان امرني الله بالخروج فخرجت فيقول النبي صلى الله عليه وآله الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض تنبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم اجر العاملين، ويقول ﴿وهو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾ ثم يقرأ ﴿انا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتمَ نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً وينصرك الله نصراً عزيزاً﴾ فقال المفضل ما ذنب رسول الله صلى الله عليه وآله الذي غفره الله له؟ فقال يا مفضل ان النبي صلى الله عليه وآله دعى الله ان يحمله ذنوب شيعته وشيعة علي وشيعة الائمة ما تقدّم منها وما تأخر الى يوم القيامة وان لا يفضحه بين الانبياء بذنوب الشيعة التي تحملها فأخبره الله سبحانه انه غفر له جميع تلك الذنوب التي تحملها، فبكى المفضل وقال يا سيدي هذا الفضل كله من بركاتكم فقال يا مفضل هذا كله انما هو لك ولامثالك من الشيعة فقال يا مفضل لا تخبر بهذا الحديث احداً من الذين يطلبون الرخص في المعاصي ويتركون العبادات لمكان هذه الاخبار فلا تنفعهم شفاعتنا لان الله تعالى يقول ﴿لا يشفعون الا لمن ارتضى﴾.

فقال له المفضل قول النبي صلى الله عليه وآله وقرائته ﴿ليظهره على الدين كله﴾ اما ظهر وغلب دينه على جميع الاديان فقال يا مفضل لو غلب دينه على الاديان لما بقى في الدنيا دين اليهود والنصارى والمجوس والصابئين وغيرهم فلا يكون هذا الاّ في زمن المهدي عليه السلام وكذا يكون تأويل هذه الاية وهي قوله ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله﴾ فقال عليه السلام ان المهدي يرجع الى الكوفة فيمطر الله عليهم جراداً من ذهب كما امطره على ايوب عليه السلام فيسقمه بين اصحابه، ويقسم بينهم كنوز الارض من ذهبها وفضتها فقال له المفضل يا سيدي اذا مات المؤمن وعلمه دين من اصحابه ما يفعل معه؟ فقال يا مفضل اول ما يظهر المهدي ينادي مناديه من له على مؤمن دين فليتكلم حتى اعطيه دينه فيطعي ديون الشيعة كلها حتى رأس الثوم وحبة الخردل والحديث طويل.

وروى الصدوق وجعفر بن قولويه ومحمد بن ابراهيم النعماني باسانيدهم الى الصادق عليه السلام قال كأني انظر الى القائم في النجف الكوفة لابس درع رسول الله صلى الله عليه وآله راكب فرساً سوداً اغرَ الجبهة فيحركه ويظهر للناس بقدرة الله لكل بلدان المهدي يريد بلادهم فينشر علم رسول الله صلى الله عليه وآله عمود من العرش واجزاؤه من النصر والظفر فلا يتوجه بذلك العلم الى قوم الا اهلكهم الله تعالى فاذا حرّك ذلك العلم لم يبق مؤمن الا صار قلبه كقطع الحديد واعطاه الله قوة اربعين رجلاً فيدخل هذا الفرح على المؤمنين وهم في قبورهم فيتزاؤرون في القبور

ويبشرون بعضهم بعضاً بخروج المهدي وتظهر معه ثلاثة عشر الفا من الملائكة وثلثمائة عشر ملكاً من الذين كانوا مع نوح في السفينة ومع ابراهيم لما القى في النار ومع موسى لما شقّ له البحر ومع عيسى لما رفع الى السماء والاربعة آلاف ملك الذين نزلوا لنصرة الحسين عليه السلام فلم يرخص لهم فبقوا عند قبره شعثا غبرا يبكون عليه، وكبيرهم ملك اسمه منصور يستقبلون كلَ من يمضي الى زيارة الحسين عليه السلام ويشايعون كل من يودعه راجعاً ويعودون كلّ من يمرض من زوّاره ويمشون تحت جنازة موتاهم ويستغفرون لهم وهم في الارض ينتظرون خروج المهدي عليه السلام.

وفي الروايات عن الصادقين عليهما السلام ان الله سبحانه خيّر ذا القرنين بين السحاب الذلول أي الخالي من الرعد والصوت وبين السحاب الصعب وهو ما فيه رعد وبرق فاختار الاول وبقى الثاني للمهدي عليه السلام فيركب عليها ويطوف السموات السبع والارضين السبع ويسخَر الله له الرياح كلها وله من القوة ما لو قبض بيده الشجرة العظيمة لقلعها من اصلها واذا صاح بين الجبلين صار صخرة رمادا ولا يبقى مكان في الدنيا الا وصل اليه وتظهر له المعادن كلها واذا توجه الى جهاد بلاد من البلدان وقع الرعب في قلوبهم من مسيرة شهر ويعرف كلَ من يراه انه مؤمن او كافر صالح او فاسق ويحكم بحكم داود سليمان بعلمه الذي علّمه الله سبحانه لا يسأل البينة ولا الشهود، وياينما توجّه ظللّه السحاب وينطق السحاب بلسان فصيح هذا مهدي آل محمد يملأ الارض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً وتطوى الارض له ولاصحابه، ومن علاماته ان ليس له ظل على الارض فاذا خرج من مكة نادى مناديه بان لا يحمل احد من العسكر طعاماً ولا ماءً ومعه حجر موسى عليه السلام فاذا وصل الى المنزل نصبه وانفجرت منه اثنتا عشر عينا فيروى ويشبع من شرب منها فاذا بلغ النجف وسكن فيها انفجر من تلك الصخرة ماء ولبن فيكون هو الغذا عوض الطعام والشراب.

وفي روايات اخرى انه يخرج من تلك الصخرة ماء وطعام وعلف لهم ولدوابهم ويخرج عليه السلام ومعه عصا موسى عليه السلام اذا القاها من يده صارت ثعباناً ويكون ما بين فكيّها مقدار اربعين ذراعاً وتلقف في حلقها كلّ ما يأمرها بابتلاعه، ويلبس ثوب ابراهيم الذي اتى به جبرئيل عليه السلام لما رماه نمرود في النار فصارت عليه برداً وسلاماً وهو قميص يوسف عليه السلام الذي القوه على وجه يعقوب فارتدّ بصيراً ويخرج وهو لابس خاتم سليمان ومعه تابوت بني اسرائيل الذي فيه جميع مواريث الانبياء وآثارهم ولم يبق كافر على وجه الارض ولو ان كافراً لجأ الى صخرة او شجرة لنادت الصخرة هذا الكافر عندي فاقتلوه، ويمسح يده على رؤوس المؤمنين فتتضاعف عقولهم واحلامهم وتصير كاملة ويكون المؤمن من القوة ما لو اراد قلع جبل الحديد لقلعه ويطيعهم كل

شيء حتى سباع الهوى وتفخر بقاع الارض بعضها على بعض بأن واحداً من اصحاب القائم مشى عليها وينزع الله الخوف والحزن من قلوب المؤمنين ويلبسها قلوب اعدائهم وينوّر الله سبحانه اسماعهم وابصارهم حتى اذا كانوا في بلاد المهدي عليه السلام في بلاد اخرى يكون لهم من السمع والبصر ما يرونه ويشاهدون انواره ويسمعون كلامه ومخاطباته معهم ويتكلمون معه ويدفع الله عنهم الضعف والكسل والبلاء والامراض وتنزل امطار (قطار خ) السماء بالبركات التي منعت منذ غصبوا خلافة امير المؤمنين عليه السلام ويرتفع الحقد والبغضاء من بين المخلوقات حتى يرعى الذئب والشاة والسبع والبقر، وحتى ان المرأة تخرج وحدها من العراق الى الشام ولا تضع رجلها الى فوق الورود والازهار، مع انها لابسة حليّها ولا يضرها سارق ولا سبع واوّل ما يظهر يقطع ايدي بني شيبة الذين معهم مفاتيح الكعبة في هذه الاعصار ويعقلها (يعلّقها خ) على الكعبة، وينادي عليهم هؤلاء بنو شيبة سرّاق الكعبة، ويخرج اولاد قاتلي الحسين عليه السلام فيقتلهم لانهم رضوا بصنع آبائهم ومن رضي بفعل قبيح كان كمن اتاه، ويحيى عائشة ويعذبّها على ايذائها لفاطمة ومارية ويقتل مانع الزكوة وتنّور الارض بنوره، وترفع الظلمة ولا يحتاج الناس الى الشمس والقمر، ويعمر كل واحد من المؤمنين الف سنة يولد له في كل سنة ذكر، ويبني في ظهر الكوفة مسجداً ويعلّق عليه الف باب، ويجري من عند قبر الحسين عليه السلام نهراً الى النجف يصبّ ماؤه في بحر النجف، وتبنى على ذلك النهر الارحية.

وقال الباقر عليه السلام كأني انظر الى العجوز وعلى راسها زنبيل فيه حنطة تمضي لتطحنه من غير كراء، ويستقر هو وعياله في مسجد السهلة ويخرب المساجد المبنيّة ويجعلها عريشاً كعريش مسجد موسى عليه السلام ويهدم شرف المساجد ومنارها ويوسّع الجادة حتى يجعلها ستين ذراعاً ويهدم كل مسجد بني في الطريق، ويخرب كل روزنة (رازونة خ) وجناح الى الطريق وكذا الميازيب والبيوت التي تشرع الى الجوار، ويأمر الله الفلك بابطاء الحركة حتى يكون كل يوم من ايامه مقابل عشرة من هذه الايام ويهدم الكعبة ويبنيها على اساس ابراهيم واسماعيل عليهما السلام، ويهدم المسجد الحرام ومسجد رسول الله صلى الله عليه وآله ويصنعها على ما كانت عليه في زمن النبي صلى الله عليه وآله، ويردّ مقام ابراهيم عليه السلام الى موضعه الاول من موضعه الان الذي وضعه فيه عمر، ويرفع البدع ويقيم السنن ويستغني الشيعة حتى لو انّ الانسان وضع زكوة ماله على عاتقه يحملها ليطلب الفقير لم يجده ولا يقبل من اهل الكتاب جزية ولا يقبل من احد سوى الاسلام وقد يكون الرجل قائماً على رأس المهدي عليه السلام ممتثلاً لاوامره ونواهيه، فينظر اليه فيأمر المهدي عليه السلام بضرب عنقه بسبب انه اضمر في قلبه شيئاً قبيحاً، ويخرج القرآن الذي الّفه امير المؤمنين عليه السلام ولم يعمل به الاشقياء، ويرتفع هذا القرآن الى السماء ويعمل بذلك القرآن.

وقال امير المؤمنين عليه السلام كأني انظر الى الشيعة قد بنوا الخيام بمسجد الكوفة وجلسوا يعلّمون القرآن الجديد للناس واذا بعث المهدي عليه السلام والياً الى بلاد يقول ان كتابك في كفك فاذا ورد عليك حكم لم تعرف حكم الله فيه انظر الى كفّك فان الله يكتب لك حكم تلك القضية فيه حتى تعلمه، ثم يرسل عليه السلام عسكراً الى اسطنبول فاذا وصلوا الى الخليج كتبوا شيئاً على اقدامهم ومشوا على الماء فاذا شاهد الروم هذه الحالة منهم تعجبوا وقالوا كيف يكون حال المهدي، فيفتحون اثنى عشر بلاداً وسلام الناس على المهدي عليه السلام في ذلك الوقت، السلام عليك يا بقية الله، ويظهر في مسجد الكوفة عين دهن وعين ماء طهور وعين ماء للشرب، فاذا استقرَ عليه السلام في الكوفة بعث عساكراً الى الشام لقتل بني امية، فيهزمون الى بلاد الافرنج ويمنعونهم عن الدخول الى بلادهم، ويقولون ما ندخلكم بلدنا الا ان تدخلوا في ديننا وهو دين النصارى فينتصرون ويلبسون الزنّار ويدخلون بلاد الافرنج فاذا وصل عسكر المهدي عليه السلام الى بلاد الافرنج طلبوا منهم الامان فيقولون لا امان لكم ان تدفعوا الينا بني امية، فيسلّمونهم اليهم فيقتلونهم كلهم ويصنع ما صنع النبي صلى الله عليه وآله من العفو عمّا وقع في زمن الجاهلية واجراء احكام الاسلام عليهم من حين نبوتّه فكذا المهدي عليه السلام.

وروى الشيخ قطب الدين باسناده الى الباقر عليه السلام قال ان الحسين عليه السلام خطب خطبة قبل مقتله، فقال ان جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله اخبرني يوماً فقال يا بني ان الناس يحملونك على المسير الى العراق وفيها ارض هل محل ملاقاة الانبياء واوصيائهم واسمها عمورا، فتقتل شهيداً ويقتل جماعة من اصحابك ولكن لا يصل اليهم حرّ الحديد، ثم تلا ﴿قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على ابراهيم﴾ فكما ان النار صارت برداً وسلاماً على ابراهيم عليه السلام فكذلك تكون السيوف عليك وعلى اصحابك برداً وسلاماً ثم قال الحسين عليه السلام والله ان اقتلونا ليكون مرجعنا ذلك الوقت الى النبي صلى الله عليه وآله فتمكث معه في ذلك العالم ما شاء الله، فأول من تنشق عنه الارض قبل القيامة انا ويكون خروجي موافقاً لخروج امير المؤمنين والقائم عليهما السلام فينزل عليّ من الله تعالى جنود من الملائكة لم تنزل قبل ذلك اليوم وينزل عليّ جبرئيل وميكائيل واسرافيل وجماعة من الملائكة وينزل محمد وعليّ وانا واخي وجماعة كثيرة على خيول بلق من نور لم يركبها احد قبلنا، فيدفع النبي صلى الله عليه وآله علمه وسيفه الى القائم عليه السلام فتمكث ما شاء الله، ويظهر الله تعالى من مسجد الكوفة عيناً من دهن وعيناً من ماء وعيناً من لبن، فيدفع اليّ امير المؤمنين عليه السلام سيف رسول الله صلى الله عليه وآله ويرسلني الى المشرق والمغرب فما امر على عدو الا اهرقت دمه، واحرق كل صنم على وجه الارض حتى ابلغ الى الهند وافتح جميع بلدانها.

ويحيى الله دانيال ويوشع فيأتيان الى امير المؤمنين عليه السلام فيقولان صدق الله ورسوله فيما وعدكم فيبعث امير المؤمنين عليه السلام معهم سبعين رجلاً ليقتلو عساكر البصرة، ويرسل عسكراً الى بلاد الافرنج فيتفح بلدانها، واقتل انا كل حيوان حرام اللحم ولم يبق على وجه الارض الا طيب حلال اللحم، واعرض على اليهود والنصارى وسائر اهل الاديان او القتل فمن اسلم قبلت اسلامه ومن لم يقبل قتلته بأذن الله تعالى، ولم يبق احد من الشيعة الا انزل الله سبحانه عليه ملكاً يمسح الغبار عن وجهه ويطلعه على مكانه من الجنَة ولا يبقى ذو آفة وبلاء الا عافاه الله تعالى ببركة الائمة عليهم السلام وينزل الله بركات السماء الى الارض حتى ان الشجر ليحمل من الثمار حتى تنكسر اغصانه، ويأكل الشيعة ثمار الشتاء في الصيف وثمر الصيف في الشتاء كما قال سبحانه ﴿ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون﴾ ويفتح الله على الشيعة من كراماته بحيث لا يخفى عليهم خبر حتى ان المؤمن ليخبر اهله في كل ما يصدر منهم.

وفي الروايات ان الحسين عليه السلام اوّل من تنشق عنه الارض ويحكم في الدنيا مدّة طويلة حتى يقع شعر حاجبيه على عينيه، وقد روى في تفسير قوله تعالى ﴿ ثم رددنا لكم الكرة عليهم﴾ ان الحسين عليه السلام يظهر مع السبعين الذين استشهدوا معه وعلى رؤوسهم التيجان، وفي بعض الروايات انه يخرج مع الحسين عليه السلام سبعين نبياً كما كانوا مع موسى عليه السلام وكلهم يبلَغ الناس ان هذا الحسين بن علي عليهما السلام قد خرج حتى لا يشكَ فيه احد، وحتى يعرفوا انه غير الدجال وغير الشيطان، وفي ذلك الوقت يكون القائم عليه السلام بينهم، فاذا استقر امر الحسين عليه السلام في قلوب المؤمنين قرب اجل المهدي عليه السلام وتوفى فيتولى الحسين عليه السلام غسله وكفنه وحنوطه والصلوة عليه، لان الامام لا يغسله ولا يصلي عليه الا الامام، وفي رواية اخرى ان الحسين عليه السلام يملك الدنيا كلها بعد وفاة المهدي عليه السلام ثلاثمائة سنة وتسع سنين، فاذا توفى الحسين عليه السلام ظهر امير المؤمنين عليه السلام حتى يكون نوبة دولته عليه السلام.

وفي الاخبار الكثيرة عن بريد العجلي انه سأل الصادق عليه السلام عن قول الله تعالى في اسماعيل ﴿انه كان صادق الوعد﴾ ما المراد باسماعيل هذا أهو ابن ابراهيم، فقال عليه السلام لا بل هو اسماعيل بن حزقيل بعثه الله الى جماعة فكذبوه وسلخوا جلد وجهه ورأسه فبعث الله عليهم ملك العذاب وهو سطاطائيل فأتى الى اسمعيل وقال ان الله ارسلني اليك بما تأمر في عذابهم، فقال اسماعيل عليه السلام لا حاجة لي في عذابهم، فأوحى الله سبحانه اليه ان كان لك حاجة اليّ فاطلبها، فقال يا ربّ انك اخذت علينا معاشر الانبياء ان نوحدك ونقرّ بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وبإمامة الائمة عليهم السلام، واخبرت الخلايق بما يفعل الظالمون بولده الحسين ووعدت الحسين

عليه السلام الرجوع الى الدنيا حتى يأخذ ثاره وينتقم من ظالميه فحاجتي يا رب ان ترجعني في زمانه لاجل اخذ ثاري واقتل من قتلني، فقبل الله حاجته وجعله من الذين يرجعون في زمان الحسين عليه السلام وفي رواية أخرى ان الحسين عليه السلام يرجع الى الدنيا مع خمسة وسبعين الفاً من الرجال.

وروى عاصم بن حميد عن الباقر عليه السلام قال ان امير المؤمنين عليه السلام خطب خطبة ذات يوم فحمد الله فيها واثنى عليه بالوحدانية، وقال ان الله سبحانه قد تكلم بكلمة فصارت نوراً فخلق منه نور النبي ونوري ونور الائمة وتكلّم بكلمة اخرى فصارت روحاً فاسكنها في ذلك النور وذلك النور مع تلك الارواح ركبَها في ابداننا معاشر الائمة، فنحن الروح المصفّاة ونحن الكلمات التامات ونحن حجة الله الكاملة على الخلق، فنحن كنّا نوراً اخضر حيث لا شمس ولا قمر ولا ليل ولا نهار ولا مخلوق من المخلوقات، وكنا نسبح الله ونقدسه قبل خلق الخلق، فأخذ الله لنا العهد من ارواح الانبياء على الايمان بنا وعلى نصرتنا، وهذا معنى قوله سبحانه ﴿واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنّه﴾ فقال عليه السلام يعني الايمان بمحمد صلى الله عليه وآله ونصرة وصيه، وهذه النصرة صارت قريبة، وقد اخذ الله الميثاق منّي ومن نبيه لينصر كل منّا صاحبه، فأما انا فقد نصرت النبي صلى الله عليه وآله بالجهاد معه وقتلت اعدائه واما نصرته لي وكذا نصرة الانبياء عليهم السلام فلم تحصل بعد، لانهم ماتوا قبل امامتي وبعد هذا سينصروني في زمان رجعتي، ويكون لي ملك ما بين المشرق والمغرب ويخرج الله لنصرتي الانبياء من آدم الى محمد يجاهدون معي، ويقتلون بسيوفهم الكفار الاحياء والكفار الاموات الذين يحييهم الله تعالى، واعجب وكيف لا اعجب من اموات يحييهم الله تعالى يرفعون اصواتهم بالتلبية فوجاً فوجاً لبيك يا داعي الله ويتخللون اسواق الكوفة وطرقها، حتى يقتلون الكافرين والجبارين والظالمين من الاولين والاخرين حتى يحصل لنا ما وعدنا الله ثم تلا هذه الاية ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكننَ لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدّلنهم من بعد خوفهم امناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً﴾.

قال عليه السلام يعني يعبدونني ولا يتقون من احد لان لي رجعة بعد رجعة وحيوة بعد حيوة انا صاحب الرجعات وصاحب الصولات وصاحب الانتقامات وصاحب الدولة العجيبة انا حصن الحديد وانا عبد الله واخورسوله وانا أمين الله على علمه وصندوسرة وحجابه وصراطه وميزانه وكلمته و انا أسماء الله الحسنى وامثاله العليا واياته الكبرى انا صاحب الجنه في جنتهم واهل النار في نارهم وانا الذى ازواج اهل الجنه والى مرجع هذا الخلق في القيمه وعلى حسابهم وانا المؤذن على الاعراف وانا الذي اظهر اخر الزمان في عين الشمس وانا دابه

الارض التي ذكرها الله في الكتاب اظهر اخر الزمان ومعى عصى موسى وخاتم سليمان اضعه في وجه المؤمن والكافر فتنقش فيه هذا مؤمن حقا وهذا كافر حقا، وانا امير المؤمنين وامام المتقين ولسان المتكلمين وخاتم اوصياء النبيين ووارثهم وخليفت الله على العالمين ونا الذي علمنى الله علم البلايا والمنايا وعلم القضابين الناس واناالذي سخر لي الرعد والبرق والسحاب الظلمة والنور والرياح والجبال والبحار والشمس والقمر والنجوم ايها الناس إسألوني عن كل شيء وعن الصادق عليه السلام ان الشيطان لما قال رب انظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم فيخرج الشيطان مع عساكره وتوابعه من يوم خلق آدم الى يوم الوقت المعلوم وهو آخر رجعه يرجعها اميرالمؤمنين عليه السلام فقال الراوي لامير المؤمنين عليه السلام من رجعة؟ فقال ان له رجعات ورجعات، وما من امام في عصر من الاعصار الا يرجع معه المؤمنون في زمانه والكافرون فيه حتى يستولي اولئك المؤمنون على اولئك الكافرين فينتقمون منهم فاذا جاء الوقت المعلوم ظهر امير المؤمنين عليه السلام مع اصحابه وظهر الشيطان مع اصحابه، فيتلاقى العسكران على شطّ الفرات في مكان اسمه الروحا قريب الكوفة، فيقع بينهم حرب لم يقع في الدنيا من اولّها وآخرها وكأني ارى اصحاب امير المؤمنين عليه السلام قد رجعوا منهزمين حتى تقع ارجلهم في الفرات فعند ذلك يرسل الله سحابة مملوة من الملائكة يتقدمها النبي صلى الله عليه وآله وبيده حربة من نور، فاذا نظر الشيطان اليه ادبر فاراً، فيقول له اصحابه الى اين تفرّ ولك الظفر عليهم فيقول اني أرى ما لا ترون اني اخاف من عقاب رب العالمين، فيصل النبي صلى الله عليه وآله ويضربه ضربة بالحربة بين كتفيه فيهلك بتلك الضربة هو مع جميع عساكره، فعند ذلك يعبد الله على الاخلاص ويرتفع الكفر والشرك، ويملك امير المؤمنين عليه السلام الدنيا اربعين الف سنة ويولد لكل واحد من شيعته الف ولد من صلبه في كل سنة ولد، وعند ذلك يظهر البستانان عند مسجد الكوفة الذي قال الله تعالى ﴿مدهامّتان﴾ وفيهما من الاتساع ما لا يعمله الا الله تعالى.

وقد روى في تفسير قوله ﴿ولئن متم او قتلتم لالى الله تحشرون﴾ ان الله سبحانه قد قرر لكل احد موتاً وقتلاً، فان كان قد مات قبل الرجعة قتل فيها، وان كان قد قتل قبلها رجع حتى يموت فيها، وفي الاخبار الكثيرة في تفسير قوله تعالى ﴿ويوم نحشر من كل ثمة فوجاً ممن يكذب بآياتنا﴾ ان تأويلها في الرجعة، لان في القيامة الكبرى يحشر الله الخلائق كلهم لا يغادر صغيرة ولا كبيرة كما في الايات الاخر، وروى عن الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى ﴿فان له معيشة ضنكا﴾ ان تأويلها في النواصب والسفياني انه يكون طعامهم في الرجعة العذرة، وفي احاديث المعراج يا محمد ان علياً يكون في آخر من قبض روحه من الائمة وهو دابة الارض الذي يكلم الناس.

وفي الروايات عن الصادق عليه السلام قال ان امير المؤمنين عليه السلام يرجع مع ابه الحسين عليه السلام رجعة، وترجع معه بنو امية ومعاوية وآل معاوية وكلَ من قاتله فيعذبهم بالقتل وغيره، ويرجع الله من اهل الكوفة ثلاثين الفاً ومن سائر الناس سبعين الفاً ويتلاقون للحرب مع معاوية واصحابه بصفين في الموضع الذي كان فيه ذلك الحرب فيقتلون معاوية واصحابه في ذلك المكان، ثم يحيهم الله سبحانه مرة فيعذبهم مع فرعون وآل فرعون اشدَ العذاب، ثم يرجع امير المؤمنين عليه السلام مرة اخرى مع النبي صلى الله عليه وآله وجميع الانبياء عليهم السلام فيدفع النبي صلى الله عليه وآله علمه الى امير المؤمنين عليه السلام ويكون كل الانبياء تحت ذلك العلم، ويكون الائمة عليهم السلام عمالاً له في البلدان وحكاماً من تحت يده فيعبد الله علانية بدون تقية، ويعطي الله نبيه من الملك ما يوازي ملك جميع الدنيا من اولها الى آخرها حتى يكون قد انجز له ما وعده وفي الحديث انه اذا قرب قيام القائم يكون في جمادي الاخرة وعشرة ايام من رجب مطر ما رأى الخلائق مثله، فينبت عليه لحوم المؤمنين في قبورهم، كأني انظر اليهم قد اقبلوا من جانب جهينة ينفضون التراب من فوق وجوههم.

وفي الرواية انه يقوم مع القائم سبعة وعشرون رجلاً منهم خمسة عشر رجلاً من قوم موسى الذين كانوا يهدون الناس بالحق وبه يعدلون، وسبعة وهم اصحاب الكهف، ويوشع بن نون وصي موسى، وسلمان الفارسي، وابو دجانة الانصاري والمقداد ومالك الاشتر فيكونون حكاماً من جانبه، وروى انه اذا قام القائم بعث الله الى كل قبر من قبور المؤمنين ملكاً يناديه هذا امامك قد ظهر فان اردت ان تحيى وتلحق به، وان اردت ان تلقى في النعيم الى يوم القيامة في مكانك، وعن الصادق عليه السلام ان النبي صلى الله عليه وآله اذا رجع ملك الدنيا خمسين الف سنة وملكها امير المؤمنين عليه السلام اربعة واربعين الف عام، وروى في تفسير قوله تعلاى ان الذي فرض عليك القرآن لرادَك الى معاد﴾ قال والله ما تنقضي الدنيا حتى يرجع رسول الله صلى الله عليه وآله وامير المؤمنين عليه السلام فيلتقيان في النجف ويبنى مسجداً في ظهر الكوفة يعلّق عليه اثنى عشر الف باب، وروى ابن طاووس ان عمر الدنيا مأة الف سنة يكون منها عشرون الف سنة ملك جميع اهل الدنيا ويكون ثمانون الف سنة منها مدّة ملك آل محمد.

وعن الصادق عليه السلام قال كأني انظر الى سرير من النور وفوقه قبَة من الياقوت الاحمر مزيَنة بأنواع الجواهر والحسين عليه السلام جالس فوق ذلك السرير وفي حوله تسعون الف قبَة خضراء والمؤمنون يأتون الى السلام عليه فوجاً فوجاً، فينادي مناد من الله تعالى ايها المؤمنون اسألوني حوائجكم فلقد ظلمتم واوذيتم فيَ، فلا تسألوني حاجة من حوائج الدنيا والاخرة الا قضيتها، ويؤتى اليهم بطعامهم وشرابهم من الجنة، وقد ورد في الاخبار الكثيرة ان الله تعالى يرجع في

دولة المهدي عليه السلام جماعة من الاخيار وجماعة من الاشرار من محّض الايمان محضاً او محض الكفر محضاً، والباقون ملهى عنهم الى يوم القيامة، وقد عرفت ان الايات دالّة عليه ايضاً والاخبار الدالة على رجوع الحسين وامير المؤمنين عليه السلام متواترة، وفي رجوع سائر الائمة قريبة التواتر، فلقد نقل منها بعض مشايخنا تقريباً من مأتي حديث عن اربعين رجلاً من ثقاة المحدثين من خمسين اصلاً من الاصول المعتبرة.

وروى السيد بن طاووس في كتاب مصباح الزائر عن الصادق عليه السلام انه قل من دعا بهذا الدعاء اربعين صباحاً كان من انصار القائم عليه السلام وان مات قبل ظهوره عليه السلام احياه الله تعالى حتى يجاهد معه، ويكتب له بعدد كل كلمة منه الف حسنة ويمحى عنه الف سئية وهو هذا الدعاء الشريف المبارك بسم الله الرحمن الرحيم اللهم ربّ النور العظيم والكرسي الرفيع ورب البحر المسجور ومنزل التورية والانجيل والزبور، ورب الظل والحرور ومنزل القرآن العظيم ورب الملائكة المقربين والانبياء والمرسلين اللهم اني اسألك بوجهك الكريم وبنور وجهك المنير وملكك القديم يا حي يا قيوم اسألك بإسمك الذي اشرقت به السموات والارضون وبإسمك الذي يصلح به الاولون والاخرون يا حي قبل كل حي يا حي بعد كل حي يا حي حين لا حي يا محيي الموتى ومميت الاعداء يا حي لا اله الا انت، اللهم بلّغ مولانا الامام الهادي المهدي القائم بأمرك صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين عن جميع المؤمنين والمؤمنات في مشارق الارض ومغاربها وسهلها وجبلها وبرّها وبحرها عني وعن والدي من الصلوات زنة عرش الله ومداد كلماته وما احصاه علمه واحاط به كتابه، اللهم اني اجدد له في صبيحة يومي هذا وما عشت في ايامي ايام حيوتي عهداً وعقداً وبيعة له في عنقي لا احول عنها ولا ازول ابداً، اللهم اجعلني من انصاره واعوانه والذابين عنه والمسارعين اليه في قضاء حوائجه والممتثلين لاوامره ونواهيه والمحامين عنه والسابقين الى ارادته والمستشهدين بين يديه، اللهم ان حال بيني وبينه الموت الذي جعلته على عبادك حتماً مقضياً فاخرجني من قبري مؤتزراً كفني شاهراً سيفي مجرداً قناتي ملبياً دعوة الداعي في الحاضر والبادي، اللهم ارني الطلعة الرشيدة والغرة الحميدة، واكحل ناظري بنظرة مني اليه وعجّل فرجه وسهّل مخرجه واوسع منهجه واسلك بي محجته وانفذ امره واشدد ازره، وقو ظهره واعمر اللهم به بلادك واحي به عبادك فانك قلت وقولك الحق ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس فاظهر اللهم لنا وليك وابن وليك وابن بنت نبيك المسمى باسم نبيك (رسولك خ) حتى لا يظفر بشيء من الباطل الا مزقه ويحق الحق ويحققه، واجعله اللهم مفزعاً لمظلوم عبادك وناصراً لمن لا يجد له ناصراً غيرك، ومجدداً لما عطّل من احكام كتابك ومشيداً لما ورد من اعلام دينك وسنن نبيك صلى الله عليه وآله واجعله ممن حصنته من

بأس المعتدين، اللهم سرَ نبيك محمد ﷺ برؤيته ومن تبعه على دعوته وارحم استكانتا بعد اللهم اكشف هذه الغمة عن الامة بحضوره وعجّل لنا ظهوره انهم يرونه بعيداً ونريه قريباً برحمتك يا ارحم الراحمين.

وروى عن الصادق والكاظم عليهما السلام قالا لو قد قام لحكم بثلاث لم يحكم بهنَ احد قبله، يتقل الشيخ الزاني ومانع الزكوة، ويورث الاخ في الاظلة، وروى عن الصادق عليه السلام انه قال رجل لعمَار بن ياسر يا ابا اليقظان آية في كتاب الله عز وجل افسدت قلبي وشككتني قال عمار وايَ آية هي؟ قال قوله عز وجل ﴿اذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم﴾ الاية، فأية دابة هذه؟ قال عمار والله ما اجلس ولا آكل ولا اشرب حتى اريكها، فجاء عمار مع الرجل الى امير المؤمنين عليه السلام وهو يأكل تمراً وزبداً، فقال يا ابا اليقظان إجلس، فجلس عمَار وجعل يأكل معه فتعجب الرجل منه، فلما قام عمار قال الرجل سبحان الله يا ابا اليقظان حلفت ان لا تأكل ولا تشرب ولا تجلس حتى ترينيها؟ قال عمار قد اريتكها ان كنت تعقل، وروى في تفسير قوله تعالى ﴿سنسمه على الخرطوم﴾ قال في الرجعة اذا رجع امير المؤمنين عليه السلام ويرجع اعدائه فيسمهم كما توسم البهائم على الخراطيم الانف والشفتان.

وروى في تفسير قوله تعالى ﴿قتل الانسان ما اكفره﴾ ان الانسان هنا هو امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام أي ماذا فعل وماذا اذنب حتى قتلتموه، ثم قال من أي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدَره ثم السبيل يسَره، قال سبيل الخير، ثم اماته فأقبره ثم اذا شاء انشره، قال في الرجعة، كلا لما يقضَ ما امره أي لم يقض ما قد امره، وفي الروايات عن امير المؤمنين والحسنين عليهم السلام ان الله تعالى خلق خلقاً على خلاف الجن والنسناس، يدبّون كما تدبَ الهوام في الارض، يأكلون ويشربون كما تأكل الانعام كلهم ذكران ليس فيهم اناث لم يجعل الله فيهم شهوة النساء ولا حبَ الاولاد ولا الحرص ولا طول الامل، ولا يلبسهم الليل ولاا يغشاهم النهار، ليسوا ببهائم ولا هوَام، لباسهم ورق الشجر، ثم اراد الله ان يفرقهم فرقتين فجعل فرقة خلف مطلع الشمس من وراء البحر، فكوّن لهم مدينة جابرسا طولها اثنا عشر الف فرسخ في اثني عشر الف فرسخ، وكوّن عليها سوراً من حديد يقطع الارض الى السماء ثم اسكنهم فيها، واسكن الفرقة الاخرى خلف مغرب الشمس من وراء البحر، وكوّن لهم مدينة جابلقا طولها وسورها كالاولى، وعلى كل مدينة منهما سبعون الف الف مصراع من ذهب، وفيها سبعون الف الف لغة، يتكلم كل امة خلاف لغة الاخرى، قال الحسن عليه السلام وانا اعرف تلك اللغات وما فيها، وما عليهما حجة غيري وغير اخي لا يعلم بهما احد من اهل اوساط الارض ولا يعلمون بطلوع الشمس ولا غروبها لانها تطلع من دونهم وتغرب من دونهم ولكنهم

يستضيئون بنور الله ولا يرون ان الله تعالى خلق شيئاً من الكواكب فقيل يا امير المؤمنين فأين ابليس عنهم؟ قال لا يعرفونه ولا سمعوا بذكره، ولم يكتسب احد منهم خطيئة لا يسقمون ولا يهرمون ولا يموتون الى يوم القيامة يعبدون الله لا يفترون، الليل والنهار عندهم سواء وانهم يبرأون من فلان وفلان قيل له كيف يتبرؤن من فلان وفلان وهم لا يدرون أخلق الله آدم أم لم يخلقه؟ فقال عليه السلام أتعرف ابليس الا بالخبر وقد امرت بعلنه والبرائة منه، وقد وكَل الله تعالى بهم ملائكة متى لم يلعنوهما عذبوا، وفيهم جماعة لم يضعوا السلام مذ كانوا ينتظرون قائمنا يدعون ان يريهم الله اياه، ويعمر احدهم الف سنة يتلون كتاب الله كما علمناهم، وان فيما نعلمهم ما لو تلى على الناس لكفروا به ولهم خرجة مع الامام اذا قاموا يسبقون فيها اصحاب السلاح فيهم كهول وشبان، اذا رأى شاب منهم الكهل جلس بين يديه جلسة العبد لا يقوم حتى يأمره، واذا امرهم الآمر بأمر قاموا عليه ابداً حتى يكون هو الذي يأمرهم بغيره، لهم سيوف من حديد غير هذا الحديد لو ضرب احدهم بسيفه جبلاً لقدّه، يغزوا بهم الامام الهند والديلم، والكرك والترك والروم وبربر.

وعن الصادق عليه السلام قال قال امير المؤمنين عليه السلام في قول الله عز وجل ﴿ربما يودّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾ قال اذا خرجت انا وشيعتي وخرج عثمان بن عفان وشيعته ونقتل بني امية فعندها يودّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين.

واعلم ان الاخبار قد اختلف في مدة ملك القائم عليه السلام على ما سبق، ومن الاخبار ما رواه الخثعمي قال قلت لابي عبد الله عليه السلام كم يملك القائم عليه السلام ؟ قال سبع سنين يطول له الايام والليالي حتى تكون السنة من سنينه مكان عشر سنين من سنينكم (سنيكم خ) هذه، وفي رواية ابي بصير قال قلت جعلت فداك كيف يطول السنون؟ قال يأمر الله الفلك بالثبوت وقلّة الحركة فتطول الايام لذلك والسنون، قال قلت انهم يقولون ان الفلك اذا تغيّر فسد قال ذلك قول الزنادقة فأما المسلمون فلا سبيل لهم الى ذلك، وقد شقّ الله القمر لنبيه صلى الله عليه وآله وردّ الشمس من قبله ليوشع بن نون، وأخبر بطول القيامة وأنه كألف سنة مما تعدّون.

وقال شيخنا الطبرسي قدّس الله روحه في اعلام الورى قد جائت الرواية الصحيحة بأنه ليس بعد دولة القائم دولة لاحد الا ما روى من قيام ولده عليه السلام ان شاء الله تعالى، ولم ترد به الرواية على القطع والبتات، وأكثر الروايات ان القائم عليه السلام لن يمضي من الدنيا الا قبل يوم القيامة بأربعين يوماً يكون فيه الهرج والمرج، وتغلق فيه ابواب التوبة وهو علامة خروج الاموات وقيام الساعة، اقول الحق ان الاخبار الواردة في باب الرجعة مختلفة جداً مع كثرتها، فمن جملة اختلافها ترتيب ملك الائمة عليهم السلام وكيفية حكمهم في الدنيا، أهو على طريق الاجتماع

ام على طريق الانفراد، وفي أي دولة وملك يتصل بالقيامة من ملكهم عليهم السلام ، والذي يخطر بالبال في وجه الجمع هو امران.

الاول ان ملكهم دولتهم وان تعددت لكنها في حكم دولة واحدة سواء كان ملكهم في زمان واحد ام في ازمنة مختلفة، لانه لا تنافس بينهم في الملك سلطان كل واحد منهم ينسب الى الاخر لاتحاد الغرض لا كسلاطين الدنيا واذا اجتمعوا عليهم السلام في محل واحد فمن قدموه منهم في صلوة او غيرها كان هو المقدّم في ذلك الفعل ليس الا نعم اذا كان معهم في ذلك المكان رسول الله صلى الله عليه وآله وامير المؤمنين عليه السلام فالظاهر انه لم يتقدمهما احدٌ من الائمة عليهم السلام على ما ورد في كثير من الاخبار، واما من قال بأن ذلك العصر لما كان منسوباً الى المهدي عليه السلام فينبغي ان يكون هو رئيس تلك العصر والمتقدم فيه على غيره فكلامه خال عن التحقيق، وذلك ان ذلك العصر منسوب اليهم كلهم عليهم السلام لانه وقت سلطنة الكل ودولتهم لانه لم يملك احد منهم قبل ذلك الزمان ملكاً بالاستقلال لان علياً عليه السلام قد ملك سلطان لم يتمكن فيه من عزل شريح القاضي ولا من عزل من نصبه المختلفون الثلاثة، ولا قدر على محو بدعة ابتدعوها، بل يمكن ان يقال ان نسبة تلك الدولة المستقبلة الى امير المؤمنين عليه السلام والحسنين عليهما السلام اكثر من نسبته الى المهدي عليه السلام وذلك لان الغرض الاصلي من تلك الدولة الاخذ بالحقوق الماضية وقصاص الظالمين على ما وقع منهم، ولم يقع ظلم على أحد من مخلوقات الله كعشر معشار ما وقع عليهما، واما المهدي عليه السلام فهو وان وقع عليه ظلم عظيم لكنه لا يصل الى ذلك الحدّ وبالجلمة فهي دولة واحدة وملك غير متعدد فينسب عقيب هذا الى ذلك وبالعكس.

الثاني انك قد عرفت ان كل واحد من الائمة عليهم السلام يقال له القائم والمهدي لوجود ذلك المعنى فيه، فما ورد في الاخبار من ان الدنيا لا تبقى بعد القائم اكثر من اربعين يوماً يجوز ان يكون المراد منه امير المؤمنين والحسين عليهما السلام، وهذا بعض احوال القائم عليه السلام، وروى المعلى بن خنيس عن الصادق عليه السلام قال ان يوم النيروز وهو اليوم الذي أخذ فيه النبي صلى الله عليه وآله العهد فيه بغدير خم فاقرّوا فيه بالولاية، فطوبى لمن ثبت عليها والويل لمن نكثها، وهو اليوم اذلي وجّه فيه رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام الى وادي الجنّ فأخذ عليهم العهود والمواثيق، وهو اليوم الذي يظهر فيه قائمنا اهل البيت وولاة الامر ويظفر بالدجال فيصلبه على كناسة الكوفة وما من يوم نيرووز الا ونحن نتوقع فيه الفرج لانه من ايامنا، حفظه الفرس وضيعتموه، ثم ان نبياً من بني اسرائيل سأل ربه ان يحيى القوم الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فأماتهم الله فأوحى الله اليه ان صبَ الماء عليهم في مضاجعهم فصبَ عليهم الماء في هذا اليوم فعاشوا وهم ثلاثون

الفاً، فصار صبَ الماء في يوم النيروز سنة ماضية لا يعرف سببها الا الراسخون في العلم وهو اوَل يوم من سنة الفرس.

وروى المعلَى ايضاً قال دخلت على ابي عبد الله عليه السلام صبيحة يوم النيروز فقال يا معلَى أتعرف هذا اليوم؟ قلت لا لكنَه يوم تعظمه العجم وتبارك فيه، قال كلا والبيت العتيق الذي ببطن مكة ما هذا اليوم الا لامر قديم افسَره لك تعلمه فقل لعلمي هذا من عندك احبَ اليَ من ان اعيش ابداً ويهلك الله اعدائكم، فقال يا معلَى يوم النيروز يوم النيروز هو اليوم لذي اخذ الله فيه ميثاق العباد ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وان يدينوا برسله وحججه واوليائه وهو اول يوم طلعت فيه الشمس وهبَت به الرياح اللواقح وخلقت فيه زهرة الارض وهو اليوم الذي احيى الله فيه القوم الذين خرجوا من ديارهم وهو الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم، وهو اليوم الذي هبط فيه جبرئيل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وآله وامير المؤمنين عليه السلام على منكبه حتى رمى اصنام قريش من فوق البيت الحرام فهشمها.

واما الدجال فقد عرفت في حديث الصدوق انه يخرج من اصبهان، وفي الاخبار الكثيرة انه يخرج من سيستان بلدة من بلاد العجم، ويمكن الجمع بين الاخبار بأنَ له خروجاً مكرراً كما ان احواله مختلفة عليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين واما الذي يقتله فهو المسيح عليه السلام ولكن بحكم المهدي عليه السلام بعد ان يفتح الدجال اكثر البلاد وتدخل الخلائق في سلطانه، اما رغبة في حطام الدنيا لما قد عرفت من انه اذا سار الى مكان تسير معه الجبال من الطعام امتحاناً للخلق وابتلاءً حتى يتميز الزين من الشين فان ذلك الوقت هو الوقت الذي قال فيه الصادق عليه السلام والله لتغربلنَ غربلة ولتبلبلنَ بلبلة ولتساطنَ سوط القدر فيجعل اعلاكم اسفلكم، واسفلكم اعلاكم، ويسبق سبَاقون قد كانوا مقصرين قبل خروج القائم ويتأخر من كان سابقاً، ومن هذا جاء التشبيه بسوط القدر من اختلاف احواله وكون العالي في بعض الاحوال يصير سافلاً في الحال الاخرى وبالعكس كما وقع على الناس بعد موت النبي صلى الله عليه وآله فلقد تأخر من كان متقدماً وتقدَم من كان متأخراً الا ترى الى طلحة والزبير مع سبقهما في الاسلام وشدَة جهادهما زمن النبي صلى الله عليه وآله واستقامة احوالهما ذلك الزمان كيف انعكست قضيتهما حتى اخرجا المرأى وقاتلا معها إمامهما الذي بايعاه على رؤوس الاشهاد، ومن هنا قال سبحانه ﴿أيحسب الانسان ان يترك سدى﴾ أي مهملاً متروكاً من الابتلاء والامتحان واما فلان وفلان وفلان فلم يكونوا في زمانه صلى الله عليه وآله من السابقين في الايمان والاسلام الا باللسان، كما نقل في الاخبار ان الخليفة الاول قد كان مع النبي صلى الله عليه وآله وصنمه الذي كان يعبده زمن الجاهلية معلَق بخيط في عنقه ساتره بثيابه، وكان

يسجد ويقصد ان سجوده لذلك الصنم الى ان مات النبي ﷺ فأظهروا ما كان في قلوبهم وقد تقدّم في مجمل احوالهم.

واما المجتهدون منهم فقد انكروا رجعة المهدي عليه السلام وشنّعوا علينا تشنيعاً كثيراً نظماً ونثراً ونسبونا في توقّع القائم عليه السلام الى طلب المحال فكان شعراؤهم يخاطبون محبوبهم بأنّ طمعنا في وصالك قد صار كطمع الروافض في انتظار القائم، يعني ان ذلك محال وهذا مثله واما ابو حنيفة فقد روى صاحب كتاب الاحتجاج انه قال يوماً لمؤمن الطاق انكم تقولون بالرجعة؟ قال نعم، قال ابو حنيفة فاعطني الان الف درهم حتى اعطيك الف ديناراً اذا رجعنا، قال الطاقي فاعطني كفيلاً بأنك ترجع انساناً ولا ترجع خنزيراً او قردة واما شيخهم الغزالي فذهب في احيائه الى ان الرافضي اذا جاء يطلب بدمه نقول له ان الدم الذي تطلبه هدر في هذه الاوقات لانه موقوف على إمامك الغائب فاحضره لنا حتى نمكنّك من دمك والاخذ به، ونحن نقول له ان ذلك القاتل ان كان من جماعتكم قلنا الاذن في قتله من ائمتنا عليهم السلام وانهم قالوا انّ دم المخالف كفارته وديته تيس والتي(خير منه، هذا اذا لم يقتل واما اذا تعدّى على مواليه الشيعة وقتل منهم فهو من باب العبد اذا قتل مولاه فالاذن لنا حاصل في القتل لكن هذا الزمان زمان هدنة وتقية فتأخر هذا الحكم عنكم لمصالح، واما اذا كان القاتل من الشيعة فان كنتم تخافون الله تعالى فارجعوهم الى علماء دينهم ليحكموا بحكم آل محمد ﷺ وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

فان قلت رويت في هذه الاخبار ان القائم عليه السلام لا يقبل من احد من اهل الملل والاديان الا القتل او الايمان، وقد روى الكليني طاب ثراه عن الباقر عليه السلام انه اذا قام القائم عرض الايمان على كل ناصب فان دخل فيه بحقيقة والا ضرب عنقه او يؤدي الجزية كما يؤديها اليوم اهل الذمة، ويشدّ على وسطه الهيمان ويخرجهم من الامصار الى السواد فما وجه التوفيق بين هذه الاخبار، قلت اما شيخنا المعاصر سلّمه الله تعالى فقد صار الى الاخبار السابقة، واول هذا الخبر بأنه محمل على زمان اول ظهوره وابتدائه وعند ما يستقل بالامر يقتل اهل الرايات وذوي الرايات والخروج يعمد الى النواصب فلا يقبل منهم الا الايمان او القتل، واما نحن فالذي يظهر لنا هو تأويل تلك الاخبار وان القتل فيها اما محمول على الاكثر باعتبار وقوعه برؤسائهم ومن لا يقبل الجزية منهم، واما بحمله (نحمله خ) على ارادة ما يعمّ الهوان والمذلة فان من كان منهم سلطاناً في هذه الاعصار اذا حصل عليه أنواع الهوان والذلّ كان القتل اهون عليه من تلك الحال، ويؤيده ان الشيعة في ذلك العصر يكونون حكّاماً ولا ريب انهم يحتاجون الى رعايا يدخلون تحت حكمهم ويقومون بخدمتهم ولا يناسبه ان يكونوا من الشيعة ايضاً بل ينبغي ان

يكونوا من اهل المذاهب الباطلة والاديان العاطلة، ولنرجع الان الى احوال امثالنا من الناس ولما كان الانسان محتاجاً في اموره واسفاره الى الايام والساعات وسعودها ونحوسها فلنعقد له نوراً.

نور في سعود الايام ونحوسها

اعلم ان الاخبار قد دلّت على ان كل من توكل على الله في جميع اموره من غير ملاحظة سعود الايام ونحوسها كان متكفلاً بحفظه وحراسته، وقد روى الصدوق طاب ثراه باسناده الى الصقر بن ابي دلف، قال سألت ابا الحسن الثالث عليه السلام فقلت حديث روى عن النبي صلى الله عليه وآله لا اعرف معناه، قال وما هو قلت قوله لا تعادوا الايام فتعاديكم ما معناه فقال نعم نحن الايام ما دامت السموات والارض، فألسبت اسم رسول الله صلى الله عليه وآله ، واحد امير المؤمنين عليه السلام ، والاثنين الحسن والحسين عليهما السلام ، والثلثا علي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد عليهم السلام ، والاربعا موسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي وأنا، والخميس ابني الحسن، والجمعة ابن ابني واليه تجمع عصابة الخلق، وهو الذي يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، فهذا معنى الايام فلا تعادوهم في الدنيا فيعادوكم في الاخرة، ثم قال ودّع واخرج فلا آمن عليك، اقول الظاهر ان ما اشار اليه عليه السلام هو تأويل الحديث وبطنه وهو لا ينافي ارادة ظاهره ياضاً، فان كلام النبي صلى الله عليه وآله كالقرآن في ان له ظاهراً وباطناً، وحينئذ فظاهره يرجع الى الردّ على من اخذ نحوس الايام وسعودها من اقوال المنجمين واضرابهم، وفلا ينافي الاخبار الواردة بذم بعض الايام والشهور، وحيث انتهى الحال الى هنا فلا بأس بذكر هذه الامور مفصلة من الاخبار ولنبتدء بذكر الشهور فنقول:

روى علي بن طاووس باسناده الى الامام ابي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال ان اليوم الاول من الشهر خلق الله فيه آدم وهو يوم مبارك لطلب الحوائج وللدخول على الحكام والسلاطين، ولطلب العلم والتزويج، وللأسفار والبيع والشراء وشراء الحيوانات واذا ضلّ فيه حيوان او فقد فأنه يرجع الى صاحبه بعد ثمانية ايام، واذا مرض فيه مريض فأنه يعافى بأذن الله تعالى، واذا ولد فيه يكون فرحاً مستبشراً مباركاً الى آخر عمره.

اليوم الثاني خلقت فيه حوا وهو مبارك للتزويج والبنيان وكتابة السجلات والديون وغيرها، ولطلب الحوائج واذا مرض المريض في اوله يعافى بخلاف آخره واذا ولد فيه مولود يكون حسن الرؤية والتربية.

اليوم الثالث يوم نحس قد اخرج آدم وحواء فيه من الجنة، وينبغي ان يكون حاجتك في اصلاحك امور بيتك ولا تخرج فيه الى اغراضك الخارجة عن البيت ما امكنك ولا تدخل فيه على السلاطين ولا تبع فيه ولا تشتر وكل عبد يأبق فيه فأنه يردّ الى مولاه واذا مرض فيه المريض يصل الى مشقّة شديدة واذا ولد فيه يكون واسع الرزق طويل العمر.

اليوم الرابع مبارك للزراعة والصيد والبناء وشراء الحيوانات، ويكره فيه السفر فمن سافر يخاف عليه القتل او نهب المال او البلاء العارض، وفيه تولّد هابيل ويكون المولود فيه مباركاً، واذا ضلّ فيه الابق عسر رجوعه الى صاحبه لانه يلجأ الى ملجأ يعسر رجوعه منه.

اليوم الخامس يوم نحس قد تولّد فيه قابيل وفيه قتل هابيل فلا تلتمس فيه اغراضك ولا تخرج فيه من بيتك، ومن حلف فيه يميناً جوزي عليه سريعاً والمولود فيه يكون حسن الحال، وفي حديث سلمان لا تدخل فيه على السلاطين.

اليوم السادس مبارك لطلب الحوائج وللتزويج ومن سافر فيه البر او البحر رجع الى اهله بما طلب، ومبارك فيه شراء الدواب، واذا ضاع ولد يرجع الى اهله سريعاً والمولود يكون فيه حسن الحال سالماً من الافات وهو مبارك للصيد وطلب المعاش، وفي رواية سلمان ان الطيف الذي يرى فيه يظهر تفسيره بعد يوم او يومين.

اليوم السابع مبارك لطلب الحوائج ومن شرع فيه بمشق او كتابة فأنه يصير كاملاً على احسن الوجوه، ومن ابتدء فيه ببناء او تزويج حسن العاقبة، والمولود فيه يكون حسن التربية واسع الرزق وهو يوم مبارك للصيد.

اليوم الثامن مبارك للحوائج ومن دخل فيه على السلطان قضيت حاجته ويكره فيه سفر البر والبحر وارتكاب الحروب، والمولود فيه يكون مبارك الولادة، والابق فيه لا يحصل في اليد الا بتعب عظيم، ومن ضلّ عن الطريق لا يصل اليه الا بعد مشقة شديدة والمريض فيه ينال فيه تعباً ومشقة، وفي رواية أخرى انه مبارك لكل شيء الا للسفر وفي رواية سلمان انه مبارك لكل شيء.

اليوم التاسع مبارك لابتداء الاغراض والحوائج ومبارك للقرض والزراعة وغرس الاشجار وللظفر على الاعداء ومن سافر فيه لقى الخير وينجو من فرّ فيه من العدو، ومن مرض فيه سكن عنه الم المرض وكل ما ضاع فيه يصل الى اهله، والمولود فيه يكون مباركاً على جميع الاحوال وموفقاً ورزقه واسع، وفي رواية سلمان ان من رأى فيه طيفاً ظهر اثره في ذلك اليوم.

اليوم العاشر تولّد فيه نوح ﷺ والمولود فيه يكون عمره طويلاً ورزقه واسعاً وهو مبارك لبيع والشراء والسفر، واذا ضاع فيه شيء وجد والابق فيه يرجع الى صاحبه واذا مرض فيه

مريض فهو حقيق بأن يوصي، وهو مبارك للبذر والحرث ولبيع السلف وفي رواية سلمان ان اثر الطيف الذي يرى فيه يظهر بعد عشرين يوماً.

الحادي عشر تولّ فيه شيث عليه السلام وهو مبارك لقضاء الحوائج وللبيع والشراء، وللسفر، وينبغي ان يحترز فيه عن الدخول على السلاطين، والابق فيه يرجع باختياره سريعاً، والمريض فيه يرجى له الشفاء سريعاً، ومن ولد فيه يكون طيّب العيش في حياته، ولكن لا بدّ له قبل موته من فرار من السلطان، وفي رواية سلمان ان اثر الطيف فيه يظهر بعد عشرين يوماً.

الثاني عشر مبارك للتزويج ولفتح الحوانيت وللشراكة ولسفر البحر، وفي هذا اليوم لا ينبغي ان يصير الانسان واسطة بين اثنين، والمريض فيه يرجى له الشفاء، والمولود فيه يكون سل التربية والابق فيه يرجع، المولود فيه يكون طويل العمر ولا يفتقر مدّة عمره.

الثالث عشر يوم نحس فليتحرز فيه عن الجدال والنزاع والدخول على الملوك والسلاطين وحلق الرأس ومسحه بالدهن وجميع الحوائج، والابق فيه لا يرجع ولا يحصل سريعاً، ومن مرض فيه يناله التعب، والمولود فيه لا يكون عمره طويلاً، وفي رواية سلمان ان اثر الطيف فيه يظهر الى تسعة.

اليوم الرابع عشر مبارك لطلب الحوائج والمولود فيه يكون ظالماً، ويكون مبارك لطلب العلم، والبيع والشراء والسفر واخذ القرض ولركوب البحر، ويرجع الابق فيه والمريض فيه يعافى ان شاء الله تعالى والمولود فيه يكون طويل العمر راغباً في تحصيل العلوم ويكون غنيّاً في آخر عمره، وفي رواية سلمان انه مبارك للدخول على السلاطين والمنام فيه يقع بعد عشرين.

يوم الخامس عشر مبارك لجميع الامور الا لاخذ القرض وكتابة القبالة والابق فيه يرجع سريعاً والمريض فيه عافى سريعاً، والمولود فيه يكون اخرساً، وفي رواية سلمان ان المنام فيه يظهر اثره بعد ثلاثة ايام.

السادس عشر يوم نحس لا يصلح لطلب الحوائج ولكن يكون الشروع في البنيان مباركاً فيه، والمسافر فيه يكون هالكاً والابق فيه يرجع سريعاً، والضالّ فيه عن الطريق يكون سالماً والمريض فيه يعافى سريعاً، والمولود فيه قبل الزوال يكون مجنوناً، واذا تولد بعد الزوال يكون حسن الحال، وفي رواية سلمان ان المنام فيه يظهر اثره بعد يومين.

السابع عشر يوم وسط فاحذر فيه من المجادلة ومن اعطاء القرض واخذه فمن اعطى فيه قرضاً لم يرجع اليه ومن اخذ فيه قرضاً لم يوفق لادائه، والمولود فيه يكون حسن الاحوال وفي رواية أخرى ان الحجامة فيه موجبة للشفاء.

الثامن عشر يوم مبارك لطلب الحوائج من البيع والشراء والحرث والسفر، واذا تخاصم احد مع خصمه فيع غلب عليه، والقرض فيه يرجع الى صاحبه ومن مرض فيه عوفى، والمولود فيه يكون مباركاً.

التاسع عشر يوم مبارك قد تولّد فيه اسحاق عليه السلام والسفر فيه مبارك والسعي في الرزق وفي الحوائج وتعلّم العلوم، ولا يصلح فيه شراء الرقيق والدواب والضال والابق فيه يرجع بعد خمسة عشر يوماً والمولود فيه يوفق للخيرات.

العشرون من اوسط الايام ومبارك للسفر وقضاء الحوائج وللبناء ولصنع عريش الشجر ولشراء الدواب، ومن ضلّ فيه عن الطريق خيف عليه الهلاك، والمريض فيه يكون صعب المرض والمولود فيه يكون ضيّق المعاش.

الحادي والعشرون يوم نحس فلا تطلب فيه الحوائج واحذر فيه من السلطان والدخول عليه، والمسافر فيه يخاف عليه الهلاك والمتولّد فيه يكون فقير الاحوال، وفي رواية اخرى انه لا ينبغي ان يفعل فيه الا ذبح الحيوانات.

الثاني والعشرون مبارك لطلب الحوائج والبيع والشراء وللدخول على السلاطين والصدقة فيه مقبولة والمريض فيه معافى سريعاً، والمسافر فيه يرجع بعافية وفي صحة، وفي حديث آخر انه يوم خفيف يصلح فيه جميع الاغراض.

الثالث والعشرون تولّد فيه يوسف عليه السلام ومبارك لطلب الحوائج والتجارات وللدخول على السلطان وللتزويج والمسافر فيه يرجع بغنيمة وخير والمولود فيه يكون حسن التربية.

الرابع والعشرون يوم نحس تولّد فيه فرعون فلا تلتمس فيه طلب الحوائج، ومن تولّد يصعب عليه معاشه في الدنيا ولا يوفّق للخير، وفي آخر عمره إما يقتل او يغرق والمريض فيه يطول عمره.

الخامس والعشرون يوم نحس فاحفظ نفسك فيه ولا تخرج فيه بغير حاجة وفيه ابتلاء (ابتلى خ) الله سبحانه قوم فرعون في مصر بآيات العذاب والمريض فيه يبتلى بمرض صعب لكن ينجو منه، وفي رواية سلمان الجأ الى الله من شر هذا اليوم بالدعاء والصلوة وعمل الخير.

السادس والعشرون مبارك للسفر ولجميع الامور الا للتزويج فان من تزوج فيه يقع الفراق بينه وبين زوجته لانه اليوم الذي فرّق الله فيه البحر لموسى عليه السلام والمسافر لا ينبغي ان يدخل منزله في هذا اليوم، والمريض فيه يكون حاله صعباً والمولود فيه يكون طويل العمر.

السابع والعشرون مبارك للحوائج والمولود فيه يكون حسن الخلق والخلق طويل العمر مع سعة المعاش محبوب القلوب، وفي رواية أخرى انه مبارك فيه السفر.

الثامن والعشرون مبارك للحوائج وفيه تولد يعقوب عليه السلام والمولود فيه يكون كثير الهمّ والغمّ ويبتلى بأمراض العين، وبرواية سلمان ان الطيف فيه يظهر اثره بعد عشرين يوماً.

التاسع والعشرون مبارك لجميع الحوائج والمولود فيه يكون حليماً ومن سافر فيه حصّل مالاً كثيراً ومن مرض فيه البسه الله العافية، وفيه ينبغي ان يكتب الانسان وصيته وفي رواية اخرى انه مبارك لجميع الحوائج خصوصاً للدخول على السلاطين والدخول على الاخوان والمحبين وفي رواية سلمان ان الطيف فيه يظهر اثره في ذلك اليوم.

الثلاثون مبارك للبيع والشراء والتزويج، والمولود فيه يكون حليماً مباركاً والابق فيه يرجع الى صاحبه ومن ضيّع فيه شيئاً لقيه ومن استقرض فيه شيئاً وفّق لادائه سريعاً، وعن الكاظم عليه السلام لا تترك فيه الحجامة فان تركته فيه لا تتركه في اليوم الرابع.

واما الايام فالاول يوم الجمعة وهو يوم مبارك وهو عيد احسن الاعياد ويستحب فيه دخول الحمام وحلق الرأس وقصّ الاظفار واخذ الشارب ويكره السفر فيه قبل الزوال لمكان الصلوة وبعد الزوال يكون السفر مباركاً، وفي بعض الاخبار ان فيه ساعة من احتجم فيها هلك فلذاكره فيه الحجامة، وفي بعض الاخبار تخصيص الكراهة بوقت الزوال، وفي بعض آخر ان الحجامة فيها لا بأس بها وعن الكاظم عليه السلام ان من احتاج الى الحجامة في ليل او نهار فليقرأ آية الكرسي ولحتجم، وعن النبي صلى الله عليه وآله انه اذا برد الهوى دخل الى البين يوم الجمعة للمنام واذا خرج وقت الحر يخرج ايضاً يوم الجمعة وفي بعض الروايات ان النورة فيه تورث البرص، وفي كثير من الاخبار ان النورة فيه لا بأس بها بل في بعضها تصريح بالاستحباب، وفي الاخبار انه يوم نكاح وتزويج ويستحب فيه نسل الشعر والتطيب ولبس الثياب الفاخرة وشراء الثمار فيه لاهل المنزل وغسل الرأس بالسدر او الخطمى وهو مبارك لجميع الامور.

يوم السبت يوم مبارك قال النبي صلى الله عليه وآله بارك الله لامتي في سبتها وخميسها، ويبارك فيه كل امر خصوصاً الاسفار، وفي الحديث انه لو تحرك حجر من موضعه يوم السبت لرده الله الى موضعه، وتقليم الاظفار وأخذ الشارب فيه حسن ايضاً، وفي الحديث ان من قلّم اظفاره يوم السبت والخميس عافاه الله تعالى من وجع الضرس والعين، وان الحجامة فيه تورث الضعف.

يوم الاحد متوسط من الايام وفي الحديث انه مبارك للبناء والاغراس.

يوم الاثنين انحس الايام وفي الحديث ان انحس ايام السنة يوم عاشوراء وانحس ايام الاسبوع يوم الاثنين وهو يوم منسوب الى بني امية جعلوه عيداً لما قتلوا الحسين عليه السلام، وقد مات فيه النبي صلى الله عليه وآله فلا يبارك فيه شيء من الامور، وفي بعض الاخبار ان الحجامة فيه في وقت العصر

لا بأس بها وفي بعض الاخبار ان الحجامة فيه كله لا بأس بها وقد ورد في الاحاديث النهي عن السفر فيه من غير غرض مهم، وفي الروايات ان صبح الاثنين لاكثر الاغراض.

يوم الثلاثاء يوم مبارك قد الان الله فيه الحديد لداود عليه السلام وان من احتجم فيه وكان هو يوم الرابع عشر او السابع عشر او العشرين شافاه الله تعالى من اوجاع كل السنة وفي الحديث ان فيه ساعة من احتجم واتفق فيها لم ينقطع دمه حتى يهلك وان مات كانت له حاجة مشكلة فليطلب قضاءها يوم الثلاثاء، وفي بعض الاخبار النهي عن تقليم الاظفار فيه وفي الخبر انه يوم حرب ويوم صلح فيه اخذ الدم.

يوم الاربعاء يوم نحس لاكثر الاغراض وقد ورد النهي فيه عن الحجامة والنورة والسفر وفي بعض الروايات تجويز الحجامة والسفر فيه واذا احتاج الى الحجامة فيه فالاحسن وقوعها في آخر النهار وفي الخبر النهي عن الحجامة فيه اذا القمر في العقرب وفي الحديث انه جيد لاكل الدواء.

يوم الخميس مبارك لجميع الحوائج خصوصاً للحجامة والاحسن وقوعها قبل الزوال، ويحسن فيه تقليم الاظفار والاولى ان يترك ظفراً منها ليوم الجمعة، وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وآله اذا احر (احتر خ) الهوى يخرج من البيت للمنام يوم الخميس، وورد ايضاً للدخول على الامراء ولقضاء الحوائج.

وفي عيون الاخبار حديث طويل عن امير المؤمنين عليه السلام قال فيه ثم قام اليه رجل فقال يا امير المؤمنين اخبرني عن يوم الاربعاء وتطيرنا منه وثقله واي اربعاء هو؟ فقال آخر اربعاء في الشهر وهو المحاق، وفيه قتل قابيل أخاه، ويوم الاربعاء القى ابراهيم عليه السلام في النار، ويوم الاربعاء وضعهو في المنجنيق، ويوم الاربعاء اغرق الله فرعون ويوم الاربعاء جعل الله عز وجل عاليها سافلها، ويوم الاربعاء ارسل الله الريح على قوم عاد ويوم الاربعاء اصبحت كالصريم ويوم الاربعاء سلّط على نمرود البقّة، ويوم الاربعاء طلب فرعون موسى عليه السلام ليقتله، ويوم الاربعاء خرّ عليهم السقف من فوقهم، ويوم الاربعاء امر فرعون بذبح الغلمان، ويوم الاربعاء خرّب بيت المقدس، ويوم الاربعاء حرّق مسجد سليمان بن داود باصطخر من كورة فارس ويوم الاربعاء قتل يحيى بن زكريا عليهما السلام، ويوم الاربعا اظل فرعون اول العذاب ويوم الاربعا خسف الله عز وجل بقارون ويوم الاربعاء ابتلى ايوب عليه السلام بذهاب اهله وماله وولده، ويوم الاربعاء ادخل يوسف عليه السلام السجن ويوم الاربعاء قال الله عز وجل ﴿انا دمرناهم وقومهم اجمعين﴾ ويوم الاربعا اخذتهم الصيحة ويوم الاربعا عقروا الناقة، ويوم الاربعاء شجّ النبي صلى الله عليه وآله وكسرت رباعيته ويوم الاربعاء امطرت عليهم حجارة من سجيل، ويوم الاربعاء اخذت

العمالقة التابوت، وسأله عن الايام وما يجوز فيها من العمل فقال امير المؤمنين عليه السلام يوم السبت يوم مكر وخديعة ويوم الاحد يوم غرس وبناء ويوم الاثنين يوم سفر وطلب ويوم الثلاثا يوم حرب ودم، ويوم الاربعا يوم شوم تتطيّر فيه الناس ويوم الخميس يوم الدخول على الامراء وقضاء الحوائج، ويوم الجمعة يوم خطبة ونكاح.

قال المؤلف عفى الله عنه الظاهر ان المراد باليوم في اكثر هذه الاخبار ما يشمل الليل ايضاً وله شواهد من الاخبار، فان قلت ذكرت تقليم الاظفار ولم تذكر كيفيته، قلت قد وردت اكثر الاخبار مطلقة منها ما رواه الصدوق طاب ثراه عن الحسين بن ابي العلا انه قال للصادق عليه السلام ما ثواب من اخذ من شاربه وقلّم في كل جمعة، قال لا يزال مطهراً الى الجمعة الاخرى، وقال الباقر عليه السلام من أخذ من اظفاره وشاربه كلّ جمعة وقال حين يأخذه بسم الله وبالله وعلى سنّة محمد وآل محمد صلوات الله عليهم لم يسقط من قلامة ولا جزازة الا وكتب الله عز وجل له بها عتق نسمة، ولم يمرض الا مرضه الذي يموت فيه ونحو ذلك من الاخبار، وهذا دليل على ان الترتيب غير منظور اليه ولكن المروي من فعل النبي صلى الله عليه وآله الابتداء بالمسبّحة من اليد اليمنى ثم الوسطى وهكذا الترتيب يبدأ باليسرى بالخنصر الى ان يختم بابهام اليمنى.

وقد ذكر له بعض المحققين نكتة لطيفة وهي ان اليد اشرف من الرجل فليبدأ بها واليمنى اشرف من اليسرى، واليمنى خمسة اصابع والمسبّحة افضل وهي المشيرة في كلمتي الشهادة من بين الاصابع، ثم بعدها ينبغي ان يبتدأ بما على يمينها اذا الشرع يستحب ادارة الطهور وغيره عن (على خ) اليمنى وان وضعت ظهر اليد على الارض فالابهام هو اليمنى وان وضعت الكف فالوسطى هي اليمنى واليد اذا تركت بطبعها كان الكف مائلاً الى جهة الارض اذ جهة حركت اليمنى الى اليسار واستتمام الحركة الى اليسار يجعل ظهر الكف عالياً فما يقتضيه الطبع، ثم اذا وضعت الكف على الكف صارت الاصابع في حكم حلقة دائرة فيقتضي ترتيب الدور الذهاب عن يميني المسبّحة الى ان يعود الى المسبحة فيقع البداية بخنصر اليسرى والختم بابهامه ويبقى ابهام اليمنى، وانما قدّرت الكف موضوعاً على الكف حتى تصير الاصابع كأشخاص في حلقة ليظهر ترتيبها وتقدير ذلك اولى من وضع الكفّ على ظهر الكف او وضع ظهر الكف على ظهر الكف فان ذلك لا يقتضيه الطبع.

قال واما اصابع الرجل فالاولى عندي ان لم يثبت فيه نقل يبدء بخنصر اليمنى ويختم بخنصر اليسرى كما في التخليل فان المعاني التي ذكرناها لا تتجه هيهنا اذ لا مسبّحة في الرجل وهذه الاصابع في حكم صفّ واحد ثابت على الارض، فيبدأ من جانب اليمنى فان تقديرها حلقة بوضع الاخمص على الاخمص يأباه الطبع بخلاف اليدين انتهى كلامه، وفي الفقيه انّ من

قلّم اظفاره يوم الجمعة بيدأ بخنصره من اليد اليسرى ويختم بخنصره من اليد اليمنى والاعتماد عندي على هذا وقد روى عكسه ايضاً والله سبحانه وتعالى اعلم بحقيقة الحال.

نور في بعض الاسباب الموجبة

لدفع نحوسة الايام وفي احوال شهر محرم الحرام واحوال الكسوف والخسوف اعلم ان التوكل على الله سبحانه من اقوى الاسباب فيه وكذلك الادعية المنقولة وآيات القرآن والتصدق فقد ورد في الحديث إقرأ آية الكرسي واحتجم في كل يوم وتصدّق وسافر في كل يوم تريد، وفي الخبر ان الصدقة والدعاء يردّان البلاء وقد أبرم ابراماً وعن سهل بن يعقوب قال دخلت على الهادي عليه السلام وكان عندي كتاب فيه اخبار عن الصادق عليه السلام في اختيارات الايام فصححها لي فقلت له ان الانسان قد يضطر في اكثر اوقاته الى السفر في بعض الايام لاغراضه فما يفعل؟ فقال عليه السلام يا سهل ان ولايتنا ومحبتنا تحفظ شيعتنا من كلّ بلاء ومصيبة، لو انّ محبينا وموالينا يسلكون البر والبحر ويدخلون بين السباع والاعداء من الجنّ والانس لامنوا شرهم بولايتنا ومحبتنا فاعتمد على الله واخلص الولاية لنا ثم علّمه دعاء للاعتصام.

واما احكام عاشوراء فقد روى الشيخ الراوندي في كتاب القصص عن الصدوق باسناده الى الصادق عليه السلام قال ان في كتاب دانيال عليه السلام ان المحرم اذا كان يوم السبت يكون الشتاء بارداً وتغلو في الحنطة، ويكثر موت الاطفال وتسلم فيه الزراعة من الافات ويحصل في العنب وبعض الاشجار آفة وترخص فيه الاسعار، ويقع فيه الطاعون في بلاد الروم ويكون حرب بين الروم والعرب والظفر للعرب يغنمون اموال الروم ويأسرون ذراريهم ويكون الظفر للسلطان.

واذا كان المحرم يوم الاحد يكون الشتاء معتدلاً ويكون فيه مطر نافع، ويكون فيه انواع الموت والبلاء ويكون العسل قليلاً في تلك السنة ويكون في الهوى اثر الطاعون والوبا، ويكون في آخر السنة غلاء قليل في المأكولات يكون الغلاء للسلطان في آخره واذا كان يوم الاثنين اول المحرم فانه يكون الشتاء صالحاً ويكون في الصيف حرّ شديد ويكثر المطر في اوانه ويكثر العسل ويرخص الطعام والاسعار في بلدان الجبال وتكثر الفواكه فيها وهي آذربيجان وعراق العجم والاهواز وفارس، وقيل المراد ببلاد الجبال همدان وما والاهما، ويكثر تلك السنة موت النساء وفي آخر السنة يخرج خارجي على السلطان بنواحي المشرق، ويصيب بعض فارس غمّ ويكثر الزكام في ارض الجبل.

واذا كان اول المحرم يوم الثلاثا فانه يكون الشتاء البرد ويكثر الغنم والعسل ويصيب بعض الاشجار والكرم آفة من حدث يحدث في السماء، ويموت فيه خلق ويخرج على السلطان

خارجي قوي وتكون الغلبة للسلطان ويكون في ارض فارس في بعض الغلات آفة، وتغلو الاسعار بها في آخر السنة، واذا كان يوم الاربعاء اول المحرم فان الشتا يكون وسطاً ويكون المطر في القيض صالحاً نافعاً مباركاً وتكثر الثمار والغلات في الجبال كلها وفي ناحية المشرق الا انه يقع الموت في الرجال في آخر السنة، ويصيب الناس بأرض بابل وبالجبل آفة وترخص الاسعار وتسكن مملكة العرب في تلك السنة ويكون الغلبة للسلطان.

واذا كان يوم الخميس اول المحرم فأنه يكون الشتا ملائماً ويكثر القمح والفواكه والعسل بجميع نواحي المشرق، وتكثر الحمى في اول السنة وفي آخره وبجميع ارض بابل في آخر السنة ويكون للروم على المسلمين غلبة ثم تظهر العرب عليهم بناحية المغرب ويقع بأرض السند حروب والظفر لملوك العرب، واذا كان يوم الجمعة فانه يكون الشتا بلا برد، ويقلّ المطر وماء الاودية والعيون، وتقلّ الغلات بناحية الجبال مأة فرسخ في مأة فرسخ ويكثر الموت في جميع الناس، وتغلو الاسعار بناحية المغرب ويصيب بعض الاشجار آفة، ويكون للروم على الفرس كرَة شديدة وغلبة عظيمة.

واما علامات كسوف الشمس في الاثنى عشر شهراً، فاذا انكسف الشمس في المحرم فان السنة تكون خصيبة الا انه يصيب الناس اوجاع كثيرة في آخرها وامراض، ويكون للسلطان الظفر على اعدائه وتكون زلزلة بعدها سلامة، واذا انكسفت في صفر فأنه يكون فزع وجوع في ناحية المغرب، ويكون قتال في المغرب كثير، ثم يقع الصلح في ربيع الاول والظفر للسلطان واذا انكسفت في ربيع الاول فأنه يكون بين الناس صلح ويقل الاختلاف والظفر للسلطان بالمغرب، ويقل البقر والغنم وتتسع في آخر السنة الارزاق ويقع الوبا في البدو بالابل (بابل ظ) واذا انكسفت في شهر ربيع الاول الاخر فأنه يكون بين الناس اختلاف كثير ويقتل منهم خلق عظيم ويخرج خارجي على الملك ويكون فزع وقتال ويكثر الموت في الناس.

واذا انكشفت في شهر جمادي الاول فانه يكون السعة في جميع الناس بناحية المشرق والمغرب ويكون للسلطان الى الرعية نظر ويحسن السلطان الى اهل مملكته ويراعى جانبهم، واذا انكسفت في جمادي الاخر فانه يموت رجل عظيم بالمغرب ويقع ببلاد مصر قتال وحروب شديدة ويكون ببلاد المغرب غلاء في آخر السنة، واذا انكسفت في رجب فانه تعمر الارض وتكون امطار كثيرة وبناحية المشرق، ويكون جراد بناحية فارس ولا يضرهم ذلك.

واذا انكسفت في شعبان تكون سلامة في جميع الناس من السلطان، ويكون للسلطان ظفر على اعدائه بالمغرب ويقع وباء في الجبال في آخر السنة ويكون عاقبته الى سلامة، واذا انكسفت في شهر رمضان كان جملة الناس يطيعون عظيم فارس ويكون للروم على العرب كرة

شديدة ثم يكون على الروم ويسبى منهم ويغنم واذا انكسفت في شوال فأنه يكون في ارض الهند والزنج قتال شديد ويكثر نبات الارض بالمشرق واذا انكسفت في ذي القعدة فانه يكون مطر كثير متواتر ويقع خراب بناحية فارس.

واذا انكسفت في ذي الحجة فانه يكون فيه رياح كثيرة وينقص الاشجار ويقع بالارض من المغرب خراب ويغلو عليهم، ويخرج خارجي على الملك ويصيبه منه شدة ويقلّ طعام اهل فارس ثم يرخص الطعام في السنة الثانية.

في علامات خسوف القمر طول السنة اذا انكسف القمر في المحرم فانه يموت رجل عظيم وتنتقص الفاكهة بالجبال ويقع في الناس حكّة ويكثر الرمد بأرض بابل ويقع الموت وتغلو اسعارها ويخرج خارجي على السلطان والظفر للسلطان ويقتلهم واذا انكسف في صفر فأنه يكون جوع ومرض ببابل وبلادها حتى يتخوّف على الناس ثم يكون امطار كثيرة فيحسن نبات الارض وحال الناس ويكون بالجبال فاكهة كثيرة واذا انكسف في شهر ربيع الاول فانه يقع في المغرب قتال ويصيب الناس يرقان وتكثر فاكهة البلاد بأرض ماه، ويقع الدود في البقول في الجبل ويقع خراب كثير بماه واذا انكسف في شهر ربيع الاخر فانه يكثر الانداء وهي الرطوبات والمياه بالجبال ويكثر الخصب والمياه بالجبال، وتكون السنة مباركة ويكون للسلطان الظفر بالمغرب واذا انكسف في جمادي الاولى فانه يهراق دماء كثيرة بالبدو ويصيب عظيم الشام بليّة شديدة، ويخرج خارجي على السلطان والظفر للسلطان.

واذا انكسف في جمادي الاخرة فأنه يقل الامطار والمياه بنينوى ويقع فيها جزع شديد وغلاء ويصيب ملك بابل الى المغرب بلاء عظيم واذا انكسف في رجب فانه يكون بالمغرب موت وجوع ويكون في ارض بابل امطار ويكثر وجع العين في الامطار، واذا انكسف في شعبان فان الملك يقتل او يموت ابنه، ويغلو الاسعار ويكثر جوع الناس.

واذا انكسف في شهر رمضان يكون بالجبل برد شديد وثلج ومطر وكثرة المياه ويقع بأرض فارس سباع كثيرة ويقع بأرض ماه موت كثير بالصبيان والنساء، واذا انكسف في شوال فان الملك يغلب على اعدائه ويكون في الناس شرّ وبلية واذا انكسف في ذي القعدة فانه تنفتح المدائن الشداد وتظهر الكنوز في بعض الارضين والجبال، واذا انكسف في ذي الحجة فانه يموت رجل عظيم بالمغرب ويدّعي رجل فاجر الملك.

قال مؤلف الكتاب عفى الله عنه هذه الملاحم علامات وصفها الله لنبيه دانيال وقد جربناها فرأيناها صادقة في كل الموارد وهو دليل على صحة الحديث الذي نقلت فيه.

واما الملحمة الاسكندرية فهي وان لم تكن في الاعتبار مثل هذه الملحمة الا انها لا تخلو من قوة واعتبار وموافقة التجارب فلذلك اردنا اختصارها هنا فنقول:

قد ذكر في تلك الملحمة ان الشمس اذا انكسف في شهر ايار مع طلوع الشمس دلّ على شمول الاضطراب سائر البلاد، واضطراب امير الجبال وانتقال الملك عن السلطان الى غيره وعلى ان الملوك تتغير نياتهم على خواصهم ويستبدلون بهم وعلى ان المواشي تتناسل وكذلك البقر، وان انكسفت واظلم النهار فانه يشتد الرعود في تلك السنة ويكثر الامطار اذا مضى من هذا الشهر اثنان وعشرون يوماً، وان انكسفت والضياء باق كان الحر شديداً بالنهار، ونهب في الناس وتفريق في اهل المدائن وزروعها ودوابهم وامتعتهم، وقتال بين الملوك ويكون في آذربيجان وقعة صعبة وامر شديد يجتمع الملوك بعضها الى بعض، ويذهب اموال اهل الشرق والغرب، وان كان كسوفها من قبل المشرق وذلك في اوّل النهار، فان الملك يظفر على اعدائه ويهلكهم، واذا انكسفت في حزيران في اول النهار يدلّ على تجدد سلطان في بلد الجبل غير سلطانه وعلى انه يقتل وجوه الناس ويدلّ على حسن حال المواشي وتناسلها ووقوع الوبا في السواحل والمواضع التي هي قريبة من البحر، وعلى انتقال الملك من بعض الملوك الى ولده وقتل والديه وانتشار الامور ببابل واختلالها.

وان انكسفت عند طلوعها وقع الشر والقتال بين ملكين ويهلكان جميعاً وان كان عند غروبها يدلَ على هلاك الغرب وهلاك رجل له قدر في بعض البلاد وان كانت في وسط السماء فأمر يحدث في الارض وقتال بمصر ويقع فساد كبير في ارض بابل وان انكسفت في تموز عند طلوعها تكثر الفتن وسائر المدن الملاصقة للمشرق وظهور (يظهر ظ) الوباء في تلك السنة، وان كان وسط السماء يدلّ على ارتفاع شأن ملك فارس وانقياد الملوك اليه، ويدلّ ايضاً على كثرة الوبا في عموم البلاد في اكثر الارض وان كان قبل المغرب يدلّ على خطب السنة وفساد التمور وعلى انه تطيع الملوك كلها ملك بابل، وتشدّ الروم على العرب ويغبلونهم.

وان انكسفت في آب عند طلوعها يدلّ على قتال شديد وهرجة عظيمة صعبة، وان كانت وسط السماء يدلّ على توسط حال السنة الا ان الحنطة يكثر بعضها وينقص بعضها، وان كان عند غروبها دلّ على كثرة الاراجيف المختلفة والقتال ويدلّ على امساك القطر وحسن امور الملك ويقتل اعدائه وتحسن نية السلطان واولى الامر في اتباعهم ورعاياهم، وان انكسفت في ايلول عند طلوعها اوجب الغلاء واتصال الفتن والشر وان كانت وسط السماء فان بعض الملوك يقصد بلاد المغرب ويتصل الفتن في سائر البلاد، ويقل المطر وتفسد الخمور وتتعذر في

هذه السنة ويقع الشر في ارض بابل وان كان عند غروبها يدلّ على حين اهل نينوى وخراسان وكثرة التمور في تلك السنة.

وان انكسفت ورأيت الشمس حمراء مستديرة في وقت الكسوف فأنه يدلّ على قتال شديد وسفك الدماء، وقال ذو القرنين انه يهلك الملك وتكون الاسعار صالحة ويهلك حصن من الحصون العظيمة وتكثر الاشجار وتصلح الارض، ويكون القتال والحرب في ناحية مصر، وان انكسفت في تشرين الاول في اول النهار فأنه يدلّ على هلاك رجل عظيم القدر ويموت الملك وتشتعل الحروب في الارض، ويظهر الجراد وينقطع المطر وان كانت وسط السماء فأنه يسقط رجل عظيم القدر ويكون فساد في آذربيجان ويصيب الدواب والاغنام وينقطع الغيث مدَة ثلاثة اشهر وان انكسفت عند غروبها وقد الجراد في بلاد الروم.

وان انكسفت في تشرين الثاني عند طلوعها ولم يتغير لونها ولم تسوّد فان السلطان يضعف امره، ويقع الغلا في ارض يونان مصر، وان كانت في وسط السماء يدلّ على خصب السنة وحسن حالها وكثرة خيراتها مع كثرة العلل والامراض التي تحدث آخر السنة ويدلّ ايضاً على تعدي السلطان على اهل السواد وينتقل بعض الملوك من مقر سريره الى مدينة اخرى يكون هلاكه فيها، وان كان في آخر النهار فان الغلاء والوباء يقعان في بلاد الروم، ويلحق العرب شدَة ويقع بينهم السيف ويكثر الغيث في البلاد وتقوى شوكة الملتصقة وينقطع الطرقات، وان انكسفت في كانون الاول دلّت على كثرة الخرابات وتشتد الرياح العواصف، ويقع الوبا في خراسان وفارس، ويكثر السمك والعصافير ويقع القتال في بلاد العرب ويكون الغالب الاضطراب في سائر المدن، وينزعج ملك مصر من موضعه وينحلّ نظام ملكه، وان كانت بأسرها فأنه يكون جوع وموت ببابل وارض موصل وبلد وفارس ويظهر مكر من العرب وان كان بحمرة ينقص القمح ويكثر الشعير، ويكون قتل وفزع في المدينة وتكثر الاشرار ويهلك رؤساء قوم في ثلج وتنقص الخيرات ويقع الحروب.

وان انكسفت في كانون الثاني ان كان جزؤياً يدل على خصب السنة وكثرة الخيرات ووفور الغلات والثمار واتصال الامطار ويدلّ على هرب رجل عظيم القدر من بلاد الروم وقصد فارس ودخوله على سلطانها وتتحارب السلاطين ويموت ملك مصر وتتقدم السفل والسقواط وتنحط اهل الشرف ويكثر المطر والبرد، ويظهر الجراد وتفسد الغلات ويكثر القتل والنهب في البلاد ويقهر الملك الصغير الكبير، وان انكسفت كلها يهلك ملك حدث السنّ ويقع الغلا والقتل بمصر ويقتل الزنج ملكهم ويقتل النساء.

وان انكسفت في شباط يدل على الغلاء وقلّة الامطار واتصال الثلوج وشمول الوبا وحسن حال بابل وخروج خارجي وانتصابه للملك واضطراب السواد مدة ثلاثة اشهر، وظهور رجل عظيم القدر بجبال فارس وآذربيجان ويختلف الاراجيف في الارض وتختل السواحل وتغرق السفن وتكثر الادهان والسمسم ويقع الوبا في الغنم، وان انكسفت كلها فانه يقع قتل عظيم ببابل ويلحق اهل خراسان شدّة عظيمة وان انكسفت في آزر يدلّ على خصب السنة وحسن حال الثمار وكثرة الاندية والامطار في خراسان، وعلى وقوع الوبا في ارمنية ويجيء المطر في آخر السنة ويكون اكثر الاضطراب في المشرق والمغرب وتظهر في خراسان علّة مختلفة، وان انكسفت كلها لحق بعض السلاطين مكيدة من اعاديه (اعدائه خ) ويقتل ملك عظيم ويزول سلطنته ويكون مرض شديد واكثر ذلك يكون في العامة.

واما الشهور العربية فان انكسفت في المحرم تكون السنة خصبة ويلحق الناس حرارات وامراض، وان كان في صفر فأنه يكون فزع وجوع وقتال في تلك السنة، وان كان في ربيع الاول فانه يقتل رجل من العظماء ويخرج رجل يدعي الملك[١٤] وان كان في جمادي الاول فان الاحوال يكون صالحة، ويعمّ السكون والفرح والسلامة وان في جمادي الثاني يموت رجل كبير في هذه السنة من ناحية المغرب، ويلحق جنده صعوبة عظيمة ويكون بمصر قتال واختلاف، وان كان في رجب فان الحرب يعمّ ويظهر الجراد، ويقلّ المطر ثلاثة اشهر، وان كان في شعبان فان السنة تخصب ويكون في آخرها مرض شديد، وان كان في رمضان المبارك فانه يخرج الروم على العرب ويكون مطر وبرد ويصيب اهل فارس والبادية شدة وجوع وموت ويقع في العرب قتال وجوع.

وان كان في شوال فأنه يقتل ملك الهند ويقتل ملك بابل اعاديه ويكون سنة خصبة ويحسن حال النباتات، وتكثر الامطار وتأكل الناس البراغيث، وان كان في ذي القعدة فان المطر يأتي ثلاثة ايام متواترة ويظهر الجراد ولا يضرّ الزرع ويصلح النباتات وان كان في ذي الحجة فأنه يكون رياح ومطر وتخرج الخوارج وتكثر الغلة والطعام بفارس ونواحيها وقراها.

واما خسوف القمر في الشهور الرومية فان كان في نيسان في اول الليل يدلّ على قتل رجل عظيم القدر بالحديد، وتتغير نيّة الاباء على الاولاد ويقلّ سكونهم اليهم، ويدلّ على كثرة الثلوج والخصب والرخص، وان كان في نصف الليل ولونه يضرب الى الحمرة يدلّ على الغلاء والوبا وقلّة الامطار، وان كان في آخر الليل يدلّ على صلاح حال الملك ورعيته وعلى اتصال الامطار وهلاك الوحوش وهلاك الغلات الا انه يحسن حال الكرم، وان كان في ايار في اول

---

(١٤) قوله:(وان كان في ربيع الثاني الخ) ساقط في النسخ المطبوعة وكذا فيا لنسخة المخطوطة.

الليل يدلَ على ثوران الفتن وعلى ان يلحق الزرع اليرقان ويموت البقر، وتكون الامطار متصلة ويحصل بين اهل طائفة من فارس قتال وان كان في نصف الليل يدل على وقوع الوبا بنواحي بيت المقدس وحدوث الغلاء غير ان حال النخيل يحسنم ويستولي على الامور السلطانية انسان غشوم مقعد، ويكون بسببه تغيير نية السلطان على خواصه وتتصل الامطار وتقع الحروب بأرض بابل ويقع الجوع بآذربيجان وتقتل اشراف الناس ويصيب الناس شدة، وان كان آخر الليل يدل على سكون الناس وأمنهم وزوال اسقامهم، ويكثر السمك والعصافير، وان انخسف في حزيران فان كان اول الليل يدل على خبث نية اصحاب الدول وسيعهم في خراب امور الملك وتتصل الامطار ويظهر الجراد ولا يفسد الا قليلاً ويكثر الجور بفارس، وتكثر الاثمار وينقص القمح، وان كان في نصف الليل يدل على الوبا، وعلى اسقاط الحبوب وان كان في آخر الليل يدل على غزارة المياه وعلى حسن حال مصر في آخر السنة وخروجهم على سلطانهم ويحسن حال الزرع والنخل والاشجار.

وان انخسف في تموز في اول الليل يدل على كثرة الامطار ووقع الوبا في الناس والوحوش وان كان في نصف الليل يدل على وقوع الوبا في المغرب واتصال الفتن في كثير من البلدان وكثرة المطر، وان كان في آخر الليل يدل على محاصرة بابل وكثرة الاراجيف ووقوع الوبا في مواضع كثيرة وكثرة الاوجاع والعلل وظهور البرص، وان كان في آب في اول الليل يدل على حصار اهل بابل ووقوع القتال واضطراب السلطان ويعتري الناس ضيقة الصدر ولا يعرفون سببه، ويعارضهم شبيه الوسواس وتكثر الامطار وان كان في نصف الليل فأنه تقع تشويش وتكثر الامطار وترخص الغلات.

وان كان خسوفه في ايلول في اول الليل يدلَ على فساد الزرع ويظهر الجراد وتكثر الاراجيف ويسير ملك من المشرق الى المغرب ويملك بلادا ويضيفها الى مملكته وتكون سنة خصبة ويعرض للناس وجع العين وتكثر الامطار جداً، وان كان نصف الليل يدل على كثرة المياه وحسن حال الانعام وكثرة العشب[١٥]، وان كان آخر الليل يعمَ الخصب البلاد ويفرح الناس، وتقل الامراض ويهلك الملك ويرث ولده بعده، وان كان في تشرين الاول اوّل الليل يدل على اضطراب وتشويش ووقع الملك بخواصه فيحطّهم عن مراتبهم، ويدلَ على وقوع القتال في الجبال وعلى هلاك البقر والمواشي وحدوث الافات في الكلاب وكثرة العلل والامراض، ويحسن الزرع ويكثر الامطار بعد تأخيرها وان كان نصف الليل فان السنة تكون كثيرة الخيرات.

---

(١٥) العشب بالضم والسكون الكلاء الرطب في اول الربيع.

وان انخسف في تشرين الثاني في اول الليل يدل على الوبا ووقوع الافة في المزارع ويموت ملك العرب ويظهر لوجع في اهل الجبال بفارس، وان كان نصف الليل يدل على اضطراب امور الناس مع اتصال الامطار ويظهر الجراد الكثيرة ويحسن الزرع ويفقد رجل كبير، ويسير اهل المشرق الى اهل المغرب ويكون بينهم حرب كثير،، وان انخسف في كانون الاول يدل على الوبا بأرض الاهواز وفارس وعلى عموم الرخص واتصاله وعلى هلاك اعداء الملك، وان كان نصف الليل الى الصبح فأنه يدل على وفور المياه ويفسد السمسم ويحسن حال الثمار والغلات الصيفية، ويهلك الوحش مع كثرة العشب والزرع في الجبال، ويتحدث الناس بأمر يظهر في المغرب ويموت ملك الشام ويكثر الموت في الابل، وقال ذو القرنين يكون حروب وقتال يقع في المدائن ويقلَ الزرع والفواكه والقطن، ويزيد في العيون ويظهر في الناس اليرقان ويهلك القمح والشعير وتخصب ارض بابل وتكثر الامطار بآذربيجان، ويكثر الثلج ويظهر الجراد ويكون في اصفهان جوع ووباء.

وان كان في كانون الثاني يدلَ على ارتفاع الاسعار في الاهواز، وان كان في نصف الليل او آخره يدلَ على هلاك الوحوش وبوارها وظهور الجراد وكثرة الامراض في ارض بابل مع كثرة الفواكه، وتمكن النفاق في قلوب الناس ويحسن الزرع، وان انخسف في شباط اول الليل يدل على وقوع الغلا في بلاد المغرب ويصيب الناس يرقان وان كان نصف الليل او آخره يدل على اضطراب اهل البحر وهلاك راكبي السفن بالغرق وعلى اتصال الحرب وهلاك رجل عظيم بفارس، وهلاك قوم من التجّار واضطراب الملك الا انه يظفر بأعدائه، وان كان خسوفه بحمرة فأراجيف ورعد ويعصى على الملك اصحابه وتغلو الاسعار بأرض الترك ويظهر صوت شديد وتسفك الدماء، وان كان خسوفه في آذار اول الليل يدل على الجزع الشديد بأهل البحر وعلى وقوع الوبا في بلاد الهند وموت ملكهم وعلى حسن حال المواشي، ويكون بمصر قتال شديد وتخرب بعض بلدانها ويقع البرد والثلج، وان كان في نصف الليل يدل على موت بأرض مصر ويموت ملك المغرب.

واما الشهور العربية فان انخسف في محرم يدلَ على موت رجل عظيم من اهل المغرب، وام كان في صفر يدل على كثرة الامطار والفواكه وخوف شديد وان كان في ربيع الاول فيدلَ على القتال في الصيف، وان كان في ربيع الاخر فان المدن عامرة وتكثر الطعام، وان كان في جمادي الاولى يدل على مصائب تصيب العلماء في نفوسهم واموالهم وان كان في جمادي الثانية فان الملوك تصطلح مع العلماء وتكون السنة كثيرة الخير وان كان في رجب يدل على الفتن والحرب، وان كان في شعبان يدل على الاختلاف بين قبائل العرب والاشراف، ويشتدَ

الامر على الفقراء ثم تستقيم الامور بعد ذلك وان كان في شهر رمضان المبارك فان الملك يظفر بأعدائه ويكثر الشرَ بين الرعية، وان كان في شوال فان الملك يقتل ويملك ولده من بعده ويغلو الطعام، وان كان في ذي القعدة يدل على كثرة الحرب والجور ويهلك الناس بالاختلاف وان كان في ذي الحجة يدل على فتح مدينة محاصرة وينهزم كل العسكر وتفتخر العبيد على مواليهم ويكون جوع شديد.

واما البروج فان كان الكسوف في برج الحمل يدل على كثرة التمور ويقع الوبا في الناس وينقطع النسل مدّة وان كان في الثور يدل على اسقاط اهل الجبال واختلاف امر السلاطين ودخول بعضهم الى مدينة بعنف وقلة ثباته فيها، وان كان في الجوزا يدلّ على الغلا والبلا لاهل بابل وخروج الناس من اماكنهم مدّة ورجوعهم اليها من بعد ذلك وان كان في السرطان يدل على قلّة الامطار وظهور حيوان غرب الخلقة في ارض بابل، وان كان في الاسد يدل على امراض بأهل فارس وكثرة الوبا والحروب والفتن في بلاد الهند وظهور الجراد ولا يؤذي شيئاً، وان كان في السنبلة يدلّ على خصب السنة وكثرة الخيرات ونور النباتات ووهو بعض السلاطين.

وان كان في الميزان يدل على هلاك الحشرات والهوام ووقوع الغلاء بأرض خراسان وشدّة تلحق اهلها، وان كان في العقرب يدل على اسقاط اهل الجبال ووقوع الغمّ واسباب توجب البكاء الا ان العاقبة محمودة وان كان في القوس يدل على الوبا في اشراف الناس وقلّة الطعام وارتفاع اسقاط الناس وتجادل بين العلماء، وفوت رجل عظيم القدر وتغيير النقود وتقلّب الامور وان كان في الجدي يدلّ على اضطراب العالم وكثرة الاراجيف واختلاف الناس من مواضعهم، وان كان في الحوت يدلّ على قلة الربيع وقلة الغلات.

واما الرعود فاذا ارعدت والقمر في الحمل يدل على وقوع الخوف في العالم ووقوع الشتات، ويدل على هبوب الرياح المزعجة ومجيء الامطار في التشاريق ثم ينقطع مرة ويتصل بعد زيادة المياه والعيون واضطراب الامور وكثرة الحمى والحصف وشدّة البرد في بابل وآذربيجان واختلاف الكروم بها من كثرة البرد وشدة الوبا في هذه البلدان، وان ارعدت في الثور يدلّ على حسن الغلات خصوصاً الحنطة وانواع الاثمار، ويدل ايضاً على فرح سلطان المشرق ووقوع الحرب والقحط ببلاد الروم وحدّ الشمال حتى ينتهي امر الناس في النواحي الى اكل الميتة، ويحسن حال الزروع اول السنة وتموت البقر وتعمّ الاوجاع، وتهلك اعيان الناس وتظهر آية في السماء وشدّة وقوع الناس منها وذلك في مصر والسودان والهمدان والاكراد وان ارعدت في الجوزا يدل على غمّ يلحق الناس معه مرض ويحسن حال الحنطة بالجبال، وتتلف

الاباطيخ ويقع الخوف مع السلامة، ويدلّ على تقدم الامطار اول الشتاء وهبوب الرياح وهلاك الاشجار وكثرة الوباء في الهند وآذربيجان، وتعذر الغلات في المشرق ووقوع الصاعقة من السماء واشتباك الحروب وهلاك رجل عظيم القدر، وظهور الجراد في البلاد التي تتولاها الجوزا كالهند وارمنية وآذربيجان.

وان ارعدت في السرطان يدلّ على جوع شديد في نواحي المشرق وكثرة الاراجيف وظهور الجراد وفساد الزرع والاشجار، واشتباك الحرب والفتن وتمكن الاعداء من الرعية، وان ارعدت في الاسد يدل على سلامة الغلات وظهور الحكّة والبثور والجرب في الناس، ويهرب الناس من الفتن وهلاك اهل السفن في البحر انقطاع المطر واتلاف الكروم وموت الاكابر وهلاك النساء عند الولادة وعلة الناس من اكل الثمرة، وان ارعدت في السنبلة يدل على هلاك خواص الملوك ووقوع الفزع بمصر وحسن حال الغلات وتهلك الاغنام والمواشي وتكثر الامراض اول السنة وتتصل الامطار وتقل الغلات ويضطرب امر السلطان ويتعذر القوت في الجزيرة والفرات من القحط، وان ارعدت في الميزان يدلّ على الحروب وحسن حال الامطار ويدل على الفتن في العالم وظهور الدقائق والكنوز من تحت الارض وخراب البقع والصوامع وبيوت العبادات واتصال الثلوج وهلاك الثمرات، وكثرة الامراض في الصيف وزوالها في آخر الشتاء واشتباك الحروب في بلاد الميزان وسفك الدماء في المغرب.

وان ارعدت في العقرب يدل على هلاك الطيور وشمول البلاء والغلا في تلك السنة وخروج ملك المشرق وتوجهه نحو البلاد ليفتحها ويملكها، ويدلّ على كثرة الامراض وحسن حال الثمار والغلات واعتدال المواشي، وان ارعدت في القوس يدل على حسن حال الغلات في الجبال وقلة الامطار وكثرة الثلوج وآفة الكروم وكثرة المموت في الرجال، وان ارعدت في الجدي يدل على اتصال الامطار وكثرة الاراجيف وانقطاع الامطار اول السنة مدة شهرين ونصف ويهلك الرزع والاشجار وان ارعدت في الدلو يدل على حروب كثيرة وامراض صعبة وحسن حال الثمار والغلات وقلة المطر في بلاد الروم وكثرة الموت في الصيف، وان ارعدت في الحوت يدل على قلة الحنطة واتصال الامطار في البلاد التي يتولاها الحوت وهي اليمن.

واما حال الامطار فاذا جاء المطر في نيسان يدل على زكوة الغلات وربما يخرج خارجي مفسد، وان امطرت في ايار فيدل على كثرة القحط، وان امطرت في حزيران حدث الناس اوجاع الرية ونقص حبل النساء، وان امطرت في تموز يدل على زيادة المياه وان كان في آب فيقع الموت في المواشي، وان كان في ايلول فأنه يحسن حال الزرع وهكذا حال بقية الشهور.

واما احوال البرد فان وقع في نيسان فيدل على قوة السلطان الاعظم ببابل وان كان في ايار يدل على قتل الملك معه كبار حاشيته ويكون حرب عظيم وان وقع البرد في حزيران يدل على خطب السنة وحسن حالها وان وقع في تموز يدل على الغلاء الشديد وتضائق الامور بالناس وافتقارهم وان وقع في آب يدل على قلة الغلات ويتلوه الرخص سريعاً، وان وقع في ايلول يدل على برد شديد وان وقع في تشرين الاول يدل على الوبا وخروج الخوارج ببابل، وان وقع في تشرين الثاني يدل على الجوع خصوصاً بمصر والبصرة ويخرج الخوارج ببابل، ويكثر الموت في البلد الذي وقع فيه البرد والثلج، وان كان في كانون الاول يدل على ظهور خوارج على الملك ويقتلهم الملك وان كان في كانون الثاني يدل على اضطراب عظيم، وان وقع في شباط يدل على ظهور الجراد وفساد الغلات وسخط السلطان على اصحابه والرعية وكثرة الحرب وتغلو الاسعار، وان وقع في ازار يدل على اتساع الخيرات والخصب الا انه يكون قتال شديد ومنازعات.

واما ظهور قوس قزح فان ظهر في نيسان يدل على اختلاف وارتفاع المطر في ذلك الشهر، وان ظهر في ايار يدل على الوباء في البقر وحسن حال الثمرات ووقع الصلح بين الملك وبين من يعاديه، وكثرة الامطار ووقوع الوباء في السودان وان ظهر في المغرب يدل على الغلاء واضطراب الناس في نواحي المغرب وتقوى امر الملك ويقتل اعاديه وان ظهر في حزيران يدل على موت خواص الملك ويكون هلاكهم على يد الملك وان ظهر في المغرب يدل على وقوع الغلا في المغرب، وان ظهر في آب من المشرق يدل على تشويش بين الملوك وغلاء في خراسان ثلث سنين، وان ظهر في ايلول من ناحية المشرق يدل على اشتباك الحروب بين ملك فارس والاهواز، وان ظهر في تشرين الاول من ناحية المشرق يدل على اضطراب الروم وموت الحيوانات، وان ظهر في المغرب يدل على السلامة والفرح وعلى نكد (كيد ظ) المماليك على مواليهم وحسن حال الثمار، وان ظهر في تشرين الثاني من المشرق يدل على كلب الكلاب السباع وتأذي الناس بها ووقوع الوبا ببابل ثلاث سنين وان ظهر من المغرب يدل على كثرة الامطار والتمور وان ظهر في كانون الاول من المشرق يدل على حسن حال الغلات والثمرات واتصال المطر مدّة ثلاثة اشهر، وكثرة الوباء والاوجاع والحروب واختلاف بين الناس وكثرة العشب وان ظهر من المغرب يدل على خصب السنة وظهور الجراد والمرض والقتال، وان ظهر في كانون الثاني يدل على وقوع الملك في ايدي اعاديه وكثرة الثلوج وحسن حال الكروم والثمرات، وان ظهر في المغرب يدل على كثرة الامطار وزيادة الغلات ويشتدّ الغلاء في بلاد الروم، وان ظهر في شباط من المشرق يدل على كثرة الحروب بين الملكين وخصب السنة وحسن

حال الثمرات في خراسان وفارس، وان ظهر من المغرب يدل على اضطراب الفتن والحروب وظفر من الملك بأعاديه، وان ظهر في ازار من المشرق يدل على فتنة بين الملكين وظفر احدهما بالاخر، وعلى الامطار وموت الاطفال، وان ظهر من ناحية المغرب يدل على الوباء وانتقال من اماكنهم وكثرة الغلات والعصافير، ويظهر الجراد ويكون الغلاء بعد ذلك.

واما احوال الزلازل فان كان في نيسان نهاراً دلّت على حسن حال الفواكه والعنب وان كان ليلاً ينتقل الناس من اماكنهم، وان كان في ايار نهاراً دلت على كثرة الرخص والخصب التام والمطر في اكثر البلاد، وان كان ليلاً فموت يقع في الناس والبقر والغنم وحرب يقع في خراسان، وان كان في حزيران نهاراً دلّت على الغلاء في تلك السنة وقلّة المرعى، وان كان ليلاً يخرب مدينة بابل ويقع الموت في النساء، ويمرض خاصة الملك ويموت ملك نينوى وان كان في تموز نهاراً يدل على موت رجل جليل القدر وان كان ليلاً دلّت على ان خراسان مرضاً وشراً عظيماً في ايام الحصاد، وان كان في آب نهاراً دلّت عن حسن الطعام وكثرة القتال والسبي وتظهر اللصوص، وان كان ليلاً دلّت على ظهور اللصوص وقطع الطرق وفوران الحروب.

وان كان في ايلول نهاراً دلّت على كثرة التناسل وحسن حال الغلات والثمار وموت رجل جليل القدر وان كان ليلاً يقع الحرب وان كان في تشرين الاول نهاراً دلّت على ظهور ملك يستولي على الدنيا ويفتقر الاغنياء ويستغني الفقراء ويكون موت في خراسان وان كان ليلاً تدل على اسقاط اهل الجبال، وان كان في تشرين الثاني نهاراً دلّت على كثرة الامراض وان كان في كانون الاول نهاراً دلت على موت الحيوانات، وان كان في كانون الثاني نهاراً دلّت على موت الاطفال وكثرة الخيرات وتكون امراض كثيرة وان كان ليلاً يدل على اضطراب الناس.

وان كان في شباط نهاراً يدل على اتصال الامطار ومرض الاطفال واجتماع الجوش وتعصى الاولاد على آبائهم ولا يقبلون منهم ويقع الجوع والوبا، وان كان ليلاً يدل على عموم الغم السائر البلدان ويتكلم الجنين في بطن امه ويكثر الشر والامراض ويموت رجل عظيم، وان كان في ازار نهاراً يدل على كثرة اللصوص ويقتل الملك وتموت الناس ثم يكون في آخر السنة فرح ويكثر الطعام ويقع الجوع في بلاد الروم ويكثر الموت في هذه السنة، وان كان ليلاً يكون القتال بمصر وتكثر المياه ويظهر الموت في الناس ويصلح حال الاشجار والثمار.

نور في ذكر الشهور الاثنى عشر

وما وقع فيها على طريق الاجمال، قال الشيخ الطوسي (ره) ان اول السنة هو شهر رمضان ولكن اهل التواريخ يجعلون اولها محرم الحرام، فنجري على موافقتهم، والا فالاخبار انما دلت على قول الشيخ (ره) المحرم سمي بذلك لتحريم القتال فيه والغالب عند العرب، واليوم الاول منه معظم عند ملوك العرب وفيه استجاب الله تعالى دعوة زكريا وفيه ادخل ادريس عليه السلام الجنة وفي ثالثه خلاص يوسف عليه السلام من الجب، وفي خامسه عبر موسى عليه السلام البحر، وفي سابعه كلّمه على الطور، وفي تاسعه اخرج يونس عليه السلام من بطن الحوت وقد كان في بطنها سبعة ايام وطافت به سبعة ابحر، وفيه ولد موسى ويحيى ومريم عليهم السلام، وفي عاشره الداهية الكبرى التي لا تطيق الالسنة ذكرها، وفي سادس عشره جعلت القبلة البيت المقدّس، وفي سابع عشره نزل العذاب على اصحاب الفيل وفي الخامس والعشرين منه كانت وفاة السجاد عليه السلام.

صفر سمي بذلك لاصفرار الشجر فيه وقيل ان محال العرب كانت تصفّر من اهلها وتخلو لانهم يخرجون الى الغارات عند انقضاء المحرم، وفي اوله أدخل رأس الحسين عليه السلام الى دمشق وهو عيد بني امية، وكان مقتل زيد بن علي بن الحسين عليهما السلام وفي ثالثه احرق مسلم بن عقبة باب الكعبة ورمى حيطانها بالنهار فتصدعت، وكان يقاتل عبد الله بن الزبير من جهة يزيد لعنه الله، وفيه ولد الباقر عليه السلام وفي سابعه توفي الحسن بن علي وولد الكاظم عليهم السلام، وفي سابع عشره توفي الرضا عليه السلام وفي العشرين منه رجوع حرم الحسين عليه السلام الى المدينة وفي الثالث والعشرين منه عاد الامر الى بني العباس واستخلف السفاح ولليلتين بقيتا منه قبض النبي صلى الله عليه وآله.

ربيع الاول سمي بذلك لارتباع الناس فيه وكذا ربيع الثاني لان صلاح احوالهم كانت في هذين الشهرين، في ربيع الاول في اول يوم منه كانت وفاة العسكري عليه السلام ومصير الامر الى القائم عليه السلام وفي اول ليلة منه هاجر النبي صلى الله عليه وآله من مكة الى المدينة سنة عشر من مبعثه وكان ذلك ليلة الخميس، وفيها كان مبيت علي عليه السلام على فراش النبي صلى الله عليه وآله وفي صبيحة هذه الليلة صار المشركون الى باب الغار واقام النبي صلى الله عليه وآله في الغار ثلاثة ايام بلياليهنّ، وخرج في رابعه متوجهاً الى المدينة فوصلها يوم الثاني عشر، وفي ثامنه وفاة العسكري عليه السلام وفي تاسعه العيد الاعظم وهو مقتل عمر بن الخطاب وقد تقدم وبعضهم زعم ان مقتله يوم الاثنين لاربع بقين من ذي الحجة سنة ثلث وعشرين من الهجرة، وفي عاشره تزوج النبي صلى الله عليه وآله بخديجة وعمره خمس وعشرين سنة وعمرها اربعون سنة وفي مثله لثماني سنين من مولده كانت وفاة جدّه عبد المطلب سنة ثمان من عام الفيل وفي ثاني عشره سنة اثنتين وثلاثين ومأة كان انقضاء دولة بني امية وفي رابع

عشره كان موت يزيد لعنه الله وله يومئذ ثمان وثلثون سنة وفي سابع عشره كان مولد النبي ﷺ ومولد الصادق عليه السلام.

ربيع الاخر في رابعه ولد العسكري عليه السلام وقيل في عاشره اول سنة الهجرة استقر صلوة الحضر والسفر، جمادي الاولى سميّ بذلك لانه صادف ايام الشتاء حين جمد واشتد البرد وكذا جمادي الاخر ويسمى جمادي الاولى خمسة والثاني جمادي ستة لان الاولى خامس المحرم والثانية سادسه، وفي نصفه كان مولد السجاد عليه السلام وفيه كانت وقعة الجمل ونزول النصر على علي عليه السلام، جمادي الاخرة وفي اول يوم منه نزول الملك على النبي ﷺ، وفي ثالثه وفاة فاطمة عليها السلام، وفي نصفه هدم ابن الزبير الكعبة بيده لما تولّى الامر وجعل لها بابين يدخل من احدهما ويخرج من الاخر، ثم ردها عبد الملك بن مروان الى ما كانت عليه، وفي مثله سنة ثلث وسبعين قتل عبد الله بن الزبير وله ثلاث وسبعون سنة، وفي عشرينه سنة اثنتين من المبعث كان مولد فاطمة عليها السلام، وقيل سنة خمسة من المبعث، وفي سابع وعشرينه كانت وفاة ابي بكر وولاية عمر.

رجب سمي بذلك لانه يرجب أي يعظم ويسمى الاصب بالباء لانصباب الرحمة فيه ويقال له الاصمّ لانه لا يسمع فيه حركة سلاح لانه من الاشهر الحرم، وفي اوّله ركب نوح عليه السلام في السفينة، وفي غرته يوم الجمعة ولد الباقر عليه السلام،وفي ثالثه كانت وفاة الهادي عليه السلام وذكر ابن عيَاش ان مولد الهادي عليه السلام كان ثاني رجب او في خامسه على الخلاف وذكر ان في عاشره كان مولد الجواد عليه السلام وفي ثالث عشر يوم الجمعة ولد علي بن ابي طالب عليه السلام في الكعبة قبل النبوة باثنى عشر سنة وللنبي ﷺ ثمان وعشرون سنة، وفي نصفه خرج النبي ﷺ من الشعب وفيه بخمسة اشهر من الهجرة عقد النبي ﷺ لعلي عليه السلام على فاطمة عليها السلام عقد النكاح ولها يومئذ ثلاثة عشر وروى تسعة او عشر وفي هذا اليوم دعا ام داود وفيه حولت القبلة من بيت المقدس الى الكعبة، وفي الثاني والعشرين منه ملك معاوية، وفي خامس وعشرينه كانت وفاة الكاظم عليه السلام وفي سابع وعشرينه مبعث النبي ﷺ.

شعبان سمي بذلك لتشعب العرب فيه الى طلب الغارات، وفي ثانيه سن اثنتين من الهجرة فرض صيام شهر رمضان، وفي ثالثه مولد الحسين عليه السلام، وفي نصفه مولد القائم عليه السلام، وفي عشرين منه النيروز المعتضدي.

رمضان سمي به لمصادفة شدة الرمضاء وهو شدة الحر، وقيل مأخوذ من الرمض وهو الاحتراق لاحتراق الذنوب فيه، وفي الحديث ان رمضان من اسمائه تعالى فالشهر مضاف اليه، ومن هذا جاء في الخبر لا تقولوا جاء رمضان ولا ذهب رمضان بل قولوا شهر رمضان، وفيه

اوله سنة احدى ومأة كانت البيعة للرضا عليه السلام وفي عاشره سنة عشر من مبعث النبي صلى الله عليه وآله قبل الهجرة بثلث سنين توفيت خديجة وتوفي قبلها بثلاثة ايام في ذلك العام ابو طالب، وفي نصفه مولد الحسن عليه السلام وليلة سبع عشر منه كانت ليلة بدر وهي ليلة الفرقان، ويوم سبعة عشر منه كانت الوقعة ببدر، وفي ليلة تسع عشر منه يكتب وفد الحاج، وفيها ضرب امير المؤمنين عليه السلام وفي العشرين منه سنة ثمان فتحت مكة وفيه وضع علي عليه السلام رجله على كتف النبي صلى الله عليه وآله ونبذ الاصنام، وفي الحادي والعشرين منه كان الاسراء بالنبي صلى الله عليه وآله وفيها رفع عيسى وقبض يوشع بن نون وموسى وعلي بن ابي طالب عليهم السلام.

وقال الطبرسي (ره) انزلت صحيفة ابراهيم لثلث مضين من رمضان، والتورية لست منه، والانجيل لثلاث عشر، والزبور لثماني عشر، والقرآن لاربع وعشرين وليلة ثلث وعشرين من ليالي الاحياء وهي ليلة الجهني، وحديثه انه قال للنبي صلى الله عليه وآله ان منزلي ناء عن المدينة فمرني بليلة ادخل فيها فأمره النبي صلى الله عليه وآله ان يدخل ليلة ثلث وعشرين وهي ليلة القدر، وفي الحديث ان الثلاث الليالي هنّ ليالي القدر، قال ابو عبد الله عليه السلام التقدير في ليلة تسع عشر والابرام في ليلة احدى وعشرين، والامضاء في ليلة ثلاث وعشرين، وهذه الليلة التي قال الله فيها انا انزلناه في ليلة القدر وما ادريك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر، وهو مدة ملك بني امية كان الف شهر.

قال القاسم بن الفضل وعلي بن مسلم حسبنا ملك بني امية فاذا هو الف شهر لا يزيد ولا ينقص، منها ١ سنو معاوية تسع عشر وثمانية اشهر واربعة عشرة يوماً، ٢ وملك يزيد لعنه الله تعالى ثلاث سنين وثمانية اشهر واربعة وعشرة يوماً، ٣ ومعاوية بن يزيد اربعون يوماً، ٤ ومروان بن الحكم ستة اشهر وثمانية عشرة يوماً، ٥ وعبد الملك احدى وعشرون سنة وخمسون يوماً، ٦ والوليد بن عبد الملك تسع سنين وثمانية اشهر ويومان، ٧ سليمان بن عبد الملك سنتان وتسعة اشهر وثمانية عشرة يوماً، ٨ وعمر بن عبد العزيز سنتان وتسعة وخمسة عشرة يوماً، ٩ ويزيد بن عبد الملك اربع سنين وشهر، ١٠ وهشام بن عبد الملك تسع عشر سنة وتسعة اشهر وستة عشر يوماً، ١١ والوليد بن يزيد سنة وشهران واثنان وعشرون يوماً، ١٢ وابراهيم بن الوليد شهران وثلثة ايام، ١٣ ومروان بن محمد الى ان بويع العباس خمس سنين وشهران وعشرة ايام، فذلك تسعون سنة واحدة عشرة شهراً وثمانية عشرة يوماً، وضع من ذلك ايام الحسن عليه السلام وهو خمسة اشهر وعشرة ايام، وايام عبد الله بن الزبير وهي سبع سنين وعشرة اشهر وثمانية ايام فصار الباقي بعد ذلك ثلاث او ثمانين سنة واربعة اشهر يكون الف شهر سواء وليالي

الاحياء سبعة ليلتا الفطر والاضحى وليلة النصف من شعبان واول ليلة من رجب والمحرم وليلة عاشوراء وليلة القدر.

شوال سمي بذلك لشولان الابل باذنابها في ذلك الوقت لشدة شهوة الضراب ولذلك كرهت العرب التزويج فيه وعن النبي ﷺ انما سمي بذلك لان فيه شالت ذنوب المؤمنين أي ارتفعت وذهبت وفي اول يوم منه وهو العيد اوحى ربك الى النحل صنعة العسل، وفي نصفه وقيل سابع عشره غزوة احد ومقتل حمزة عليه السلام وفيه ردت الشمس على علي عليه السلام وفي آخره كانت اياك النحسات التي اهلك الله تعالى فيها عادا وقيل انها كانت ايام العجوز.

ذو القعدة سمي بذلك لقعودهم فيه عن الحرب والغارات لكونه من الاشهر الحرم وفي اول يوم منه واعد الله تعالى موسى عليه السلام ثلثين ليلة وفي خامسه رفع ابراهيم واسماعيل القواعد من البيت، وفي خامس وعشرينه دحو الارض وفي ليلته ولد ابراهيم وعيسى عليهما السلام وفي تاسع وعشرينه انزل الله الكعبة وهي اول رحمة نزلت من السماء.

ذو الحجة سمي بذلك لان مناسك الحج فيه وروى ان ميقات موسى ذو القعدة فأتمه الله بعشر ذي الحجة وفي اوّله كان العزل لابي بكر عن براءة بعلي عليه السلام وفيه ولد ابراهيم عليه السلام وفيه اتخذه الله خليلاً وفيه زوّج النبي ﷺ فاطمة عليها السلام وروى انه كان يوم السادس وقيل كان ذلك في رجب وفي ثالثه تاب الله عز وجل على آدم عليه السلام وفي سابعه يوم الزينة التي غلب فيه موسة السحرة وثامنه يوم التروية وتاسعه عرفة.

وقد وقع في الاخبار بوجه التسمية وجوه منها ان ابراهيم عليه السلام رأى ليلة الثامن من ذي الحجة انه يذبح ولده اسماعيل فتروى ذلك اليوم وتفكّر في أنه هل هو اضغاث احلام ام من الله سبحانه الهام فعرفه في اليوم التاسع.

ومنها ما روى من ان آدم وحوىّ تلاقيا بعد هبوطهما الى الدنيا وافتراقهما يوم الثامن فتروى آدم من معرفتها ذلك اليوم وعرفها يوم التاسع.

ومنها ما روى من ان الحاج كانوا يقولون اذا ارادوا الخروج الى عرفات ترويتم من الماء، واما التاسع فلقول جبرئيل عليه السلام لادم اعترف بذنوبك، وفي تاسعه سدّ النبي ﷺ ابواب مسجده الا باب علي عليه السلام وفيه قتل هاني ومسلم في الكوفة، وقيل ان المعراج كان فيه وكذا ولادة عيسى عليه السلام وعاشره يوم عيد الاضحى والثلاثة بعده ايام التشريق، وثامن عشره يوم الغدير وفيه آخا النبي ﷺ بين اصحابه وفيه قتل عثمان بن عفان وليلة تسع عشر منه دخل علي عليه السلام على الزهراء وكانت ليلة جمعة وفي احد وعشرينه انزلت توبة آدم وفي رابع وعشرينه نام علي عليه السلام على فراش النبي ﷺ وهو يوم تصدق امير المؤمنين عليه السلام بخاتمه وهو يوم المباهلة، وروى ان يوم

البساط الحادي والعشرين منه وفي خامس وعشرينه نزلت سورة هل أتى في اهل الكساء وحيث انه قد تعارف التشأم من الايام وغيرها فلا بأس بذكره.

نور في التشام وحقيقته واصابة العين وما يناسبه

اعلم ان التشأم وهو الطيرة قد كان معروفاً في اعصار الجاهلية وقد كانوا يتشأمون ويتطيرون (في خ) من امور كثيرة فلما جاء الشرع نهى عنها، روى شيخنا الكليني قدس الله ضريحه في الروضة عن النضر بن قرواش قال سألت ابا عبد الله عليه السلام عن الجمال يكون فيها الجرب اعزلها من ابلي مخافة ان يعديها جربها والدابة ربما صفرت لها حتى تشرب الماء فقال ابو عبد الله عليه السلام ان اعرابياً اتى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال يا رسول الله اني اصيب الشاة والبقرة والناقة بالثمن يسير وبها جرب فاكره شرائها مخافة ان يعدى ذلك الجرب ابلي وغنمي فقال رسول الله صلى الله عليه وآله يا اعرابي فمن اعدى الاول ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا شومة ولا صفر ولا رضاع بعد فطام الحديث. وفي حديث آخر قال الصادق عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله كفّارة الطيرة التوكل.

وروى الجمهور عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال الطيرة شرك وما منّا ولكن الله يذهبه بالتوكل، هكذا جاء في الحديث مقطوعاً، ولم يذكر المستثنى أي ما منا احد الا ويعتريه التطيّر وتسبق الكراهة الى قلبه فحذف اختصاراً واعتماداً على فهم السامع، وانما جعل الطيرة من الشرك لانهم كانوا يعتقدون ان التطير يجلب لهم نفعاً ويدفع عنهم ضرراً اذا عملوا بموجبه فكأنهم جعلوه شريكاً لله تعالى، وقوله ولكن الله يذهبه بالتوكل معناه ان الذنب الحاصل من عروض التطير يذهب بالتوكل فيكون كفارته كما في ذلك الحديث وفي الاخبار ما يدل على الطيرة في الجملة منها ما رواه الصدوق عن سليمان بن جعفر الجعفري عن ابي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام قال الشوم للمسافر في طريقه في سبعة الغراب الناعق عن يمينه والكلب الناشر لذنبه والذئب العاوي الذي يعوي في وجه الرجل وهو مقع علي ذنبه يعوي ثم يرتفع ثم ينخفض ثلاثاً والظبي السانح من يمين الى الشمال والبومة الصارخة والمرأة الشمطاء تلقى فرجها والاتان العضباء يعني الجدعاء فمن اوجس في نفسه منهنّ شيئاً فليقل اعتصمت بك يا رب من شر ما اجد في نفسي فاعصمني في ذلك قال فيعصم من ذلك والمراد من الظبي السانح المارّ من جانب اليمين الى الشمال وقد كانوا يتشأمون به كما يتيمنون بخلافه فأنه امكن للتمكن من رمي السهم للظبي، والشمطاء مأخوذ من الشمط وهو بياض شعر الرأس يخالط سواده، وقوله تلقى فرجها معناه انك تستقبلها ذاهباً اليها او مقبلة اليك، واما العدوى وهو سراية الامراض بالمخالطة فقد

عرفت ان النهي ورد من الشارع عنها ايضاً ولكن روى اعتبارها ايضاً والنهي عن ارتكاب موجباتها منها ما روى عنه عليه السلام انه قال لا يورد ممرض على مصحح وقال عليه السلام فرّ من المجذوم فرارك من الاسد وزعم اهل الطلب ان المسريات سبع، الجذام، والجرب والجدري والحصبة والبخر والرمد والامراض الوبائية ووجه الجمع بين اخبار هذا الباب وجوه.

اولها ان الطيرة والعدوى قد تسريان مع التوهم منهما، روى الصدوق باسناده الى الصادق عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله اوحى الله عز وجل الى داود عليه السلام يا داود كما لا تضرّ الطيرة من لا يتطير منها كذلك لا ينجو من الفتنة المتطيرون.

وروى الكليني عن الصادق عليه السلام انه قال الطيرة على ما تجعلها ان هوّنتها تهوّنت وان شددتها تشددَت وان لم تجعلها شيئاً لم تكن شيئاً، وروى ان الحسن عليه السلام مرّ يوماً بجماعة من المجذومين وهم يأكلون وكان عليه السلام صائماً فقالوا هلّم الى الغذاء فقال اني صائم وخشى ان يكون قد حصل لهم بذلك كسر قلب فقال تأتوني الليلة جميعاً لافطر معكم فأتوه عند المساء واكل معهم على خوان واحد جبراً لقلوبهم، وروى مثل ذلك عن السجاد عليه السلام ويكون هذا من باب ما روى من ان الباد نجان لما اكل فان كان قد اكل للدواء يكون دواءً وان كان قد اكل للداء يكون داءً لان معناه انه اذا اكل وتوّهم من اكله الداء يكون داءً لان الذي يأكله يقصد المرض والداء فانه لم يقع ابداً فيكون تأثير الطيرة والعدوى مسبباً عن التوهمّ منهما وهذا ليس بغريب، وفي الشرع ما هو اغرب منه كما سيأتي في نور المنام ان شاء الله تعالى من الاخبار الدال على ان الطيف يقع على ما يعبّر ويفسّر فيكون تعبير الطيف سبباً لوقوعه على أي نحو يعبر، والعادات شاهدة بمثل هذا فانا شاهدنا جماعة قد عوّدوا انفسهم حال السعي في طلب الحوائج التشأم من قول الذي يلقاهم ويسألهم فيقول يا فلان اين تريد فيرجعون ويدعون السعي في الحوائج حتى انهم لو مضوا على طلب تلك الحاجة لما قضيت وبعضهم قد عوّد التشأم من رؤية الاعور وقد رأينا من بالغ في التشأم حتى صار يتطير من النظر الى من لبس العباة السوداء وربما حصل له بعض الضرر اذا ترك بعض عاداته فيرى حينئذ انه على صواب بارتكاب تلك المحظورات وغرض صاحب الشرع الانور سدّ هذا الباب والالتجاء الى التوكل على جناب الحق ودفع نحوسة التشأم من المذكورات في الخبر السابق وغيرها بالدعاء وآيات القرآن، ولقد جربنا قرائة آية الكرسي لدفع كل هول وخوف من الحاليّات والمستقبلات، ومن جملتها انه قد كنا في بعض الاسفار فغار علينا جماعة من اللصوص فشرعت انا في قرائة آية الكرسي فلما وصلوا الينا تشاوروا في امرهم ثم اتوا الينا بالسلام والتحيات الخاصة وقد كنّا ضللنا عن الطريق فأرسلوا معنا واحداً منهم الى ان وصلنا الى قريب المنزل وجربنا ان قرائتها في اول

النهار واول الليل يقي من طوارقهما وآفاتهما وقد اشرنا الى جماعة من الجنود والعساكر الذين يباشرون الحروب فكانوا يقرأونها ويدخلون بين الصفوف ويخرجون سالمين غانمين وكذلك في الاسفار فلقد سافرنا مع قوافل كل قافلة تزهو على الالف وكنت اقرأ آية الكرسي كل يوم اذا ركبنا واذا حللنا ليلاً ونهاراً فلما رجعنا من ذلك السفر الطويل رجعناهم سالمون لم يتصدعوا بوجع ولا الم ولا فقد مال ولا وجه من الوجوه ومثل هذا قد جربناه كثيراً وفي الخبر ان الانسان اذ قرء آية الكرسي مرة واحدة ارسل الله اليه ملكاً يحفظه فاذا قرئها مرتين ارسل الله اليه ملكين يحفظانه فاذا قرئها ثلاثاً ارسل اليه ملائكة ثلاثة يحفظونه، فاذا قرأها اربعاً ارسل اليه اربعة من الملائكة يحفظونه فاذا قرأها خمساً قال الله سبحانه للملائكة تنَحوا عنه ودعوني انا احفظه فيحفظه الجبار عزَ وجل من جميع موارد الاذى.

وثانيها ما ذكره شيخنا الشهيد قدس الله روحه من ان النفي في قوله ﷺ لا عدوى المراد به نفي ما كانوا يظنونه من ان الامراض تتعدى بأنفسها من غير مشية الله سبحانه فنهاهم النبي ﷺ عن هذا الاعتقاد الفاسد من ان الطيرة والعدوى مؤثرة بنفسها من غير ارادة الله ومشيئته وقال لا عدوى ولا طيرة يعني انهما ليس لهما تأثير من انفسهما بل المؤثر هو مشيئته سبحانه المقارنة لوقتيهما ويؤيد هذا ان العدوى كثيرة الوقوع ويمكن ان يكون السبب في الوقوع ما مرَ في الوجه الاول.

وثالثها ان النفي منصرف الى الكمال والاستقلال وهو خبر لا المحذوف فيكون معناه لا عدوى ولا طيرة كاملة في الاسلام كما كانت في اعصار الجاهلية فقد رفع منها بميامن بركة النبي ﷺ شدَة ذلك التأثير وقد بقى البعض وقد ورد الامر بخلاف ما يعمله المتطيرون روى الدقاق قال كتبت الى ابي الحسن الثاني عليه السلام اسأله عن الحجامة يوم الاربعاء لا تدور فيكتب عليه السلام من احتجم يوم الاربعاء لا تدور خلافا على اهل الطيرة عوفي من كل ىفة ووقى من كل عاهة، واما قوله في الحديث الاول ولا هامة فقد فسرَها صاحب النهاية بطير يتشأمون به وهو البومة وفي هذه الاعصار يتشأمون بها ايضاً مع انه قد روى في الاخبار ان البومة كانت تألف الناس في الحجور وعلى الموائد والبيوت فلما قتلوا الحسين عليه السلام نفرت وذهبت عنهم وذهبت الى الدويان والمواضع الخربة تبكي على الحسين عليه السلام وتنوح عليه بصوتها ومثل هذه لا يتشأم منها،وقيل ان العرب كانت تزعم ان روح القتيل الذي لا يدرك بثاره تصير هامة فيقول اسفرني اسفرني فاذا ادرك بثاره طارت، وقيل كانوا يزعمون ان عظام الميت وقيل روحه تصير هامة فتطير ويسمونه الصدى فنفاه الاسلام ونهاهم عنه.

وقوله ﷺ ولا شوم كالتأكيد لما تقدمه قوله ولا صفر قال صاحب النهاية كانت العرب تزعم ان في البطن حيّة يقال له الصفر تصيب الانسان اذا جاع وتؤذيه وانها تعدى فأبطل الاسلام ذلك ويجوز ان يكون المراد به الصفير بقرينة انه لم يذكر ويظهر من بعض الاخبار كراهته.

بقي الكلام في المام العين وتاثيرها وهو مما لا يشكّ فيه فأنه قد ورد في الادعية الاستعاذة بالله تعالى منها ومن تأثيرها، وروى في الاخبار ان النبي ﷺ لما اقام علياً اماماً للناس يوم الغدير ورقى المنبر الذي علموه له من رحال الابل وأخذ في تعداد مدائح علي والنص عليه اتى المنافقون اليه وقالوا ما بقى لنا الا ان نصيبه بالعين حتى لا يتم امر بن عمه علي فينا فطفقوا فيما راموه فقال بعضهم انظروا الى عينيه كيف يجولان في رأسه لشدة ارادته هذا الامر في ابن عمه كأنهما علقتا دم، واخذوا في مثل هذا التشبيه حتى اطلع الله نبيه ﷺ على كيدهم بقوله ﴿وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم لما سمعوا﴾ وهو ذكر علي بن ابي طالب عليه السلام ﴿ويقولون انه لمجنون﴾ أي ان محمداً مجنون في حبّ ابن عمه ﴿وما هو الا ذكر للعالمين﴾ يعني ليس ما يقولون حقاً بل هو مذكر للعالمين وقد كانت العرب اذا اشتهوا اكل اللحم عمد بعضهم الى الجمل الواقف الصحيح واخذوا في تشبيهه حتى تصيبه عيونهم فيقع الى الارض من ساعته فبادروا الى نحره واقتسام لحمه وفي هذه الاعصار ايضاً قد شاهدناه كثيراً.

ومن هذا قال ﷺ ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر، وقال ايضاً لا رقية الا من عين او حمة، والحمة بالتخفيف لسعة العقرب واشباهه، ومعناه انه لا شء ينبغي ان يبالغ في التعويذ عليه الا تأثيرات العين فأن رفعها يحتاج الى انواع الرقيات وقيل معناه انه لا يجوز الرقيات المشتملة على القرائة والنفث الا من هذين الشيئين لان النفث قد ورد النهي عنه.

وقال الصادق عليه السلام من اعجبه من اخيه شيء فليبارك عليه فان العين حق يقول بارك الله عليك في كذا، وقد امر النبي ﷺ ان يكتب عوذة لولدي جعفر بن ابي طالب من عيون الناس، وقد كانوا في اعصار الماضية اذا ارادوا ان يصيبوا حيواناً او غيره بأعينهم يتجوّعون ثلاثة ايام ثم يأتون اليه فيشبهونه حتى يقتلونه، وبالجملة فتأثير العين مما لا ينبغي الشك فيه، وقول بعضهم انه اتفاقي وان العين لا تأثير لها مما لا ينبغي نعم من قوى توكله على الله تعالى لا تأخذه عين ولا غيرها بل لا تضره السباع والافات وحيث ان المناكحات من اهم امور الناس فلا بأس بذكر احوالها.

نور في التزويج واحواله واحكامه

اعلم ان المقصود من ايجاد هذا العالم هو العبادة كما قال تعالى ﴿وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون﴾ وكلما كانت العبيد اكثر كانت الطاعة اوفر، ومن ثم قوّى سبحانه داعي النكاح بالقائه الشهوة لانه كان يعلم ان الناس لو بقوا على داعي الثواب وتحصيل النسل لما ارتكبه الا القليل، وقد ورد من صاحب الشرع الانور من الحث عليه شيء كثير.

قال الصادق عليه السلام من كان له ما يتزوج به فلم يتزوج فليس منا، وقال عليه السلام التمسوا الرزق بالنكاح ومن ترك التزويج مخافة العيلة فقد اساء الظن بربه لقوله تعالى ﴿ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله﴾ وقال امير المؤمنين عليه السلام افضل الشفاعات ان يشفع بين اثنين في نكاح حتى يجمع الله بينهما وقال صلى الله عليه واله تزوجوا فان مكاثر بكم الامم غدا يوم القيمه حتى ان السقط ليجيء محبنطئا على على باب الجنه فيقال له ادخل الجنة، فيقول لاحتى يدخل ابواى قبلى المحبنطى الممتلى غيظا وقال عليه السلام ركعتان يصليهما متزوج افضل من صلوة رجل عزب يقوم ليله ويصوم نهار ؛وقال عليه السلام اراذل موتاكم العزاب.

وقال عليه السلام يا معشر الشبّان من استطاع منكم الباه فليروّح، ومن لم يستطع فليدمن الصوم فأنه له وجاء، والوجاء قطع الذكر والخصيتين، وعن ابي الحسن عليه السلام قال جاء رجل الى ابي جعفر عليه السلام فقال ابو جعفر عليه السلام هل لك زوجة؟ قال لا قال ما احب انّ لي الدنيا وما فيها وابيت ليلة وليست لي زوجة، وقال عليه السلام تزوّجوا ولا تطلقوا فأن الطلاق يهتز منه العرش، وان الله لا يحب الذواقين والذواقات، وتزوجوا في الحجر الصالح فان العرق دساس، وقال عليه السلام من تزوّج والقمر في العقرب لم ير الحسنى، وروى انه يكره التزويج في محاق الشهر، وينبغي ان يختار من النساء النجيبة العفيفة الجميلة صاحبة الدين الولود، قال امير المؤمنين عليه السلام تزوّج عيناء سمراء عجزاء مربوعة فأن كرهتها فعليّ الصداق، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله اذا اراد ان يتزوّج امرأة بعث اليها من ينظر اليها، وقال شمّى لبتّها فان طاب عرفها وان درم كعبها عظم كعثبها اللبة صفحة العنق، والعرف الريح الطيبة ودرم كبها أي كثر لحمه، والكعثب الفرج.

وقال عليه السلام اذا اراد احدكم ان يتزوج فليسأل عن شعرها كما يسأل عن وجهها فان الشعر احد الجمالين، وقال عليه السلام ما استفاد امرأ فايدة بعد الاسلام افضل من زوجة مسلمة تسره اذا نظر اليها وتطيعه اذا امرها وتحفظه اذا غاب عنها في نفسها وماله، وقال عليه السلام الحياء عشرة اجزاء تسعة في النساء وواحد في الرجال، فاذا خفضت المرأة[١٦] ذهبت جزء من حيائها، واذا تزوجت

---

(١٦) الخفض في الرأة الختان للرجل.

ذهب جزء، واذا افترعت[١٧] ذهب جزء واذا ولدت ذهب جزء، وبقى لها خمسة اجزاء فان فجرت ذهبت حياؤها كلها وان عفت بقى لها خمسة اجزاء، وقال امير المؤمنين عليه السلام خلق الله الشهوة عشرة اجزاء فجعل تسعة اجزاء في النساء وجزء واحداً في الرجال ولولا ما جعل الله عز وجل فيهنَ من الحياء لكان لكل رجل تسع نسوة متعلقات به، وقال الصادق عليه السلام ان الله جعل للمرأة صبر عشرة رجال فاذا هاجت بها كانت لها قوة شهوة عشر رجال.

وينبغي ان يجتنب تزويج الجميلة اذا لم تكن من الانجاب فانه قال رسول الله صلى الله عليه وآله ايها الناس اياكم وخضراء الدمن، قيل يا رسول الله وما خضراء الدمن؟ قال المرأة الحسناء في منبت السوء، وقال الصادق عليه السلام اذا تزوّج لمالها وجمالها ام يرزق ذلك، فان تزوجها لدينها رزقه الله عز وجل جمالها ومالها.

واما في الامم السابقة فقد كان الافضل لهم ترك التزويج ولذا مدح الله سبحانه يحيى بأنه كان سيداً وحصوراً، والحصور الذي لم يتزوج وكانوا يترهبون في الجبال ويعبدون الله سبحانه ويسيحون في الارض، وكان بعضهم يمزق ترقوته فيجعل فيها سلسلة ويشدّها في سوارى المسجد ملازمة للعبادة، وكان بعضهم يخصى نفسه حتى لا يكون له داعي الشهوة ولما جائت الملّة البيضاء نسخت تلك الاحكام كلها، فقال عليه السلام من رغب من سنتي وهو النكاح فليس مني، وقال تعلموا من الديك خصالاً السخاوة والشجاعة والغيرة والايقاظ لوقت الصلاة وكثرة الطروقة وهو الجماع، وسهّل علينا ما كان مضيقاً على الامم المتقدمين، فقال صلى الله عليه وآله ان الاتكاء في المساجد رهبانية العربية فيكون مدحاً لهم لانه قائم في الفضل مقام الترهب وهو ترك الدنيا للعبادة، والمراد بالاتكاء هنا متكأ لانتظار اوقات الصلوة والعلامة (ره) في المنتهى قال ويكره الاتكاء في المساجد لقوله عليه السلام الاتكاء في المساجد رهبانية العرب فعقل منه ذم الاتكاء عكس ما قلناه، وجعل بدل الخصا الصوم لانه يقللّ الشهوة ويصفى الباطن، ومن هذا جاء في الحديث القدسي كل عمل ابن آدم له الا الصوم فأنه لي وانا اجرى به، وهذا الحديث لا يخلو من اشكال حيث ان ظاهره التفضل على الصلوة، مع انه صلى الله عليه وآله قال افضل اعمالكم الصلوة، ومن هنا تصدَى المحققون لتأويله فذكروا له وجوها.

منها انه اختص ترك الشهوات والملاذ في الفرج والبطن وذلك امر عظيم يوجب التشريف، واجيب بالمعارضة بالجهاد فان فيه ترك الحيوة فضلاً عن الشهوات وبالحج اذ فيه الاحرام ومتروكاته كثيرة، ومنها انه امر خفيّ لا يمكن الاطلاع فلذلك شرّف بخلاف الصلوة والجهاد وغيرهما، وأجيب بأن الايمان والاخلاص وافعال القلب الحسنة خفية مع تناول

---

(١٧) افترع البكر: ازال بكورتها.

الحديث اياها، ومنها ان خلاء الجوف تشبيه بأجلّ صفات الربوبية وهي العلم الذاتية وكذلك الاحسان الى المؤمنين وتعظيم الاولياء والصالحين كل ذلك فيه التخلق تشبيهاً بصفات الله تعالى، ومنها ان جميع العبادات وقع التقرّب بها الى غير الله الا الصوم فأنه لم يتقرب به الا اليه وحده، وأجيب بأنه يفعله اصحاب استخدام الكواكب، ومنها ان الصوم يوجب صفاء العقل والفكر بواسطة ضعف القوى الشهوية بسبب الجوع، ولذلك قال عليه السلام لا تدخل الحكمة جوفاً ملئ طعاماً وصفاء العقل والفكر يوجبان حصول المعارف الربانية التي اشرف احوال النفس الانسانية واجيب بأن سائر العبادات اذا واظب عليها اورثت ذلك وخصوصاً الصلوة، قال الله تعالى ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾، وقال تعالى ﴿اتقوا الله وآمنوا برسله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به﴾ قال بعضهم لم ار فيه فرقاً تقرّ به العين ويسكن اليه القلب وقال شيخنا الشهيد قدس الله روحه ولقائل ان يقول هب ان كل واحد من هذه الاجوبة مدخول بما ذكر فلم لا يكون مجموعها هو الفارق فانه لا تجتمع هذه الامور المذكورة لغير الصوم وهذا واضح.

ومنها ان الله سبحانه قدجعل لكل عبادة جزاء مذكورا مقررا سوى الصوم كقولك خط[١٠٨] هذا الثواب بكذا وذاك بكذا وهذا الثواب اجعل مقدر اجرته الى ولايلزم منه ان يكون افظل من غيره فتأمل، واما قوله أجزى به فهو على صيغة المعلوم ومعناه مضاعفة الجزاء من غير عدد وحساب، لان الكريم اذا تولّى بنفسه الجزاء اقتضى عظمته وسعته، وتقديم الضمير للتخصيص او للتأكيد والاول انسب بالسياق، أي انا اجرى به لا غيري بخلاف باقي العبادات فان جزائها قد يفوّض الى الملائكة وذهب شيخنا المعاصر أدام الله ايامه الى ان أجزى من باب المجهول والمعنى ان عبادي لا يجازوني على نعمائي بمثل الصوم وهو كما ترى.

وبالجملة فالتزويج مرغب فيه من جهة الشرع وكذلك مخالطة النساء، وفي الروايات ان عثمان بن مظعون قدس الله روحه لما نظر الى الدنيا وفنائها وسمع من النبي صلى الله عليه وآله المواعظ البالغة حمله ذلك على ان لبس الثياب الخلقة وترك اهله ومضى الى بعض جبال المدينة ليتخلى للعبادة فجائت امرأته يوماً الى بيت النبي صلى الله عليه وآله فلما دخل عليه السلام البيت عرفها فقال هذه امرأة اخي عثمان، فقالت له زوجته نعم يا رسول الله لكن يا رسول الله زوجها فارقها ومال الى بعض الجبال للعبادة ومن هذا امرأته لم تمسّ الطيب مدّة ولم تلبس افخر ثيابها.

فلما سمع النبي صلى الله عليه وآله كلامها خرج غضباناً يجرّ طرف ردائه على الارض فرقى المنبر واجتمع الناس وامر باحضار عثمان، فأبلغ في الخطبة وقال أتريدون ديناً خيراً من ديني وسنّة

---

(١٠٨) من الخياطة.

أهدى من سنتي، والله لو كان اخي موسى حياً لما وسعه الا اتباعي انظروا الى ما افعل اني اصوم وافطر واصلي وانام وانكح النساء وآكل واشرب، ثم التفت الى عثمان وقال له ان الله سبحانه غنيٌ عن ثيابك هذه الخشنة فقم وانزعها وادخل على (الى خ) اهلك وخالطهم واكتسب لهم فترك عثمان ما كان فيه.

نعم اذا علم أو ظنّ ان المرأة تحمله على ما لا قدرة له عليه فيرتكب بسببها المآثم وفعل الحرام حرم التزويج كما في بعض امصار هذه الاعصار، وروى الشيخ الجليل احمد بن فهد في كتاب التحصين عن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ ليأتينّ على الناس زمان لا يسلم لذي دين دينه الا من يفرّ من شاهق الى شاهق ومن حجر الى حجر كالثعلب بأشباله قالوا ومتى ذلك الزمان؟ قال اذا لم تنل المعيشة الا بمعاصي الله فعند ذلك حلّت العزوبة، قالوا يا رسول الله امرتنا بالتزويج، قال بلى ولكن اذا كان ذلك الزمان فهلاك الرجل على يدي ابويه فان لم يكن له ابوان فعلى يدي زوجته واولاده، فان لم يكن له زوجة ولا ولد فعلى يدي قرابته وجيرانه، قالوا وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال يعيرونه بضيق المعيشة ويكلفونه ما لا يطيق حتى يوردوه موارد الهلاكة، وان لم يكن كذلك ففي التزويج فضل عظيم لما ورد في ثواب خدمتهنّ.

روى عن مولانا امير المؤمنين عليه السلام قال دخل علينا رسول الله ﷺ وفاطمة عليها السلام جالسة عند القدر وانا انقى العدس، فقال يا ابا الحسن قلت لبيك يا رسول الله، قال اسمع مني وما اقول الا من امر ربي، ما من رجل يعينّ امرأته في بيتها الا كان له بكل شعرة على بدنه عبادة سنة صيام نهارها وقيام ليلها، واعطاه الله من الثواب مثل ما اعطاه الصابرين وداود النبي ويعقوب وعيسى عليهم السلام، يا علي من كان في خدمة العيال ولم يأنف كتب الله تعالى اسمه في ديوان الشهداء وكتب له بكل يوم وليلة ثواب الف وشهيد، وكتب له بكلّ قدم ثواب حجة وعمرة واعطاه الله بكل عرق في جسده مدينة، يا علي ساعة في خدمة العيال في البيت خير من عبادة الف سنة، والف حجة والف عمرة وخير من عتق ال رقبة، والف غزوة والف مريض عاده والف جمعة والف جنازة والف جايع يشبعهم والف عار يكسوهم والف فرس يوجهه في سبيل الله وخير له من الف دينار يتصدق به على المساكين وخير له من ان يقرأ التورية والانجيل والزبور والفرقان ومن الف اسير اعتقه، وخير له من الف بدية يعطى المساكين ولا يخرج من الدنيا حتى يرى مكانه في الجنة يا علي من لم يأنف من خدمة العيال دخل الجنة بغير حساب يا علي خدمة العيال كفارة الكبائر ويطفى غضب الرب ومهور الحور العين ويزيد في الحسنات والدرجات يا علي لا يخدم العيال الا صديق او شهيد او رجل يريد الله به خير الدنيا والاخرة

وروى الصدوق عن النبي ﷺ انه قال من اطاع امرأته اكبه الله على منخريه في النار فقيل وما تلك الطاعة، فقال تدعوه الى النايحات والعرسات والحمامات والثياب الرقاق فيجيبها فان قلت ما معنى هذا الحديث.

قلت اما النايحات فلا يحرم خروج المرأة اليه كله لانه قد روى ان نساء الائمة عليهم السلام كنّ يخرجن للتعزية وكان عليه السلام يقول ان هذه حقوق الناس فلتقض الحقوق وكذلك العرسات فانه ورد ان ام سلمة وغيرها من نساء النبي ﷺ كنّ يخرجنَ الى عرسات اهل المدينة وحينئذ فالنهي في هذا الحديث محمول على ما اذا لم يكن خروجهنّ بقصد اداء الحقوق بل يكون بقصد التنزه والتفرّج ويكون في تلك المحافل والامكنة آلات اللهو والطرب الغير المحللة كما هو المعتاد في هذه الاعصار.

واما الحمامات فلم نطلّع على خبر يرخص النساء دخولها والاخبار متظافرة على المنع فقد روى عن النبي ﷺ انه قال من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فلا يبعث بحليلته الى الحمام، وقد خص هذا النهي شيخنا الشهيد قدس الله روحه بحالة اجتماعهنّ اما مع الانفراد فلا بأس واستثنى من الكراهة مع الاجتماع حال الضرورة وقال الائتزار يخفف الكراهة وان اجتمعنَ، اقول وعلى هذا يكون النهي عنه كالنهي عن الاولين لانه اذا خرجنّ لا لضرورة يكون خروجهنّ لاجل التنزه والتنعم وذلك لا يندفع بالايتزار كما هو المعروف ايضاً، والظاهر ان هذه لا يكون من باب الضرورة نعم الضرورة غسل الجنابة وامثاله مع برودة الهوى وظنّ الضرر بمباشرة الماء والاولى ان لا يجيبها في هذا ايضاً بل يعودها الغسل في المنزل الا ترى الى كثير من البلدان التي لم يوجد فيها الحمامات فان نساء اهلها قد اعتادوا على الغسل في منازلهم والعادة قاضية بكل شيء مع ان العادة في اكثر بلاد الحمامات اجتماع النساء في الدخول بغير ازار ولا ريب في تحريمه وما يعلم او يظن انه وسيلة الى الحرام يكون حراماً.

واما الثياب الرقاق فيجوز ان يكون النهي عنا باعتبار عدم القدرة فاذا اجابها لزمه ارتكاب المآثم في تحصيلها كما هو عادة اكثر الناس ويجوز ان يكون راجعاً الى الاسراف وان كان قادراً عليه ويجوز ان يكون باعتبار كونه حاكياً ما تحته فيطلع على بدنها الاجانب ويحملها على التبرج وهذا كله حرام.

وينبغي ان يزوج الكفو كما قال عليه السلام من خطب اليكم فرضيتم دينه وامانته كائناً من كان فزوجوه الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير، وقال ﷺ انما انا بشر مثلكم أتزوج فيكم وازوجكم الا فاطمة فان تزوجيها نزل من السماء، وقال عليه السلام الكفو ان يكون عفيفاً، وعنده يسار وقال ﷺ من زوّج كرمته من فاسق فقد قطع رحمه ومن شرب الخمر بعد ما حرمها الله

فليس بأهل ان يزوج اذا خطب، وقد زوّج النبي ﷺ ابنة عمه الزبير بن عبد المطلب للمقداد وقد كان وضيع النسب لكن الاسلام رفعه ليكون سبباً وحجة على الامة، كما قال ﷺ انكحت زيد بن حارثة زينب بنت جحش وانكحت المقداد صناعة بنت زبير بن عبد المطلب ليعلموا ان الشرف شرف الاسلام، وقال رجل للصادق عليه السلام كيف يزوّج الحائك فقال عليه السلام ان الله جعله كفواً للحور العين وزوّجه بهنّ فكيف لا ترضى انت ان يكون كفواً لابنتك، واما تزويج الهاشميات لمن لم يكن هاشمياً فالظاهر جوازه وحرمه بعض الاصحاب لقول النبي ﷺ لما نظر الى اولاد علي وجعفر بناتنا لبنينا وبنونا لبناتنا، والظاهر انه محمول على الاستحباب.

واما الجمع بين سيدتين فقد روى في الخبر النهي عنه وأنه يدخل الحزن على فاطمة عليها السلام، وذلك أنه لا بد له في العادات من ان يفضل واحدة منهما، ومن فضلها فقد اضرّ بابنة فاطمة الاخرى.

وينبغي اختيار الاشكال والاشباه، قال رسول الله ﷺ انكحوا الاكفاء وانكحوا فيهم واختاروا لنطفكم، فان الخال احد الضجيعين، وعن الصادق عليه السلام قال أتى النبي ﷺ رجل فقال يا رسول الله اني احمل اعظم ما يحمل الرجال فهل لي ان آتى بعض مالي من البهائم ناقة او حمارة، فان النساء لا يقربنَ على ما عندي؟ فقال رسول الله ﷺ لم يخلقك حتى خلق لك ما يحتملك من شكلك، فانصرف الرجل فلم يلبث ان عاد الى رسول الله ﷺ فقال له مثل مقالته اول مرة فقال رسول الله ﷺ فأين أنت من السوداء العنطنطة[١٩] قال فانصرف الرجل فلم يلبث ان عاد فقال يا رسول الله اشهد انك رسول الله حقاً اني طلبت من امرتني فوقعت على شكلي مما يحتملني وقد اقنعتني ذلك.

وينبغي ان لا يتجاوز المهر اذلي تزوّج النبي ﷺ به وازواجه وهو خمسمائة درهم كل درهم قيمته في هذا الزمان اثنا عشر غازيا ونصف تقريباً، روى عن الحسين بن خالد قال سألت ابا الحسن عليه السلام عن مهر السنّة كيف صار خمسمائة؟ فقال ان الله تبارك اوجب على نفسه ان يكبره مؤمن مأة تكبيرة ويسبحه مأة تسبيحة ويحمده مأة تحميدة ويهلله مأة تهليلة، ويصلي على محمد وآله مأة مرة، ثم يقول الله زوجني من الحور العين الا زوجه حور اعيناء وجعل ذلك مهرها، ثم اوحي الله الى نبيه ﷺ ان سنّ مهور النساء خمسمائة درهم، ففعل رسول الله ﷺ وايما مؤمن خطب الى اخيه حرمته فبذل له خمسمائة درهم فلم يزوجه فقد عقّه واستحق من الله عزّ وجل الا يزوجه حوراء.

---

(١٩) السوداء العنطنطة أي الطويلة العنق مع حسن قوام والمعنطنطة الطويل.

والاولى ان يسوق اليها جميع مهرها قبل الدخول والا فبعضه، ولو دخل بها وقد ساق اليها شيئاً كما هو المعتاد من جملة المهر كما كان متعارفاً في الازمان السابقة او من غيره كما في هذه الاعصار فهل يسقط باقي المهر بالدخول ام يستقر في ذمته ديناً عليه مثل غيره من الديون، المشهور هو الثاني، وبعضهم على الاول والاخبار الصحيحة دالة على سقوط المهر بالدخول، وفي مكاتبات مولانا صاحب الزمان عليه السلام ان المهر ان كان كتب عليه كاتب فهو دين والا فهو قد سقط بالدخول، ويمكن توجيهه بأن المراد اذا كتب عليه كاتب كان قرينة على ارادة الزوجة له، اما اذا لم يكتب عليه كتاب يكون قرينة على ارادتها الاعراض عنه وابراء ذمة الزوج من باقيه وان لم تصرح به كما شاهدناه في اكثر النواحي سيما القرى والبوادي، فأنه ليس منظورهم من العقد الا تحصيل علاقة الزوجية واما ارادة المهر فلا تخطر لهم على بال، وهذه المسألة من مشكلات المسائل حيث انها من حقوق الناس وعموم البلوى بها،والاولى في مثل هذا ايقاع صلح بين الزوجين او ورثتهما بحيث لا تأخذ المرأة كل ما بقى من المهر ولا تحرم منه كله.

والبكر البالغة العاقلة الرشيدة قد وقع الخلاف بين الاصحاب رضوان الله عليهم في اختيار العقد عليها على اقوال، والذي يقضيه الجمع بين الاخبار هو ان الاختيار في النكاح اليها لا غير واما الاخبار الدالة على ان اختيارها ال ابيها او جدها فطريق تأويلها اما الحمل على الاستحباب او على التقية والاحتياط ظاهر لا يخفى.

اما الصيغة فهو انكحتك وزوجتك وهذا مما لا اشكال فيه، نعم لفظ الكتاب قد ورد بالفعلين بغير لفظ من الزايدة مثل فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها وان انكحك احدى ابنتي ويؤيده ان الاقوى بين النحاة هو ان من لا تزاد في الكلام الموجب واما الاخبار فأكثرها على زيادة من كقوله عليه السلام اذا قال زوجتك من فلانة او من نفسي فهي امرأتك فزيدت من في الايجاب كما هو مذهب الكوفيين والاخفش وحينئذ فالاولى هو الجمع بين الصيغتين عملاً بالكتاب والسنة وبقول البصريين والكوفيين، ولا خلاف بين علمائنا بوقوعه بصيغة الماضي.

اما الحال والاستقبال فالمشهور بينهم العدم، والاصح هو الجواز عند قصد الانشاء بها لان قربها منه اشد من ضيغة الماضي، ولان صيغة الحال وردت في خبر سهل الساعدي لما أتت المرأة الى النبي صلى الله عليه وآله تطلب التزويج فقام رجل فقال زوجنيها يا رسول الله زوجتكها بما معك من القرآن، وقول العلاّمة طاب ثراه في المختلف والوجه المنع لبعده عن الانشاء الموضوع له لفظ الماضي لا يخفى ما فيه بعد ما قدمناه، واما الاستقبال فقد جوزه ابن حمزة واستدلَ عليه برواية ابان بن تغلب في المتعة اتزوجك متعة فاذا قالت نعم فهي امرأتك، والاوضح هو الاستدلال بقوله تعالى ﴿انكحك احدى ابنتي﴾ فان ظاهره يعطي ان هذا هو الايجاب ولعمرك ان فقهائنا

رضوان الله عليهم قد ضيقوا المجال على الناس في ابواب صيغ العقود، والمفهوم من الاخبار اتساع الحال فيها وسنحرره ان شاء الله في شرحينا على كتاب التهذيب والاستبصار اذا بلغ الحال الى هناك.

واذا اراد التزويج فليولم يوماً أو يومين، والثالث رياء وسمعة وهو واحد من المواضع الخمسة، واما الاربعة فهي النفاس بالولد، والختان وشراء الدار وقدوم الرجل من مكة وهذه الاربعة هي التي ورد التأكيد عليها، واما هيئة زفافها فيستحب ان يكون كما روى من ان فاطمة عليها السلام لما كانت ليلة زفافها اتى النبي صلى الله عليه وآله ببغلته الشهباء وثنى عليها قطيفة، وقال لفاطمة عليها السلام اركبي وامر سلمان ان يقودها، والنبي صلى الله عليه وآله يسوقها فبينا هو في بعض الطريق اذ سمع النبي صلى الله عليه وآله صوتاً فاذا هو بجبرئيل عليه السلام في سبعين الفاً من الملائكة فقال النبي صلى الله عليه وآله ما اهبطكم الى الارض؟ قالوا جئنا نزف فاطمة عليها السلام الى زوجها، وكبّر جبرئيل وكبّر ميكائيل وكبّرت الملائكة وكبّر محمد صلى الله عليه وآله فوضع التكبير على العرايس من تلك الليلة.

وقال الصادق عليه السلام زفّوا عرايسكم ليلاً واطعموا ضحى، وظاهره تأخر الطعام واكثر الاخبار دلّت على التقدم، والظاهر هو التخيير كما لا يخفى مع ان الواو لا تفيد الترتيب.

واما باقي الكيفيات فرواها ابو سعيد الخدري قال اوصى رسول الله صلى الله عليه وآله علي بن ابي طالب عليه السلام فقال يا علي اذا دخلت العروس بيتك فاخلع خفّها حين تجلس واغسل رجليها وصبَّ الماء من باب دارك الى اقصى دارك فانك اذا فعلت ذلك اخرج الله من دارك سبعين الف لون من الفقر، وادخل فيه سبعين الف لون من الغنى، وادخل عليك سبعين لوناً من البركة وادخل عليك سبعين الف رحمة ترفرف على راس العروس حتى تنال بركتها كل زاوية في بيتك وتأمن العروس من الجنون والجذام والبرص ان يصيبها ما دامت في تلك الدار، وامنع العروس في اسبوعها من الالبان والخل والكزبرة والتفاح الحامض من هذه الاربعة، قال علي عليه السلام يا رسول الله لاي شيء امنعها من هذه الاشياء الاربعة، قال لان الرحم تعقم وتبرد من هذه الاربعة الاشياء عن الولد والحصير في ناحية البيت خير من المرأة لا تلد، فقال علي عليه السلام يا رسول الله ما بال الخلَ تمنع منه؟ قال اذا حاضت على الخل لم تطهر ابداً بتمامه والكزبرة تثير الحيض في بطنها وتشدَ عليها الولادة، والتفاح الحامض يقطع حيضها فيصير داءً عليها، ثم قال يا علي لا تجامع امرأتك في اول الشهر ووسطه وآخره فان الجنون والجذام والخبل يسرع اليها والى ولدها.

يا علي لا تجامع امرأتك بعد الظهر فانه ان قضى بينكما ولد في ذلك الوقت يكون احول والشيطان يفرح بالاحول في الانسان، يا علي لا تتكلم عند الجماع فانه ان قضى بينكما ولد لا

يؤمن من ان يكون اخرس ولا ينظرنَ احد الى فرج امرأته وليغضّ بصره عند الجماع فان النظر الى الفرج يورث العمى في الولد، يا علي لا تجامع امرأتك بشهوة امرأة غيرك فاني اخشى ان قضى بينكما ولد ان يكون مخنثاً مؤنثاً مخبّلاً يا علي من كان جنباً في الفراش مع امرأته فلا يقرء القرآن فاني اخشى عليهما ان ينزل نار من السماء فتحرقهما.

يا علي لا تجامع امرأتك الا ومعك خرقة ومع اهلك خرقة ولا تمسحا بخرقة واحدة فتقع الشهوة على الشهوة فان ذلك يعقّب العداوة بينكما ثم يؤديكما الى الفرقة والطلاق يا علي لا تجامع امرأتك من قيام فان ذلك من فعل الحمير وان قضى بينكما ولد كان بوالاً في الفراش كالحمير البوالة في كل مكان، يا علي لا تجامع امرأتك في ليلة الفطر فانه ان قضى بينكما ولد لم يكن ذلك الولد الا كثير الشرّ، يا علي لا تجامع امرأتك في ليلة الاضحى فانه ان قضى بينكما ولد يكون له ستة اصابع او اربع، يا علي لا تجامع امرأتك تحت شجرة مثمرة فانه ان قضى بينكما ولد يكون جلاداً وقتالاً او عريفا، يا علي لا تجامع امرأتك في وجه الشمس وتلألئها الا ان يرخى ستر فيستركما فأنه ان قضى بينكما ولد لا يزال في بؤس وفقر حتى يموت، يا علي لا تجامع اهلك بين الاذان والاقامة فانه ان قضى بينكما ولد يكون حريصاً على اهراق الدماء، يا علي اذا حملت امرأتك فلا تجامعها الا وأنت على وضوء فأنه ان قضى بينكما ولد يكون اعمى القلب بخيل اليد يا علي لا تجامع اهلك في النصف من شعبان فأنه ان قضى بينكما ولد يكون مشوماً ذا شامة في وجهه.

يا علي لا تجامع اهلك في آخر درجة منه اذا بقى يومان فأنه ان قضى بينكما ولد يكون عشّاراً أو عوناً للظالم ويكون هلاك فئام من الناس على يديه، يا علي لا تجامع اهلك على سقوف البنيان فانه ان قضى بينكما ولد يكون منافقاً مرائياً مبتدعاً، يا علي اذا خرجت في سفر فلا تجامع اهلك في تلك الليلة فانه ان قضى بينكما ولد ينفق ماله في غير حقّ الله وقرأ رسول الله ﷺ ﴿ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين﴾، يا علي لا تجامع اهلك اذا خرجت الى سفر مسير ثلاثة ايام ولياليهنّ فانه ان قضى بينكما ولد يكون عونا لكل ظالم، يا علي عليك بالجماع ليلة الاثنين فانه ان قضى بينكما ولد يكون حافظ لكتاب الله راضياً بما قسم الله عز وجل له يا علي ان جامعت اهلك ليلة الثلاثا فقضى بينكما ولد فانه يرزق الشهادة بعد شهادة ان لا اله الله محمد رسول الله ولا يعدّ به الله مع المشركين، ويكون طيّب النكهة من الفم رحيم القلب سخيَ اليد طاهر اللسان من الغيبة والكذب والبهتان، يا علي وان جامعت اهلك ليلة الخميس فقضى بينكما ولد فانه يكون حاكماً من الحكام او عالماً من العلماء، وان جامعتها يوم الخميس عند زوال الشمس عن كبد السماء فقضى بينكما ولد فان الشيطان لا يقربه حتى يشيب ويكون

فهماً ويرزقه الله عز وجل السلامة في الدين والدنيا، يا علي وان جامعتها ليلة الجمعة وكان بينكما ولد فأنه يكون خطيباً قوالاً مفوهاً وان جامعتها في ليلة الجمعة بعد العشاء الاخرة فانه يرتجى ان يكون له ولد من الابدال ان شاء الله تعالى، يا علي لا تجامع اهلك في اول ساعة من الليل فانه ان قضى بينكما ولد لا يؤمن ان يكون ساحراً مؤثراً للدنيا على الاخرة، يا علي احفظ وصيتي هذه كما حفظتها عن جبرئيل.

وقال الكاظم عليه السلام من أتى اهله في محاق الشهر فليسلم لسقط الولد، وعن الباقر عليه السلام قال يكره الجماع في ليلة ينكسف فيه القمر، واليوم الذي تنكسف فيه الشمس وفيها بين غروب الشمس الى ان يغيب الشفق، ومن طلوع الفجر الى طلوع الشمسوفي الريح السوداء والحمراء والصفراء والزلزلة، ولقد بات رسول الله صلى الله عليه وآله عند بعض نسائه فانكسف القمر في تلك الليلة فلم يكن منه شيء، فقالت له زوجته يا رسول الله بأبي أنت وامي أكل هذا البغض، فقال ويحك حدث هذا الحدث في السماء فكرهت ان اتلذذ وأدخل في شيء، لقد غير الله تعالى قوماً وأن يروا كسفاً من السماء ساقطاً يقولوا سحاب مركوم، وأيم الله لا يجامع احد زوجته في هذه الساعة التي وصفت فيرزق في جماعه ولداً وقد سمع هذا الحديث فيرى ما يحبّ.

وقال الصادق عليه السلام لا تجامع في اول الشهر ولا في وسطه ولا في آخره فأنه من فعل ذلك فليسلم لسقط الولد فان تمّ اوشك ان يكون مجنوناً، الا ترى ان المجنون اكثر ما يصرع في اول الشهر ووسطه وآخره، وعلّل في الكافي بأن الجن يكثرون غشيان نسائهم في اول ليلة من الهلال وفي وسطه وفي آخره، والظاهر ان الوجه فيه ان هذا الولد يكون موافقاً لاولاد الجن فهو (همزاد) فيكون وطي الانسان وولادة ولده موافقاً لوطي الجن وولادة اولادهم، وقال عليه السلام يكره الجنابة حين تصفر الشمس وحين تطلع وهي صفراء، وسأل محمد بن العيص أبا عبد الله عليه السلام فقال أجامع وانا عريان؟ قال لا ولا تستقبل القبلة ولا تستدبرها، وقال عليه السلام لا تجامع في السفينة، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله يكره ان يغشى الرجل المرأة وقد احتلم حتى يغتسل من احتلامه الذي رآه، فأن فعل فخرج الولد مجنوناً فلا يلومنّ الا نفسه، ومن جامع امرأته وهي حايض فخرج الولد مجذوماً او ابرص فلا يلومنّ الا نفسه، وعن الصادق عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله والذي نفسي بيده لو انّ رجلاً غشى امرأته وفي البيت صبي مستيقظ يراهما ويسمع كلامهما ونفسها ما افلح ابداً ان كان غلاماً كان زانياً وان كان جارية كانت زانية، وكان علي بن الحسين عليهما السلام اذا اراد ان يغشى اهله اغلق الباب وارخى الستور واخرج الخدم، وظاهر هذا الحديث تخصيص الصبي المميّز، وفي بعض الاخبار اطلاق وهو منزّل على هذا المقيد.

فان قلت كيف حمل الاصحاب رضوان الله عليهم هذه النواهي على الكراهة مع ترتّب الافعال المحرمة عليها لان خروج الولد مجنوناً او أجذم او ابرص او نحو ذلك من الافعال يحرم على الاب مع قدرته على رفع هذه الامراض بعدم استعمال الجماع في هذه الاوقات المخصوصة.

قلت قد خطر هذا الخاطر لشيخنا البهائي قدس الله روحه في موضع آخر وهو ما روى عن الصادق عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله الماء الذي يسخن بالشمس لا تغتسلوا به ولا تعجنوا به فأنه يورث البرص، حيث ذكر ان الفقهاء رضوان الله عليهم حملوا هذا النهي على الكراهة، ثم تكلم عليهم بأن النهي حقيقة في التحريم كما هو المذهب المنصور في الاصول، ثم قال ولو نزلنا عن ذلك وقلنا باشتراكه بين التحريم فتعليله صلى الله عليه وآله بأن ذلك يورث البرص قرينة كون النهي للتحريم لوجوب اجتناب المظنون الا ترى ان الطبيب الحاذق لو نهى شخصاً عن اكل شيء وقال انه يورث ضرراً عظيماً لوجب عليه اجتنابه فكيف بالنهي الصادر عنه صلى الله عليه وآله على ان الضرر الذي جعله علّة للنهي لو لم يكن مظنوناً لكان متساوي الطرفين وكان احتمال البرص وعدمه متساوين.

والجواب عن هذا كله وهو ان النهي في كل من باب الامر في قوله تعالى ﴿فليكتب كاتب﴾ من أنه للارشاد وتفصيل هذا ان كثيراً من المحللات الشرعية قد ذكر لها الشارع ضرراً بدنياً وكذلك الاطباء كالباذنجان وبعض البقول وبعض المطعومات، فاذا اخبر الشارع بترتب الضرر عليها فكيف احلها مع انه لم يحرم الا ما اضرّ بالبدن وسمّاه خبيثاً، وحينئذ فحاصل معناه ان ترتب انواع هذا الضرر على هذه الامور اشد من ترتبها على غيرها لا ان بينهما عليّة ومعلولية وسببية ومسببية او انه يحصل منه الظن بوقوع ذلك الضرر، الا ترى ان افلاطون وبطليموس واساطين الحكماء ذكروا خوّاص المركبات والمفردات وبينوا ان في بعضها مفاسد للابدان وذكروا وجه المفاسد مع انه لم يقل احد بحرمتها ولا احذق من هؤلاء الحكماء ان هذا كله من باب المعالجات والادوية المتعارفة بالنسبة الى اصحاب الابدان، فمعنى قوله صلى الله عليه وآله ان من جامع في هذه الاوقات يكون ولده كذا ان هذه الاوقات لها نسبة الى مثل هذه المذكورات في الاولاد لا ان بينهما ربطاً يتعقبه الظن بهذا الترتب، الا ترى ان الولد يعلق كثيراً في تلك الاوقات من غير ان يترتب عليه تلك الامور المذكورة، وحينئذ فمعنى اخباره صلى الله عليه وآله بأن من جامع في كذا يكون ولده كذا ما ذكرناه، وذلك ان كلامهم عليهم السلام منزّل على ما هو معروف في المحاورات شائع في الاستعمال وقد شاع في العرف قولهم لا تأكل كذا لانه يتعقبه ضرر كذا

وليس مرادهم الا ما حققنا، واياك والغفلة عن مثل هذا فأنه كثير الوقوع في الاخبار والاشكال الذي اورده في مادة خاصة جار في كل المواد.

فان قلت مثل هذه المذكورات من أنواع الضرر هل تدفع وتزول بما ذكره صاحب الشرع في دفع نحوسة الايام، قلت الظاهر هذا وذلك لان ما ذكره عليه السلام عامّ في دفع كل نحوسة، اما آيات القرآن فقد ورد ان القرآن لما يقرأ فاذا قرئ بقصد رفع تلك النحوسات دخل في ذلك العموم خصوصاً قرائة آية الكرسي فانا قد جربناها كما تقدم.

واما الصدقات وأنواع الاذكار والادعية المأثورة فالظاهر ان حكمها حكم القرآن ايضاً، بل يمكن ان يقال ان التوكل على الله وقوة العزم واخلاص النية ربما يدفعه ايضاً كما يستفاد من ظواهر بعض الاخبار وعمومها.

رجعنا الى الكلام الاول فاذا دخلت العروس عليه وفعل معها هذه الافعال فلا يبادر الى الجماع ابتداءً فيكون قد أخاف المرأة وفعل مثل الحمير بل ربما يمكن ان يقال ان ما ورد من صاحب الشرع من نزع خفّ العروس وجعله يده على ناصيته وقرائة الدعاء وصلوة ركعتين من الرجل والمرأة لاجل استقرار قلب العروس لانهما اجنبيان تلاقيا هذه الساعة، بل ينبغي المداعبة والمزاح والمطائبة، وهذا ليس مخصوصاً بالعروس بل يجري في كل النساء فان النبي صلى الله عليه وآله كان يمازح نسائه ويقلهنّ قبل الجماع قال الصادق عليه السلام ان احدكم ليأتي اهله فتخرج من تحته فلو اصابت زنجياً لتشبثت به فاذا أتى احدكم اهله فليكن بينهما مداعبة وهو المزاح فأنه اطيب للامر، وفي موضع آخر ان الجماع من غير مزاج وتقبيل مثل فعل الحمير فان الحمار ينزو من غير مداعبة بل قيل ان الحمار يقدّم الشمّ على النزو فمن لم يفعل ما ذكر يكون اخس طبعاً منه وفي رسالة الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام التي وضعها في الطب الامر بالاكثار من المزاح عند المقاربة والامر بتغميز ثدييها، وقد علله عليه السلام بأن ماء المرأة يخرج من ثديها وشهوتها في وجهها فالمزاح والتقبيل طلباً لشهوتها حتى تريد منك مثل ما تريد انت منها والتغميز طلباً لنزول مائها حتى يتخلق الولد من المائين، وذلك انه لا يتخلق من واحد كما ورد في بعض الاخبار، ولان ماء الرجل اذا تخلقت منه البنت وحده يكون اوصافها كأوصاف الرجال وهذا لا يكون مطلوباً في البنت، وليكن عزمه بكل استمتاع اقامة السنة وطلب الولد والتحصّن من الزنا والنظر الى الاجانب حتى يكون قد فاز بالثواب الاجل وحصل له التلذذ العاجل، ولا يكون مطمح نظره افضاء الشهوة فأنه من افعال البهائم، بل روى ان البهائم تدرك هذا المعنى العالي، كما روى ان عصفوراً قال لعصفورته في زمان سليمان عليه السلام تعالى حتى اجامعك فيرزقنا الله ولد يثقل الارض بلا اله الا الله، فسمعه سليمان فقال ان هذه النية خير من ملك سليمان، ومن ثم اهتم الشارع

بأمر النطفة فلم يجوز للرجال اراقتها خارج الرحم، حتى انه لو فعل هذا كان الواجب عليه او يستحب ان يدفع الى الزوجة عشرة دنانير دية الماء وكذا الزوجة لو فعلت مثله.

ودية المطفة اذا القيت في الرحم فأخرجها مخرج عشرون ديناراً، ولو افزعه مفزع حال الجماع فألقى مائه خارج الرحم فعشرة دنانير، وان كانت المفزع هي المرأة فلا شيء لها منه، وكذا لو كان الرجل فلا شيء له وكانت الدية للأخر ودية العلقة وهي القطعة من الدم تتحول اليها النطفة اربعون ديناراً، وفي المضغة وهي القطعة من اللحم بقدر ما يمضغ ستون ديناراً، وفي ابتداء تخلّق العظم من المضغة ثمانون ديناراً، وفي التام الخلقة قبل ولوج الروح فيه مأة دينار ذكراً كان الجنين ام أنثى، وقيل متى لم تتم خلقته ففيه غرة عبد أو امة صحيحاً لا يبلغ الشيخوخة ولا ينقص سنّه عن سبع سنين لرواية ابي بصير وغيره، والاول اشهر فتوى واصح رواية، ولو ولجته الروح فدية كاملة للذكر ونصف للأنثى وان خرج ميتاً تيقن حيوته في بطنها ومع اشتباه كونه ذكراً او انثى يكون على الجاني نصف الديتين، ودية المسلم بالذهب الف دينار وبالفضة عشرة آلاف درهم لأنه قد كان في زمن النبي ﷺ كل دينار قيمته عشرة دراهم لكن في هذه الاوقات ق ارتفعت قيمة الذهب فصار قيمة الدينار تزيد على عشرين درهماً فبحسب هذا التفاوت تفاوتت الديتان تفاوتاً كثيراً، لكن قد ورد في بعض الاخبار ان الاصل هو الدراهم منضماً الى اصالة البرائة من الزائد، وهذه الدية اذا كانت صلحاً عن القصاص لا تسقط العقاب الاخروي كالقصاص بل هما عقاب دنيوي، وما ورد في الاخبار من أن الحد مسقط للذنب فالظاهر انه محمول على حقوق الله سبحانه كالزنا وشرب المسكرات وفي الاخبار دلالة على هذا ايضاً.

وقد ورد جواز العزل في مواضع منها المستمتع بها، ومنها الامة، ومنها الزوة السليطة، ومنها الزوجة البذية، ومنها الزوجة الناشزة، ووجه العلة ظاهر لا يحتاج الى البيان، فاذا اراد الجماع فليقل بسم الله الرحمن الرحيم حتى لا يشاركه الشيطان في ذلك الولد، فقد روى في دعاء المقاربة اللهم ان قضيت لي منها ولداً فاجعله مباركاً سوياً ولا تجعل للشيطان فيه شركاً ولا نصيباً، قال الراوي قلت له عليه السلام وكيف يكون شرك شيطان، فقال لي ان الرجل اذا دنى من المرأة وجلس مجلسه حضره الشيطان فان هو ذكر اسم الله تنحى الشيطان عنه وان فعل ولم يسمَ ادخل الشيطان ذكره فكان العمل منهما جميعاً والنطفة واحدة، قلت فبأي شيء يعرف هذا، قال بحبنا وببغضنا، ومن هذا يستفاد ان اكثر المخالفين لنا في المذهب شرك الشيطان.

وقد روى هذا في الاخبار، روى الصدوق (ره) باسناده الى علي عليه السلام قال قد كنت جالساً عند الكعبة فاذا شيخ محدودب فقال يا رسول الله ادع لي بالمغفرة فقال النبي ﷺ خاب

سعيك يا شيخ وضلَ عملك، فلما ولَى الشيخ سألته عنه، فقال ذلك اللعين ابليس قال علي عليه السلام فعدوت خلفه حتى لحقته وصرعته الى الارض وجلست على صدره ووضعت يدي على حلقه لاخنقه، فقال لا تفعل يا ابا الحسن فاني من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم، والله يا علي اني لاحبك جداً وما ابغضك احد الا شركت اباه في امه فصار ولد زنا فضحكت وخليّت سبيله.

ولعلك تقول ان مخالفينا يزعمون انهم لا يبغضون علياً وهذا زعم باطل، وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله ان علامة بغض علي تقديم غيره وتفضيله عليه، وكلّ مخالفينا قد قالوا بهذا، وما احسن قول علي عليه السلام لما قال له رجل يا علي اني احبك واحب عثمان فقال له انت اعور اما ان تعمى واما ان تستبصر، واما دعاء المباشرة فهو اللهم ارزقني لداً واجعله تقياً زكياً ليس في خلقه زيادة ولا نقصان، واجعل عاقبته الى خير، وهو مروي عن الباقر عليه السلام قال فاذا انزل الماء فليقل اللهم لا تجعل للشيطان فيما رزقتني نصيباً وينبغي المبادرة الى تزويج البنات خصوصاً اذا ادركن فانهنَ كما قال عليه السلام كالثمار تفسد بعد ادراكها اذا لم تقطف، وقال عليه السلام من سعادة الرجل ان لا تطمث ابنته الا عند زوجها وكانوا يكرهون الاستعجال في كل الامور الا امور منها المبادرة بتزويج البنت ومنها المبادرة بالتوبة بعد الذنب.

نور في تكون الاولاد في الرحم وبعض احوالهم

اعلم ان من قرر الله في صلبه اولاداً في عالم الذر فلا بدّ ان يوجدوا منه ومن لم يقرر في صلبه اولاداً في ذلك العالم فهو محروم منهم، روى الكليني باسناده الى الصادق عليه السلام قال كان علي بن الحسين عليهما السلام لا يرى بأساً بالعزل يقرأ هذه الاية ﴿واذا اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى﴾ فكل شيء اخذ الله منه الميثاق فهو خارج وان كان على صخرة صمّاء، ولكن لا يقول ذلك الرجل ان الامر قد فرغ منه فما فائدة الدعاء في طلب الولد، لانه قد عرفت ان الله سبحانه جعل الامور مربوطة بأسبابها وجعل لنفسه المشيئة في كل شيء فلعل الحكمة القديمة اقتضت كون حصول الولد معلقاً على الدعاء واشباهه ودعاء طلب الولد قد روى عن الصادق عليه السلام وهو اللهم لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين وحيداً وحيشاً فيقصر شكري عن تفكري بل هب لي عاقبة صدقاً ذكوراً وانوثاً آنس بهم من الوحشة واسكن اليهم من الوحدة واشكرك عند تمام النعمة يا وهّاب يا عظيم يا معظم، ثم اعطني في كل عافية شكراً حتى تبلغني منها رضوانك في صدق الحديث واداء الامانة ووفاء العهد برحمتك يا ارحم الراحمين.

وعنه عليه السلام قال ادع وأنت ساجد رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء، رب لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين، وعن الباقر عليه السلام اذا اصبح وامسي يقول سبحان الله سبعين مرة ويستغفر سبع مرات ويسبح تسع مرات، ويختم العاشرة بالاستغفار قال عليه السلام استغفروا ربكم انه كان غفار يرسل السماء عليكم مدراراً و يمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهاراً، قال الراوي وقد جربت ذلك غير مرة وعلمتها غير واحد من الهاشميين ممن لم يكن يولد فولد لهم ولد كثير والحمد لله والماء الذي يكون مبدأ نشوء المؤمن ممزوج بماء الجنة، كما روى ان الله سبحانه اذا علم ذلك الوقت الذي يقارب المؤمن فيه زوجته ارسل ملكاً ومعه ماء من الكوثر فوضع ذلك الماء في الكوز التي يشرب منها فيشرب من ذلك الماء فاذا شارب قارب اهله فيكون النطفة بماء الكوثر ومن ثم تلبس الايمان قلب ذلك الولد في عالم الطفولية فاذا وقعت النفطة في الرحم ارسل الله ملكاً الى موضع قبره فجاء بشيء من ترابه ومزجه بتلك النفطة، فاذا شبَ حنت نفسه الى تلك البلد التي قرر فيها قبره، فاذا قرب الاجل هيأت اسباب السفر الى تلك البلاد وقوى عزمه عليه حتى يبلغ ذلك القبر.

فانظر كيف اعدَ الله سبحانه امكنة الموت ومنازله قبل منازل الحيوة وحبَب الى الانسان الرحيل اليه، ومن هنا قال صلى الله عليه وآله حب الوطن من الايمان فان المراد بالوطن في هذا الحديث على ما فهمه شيخنا البهائي «ره» وبعض المحققين هو الوطن الحقيقي وهو القبر الذي قال فيه عليه السلام القبر اما روضة من رياض الجنة، واما حفرة من حفر النيران واستدلوا عليه بأن المساكن المتعارفة من الامور الدنيوية والنبي صلى الله عليه وآله لم يأمر بحب الدنيا وقتاً من الاوقات، بل الذي ورد عنه انما هو الحث على تركها والرغبة عنها.

والحق ان كلامه صلى الله عليه وآله كما في الروايات مثل كلام القرآن في ان له ظاهراً وباطناً وفي ان اللفظ الواحد منه يجمع المعاني المتكثرة ويكون كلها مراده (ة خ) حال القاء الكلام كما قال اوتيت جوامع الكلم، والمراد به ما قل لفظه وكثر معناه فيكون المراد بالوطن ما يتناول الوطنين الدنيوي والاخروي، وذلك ان الامور الضرورية للانسان من جهة الحيوة قد وقع الحث من الشرع على احكامها واتقانها والميل اليها والى اصلاحها، فقال صلى الله عليه وآله اعمل لدنياك كأنك تعيش ابداً واعمل لاخرتك كأنك تموت غداً، واما تأويل بعضهم له حتى يراد به خلاف معناه الظاهر وهو ان يكون المراد منه ان الانسان اذا علم انه يعيش ابداً لم يكن له اهتمام بالمبادرة التي تدبير امور دنياه بل يسوفها ويؤخرها ويقول اذا كان العمر طويلاً اتمكن من فعل هذا فيما بعد فلا يهتم بتعجيل امور الدنيا فيكون الفقرتان للترغيب في امور الاخرة وحدها فهو خلاف الظاهر من الخبر ومن سياقه، ومن ثم اورده المحدثون في الاصول في باب الحث على المعايش والمكاسب

وايضاً هو خلاف العادات، وذلك ان طول الامل ورجاء ان يبلغ العمر الى الثمانين وما فوقها هو الذي حثنا ورغبنا في امور الدنيا والمبادرة اليها فكيف لو علمنا بالحيوة ابداً وهذا ظاهر وايضاً في حب الوطن نظام امر الدنيا المأمور به وذلك ان بعض الناس على ما شاهدناهم لهم اوطان وبلاد لا يقدر غيرهم ان يقيم فيها يوماً واحداً لكنها عندهم احبّ من بغداد واصفهان وذلك انهم لو كرهوها لما فيها من الضرر الذي لا يحتمله غيرهم لادّى الى خراب اكثر البلاد وازدحام الناس في امكنة مخصوصة.

وايضاً فأنه ﷺ لما هاجر الى المدينة وسكن فيها كان اذا اتاه آت من مكة يسأله عن ارضها وعن ازهارها ومياهها ويتشوق اليها، ويقول هي مسقط رأسي فيظهر الميل اليها من جهة كونه وطناً لا من جهة الشرف والفضل فان لذلك مقاماً آخر مع انه ﷺ لقى من اهلها انواع الاذى لكنها

ديار بها حلَّ الشباب تميمتي   واول ارض مسَّ جلدي تربها

وكذلك الائمة عليهم السلام كانوا يتشوقون الى اوطانهم ويظهرون الميل اليها والحب لها لكونها اوطاناً مع ان الاوطان والديار ليستا من امور الدنيا.

وحيث انتهى الحال بنا الى هنا فلا بأس بتحقيق الدنيا وانها عبارة عن أي شيء وما المراد بالدنيا التي اطبق اهل الله على ذمها، وما المراد بالدنيا التي مدحها امير المؤمنين عليه السلام في بعض مواطنه، وذلك انه عليه السلام سمع رجلاً يذم الدنيا فقال ايها الذام للدنيا المنخدع بأباطيلها المغتر بغرورها، بم تذمها انت المتجرم عليها ام هي المتجرمة عليك، متى استهوتك ام متى غرتك، ابمصارع آبائك من البلى ام بمضاجع امهاتك تحت الثرى كم عللت بكفيك ومرضت بيديك تبغي لهم الشفاء وتستوصف لهم الاطباء لم ينفع احدهم اشفاقك ولم تسعف فيه بطلبتك ولم تدفع عنه بقوتك، قد مثلت لك به الدنيا نفسك وبمصرعه مصرعك ان الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار عافية لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزود منها ودار موعظة لمن اتعظ بها، مسجد احباء الله ومصلى ملائكة الله ومهبط وحي الله ومتجر اولياء الله اكتسوب فيها الرحمة وربحوا فيها الجنة فمن ذا يذمها وقج اذنت ببينها ونادت بفراقها ونعت نفعها واهلها فمثلت لهم ببلائها البلاء وشوقهم بسرورها الى السرور راحت بعافية وابتكرت بفجيعة ترغيباً وترهيباً وتخويفاً وتحذيراً فذمها رجال غداة الندامة وحمدها آخرون يوم القيامة، ذكرتهم الدنيا وحدثتهم فصدقوا ووعظتهم فاتعضوا ولم يعهد منه عليه السلام مدح للدنيا سوى هذا الموضع نعم روى عن

النبي ﷺ انه قال لا تسبوا الدنيا فنعم المطية[٢٠] للمؤمن عليها يبلغ الخير وبها ينجوا من الشر، واذا قال العبد لعن الله الدنيا قالت الدنيا لعن الله اعصانا لربه، واما ذمه لها وانه طلقها ثلاث مرات لم يرجع فيها فهو مشهور وفي الكتب مسكور، وحينئذ فما المراد ممن الدنيا المذمومة؟ فنقول قد غلط اكثر الناس في المراد منها فقيل هو الدهر، وقيل هي الاسباب، وقيل غير ذلك وهذا كله ظاهر البطلان، اما الدهر والايام والليالي فقد عرفت انه عليه السلام نهى عن ذمها وسبها وان من سبها كان آثماً مع انها مخلوقاته سبحانه خلقها لانتفاعنا بها.

واما الاموال فقد ورد في الاخبار نعم المال الصالح والولد الصالح للعبد الصالح ولان بالاموال ينال ثواب الصدقات واعانة المحتاج واغاثة الملهوف، وكل مقام من المقامات، واما الجاه والاعتبار فلان منه قضاء حوائج الاخوان التي قال فيها الصادق عليه السلام ان من طاف بالبيت اسبوعاً كتب الله له ستة آلاف حسنة ومحى عنه ستة آلاف سيئة، ورفع له ستة آلاف درجة، ثم قال وقضاء حاجة المؤمن افضل من طواف وطواف وطواف حتى عدّ عشراً، واما المنازل والدور فكذلك ايضاً لأنه قد ورد ان الدار الواسعة من روح المؤمن في الدنيا وللاحتياج اليها في بقاء نوع الانسان.

فالحاصل ان الدنيا غير هذا كله وهي الحالة التي تبَعد الانسان من ربه وان كان كانت هي الصلاة كما ان الاخرة هي الحالة التي تقرّب الانسان من ربه وان كانت العيشية[٢١] وذلك لانا شاهدنا من واظب على الصلوات والاذكار من الصوفية وغيرهم ولم يكن لهم نية سوى اقبال الناس عليهم وتوجههم اليهم في هذه الصلوة هي الدنيا واما كون الامور الدنيوية في الظاهر اموراً أخروية فقد بلغني ان جماعة من المؤمنين من اهل العراق قصدوا الشام لبعض مطالبهم فسكنوا في بعض خاناتها فخرجوا من سحر تلك الليلة (ذات ليلة خ) الى الحمّام او المسجد، فأخذهم غلمان العسس وقيدوهم وأتوا بهم اليه واتفق في تلك الاوقات كثرة اللصوص في تلك البلاد، فلما اوقفوهم بين يديه وقالوا ان هؤلاء لصوص، وكان ذلك الرجل عظيم الهيكل عليه لباس الروم فلما رع بصره الى المؤمنين سألهم عن بلادهم واحوالهم، فقالوا له انا من اهل العراق، فعرفهم انهم من الشيعة، فقال هؤلاء لصوص من الرافضة فحلف ان

---

(٢٠) المطية: الداية التي تركب وفي شرح شواهد مجمع البيان =مخطوط=: وهي الدابة التي تمطو في سيرها أي تسرع.

(٢١) العيشية. كذا في النسخ المطبوعة ولكن في النسخة المخطوطة: العسسية. وكذا في النسخة المطبوعة من الكتاب سنة(١٢٦٩=١٢٧١هـ ق) ولعلها الصحيح بقرينة الحكاية الاتية: والعسس: الذين يطوفون بالليل يحرسون الناس ويكشفون اهل الريبة وهو جمع عاس.

يصنع بهم أنواع السياسات فأخذتهم غلمانه وأمر ان يحبسوا بمنزله حتى يجيء هو ويقتلهم، فأتوا بهم وحبسوهم، فلما كان قرب الصبح اقبل العسس الى منزله وهم قد تيقنوا القتل، فلما وصل الى بيته وتفرق عنه جلاوزته غلقوا بابه فخرج بعض خدّامه بثياب بيض فخلع تلك الثياب وفرش له مصلاّه، واذا فيه سجدة وسبحة وقرآن وصحيفة، فصلّى بتضرع واستكانة وبكاء فلما استتم تعقيبه امر باحضار المؤمنين، فقال لهم ايها المؤمنون انا مثلكم شيعي ولي من غلاَت الاملاك ما يفضل عن مؤنتي، وليس لي احتياج الى هذا المنصب ومع هذا في كل سنة اعطى السلطان مبلغاً جزيلاً حتى يعطوني هذا المحل، وليس هذا والله لا للخوف على امثالكم من الشيعة حتى لا ينال الضرر احداً منكم لان كل عسس تقدمني كان اذا ظفر بالشيعة انزل بهم انواع البلا، وقد شاهدنا مثله في اصفهان فهؤلاء قد حصلوا الجنة بكونهم اعساساً.

وفي الحديث انه ربما دخل المسجد رجلان صالح وفاسق فلما خرجا كتب الصالح فاسقاً والفاسق صالحاً، وذلك ان الصالح اذا رأى اهل المسجد يدلّ عليهم بعبادته ويحقر اعمالهم بالنظر الى عمله، فتكون عبادته تلك من الامور الدنيوية، واما الفاسق فأنه اذا نظر الى اهل العبادة في المسجد ندم على ما وقع منه من أنواع المعاصي فيكتب بهذا من الصالحين، فيكون أنواع فسقه وسيلة الى دخوله الجنة، وروى ان الرجل ربما اذنب الذنب فدخل به الجنة، فقيل له كيف ذلك؟ قال لان ذلك الذنب يكون نصب عينه فيكون خائفاً منه فيدخله الله الجنة بذلك الخوف منه والفزع، وبالجملة فالدنيا المذمومة هي الحالات والاسباب الحائلة بين العبد ومولاه واما الممدوحة فهي تلك الحالات والاسباب ايضاً لكن من جهتها الاخرى، وهي جهة القرب اليه سبحانه[٢٢].

ولنرجع الى ما كنّا فنقول ان الله سبحانه قال ﴿ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم انشأناه خلقاً آخر فتبارك الله احسن الخالقين﴾ وتفصيله على ما ورد في الاخبار ان النطفة اذا وقعت في الرحم بقيت اربعين يوماً نطفة ثم تصير علقة حتى يتم لها اربعون يوماً ثم تصير مضغة حتى يتمّ لها اربعون يوماً فاذا كمل اربعة اشهر بعث الله ملكين خلاقين فيقتحمان في بطن المرأة من فمها فيصلان الى الرحم وفيها الروح القديمة المنقولة في اصلاب الرجال وارحام النساء فينفخان فيها روح الحيوة والبقاء ويشقّان له السمع والبصر

---

(٢٢) روى ان عيسى عليه السلام رآى الدنيا في صورة عجوز عليها كل زينة فقال لها كم تزوجت؟ قالت لااحصهم كثرة قال لها اما تواعنك او طلقوك؟ قالت قتلتهم كلهم فقال عليه السلام تعساً لأزواجك الباقين كيف لايعتبرون بازواجك الماضين منه رحمه الله.

وساير الجوارح، ثم يوحى الى الملكين اكتبا عليه قضائي وقدري واشترطا الى البدا فيما تكتبان فيرفعان رأوسهما فاذا اللوح يقرع جبهته وفيه صورته ورؤيته واجله وميثاقه شقياً او سعيداً وجميع شأنه فيملى احدهما على صاحبه فيكتبان جميع ما في اللوح ويختمان الكتاب ويجعلانه بين عينيه ثم يقيمانه قائماً في بطن امه وربما عتى فانقلب ولا يكون الا في عات او مارد.

فاذا بلغ اوان خروجه تاماً او غير تام اوحى الله الى ملك يقال له زاجر فيزجره زجرة يفزع منها فيخرج باكياً من الزجرة وينسى الميثاق، وعن ابي جعفر ﷺ ان النطفة تتردد في بطن المرأة تسعة ايام في كل عرق ومفصل منها، وللرحم ثلثة اقفال قفل في اعلاها مما يلي السرة من الجانب الايمن، والقفل الاخر وسطها، والقفل الاخر اسفل الرحم، فيوضع بعد تسعة ايام في القفل الاعلى فيمكث فيه ثلث اشهر فعند ذلك يصيب المرأة خبث النفس والتهوع، ثم ينزل الى القفل الاوسط فيمكث فيه ثلاثة اشهر، وصرة الصبي فيها مجمع العروق وعروق المرأة كلها منها يدخل طعامه وشرابه من تلك العروق، ثم ينزل الى القفل الاسفل فيمكث فيه ثلاثة اشهر فذلك تسعة اشهر ثم تطلق المرأة فكلما طلقت انقطع عرق من صرة الصبي فاصابها ذلك الوجع ويده على صرته حتى يقع الى الارض.

وقد ورد في تفسير قوله تعالى ﴿والمدبرات امراً﴾ ان المراد بها ملائكة التصوير فاذا دخلوا بطن المرأة واخذوا في تصويره قالوا ما نصوره يا رب أذكر أم انثى؟ فان كان ذكراً قالوا على أي صورة؟ فيقول سبحانه احضروا صور آبائه الى آدم وصوروه على صورة واحد منها، وان كان انثى يقول سبحانه احضروا صور امهاته الى حوى فصورها مثل صورة واحدة منها، ومن هذا ورد انه لا يجوز للرجل ان يقول هذا الولد لا يشبهني وينفيه لاجله لانه قد يكون على صورة واحد من آبائه وكذلك البنت وقد يشبه الولد غير آبائه، روى الصدوق (ره) باسناده الى الرضا صلوات الله عليه ان الملك قال لدانيال اني اشتهي ان يكون لي ابن مثلك فقال ما محلى من قلبك؟ قال اجلّ محل واعظمه، قال دانيال ﷺ فاذا جامعت فاجعل همتك فيّ قال ففعل الملك ذلك فولد ابن اشبه خلق الله بدانيال وسيأتي تحقيق الوجه في هذا ان شاء الله تعالى.

واما شبهه للاقارب فقد ورد في سؤالات الخضر لامير المؤمنين ﷺ اخبرني عن الرجل كيف يذكر وينسى وعن الرجل كيف يشبه ولده الاعمام والاخوال؟ فالتفت الى الحسن ﷺ فقال اجبه، فقال ﷺ اما ما ذكرت من امر الذكر والنسيان فان قلب الرجل في حق وعلى حق طبق فان صلى الرجل عند ذلك على محمد وآل محمد صلوة تامة انكشف ذلك الطبق عن ذلك الحق فاضاء القلب وذكر الرجل ما كان نسى؟ وان هو لم يصل على محمد وآل محمد او نقص

من الصلوة عليهم انطبق ذلك الطبق على ذلك الحق فاظلم القلب ونسى ذلك الرجل ما كان ذكره.

واما ما ذكرت من امر المولود الذي يشبه اعمامه واخواله فان الرجل اذا أتى اهله ليجامعها فجامعها بقلب ساكن وعروق هادية وبدن غير مضطرب فاسكنت تلك النطفة في جوف الرحم فخرج الولد يشبه اباه وامه، وان وقعت النطفة في حال اضطرابها على بعض العروق فان وقعت على عرق من عروق الاعمام اشبه اعمامه وان وقعت على عرق من عروق الاحوال اشبه الولد اخواله الحديث، ويأمرهم بان يكتبوا تحته ولله فيه المشيّة، ومن هذا قال ﷺ السعيد من سعد في بطن امه والشقي من شقى في بطن امه، وقد تقدم معناه في حديث آخر من ان من كان في علم الله انه شقي يكتبه شقياً لكن قد تحققت ان علمه سبحانه ليس علة للمعلول، فاذا تم له اربعة اشهر امر الله الروح بأن تدخل في ذلك البدن، وربما امتنعت فيلطف بها الملائكة حتى تدخل، ومن هنا قال الصادق عليه السلام اذا كان بأمرأة احدكم حبل واتى عليه اربعة اشهر فليستقبل بها القبلة وليقرأ آية الكرسي وليضرب على جنبها وليقل اللهم اني قد سميتها محمداً فأنه يجعله غلاماً فان وفي بالاسم بارك الله فيه وان رجع عن الاسم كان لله فيه الخيار ان شاء اخذه وان شاء تركه.

وروى عن امير المؤمنين عليه السلام ان النطفة تجول في الرحم اربعين يوماً فمن اراد ان يدعو الله عز وجل في تلك الاربعين قب ان يخلق ثم يبعث الله عز وجل ملك الارحام فيأخذها فيصعد بها الى الله عز وجل فيقف ما شاء الله فيقول الهي أذكر أم أنثى فيوحى الله عز وجل ما يشاء ويكتبه الملك، ثم يقول الهي أشقي أم سعيد؟ فيوحى الله عز وجل ما يشاء من ذلك ويكتب، فيقول الهي كم رزقه وما اجله ثم يكتب ويكتب كل شيء يصيبه في الدنيا بين عينيه ثم يرجع به فيرده في الرحم فذلك قول الله عز وجل ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها، ويكون غذاه دم الحيض يدخل الى بطنه من صرته حتى يخرج الى الدنيا فيحول الله ذلك الدم لبنا الى الثديين فاذا تمت مدة الحمل وهي ستة اشهر او تسعة اشهر او سنة ارسل الله الى ملك يقال له زاجر وهو المشار اليه في قوله تعالى ﴿فالزاجرات زجراً﴾ فيدخل الى بطن المرأة ويزجر الولد زجرة عظيمة حتى ينتكس على رأسه لانه كان واقفاً في بطن امه على رجليه واما سائر الحيوانات فهي محتبية في بطون امهاتها واضعة رأسها بين رجليها والكي الذي في يديها موضع منخريها.

وذهب مخالفونا الى ان مدة الحمل قد تكون خمس سنين او اربع سنين، وذلك لان محمد بن ادريس الشافعي قد سافر ابوه عن امه وبقى عنها مدة كثيرة فولدت ام الشافعي وأتت به

بعد خمس سنين من سفر ابيه، فلما بلغ الشافعي وفهم الحكاية ذهب الى ان مدة الحمل قد تكون خمس سنين ستراً على ما صنعته امه في غيبة ابيه وقد نقل هذا جمهور المخالفين ولما كان من الامور الغريبة والكرامات العجيبة وباعثاً لاتهام الروافض لهم ذكروا له علّة، وحاصلها ان محمد بن ادريس انما بقى في بطن امه هذه المدة الكثيرة لا ابا حنيفة كان حيا في الدنيا وكان الناس يستضيئون بأنوار قياساته فاستحى الامام الشافعي ان يخرج الى الدنيا وفيها الامام المعظم ابو حنيفة، فلما مات ابو حنيفة واعلم الله الشافعي بموته خرج من بطن امه، فانظر الى سر هذه القبائح والى الامام الشافعي كيف انفرد بهذه الفضيلة دون سائر مخلوقات الله سبحانه ولعمرك انهم لو قالوا انه ولد جار ابيه لكان اولى من هذه التكلفات كما ذكروه في النسب الشريف للخليفة الثاني.

وبالجملة فاذا زجره الملك من الظلمات الى أنوار الدنيا، وتلك الظلمات على ما قالوا هي ظلمة الرحم، وظلمة المشيمة وهي بيت الاولاد وظلمة البطن، ويجوز ان يكون الظلمات الثلاث عبارة عن تلك الاقفال المتقدمة فأول منزله ظلمات ثلاث وآخره ظلمات، وهي ظلمة القبر وظلمة العمل وظلمة الوحدة فانظر الى هذه الاحوال كيف حال صاحبها.

وقد تعسر ولادة المرأة فتحتاج الى العلاج والدواء ولا دواء انفع من ادوية الائمة عليهم السلام ففي الروايات عنهم عليهم السلام انه يكتب ويعلّق على ساقها اليسرى بسم الله وبالله محمد رسول الله كأنهم يوم يرونها الاية، اذا السماء انشقت واذنت لربها وحقت واذا الارض مدّت والقت ما فيها وتخلت، ولبثوا في كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا اخرج بأذن الله من البطن الطيبة الى الارض الطيبة، منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى بأذن الله وقدرته وإسمه بسم الذي لا يضر مع اسمه داء في الارض ولا في السماء وهو السميع العزيز الوهاب، كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون، او لم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا الى قوله افلا يؤمنون انما امره اذا اراد شيئاً ان يقول له كن فيكون فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون واذا جاء نصر الله السورة، واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن.

وصورة أخرى يكتب في رقّ ويعلق على فخذها سبع مرات ان مع العسر يسراً، ومرة واحدة يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم الى قوله وتضع كل ذات حمل حملها وصورة أخرى يكتب على جنبها بسم الله وبالله اخرج بأذن الله، منهاخلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى، ويصلي على النبي صلى الله عليه وآله صورة أخرى بسم الله الرحمن الرحيم ان مع العسر يسرا فان مع العسر يسرا يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر، فهيء

لكم من امركم رشدا، وعلى الله قصد السبيل صورة اخرى يكتب على قرطاس اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي افلا يؤمنون، وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار، ويعلق على وسطها فاذا وضعت يقطع ولا يترك ان شاء الله تعالى اولم ير الذين كفروا ان السموات كانتا رتقا ففتقناهما الاية، وروى انه يكتب انا انزلناه في ليلة القدر ويسقى ماؤها وينضح على فرجها، وروى انه يقرأ عندها انا انزلناه في ليلة القدر، ومن بعض احوال الطفل في بطن امه انه يتغذى من وقت ولوج الروح الى تسعة اشهر ولا يكون منه عذرة، ومن هنا قال عليه السلام ان اهل الجنة يأكلون ولا يتغوطون بل يصير عرقاً يرشح من ابدانهم كرائحة المسك فقال له رجل اله نظير في الدنيا؟ قال عليه السلام نعم وذلك ان الولد في بطن امه يبقى تسعة اشهر يأكل ولا يخرج منه شيء هذه احواله قبل الولادة.

واما احواله بعدها فاعلم انه اذا خرج من بطن امه يخرج قابضاً كفّيه وعند الموت يبسطها، وفي تعليله قال امير المؤمنين عليه السلام.

وفي قبض كفّ الطفل عند ولادة	دليل على الحرص المركب في الحيّ
وفي بسطها عند الممات مواعظ	الا فانظرني قد خرجت بلا شيء

ويخرج وهو باك ايضاً والسبب في بكائه امور منها ما روى ان من سببه زجرة الملك له وهو في بطن امه فيخرج خائفاً باكياً ومنها ما روى في تفسير قوله تعالى اني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم، انه ما من مولود الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخاً من مس الشيطان اياه الا مريم وابنها ومنها ما رواه المفضل بن عمر قال سألت جعفر بن محمد عليهما السلام عن الطفل يضحك من غير تعجب ويبكي من غير الم، فقال يا مفضل ما من طفل الا وهو يرى الامام ويناجيه، فبكاؤه لغيبة شخص الامام عنه وضحكه اذا اقبل اليه، حتى اذا اطلق لسانه اغلق ذلك الباب عنه، وضرب على قلبه بالنسيان وهذا تعليل لمطلق بكائه، ومنها ما رواه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله لا تضربوا اطفالكم على بكائهم فان بكائهم اربعة اشهر شهادة لا اله الا الله واربعة اشهر الصلوة على النبي صلى الله عليه وآله واربعة اشهر الدعاء لوالديه.

ومنها ما رواه المفضل في توحيده في علل الرضا [٢٣] عليه السلام ان الاطفال اذا خرجوا من بطون امهاتهم يخرجون وابدانهم فيها رطوبات البطن الضارة بالبدن وهذه الرطوبات لا تخرج منه الا بالتعصّر وتشنج العروق، ولا يكون هذا الا حال البكاء ومن ثم ورد النهي عن منعهم عن

---

(٢٣) هكذا وقعت العبارة فيما وقفنا عليه من نسخ الكتاب .

البكاء، ومنها ان الولد اذا خرج الى دنيا واسعة المجال بعد ما كان في ظلمات لكن سبحانه يلهمه الموت والفناء والاستعداد لاهوالها ومصائبها وما يجري عليه من التعب والعنا فيفهم هذا المعنى ويعقله فعند ذلك يشرع في البكاء فزعاً وخوفاً مما رآى، ومن ثم كان يوم الولادة من الايام الثلاثة التي لا اصعب منها على ابن آدم ولهذا سلّم الله سبحانه فيها على يحيى بن زكريا وجعله سالماً من آفات هذه الايام الثلاثة، فقال وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً، وكذلك قال عيسى عليه السلام والسلام عليَ يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا، والمراد بالسلام فيه على ما قاله المفسرون الامن من الاهوال والسلامة من الافات فجعل سبحانه يوم الولادة لا ليوم القيامة في المصائب والاهوال.

فان قلت ما معنى ما روى من قول الصادق عليه السلام اكبر ما يكون الانسان يوم يولد واصغر ما يكون يوم يموت، قلت له معنان احدها ان يكون المراد بالكبر والصغر الغرّة والذل بحسب الدنيا وثانيها ان يكون اكبريته باعتبار انه اول ايام تحصيل الكمال والقرب من الله بخلاف وقت الموت فانه وقت انقطاع تحصيل الكمال وهذان الوجهان للمحقق سلطان العلماء.

وثالثها ان يوم الولادة اكبر باعتبار الاجتماع فيه بين الروح والبدن ويوم الموت هو يوم افتراقما ورابعهما ان يوم الولادة الانسان خال فيه عن المعاصي بخلاف يوم الموت فانه قد تحمل من المعاصي وخامسها ان يوم الولادة اكبر احوال الانسان باعتبار استجماعه لجميع عمره بخلاف يوم الموت فيكون رداً على ما تعارف في العادات من قولهم هذا صغير السن وهذا كبير، وقد ذكرنا له وجوها اخرى في الهدية.

فاذا خرج يخرج على رأسه سوى الانبياء والائمة عليهم السلام فانهم يخرجون وقوفاً على ارجلهم صوناً لهم عن الانتكاس، واما قول مولانا زين العابدين عليه السلام في الدعاء الثاني من الصحيفة في الصلوة على النبي صلى الله عليه وآله من انه ترك مكة التي هي مسقط رأسه ابتغاء وجه الله فالظاهر انه كناية عن محل الولادة فاذا تولّد اذّن في اذنه اليمنى واقيم في اليسرى، وعن النبي صلى الله عليه وآله انهما عصمة من الشيطان الرجيم، وينبغي تحنيكه بالتمر وعن السجاد عليه السلام انه اذا بشّر بالولد لم يسأل أذكر هو ام انثى حتى يقول سويَ فان كان سويّا قال الحمد لله الذين لم يخلق مني شيئاً مشوهاً.

واما تهنية الولد فدعاؤه رزقك الله شكر الواهب وبارك لك في الموهوب وبلغ اشدَه ورزقك الله بره، واما التوأم فأكبرهما ما رواه احمد بن اشيم عن بعض اصحابه قال اصاب رجل غلامين في بطن فهناه ابو عبد الله عليه السلام ثم قال ايهما اكبر؟ فقال الذي خرج اولاً فقال ابو عبد الله عليه السلام الذي خرج آخر هو اكبر اما علمت انها حملت بذلك اولاً، وان هذا دخل على

ذلك فلم يمكنه ان يخرج حتى خرج هذا فالذي يخرج آخراً هو أكبرهما، والولد اذا خرج فتارة يشبه اباه وتارة يشبه عمه، وأخرى خاله وتارة لا يشبه احداً منهم.

روى الكليني طاب ثراه عن بعض اصحابه عن ابي جعفر عليه السلام قال اتى رجل من الانصار رسول الله صلى الله عليه وآله فقال هذه ابنة عمي وامرأتي اني لا اعلم منها الا خيراً وقد اتتني بولد شديد السواد منتشر المنخرين، جعد قطط افطس الانف لا اعرف شبهه في اخوالي ولا في اجدادي فقال لامرأته ما تقولين؟ قالت لا والذي بعثك بالحق نبياً ما اقعدت مقعده مني مذ ملكني احداً غيره، قال فنكس رسول الله صلى الله عليه وآله رأسه مليا ثم رفع بصره الى السماء ثم اقبل على الرجل فقال يا هذا انه ليس من احد الا بينه وبين آدم تسعين عرقاً كلها تضرب في النسب فاذا وقعت النطفة في الرحم اضطربت من تلك العروق تسأل الله الشبه لها فهذا من تلك العروق التي لم يدركها اجدادك ولا اجداد اجدادك خذ اليك ابنك فقالت المرأة فرضيت عني يا رسول الله.

وعن الصادق عليه السلام قال ان رجلا اتى بأمرأته الى عمر فقال ان امرأتي هذه سوداء وانا اسود وانها ولدت غلاماً ابيض، فقال لمن بحضرته ما ترون فقالوا نرى ان ترجمها فانها سوداء وزوجها اسود وولدها ابيض قال فجاء امير المؤمنين عليه السلام وقد وجّه بها لترجم فقال للاسود اتَهم امرأتك؟ فقال لا، قال فأتيتها وهي طامث، قال قد قالت لي في ليلة من الليالي اني طامث فظننت انها تتقي البرد فوقعت عليها، فقال للمرأة هل اتاك وانت طامث؟ قال نعم سله قد خرجت عليه وابيت قال فانطلقا فانه ابنكما وانما غلب الدم النطفة فابيض ولو قد تحرك اسودَ فلما ايفع اسودَ.

وروى محمد بن حمران عن ابي عبد الله عليه السلام قال ان الله عز وجل خلق للرحم اربعة اوعية فما كان في الاول فللأب وما كان في الثاني فللأم وما كان في الثالث فللعمومة وما كان في الرابع فللخؤلة، وكانت العرب تزعم ان الولد يشابه اباه اذا كان الرجل متشوقاً الى الجماع والمرأة كارهة له ومن هذا كانوا يتعمدون الى جماع نسائهم وقت رحيلهم والنساء على شغل بتجهيز امور الرحيل وهنَ في ذلك الوقت لا يردن الجماع وقد مدح بعض الشعراء بعضهم بقوله:

ممن حملن به وهنَ قواعد (قواعد خ ل) حبك النطاق فشب غير مهبَل

لانهن كنَ يتحرمنَ بمقانعهنَ وقت الارتحال لسوق الاظعان وذلك ان الرجل اذا كان هو المتشوق كانت نطفته هي الغالبة على نطفة الام فيكون صورة الولد مشابهة لصورة ابيه وموصوفاً بصفاته، وهذا هو السبب في انحطاط اولاد العلماء والاكارم عن درجات ابيهم

ووصفهم وذلك انهم خصوصاً العلماء انما شوقهم الى لذاتهم المعنوية واما هذه اللذات الحسية كالنكاح واضرابه فلا يهتمون بالتلذذ به كمال الاهتمام بل اكثر قصدهم بغشيانهم النساء انما هو امتثالهم السنة فيكون شوق المرأة الى تلك الحاجة ازيد واعظم فيأتي الولد متصفاً بأوصافها بعيد الوصول الى معالي ابيه وصفاته.

ووجه آخر قريب من هذا ويوافقه أقوال الاطباء وهو ان النطفة انما تتكون من الغذاء وكلما كان الغذاء الطف والطبيعة متوجهة الى طبخه ونضجه وجره الى مجاريه كانت النطفة ارقَ والطف، فأما العلماء ومن نحى نحوهم فان طبايعهم الشريفة اجلَ من ان تتوجه الى الغذاء وطبخه ونضجه حتى يحسن تكون النطفة ونضجها الا القليل في قليل من الاقات وقال الصادق عليه السلام من نعم الله عزَ وجل على الرجل ان يشبهه ولده وهذه النطفة هي التي روى عمار الساباطي قال سأل ابو عبد الله عليه السلام عن الميت هل يبلى جسده؟ قال نعم حتى لا يبقى لحم ولا عظم الا طينته التي خلق منها، فانها لا تبلى تبقى منه في القبر مستديرة حتى تخلق منها كما خلق اول مرة وقوله عليه السلام مستديرة الظاهر انه مأخوذ من دار يدور دورانا يعني منتقلة من حال الى حال ومن شأن الى شأن في جميع مراتب التغيير لكنها باقية في ذاتها حتى يخلق منها كالخلق اول مرة وقد يفسر بمعنى مدورة بناءً على صيرورتها بسيطة او يجعل كناية على كثرة استمدادها بناءً على ان الدائرة اوسع الاشكال، ولا يخفى ما في هذين من التكلّف والركاكة.

فان قلت كيف طريق التوفيق بين هذا الخبر وبين ما رواه شيخنا في الكافي عن الصادق عليه السلام وقد سأل عن علة تغسيل الميت غسل الجنابة فقال ان الله خلق خلاقين فاذا اراد ان يخلق خلقاً امرهم فأخذوا من التربة التي قال في كتابه منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى فعجن النطفة بتلك التربة التي يخلق منها بعد ان اسكنها الرحم اربعين ليلة فاذا تمت له اربعة اشهر قال يا ربَ تخلق ماذا؟ فيأمرهم بما يريد من ذكر او انثى ابيض او اسود فاذا خرجت الروح من البدن خرجت هذه النطفة بعينها منه كائناً ما كان، صغيراً او كبيراً، ذكراً او انثى فلذلك يغسل الميت غسل الجنابة وظاهر هذا الحديث ان تلك النطفة لا تصل معه الى القبر بل تخرج منه حال الموت اما قبل خروج الروح او بعده، وفي الاخبار انها تخرج تارة من عينيه بهيئة الدموع واخرى من فمه كالزبد قلت يمكن ان يقال في وجه الجمع امران.

الاول ان الخارج منه حال الموت هو نطفة المنمى ومن ثم اوجبت الغسل والذي يبقى معه في القبر انما هو التراب الذي يؤتى به الى النطفة ويمزج معها الثاني ان يكون الخارج منه وقت الموت بعض تلك النطفة والباقي بعض آخر وقوله عليه السلام فلذلك يغسل الميت غسل الجنابة

المراد به انه يغسل غسلاً كغسل الجنابة في هيئته وترتيبه وان كان ينوي فيه غسل الاموات لا غسل الجنابة.

وروى عن الصادق عليه السلام انه قال غسل الميت مثل غسل الجنابة، ويستفاد من هذين الحديثين الدلالة على ما هو المشهور من وجوب الترتيب بين الجانب الايمن والايسر في غسل الجنابة، والشيخ والاصحاب رضوان الله عليهم قد استدلوا على الترتيب بقول الرضا عليه السلام في صحيح احمد بن محمد ثم افض على رأسك وجسدك وبصحيحة محمد بن مسلم عن احدهما عليهما السلام ثم تصب على سائر جسدك وفي معناهما روايات صحيحة وهي لا تدل على الترتيب بين الجانبين ومن ثم ذهب الصدوقان وابن الجنيد وصاحب المدارك الى استحباب الترتيب بين الجانبين (في غسل الاموات خ ل) والاولى الاستدلالى عليه بذينك الحديثين، فان الترتيب بين الجانبين في غسل الاموات مما قد انعقد عليه الاجماع وادلت عليه الاخبار.

واعلم ان هذه النطفة كما مزجت بتراب القبر فقد مزجت بغيره ايضاً كما رويناه بأسنادينا الى اسحق بن عمار قال قلت لابي عبد الله عليه السلام الرجل آتيه اكلمه ببعض كلامي فيعرفه كله ومنهم من آتيه فأكلمه بالكلام فيستوفي كلامه كله ثم يرده عليّ كما كلمته ومنهم من آتيه فأكلمه فيقول اعد عليّ، فقال يا اسحق او ما تدري لم هذا؟ قلت لا: قال الذي تكلمه ببعض كلامك فيعرفه كله فذاك من عجنت نطفته بعقله، واما الذي تكلمه فيستوفي كلامك ثم يجيبك على كلامك فذاك الذي ركب عقله في بطن امه واما الذي تكلمه بالكلام فيقول لك اعد عليّ فذاك الذي ركب عقله فيه بعدما كبر فهو يقول اعد عليّ.

اقول فقد تفاوت بسبب هذا مراتب الناس في الشعور والذكاء وبه ايضاً تفاوتت الناس في درجات الثواب والعقاب روى الديلمي عن ابيه قال قلت لابي عبد الله عليه السلام فلان من عبادته ودينه وفضله كذا وكذا، قال فقال كيف عقله؟ فقلت لا ادري فقال ان الثواب على قدر العقل ان رجلاً من بني اسرائيل كان يعبد الله عز وجل في جزيرة من جزائر البحر خضراء نضرة كثيرة الشجر طاهرة الماء، وان ملكاً من الملائكة مرّ به فقال يا رب ارني ثواب عبدك هذا فأراه الله عز وجل ذلك فأستقله الملك، فأوحى الله عز وجل اليه ان إصحبه فأتاه الملك في صورة إنسي، فقال له من انت؟ قال انا رجل عابد بلغنا مكانك وعبادتك بهذا المكان فجئت لأعبد الله معك فكان معه يومه ذلك فلما اصبح قال له الملك ان مكانك هذا لنزهة قال ليت لربنا حماراً فلو كان لربنا حمار لرعيناه في هذا الموضع فان هذا الحشيش يضيع، فقال له الملك وما لربك حمار، فقال لو كان له حمار ما كان يضيع مثل هذا الحشيش، فأوحى الله عز وجل الى الملك انما اثيبه على قدر عقله.

فان قلت كيف جاز ترتب ثواب العمل الاختياري على العقل الذي لا اختيار للانسان في تحصيله فعبادة هذا العابد لو وقعت من كامل العقل لكان ثوابها أزيد مع انها عمل واحد قلت الجواب عنه من وجوه الاول ان العقل وان كان موهبيا لكن له حالات وادوات كسبية يمكن تضاعفها وتزايدها بالممارسة والكسب ومعاشرة الانبياء والاولياء وارباب العقول والاحلام وهذا شعبة من شعب تهذيب الاخلاق الذي ارسلت الانبياء له، وقد كان هذا العابد مقصرا في درجات التفكر ومعاشرة من قد كان مكملاً لحالات عقله التي كان يدرك بها ان الله سبحانه مستغن عن الحمار كما هو الموجود في تلك الاعصار من احوال اهل العبادة وعزلتهم عن الناس مع نقصانهم في الكمال الاختياري لهم وذلك ان العزلة قد اشتملت على عين العلم وزاء الزهد، فان رفعت منها عين العلم صارت زلة أي ذنب اعظم الذنوب وان رفعت منها زاء الزهد صارت علة كما في عزلة اكثر الصوفية فانه خالية من عين العلم وزاء الزهد.

الثاني ان العقل هنا المراد به العلم واطلاقه عليه في الكتاب والسنة كثير جداً من باب اطلاق اسم السبب على المسبب ولا ريب ان تحصيله امر اختياري وبه تقوى حالات العقل وشعبه وذلك العابد لو كان حصّل العلم وطلبه من اهله لما خفى عليه ان الله ليس له حمار فقد قصر في تحصيل العلم ومن ثم كان ثوابه قليلاً.

الثالث ان العقل كلما اكمل كانت المعارضات والموانع وجنود الشيطان عليه اكثر، وذلك ان الشيطان وجنوده انما تكثر وساوسهم وتسويلاتهم لارباب العقول وكلما كان العقل انقص كانت المعارضات له عن سلوك جادة الايمان اقل فكامل العقل لما كان كثير الجهاد لجنود الشيطان لازالة تلك الموانع كان ثوابه اكثر لكثرة اعماله الظاهرة والباطنة التي منها ما عرفت واما ناقص العقل فله ذلك العمل الظاهر وهو العبادة والقيام بها فاعماله اقل من اعمل ذلك الرجل فيكون كثرة الثواب وقلته هنا راجعة الى زيادة العمل ونقصانه وهذا هو العدل وما كان ربك بظلام للعبيد.

نور في ايام رضاعه

وما يكون فيها الى يوم فطامه اعلم ان في ارضاع الام لولدها ثواباً جزيلاً، روى ابو خالد الكعبي عن ابي عبد الله عليه السلام ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال ايما امرأة رفعت من بيت زوجها شيئاً من موضع الى موضع تريد به صلاحه نظر الله عز وجل اليها، ومن نظر الله اليه له يعذبه فقالت ام سلمة رضي الله عنها ذهب الرجال بكل خير فأي شيء للنساء المساكين؟ فقال عليه السلام بلى اذا حملت المرأة كانت بمنزلة الصائم المجاهد بنفسه وماله في سبيل الله فاذا وضعت كان لها

من الاجر ما لا تدري ما هو لعظمه، فاذا ارضعت كان لها بكل مصة كعدل عتق محرر من ولد اسماعيل عليه السلام فاذا فرغت من رضاعه ضرب ملك على جنبها وقال استأنفي العمل فقد غفر الله لك.

والارضاع ليس بواجب عليها ويجوز لها اخذ الاجرة من الاب ان لم يكن للولد مال، نعم يجب عليها ارضاع اللبا بكسر اللام وهو اول اللبن لان الولد لا يعيش بدونه وقدّره بعضهم بثلاثة ايام وظاهر الجوهري وابن الاثير انه حلبة واحدة ومع ذلك يجوز لها اخذ الاجرة عليه ولو طلبت الام زيادة اجرة على الارضاع جاز للاب انتزاعه منها وتسليمه الى الغير واما الامة فيجوز للمولى جبرها على مطلق الارضاع واذا ارضع ابنه فليختر الحسان الوجوه النجيبة العفيفة الدينية، قال الصادق عليه السلام لا تسترضع من ولدت من الزنا ولا ابنتها، وقال صلى الله عليه وآله لا تسترضعوا الحمقاء فان اللبن يعدى وان الغلام ينزع الى اللبن في الرعوبة والحمق واللبن يغلب الطباع والولد يشب عليه وعن ابي عبد الله عليه السلام في المرأة يكون لها الخادم قد فجرت تحتاج الى لبنها قال مرها فلتحللها يطيب اللبن.

واما الحضانة بفتح الحاء وهي تولية امور الاطفال لفائدة تربيته واحواله من تنظيفه وتكحيله وجعله في مهده وغسل خرقه وثيابه فهي للام مدّة رضاعه اذا كانت حرّة مسلمة فاذا فصل عن الرضاع فالام احق بالانثى الى سبع سنين وقيل الى تسع وقيل الى سبع فيهما والاول مع شهرته جامع بين الاخبار المطلقة والاب احق بالذكر بعد فصاله الى البلوغ واحق بالانثى بعد السبع والام احق من وصى الاب فان فقد الابوان فالحضانة لاب الاب فان فقد فللاقارب الاقرب منهم الى الولد فالاقرب على المشهور لاية واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض، فالجدة لام كانت ام الاب وان علت اولى من العمة والخالة كما انهما اولى من بنات العمومة والخؤلة وكذلك الجدة الدنيا والخالة والعمة اولى من العليا منهن وكذا ذكور كل مرتبة ثم ان اتحد الاقرب فالحضانة مختصة به، وان تعدد اقرع بينهم ولو اجتمع ذكر وانثى ففي تقديم الانثى قول ذهب اليه العلاّمة في التحرير مع اعترافه بعدم النص، وكون الانثى اوفق لتربية الولد سيّما الصغير والانثى واطلاق الدليل المستفاد من الاية يقتضي التسوية بينهما كما يقتضي التسوية بين كثير النصيب وقليله، ومن يمت بالابوين وبالام خاصة لاشراك الجميع في الارث وقيل ان الاخت من الابوين او الاب اولى من الاخت من الام وكذا الاب اولى من ام الام، والجدة اولى من الاخوات، والعمة اولى من الخالة نظراً الى زيادة القرب او كثرة النصيب وفيه نظر لان المستند وهو الاية مشترك ومجرد ما ذكر لا يصلح دليلاً وقيل لا حضانة لغير الابوين اقتصاراً

على موضع النص، وعموم الاية يدفعه ولو تزوجت الام سقطت حضانتها فان طلقت عادت الحضانة على المشهور اذا عرفت هذا.

فاعلم ان الحضانة حق لمن ذكر ولكن هل يجب عليه مع ذلك ام له اسقاط حقه منها فيه قولان للاصحاب والظاهر عدم جواز اسقاطها حيث يستلزم تركها تضييع الولد الا ان حضانته حينئذ تجب كفاية كغيره من المضطرين وفي اختصاص الوجوب بذي الحق نظر وليس في الاخبار ما يدل على غير ثبوت اصل الاستحقاق وينبغي لمن له الحضانة وللابوين ان لا يتأذيا من بكاء الاطفال فأنك قد تحققت ان في بكاء الاطفال ثواباً جزيلاً ويزيد عليه ما رواه محمد بن مسلم قال كنت جالساً عند ابي عبد الله عليه السلام اذ دخل يونس بن يعقوب فرأيته يأنّ فقال له ابو عبد الله عليه السلام ما لي اراك تأنّ؟ قال طفل لي تأذيت به الليل اجمع، فقال له ابو عبد الله عليه السلام يا يونس حدثني ابي محمد بن علي عن آبائه عليهم السلام عن جدي رسول الله صلى الله عليه وآله ان جبريل عليه السلام نزل عليه ورسول الله صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام وفاطمة عليها السلام يأنان فقال جبريل يا حبيب الله ما لكما تأنان؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله من اجل طفلين لنا تأذينا ببكائهما فقال جبريل عليه السلام يا محمد صلى الله عليه وآله فأنه سيبعث لهذا القوم شيعة اذا بكى احدهم بكاؤه لا اله الا الله الى ان يأتي عليه سبع سنين فاذا أتى عليه السبع فبكاؤه استغفاره لوالديه الى ان يأتي على الحدّ فاذا جاز الحد فما اتى من حسنة فلوالديه وما أتى من سيئة فلا عليهما.

فاذا اتى اليوم السابع فليعق عنه، روى عن العبد الصالح عليه السلام قال العقيقة واجبة فاذا ولد للرجل فان احب ان يسميه من يومه فعل، وقال الصادق عليه السلام كل مولود مرتهن بالعقيقة وعن عمر بن يزيد قال قلت لابي عبد الله عليه السلام اني والله ما ادري كان ابي عقّ عني او لا قال فأمر ابو عبد الله عليه السلام فعققت عن نفسي وانا شيخ وعن ابي بصير عن ابي عبد الله عليه السلام قال سألته عن العقيقة أواجبة هي؟ قال نعم واجبة وفي الكافي قال رسول الله صلى الله عليه وآله المولود مرتهن بعقيقة فكَه أبواه او تركاه والمراد انه مرتهن من الموت بعقيقة فان اراد بقائه عقّا عنه وان ارادا موته تركا العقيقة، وبعض علمائنا كالمرتضى طاب ثراه نظر الى ظاهر هذه الاخبار فأوجب العقيقة ولكن الجمع بين الاخبار يقتضي الاستحباب والاحتياط في عدم تركها لان الاخبار الدالة على الوجوب كثيرة والاخبار الدالة على انها سنة يمكن حملها على ما علم وجوبه من سنته صلى الله عليه وآله والاحاديث الدالة على سقوطها يمكن حملها على الفقير الغير القادر.

وينبغي ان لا يأكل من العقيقة ابو الولد ولا ام الولد ولا من كان في عيال بيته، وروى جواز الاكل مطلقاً وتفصيل اعضائه، وقد روى جواز التصدق باللحم، والاحسن هو الطبخ ودعاء المؤمنين، واقلهم ولتخص القابلة بالرجل والورك وفي بعض الاخبار ان لها ربع العقيقة،

وفي بعضها ثلثها، ولو لم يكن قابلة تصدقت به الام والدعاء المأثور عند ذبحها: بسم الله وبالله اللهم ان هذه عقيقة عن فلان لحمها بلحمه ودمها بدمه وعظمها بعظمه اللهم اجعله وقاءً لآل محمد ﷺ وليكن قد حلق رأسه قبل الذبح وتصدق بوزنه ذهباً والا فضة ويسميه في اليوم السابع بأحسن الاسماء بعد ان سمّاه محمداً، وعن النبي ﷺ ان من ولد له اربعة اولاد ولم يسم احدهم بأسمي فقد جفاني وقال عليه السلام ليس في الارض دار فيها اسم محمد الا وهي تقدس كل يوم وعن الحسين عليه السلام لو ولد لي مأة لاحببت ان لا اسمي احداً منهم الا علياً، وقال الرضا عليه السلام لا يدخل الفقر بيتاً فيه اسم محمد او احمد او علي او الحسن او الحسين، او طالب او جعفر او عبد الله او فاطمة من النساء.

وعن جابر قال اراد ابو جعفر عليه السلام الى بعض شيعته ليعوده فقال يا جابر الحقني فتبعته فلما انتهى الى باب الدار خرج علينا ابن له صغير فقال له ابو جعفر عليه السلام ما اسمك فقال محمد قال فبما تكنى؟ قال بعلي فقال ابو جعفر عليه السلام لقد احتظرت من الشيطان احتظاراً شديداً ان الشيطان اذا سمع منادياً يا محمد يا علي ذاب كما يذوب الرصاص حتى اذا سمع منادياً ينادي باسم عدو من اعدائنا اهتزّ واختال وقال عليه السلام اصدق الاسماء ما سمّى بالعبودية، وافضلها اسماء الانبياء وقال عليه السلام سمّوا اولادكم قبل او يولدوا فان لم تدروا أذكر ام انثى فسموهم بالاسماء التي تكون للذكر والانثى فان اسقاطكم اذا لقوكم يوم القيامة ولم تسموهم يقول السقط لابيه الا سميتني وقد سمى رسول الله صلى الله ﷺ محسناً قبل ان يولد.

وقال الصادق عليه السلام لا يولد لنا ولد الا سميناه محمداً فاذا مضى سبعة ايام فان شئنا غيرنا وان شئنا تركنا وعن الرضا عليه السلام قال قال رسول الله ﷺ ما من قوم كانت لهم مشهورة فحضر معهم محمداً أو احمد فأدخلوه في مشهورتهم الا كان خيراً لهم.

وقد ورد النهي عن الضرب والاساءة الى من اسمه محمد بل ينبغي اكرامه واحترامه لاجل صاحب الاسم، وقال الصادق عليه السلام ما من رجل يحمل له حمل فينوي ان يسميه محمداً الا كان ذكراً ان شاء الله تعالى وقال هيهنا ثلثة كلهم محمد، محمد، محمد قال وقال ابو عبد الله عليه السلام الحامل يأخذ بيدها ويستقبل بها القبلة عند الاربعة اشهر ويقول اللهم اني قد سميته محمداً، ولد له غلام فان حوّل اسمه أخذ منه، وقال رسول الله ﷺ من كان له حمل فنوى ان يسميه محمداً أو علياً ولد له غلام وقال الصادق عليه السلام جاء رجل الى النبي ﷺ فقال يا رسول الله ولد لي غلام فماذ اسميه؟ فقال سمّه بأحب الاسماء اليّ حمزة، وقال ﷺ استحسنوا اسمائكم فأنكم تدعون بها يوم القيامة قم يا فلان بن فلان الى نورك، قم يا فلان بن فلان لا نور لك، وقال عليه السلام انا لنكنّي اولادنا في صغرهم مخافة النبز ان يحلق بهم، وقال عليه السلام هذا محمد قد أذن لهم

(لكم خ ل) في التسمية به فمن اذن لهم (لكم خ ل) في يس؟ يعني التسمية وهو اسم النبي ﷺ، وفيه دلالة على كراهة التسمية به.

وقد نهى النبي ﷺ عن اسماء ان يتسمى بها منها حكم وحكيم، وخالد ومالك وحارث وذكر انها ستة او سبعة لا يجوز ان يتسمى بها، ونهى عن اربع كنى عن ابي عيسى وعن ابي الحكم، وعن ابي مالك وعن ابي القاسم اذا كان الاسم محمداً، ونهى عن الكنية بأبي مرة وينبغي ان لا يفرق بين الذكور والاناث، بل يعتقد ان ثواب تربية البيت لما كان اجزل فالميل الى ارادتها افلض قال رسول الله ﷺ نعم الولد البنات المخدرات، من كانت عنده واحدة جعلها الله له ستراً ممن فالميل الى ارادتها افضل قال رسول الله ﷺ نعم الولد البنات المخدرات من كانت عنده واحدة جعلها الله له ستراً من النار، ومن كانت عنده اثنتان ادخله الله بهما الجنة وجاء رجل الى النبي ﷺ وعنده رجل فأخبره بمولد فتغير لون الرجل فقال النبي ﷺ ما لك؟ قال خير قال قل قال خرجت والمرأة تمخض فأخبرت انها جارية فقال له النبي ﷺ الارض تثقلها والسماء تظلها، والله يرزقها وهي ريحانة تشمها ثم اقبل على اصحابه فقال من كانت له ابنة واحدة فهو مفدوح[1] ومن كانت له ابنتان فياغوثاه، ومن كانت له ثلاث وضع عنه الجهاد وكل مكروه ومن كانت له اربع فيا عباد الله عينوه يا عباد الله اقرضوه يا عباد الله ارحموه، وقال عليه السلام من عال ثلاث بنات او ثلاث أخوات وجبت له الجنة. قيل يا رسول الله واثنتين، قال واثنتين قيل يا رسول الله وواحدة، قال وواحدة، وقال عليه السلام البنات حسنة والبنون نعمة، فالحسنات يثاب عليها والنعم يسأل عنها، وروى انه قال رسول الله ﷺ لرجل رآى معه صبياً من هذا؟ قال ابني قال امتعك الله به اما لو قلت بارك الله فيه لك قدمته.

وينبغي الاكثار من تقبيل الاطفال قال عليه السلام اكثروا من قبلة اولادكم فان لكم بكل قبلة درجة في الجنة ما بين كل درجة الى درجة خمسمائة عام وقال امير المؤمنين عليه السلام قبلة الولد رحمة وقبلة المرأة شهوة وقبلة الوالدين عبادة وقبلة الرجل أخاه دين وقبلة الامام العادل طاعة، وعن رفاعة قال سألت ابا الحسن عليه السلام عن الرجل يكون له بنون وامهم ليست بواحدة أيفضل احدهم على الاخر، قال نعم لا بأس به، قد كان ابي يفضلني وينبغي ان لا يفضل الا لمزية في الولد، لما روى انه ﷺ نظر الى رجل له ابنان فقبّل احدهما وترك الاخر، فقال النبي ﷺ فهلا واسيت بينهما.

وقال رسول الله ﷺ من قبّل ولده كتب الله له حسنة ومن فرّحه فرّحه الله يوم القيامة ومن علّمه القرآن دعى بالابوين فكسيا حلتين يضيء من نورهما وجوه اهل الجنة، وقال

---

(١) فدحه فدحاً الامر او الحمل او الدين اثقله وبهضه.

الصادق عليه السلام جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وآله فقال ما قبّلت صبياً قط فلما ولّى قال رسول الله صلى الله عليه وآله هذا رجل عندي انه من اهل النار.

والارضاع ينبغي ان يكون من الثديين روى عن ام اسحق زوجة الصادق عليه السلام قالت نظر اليّ ابو عبد الله عليه السلام وانا ارضع احد ابنيّ محمداً واسحق فقال يا ام اسحاق لا ترضعيه من ثدي واحد ارضعيه من كليهما يكون احدهما طعاماً والاخر شراباً، وقال عليه السلام الرضاع واحد وعشرون شهراً فما نقص فهو جور على الصبي.

ويستحب الختان في اليوم السابع وكذا خفض الجواري وروى ان الارض تشكو الى الله من بول الاغلف وقال الصادق عليه السلام كانت امرأة يقال لها ام حبيب تخفض الجواري فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وآله قال لها يا ام حبيب العمل الذي كان في يدك هو في يدك اليوم قالت نعم يا رسول الله فقال لها يا ام حبيب اذا انت فعلتي فلا تنهكي أي لا تستأصلي واسيمي فأنه اشرق للوجه واحظى عند الزوج، وقال عليه السلام ثقب اذن الغلام من السنة وختان الغلام من السنة ولما ولد الحسن عليه السلام هبط جبرئيل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وآله بالتهنية في اليوم السابع وامره ان يسميه ويكنيه ويحلق رأسه ويعقَ عنه ويثقب اذنه وكذلك حين ولد الحسين عليه السلام أتاه في اليوم السابع وامره بمثل ذلك قال وكان لهما ذوابتان في القرن الايسر وكان الثقب في الاذن اليمنى في شحمة الاذن، وفي اليسرى في اعلا الاذن، فالقرط في اليمنى والشق في اليسرى، وقد روى ان النبي صلى الله عليه وآله ترك لهما ذوابتين في وسط الرأس وهو اصح من القرن على ما قاله الكليني وروى عن سفيان السمط قال قال لي ابو عبد الله عليه السلام اذا بلغ الصبي اربعة اشهر فاحجمه في كل اربعة اشهر في النقرة فانها تجفف لعابه وتهبط الحرارة من رأسه وجسده، وقال عليه السلام يعيش لستة اشهر وسبعة اشهر وتسعة اشهر ولا يعيش لثمانية اشهر وكان الصادق عليه السلام يكره القنازع[1] في رؤس الصبيان وقال عليه السلام أتى صلى الله عليه وآله بولد وله قنازع فأبى ان يدعو له وقال عليه السلام في المرأة الحامل تأكل السفرجل فان الولد يكون اطيب ريحا واصفى لونا ونظر عليه السلام الى غلام جميل فقال ينبغي ان يكون ابو هذا الغلام اكل السفرجل.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله ليكن اول ما تأكل النفساء الرطب فان الله تعالى قال لمريم وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا، قال يا رسول الله فان لم يكن ابان الرطب قال تسع تمرات من تمر المدينة، فان لم يكن فسبع تمرات من تمر امصاركم فان الله عز وجل قال وعزتي وجلالي وارتفاع مكاني لا تأكل نفساء يوم تلد الرطب فيكون غلاماً الا كان حليماً وان كانت جارية كانت حليمة، وقال الرضا عليه السلام اطعموا حبالاكم ذكر اللبان فانيكن في بطنها غلام

---

(١) القنازع وهي ان يخلع الرأس الا قليلاً ويترك وسط الرأس.

خرج زكي القلب عالماً شجاعاً وان تكن جارية حسن خلقها وخلقتها وعظمت عجيزتها وحظت عند زوجها واذا فصح بالكلام فليعلم التهليل وقوله تعالى قل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً. الاية، وكلاهما مروي عن النبي ﷺ وهو حسن.

نور في احواله من فطامه الى وقت بلوغه

وهذه المدة هي ايام دولته وفراغته التي يفعل فيها ما اراد ولكن ليس فيها ذلك الالتذاذ لعدم كمال العقل ووفور التمييز فتكون داخلة تحت ايام الطفولية التي تنقضي من غير معرفة باقضائها ويشير الى الاول بقول النبي ﷺ الولد سيد سبع سنين وعبد سبع سنين ووزير سبع سنين فان رضيت خلائقه لاحدى وعشر سنة والا فاضرب على جنبه فقد اعذرت الى الله تعالى والى الثاني قول امير المؤمنين عليه السلام فيما نسب اليه في (من خ) الديوان.

اذا عاش امرأ ستين عامـــــــــاً	فنصف العمر تمحقه الليالي
ونصف النصف يذهب ليس يدري	لغفلته يميناً عن شمـــــــال
وثلث النصف آمال وحـــــــرص	وشغل بالمكاسب والعيال
وباقي العمر اسقام وشيــــــــب	وهمٌ بارتحال وانتقــــــال
خبّ المرء طول العمر جهـــــــل	وقسمته على هذا النـــــوال

فهذا حال صاحب الستين فكيف يكون حال صاحب الثلاثين ونحوها، وهذه الايام وان كان قد رفع فيها التكليف لكن لم يرفع فيها التأديب والتعزير، قال الصادق عليه السلام اذا بلغ الغلام ثلث سنين قل له سبع مرات لا اله الا الله ثم يترك حتى يتم له ثلث سنين وسبعة اشهر وعشرون يوماً، ثم يقال له فقل محمد رسول الله ﷺ سبع مرات ويترك حتى يتم له اربع سنين ثم يقال له قل سبع مرات صلى الله على محمد وآله محمد ثم يترك حتى يأتي له خمس سنين، ثم يقال له ايهما يمينك وايهما شمالك فاذا عرف ذلك حوّل وجهه الى القبلة ويقال له اسجد ثم يترك حتى يتم له ست سنين، فيقال صلّ وعلم الركوع والسجود حتى يتم له سبع سنين فاذا تمت له سبع سنين قيل له اغسل وجهك وكفيك فاذا غسلهما قيل له صلّ ثم يترك حتى يتم له تسع سنين فاذا تمت له علم الوضوء وضرب عليه وامر بالصلوة وضرب عليها فاذا تعلّم الوضوء والصلوة غفر لوالديه انشاء الله تعالى.

وقال الصادق عليه السلام دع ابنك يلعب سبع سنين وتؤدب سبعاً والزمه نفسك سبع سنين فان افلح والا فأنه لا خير فيه، وقال عليه السلام اهمل صبيك حتى تأتي عليه ست سنين ثم ادبه في الكتاب ست سنين ثم ضمه اليك سبع سنين فأدبه فان قبل وصلح والا فخلّ عنه، وعن امير المؤمنين

عليه السلام قال يرخى عن الصبي سبعاً ويؤدب سبعاً ويستخدم سبعاً وينتهي طوله في ثلث وعشرين وعقله في خمسة وثلاثين وما كان بعد ذلك فالتجارب، وعنه عليه السلام ان الصبي يشبّ في كل سنة اربع اصابع بأصبع نفسه، وقال الصادق عليه السلام اذا أتى للصبي ست سنين وجب عليه الصلوة فاذا اطاق الصوم وجب عليه الصيام وفي معناه أخبار كثيرة ويستفاد منها الدلالة على ان عبادات الصبي شرعية مخاطب بها من جهة الشارع ونسبة الولي اليه في الامر بها كنسبة الامر بالمعروف الى تارك المعروف وحينئذ فينوي الصلوة الشرعية المتطوع بها ولا ينوي الوجوب المصطلح كما قاله بعض الاصحاب فأنه لا وجه له ويدخل تحت نذر من نذر لمن يعبد الله عبادة شرعية ويثاب على فعلها بعد بلوغه كما يثاب ابواه (بعد خ) عليها والقول الاخر انها تمرينية فيسقط اكثر هذا.

واما الوجوب المصطلح فهو بالاحترام ونحوه كما هو المشهور وبه روايات ضعيفة اما الصحيح فقد رواه الصدوق طاب ثراه باسناده الى عبد الله بن سنان عن ابي عبد الله عليه السلام قال اذا بلع الغلام اشده ثلاث عشر سنة ودخل في الاربع عشر سنة فقد وجب عليه ما يجب على المحتلمين احتلم او لم يحتلم وكتب عليه السيئات وكتب له الحسنات وجاز له كل شيء الا ان يكون ضعيفاً او سفيهاً، وظاهر بعض المحققين من المتأخرين العمل بها وهو غير بعيد.

واما السرقة فيعفى عنه اول مرة فان سرق ثانياً ادب فان عاد ثالثاً حكّت انامله حتى تمى، فان سرق رابعاً قطعت انامله فان سرق خامساً يقطع كما يقطع البالغ وبه روايات كثيرة.

واعلم انه ينبغي للاباء المسارعة الى بر الاولاد قال ابو الحسن عليه السلام اذا وعدتم الصبيان اوفوا لهم فانهم يرون انكم الذين ترزقونهم ان الله ليس يغضب لشيء كغضبه للنساء والصبيان، وقال النبي صلى الله عليه وآله من دخل السوق فأشترى تحفة فحملها الى عياله كان كحامل صدقة الى قوم محاويج، وليبدأ بالاناث قبل الذكور فأنه من فرّح ابنته كان كأنما اعتق رقبة من ولد اسماعيل وفي سبع سنين لعبه ينبغي للاب ان يتركه بحاله مع الصبيان وان لا يحبسه معه ولا يمنعه من اللهو واللعب ولا يكلفه المكتب الا بعد سبع او الست سنين، فقد روى عنه عليه السلام انه يستحب عرامة الغلام في صغره ليكون حليماً في كبره وما ينبغي ان يكون الا هكذا.

وروى ان اكيس الصبيان اشدهم بغضاً للكتاب والعرامة، قال في النهاية رجل عادم أي خبيث شرير والعرامة الشدة والقوة والشراية واذا اتت سنو تأديبه فأولاها ما رواه الصدوق طاب ثراه قال كان جابر بن عبد الانصاري يدور في سكك الانصار في المدينة وهو يقول عليَ خير البشر فمن ابى فقد كفر، يا معاشر الانصار ادبوا اولادكم على حب علي فمن ابى فانظروا في شأن امه، وقال الصادق عليه السلام من جد برد حبنا على قلبه فليكثر الدعاء لامه فانها لم تخن اباه،

وكان الصبي على عهد رسول الله ﷺ اذا وقع الشك في نسبه عرضت عليه ولاية امير المؤمنين عليه السلام فان قبلها الحق نسبه بمن ينتمي اليه وان انكرها نفي.

وينبغي ان يعلمه كسباً حلالاً غير مكروه فان الكسب كما سيأتي ان شاء الله تعالى في بابه بعضه حرام وبعضه مكروه روى عن الامام موسى بن جعفر عليهما السلام قال جاء رجل الى النبي ﷺ فقال يا رسول الله قد علّمت ابني هذا الكتاب ففي أي شيء اسلّمه قال اسلمه لله ابوك ولا تسلمه في خمس، لا تسلمه سبّاء ولا صايغاً، ولا قصاباً، ولا حناطاً ولا نخاساً فقال يا رسول الله وما السبّاء، قال الذي يبيع الاكفان ويتمنى موت امتي للمولود من امتي احبّ اليّ مما طلعت عليه الشمس، واما الصايغ فانه يعالج غبن امتي واما القصاب فانه يذبح حتى تذهب الرحمة من قلبه، واما الحناط فأنه يحتكر الطعام على امتي ولئن يلقى الله العبد سارقاً احب اليّ من ان يلقاه قد احتكر طعاماً اربعين يوماً، واما النخاس فأنه قد اتاني جبرئيل فقال يا محمد ان شرّ امتك الذين يبيعون الناس.

وروى عن سدير الصيرفي قال قلت لابي جعفر عليه السلام حديث بلغني عن الحسن البصري فان كان حقاً فانا لله وانا اليه راجعون قال وما هو؟ قلت بلغني ان الحسن كان يقول لو غلى دماغه من حر الشمس ما استظل بحائط صيرفي، ولو تفرثت كبده عطشاً لم يستق من دار صيرفي ماء، وهو عملي وتجارتي وعليه نبتت لحمي ودمي ومنه حجتي وعمرتي، قال فجلس عليه السلام فقال كذب الحسن خذ سواء واعط سواء، فاذا حضرت الصلوة فدع ما بيدك انهض الى الصلوة، اما علمت ان اصحاب الكهف كانوا صيارفة يعني صيارفة الكلام ولم يعن صيارفة الدراهم.

فان قلت الكلام انما هو في صيارفة الدراهم فاذا كان اهل الكهف صيارفة الكلام فكيف يكون حسن حالهم منافياً لذّم صيارفة الدراهم، قلت هذه الفقرة من الحديث قد استشكلها المحققون حتى ان بعضهم قال ان هذا التفسير من كلام الصدوق (ره) لا من كلام الامام عليه السلام ويؤيده ان الحديث موجود في الاصول الاربعة وكلها خالية من هذا التفسير سوى كتاب الفقيه، ولكن سعد بن هبة الله الراوندي نقل في كتاب قصص الانبياء حديثاً منسداً عن الكاهلي عن ابي عبد الله عليه السلام وذكر اصحاب الكهف فقال لو كلفكم قومكم ما كلفهم قومهم ما فعلتم فعلهم فقيل له وما كلفهم قومهم؟ قال كلفوهم الشرك بالله فاظهروا من حالهم الكفرو واسرّوا الايمان حتى جائهم الفرج، وقال ان اصحاب الكهف كذبوا فآجرهم الله وصدقوا فآجرهم الله وقال كانوا صيارفة الدراهم وقال خرج اصحاب الكهف على غير ميعاد فلما صاروا في الصحراء اخذ هذا على هذا وهذا على هذا العهد والميثاق ثم قال اظهروا امركم فأظهروه فاذاً

هم على امر واحد، وقال ان اصحاب الكهف اسروا الايمان واظهروا الكفر وثوابهم على اظهار الكفر اعظم منه على اسرارهم الايمان قال وبلع التقية بأصحاب الكهف ان كانوا ليشدون الزنار ويشهدون الاعياد فأعطاهم الله تعالى اجرهم مرتين انتهى. وحينئذ فالفقرة التي في ذلك الحديث مأخوذة من هذا الحديث وقد ذكر المحققون لذلك وجوها.

اولها ما صار اليه المحقق صاحب المنتقى قدس الله روحه حيث قال غاية ما يوجه به متن الحديث ان سلم عن النقص وتوافقت فيه النسخ ان يكون يعني بصيغة المفعول وكذلك لم يعن فيكون المراد ان الحسن وهم من تأويل ما روى في الصيارفة فان المعنى بها صيارفة الكلام لا صيارفة الدراهم على ما روى من قول رسول الله ﷺ من التهديد لمن يصرف الكلام في المواعيد وغيرها وهذا الوجه لا يوافق حديث الراوندي كما لا يخفى.

وثانيها ان صرف الكلام في مقام التقية امر ممدوح وان كان في غيره مذموماً ومقصود الامام عليه السلام من بيان انهم صيارفة الكلام ترغب على استعمال التقية وفي قوله عليه السلام ما فعلتم فعلهم نوع شكاية من شيعة زمانه في الافشاء وترك التقية فيكون هذا من باب التنظير كما ورد في الكافي في باب الكفالة والحوالة عن حفض (بن خ) البختري قال ابطأت عن الحج فقال لي ابو عبد الله عليه السلام ما أبطأ بك عن الحج؟ فقلت جعلت فداك تكلّفت برجل فحضرني فقال عليه السلام ما لك وللكفالات اما علمت انها اهلكت القرون الاولى ثم قال عليه السلام ان قوماً اذنبوا ذنوباً كثيرة فأشفقوا منها خوفاً شديداً فجاء آخرون فقالوا ذنوبكم علينا فأنزل الله عز وجل عليهم العذاب ثم قال تبارك وتعالى خافوني واجترأتم عليَّ، فقد قاس عليه السلام كفالة الاموال بكفالة الذنوب.

وثالثها ان يكون الحسن قد فهم ان الذم متوجه الى مطلق الصراف فرّده عليه السلام بأن اصحاب الكهف كانوا صيارفة الكلام، ولا يخفى بعده وكراهة الصياغة مستندة ايضاً الى خلف الوعد كما قال ﷺ ويل لتجّار امتي من لا والله وبلى والله وويل لصياغ امتي من اليوم وغد وكذا يكره الحياكة لانها رذالة وكذلك الحجامة قال الباقر عليه السلام احتجم رسول الله ﷺ حجمه مولى لبني بياضه واعطاه ولو كان حراماً ما اعطاه فلما فرغ قال له رسول الله ﷺ اين الدم؟ قال شربته يا رسول الله فقال ما كان ينبغي لك ان تفعله وقد جعل الله لك حجاباً من النار وسأل الاعمش أتجوز الصلوة خلف الحائك قال نعم علي غير وضوء وسأل أتقبل شهادته؟ فقال نعم اذا كان معه شاهدان عدلان.

نور في بعض احوال الطفل في المكتب

اعلم انه اذا اراد ان يضع ولده في المكتب فليقصد المعلم العفيف صاحب الدين المرضي والاخلاق الحميدة وذلك ان المعلم يكسب الصبي دينه واخلاقه كما هو المشاهد وليضعه بين اترابه من الصبيان والاولى ان لا يكون بينهم بالغ يحصل الريب منه الا ان يكون نائب المعلم والاولى ان لا يكون بالغاً ايضاً، ولايوضع الصبيان والبنات بمكتب واحد لئلا ينجر الى المحبة والتعشق بينهم مع انه ورد النهي من الشارع عن تعليم البنات سوى سورة النور وذلك ان فيها حدّ الزاني بقوله تعالى الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مأة جلدة ويتأكدا الكراهة في تعليم سورة يوسف وأحسن احوالهن المغزل قال عليه السلام مروا نسائكم بالمغزل فأنه خير لهنّ وازين وقال عليه السلام المغزل في يد المرأة الصالحة كالرمح في يد المغازي المريد وجه الله.

ونهى عليه السلام عن انزال النساء الغرف وايضاً في تعليمهن علم المكتب مظنة الاجتراء على تعلم علم السحر لانه اقرب اليهن من غيرهن وكانت العرب تمدح النساء بعدم تعلم السور قال عبيد بن حصين الملقب بالراعي من كثرة وصفه الابل:

هن الحرائر لا ربات اخمرة   سود المحاجر لا يقرأن بالسور

والباء في بالسور زائدة للتأكيد، وينبغي للمعلم اذا اتى بالصبي ان ينظر اليه اوّل نظرة بعين الهيبة والبطش حتى يخافه من ذلك وان تكون آلة تأديبه للصبيان كالفلكة معلقة فوق رؤسهم ينظرون اليها وان يخرج عنهم احياناً ويتركهم وانفسهم لئلا تموت قلوبهم من كثرة جلوسه معهم ولا شيء في الدنيا احب الى الطفل من مرض معلمه او غيبته ومن ثم قال بعض الظرفاء لما خرجوا الى الاستسقاء فقال بعضهم اخرجوا الاطفال معكم فان دعائهم سريع الاجابة فقال ذلك الرجل دعنا من هذا الكلام لو كان لهم دعوة مستجابة لما بقى معلم على وجه الارض وينبغي للمعلم ان يقسم لحظاته بين الصبيان الا ان يكون يعطي الاجرة من واحد ازيد من غيره وحينئذ فينبغي له كثرة التوجه اليه لانه انما يعطي لهذا ولما كان اول ما يتعلمه الصبي هو تعداد حروف الهجاء وبعده تعليم ابجد فلا بأس ببيان معناهما فنقول.

روينا بالاسانيد المتكثرة الى الرضا عليه السلام قال ان اول ما خلق الله عز وجل ليعرَف به خلقه الكتابة الحروف المعجم وان الرجل اذا ضرب على رأسه بعصى فزعم انه لا يفصح بعض الكلام فالحكم فيه ان تعرض عليه حروف المعجم ثم يعطى الدية بقدر ما لم يفصح منها ولقد حدثني ابي عن ابيه عن جدّه عن امير المؤمنين صلوات الله عليهم في ا ب ت ث قال الالف آلاء الله، والباء بهجة الله، والتاء تمام الامر بقائم آل محمد صلى الله عليه وآله والثاء ثواب المؤمنين على اعمالهم الصالحة، ج ح خ فالجيم جمال الله والحاء حلم الله عن المذنبين، والخاء خمول ذكر اهل

المعاصي عند الله عز وجل، د ذ فالدال دين الله والذال من ذي الجلال، ر ز فالراء من الرأوف الرحيم، والزاء زلالزل القيامة، س ش فالسين سناء الله والشين شاء ما شاء واراد ما اراد، وما تشاؤون الا ان يشاء الله، ص،ض فالصاد من صادق الوعد في حمل الناس على الصراط وحبس الظالمين عند المرصاد والضاد ضلّ من خالف محمداً وآل محمد ﷺ ط ظ فالطاء طوبى للمؤمنين وحسن مآب والظاء ظن المؤمنين بالله خيراً وظن الكافرين به سوء، ع غ فالعين من العلم والغين من الغنى ف ق فالفاء فوج من افواج النار، والقاف قرآن على الله جمعه وقرانه ك ل فالكاف من الكافي واللام لغو الكافرين في افترائهم على الله الكذب، م ن فالميم ملك الله يوم لا مالك غيره، ويقول الله عز وجل لمن الملك اليوم ثم ينطق ارواح انبيائه ورسله وحججه فيقولون لله الواحد القهار فيقول الله جل جلاله اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب والنون نوال الله للمؤمنين ونكاله بالكافرين و هـ فالواو ويل لمن عصى الله والهاء هان على اللخ من عصاه لا ى فلا الف لا اله الا الله وهي كلمة الاخلاص ما من عبد قالها مخلصاً الا وجبت له الجنة، والياء يد الله فوق ايديهم باسطة بالرزق سبحانه وتعالى عما يشركون ثم قال عليه السلام ان الله تبارك وتعالى انظل هذه القرآن بهذه الحروف التي يتداولها جميع العرب.

وروى الصدوق طاب ثراه باسناده الى الحسين عليه السلام قال جاء يهودي الى النبي ﷺ وعنده امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام فقال له ما الفائدة في حروف الهجاء فقال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام اجبه وقال اللهم وفقه وسدده، فقال علي بن ابي طالب عليه السلام ما من حرف الا وهو اسم من اسماء الله عز وجل ثم قال اما الالف فالله الذي لا اله الا هو الحي القيوم واما الباء فباق بعد فناء خلقه، واما التاء فالتوّاب يقبل التوبة عن عباده، واما الثاء فالثابت الكائن يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت واما الجيم فجلّ ثناؤه وتقدست اسماؤه واما الحاء حي عليم (حليم خ) واما الخاء فخبير بما يفعله العباد واما الدال فديان يوم الدين واما الذال فذو الجلال والاكرام واما الراء فرؤف بعباده واما الزاء فزين المعبودين واما السين فالسميع البصير واما الشين فالشاكر لعباده المؤمنين واما الصاد فصادق في وعده ووعيده واما الضاد فالضار النافع واما الطاء فالطاهر المطهر واما الظاء فالظاهر المظهر لاياته واما العين فعالم بعباده واما الغين فغياث المستغيثين واما الفاء ففالق الحب والنوى واما القاف فقادر على جميع خلقه واما الكاف فالكافي الذي لم يكن له كفوا احد لم يلد ولم يولد واما اللام فليطف بعباده واما الميم فمالك الملك واما النون فنور السموات والارض من نور عرشه، واما الواو فواحد صمد لم يلد ولم يولد واما الهاء فهاد لخلقه واما اللام الفا فلا اله الا الله وحده لا شريك له واما الياء

فيد الله باسطة على خلقه فقال رسول الله ﷺ هذا هو القول الذي رضى الله عز وجل من جميع خلقه فأسلم اليهودي.

وبعد ما يعلمه هذه الحروف يعلمه ابجد وتفسيره على ما رواه صاحب المجالس باسناده الى امير المؤمنين عليه السلام قال سأل عثمان بن عفان رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله ما تفسير أبجد فقال رسول الله ﷺ تعلّموا تفسير أبجد فأن فيها الاعاجيب كلها ويل لعالم جهل تفسيره فقيل يا رسول الله ما تفسير ابجد؟ فقال رسول الله ﷺ اما الالف فالاء الله حرف من اسمائه واما الباء فبهجة الله وجلاله وجماله واما الدال فدين الله واما هوز فالهاء هاء الهاوية فويل لمن هوى في النار واما الواو فويل لاهل النار واما الزاء فزاوية الله في النار نعوذ بالله مما في الزاوية يعني زوايا جهنم واما حطي فالحاء حطوط الخطايا عن المستغفرين في ليلة القدر وما نزل به جبرئيل مع الملائكة الى مطلع الفجر واما الطاء فطوبى لهم وحسن مآب، وهي شجرة غرسها الله عز وجل ونفخ فيها من روحه وان اغصانها لترى لهم من وراء سور الجنة تنبت بالحلي والحلل متدلية على افواهم واما الياء فيد الله فوق خلقه سبحانه وتعالى عما يشركون واما كلمن فالكاف كلام الله لا تبديل لكلمات الله ولن تجد من دونه ملتحداً واما اللام فالمام اهل الجنة بينهم في الزيارة والتحية والسلام وتلاوم اهل النار فيما بينهم واما الميم فملك الله الذي لا يزول ودوام الله الذي لا يفنى واما النون فنون والقلم وما يسطرون فالقلم قلم من نور وكتاب من نور في لوح محفوظ يشهده المقربون وكفى بالله شهيداً، واما سعفص فالصاد صاع بصاع وفص بفص يعني الجزاء بالجزاء وكما تدين تدان ان الله لا يريد ظلماً للعباد، واما قرشت يعني قرشهم فحشرهم ونشرهم الى يوم القيامة، وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون.

وقد روى تفسير آخر عن المسيح عليه السلام وهو انه لما نشأ صار يدور مع الصبيان فبينما هو كذلك اذ وثب غلام منهم على آخر فوكزره برجله فقتله فجاء اهله وتعلقوا بالصبيان وقالوا من قتل هذا الغلام؟ فقالوا قتله عيسى فقال القاضي لعيسى لم قتلت هذا الغلام فقال عيسى للقاضي اراك حاكماً جهولا لم لا تسألني هل قتلت؟ فقال القاضي اراك غلاماً عاقلاً قال له القاضي فما اسمك؟ فقال عيسى بن مريم فقال القاضي يا عيسى لم قتلته فقال عيسى للقاضي بهذا امرتك ثم دنى عيسى من المقتول، ثم قال له قم بأذن الله الذي يحيي العظام وهي رميم قال فاستوى المقتول جالساً، فقال له عيسى من قتلك؟ فقال قتلني فلان بن فلان وهذا عيسى بريء من دمي، فتعجب الناس من ذلك واخذوا الغلام القاتل فقتلوه ثم ان المقتول بعد اقراره على من قتله عاد الى موته كما كان ثم اخذت مريم بيد عيسى فانطلقت به الى منزلها وقالت يا بني لا ترجع تلعب مع الصبيان وانطلق معي الى معلم رأيته هناك فلعلك ان تتعلم منه شيئاً

تنتفع به فقال يا اماه ان ربي قد اعطاني غنى عن تعليم المعلمين، وقد علمني التورية والانجيل وانا في بطنك فقالت صدقت غير انك تكون عند معلم خير من ان تكون مع الصبيان قال فانطلقت به الى ذلك المعلم فقال له المعلم يا غلام فقال عيسى ايها المعلم انك لجاهل ينبغي لك اذا سلَموا اليك غلاماً ان تعرف اسمه قبل ان تعلمه فتدعوه باسمه فقال المعلم صدقت فما اسمك؟ قال عيسى بن مريم قال المعلم يا عيسى إقرء بسم الله فقال عيسى عليه السلام عند ذلك بسم الله الرحمن الرحيم فقال المعلم قل أبجد فقال عيسى عليه السلام له ما معنى أبجد؟ فغضب المعلم عند ذلك فقال له عيسى لا تغضب فان الانسان خلق ولا علم له فقال المعلم لعيسى ما ابجد فقال عيسى للمعلم قم من موضعك الى موضعي حتى اقعد مكانك ففعل المعلم ذلك فقال عيسى الالف آلاء الله والباء بهاء الله والجيم جمال الله والدال دين الله قال المعلم احسنت يا عيسى فما هور قال عيسى اما الهاء فهو الله الذي لا اله الا هو والواو ويل يومئذ للمكذبين والزاء زبانية جهنم قال المعلم احسنت يا عيسى ثم قال المعلم فما حطى فقال عيسى اما الحاء فهي حطوط الخطايا عن المذنبين والطاء شجرة طوبى والياء يد الله على خلقه قال المعلم احسنت يا عيسى ثم قال فما كلمن؟ قال عيسى اما الكاف فهو كلام الله واما اللام فانها لقاء اهل الجنة بعضه ببعض، واما الميم فانها ملك الله واما النون فانها نساء اهل الجنة فقال المعلم احسنت يا عيسى فما صعفص، فقال عيسى عليه السلام اما الصاد الاولى فصاع بصاع واما العين فعلم الله واما الفاء فانها افعاله الجميلة، واما الصاد الاخرى فانها الصدق في اقواله، فقال احسنت يا عيسى ثم أخ بيده وانطلق به الى امه فقال لها خذي ولدك فانه علمني ما لم اكن احسنه ولا اعلمه.

وينبغي للمعلم ان يعلم الصبيان هذه المعاني وينسرها لهم واما اجرة المعلم فقيل بتحريمه مطلقاً وقيل بأن الحرام منه ما كان على تعليم القرآن وقيل لا يحرم الاجر الا على القدر الضروري منه كالفاتحة والسورة نعم قال اهل هذه الاقوال انه يعلم ليهدي اليه الهدية ولا يشارط من اول الامر فما يهدي اليه من جهة التعليم حلال اجماعاً والاولى القول بتحليل الاجر مطلقاً، وحمل ما ورد فيه من النهي اما على التقية او على الكراهة ويؤيده ما رواه الشيخ عن ابي قرة قال قلت لابي عبد الله عليه السلام ان هؤلاء يقولون ان كسب المعلم سحت فقال كذبوا اعداء الله انما ارادوا ان لا يعلم القرآن ولو ان المعلم اعطاه رجل ديه ولده كان للمعلم مباحاً.

والذي يدل على كراهة الاجر قول الصادق عليه السلام المعلم لا يعلم بالاجر ويقبل الهدية اذا اهدى ليه وعن اسحاق بن عمار عن العبد الصالح عليه السلام قال قلت له ان لنا جاراً يكتب وقد سألني ان اسألك عن عمله قال مره اذا دفع اليه الغلام ان يقول لاهله اني اعلمه الكتاب

والحساب وائتجر عليه بتعليم القرآن حتى يطيب له كسبه وعن حسان قال سألت ابا عبد الله عليه السلام عن التعليم قال لا تأخذ على التعليم اجراً قلت الشعر والرسائل وما اشبه ذلك اشارطه عليه قال نعم بعد ان يكون الصبيان عند سواء في التعليم لا تفضل بعضهم على بعض.

واما قول من قال بتحريم الاجر على الواجب منه فهو تعويل على ما قاله كثير من العلماء من تحريم اخذ الاجرة على الواجبات كتغسيل الموتى وتكفينهم ونقلهم الى حفرهم والاذان وهذه القاعدة لا تكاد تتم اما اولاً فلانه قد ورد في بعض الموارد الخاصة جواز اخذ الاجر على الواجبات.

واما ثانياً فلان هذه الواجبات الكفائية كثيرة جداً مع ان الاصحاب رضوان الله عليهم قاطعون بجواز اخذ الاجر عليها، وذلك كالخياطة والحياكة والتجارة ونحوها مما يحتاج اليه الانسان في تعيشه وبقائه، فان اهل هذه الصناعات لو تركوا القيام بها لوجبت على غيرهم ممن يمكنه القيام بها ولجاز للحاكم ان يضطرهم ويجبرهم عليها مع انها من الواجبات نعم قد ورد النهي عن جواز اخذ الاجرة على بعض الواجبات فيقتصر فيه على مورده، وذلك كالاذان فانه قال صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام يا علي لا تتخذنّ مؤذناً يأخذ على الاذان اجراً، وروى الطاهرون عليهم السلام ابيهم علي عليه السلام انه اتاه رجل فقال يا امير المؤمنين والله اني لاحبك لله فقال له ولكني ابغضك لله، قال ولم؟ قال لانك تبغي في الاذان وتأخذ على تعليم القرآن اجراً وسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول من أخذ على تعليم القرآن اجراً كان حظه يوم القيامة والنهي فيه للمؤذن يمكن حمله على التحريم واما على تعليم القرآن فهو محمول على الكراهة جمعاً بين الاخبار مع جواز ان يحمل حديث الجواز على ما اذا لم يشارط في تعليم القرآن اجراً معلوماً، وحمل هذا الحديث وما روى (ورد خ) في معناه على ما اذا شارط عليه كما قاله الشيخ الطوسي (ره).

واذا بلغ عشر سنين مميزاً جازت وصاياه وتصدقاته ووقوفاته الى غير ذلك من موراد الخير قال الصادق عليه السلام اذا بلغ الغلام عشر سنين فأوصى بثلث ماله في حق جازت وصيته واذا كان ابن سبع سنين فأوصى من ماله باليسير في حق جازت وصيته وما تضمنه من جواز وصيته من بلغ العشر قد عمل به اكثر الاصحاب سوى ابن ادريس (ره) فانه اشترط البلوغ في كل تصرفاته ولم يعمل بهذا الخبر وما في معناه لانها اخبار آحاد عنده واما ابن سبع سنين فلم يذهب احد الى جواز وصيته سوى ما نسبه شيخنا الشهيد الثاني (ره) الى ابن بابويه وذلك انه نقل هذا الخبر في كتابه وذكر في اول الكتاب انه يعمل بكل ما اورده فيه واما ابن الجنيد فقد جوّز وصايا من بلغ ثمان سنين.

نور في وقت بلوغه وما يتبعه من الاحوال

اعلم ان المشهور بين العلماء هو ان بلوغ الصبي يعتبر تارة بالامناء يقظة او نوماً وتارة بالبلوغ خمس عشرة سنة واخرى لالانبات والصبية ببلوغ التسع او بالحيض ووجه انها تشب بالتسع ما يشبه (يشب ظ) الولد بالخمس عشرة، وتحيض على التسع لحرارة الطبيعة فيها ومن ثم انقطع نسلها، ويأست على الخمسين او الستين، وذلك ان حرارتها شعلة تشب من التسع الى الخمسين فتخمد نارها سريعاً وتبرد حرارتها الشديدة واما الرجل فحرارته اقل منها فتكون بارزة الى الوجود تدريجاً ونظير هذا في الحكايات ما روى ان هارون الرشيد دخل عليه فقير فسأله الرشيد لم تكون اعمار الفقراء اطول من اعمار الملوك والاغنياء؟ فقال له الفقير ذلك بسبب ان الاغنياء قد آتاهم الله ارزاقهم دفعة واحدة فأكلوها وفنيت اعمارهم لفنائهم ارزاقهم وما الفقراء فأرزاقهم تأتيهم على سبيل التدريج ولم يكونوا يموتوا حتى تستكمل ارزاقهم فقال له هارون صدقت ثم انه امر له بعطية جزيلة فلما اخذها وصار الى منزله مات بعد مدة قليلة فاتصل خبره بهرون فقال انا دفعنا اليه رزقه دفعة واحدة فأكله فمات.

فاذا بلغ وتمّ بلوغه استقبلته التكاليف الالهية وكتبت اعماله واقواله في الدفاتر السماوية ونزل اليه الكاتبان رقيب وعتيد فرقيب يكون معه على يمينه يكتب حسناته وعتيد معه على يساره يكتب سيئاته ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد سمى به لانه يقول لعتيد اذا اراد المبادرة بكتابة الذنب له رقبة لعله يتوب فيرتقبه سبع ساعات واما عتيد فهو بمعنى الحاضر وذلك لانه لا يفارقه في حال من الاحوال ومن هذا كان علي عليه السلام اذا اراد الدخول الى بيت الخلاء التفت الى كاتبيه فقال اميطا عني فلكما الله علي انم لا احدث حدثا حتى اخرج اليكما وهذان الكاتبان يكتبان اعمال اليوم الى الليل فيأتيان مع الصحيفتين الى امام العصر ويعرضهانهما عليه فيقرأهما فما كان من صحيفة سيئآت شيعته استغفر الله لهم واصلح ما كان يقبل الاصلاح ولهذا قال عليه السلام لشيعته اذا اتتني صحيفة سيئاتكم فلتكن صحيفة قابلة للاصلاح يعني ينبغي ان يكون كالكتاب الذي فيه غلط لا ان يكون كله غلطاً فانه لا يقبل الاصلاح والعرض على امام العصر انما يكون بعد العرض على روح النبي صلى الله عليه وآله ومن تقدم ذلك الامام من آبائه الطاهرين وذلك لئلا يكون علم آخرهم ازيد من علم اولهم كما وردت به الرواية.

وروى انه صلى الله عليه وآله قال حياتي خير لكم ومماتي خير لكم اما حياتي فقد قال الله سبحانه وتعالى ﴿وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم﴾ وذلك ان بعض المنافقين قال اللهم ان كان ما يتلوه محمد من القرآن عندك فامطر علينا حجارة من السماء فقال تعالى ﴿سأل سائل بعذاب واقع﴾ وقال صلى الله عليه وآله ما دمت بينهم فلم ينزل عليهم العذاب واما مماتي فهو ان اعمالكم تعرض عليّ

خميس وجمعة فأستغفر لكم الله واسأله التجاوز عن ذنوبكم وهذا كله هو المراد من قوله تعالى ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾فان المراد بالمؤمنين هنا الائمة عليهم السلام على ما في الاخبار.

ثم بعد هذا العرض يصعدان باعماله الى موقف العرض ويأتي اليه ملكان آخران لكتابة اعمال الليل فيكتبان على الى طلوع الفجر ثم اذا ارادا العروج هبط ملكان آخران ويجتمع الاربعة اول وقت صلوة الصبح كما قال تعالى ﴿وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا﴾ والمراد بقرآن الفجر صلوة الصبح من باب تسمية الكل باسم جزئه اشارة الى ارجحية طول القراءة فيها ومعنى مشهودا انها تشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار فاذا بادر المكلف الى فعلها اول وقتها اثبتتها له ملائكة الليل وملائكة النهار في صحائف الليل والنهار وكل ملكين يصعدان لا ينزلان الى يوم القيامة وفي الحديث ان السبب فيه لا يشتهر بكثرة قبائحه بين الملائكة.

وتفصيل صعود الاعمال ما رويناه بالاسانيد الكثيرة عن خالد بن سعدان انه قال لمعاذ حدثني حديثاً (بحديث خ) سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله حفظته وذكرته في كل يوم من شدته ودقته قال نعم ثم بكى بكاء طويلاً ثم قال واشوقاه الى رسول الله صلى الله عليه وآله والى لقائه ثم قال بينما انا عند رسول الله صلى الله عليه وآله اذ ركب واردفني ثم سرنا فرفع بصره الى السماء وقال الحمد يقضي في خلقه ما يشاء يا معاذ قلت لبيك يا رسول الله يا سيد المرسلين قال احدثك بحديث ان انت حفظته نفعك وان انت ضيعته انقطعت حجتك عند الله عز وجل يا معاذ ان الله تعالى خلق سبع املاك قبل ان يخلق السموات فجعل في كل سماء ملكاً قد جللها بعظمته وجعل لكل باب من ابواب السموات ملكاً بواباً.

فيكتب الحفظة عمل العبد من حين يصبح الى حين يمسي ثم ترتفع الحفظة بعمله وله نور كنور الشمس حتى اذا بلغ سماء الدنيا فتزكيه وتكثره فيقول قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انا ملك الغيبة فمن اغتاب لا ادع عمله يجاوزني الى غيري امرني بذلك ربي قال ثم تجيء الحفظة من الغد ومعهم عمل صالح فتمر به تزكيه وتكثره حتى يبلغ السماء الثانية فيقول الملك الذي في السماء الثانية قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انما اراد بهذا رض الدنيا انا صاحب الدنيا لا ادع عمله يجاوزني الى غيري قال ثم تصعد الحفظة بعمل العبد مبتهجاً بصدقة وصولة فتعجب به الحفظة وتجاوزه الى السماء الثالثة فيقول الملك قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه وظهره انا صاحب الكبر انه عمل وتكبّر على الناس في مجالستهم امرني ربي لا ادع عمله يجاوزني الى غيري، قال وتصعد الحفظة بعمل العبد يزهر كالكوكب الدري في السماء له دوي بالتسبيح والصوم والحج، فتمرّ به الى السماء الرابعة فيقول لهم الملك قفوا

واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه وبطنه انا ملك العجب انه كان يعجب بنفسه وانه عمل وادخل نفسه العجب امرني ربي لا ادلع عمله يجاوزني الى غيري.

قال وتصعد الحفظة بعمل العبد كالعروس المزفوفة الى بعلها فتمر به الى ملك السماء الخامسة بالجهاد والصدقة ما بين الصلوتين ولذلك العمل ضوء كضوء الشمس فيقول الملك قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واحملوه على عاتقه انا ملك الحسد انه كان يحسد من يتعلم او يعمل لله بطاعته واذا رآى لاحد فضلاً في العمل والعبادة حسده ووقع فيه، فيحمله على عاتقه ويلعنه عمله، قال وتصعد الحفظة بعمل العبد فتتجاوز السماء السادسة فيقول الملك قفوا انا صاحب الرحمة اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واطمسوا عينيه ان صاحبه لا يرحم شيئاً اذا اصاب عبد من من عباد الله ذنباً للاخرة او ضرّا في الدنيا شمت به امرني ربي لا ادع عمله يجا-وزني قال وتصعد الحفظة بعمل العبد بفقه واجتهاد وورع وبه صوت كالرعد وضوء كضوء البرق ومعه ثلاثة آلاف ملك فتمر به الى ملك السماء السابعة فيقول الملك قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انا ملك الحجاب احجب كل عمل ليس لله تعالى انه اراد رفعة القواد وذكرا في المجالس وصيتا في المدائن امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري ما لم يكن له (لله خ)خالصاً قاتل وتصعد الحفظة بعمل العبد مبتهجاً من صلو وزكوة وصيام وحج وعمرة وخلق حسن وصمت وذكر كثير تشيعه ملائكة السموات والملائكة السبعة بجماعتهم فيطأون الحجب كلها حتى يقوموا بين يديه سبحانه فيشهدوا له بعمل ودعاء فيقول انتم حفظة عمل عبدي وانا رقيب على ما في نفسه لم يردني بهذا العمل عليه لعنتي فيقول الملائكة عليه لعنتك ولعنتنا الحديث. وهو طويل ينبهك على ان العمل الصالح الخالص من الشوائب اقل قليل نسأل الله التوفيق للاخلاص فيه.

ويستفاد من هذا الحديث ان السماء لها ابواب وفرج واليها صعود وهبوط وقد حمل بعض المحققين ما روي عن الرضا عليه السلام من ان الصلوة لها اربعة آلاف باب على ابواب السماء التي يصعد اليها بالصلوة والظاهر غير هذا وهو ان يكون المراد بالابواب الاحكام ويؤيده ما روي في حديث آخر من ان الصلوة لها اربعة آلاف حدّ ويمكن توجيه الحدود بان واجباتها الف كما ذكره شيخنا الشهيد في الالفية وتروك هذه الالف محرمات فهذان الفان ومستحباتها ايضاً الف كما ذكر اكثره في النفلية وتروك هذه الالف مثلها من المكروهات فالمجموع اربعة آلاف، نعم ورد في كثير من الاخبار ان المؤمن اذا كات بكت عليه البقاع التي كان يعبد الله عليها وملائكة اعماله وابواب السماء التي كان يصعد منها بعمله.

فان قلت ما معنى بكاء البقاع والابواب ونحوها من الجمادات قلت قد ذكر له معان: اولها ان البكاء الصادر منها انما هو بلسان الحال لا المقال ومثل هذا قد ورد في لسان العرب كثيراً وذلك انهم ينسبون البكاء على الاحباب الى منازلهم واطلالهم ونحوها وثانيها ان الافعال المنسوبة الى الجمادات كالبكاء والتسبيح والتقديس وغير ذلك انما هو في الحقيقة لاهلها ولمن حل بها وهو من المجازات المشهورة.

وثالثها ان الله سبحانه قد ركب في الجمادات نوعاً من العلم والشعور للخضوع والانقياد لخالقا وبارئها وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ومن هذا قال بعضهم ان تسبيح الحصاة في كفّه ﷺ ليس باعجاز انما الاعجاز في اسماعه الصحابة وهذا هو الذي دلَت عليه الاخبار فلا عدول عنه.

وبالجملة فرقيب وعتيد يكتبان عليه من اول بلوغه الى اربعين سنة ولكن يسامحونه هذه المدة ولا يشددان عليه في امر الكتابة لتظافر دواعي الشهوات والاثام فاذا بلغ الاربعين اوحى الله الى ملكيه ان اكتبا وتحفظا على اعماله ولا تسامحوه في شيء فقد روى ان الذنب الواحد ربما كتبوه في سبعة ارقعة وذلك لقلة الدواعي وللاخذ في انقاص الشهوات فاذا اتى ذنباً فقد اتاه من وجه شقائه لا من حيث الشهوة وكلما بلغ سنّه زاد التشديد عليه ومن هذا قال عليه السلام اني لاعجب كل العجب من رجلين والله يبغضهما فقير متكبر وشيخ زان وفي الرواية ان الرجل اذا شابت لحيته وبقى على ما كان عليه من مقارفة الذنب اتاه الشيطان ووقف بحياله وقال بأبي وجهاً لا يفلح ابداً انت مناي ومرادي فيسرجه ويلجمه ويركب على ظهره ويورده موارد الهلاك وربما نزل عنه وقال ان ظهره لنا متى اردنا ركبناه.

ويجب على من دخل تحت قلم التكليف ان يبادر الى البحث والفحص عن احوال طريقه ومذهبه الذي يوصله الى النجاة لان الاديان والمذاهب قد تشعبت بعد النبي ﷺ وكل فرقة ادعت انها هي المحقة وانها من اهل الجنة وفسقت او كفرت غيرها وفي الطريق المتواتر عن النبي ﷺ ان امة موسى افترقت بعده احدى وسبعين فرقة فرقة ناجية والباقون في النار وان في امة عيسى افترقت بعده اثنين وسبعين فرقة فرقة ناجية والباقون في النار وان امتي ستفترق بعدي ثلاثاً وسبعين فرقة فرقة ناجية والباقون في النار، وقد اخبر ﷺ عن افتراق الامة بعده وابتداعهم الاديان ورجوعهم القهقرى والى هذا اشار قوله تعالى ﴿وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم﴾.

وقد ذهب جمهور المخالفين الى ان اختلاف الامة بعده ﷺ هو الاصلح والاولى بحالهم واستدلوا عليه بالكتاب والسنة اما الكتاب فقوله تعالى ﴿ولا ويزالون مختلفين الا من رحم ربك

﴾ ولذلك خلقهم أي للاختلاف خلقهم، فدل على ان اختلافهم حسن لانهم خلقوا لاجله كما قال ﴿وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون﴾ واما السنة فما روى عنه ﷺ من قوله اختلاف امتي رحمة والجواب اما عن الاية فقد ورد في تفسيرها عن اهل البيت عليهم السلام ان المشار اليه في قوله ولذلك الرحمة المدلول عليها بالفعل فيكون حاصل المعنى ان ربك انما خلقهم ليرحمهم ويؤلف بينهم لكنهم اختاروا الاختلاف والتضاد فحرموا الرحمة منه سبحانه وتعالى واما عن الحديث فقد روى عن الصادق عليه السلام حين سأل عن معناه فقال عليه السلام انما عنى به رسول الله ﷺ الاختلاف الى البلاد لتحصيل العلوم والمعارف، كما قال تعالى ﴿ولولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون﴾ وكيف يأمر ﷺ بالاختلاف مع استلزامه التضاد بين الامة واختلاف الدين وهو واحد.

واما الداعي لهم الى هذه المقالة فهو ما وقع بين الصحابة بعده ﷺ من التشاجر والجدال كما وقع بين بني هاشم وبين تيم وعدي على الخلافة وكما في حكاية قتل عثمان وان الذين قتلوه كانوا اكابر الصحابة واجلائها حتى انه قد روى يوسف بن عبد الله النمري وهو من فضلائهم في كتاب استيعاب الرجال في احوال محمد بن ابي بكر ما هذا لفظه وكان علي عليه السلام يثني على محمد بن ابي بكر ويفضله لانه كانت له عبادة واجتهاد وكان ممن حضر قتل عثمان وقيل انه شارك في دمه انتهى، فاذا اقروا على علي عليه السلام بأنه انما كان يعظم محمد لاجل قتل عثمان فيجب عليهم ان يبترأوا اما من علي عليه السلام ومحمد او من عثمان لان قتل امام المسلمين كفر بالله باجماع المسلمين وكذا الرضا بقتله والاعانة عليه.

وقد صرحوا في كتبهم ان عائشة ما خرجت في قتال البصرة الا لطلب دم عثمان حتى انها لما قالت هذا الكلام لام سلمة رضي الله عنها صرخت أم سلمة وقالت يا عائشة انت بالامس تشهدين على عثمان بالكفر لما منعك من ارث رسول الله ﷺ وسميته نعثلا باسم يهودي كان في المدينة وقلت اقتلوا نعثلا قتله الله، والان تطلبين بدمه وتقولين انه امام المسلمين فقالت عائشة نعم لانه تاب وصار كالسبيكة وخرج من ذنوبه ولو انهم قتلوه ذلك الوقت لا طلبت بدمه هذا مع ان عثمان كان صاحب اولاد وكانوا اولياء دمه وعائشة اجنبية بالنسبة اليه، والجهاد موضوع عن النساء وقد امر الله نساء النبي ﷺ بالاستقرار في المنازل وعدم الخروج منها فقال وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى، ولعمرك انها زادت على برتج الجاهلية الاولى بالوقوف بين صفوف العساكر حتى قتل لاجلها آلاف من المسلمين وكذلك الاختلاف الذي وقع بين علي عليه السلام ومعاوية الذي سموه خال المؤمنين باعتبار اخته ام حبيب وقد قتل في حرب صفين ثمانون الفامن الطرفين فما هذه الرحمة التي في هذا الاختلاف أتكفير

بعضهم بعضاً ام اهراق دماء المسلمين وليس هذا الا من عجزهم عن جواب هذه المسألة وظنهم الخير بالطرفين وهو غير محتاج اليه فان صحبة الانبياء لو كانت وحدها مظنة حسن الحال لكان القرب اليهم بالنبوة والزوجية يفيده بالطريق الاولى ولما ورد الذم والتوبيخ لابن نوح وزوجته وزوجة لوط مع تمام العلاقة بينهم بالنسب وقبل الخوض في الاستدلال على المذهب الحق لا بدَ من تفصيل الفرق وادیانها واختلاف اعتقاداتها الذي بانت بسببه الطوائف بعضها عن بعض وقد تعرّض بعضهم لمثل هذا لكن اما بايجاز مخلَ او باطناب ممل.

نور في بيان الفرق واديانها وما يتعلق به من المقدمات واللواحق.

اعلم اولاً ان الناس ينقسمون الى اهل الديانات وهم اليهود والنصارى والمجوس والمسلمون والى اهل الاراء والاهواء مثل الفلاسفة والدهرية والصائبة وعبدة الكواكب والاوثان والبراهمة ويفترق كل منهم فرقاً فافترقت المجوس على سبعين فرقة واليهود على احدى وسبعين فرقة والنصارى على اثنين وسبعين فرقة والمسلمون على ثلث وسبعين فرقة كما تقدم والناجية ابداً من الفرق واحدة، لقوله ﷺ لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق الى يوم القيامة.

واما ضبط القواعد التي يبنى (يبتنى خ) عليها مناط الاختلاف كله فهي اربع على ما قيل اولها الصفات والتوحيد، ويندرج فيها صفات الذات وصفات الفعل وما يجب على الله وما يجوز عليه وما يمتنع وفيها الخلاف بين الاشعرية والكرامية والمجسمة والمعتزلة كما سيأتي.

وثانيها القدر والمعدل ويندرج فيها مسائل لقضاء والقدر والجبر والكسب وارادة الخير والشر المقدور والمعوم وفيها الخلاف بين القدرية والبخارية والجبرية والاشعرية والكرامية، وثالثها الوعد والوعيد والاسماء والاحكام ويندرج فيها الايمان والتوبة والوعد والوعيد والارجاء والتكفير والتضليل وفيها الخلاف بين المرجئة والوعيدية والمعتزلة والاشعرية والكرامية.

ورابعها السمع والعقل والرسالة والامامة ويندرج فيه مسائل التحسين والتقبيح والصلاح والاصلح واللطف والعصمة في النبوة وشرائط الامامة نصباً عند جماعة واجماعاً عند آخرين وكيفية انتقالها على مذهب من قال بالنص وكيفية اثباتها على مذهب من قال بالاجماع والخلاف فيها بين الشيعة والخوارج والمعتزلة والكرامية والاشعرية واصل الفرق الاسلامية اربعة القدرية، الصفائية، الخوارح، الشيعة، ثم يتركب بعضها مع بعض وينشعب (يتشعب خ) عن كل فرقة اصناف فصل الى ثلث وسبعين فرقة ويجب ان يدرى ان السبب

الاولى في الشبه التي انبعثت منها تفرق الاراء والمذاهب هو متابعة خطوات الشيطان في شبهاته الاولية وهي استقلاله بالرأي في مقابلة النص واختياره الهوى في معارضة الامر واستبكاره بالمادة التي خلق منها وهي النار على مادة آدم عليه السلام وهي الطين.

وانشعبت هذه الى سبع شبه حتى ارتكزت في اذهان الناس وسارت فيهم وزيّنها في اعينهم حتى صارت مذاهب مبتدعة وتلك الشبهات مسطورة في الاناجيل الاربعة ومذكورة في التورية متفرقة على شكل مناظرة بينه وبين الملائكة بعد الامر بالسجود والامتناع عنه كما نقل عنه اني سلَمت ان الباري تعالى الهي واله الخلق عالم قادر ولا يسأل عن قدرته ومشيته فانه مهما اراد شيئاً قال له كن فيكون وهو عليك حكيم الا انه يتوجه على علمه وحكمته اسؤلة سبع قالت الملائكة وما هنَ قال اولها انه علم قبل خلقي أي شيء يصدر مني فلم خلقني اولاً وما الحكمة في خلقه اياي ثانيها اذ خلقني على مقتضى ارادته ومشيئته فلم كلفني بمعرفته وطاعته وما الحكمة في التكليف بعد ان لا ينتفع هو بطاعة ولا يتضرر بمعصية.

ثالثها اذ خلقني وكلفني فالتزمت تكليفه بالطاعة والمعرفة فعرفت واطعت فلم كلفني بطاعة آدم والسجود له؟ وما الحكمة في هذا التكليف على الخصوص بعد ان لا يزيد ذلك في معرفتي وطاعتي؟ رابعها اذ خلقني وكلفني على الاطلاق وكلفني بهذا التكليف على الخصوص فاذا لم اسجد فلم لعنني واخرجني من الجنة وما الحكمة في ذلك بعد ان لم ارتكب قبيحاً الا قولي لا اسجد الا لك؟ خامسها اذ خلقني وكلفني مطلقاً وخصوصاً فلم اطلع فلعنني وطردني فلم ادخلني الى آدم الجنة ثانياً حتى غررته بوسوستي فأكل من الشجرة المنهي عنها واخرجه من الجنة معي وما الحكمة في ذلك بعد ان لو منعني دخول الجنة استراح عني آدم وبقي خالداً فيها.

سادسها اذ خلقني وكلفني عموماً وخصوصا ولعنني ثم ادخلني الجنة وكانت الخصومة بيني وبين آدم فلم سلّطني على اولاده حتى اراهم من حيث لا يرونني ويؤثر فيهم وسوستي ولا يؤثر فيَ حولهم وقوتهم وقدرتهم واستطاعتهم وما الحكمة في ذلك بعد ان لو خلقهم على الفطرة فبعث سامعين مطيعين كان أحرى بهم واليق بالحكمة؟ سابعها سلّمت هذا كله خلقني وكلفني مطلقاً ومقيداً واذ لم اطع لعنني وطردني واذا اردت دخول الجنة مكنني واذ عملت عملتي اخرجني ثم سلطني على بني آدم حتى اذا استمهلته امهلني فقلت انظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم وما الحكمة في ذلك بعد ان لو اهلكني في الحال استراح خلق مني وما بقي شرّ في العالم أليس بقاء العالم على نظام الخير خيراً من امتزاجه بالشر؟ قال لعنه الله فهذه حجتي على ما ادعيته في كل مسألة.

قال شارح الانجيل فأوحى الله تعالى الى الملائكة ﷺ قولوا له انك في تسليمك الاول اني الهك واله الخلق غير صادق ولا مخلص اذ لو صدقت اليّ اله العالمين لما احتكمت عليّ بلم، فانا الله الذي لا اله الا انا لا اسأل عما افعل والخلق مسؤلون فهذه اصول الشبه والخلق كلهم قديماً وحديثاً قد اخذوا بها في جدال الانبياء ﷺ لان قولهم أبشر يهدوننا مثل قوله اسجد لمن خلقت طيناً، وقوله تعالى وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جائهم الهدى الا ان قالوا أبعث الله بشراً رسولاً، فبين ان المانع من الايمان هو هذا المعنى كما قال في الاول ما منعك ان تسجد اذ امرتك قال انا خير منه.

والمتقمون والمستأخرون على طريقة واحدة كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل فاللعين الاول لما حكم العقل على من لا يحكم عليه العقول لزمه ان يجري حكم الخالق في الخلق وحكم الخلق في الخالق الاول غلو والثاني تقصير فبان من الشبهة الاولى مذاهب الحلولية والتناسخية والمشبهة والغلاة حيث غلوا في شخص من الاشخاص حتى وصفوه صفات الجلال وصار من الشبهة الثانية مذاهب القدرية والجبرية والمجسمة حيث قصروا في وصفه تعالى بصفات المخلوقين والمعتزلة مشبهة الافعال والمشبهة حلولية الصفات ومذهب القدرية طلب العلة في كل شيء وذلك من فعل اللعين الاول اذ طلب العلة في الخلق اولا والحكمة في التكليف ثانياً والفايدة في تكليف السجود لادم عليه السلام ثالثاً وعنه نشأ مذهب الخوارج اذ لا فرق بين قولهم لا حكم الا لله فلا يحكم الرجال وبين قوله لا أسجد الا لك ءاسجد لبشر خلقته من صلصال، وقد اخبر النبي ﷺ بأنه يقع في هذه الامة ما وقع في الامم السالفة كما قال لتسلكن سب الامم قبلكم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة حتى لو دخلوا حجر ضب لدخلتموه وذلك ان الشبهات التي نشأت زمن النبي ﷺ مأخوذة من الشبهات الاولى بدليل انهم ما كانوا يرضون بحكمه في الامر والنهي سألوا عما منعوا عنه وجادلوا بالباطل واعتمدوا على العقل في مقابلة النص الا ترى الى قول التميمي إعدل يا محمد فانك لم تعدل حتى قال له ان لم اعدل فمن يعدل فعاود اللعين وقال هذه قسمة ما اريد بها وجه الله وذلك خروج على النبي ﷺ وأخذ بجادة العقل الناقص في مقابلة النص الجلي.

وانظر الى قول المنافقين يوم احد هل لنا من شيء وقولهم لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا هيهنا، وقولهم لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا فهل ذلك الا تصريح بالقدر وقول طائفة من المشركين لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء وقول طائفة أنطعم من لو يشاء الله اطعمه فهذا تصريح بالجبر، فهذه احوالهم في صحة بدنه فاعتراضهم على حركاته وسكناته نشأت منها الشبهات.

وانظر الى اختلافاتهم التي وقعت زمن مرضه ﷺ روى محمد بن اسماعيل البخاري في مسنده عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال لما اشتد بالنبي ﷺ مرضه الذي مات فيه قال ائتوني بدواة وقرطاس اكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعدي ابدا فقال عمر ان رسول الله ﷺ قد غلب عليه الوجع وفي اكثر الاحاديث بهذا اللفظ ان الرجل ليهجر أي يتكلم من غير شعور وهو الهذيان فكثر اللفظ فقال رسول الله ﷺ قوموا عني لا ينبغي عندي التنازع.

قال ابن عباس الرزية ما حال بيننا وبين رسول الله وقوله ﷺ في مرضه جهزوا جيش اسامة لعن الله من تخلف عنها، فقال قوم يجب علينا امتثال امره واسامة قد برز من المدينة وقال الاعرابيان قد اشتد مرض النبي ﷺ فلا تسع قلوبنا مفارقته وكانا كاذبين في هذا القول، وانما الذي دعاهما الى التخلف عن جيش اسامة هو ارادة الوثوب على الخلافة التي تعاقدوا عليها زمن حيوة النبي ﷺ وقد فهما ان غرضه عليه من تأمير اسامة عليهما واخراجهما من المدينة في ذلك الوقت ان تخلوا المدينة حتى لا ينازع احد علياً عليه السلام في امر الخلافة فلما فهما هذا رجعا من خارج المدينة ودخلاها واتفق انهما لما دخلا كان النبي ﷺ قد غشى عليه فلما افاق قال كلاماً معناه انه طرق المدينة طارق في هذه الساعة عليه لعنة الله وسيكون هلاك امتي على يديه.

واما بعد موته فقد اختلفوا ايضاً فقال العامة والخاصة عن عمر انه قال من قال ان محمداً قد مات قتلته بسيفي هذا، وانما رفع الى السماء كما رفع عيسى عليه السلام فقال له بعض الصحابة من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فانه حي لا يموت وقرأ هذه الاية ﴿وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفأن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم﴾ فرجع القوم الى قوله فقال عمر كأني ما سمعت بهذه الاية حتى قرأها بعضهم فانظر الى جهل هذا الرجل بأحوال الانبياء وقد كان ﷺ اكثر ما يحدث اصحابه في حيوته عن الموت واهواله وموت الانبياء وموته هو ﷺ فلعمرك لقد كان هذا الرجل أصم أذن الرأس كما كان أصم أذن القلب، وقد وقع الخلاف أيضاً في موضع دفنه ،فأراد أهل مكة من المهاجري رده الى مكة ودفنه بها لأنها موطنه وأراد أهل المدينة دفنه في المدينة لأنها دار هجرته وأرادة جماعة نقله الى بيت المقدس لأنها مدفن الأنبياء ومنه معراجه الى السماء ،فقال علي عليه السلام ان الله لم يقبض روح نبيه الآ في أشرف البقاع فرجعوا الى قوله وهذا يدل على أنهم وقت مرضه ﷺ ما كانوا ملازمين حتى يسمعوا منه موضع الدفن.

وأما الخلاف العظيم وهو الخلاف في الأمامة التي عمت بليته الخاص والعام وأهلك الأمة بعد نبيها فهو مشهور وفي الكتب مسطور، وقد ظهر في زمان علي عليه السلام الخوارج مثل الأشعث بن قيس ومسعود بن فدك التميمي وزيد بن حصين الطائي وغيرهم وكذلك ظهر في

زمانه الغلاة في حقة مثل عبيد بن سبا وجماعة معه ومن الفريقين إبتدات البدعة والضلالة وصدق فيه قول النبي ﷺ يهلك فيك إثنان محب غال ومبغض قال ،وأنقسمت الإختلافات بعده الى قسمين، أحداهما الإختلاف في الأمامة والثاني الإختلاف في الأصول، والأختلاف في الأمامة على وجهين ،أحدهما القول بأن الإمامة ثبتت بالنص والتعيين ،والثاني بأن الإمامة ثبتت بالأتفاق والأختيار ،فمن قال ان الإمامة ثبتت بالأتفاق قال بأمامة كل من أتفقت عليه الأمة أو الجماعة معتبرة من الأمة ،أما مطلقاً أو بشرط أن يكون قرشياً على مذهب قوم أو بشرط يكون هاشمياً على مذهب قوم الى شرايط آخر كما سيأتي ،ومن قال بالأول قال بأمامة معاوية وأولاده عليهم لعنة الله والملئكة والناس أجمعين.

ومن قال ان الإمامة ثبتت بالنص إختلفوا بعد علي عليه السلام ،فمنهم من قال انه انما نص على ابنه محمد بن الحنفيه وهؤلئهم الكيسانية ،ثم اختلفوا بعده فمنهم من قال انه لم يمت ويرجع فيملأ الأرض عدلاً ،ومنهم من قال مات وأنتقلت بعده الى ابنه ابي هاشم ،وأفترقوا هؤلاء ،فمنهم من قال المامة بقيت في عقبه وصية بعد وصية، ومنهم من قال إنتقلت الى غيره ،وأختلفوا في ذلك الغير، فمنهم من قال هو بنان بن سمعان الهدى ومنهم من قال هو علي بن عبد الله بن عباس ،ومنهم من قال هو عبد الله بن حرب الكندي ومنهم من قال هو عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبيطالب ،وهؤلاء كلهم يقولونان الدين طاعة رجل ،وأما من لم يقل بالنص على محمد بن الحنفية قال بالنص على لسان الحسن والحسين عليهما السلام وقال لاأمامة الأ في الأخوين الحسن والحسين عليهما السلام ثم هؤلاء إختلفوا ،فمنهم من أجرى الإمامة في أولاد الحسن عليه السلام ،وقال بعده بأمامة أبنه الحسن ثم أبنه عبد الله ثم أبنه محمد ثم أخيه أبراهيم الأمامين ،وقد خرجا أيام المنصور فقتلا ،ومن هؤلاء من يقول برجعة محمد الإمام ومنهم من أجرى الوصية في أولاد الحسين عليه السلام وقال بعده بامامة ابنه زين العابدين عليه السلام ،ثم أختلفوا بعده فقال الزيدية بامامة ابنه زيد ،ومذهبهم ان كل فاطمي خرج وهو عالم زاهد شجاع سخي كان أماماً واجب الإتباع ،وجوزوا رجوع الإمامة الى أولاد الحسن عليه السلام ،ثم منهم وقف وقال بالرجعة ،ومنهم من ساق وقال بإمامة من هذا حاله في كل زمان.

وأما الأمامية فقالوا بإمامة الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام نصاً عليه ،ثم بأمامة جعفر بن محمد عليه السلام ،ثم اختلفوا بعده في أولاده من المنصوص عليه ،وهم خمسة محمد وأسمعيل وعبد الله وعلي والأمام موسى الكاظم عليه السلام ،فمنهم من قال بإمامة محمد وهم العمارية ومنهم من قال بإمامة إسمعيل وأنكر موته وهم المباركية ومن هؤلاء من وقف عليه وقال برجعته ومنهم من ساق الامامة في اولاده نصاً بعد نص الى هذا اليوم وهم الأسمعيلية ،ومنهم من قال بامامة

عبد الله الأفطح وقال برجعته بعد موته :لأنه مات ولم يعقب ومنهم من قال بأمامة موسى عليه السلام نصاً عليه فقال والده فيه ونص عليه ،ثم هؤلاء إختلفوا ،فمنهم من اقتصر عليه وقال برجعته إذ قال لم يمت هو ومنهم من توقف في موته وهم المطورية ،ومنهم من قطع بموته وساق الإمامة الى أبنه علي الرضا عليه السلام وهم القطعية، ثم هؤلاء إختلفوا في كل ولد بعده فالأثنا عشرية ساقوا الإمامة من علي الرضا الى إبنه محمد، ثم الى أبنه علي ،ثم الى أبنه الحسن ،ثم الى أبنه المهدي وغيرهم ساقوا الإما مة الى الحسن العسكري ،ثم قالوا بامامة أخيه جعفر الكذاب هذا حاصل الإختلاف في الإمامة.

وأما الإختلاف في الاصول فحدثت في آخر ايام الصحابة مقالة معبد الجهني وغيلان الدمشقي ويونس الاسواري القول بالقدر وانكار اضافة الخير والشر الى المقدَر، ونسج على منوالهم واصل بن عطا الغزال، وكان تلميذ الحسن البصري وتلمذ له عمر بن عبيد وزاد عليه في مسائل القدر والوعيدية من الخوارج والمرجئة من الجبرية والقدرية إبتداء بدعهم في زمان الحسن واعتزل عنهم وعن استاذه بالقول بالمنزلة بين المنزلتين فسمى هو واصحابه معتزلة وقد تلمذ عنده زيد بن علي كما قيل وأخذ الاصول منه فلذلك صارت الزيدية كلهم معتزلة، ثم طالع بعد ذلك شيوخ المعتزلة كتب الفلاسفة حسن فسرت ايام المأمون فخلطت منهاهجها بمناهج الكلام وافردتها فناً من فنون العلم وسمته باسم الكلام إمّا لان اظهر مسألة تكلموا فيها وتقابلوا عليها هي مسألة الكلام فسمى النوع باسمها واما لمقابلتهم الفلاسفة في تسميتهم فناً من فنون العلم بالمنطق والمنطق والكلام مترادفان.

اذا عرفت هذا كله فلنشرع الان في بيان الفرق فنقول من كبار الفرق الاسلامية المعتزلة ويسمون اهل العدل والتوحيد وهم اصحاب واصل بن عطاء إعتزل عن مجلس الحسن البصري وذلك انه دخل على الحسن رجل فقال يا امام الدين ظهر في زماننا جماعة يكفرون صاحب الكبيرة، يعني وعيدية الخوارج وجماعة اخرى يرجئون الكبائر ويقولون لا يضرَ مع الايمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة فكيف تحكم لنا ان نعتقد في ذلك فتفكر الحسن وقبل ان يجيب قال واصل انا اقول ان صاحب الكبيرة لا مؤمن مطلق ولاكافر مطلق ثم قام الى اسطوانة من اسطوانات المسجد واخذ يقرر على جماعة من اصحاب الحسن ما اجاب به من ان مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر ويثبت له المنزلة بين المنزلتين قائلاً ان المؤمن استحق المدح والفاسق لا يستحق المدح فلا يكون مؤمناً وليس بكافر ايضاً لإقراره بالشهادتين ولوجود ساير اعمال الخير فيه فاذا مات بلا توبة خلّد في النار اذ ليس في الاخرة الا فريقان فريق في الجنة وفريق في السعير لكن يخفف عليه ويكون دركته فوق دركات الكفار فقال الحسن قد اعتزل عنا واصل

فلذلك سمي هو واصحابه معتزلة ويلقبون بالقدرية لاسنادهم افعال العباد الى قدرتهم قالوا ان من يقول بالقدر خيره وشره من الله تعالى اولى باسم القدرية منا لان مثبت القدر احق بان ينسب اليه من نافيه.

واما في اخبار اهل البيت عليهم السلام فيطلق هذا الاسم تارة على المعتزلة واخرى على الاشاعرة ووجه المناسبة ظاهر وقوله عليه السلام القدرية مجوس هذه الامة اشد انطباقاً على المعتزلة لانهم اثبتوا خالقين كالمجوس وقد لقب المعتزلة انفسهم بأصحاب العدل والتوحيد وذلك لقولهم بوجوب الاصلح ونفي الصفات القديمة وقالوا ان القدم اخص اوصاف الله لا يشاركه فيها ذات ولا صفة وقالوا بنفي الصفات الزائدة على الذات وان كلامه سبحانه محدث مركب من الحروف والاصوات وانه غير مرئي في الاخرة بالابصار وبأن الحسن والقبح عقليان ويجب عليه تعالى رعاية الحكمة والمصلحة في افعاله وثواب المطيع والتائب وعقاب صاحب الكبيرة.

ثم انهم بعد اتفاقهم على هذه الامور المذكورة افترقوا عشرين فرقة يكفر بعضهم بعضاً وكلهم على صدق في هذا الحكم منهم الواصلية اصحاب ابي حذيفة واصل بن عطا واعتزالهم يدور على اربع مسائل.

اولها نفي الصفات قال الشهرستاني شرعت اصحابه في هذه المسألة بعد ما طالعوا كتب الفلاسفة وانتهى نظرهم الى ان ردّوا جميع الصفات الى كونه عالماً قادراً ثم حكموا بأنهما صفتان ذاتيتان اعتباريتان للذات القديمة كما قاله الجبائي او حالان كما قاله ابو هاشم وثانيهما قولهم بأن افعال العباد مستندة الى قدرتهم وامتناه اضافة الشر الى الله وثالثها قولهم بالمنزلة بين المنزلتين على ما مر تفصيله ورابعها تخطئة احد الفريقين من عثمان وقاتليه وجوّزوا ان يكون عثمان لا مؤمناً ولا كافراً وان يخلد في النار، وكذا علي عليه السلام ومتابعوه وحكموا بأن علياً وطلحة والزبير بعد وقعة الجمل لو شهدوا على باقة بقل لم تقبل شهادتهم كشهادة المتلاعنين أي الزوج والزوجة فان احدهما فاسق لا بعينه.

ومنهم الهذيلية اصحاب ابي الهذيل حمدان العلاف شيخ المعتزلة ومقرر طريقهم اخذ العلم والاعتزال عن عثمان بن خالد الطويل وعن واصل وقد انفرد اصحابه بعشر قواعد الاولى قوله بفناء مقدورات الله سبحانه وهذا قريب من مذهب جهم حيث ذهب الى ان الجنة والنار يفنيان وقالوا ان حركات اهل الجنة والنار ضرورية مخلوقة لله اذ لو كانت مخلوقة لهم لكانوا مكلفين ولا تكليف لهم في الاخرة، الثانية ان اهل الخلدين تنقطع حركاتهم ويصيرون الى سكون دائم ويجتمع في ذلك السكون اللذات لاهل الجنة والالام لاهل النار وانما ارتكب ابو الهذيلب هذا القول لانه التزم في مسألة حدوث العالم انه لا فرق بين حوادث لا اول لها وبين

حوادث لا آخر لها فقال لا اقول ايضاً بحركات لا اخر لها بل تصير الى سكون وتوهم ان ما لزمه في الحركة لا يلزمه في السكون ولذلك سمي المعتزلة ابها الهذيل جهمي الاخرة وقيل انه قدري الاولى جهمي الاخرة.

الثالثة قوله ان الباري عالم بعلم ذاته وقادر بقدرة وقدرته ذاته حتى بحيوة وحيوته ذاته قال الشهرستاني وقد اقتبس هذا الرأي من الفلاسفة الذين اعتقدوا ان ذاته واحدة من جميع الجهات لا تعدد فيه اصلاً بل جميع الجهات لا تعدد فيه اصلاً بل جميع صفاته راجعة الى السلوب والاضافات.

الرابعة قوله انه مريد بارادة حادثة لا في محل واول من احدث هذه المقالة هو العلاف الخامسة قوله ان بعض كلامه تعالى لا في محل مثل قوله كن لانها التي كوّن بها الاشياء وبعضه في محل كالامر والنهي والخبر والاستخبار، السادسة قوله ان ارادته غير المراد وذلك لان ارادته عبارة عن خلقه لشيء وخلقه للشيء مغاير لذلك الشيء بل الخلق عندهم قول لا في محل اعني كلمة كن.

السابعة قوله ان الحجحة بالتواتر فيما غاب لا تقوم الا بخبر عشرين فيهم واحد من اهل الجنة او اكثر وقالوا لا تخلوا الارض عن اولياء الله تعالى فهم معصومون لا يكذبون ولا يركبون شيئاً من المعاصي فالحجة قولهم لا التواتر، الثامنة قوله في الاجال والارزاق ان الرجل اذا لم يقتل مات في ذلك الوقت ولا يجوز ان يزاد في العمر او ينقص منه، واما الارزاق فقال ان كل ما اكل منها فهو رزقه وما حرم عليه فليس رزقاً له أي ليس مأموراً بتناوله.

التاسعة قوله في الفكر ورد السمع يجب عليه ان يعرف الله تعالى بالدليل من غير خاطر وان قصّر في المعرفة استوجب العقوبة ابدا وقال ايضاً بطاعات لا يقصد بها التقرب الى الله سبحانه كالقصد الى النظر الاول فأنه لم يعرف الله بعد والفعل عبادة،العاشرة قوله في الاستطاعة انها عرض من الاعراض غير السلامة والصحة، والفرق بين افعال القلوب وافعال الجوارح فقال لا يصح وجود افعال القلوب منه مع عدم القدرة والاستطاعة معها في حال الفعل وجوّز ذلك في افعال الجوارح وقال بتقدمها فيفعل بها في الحال الاولى وان لم يوجد الفعل الا في الحالة الثانية قال فحال يفعل غير حال فعل، وقال في الادراك والعلم الحادثين في غيره عند اسماعه وتعليمه ان الله يبدعهما فيه وليسا من افعال العباد.

ومنهم النظامية اصحاب ابراهيم بن سيار النظام وهو من شياطين القدرية طالع كتب الفلاسفة وخلط كلامهم بكلام المعتزلة وقد انفرد بثلاثة عشر مسألة منها قوله لا يقدر الله ان يفعل بعباده في الدنيا ما لا صلاح لهم فيه، ولا يقدر ان يزيد في الاخرة او ينقص من ثواب

وعقاب لاهل الجنة والنار، وتوهموا ان غاية تنزيهه تعالى عن الشرور والقبائح لا يكون الا بسبب قدرته عليها فهم في ذلك كمن هرب من المطر الى الميزاب.

ومنها قوله في الارادة ان الباري تعالى ليس موصوفاً بها على الحقيقة فاذا وصفت بذلك شرعاً في افعاله فالمراد بذلك انها خالقها ومنشئها على حسب ما علم، واذا وصف بكونه مريداً لافعال العبد فالمعنى انه آمر بها، وعنه أخذ الكعبي مذهبه في الارادة ومنها قوله ان الانسان هو الروح والبدن آلتها، وقد اخذه النظام من الفلاسفة الا انه مال الى الطبيعيين منهم فقالوا الروح جسم لطيف سار في البدن سريان ماء الورد والدهن ومنها قوله (له) ان الاعراض كالالوان والطعوم والروايح وغيرها اجسام فهم تارة يحكمون بأن الاعراض اجسام وأخرى بأن الاجسام اعراض.

ومنها قولهم (له) ان الجوهر مؤلف من الاعراض المجتمعة والعلم مثل الجهل المركب والايمان مثل الكفر في تمام الماهية واذخوا هذه المقالة من الفلاسفة حيث حكموا بأن حقيقتها حصول الصورة في القوة العاقلة والامتياز بينهما بأمر خارج هو مطابقة تلك الصورة لمتعلقها او عدجمن مطابقتها له ومنها قولهم (له خ) ان الله خلق المخلوقات دفعه واحدة على ما هي عليه الان معادن ونباتا وحيواناً وانساناً وغير ذلك فلم يكن خلق آدم متقدماً على خلق اولاده الا انه تعالى كمن بعض المخلوقات في بعض والتقدم والتأخر في الكمون والظهور وهذه المقالة مأخوذة من كلام الفلاسفة القائلين بالخليط والكمون والبروز، ومنها قولهم (له) نظم القرآن ليس بمعجز انما المعجز اخباره بالغيب من الامور السالفة والاتية صرف الله العرب عن الاهتمام بمعارضته حتى لو خلاهم لامكنهم الاتيان بمثله بل بأفصح منه.

ومنها قولهم (له) المتواتر الذي لا يحصى عدده يحتمل الكذب والاجماع والقياس ليس شيء منها بحجة ومنها قولهم (له) بالطفرة وذلك انه لما وافق الفلاسفة في نفي الجزء الذي لا يتجزئ لما الزم مشيى نملة على صخرة من طرف الى طرف انها قطعت ما لا يتناهى وكيف يقطع ما يتناهى ما لا يتناهى قال يقطع بعضها بالمشيء وبعضها بالطفرة ومنها انهم مالوا الى وجوب النص على الامام وثبوت النص من النبي ﷺ على علي عليه السلام لكن كتمه عمر وهم محقّون في هذا، ومنها قولهم (له) ان من خان بالسرقة فيما دون نصاب الزكوة كمائة وتسعة وتسعين درهما واربعة من الابل مثلاً لو ظلم به على غيره بالغصب والتعدي لا يفسق.

ومنهم الاسوارية اصحاب الاسوارى وافقوا النظامية فيما ذهبوا اليه وزادوا عليه ان الله تعالى لا يقدر على ما اخبر بعدمه او علم عدمه والانسان قادر عليه لان قدرة العبد صالحة

المضدين، على سواه فاذا قدر على احدهما قدر على الاخر فتعلق العلم او الاخبار من الله بأحد الطرفين لا يمنع مقدرية الاخرى للعبد.

ومنهم الاسكافية اصحاب ابي جعفر الاسكاف قالوا الله لا يقدر على ظلم العقلاء بخلاف ظلم الصبيان والمجانين فأنه يقدر عليه.

ومنهم الجعفرية اصحاب جعفر بن جعفر بن مبشر وافقوا الاسكافية وزادوا عليهم متابعة ابن المبشر ان فساق الامة من هو شر من الزنادقة والمجوس والاجماع من الامة على حد الشرب خطأ لان المعتبر في الحد هو النص وسارق الحبة فاسق منخلع عن الايمان.

ومنهم البشرية هو بشر بن المعتبر كان من افضل علماء المعتزلة وهو الذي احدث القول بالتوليد قالوا الاعراض من الالوان والطعوم والروايح وغيرها كالادراكات من السمع والرؤية تقع متولدة في الجسم من فعل الغير كما اذا كان اسبابها من فعله وقالوا الله قادر على تعذيب الطفل ولو عذبه لكان ظالماً لكنه لا يستحسن ان يقال في حقه ذلك، بل يجب ان يقال ولو عذبه لكان الطفل بالغاً عاقلاً عاصياً مستحقاً للعقاب وفيه تناقض كما قيل اذ حاصله ان الله يقدر ان يظلم ولو ظلم لكان عادلاً.

ومنهم المزدارية هو ابو موسى عيسى بن صبيح المزدار هذا لقبه وهو من باب الافتعال من الزياردة وهو تلميذ بشر أخذ العلم عنه وتزهد حتى سمى راهب المعتزلة قال: الله قادر على ان يظلم ويكذب ولو فعل كان الهاً ظالماً كاذباً تعالى الله عما قاله الظالمون علواً كبيراً، وقال ان الناس قادرون على مثل القرآن واحسن منه نظماً وبلاغة وقال ان من لابس السلطان كافر لابس لا يوارث أي لا يرث ولا يورث منه وكذا من قال بخلق الاعمال وبالرؤية كافر.

ومنهم الهشامية اصحاب هشام بن عمرو الغوطي الذي كان مبالغاً في القدر اكثر من مبالغة ساير المعتزلة قالوا لا يطلق اسم الوكيل على الله تعالى مع وروده في القرآن لاستدعائه موكلاً، ولم يعلموا ان الوكيل في اسمائه بمعنى الحفيظ كما في قوله تعالى وما انت عليهم بوكيل ولا يقال الَف الله بين القلوب مع انه مخالف لقوله ما الَفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم وقالوا ان الاعراض لا تدل على كونه تعالى خالقاً ولا تصلح دلالة على صدق مدّعى الرسالة انما الدال هو الاجسام ويلزمهم على ذلك ان فلق البحر وقلب العصا حيّة واحياء الموتى لا يكون دليلاً على صدق من ظهر على يده وقالوا لا دلالة في القرآن على حرام وحلال والامامة لا تنعقد مع الاختلافات بل لا بد من اتفاق الكل قال شارح المواقف قيل ومقصودهم الطعن في امامة ابي بكر اذ كانت بيعته بلا اتفاق من جميع الصحابة لانه بقى في كل طرف طائفة على خلافه وقالوا ايضاً ان الجنة والنار لم يخلقا بعد اذ لا فائدة في وجودهما الان وقالوا لم يحاصر

عثمان ولم يقتل مع كونه متواترا، وقالوا ان من افسد صلوة في آخرها وقد افتتحها اولا بشروطها فأول صلاته معصية ومنهى عنه مع كونه مخالفاً للاجماع.

ومنهم الصالحية اصحاب الصالحي ومن مذهبهم انهم جوّزوا قيام العلم ولقدرة والارادة والسمع والبصر بالميت ويلزمهم جواز ان يكون الناس مع اتصافهم بهذه الصفات امواتاً، وان لا يكون الباري تعالى حياً وجوزوا خلو الجوهر من الاعراض كلها.

ومنهم الحابطية وهو احمد بن حابط نسب اتباعه الى ابيه وهو من اصحاب النظام قالوا للعالم الهان قديم هو الله تعالى، ومحدث هو المسيح والمسيح هو الذي يحاسب الناس في الاخرة، وهو المراد بقوله وجاء ربك والملك صفاً صفا، وهو الذي يأتي في ظلل من الغمام وهو المعنى بقوله ان الله خلق آدم على صورته وبقوله يضع الجبار قدمه في النار، وانما سمى المسيح لانه زرع الاجسام واحدثها قال الامدي وهؤلاء كفار مشركون.

ومنهم الحربية وهم اصحاب فضل الحربي ومذهبهم مذهب الحابطية الا انهم زادوا التناسخ وان كل حيوان مكلف وذلك انهم قالوا ان الله سبحانه ابدع الحيوانات عقلاء بالغين في دار سوى هذه الدار وخلق فيهم معرفة والعلم به واسبغ عليهم نعمه ثم ابتلاهم وكلّفهم بشكر نعمه فأطاعه بعض فأقرهم في دار النعيم التي ابتدأهم فيها وعصاه بعض في الجميع فأخرجهم من تلك الدار الى دار العذاب وهي النار واطاعه بعض في البعض دون البعض فأخرجهم الى دار الدنيا وكساهم هذه الاجساد الكثيفة على صور مختلفة كصورة الانسان وسائر الحيوانات وابتلاهم بالبأساء والضراء والالام واللذات على مقادير ذنوبهم فمن كان معاصيه اقل وطاعته اكثر كانت صورته احسن والامه اقل ومن كان بالعكس فبالعكس ولا يزال يكون الحيوان في الدنيا في صورة بعد صورة ما دامت معه ذنوبه وهذا عين القول بالتناسخ.

ومنهم المعمرية هم اصحاب معمر بن عباد السلمي قالوا ان الله لم يخلق شيئاً غير الاجسام اما الاعراض فتخترعها الاجسام اما طبعاً كالنار للاحراق والشمس للحرارة واما اختياراً كالحيوان للالوان قيل ومن العجب ان حدوث الاجسام وفنائها عند معمر من الاعراض فكيف يقول انها من فعل الاجسام وقالوا لا يوصف الله بالقدم لانه يدل على التقادم الزماني والله سبحانه ليس بزماني وقالوا ايضاً ان الله لا يعلم نفسه والا اتحد العالم والمعلوم وهو ممتنع وقالوا ان الانسان لا فعل له غير الارادة مباشرة كانت لو توليداً بناءً على ما ذهبوا اليه من مذهب الفلاسفة في حقيقة الانسان.

ومنهم الثمامية هو ثمامة بن اشرش النميري كان جامعاً بين سخافة الدين وخلاعة النفس، قالوا الافعال المتولدة لا فاعل لها اذ لا يمكن اسنادها الى فاعل السبب لاستلزامه استناد الفعل الى الميت فيما اذا رمى الى شخص ومات قبل وصوله اليه، ولا الى الله تعالى لاستلزامه صدور القبيح عنه تعالى، وقالوا ان اليهود والنصارى والمجوس والزنادقة يصيرون في الاخرة تراباً لا يدخلون جنة ولا ناراً وكذا البهائم والاطفال وقالوا ان من لا يعلم خالقه من الكفار معذور، والمعارف كلها ضرورية ولا فعل للانسان غير الارادة وما عداها حادث بلا محدث، وكان يقول ان العالم فعل الله بطبعه واراد به ما يقوله الفلاسفة من الايجاب.

ومنهم الخياطية اصحاب ابي الحسن بن ابي عمر الخياط قالوا باسناد الافعال الى العباد وتسمية المعدوم شيئاً أي ثابتاً متقرراً في حال العدم، وسموا المعدوم ايضاً جوهراً وعرضاً، وقالوا ان ارادة الله كونه قادراً غير مكره ولا كاره، وارادته في افعال نفسه الخلق أي كونه خالقاً لها، وفي افعال عباده الامر بها وكونه سميعاً بصيراً معناه انه عالم بمتعلقهما.

ومنهم الجاحظية هو عمرو بن بحر الجاحظ كان من الفضلاء البلغاء في ايام المعتصم والمتوكل وقد طالع كتب الفلاسفة وروّج كثيراً من مقالاتهم بعباراته البليغة اللطيفة قالوا المعارف كلها ضرورية وقالوا انه يمتنع انعدام الجواهر وانما تتبدل الجواهر والاعراض باقية على حالها كما قيل في الهيولى وقالوا ان النار تجذب اليها اهلها لا ان الله يدخلهم فيها، وقالوا ان الخير والشر من فعل العبد والقرآن جسد ينقلب تارة رجلاً وأخرى إمرأة.

ومنهم الكعبية هو ابو القاسم بن محمد الكعبي كان من معتزلة بغداد وتلميذ الخياط قالوا فعل الرب واقع بغير ارادته فاذا قيل انه تعالى مريد لافعاله اريد انه خالق لها واذا قيل مريد لافعال غيرخ أنه آمر بها.

ومنهم الجبائية هو ابو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي من معتزلة البصرة قالوا ارادة الرب حادثة لا في محل والله تعالى مريد بتلك الارادة موصوف بها والله متكلم بكلام مركب من حروف واصوات يخلقه في جسم، والمتكلم بذلك الكلام من فعل الكلام وخلقه لا من قام به وحلّ فيه ولا يرى الله في الاخرة، والعبد خالق لفعله ومرتكب الكبيرة لا مؤمن ولا كافر واذا كات بلا توبة يخلد في النار ولا كرامات للاولياء ويجب على الله رعاية ما هو الاصلح والانبياء معصومون وشارك ابو علي في هذا كله ايا هاشم ثم انفرد عنه بأن الله تعالى عالم بذاته بلا ايجاب صفة هي علم ولا حالة توجب العالمية وكونه تعالى سميعاً بصيراً معناه انه حتى لا آفة به ويجوز الايلام للعوض.

ومنهم البهشمة انفرد ابو هاشم عن ابيه بامكان استحقاق الذمَ العقاب بلا معصية مع كونه مخالفاً للاجماع والحكمة وبأنه لا توبة عن كبيرة مع الاصرار على غيرها عالماً بقبحه ويلزمه ان لا يصلح اسلام الكافر مع ادنى ذنب اصرّ عليه ولا توبة مع عدم القدرة فلا يصحّ توبة الكاذب عن كذبه بعدما صار اخرس ولا توبة الزاني عن زناه بعد ما جبّ ولا يتعلق علم واحد بمعلومين على التفصيل ولله احوال لا معلومة ولا مجهولة ولا قديمة ولا حادثة قال الامدي هذا تناقض اذ لا معنى لكون الشيء حادثاً الا انه ليس قديماً ولا لكونه مجهولاً الا انه ليس معلوماً.

الفرقة الثانية من الفرق الاسلامية الشيعية وهم الذون شايعوا علياً عليه السلام وقالوا انه الامام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله بالنص، اما جلياً وإما خفياً واعتقدوا ان الامامة لا تخرج عنه وعن اولاده فان خرجت فاما بظلم يكون من غيرهم واما بيعة منه او من اولاده وهم اثنان وعشرون فرقة اصولهم ثلاث فرق غلاة وزيدية وامامية اما الغلاة فثمانية عشر.

السبائية قال عبد الله بن سبأ لعلي عليه السلام انت الاله حقاً فنفاه علي عليه السلام الى المدائن وقيل انه كان يهودياً فأسلم وكان في اليهودية يقول في يوشع بن نون وفي موسى مثل ما قال في علي، وقيل انه اول من اظهر القول بوجوب امامة علي، ومنه تشعبت اصناف الغلاة وقال ابن سبأ ان علياً عليه السلام لم يمت ولم يقتل وانما قتل ابن ملجم شيطاناً تصوّر بصورة علي وعلي عليه السلام في السحاب والرعد صوته والبرق ضوئه وانه ينزل بعد هذا الى الارض ويملأها عدلاً وهؤلاء يقولون عند سماع الرعد عليك السلام يا امير المؤمنين.

الكاملية قال ابو كامل بكفر الصحابة بترك بيعة علي ويكفر علي بترك طلب الحق، وقال بالتناسخ في الارواح عند الموت وان الامامىة نور يتناسخ أي ينتقل من شخص الى آخر وقد يصير في شخص نبوة بعد ما كان في شخص آخر امامة.

البيانية قال بيان بن سمعان التميمي النهدي اليمني الله على صورة انسان ويهلك كله الا وجهه وروح الله حلت في علي ثم ابنه محمد بن الحنفية، ثم في ابنه هاشم ثم في بيانه ابنه.

المغيرية قال مغيرة بن سعيد العجلي الله على صورة رجل من نور على رأسه تاج وقلبه منبع الحكمة ولما اراد ان يخلق الخلق تكلم بالاسم الاعظم فطار فوقع تاجاً على رأسه وذلك قوله تعالى سبّ؛ اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى ثم انه كتب على كفه عمل العباد فغضب من المعاصي فعرق فحصل من عرقه بحران احدهما ملح مظلم والاخر حلو نيّر ثم اطلع في البحر النير وابصر في ظلّه فانتزعه فخلق منه الشمس والقمر وافنى الباقي من الظل نفياً للشريك وقال لا ينبغي ان يكون معي الهاً (شريكاً خ) آخر ثم خلق الخلق من البحرين فالكفار من الظلم والمؤمنين من النير ثم ارسل محمداً والناس في ضلال وعرض الامانة وهي منع على عن

الامامة على السموات والارض والجبال فأبين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان وهو ابو بكر وحملها بأمر عمر حين ضمن ان يعينه على ذلك بشرط ان يجعل ابو بكر الخلافة بعده به، وقوله تعالى كمثل الشيطان الاية، نزلت في حق ابي بكر وعمر وهؤللاء يقولون ان الامام المنتظر هو زكريا بن محمد بن علي بن الحسين بن علي عليهما السلام وهو حي مقيم في جبل حاجز الى ان يؤمر بالخروج.

الجناحية قال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ذي الجناحين الارواح تتناسخ وكان روح الله في آدم ثم شيث ثم الانبياء والائمة حتى انتهت الى علي واولاده الثلاثة ثم الى عبد الله هذا، وقالت الجناحية هو ابي عبد الله حي مقيم في جبل باصفهان وسيخرج وانكروا القيمة واستحلوا المحرمات كذا نقل عنهم الشهرستاني والله العالم.

المنصورية هو ابو منصور العجلي عزى نفسه الى الباقر عليه السلام فتبرأ منه وطرده وادعى الامامة لنفسه قالوا الامامة لمحمد بن علي بن الحسين عليهما السلام ثم انتقلت عنه الى ابي منصور وزعموا ان ابا منصور عرج الى السماء ومسح الله رأسه بيده وقال يا بني اذهب فبلَغ عني، ثم انزله الى الارض وهو الكسف المذكور في قوله تعالى وان يروا كسفاً من السماء ساقطاً يقولوا سحاب مركوم وكان قبل ادعائه الامامة لنفسه يقول الكسف علي بن ابي طالب وقالوا الرسل لا تنقطع ابداً والجنة رجل امرنا بموالاته وهو الامام والنار بالضد أي رجل امرنا ببغضه وهو ضد الامام كأبي بكر وعمر وكذا الفرائض والمحرمات فان الفرائض اسماء رجال امرنا بموالاتهم والمحرمات اسماء رجال امرنا بمعاداتهم ومقصودهم بذلك ان من ظفر برجل منهم فقد ارتفع منه التكليف والخطاب لوصوله الى الجنة.

الخطابية هو ابو الخطاب الاسدي عزى نفسه الى ابي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فلما علم منه غلوه في حقه تبرأ منه فلما اعتزل عنه ادعى الامر لنفسه قالوا الائمة الانبياء وابو الخطاب نبي وزعموا ان الانبياء فرضوا على الناس طاعة ابي الخطاب بل زادوا على ذلك وقالوا الائمة الهة والحسنان ابناء الله وجعفر الصادق إله لكن ابو الخطاب افضل منه ومن علي وهؤلاء يستحلون شهادة الزور لموافقيهم على مخالفيهم وزعموا ان الامام بعد قتل ابي الخطاب هو معمر فعبدوا معمراً بعدما كانوا يعبدون ابا الخطاب وقالوا الجنة نعيم الدنيا والنار آلامها والدنيا لا تفنى واستباحوا المحرمات وترك الفرائض وقال جماعة منهم ان كل مؤمن يوحى اليه استدلالاً بقوله تعالى وما كان لنفس ان تموت الا بأذن الله أي بوحي من الله اليهم وفيهم من هو خير من جبرئيل وميكائيل وهم لا يموتون ابداً بل اذا بلغوا النهاية يرفعون الى الملكوت وقال بعضهم الامام بعد ابي الخطاب عمر بن بيان العجلي الا انهم يموتون.

الغرابية قالوا محمد بعلي اشبه من الغراب والذباب بالذباب فبعث الله جبرئيل الى علي عليه السلام فغلط جبرئيل في تبليغ الرسالة من علي الى محمد قال شاعرهم

غلط الامين عن حيدرة فيلعنون صاحب الريش يعني جبرئيل

الذمية لقبوا به لانهم ذموا محمداً لان علياً هو الاله وقد بعثه ليدعو الناس اليه فدعاهم الى نفسه وقال طائفة منهم بالهية محمد وعلي ولهم في التقديم خلاف، فبعضهم يقدم محمداً وقال طائفة منهم بالهية اهل العبا الخمسة: محمد وعلي وفاطمة والحسنان، وهؤلاء زعموا ان هذه الخمسة شيء واحد وان الروح حالة فيهم بالسوية لا مزية لواحد منهم على الاخر ولا يقولون فاطمة تحاشيا عن وصمة التأنيث.

الهشامية اصحاب الهشامين ابن الحكم وابن سالم الجواليقي اتفقوا على ان الله جسد ثم اختلفوا فقال ابن الحكم هو طويل عريض عميق متساو وطوله وعرضه وعمقه وهو السبيكة البيضاء الصافية يتلألأ من كل جانب وله لون وطعم ورايحة ونبض وقالوا ان الله يقوم ويقعد ويتحرك ويسكن وله مشابهة بالاجسام لولاها لم يدل عليه ويعلم ما تحت الثرى بشعاع ينفصل عنه اليه، وهو سبعة اشبار بأشبار نفسه مماس للعرش بلا تفاوت بينهما وقالوا انه يعلم الاشياء بعلم لا قديم ولا حادث لانه صفة والصفة لا توصف وكلامه صفة له لا مخلوق ولا غيره والاعراض لا تدل على الباري انما الدال عليه هو الاجسام لما عرفت من مشابهته اياها والائمة معصومون دون الانبياء لان النبي يوحى اليه فيقرب الى الله بخلاف الامام فانه لا يوحى اليه فوجب ان يكون معصوماً وقال ابن سالم هو على صورة انسان له يد ورجل وحواس خمس وانف واذن وعين وفم وله مرة سوداء ونصفه الاعلى مجوّف والاسفل مصمت الا انه ليس لحماً ودماً.

اقول هذا ما نقله عنهما الشهرستاني وامل الذي تواتر من احوالهم عن اهل البيت عليهم السلام فهو علو الشأن وارتفاع المحل والتوحيد الحقيقي نعم ربما روى في اخبارنا مثل هذا المنقول وقد تأوّله اصحابنا تارة بالحمل على التقية وأخرى على حالهما قبل الاستبصار فانهما كانا قبل من جمهور المخالفين ثم استبصرا.

الزرارية هو زرارة بن اعين قالوا بحدوث الصفات لله تعالى وقبل حدوثها له لا حيوة فلا يكون حينئذ حياً ولا عالماً ولا قادراً ولا سميعاً ولا بصيراً، أقول هذا النقل عن زرارة كالنقل عن الهشامين في كونه كذباً محضاً، فان زرارة رجل من اعاظم الشيعة ونحن نعرف اقواله واعتقاداته اكثر من الشهرستاني وغيره.

اليونسية وهو يونس بن عبد الرحمن القمي قال ان الله تعالى على العرش تحمله الملائكة وهو اقوى من الملائكة مع كونه محمولاً لهم كالكرسي يحمله رجلان وهو اقوى منهما، وهذا النقل ايضاً كذب محض على يونس.

الشيطانية محمد النعمان الملقب بشيطان الطاق قال انه تعالى نور غير جسماني ومع ذلك هو على صورة انسان وانما يعلم الاشياء بعد كونها وهذا النقل ايضاً افتراء ومحمد بن النعمان هذا هو الملقب عند الشيعة بمؤمن الطاق، وقد مدحه الائمة عليهم السلام واثنوا عليه وكأن الشهرستاني اراد تكميل الفرق فأخذ في هذه الاباطيل.

الرزامية اتباع الرزام، قالوا الامامة بعد علي لمحمد بن الحنفية ثم ابنه عبد الله بن عباس ثم اولاده الى المنصور ثم حل الاله في ابي مسلم وانه لم يتقل واستحلوا المحارم وتركوا الفرائض ومنهم من ادعى الالهية في المقنع.

المفوضة قالوا ان الله تعالى فوّض خلق الخلائق اليه وقيل فوّض خلق ذلك الى علي عليه السلام ولقد وقع بين شيعي وسني مجادلة في ايه الافضل أهو ابو بكر أم علي فتراضيا على ان يتحاكما الى اول طالع عليهما فطلع عليهما رجل فتحاكما اليه فقال الشيعي انا اقول علي افضل، وقال السني انا اقول ابو بكر افضل فقال ذلك الرجل ان علياً لو لم يخلق ابا بكر وعمر لما قيل فيه مثل هذا فاتفق ان ذلك الرجل كان من المفوضة او الغلاة.

البدائية جوّزو البداء على الله تعالى وان يريد الله شيئاً ثم يبدو له أي يظهر عليه ما لم يكن ظاهراً له، ويلزمه ان لا يكون الرب تعالى عالما بعواقب الامور هذا قول الشهرستاني والاصح هو القول بالبداء كما قال اصحابنا رضوان الله عليهم وفي اخبارنا عن الائمة عليهم السلام انه ما عبد الله بشيء مثل البدا وان الله تعالى لم يرسل نبياً حتى اقرّ لله بالبدا ولكن ليس معنى البدا ما ذكروه بل معناه ظهور شيء للخلائق لم يكن ظاهراً لهم قبل ذلك والا فهو ظاهر عنده سبحانه، والنسخ فرد من افراد البدا وقوله يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب محقق ودال عليه.

النصيرية والاسحاقية قالوا حلّ الله في علي فان ظهور الروحاني في الجسد الجسماني مما لا ينكر اما في جانب الخير فكظهور جبرئيل عليه السلام بصورة البشر واما في جانب الشر فكظهور الشيطان في صورة الانسان قالوا ولما كان علي واولاده افضل من غيرهم وكانوا مؤيدين بتأييدات متعلقة بباطن الاسرار قلنا ظهر الحق تعالى بصورتهم ونطق بلسانهم وأخذ بأيديهم ومن هيهنا اطلقنا الالهة على الائمة الا ترى ان النبي صلى الله عليه وآله قاتل المشركين وعلياً قالت المنافقين فان النبي يحكم بالظاهر والله يتولى السرائر.

الاسماعيلية لقبوا بسبعة القاب بالباطنية لقولهم بباطن الكتاب دون ظاهره فانهم قالوا للقرآن ظاهر وباطن والمراد منه باطنه لا ظاهره المعلوم من اللغة، والمتمسك بظاهره معذب بالمشقة في الاكتساب وباطنه مؤد الى ترك العمل بظاهره وتمسكوا في ذلك بقوله تعالى فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب، وهذا القول ظهوره (اخذوه خ) من المنصورية، ولقبوا ايضاً بالقرامطة لان الذي دعى الناس الى مذهبهم رجل يقال به حمدان قرمط، وهي احدى قرى واسط ولقبوا ايضاً بالحرمية لاباحتهم المحرمات والمحارم، ولقبوا ايضاً بالسبعية لانهم زعموا ان الذين نطقوا بالشرايع سبعة آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد والمهدي سابع النطقا وبين كل اثنين من النطقا سبعة ائمة يتممون شريعة ولا بد في كل عصر من سبعة بهم يقتدون وبهم يؤمنون وبهم يهتدون وهم متفاوتون في الرتب امام يؤدي عن الله وهو غاية الادلة الى دين الله وحجة يؤدي عن الامام ويحمل علمه وذو مصة يمص العلم من الحجة أي يأخذه منه، فهذه ثلاثة وابواب وهم الدعاة فداع اكبر هو رابعهم يرفع درجات المؤمنين وداع مأذون يأخذ العهود على الطالبين من اهل الظاهر فيدخلهم في ذمة الامام ويفتح لهم باب العلم والمعرفة وهو خامسهم ومكلَّب قد ارتفعت درجته في الدين ولكن لم يؤذن له في الدعوة بل في الاحتجاج على الناس، فهو يحتج ويرغب الى الداعي ككلب الصائد حتى اذا احتج من احد على اهل الظاهر وكسر عليه مذهبه بحيث رغب عنه وطلب الحق اداَه المكلب الى الداعي المأذون ليأخذ عليه العهود قال الامدي وانما سمّوا مثل هذا مكلباً لانه مثله مثل الجارح يحبس الصيد على كلب الصائد على ما قاله تعالى وما علّمتم من الجوارح مكلبين وهو سادسهم ومؤمن يتبع الداعي وهو الذي اخذ عليه العهد وآمن وايقن بالعهد ودخل في ذمة الامام وحزبه وهو سابعهم قالوا ذلك الذي ذكرناه كالسموات والارضين والبحار والايام الاسبوع والكواكب السيارة فان كلا منها سبعة.

ومن القابهم البابكية وذلك ان طائفة منهم تبعت بابك الخرمي في الخروج بآذربيجان ولقبوا بالمحمرة للبسهم الحمرة في ايام بابك، ويلقبون بالاسماعيلية لاثباتهم الامامة لاسماعيل بن الامام جعفر الصادق عليه السلام وهو اكبر اولاده وقيل لانتساب زعيمهم الى محمد بن اسماعيل واصل دعويهم الى ابطال الشرايع ان العبادية وهم طائفة من المجموس راموا عند قوة الاسلام تأويل الشرايع على وجوه تعود الى قواعد اسلافهم وذلك انهم اجتمعوا فتذاكروا ما كان عليه اسلافهم من الملك وقالوا لا سبيل لنا الى دفع المسلمين بالسيف لغلبتهم على الممالك لكنا نحتال بتأويل شرايعهم الى ما يعود الى قواعدنا ونستدرج به الضعفاء منهم فان ذلك يوجب اختلافهم واضطراب كلمتهم ورأسهم في ذلك حمدان قرمط فأخذوا في تأويل الشرايع كقولهم الوضوء

عبارة عن موالاة الامام والتيمم هو الاخذ من المأذون عند غيبة الامام الذي هو الحجة والصلوة هي عبارة عن الناطق الذي هو الرسول بدليل قوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر والاحتلام عبارة عم افشاء سر من اسرارهم الى من ليس من اهله بغير قصد منه والغسل تجديد العهد والزكوة تزكية النفس بمعرفة ما هم عليه من الدين والكعبة النبي والباب علي والصفا هو النبي والمروة هو علي والميقات والتلبية اجابة المدعو والطواف بالبيت سبعاً موالاة الائمة السبعة والجنة راحة الابدان عن التكاليف والنار مشقتها بمزاولة التكاليف الى غير ذلك من مزخرفاتهم.

ومن مذهبهم ان الله لا موجود ولا معدوم ولا عالم ولا جاهل ولا قادر ولا عاجز وكذلك في جميع الصفات وذلك لان الاثبات الحقيقي يقتضي المشاركة بينه وبين الموجودات وهو تشبيه والنفي المطلق يقتضي المشاركة للمعدومات وهو تعطيل بل هو واهب هذه الصفات ورب المتضادات وقد خالطوا كلامهم بكلام الفلاسفة فقالوا انه تعالى ابدع بالامر العقل التام، وبتوسطه ابدع النفس التي ليست تامة فاشتاقت النفس الى العقل التام مستفيضة منه فاحتاجت الى الحركة من النقصان الى الكمال، ولم تتم الحركة الا بآلتها فحدثت الاجرام الفلكية وتحركت دورية بتدبير النفس فحدثت بتوسط الطبايع البسيطة العنصرية وبتوسط البسائط حدثت المركبات من المعادن والنبات وأنواع الحيوانات وافضلها الانسان لاستعداده لفيض الانوار القدسية عليه واتصاله بالعالم وحيث كان العالم العلوي مشتملاً على عقل كامل كلي ونفس ناقصة كلية تكون مصدراً للكائنات وجب في العالم السفلي عقل كامل يكون وسيلة الى النجاة وهو الرسول الناطق ونفس ناقصة تكون نسبتها الى الناطق في تعريف طرق النجاة نسبة النفس الاولى الى العقل الاول فيما يرجع الى ايجاد الكائنات وهي الامام الذي هو وحي ناطق وكما ان تحرك الافلاك بتحريك العقل والنفس كذلك تحرك النفوس الى النجاة بتحريك الناطق والوحي وعلى هذا في كل عصر وزمان قال الامدي هذا ما كان عليه قدماؤهم وحين ظهر الحسن بن محمد الصباح جدد الدعوة على انه الحجة الذي يؤدي عن الامام الذي لا يجو خلو الزمان عنه وقد منع العوام عن الخواص في العلوم والخواص عن النظر في الكتب المتقدمة كيلا يطلع على فضائحهم فلو يزالوا يستهزئون بالامور الشرعية وقد تحصنوا بالحصون وكثرت شوكتهم وخافت الملوك منهم فأظهروا اسقاط التكاليف واباحة المحرمات وصاروا كالحيوانات العجماوات.

الزيدية وهم المنسوبون الى زيد بن علي عليهما السلام وهم ثلاث فرق الجارودية وهو الذي سماه الباقر سرحوبا وفسره بأنه الشيطان يسكن البحر قالوا بالنص من النبي في الامام على امير

المؤمنين عليه السلام وصفاً لا تسمية والصحابة كفروا بمخالفته وتركهم الاقتداء بعلي بعد النبي صلى الله عليه وآله والامامة بعد الحسن والحسين شورى في اولادهما فمن خرج منهم بالسيف وهو عالم شجاع فهو امام واختلفوا في الامام المنتظر، فقال بعضهم هو محمد بن عبد الله بن الحسين بن علي الذي قتل بالمدينة في ايام المنصور وزعموا انه لم يقتل وذهب آخرون الى انه محمد بن القاسم بن علي بن الحسين صاحب طالقان الذي اسر في ايام المعتصم وحمل عليه وحبسوه (حبسه خ) في داره حتى مات وقد انكروا موته وذهب طائفة الى انه يحيى بن عمير صاحب الكوفة من اجناد زيد بن علي دعا الناس واجتمع عليه خلق كثير وقتل في ايام المستعين بالله وقد انكروا قتله.

السليمانية وهو سليمان بن جرير قالوا الامامة شورى فيما بين الخلق وانما تنعقد برجلين من خيار المسلمين ويصح امامة المفضول مع وجود الافضل وابو بكر وعمر امامان وان اخطأ الامة في البيعة لهما، مع وجود علي لكنه خطأ لم ينته الى درجة الفسق وكفروا عثمان وطلحة والزبير وعائشة.

البترية هو بتر القومي وافقوا السليمانية الا انهم توقفوا في عثمان واكثرهم ملقدون يرجعون في الاصول الى الاعتزال وفي الفروع الى ابي حنيفة الا في مسائل قليلة.

الامامية قالوا بالنص الجلي على امامة علي وكفروا الصحابة ووقعوا فيهم وساقوا الامامة الى جعفر الصادق عليه السلام وبعده الى اولاده المعصومين عليهم السلام ومؤلف هذا الكتاب من هذه الفرقة وهي الناجية ان شاء الله وقد تتبعنا كتب الفرق الاسلامية ورأينا ان الحق مع الامامية بالبراهين العقلية والنقلية وسيأتي ان شاء الله تعالى في النور الاتي.

الفرقة الثالثة من كبار الفرق الاسلامية الخوارج وهم سبع فرق المحكمة وهم الذين خرجوا على امير المؤمنين عليه السلام عند التحكيم وكفروه وهم اثنا عشر الف رجل كانوا اهل صلوة وصيام وفيه قال النبي صلى الله عليه وآله يحقر احدكم صلوته في جنب صلوتهم وصومه في جنب صومهم ولكن لا يجاوز ايمانهم تراقيهم، قالوا من نصب من قريش وغيرهم وعدل فيما بين الناس فهو امام وان غيّر السيرة وجار وجب ان يعزل او يقتل ولم يوجبوا نصب الامام بل جوّزوا ان لا يكون في العالم امام وكفّروا عثمان واكثر الصحابة ومرتكب الكبيرة.

البيهشية هو بيهشة بن الهيصم بن جابر قالوا الايمان هو الاقرار والعلم بالله وبما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله فمن وقع فيما لا يعرف احلال هو ام حرام فهو كافر لوجود الفحص عليه حتى يعلم الحق وقيل لا يكفر حتى يرجع امره الى الامام فيحده وكل ما ليس فيه حد فهو مغفور، وقيل لا حرام الا في قوله تعالى قل لا اجد فيما اوحى الى محرماً الاية، وقالوا اذا كفر الامام

كفرت الرعية حاضراً او غائباً وهذه الاقوال لطوائف من الحكماء وقال بعضهم السكر من شراب حلال لا يؤاخذ صاحبه.

الازارقة هو نافع بن الازرق قالوا كفر بالتحكيم وهو الذي انزل في شأنه ومن الناس من يعجبك قوله في الحيوة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو الدّ الخصام وابن ملجم محقّ في قتله وهو الذي فيه ومن الناس من يشتري نفسه ابتغاء مرضات الله وفيه قال شاعرهم عليه لعنة الله:

يا ضربة من تقي ما اراد بها الا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
اني لاذكره يوماً فاحسبــــه اوفى البرية عنـــــد الله ميزانا

وكذا عليه الف الف علنة من الله والملائكة والناس اجمعين وقالوا ايضاً بكفر عثمان وطلحة والزبير وعائشة وعبد الله بن عباس وسائر المسلمين معهم وقضوا تخليدهم في النار وكفَروا الذين قعدوا عن القتال وان كانوا موافقين لهم في الدين وقالوا تحرم (بتحريم ح) التقية في القول والعمل ويجوز قتل اولاد المخالفين ونسائهم ولا رجم على الزاني المحصن اذ هو غير مذكور في القرآن والمرأة اذا قذفت احداً لا تحدّ لان المذكور في القرآن هو صيغة الذين وجوّزوا ان يكون النبي كافراً وان كان بعد النبوة وقالوا ان مرتكب الكبيرة كافر النجدات هو نجدة بن عامر النخعي وهم فرق ثلث.

منهم العاذرية الذين عذروا الناس في الجهالات بالفروع وذلك ان نجدة وجّه ابنه بجيش الى اهل القطيف فقتلوهم واسروا نسائهم ونكحوهنَ قبل القسمة واكلوا من الغنيمة قبلها ايضاً فلما رجعوا الى نجدة واخبروه بما فعلوا قال لم يسعكم ما فعلتم فقالوا لم نعلم انه لا يسعنا فعذرهم بجهالتهم فاختلف اصحابه بعد ذلك فمنهم من تابعه وقال النجدات كلهم لا حاجة للناس الى الامام بل الواجب عليهم رعاية النصفة فيما بينهم ويجوز لهم نصبه اذا توقفت عليه الامور وخالفوا الازارقة في غير التكفير.

ومنهم الاصفرية اصحاب زياد بن الاصفر يخالفون الازارقة في تكفير من قعد عن القتال اذا كانوا موافقين لهم في الدين وفي اسقاط الرجم فانهم لم يسقطوه وجوّزا التقية في القول دون العمل وقالوا المعصية الموجبة للحدّ لا يسمى صاحبها الا بها فيقال سارق مثلاً ولا يقال كافر وما لا حدّ فيه لعظمته كترك الصلوة والصوم يقال لصاحبه كافر.

ومنهم الاباضية هو عبد الله بن اباض قالوا مخالفونا من اهل القبلة كفّار غير مشركين يجوز مناكحتهم وغنيمة اموالهم من سلاحهم وكراعهم حلال عند الحرب دون غيره ودارهم دار الاسلام الا معسكر سلطانهم وقالوا تقبل شهادة مخالفيهم عليهم ومرتكب الكبيرة موحد غير مؤمن بناء على ان الاعمال داخلة في الايمان وفعل العبد مخلوق لله تعالى ومرتكب الكبيرة

كافر كفر نعمة لا كفر ملّة وتوفقوا في النفاق أهو شرك ام لا وكفّروا علياً واكثر الصحابة وافترقوا فرقاً اربعاً.

الاولى الحفصية هو ابو حفص بن ابي المقدام زادوا على الاباضية ان بين الايمان والشرك معرفة الله تعالى فانها خصلة متوسطة بينهما فمن عرف الله وكفر بما سواه من رسول او جنّة او نار او بارتكاب كبيرة فكافر لا مشرك الثانية اليزيدية اصحاب يزيد بن انيسة زادوا على الاباضية ان قالوا سيبعث نبي من العجم بكتاب يكتب في السماء وينزل عليه جملة واحدة ويترك شريعة محمد ﷺ الى ملة الصابئية المذكورة في القرآن وقالوا ان اصحاب الحدود مشركون وكل ذنب شرك كبيرة او صغيرة الثالثة الحارثية اصحاب ابي الحارث الاباضب خالفوا الاباضية في القدر أي كون افعال العباد مخلوقة لله تعالى وفي كون الاستطاعة قبل الفعل.

الرابعة العجاردة زعموا ان العبد اذا اتى بما امر ولم يقصد الله كان ذلك طاعة العجاردة هو عبد الرحمن بن عجردة وهو آخر السبع من فرق الخوارج زادوا على النجدات بعد ان وافقوهم في المذهب وجوب البرائة عن الطفل يعني انه يجب ان يتبرئ عن الطفل حتى يدعى الى الاسلام بعد البلوغ ويجب دعاؤه الى الاسلام اذا بلغ وهم عشر فرق. الاولى الميمونية وهو ميمون بن عمران قالوا باسناد الافعال الى قدر العباد وتكون الاستطاعة قبل الفعل وان الله يريد الخير دون الشر ولا يريد المعاصي كما هو مذهب المعتزلة قالوا واطفال الكفار في الجنة ويروى عنهم تجويز نكاح البنات للبنين والبنين للبنات، وجوّزوا ايضاً نكاح بنات البنين وبنات البنات وبنات اولاد الاخوة والاخوات ونقل عنهم انكار سورة يوسف فانهم زعموا انها قصة من القصص ولا يجوز ان تكون قصة العشق قرآناً.

الثانية من فرق العجاردة الحمزية هو حمزة بن ادرك وافقوا الميمونية الا انهم قالوا اطفال الكفار في النار، الثالثة منهم الشعيبية هو شعيب بن محمد وهم كالميمونية في بدعتهم الا في القدر الرابعة الحازمية هو حازم بن عاصم وافقوا الشعيبية ويحكى عنهم انهم يتوقفون في امر علي ولا يصرحون بالبرائة عنه كما يصرحون بالبرائة عن غيره، الخامسة الخلفية اصحاب خلف الخارجي وهم خوارج كرمان اضافوا القدر خيره وشره الى الله وحكموا ان اطفال المشركين في النار بلا عمل وشرك السادس الاطرافية وهم على مذهب حمزة ورئيسهم رجل من سجستان يقال له غالب الا انهم عذروا اهل الاطراف فيما لم يعرفوه من الشريعة اذا اتوا بما يعرف لزومه من جهة العقل ووافقوا اهل السنة في اصولهم.

السابعة المعلومية هم كالحازمية الا ان المؤمن عندهم من عرف الله بجميع اسمائه وصفاته ومن لم يعرفه كذلك فهو جاهل لا مؤمن وفعل العبد مخلوق لله تعالى.

المجهولية مذهبهم كمذهب الحازمية ايضاً الا انهم قالوا يكفي معرفته ببعض اسمائه فمن علمه كذلك فهو عارف ربه وفعل العبد مخلوق له التاسعة الصلتية هو عثمان بن ابي الصلت هم كالعجاردة لكن قالوا من اسلم واستجار بنا تولیناه وتبرئنا من اطفاله حتى يبلغوا فيدعوا الى الاسلام فيقبلوا.

العاشرة من فرق العجاردة الثعالبة هو ثعلب بن عامر قالوا بولاية الاطفال صغارا كانوا او كبارا حتى يظهر منهم انكار الحق بعد البلوغ ونقل عنهم انهم يرون اخذ الزكوة من العبيد اذا استغنوا واعطاؤها لهم اذا افتقروا وتفرّق الثعالبة اربع فرق الاولى الاخنسية اصحاب اخنس بن قيس كالثعالبة الا انهم امتازوا عنهم بأن توقفوا فيمن هو في دار التقية من اهل القبلة فلم يحكموا عليه باسمان ولا كفر ونقل عنهم تجويز نكاح المسلمات من مشركي قومهم.

الثانية المعبدية هو معبد بن عبد الرحمن خالفوا الاخنسية في تزويج المسلمات من المشركين وخالفوا الثعالبة في زكوة العبيد أي اخذها منهم ودفعها اليهم الثالثة الشيبانية هو شيبان بن سامة قالوا بالجبر ونفى القدرة الحادثة الرابعة المكرمية هو مكرم العجلي قالوا تارك الصلوة كافر لا لترك الصلوة بل لجهله بالله فان من علم انه مطلع على سره وعلنه ومجازيه على طاعته ومعصيته ولا يتصور منه الاقدام على ترك الصلوة وكذا كل كبيرة فان مرتكبها كافر لجهله بالله تعالى فاذا فرق الخوارج تسع عشر.

الفرقة الرابعة من كبار الفرق الاسلامية المرجئة لقّبوا به لانهم يرجئون العمل عن النية أي يؤخرونه في الرتبة عنها وعن الاعتقاد او لانهم يقولون لا يضرّ مع الايمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة فهم يعطون الرجا فعلى هذا ينبغي ان لا يهمز لفظ المرجئة وفرقهم خمس اليونسية هو يونس النحري قالوا الايمان هو المعرفة بالله والخضوع والمحبة بالقلب فمن اجتمعت فيه هذه الصفات فهو مؤمن ولا يضر معها ترك الطاعات وارتكاب المعاصي ولا يعاقب عليها وابليس كان عارفا بالله وانما كفر لاستكباره وترك الخضوع لله كما دلّ قوله تعالى ابى واستكبر وكان من الكافرين.

العبدية اصحاب عبيد المكذب زادوا على اليونسية ان علم الله لم يزل شيئاً غيره أي غير ذاته وكذا باقي صفاته وانه تعالى على صورة الانسان لما ورد في الحديث ان الله خلق آدم على صورة الرحمن.

الغسانية اصحاب غسان الكوفي قالوا ان الايمان هو المعرفة بالله وبرسوله وبما جاء من عندهما اجمالا لا تفصيلاً، وهو أي الايمان يزيد ولا ينقص ولا لك الاجمال مثل ان تقول قد فرض الله الحج ولا ادري اين الكعبة ولعلها بغير مكة وبعث محمداً ولا ادري أهو الذي بالمدينة

او غيره وحرَم الخنزير ولا ادري أهو هذه الشاة ام غيرها فان القائل بهذه المقالات مؤمن ومقصودهم بما ذكروه ان هذه الامور ليست داخلة في حقيقة الايمان والا فلا شبهة في ان عاقلاً لا يشك فيها وغسان كان يحكى ما ذهب اليه عن ابي حنيفة وبعده من المرجئة وقد كان المعتزلة في الصدر الاول يلقبون من خالفهم في القدر مرجئاً.

الثوبانية اصحاب ثوبان المرجئ قالوا الايمان هو المعرفة والاقرار بالله وبرسله وبكل ما لا يجوز في العقل ان يفعله واما ما جاز في العقل ان يفعله فليس الاعتقاد به في الايمان وأخروا العمل كله عن الايمان قالوا لو عفى في القيمة عن عاص لعفى عن كل من هو مثله، وكذا لو اخرج واحدا من النار لاخرج كل من هو مثله.

الثومية اصحاب أبي معاذ الثومن قالوا الايمان هو المعرفة والتصديق والمحبة والاخلاص والاقرار بما جاء به الرسول وترك كله او بعضه كفر ليس بعضه ايماناً ولا بعض ايماناً ومن قتل نبياً او لطمه كفر لا لاجل القتل او اللطمة بل لانه دليل لتكذيبه له وبغضه.

الفرقة الخامسة من كبار الفرق الاسلامية النجارية اصحاب محمد بن الحسن النجار وهم موافقون لاهل السنة في خلق الافعال وان الاستطاعة مع الفعل وان العبد يكتسب فعله وموافقون للمعتزلة في نفي الصفات الوجودية وحدوث الكلام ونفي الرؤية بالابصار وفرقهم ثلاث الاولى البرغوثية قالوا كلام الله اذا قرى عرض واذا كتب بأي شيء كان فهم جسم.

الثانية الزعفرانية قالوا كلامه غيره وكل ما هو غيره مخلوق ومن قال كلام الله مخلوق فهو كافر.

الثالثة المستدركة على الزعفرانية وقالوا كلام الله مخلوق مطلقاً لكنّا وافقنا السنة الواردة بان كلام الله غير مخلوق والاجماع المنعقد عليه في نفيه وحملنا قولهم غير مخلوق على انه غير مخلوق على هذا الترتيب والنظم من هذه الحروف والاصوات بل هو غير مخلوق على غير هذه الحروف وهذه حكاية عنها وقالوا اقوال مخالفينا كلها كذب حتى قولهم لا اله الا الله.

الفرقة السادسة من تلك الفرق الكبار الجبرية والجبر اسناد فعل العباد الى الله والجبرية متوسطة أي غير خالصة في القول بالجبر المحص بل هي متوسطة بين الجبر والتفويض تثبت للعبد كسباً في الفعل بلا تأثير فيه كالاشعرية والنجارية وخالصة لا تثبته كالجهمية وهم اصحاب جهم بن صفوان الترمذي قالوا لا قدرة للعبد اصلاً لا مؤثرة ولا كاسبة بل هو بمنزلة الجمادات فيما يوجد منها وقالوا ان الله لا يعلم لشيء قبل وقوعه وعلمه حادث لا في محل ولا يتصف الله بما يتصف به غيره كالعلم والحيوة لانه يلزم منه التشبيه والجنة والنار يفنيان بعد دخول اهلهما فيهما حتى لا يبقى موجود سوى الله سبحانه.

الفرقة السابعة المشبهة شبهو الله بالمخلوقات ومثلوه بالحادثات ولاجل ذلك جعلوا فرقة واحدة منهم وان اختلفوا في طريق التشبيه فمنهم مشبهة غلاة الشيعة كالسبائية والبيانية وغيرهم القائلين بالتجسيم والحركة والانتقال والحلول في الاجسام ومنهم مشبهة الحشوية قالوا هو جسم لا كالاجسام مركب من لحم ودم ولا كاللحوم والدماء وله الاعضاء والجوارح ويجوز عليه الملامسة والمصافحة والممانعة للمخلصين الذين يزورونه في الدنيا ويزورهم حتى نقل انه قال بعضهم اعفوني عن اللحية والفرج واسألوني عما رواه.

ومنهم مشبهة الكرامية اصحاب ابي عبد الله محمد بن كرام وأقوالهم في التشبيه متعددة مختلفة غير أنها لاتنتمي الى من يعبأ به، قال زعيمهم ان الله على العرش من جهة العلومماس له من الصفحة العليا ويجوزعليه الحركة والنزول ؛واختلفوا في أنه هل يملأ العرش أم لا بل هو على بعضه، وقال بعضهم ليس هو على العرش بل هو محاذ للعرش وأختلف أبعد متناه أم غير متناه؛ ومنهم من أطلق عليه لفظ الجسم؛ ثم أختلفوا هل هو متناهمن الجهات كلها أو متناه من جهة التحت فقط أو لا أى ليس متناهياً بل هو غير متناه من جميع الجهات، وقال تجل الحوادث في ذاته وزعموا أنه أنما يقدر على الحوادث الحالة فيها دون الخارجة عن ذاته، وجوزوا إمامين في عصر واحد كعلي ومعاوية الأ ان أمامة علي عليه السلام على وفق السنة بخلاف أمامة معاوية، لكن يجب طاعة رعيته له وقالوا أن الأيمان قول الذر في الأزل بلى أي الأيمان والإقرار الذي وجد من الذر حين قال تعالى(ألست بربكم) وهو باق في الكل على السوية الأ المرتدين، وأيمان المنافق مع كفره كأيمان الأنبياء لإستواء الجميع في ذلك الأيمان، والكلمتان ليستا بأيمان الأ بعد الردة، هذا ترتيب الفرق الأسلامية على نحو ما ذكره العضدي والشريف وغيرهما وقالا بعد تعداد هذه الفرق

وأما الفرقة الناجية المستثناة الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وآله هم الذين على ما أنا عليه وأصحابي فهم الأشاعرة والسلف من المحدثين وأهل السنة والجماعة؛ ويرد على هذا النقل أمور

الأول أنهم أهملوا كثيراً من الفرق الشيعة من الفرق العظيمة وذكروا فرقاً شاذة لا يعبأ بمن قال بها، فمن الفرق التي أهملوا ذكرها من الفرق الشيعية النادوسية أصحاب رجل يقال له ناووس؛ وقيل آل قرية ناووسان قالت ان الصادق عليه السلام حتى بعد ولن يمت حتى يظهر فيظهر امره وهو القائم المهدي وحكى ابو حامد الزوزني ان الناووسية زعمت ان علياً عليه السلام مات وستنشق عنه الارض يوم القيامة فيملأ الارض عدلاً أقول المراد بالقيامة هنا القيامة الصغرى

وهي زمن رجعة النبي ﷺ ورجعة اهل بيته في وقت ظهور المهدي كما تقدم الكلام فيه مفصلاً.

ومنها الافطحية قالوا بانتقال الامامة من الصادق عليه السلام الى ابنه عبد الافطح وهو اخو اسماعيل من ابيه وامه، وكان اسن اولاد الصادق عليه السلام ونقلوا عنه ان الامامة لا تكون الا في الولد الاكبر لكنهم لم ينقلوا آخر الحديث وهو قوله الا ان يكون به عاهة، وعبد الله كان افطح القدمين والامام يجب ان يكون اكمل الناس خلقاً وخلقاً، واما حكاية عمى يعقوب وشعيب وكسر ثنية النبي ﷺ يوم احد فلا يخلّ باستواء الخلقة الاصلية اذ هذه الامور قد عرضت لما طعنوا في السن، وكذا ما روى من سقوط بعض اسنان الائمة عليهم السلام.

ومنا الواقفية وهم الذين قد وقفوا على موسى بن جعفر عليهما السلام وانكروا موته وقالوا انه حي وهؤلاء هم خواص شيعته وذلك انهم كانوا وكلائه عليه السلام على جمع اموال الصدقات والاخماس من شيعته وكان بعضهم في قم وبعض في بغداد الى غير ذلك من البلدان ولما اتصل بهم خبر فوت الكاظم عليه السلام طمعوا في الاموال فانكروا موته وقالوا انه حي ولم يدفعوا الاموال الى الرضا عليه السلام فأنكروا امامته ولكن من قال من الشيعة بامامة الرضا عليه السلام قال بامامة باقي الائمة عليهم السلام ومن هذا جاء في الحديث انه لا يزور الرضا عليه السلام الا الخالص من الشيعة وقد رأيت في الكتب المعتبرة ان من الواقفية من وقف على الباقر عليه السلام ومنهم من وقف على الصادق عليه السلام وفي بعض الاخبار دلالة عليه.

الامر الثاني انه جعل الاشاعرة وهم المنسوبون الى علي بن اسماعيل الاشعري المنتسب الى ابي موسى الاشعري فرقة واحدة وجعلهم هم الفرقة الناجية، عليه السلام انهم فرق اربع وهم الحنفية والشافعية والمالكية والحنبلية، وكل فرقة من هذه الاربع تخالف الفرقة الاخرى في كثير من مسائل الاصول والفروع فكيف صارت هذه الفرق الاربع على اختلاف اقاويلها فرقة واحدة، وقد عدّ سابقاً الخمرية والشعيبية فرقتين مع انهما لم يختلفا الا في مسألة واحدة نعم وجه الجامع بين هذه الفرق الاربع هو الاتفاق بينهم على تأخير المؤمنين علي عليه السلام عن درجته ووضع غيره فيها فصاروا فرقة واحدة لقوله عليه السلام الكفر ملة واحدة.

الثالث جزمه بأن الفرقة الناجية هم الاشعارة ما نعلم من اين أخذه أمن قولهم ان الخير والشر من الله وان العبد ليس له اختيار في افعاله واقواله وانه مجبور على كل ما يصدر منه ام من قولهم بتعدد القدماء وهي صفاته الزائدة على ذاته وقد نهى الله سبحانه النصارى عن القول بالتثليث وهي الاقانيم الثلاثة قال الشهرستاني ويعنون بالاقانيم الصفات كالوجود والحيوة والعلم او الاب والابن وروح القدس وقال في موضع آخر ان المراد بروح القدس أقنوم

الحيوة وقال شيخنا البهائي طاب ثراه في الكشكول النصارى مجموعون على ان الله تعالى واحد بالذات ويريدون بالاقانيم الصفات مع الذات ويعبرون عن الاقانيم بالاب والابن وروح القدس يريدون بالاب الذات مع الوجود وبالابن الذات مع العلم ويطلقون عليه اسم الكلمة ويريدون بروح القدس الذات مع الحيوة واجمعوا على ان المسيح ولد من مريم وصلب والانجيل الذي بأيديهم انما هو سيرة المسيح جمعه اربعة من الصحابة وهم متّى ولو قال (لوقا خ) وماريوس ويوحنا ولفظة انجيل معناها البشارة ولهم كتب تعرف بالقوانين وضعها اكابرهم يرجعون اليها في الاحكام والعبادات والمشهور من فرقهم ثلاثة.

الاولى الملكانية يقولون قد حل جزء من اللاهوت في الناسوت واتحدَ بجسد المسيح وتدرع به ولا يسمون العلم قبل تدرعه ابناء هؤلاء قد صرحوا بالتثليث واليهم الاشارة بقوله تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وهؤلاء قالوا ان القتل والصلب وقع على الناسوت لا اللاهوت.

الثانية اليعقوبية قالوا ان الكلمة انقلبت لحما ودماً فصار المسيح هو الاله واليهم الاشارة بقوله تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم الثالثة النسطورية قالوا ان اللاهوت اشرق على الناسوت كاشراق الشمس على البلورة والقتل والصلب انما وقع على المسيح من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته، والمراد بالناسوت الجسد وباللاهوت الروح وقال سبحانه ولا تتخذوا الهين اثنين والاشاعرة كأنهم قد فهموا ان النهي انما ورد عن الالهين لا عن السبعة او الثمانية وحيث انتهى الكلام الى هنا فلا بأس بالاشارة الى بعض ما يرد على اعتقادهم الفاسد في شأن خلق الاعمال فنقول.

اما اصحاب مالك واصحاب الشافعي واصحاب احمد بن حنبل ومن وافقهم على اعتقاد المجبرة فانهم اتفقوا جميعاً على ان جميع ما في العالم من حركات وسكنات ومكروهات ومحبوبات ومستحسنات ومستكرهات ومستقبحات فانها من فضل الله على العباد.

وذكروا ان الله سبحانه قهرهم ومنعهم عن الاختيار في كل مكروه او مراد يلحق بهؤلاء من كاتن منهم يقول ان الله يخلق الاعمال والعبد مكتسباً منه لان الكسب عندهم لا يوجبها ولا يوجدها وانما يوجبها ويوجدها على قولهم الله وانها صادرة عنه ولانه يقال لهم هل يقدر العبد على ترك الكسب فان قالوا نعم فقد قالوا بالاختيار وحصل الوفاق وان قالوا لا يقدر على ترك الكسب فقد ساووا المجبرة في تصريحهم بان العباد مجبورون مقهورون ثم قيل لمن ثال ان العباد مجبورون ما معنى هذا لان معنى الجبر ان يكون العبد مختاراً فيجبره غيره ويمنعه عن اختياره

وانتم تزعمون ان العبد ما كان مختاراً قط ولا كان له فعل على الحقيقة فما معنى قولكم ان العباد مجبورون.

وقد زاد على هذا اصحاب احمد بن حنبل ان الله جسم مستقر على عرشه بجوارح بشرية وبعضهم قال ان الله ينزل الى الارض في صورة شاب ورووا في ذلك اخباراً كثيرة يكذبها العقل والنقل ولم يتعرض الشهرستاني ولا غيره من علمائهم لنسبة هذا القول السخيف الا الى فرقة من فرق الشيعة لاجل التشنيع بها عليهم وقد كان الواجب عليهم نسبة هذا القول ايضاً الى اصحاب الحنبلي والا فنحن نبرأ من تلك الفرقة من الشيعة الذين يقولون بالجسم ونكفرهم ونلعنهم وانتم لا تكفرون اصحاب الحنبلي ولا تبرأون منهم بل ادرجتموهم في الفرقة الناجية وهم الاشاعرة بزعمكم.

ومما يستدل على بطلان مقالتهم من انه لا فاعل في العالم سوى الله انه يلزم ان يكون الله تعالى قد ارسل الرسل الى نفسه وانزل الكتب على نفسه وكان كل وعد ووعيد وتهديد صدر على لسان الملائكة والانبياء والرسل فانه يلزم ان يكون قد وعد نفسه وتوعدها وهددها ولم يذهب الى هذا عاقل، وايضاً اذا جاز على زعمكم ان الله يضلّ العباد ويجبرهم على الفساد ويصدق بالمعجزات الكذابين كيف يبقى لهم طريق الى اثبات نبوة نبيهم وغيره من الانبياء ومن اين يعرفون صحة شريعته؟ ومن اجل لزوم هذا عليهم قال صاحب الكشاف في كتاب الفائق فاما المجبرة فان شيوخنا كفروهم وحكى قاضي القضاة عن الشيخ ابي علي انه قال لمجبر كافر ومن شك في كفره فهو كافر ومع هذا أتزعمون ان صاحب الكشاف والشيخ ابا علي من اهل الجنة ومن اهل السنة والجماعة وكل منكم يكفر الاخر، ولكن هذا القول هنا لكم فيه مطمح نظر في محل آخر وهو حروب الصحابة وتكفير بعضهم بعضاً وقتله له مع انهم كلهم محقون ومن اهل الجنة.

والعجب انهم صرحوا بأنه يجوز من الله في عدله وحكمته ان يجمع الانبياء والمرسلين والملائكة المقربين فيخلدهم في النار ويجمع الكفار والملاحدة والمنافقين وابليس وجنوده فيخلدهم في الجنة والنعيم، وقالوا ان هذا انصاف منه وعدل وقد بنوا هذا على ذلك الاصل الفاسد وهو ان افعالهم من فعل الله فيهم وانهم بريئون منها بحيث لا يلامون على ما فعلوا فاذا كان الحال هكذا وجب على الانبياء ان يعذروهم في ترك قبول اقوالهم واعجب منم هذا انهم قالوا متى اعتقدنا ان افعال العباد منهم صار العباد شركاء لله فاقتضى التعظيم لله ان تكون الافعال كلها التي من بني آدم وغيرها من الله فهذا اجلالهم لربهم وهو ان يصدر منه ما يصدر

من اخس عبده من اقبح الافعال، ولعمرك انهم ما قدروا الله حق قدره مع ان حكاية الشركة لله سبحانه لازم لمن قال منكم وهو اخياركم بالكسب فقد ادعيتم الشركة بين العبد وبين الله.

ومن عجيب ما ذكروه قولهم متى اعتقدنا ان العباد يقدرون ان يفعلوا شيئاً باختيارهم كان ذلك دليلاً على عجز الله تعالى حيث يقع منهم لا يريده من المعاصي ولم يعلموا انه لا عجز يلحق المالك اذا جعل عبد مختاراً لافعاله سوى فعل العبد ما يكره المولى ام يحب ولو اراد قهر عبد وموته فأي عجز هنا للمولى؟ ويزيده ايضاحاً ان السلطان اذا اقطع مملوكاً اقطاعاً، وقال له قد مكنتك والرعية مدة معلومة عندي فان احسنت جازيتك بالاحسان وان اسأت اليهم عاقبتك فمضى المملوك الى اقطاعه وظلم الرعية وسار فيهم بخلاف ما يريد السلطان أفيكون دليلاً على عجز السلطان لو صبر حتى يأتي وقت المدة التي عينها للمجازاة على الاحسان او المؤأخذة على العصيان.

ومن الدلائل على بطلان قولهم انهم يدّعون الاعتراف بصدق نبيهم وثبوت كتابهم وقد تضمن حكاية اعتذار الكفار والظالمين الى الله يوم القيامة بأنهم ظلمهم غير الله وما تضمن الكتاب ان احداً منهم اعتذر الى الله وقال له انت يا رب قضيت علينا معصيتك وانت منعتنا من طاعتك فان يوم القيامة تنكشف الامور انكشافاً واضحاً فأقروا تارة ان المعاصي منهم فقالوا ربنا ارجعنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل وما قالوا تعمل انت غير الذي كنت تعمل وقالوا وهم في النار ربما اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون وما قالوا فان عدت وقال بعضهم رب ارجعوني لعلي اعمل صالحاً فيما تركت وما قال لعلك تعنمل صالحاً، وقال ان تقول نفس يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله وما قال ما فرطت في جنبي، واذا كان العباد ما فعلوا شيئاً فما هذا التحسر والتفريط وعلى ماذا ندم النادمون وبكى الباكون ومن العجب ان الشياطان اعترف لهم انه هو الذي اضلهم وشهد الله عليه بذلك فينزهون الشيطان عن اعترافه ولا يقبلون شهادة الله عليه اما اعتراف الشيطان فهو في مواضع كثيرة منها قوله تعالى ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم واما شهادته سبحانه ففي مواضع ايضاً منها قوله تعالى الشيطان سوّل لهم واملى لهم فردوا على الله شهادته ونزهوا الشيطان عن الله وقالوا ما اضلهم الا الله.

ويدل ايضاً على تنزيه الله من افعال عباده قولهم ربنا اانا اطعنا سادتنا وكبرائنا فأضلونا السسبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً فلو كان هؤلاء قد وجدوا في القيامة ان الذي اضلهم هو الله وحده ما كانوا قد اعترفوا به على انفسهم ولا ادعوه على ساداتهم وكبرائهم واوضح من هذا قولهم ربنا ارنا اللذين اضلانا من الجن والانس نجعلهما تحت اقدامنا

ليكونا من الاسفلين فاذا كان الله هو الذي فعل بهم لقالوا له انت الذي فعلت بنا فكيف تعذبنا كيف لا وبعضهم يكابره في القيامة ويجاحده حتى يقول والله ربنا ما كنا مشركين فيقول تعالى انظر كيف كذبوا على انفسهم فمن اقدم على هذه المكابرة بالكذب لو كان يعلم ان الله فعل ذلك ما كان يحتاج الى هذه المكابرة وكان يقدر ان يقول يا رب انت فعلت ونحن ما فعلنا شيئاً وقوله تعالى انظر كيف كذبوا على انفسهم يدل على تعجب منهم كيف انكروا انهم اشركوا فلو كان هو الذي فعل فيهم الشرك فممن كان يتعجب ولو كان هو الذي قهرهم يوم القيامة على هذا الجحود والانكار فعهل كان يقع من احكم الحاكمين واعدل العادلين ان يتعجب منهم وهو الذي فعل فيهم وهل يكون التعجب على قولهم الا من نفسه.

ومن الدلائل ايضاً قوله ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه واعدّ له عذاباً عظيماً فاذا كان هو الذي قتل المؤمن فعلى من يغضب ولمن يتهدد ولعمرك قد افتضح هؤلاء الجماعة وضحكت عليهم ارباب الملل فان الذي يقول ان الله منعني من الدخول في دينكم ولو جبرني (خيرني خ) على الدخول لدخلت وانا اردت وهو يمنعني.

ومن اقوى دلائلهم على هذا المذهب الباطل قوله تعالى لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وهو بالدلالة على بطلان مذهبهم اوضح وذلك ان اقصى ما يدل عليه هو انه ليس لاحد ان يسأل الله سبحانه عن افعاله ولكن الله يسأل الناس عن افعالهم فلو كانت الافعال كلها منه لكانت متساوية فما كانت تحتاج الى التقسيم الى قسمين.

ومن الدلائل على بطلان مقالتهم ما روى ان ابا حنيفة اجتاز يوماً على موسى بن جعفر عليه السلام وهو طفل في المكتب فاراد ابو حنيفة امتحانه فقال له المعصية ممن؟ فقال عليه السلام اجلس حتى اخبرك فجلس ابو حنيفة بين يديه فقال موسى عليه السلام لا بد ان يكون المعصية من العبد او من ربه او منهما فان كانت من الله تعالى فهو اعدل وانصف من ان يظلم عبده الضعيف ويأخذه بما لم يفعل وان كانت المعصية منهما فهو شريكه والقوي اولى بانصاف عبده الضعيف وان كانت المعصية من العبد وحده فعليه وقع الامر واليه توجه النهي وله حق الثواب وحق العقاب ووجبن له الجنة والنار فقال ابو حنيفة ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم.

ومن الدلائل على قولنا قول امير المؤمنين عليه السلام كل ما استغفرت الله منه فهو منك وكل ما حمدت الله تعالى عليه فهو منه، وسأل الصادق عليه السلام عن القدر فقال ما استطعت ان تلوم العبد عليه فهو فعله وما لم تستطع ان تلوم العبد عليه فهو فعل الله تعالى يقول الله للعبد لم عصت لم فسقت فهذا فعل العبد ولا يقول له لم مرضت ولم طلت ولا قصرت لم ابيضضت لم اسوددت لانه فعل الله.

وروى ان الفضل بن سهل سأل الرضا عليه السلام بين يدي المأمون فقال يا ابا الحسن الخلق مجبورون فقال الله اعدل من ان يجبر ثم يعذب قال فمطلقون قال قال الله احكم من ان يهمل عبده ويكله الى نفسه.

ومن الدلائل على بطلان مذهبهم قوله تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدًا فانه تعالى قد استعظم في القرآن مقالة المشركين هذه فاذا كان فعله (الفعل خ) فكيف يستعظمه على وجه الانكار وقيل للمجبرة ان الله تعالى يقول قد افلح من زكيها وقد خاب من دسيها من هذا الذي قد خاب؟ فلم يكن لهم عن ذلك جواب وحكى ان بعض الجبرية اجتاز بعدلي راكب فقال له انل حتى اسألك مسألة فقال له العدلي أفتقدر ان تسألني؟ قال لا قال افأقدر ان انزل اليك واجيبك؟ قال لا فقال للجبري كيف اطلب نزول من لا يقدر على سؤالي ولا اقدر على نزولي اليه ولا جوابي فانقطع الجبري وروى ان عدلياً قال لمجبّر ممن الحق قال من الله قال فمن هو المحق؟ قال الله قال له فممن الباطل؟ قال من الله فقال له فمن هو المبطل؟ فانقطع المجّبر ولم يقدر على ان يقول الله المبطل وهو لازم له على مذهبه وروى ايضاً ان جماعة من اليهود اجتمعوا الى ابي بحر الخاقاني فقالوا له انت سلطان عادل ومنصف وفي المسلمين في بلدك المجبرة وهم الذين تعتمدون عليهم في الافعال والاقوال وهم يشهدون لنا اننا لا نقدر على الاسلام ولا على الايمان فجمع المجبرة قال لهم ما تقولون فيما قد ذكره اليهود من احتجاجهم عليكم؟ فقالوا كذا نقول وانهم ما يقدرون على الاسلام والايمان فطالبهم بالدليل على قولهم فلم يقدروا عليه فنفاهم عن بلده.

ومن الدلائل على بطلان مقالتهم ان العدلي يقول للجبري عند المناظرة هذه المناظرة بيني وبينك في التحقيق او بين الله وبين نفسه فان كانت بيني وبينك فقد بطل ما تدعونه من انه لا فاعل سوى الله وان كانت المناظرة بين الله وبين نفسه فهل تقبل العقول ان الله سبحانه يناظر نفسه لان المناظرين اذا كان احدهما محقاً والاخر مبطلاً او احدهما عالماً والاخر جاهلاً وكانت المناظرة كما زعموا بين الله وبين نفسه فكيف يتصور ان الله تعالى من جانب مبطل ومن جانب محق ومن جانب يوصف بجهل ومن جانب عالم (يوصف بعلم خ) تعالى عما يقول الكافرون علواً كبيراً.

ومن الدلائل التي يفحم بها اهل الجبر الذين يقولون لا فاعل سوى الله تعالى وان كل فعل يظهر على العباد فهو فعل الله على التحقيق وان يقال لهم ان كل انسان يعلم من نفسه انه يكون جاهلاً ثم تصير عالماً، ثم يكون شاكاً فيصير متيقناً ثم يكون ظاناً فيصير عالماً ولا شبهة عند العقلاء ان الجهل والعلم والشك واليقين والظن والعلم افعال، فمن هذا الجاهل ومن هذا

الشاك ومن هذا الظان؟ فان قلتم انه ربكم فقد كفرتم تحقيقاً وصار كل واحد منكم زنديقاً؟ وان قلتم انه العبد وهو الحق فقد تركتم مذهبكم ورجعتم الى الحق.

فان قال قائل ان الاشاعرة ما صرّحوا بمثل هذا فمن اين نسبت مثله اليهم قلت نعم قد صرَح به علماؤهم والمحققون منهم قال الرازي في كتاب الاربعين المسألة الرابعة واعشرون في بيان ان الله تعالى مريد لجميع الكائنات مذهب المعتزلة ان الارادة توافق الامر فكل ما امر الله تعالى به فقد اراده وكل ما نهى عن فقد كرهه مذهبنا ان الارادة توافق العلم وكل ما علم وقوعه فهو مراد الوقوع وكل ما علم عدمه فهو مراد العدم فعلى هذا ايمان ابي جهل مأمور به وغير مراد كفره منهي عنه وهو مراد هذا لفظه ويلزم عليه ان يكون ابو جهل قد غلب النبي ﷺ بالاحتجاج بان يقول له ربك ما يريد منّا الاسلام وانت تريده وايقاع ارادة ربك اوجب من ايقاع ارادتك فكان قد انقطع محمد ﷺ وبانقطاعه ينقطع حجة من ارسله وان كان الرازي يزعم ان محمداً ﷺ ما يريد ايضاً من الكفار الايمان فتكون حجتهم قد ازدادت قوة ويقولون له اذا كان الله تعالى قد ارسلك ما يريد الايمان منّا وانت ما تريده منّا فنحن ايضاً ما نريد خلاف ارادتكم فعلام تحاربنا وتعادينا وقد وافقت ارادتنا وارادة من ارسلك وكان ابلغ في ظهور حجة الكفار عليه وللقد كانت الجاهلية اقل كفراً من هذا الاعتقاد والجاهلون بالله ما بلغوا الى هذه الغاية من الكفر والفساد لان اولئك ما عرفوه فيما نسبوا اليه خيراً ولا شراً او هؤلاء المجبرة ادعوا معرفته ونسبوا كل شر وكفر وضرّ اليه فيعزّ على الله وعلى رسوله ما جنى هؤلاء عليه.

وما احسن قول بعض المحققين انه يلزم على قول الرازي ومن تابعه ان يكون قولهم نحو قول النصارى في عيسى بن مريم والنصيرية في علي بن ابي طالب لان عقلاء النصارى والنصيرية ما كان يخفى عليهم ان الله سبحانه غير هيكل عيسى وعلي عليهما السلام نعم رأوا ان الافعال الصادرة منهما خارجة عن طوق البشر فنسبوها الى انها من فعل الله وعبدوا فاعل تلك الافعال وغلطوا في التسمية، وهذا هو قول الرازي ومن وافقه في انه لا فاعل سوى الله جل جلاله فانهم يلزمهم تصديق النصارى والنصيرية في ان افعال عيسى وافعال علي عليهما السلام فعل الله والفاعل لها هو الله جل جلاله الذي يستحق العبادة.

واما الغزالي فهو ازهدهم واورعهم واعلمهم وقد قال في كتاب احياء العلوم ولا يجري في الملك والملكوت طرفة عين ولا فلتة خاطر الا بقضاء الله وقدره وبارادته ومشيته فمنه الخير والشر والنفع والضر والاسلام والكفر والعرفان والنكرو والفوز والحسن والغواية والرشد والطاعة والعصيان والشرك والايمان ونحو هذا قال في كتاب منهاج العابدين وهو آخر كتاب صنفه وما خصَ بي الا خواصه كما قاله صاحب الطرائف.

ومن عجيب ما يقال لهم ان الافعال اذا كانت كلها فعل الله عندكم على التحقيق فقد صار كلامكم وامركم ونهيكم كالقرآن والوحي وككلام الله لموسى من الشجرة وككلام الله للانبياء عن الله فما بقى بينكم وبينهم فرق وحصل القدح في الرسل والطعن عليهم.

واما الايات الدالة على بطلان مقالتهم فهي متكثرة منها قوله سبحانه الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات ولا شك ان الطاغوت غير الله تعالى ومنها قوله سبحانه وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا ءباؤنا ولا حرمَنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الى الظن وان انتم الا تخرصون.

ومن عجيب جواب بعض اهل العدل لبعض المجبرة ان المجبر قال ما ترضى ان يكون من خلق المعاصي لك رباً؟ فقال لا والله ولا عبداً يعني لو كان عبد يخلق المعاصي ما رضيته ان يكون عبدي وروى ان ثمامة كان في مجلس المأمون وابو العتاهية حاضر فسأل ابو العتاهية المأمون ان يأذن له في مناظرة ثمامة والاحتجاج عليه وكان ابو العتاهية من الجبرية فحرك ابو العتاهية يده وقال من حرك هذه فقال له ثمامة وكان من اهل العدل حركها من امّه زانية فقال ابو العتاهية شتمني يا امير المؤمنين في مجلسك فقال ثمامة ترك مذهبه يا امير المؤمنين لانه يزعم ان الله حركها فلأي سبب غضب ابو العتاهية وليس لله ام فانقطع ابو العتاهية.

ويعجبني نقل حكاية غريبة وهي ان البهلول قد اجتاز يوماً على مسجد ابي حنيفة وكان يعظ الناس على المنبر فوقف على باب المسجد فاذا ابو حنيفة يقول ان جعفر بن محمد يزعم ان للعباد افعالاً تصدر منهم بالاختيار وهذا كذب لانه لا فعل في افعال العباد الا من الله وزعم ايضاً ان الشيطان يعذب في النار وهذا كذب ايضاً لانه مخلوق من النار والجنس لا يعذب بجنسه وزعم ايضاً ان الله موجود لا يجوز عليه الرؤية وهذا ايضاً كذب لان كل موجود مرئي فلما سمع البهلول كلامه عمد الى مدرة كبيرة فرمى بها الى رأس ابي حنيفة وشجّه في رأسه وجرى الدم على وجهه فركب البهلول قصبته ومضى مع الاطفال فخرج ابو حنيفة واتى شاكياً الى الخليفة هارون الرشيد فلما رآه غضب غضباً شديداً وامر باحضار البهلول فلما حضر سأله لم فعلت بامام المسلمين هذا الفعل؟ فقال سله عن هذا اما قال ان جعفر بن محمد كذب في قوله ان للعبد فعلاً بل الافعال كلها من الله فاذا كان هذا مذهبه فالله سبحانه الذي شجه بهذا المدر فما يكون تقصيري انا، وقال ايضاً ان الجنس لا يتعذب من جنسه فهذا ابو حنيفة مخلوق من التراب وهذا المدر من التراب فلم تعذب ابو حنيفة به؟ وايضاً قال ان كل ما هو موجود مرئي

فسله عن هذا الالم الذي حصل له من هذه الشجة أهو مرئي ام لا؟ فافحم ابا حنيفة ثم مضى البهلول وتركه.

وروى عن النبي ﷺ انه قال لعنت القدرية على لسان سبعين نبياً قيل ومن القدرية يا رسول الله ؟ قال قوم يزعمون ان الله قدّر المعاصي وعذبهم عليها وروى الخوارزمي وغيره عن محمد بن علي الملكي باسناده قال ان رجلاً قدم على النبي ﷺ فقال له رسول الله ﷺ اخبرني بأعجب شيء رأيت، قال رأيت قوما ينكحون امهاتهم وبناتهم واخواتهم فاذا قيل لهم لم تفعلون هذا قالوا اقضاه الله علينا وقدّره فقال النبي ﷺ سيكون في امتي أقوام يقولون بمثل مقالتهم اولئك مجوس امتي وعن جابر عن النبي ﷺ انه قال يكون في آخر الزمان قوم يعملون المعاصي ويقولون ان الله تعالى قدّرها عليهم الرادّ عليهم كالشاهر سيفه في سبيل الله.

واما الحنابلة منهم فقد تحققت ان مذهبهم كون جسماً وذكر اسماعيل الهروي في كتاب الاعتقادات ان اعتقادهم كون الله تعالى له جوارح كالبشر فقال ان الله عاب الاصنام فقال الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها، أم لهم أعين يبصرون بها؟ ام لهم آذان يسمعون بها، قل ادعوا شركائكم وقال حكاية عن الخليل لما حاجّه قومه هل يسمعونكم اذ تدعون، وقال لابيه لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً وقال ان تدعوهم لا يسمعوا دعائكم وقال ابراهيم لقومه فأسألوهم ان كانوا ينطقون وعاب العجل او لم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً، وقال افلا يرون ان لا يرجع اليهم قولا فلما عاب الطواغيت لعدم تلك الصفات علم وتبيّن انه تمدّح بها وانها حقائق فيه هذا لفظه، ولا يخفى ما فيه من الكفر والزندقة ومراد الله سبحانه من هذه الايات ظاهر وهو استعظام ما اتخذوه رباً لان من لا يقدر على نفع نفسه ولا على دفع الضرر عنها كيف يليق به مقام الربوبية.

ومن مضحك الحنابلة قولهم ان اسمه عين مسماه وان من قال الاسم غير المسمى فهو ملحد ورووا في افراد مسلم والبخاري عن النبي ﷺ قال ان الامم تدعى يوم القيامة وما كانت تعبد ثم يأتينا ربنا بعد ذلك فيقول من تنتظرون؟ فيقولون ننتظر ربنا فيقول انا ربكم فيقولون حتى ننظر اليك فيتجلى لهم يضحك قال فينطلق بهم ويتبعونه ويعطي كل انسان منهم منافق او مؤمن نوراً ثم يتبعونه وعلى جسر جهنم كلاليب وحسك يأخذون من شاء الله ثم يطفى نور المنافقين ثم ينجو المؤمنون انظروا الى هذا الحديث الباطل المكذوب به على الله وعلى جابر.

ومن عجائب ما نقلوه ما ذكره الحميدي في الجميع بين الصحيحين في مسند ابي سعيد الخدري من المتفق عليه عن النبي ﷺ يذكر فيه كيف تساقط الكفار في النار، ثم قال ما خذا لفظه حتى اذا لم يبق الا من كان يعبد الله من بر وفاجر أتاهم الله في ادنى صورة من التي

رأوه فيها فيقول لهم ما تنتظرون؟ قالوا فارقنا الناس في الدنيا افقر ما كنا اليهم ولم نصاحبهم فيقول انا ربكم الاعلى فيقولون نعم فيكشف عن ساقه فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه الا اذن له بالسجود ولا يبقى من كان يسجد اتقاءً وادباً الا جعل الله ظهره طبقة واحدة، كلما اراد ان يسجد خرَ على قفاه ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول في الصورة التي رأوه فيها اول مرة فيقول انا ربكم فيقولون انت ربنا.

اقول قوله فيكشف عن ساقه الظاهر انه اشارة الى خرافة اخرى رووها في كتبهم وهي انهم رووا بالاسانيد الكثيرة ان فاطمة عليها السلام تأتي يوم القيامة فتقف تحت العرش تشكو ممن قتل ولدها وظلمها فترجف الخلائق رجفة عظيمة، ثم ان الله سبحانه يقول لها يا فاطمة اعفى واصفحي عمن قتل ولدك وظلمك، كما عفوت انا عن نمرود لما صعد الى جانب السماء ورماني بسهم وقع في ساقي فجرحه والى الان لم تندمل تلك الجراحة ثم يكشف عن ساقه فتنظر اليه فاطمة وهو معصبها بعصابة فتقول يا رب اذا غفرت انت عن النمرود وقد فعل بل كل هذا فانا قد عفوت عمن قتل ولدي ثم يدخلون كلهم الى الجنة فانظر رحمك الله الى هذه الاكاذيب والاباطيل التي تضحك الثكلى عند سماعها.

ومن ذلك ما رواه محمد بن عمر الرازي حيث قال انهم رووا ان الله ينزل كل ليلة جمعة لاهل الجنة على كثيب من كافور، وقد روى الحميدي في الجمع بين الصحيحين بطرق متعددة عن النبي صلى الله عليه وآله فأما النار فلا تمتلي حتى يضع الله تعالى رجله فيها فتقول قط قط وعزتك فهنالك تمتلي ويزوي (يتزوى خ) بعضها الى بعض ورووا في الجمع بين الصحيحين ان رجلاً يقول في القيامة رب لا تجعلني اشقى خلقك فيضحك الله منه ثم يأذن له في دخول الجنة، وروى الرازي فيما زعم عن النبي صلى الله عليه وآله قال لما فرغ الله من خلقه استلقى على قفاه ثم وضع احدى رجليه على الاخرى ثم قال لا ينبغي لاحد ان يفعل مثل هذا.

ومن خرافاتهم ما رواه ابن مقاتل في كتاب الاسماء رفعه واسنده قال قيل يا رسول الله مم ربنا؟ فقال لا من ماء الارض ولا من ماء السماء خلق خيلاً فأجراها فعرقت الخيل فحلق نفسه من عرقها وان الله ينزل في كل ليلة الى سماء الدنيا وانه رمدت عيناه فعادته الملائكة وان البحر من بزاقه وان على رأسه شعراً جعداً قططا.

ومن ذلك ما رووه في الجمع بين الصحيحين من مسند ابي هريرة يرويه عن النبي صلى الله عليه وآله في صفة حال الخلق يوم القيامة وانهم يأتون آدم يسألونه الشفاعة فيعتذر اليهم فيأتون نوحاً فيعتذر فيأتون ابراهيم فيقولون يا ابراهيم انت نبي الله وخليل من اهل الارض اشفع لنا الى ربك فيقول ان ربي قد غضب عليّ غضباً لن يغضب قبله ولا يغضب بعده واني كنت كذبت ثلاث

كذبات اذهبوا الى غيري، فانظر الى هؤلاء المسلمين كيف وقعوا في الله وفي انبيائه، ومع هذا يتوقعون ويجزمون بأنهم هم الفرقة الناجية.

ومنه ايضاً ما رواه في الجمع بين الصحيحين في الحديث الرابع والاربعين من المنفق عليه من مسند ابي هريرة قال بينما الحبشة يلعبون عند النبي ﷺ بحرابهم اذ دخل عمر فأهوى الى الحصى يحصيهم بها، فقال له رسول الله ﷺ دعهم يا عمر وروى الغزالي في كتاب الاحياء ان النبي ﷺ كان جالساً وعنده جوار تغنين وتعلبنَ فجاء عمر فاستأذن فقال النبي ﷺ للجوار اسكتن فسكتن فدخل عمر فقضى حاجته ثم خرج، فقال لهن محمد نبيهم عدنَ الى الغنى، فقلن يا رسول الله من هذا الذي كلما جاء قلت اسكتن وكلما خرج قلت عدن الى الغنى؟ فقالوا عن النبي انه قال ان هذا رجل لا يؤثر سماع الباطل او نحو ذلك.

ورووا في صحاحهم عدّة احاديث تتضمن امثال ذلك فانظر الى هذا الحديث وتعجب من نقله وتصديقهم له، وما تضمنه من ان عمر كان ارشد واهدى من نبيهم، ومثل ذلك ما رواه في الجمع بين الصحيحين في الحديث السادس من المتفق عليه من مسند حذيفة اليمان قال كنت مع النبي ﷺ فانتهى الى بساطة فبال قائماً فتنحيت فقال له ادنه فدنوت حتى قمت عند عقبيه فتوضأ ومسح على خفيه فانظر الى هؤلاء الاقوام الذين رووا في كتبهم ان النبي ﷺ علّم الناس الاداب في البول والخلا وسائر الامور الدينية وانه لا يبول احدهم قائماً ويتباعد عن الناس وقت بوله، ثم يصدقون ويصححون انه بال قائماً وانه امر حذيفة بأن يقرب منه ويطلع عليه في ذلك الحال.

ومن ذلك ما روى في ذلك الكتاب من المتفق عليه من مسند عائشة قالت رأيت النبي ﷺ يسرني وانا انظر الى الحبشة وهم يلعبون في المسجد فزجرهم عمر، فقال النبي ﷺ آمنًا يا بني رفدة يعني من الامن، ومن الحديث المذكور عن عائشة ان ابا بكر دخل عليها وعندها جاريتان في ايام مني تلعبان بالدف وتضربان به، والنبي ﷺ يتغشى بثوبه فانتهرها ابو بكر فكشف النبي ﷺ وجهه فقال دعهما يا ابا بكر فانها ايام عبد وتلك الايام ايام منى.

ومن الحديث المذكور عن عائشة قالت دخل عليّ رسول الله ﷺ وعندي جاريتان تغنيان فاضطجع على الفراش فدخل ابو بكر فانتهرني فقال من هؤلاء الشياطين عند النبي ﷺ ؟ فأقبل اليه رسول الله ﷺ فقال دعهما فلما غفل غمزتهما فخرجتا فانظر الى هؤلاء الاخيار كيف صدقوا ان نبيهم كان يفرّج زوجه على الذين يلعبون وينبسط لهم في مثل هذه الرزائل مع ما رووه من غيرة النبي ﷺ وكونه أغير من كل أحد مع انهم رووا عنه ﷺ انه قال من سمع رجلاً ينشد ضالة في المسجد فليقل لا ادّاها اليك فان المساجد لم تبن لهذا فاذا لم يرض بانشاد

الضالة في المسجد فكيف يرضى بأن يكون محلاً للَعب واللهو، ثم كيف يجوز ان يكون عمر وابو بكر يستقبحان هذا الامر والنبي ﷺ يمنعهما من استقباحهما وكيف استحسن هذا الامر لنفسه وزوجته ثم كيف يكون ابو بكر وعمر اعرف بالاداب حيث انكر المغنيات والحبشة وهلاً إقتديا به، وكان لهما فيه اسوة حسنة وكيف لا يسكتان كما سكت وحيث لم يسكتا فهلا قالا يا رسول الله ما سبب سكوتك عن الانكار.

ومن ذلك ما رواه الغزالي في كتاب الاحياء في كتاب النكاح في الباب الثالث في ذكر حسن صحبة النبي ﷺ لعائشة قال وروى انه ﷺ كا يسابق عائشة في العدو فسبقته وسبقها رسول الله ﷺ في بعض الايام فقال لها عليه السلام هذا بتلك قال بعض المسلمين سبحان الله كيف يحسن من هذا الشيخ الغزالي وغيره نقل هذا الحديث على وجه التصديق به، وقد عرف اهل العقول والتجارب ان وقار النبوة وحرمة الرسالة والسكينة الالهية على ما تضمنه كتابهم يمنع محمداً ﷺ ان يعدو مع عائشة برجله مثل الاطفال والجهّال وان العقل يشهد ان هذه الحكاية من جملة المحال ولو فعل هذا من هو دونه من العقلاء سقطت منزلته بين الفضلاء.

ويعجبني نقل نبذة من كتاب يوحنا الذمي قال بعد ان ذكر الاختلافات في المذاهب والاديان واوّل الشبهة وان واضعها الشيطان كما قدمناه وآخر الشبهة وان واضعها عمر بن الخطاب واضرابه ما هذا لفظه قال يوحنا فلما رأيت هذه الاختلافات من كبار الصحابة الذين يذكرون مع رسول الله ﷺ فوق المنابر عم عليّ وغمّ عليّ الحال وكدت ان افتن في دينب فقصدت بغداد وهي اذاً قبة الاسلام لاخاوض فيها علماء الاسلام (المسلمين خ) لانظر الحق واتبعه فلما اجتمعت بعلماء المذاهب الاربعة قلت لهم انا رجل ذمي وقد هداني الله تبارك وتعالى للاسلام فأسلمت وقد اتيتكم لاتقبل عنكم معالم الدين وشرائع الاسلام، فقال كبيرهم وهو الحنفي يا يوحنا مذاهب الاسلام اربعة فاختر لنفسك واحداً منها ثم اشرع في قول ما تريد فقلت لهم اني رأيت تخالف المذاهب وعلمت ان الحق منها واحد فأختاورا لي ما تعلمون انه الحق الذي كان عليه نبيكم، ثم قال الحنفي إنّا لا نعلم الحق الذي كان عليه نبينا، بل نعلم ان طريقته غير خارجة عن الفرق الاسلامية وكل من اربعتنا يقول انه محق لكن يمكن ان يكون مبطلاً ويقول انه غيره مبطل لكن يمكن ان يكون غيره محقاً.

وبالجملة ان مذهب ابي حنيفة انسب المذاهب كلها واقيسها للحق واطبقها للسنة وارفعها عزاً عند الناس اذ مذهبه مختار اكثر الامة وسلاطينها فعليك به تنج.

قال يوحنا فصاح به امام الشافعية واظن انه كان بين الشافعي والحنفي منازعات فقال له اسكت لا نطقت والله لقد كذبت وتقولّت ومن اين انت والتمييز بين المذاهب وترجيح

المجتهدين ويلك ثكلتك امك ألك وقوف على ما قاله ابو حنيفة وما قاس برأيه فان المسمى بصاحب الرأي يجتهد في مقابلة النص ويستحسن في دين الله تعالى ويعمل به حتى اوقعه رأيه في الوهن في ان قال لو عقد في اقصى الهند على امرأة بكر وهي في الروم عقداً شرعياً ثم اتاها بعد سنين متعددة فوجدها حاملة وبين يديها اولاد يمشون فيقول لها ما هؤلاء فتقول له اولادك فيرافعها في ذلك الى القاضي الحنفي فيحكم ان الاولاد لصلبه يلحقون به ظاهراً وباطناً يرثهم ويرثونه فيقول ذلك المحارف وكيف ذلك ولم اقر بها قطّ.

فيقول القاضي يحتمل ان يكون قد احتملت واطارت الريح منيّك في قطنة فوقعت في فرج هذه المرأة فحملت فهل يا حنفي هذا مطابق للكتاب والسنة؟ قال نعم انما يلحق بها لانها فراشه، وقال النبي ﷺ الولد للفراش وللعاهر الحجر، والفراش يتحقق بالعقد ولا يشترط فيه الوطئ فمنع الشافعي انه لا يصير فراشاً بدون الوطئ فغلب الشافعي الحنفي بالحجة.

ثم قال الشافعي قال ابو حنيفة لو انّ امرأة تزّف الى بيت زوجها فعشقها رجل فادعى عند قاضي الحنيفية انه عقد عليها قبل الرجل الذي زفت اليه وارشى المدعى فاسقين حتى شهدا له كذباً بدعواه فحكم القاضي بزوجية تلك المرأة فانها تحل عليه ظاهراً وباطناً عند ابي حنيفة، وتحرم على الرجل الاول ظاهراً وباطناً وتحل على الشهود الذين تعمدوا الكذب في شهاداتهم فانظروا ايها الناس هل هذا يصدر ممن عرف قواعد الاسلام قال الحنفي لا اعتراض لك عندنا ان حكم القاضي ينفذ ظاهراً وباطناً وهذا متفرع عليه.

وخصمه الشافعي ومنع من ان ينفذ حكم القاضي ظاهراً وباطناً بقوله تعال وان احكم بينهم بما انزل الله ولم ينزل الله تعالى ذلك.

ثم قال الشافعي قال ابو حنيفة لو ان امرأة غاب عنها زوجها انقطع خبره فجاء رجل وقال زوجك قد مات فاعتدت وبعد العدة عقد عليها رجل آخر ودخل بها وجائت منه باولاد، ثم غاب الرجل الثاني عنها وظهر حياة الاول وحضر عندها، فان جميع اولاد الرجل الثاني يكونون اولاد الرجل الاول يرثهم ويرثونه فيا اولى العقول الباهرة هل يذهب الى هذا القول من له دراية او نظر، فقال الحنفي انما اخذ ابو حنيفة هذا من قوله: الولد للفراش وللعاهر الحجر، فاحتج عليه الشافعي بكون الفراش مشروطاً بالدخول وغلبه.

ثم قال الشافعي وامامك ابو حنيفة قال لو عشق رجل امرأة مسلم وادعى عند القاضي كذباً ان زوجها طلقها وجاء بشاهدين فشهدا له كذباً فحكم القاضي بطلاقها حرمت على زوجها الاول وجاز للمدعى نكاحها وللشهود ايضاً وزعم ان حكم القاضي ينفذ باطناً وظاهراً وقد عرفت ما فيه.

فقال الشافعي وامامك ابو حنيفة قال اذا شهد اربعة رجال على رجل بالزنا فان صدقهم سقط الحد وان كذبهم لزم فاعتبروا أي اولي الابصار، وقال ابو حنيفة لو لاط رجل بصبي ويوقبه (لم يمني) فلا حدَ عليه يعزّر، ورسول الله ﷺ يقول من عمل عمل قوم لوط اقتلوا الفاعل والمفعول.

وقال ابو حنيفة ان من لف على ذكره وزنى بأمه وبنته جاز وقال ابو حنيفة لو غصب احد حنطة من مسلم فطحنها ملكها، فلو اراد صاحب الحنطة ان يأخذ حنطة ويعطي الغاصب الاجرة لم يجب على الغاصب اجابته وله منعه فلو قاتله فقتل صاحب الحنطة كان دمه هدراً، ولو قتل الغاصب قتل صاحب الحنطة به، وقال ابو حنيفة لو سرق سارق الف دينار وسرق الفاً أخرى من آخر ومزجهما ملك الجميع ولزمه البدل وقال ابو حنيفة لو قتل المسلم التقي العالم كافراً قتل المسلم به والله تعالى يقول في محكم كتابه ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا، وقال ابو حنيفة لو قتل حر عبداً قيمته عشرة دراهم قتل الحر به، والله تعالى يقول الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى.

وقال ابو حنيفة لو اشترى احد امه واختها ونكحهما لم يكن عليه حد وان علم وتعمد وقد قال الله تبارك وتعالى وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف وقال ابو حنيفة لو عقد على امه او اخته عالماً بانها امه او اخته وادخل بها لم يكن عليه حد لان العقد شبهة، وقال لو نام رجل على طرف حوض من نبيذ فانقلب في نومه ووقع في الحوض ارتفعت جنابته وطهر، وقال ابو حنيفة لا تجب النية في الوضوء ولا في الغسل وفي الصحيح انما الاعمال بالنيات، وقال لا تجب البسملة في الفاتحة واخرجها عنها مع ان الخلفاء كتبوها في المصاحف بعد تجويد القرآن.

وقال لو سلخ جلد الكلب الميت ودبغ طهر وحل له شراب الماء ولبسه في الصلوة وهذا مخالف لنص تنجيسه المقتضى لتحريم الانتفاع به، بل يا حنفي في مذهبك انه يجوز للمسلم اذا اراد الصلوة ان يتوضأ بنبيذ ويلبس جلد كلب مدبوغ ويفرش تحته مثل ذلك ويسجد على عدرة يابسة ويكبر بالهندية ويقرأ بالعبرانية او الفارسية ويقول بعد الفاتحة (دوبرك سبز) يعني مدها متان ثم يركع ولا يرفع رأسه ثم يسجد ويفصل بين السجدتين بمثل حد السيف وقبل التسليم يتعمد خروج الريح، فان صلوته صحيحة وان اخرج الريح ناسياً بطلت صلوته، فاعتبروا يا اولي الابصار، ايجوز لنبي ان يأمر امته بمثل هذه الصلوة فافحم الحنفي وامتلأ غيظاً.

وقال يا شافعي اقصر فض الله فاك واين انت والاخذ على ابي حنيفة اين مذهبك من مذهبه فانما مذهبك بمذهب المجوس اليق لان في مذهبك انه يجوز للرجل ان ينكح ابنته من الزنا بل يجمع بين اختيه من الزنا وكذا عمته وخالته والله تعالى يقول حرمت عليكم امهاتكم

وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة وامهاتكم نسائكم وربائكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف وهذه صفات حقيقية لا تتغير بتغير الشرائع والاديان ولاتظننَ يا شافعي يا احمق ان منعهم من التوريث يخرجهم من الصفات الذاتية ولذلك يضاف فيقال بنته واخته من الزنا.

قال يوحنا فانظروا يا اولي الابصار هل هذا الا مذهب المجوس ويا شافعي اما امامك فأباح للناس لعب الشطرنج مع ان النبي ﷺ قال لاعب النرد والشطرنج كعابد الوثن، وامامك الشافعي اباح الرقص والدف والقصب، قال يوحنا فطال بينهما الجدال فاحتمى الحنبلي للشافعي واحتمى المالكي للحنفي ووقع المالكي والحنبلي، وكان مما وقع بينهما ان قال الحنبلي للمالكي ان مالكاً ابدع في الدين بدعا اهلك الله تعالى عليها امماً، وهو اباحها واباح وطؤ المملوك وقد صحَ عن النبي ﷺ من لاط بغلام فاقتلوا الفاعل والمفعول ومالك يقول في المنظومة

وجايز نيك الغلام الامـــرد	وجوّزوا للرجل المجـــــرد
هذا اذا كان وحيداً في السفر	ولم يجد انثى تفي الا الذكر

وانا رأيت مالكياً ادعى عند القاضي على آخر انه باعه مملوكاً والمملوك لا يمكنه من وطيه، فاثبت القاضي انه عيب في المملوك له رده به، وايضاً امامك اباح لحم الكلب فرجع المالكي عليه وصاح به، وقال اسكت يا مجسم يا حلولي مذهبك اولى بالقبح لان عند امامك احمد بن حنبل ان الله تبارك وتعالى جسم يجلس على العرش ويفضل عن العرض بأربع اصابع، وانه ينزل كل ليلة جمعة من سماء الدنيا على سطوح المساجد في صورة امرد قطط الشعر له نعلان شراكهما من اللؤلؤ الرطب على حمار له ذوائب وعلماء الحنابلة ينون على سطوح المساجد معالف ويضعون فيها تبناً وشعيراً ليأكله منه حمار الله تعالى.

ومن المشهور انه في ليلة جمعة صعد احد زهاد الحنبلية سطح مسجد الجامع يرتجي ان ينزل الله تعالى واتفق انه كان على سطح الجامع غلام نفاط وكان قطط الشعر فلما وقع بصر الشيخ عليه ظنه ربه فوقع على قدميه يقبلهما ويقول سيدي ارحمني ولا تعذبني ويشتكي ويتضرع فبهت الغلام وظنّ انه يريد منه فعلاً قبيحاً، فصاح بالناس وقال هذا الرجل يريد ان يفسق بي في سطح المسجد وأتى اليه جماعة النفاطين فأوجعوه ضرباً ومضوا به الى الحاكم فحبسه الى الغد لينظر في حاله فسمع في ذلك علماء الحنابلة فأتوا الى الحاكم واقسموا بالله ان

هذا الرجل مما لا يظن فيه هذا الامر وانما ظنَ انه ربه فاراد ان يقبّل قدميه فقبّح الله مذهبك يا حنبلي، فرع الحنبلي والحنفي والمالكي والشافعي رؤوسهم وعلت اصواتهم واظهروا قبائحهم حتى سأم كل من حضر من كلامهم فعاب العامة عليهم.

قال يوحنا فقلت لهم على رسلكم والله اني نفرت من اعتقادكم فان كان الاسلام هذا فياويلاه وواسواتاه، لكني اقسم عليكم بالله الذي لا اله الا هو ان تقطعوا هذا البحث وتذهبوا فان القوم قد انكروا عليكم وقاموا وتفرقوا وبقوا اسبوعاً لا يخرجون من بيوتهم واذا خرجوا انكر الناس عليهم ثم اصطلحوا واجتمعوا في المستنصرية فجلست اليهم وخاوضتهم وقلت لهم كنت اريد عالماً من علماء الرافضة لتناظروه في مذهبه فهل يمكنكم ان تأتوني احداً منه؟ فقال العلماء يا يوحنا الرافضة شرذمة قليلة ولا يستطيعون المناظرة بين المسلمين لقلتهم وكثرة مخالفيهم ولا يتظاهرون فضلاً عن ان يستطيعوا المحاجة على مذهبهم فهم الاقلون عدداً الارذلون قدراً.

قال يوحنا اما قولم انهم الاقلون ومخالفيهم الاكثرون فهذا مدح لهم لان الله تبارك وتعالى مدح القليل وذم الكثير بقوله وقليل من عبادي الشكور، وما آمن معه الا قليل ولا تجد اكثرهم شاكرين، ولكن اكثر الناس لا يعلمون.

قال العلماء يا يوحنا حالهم اعظم من ان يوصف لانا لو علمنا بأحد منهم فلا نزال نتربص بهم الدوائر حتى نقتلهم لانهم عندنا كفرة يحل علينا دمائهم واموالهم فقال يوحنا الله اكبر هذا امر عظيم افتراهم بما استحقوا هذا أهم ينكرون الشهادتين قالوا لا، قال أهم لا يتوجهون الى قبلة الاسلام؟ قالوا: بلى، قال أفهم ينكرون شيئاً من الاحكام قالوا لا، قال يوحنا يالله العجب قوم يشهدون الشهادتين ويقرون بالاحكام كيف تحل دماءهم واموالهم والنبي ﷺ يقول امرت ان أقاتل الناس حتى يقولون لا اله الا الله واني رسول الله فاذا قالوها عصموا بها دماءهم واموالهم الا بحق وحسابهم على الله قال العلماء يا يوحنا انهم ابدعوا في الدين فمنها انهم يدعون ان افضل الناس بعد رسول الله ﷺ علي بن ابي طالب ويفضلونه على الخلفاء الثلاثة والصدر الاول من الامة اجتمعوا على ان فضل الخلفاء كترتيبهم.

قال يوحنا افتراكم اذا قال احد علي بن ابي طالب خير من ابي بكر تكفرونه قالوا نعم لانه خلاف الاجماع.

قال يوحنا فما تقولون في محدثكم الحافظ ابي نعيم؟ قال العلماء انه مقبول الرواية صحيح النقل، قال يوحنا هذا كتابه المسمى بكتاب الثاقب روى فيه ان رسول الله ﷺ قال علي خير البشر من ابى فقد كفر، وقال ايضاً علي خير هذه الامة بعد نبيها، ولا يشك في ذلك

الا منافق، وفي ذلك الكتاب ايضاً انه قال علي خير من اخلفه بعدي وروى احمد بن حنبل في مسنده ان النبي ﷺ قال لفاطمة او ما ترضين اني زوجتك اقدم امتي سلماً واكثرهم علما واعظمهم حلماً وفيه ايضاً انه قال اللهم ايتني بأحب خلقك اليك يأكل معي من هذا الطائر فجاء علي بن ابي طالب.

قال يوحنا فيا امة الاسلام لا تقولوا هذا اذ من الجايز ان يكون هذا المدح لهم في زمنه ﷺ وبعده حصل لبعضكم الارتداد فان امامكم ومحدثكم الحميدي روى في الجمع بين الصحيحين في المتفق عليه انه ﷺ قال سيؤتى برجال من امتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول يا رب اصحابي اصحابي فيقال لي انك لا تدري ما احدثوا بعدك فأقول كما قال العبد الصالح عيسى بن مريم عليه السلام وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شيء شهيد ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت الغفور الرحيم قال فيقال لي انهم لم يزالوا مرتدين على اعقابهم منذ فارقهم.

قال العلماء يا يوحنا هذا الذي ذكرته يدل على ارتداد بعض الصحابة لا انه يدل على ان ذلك البعض هو ابو بكر وعمر واتباعهم وما ندري ما الذي جرأهم على ذلك ومن اين جاز لهم ذلك، قال يوحنا جرأهم على ذلك ائمتكم وعلماؤكم كالبخاري ومسلم فانهم رووا انه لما مات رسول الله ﷺ ارسلت فاطمة عليها السلام الى ابي بكر تسأله ميراثها من ابيها من فدك وما بقى من خمس خيبر، فأبى ابو بكر ان يرد عليها شيئاً فوجدت فاطمة على ابي بكر وجداً شديداً وهجرته ولم تكلم حتى ماتت وهي غضبانة عليه، ورووا ائمتكم ايضاً في الجمع بين الصحيحين ان رسول الله ﷺ قال فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها وأخ الرافضة هذان الحديثان وركبوا منه مقدمتين وهما ابو بكر آذى فاطمة ومن آذى فاطمة آذى رسول الله وقال الله تعالى في كتابه ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة ولو احتج احد عليكم بهذه الجملة لم يسعكم منع مقدمة من مقدماته، ثم اطال الكلام معهم والزمهم بالزامات كثيرة فظهر من هذا كله فساد هذه المذاهب العاطلة والاديان الباردة الباطلة.

نور في حقية دين الامامية وانه يجب اتباعه دون غيره

اعلم انه بعد موت النبي ﷺ قد عمّت البلية كافة المسلمين وذلك انه تعددت اراؤهم بحسب تعدد اهوائهم وصارت الى ثلث وسبعين فرقة اصولها والا فهي اكثر من مائتي فرقة والذي يدل على ان مذهب الامامية هو الحق وجوه.

منها انه اخلصها من شوائب الباطل واعظمها تنزيها لله تعالى وانبيائه وحججه واحسنها في مسائل الاصول والفروع ولم يلتفتوا الى القول بالرأي والقياس اما باقي المسلمين فقد ذهبوا

الى كل مذهب اما الاشاعرة فقالوا ان مع الله تعالى معاني قديمة موجودة في الخارج كالقدرة وغير ذلك فجعلوه تعالى مفتقراً في كونه عالماً الى ثبوت معنى هو العلم لذاته ولا عالماً لذاته ولا حياً لذاته ولا مدركاً لذاته بل لمعان قديمة يفتقر في هذه الصفات اليها فجعلوه محتاجاً ناقصاً في ذاته كاملاً بغيره تعالى الله عن ذلك ولا يقولون هذه الصفات ذاتية واعترض شيخهم فخر الدين الرازي عليهم بأنه (بان خ) قال ان النصارى كفروا لانهم قالوا ان القدماء ثلاثة والاشاعرة اثبتوا قدماء تسعة.

اقول فالاشاعرة لم يعرفوا ربهم بوجه صحيح بل عرفوه بوجه غير صحيح فلا فرق بين معرفتهم هذه وبين معرفة باقي الكفار لانه ما من قوم ولا ملة الا وهم يدينون بالله سبحانه ويثبتونه وانه الخالق سوى شرذمة شاذة وهم الدهرية القائلون وما يهلكنا الا الدهر واسوء الناس حالا المشركين اهل عبادة الاوثان ومع هذا فهم انما يعبدون الاصنام لتقربهم الى الله سبحانه زلفى كما حكاه عنهم في محكم الكتاب بطريق الحصر فتكون الاصنام وسائل لهم الى ربهم فقد عرفوا الله سبحانه بذا الباطل وهو كون الاصنام مقربة اليه وكذلك اليهود حيث قالوا عزير ابن الله والنصارى حيث قالوا المسيح بن الله، فهما قد عرفاه سبحانه بأنه رب ذو ولد فقد عرفاه بهذا العنوان وكذلك من قال بالجسم والصورة والتخطيط وذلك لما عرفت في اول الكتاب من ان الكل قد طلبوا معرفته وخاضوا بحار وحدانيته وكانت مشايق وعرة وسبلاً مظلمة فمن كان له دليل عارف عرف الله سبحانه، ومن كان دليله اعمى مثله خاض معه بحار الظلمات وما زاده كثرة السير الا بعداً، فالاشاعرة ومتابعوهم اسوء حالاً في باب معرفة الصانع من المشركين والنصارى وذلك ان من قال بالولد او الشريك لم يقل انه تعالى محتاج اليهما في ايجاد افعاله وبدائع محكماته، فمعرفتهم له سبحانه على هذا الوجه الباطل من جملة الاسباب التي تورثت خلودهم في النار مع اخوانهم الكفار وافادتهم الكلمة الاسلامية حقن الدماء والاموال في الدنيا فقد تباينا وانفصلنا عنهم في باب الربوبية فربنا من تفرد بالقدم والازل وربهم من كان شركاؤه في القدم ثمانية.

ووجه آخر لهذا لا اعلم الا اني رأيته في بعض الاخبار وحاصله انا لم نجتمع معهم على اله ولا على نبي ولا على امام وذلك انهم يقولون ان ربهم هو الذي كان محمد ﷺ نبيه وخليفته بعده ابو بكر، ونحن لا نقول بهذا الرب ولا بذلك النبي بل نقول ان الرب الذي خليفة نبيه ابو بكر ليس ربنا ولا ذلك ألنبي نبينا ووجه آخر لكنه جواب عن جواز لعن المتخلفين بل هو دال على وجوب اللعن وذلك ان الامامة كالنبوة والالهية مركبة من ايجاب وسلب اما الاله فمن قال الله اله ولم ينف عنه الشركاء والاضداد فهو ليس بموحد باجماع المسلمين ولا مسلم

ايضاً اما النبوة فمن قال ان محمداً نبي ولم ينف نبوة من ادعاها كمسيلمة ونحوه فهو ليس بمسلم ايضاً، فالسلب واجب فيها كالايجاب، واما الامامة فهي كذلك ايضاً فمن قال ان علياً امام ولم ينف امامة من ادعاها ونازعه عليها وغصبها فليس بمؤمن عند اهل البيت عليهم السلام فظهر من هذا ان البرائة من اولئك الاقوام من اعظم اركان الايمان ومخالفونا قد خالفونا في هذا ايضاً ومن هذا التحقيق ظهر ان المراد بالقدرية في قوله صلى الله عليه وآله القدرية مجوس هذه الامة هم الاشاعرة وذلك ان نسبتهم اليهم قوية جداً كما لا يخفى.

ومنها ما نقله العلامة الحلي عن شيخه نصير الدين الطوسي قدس الله روحيهما قال سألته عن المذاهب فقال بحثنا عنها وعن قول رسول الله صلى الله عليه وآله ستفترق امتي على ثلث وسبعين فرقة واحدة منها ناجية والباقي في النار، وقد عيّن صلى الله عليه وآله الفرقة الناجية والهالكة في حديث آخر صحيح متفق عليه وهو قوله صلى الله عليه وآله مثل اهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق وهوى، فوجدنا الفرقة الناجية ي الفرقة الامامية لانهم باينوا جميع المذاهب وجميع المذاهب قد اشتركوا في اصول العقائد وهذا تحقيق متين وحاصله انه لو كان الفرقة الناجية غير الامامية لكان الناجي كلهم لا فرقة واحدة وذلك لانهم متشاركون في الاصول والعقايد الموجبة لدخول الجنة ولا يخالفهم احد سوى الامامية فانهم اشترطوا في دخول الجنة ولاية الائمة الاثنى عشر والقول بامامتهم.

ومنها انهم اخذوا دينهم عن الائمة المعصومين المشهورين عند العدو والولي بالفضل والورع والعبادة الذين نزلت في شأنهم سورة هل أتى وآية الطهارة وايجاب المودة لهم، وآية الابتهال وغير ذلك، فهم جازمون بصحة دينهم ونجاتهم كجزم ائمتهم عليهم السلام واما غيرهم من الفرق فهم وائمتهم شاكون في النجاة ومتابعة الجازم اولى من متابعة الشاك.

ومنها ان الامامية لم يذهبوا الى التعصب في غير الحق بخلاف غيرهم فقد ذكر الغزالي والمتوكل وكانا امامين للشافعية ان تسطيح القبور هو المشروع لكن لما جعلته الرافضة شعاراً لهم عدلنا عنه الى التسنيم وذكر الزمخشري وكان من ائمة الحنفية في تفسير قوله تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته انه يجوز بمقتضى هذه الاية ان يصلي على آحاد المسلمين لكن لما اتخذته الرافضة في ائمتهم منعنا عن غير النبي صلى الله عليه وآله وقال مصنف الهداية من الحنفية المشروع التختم في اليمين لكن لما اتخذته الرافضة عادة جعلنا التختم في اليسار وامثال ذلك فانظر بعين البصيرة الى من يغيّر الشرع ويبدّل الاحكام التي ورد بها الشرع مع انهم ابتدعو اشياء اعترفوا بأنها بدعة كقول عمر متعتان كانتا محللتين في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وانا انهى عنهما واعاقب عليهما وكخروج طلحة والزبير بعائشة ولا نعلم بأي وجه يلقون رسول الله صلى الله عليه وآله مع ان الواحد منّا لو

تحدّث مع امرأة غيره واخرجها من منزله وسافر بها كان اشد الناس عداوة له وكيف اطاعها على ذلك آلاف من المسلمين.

وبالجملة فاستقصاء الاخبار الدالة على حقية مذهب الامامية والدلائل العقلية مما يوجب تطويل الكتاب.

تذييل في تفصيل بعض الكتب السماوية.

اما التورية فهي خمسة اسفار السفر الاول يذكر فيه بدؤ الخلق والتاريخ من آدم الى يوسف عليه السلام، السفر الثاني فيه استخدام المصريين لبني اسرائيل وظهور موسى عليه السلام وهلاك فرعون وامامة هارون، ونزول الكلمات العشر وسماع القوم كلام الله، السفر الثالث يذكر فيه تعليم القرابين بالاجمال، السفر الرابع يذكر فيه عدد القوم وتقسيم الارض عليهم واحوال الرسل التي بعثها موسى عليه السلام الى الشام واخبار المن والسلوى والغمام، السفر الخامس يذكر فيه بعض الاحكام ووفاة هارون وخلافة يوشع عليه السلام والربانيون وقد بقى من الفرق الاسلامية فرقتان الصوفية والنواصب فلا بأس بعقد ظلمة في بيان احوالهما.

(ظلمة حالكة في بيان أحوال الصوفية والنواصب)

إعلم أن هذا الأسم وهو التصوف كان مستعملاً في فرقة من الحكماء الزايغين عن الطريق الحق، ثم قد استعمل بعدهم في جماعة من الزنادقة؛ وبعد مجيءالأسلام أستعمل في جماعة من أهل الخلاف كالحسن البصري وسفيان الثوري وأبي هاشم الكوفي ونحوهم وقد كانوا في طرف من الخلاف مع الائمة عليهم السلام ، فأن هولاء المذكورين قد عارضوا الأئمة عليهم السلام في أعصارهم وباحثوهم وأرادوا إطفاء نور الله، والله متم نوره ولو كره الكافرون، والذي وجد منهم في أعصار علمائنا رضوان الله عليهم قد عارضهم ورد عليهم وصنف علماؤنا(رض) كتبا في ذمهم والرد عليهم خصوصاً شيخنا المفيد (ره) فأنه قد أكثر من الرد على الحسين بن منصور الحلاج ومتابعيه وله قصص وحكايات مذكورة في كتب أصحابنا مثل كتاب الغيبة والأقتصاد للشيخ الطوسي (ره)؛ وأنهم أدعوا الألهية له و ورود التوقيع من صاحب الأمر عليه السلام بلعنه وهو الذي كان يقول ليس في جبتي سوى الله وكان يمنع أصحابة من السفر الى مكة للحج، ويقول طوفوا حولي فمكة بيت الله وأنا الله؛ الى غير ذلك من أباطيله؛

وقد أستمر الحال الى هذه الأعصار وماقار بها، ثم ان جماعة من علماء الشيعة طالعوا كتبهم وأطلعوا على مذاهبهم فرأوا فيها بعض الرخص والمسامحات مثل قولهم بأن الغناء المحرم

هو الذي يستعمل في مجالس الشرب وأهل الفسوق كما صرح به الغزالي وأضرابه، فأباحوا أفراد الغناء وأنواعة لمتابعيهم وكانوا من أهل العلم؛ والناس يميلون الى من يسهل عليهم مثل هذه الأمور التي يحصل النفس إلتذاذ؛ وكتركهم التزويج والأقبال على الغلمان الحسان؛ فان كل من كان عنده غلام مقبول او ولد حسن الصورة أتى به الى شيخ الصوفية والتمس منه أن يجعلة خادماً عنده ؛ ثم لم يظهر له حاله الأ عندما يفتك بالولد ويفسق به ؛ فيأخذه أبوه منه لكن بعد خراب البصرة.

والعجب من بعض الشيعة كيف مال الى هذه الطريقة مع اطلاعه على انها مخالفة لطريقة اهل البيت عليهم السلام اعتقاداً واعمالاً، اما الاعتقاد فقد قالوا بالحلول وهو ان الله سبحانه قد حلَّ بكل مخلوقاته حتى بالقاذورات تعالى الله عما يقول الكافرون وقد مثلوا حلول الله بهذه المخلوقات بالبحر وقت اضطراب امواجه فان ماء الامواج وان كان متعدداً الا انه كله ماء واحد في بحر واحد كثره التموّج فهي واحدة بالحقيقة متعددة بالاعتبار فالمخلوقات كلها عين الله سبحانه وهو عينها والتعدد انما جاء من هذه العوارض الخارجية والتشخصات العارضة للمادة.

وكان من اعظم مشايخهم عندهم الشيخ العطار ولما سمع سلطان ذلك الزمان بكفره واغوائه المسلمين ارسل اليه جلاداً يأخذ رأسه فلما أتي اليه الجلاد واخبره بما اتى به فقال الشيخ العطار، انت ربي بأي صورة شئت فتصور فان اردت قتلي فانا هذا ثم قتله، ومن ذلك اعتقادهم ان السالك اذا عبد الله تعالى بلغ الى مرتبة اليقين حتى لا يحتاج الى العبادة بعد لقوله تعالى فاعبد ربك حتى يأتيك اليقين، واليقين عندهم هو العلم والمعرفة بالله سبحانه وعند اهل البيت عليهم السلام اليقين هو الموت.

وقد حكى العلامة الحلي قدس الله روحه في كتاب نهج الحق قال شاهدت جماعة من الصوفية في حضرة مولانا الحسين عليه السلام وقد صلّوا المغرب سوى شخص واحد منهم كان جالساً ولم يصل ثم صلّوا بعد ساعة العشاء سوى ذلك الشخص، فسألت بعضهم عن ترك ذلك الشخص لصلوته فقال وما حاجة هذا الى الصلوة وثد وصل أيجوز ان يجعل بينه وبين الله تعالى حاجباً؟ فقلت لا فقال الصوة حاجب بين العبد والرب، وفرّعوا على هذا الاصل جواز ان يكون بعض السالكين منهم أعلى درجة وافضل مرتبة من مراتب الانبياء والائمة عليهم السلام وذلك ان السالك بزعمهم اذا فاق عبادة الانبياء فاق درجاتهم.

وقد وقع مثل هذا التجاوز لمراتب الانبياء لكثير من مشايخ الصوفية بزعمهم، وهذا الفرع منبي على ذلك الاصل، وهذا وهم باطل اذ لو استغنى عنها احد لاستغنى عنها سيد

المرسلين واشرف الواصلين وقد كان ﷺ يقوم في الصلوة الى ان ورمت قدماه، وقد كان امير المؤمنين عليه السلام الذي تنتهي اليه سلسلة اهل العرفان يصلي كل ليلة الف ركعة الى آخر عمره الشريف وكذا شأن جميع الاولياء والعارفين كما هو في التواريخ مسطور وعلى الالسنة مشهور.

ومن اعتقاداتهم واعمالهم الفاسدة انهم تركوا العبادات المأثورة عن اهل البيت عليهم السلام ودوّنها الشيعة في كتبهم واقبلوا على اختراع عبادات واذكار لم تذكر في الشريعة وليس هذا الا لقصد الخلاف على علماء اهل البيت حتى يكونوا في طرف النقيض فلا يقال لهم انهم مقلدوا العلماء فيزدادون بذلك اعتباراً من عوام الناس وغثائهم وما علموا ان الله سبحانه لا يقبل من العبادات الا ما ارسل به حججه وقال على السنتهم والا فقد عرفت سابقاً ان الشيطان لم يتكبر على السجود لله تعالى لكنه قال انا اسجد لك يا رب ولا اسج لادم وذلك ان الله سبحانه يحب ان يطاع من حيث امر كما قال واتوا البيوت من ابوابها.

وقد كان في زماننا رجل من الصوفية ويزعم انه من علماء الشيعة، كان يخطب اصحابه يوماً فقال وهو على المنبر اني كتبت الاصول الاربعة يعني الكليني والتهذيب والاستبصار والفقيه وقرأتها وصححتها ولما رأيتها عديمة الفائدة بعتها بدرهم واحد ورميت ذلك الدرهم في الماء فانظر الى ايمان هذا الرجل عليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين وقد كان مع اصحابه في حضرة مولانا الرضا عليه السلام مشغولين بذكرهم الجلي وهو ما اشتمل على الغناء والرقص والترنم والوجد فهوى بعضهم على محجّر القبر الشريف فشجَ رأسه وسال دمه وبلغ الى المحجر فاحتال الخدمة في ازالة ذلك الدم، فقال شيخ الصوفية لا تحتالوا بهذه الحيل لازالة هذا الدم فان هذا من دم العشاق ودم العشاق طاهر، ثم لما لم يسمع الناس هذا منه موّه عليهم كلاماً آخر وقال ان الشمس ذكروا انها من المطهرات فكيف لا يكون شمس الرضا ه مطهرة لهذا الدم فقبل هذا الكلام منه بعض البهائم من اتباعه ثم بعد زمان قليل خذله الله سبحانه وسقط عن درجته واعتباره وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

ورأيت في شيراز رجلاً صوفياً وكان صاحب ذكر وحلقة واتباع وكان كل ليلة جمعة يأتي الى قبة السيد الاجل السيد احمد بن الامام موسى الكاظم [1] عليه السلام فيضع الذكر المعهود وقد كان غرباً لم يتزوج نعم كان عنده ولد مقبول من اولاد شيراز وكان ذلك الرجل صاحب تحصيل لحطام الدنيا وكل ما يحصل في نهاره يعطيه ذلك الولد ويبقى لنفسه شيئاً يسع قوت الشعير وكان اذا خرج من البلاد ثم دخل اليها يسئله بعض خواصه اين كنت؟ فيقول كنت

---

(١) هو احمد بن موسى المعروف عند الفرس (شاه جراغ) له قبة بشيراز.

ازرع الادميين، وقد استمر على هذا الحال برهة من الزمان فظهر عليه وعلى اصحابه انهم ارادوا الخروج وادعى واحد منهم انه الرب وآخر انه النبي وثالث انه الامام الى غير ذلك، فأخذهم حاكم تلك البلاد وامر بقتلهم وكنت من الحاضرين ذلك الوقت فلما آتوا بشيخهم الى الميدان ليقتلوه كانت اخته فوق سطح جدار تنظر الى ما يصنع بأخيها وتضحك فقيل لها لم تضحكين ؟ فقالت ان اخي هذا رجل شايب فاذا قتلوه يجيء بعد اربعين يوماً بصورة شاب حسن الوجه قوي البدن فظهر انهم كانوا قائلين بالتناسخ ايضاً.

وقد رأينا منهم في شيراز وقائع غريبة واطوار عجيبة لا توافق الا مذاهب الملاحدة والزنادقة وقد كان صاحب الكشاف شديد الانكار على الصوفية وقد اكثر في الكشاف من التشنيع عليهم في مواضع عديدة وقال في قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله الاية واذا رأيت من يذكر محبة الله ويصفق بيديه مع ذكرها ويطرب وينعر ويصعق فلا تشك في انه لا يعرف الله ولا يدري ما محبة الله وما تصفيقه وطربه ونعيره وصعقته الا تصوّر في نفسه الخبيثة صورة مستجلبة (خ) معشقة) فسماها الله بجهله ودعا الى ربه ثم صفق وطرب ونعر وصعق على تصورها وربما رأيت المني قد ملأ ازار ذلك المحب عند صعقته وحمقاء العامة حواليه قد ملأوا اردانهم بالدموع لما رقتهم من حاله.

ومن ذلك الاعتقاد ان افضلهم الغزالي وقد ادعى في احيائه انه من اهل الكشف وانه قد انكشف له فضل ابي بكر على امير المؤمنين عليه السلام وادعى انه انكشف له ايضاً عدم جواز سبَ يزيد لانه رجل مسلم ولو كان قاتلاً الحسين عليه السلام لم يجز سبّه ايضاً لان غاية هذا انه فعل كبيرة وذلك لا يجوز سبّه.

وانكشف له بطلان مذهب الامامية بعد ان ترك التدريس وانقطع في دمشق ومكة المشرفة نحواً من عشرين سنة ملازماً للخلوة في آخر عمره وصنّف كتاباً سماه المنقذ من الضلال يتضمن الرد على من يدعي العصمة وابطال مذهبهم وسمّاهم اهل التعليم وضرب لهم مثلاً بأخذهم عن المعصوم بمن تلوث بجميع النجاسات ثم طلب ماء يستطهر (يتطهر خ) منها وسعى في طلب ذلك الماء فلم يجد ماء يطهره ويزيل عنه الاخباث فبقى مرتكشاً في النجاسات طول عمره.

وتكرر منه في الاحياء وغيره قالت الروافض خذلهم الله وقال فيه انه لو جاء الينا رافضي وادعى ان له طلب دم عند احد قلنا له ان دمك هدر لان استيفائه مشروط بحضور امامك فاحضره حتى يستوفي لك، وقد تقدم الجواب عن هذا وقد صرّح في كتابه المنقذ انه كان يستفيد من الانبياء والملائكة مع مشاهدتهم على وجه القطع كلما يريد نعم ربما نسب اليه كتاب يسمى

سرَ العالمين فيه مقالة يظهر منها ميله الى الحق ونطقه به ليكون حجة عليه وبعضهم انكر كون الكتاب له او ان المقالة ملحقة بالكتاب.

واما اشليخ محي الدين الاعرابي وهو من اعاظم اجلائهم فقد حكى في فتوحاته انه اسرى به الى السماء مراراً متعددة والظاهر انه قال انها تسع وذكر هناك انه رأى ابا بكر الصديق لما بلغ الى العرش وقد كان رآى في كل سماء واحداً من الانبياء فكان درجته ودرجة ابا بكر اعلى من درجات اولي العزم وادعى في اول فصوص الحكم انه من املاء رسول الله ﷺ وامره له بعين ما كتب وسمى نفسه خاتم الولاية لمنام رآه وغير ذلك من المكاشفات.

والعجب العجيب انهم كيف يصدقون بدعوى الكشف مع اختلاف آرائهم ومذاهبهم فمنهم الملحد ومنهم السني ومنهم الشيعي الى غير ذلك فاذا كانت هذه المكاشفات كلها صحيحة صحَت مذاهب الفرق فلا يكون الناجي فرقة واحدة بل جميع هذه الفرق ما هذا الا سفه وجنون.

واما الاعمال ومخالفتهم بها فمن جملته ترك التزويج ومن جملتها عبادات مبتدعة واذكار مخترعة ومن جملتها جلوسهم في بيت مظلم اربعين يوماً لا يأكلون الا القليل من الغذا ويرتاضون في تلك المدة غاية الرياضة ويحرمون على انفسهم محللات الشرع ويقولون هذا لاجل صفاء القلب ومن هذا زعموا انهم لقبوا بالصوفية لاشتقاقه من صفاء القلب وقد وهموا في هذا الاشتقاق.

والصحيح انهم لقبوا به لانهم يلبسون الصوف كما سيأتي ان شاء الله تعالى في الاخبار الواردة في ذمهم والطعن عليهم، ومن ذلك تركهم لطلب العلم واقبالهم على تلك الرياضيات زعماً منهم ان معرفة الله من جهة طلب العلم كسيئة ومن تلك الرياضيات الهامية ومن هنا سلك مذهب التصوف عوام الناس وصار الصوفي من غير ثيابه ولبس ثياب الصوف او كشف رأسه شتاءً وصيفاً كما هو عادة بعض الصوفية والا فهم بمعزل عن العلم حتى عن معرفة قواعد التصوف.

روى شيخنا الكليني في كاب المعيشة من الكافي باسناده الى مسعدة بن صدقة قال دخل سفيان الثوري على ابي عبد الله عليه السلام فرآى عليه ثياباً بيضاً كأنها عرقى البيض فقال ان هذا اللباس ليس من لباسك فقال له اسمع مني وع، ما اقول لك فانه خير لك عاجلاً وآجلاً ان انت متَ على السنة والحق ولم تمت على بدعة اخبرني ابي ان رسول الله ﷺ كان في زمن قفر جدب فاما اذا اقبلت الدنيا فاحق اهلها بها ابرارها لا فجارها ومؤمنوها لا منافقوها ومسلموها لا كفارها فما انكرت يا ثوري فوالله انني لمع ما ترى ما انى عليّ مد عقلت صباح ولا مساء

ولله في مالي حق امرني ان اضعه موضعاً الا وضعته قال وأتاه قوم ممن يظهرون الزهد ويدعون الناس ان يكونوا معهم على مثل الذي هم عليه من التقشف فقالوا له ان صاحبنا حصر عن كلامك ولم تحضره حججه قال فقال لهم فهاتوا حججكم فقالوا ان حججنا من كتاب الله فقال لهم فادلوا بها احق ما اتبع وعمل به فقالوا يقول الله تعالى مخبراً عن قوم من اصحاب النبي ﷺ ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شحّ نفسه فاولئك هم المفلحون فمدح فعلهم وقال في موضع آخر ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً واسيراً فنحن نكتفي بهذا.

فقال رجل من الجلساء اذا رأيناكم تزهدون في الاطعمة الطيبة ومع ذلك تأمرون الناس بالخروج من اموالهم حتى تتمتعوا انتم منها فقال له ابو عبد الله عليه السلام دعوا عنكم ما لا ينتفع به اخبروني ايها النفر الكم علم بناسخ القرآن ومنسوخه ومحكمه من متشابهه الذي في مثله ضلّ من ضلَ وهلك من هلك من هذه الامة؟ فقالوا له او بعضه (ببعضه ظ) فاما كله فلا.

فقال لهم فمن هيهنا اتيتم وكذلك احاديث رسول الله ﷺ فأما ما ذكرتم من اخبار الله تعالى ايانا في كتابه عن القوم الذين اخبر عنهم بحسن فعالهم فقد كان مباحاً جايزاً ولم يكونوا نهوا عنه وثوابهم منه على الله تعالى وذلك ان الله تعالى امر بخلاف ما عملوا به فصار امره ناسخاً لفعلهم وكان نهى الله رحمة للمؤمنين ونظراً لكيلا يضروا بأنفسهم وعيالاتهم منهم الضعفة الصغار والولدان والشيخ الفاني والعجوز الكبيرة الذين لا يصبرون على الجوع فان تصدقت برغيفي ولا رغيف لي غيره ضعوا وهلكوا جوعاً فمن ثم قال رسول الله ﷺ خمس تمرات او خمس قرص او دنانير او دراهم يملكها الانسان وهو يريد ان ينفقها فأفضلها ما انفقه الانسان على والديه ثم الثانية على نفسه وعياله ثم الثالثة على قرابته الفقراء ثم الرابعة على جيرانه الفقراء ثم الخامسة في سبيل الله وهو اخسها اجراً.

ويقول ﷺ للانصارى حين اعتق عند موته خمسة او ستة من الرقيق ولم يملك غيرهم وله اولاد صغار لو اعلمتموني في امره ما تركتكم تدفنوه مع المسلمين يعول صبية صغاراً يتكففون الناس ثم قال حدثني ابي ان رسول الله ﷺ قال إبدأ بمن تعول الادنى فالادنى ثم هذا ما نطق به الكتاب رداً لقولكم قال والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً أفلا ترون ان الله تعالى قال غير ما أراكم تدعون الناس اليه من الاثرة على انفسهم وسمّى من فعل ما تدعون الناس اليه مسرفاً وفي غير آية من كتاب الله يقول انه لا يحب المسرفين، فنهاهم عن الاسراف ونهاهم عن التقتير لكن امر بين امرين لا يعطي جميع ما عنده ثم يدعو الله ان يرزقه فلا يستجيب له.

للحديث الذي جاء عن النبي ﷺ ان اصنافاً من امتي لا يستجاب لهم دعاؤهم رجل يدعو على والديه ورجل يدعو على غريم ثم ذهب له بمال فلم يكتب له ولم يشهد عليه، ورجل يدعو على امرأته وقد جعل الله تعالى تخلية سبيلها بيده، ورجل يقعد في بيته ويقول رب ارزقني ولا يخرج في طلب الرزق فيقول الله تعالى له عبدي ألم اجعل لك السبيل الى الطلب والتصرف في الارض بجوارح صحيحة فتكون قد اعذرت فيما بيني وبينك في الطلب لاتباع امري ولكيلا تكون كلا على اهلك فان شئت رزقتك وان شئت قترت عليك وانت غير معذور عندي ورجل رزقه الله تعالى مالاً كثيراً فانفقه ثم اقبل يدعو يا رب ارزقني فيقول الله تعالى الم ارزقك رزقاً واسعاً فهلا اقتصدت فيه كما امرتك ولم تسرف وقد نهيتك عن الاسراف ورجل يدعو في قطيعة رحم.

ثم علّم الله تعالى اسمه نبيه ﷺ كيف ينفق وذلك انه كانت عنده اوقية من الذهب فكره ان تبيت عنده فصدّق بها، فاصبح وليس عنده شيء وجاء من يسأله فلم يكن عنده ما يعطيه، فلامه السائل واغتم هو حيث لم يكن عنده ما يعطيه وكان رحيماً رقيقاً ﷺ فأدّب الله تعالى نبيه فقال ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً، يقول ان الناس قد يسألونك ولا يعذرونك فاذا اعطيت جميع ما عندك من المال قد خسرت من المال فهذه احاديث رسول الله ﷺ يصدقها الكتاب والكتاب يصدقه اهله من المؤمنين.

ثم قد علمتم فضل سلمان وأبي ذر وزهدهما فأما سلمان فكان اذا اخذ عطائه رفع منه قوت سنة حتى يحضر عطائه من قابل وقيل له يا ابا عبد الله أنت في زهدك تصنع هذا وانت لا تدري لعلك تموت اليوم او غداً، فكان جوابه ان قال مالكم لا ترجون لي البقاء كما خفتم الفنا، اما علمتم يا جهلة ان النفس قد تلتاث على صاحبها اذا لم يكن لها من العيش ما تعتمد عليه فاذا هي احرزت معيشتها اطمأنت.

واما ابو ذر رضي الله عنه فكانت له نويقات وشويهات يحلبها ويذبح منها اذا اشتهى اهله اللحم او نزل به ضيف او رآى بأهل الماء الذين هم معه خصاصة نحر لهم الجزور او من الشاة على قدر ما يذهب عنهم يقوّم اللحم فيقسمه بينهم ويأخذ هو كنصيب واحد منهم لا يتفضل عليهم ومن ازهد من هؤلاء؟ وقد قال فيهم رسول الله ﷺ ما قال ولم يبلغ من امرهما ان صارا لا يملكان شيئاً البتة كما تأمرون الناس بالقاء امتعتهم وشيئهم ويؤثرون به على انفسهم وعيالاتهم.

اعلموا ايها النفر انه سمعت ابي يروي عن آبائه ان رسول الله ﷺ قال يوماً ما عجبت من شيء كعجبي من المؤمن انه ان قرض جسده في دار الدنيا بالمقاريض كان خيراً له وان ملك

ما بين مشارق الارض ومغاربها كان خيراً له وكلما يصنع الله تعالى به فهو خير له، فليت شعري هل يحيق بكم ما قد شرحت لكم منذ اليوم ام ازيدكم اما علمتم ان الله تعالى فرض على المؤمنين في اول الامر ان يقاتل الرجل منهم عشرة من المشرمين ليس له ان يولي وجهه عنهم من ولاهم يومئذ دبره فقد تبوأ مقعده من النار، ثم حولهم عن حالهم رحمة منه لهم فصار الرجل منهم عليه ان يقاتل رجلين من المشركين تخفيفاً من الله تعالى للمؤمنين فنسخ الرجلان العشرة واخبروني ايضاً عن القضاة اجورة هم حيث يقضون على الرجل منكم نفقة امرأته اذا قال اني زاهد واني لا شيء لي فان قلتم جور ظلمكم اهل الاسلام وان قلتم بل عدل خصمتم انفسكم.

اخبروني لو كان الناس كلهم كالذين تريدون زهاداً لا حاجة لهم في متاع غيرهم فعلى من كان يتصدق بكفارات الايمان والنذور والصدقات من فرض الزكوة من الذهب والفضة والتمر والزبيب وساير ما وجب فيه الزكوة من الابل والبقر والغنم وغير ذلك ولو كان الامر كما تقولون لا ينبغي لاحد ان يحبس شيئاً من عرض الدنيا الا قدمه وان كان بهم خصاصة فبئس ما ذهبتم فيه وحملتم الناس عليه من الجهل بكتاب الله وسنّة نبيه ﷺ واحاديثه التي يصدقها الكتاب المنزل وردّكم اياها بجهالتهم وترككم النظر في غرائب القرآن من التفسير بالناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه والامر والنهي.

واخبروني اين انتم عن سليمان بن داود حين سأل الله تعالى ملكاً لا ينبغي لاحد من بعده فأعطاه الله ذلك وكان يقول الحق ويعمل به ثم لم نجد الله تعالى عاب عليه ذلك ولا احداً من المؤمنين وداود النبي عليه السلام قبله في ملكه وشدّة سلطانه ثم يوسف النبي عليه السلام حيث قال لملك مصر اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم فكان من امره الذي كان ان اختار مملكة الملك وما حولها الى اليمن واكنوا يمتارون الطعام من عنده لجماعة اصابتهم وكان يقول الحق ويعمل به فلم نجد احداً عاب ذلك عليه ثم ذو القرنين عبد احب الله فأحبه الله طوى له الاسباب وملّكه مشارق الارض ومغاربها وكان يقول الحق ويعمل به ثم لم نجد احداً عاب ذلك عليه فتأدبوا ايها النفر بآداب الله تعالى للمؤمنين اقتصروا على امر الله ونهيه ودعوا عنكم ما اشتبه عليكم مما لا علم لكم به وردوا العلم الى اهله توجروا وتعذروا عند الله تعالى، وكونوا في طلب علم ناسخ القرآن من منسوخه ومحكمه من متشابهه وما احل الله فيه مما حرم فانه اقرب لكم من الله وابعد لكم من الجهل ودعوا الجهالة لاهلها فان اهل الجهل كثير واهل العلم قليل وقد قال الله تعالى وفوق كل ذي علم عليم.

وفي حديث آخر انهم لما دخلوا عليه وسفيان الثوري لابس الصوف الخشن والصادق عليه السلام لابس الثياب الرقاق، فقال له سفيان ان جدك امير المؤمنين كان يلبس ما خشن من الثياب فلم لا تقتدي به ؟ فقال له الصادق عليه السلام ان علي بن ابي طالب عليه السلام كان في زمان ضيق ولم تتسع الدنيا على المسلمين كاتساعها في هذا الوقت ونحن قوم اذا وسع الله علينا وسعنا على انفسنا واذا ضيق الله علينا ضيقنا على انفسنا وان الله تعالى انما خلق الدنيا وما فيها من الملاذ للمؤمن لا للكافر لانه لا قدر له عنده ولو كان علي عليه السلام في هذا العصر لما وسعه الا ان يسلك مثل ما سلك اهله لئلا يقال له انه مراء ولئلا يشهر (يشتهر خ) بثيابه ومآكله مع ان امير المؤمنين عليه السلام كان والياً وينبغي لوالي المسلمين ان يكون في المعايش كواحد من فقراء المسلمين وقد قيل له يا امير المؤمنين انك تبيت جايعاً ولك الملك؟ فقال اخاف ان اشبع وواحد في اليمامة يبيت جايعاً وحتى يسهل الفقر على اهله اذا نظروا الى الوالي مع ما هو عليه واما انا فلست بوال والملك قد غضب منا فلو كنت والياً لاقتديت به.

ثم قال عليه السلام لسفيان الثوري ادن مني فدنا منه فمد عليه السلام يده الى تحت ثياب سفيان فأخرج ثوباً حريراً كان سفيان لابسه تحت ثيابه الصوف لرفاهية بدنه والثياب الصوف فوقه لخدع الناس، ثم اخذ عليه السلام يد سفيان فقال انظر يا سفيان ما تحت ثيابي هذه الرقاق؟ فنظر فاذا هو عليه السلام ثوباً خشناً، فقال يا سفيان هذا تواضعاً لله وهذه الثياب الرقاق اظهاراً لنعمة الله الى نحو ذلك من المعارضات كما روى انه رئيسهم وهو الحسن البصري كان مع امير المؤمنين عليه السلام على شط الفرات فملأ قدحاً من الماء وشرب منه وصبَّ باقيه خارج الماء فقال له امير المؤمنين عليه السلام قد اسرفت في ماء الفرات حيث لم تصب الماء فعارضه وقال انت اهرقت دماء المسلمين ولم تسرف فكيف اسرفت انا في هذا الماء.

فقال علي عليه السلام اذا عرفت اني اسرفت في اراقة تلك الدماء فلم لا خرجت معهم الى جهادي؟ فقال البصري اني لبست سلاحي وخرجت لمعونة اهل الشام، فلما خرجت من المنزل سمعت هاتفاً يقول القاتل والمقتول في النار فرجعت، فقال عليه السلام صدقت ذاك اخوك الشيطان.

ومن جملة اعمالهم الفاسدة الذكر الذي يسمونه ذكراً وهو مشتمل على محرمات كثيرى ولقد احسن شيخنا الكاشي ادام الله ايامه حيث قال ومنهم قوم يسمون بأهل الذكر والتصوف يدعون البرائة من التصنع والتكلف يلبسون خرقاً ويجلسون حلقاً يخترعون الاذكار ويتغنون بالاشعار يعلنون بالتهليل وليس لهم الى العلم والمعرفة سبيل ابتدعوا شهيقاً ونهيقاً واخترعوا رقصاً وتصفيقاً قد خاضوا في الفتن واخذوا بالبدع دون السنن رفعوا اصواتهم بالنداء وصاحوا صيحة الشقاء أمن الضرب يتألمون ام من الطعن يتظلمون ام مع اكفائهم يتكلمون؟ ان الله لا

يسمع بالمساخ فاقصروا من الصراخ أتنادون باعداً ام توقظون راقداً، تعالى الله لا تأخذه سنة ولا تحيط به الالسنة سبحوه تسبيح الحيتان في البحر وادعوا ربكم تضرعاً وخيفة ودون الجهر انه ليس منكم ببعيد بل هو اقرب اليكم من حبل الوريد.

واما الداعي لهم اختراع هذا المذهب وشهرته فأمور الاول ما نقل ان خلفاء بني امية وبني العباس كانوا يحبون ان يحصلوا رجالاً من اهل العبادة والزهادة والتكلم ببعض المغيبات وان لم يقع لاجل عارضات الائمة الطاهرين وعلمهم وزهدهم وكمالاتهم حتى يصغروا في اعين الناس اهل البيت واطوارهم فلم يجدوا احداً يقدم على هذا سوى هذه الفرقة الضالة، فمن هذا مال اليهم سلاطين الجور وبنوا لهم البقاع وحملوا اليهم الاموال وطالبوا منهم الدعاء في مطالب دنياهم وقاسوهم بأهل البيت عليهم السلام واين الثريا من يد التناول.

الثاني سهولة هذا المسلك وصعوبة طريق العلم فان العامي منهم قد يجلس في بيت ضيق مظلم اربعين يوماً وربما تراآى له اخوانه من الجن والشياطين فاذا خرج صار من رؤسائهم وحصل درجة العالم التي يحصلها في خمسين سنة واكثر بل ربما كان اعتبار هذا بين رعاع الناس ازيد من اعتبار ذلك العالم الثال ان هذا المذهب شرك[1] لصيد الاولاد وجمع الاموال والجاه والاعتبار ونحو ذلك.

واما الاخبار الواردة في ذمهم فهو كثيرة جداً منها ما رواه البزنطي في الصحيح عن الرضا عليه السلام قال من ذكر عنده الصوفية ولم ينكرهم بلسانه او قلبه فليس منا ومن انكرهم فكأنما جاهد الكفار بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وفي الصحيح ايضاً عن البزنطي قال قال رجل للصادق عليه السلام قد ظهر في هذا الزمان قوم يقال لهم الصوفية فما تقول فيهم؟ فقال عليه السلام انهم اعدائنا، فمن مال اليهم فهو منهم ويحشر معهم وسيكون اقوام يدّعون حبنا ويميلون اليهم ويتشبهون بهم ويلقبون انفسهم يأولون اقوالهم، الا فمن مال اليهم فليس منّا وانّا منهم براء ومن انكرهم ورد عليهم كان كمن جاهد الكفار بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله.

وروى مسندا عن العسكري عليه السلام انه خاطب ابا هاشم الجعفري فقال يا ابا هاشم سيأتي زمان على الناس وجوههم ضاحكة مستبشرة وقلوبهم مظلمة منكدرة السنَة فيهم بدعة والبدعة فيهم السنَة المؤمن بينهم محقّر والفاسق بينهم موقّر امراؤهم جاهلون جائرون وعلماؤهم في ابواب الظلمة سائرون اغنياؤهم يسرقون زاد الفقراء واصاغرهم يتقدمون على الكبراء كل جاهل عندهم خبير وكل محيل عندهم فقير لا يميزون بين المخلص والمرتاب ولا يعرفون الضأن من الذئاب علماؤهم شرار خلق الله على وجه الارض لانهم يميلون الى الفلسفة والتصوف

---

(١) الشرك حبائل الصيد جمع شرك واشراك.

وايم الله انهم من اهل العدول والتحرف يبالغون في حب مخالفينا ويضلّون شيعتنا وموالينا فان نالوا منصباً لم يشبعوا من الرشا وان خذلوا عبدوا الله على الريا، الا انهم قطّاع طريق المؤمنين والدعاة الى نحلة الملحدين من ادركهم فليحذرهم وليصن دينه وايمانه، ثم قال يا ابا هاشم هذا ما حدثني ابي عن آبائه عن جعفر بن محمد عليهم السلام وهو من اسرارنا فاكتمه الا عن اهله وفي كتاب قرب الاسناد روى مسندا عن الصادق عليه السلام في حال ابي هاشم الكوفي انه كان فاسدة العقيدة جداً، وهو الذي ابتدع مذهباً يقال له التصوف وجعله مفرّا لعقيدته الخبيثة واكثر الملاحدة وجنّة لعقائدهم.

وروى مسنداً فيذلك الكتاب عن محمد بن الحسين بن ابي الخطاب قال كنت مع الهادي علي بن محمد عليهما السلام في مسجد النبي صلى الله عليه وآله فأتاه جماعة من اصحابه منهم ابو هاشم الجعفري وكان رجلاً بليغاً وكانت له منزلة عظيمة عنده عليه السلام ثم دخل المسجد جماعة من الصوفية وجلسوا في جانبه مستديراً واخذوا بالتهليل فقال عليه السلام لا تلتفتوا الى هؤلاء الخدّاعين فانهم خلفاء الشياطين ومخربوا قواعد الدين يتزهدون لإراحة الاجسام ويتهجدون لتصييد الانعام يتجوعون عمراً حتى يذبحوا للايكاف[1] حمراً لا يتهللون الا لغرور الناس، ولا يقللون الغذاء الا لملأ العساس[2] واختلاس قلب الدفناس[3] يكلمون الناس باملائهم في الحب ويطرحونهم بادلائهم في الجب اورادهم الرقص والتصدية واذكارهم الترنم والتغنية فلا يتبعهم الا السفهاء ولا يعتقدهم الا الحمقاء فمن ذهب الى زيارة احد منهم حيّا او ميتاً فكأنما ذهب الى زيارة الشيطان وعبادة الاوثان ومن اعان احداً منهم فكأنما اعان يزيد ومعاوية وابا سفيان فقال رجل من اصحابه وان كان معترفاً بحقوقكم قال فنظر اليه شبه المغضب وقال دع ذا عنك، من اعترف بحقوقنا لم يذهب في عقوقنا اما تدري انهما اخسّ طوائف الصوفية والصوفية كلهم من مخالفينا وطريقهم مخالفة •مغايرة خ) لطريقتنا وان هم الا نصارى ومجوس هذه الامة اولئك الذين يجتهدون في اطفاء نور الله والله متم نوره ولو كره الكافرون.

وروى مسندا عن الرضا عليه السلام انه لا يقول بالتصوف احد الا لخدعة او ضلالة او حماقة واما من سمّى نفسه صوفياً للتقية فلا اثم عليه وعلامته ان يكتفي بالتسمية فلا يقول بشيء من عقائدهم الباطلة، وفي وصية النبي صلى الله عليه وآله لابي ذر (ره) يا ابا ذر يكون في آخر الزمان قوم

---

(١) اكف وآكف ايكافاً الحمار: شد عليه الاكاف أي البردغة وفي كنز اللغة: ايكاف بهمزة فاء الفعل وباعتلال آن بالان كردن.

(٢) العس القدح او الاناء الكبير.

(٣) الدنفاس الاحمق.

يلبسون الصوف في صيفهم وشتائهم يرون الفضل بذلك على غيرهم اولئك تلعنهم ملائكة السموات والارض وفي مواعظ عيسى عليه السلام يقول في كلام له فاحتفظوا من العلماء الكذابة الذين عليهم ثياب الصوف الحديث والاخبار الواردة بهذا المعنى كثيرة جداً.

فان قلت بناءً على ما ذكرت من ذم هذه الفرقة وان اكثرهم من اهل الخلاف كيف رآهم الناس بعض الاحيان يخبرون عن الامر فيكون كما اخبروا وربما استجيب دعائهم وقد يصدر منهم الافعال العجيبة والامور الغريبة.

قلت قد ذهب جماعة من علمائنا رضوان الله عليهم الى ان وقوع تلك الامور اتفاقي لا مدخل لدعائهم ولا اخبارهم فيها بوجه من الوجوه واما نحن فقد ظهر لنا من الاخبار غير هذا وحاصله ان الله سبحانه اخبر في كتابه فقال ومن يرد حرث الدنيا نزد له في حرثه ما نشاء وما له في الاخرة من خلاق، في الحديث ان الله تعالى لا يضيع عمل عامل براً كان او فاجراً وقد تقدم ان الشيطان لما صعد مع الملائكة الى السموات وقرأ في الالواح ان من عمل عملاً جوري عليه سواء كان للدين او الدنيا ورآى ان الدنيا عاجلة عبد الله تعالى ستة آلاف سنة مضمراً في قلبه ان هذه العبادة لاجل طلب الدنيا، وبعد ما عصى طالب الله بثواب عبادته فأعطاه ما اضمر فهذه الحالة لرئيس الصوفية وعبّاد المخالفين اعني الشيطان فهؤلاء يعبدون الله ويريدون ما اراده الشيطان من الامور الدنيوية فلو اعطاهم الله سبحانه بعض مطالبهم المقصودة لهم حالة العبادة من الجاه والاعتبار الدنيوي ويكون ذلك جزاء لاعمالهم وليس لهم في الاخرة من خلاق لم يكن بعيداً الا ترى الى كفار الهند فانهم يريضون انفسهم رياضيات شاقة ويزعمون انها عبادة له سبحانه وكثيراً من الاخبارات والحوادث يخبرون بها قبل وقوعها وربما جرت على ايديهم الافعال العجيبة والامور الغريبة، وليس هذا الا جزاء لافعالهم التي زعموا انها عبادة.

وقد شاهدت في اصفهان في عشر السبعين بعد الالف من كفار الهند رافعاً يديه الى السماء وقد يبستا وصارت اظفاره كالمناجل فرأيت الكفار يعظمونه ويسجدون له فسألتهم عن احواله فقالوا سبع سنين على هذه الحالة، وبقي له خمس سنين حتى يكون المجموع اثنتي عشرة سنة فاذا بلغ الى هذا العدد وهو على هذا الحال صار شيخاً في العبادة يخبر بالاخبار الغائبة وتنكشف له الامور ورأيت انساناً جالساً في جانبه والكفار تعظمه ايضاً، فقيل لي ان هذا وقف على رجليه اثنتي عشر سنة لم يجلس على الارض الى غير ذلك من الرياضات.

وقد روى ان رجلاً من الشيعة اتى موسى بن جعفر عليهما السلام وهو في بغداد فقال يا ابن رسول الله رأيت هذا اليوم في ميدان بغداد رجلاً كافراً والناس مجتمعون حوله وهو يخبر كل انسان بما اضمره فهو يعلم الاسرار، فقال عليه السلام فغدوا عليه فأتى عليه السلام الى الميدان ورآى الناس

حوله وهو يخبرهم عما في ضمائرهم فطلبه الامام عليه السلام فقال له يا فلان انت رجل كافر والاطلاع على ما في الضمائر مرتبة جليلة فما السبب في ان رزقك الله هذه المرتبة فقال يا عبد الله ما اوتيت هذا الا بأني اعمل خلاف ما تشتهيه نفسي وخلاف مطلوبها فقال عليه السلام يا فلان اعرض الايمان على نفسك وانظر هل تقبله ام لا؟ فتغشى في منديل وتفكر فلما رفع المنديل قال اني عرضت الاسلام عليها فأبت، فقال له اعمل على خلاف ارادتها كما هو عادتك التي اوتيت عليها هذه المرتبة فأسلم وحسن اسلامه وعلّمه عليه السلام شرائع الاحكام فكان من جملة اصحاب الامام عليه السلام فقال له يوماً يا فلان اضمرت انا شيئاً فقل ما هو فلما رجع وتفكر لم يدر ما يقول فتعجب فقال يا ابن رسول الله كنت اعرف الضمائر وانا كافر فكيف لا اعرفها اليوم وانا مسلم؟ فقال عليه السلام ان ذلك كان جزاءً لاعمالك واليوم قد ذخر الله لك اعمالك ليوم القيامة فجزاؤها ذلك اليوم.

وقد سبق في تضاعيف هذا الكتاب حكاية الملكين الذين ارسلهما الله تعالى في امره فتلاقيا في الهوى فتسائلا فقال احدهما اني كنت في امر عجيب وهو ان سلطانا كافراً يعبد الاصنام قد مرض واشتد مرضه فطلب الاطباء فقالوا له ان علاجك في سمكة وفي هذه الايام ما توجد الا في البحر السابع فأنت ميت على كل حال فقال لبعض خدمه اذهبوا الى هذا البحر لعلكم تجدون هذه السمكة فامرني الله سبحانه ان ازجر تلك السمكة من ذلك البحر حتى تأتي الى ذلك البحر الذي هو قرب ذلك السلطان فاصطادوها واكله فبرئ من مرضه.

فقال له الاخر وانا كنت في امر اعجب من هذا وهو ان رجلاً صالحاً عابداً في البلد الفلاني كان صائماً نهاره وكان قد هيأ شيئاً من بقول الارض لاجل الافطار وجعله في القدر وهو يغلي عليه فبعثني الله سبحانه الى ذلك القدر ان اكفيه حتى يبقى هذه الليلة بلا افطار ويصوم اليوم الثاني على ذلك الحال فلما عرجا الى محلهما قالا يا رب ما الحكمة في هذا فقال سبحانه ان ذلك الكافر لا يخلو من بعض العدل مع الرعية واعمال الخير فأردت ان اكمل جزاء اعماله في الدنيا حتى اذا اتاني ليس له عندي حجة يحتج بها عليّ واما ذلك المؤمن فأردت ان اكفّر ذنوبه حتى اذا اتاني نقياً من الذنوب فاسكنه في جواري.

اقول ربما اخّر الله سبحانه جزاء بعض اعمال الكفار ليوم القيامة تخفيفاً في عذابهم روى ان رجلاً مؤمناً قد اخافه سلطان بلاده فلحق ببلاد الكفار فاضافه رجل كافر قال عليه السلام فاذا كان يوم القيامة قال الله تعالى لذلك الكافر لو كان في الجنة موضع لكافر لادخلتك الجنة فيأمر به الى النار ويقول لمالك يا مالك قل للنار هيديه ولا تؤذيه فتكون النار حوله من غير ان يصل حرها اليه، ويؤتى له بطعام طرفي النهار وامثال هذا كثيرة.

وبالجملة فالاخبار الواردة بهذا المضمون متكثرة جداً ويتفرع عليها ما يفعله جمهور اهل الخلاف في اذكارهم واوقاتهم من قبض الافاعي والحيات بل واكلها ودخول النار من غير ضرر فانها ايضاً جزاء اعمالهم فهم قد حرموا لذات الجنان بمعانقة هذه الولدان، وجريان هذه الامور على ايديهم نعم ربما اشكل في هذا المقام امران.

الاول ان دخول النار قد ورد انه من معجزات الامامة ودلائلها فكيف جاز اجرائه على يدي غيره، روى المفضل بن عمر قال لما مضى الصادق عليه السلام كانت وصيته الى موسى الكاظم عليه السلام فادعى اخوه عبد الله الامامة وكان اكبر ولد جعفر عليه السلام في وقته ذلك وهو المعروف بالافطح فأمر موسى عليه السلام فمع حطب كثير في وسط داره وارسل الى اخيه عبد الله يسأله ان يصير اليه، ومع موسى عليه السلام جماعة من الامامية فلما جلس امر موسى بطرح النار في الحطب فاحترق ولا يعلم الناس السبب فيه حتى صار الحطب كلها ناراً حمراً، ثم قام موسى وجلس بثيابه في وسط النار واقبل يحدّث الناس ساعة ثم قام ينفض ثوبه ورجع الى المجلس فقال لاخيه عبد الله ان كنت تزعم انك الامام بعد ابيك فاجلس في ذلك المجلس قالوا فرأينا عبد الله تغيّر لونه وقام يجر ردائه حتى خرج من دار موسى عليه السلام.

قلت دخول النار اذا قارن التحدي بالامامة ونحوها لم يجز ان يجري على يدي غير المعصوم بل قد نقل لي صحيحاً ان اهل الخلاف مع شهرتهم بدخول النار وقبض الحيات والعقارب ربما عارضوا بعض عوام الشيعة وفخروا عليهم بالقدرة على مثال تلك الافعال وعدم قدرة الشيعة عليها، فيدخل الشيعي والسني الى النار فيحترق السني ويخرج الشيعي سالماً مع ان دخول النار كان عمله.

الامر الثاني في ان شيعتنا في هذه الاعصار قد اقدروا على تلك الافعال التي قد خصّ بها جمهور المخالفين مثل دخول النار وغيرها وقد ظهر هذا في عشر السبعين بعد الالف في قرب الاهواز رجل قال ان علي بن الحسين عليهما السلام قد ظهر عليه إمّا يقظة واما نوماً واقدره على تلك الافعال وكان يعطي الناس الرخص في صنع تلك الافعال وذلك بأن يبصق في فم من اراد تعليمه فيصير قادراً على تلك الافعال ولما وردن في حوالي تلك الاوقات الى بلادنا الجزائر اجتمع جماعة اهل نحلتنا واوقدوا ناراً ودخلوها فلما خمدت خرجوا وثيابهم سالمين فكيف يكون مثل هذا.

قلت ان هذا وامثاله مما لا مدخل له في علم السحر والشعبدة، نعم يجوز ان يكون السبب في صدره من شيعتنا واقدار الله لهم عليه كسر شوكة مخالفينا فانهم كانوا يفتخرون بهذا على اهل مذهبنا زماناً طويلاً وبها ضعف اعتقاد بعض عوام مذهبنا من ان مذهب الجمهور اذا

كان باطلا كيف اجرى الله هذه الافعال على ايديهم ويعلموا ان جريان مثل هذا على يدي كفار الهند ونحوهم اشد واكثر من هذا فلما كان سبباً لافتخار مخالفينا ولضعف اعتقاد بعض عوامنا اجراه الله على يد بعض شيعتنا لاجل ذلك ومن ثم لم يجره الا على يد عوام مذهبنا الذين لا يعرفون علماً ولا عملاً كاملاً ليعلم ان هذا واضرابه مما لا مدخل له في حقيقة الاديان وبطلانها وقد بقى في هذا المقام كلام طويل الذيل حررناه في المجلد الثاني من كتاب نوادر الاخبار.

وبالجملة فالتصوف ليس في لبس ثياب الصوف واجتناب الثياب الفاخرة ولا في اكل الشعير وترك ما انعم الله به من اللذات وانما التصوف العمل بأوامر الشريعة ونواهيها وترك شبهاتها والزهد فيها، قال الصادق عليه السلام ليس الزهد في الدنيا باضاعة المال ولا تحريم الحلال بل الزهد في الدنيا ان لا تكون بما في يدك اوثق منك بما عند الله تعالى وقال امير المؤمنين عليه السلام الزهد في الدنيا قصر الامل وشكر كل نعمة والورع عن كل ما حرم الله تعالى، وان اردت العالم الورع فهم علماء شيعتنا في جميع الاعصار ومن ثم لم ينقم عليهم المخالفون الا بسبب المتخلفين وقد شكروا لهم عباداتهم واعمالهم.

وقد كان في قريب من عصرنا مولانا الورع العالم المولى احمد الاردبيلي[1] وقد كان من سكَان النجف الاشرف ومن جملة ورعه انه كان يستأجر دابة من النجف ويأخذها من صاحبها ويمضي الى زيارة الكاظمين والعسكريين عليهم السلام فاذا اراد الرجوع ربما اعطاه بعض اهل بغداد من الشيعة كتابة ليوصلها الى بعض اهل النجف فيضع الكتابة في جيبه ويسوق الدابة وهو يمشي من بغداد الى النجف ويقول ان صاحب الدابة لم يأذن لي في حمل هذه الكتابة على دابته وكان اذا خرج من منزله يضع على رأسه عمامة كبيرة لاجل كل من طلب منه عمامة او مقنعة قطع له من تلك العمامة فاذا رجع الى المنزل ربما بقي على رأسه منها ذراع او اقل، وكان عام الغلاء يقاسم الفقراء في ما عنده من الاطعمة ويبقى لنفسه مثل سهم واحد منهم.

وقد اتفق انه فعل في بعض السنين الغالية هكذا فغضبت عليه زوجته وقالت تركت اولادنا في نثل هذه السنة يتكففون الناس فتركها ومضى عنها الى مسجد الكوفة للاعتكاف فلما كان اليوم الثاني جاء رجل مع دواب حملها الطعام الطيب من الحنطة الصافية والطحين الناعم فقال هذا بعثه اليكم صاحب المنزل وهو معتكف في مسجد الكوفة فلما جاء المولى من اعتكافه

---

(١) توفى قدس سره سنة(٩٩٣) هـ ق ودفن في جوار القبة العلوية البيضاء في مدينة اللعلم (النجف الاشرف) قال العلامة المجلسي(ره): (لم اسمع بمثله في المتقدمين والمتأخرين).

اخبرته زوجته بأن الطعام الذي ارسلته مع الاعرابي طعام حسن فحمد الله تعالى وما كان له خبر فيه.

وقد حدثني اوثق مشايخي علماً وعملاً ان لهذا الرجل وهو المولى الاردبيلي تلميذاً من اهل تفريش اسمه مير علاّم (فيض الله خ) وقد كان بمكان من الفضل والورع قال ذلك التلميذ انه قد كانت لي حجرة في المدرسة المحيطة بالقبّة الشريفة فاتفق اني فرغت من مطالعتي وقد مضى جانب كثير من الليل فخرجت من الحجرة انظر في حوش الحضرة وكانت الليلة شديدة الظلام فرأيت رجلاً مقبلاً على الحضرة الشريفة فقلت لعلَ هذا سارق جاء ليسرق شيئاً من القناديل فنزلت وأتيت الى قربه فرأيته وهو لا يراني فمضى الى الباب ووقف فرأيت القفل قد سقط وفتح له الباب الثاني والثالث على هذا الحال فأشرف على القبر وردّ السلام فعرفت صوته فاذا هو يتكلم مع الامام عليه السلام في مسألة علمية ثم خرج من البلد متوجهاً الى مسجد الكوفة فخرجت خلفه وهو لا يراني فلما وصل الى محراب المسجد سمعته يتكلم مع رجل آخر بتلك المسألة فرجع ورجعت خلفه فلما بلغ الى باب البلد اضاء الصبح فأعلنت نفسي له وقلت له يا مولانا كنت معك من الاول الى الاخر، فاعلمني من كان الرجل الاول الذي كلمته في القبة ومن الرجل الاخر الذي كلمك في مسجد الكوفة؟ فأخذ عليّ المواثيق اني لا اخبر احداً بسره حتى يموت.

فقال لي يا ولدي ان بعض المسائل تشتبه عليّ فربما خرجت في بعض الليل الى قبر مولانا امير المؤمنين عليه السلام وكلمته في المسألة وسمعت الجواب وفي هذه الليلة احالتي على مولانا صاحب الزمان وقال لي ان ولدنا المهدي هذه الليلة في مسجد الكوفة فامض اليه وسله عن هذه المسألة وكان ذلك الرجل هو المهدي عليه السلام وهذه نبذة من بعض احواله فاعتبر احواله الباقية.

وقد روى في تفسير قوله تعالى واما بنعمة ربك فحدّث قال عليه السلام ليس التحديث بالقول وانما هو بالفعل حتى يرى الله اثر نعمته فوق عبده، وحتى لا يكون العبد من ربه بمنزلة الشاكي منه بمعنى انه ما اعطاني شيئاً أتحلّى به بين الناس نعم قد ورد في الاخبار الامر بالتواضع لله تعالى في الثياب قال النبي صلى الله عليه وآله يا ابا ذر من ترك لبس الجمال وهو يقدر عليه تواضعاً لله فقد كساه الله حلل الكرامة واي شيء احسن منه وهو شعار الانبياء والاوصياء.

وفي الرواية انه اوحى الى موسى عليه السلام يا موسى إرض بكسرة من شعير تسدَ بها جوعتك وبخرقة تواري بها عورتك واصبر على المصائب واذا رأيت الدنيا مقبلة عليك فقل انا لله وانا اليه راحعون عقوبة عجلّت في الدنيا واذا رأيت الدنيا مدبرة عنك فقل مرحباً بشعار الصالحين.

واما عيسى روح الله فانه كان يقول خادمي يداي ودابتي رجلاي وفراشي الارض ووسادي الحجر ودفئي الشتاء مشارق الارض وسراحي في الليل القمر وادامي الجوع وشعاري الخوف ولباسي الصوف وفاكهتي وريحاني ما انبتت الارض للوحوش والانعام أبيت وليس لي شيء واصبح وليس على وجه الارض احد اغنى مني.

واما نوح عليه السلام ففي بعض الروايات انه عمّر الفي سنة وخمسمائة عام ومضى من الدنيا ولم يبن فيها بيتاً، وروى انه كان يسكن هو وعياله تحت ظل الشجر فلما كبر سنه قال يا رب إئذن لي ببناء بيت يقيني الحر والبرد فاذن له ان يبني بيتاً اذا نام فيه يكون نصفه في الظل ونصفه في الشمس فبناه فقد كان يوماً جالساً خارج ذلك البيت فأتاه ملك الموت وقال يا نوح انتهى عمرك فقال نوح يا ملك الموت إئذن لي حتى انتقل من الشمس الى الظل فلما انتقل قال يا ملك الموت ما ارى عمري هذا الذي مضى الا هذه الساعة التي انتقلت فيها من الشمس الى الظل.

وفي الروايات ان نبياً من بني اسرائيل مرّ على عابد يعبد الله على رأس جبل في وهج الشمس، فقال له يا عبد الله لم لا تصنع لك ظلاً يقيك من الشمس فقال نعم يا اخي قد مر قبلك نبي فطلبت منه ان يسأل ربه عن قدر بقية عمري، واخبرني انه قد بقي منه سبعمائة عام فقلت لهذا العمر القليل اصنع ظلالاً واشتغل تلك الساعة عن عبادة ربي فتركته فقال له النبي يا عابد كيف لو ترى اناساً في آخر الزمان اعمارهم لا تزيد على المأة ومع هذا يبنون البيوت بالجصّ والصخر فقال يا رسول الله لو اتيت في زمانهم لقطعت ذلك العمر القليل بسجدة واحدة.

واما نبينا صلى الله عليه وآله فقد خرج من الدنيا ولم يضع لبنة على لبنه ورآى صلى الله عليه وآله رجلاً من اصحابه يبني بيتاً بجصّ وآجر فقال عليه السلام الامر اعجل من هذا واما ابراهيم عليه السلام فقد كان لباسه الصوف وأكله الشعير واما يحيى بن زكريا عليهما السلام فقد كان لباسه الليف واكله ورق الشجر واما سليمان عليه السلام فقد كان مع ما هو فيه من الملك يلبس الشعر واذا جنّه الليل شدّ يديه الى عنقه فلا يزال قائماً باكياً حتى يصبح وكان قوته من سفائف الخوص يعملها بيده.

واما نبينا صلى الله عليه وآله فروى انه اصابه يوماً الجوع فوضع على بطنه حجراً ثم قال الا رب مكرم لنفسه وهو لها مهين الا رب مهين وهو لها مكرم، الا رب نفس جائعة عارية في الدنيا طاعمة في الاخرة، ناعمة يوم القيامة، الا رب كاسية ناعمة في الدنيا جائعة عارية يوم القيامة، الا رب متنعم متخوّض فيما أفاء الله على رسوله ماله في الاخرة من خلاق.

واما سيد الموحدين عليه السلام فحاله في الزهد اشهر من ان يذكر قال سويد بن غفلة دخلت على امير المؤمنين عليه السلام بعدما بويع بالخلافة وهو جالس على حصير صغير ليس في البيت غيره، فقلت يا امير المؤمنين بيدك بيت المال وليس ارى في بيتك شيئاً مما يحتاج اليه البيت، فقال يا ابن غفلة ان اللبيب لا يتأثث في دار النقلة ولنا دار أمن قد نقلنا خير متاعنا اليها، وانا عن قليل اليها صائرون، وكان عليه السلام اذا اراد ان يكتسى دخل السوق فيشتري الثوبين فيخير قنبراً بأجودهما ويلبس آخر، ثم يأتي النجار فيمدّ له احدى كميّه ويقول خذها بقدومك تخرج في مصلحة اخرى ويبقى الكم الاخرى بحالها ويقول هذه نأخذ فيها من السوق للحسن والحسين عليهما السلام.

ومن هذا جمع بعض المحققين بين الاخبار بحمل الاخبار الدالة على استحباب لبس الخشن واكل الجشب على من يعرف من نفسه النخوة والعجب وجماحة[1] النفس فيكون ذلك المأكل والملبس سوطاً تخوفها به وتسوقها الى موافاة الاخيار، واما من عرف من نفسه عكس هذا فيكون الاولى له استعمال نعم الله عليه من الملابس والملاذّ ونحوهما، فان حالات النفس عجيبة فهي كحمار السوء ان جاع نهق وان شبع زقط، فان اردت ان تعرفها فانظرها وقت ارادتها شهوتها فانك لو توسلت اليها بالانبياء والمرسلين وعرضت عليها الجنة والنار، وقلت لها هذه الجنة ان تركت هذا الذنب فهي مهيأة لك وان فعلت فأنت من الداخلين الى هذه النار كانت حريصة على الاتيان بذلك الذنب وتركت كل تلك الوسائل ولو كانت جايعة (عن) عوصتها عن (على خ) تلك الوسائل رغيفا من خبز الشعير اقلعت عن ذلك الذنب ورضيت بذلك الرغيف فانظر كيف صار عندها رغيف الشعير احسن من وسيلة الانبياء والجنة والنار والحور العين، ما هذا الا عجب عجيب وامر غريب.

واما الناصبي واحواله واحكامه فهو مما يتمّ ببيان امرين الاول في بيان معنى الناصب الذي ورد في الاخبار انه نجس وانه شرّ من اليهودي والنصراني والمجوسي وانه كافر نجس باجماع علماء الامامية رضوان الله عليهم فالذي ذهب اليه اكثر الاصحاب هو ان المراد به من نصب العداوة لآل بيت محمد صلى الله عليه وآله وتظاهر ببغضهم كما هو الموجود في الخوارج وبعض ما وراء النهر ورتبوا الاحكام في باب الطهارة والنجاسة والكفر والايمان وجواز النكاح وعدمه على الناصبي بهذا المعنى.

وقد تفطنَ شيخنا الشهيد الثاني قدّس الله روحه من الاطلاع على غرائب الاخبار فذهب الى ان الناصبي هو الذي نصب العداوة لشيعة اهل البيت عليهم السلام وتظاهر بالرقوع فيهم

---

(١) جمح جمحاً وجماحاً وجموحاً الفرس: تغلي على راكبه وذهب به لاينثني استعصى فهو جامع بلفظ واحد للمذكور لمؤنث جمع جوامع ومنه جمحت المرأة زوجها اذا تركته وغادرت بيته الى اهلها.

كما هو حال اكثر المخالفين لنا في هذه الاعصار في كل الامصار، وعلى هذا فلا يخرج من النصب سوى المستضعفين منهم والمقلدين والبله والنساء ونحو ذلك وهذا المعنى هو الاولى، ويدلّ عليه ما رواه الصدوق قدس الله روحه في كتاب علل الشرايع باسناد معتبر عن الصادق عليه السلام قال ليس الناصب من نصب لنا اهل البيت لانك لا تجد رجلاً يقول انا ابغض محمداً وآل محمد ولكن الناصب من نصب لكم وهو يعلم انكم تتولونا وانكم من شيعتنا وفي معناه اخبار كثيرة.

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وآله ان علامة النواصب تقديم غير عليّ عليه وهذه خاصة شاملة لا خاصة ويمكن ارجاعها ايضاً الى الاول يان يكون المراد تقديم غيره عليه على وجه الاعتقاد والجزم ليخرج المقلّدون والمستضعفون فان تقديمهم غيره عليه انما نشأ من تقليد علمائهم وآبائهم واسلافهم والا فليس لهم الى الاطلاع والجزم بهذا سبيل.

ويؤيد هذا المعنى ان الائمة عليهم السلام وخواصهم اطلقوا لفظ الناصبي على ابي حنيفة وامثاله مع ان ابا حنيفة لم يكن ممن نصب العداوة لاهل البيت عليهم السلام بل كان له انقطاع اليهم وكان يظهر لهم التودد نعم كان يخالف آرائهم ويقول قال علي وانا اقول، ومن هذا يقوى قول السيد المرتضى وابن ادريس قدّس الله روحيهما وبعض مشائخنا المعاصرين بنجاسة المخالفين كلهم نظراً الى اطلاق الكفر والشرك عليهم في الكتاب والسنة فيتناولهم هذا اللفظ حيث يطلق، ولانك قد تحققت ان اكثرهم نواصب بهذا المعنى.

الثاني في جواز قتلهم واستباحة اموالهم قد عرفت ان اكثر الاصحاب ذكروا للناصبي ذلك المعنى الخاص في باب الطهارات والنجاسات وحكمه عندهم كالكافر الحربي في اكثر الاحكام واما على ما ذكرناه له من التفسير فيكون الحكم شاملاً كما عرفت روى الصدوق طاب ثراه في العلل مسنداً الى داود بن فرقد قال قلت لابي عبد الله عليه السلام ما تقول في قتل الناصب؟ قال حلال الدم لكني اتقي عليك فان قدرت ان تقلب عليه حائطاً او تغرقه في ماء لكي لا يشهد به عليك فافعل فقلت فما ترى في ماله؟ قال خذه ما قدرت.

وروى شيخ الطائفة نوّر الله مرقده في باب الخمس والغنائم في كتاب التهذيب بسند صحيح عن مولانا الصادق عليه السلام قال خذ مال الناصب حيث ما وجدت وابعث الينا بالخمس وروى بعده بطريق حسن عن المعلّى قال مال الناصب حيث وجدت وابعث الينا بالخمس قال ابن ادريس (ره) الناصب المعنى في هذين الخبرين اهل الحرب لانهم ينصبون الحرب للمسلمين، والا فلا يجوز اخذ مال مسلم ولا ذمي على وجه من الوجوه انتهى وللنظر فيه مجال:

اما اولاً فلان الناصبي قد صار في الاطلاقات حقيقة في غير اهل الحرب ولو كانوا هم المراد لكان الاولى التعبير عنهم بلفظهم من جهة ملاحظة التقية لكن لما اراد عليه السلام بيان الحكم الواقعي عبّر بما ترى واما قوله لا يجوز اخذ مال مسلم ولا ذمي فهو مسلّم ولكن انىّ لهم والاسلام وقد هجروا اهل بيت نبيهم المأمور بودادهم في محكم الكتاب بقوله تعالى قل لا اسئلكم عليه اجراً الا المودة في القربى فهم قد انكروا ما علم من الدين ضرورة واما اطلاق الاسلام عليهم في بعض الروايات فلضرب من التشبيه والمجاز والتفاتاً الى جانب التقية التي هي مناط هذه الاحكام.

وفي الروايات ان علي بن يقطين وهو وزير الرشيد قد اجتمع في حبسه جماعة من المخالفين وكان من خواص الشيعى فأمر غلمانه وهدموا سقف المحبس على المحبوسين فماتوا كلهم وكانوا خمسمائة رجل تقريباً فاراد الخلاص من تبعات دمائهم فأرسل الى الامام مولانا الكاظم عليه السلام فكتب عليه السلام اليه جواب كتابه بأنك لو كنت تقدمت اليّ قبل قتلهم لما كان عليك شيء من دمائهم وحيث انك لم تتقدم اليّ فكفر عن كل رجل قتلته منهم بتيس والتيس[1] خير منه فانظر الى هذه الدية الجزيلة التي لا تعادل دية اخيهم الاصغر وهو كلب الصيد فان ديته عشرون درهماً ولا دية اخيهم الاكبر وهو اليهودي او المجوسي فانها ثمانمائة درهم وحالهم في الاخرة اخسّ وانجس.

بقي الكلام في احوال جماعة يسمّون القلندرية وحالهم انهم يلبسون جلود الضأن على قلوب الذئاب كما قال عليه السلام في بيان احوالهم فأبدانهم ووجوههم مسودة وقلوبهم اشدّ سواداً، وقد تركوا الكسب وطلب المعايش المأمور بهما واقبلوا على الادبار وصاروا كلاً على الناس اينما كانوا يتكففون الارزاق من جماعة ضعيفي الابدان وقوتهم وابدانهم اشد من اغلب الناس، وحالهم في ترك العبادات خصوصاً الصلاة مشهور حتى انه ورد في امثال العوام ان شيئين لا يطرقان ابواب السموات صعوداً خبز الملاّ وصلوة القلندر ومن اقبح اعمالهم اللواط واضلال اولاد الناس من اهاليهم ليصحبونهم معهم، فهؤلاء كالصوفية بل هم اقبح افعالاً منهم.

وقد صنّف بعض العلماء ممن قارب عصرنا رسالة شبّه فيها الدنيا برجل له رأس وقلب ويدان ورجلان الى غير ذلك من الاعضاء فشبّه الملوك بأنهم راسه والعلماء بأنهم قلبه وجعل اهل كلّ صنعة عضواً من اعضائه لان كل احد تراه فله دخل في الجملة في تمشية هذا العالم ولما اتى الى جماعة القلندرية واشباههم شبّههم بشعر العانة والابطين بجامع انهم لا يدخلون في

---

(١) التيس من الغر والجمع تيوس واتياس.

تمشية هذا العالم بوجه من الوجود وان الذي يصدر منهم الاضرار بالناس فهم كالشعر المذكور اذا طال فكما ان علاج دفع الشعر في ازالته بالنورة (وغيرها) نحوها فكذا ينبغي ازالة هؤلاء من وجه الارض حسماً لمادة فسادهم وكثيراً ما رأوهم يشربون الخمر بدل الماء والانسان يحسب انه ماء وكثيراً ما يكلفون الناس بالتكاليف الشاقة بان يصعدوا على مرتفع او يقفوا الى ميدان فيطلبون (فيطلبوا خ) اشياء كثيرة من الدراهم والاقمشة والمأكولات ونحوها، ويريدون كلما طلبوا من شخص واحد، وربما بقوا على هذه الحالة سنين واعوام خذلهم الله واخزاهم واكثرهم يتعمد رواية قصيدة او نحوها في مدح امير المؤمنين او احد الائمة عليهم السلام ليجعلها وسيلة الى تكففه الناس وسؤالهم وايصالهم الضرر اليهم.

فان قلت قد ورد في الاخبار ان من تبسم في وجه تارك الصلوة فكأنما هدم البيت المعمور سبع مرات وكأنما قتل الف ملك من الملائكة المقربين والانبياء المرسلين ولا ايمان لمن لا صلوة له ولا حظَ في الاسلام لمن لا صلوة له، ومن احرق سبعين مصحفاً وقتل سبعين نبياً، وزنا امّه سبعين مرة وافتض سبعين بكراً بطريق الزنا فهو اقرب الى رحمة الله من تارك الصلوة متعمداً، ومن اعان تارك الصلوة بلقمة او كسوة فكأنما قتل سبعين نبياً، ومن أخر الصلوة عن وقتها او تركها حبس على الصراط ثمانين حقباً كل حقبة ثلثمائة وستون يوماً كل يوم كعمر الدنيا فمن اقامها اقام الدين ومن تركها فقد هدم الدين، فاذا قد روى مثل هذا فهل يباح اعطاء السائل الذي يظن او يعلم بالعادات تركه للصلوة؟

قلت هذه المسألة مشكلة والكلام فيها يحتاج الى تأمل وتفكر والذي يقتضيه ظاهر النظر هو ان الاصحاب رضوان الله عليهم قيّدوا الاخبار الدالة على تكفير تارك الصلوة بتاركها عمداً مستحلاً لذلك الترك ومن ثم ترتبت هذه العقوبات على ذلك الترك ولكن الاحاديث الواردة بكون تارك الصلوة كافراً خالية من هذا القيد بل ربما دلت على خلافه.

كما رواه الصدوق قدس الله روحه عن مسعدة بن صدقة قال سأل ابو عبد الله عليه السلام ما بال الزاني لا تسميه كافراً وتارك الصلوة تسميه كافراً وما الحجة في ذلك؟ فقال لان الزاني وما اشبهه انما يفعل ذلك لمكان الشهوة لانها تغلبه، وتارك الصلوة لا يتركها الا استخفافاً بها وذلك لانك لا تجد الزاني يأتي المرأة الا وهو مستلذ لاتيانه اياها قاصداً اليها وكل من ترك الصلوة قاصداً لتركها فليس يكون قصده لتركها اللذة فاذا نفيت اللذة وقع الاستخفاف واذا وقع الاستخفاف وقع الكفر، فانه لو كان المراد الاستحلال لم يبق فرق بين الزاني وبين تارك الصلوة.

وايضاً فانه من البعيد ان يدخل انسان في دين الاسلام وينشأ عليه ويكون مستحلاً لترك الصلوة وذلك لانها من اضرّ ضروريات الدين فمن استحل تركها فمن اين له الدخول في الاسلام نعم ينبغي ان يقيد الترك المحكوم بكفر صاحبه بكونه على وجه الاستخفاف بها والرغبة عنها لان تركها كما يمكن ان يكون على هذا الوجه يمكن ان يكون على وجه آخر مثل تركها للاشغال الدنيوية او للسأمة والملال فيكون الترك على هذا فسقاً وعلى ذلك كفراً واما معنى الكفر فليس المراد به المعنى المصطلح الذي يقبه ترتب الاحكام عليه كالنجاسة ونحوها.

بل روى في الاحاديث المعتبرة ان الايمان درجات والكفر درجات روى شيخنا الكليني قدس الله روحه عن عبد العزيز القراطيسي قال قال لي ابو عبد الله عليه السلام يا عبد العزيز ان الايمان عشر درجات بمنزلة السلم[١] يصعدونه مرقاة بعد مرقاة فلا يقولن صاحب الاثنين لصاحب الواحد لست على شيء حتى تنتهي الى العاشرة فلا تسقط من هو دونك فيسقط من هو فوقك واذا رأيت من هو اسفل منك بدرجة فارفعه اليك برفق ولا تحملن عليه ما لا يطيق فتكسره فان من كسر مؤمناً فعليه جبره.

وفي حديث آخر رواه عن الصادق عليه السلام قال ان من المسلمين من له سهم من الايمان ومنهم من له ثلاثة اسهم ومنهم من له اربعة اسهم ومنهم من له خمسة اسهم ومنهم من له ستة اسهم، ومنهم من له سبعة اسهم فلا ينبغي ان يحمل صاحب السهم على ما عليه صاحب السهمين ولا صاحب السهمين على ما عليه صاحب الثلاثة ولا صاحب الثلاثة على ما عليه صاحب الاربعة ولا صاحب الاربعة على ما عليه صاحب الخمسة، ولا صاحب الخمسة على ما عليه صاحب الستة ولا صاحب الستة على ما عليه صاحب السبعة.

وسأضرب لك مثلاً ان رجلاً كان جار وكان نصرانياً فدعاه الى الاسلام وزيّنه له فأجابه فأتاه سحراً فقرع عليه الباب فقال له من هذا؟ قال انا فلان قال وما حاجتك قال توضأ والبس ثوبيك ومر بنا الى الصلوة قال فتوضأ ولبس ثوبيه وخرج معه قال فصليا ما شاء الله ثم صليا الفحر ثم مكثا حتى اصبحا فقام الذي كان نصرانياً يريد منزله فقال له الرجل الى اين تذهب النهار قصير والذي بينك وبين الظهر قليل قال فجلس معه الى الصلوة الظهر ثم قال وما بين الظهر والعصر قليل قال فاحتبسه حتى صلّى العصر قال ثم قال وما بين الظهر والعصر قليل فاحتبسه حتى صلّى العصر قال ثم قام واراد ان ينصرف الى منزله فقال له هذا آخر النهار واقل من اوله فاحتبسه حتى صلى المغرب ثم اراد ان ينصرف الى منزله فقال له انما بقيت صلوة واحدة، قال فمكث حتى صلى العشاء الاخرة، ثم تفرقا فلما كان سحيراً غدا عليه فضرب

---

(١) يصعد منه خ١.

عليه الباب فقال من هذا؟ قال انا فلان قال وما حاجتك؟ قال توضأ والبس ثوبيك واخرج فصلِّ قال اطلب لهذا الدين من هو افرغ مني وانا انسان مسكين وعليّ عيال قال فقال ابو عبد الله عليه السلام ادخله في شيء اخرجه منه، او قال ادخله من هذا واخرجه من مثل هذا.

والاخبار الواردة بهذا المعنى كثيرة جداً وكذلك مراتب الكفر مقابلة لمراتب الايمان فالمؤمن اذا كان في المرتبة العاشرة مثلاً من مراتب الايمان الذي هي منتهاه وسقط منها بترك ما يوجب الترقي اليها دخل في المرتبة الاولى من مراتب الكفر، وهكذا يخرج من عالي الايمان ويدخل في اول الكفر ويتضح على هذا معنى قوله تعالى ولله على الناس حجّ البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر بعد ذلك حيث سمى تارك الحج كافراً فانه ليس المراد به الكفر المصطلح الذي هو آخر مراتب الكفر بل المراد احدى درجاته الاولية التي دخل بها بسبب ترك مثل هذا الواجب وكذلك ما ورد في الكتاب والسنة من اطلاق الكفر على من ترك شكر نعمته سبحانه وتعالى ونحو ذلك من الاخبار المتضمنة لاطلاق الكفر على من اتى بذنب خاص من الذنوب.

وقد اشكل مثل هذا الاطلاق على بعض علمائنا حتى الجأته الضرورة الى ارتكاب التأويل في الفاظ الكفر اينما وردت وحينئذ فقوله تارك الصلوة كافر المراد بالترك تركها استخفافاً كما سبق في رواية الصدوق والمراد بالكفر احد درجاته ومراتبه وحينئذ فقوله ومن اعان تارك الصلوة بلقمة او كسوة المراد به تاركها استخفافاً بشرط ان يعلم منه تركها.

واما من تناله الالسن او من ظنّ به الترك في مجاري العادات فالظاهر انه غير داخل في هذا الحكم، لان الاصل في المؤمن حسن الحال والعدالة مع ما ورد من النهي عن التجسس عن احوال المسلمين واوضاعهم، واما قوله ومن تبسم في وجه تارك الصلوة (ا ه) فهو على ظاهره وذلك ان من درجات الامر بالمعروف والنهي عن المنكر هو ان تلقى اهل المعاصي بوجه مكفهر، كما جاء في الرواية فاذا لقيته متبسماً فقد ضيعت واجباً وأتيت بحرام لان لازم التبسم التودد والمحبة.

بقي الكلام في جواز اطلاق الكافر على تارك الصلوة استخفافاً وتهاوناً على تارك الحج او نحوهما مما ورد في الروايات اطلاق هذا اللفظ عليه وهو لا يخلو من إشكال وذلك ان كثيراً من الاحكام ورد في الروايات لها حكم ولا نقدر نحن على اطلاق ذلك الحكم او اللفظ على من اطلق عليه مثلاً ورد من بات وده في بيت فهو ملعون ومن سافر وحده فهو ملعون ومن اكل زاده وحده فهو ملعون الى غير ذلك ولا يجوز لنا لعن من اتى شيئاً من هذه الامور، وذلك انه يجوز ان يكون الشارع اطلق عليه مثل هذه الالفاظ وتلك تغليظاً عليه حتى لا يقدم على

ارتكاب تلك الامور المنهي عنها.

كما ورد عنه ﷺ انه قال لو شهدت جنازة شارب الخمر لما صليت عليه، مع وجوبها علينا اجماعاً ولما مات رجل من الصحابة مديوناً وحضر النبي ﷺ جنازته ماصلى عليه حتى ضمن دينه امير المؤمنين عليه السلام وروى انه ﷺ همّ باحراق جماعة ما كانوا يحضرون الجماعة معه وقد كانوا يصلون في بيوتهم الى غير ذلك، وذلك ان صاحب الشرع يجوز له السياسات في الافعال والاقوال حتى ترتدع الخلائق من اول الامر عن ذلك القبيح.

خاتمة هذا الكلام

قد عرفت ان للايمان درجات واحوالاً وينبغي ان تعلم ايضاً انه قد ورد الخلاف بين علماء الاسلام في حقيقة الايمان والمذاهب فيه ثمانية:

الاول انه التصديق القلبي بما علم ثبوته من الدين وضرورة كالتوحيد والنبوة والبعث وهذا هو مذهب جمهور الاشاعرة، الثاني ضمّ التصديق اللساني وهو مذهب الحنفية وعليه اكثر اصحابنا رضوان الله عليهم، الثالث ما ذهب اليه الكرامية من انه التصديق اللساني وحده.

الرابع اضافة الاعمال الى ما تقدم وهو قول المعتزلة والخوارج وبعض علمائنا الخامس ما ذهب اليه جهم بن صفوان من انه المعرفة بالله تعالى، السادس انه معرفة الله سبحانه وما جاء به الرسول ﷺ اجمالاً واليه صار بعض علماء (فقهاء خ) الجمهور، السابع انه الطاعات المفترضة من الافعال والتروك دون النوافل وعليه الجبائيان، الثامن انه الطاعات كلها فرائضها ونوافلها.

والذي يفهم من تتبع كلام الطاهرين عليهم السلام ان النزاع الواقع بين الملل لفظي وذلك انه قد ورد في الاخبار اطلاق الايمان على امور متفاوتة ودرجات متباينة، وكل واحد من تلك الاقوال الثمانية يندرج في اطلاق من تلك الاطلاقات.

منها اطلاقه على ما يرادف الاسلام فيتناول بهذا الاطلاق جميع المسلمين وهو بهذا المعنى كثير الوقوع في الكتاب والسنة ولا فايدة له سوى حقن الدماء وحفظ الاموال في الدنيا، واما في الاخرة فصاحبه مخلّد في النيران بالاجماع ومنها اطلاقه على التصديق القلبي والاقرار اللساني كما يكون في فسّاق المؤمنين الذين اصروا على ترك الاعمال وفائدته في الاخرى ان لا يخلد في النار واما اصل الدخول فقد اختلف فيه لاختلاف الاخبار ومدلول الكثير منها ان مثل هذا المؤمني يدخل النار لكنه لا يخلد فيها.

ومنها اطلاقه على ما ذكر مع ترك الكبائر وفعل الفرائض التي يكون تركها كبيرة كالصلوة الزكوة والحج، وعلى هذا قد دلّت الاخبار الكثيرة وغايته دخول الجنة، وقد عرفت ان ما روى من ان تارك الصلوة والحج كافر فالمراد بكفره خروجه عن هذه المرتبة.

ومنها اطلاقه على جميع الاعتقادات مع الاتيان بالواجبات وترك المحرمات، ويترتب عليه مع ما سبق رفع الدرجات والاقبال عليه بالكرامات وقد تحققت ايضاً ان ما ورد من ان من فعل محرما من المحرمات خرج من الايمان يكون المراد به خروجه عن هذه المرتبة ومنها اطلاقه على ما ذكر مع الاتيان بالمستحبات وترك سائر المكروهات وفائدته تضاعف الدرجات وما روى من ان من كان يؤمن بالله فلا ينامنَ وحده او فلا يأكلنّ وحده أو فلا يبعث بحليلته الى الحمام، منزَل على هذه الدرجة من الايمان.

ومنها اطلاقه على ما ذكر مع التوجه بكله الى عالم الملكوت وصرف الوقت في الاقبال على جنابه سبحانه وتعالى وهذا هو الايمان الكامل الذي لما وصفه امير المؤمنين عليه السلام لهمام لم يطق سماعه بل غشى عليه وهذه المرتبة ينافيها فعل المباحات ومن هذا تاب الانبياء والائمة عليهم السلام مما ينافيها من هذه الافعال وعدّوها ذنوبا، كما قال عليه السلام حسنات الأبرار سيئات المقربين، ويدل على تنوع الأيمان ما رواه شيخنا الكلينى قدس الله روحه باسناد الى الزبيرى عن إبي عبد الله عليه السلام قال قلت له أيها العالم أخبرني أى الأعمال أفضل عند الله، قال ما لا يقبل الله شيئاً الا به، قلت وما هو ؟ قال الأيمان بالله الذي لااله الأ هو أعلى الإيمان درجة وأشرفها منزلة وأسناها حظاً قال قلت الأ تخبرني عن الايمان اقول هو وعمل أم قول بلا عمل فقال الايمان عمل والقول بعض ذلك العمل بفرض من الله بيّن في كتابه واضح نوره ثابتة حجته يشهد له الكتاب ويدعوه اليه قال قلت صفه لي جعلت فداك قال الايمان حالات ودرجات وطبقات ومنازل فمنه التام المنتهي تمامه ومنه الناقص البيّن نقصانه ومنه الراجح الزائد رجحانه قلت ان الايمان ليتمّ ويزيد وينقص؟ قال نعم، قلت كيف ذلك، قال ان الله تبارك وتعالى فرض الايمان على جوارح بن آدم وقسمه عليها وفرّقه عليها فليس من جوارحه جارحة الا وقد وكلَت من الايمان بغير ما وكلت به اختها فمنها قلبه الذي يعقل ويفقه ويفهم وهو امير بدنه الذي لا ترد الجوارح ولا تصدر الا عن رأيه وامره وساق الحديث وذكر فيه تكاليف الاعضاء كلها والحديث طويل.

ويفيد ما تقدم توضيحاً انه قد وقع في كلام الطاهرين عليهم السلام تشبيه الايمان بشخص مشتمل على جميع ما في غيره من الاعضاء والجوارح والمزينات والمحسنات فمن تلك الاعضاء اعضاء يكون قوام ذلك الشخص ووجوده به كالرأس والقلب وبازائها من الايمان التصديق القلبي والاقرار اللساني ومنها ما يكون به جلب منافعه ودفع مضاره لا اصل وجوده كاليدين

والرجلين ونحوهما وبازائها من الايمان فعل الواجبات وترك المحرمات ومنها ما يكون له مدخل في تحسين صورة الشخص وتزيينها كالحاجبين واهداب العينين، ونحوهما وبأزائه من الايمان فعل المستحبات وترك المكروهات والى هذا ينظر قول سيد الساجدين عليه السلام في دعائه وحلّني بحلية المتقين.

واما تزايده ونقصانه كما جاء في ذلك الحديث فانما يجيء من تزايد الاعمال ونقصانها وذلك انه قد ورد في الاحاديث تشبيه الايمان بالعين النابعة ولا ريب ان زيادة ماء العين ونقصانه انما يكون بتشريع الانهار وشقّها منه حتى يجري منها الماء على وجه الارض فلا تعفنها الرياح وكذلك عين الايمان النابعة من القلب تحتاج الى تشريع انهار تجري منها على الجوارح والاعضاء فان كل عضو من الاعضاء بمنزلة نهر من انهار العين وايضاً العين تحتاج في كل زمان الى تنقيتها من الحماة المفسدة ومما يعرض لها بتطاول الايام وكذلك عين الايمان تحتاج الى التنقية مما يفسدها من حمأة الحسد والنفاق والرياء والكبر والعجب حتى يصفو ماءها فيبلغ به الصفاء الى قوله لو كشف الغطاء لما ازددت يقينا.

واعلم انه قد ظهر من التحقيق السابق النزاع لفظي وذلك ان للايمان مراتب فكل واحد من الاقوال الثمانية عبارة عن درجة من درجات الايمان نعم يمكن ان يكون النزاع معنوياً في صورة من الصور وهي ما روى في قضاء حوائج المؤمن ومواساته واعانته وزيارته ونحو ذلك في ان المراد بهذا المؤمن صاحب أي درجة من الدرجات الايمانية قال شيخنا المعاصر ادام الله ايامه المراد من انضمت اعماله وتركه الكبائر الى حسن اعتقاده وذلك لان الفاسق لا حرمة له عند الله سبحانه حتى يرغب في قضاء حوائجه كل ذلك الترغيب وهو كما قال.

لكن يبقى الكلام في ان من علم منه الفسق امس أيحكم عليه اليوم بأنه فاسق ام لا؟ ذهب اليه اكثر الاصوليين الى الاول عملا بالاستصحاب والمستفاد من تتبع الاخبار عدم جواز الحكم عليه بالفسق الماضي وذلك ان التوبة قائمة الاحتمال في كل ساعة فيجوز ان يكون قد تاب عن ذلك الذنب ويؤيد هذا ما ورد في دعاء صلوة الاموات من قوله عليه السلام اللهم انا لا نعلم منه الاخيراً، وذلك ان الفاسق قد علم منه غير الخير فما وجه هذا الدعاء حينئذ؟ واجاب عنه المحققون بما ذكرنا وهو ان احتمال التوبة قائم فلعله قد تاب عن ذلك القبيح، والايمان منه معلوم فخيره معلوم وشرّه غير معلوم لان ادنى الحال ان يشك في توبته واذا قام الشك بطل العلم وحيث انك عرفت الفرقة الناجية فلا بد لك من الدخول في اعمالها واشرف الاعمال هو الطهارة والصلوة فلنعقد لهما نوراً بانفرادهما.

نور في الطهارة والصلوة.

اعلم ان الطهارة الشرعية وضوء وغسل وتيمم في عرف اشرع وفي اللغة هي النظافة وازالة القذر ويجب ان تفكر وتعرف انك انما امرت بتطهير ظاهر الجلد والثياب مع انهما أبعد عن ذاتك لاجل تطهير ما هو اشرف اعضائك ورئيسها وهو القلب فاجتهد في طهارته بالتوبة من نجاسات المعاصي والنفاق والحسد وغيرها فان نجاسة الذنوب تؤثر في القلب ازيد مما تؤثره النجاسات الظاهرة بالثوب والبدن وذلك ان هذه النجاسة تقع على الاعضاء التي يطّلع عليها المخلوقات فاذا صليت بهذه النجاسة الظاهرة مقتك المخلوق الذي هو مثلك ومنعك من نظر الاخوة والصداقة ان كان من اهل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واما اذا صليت مع نجاسة القلب مقتك الخالق ومنعك من نظر الرحمة التي يترتب عليها سعادة الدارين وايضاً ان نجاسة القلب مما تحدث فيه رينا ووسخا فيعلو القلب حتى يصير منه اسود.

وفي الروايات ان ذلك السواد ربما غلب عليه حتى ينتكس ذلك القلب فيصير اعلاه اسفله واسفله اعلاه ويسمى القلب المنكوس فتكون البدعة في نظره سنّة والسنّة بدعة فيطبع الله على قلبه بخواتيم منع الالطاف فيكون ذلك القلب عرشاً للشيطان ومناما وموضع استراحة يأمره اذا اراد وينهاه اذا شاء وهذه الروايات تقلل التعجب من جماعة ينحتون اصناماً فيظلون عاكفين على عبادتها وقد كان في زمن الفترة جماعة يعبدون صنماً وكان موضوعاً في ساحة بينهم فأتاه ثعلبان فبالا عليه ثم انهم عبدوه بعد هذا وما استنكفوا عن عبادته سوى رجل واحد منهم حيث قال:

أربَ يبول الثعلبان برأسه   لقد ذلّ من بالت عليه الثعالب

وقال الخوارزمي ما انتفع كافر بمعبوده كانتفاع بني حضرمة فانهم كانوا يصنعون اصناماً من التمر فيعبدونها اول النهار فاذا ارتفع النهار جاعوا اكلوها.

وفي كفار الهند من يعبد الثور ورأيناهم يأخذون من روثه ويمزجونه بالزعفران ويلطخون به جباههم لقصد التيمن والتبرك وكذلك ما جرى في الاسلام من عبادتهم الثور والعجل والبقرة اعني المتخلفين الثلاثة، حيث قدّموهم مع فرط جهلهم في الدين واخذوا اقوالهم التي اقروا بأنها خلاف رسول الله ﷺ كما قال الثاني متعتان كانتا على عهد رسول الله ﷺ وانا محرمهما ومعاقب عليها بكسر القاف مع معاقب والفتح هو الاوجه.

ويعجبني جواب رجل من الجمهور لما تمتع امرأة فقال له اهل مذهبه كيف تمتعت وقد نهى عنها الخليفة عمر؟ فقال ما تمتعت الا بقوله وذلك انه قال متعتان كانتا على عهد رسول الله محللتين فقد اخذت بهذا الخبر من حديثه، واما قوله فانا احرمهما واعاقب عليهما فلم اعمل

عليه وذلك لان الاحكام الشرعية قد كملت عند موت النبي ﷺ ولم ينزل الوحي لا على عمر ولا على غيره فمن اين جاء التحريم.

ويحكى في سبب تحريم عمر لمتعة النساء انه قد طلب امير المؤمنين عليه السلام الى منزله ليلة فلما مضى من الليل جانب طلب منه ان ينام عنده فنام فلما اصبح الصبح خرج عمر من داخل بيته معترضا على امير المؤمنين عليه السلام بأنك قلت انه لا ينبغي للمؤمن ان يبيت ليلة عزبا اذا كان في البلد، وها انت هذه الليلة بتَ عزبا فقال امير المؤمنين عليه السلام وما يدريك انني بتَ عزبا وانا هذه الليلة قد تمتعت بأختك فلانة فاسرها في قلبه حتى تمكن من التحريم فحرمها، فمن اطاعه في تحريمها او تحريم غيرها فقد عبده وذلك ان العبادة هي اطاعة المتكلم كما روى في تفسير قوله تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم من دون الله والله ما صاموا ولاصلوا ولا دعوهم الى هذا لما قبلو منهم لكن احلّوا لهم حراماً وحرموا عليهم حلالا فقبلوا اقوالهم فمن ثم قال ارباباً من دون الله وبيان قلّة العجب ان قلوبهم التي هي موضع الفيوض الربانية والتوفيقات السبحانية قد اسودت بنجاسات الذنوب فانتكست فمن هذا تراهم يعجبون منّا ومن حبنا لاهل البيت والتمسك بشرائعهم ويستحسنون افعالهم القبيحة.

وقد نازعتني نفسي في نقل بعض ما رأيت من علمائهم فمنه انني في عشر الستين بعد الالف سافرت مع سلطان البصرة الى موضع شط بغداد لارادة التنزه فكنت يوماً أعقب بعد صلوة الصبح الى ان طلعت الشمس ؛ فأتانى الخبر انالسلطان لم يصل الى هذا الوقت فسألت خواصه عن السبب فقالوا ان امام جماعته كان مشغولا في الغسل عن الجنابة وكان اسمه الشيخ يحيى وكان فسطاطه قريباً من فسطاطنا وكان رجلا قد طعن في السن حتى تجاوز الثمانين فتعجبت وقلت ان الامام رجل كبير السن فكيف يحتلم؟ فضحك من كان حاضراً من خواصه وقالوا ليس اغتساله من الاحتلام وانما هو من ولد يخدمه اسمه قادر وقد لاط فيه البارحة وما سخن له الماء الى هذا الوقت فلما فرغ من الغسل مضى الى السلطان وصفّت الصفوف خلفه فكبروا واقام وصلّى تلك الصلوة المقبولة بذلك الغسل المشروع اعاذنا الله من ثوابها وكان ذلك الشيخ شافعياً لا مالكياً حتى يحلل هذا وامثاله.

ومن ذلك ايضاً ان رجلاً من علمائهم وهو الان في تاريخ تأليف الكتاب موجود في مشهد الحسين عليه السلام وهو امام الجماعة في المشهد المقدس واسمه ملا حسين وعنده اولاد موجودون رأيناهم ورأينا اباهم وقد حكى لي رجل عابد زاهد اثق بنقله وصلاحه عن ذلك الامام فقال ان هؤلاء اولاده ولما كان وقتهم قبل البلوغ كا الفساق كثيراً ما يأخذونهم الى منازلهم ويلوطون بهم وكان اذا قدم الى ذلك المشهد الشريف جماعة من اروام بغداد ارسلوا

الى اولاد ذلك الامام فبقوا عندهم ليلاً حتى يخرجوا من المشهد فاتى جماعة من خوّاص ذلك الامام وقالوا له ان اولادك يفعلون هذا الفعل وانت غير عالم به فانهاهم عنه.

فقال لهم قولوا لي الصدق ان احدهم اذا بات ليلة عند من يفعل به ذلك الفعل كم يعطيه درهماً؟ فقال يعطيه درهمين، فقال لهم ويل لكم والله ان اباهم يعني نفسه الشريفة لما كان في سنهم كان يرضى طول ليلته بنصف درهم فاذا اعطى احدهم درهمين وما يريد فسكتوا عنه فهذا حال ائمتهم اهل العبادة والزهادة والجمعة والجماعة.

واما علماؤهم من ارباب المعقول فافضلهم الملا ميرزا جان صاحب الحواشي والتحقيقات وقد كان عنده ولد يلوطون به فأخبره بعض تلاميذه عن حال ابنه فاجاب بان هذا الفعل لا ينقص من قوته الداركة شيئاً والاصل في الانسان تلك القوة وقد خلق لحراستها واعمالها في العلوم والمعارف واما هذه الاعضاء اللحمية فلا يبالي العاقل بما يجرى عليها.

ومن ذلك ان الشيخ عبد السلام الذي كان في البصرة وبلغ في الزهد وعلو الدرجة حتى كتب سلاطينهم اسمه على الاعلام التي تنشر في الحروب فكتبوا عليها لا اله الا الله محمد رسول الله الشيخ عبد السلام ولي الله قد صعد المنبر ذات يوم فقال من اراد ان يشتري مكانا من الجنة فليقبل فأقبلت البهائم اليه فباع مواضع الجنة ومساكنها كلا على قدر حاله حتى اخذ منهم اموالاً كثيرة فلما فرغ من بيعها اقبل اليه رجل لم يكن حاضراً في البلد فقال يا شيخ اريد ان اشتري مكانا في الجنة وعندي اموال جزيلة ابدلها كلها على مكان فيها فأجابه ذلك الشيخ بأنه لم يبق من الجنة سوى مكاني ومكان دابتي فقال بعني مكانك واكتف انت بمكان الدابة فباعه مكانه وبقي ولا مكان له في الجنة.

وقد كان هذا الشيخ يصلي ذات يوم في المسجد فقال في اثناء الصلوة كخ كخ فلما فرغ سأله اصحابه عن ذلك القول في الصلوة فقال اني رأيت وانا في الصلوة كلباً قد دخل المسجد الحرام وانتهى الى باب الكعبة فزبرته حتى خرج فتعجب الحاضرون من هذا الكشف العظيم حيث رآى وهو في البصرة كلباً في الكعبة فأتى رجل من الحاضرين الى زوجته وكانت شيعية وذلك الرجل سني وحكى لها كرامة الشيخ وحثها على متابعة دينه فقالت له ان كنت تريد لتحولني الى دينك فاطلب هذا الشيخ الى الضيافة يوماً حتى اتحول الى مذهبك في حضوره ففرح الرجل فواعد الشيخ يوماً فقال للمرأة اصنعي هذا اليوم طعاماً للشيخ واصحابه فلما جلسوا وضعت الصحون بين ايديهم وعلى رأس كل صحن دجاجة ودجاجة صحن الشيخ وضعتها تحت الطعام فلما نظر الى صحنه غضب غضباً شديداً وامتنع عن الاكل وقل كيف ما وضعتم لي دجاجة فكانت المرأة واقفة تنظر الى ما يصنع الشيخ فلما رأت منه حالة الغضب

اتت الى صحنه واخرجت الدجاجة من تحت الطعام، وقالت يا شيخ انك في البصرة ورأيت الكلب وه في مكة حتى قطعت الصلوة لاجله، فكيف لا ترى الدجاجة التي هي امامك وما بينك وبينها حايل سوى لقمة من الطعام؟ فقال ذلك الشيخ هذه رافضية خبيثة، فقام وخرج ورجع زوج المرأة الى دين زوجته.

ومن ذلك ان الشيخ حبيب الكهمري قد كان في البصرة وكان من اعاظم عبادهم وزهادهم، وقد كان فيه حصر البول فكان يوماً من الايام جالساً مع الناس فأخذه حصر البول فتعصر وتشنجت عروقه وبقى ساعة على ذلك الحال حتى خرج منه من البول ما ابتل منه ثيابه فقالوا له لم جرى عليك هذا الحال؟ فقال ان مركبا من مراكب البحر كان قد اشرف على الغرق فرأيته وهو في البحر فتناولت حبال ذلك المركب حتى نجيتهم من الغرق وقد ابتلَ ثوبي من ماء فأتوا الى ثوبه ومسحو ذلك الماء الذي في الثوب على وجوههم ولحاهم تبركاً به.

وانه يجبني نقل حكاية فعلها رجل بحراني مع هذا الشيخ وهي ان ذلك الرجل البحراني قال لاصحابه يوماً امضوا بنا الى الشيخ حبيب حتى نضحك على لحيته ونأخذ منه مبلغاً من الدراهم فقالوا له ما نقدر على هذا الحال فقال لهم لكني انا اقدر فأتوا الى الشيخ وهو جالس بين تلاميذه فسلّم عليه وقال يا شيخ انا رجل من الشيعة وقد امنتك امانة واريدها الان، فقال وما هي قال انني كنت في البحر في اليوم الفلاني وقد اشرفت السفينة على الغرق فرمت التجار اموالهم في الماء وقالوا يا ماء هذا امانة الشيخ حبيب، فلما رأيتهم صنعت انا مثلهم وكان مالي الف درهم واظن الماء لا يخونك في الامانة بل قد اداها اليك فتفكر الشيخ في نفسه وبهائمه جالسة حوله فقال نعم يا بحراني صدقت في كلامك هذا لان البحر في ذلك اليوم قد دفع الى امانات كثيرة من اهل تلك السفينة فعلَم علائم امامك فقال انها مصرورة في خرقة خضراء كذا صفتها وكذا فقال صدقت يا بحراني عندنا هذه الامانة فدخل البيت ووضع دراهم من ماله في خرقة خضراء فأتى بها الى البحراني ودفعها اليه، فقال البحراني نعم هذه امانتا.

واما الكرامات التي ظهرت من قبور ائمتهم الاربعة فهي اكثر من ان تحصى، واعظمها الكرامات التي شاهدها الناس من قبر ابي حنيفة وذلك ان السلطان الاعظم شاه عباس الاول لما فتح بغداد امر بأن يجعل قبر ابي حنيفة كنيفاً وقد واقف وقفاً شرعياً بغلتين وامر بربطهما على رأس السوق حتى ان كل من يريد الغائط يركبها ويمضي الى قبر ابي حنيفة لقضاء الحاجة.

وقد طلب خاد\م قبره يوماً فقال له ما تخدم في هذا القبر وابو حنيفة الان في اسفل درك الجحيم؟ فقال ان في هذا القبر كلباً اسود دفنه جدّك المرحوم الشاه اسماعيل لما فتح بغداد قبلك

فأخرج عظام ابي حنيفة وجعل موضعها كلباً اسود فانا اخدم ذلك الكلب وكان صادقاً في مقالته لان المرحوم شاه اسماعيل فعل مثل هذا.

ومن كراماته ان حاكم ببغداد طلب علماء اهل السنة وعبّادهم وقال لهم كيف الرجل الاعمى اذا بات تحت قبة موسى بن جعفر عليهما السلام يرتّد اليه بصره وابو حنيفة مع انه الامام الاعظم لم يسمع له بمثل هذه الكرامة فأجابوه بأن هذا يصدر ايضاً من بركات ابي حنيفة فقال لهم احب ان ارى مثل هذا لاكون على بصيرة من ديني فأتوا رجلاً فقيرا وقالوا له انا نعطيك كذا وكذا من الدراهم والدنانير وقل اني اعمى وامش متكيا على العصا يومين او ثلاثة، ثم تبيت ليلة الجمعة عند قبر الامام ابي حنيفة فاذا اصبحت فقل الحمد لله الذي ردّ عليَّ بصري ببركات هذا صاحب القبر فقبل كلامهم ثم لما بات تلك الليلة تحت قبته اصبح بحمد الله وهو اعمى لا يبصر شيئاً فصاح وقال ايها الناس حكايتي كذا وكذا وانا رجل صاحب عيال وحرفة فاتصل خبره بحاكم البلد فارسل اليه فقص عليه قصته واحتيالهم عليه فالزمهم بما يحتاج اليه من المعايش مدّة حيوته ونحو ذلك من الكرامات التي لا يحتمل هذا الكتاب نقلها وبالجملة فتصديق مثل هذه الخرافات والاخذ بأقوال هؤلاء الجماعة الحمقى انما نشأ من القلب المنكوس.

وينبغي ان تذكر بتخلّيك لقضاء الحاجة نقصك وحاجتك وما تشتمل عليه من الاقذار وما في باطنك كما قال سيد الموحدين عليه السلام ابن آدم انّى لك والفخر فان اولك جيفة وآخرك جيفة وفي دار الدنيا حامل الجيف والنجاسات وقال عليه السلام ما من عبد الا وبه ملك موكل يلوي عنقه حتى ينظر الى حدثه ثم يقول له الملك يا بن آدم هذا رزقك فانظر من اين اخذته والى ما صار فينبغي ان يقول عند ذلك اللهم ارزقني الحلال وجنبني الحرام.

وقد امر ايضاً بقناع الرأس فوق العمامة لاظهار الحياء منه سبحانه فانه على حالة خسيسة كأنه لا يجب ان ينظر اليه احد مثل قاطع الطريق فانه ينقب ويتلثم كي لا يعرف في ذلك الحال فاذا كان على هذه الطريقة في الحياء من النجاسات والظاهرة فكيف لا يكون كذلك مع النجاسات الباطنة ودفعها وكما ان من اخرج هذه النجاسات الظاهرة ودفعها يحصل له الاستراحة بدفعها ويحصل له الحالة القابلة لدخوله في الصلوة قال الصادق عليه السلام سمى المستراح مستراحاً لاستراحة النفوس من اثقال النجاسات واستفراغ الكثيفات والقذر فيها فكذلك اذا اخرج النجاسات الباطنة عن باطنه يحصل له الاستراحة المعنوية ويسكن قلبه من دنسها ويخفّ لبَه من ثقلها ويصلح للوقوف على بساط الخدمة والتأهل للمناجاة.

وايضاً قد امرنا الشارع بالانحراف عن القبلة وتجنبها على الحالتين اشارة الى ان الكعبة لما نسبت اليه سبحانه بأنها بيته وجب تعظيمها وتنزيهها حتى عن المواجهة بالبول والغائط حتى انه

روى عن الرضا عليه السلام من بال حذاء القبلة ثم ذكر فانحرف عنها اجلالا للقبلة وتعظيماً لها لم يقم من مقعده ذلك حتى يغفر له فاذا لم يرض سبحانه بمواجهة بيته الحسي المركب من الاحجار والاخشاب بأن يواجه بالنجاسات مع ان بينه وبينه المسافات البعيدة فكيف يرضى بأن يكون بيته المعنوي ومحل معرفته ومحبته ملطخاً بنجاسات المعاصي، كما قال سبحانه في الحديث لم تسعني سمائي ولا ارضي ولا عرشي ولا كرسيَ ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن فجعل قلب المؤمن اجلَ واوسع من العرش والكرسي مع ما تقدم من احوالهما فينبغي لمن اراد الوقوف بين يديه تعالى ان يصبَ على قلبه ماء التوبة حتى يطهر ما نجس منه.

وكذا كره الشارع له الاكل على الخلا اشارة الى ان المأكول ينبغي ان يعظمه وان يقبل عليه وان يجلس له على احسن الاحوال لانه من اعظم نعمه تعالى، روى ان الباقر عليه السلام دخل الخلا فوجد لقمة خبز في القذر فأخذها وغسلها ودفعها الى مملوك كان معه فقال تكون لآكلها اذا خرجت فلما خرج عليه السلام قال للملوك اين اللقمة قال اكلتها يا ابن رسول الله قال انها ماستقرت في جوف احد الا وجبت له الجنة فاذهب فانت حرّ، فاني اكره ان استخدم رجلاً من اهل الجنة، وهذا حال كل لقمة توجد في القذر فتغسل وتوكل فقد نزّه الاكل عن بيت الخلا اذا تحققت هذا كله فاعلم انه قد بقي الكلام في مواضع.

الاول في تحقيق معنى القلب الذي قد امرت بطهارته من الرزائل والاوساخ وامرت ايضاً باحضاره في اوقات العبادات وبسببه تتفاوت مراتب الدرجات قال شيخنا الشهيد الثاني طاب ثراه[١] اعلم ان القلب يطلق على معنيين احدهما اللحم الصنوبري المشكل المودع في الجانب الايسر من الصدر وهو لحم مخصوص وفي باطنه تجويف وفي ذلك التحويف دم اسود، وهو منبع الروح ومعدنه وهذا المعنى من القلب موجود للبهائم بل للميت وليس هو المراد في هذا الباب ونظائره.

والمعنى الثاني لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلّق وتلك اللطيفة هي المعبَر عنها بالقلب تارة وبالنفس أخرى وبالروح أخرى وبالانسان ايضاً، وهي المدرك العالم العارف وهو المخطب والمطالب والمعاقب ولها علاقة مع القلب الجسداني وقد تحير عقول اكثر الخلق في ادراك وجه علاقته وان تعلقه به يضاهي لتعلق الاعراض بالاجسام والاوصاف بالموصوفات او تعلق المستعمل للالة بالالة او تعلق المتمكن بالمكان وحيث يطلق القلب في الكتاب والسنة فالمراد منه هذا المعنى الذي يفقه ويعلم.

---

(١) قاله في كتابه (اسرار الصلوة) المطبوع كرار.

وقد يكنى عنه بالقلب في الصدر كما قال الهل تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب النتي في الصدور وذلك لما عرفت من العلاقة الواقعة بينه وبين جسم القلب فانها وان كانت متعلقة بسائر البدن ومستعملة له ولكنها تتعلق به بواسطة القلب فتعلقها الاول بالقلب وكأنه محلَه ومملكته والمجرى الاول لتدبيره وتصرفه فهما بالنسبة اليه كالعرش والكرسي بالنسبة الى الله تعالى ولا يستقيم هذا التشبيه الا من بعض الوجوه كما لا يخفى وهذا المعنى من القلب في الجسد بمنزلة الملك.

وله فيه جنود واعوان واضداد واوصاف وله قبول للاشراق والظلمة كالمرآة الصافية التي تقبل انطباع الصور والاشكال المقابلة لها، وتقبل الظلمة والفساد والبعد عن الاعداد لذلك بسبب العوارض الخارجة المنفية لجوهرها وربما وصل اشراقه واستنارته الى حدّ يحصل فيه جليّة الحق وينكشف فيه حقيقة الامر المطلوب والى مثل هذا القلب الاشارة بقوله ﷺ اذا اراد الله بعبد خيراً جعل له واعظاً من قلبه.

ومثال الاثار المذمومة الواصلة اليه المانعة له من الاستنارة وقبول الاسرار مثال دخان مظلم يتصاعد الى مرآة ولا يزال يتراكم عليه مرة بعد اخرى الى ان يسود ويظلم ويصير بالكلية محجوباً عن الله تعالى وهو الطبع والرين اللذين اشير اليهما في القرآن في قوله ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون، ربط عدم السماع والطبع بالذنوب كما ربط السماع بالتقوى في قوله تعالى واتقوا الله واسمعوا وقال تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون فمهما تراكمت الذنوب طبع على القلب وعند ذلك يعمى عن ادراك الحق وصلاح الدين ويتهاون بالاخرة وبقصر همه على الدنيا واذا قرعه سمعه امر الاخرة دخل من اذن وخرج من اخرى، ولم يستقر في القلب ولم يحركه الى التوبة والتدارك.

وهذا هو معنى اسوداد القلب بالذنوب كما نطق به القرآن والسنة كما في قوله ﷺ قلب المؤمن اجود فيه سراج يزهر وقلب الكافر اسود منكوس وقول الباقر عليه السلام ان القلوب ثلاثة قلب منكوس لا يعي شيئاً من الخير وهو قلب الكافر، وقلب فيه نكتة سوداء فالخير والشر فيه يختلجان فأيهما كانت منه غلب عليه وقلب مفتوح فيه مصابيح تزهر لا يطفى نوره الى يوم القيامة، فانظر الى قوله لا يطفى نوره الى يوم القيامة فانَ هذا حكم نور القلب بالمعنى الثاني لانه باق وان خرب البدن بخلاف الاول.

وروى زرارة عن ابي جعفر عليه السلام قال ما من عبد الا وفي قلبه نكتة بيضاء فاذا اذنب ذنباً خرج في النكتة نكتة سوداء فان تاب ذهب السواد وان تمادى في الذنوب زاد ذلك السواد حتى يغطي البياض فاذا غطّى البياض لم يرجع صاحبه الى خير ابداً وهو قول الله عز وجل كلا بل

ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقال تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون فأخبر ان جلاء القلب يحصل بالذكر وان المتقين هم المتذكرون فالتقوى باب الذكر والذكر باب الكشف والكشف باب الفوز الاكبر.

واعلم ان القلب مثاله مثال حصن والشيطان عدوّ يريد ان يدخل الحصن ويملكه ويستولي عليه ولا يقدر على حفظ الحصن من العدو الا بحراسة ابواب الحصن ومداخله ومواقع تهمه فينبغي الاهتمام بمعرفة ذلك والامر الجامع له الاقبال على الله وتخيّل انه واقف بين يديه فان لم تراه فانه يراك كما في الخبر فاذا اشعرت بذلك وتحققته وعملت به انسدّت الابواب دون وسادس اللعين واقبل القلب على الله تعالى وتفرغ للعبادة.

وقد روى عن النبي ﷺ ان العبد اذا اشتغل بالصلوة جاء الشيطان وقال له اذكر كذا اذكر كذا حتى يضلَ الرجل ان يدرك (يدري خ) كم صلّى ومن هيهنا ظهر لك ان مجرد التلفظ بالذكر باللسان ليس هو الزاجر للشيطان بل لا بدّ معه من عمارة القلب بالتقوى وتطهيره من الصفات المذمومة التي هي اعوان ابليس وجنده والا فالذكر من اقوى مداخل الشيطان وكذلك غيره من العبادات ولذلك قال تعالى ان الذي اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون فخصص ذلك ذلك بالمتقي وتأمل انت في منتهى ذكرك وعبادتك وافضل اعمالك وهو الصلوة فليس الخبر كالعيان فراقب قلبك اذا كنت في الصلوة كيف يتجاذبك الشيطان في الاسواق والبساتين وحساب العاملين وجواب المعاندين وغيرهم، وكيف يمرّ بك في اودية الدنيا ومهالكها حتى انك لا تتذكر ما نسيته في فضول الدنيا الا في صلوتك ولا يزدهم الشيطان على قلبك الا اذا صليت فلا جرم لا يطرد عنك الشيطان بصورة العبادة وان تأدّى بها الواجب عليك وخرجت من عهدة الامر الالهي بل لا بد في دفعه مع ذلك من اصول اخرى واصلاح الباطن من الرذائل التي هي اعوانه وجنده والا لم يرد الا ضرراً كما ان الدواء قبل الاحتماء لا يزيد المريض الا مرضاً والماً ثم بعد ذلك يتصف بالفضائل وحينئذ يصير قلبه قابلاً للاقبال مشفقاً من التفريط والاهمال قال الله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب فاجعل هذه العلامة بينك وبين استقامة قلبك واقباله اوقفنا الله واياك بساط الاستقامة بمحمد وآله انتهى.

اقول ما ذكره طاب ثراه من تجاذب الشيطان في الاسواق مشاهد بالوجدان ويعجبني نقل حكاية حكاها رجل ثقة عادل وهو انه قال اني فكرت في قلبي انه قد جاء في الحديث ان من قبلت منه صلوة ركعتين لا يعذبه بعده فقلت اني امضي الى مسجد الكوفة وانفرد بصلوة ركعتين بحضور القلب واستجماع الشرائط فمضيت اليه وشرعت في صلوة الركعتين وفرّغت

قلبي من وساوس الشيطان فعنّ على خاطري ان مسجد الكوفة ليس فيه منارة ولو اراد احد ان يبني فيه منارة فمن اين يأتي بالصخرة والجص؟

فقلت لعله يستقيم من الموضع الفلاني فاذا بناها البنّاء يتمها في كم يوم وكيف يصنع رأسها فلما فرغت من صلوة الركعتين قارن فراغي من بناء المنارة فظهر لي انما اتيت الى مسجد الكوفة لبناء المنارة لا لصلوة ركعتين.

الموضع الثاني في الاستشهاد على ما ينبغي من احضار القلب في حال العبادة سيّما الصلوة التي هي عمود الدين ورأس الاعمال قال الله تعالى الذين هم في صلوتهم خاشعون وقال تعالى فويل للمصلين الذين هم على صلوتهم ساهون ذمهم على الغفلة عنها مع كونهم مصلّين لا لانهم سهوا عنها وتركوها وقال تعالى والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أي يفعلونه في حال قلوبهم والاتصاف بالوجل حال العمل مستلزم لحضور القلب على اتم وجه وقال النبي ﷺ الصلوة ميزان من وفى استوفى.

وقال ﷺ اعبد الله كأنه تراه فان لم تراه فانه يراك وقال ﷺ اما يخاف الذي يحوّل وجهه في الصلوة ان يحوّل الله وجهه وجه حمار وقال ﷺ من صلّى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من امر الدنيا غفر الله له ذنوبه وعنه ﷺ من حبس نفسه في صلوة فريضة فأتمّ ركوعها وسجودها وخشوعها ثم مجّد الله عز وجل وعظّمه وحمده حتى يدخل وقت صلوة اخرى لم يبغ بينهما كتب الله له كأجر الحاج المعتمر وكان من اهل عليين وعنه ﷺ ان من الصلوة لما يقبل نصفها وثلثها وربعها وخمسها الى العشر، وان منها لما يلفّ كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجه صاحبها وانما لك من صلوتك ما اقبلت عليه بقلبك.

وعن ابي حمزة الثمالي قال رأيت علي بن الحسين عليه السلام يصلّي فسقط ردائه عن منكبيه فلم يسوّه حتى فرغ من صلوته قال فسألته من ذلك، فقال ويحك أتدري بين يدي من كنت ان العبد لا يقبل صلوة الا ما اقبل فيها فقلت جعلت فداك هلكنا فقال كلا ان الله يتم ذلك بالنوافل وعن ابي جعفر عليه السلام قال ان اول ما يحاسب به العبد عن الصلوة فاذا قبلت قبل ما سواها ان الصلوة اذا ارتفعت في وقتها رجعت الى صاحبها وهي بيضاء مشرقة تقول حفظتني حفظك الله واذا ارتفعت في غير وقتها بغير حدودها رجعت الى صاحبها وهي سوداء مظلمة تقول ضيعتني ضيعك الله وعن سفيان قال سألت الصادق عليه السلام عن قول الله عز وجل الا من اتى الله بقلب سليم قال السليم الذي يلقى ربه وليس فيه احد سواه.

الموضع الثالث في الدواء النافع لحضور القلب اعلم ان المؤمن لا بدّ ان يكون معظماً لله وخائفا وراجياً ومستحياً من تقصيره فلا ينفعك عن هذه الاقوال بعد ايمانه وان كانت قوتها

عنده بقدر قوة يقينه فانفكاكه عنها في الصلوة لا سبب له الا تفرق الفكر وتقسم الخاطر وغيبة القلب عن المناجاة والغفلة عن الصلوة ولا يلهى عن الصلوة الا الخواطر الواردة الشاغلة.

فالدواء في احضار القلب هو دفع تلك الخواطر ولا يدفع الشيء الا بدفع سببه وسبب توارد الخاطر اما ان يكون امراً خارجاً او امراً في ذاته باطناً اما الخارج فما يقرع السمع ويظهر للبصر فان ذلك قد يخطف الهمّ حتى يتبعه ويتصرف فيه ثم ينجرّ منه الفكر الى غيره ويتسلسل ويكون الابصار سبباً للافتكار ثم يصير بعض تلك الافكار سبباً للبعض الاخر ومن قويت رتبته وعلت همته لم يلهه ما يجري على حواسه ولكن الضعيف لا بدَ وان يتفرق به فكره فعلاجه قطع هذه الاسباب بان يغضَ بصره ويصلي في بيت مظلم ولا يترك بين يديه ما شغل حسَه ويقرب من حائط عند صلوته حتى لا تتسع مسافة بصره ويحترز من الصلوة على الشوارع وفي المواضع المنقوشة المصنوعة وعلى الفرش المزينة ولذلك كان المتعبدون يتعبدون في بيت صغير مظلم بقدر ما يمكن الصلوة فيه ليكون ذلك اجمع للهم.

وينبغي ان لا يعدل الى غمض العينين ما وجد السبيل الى القيام بوظيفة النظر وهي جعله قائماً الى موضع سجوده وغيره من الامور المعلومة شرعاً فان تعذَر القيام بها مع فتحهما فالغمض اولى لان الفائت من وظيفة الصلوة وصفتها بتقسم الخاطر اعظم منه مع الاخلال بوظيفة النظر.

وليخطر بباله عند نظره الى موضع سجوده انه واقف بين يدي ملك عظيم يراه ويطَلع على سريرته وباطن قلبه وان كان هو لا يراه فان التوجه اليه لا يكون الا بوجه القلب ووجه الرأس مثال ومضاف بالتبع وانه يخاف ان ولاه ظهر قلبه ان يطرده عن باب كرمه ويسلبه عن مقام خدمته ويبعده عن جناب قدسه ومقدَس حضرته وكيف يليق بالعبد ان يقف بين يدي سيده ويوليَ ظهره ويجعل فكره في غير ما يطلبه منه ولا ريب في ان هذا العبد مستحق للخذلان مستوجب للحرمان في الشاهد الخسيس والقياس البعيد فكيف في المقصد الاصلي والملك الحقيقي وقد ورد في الحديث ان الله لا ينظر الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم فبهذا ونظائره تجتمع الهمة ويصفو القلب وينحصر بالنظر الى الامور الخارجية.

واما الاسباب الباطنة فانه اشدَ فان من تشعبت به الامور في اودية الدنيا لم يحضر فكره في فنَ واحد بل لا يزال يطير من جانب الى جانب وغضَ البصر لا يعنيه فان ما وقع في القلب كاف في المشغل فهذا طريقه ان يرد النفس قهراً الى فهم ما يقرأه في الصلوة ويشغلها به عن غيره ويعنيه على ذلك ان يستعدَ قبل التحريم بأن يجدد على نفسه ذكر الاخرة وموقف المناجاة وخطر

المقام بين يدي الله تعالى وهول المطلع ويفرغ قلبه قبل التحريم بالصلوة عمّا يهمه فلا يترك لنفسه شغلاً يلتفت اليه خاطره فهذا طريق تسكين الافكار.

فان كان لا يسكن هائج افكاره بهذا الدواء المسكن فلا ينجيه الا المسهل الذي يقمع مادة الداء من اعماق العروق وهو ان ينظر في الامور الشاغلة الصارفة له عن احضار القلب ولا شك انها تعود الى مهماته وانها انما صارت مهمات بشهواته فيعاقب نفسه بالنزوع عن تلك الشهوات وقطع العلائق وكل ما يشغله عن صلوته فهو ضدّ دينه وجند ابليس عدوه فامساكه اضرّ عليه من اخراجه فيتخلص عنه باخراجه وقد روى ان بعضهم صلّى في حائط له فيه شجر فأعجبه ريش طائر في الشجر يلتمس مخرجاً فأتبعه نظره ساعة لم يذكر كم صلى فجعل حائطه صدقة ندماً ورجاء للعوض عما فاته وهكذا كانوا يفعلون قطعاً لمادة الفكر وكفارة لما جرى من نقصان الصلوة فهذا هو الدواء القامع لمادة العلة لا يغني غيره فان ما ذكرناه من التلطف بالتسكين والرد الى فهم الذكر ينفع في الشهوات الضعيفة والهمم التي لا تشغل الا حواشي القلب.

فأما الشهوة القلبية المرهقة فلا ينفع فيها التسكين بل لا تزال تجاذبها وتجاذبك ثم تغلبك وتنقضي جميع صلواتك في شغل المجاذبة ومثاله رجل تحت شجرة اراد ان يصفو له فكره فكانت اصوات العصافير تشوش عليه فلم يزل يطيرها بخشبة هي في يده ويعود الى فكره فتعود الى التنفير بالخشبة فقيل له ان اردت الخلاص فاقلع الشجرة فكذلك شجرة الشهوة اذا تفرقت اغصانها انجذبت اليها الافكار انجذاب العصافير الى الاشجار وانجذاب الذباب الى الاقذار والشغل يطول في دفعهما فان الذباب كلما ذبّ آب ولاجله سمي ذباباً فكذا الخواطر فهذه الشهوات كثيرة وقلما يخلو العبد عنها ويجمعها اصل واحد وهو حبّ الدنيا وذلك رأس كل خطيئة ومنبع كل فساد ومن انطوى باطنه على حب الدنيا حتى مال الى شيء لا ليتزود منها ويستعين بها على الاخرة فلا يطعن في ان يصفو له لذة المناجاة في الصلوة فان من فرح بالدنيا فلا يفرح بالله وبمناجاته واما من كانت الدنيا معه وليس معها وانما يصرفها حيث امره الله ويستعين بها على طاعة الله فلا بأس عليه.

فقد قال ﷺ نعم العون على تقوى الله الغنا، الا ان موضع تلبيس ابليس ومحل الغرور فهذا هو الدواء ولمرارته استشبعته اكثر الطباع وبقيت العلّة مزمنة وصار الداء عضالاً حتى ان الابكار اجتهدوا ان يصلّوا ركعتين لا يحدثوا انفسهم فيها بأمور الدنيا فعجزوا عن ذلك فاذن لا مطمع فيه لامثالنا وليت سلم من الصلوة شطرها او ثلثها عن الوسواس فنكون ممن خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً هذا محصل ما حرره شيخنا الشهيد الثاني (ره).

ولنشرع الان في اسرار الطهارة فنقول اذا توضأ الانسان للصلوة ينبغي ان يستحضر في قلبه ان الله سبحانه امره بغسل هذه الاطراف الظاهرة وتنظيفها لاطلاع الناس عليها ولمباشرتها لامور الدنيوية فلأن يطهر قلبه الذي هو محل اطلاع الخالق بالطريق الاولى قال عليه السلام ان الله لا ينظر الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم ولانه الرئيس الاعظم لهذه الجوارح، والمستخدم لها في الامور المقربة الى جانب القدس فيكون في الامر بغسل الظاهر برهانا على الامر بغسل الباطن فأمر في الوضوء بغسل الوجه لان التوجه في الاقبال بوجه القلب على الله تعالى به وفيه اكثر الحواس الظاهرة التي هي اعظم الاسباب فأمر بغسله ليتوجه به وهو خال من تلك الادناس ويترقى بذلك الى تطهير ما هو الركن الاعظم في القياس ثم امر بغسل اليدين لمباشرتها اكثر احوال الدنيا الدنية ثم بمسح الرأس لان فيه القوة المفكرة التي يحصل بواسطتها القصد الى تناول المرادات ثم بمسح الرجلين لان بهما يتوصل الى مطالبه ويتوسل الى تحصيل مآربه.

وامر في الغسل بغسل جميع البشرة لان ادنى حالات الانسان واشدها تعلقاً بالشهوات حالة الجماع وموجبات الغسل ولجميع بدنه مدخل في تلك الحالة ولهذا قال صلى الله عليه وآله ان تحت كل شعرة جنابة فكان جميع بدنه بعيداً عن المرتبة العليّة منغمساً في اللذات الدنية كان غسله اجمع من اهم المطالب الشرعية ليتأهل لمقابلة الجهة الشريفة والدخول في العبادة المنيفة ولما كان للقلب من ذلك الحظَ الاوفر والنصبي الاكمل كان الاشتغال بتطهيره من الرذائل والتوجهات المانعة من ذلك الفضائل اولى من تطهير تلك الاعضاء الظاهرة عند اللبيب العاقل قال مولينا امير المؤمنين عليه السلام لا تجوز صلوة امرء حتى يطهر خمس جوارحه الوجه واليدين والرأس والرجلين بالماء القلب بالتوبة وكان الحسين عليه السلام اذا توضأ تغيّر لونه وارتعد مفاصله فقيل له في ذلك فقال حق لمن وقف بين يدي الملك الجبار ان يصفّر لونه وترتعد مفاصله.

وامر في التيمم بمسح الاعضاء بالتراب عند تعذر غسلها بالماء الطهور وضعاً لتلك الاعضاء الرئيسة وهضماً لها بتقليها بأثر التربة الخسيسة وهكذا يخطر ان القلب اذا لم يمكن تطهيره من الاخلاق الرذيلة وتحليته بالاوصاف الجميلة فليقمه في مقام الهضم والازراء ويسقه بسياط الذل والاغضا عسى يرحمه مولاه وفي الروايات ان جماعة من اليهود سألوا النبي صلى الله عليه وآله لاي علة توضى هذه الجوارح الاربع وهي انظف المواضع في الجسد؟ قال النبي صلى الله عليه وآله لما ان وسوس الشيطان الى آدم عليه السلام دنى من الشجرة فنظر اليها فذهب ماء وجهه ثم قام ومشى اليها وهي اول قدم مشت الى الخطيئة ثم تناول بيده منها ما عليها فأكل فطار الحلي والحلل عن جسده فوضع آدم يده على ام رأسه وبكى فلما تاب الله عز وجل عليه فرض عليه وعلى ذريته تطهير هذه الجوارح الاربع فأمره الله عز وجل بغسل الوجه لما نظر الى الشجرة وامره بغسل

اليدين الى المرفقين لما تناول بهما وامره بمسح الرأس لما وضع يده على ام رأسه وامره بمسح القدمين لما مشى بهما الى الخطيئة وكما ان غسل الجوارح ومسحها كان كفارة ذنب ابينا آدم عليه السلام فكذلك كفارة لنا ايضاً.

والوضوء واجب لغيره على المشهور فلا يجوز ايقاعه قبل دخول وقت الصلوة لتلك الصلوة نعم لو قصد به استباحة الصلوة ولو كانت نافلة كصلوة الليل او قضائها او تحيّة المسجد او نحو ذلك جاز بذلك الوضوء في صلوة الفريضة ولو قارب وقت الصلوة واراد ان يتهيأ لها بتقديم الوضوء ونحوه فالظاهر الجواز وذهب بعض مشايخنا الى ان الوضوء واجب لنفسه لقوله عليه السلام في غير حديث اذا احدثت فتوضأ فهو يوقعه بنية رفع الحدث ويصلي اذا جاء الوقت بذلك الوضوء وهو قريب الا في القول بوجوبه لنفسه نعم هو واجب لغيره مستحب في نفسه وكذلك الغسل ايضاً فيجوز تقديم غسل الجنابة على وقت الصلوة.

ومنهم من قال انه واجب لنفسه ومنهم من قال انه واجب لغيره وثمرة الخلاف بينهم انما تظهر في نية الوجوب وعدمه والذي اسقط الوجه وهو الوجه واكتفى بنية القربة في كل العبادات كان خارجاً من هذا الخلاف ومع هذا فالاولى له اذا اراد غسلاً واجباً قبل وقت الصلوة ان يقصد صلوة قضاء في ذمته او قضاء صلوة نافلة او نحوها حتى يوقع الغسل بقصد تلك الصلوة وليأت منها ولو بركعتين لا ان يجعل القصد مجرد احتيال لايقاع الغسل وان شاء نذر صلوة ركعتين فيقولع الغسل بقصدهما كأن يقول لله عليَ ان وفَقت للصلوة على محمد وآله لاصلي ركعتين ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وآله حذراً من الخلاف في وقوع النذر المطلق.

واما كيفيته فهو امران الاول الترتيب وهو الاصل في غسل الجنابة والارتماس انما شرع للتخفيف وكيفيته الكاملة ان يبول ان قدر عليه، وان يغسل يديه ثلثا الى المرفقين قبل ان يدخلهما الاناء وان يتمضمض ويستنشق ثلاثاً ويغسل فرجه من خبث الجنابة وينوي اغتسل لاستباحة الصلوة قربة الى الله، ثم يصب على رأسه ثلاث اكف ثم على جانبه الايمن كفين والايسر كفين وتقديم جانب الايمن على الايسر مشهور وقد استدلوا عليه بقوله عليه السلام في غير حديث، ثم يغسل جانبه الايمن والايسر.

واعترض على هذا الاستدلال بأن الواو لا تفيد الترتيب والاولى هو الاستدل عليه بما ورد في الاخبار من تشبيه غسل الجنابة بغسل الميت وكذا العكس والترتيب هناك وارد في الاخبار الصحيحة مجمع عليه فيكون الترتيب داخلاً هنا ايضاً بل قد تحققت سابقاً ان غسل الاموات هو غسل الجنابة ايضاً وذلك ان النطفة التي خلق منها تخرج منه عند الموت فهو ايضاً غسل جنابة فلو كان واقفاً في الماء الى وسطه واراد غسل الترتيب امكن ايضاً، ولكن الاولى له

ان يخرج بقية بدنه الذي يكون تحت الماء او يمرّ يديه عليها وهو في الماء ايضاً ولا يكلف الخروج عن الماء كما ذهب اليه بعض المعاصرين فانه زيادة تكليف منفي بالاصل والحديث.

الثاني غسل الارتماس وهو جائز ايضاً ولو كان ناقعاً في الماء الى وسطه ولا يحتاج الى الخروج خارج الماء ثم يعود اليه كما قاله ذلك الفاضل لما عرفت.

واما التيمم فقد شرع لرفع الحرج ويجزي فيه ضربة واحدة وان كان بدلاً عن الغسل والعمل بالتفصيل جايز ايضاً وعلوق شيء من التراب بكفيه ليمسح به وجهه هو الاولى بل القول بوجوبه غير بعيد واعلم ان الوضوء كما يشرع للصلوة فكذا شرع لغيره ايضاً قال هشام بن سالم لابي عبد الله عليه السلام اني اخرج واحب ان اكون معقباً فقال ان كنت على وضوء فانت معقَب ومنها السعي في الحاجة فان الصادق عليه السلام ضمن قضاء تلك الحاجة ومنها الوضوء للنوم فان من بات على وضوء كان كمن بات في المسجد يصلي.

نور فيما يختص بالصلوة

قد عرفت انها افضل الاعمال وان مدار قبول الاعمال على قبولها ومناط ردّ الاعمال على ردها فمن قبلت صلوته قبلت سائر اعماله وان كانت مردودة ومن ردَت عليه صلوته ردَت عليه سائر اعماله وان كانت مقبولة هكذا جاء في الخبر عن الطاهرين عليهم السلام.

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله ان كل محلّة يكون فيها تارك صلوة تنزل عليها كل يوم سبعين لعنة وقال صلى الله عليه وآله بني الاسلام على اربع الصوم والصلوة والزكوة قال بعض المحققين هذه الاحكام هي المصفية لاصول العناصر في الانسان المشتمل على البواطن والظاهر انزل الصوم من العنصر الناري لمناسبة بين الصوم والنار ولمعنى مشترك بينهما في رفع الاغيار وتنوير مكان الابصار والصلوة من العنصر المائي لمناسبة بينهما في اثبات الاثار والاثمار والحج من العنصر الريحي لمناسبة بينهما في قمّ البيوت واخراج السكينة من التابوت ولمعنى مشترك في كشف الاستار وتبيين المقدار والزكوة من العنصر الترابي المشترك بينهما في الامساك والتحصين ودفع الظن والتخمين ولمعنى رفع رذائل البخل.

فالانسان اذا صام ظاهراً وباطناً صار عنصره الناري ظاهراً وباطناً، فيتبين فيه واحد من حملة العرش وهو جبرئيل عليه السلام النازل الى العرش وصار قلباً له على النفس واذا صلى صلوة ناهية عن الفحشاء والمنكر صار عنصره المائي رقيقاً يطهره المطهر ويتبين فيه واحد من حملة العرش وهو ميكائيل عليه السلام وصار عقلاً له واذا حج البيت فرضاً ووقف المواقف عرضا صار عنصره الريحي طويلاً وعريضاً ويتبين فيه واحد من حملة العرش وهو اسرافيل عليه السلام وصار

روحاً له في الحيوة واذا زكى ماله لقطع الرذائل صار عنصره الترابي صافياً ويتبين فيه واحد من حملة العرش وهو عزرائيل عليه السلام وصار نفساً له في دار السلام فاذا جاء الوقت فينبغي له ان يبادر الى الصلاة لان الله سبحانه ارسل اليه من يطلبه لخدمته ذلك الوقتالخاص، وهم المؤذنون ومن هذا كان الحسين عليه السلام اذا سمع المؤذن تغيّر وجهه واصفر لونه فقيل له في ذلك ؟ فقال ان الله تعالى ارسل اليّ منيطلبني لخدمة خاصة، ولا ادري أيقبلها مني ام لا فكيف لا يتغير لوني وفي المبادرة الى الصلوة اول وقتها فوائد.

الاولى انها على ما روى يصعد بيضاء نقية تقول حفظتني حفظك الله اذا فعلت اول وقتها، الثانية ان صلوة الامام عليه السلام تقع اول الوقت وتصعدها الحفظة وكذلك صلوة الاولياء والصلحاء فاذا اتى بها اول وقتها صعدت مع صلوة الامام عليه السلام في وقت واحد فلعل الله سبحانه ان يمنّ عليه بقبول تلك الصلوة المردودة بسبب صعودها مع الصلوات المقبولات لانها كأنها صارت صفقة واحدة فلا بدّ من قبول الكل بسبب الاتفاق في الصعود ولتحصيل مثل هذه الفائدة شرعت صلوة الجماعة وذلك ان صلوات المؤمنين اذا اجتمعت كلهاوصعدت الى جناب الحق تعالى فاما ان يقبلها كلها والا يقبل شيئاً منها ولكن لا بدّ من القبول لان الجماعة الكثيرة اذا تعاونوا على العبادة كان بينهم من هو مقبول الصلوة غالباً فهذه احدى فوائد الجماعة.

والفائدة الثانية انه قد روى في الاخبار ان صلوة المتزوج تعدل صلوة العزب بسبعين مرة وكذلك صلوة المتطيب تفضل على غيره سبعين مرة ومن قدّم شيئاً من الصدقة قبل صلوته كانت صلوته افضل من غيرها الى غير ذلك من الامور الباعثة لمزيد الثواب وقلّ ان يكون واحد من المصلين مستجمعاً لهذه المقدمات كلها، اما اذا اجتمع جماعة كثيرة على عبادة واحدة كان متطيباً والاخر متزوجاً والثالث متصدقاً الى غير ذلك فتكون صلواتهم كلها كأنها صلوة واحدة مستجمعة لتلك الامور والمقدمات كلها فيكون لكل واحد منهم ثواب الصلوة الكاملة.

والاخرى من فوائد صلوة الجماعة ان المصلي اذا أخذ في الصلوة تقدمت اليه الشياطين ووقفت امامه ليلقوه في الوسواس والغفلة عن الصلوة فيقوم بين المصلي والشيطان الجهاد العظيم ومن هذا سمى محراب الصلوة به لانه مكان الحرب مع الشياطين اما اذا كان المؤمنون مجتمعين متعاضدين متعاونين ظفروا على الشياطين وابعدوهم عن امكنة العبادة ولهذا امر سبحانه بالاستعاذة حال قراءة القرآن واكده في قراءة الصلوة وذلك لان الشيطان كالكلب العقور الجاثي على باب صاحبه يمنع الداخلين من دخول ذلك البيت.

فمن اراد الوصول الى منزل ذلك الرجل والدخول الى بيته فلا بدّ له من ان يلجأ الى صاحب الكلب ويدعوه ويناديه حتى يخرج هو او احد خدّامه ليمنع الكلب فكذا هيهنا فان الشيطان كلب والصلوة باب من اعظم ابواب الله تعالى واكثر حضور الشيطان انما يكون عندها لهذا فلا بد ان يلجأ المصلّي ويناديه تعالى ويقول يا رب استعيذ بك من شر هذا الكلب العقور، وقد بقي تحقيق آخر ذكرناه في شرحنا على الصحيفة.

وفي الرواية عن ابي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال أتاني جبرئيل عليه السلام ومعه سبعون الف ملك بعد صلوة الظهر فقال يا محمد ان الله جل جلاله يقرئك السلام واهدى اليك هديتين لم يهدهما الى نبي قبلك قال يا جبرئيل وما الهديتان؟ قال الصلوات الخمس في الجماعات قلت يا جبرئيل وما لامتي في الجماعة؟ قال يا محمد اذا كانا اثنين كتب الله تعالى لكل واححد منهما بكل ركعة مائة وخمسين صلوة واذا كانوا ثلثة كتب الله تعالى لكل واحد بكل ركعة مائتين وخمسين صلوة واذا كانوا اربعاً كتب الله تعالى لكل واحد بكل ركعة الفا ومائتي صلوة واذا كانوا خمسة كتب الله تعالى لكل واحد بكل ركعة الفا وثلثمائة صلوة واذا كانوا ستة كتب الله لكل واحد بكل ركعة الفين واربعمائة صلوة واذا كانوا سبعة كتب الله تعالى لكل واحد بكل ركعة اربعة آلاف وثمانمائة صلوة واذا كانوا ثمانية كتب الله لكل واحد بكل ركعة تسعمائة الف صلوة وستمائة صلوة واذا كانوا تسعة كتب الله لكل واحد بكل ركعة تسعة عشر الف صلوة واذا زادوا على عشرة فلو صارت بحار السموات والارض كلها مدادا والاشجار اقلاماً والثقلان والملائكة كتاباً لم يقدروا ان يكتبوا ثواب ركعة واحدة يا محمد تكبيرة يدركه المؤمن مع الامام خير له من سبعين حجة والف عمرة سوى الفريضة.

وعن عبد الله بن مسعود انه فاتته تكبيرة الافتتاح يوماً فأعتق رقبة وجاء الى النبي ﷺ وقال يا رسول الله قد فاتتني تكبيرة الافتتاح يوماً فأعتقت رقبة هل كنت مدركاً فضلها؟ فقال لا قال ابن مسعود ثم اعتقت أخرى فقلت هل كنت مدركاً فضلها؟ فقال لا يا بن مسعود لو انفقت ما في الارض جميعاً لم تكن مدركا فضلها، وقال ﷺ صلوة الرجل في جماعة خير من صلوته في بيه اربعين سنة قيل يا رسول الله صلوة يموه قال صلوة واحدة واذا كان العبد خلف الامام كتب الله له مائة الف وعشرين رجة.

وقال رسول الله ﷺ من كان جار بيت الله ولم يحضر الجماعة ثلاث ايام متواليات فعليه لعنة الله والملائكة والاس اجمعين فان تزوّج فلا تزوجوه وان مرض فلا تعودوه الا فلا صلوة له الا فلا صوم له الا فلا زكوة له الال فلا حجَ له الا فلا جهاد له.

وقال رسول الله ﷺ اتاني جبرئيل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل مع كل واحد الف ملك فقال يا محمد الجبار يقرئك السلام ويقول قل لامتك انه من بات مفارقة الجماعة لا يشم رائحة الجنة وان كان عمله اكبر من اهل الارض لا اقبل منه صرفا ولا عدلا يا محمد تارك الجماعة عندي ملعون وعند الملائكة ملعون وقد لعنته في التورية والانجيل والزبور والفرقان وتارك الجماعة يصبح ويمسي في لعنة الله تعالى يا محمد تارك الجماعة لا استجيب له دعوة ولا انزل عليه رحمة وهم يهود امتك ان ماتوا فلا تشهد جنائزهم ولا يمشي على وجه الارض ابغض عليَ من تارك الجماعة يا محمد تارك الجماعة قد امرت كل ذي نفس وروح ان يلعنوه وتاركها اشر من شارب الخمر والمحتكر ومن سفّاك الدماء وآكل الربوا وتارك الجماعة ليس في الجنة نصيب وشر من النباش والمخنث والقتات[1] وشاهد الزور وادخله النار.

واما فضيلة من امَ الجماعة وثوابه فقد روى الصدوق في الفقيه في نواهي النبي ﷺ عن جعفر بن محمد عن آبائه عن علي عليه السلام فقال من امَ قوماً باذنهم وهم به راضون فاقتصد بهم في حضوره واحسن صلوته بقيامه وقرائته وركوعه وسجوده وقعوده فله مثل اجر القوم ولا ينقص من اجورهم شيء.

الثالثة من فوائد تقديم الصلوة اوّل وقتها ما روى ان الصلوة اول الوقت رضوان الله وآخر الوقت عفو الله واين الرضوان من العفو فان العفو انما يكون عن ذنب ومن هنا ذهب شيخ الطائفة قدس الله روحه الى انه لا يجوز تأخير الصلوة عن وقت فضيلتها الا لذوي الاعذار وينبغي ان تتأهب عند حضور وقت الصلوة كما تتأهب عند القدوم على ملك من ملوك الدنيا وتلقاه بالوقار والسكينة والخوف والرجاء فان الرحمة عميمة والطرد عند التقصير متوجه وكم بين ذلك قواماً ولا بدَ ان تمثل في نفسك لو ان ملكا من ملوك الارض وعدك بان يكتبك في وقت معين من خواصه وان يخاطبك في ذلك الوقت وتخاطبه على طريق الانبساط والانس في مخاطباتك وتطلب اليه ما تحتاج اليه من مهماتك ويجعلك عنده من مقربي العباد ويخلع عليك خلعة سنيَة بين الاشهاد اما كنت تنتظر ذلك الوقت قبل ابانه (ايابه خ) وتهتم له قبل اوانه وتفرح بقربه فضلاً عن دخوله افلا تجعل عناية الله جلَ جلاله بك واعدادك لمخاطبتك ومخاطبته لك، وكتبته اياك ديوان المقربين بالصلوة التي هي افضل الاعمال مثل وعد ملك من ملوك الدنيا مع عجزه عن نفعك بدون توفيق الله سبحانه.

ومن هنا كان النبي ﷺ ينتظر وقت الصلوة ويشتّد شوقه ويترقب دخوله ويقول لبلال مؤذنه ارحنا بلال اشار بذلك الى انه في تعب شديد من عدم اشتغاله بهذه التكليفات وقيامه

---

(١) القت نم الحديث تقول فلان يقت لاحاديث أي يتمها وفي الحديث لا يدخل الجنة قتات.

بوظائف الصلوة وان سرّه لا يخلو من ضروب الاباحات الا ان قرّة عينه في الصلوة واستحضر ذلك الوقت عظمة الله تعالى وجلاله ونقصان قدرك وكماله.

وقج روى عن بعض ازواج النبي ﷺ انها قالت كان رسول الله ﷺ يحدثنا ونحدثه فاذا حضرت الصلوة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه شغلاً بالله عن كل شيء وكان علي عليه السلام اذا حضر وقت الصلوة يتململ ويتزلزل فيقال له ما لك يا امير المؤمنين؟ فيقول جاء وقت امانة عرضها الله على السموات والارض فأبين ان يحملنها واشفقن منها وكان علي بن الحسين عليهما السلام اذا حضر للوضوء اصفَر لونه فيقال له ما هذا الذي يعتادك وقت الوضوء فيقول ما تدرون بين يدي من اقوم.

واذا سمعت المؤذن فاخطر في قلبك هول يوم القيامة وتشمر بباطنك وظاهرك للمسارعة والاجابة فان المسارعين الى هذا النداء هم الذين ينادون باللفط يوم العرض الاكبر فاعرض على قلبك هذا النداء فان وجدته مملوّا بالفرح والاستبشار ومستعداً بالرغبة الى الابتدار فاعلم انه يأتيك النداء بالبشرى.

واما وظيفة التوجه الى بيت الله تعالى فان تخطر ببالك انك امرت بصرف وجهك عن كل الجهات الا عن جهة بيته فكذا يجب صرف القلب عن كل ما سواه وقصره عليه بل الحقيقة كما قيل ان المطلوب هو صرف وجه القلب وانما الظواهر محركات للبواطن ووسائل اليها ومعارج يترقى اليها وانما امر بضبط الجوارح وتسكينها على جهة واحدة لئلا تبغي على القلب فانها اذا بغت وعلت في حركاتها والتفاتها الى جهاتها استتبغت (استعتبت خ) القلب وأخذته معها وانقلبت به عن وجه الله تعالى وحينئذ فليكن وجه قلبك موافقا لوجه بدنك ومن هنا جاء قول النبي ﷺ اما يخاف الذي يحوّل وجهه في الصلوة ان يحوّل الله وجهه وجه حمار، فان ذلك هى عن الالتفات عن الله وملاحظة عظمته في حال الصلوة فان الملتفت يميناً ومشالا ملتفت عن الله وغافل عن مطالعة انوار كبريائه ومن كان كذلك فيوشك ان تدوم تلك الغفلة عليه فيتحول وجه قلبه كوجه قلب الحمار في قلّة ادراكه للامور العلوية وعدم اكرامه بشيء من العلوم والمعارف.

وبالجملة فكمالا يتوجه الوجه الى جهت البيت الا بالصرف عن غيرها فكذا لا ينصرف القلب الى الله تعالى الا بالتفرغ عمّا سواه قال النبي ﷺ اذا قام العبد الى صلوته فكان هواه وقلبه الى الله انصرف كيوم ولدته امه، وقال الصادق عليه السلام اذا استقبلت القبلة فايس من الدنيا وما فيها والخلق وما هم فيه، واستفرغ قلبك عن كل شاغل يشغلك عن الله وعاين بسرك

عظمة الله تعالى واذكر وقوفك بين يديه يوم تبول كل نفس ما اسلفت وردوا الى الله موليهم الحق.

واما وظيفة القيام فان تذكر انك قائم بين يديه تعالى وهو مطلع على سريرتك وهو اقرب اليك من حبل الوريد فاعبده حتى كأنك تراه فان لم تراه فانه يراك وانصب قلبك بين يديه كما نصبت شخصك وطأطأ برأسك الذي هو اشرف اعضائك مطرقاً مستكيناً وقم بين يديه قيامك بين يدي ملوك الزمان ان كنت تعجز عن كنه معرفة جلاله فانك تجد وجدانا ضروريا انك تتقهّر عن مكالمة الملك ومحاورته وتلزم معه السكون والخضوع وربما يتبع ذلك رعدة البدن وتلعثم اللسان، ومنشأ ذلك كله الخوف الحادث عن تصور عظمته فكيف تتصور جبّار الجبابرة وملك ملوك الدنيا والاخرة وكذلك يحصل الرجا عند تصور عظمته واستشعار ان الكل منه فان ذلك باعث على رجائه وكذلك يستلزم الحياء منه لان المتصور عظمة الامر لا يزال مستشعراً تقصيراً ومتوهما ذنبا، وقدّر في دوام قيامك في صلوتك انك ملحوظ ومرقوب بعين كالئة من رجل صالح من اهلك وممن ترغب ان يعرفك بالصلاح فانه تسكن عند ذلك اطرافك وتخشع جوارحك فقل لنفسك كيف تستحين من عبد مثلك مقدّر الوجود والاطلاع عليك ولا تستحين من هذا الملك القهّار الذي انت بين يديه.

وروى انه سأل ﷺ كيف الحياء من الله؟ قال كما تستحي من رجل من قومك وكما يجب حراسة العين والوجه عن الالتفات فكذا يجب حفظ القلب وحراسته عن الشواغل عن الاقبال ومهما خشع الباطن خشع الظاهر، قال ﷺ وقد رأى مصلياً يعبث بلحيته اما هذا لو خشع قلبه لخشعت جوارحه فان الرعين بحكم الراعي ولهذا ورد في الدعاء اللهم اصلح الراعي والرعية يعني القلب والجوارح، ومن هذا التحقيق يظهر لك السرّ فيما ورد من النهي عن التمطي والتثأب والعبث في الصلوة فان النهي عنها معناه الامر بضدها وهو الاقبال عليه تعالى واستشعار عظمته والوقوف بين يديه فانه اذا فعل هذا زال عنه التمطي والتثأب وغيرها من المنهيات.

واما الاذان والاقامة ففيهما من الفضل ما لا يحصى وفي الرواية من صلّى بأذان وإقامة صلَى خلفه صفَان فيما بين المشرق والمغرب وان صلَى بالاقامة وحدها صلّى خلفه صفّ واحد وهما في صلوة الصبح والمغرب واجبان وفي غيرهما مستحبان.

وروى انه سأل النبي ﷺ ما الحكمة في انه جعل للصلوة الاذان ولم يجعل لسائر العبادات اذا ولا دعاء، قال لان الصلوة شبيه بأحوال يوم القيامة لان الاذان شبيه بالنفخة الاولى بموت الخلائق والاقامة شبيه بالنفخة الثانية كما قال الله تعالى فاستمع يوم ينادي المنادي

من مكان قريب والقيام الى الصلوة شبيه بقيام الخلائق كما قال الله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين، ورفع الايدي الى التكبيرة الاولى شبيه برفع اليد لاخذ الكتاب يوم القيامة، والقرائة في الصلوة شبيهة بقرائة الكتب بين يدي رب العالمين كما قال الله تعالى إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً، والركوع شبيه بركوع الخلائق لرب العالمين كما قال الله تعالى وعنت الوجوه للحي القيوم والسجود شبيه بالسجود لرب العالمين كما قال عز ذكره يوم يكشف عن شاق ويجعون الى السجود والتشهد شبيه بالجثو بين يدي رب العالمين كما قال عز ذكره فريق في الجنة وفريق في السعير، وتفسير الله اكبر انه اكبر من كل شيء او من ان يدرك بالحواس وفي الروايات معناه اكبر من ان يوصف فليكن قلبك موافقاً للسانك ولا تجعل احداً شريكاً له في العبادة بان يكون ملحوظك في الصلوة معه كما في حالات الرياء.

قال الصادق عليه السلام اذا كبرت فاستصغر ما بين العلا والثرى دون كبريائه فان الله تعالى اذا اطلع على قلب العبد وهو يكبر وفي قلبه عارض عن حقيقة تكبيره قال يا كاذب أتخدعني؟ وعزتي وجلالي لاحرمنك حلاوة ذكري، ولاحجبنك عن قربي والمسارّة بمناجاتي فاعتبر قلبك حين صلوتك فان كنت تجد حلاوتها وفي نفسك سرورها وبهجتها وقلبك مسرورا بمناجاته ملتذا بمخاطباته فاعلم انه قد صدّقك في تكبيرك والا فاعرف منه سلب لذة المناجاة وحرمان حلاوة العبادة فهذا دليل على تكذيب الله تعالى لك وطردك عن بابه نعوذ بالله من ذلك.

واما دعاء التوجه فاول كلماته وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا قال شيخنا الشهيد الثاني طاب ثراه ليس المراد بالوجه الوجه الظاهر فانك انما وجهته الى جهة القبلة والله سبحانه تقدس عن ان تحدّه الجهات حتى تقبل بدنك عليه انما وجه القلب هو الذي يتوجه الى الله فاطر السموات والارض فانظر الى وجه قلبك أمتوجه هو الى امانيّه وهممه في البيت والسوق وغيرهما متّبع للشهوات ام مقبل على فاطر السموات واياك ان تكون مفاتحتك للمناجاة بالكذب والاختلاف فيصرف وجه رحمتك عنك ولن ينصرف الوجه الى الله الا بالانصراف عمّن سواه فان القلب بمنزلة مرآة وجهها صقيل وظهرها كمد لا يقبل انطباع الصور فاذا توجهت الى شيء انطبع فيها واستدبرت غيره لا يمكن انطباعه ولهذا كانت الدنيا والاخرة ضرتين كلما قربت من احديهما بعدت عن الاخرى فاجتهد في الحال في صرفه اليهوان عجزت عنه على الدوام ليكن قولك في الحال صادقاً عسى ان يسامحك في الغفلة بعد ذلك.

واذا قلت حنيفاً مسلماً فينبغي ان تحضر في بالك ان المسلم هو الذي سلم المسلمون من يده ولسانه، فان لم تكن كذلك كنت كاذباً فاجتهد ان تعزم عليه في الاستقبال وتندم على ما سبق من الاحوال.

واذا قلت وما انا من المشركين فاحظر ببالك الشرك الخفي وان قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صلحاً ولا يشرك بعبادة ربه احداً جعل من يقصد بعبادة ربه وجه الله وحمد الناس مشركا فاستشعر العجلة في قلبك ان وصفت نفسك في انك لست من المشركين من غير برائة من هذا الشرك فان اسم الشرك يقع على القليل وعلى الكثير منه.

واما قوله محياي ومماتي فقد قال بعض المحققين المراد بالمحيا الامور الصادرة من الانسان في حيوته والمراد بالممات الامور المتعلقة على موته كالوصايا ونحوها ولكن التحقيق ان قوله محياي ومماتي مصدران ومعناه ان حياتي وموتي منسوبان ليك لا اختيار لي في شيء منهما او المعنى ان حيوتي وموتي لك لا احب منهما الا ما احببته لي منهما كما روى ان سلمان قال الموت احب الي من الحيوة فقال علي عليه السلام لكني انا احب ما احبه الله لي الموت والحيوة والخيف المائل من الاعوجاج الى الاستقامة والمسلم المنقاد لاوامر الله تعالى ونواهيه فهذه درجة الاسلام فوق الايمان الكامل وبه وصف الخليل عليه السلام نفسه حيث قال حنيفا مسلماً وهو المراد في دعاء الميت في قوله عليه السلام اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات وليس لمراد به معناه العام لدخول فرق الاسلام كلها مع انهم ليسوا من اهل هذا الدعاء وايضاً فان وقوعه بعد المؤمنين والمؤمنات شاهد على ارادة ذلك المعنى الخاص كما لا يخفى.

واما النية ووظيفتها فاعلم ان النية ليست عبارة عن الالفاظ ولا عن معانيها الدالة عليها وانما هي عبارة عن الداعي والحامل على ذلك الفعل والدواعي في العبادات خصوصاً الصلوة وان كانت متكثرة الا انها ربما حصرت في ثمانية اولها الرياء ثانيها قصد الثواب والخلاص من العقاب.

ثالثها فعلها شكر الله تعالى على نعمه واستجلابا للمزيد، رابعها فعلها حياءً منه تعالى، خامسها فعلها حبا له تعالى، سادسها فعلها تعظيما لله ومهابة وانقياداً واجابة سابعها فعلها موافقة لارادته وطاعة لامره، ثامنها فعلها لكونه تعالى اهلالها كما قال سيد الموحدين امير المؤمنين عليه السلام ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنتك ولكن وجدتك اهلاً للعبادة فعبدتك.

ولا خلاف في بطلان الصلوة بالقصد الاول كما لا خلاف في صحتها بالقصد الاخير نعم ذهب سيدنا المرتضى قدس الله روحه الى ان الصلوة مجزية غير مقبولة يعني انها لا تحتاج الى القضاء ولكن لا يترتب عليهاثواب والمشهور هو بطلانها واحتياجها الى القضاء واما قصد الغايات الاخر فالمشهور بين اصحابنا على ما حكاه عنهم شيخنا الشهيد طاب ثراه هو بطلان الصلوة بقصد غاية من تلك الغايات خصوصاً قصد الغاية الثانية فانهم قالوا ان قاصدها انما قصد جلب النفع الى نفسه ودفع الضرر عنها وسموه قاصد الرشوة والبرطيل وبالغ في بطلان

العبادة عند قصدها التقي ابن طاووس والذي يفهم من الاخبار واليه ذهب جماعة من المتأخرين هو صحة الصلوة عند قصد هذه الغايات كلها سوى الريا وذلك ان الكتاب والسنة قد اشتملا على المرهبات من الحدود والتعزيرات والذم والايعاد بالعقوبات وعلى الرغبات من المدح والثناء في العاجل والجنة ونعيمها في الاجل وقد فصل نعيم الجنة الى الشراب وحور العين والولدان والثمار الى غير ذلك لعلمه سبحانه باختلاف طبايع العباد ورغباتهم فرغَب في طاعته كل جماعة بنوع من الانواع.

واما الحياء فغرض مقصود وقد جاء في الخبر عن النبي ﷺ استحيوا من الله سبحانه حق الحياء اعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك فانه اذا تخيَل الرؤية انبعث على الحياء والتعظيم والمهابة وعن امير المؤمنين عليه السلام وقد قال له ذعلب اليماني بالذال المعجمة المكسورة والعين المعملة الساكنة واللام المكسورة هل رأيت ربك يا امير المؤمنين ؟ فقال عليه السلام لا اعبد من لا ارى فقال وكيف تراه؟ قال لا تدركه العيون بمشاهدة العيان ولكن تدركه القلوب بحقائق الايمان.

فلو لم تكن هذه الموهبات والرغبات دواعي صحيحة وبواعث صريحة لما ذكرت في مقام طلب الطاعات وايضاً فان ارادة الثواب والخلاص من العقاب لا ينفيان الغاية الاخيرة بل هما في التحقيق راجعان اليها في حقنا مع ان مشائخنا قدس الله ارواحهم رووا في الحسن عن الصادق عليه السلام انه قال العبّاد ثلاثة قوم عبدوا الله عز وجل خوفاً من العقاب فتلك عبادة العبيد، وقوم عبدوا الله تبارك وتعالى طلباً للثواب فتلك عبادة الاجراء، وقوم عبدوا الله تبارك وتعالى حبا له فتلك عبادة الاحرار وهي افضل العبادة فان افعل التفضيل يقتضي المشاركة في اصل الفعل مع ان قول امير المؤمنين عليه السلام ما عبدتك خوفاً من نارك الحديث مما قد تمدّح به عليه السلام وامتاز به عن الناس فكيف وانّى لغيره هذه الدرجة الرفيعة والحالة المنيعة.

والقول باللسان لا يغني من جوع وانما الاصل ان يكون ذلك القصد من الاحوال الذاتية للانسان حال الاقبال على العبادة وايضاً فقد روى في الحديث المشهور عنه ﷺ من بلغه شيء من الثواب على عمل فعمل ذلك العمل التماس ذلك الثواب اوتيه وان لم يكن الحديث كما بلغه فانه يعطي بظاهره ان ذلك العمل المثاب عليه انما يقصد الثواب وبالجملة فكل ما جعله الشارع غاية للفعل كان قصده غير مناف للاخلاص والقربة وحينئذ فما ورد من ان بعض الصلوات لجلب الارزاق وبعضها لقضاء الدين وبعضها للاولاد الى غير ذلك من الغايات الدنيوية يجوز فعلها بقصد هذه الغايات.

واما ما ذكره بعض فقهائنا رضوان الله عليهم من وجوب مقارنة النية للتكبيرة فهو بمعزل عن التحقيق وذلك لما عرفت من ان النية ليست عبارة عن قوله اصلي صلوة الظهر لوجوبه قربة الى الله ولا عن معنى هذه الالفاظ الذي يتصوره بقلبه فان هذا القصد مما يجامع صلوة الريا ايضاً بان يكون الحامل على فعل الصلوة هو الرياء ويكون قد قصد معاني هذه الالفاظ وقارن بها التكبير والنية بذلك المعنى الذي قلناه لازم لفعل الفاعل اذا لم يكن غافلاً ولا ساهياً ومن ثم قال المحقق ابن طاووس (ره) لو كلفنا بعبادة خالية عن النية لكان من باب التكليف بما لا يطاق فأين هذا المعنى من المقارنة وعدمها، ولهذا لم يرد من الشارع مثل هذه الخصوصيات.

نعم الذي ورد انما هو الحث على امر النية وايقاعها على وجه الاخلاص وان مدار الاعمال انما هو عليها كما قال ﷺ انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى حتى ذكر اهل الدراية ان هذا الحديث من المتوترات لفظاً وكذا قوله ﷺ من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار ونفى تواتر غيرهما ومثل قوله ﷺ نيّة المؤمن خير من عمله ونيّة الكافر شرّ من عمله، ومثل قوله نيَاتكم خطاياكم ونحو ذلك.

فان قلت ما تقول في السؤالين الواردين على ظاهر قوله ﷺ نيّة المؤمن خير من عمله ونية الكافر شر من عمله احدهما انه روى ان افضل العبادة احمزها ولا ريب ان العمل احمز من النية فيكون مفضولا وروى ايضاً ان المؤمن اذا همّ بحسنة كتبت له عشراً وهذا صريح في ان العمل افضل من النية وخير، السؤال الثاني انه روى ان النية المجردة لا عقاب فيها فيكف يكون شراً من العمل.

قلت قد اجيب عنهما بأجوبة كثيرة الاول ما حكاه سيدنا المرتضى طاب ثراه من ان نية المؤمن بغير عمل خير من عمله بغير نية وجاب (ره) عنه بأن افعل التفضيل يقتضي المشاركة والعمل بغير نية لا خير فيه فكيف يكون داخلا في باب التفضيل ولهذا لا يقال العسل احلى من الخل.

الثاني انه عام مخصوص او مطلق مقيد أي نية بعض الاعمال الكبائر كالجهاد خير من بعض الاعمال الخفيفة كتحميدة واحدة مثلاً لما في تلك النية من التعرض للهم والغم الذي لا يوازيه تلك الافعال.

الثالث ان النية يمكن فيه الدوام بخلاف العمل فانه يتعطل عنه المكلف احيانا فاذا نسبت هذه النية الدائمة الى العمل المنقطع كانت خيراً منه، وكذا القول في نية الكافر الرابع ان النية لا يكاد يدخلها الريا ولا العجب لانا نتكلم على تقدير النية المعتبرة شرعاً بخلاف العمل فانه معرضة لذنيك ويرد عليه ان العمل وان كان معرضاً لهما الا ان المراد به العمل الخالي عنهما

والا لم يقع التفضيل الخامس ان يراد بالمؤمن المغمور بمعاشرة اهل الخلاف فان غالب افعاله جارية على التقية ومداراة اهل الباطل ولكن نيته مع الله تعالى على العمل الصحيح في الواقع وهذه الاجوبة الثلاثة لشيخنا الشهيد قدس سره.

السادس ان لفظة خير ليست بمعنى افعل التفضيل بل هي الموضوعة لما فيه منفعة ويكون معنى الكلام ان نية المؤمن من جملة الخير من اعماله حتى لا يقدر مقدَر ان النية لا يدخلها الخير والشر كما يدخل ذلك في الاعمال وحكى عن بعض الوزراء (الفضلاء خ) استحسانه لانه لا يرد عليه شيء من الاعتراضات.

السابع ان لفظة افعل التفضيل قد تكون مجردة عن الترجيح كما في قوله تعالى ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى واضل سبيلا، الثامن ان المؤمن ينوي الاشياء من ابواب الخير نحو الصدقة والصوم والحج ولعله يعجز عنها او عن بعضها فيوجز على ذلك لانه معقود النية عليه وهذا الجواب منسوب الى ابن دريد ورواه الكليني في الاصول في باب النية عن ابي بصير عن الصادق عليه السلام التاسع ما اجاب به الغزالي وهو ان النية سرَ لا يطلع عليه الا الله سبحانه والعمل السر افضل من العمل الظاهر، العاشر ان النية تدوم الى آخر العمل لا يتصور فيها الدوام لانها تتصرم شيئاً فشيئاً.

الحادي عشر قول الصادق عليه السلام انما خلّد اهل النار في النار لان نياتهم كانت في الدنيا ان لو بقوا فيها ان يعصوا الله ابداً وانما خلّد اهل الجنة في الجنة لان نياتهم كانت في الدنيا ان لو بقوا فيها ان يطيعوا الله ابداً فبالنيات خلّد هؤلاء وهؤلاء، ثم تلا قوله تعالى قل كل يعمل على شاكلته قال على نيته وهذا جواب واضح الصحة، الثاني عشر ان مراده كونه طبيعة النية خيراً من طبيعة العمل وذلك انه لا يترتب عليها عقاب اصلاً بل ان كانت خيراً اثيب عليها وان كانت شراً كان وجودها كعدمها بخلاف العمل.

الثالث عشر ان النية من اعمال القلب وهو افضل الجوارح فعمله افضل من عملها الا ترى ان قوله تعالى أقم الصلوة لذكري جعل سبحانه اياها وسيلة الى الذكر والمقصود اشرف من الوسيلة.

الرابع عشر ان المراد بالنية تأثر القلب عند العمل وانقياده الى الطاعة واقباله على الاخرة وانصرافه عن الدنيا وذلك يشتدّ بشغل الجوارح في الطاعات وكفها عن المعاصي فان بين الجوارح والقلب علاقة شديدة يتأثر كل منهما بالاخر والمقصود من اعمال الجوارح حصول ثمرة القلب فلا تظن ان في وضع الجبهة على الارض غرضاً من حيث انه جمع بين الجبهة

والارض بل من حيث انه بحكم العادة يؤكد صفة التواضع في القلب فكانت النية روح العمل وثمرته والمقصود الاصلي من التكليف انما هو التكليف به فكانت افضل وهذا قريب مما تقدم.

الخامس عشر ان النية ليست مجرد قولك عند الصلوة والصوم او التدريس اصلي او اصلي او ادرّس قربة الى الله تعالى وانما النية المعتبرة انباث النفس وميلها وتوجهها الى ما فيه غرضها ومطلبها وهذا الانبعاث والميل اذا لم يكن حاصلاً لها لا يمكنها اختراعه واكتسابه بمجرد النطق بتلك الالفاظ وتصور تلك المعاني وما ذلك الا كقول الشبعان اشتهي الطعام وذلك الميل والانبعاث لا يحصلان الا بتخلي النفس عن الاوصاف الذميمة والتوجه الى الجادة المستقيمة فالنية الخالصة خير من العمل واشق منه على ما هو موجود في الوجدان، السادس عشر ان العمل يوجد بالنية لا النية بالعمل، السابع عشر ان النية لا تدفع الى الخصماء كسائر الاعمال.

الثامن عشر ان الحديث ورد في سبب خاص وهو ان رجلاً من الانصار نوى ان يعمل جسرا كان على باب المدينة قد انهدم فسبقه الى عمله يهودي فاغتمّ الانصاري لذلك فقال النبي ﷺ نية المؤمن خير من عمله يعني من عمل الكافر اليهودي، التاسع عشر ما رواه الصدوق في كتاب العلل عن الشحّان قال قلت لابي عبد الله اني سمعتك تقول نية المؤمن خير من عمله فكيف تكون النية خيراً من العمل؟ قال لان العمل ربما كان راء للمخلوقين والنية خالصة لرب العالمين فيعطي عز وجل على النية ما لا يعطي على العمل وهذا يقوي الوجه الرابع ويحققه.

العشرون ما قاله بعض المعاصرين من ان خيراً وشراً منصوبان على المفعولية للنية لانه مصدر والرفع انما وقع تحريفاً فالمعنى ان المؤمن اذا نوى خيراً تكون تلك النية من جملة اعماله وكذا الكافر ويرد عليه ضبطهما بالرفع ودلالة الحدحيث الاول على الرفع كما هو ظاهر والى الان لم تجتمع هذا الاجوبة كلها محررة في كتاب قبل هذا.

فان قلت قد ذكرت في تضاعيف هذه الوجوه ان النية المجردة لا يترتب عليها عقاب وقد روى ايضاً مثله في الاخبار فما تقول في ظاهر قوله تعالى ان تبدوا ما في انفسكم وتخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وفي بعض الاخبار ايضاً ان الله تعالى يحاسب على خطرات القلب ولحظات العيون قلت خواطر القلب قسمان منها ما يخطر بالقلب ويكون متعلقه الجوارح كنية الزنا والسرقة اللواطة ونحوها ومنها ما يكون متعلقه القلب وهو من اعماله كالنفاق ولريا والحسد والعجب ونحو ذلك فهذا مما يعاقب عليه صاحبه لانه من اعمال القلب وهو رئيس الجوارح.

واما القراءة فوظائفها لا تكاد تحصى لانها حكاية كلام الله جل شأنه المشتمل على الحكم العجيبة والاساليب الغريبة وليس المقصود منه مجرد حركة اللسان بل المقصود معانيها ليستفيد منها حكمة ودقائق وحقائق وسراراً وترغيباً ووعداً ووعيداً فاذا قلت اعوذ بالله من الشيطان الرجيم فاعلم انه عدّوك مترصد لصرف قلبك حسداً لك على المناجاة وعلى سجودك له مع انه لعن على سجدة واحدة وان استعاذتك بالله منه انما يكون بترك ما يحبه وتبديله بما يحب الله تعالى لا بمجرد قولك اعوذ بالله من الشيطان الرجيم فان من قصده عدو او سبع ليفترسه فقال اعوذ منك بذلك الحصن وهو ثابت في مكانه ان ذلك لا ينفعه بل لا يفيده الا تبديل المكان فكذلك من يتبع الشهوات التي هي محل الشياطين ومكاره الرحمن فلا يعينه مجرد القول فليقرن قوله بالعزم على التعوذ بحصن الله تعالى عن شر الشيطان وحصنه لا اله الا الله اذ قال تعالى فيما اخبر عنه نبينا لا اله الا الله حصني والمتحصن به من لا يعبد الهاً سوى الله تعالى فاما من اتخذ الهه هواه فهو في ميدان الشيطان لا في حصن الله تعالى.

ومن دقائق مكائده ان يشغلك في الصلوة بفكر الاخرة وتدبر فعل الخيرات ليمنعك عن فهم معاني ما تقرأ فاعلم ان كل ما شغلك عن فهم معاني قرائتك فهو وسواس فان حركة اللسان غير مقصودة بل المقصود معانيها كما مر والناس في القراءة ثلاثة اقسام فمنهم من يتحرك لسانه ولا يتدبر قلبه لها وهذا من الخاسرين الداخلين في توبيخ الله تعالى وهد يده بقوله افلا يتدبرون القرآن ام علوب اقفالها ودعاء نبيه ﷺ بقوله ويل لمن لاكها بين لحيبه ثم لا يتدبرها ومنهم من يحترك لسانه وقلبه يتبع اللسان فيستمع ويفهم منه كأنه يسمعه من غيره وهذه درجة اصحاب اليمين ومنهم من يسبق قلبه الى المعاني اولا ثم يخدم اللسان قلبه فيترجمه وهذه درجة المقربين وفرق جليّ بين ان يكون (اللسان خ) الانسان ترجمان القلب كما في هذه الدرجة وبين ان يكون معلمه كما في الدرجة الثانية، فالمقربون ترجمان يتبع القلب ولا يتبعه القلب.

ومن وظائف القراءة قول الصادق عليه السلام من قرأ القرآن ولم يضصع له ولم يرّق قلبه ولم ينشر حزناً ووجلا في سره فقد استهان بعظم شأن الله وخسر خسرانا مبيناً وتفصيل ترجمة المعاني اختصارا انك اذا قلت بسم الله الرحمن الرحيم فانو به التبرك لابتداء القراءة بكلام الله تعالى وافهم ان معناه الامور كلها بالله وان المراد هيهنا بالاسم هو المسمى فاذا كانت الامور كلها بالله فلا جرم كان الحمد لله فاذا قلت الرحمن الرحيم فاحضرني في قلبك انواع لطفه لتتضح لك رحمته فيبعث به رجاؤك ثم استشعر من قلبك التعظيم والخوف بقولك مالك يوم الدين اما العظمة فلأنه لا مالك (ملك خ) الا له، واما الخوف فلهول يوم الجزاء والحساب

الذي هو مالكه ثم جدد الاخلاص بقولك اياك نعبد واياك نستعين وتحقق انه ما تيسرت طاعتك الا باعانته وان المنّة له اذ وفقك لطاعته وجعلك اهلاً لمناجاته ثم قل إهدنا الصراط المستقيم الذي يشوقنا الى جوارك ويقضي بنا الى مرضاتك وزده شرحاً واستشهدو بالذين افاض عليهم نعمة الهداية من النبيين والصديقين دون الذي غضب عليهم من الكفار واليهود والنصارى.

فاذا تلوت الفاتحة كذلك فتشبه ان تكون ممن قال الله تعالى فيهم قسمت الفاتحة بيني وبين عبدي نصفين نصفها لي ونصفها لعبدي يقول العبد الحمد به رب العالمين فيقول الله حمدي عبدي واثنى عليَ وهو قوله سمع الله لمن حمده الحديث، فلو لم يكن من صلوتك سوى ذكر الله في جلاله وعظمته فناهيك به غنيمة فكيف بما ترجوه من ثوابه وفضله.

وروى الصدوق طاب ثراه باسناده الى مولانا العسكري قال قال رسول الله ﷺ قسمت فاتحة الكتاب بيني وبين عبدي فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل اذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم قال الله جل جلاله بدأ عبدي باسمي وحقّ عليَ ان اتمم اموره وابارك له في احواله فاذا قال الحمد لله رب العالمين قال الله جل جلاله حمدني عبدي وعلم ان النعمة التي له من عندي وان البلايا التي دفعت عنه فبتطولي اشهدكم اني اضيف الى نعم الدنيا نعم الاخرة وادفع عنه بلايا الاخرة كما دفعت عنه بلايا الدنيا فاذا قال الرحمن الرحيم قال الله جل جلاله شهد لي بأني الرحمن الرحيم اشهدكم لاوفرنَ من رحمتي حظه ولاجزلنَ من عطائي نصيبه فاذا قال مالك يوم الدين قال الله جل جلاله اشهدكم كما اعترف لي اني مالك يوم الدين لاسهلنَ يوم الحساب حسابه ولاتجاوزنَ عن سيأته فاذا قال العبد اياك نعبد قال الله تعالى صدق عبدي اياي يعبد اشهدكم لاثيبنّه على عبادته ثواباً يغبطه كل من خالفه في عبادته لي فاذا قال واياك نستعين قال الله جل جلاله بي استعان والىّ التجأ اشهدكم لاعيننه على امره ولاعيننه في شدائده ولاخذنَ بيده يوم القيامة فاذا قال اهدنا الصراط المستقيم الى آخر السورة قال الله تبارك وتعالى هذا لعبدي ولعبدي ما سأل قد استجبت لعبدي واعطيته ما امّل وامنته مما وجل.

اقول ومن هذا يظهر معنى ما روى ان الصادق عليه السلام قد صلّى يوماً فلما بلغ في القرائة الى اياك نعبد كررها كثيراً فلما فرغ سأل عن سبب تكريره لها فقال عليه السلام ما زلت اكررها حتى سمعتها من قائلها وذلك ان اقوال الله سبحانه في الحديث المتقدم مسموعة للاولياء والصالحين بأسماع اللبّ، ولهم عليهم السلام بالسمعين لا كما قاله بعض الاعلام ان هذا من باب قول بعض الصوفية بالفارسية

روا باشد انا الله ازدرختى　　　　جرا نبود روا ازينك بختى

يعني اذا جاز ان يخرج الكلام من شجرة وسى بأنا الله فلم لا يجوز خروج مثل هذا الكلام من الانسان لذي هو اشرف من الشجرة وغيرها، وهذا اشارة الى ما نقلنا عن بعضهم من قوله ليس في جبتي سوى الله وقوله انا الحق وقد عرفت ان هذا هو الالحاد المحض والكفر الصريح وقد بقى من وظائف القرائة امران.

الاول ما قاله فقهاؤنا رضوان الله عليهم من وجوب القرائت بواحدة من القرائات السبع المتواترة وفي تواتر تمام العشرة باضافة ابي جعفر ويعقوب وخلف خلاف ذهب الشهيدان قدس الله روحيهما الى ثبوت تواتره والى جواز القرائة به قال الشهيد الثاني (ره) في شرح الرسالة: واما اتباع قرائة الواحد من العشرة في جميع السورة فغير واجب قطعاً بل ولا مستحب فان الكل من عند الله نزل به الروح الامين على قلب سيّد المرسلين تخفيفاً على الامة وتهويناً على اهل هذه الملة انتهى، وهو مصرّح بان القراءات السبع بل العشر متواترة النقل من الوحي الالهي وكذلك كلام اكثر الاصحاب وقد تكلمنا معهم في شرحنا على تهذيب الحدث ولنذكرها هنا نبذة منه فنقول ان في هذه الدعاوى السابقة نظراً من وجوه.

الاول القدح في تواترها عن القرّاء وذلك ان اهل القرائة نقلوا انه قد كان لكل قار راويان يرويان عنه القرائة وربما اختلفوا في الرواية عنه كثيراً نعم قد اشتهرت رواية الرأيين في الاعصار المستقبلة وبلغت حدّ التواتر مع ان من شروطه استواء الطبقات كلها في وجود التواتر.

الثاني سلّمنا تواترها عن اربابها لكنه لا يجدي نفعاً وذلك انهم آحاد من مخالفينا قد استبدوا بهذه القرائة وتصرفوا فيها وجعلوها فناً لهم كما جعل سيبويه والخليل النحو فناً لهما وتصرفوا فيه على مقتضى عقولهم، وفرقوا في مسائل المذاهب ومن هذا ترى القراء لم يسندوا قراءتهم الى اهل البيت عليهم السلام وربما اسندوها في بعض الاوقات اليهم لكن يكون من باب ان جاءكم فاسق بنبأ الاية.

الثالث ان تسليم تواترها عن الوحي الالهي وكون الكل قد نزل به الروح الامين يفضي الى طرح الاخبار المستفيضة بل المتواترة الدالة بصريحها على وقوع التحريف في القرآن كلاماً ومادة واعراباً مع ان اصحابنا رضوان الله عليهم قد اطبقوا على صحتها والتصديق بها نعم قد خالف فيها المرتضى والصدوق والشيخ الطبرسي وحكموا بأن ما بين دفتي هذا المصحف هو القرآن المنزل لا غير ولم يقع فيه تحريف ولا تبديل ومن هنا ضبط شيخنا الطبرسي (ره) آيات القرآن واجزائه فروى عن النبي صلى الله عليه وآله ان جميع سور القرآن مأة واربع عشرة سورة وجميع آيات القرآن ستة آلاف ىىية ومائتا آية وستة وثلاثون آية وجميع حروف القرآن ثلثمائة الف حرف واحدى وعشرون الف حرف ومائتان وخمسون حرفا.

والظاهر ان هذا القول انما صدر منهم لاجل مصالح كثيرة منها سدَ باب الطعن عليها بأنه اذا جاز هذا في القرآن فكيف جاز العمل بقواعده واحكامه مع جواز لحوق التحريف لها، وسيأتي الجواب عن هذا كيف وهؤلاء الاعلام رووا في مؤلفاتهم اخباراً كثيرة تشتمل على وقوع تلك الامور في القرآن وان الاية هكذا انزلت ثم غيرت الى هذا.

الرابع انه قد حكى شيخنا الشهيد طاب ثراه عن جماعة من القراء انهم قالوا ليس المراد بتواتر السبع والعشر ان كل ما ورد من هذه القراءات متواتر بل المراد انحصار المتواتر الان فيما نقل من هذه القرائة فان بعض ما نقل عن السبعة شاذَ فضلاً عن غيرهم فاذا اعترف القرّاء بمثل هذا فكيف ساغ لنا الحكم على هذه القراءات كلها بالتواتر كما قاله العلامة في كتاب المنتهى وكيف ظهرت لنا القرائة المتواترة حتى نقرأ بها في الصلوة، وكيف حكمنا بأن الكل قد نزل به الروح فان هذا القول منهم رجوع عن التواتر.

الخامس انه قد استفاض في الاخبار ان القرآن كما انزل لم يؤلفه الا امير المؤمنين عليه السلام بوصية من النبي صلى الله عليه وآله فبقى بعد موته ستة اشهر مشتغلاً بجمعه فلما جمعه كما انزل اتى به الى المتخلفين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لهم هذا كتاب الله كما انزل فقال له عمر بن الخطاب لا حاجة بنا اليك ولا الى قرآنك عندنا قرآن كتبه عثمان فقال لهم علي عليه السلام لن تروه بعد هذا اليوم ولا يراه احد حتى يظهر ولدي المهدي عليه السلام وفي ذلك القرآن زيادات كثير وهو خال من التحريف وذلك ان عثمان قد كان من كتّاب الوحب لمصلحة رآها صلى الله عليه وآله وهي ان لا يكذبوه في امر القرآن بأن يقولوا انه مفترى او انه لم ينزل به الروح الامين، كما قاله اسلافهم بل قالواه هم ايضاً وكذلك جعل معاوية من الكتّاب قبل موته بستة اشهر لمثل هذه المصلحة ايضاً وعثمان واضرابه ما كانوا يحضرون الا في المسجد مع جماعة الناس فما يكتبون الا ما نزل به جبرئيل عليه السلام بين الملأ.

اما الذي كان يأتي به داخل بيته صلى الله عليه وآله فلم يكن يكتبه الا امير المؤمنين عليه السلام لان له المحرمية دخولاً وخروجاً فكان يتفرد بكتابة مثل هذا وهذا القرآن الموجود الان في ايدي الناس هو خطّ عثمان وسموه الامام واحرقوا ما سواه او اخفوه وبعثوا به زمن تخلفه الى الاقطار والامصار ومن ثم ترى قواعد خطَه تخالف قواعد العربية مثل كتابة الالف بعد واو المفرد وعدمها بعد واو الجمع وغير ذلك وسموه رسم الخط القرآني ولم يعلموا انه من عدم اطلاع عثمان على قواعد العربية والخط.

وقد ارسل عمر بن الخطاب زمن تخلفه الى علي عليه السلام بأن يبعث له القرآن الاصلي الذي هو الَفه وكان عليه السلام يعلم انه طلبه لاجل ان يحرقه كقرآن ابن مسعود او يخفيه عنده حتى يقول

الناس ان القرآن هو هذا الكتاب الذي كتبه عثمان لا غير يبعث به اليه وهو الان موجود عند مولانا المهدي عليه السلام مع الكتب السماوية ومواريث الانبياء ولما جلس امير المؤمنين عليه السلام على سرير الخلافة لم يتمكن من اظهار ذلك القرآن واخفاء هذا لما فيه من اظهار الشنعة على من سبقه كما لم يقدر على النهي عن صلوة الضحى وكما لم يقدر على اجراء المتعتين متعة الحج ومتعة النساء، حتى قال عليه السلام لولا ما سبقني بنو الخطاب ما زنى الا شفا يعني جماعة قليلة لاباحة المتعة وكما لم يقدر على عزل شريح عن القضاء ومعاوية عن الامارة.

وقد بقى القرآن الذي كتبه عثمان حتى وقع الى ايدي القراَء فتصرفوا فيه بالمد والادغام والتقاء الساكنين مثل ما تصرف فيه عثمان واصابه وقد تصرفوا في بعض الايات تصرفاً نفرت الطباع منه وحكم العقل بأنه ما نزل هكذا وفي قريب هذه الاعصار ظهر رجل اسمه سجاوندا ونسبته الى بلدة فكتب هذه الرموز على كلمات القرآن وعلَمه بعلامات اكثرها لا يوافق تفاسير الخاصة ولا تفاسير العامة والظاهر ان هذا ايضاً اذا مضت عليه مدة مديدة يدّعي فيه التواتر وانه جزء القرآن فيجب كتابته واستعماله والحاصل ان العادة اذا وقعت اشترك فيها العدو والولي.

السادس ان اهل التفسير وارباب علم القرائة اذا ذكروا قرائة في آية جعلوا قرائة اهل البيت عليهم السلام قسيمة لقرائة حفص وعاصم ونحوهما فيقولون تارة وقرائة علي هكذا ويقولون تارة اخرى وفي قرائة اهل البيت هكذا فاذا كان كذلك كيف يكون قرائة علي واهل بيته عليهم السلام وقرائة غيرهم بمرتبة واحدة بالنسبة الى الوحي الالهي وان جبرئيل عليه السلام نزل بالجميع فلو كان هكذا كان ينبغي نسبة القرائة كلها اليه عليه السلام لانه المعلم الاول في جميع الفنون كما تقدم والذي حداهم على مثل هذه التصرفات وتصديق اصحابا لهم ما روى عنه صلى الله عليه وآله انه قال نزل القرآن على سبعة احرف وفسروها بالقراءات تارة وباللغات أخرى مثل لغة قريش وهذيل وهوزان واليمن مع ان الكليني قدس الله روحه قد روى في الصحيح عن الفضيل بن يسار قال قلت لابي عبد الله عليه السلام ان الناس يقولون ان القرآن نزل على سبعة احرف فقال كذبوا اعداء الله ولكنه انزل على حرف واحد من عند الواحد.

فان قلت كيف جاز القرائة في هذا القرائة مع ما لحقه من التغيير قلت قد روى في الاخبار انهم عليهم السلام امروا شيعتهم بقرائة هذا الموجود من القرآن في الصلوة وغيرها والعمل باحكامه حتى يظهر مولانا صاحب الزمان فيرتفع هذا القرآن من ايدي الناس الى السماء ويخرج القرآن الذي الفه امير المؤمنين عليه السلام فيقرى ويعمل بأحكامه وروى الكليني باسناده الى سالم بن سلمة قال قرأ رجل على ابي عبد الله عليه السلام وانا استمع حروفاً من القرآن ليس على ما

يقرأها الناس فقال ابو عبد الله عليه السلام مه كفَ عن هذه القرائة واقرء كما يقرأ الناس حتى يقوم القائم فاذا قام قرأ كتاب الله على حدّه واخرج المصحف الذي كتبه علي عليه السلام وفي هذا الحديث ان علياً عليه السلام لما فرغ من ذلك القرآن قال لهم هذا كتاب الله تعالى كما انزل الله على محمد صلى الله عليه وآله وقد جمعته بين اللوحين فقالوا هو ذا عندنا مصحف جامع فيه القرآن لا حاجة لنا فيه، فقال اما والله ما ترونه بعد يومكم هذا ابداً انما كان عليَ ان اخبركم حين جمعته لتقرأوه والاخبار الواردة بهذا المضمون كثيرة جداً وعليك بسلوك جادّة الانصاف وخلع ربقة العناد والاعتساف الامر الثاني من وظائف القرائة ترتيل القرآن بالصوت الحين الحزين الذي لا يبلغ الغناء الذي يقال له غناء في العرف ولا يشتمل على مدّ الصوت مع الترجيع الذي هو حقيقته اللغوية.

روى عن الصادق عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله اقرأوا القرآن بالحان العرب واصواتها واياكم ولحون اهل الفسوق والكبائر فانه سيجيء من بعدي اقوام يرجعون القرآن ترجيع الغناء والنوح والرهبانية ولا يجوز تراقيهم قلوبهم مقلوبة وقلوب من يعجبه شأنهم.

وعن النوفلي قال ذكرت الصوت عند ابي الحسن الرضا عليه السلام فقال ان علي بن الحسين عليه السلام كان يقرأ فربما مرَ به المار فصعق من حسن صوته وان الامام لو اظهر من ذلك شيئاً لما احتمله الناس من حسنه قلت ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله يصلّي بالناس ويرفع صوته بالقرآن؟ فقال ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان يحمل الناس من خلفه ما يطيقون اقول يظهر من هذا الخبر وما في معناه سرَ غريب وهو الجواب عما روى من ان الرضا عليه السلام كان اسمر اللون وكذا الكاظم عليه السلام مع ما روى من انه يجب في الامام ان يفضل الناس خلقاً وخُلقا، والنبي صلى الله عليه وآله لما كان يذكر الصديق وحسنه كان يقول وانا املح منه مع انه لم ينقل لهم شيء من هذه المراتب الا قليلاً.

وتحقيقة ان النبي واهل بيته عليهم السلام انما كانوا يعاشرون الناس على قدر ما تحتمله عقولهم بالنسبة الى كل شيء ومن جملته حسن الاصوات والصور فالكاظم والرضا عليهما السلام قد رأيا الصلاح في ان يظهرا لشيعتهم بتلك الصور الخاصة وكانا يظهران لخواص شيعتهم على احسن الصور واكملها وكذا باقي الائمة عليهم السلام.

روى ان امرأة المأمون بعث الى الجواد عليه السلام اني احب ان اراك جالساً مع ابنتي فهيأوا لها ضيافة فأتت من الغد قال راوي الحديث فدخل عليه السلام فلما رأته زوجته ام الفضل خرّت مغشياً (مغشية خ) عليها واتاها الحيض ذلك الوقت فرجع عليه السلام وهو يقول فلما رأينه اكبرنه الاية، فلما افاقت قالت يا اماه لم زوجتني هذا الرجل؟ قالت وكيف ذلك؟ قالت انه يتصور لي كل يوم بصور متعددة والان لما دخل علينا رأيت من وجه انواراً علت البيت وما فيه فما قدرت على النظر اليه حتى غشى عليَ وكان النبي صلى الله عليه وآله اذا اتاه جبرئيل عليه السلام بالوحي وضع ثوباً على راسه

لئلا ينظر الناس اليه ذلك الوقت لانهم لا يستطيعون النظر اليه من شدة انواره ومن هذا كان عليه السلام يقول لي مع ربي وقت لا يحتمله احد.

فان قلت قد صحّ من هذه الاحاديث ان الغناء لا يجوز بتلاوة القرآن فكيف تقول فيما روى عن النبي صلى الله عليه وآله من قوله ليس منا من لم يتغنّ بالقرآن.

قلت هذا حديث مجمل وقد تصدى الاعلام لتوضيح معناه على وجوه الاول ما نقله المرتضى طاب ثراه عن ابي عبيدة من ان المعنى ان من لم يستغن بالقرآن فليس منا واحتج بوروده في اللغة، وبخبر رفعه عن عبد الله بن نهيك انه دخل على سعد ببيته فاذا مثال رث ومتاع رث فقال قال رسول الله صلى الله عليه وآله من لم يتغنّ بالقرآن فليس منا، قال ابو عبيدة فذكره المتاع الرث والمثال الرث يدلّ على ان التغني بالقرآن الاستغناء عن الكثير من المال والمثال، وهو الفراش قال ابو عبيدة ولو كان التغني معناه الترجيح لطمث المحنة علينا بذلك اذا كان من لم يرجع بالقرآن ليس منه عليه السلام وذكر عن ابي عبيدة جواباً آخر وهو انه عليه السلام اراد من لم يحسن صوته بالقرآن ولم يرجع فيه واستدل عليه بما روى من قوله صلى الله عليه وآله ان هذا القرآن نزل بحزن فاذا قرأتموه فابكوا فان لم تبكوا فتباكوا فمن لم يتغنّ بالقرآن فليس منا، وقوله صلى الله عليه وآله لا يأذن الله لشيء من الارض الا لصوت المؤذّنين وللصوت الحسن بالقرآن.

وقد ذكر ابو بكر محمد بن القسم الانباري وجهاً ثالثاً في الخبر قال اراد عليه السلام من لم يتلذذ بالقرآن ويستحله ويستعذب تلاوته كاستحلاء اصحاب الطرب للغنا والتذاذهم به وسمّى ذلك تغنياً للتأثير وجواب ابي عبيدة احسن الاجوبة وجواب ابي بكر ابعدها لان التلذذ لا يكون الا في المشتهيات وكذلك الاستحلاء والاستعذاب وتلاوة القرآن وتفهم معانيه من الافعال الشاقة فكيف يكون ملذّا مشتهاً ويمكن ان في الخبر وجه رابع ظهر لنا وهو ان يكون قوله يتغنى من غنى الرجل بالمكان اذا طال مقام بالمكان اذا طال مقام به، ومنه قيل المغنى قال الله تعالى كأن لم يغنوا فيها أي لم يقيموا بها، فيكون معنى الخبر على هذا الوجه من لم يقم على القرآن ويتجاوزه الى غيره ويتعدّاه الى سواه ولم يتخذه مغنا ومنزلا ومقاما ليس منا هذا محصل كلام المرتضى والشيخ في الامالي، ولا يخفى عليك ما يرد على بعض كلماته.

وقد ذكر بعض السلاطين ممن عاصرناه وجهاً آخر لكنه في التحقيق راجع الى ما ذكره ابو عبيدة وحاصله ان المراد بالتغني ما يشبه الغنى كالتباكي الذي ليس هو بكاء حقيقة، وانما المراد به ما يشبه البكاء لانه لو اراد الغنا لقال ليس منا من لم يغن والغنا حرام فأتى بلفظ التغني الذي يسلم به القارئ من حرمة الغنا ويأتي بنوع له امتياز عن الحاكي والقصاص ويكون فيه نوع حسن شبيه بالغناء.

واما وظيفة الركعتين الاخيرتين فان تعلم ان النبي ﷺ هو الذي اوجبهما بتفويض الله سبحانه اليه شكراً على بعض النعم واما الاوليان من كل صلوة فهما اللتان اوجبهما سبحانه على الامة ليلة المعراج ومن هنا دخل الشك والسهو فيما اوجبه ﷺ دون ما اوجبه الله، والاولى له ان يقول فيهما التسبيح ولا يقرأ الحمد وان اجمع اصحابنا رضوان الله عليهم على التخيير وذلك لوجوه.

الاول ان الاخبار الدالة على قرائة الحمد موافقة لمذاهب الجمهور فيمكن حملها على التقية مع ان الخير فيما بعد عنهم، الثاني ان قارئ الحمد مردد بين محذورين اما الجهر بالبسملة او الاخفات بها، وفي وجوب الجهر قال قائل وفي الحرمة قال آخر بخلاف التسبيحات، الثالث طلب ما ورد فيها من الثواب.

روى الصادق عليه السلام عن آبائه عن رسول الله ﷺ انه قال من قال سبحان الله غرس الله له بها شجرة في الجنة ومن قال الحمد لله غرس الله له بها شجرة في الجنة، ومن قال لا اله الا الله غرس الله له بها شجرة في الجنة، ومن قال الله اكبر غرس الله له بها شجرة في الجنة، فقال رجل من قريش هو ابو بكر ان شجرنا في الجنة لكثير قال نعم ولكن اياكم ان ترسلوا عليها نيرانا فتحرقوها، وذلك قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا اعمالكم.

وينبغي ان يقول سبحانه والحمد ولا اله الا الله والله اكبر واستغفر الله ثلاثا لينطبق على جميع الاقوال والاخبار.

واما وظيفة الركوع فاذا صليت اليه فجدد على قلبك ذكر كبرياء الله تعالى وعظمته وخساسة كل ما سواه وتلاشيه فارفع يديك وقل الله اكبر مستجيرا في رفعك بعفو الله من عقابه، ومتبعاً سنة نبيه ﷺ ثم تستأنف له ذلاً وخضوعاً وتواضعاً بركوعك واجتهد فير ترقيق قلبك ومدَ عنقك في ركوعك قاصداً ما قاله امير المؤمنين عليه السلام حين سأل عن مدّ عنقه في الركوع فقال معناه آمنت بك ولو ضربت عنقي فيكون مدّ العنق اشارة الى ان الاسير الذليل اذا اريد ضرب عنقه يؤمر اولا بمدَ عنقه حتى يتمكن السيف من رقبته ويأخذ مأخذه منه.

وقال الصادق عليه السلام لا يركع عبد ركوعاً على الحقيقة الا زينَه الله تعالى بنور بهائه واظلَه في ظلال كبريائه وكساه كسوة اصفيائه والركوع اول والسجود ثان فمن اتى بمعنى الاول صلح للثاني وفي الركوع ادب وفي السجود قرب ومن لا يحسن الادب لا يصلح للقرب فاركع ركوع خاضع لله بقلبه متذلل وجل تحت سلطانه حافظ له بجوارحه حفظ خائف حزن على ما يفوقه من فائدة الراكعين وحكى ان ربيع بن خيثم كان يسهر بالليل الى الفجر في ركعة واحدة فاذا اصبح تزفر وقال آه سبق المخلصون وقطع بنا واذا رفعت رأسك من الركوع فكبر واذا هويت

الى السجود فكبر والتكبير الاول لم يتعرض له اكثر فقهائنا ولكن قال به ابنا بابويه وصاحب الفاخر، وصحيحتا ابن عمار وابن مسكان دالتان عليه والعمل بهما لا يخلو من وجه.

واما وظيفة السجود فاعلم انه اعظم مراتب الخضوع ومن هنا اوحى الله تعالى الى موسى بن عمران عليه السلام أتدري لم اصطفيتك بكلامي واخترتك لرسالتي فقال موسى لا يا رب فقال الله سبحانه يا موسى اني قلبت عبادي ظهراً لبطن وبطناً لظهر فلم ار احد اذل لي منك اذا سجدت عفرت خديك بالتراب وخصوصاً اذا كان تراب الحسين عليه السلام فقد روى ان السجود عليها يخرق الحجب السبعة يعني لا يمنع الصلوة عن الصعود احد من الملائكة الموكلين بابواب السموات كما تقدم في الحديث الطويل.

وليكن بخاطرك ما روى عن علي عليه السلام حين سأل عن معنى لسجدة الاولى والرفع منها والسجدة الثانية ولرفع منها فقل عناه منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى فالسجدة الاولى اشارة الى ان مادة خلقنا من هذا التراب والرفع اشارة الى خروجنا منها ورفع رأوسنا قليلاً لا يصل الى حدّ القيام اشارة الى قصر هذا الوقت وان مدة هذا العمر اقلّ قليل والى انتقالنا من هوان الى هوان والسجدة الثانية اشارة الى رجوعنا الى هذا التراب عند الموت ولرفع الثاني الى الحشر والنشر والبعث منها للحسنات.

وقد منعت الشريعة الغرا من السجود على ما يأكله الادميون ويلبسونه لان الناس عبيد ما يأكلون وما يدخرون فلو سجدوا عليه لكانوا كأنهم سجدوا له كما جاء في الرواية وقال الصادق عليه السلام ما خسر والله من اتى بحقيقة السجود ولو كان في العمر مرة واحدة، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله قال الله تعالى لا اطّلع على قلب عبد واعلم فيح حب الاخلاص لطاعتي لوجهي وابتغاء مرضاتي الا توليت تقويمه وسياسته ومتى اشتغل بغيري فهو من المستهزئين بنفسه مكتوب اسمه في ديوان الخاسرين.

واما وظيفة التشهد والتسليم فبأن تشهد به بالوحدانية ولرسوله بالرسالة مجدداً عهد الله باعادة كلمتي الشهادة معترضاً بهما لتأسيس مراتب السعادة واما التسليم المخرج من الصلوة فهو السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، واما حقيقة التسليم فهي ان التسليم (الصلوة خ) غيبة عن الناس وحضور مع الله عز وجل فالانصراف منها رجوع من الله الى الخلق كالمأمومين وملائكة الاعمال وغيرهم فلهذا شرع التسليم عند الانصراف منها لان التسليم تحية من غاب ثم حضر وآب فمن لم يغب في صلوته عن نفسه وعن الناس بل يكون معهم في حديث نفسه فهو لم يزل حاضراً معهم فتسليمه خال عن معناه واما سجدة الشكر فاستجبنا بها ثابت عند تجدد النعم ودفع النقم بل وعند ذكر النعم السابقة.

قال الصادق عليه السلام اذا ذكرت نعمة الله عليك وكنت في موضع لا يراك احد فالصق خدك بالارض واذا كنت في ملأ م الناس فضع يدك على اسفل بطنك وآخر ظهرك وليكن تواضعاً لله فان ذلك احب اليّ ويرى ان ذلك غمز وجدته في اسفل بطنك وآكد اوقاتها بعد الصلوة شكراً على نعمة التوفيق لادائها، قال الصادق عليه السلام سجدة الشكر واجبة على كل مسلم تتم بها صلوتك وترضى بها ربك وتعجب الملائكة منك وان العبد اذا صلى ثم سجد سجدة الشكر فتح الرب تبارك وتعالى الحجاب بين العبد والملائكة فيقول يا ملائكتي انظروا الى عبدي ادّى فرضى واتم عهدي ثم سجد لي شكراً على ما انعمت به عليه ملائكتي ماذا له؟ فتقول الملائكة يا ربنا رحمتك فيقول الرب تبارك وتعالى ثم ماذا ؟ فلا يبقى شيء من الخير الا قالته الملائكة فيقول الله تعالى ثم ماذا فتقول الملائكة يا ربنا لا علم لنا فيقول تعالى اشكر له كما شكر لي واقبل عليه بفضلي كما اقبل عليّ واريه وجهي.

وروى العامة والخاصة ان اول من سجد سجدة الشكر في الاسلام علي بن ابي طالب عليه السلام حين اراد الكفار ان يغدروا برسول الله صلى الله عليه وآله فقال له يا علي ان الله يأمرك ان تنام بمكاني وانا اخرج الى الغار ولم يعلمه بالسلامة، فقال يا رسول الله اذا بتّ انا في منامك تنجو أنت؟ فقال نعم يا علي، فعند ذلك قال الحمد لله الذي جعل نفسي وقاءً لنفس رسول الله صلى الله عليه وآله وسجد عند ذلك سجدة شكر، قال جمهور مخالفينا ان سجدة الشكر فيها ثواب جزيل لكن لما كانت شعار الروافض لزم على المسلم تركها لئلا يتشبه بهم ونحن نقول الحمد لله الذي لم يشابه بيننا وبينكم لا في هذه ولا في غيره.

واما كيفيتها فروى ان في ادنى ما يجزي فيها ان يقول شكراً لله ثلاثاً وقال الصادق عليه السلام اذا سجد العبد فقال يا رب حتى ينقطع نفسه قال له الرب عز وجل لبيك ما حاجتك وبالجملة فالاهم هو الاهتمام بحال الصلوة والاقبال عليها خصوصاً من حضور القلب الذي هو روحها، روى عن مولانا زين العابدين عليه السلام انه كان يصلي فوقعت النار في البيت الذي كان يصلي فيه فلما علت صاح به الناس النار النار يابن رسول الله وهو مشغول لا يلتفت فلما انطفت النار وفرغ من الصلوة تعالوا عليه واخبروه بوقوع الحريق فقال انا كنت ادفع نار جهنم عن نفسي وما شعرت بحرارة هذه النار.

روى عن الباقر عليه السلام انه كان يصلي الى جنب بئر في المنزل فأتى ولده يحبو اليه فوقع في البئر وهو يصلي فما التفت اليه فصاحت ام الولد ابنك وقع في البئر فلما فرغ من صلوته قالت له زوجته ما اقسى قلبك يا ابن رسول الله فأتى الى البئر ووجد الصبي جالساً فوق الماء فارتفع

الماء والصبي فوقه حتى مدّ عليه السلام يده واخرج الغلام فقال لامرأته لما كنت في خدمة مولاي كان هو في حراسة ولدي.

واما حال علي عليه السلام في الصلوة فهو اشهر من ان يذكر وكانوا يأخذون النصال من بدنه في الصلوة وما كان يشعر بها واما شعوره بالسائل وقت الخاتم مع كونه سكراناً في العشق فهو من باب الافاقة التي تعتري اهل الوله وما احسن قول ابن الجوزي:

يسقى ويشرب لا تلهيه سكرته عن النديم ولا يلهو عن الكاس
اطاعه سكره حتى تمكن من فعل الصحاة فهذا اعظم الناس

نور يكشف عن الرياء واقسامه والداعي اليه وعلاجه

اعلم ان الكتاب والسنّة قد اكثروا من الوعيد عليه قال الله تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلوتهم ساهون الذين هم يراؤون، وقال النبي صلى الله عليه وآله ان النار واهلها يعجبون من اهل الريا، فقيل يا رسول الله وكيف تعجَ النار؟ قال من حرّ النار التي يعذبون بها وقال صلى الله عليه وآله المرائي يوم القيامة ينادي بأربعة اسماء يا كافر يا فاجر يا غادر يا خاسر ضلّ سعيك وبطل اجرك ولا خلاق لك التمس الاجر ممن كنت تعمل له يا مخادع وعنه صلى الله عليه وآله ان الله تعالى يقول انا اغنى الاغنياء عن الشرك من عمل عملا فأشرك فيه غيري فنصيبي له فانا لا اقبل الا ما كان خالصاً لي.

وعنه صلى الله عليه وآله ان اول ما يدعى يوم القيامة رجل جمع القرآن ورجل قاتل في سبيل الله ورجل كثير المال فيقول الله عز وجل للقارئ الم اعلّمك ما انزلت على رسولي فيقول بلى يا رب فيقول ما عملت به فيما علّمت؟ فيقول يا رب قمت به في آناء الليل واطراف النهار فيقول الله تعالى كذبت وتقول الملائكة كذبت ويقول الله تعالى انما اردت ان يقال فلان قارى فقد قيل ذلك ويؤتى بصاحب المال فيقول الله تعالى الم اوسع عليك حتى لم ادعك تحتاج الى احد؟ فيقول بلى يا رب فيقول فما عملت فيما آتيتك قال كنت اصل الرحم واتصدق فيقول الله كذبت وتقول الملائكة كذبت ويقول الله سبحانه بل اردت ان يقال فلان جواد وقد قيل ذلك، ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله فيقول الله تعالى ما فعلت؟ فيقول امرت بالجهاد في سبيل الله فقاتلت حتى قتلت، فيقول الله كذبت وتقول الملائكة كذبت ويقول الله تعالى بل اردت ان يقال فلان جرى شجاع فقد قيل ذلك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله اولئك خلق الله تسعر بهم نار جهنم والاخبار في ذلك كثيرة جداً.

واما تعريفه فهو التقريب الى المخلوقين باظهار الطاعة وطلب المنزلة في قلوبهم والميل الى اعظامهم له وتوقيرهم اياه واستجلاب تسخيرهم بقضاء حوائجه والقيام بمهماته وهو الشرك الخفي، قال رسول الله ﷺ من صلّى صلوة يرائي بها فقد اشرك ثم قرأ هذه الاية قل انما انا بشر مثلكم يوحى اليّ انما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه احداً، واما اقسامه فاثنان رياء محض ورياء مختلط اما المحض فبأن يريد بعمله نفع الدنيا فهذا ساقط عن درجة الاعتبار فلا يحتاج الى البحث عنه، واما المختلط فبأن يقصد به ذلك مع التقرب الى الله تعالى وهذا هو الشرك الخفي الذي وقع في هذه الامة وهذا الرياء يقع على وجوه بعضها جلي وبعضها خفي.

الاول من هذه الاقسام ان يفتتح الصلوة مثلاً على الاخلاص المحض والاقبال على الله تعالى فيدخل عليه في اثناء الصلوة داخل او ينظر اليه ناظر فيقول له الشيطان زد صلوتك حسنا حتى ينظر اليك هذا الحاضر بعين الوقار والصلاح فتخشع جوارحه ويحسن صلوته وهذا هو الرياء الطارى وقد حدثني اوثق مشايخي ان رجلا كان لا يقدر على الاخلاص في العمل وترك الرياء فاحتال وقال ان في طرف البلد مسجداً مهجوراً لا يدخله احد فامضى اليه ليلاً واعبد الله فيه، فمضى اليه في ليلة مظلمة وكانت ذات رعد وبرق ومطر فشرع في العبادة فبينما هو في الصلوة اذ دخل عليه داخل فأحس به فدخل السرور برؤية ذلك الداخل له وهو على حالة العبادة في الليلة الظلماء فأخذ في الجد والاجتهاد في عبادته الى ان جاء النهار فنظر الى ذلك الداخل فاذا هو كلب اسود قد دخل المسجد مما اصابه من المطر فتندّم ذلك الرجل على ما دخله حال دخوله، وقال يا نفس اني فررت من ان اشرك بعبادة ربي احداً من الناس فوقعت في ان اشركت معه في العبادة كلباً اسود يا ويلي على هذا.

الثاني ان يكون قد فهم هذه الافة وأخذ منها حذره ولكن يأتيه الشيطان من معرض الخير فيقول له انت متبوع ومقتدى بك فاعمل هذا العمل على وجه يقتدى بك الناس حتى اذا احسنت حصل لك مثل ثواب اعمالهم وان اسأت كان عليك الوزر وذلك للحديث المشهور ان من سنّ سنّة حسنة فله اجرها واجر من يعمل بها الى يوم القيامة وهذه المكيدة اعظم من الاولى وينخدع بها من لا ينخدع بتلك وهو عين الرياء فانه اذا رأى هذه الحالة خيراً لا يرتضى لغيره تركها فلم تركها هو في الخلوة وذلك انه لا يكون احد اعزّ على الانسان من نفسه.

الثالث ان يتنبه العاقل لهاتين ويستحي من المخالفة بين صلوته في الخلوة والملأ فيقبل على نفسه في الخلوة ويحسن صلوته على الوجه الذي يرتضيه في الملأ ويصلي ايضاً في الملأ كذلك للعلة المذكورة وهذا ايضاً من الرياء الغامض لانه احسن صلوته في الخلوة ليحسن في الملأ

فيكون لم يفرّق بين الخلوة والملأ للناس والاخلاص ان يكون مشاهدة البهائم لصلاته ومشاهدة الخلق على وتيرة واحدة والى هذا الاشارة في الحديث النبوي لا يكمل ايمان العبد حتى يكون الناس عنده بمنزلة الاباعر.

الرابع هو ادّق واخفى وهو ان ينظر اليه الناس وهو في صلوته فيعجز الشيطان عن ان يقول له اخشع لاجلهم لانه عرف انه لا يصغي اليه بل يقول له تفكر في عظمة الله وجلاله ومن انت واقف بين يديه واستح ان ينظر الله الى قلبك وانت غافل عنه فيحضر بذلك قلبه وتجتمع جوارحه ويظن ان ذلك عين الاخلاص وهو عين الرياء فان خشوعه لو كان لنظره الى عظمة الله سبحانه لكان حاله في الخلوة هكذا، ولكان لا يختص خطور هذه الخطرة بحضور غيره، وعلامة الامن من هذه الافة ان يكون هذا الخاطر مما يألفه في الخلوة كما يألفه في الملأ ولا يكون حضور الغير هو السبب كما لا يكون حضور البهيمة سبباً فما دام يفرق في احواله بين مشاهدة الناس والبهائم فهو بعد لم يخلص لربه وهذا الشرك الذي قال فيه رسول الله ﷺ انه اخفى في قلب ابن آدم من دبيب النملة في سواد الليلة الظلماء على الصخرة الصمّاء ويعترى ذاكرين الله كثيراً بل قيل انه يحملهم على المهالك في كل حركة من الحركات حتى في كحل العين وقصّ الشارب وطيب يوم الجمعة ولبس الثياب فانها سنن في اوقات مخصوصة لكن للنفس فيها حظّ خفي لارتباط نظر الخلق بها، فيدخل الشيطان فيها عليه المداخل ومن هذا قيل ركعتان من عالم افضل من عبادة سنة جاهل فاراد به العالم لمبصر بدقائق العبادة حتى يخلص عنها لا مطلق العالم، فان مداخل الشيطان عليه اعظم من مداخله على الجهال واوسعها.

الخامس ان يكمل العبادة على الاخلاص المحض والنية الصالحة لكن عرض له بعد الفراغ منها حبّ اظهارها ليحصل له بعض الاغراض المحققة للرياء خديعة من الشيطان له انه قد كمل العبادة الخالصة له وقد كتبها الله سبحانه في ديوان المخلصين ولا يقدح فيها ما يتجدد وانما ينضم الى ما حصله بها من الخير الاجل خير عاجل فيحدث به ويظهره لذلك ايضاً، فهذا ايضاً مفسد للعمل وان سبق كما يفسده العجب المتأخر ويدخل في زمرة الذين قال الله عنهم قل هل نتبئكم بالاخسرين اعمالاً الذين ضلّ سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعاً.

وقال الصادق عليه السلام من عمل حسنة سراً كتبت له سراً فاذا اقرّ بها محيت وكتبت جهرا، فاذا اقرّ بها ثانية وكتبت رياء وفضل عمل السر على عمل الجهر سبعون ضعفاً اما لو تعلق باذاعته غرض صحيح كما لو اراد ترغيب السامع في فعل الخير فلا بأس اذا لم يمكن ترغيبه بدونه والا كان هو الاولى وقج روى محمد بن مسلم عن الباقر عليه السلام قال لا بأس ان تحدّث اخاك

اذا رجوت ان ينفعه ويحثه واذا سألك هل قمت الليلة او صمت فحدثه بذلك ان كنت فعلته، فقل قد رزق الله ذلك ولا تقل لا فان ذلك كذب.

السادس ان يأمره بترك العمل خوفاً من ان يكون مرائياً به وهذا من جملة خدايعه وذلك ان غرضه الاقصى ترك العمل وانما يعدل بك الى قصد الرياء وغيره عند تثبيطك عن العمل، فاذا حصل غرضه فقد استراح من خدعك ومثالك في ذلك من سلّم ليه مولاه حنطة فيها تراه وقال خلّصها من التراب ونقّها منه تنقية بالغة كاملة فيترك العمل من اصله وهذا تمام الغرض لابليس اللعين وغاية القصد فقد حصلت امنيته وارحته من التعب بك في افساد العمل وانما سبيلك ان تجتهد في تخليص عملك بالادوية النافعة حتى يحصل مراد مولاك.

السابع ان يأمره اللعين بترك العمل ايضاً لا لذلك بل خوفاً على الناس ان يقولوا انه مراء فيعصون الله به، وهذا ايضاً معه ما قبله رياء خفيّ من مكائد الشيطان لان تركه العمل خوفاً من قولهم انه مراء عين الرياء ولولا حبه لمحمدتهم وخوفه من ذمهم فما له ولقولهم قالوا انه مراء او قالوا انه مخلص واي فرق بين ان تترك العمل خوفاً من ان يقال انه مراء وبين ان يحسن العمل خوفاً من ان يقال انه غافل مقصر وفيه مع ذلك الظن بالمسلمين وما كان من حقه انه يظن بهم ذلك ثم كيف يطمع ان يتخلص من الشيطان بترك العمل وقد اطاعه فيه فانه لا يخليه ايضاً بل يقول له الان تقول الناس انك تركت العمل ليقال انك مخلص لا تشتهي الشهرة الى غير ذلك من فنون اللعب به.

الثامن ان يقول له اترك العمل لئلا يظن الناس بك خيراً او تشتهر به واحبَ العباد الى الله الاتقياء الاخفياء الذين اذا شهدوا لم يعرفوا، فاذا عرفت بين الناس بالعبادة لم يكن لك حظ من هذا الوصف، وهذه ايضاً من مكائده وما عليك اذا اخلصت العمل لله ان تعرف به او تجهل وانما عليك مراعاة قلبك واصلاح سرك وكيف يخفى على الناس اذا كنت صالحاً وهو تعالى يقول عليك اخفاؤه وعليَّ اظهاره ويقول من اصلح سريرته اصلح الله علانيته وفي الحديث ان العبد اذا فعل الخير في جوف بيته ارسل الله ملكا الى الارض بصورة رجل يخبر الناس عن حاله ويقول ان فلانا يعمل كذا وكذا من الخير، واذا عمل ذنباً في جوف بيته ستره الله ثلاثاً فاذا عاد الى (على خ) ذلك الفعل ارسل الله ملكاً الى الارض بصورة رجل فيخبر الناس بما يصنع ذلك الرجل في جوف بيته.

وروى شيخنا الكليني (ره) باسناده الى الصادق عليه السلام قال قال امير المؤمنين عليه السلام ما من عبد الا وعليه اربعون جنّة حتى يعمل اربعين كبيرة فاذا عمل اربعين كبيرة انكشف عنه الجنن، فيوحى الله اليهم ان استروا عبدي باجنحتكم فتستره الملائكة باجنحتها قال فما يدع شيئاً من

القبيح الا قارنه حتى يمتدح الى الناس بفعله القبيح فتقول الملائكة يا رب هذا عبد ما يدع شيئاً الا ركبه وانّا لنستحيي مما يصنع فيوحى الله تعالى اليهم ان ارفعوا اجنحتكم عنه فاذا فعل ذلك اخذ في بغضنا اهل البيت فعند ذلك ينتهك ستره في السماء وستره في الارض[1] فتقول الملائكة يا رب هذا عبدك قد بقى مهتوك الستر فيوحى الله تعالى اليهم ول كانت لله فيه حاجة لما امركم ان ترفعوا اجنحتكم عنه.

التاسع ان يأتيك اللعين ويقول اذا كنت لا تترك العمل لذلك فاخف العمل فان الله سيظهره عليك واما اذا اظهرته فيمكن ان تقع في الرياء وهذا التلبيس عين الرياء لان اخفائك له كي يظهر بين الناس هو بعينه العمل لاجل الناس وما عليك اذا كان مرضياً لله تعالى او يخفى لولا نظرك الى رضاء الناس فانك قد عرفت اظهاره سبحانه لعمل العبد.

روى الصدوق طاب ثراه باسناده الى الرضا عليه السلام قال ان الله تعالى اوحى الى نبي من انبيائه اذا اصبحت فاوّل شيء يستقبلك فكله.

والثاني فاكتمه، والثالث فاقبله، والرابع فلا تويئسه، فالخامس فاهرب منه، فلما اصبح مضى فاستقبله جبل اسود عظيم، فوقف وقال امرني ربي ان آكل هذا وبقى متحيراً ثم رجع الى نفسه، وقال ان ربي جل جلاله لا يأمرني الا بما اطيق فمشى اليه ليأكله فكلما دنى منه صغر حتى انتهى اليه فوجده لقمة فأكلها فوجدها اطيب شيء اكله ثم مضى فوجد طستا من ذهب فقال امرني ربي ان اكتم هذا فحفر له وجعله فيه والقى عليه التراب ثم مضى فاذا هو بطير وخلفه بازى فطاف الطير حوله فقال امرني ربي ان اقبل هذا ففتح كمّه فدخل الطير فيه فقال له البازي اخذت صيدي وانا خلفه منذ ايام فقال ان ربي عز وجل امرني ان لا اوئيس هذا فقطع من فخذه قطعة القاها اليه ثم مضى فاذا هم بلحم ميتة متنت مدوّد فقال امرني ربي ان اهرب من هذا فهرب منه.

ورجع فرأى في المنام كأنه قد قيل له انك قد فعلت ما امرت بهه فهل تدري ماذا كان؟ قال لا قيل له اما الجبل فهو الغضب ان العبد اذا غضب لم ير نفسه وجهل قدره من عظم الغضب فاذا حفظ فيه وعرف قدره وسكّن غضبه كانت عاقبته كاللقمة الطيبة التي اكلتها واما الطست فهو العمل الصالح اذا كتمه العبد واخفاه ابى الله عز وجل الا ان يظهره ليزيّنه به مع ما يدَخر له من ثواب الاخرة واما الطير فهو الرجل الذي جائك بالنصيحة فاقبله واقبل نصيحته

---

(١) من هذا الحديث اخذ الشاعر قوله:

لطف حق باتومداراها كند   جونكه از حدبكذرى رسواكند

واما البازي فهو رجل الذي يأتيك في حاجة فلا توئيسه واما اللحم المنتن فهو الغيبة فاهرب منها.

واما الدواء النافع في دفع الرياء فبأن تتفكر في مضرة الرياء وما يفوت بسببه من صلاح القلب وما يحرم عنده في الحال من التوفيق وفي الاخرة من المنزلة عند الله تعالى يتعرض من العقاب العظيم والمقت الشديد والخزي الظاهر حيث ينادى على رؤوس الاشهاد والعباد يا فاجر يا غادر يا مرائي اما استحيت اذا اشتريت بطاعة الله تعالى غرض الدنيا؟ راقبت قلوب العباد واستهزئت بطاعة الله تعالى وتحببت الى العباد بالتبغض الى الله تعالى وتزينت لهم بالشين عند الله تعالى وتقربت اليهم بالبعد من الله وتحمدت اليهم بالتذمم عند الله تعالى وطلبت رضاهم بالتعرض لسخط الله اما كان احد اهون عليك من الله فمهما تفكَر العبد في هذا الخزي وقابل ما يحصل له من العباد والتزين لهم في الدنيا بما يفوته من الاخرة وبما يحبط عليه (عنه ظ) من ثواب الاعمال مع ان العمل الواحد ربما كان يترجح به ميزان حسناته لو خلص فاذا فسد بالرياء حوّل الى كفة السيئات فيترجح به بعد ان كان مرجوحاً ويهوى به الى النار.

فلو لم يكن في الرياء الا احباط عبادة واحدة لكان ذلك كافياً في معرفة ضرره وان كان مع ذلك سائر حسناته راجحة فقد كان ينال بهذه الحسنة علوّ المرتبة عند الله تعالى في زمرة النبيين والصديقين وقد حطّ عنهم بسبب الرياء ورد الى صف النعال من مراتب الاولياء ان لم يستوجب النار والخزي والطرد عن الملك الجبار هذا مع ما يتعرض له في الدنيا من تشتت الهم بسبب ملاحظة قلوب الخلق فان رضاء الناس غاية لا تدرك فكلما يرضى به فريق يسخط به فريق ورضاء بعضهم في سخط بعضهم.

واما الطمع لما في ايديهم فبأن تعلم ان الله مسخر للقلوب بالمنع والاعطاء وان الخلق مضطرون فيه، ولا رازق الا الله سبحانه وتعالى ومن طمع في الخلق لم يخل من الذل والخيبة والاهانة وان وصل الى المراد لم يخل عن المنّة والمهانة ومن اعتمد على الله كفاه الله همه من الدنيا والاخرة فكيف يترك ما عند الله لرجاء كاذب ووهم فاسد وقد يصيب وقد يخطى واذا اصاب فلا تفي لذته بالم منته ومذلته مع ان المرائي يظهر الله تعالى الخلق على باطنه وخبث نفسه وفساد نيته فيمقتونه.

روى ان رجلا من بني اسرائيل قال والله لاعبدنّ الله عبادة اذكر بها فكان اول داخل الى المسجد وآخر خارج منه قائماً لا يفطر ويجلس الى حلق الكر فمكث بذلك مدة طويلة فكان لا يمر بقوم الا قالوا فعل الله بهذا المرائي وصنع فأقبل على نفسه وقال اراني فيغير شيء

لاجعلنَ عملي كله لله فلم يزد على عمله الذي كان يعمل قبل ذلك الا انه تغيرت نيته الى الخير وكان ذلك الرجل يمر بعده بالناس فيقولون رحم الله فلانا الان اقبل على الخير.

ثم هب انهم احبوك واكرموك وخفى عليهم حالك مع ان الله تعالى مطلع على فساد نيتك وخبث سريرتك فأي خير لك في مدح الناس وانت عند الله مذموم واي شر لك من ذم الناس وانت عند الله ممدوح من اهل الجنة ومن احضر في قلبه الجنة ونعيمها المؤبد والمنازل الرفيعة عند الله تعالى استحقر ما يتعلق بالخلق ايام الحيوة مع ما فيه من الكدورات فان لم يكتف بهذا كله فلتأمل في ثلاثة اشياء.

احدها انه لو قيل لك ان رجلاً معه جوهر نفيس لياوس مأة الف دينار وهو محتاج الى ثمنه بل الى بيعه عاجلاً والى اضعافه ثمنا فحضر من يشتري منه متاعه باضعاف ثمنه مع حاجته الى الاضعاف ايضاً فأبى بيعه بذلك بفلس واحد اليس ذلك يكون خسراناً عظيماً وعيباً فظيعاً ودليلاً بيناً على دناءة الهمّة وقصور العلم والفهم وضعف الرأي ورقة العقل بل على السفه المحض وهذا بعينه حال المرائي فان ما يناله العبد بعمله من مدحه وحطام الدنيا بالاضافة الى رضاء رب العالمين وشكره وثواب الاخرة اقلّ من فلس في جنب الف الف دينار بل في جنب الدنيا وما فيها واكثر وهذا هو الخسران المبين فان كان ولا بد لك من هذه الهمة الخسيسة فاقصد انت الاخرة وهو سبحانه يعطيك الدارين قال النبي ﷺ ان الله يعطي الدنيا بعمل الاخرة ولا يعطي الاخرة بعمل الدنيا.

وثانيها ان المخلوق الذي يعمل لاجله وطلب رضاه لو علم انك تعمل لاجله لابغضك ولاستهان بك مضافاً الى مقت الله وبغضه وما تعمله لله خالصاً يوجب رضاء الفريقين فكيف يعمل العامل لاجل لو علم بأنه يطلب رضاه لسخط عليه واهانه.

وثالثها ان من حصل له سعى يكتسب به رضاء اعظم ملك في الدنيا فطلب به رضاء كنّاس خسيس فطلب سخط ذلك الملك ورضاء الكنّاس فيكون هذا دليلاً على ردائة الرأي وسوء المنظر ويقال له ما حاجتك الى هذا الكنّاس مع امكانك رضاء الملك وهذا هو الدواء العلمي واما الدواء العلمي فهو ان يعوّد نفسه اخفاء العبادات واغلاق الابواب دونها كما تغلق الابواب دون الفواحش حتى يقنع قلبه اطلاع الله سبحانه على عبادته ولا تنازعه نفسه الى طلب غير علم الله وهو امر يشقَ في ابتداء المجاهدة لكن اذا صبر عليه مدة بالتكلف سقط عنه ثقله وهان عليه ذلك بتواصل الطاف الله تعالى وبما يمدّ به عباده من حسن التوفيق فان الله لا يغيَر ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم فمن العبد المجاهدة ومن الله الهداية قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهديهم سبلنا الاية.

وروى ان عيسى عليه السلام كان يقول للحواريين اذا كان يصوم احدكم فليدهن راسه ولحيته وليمسح شفتيه بالزيت لئلا يرى الناس انه صائم واذا اعطى بيمينه فليخف عن شماله واذا صلى فليرخ سترا عليه فان الله يقسم الثناء كما يقسم الرزق وقال رسول الله صلى الله عليه وآله ان في ظل العرش ثلاثة يظلهم الله في ظله (بظله خ) يوم لا ظل الا ظله رجلان تحابا في الله وافترقا عليه ورجل تصدق بيمينه صدقة فأخفاها عن شماله ورجل دعته امرأة ذات جمال فقال اني اخاف الله رب العالمين هذا مختصر ما يتعلق بالرياء.

خاتمة هذا النور في العجب وسرور المرء بعمله

اما تعريفه فهو استعظام العمل الصالح واستكثاره والابتهاج به وهو من المهلكات قال النبي صلى الله عليه وآله ثلث مهلكات شح مطلع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وهو محبط للعمل قال عليه السلام لولا ان الذنب بالمؤمن خير من العجب ما خلى الله عز وجل بين عبده المرمن وبين ذنب ابدا، وقال امير المؤمنين عليه السلام سيئة تسؤك خير من حسنة تعجبك أي تورثك عجباً، وعن النبي صلى الله عليه وآله اوحى الى داود عليه السلام يا داود بشر المذنبين وانذر الصديقين قال تعالى بشر المذنبين اني اقبل التوبة وعفو عن الذنب وانذر الصديقين ان يعجبوا باعمالهم فانه ليس عبد يتعجب بالحسنات الا هلك وعنه صلى الله عليه وآله قال قال الله تعالى انا اعلم بما يصلح به امر عبادي وان من عبادي المؤمنين لمن يجتهد في عبادته فيقوم من رقاده ولذيذ وساده فيجتهد ويتعب نفسه لعبادتي فاضربه بالنعاس الليلة والليلتين نظراً مني له واتقاءً عليه فينام حتى يصبح فيقوم ماقتا لنفسه زارئاً عليها ولو خلى بينه وبين ما يريد من عبادتي لدخله من ذلك العجب باعماله فيأتيه ما فيه هلاكه لعجبه باعماله رضاه عن نفسه حتى يظن انه قد فاق العابدين وجاز في عبادته حد التقصير فيتباعد مني عند ذلك وهو يظن انه تقرب الي.

وروى شيخنا الكليني قدس الله روحه باسناده الى الصادق والباقر عليهما السلام قال دخل رجلان المسجد احدهما عابد والاخر فاسق فخرجا من المسجد والفاسق صديق والعابد فاسق وذلك انه يدخل العابد المسجد مدلاً بعبادته فيدل بها فيكون فكرته في ذلك ويكون فكرة الفاسق في الندم على فسقه ويستغفر الله تعالى مما صنع من الذنوب وروى ان الشيطان اقبل الى موسى عليه السلام وعليه برنس فيه الوان قال موسى ما هذا قال اختطف به قلوب بني آدم قال فما الذي صنعه الانسان استحوذت عليه؟ قال اذا اعجبته نفسه واستكثر عمله ونسى ذنوبه فأحذرك ثلاثة لا تخل بامرأة فانه ما خلا رجل بامرأة لا تحل له الا كنت صاحبه حتى افتتنه بها ولا تعاهد الله عهداً فاني امنعك عن الوفاء به ولا تخرجن صدقة الا امضيتها فانه ما اخرج صدقة ولم

يمضها الا كنت صاحبه احول بينه وبين الوفاء ثم تولى ويقول يا ويلتاه علم موسى ما يحذّر به بني آدم.

واما علاج العجب فبأن ينظر في الالات والاسباب التي قوى بها على العبادة التي اورثته العجب من القدرة والعلم والاعضاء والرزق فأنه كله من الله سبحانه ولولاه لم يقدر على طاعته سبحانه ثم ينظر الى نعمه عليه في ارسال الرسل وخلق العقل الذي اهتدى به ثم ينظر فيه قيمة العمل الذي عمله فلا يجده مقابلاً لنعمة من هذه النعم وانما صار لعمله قيمة لما وقع من الله موقع الرضا، والا فترى الاجير يعمل طول النهار بدرهمين والحارس يسهر طول الليل بدرهم وكذلك اصحاب الصناعات والحرف واذا صرفت الفعل الى الله تعالى قصمت لله يوماً قال الله تعالى انما يوفَى الصابرون اجرهم بغير حساب.

وفي الخبر اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فهذا يومك الذي قيمته درهمان مع احتمال التعب العظيم قد صارت له هذه القيمة بتأخير غداء الى عشاء ولو قمت ليلة لله تعالى فقد قال في شأنك فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرّة اعين جزاءً بما كانوا يعملون فهذا الذي قيمته درهم صارت له هذه القيمة فحق اذن للعاقل ان يرى حقارة عمله وقلة مقداره من حيث هو وان لا يرى الا منّة الله عليه.

وحدثني اوثق مشايخي عن الصادق عليه السلام ان عابدا كان في الاعصار السابقة يعبد الله سبحانه في كهف جبل صائما نهاره قائماً ليله وكان قد انبت الله سبحانه له على باب ذلك الكهف شجرة رمان فكان يأكل منها كل ليلة واحدة ويدخر منها لشتائه فبقى يعبد الله تعالى خمسمائة عام تقريباً فاذا كان يوم القيامة امر الله سبحانه باحضار ذلك العابد فيقول للملائكة الرحمة اني قد عفوت عنه فادخلوه الجنة بفضلي فيقول العابد يا رب اني عبدتك كثيراً واريد ان ادخل الجنة بعبادتي فيقول سبحانه اراد منّا العدل يا ملائكتي زنوا عبادته مع ما انعمت عليه في الدنيا فتوضع اعماله كلها في كفّة من الميزان ويوضع في الكفة الاخرى رمانة واحدة من ذلك الرمان فيترجح الرمانة الواحدة على كل ذلك العمل فيبقى العابد متحيرا فيقول يا رب التمس منك الفضل فيدخله الجنة فهذا قيمة عبادته خمسمائة سنة لما عامله بالعدل هذا مع ان التوفيق للقيام بوظائف العبودية ليس الا منه تعالى كما اشير اليه في خبر داود عليه السلام حين اوحى الله اليه ان اشكرني حق شكري فقال يا رب كيف اشكرك والشكر نعمتك تستحق عليه شكراً؟ فقال يا داود اذا عرفت ان ذلك مني فقد شكرتني.

وروى ان بعض الوعاظ دخل يوما على هارون الرشيد فقال عظني فقال له يا امير المؤمنين اتراك لو منعت شربة من ماء عند عطشك بم كنت تشتريها؟ فقال بنصف ملكي قال يا

امير المؤمنين أتراها لو حبست عنك عند خروجها بم كنت تشتريها؟ قال بالنصف الباقي، قال فلا يغرنَك ملك قيمته شربة ماء، فانظر ايها العاقل كم تتناول في يومك وليلتك مما يساوي ملك الرشيد ويزيد عليه اضعافاً، فما قيمة عبادتك وما توقعه منك في يومك وليلتك فلو جعلت لله نفسا تقول فيه لا اله الا الله قال الله تعالى ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة ويرزقون فيها بغير حساب.

وروى ان عابداً عبد الله تعالى سبعين عاماً صائماً نهاره قائما ليله، فطلب الى الله حاجة فلم تقض فأقبل على نفسه وقال من قبلك أتيت لو كان عندك خير قضيت حاجتك فأنزل الله اليه ملكا فقال يا ابن آدم ساعتك التي ازريت فيها على نفسك خير من عبادتك التي مضت، ثم تأمل بعد ذلك ثلاثة امور احدها ان الملك من ملوك الدنيا اذا قرر لواحد من اتباعه طعاما او كسوة او دراهم فانه يستخدمه لاجلها بضروب الخدم في الليل والنهار بل ربما قام على رأسه ووقف امامه ركب لاجله لحجج البحار وربما بذل مهجته في مقاتلة اعدائه ولا ينفعه في الاخرة فهو يتحمل كل تلك المشاق لاجل تلك المنفعة الخسيسة الفانية ويعترف له بالنعمة والفضل مع ان تلك النعمة والفضل كله من الله فكيف تستكثر انت عملك الحقير المشوب بالافات والنقائص لربك الذي خلقك ولم تك شيئا مذكورا ثم رباك وانعم عليك فقال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها.

وثانيها ان تتفكر في ان الملك الذي من شأنه ان الملوك تخدمه أذا أذن في إدخال الهدايا عليه ووعد عليها بالعطاء العظيم، وأمر ان لايستحي أحد بهديته ولو كانت طاقة(بطاقةخ) بقل، فدخلت عليه الأمراء والأكابر بأنواع الهدايا ثم جاء بقال اليه بباقة (باقة خ) بقل تساوى درهما فدخل بها الى حضرته وزاحم أولئك الكابر بهداياهم الجليلة، فقبل الملك من الوضيع هديته ونظر اليها نظر القبول وأمر له بأنفس حلة قيمته مأة الف دينار كان منه غاية في الكرم والتفضل، ثم لو فرض ان هذا الفقير نظر بخاطره الى هديته وأستعظم أمرها وتعجب بها ونسى ذكر منة الملك قيل انه مجنون فاسد العقل والرأى.

وثالثها ان الملك الذي من شأنه ان تخدمه الملوك والأمراء وتقوم على رأسه السادات والعظماء ويتولى خدمته الحكماء اذا أذن لسوقيَ او قرويَ في الدخول عليه والقرب منه حتى زاحم اولئك الأكابر والسادات والأفاضل في خدمته، وجعل له مقاما في حضرته أليس يقال لقد كثرت على هذا الفقير المنه من الملك وعظمت عليه النعمة، فان أخذ هذا الفقير الحقير يمن على الملك بتلك الخدمة الحقيرة ويستعظم ذلك مع هذة النعمة الواصلة اليه ويعجب بعمله أليس ينسب الى محض السفه والجنون وكيف والهنا الذي وقف بخدمته الانبياء والرسلون

والملائكة المقربون ولا يخفى حال نبينا ﷺ في جدّه واجتهاده في عبادة ربه وكذلك من بعده من الائمة الطاهرين ﷺ ومع هذا كله قال ﷺ سبحانك ما عبدناك حق عبادتك فكيف تستعظم وتستكثر انت صلوة ركعتين محشوتين من العيوب والنقائص.

واما سرور المرء بعمله فقد علمت ان حقيقة الاخلاص ما قاله ﷺ ما بلغ عبد حقيقة الاخلاص حتى لا يحب ان يحمد على شيء من عمل الله وان الانسان يعمل لله مخلصاً لكن اذا عرفه الناس واثنوا عليه بذلك سرّه ذلك المدح ولا ينفك عن هذا، وكذلك اذا عمل الحسنة سر بعمله لها فهل يكون مثل هذا منافيا للاخلاص ام لا؟ واعلم ان رسول الله ﷺ سأل عن ذلك فيما رواه المفسرون عن سعيد بن جبير قال جاء رجل الى النبي ﷺ فقال اني اتصدق واصل الرحم ولا اصنع ذلك الا لله فيذكر مني واحمد عليه فيبرني ذلك واعجب به فسكت رسول الله ﷺ ولم يقل شيئاً فنزل قوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى اليّ انما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه احداً، قال بعض المحققين من الناسكين المتقين التحقيق ان السرور باطلاع الناس ينقسم الى قسمين محمود ومذموم فالمحمود ثلاثة.

الاول ان يكون من قصده اخفاء الطاعة والاخلاص لله سبحانه ولكن لما اطلع عليه الخلق علم ان الله اطلعهم عليه واظهر لهم الجميل من عمله تكرماً منه وتفضلاً، كما في الدعايا من اظهر الجميل وستر القبيح فيستدل بذلك على حسن صنع الله به فيكون فرحه بجميل صنع الله لا بحمد الناس وحصول المنزلة في قلوبهم قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا.

الثاني ان يستدل باظهار الجميل وستر القبيح في الدنيا انه يفعل به كذلك في الاخرة كما قل رسول الله ﷺ ما ستر الله على عبد في الدنيا الا ستر عليه في الاخرة الثالث ان تحمده المطلعون عليه فتسره طاعتهم لله في ذلك ومحبته طاعة الله فان من الناس من يرى اهل الطاعة فيمقتهم ويحسدهم ويهزء بهم وينسبهم الى التصنع فهذا النوع من الفرح حسن ليس بمذموم وعلامة الاخلاص في هذا النوع بأن لا يزيده اطلاعهم هذا بالعمل بل يستوي حالتاه في اطلاعهم وعدمه وان وجد في نفسه هزّة وزيادة في النشاط فليعلم انه مراء فليجتهد في ازالته برادع العقل والدين والا فهو من الهالكين.

واما المذموم فهو ان يكون فرحه لقيام منزلته عندهم ؟؟ ويعظموه ويقوموا بقضاء حاجاته ويقابلونه بالاكرام والتوقير فهذا رياء حقيقي ومحبط للعمل واما حديث النفس وما يخطره الشيطان بوسواسه ومن ارادة اطلاع الناس على العمل مع كونه ماقتا لنفسه وزاريا عليها على هذا الخاطر الذي قد عنّ لها فالظاهر انه لا شيء عليه في لانه لا ينفك عن الانسان ومن

هنا قال ﷺ عفى الله لامتي عما حدثت بها انفسها ما لم تنطق به او تعمل به لان حركة اللسان والجوارح مقدوران بخلاف خطرات الاوهام ووساوس القلوب نعم يجب مقابلة هذه الخطرات بأضدادها ومقابلة شهواتها بكراهتها.

واما سرور الانسان بحسناته فقد تحققت انه من علامات الايمان كما قال عليه السلام من سرته حسنته وسائته سيئته فهو مؤمن، وحيث انك تحققت من خبر معاذ السابق ان الصلوة تردّ من اول باب من ابواب السماء لاجل الغيبة فلا بأس بعقد نور يكشف عن احواله.

نجز الجزء الثاني من الكتاب على حسب تجزئتنا في الطبع ويليه الجزء الثالث واوله (نور يكشف عن احواله الغيبة) ونسأل الله التوفيق لاتمامه والحمد لله اولاً وآخرا، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين صلوات الله عليهم اجمعين.

محتويات الجزء الثاني

الأنوار النعمانية

لمؤلفه

العالم العامل والكامل الباذل صدر الحكماء ورئيس العلماء

السيد نعمة الله الجزائري

طاب ثراه وجعل الجنة مثواه

المتوفى ١١١٢ هـ

الجزء الثالث

دار القارئ

دار الكوفة

الطبعة الأولى
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

دار القارئ للطباعة والنشر والتوزيع
هاتف: ٤١٣٢٥٦ / ٠٣ بيروت ـ لبنان بريد إلكتروني: DAR_ALKARI@hotmail.com

دار الكوفة طباعة - نشر - توزيع - بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

(نور يكشف عن احوال الغيبة)

وفيه اقسامها المحظورة والجايزة وذكر التوبة منه وعلاجه وما يلحقه من المناسبات اعلم وفقك الله تعالى ان الغيبة من أعظم الكبائر وقد توعد عليها النار ومع هذا فهي ذنب قد طمّت بليّته الخاص والعام وقد احترز واعن غيره ولم يحترز واعنه وذلك لأمور:

احدها الغفلة عن تحريمه وماورد فيه من الوعد والوعيد ولآيات والرّوايات وهذا هو السبب الأقل لأهل الغفلات.

وثانيها انّ مثل هذه المعصية لايخل بمراتب الناس ولايسقط محلهم عندهم لخفاء هذا النوع من المنكر على من يرومون المنزلة عنده من اهل الجهالات وايضاً فإن الناس كلّهم في بلاء من هذه المصيبة ولو وسوس اليهم الشيطان ان اشربوا الخمر او زنوا بالمحصنات ما أطاعوه لظهور فحشه عند العامة ولو راجعوا عقولهم لوجدوا انّ الغيبة اشدّ نكالاً وعذاباً وتقبيحاً من ذنوب كثيرة خصوصاً ممّا كان حقه لله تعالى وحده.

وثالثها موافقة الناس في مجالسهم كما سيأتي بيانه ان شاء الله تعالى.

واما تعريفها في الأصطلاح فقد ذكر له اثنان احدهما مشهوري وهو ذكر الأنسان حال غيبته بما يكره نسبته اليه مما يعد نقصاً في العرف بقصد الأنتقاص والذم، وثانيها وهو الذي عوّلنا عليه في شرح الصحيفة انها التعرض لإنسان معين وما في حكمه بما يكون فيه بحيث لو سمعه لغضب ويعد في العرف نقصاً ويكون قاصداً لذلك النقص سواء كان ذلك التّعرض بالقول او الأشاة او الكناية او الكتابة، والتقيد بالمعين لإخراج مثل قولك في هذا البلد رجل فاسق وامّا عمر وفاسق فإنه امّا غيبة لأحدهما كما قيل ويترتب عليه ذنب واحد وامّا غيبة لكليهما فيكون عليه ذنبان وهو الأصّح لغضبهما عند سماع هذا القول واخراج مثل هذا القول عن الغيبة كما قيل به فاسد، وقولنا بما يكون فيه لإخراج البهتان والتهمة فانهما اشد ذنباً من الغيبة، والتقيد بكونه نقصاً لإخراج مثل نسبة عبادة او نحوها الى غائب بحيث لو سمعها لغضب فانّه لايعد غيبة.

وقولنا ويكون قاصداً لذلك النقص لإخراج ذكر العيب عند الطبيب مثلاً او لإستدعاء المرحمة من السلطان في حق الزمن والأعمى بذكر نقصانهما فانّه لايعد غيبة وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ترون ما الغيبة؟ فقالوا الله اعلم ورسوله أعلم، قال ذكرك أخاك بما يكره قيل أرأيت ان كان في أخي ما أقول؟ قال ان كان فيه ماتقول فقد اغتبته، وان لم يكن فيه فقد بهتّه،

وذكر عنده رجل فقالوا ماأعجزه فقال صلى الله عليه وآله وسلم اغتبتم صاحبكم فقالوا يارسول الله قلنا مافيه قال ان قلتم ماليس فيه فقد بهتّموه، وقد شبهت في القرآن بلحم الميتة فقال ولايغتب بعضكم بعضاً ايحب احدكم ان يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه.

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم كلّ المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم اياكم والغيبة فان الغيبة اشد من الزنا ان الرجل قد يزني فيتوب فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة لايغفر له حى يغفر صاحبه، وقال صلى الله عليه وآله وسلم مررت ليلة اسري بي على قوم يخمشون وجوههم بأظافيرهم، فقلت ياجبرئيل من هؤلاء؟ فقال هؤلاء يغتابون النّاس ويقعون في اعراضهم وقال صلى الله عليه وآله وسلم لاتغتابوا المسلمين ولاتتبعوا عوراتهم فانه من تتبع عورة اخيه تتبع الله عورته يفضحه في جوفق بيته.

وخطب عليه السلام ذات يوم فذكر الربا أعظم عند الله في الخطيئة من ستَ وثلاثين زنية يزنيها الرجل، وفي حديث آخر يزنيها الرجل بمحارمه في جوف الكعبة، ثم قال وانّ أربى الربا عرض الرجل المسلم وروي انّه صلى الله عليه وآله وسلم أمر بصوم يوم وقال لايفطرن أحد حتى آذن له، فصام الناس حتى اذا أمسوا جعل الرجل يجيء فيقول يارسول الله ظللت صائماً فاذن لي لأفطرن فاذن له والرّجل والرجل حتى جاء رجل فقال يارسول الله فتاتان من اهلي ظللتا صائمتين وانهما تستحيان فاذن لهما ان تفطرا، فأعرض عنه ثم عاوده فأعرض عنه، ثم عاوده فقال انهما لم تصوما وكيف صام من ظل هذا اليوم يأكل لحوم الناس؟ اذهب فمر هما ان كانتا صائمتين ان تستقيئا فرجع اليهما فأخبرهما، فاستقائا، فقاءت كل واحدة منها علقة من دم، فرجع الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال والذي نفس محمد بيده لو بقيتا في بطونهما لأكلتهما النار.

وفي رواية انه لما أعرض عنه جائه بعد ذلك وقال يارسول الله انهما والله لقد ماتا او كادتا ان تموتا، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إيتوني بهما، فجاءتا، فدعى بقدح فقال لأحدهما قيئي فقاءت من قيح ودم صديد حتى ملأت القدح، وقال للأخرى قيئي فقاءت كذلك، فقال ان هاتين صامتا عما احل الله لهما وافطرتا على ماحرم الله عليهما جلست احديهما على الأخرى فجعلتا يأكلان لحوم الناس، وروي انه من أكل لحم اخيه في الدنيا قرب اليه لحمه في الآخرة، فقيل له ميتا كما أكلته حياً، فيأكله ويكلح، ولّما رجم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الرجل في الزنا قال رجل لصاحبه هذا اقعص كما يقعص الكلب، فمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم معها بجيفة فقال انهشا منها، فقالا يارسول الله ننهش جيفة؟ فقال ما أصبتما من أخيكما أنتن من هذه.

وقال الصادق عليه السلام الغيبة حرام على كل مسلم، وانها لتأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب، وقد اوحى الله عز وجل الى موسى بن عمران انّ المغتاب اذا تاب فهو آخر من يدخل الجنة، وان لم يتب فهو اول من يدخل النّار، وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال من أغتاب مسلماً او مسلمة لم يقبل الله صلاته ولاصيامه أربعين يوماً وليلة الاّ ان يغفر له صاحبه، ومن أغتاب مسلماً في شهر رمضان لم يؤجر على صيامه.

وقال عليه السلام يؤتى بأحد يوم القيامة يوقف بين يدي الله ويدفع اليه كتابه فلا يرى حسناته، فيقول الهي ليس هذا كتابي، فانّي لا أرى فيه طاعتي، فيقال له ان ربك لايضل ولاينسى، ذهب عملك بأغتياب الناس ثم يؤتى بآخر فيدفع اليه كتابه فيرى فيه طاعات كثيرة، فيقول ياالهي ماهذا كتابي فاني ماعملت هذه الطاعات، فيقال ان فلاناً اغتابك فدفعت حسناته اليك، وقال عليه السلام كذب من زعم انه ولد من حلال وهو يأكل لحوم الناس بالغيبة اجتنب الغيبة فانّها إدام كلاب اهل النار.

وقال عليه السلام عذاب القبر من النميمة والغيبة والكذب، وروي ان عيسى عليه السلام مرَ والحواريَون على جيفة كلب، فقال الحواريون ما أنتن هذه، فقال عيسى عليه السلام ما أشدَ بياض أسنانه، كأنه ينهاهم عن غيبة الكلب وينبههم على انه لايذكر من خلق الله الاّ أحسنه، وقد قيل في السبب الموجب للتّشديد في أمر الغيبة وأنها أعظم من كثير من المعاصي هوأشتمالها على المفاسد الكلية المنافية لغرض الحكيم سبحانه، بخلاف باقي المعاصي فانها مستلزمة لمفاسد جزئية، وبيان ذلك ان المقاصد المهمة للشارع إجتماع النفوس على همَ واحد وطريقة واحدة، وهي سلوك سبيل الله بسائر وجوه الأوامر والنَواهي، ولايتم ذلك الا بالتعاون والتعاضد بين ابناء النّوع الأنساني، وذلك يتوقف على إجتماع هممِهم وتصافي بواطنهم، واجتماعهم على الألفة والمحبة حتى يكونوا بمنزلة عبد واحد في طاعة مولاه، ولن يتم ذلك الا بنفي الضَغائن والأحقاد والحسد، وكانت الغيبة مفرقة بينهم فكانت مستلزمة لنقيض غرض الشارع من خلق العالم ومافيه.

واما تفصيل اقسامها فهي كما عرفت التَعرض للمؤمن بما يكرهه بنقصان، وذلك النقصان إما في بدنه، او نسبه او خلقه بضم الخاء، او فعله، او قوله او دينه او دنياه او ثوبه او داره او دابته، وقد أشار الصادق عليه السلام الى ذلك مجملاً بقوله وجوه الغيبة يقع بذكر عيب في الخلق، والفعل والمعاملة والمذهب والجهل وأشباهه فالبدن كذكرك فيه العمش والحول والعمى وجميع مايكرهه من الأوصاف.

واما النسب فان يقول ابوه زان او فاسق او حائك او اسكاف او نحو ذلك ممّا يكرهه كيف كان، واما الخلق فأن يقول انَه سيء الخلق خسيس متكبر شديد الغضب ونحو ذلك، واما

افعاله المتعلقة بالدين فكقولك قليل الأدب، متهاون بالناس كثير الأكل اذا دخل المجلس يجلس في غير موضعه، واما في ثوبه فكقولك انه واسع الكم، طويل الذيل وسخ الثياب ونحو ذلك، وهذا لايكون مقصوراً على اللسان بل يجري في الكناية والأشارة والغمز والرموز، ومن ذلك ماروي عن عائشة انها قالت دخلت علينا امرأة، فلما ولّت اومأت بيدي أي قصيرة، فقال صلى الله عليه وآله وسلم إغتبتها، ومن ذلك تقليد الأعرج في مشيته، او كما يمشي الغير بل هو اشد من الغيبة، لأنه أعظم في التصوير والتفهيم، وكذلك الغيبة بالكتاب فان الكتاب كما قيل أحد اللسانين، ومن ذلك كما قاله الشهيد الثاني طاب ثراه ذكر المصنف شخصاً معيناً وتهجين كلامه في الكتاب الا ان يقترن به شيء من الأعذار المحوجة الى ذكره كمسائل الأجتهاد التي لايتم الغرض من الفتوى واقامة الدّليل على المطلوب الاّ بتزييف كلام الغير ونحو ذلك، ويجب الأقتصار على مايندفع به الحاجة.

وقد بقي افراد خفية من الغيبة، الفرد الأول ممّا يستعمله أهل العلم والمعرفة المرائين، فأنّهم يفهمون المقصود على صنعة أهل الصلاح ويظهرون التعفف عن الغيبة ولايدرون، لجهلهم انهم جمعوا بين الرياء والغيبة، وذلك مثل ان يذكر عنده إنسان فيقول الحمد لله الذي لم يبتلينا بحب الرّئاسة او بحب الدنيا، ويقول نعوذ بالله من قلة الحياء او من سوء التوفيق، او نسأل الله ان يعصمنا من كذا، بل مجرد الحمد على شيء اذا علم اتصاف المحدث عنه بما نافيه ونحو ذلك، فانه يغتابه بلفظ الدّعاء وسمة أهل الصلاح، وانّما قصد ان يذكر عيبه بضرب من الكلام المشتمل على الغيبة والرياء ودعوى الخلاص من الزذائل وهو عنوان الوقوع فيها.

الثاني ان يقدم من يريد غيبته فيقول ماأحسن أحوال فلان ماكان يقصر في العبادات ولكن قد اعتراه فتر وابتلي بما نبلي به كلّنا وهو قلّة الصبر، فيذكر نفسه بالذّم ومقصوده ان يذّم غيره وان يمدح نفسه بالتّشبّه بالصالحين في ذم أنفسهم، فيكون مغتاباً مرائياً مزكياً نفسه، فيجمع بين ثلاث فواحش وهو ان يظن لجهله انّه من الصالحين المتعففين عن الغيبة، هكذا يلعب الشيطان بأهل الجهل اذا أشتغلوا بالعلم او العمل من غير ان يتفطّنوا الطريق، الثالث ان يذكر ذاكر عيب الأنسان فلا ينتبه له بعض الحاضرين فيقول سبحان الله ما أعجب هذا حتى يصغي الغافل الى المغتاب ويعلم مايقوله فيذكر الله، ويستعمل اسمه آلة في تحقيق خبثه وباطله وهو يمنّ على الله بذكره جهلاً وغروراً.

الرابع ان يقول جرى لصاحبنا او صديقنا كذا تاب الله علينا وعليه، يظهر الدعاء له والتألم والصداقة والصحبة والله مطّلع على خبث سريرته، وهو لايدري انّه قد تعرض لمقت أعظم ممّا يتعرض له الجهّال اذا جاهروا بالغيبة، الخامس الأصغاء الى الغيبة على سبيل التعجب

فانَه انَما يظهر التعجب ليزيد نشاط المغتاب في الغيبة، فيزيد فيها لأستخراج الغيبة منه بهذا الطريق، فيقول عجبت ممَا ذكرته ما كنت أعرف من فلان ذلك، يريد بذلك تصديق المغتاب واستدعاء الزيادة منه باللَطف والتصديق بها غيبة بل الأصغاء اليها بل السكوت عند سماعها، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المستمع احد المغتابين وذلك انّ احدهما يتكيَف لسانه بها والآخر يتكيَف سمعه بها، فالمستمع لايخرج من اثم الغيبة الاّ بأن ينكر بلسانه، فان خاف فبقلبه وان قدر على القيام او قطع الكلام بكلام غيره فلم يفعله لزمه ولو قال بلسانه اسكت وهو يشهي ذلك بقلبه فذلك نفاق وفاحشة أخرى زائدة لاتخرجه عن الأثم مالم يكرهه بقلبه.

وقد روى عن النبي صلى الله عليه واله انه قال من اذل عنده مؤمن وهو يقدر على ان ينصره فلم ينصره اذله الله يوم القيامه على روس الاشهاد(الخلائق خ)وقال صلى الله عليه واله من رد عن عرض اخيه بالغيب كان حتما على الله ان يرد عن عرضه يوم القيامه ، وقال صلى الله عليه واله من رد عن عرض اخيه بالغيب كان حتما على الله ان يعتقه من النار، وروى الصدوق ره باسناده الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال من تطول على اخيه في غيبة سمعها منه في مجلس فردها عنه رد الله عنه ألف باب من الشر في الدنيا وىلآخرة، وان هو لم يردها وهو قادر على ردها كان عليه كوزر من أغتابه سبعين مرة.

واما العلاج الذي يمنع الأنسان عن الغيبة فأعلم ان مساوىء الأخلاق انما تعالج بمعجون العلم والعمل وانما علاج كل علة بمضاد سببه فلنذكر اسباب الغيبة اولاً ثم نذكر علاج كف اللسان عنها على وجه يناسب علاج تلك الأسباب، فنقول جملة ماذكروه من الأسباب الباعثة على الغيبة عشرة أشياء، وقد أشار الصادق عليه السلام اليها إجمالاً بقوله الغيبة تتنوع بعشرة انواع، شفاء غيض، ومساعدة قوم، وتصديق خبر بلا كشفه، والتبري من عيب، وسوء ظن وحسد وسخرية وتعجب وتبرم وتزين.

واما تفصيلها اولها تشفي الغيظ وذلك اذا جرى سبب غضب فاذا هاج الغضب تشفى بذكر مساوئه وسبق اللسان اليه بالطبع ان لم يكن دين وورع(ديناً وورعاً)، وقد يمنع من تشفي الغيظ عند الغضب فيحتقن الغضب في الباطن ويصير عقداً ثانياً، فيكون سبباً لذكر المساوىء، فالحقد والغضب هما البواعث العظيمة على الغيبة، الثاني موافقة الأقران ومجالسة الرفقاء ومساعدتهم على الكلام فانهم اذا كانوا يتفكهون بذكر الأعراض فيرى انه لو انكر او قطع المجلس استثقلوه ونفروا عنه فيساعدهم، ويرى ذلك من حسن المعاشرة ويظن انه مجاملة في الصحبة وقد يغضب رفقاؤه فيحتاج الى ان يغضب لغضبهم اظهاراً للمساهمة في السراء والضراء فيخوض معهم في ذكر العيوب والمساوىء، الثالث ان يستشعر من أنسان انه سيقصده ويطول لسانه او يشهد

عليه بشهادة فيبادر قبل ذاك ويطعن فيه ليسقط أثر شهادته وفعله او يبتدي بذكر مافيه صادقاً ليكذب عليه بعده فيروج كذبه بالصدق الأول ويستشهد به ويقول مامن عادتي الكذب فاني اخبرتكم بكذا وكذا من أحواله فكان كما قلت، الرابع ا ينسب الى شيء فيريد ان يتبرىء منه فيذكر الذي فعله وكان حقه ان يبري نفسه ولايذكر الذي فعله ولاينسب غيره اليه او يذكر غيره بانه كان مشاركاً له في الفعل ليمهد بذلك عذر نفسه الخامس ارادة التصنع والمباهاة وهو ان يرفع نفسه بتنقيص غيره فيقول فلان جاهل وفهمه ركيك، وغرضه ان يثبت في ضمن ذلك فضل نفسه ويوهم انه افضل منه او يحذر ان يعظم مثل تعظيمه فيقدح فيه بذلك السادس الحسد وهو انه ربما حد من ثني الناس عليه ويحبونه فيريد زوال تلك النعمة عنه فلا يجد سبيل اليه الا بالقدح فيه فيريد ان يسقط محله عند الناس حتى يكفوا عن اكرامه والثناء عليه السابع اللعب والهزل والمطايبة وتزيين الوقت بالضحك فيذكر غيره بما يضحك الناس على سبيل المحاكاة والتعجب والتعجيب، الثامن السخرية والأستهزاء استحقاراً له فان ذلك قد يجري في الحضور فيجري ايضاً في الغيبة ومنشأة التكبر استصغار المستهزىء به التاسع وهو مأخذ دقيق ربما يقع فيه الخواص وهو ان يغتم بسبب ما يبتلى به احد فيقول يامسكين فلان قد غمني امره ويذكر سبب الغم ويكون صادقاً في اهتمامه ويلهيه الغم عن ذكر اسمه فيذكره بما يكرهه فيصير به مغتاباً فيكون غمه ورحمته خيراً ولكن ساقه الى شر من حيث لايدري والترحم والتغمم ممكن من دون ذكر اسمه ونسبته الى مايكره فيهيجه الشيطان على ذكر اسمه ليبطل به ثواب اغتمامه وترحمه العاشر الغضب لله تعالى فانه قد يغضب على منكر قارفه فيظهر غضبه ويذكر اسمه على غير وجه النهي عن المنكر وكان الواجب ان يظهر غضبه عليه على ذلك الوجه خاصة وهذا مما يقع فيه الخواص ايضاً فانهم يظنون ان الغضب اذا كان لله تعالى كان عذراً كيف كان وليس كذلك واما علاجات هذه الأمور فهي امران مجمل ومفصل اما الأول فبان يعلم انه تعرض لسخط الله تعالى ونقل حسناته الى ميزان غيره ويشتغل في تدبير عيوب نفسه عن عيوب غيره وان كان ذماً خلقياً فالذم له ذم للخالق، من ذم صنعه فقد ذم الصانع، قال رجل لبعض الحكماء ياقبيح فقال ماكان خلق وجهي الي فأحسنه وروي ان نوحاً عليه السلام مر على كلب اجرب فقال ماهذا الكلب؟ فنطق الكلب وقال يانوح هكذا خلقني ربي فان قدرت ان تغير صورتي باحسن من هذه الصورة فافعل، فتندم"فندم" على ماقال وبكى على هذه المقالة اربعين سنة فسمّاه الله نوحاً وكان اسمه عبد الملك او عبد الجبار واما الثاني فهو ان ينظر الى السبب الباعث له على الغيبة ويعالجه فان علاج العلة يقطع شينها وقد عرفت الأسباب الباعثة اما الغضب فيعالجه بان يقول ان امضيت غضبي عليه لعل الله تعالى يمضي علي بسبب الغيبة اذ نهاني عنها وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان لجنهم باباً لايدخله الا

من شفى غيضه بمعصية الله وقال صلى الله عليه وآله وسلم من كظم غيظاً وهو يقدر ان يمضيه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره في أي الحور شاء وفي بعض كتب الله ياأبن آدم اذكرني حين تغضب اذكرك حين اغضب فلا امحقك حين امحق واما الموافقة فبان تعلم ان الله تعالى يغضب عليك اذا طلبت سخطه في رضاء المخلوقين فكيف ترضى لنفسك ان توقر غيرك وتحقَر مولاك فتترك رضاه لرضاهم الا ان يكون غضبك لله تعالى وذلك لايوجب ان تذكر المغضوب عليهم بسوء بل ينبغي ان تغضب لله ايضاً على رفقائك اذ ذكروه بالسوء فانهم عصوا ربك بأفحش الذنوب وهو الغيبة واما تنزيه النفس بنسبة الخيانة الى الغير حيث يستغني عن ذكر الغير فيعالجه بأن يعرف ان التعرض لمقت الخالق اشد من التعرض لمقت الخلق وانت بالغيبة متعرض لسخط الله تعالى يقيناً ولاتدري انك تتخلص من سخط الناس ام لا فتخلَص نفسك في الدَنيا بالتوهم وتهلك في الآخرة وتخسر حسناتك بالحقيقة وتحصل ذم الله تعالى لك نقداً وتنتظر دفع ذمَ الخلق نسية وهذا غاية الجهل والخذلان.

واما عذرك كقولك انَي ان اكلت الحرام ففلان يأكل وان فعلت كذا فلان يفعل وان قصرت في كذا من الطاعة ففلان مقصرَ ونحو ذلك فهذا جهل لأنَك تعتذر بالإقتداء بمن لايجوز الأقتداء به، فانَ من خالف أمر الله تعالى لايقتدي به كائناً من كان، ولو دخل غيرك النار وانت تقدر على ان تدخلها لم توافقه ولو وافقته سفه عقلك فما ذكرته غيبة وزيادة معصية اضفتها ما أعتذرت عنه وسجلت مع الجمع بين المعصيتين على جهلك وغباوتك وكنت كالشاة تنظر الى الغير تردَي نفسه من الجبل فهي ايضاً تردَي نفسها، ولو كان لها لسان وصرَحت بالعذر وقالت الغير اكيس منَي وقد اهلك نفسه فكذلك افعل لكنت تضحك جهلها، وحالك مثل حالها ثم لاتتعجَب ولاتضحك من نفسك.

واما قصدك المباهاة وتزكية النفس بزيادة الفضل بأن تقدح في غيرك فينبغي ان تعلم بما ذكرته أبطلت فضلك عند الله تعالى وانت من إعتقاد الناس فضلك على خطر وربما نقص إعتقادهم فيك اذا عرفوك بثلب الناس[1] واما الغيبة للحسد وهو جمع بين عذابين لأنَك حسدته على نعمة الدنيا وكنت معذَباً بالحسد فما قنعت بذلك حتى أضفت اليه عذاب الآخرة فكنت خاسراً في الدَنيا فجعلت نفسك خاسراً في الآخرة لتجمع بين النَكالين، فقد قصدت محسودك فأصبت نفسك وأهديت اليه حسنتك فاذا انت صديقه وعدوَ نفسك، اذ لاتضره غيبتك وتضرك وتنفعه لأنتقال حسناتك اليه وسيئآته اليك، فقد جمعت الى خبث الحسد جهل الحماقة وربَما

---

(١)(ثلبه ثلباً) عابه ولامه.اغتابه،سبه.طرده.

يكون حسدك وقدحك فيه سبب إنتشار فضله، فقد قي واذا اراد الله نشر فضيلة طويت اتاح لها لسان حسود

وقد جاء في الرواية عن امير المؤمنين عليه السلام انّ من اغتابك فهو اصدق اصدقائك، وذلك انَه رجَحك على نفسه بأن رضي بدخول النار ورضي لك بدخول الجنة فمن آثرك على نفسه فهو الصديق، وفي حديث ىخر أنه أتعب نفسه بالصيام والقيام ووضع ذلك في طبق مغشي وأرسله اليك هدية بدل ماأغتابك فكيف لايكون صديقك وقال رجل لعابد انَي قد رق قلبي لك هذا اليوم ورحمك، فقال ممّ؟ فقال من استغابة الناس لك، فقال سمعت مني يوماً انّي استغبت احداً منهم، فقال لا، فقال غذن فارحمهم فهم محل الرحمة.

اما الأستهزاء فمقصودك منه اخزاء غيرك عند الناس باخزاء نفسك عند الله تعالى وعند الملائكة، فلو تفكَرت في حسرتك وخجلتك وخزيك يوم تحمل سيئات من استهزأت به وتساق به الى النار لأدهشك ذلك عن اخزاء صاحبك، ولو عرفت حالك لعرفت انك انت المضحكة فانك سخرت به عند نفر قليل وعرضَت نفسك لأن يأخذ بيدك في القيامة على ملإ من الناس ويسوقك كما يساق الحمار الى النار مستهزئاً بك وفرحاً بخزيك، واما الرحمة له على اثمه فهو حسن ولكن حسدك ابليس فاستنطقك بما ينقل من حسناتك اليه ماهو أكثر من رحمتك فيكون جبراً لإثم المرحوم فتصير انت المرحوم لاهو اذ حبط أجرك ونقصت حسناتك.

واما الأعذار المسوغة للغيبة فقد حصرها الأصحاب رضوان الله عليهم في عشرة الأول التظلَم كأن يتظلَم من قاض ظلمه عند من يرجو منه ازالة ظلمه، فانّه يجوز له ان ينسب القاضي الى الظلم، اذ لايمكن استيفاء حقه الا به فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم لصاحب الحق مقال وقال مطل الواجد يحلّ عقوبته وعرضه.

الثاني الأستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي الى منهج الصلاح، وهذا يرجع الى النيّة والقصد.

الثالث الأستفتاء كما تقول للمفتي قد ظلمني أبي وأخي فكيف طريقي في الخلاص والأولى هنا التعريض بأن يقول ماقولك في رجل ظلمه أبوه أو أخوه، وقد روي ان هنداً قالت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أن ابا سفيان رجل شحيح لايعطيني مايكفيني أنا وولدي أفأخذ من غير علمه؟ فقال خذي مايكفيك وولد ك بالمعروف، فذكرت الشحّ والظّلم ولم يزجرها النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذ كان قصدها الأستفتاء.

الرابع تحذير المسلم من الوقوع في الخطر والشّرّ ونصح المستبشر فاذا رأيت متفقها يتلبس بما ليس من أهله فلك ان تنبّه الناس على نقصه وقصوره عمّا يؤهل نفسه له وكذا اذا رأيت رجلاً

يتردد الى فاسق يخفي امره وفت عليه من الوقوع بسبب الصّحبة بما لايوافق الشّرع فلك ان تنبههم على فسقه مهما كان، وكذلك اذا كان في العبد عيب فلك ان تحدّثه بعيوبه ولكن تقتصر في كل عيب على محل الحاجة ولاتذكر العيب الآخر الذّي لامدخل له في التحذير، وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم أترعوون عن ذكر الفاجر حتى يعرفه الناس اذكروه بما فيه تحذره الناس، وقال صلى الله عليه وآله وسلملفاطمة بنت قيس حين شاورته في خطّابها أما معاوية فرجل ملوك لامال له، وأما ابو جهم فلا يضع العصا عن عاتقة.

الخامس الجرح والتعديل للشاهد والراوي، ومن ثم وضع العلماء كتب الرّجال وذكروا اسباب الجرح لكن يشترط ان يكون القصد فيه صحيحاً.

السادس ان يكون المقول فيه مخستحقاً لتظاهره بسببه كالفاسق المتجاهر بفسقه بحيث لايستنكف من ان يذكر بذلك الفعل الذّي يرتكبه، فيذكر بما هو فيه لابغيره، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من ألقى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة له، وظاهر الخبر جواز غيبته ان استنكف من ذكر ذلك الذنب وان يكون معنى الحديث انّ من نزع جلباب الحياء لاغيبة له يعني انّ ما يقال فيه لايدخل في الغيبة ولايطلق عليه لفظها الا انّها غيبة جائزة، وفي جواز أغتياب مطلق الفاسق إحتمال ناش من قوله صلى الله عليه وآله وسلم لاغيبة لفاسق ورد بمعنى اصل الحديث، وبحمله على فاسق خاص، او بحمله على النبي وان كان بصورة الخبر، وهذا هو الأجود الا ان يتعلق بذلك غرض ديني ومقصد صحيح يعود على المغتاب بأن يرجو إرتداعه عن معصيته بذلك، فيلحق بباب النهي عن المنكر.

السابع ان يكون الأنسان معروفاً باسم يفصح عن عيبه كالأعرج والأعمش فلا إثم على من يقول ذلك، فقد فعل العلماء ذلك لضرورة التّعريف ولإنّه صار بحيث لايكرهه صاحبه لو علمه بعد ان صار مشهوراً به.

الثامن لو اطلع العدد الذين ثبت بهم الحدّ او التّعزيز على فاحشة جاز ذكرها عند الحكّام بصورة الشهادة في حضرة الفاعل وغيبته ولايجوز التّعرض اليها في غير ذلك الاّ ان يتّجه فيه أحد الوجوه الأخرى.

التاسع قيل اذا علم اثنان من رجل معصيته شاهداها فأجرى أحدهما ذكرها في غيبة ذلك العاصي جاز لأنّه لايؤثّر عند السّامع شيئاً وان كان الأولى تنزيه النفس واللّسان عن ذلك لغرض من الأغراض المذكورة وخصوصاً مع أحتمال نسيان المقول لتلك المعصية او خوف استتارها عنهما.

العاشر اذا سمع احد مغتاباً لآخر وهو لايعلم استحقاق المقول عنه فيحمل فعل القائل على الصّحة مالم يعلم فساده لأنَ ردعه يستلزم انتهاك حرمته وهو ان احد المحرمين والأولى التنبيه على ذلك الى ان يتحقَق المحتاج منه لعموم الأدلَة وترك الأستفصال فيها وهو دليل ارادة العموم حذراً من الأغراء بالجهل، ولأنَ ذلك لو تمّ لتمشى فيمن يعلم عدم استحقاق المقول عنه بالنسبة الى السامع لإحتمال إطّلاع القائل على مايوجب تسويغ مقاله وهو يهدم قاعدة النبي عن الغيبة، وهذا الفرد مستثنى من جهة سماع الغيبة، وبالجملة فأمر الغيبة في غاية الأشكال وعلى الله الأتكال، بقي الكلام في كفارة الغيبة.

اعلم ان الواجب على المغتاب ان يندم ويتوب ويتأسف على افعل ليخرج من حق الله تعالى ثم يستحلَ المغتاب ليحلَه فيخرج عن مظلمته، وينبغي ان يستحلَه وهو حزين نادم والاَ فالمرائي قد يطلب المحالة فيكون عليه ذنب آخر، وقد ورد في كفّارتها حديثان احدهما قوله صلى الله عليه وآله وسلم كفَارة من أغتبته ان تستغفر له، وفي حديث آخر كلّما ذكرته، ومعنى قوله كلَما ذكرته يعني كلما ذكرته على طريق الغيبة، او كلّما عنَ في خاطرك او جرى ذكره على لسانك بعد المحالة الأولى، الثاني قوله صلى الله عليه وآله وسلم من كانت لأخيه عنده مظلمة في عرض او مال فليستحللها(فليحتلّها خ) منه قبل ان يأتي يوم ليس هناك دينار ولادرهم يؤخذ من حسناته فان لم يكن له حسنات أخذ من سيّئات صاحبه فيزيد على سيّئاته، وجمع بين الحديثين شيخنا الشهيد الثاني قدّس الله روحه يحمل الأستغفار على من لم يبلغ غيبة المغتاب فينبغي الأقتصار على الدّعاء له والأستغفار لأنَ في محالته إثارة للفتنة وجلباً للضغائن، وفي حكم من لم يبلغه من لم يقدر على الوصول اليه لموت او غيبة، وحمل المحالة على من يمكن التَوصّل اليه مع بلوغه الغيبة، أقول ويمكن الجمع بينهما بوجهين.

احدهما ان الأستغفار له كفَارة معجلَة تكون مقارنة للغيبة والمحالة متأخَرة عنه فيجب عليه المبادرة بذاك لعدم توقّفه على التّمكن وعدمه والمحالة اذا تمكن بعد هذا فيكون الواجب اثنين لا واحداً كما هو مذكور في القول الأول.

الثاني حمل الأستغفار على الأستحباب، والواجب انما المحالة لاغير، واذا جاء الى المغتاب فينبغي ان لايظهر له الكلام الذي اغتابه خوفاً من اثارة الشحناء وتجديد العداوة، بل يقول له يأخي لك عليّ حقوق عرضية وأريد تحالني منها ونحو ذلك من العبارات المجملة، ويستحب للمتعذر اليه قبول العذر والمحالة استحباباً مؤكّداً، قال الله تعالى{خذ العفو}الآية، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ياجبرئيل ماهذا العفو؟ فقال ان الله يأمرك ان تعفو عمّن ظلمك، وتصل من قطعك، وتعطي من حرمك.

وروي عن بعضهم انّ رجلاً قال لقد اغتابك فلان، فبعث اليه طبقاً من الرطب وقال بلغني انّك قد أهديت اليّ حسناتك فأردت ان أكافئك عليها، فاعذرني فاني لااقدر ان أكافئك على التمام، ولافرق بين غيبة الصغير والكبير والحي والميت والذكر والأنثى، وليكن الأستغفار والدّعاء على حسب مايليق بحاله، فيدعو للصّغير بالهداية وللميّت بالرحمة والمغفرة ونحو ذلك، ولايسقط الحق بإباحة عرضه للنّاس لأنّه عفو عمّا يجب، ولقد صرّح الفقهاء بأنّ من أباح قذف نفسه لم يسقط حقّه من حدّه، وما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أيعجز احدكم ان يكون كأبي ضمضم، كان اذا خرج من بيته قال اللّهم اني تصدّقت بعرضي على الناس، معناه انّي لااطلب مظلمته في القيامة ولا أخاصم عليها لا انّ غيبته صارت بذلك حلالاً، ويجب النيّة لها كباقي الكفارات.

(نور يكشف عن الحسد والنميمة ولواحقهما)

اعلم ان الحسد من اعضل[١] الأدواء وأكبر المعاصي وأفسدها للقلب، وكفى به شراً انّه اول خطيئة عصي الله تعالى بها، وذلك هو حسد ابليس لأبينا آدم عليه السلام فاستمرت تلك البلية الى يوم القيامة، وقد امر الله تعالى نبيه بالإستعاذة منه فقال{من شر حاسد اذا حسد}، بعد ان استعاذ من اليطان والساحر فأنزله منزلتهما، وقال صلى الله عليه وآله وسلم الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب[٢].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم ستّة يدخلون النار قبل الحساب بستّة، الأمراء بالجور، والعرب بالعصبية، والدّهاقين بالكبر، والتّجار بالخيانة، واهل الرستاق بالجهالة، والعلماء بالحسد، وفي حديث آخر ان الحسد عشرة اجزاء منها تسعة بين العلماء وواحد في الناس ولهم من ذلك الجرء والحظّ الأوفر، وقال عليه السلام لايخلو المؤمن من شيطان يغويه، ومنافق يقفو اثره، ومؤمن يحسده، اما انّه اشد عليه، وذلك انّه يقول القول فيه فيصدق.

وعن داود الرقيّ قال سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول اتّقوا الله ولايحسد بعضكم بعضاً انّ عيسى بن مريم عليه السلام كان من شرائعه السيح في البلاد فخرج فخرج في بعض سيحه ومعه رجل من أصحابه قصير، وكان كثير اللزوم لعيسى فلما انتهى عيسى الى البحر فقال بسم الله بصحّة يقين منه فمشى على ظهر الماء، فقال الرجل القصير حين نظر الى عيسى جاز بسم الله بصحّة يقين منه فمشى على الماء ولحق بعيسى عليه السلام فدخله العجب بنفسه، فقال هذا

---

(١)أي من أعيا الأدواء.

(٢)حسد المرء يأكل الحسنات   وان اعتاد على كسبها سنوات.

عيسى روح الله يمشي على الماء وانا امشي على الماء فما فضله عليّ، قال فرمس في الماء فاستغاث بعيسى عليه السلام فتناوله من الماء فأخرجه ثم قال له ماقلت ياقصير؟ قال قلت هذا روح الله يمشي على الماء فدخلني من ذلك عجب، فقال له عيسى لقد وضعت نفسك في غير الموضع الذي وضعك الله فيه فمقتك الله على ماقلت فتب الى الله تعالى ممَ قلت قال فتاب الرجل وعاد الى مرتبه التي وضعه الله فيها، فاتقوا الله ولايحسدن بعضكم بعضاً وقال صلى الله عليه وآله وسلم كاد الفقر ان يكون كفراً، وكاد الحسد ان يغلب القدر، وقال الصادق عليه السلام انّ المؤمن يغبط ولايحسد، وان المنافق يحسد ولايغبط، وفي خبر معاذ الطويل ان صلاة الحاسد ترد من السماء الخامسة، وقال الصادق عليه السلام الحاسد مضرّ بنفسه قبل ان يضرّ بالمحسود كإبليس اورث بحسده له اللّعنة ولآدم عليه السلام الأجتباء والهدى والرّفع الى محل حقائق العهد والأصطفاء، فكن محسوداً ولاتكن حاسداً فانّ ميزان الحاسد ابداً خفيف يثقل ميزان المحسود، والرزق مقسوم فما ينفع الحسد الحاسد، ومايضرّ المحسود الحسد، والحسد يهيج خمسة اشياء:

احدها افساد الطّاعات لما عرفت من انه يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب، والثاني فعل المعاصي والشرور، والثالث التعب والغم من غير فائدة بل مع كل وزر، والرابع الحرمان والخذلان فلا يكاد يظفر بمراد ولاينصر على عدوّ، وكيف يظفر بمراده ومراده زوال نعم الله عن عباده، وكيف ينصر على اعدائه وهم عباد الله الّذين ساق اليهم النعم لتأهّلهم لها.

فان قلت قد ظهر من هذه الأخبار والكلمات انّ الحاسد لايضر المحسود ولايكون حسده باعثاً لزوال نعم الله سبحانه فكيف يجمع هذا مع قوله صلى الله عليه وآله وسلم كاد الحسد ان يغلب القدر، فانّ ظاهره انّ للحسد تأثيراً شديداً في أمر المحسود وزوال النّعمة عنه، قلت وجه الجمع انّ الحاسد وان كان سبباً في زوال تلك النعمة عن المحسود كتأثير العين الصّائبة الاّ انه ينقل المحسود من نعمة حقيرة الى نعمة جزيلة، امّا في الدّنيا بأن يكون الحاسد مثلاً سبباً في زوال نعمة تأتي المحسود من بعض إخوانه، فأوقع الحاسد اموراً منعت من وصول تلك النعمة اليه كما يتفق في كثير من الأوقات، فاذا كان كذلك ساق الله سبحانه تلك النعمة اليه من محل آخر بناء على ماعرفت من انّ الرزق مقسوم، ومن قوله صلى الله عليه وآله وسلم لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب، وامّا في الآخرة والأمور المتعلقة بها فقد يكون حسد الحاسد باعثا لإرتقاء درجات المحسود كما في حكاية ابليس لآدم عليه السلام فانه انما ارتقى الى درجة الأصطفاء والعصمة بأعماله العظيمة التي وقعت بعد الحسد اذا عرفت هذا فأعلم انه قد بقي هنا امور:الأول حقيقة الحسد هو انبعاث القوة الشهوية الى تمني مال الغير او حاله التي هو عليها وزوالها عن ذلك الغير وهو مستلزم لحركة القوة الغضبية ولذلك قال علي عليه السلام الحاسد

مغتاظ على من لاذنب له وقد اتفق العقلاء على ان الحسد مع انه رذيلة عظيمة للنفس فهو من الأسباب العظيمة لخراب العالم اذا كان الحاسد كثيراً مايكون حركاته وسعيه في هلاك ارباب الفضائل واهل الشرف والأموال الذين تقوم بوجودهم عمارة الأرض اذ لايتعلق الحسد بغيرهم من اهل الخسة والفقر.

واما الغبطة المحمودة فهي انّك لاتتمنى زوال تلك النعمة عنه ولكنّك تشتهي لنفسك مثلها كما قال الصادق عليه السلام انما نغبطكم يا أهل العراق على الأرز.

الثاني في الأسباب المثيرة للحسد وقد حصروها في سبعة: العداوة والتعزز والتكبر والتعجب والخوف من فوت المقاصد وحب الرئاسة وخبث النفس وبخلها فانه انما يكره النعمة عليه اما لأنه عدوه لايريد له الخير وهذا لايختص بالأمثال واما لأنه يخاف ان يتكبر بالنعمة عليه وهو لايطيق احتمال كبره وعظمته لعزة نفسه وهو المراد بالتعزز واما ان يكون في طبعه ان يتكبر على المحسود ويتمنع ذلك عليه بنعمته وهو المراد بالتكبّر واما ان تكون النعمة عظيمة والمنصب كبيراً ويتعجب من فوز مثله بمثل تلك النعمة وهو التعجب واما ان يخاف من فوات مقاصده بسبب نعمته بأن يتواصل به الى مزاحمته في اغراضه واما ا يكون لحب الرئاسة التي تبتنى على الأختصاص بنعمة لايساوي فيها، واما ان لايكون بسبب من هذا الأسباب بل بخبث النّفس وشحّها بالخير لعباد الله.

وقد أشار سبحانه الى السّبب الأوّل بقوله{ودوا ماعنتّم قد بدت البغضاء من أفواههم} والى الثالثة بقوله{لو انزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم}، أي كان لايثقل علينا الأنقياد لأنهم قالوا كيف يتقدم علينا غلام يتيم، والى الرابعة بقوله{ما أنتم الا بشر مثلنا}، وأعظم الأسباب فساد الخامس والسادس لتعلقهما غالباً بعلماء السوء ومناط الخامس يرجع الى متزاحمين على مطلوب واحد ومن هذا الباب تحاسد الضّرات في التّزاحم على مقاصد الزوجية.

الثالث في بيان الدواء الذّي ينقي مرض الحسد عن القلب الا بالعلم والعمل، والعلم النافع لغرض الحسد هو ان يعلم يقيناً ان الحسد ضرر عليك في الدنيا والدين ولاضرر به على المحسود في الدنيا ولا في الدين بل ينتفع به فيها فيه ومهما عرفت هذا عن بصير ولم تكن عدوّ نفسك وصديق عدوّك فارقت الحسد لامحالة وما أحسن ماقيل:

لامات أعداؤك بل خلدوا	حتى يروا منك الذي يكمد
لازلت محسوداً على نعمة	فانّما الكامل من يحسد

وفي هذا الحديث انّ اهل الجنة ثلاثة المحسن والمحب له والكاف عنه، أي من يكف عنه الأذى والحد والبغض، هذا مجمل الكلام في الحسد.
واما النميمة فهي نقل قول الغير الى المقول فيه كما تقول فلان تكلم فيك بكذا وكذا سواء كان نقل ذلك بالقول ام بالكتابة ام بالإشارة والرمز، وذلك انّ النقل كثيراً مايكون متعلّقه نقصاناً او عيباً في المحكي عنه موجباً لكراهته وإعراضه عنه فيكون راجعاً الى الغيبة ايضاً، فقد جمع بين معصية الغيبة والنّميمة، وهي من المعاصي العظيمة لأنّها توجب العداوة بين الأحباب وتهدم حصول الألفة بين الأقارب والأنساب ومن ثم قال سبحانه {همّاز مشاء بنميم}، وقال{عتل بعد ذلك زنيم}، قال بعض العلماء دلّت هذه الآية على انّ من لم يكتم الحديث ومشى بالنّميمة ولد زنا لأنَ الزنيم هو الدعي، وقال تعالى في امرأة نوح ولوط{فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النّار مع الدّاخلين}، وكانت امرأة لوط تخبر بالضّيفان، وامرأة نوح تخبر بأنّه مجنون، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم ان الله تعالى لما خلق الجنة قال لها تكلمي، قالت سعد من دخلني، قال الجبّار جل جلاله وعزتي وجلالي لايسكن فيك ثمانية نفر من الناس، لايسكن فيك مدمن خمر، ولامصر على الزنا، ولاقتّات وهو النّمام، ولاديّوث ولاشرطيّ، ولامخنّث، ولاقاطع رحم، ولا الذي يقول على عهد ان لم افعل كذا وكذا ثم لم يف به.
وروي ان موسى عليه السلام استسقى لبني اسرائيل حين اصابهم قحط، فأوحى الله تعالى انّي لااستجيب لك ولا لمن معك وفيكم نمّام قد أصرّ على النميمة، قال موسى عليه السلام من هو يارب حتى نخرجه من بيننا؟ فقال ياموسى أنهاكم عن النميمة وأكون نمّاما فتابوا بأجمعهم فسقوا، وروي ان رجلاً أتّبع حكيماً سبعمأة فرسخ في سبع كلمات فلمّا قدم عليه قال انّي جئتك للذّي أتاك من العلم، أخبرني من السماء وما أثقل منها، وعن الأرض وماأوسع منها، وعن الحجارة وماأقسى منها، وعن النار وماأحرّ منها، وعن الزمهرير وماأبرد عنه، وعن البحر وماأغنى منه، وعن اليتيم وماأذلّ منه، فقال البهتان على البرى اثقل من السماوات، والحق اوسع من الأرضين، والقلب القانع أغنى من البحر، والحرص والحسد أحرّ من النار، والحاجة الى القريب اذا لم ينجح أبرد من الزّمهرير، وقلب الكافر أقسى من الحجر، والنّمام اذا بام أمره أذلّ من اليتيم.
وفي بعض الكتب ان رجلاً اراد ان يشتري عبداً فقال له صاحبه انّه لاعيب فيه سوى النميمة، فقال لاعلي من نميمته، فاشتراه فبقي عنده، فأتى يوماً لإمرأة مولاه فقال مولاي لايحبك فان قدرت ان تأخذي شعرة من لحيته حتى أقرأ عليها شيئاً من الأسماءوالتعويذات فانه يعود الى محبتك، فرضيت وقالت اذا نام أقطع من لحيته شعرة بالموسى فأتى الى مولاه وقال يامولاي

الواجب ان انصحك اعلم ان امرأتك أظهرت لي انها تريد ان تذبحك اذا نمت بالموسى، فان لم تصدق فتناوم هذا اليوم حتى تنظر ماتفعل فلمَا تناوم أقبلت المرأة ومعها الموسى تريد قطع الشَعرة، فلمَا دنت الى الرجل قام وأخذ لها السيف فضربها به حتى قتلها، فسمع أهلها فأتوا الى الرَجل وقتلوه وثارت الفتنة بين القبائل حتى قتل منهم أُناس كثيرة، ومن هذا احل الله الكذب في الأصلاح بين الناس وبغض الصدق فيه، فقال عليه السلام المصلح ليس بكذاب، مع ان الكذب من اقبح المعاصي حتى انه سأل عليه السلام ان المؤمن هل يزني؟ فقال ان المؤمن يزني ويلوط ويسرق ويشرب الخمر ويفعل الكبائر لكنه لايكذب، فجعل الكذب أعظم من هذه الذنوب والوجه فيه ظاهر، وهو انَ المفسدة التي تترتب عليه أعظم من غيرها، فإنَ بها سفك المهج وخوض اللَجج كما عرفت، قال بعض بعض المحققين كل من حملت اليه النَميمة فعليه ستَة امور:

الاول ان لايصدقه لان النمام فاسق وهو مردود الشهاده قال الله تعالى ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهاله

الثاني ان ينهاه عن ذلك وينصحه ويقبح له فعله ؛ قال الله تعالى وامر بالمعروف وانه عن المنكر ، الثالث ان يبغضه في الله تعالى فانه بغيض عند الله ؛الرابع ان لاتظن بأخيك السوء بمجرد قوله، لقوله تعالى{اجتنبوا كثيراً من الظن} بل يثبت حتى يتحقق الحال.

الخامس ان لايحملك ماحكي لك على التجسس والبحث لقوله تعالى{ولاتجسسوا}،

السادس ان لاترضى لنفسك بما نهيت النَمام عنه فلا تحكي نميمته فتقول فلان قد حكى لي كذا وكذا فتكون به نماماً ومغتاباً وقد تكون أتيت بما عنه نهيت، وروي انَ رجلاً أتى امير المؤمنين عليه السلام يسعى اليه برجل، فقال ياهذا نحن نسأل لما قلت فان كنت صادقاً مقتناك، وان كنت كاذباً عاقبناك، وان شئت ان نقيلك اقلناك، قال اقلني ياأمير المؤمنين.وروي ان حكيماً من الحكماء زار بعض اخوانه فأخبره بخبر عن غيره، فقال له الحكيم قد أبطأت في الزيارة وأتيتني بثلاث جنايات، بغَضت اليَ أخي، وشغلت قلبي الفارغ، واتَهمت نفسك الأمينة.

خاتمة هذا النَور في ذكر ذي اللَسانين وهو الذ يتردد بين الأثنين سيَما المتعاديين ويكلم كل واحد منهما بكلام يوافقه، وقلَ مايخلو عنه من يشاهد متعاديين، وذلك عين النفاق، وهو من الكبائر المتوَعد عليها النار، وروى عمار بن ياسر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من كان له وجهان في الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيامة، وروى الصدوق ره بإسناده الى علي عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يجيء يوم القيامة ذو الوجهين دالعاً لسانه في قفاه وآخر من قدَامه يلتهبان ناراً ثمَ يلهبان جسده، ثمَ يقال هذا الذي كان في الدنيا ذا وجهين وذا لسانين

يعرف بذلك يوم القيامة، ويتحقق كونه ذا اللّسانين يعرف بذلك يوم القيامة، ويتحقق كونه ذا اللسانين كما قال شيخنا الأجلّ الشّيخ زين الدّين بأمور:

منها ان ينقل كلام كل واحد الى الآخر وهو مع ذلك نميمة وزيادة، فان النميمة يتحقق بالنقل من احد الجانبين فقط، ومنها ان يحسن لكل واحد منها ماهو عليه من المعادات مع صاحبه وان لم ينقل بينهما كلاماً، ومنها ان يعد كل واحد منهما بأن ينصره ويساعده ومنها ان يثني على كل واحد منهما في معاداته، واولى منه ان يثني عليه في وجهه واذا خرج من عنده ذم، والذي ينبغي له اما ان يسكت او يثني على المحق منها في حضوره وغيبته وبين يدي عدوه، ولا يتحقق اللسانان بالدخول على المتعاديين ومجاملة كل واحد منهما مع صدقه في المجاملة، وان الواحد قد يصادق المتعاديين ولكن صداقة ضعيفة لاتصل الى حد الأُخوة، اذ لو تحققت الصداقة لاقتضت معاداة العدو كما هو المشهور من ان الأصدقاء ثلاثة الصديق، وصديق الصديق، وعدو العدو، والأعداء ثلاثة العدو وعدو الصديق، وصديق العدو.

فان قيل كثيراً ما يتفق لنا اختلاف اللسانين مع الأمراء واعداء الدين فهل يكون ذلك داخلاً في النهي والنفاق كما ورد من انه سأل بعض الصحابة ان ندخل على امرائنا فنقول القول فاذا خرجنا قلنا غيره، قلنا ان كان القائل مستغنياً عن الدخول على الأمير وعن مخالطة العدو الديني وأختار الأجتماع معه والصحبة له اختياراً طلباً للجاه والمال زيادة على القدر الضّروري فهو ذو لسانين ومنافق كما ذكره الصحابي، وعليه يحمل الخبر، وان كان محتاجاً الى ذلك اتقاء ضرورة فهو معذور لاحرج عليه، فانّ اتقاء الشر جائز، قال ابو الدّرداء انّا لنشّ في وجوه أقوام وان قلوبنا لتبغضهم، وروي انّه مر رجل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال بئس رجل العشيرة، فلمّا دخل عليه أقبل عليه فقيل له في ذلك، فقال انّ شرّ النّاس الذّي يكرم اتقاء شرّه، وأكثر التحقيقات التي في هذين النّورين قد أخذنا من كلام شيخنا الشهيد الثاني طاب ثراه.

(نور في الكبر والفخر وعلاجاتهما وما يناسب ذلك)

اعلم وفقك الله تعالى انّ الغرض الذّاتي من خلق الإنسان انّما هو الأطاعة والقيام بوظائف العبودية، قال تعالى{وماخلقت الجن والأنس الا ليعبدون} وليس المثل الاّ كمولى يشتري عبداً فإنه ليس العلّة في شرائه الاّ ان يأتي برسوم العبودية ولوازمها، وحينئذ فإرتقاؤه في درجات الكمال انّما يكون بإرتقائه في درجات العبودية سواء كان نبياً او غيره، ومن هذا فضلّت مرتبة العبودية على مرتبة النبوة والرّسالة، فقال تعالى مخبراً عن غاية قرب نبيّه وتمام التنويه باسمه

{سبحان الذي اسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى} ولم يقل في هذا المقام أسرى برسوله، مع انّها الحالة الّتي امتاز بها عن سائر الأمة.

ووجه ذلك انّ العبودية نسبة بين العبد ومولاه والرّسالة نسبة بين النبي وأُمتّه وهو كونه رسولاً اليهم، ولاريب في اشرفيّة النسبة الأولى لمكان طرفيها، ولأنها النسبة المقصودة بالذات، وأما الرسالة وماشابهها فهي نسبة عرضية لاذاتية، ومن ذلك كانت الأولى هي المقدمة في الوجودين فانه عزّ وجلّ لم يرسله الى الأمة الاّ بعد اربعين سنة، وهي مدة سيره في تحصيل كمال العبودية فانه ترقى فيها حتى اخبر عنه بقوله {فكان قاب قوسين او ادنى}، ولما كمل في تلك الدرجة أهبه منها الى درجة سافلة وهي الرسالة، فقال عزّ من قائل{انا انزلنا اليكم ذكراً رسولاً} ففي قوله انزلنا اشارة الى هذا الإنزال المعنوي وهو من درجة الى درجة، وليس المراد الأنزال الحسي لأنَه لم يكن في السماء حتى ينزل الى الأرض بل كان بين ظهرانيهم وماكان أشق هذا الأنزال عليه لأنه كان في الدرجة الأولى يحاكي جناب القدس في عالم الملكوت، وقد صار هذا لشيءٌ عجاب، فانَهم كانوا يعبدون ثلاثمائة وستين صنماً، ولما أنزل صلى الله عليه وآله وسلم اليهم أمرهم بالتوحيد فاظهروا هذا التعجب من قوله، وقد حصل له من ردّهم عليه مقالته تعب عظيم وألم جسيم، وتعب القلب اشدّ من ضرب السيوف لأنَه من ربّى اربعين سنة في حجر جبرئيل عليه السلام وكان المعلم له رب الملكوت فأدّبه بآدابه واطّلعه على مراتب جبروته، ثم تنزل من هذا كله حتى أمر بمعاشرة أجلاف العرب واهل ترك الأدب مع فرط روحانيّتة ولطافة قدسيته كان عليه هذا أثقل من الجبال الرواسي لولا امره سبحانه له بمثله.

وفي الروايات ان سليمان عليه السلام لما أراد تأديب الهدهد أمر به فحبس مع الحدأة في قفص واحد، فلما رأى حاله معها طلب من سليمان ان يخرجهمن القفص وان يعذّبه في كلّ ماأراد من أنواع العذاب فقد كان أخف عليه، ومن هنا قال سبحانه{من تدخل النار فقد أخزيته}، ولم يقل فقد أحرقته او عذبته، وذلك انّ الخزي عذاب الروح والإحراق عذاب البدن وعذاب الروح اشدّ وافضع لو كانوا يشعرون، وروي ايضاً انه سأل عليه السلام عن الحمل الثقيل يحمله الرجل رأسه فلا يثقل عليه كثيراً ويرى الرجل المكروه يجلس على بعد من الأنسان ويكون ثقله ومشقّته عليه أعظم من ذلك الحمل الثقيل فقال عليه السلام انّ الحمل الثقيل يحمله البدن والرجل المكروه تحمله الروح وهي انّ من الذنوب ذنوباً قد تناهت في العظم فلا يكفّرها الا الهمّ والغمّ والصّبر على المصائب وذلك لأنّه عذاب الروح فيكون مكفر الذنوب البدن او شهواته الحيوانيّة واذا حققت هذا.

فاعلم ان الناس كلهم بل كل اصناف المخلوقات متساوون في العبودية لأنَ مولاهم واحد فهم من قبيل ان يكون سلطان عنده انواع من العبيد فليس للأبيض ان يفخر على الأسود في أصل العبودية، ومن هذا جاء الحديث انَ الله سبحانه أوحى الى موسى عليه السلام اذا جئت للمناجاة فاصحب معك من تكون خير منه، فنزل عن الناس وشرع في أصناف الحيوانات حتى مرَ بكلب اجرب، فقال أصحب هذافجعل في عنقه حبلاً ثم مرَ به، فلما كان في بعض الطريق شمر الحبل وارسله، فلما جاء الى مناجاة الرب سبحانه قال ياموسى اين ماأمرتك به؟ قال يارب لم اجده، فقال تعالى وعزَتي وجلالي لو أتيتني بأحد لمحوتك من ديوان النبوة، فهذا الحديث وماروي في معناه منزَل على ماذكرناه، والاَ فلا خلاف في انَ كلَ نبي بعث في زمانه فهو افضل واشرف من اهل زمانه وكذلك الناس يتفاوتون في الفضل والشَرف على قدر خدمتهم لمولاهم، فيكون هذا الشرف عارضيّاً ومع هذا فلا ينبغي للعبد ان يفتخر على غيره به وذلك لأنَه شيء قد ألزم به وهو واجب عليه، فينبغي له ان يكل الفخر والمدح الى مولاه بأن يكون هو الذي يباهي به ويظهر شرفه.

وفي الحديث ان الله تعالى يباهي الملائكة ويفاخرهم بأقوام، منهم رجل صار في قفر من الأرض ليس معه أحد فيقوم يؤذَن ويقيم للصلاة فيقول سبحانه أنظروا ياملائكتي الى عبدي هذا قام يذكرني في هذه الفلاة من الأرض، ورجل قام الى صلاة الليل فأخذه النَعاس وهو ساجد فيقول سبحانه انظروا الى عبدي روحه عندي في قبضتي وبدنه ساجد لي ورجل لم يقم لصلاة الليل لعارض، ثمَ اذا جاء النهار قام يقضيها، الى غير ذلك فيكون المولى هو المادح لهم والمثني عليهم، ولهم الفخر الواقع في نفس الأمر، وفي الدَيوان المنسوب الى مولانا امير المؤمنين عليه السلام:

الناس من جهة التَمثال اكفاء	أبوهم آدم والأمَ حواء
فان لم يكن في أصلهم شرف	يفاخرون به فالطَين والماء
ماالفخر الاَ لأهل العلم انهم	على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقيمة المرء ماقد كان يحسنه	والجاهلون لأهل العلم أعداء

نعم اذا اراد الأنسان بيان احواله اذا كانت مجهولة لغرض من الأغراض الشرعية جاز له وان كان فيه عبارات الفخر، لكن لايكون الفخر والكبر مقصودين له كما كان يستعمله قدماء علمائنا من ذكرهم مدائحهم ومعالي منابتهم في كل عنوان، ومن هذا جاء في الحديث قوله صلى الله عليه وآله وسلم انا خير الخلق ولافخر، وأنا أفصح العرب ولافخر، الى غير ذلك ومقصوده عليه السلام اظهار بيان شيء من شأنه عند جهَال الناس لا الفخر، ولهذا بالغ في نفيه بلا الجنسيَة،

والكبر والفخر ليسا من مساوىء الأخلاق بل من أشرف الصفات والحالات وهما من صفات الأكرام له سبحانه وتعالى، ومما إختصا به فلا يجوز لأحد ان ينازعه في أخصَ صفاته.

قال ابو جعفر عليه السلام العزّ رداء الله والكبر إزاره فمن تناول شئاً منه أكبّه الله في جهنَم، وفي الحديث القدسي العزّ ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعنيهما ادخله ناري ولا ابالي، فهما بالنسبة الينا صفات ذم لأنهما ثوبان مغصوبان قد لبسنا هما والثوب المغصوب يحرم استعماله في جميع الأحوال حتّى من انّ المراد المساواة في أصل العبودية، ويجوز ان يكون هذا الحديث منزّلاً على ارادة المؤمنين والمسلمين، كما قال صلى الله عليه وآله وسلم ماترك الأيمان لذي شرف شرفاء، فإنهم كانوا يتكبرون ويفخرون في أعصار الجاهليّة حتى بلغ بهم الحال الى ان الرجل العظيم منهم اذا كان له بنت انتظر بها حتى اذا بلغت مبالغ النساء زينها وحلاّها بأنواع الحليَ والحلل واخذها الى المقابر وحفر لها او دفنها فيه وهي في عالم الحياة، وذلك لأنه ليس لها كفوَ بزعمه حتَى يزوَجها منه، فنفي سبحانه هذه المقالة عليهم بقوله {واذا المؤدة سئلت بأي ذنب قتلت}.

وقد حكى عمر بن الخطاب فيما روي عنه انَه قال: أدركني الرقّة على ابنة لي في أعصار الجاهلية، وذلك انّي امرت بأن يحفر لها قبر لأدفنها فيه، فلمّا أتيت بها الى القبر، كان الحفّار يخرج التراب من القبر فتناولت منه التراب، فعلّق بعض التراب بلحيته، فأخذت البنت تنفضه منها فرققت لها، ثم دفنتها وهي حية، فلمّا جاء الأسلام أبطل تلك الأمور وعطّلها، حتّى انه صلى الله عليه وآله وسلم صعد المنبر يوماً وذكر ماكانوا به يتفاخرون ويتكبرون فقال: انه موضوع تحت قدمي الى يوم القيامة، ولم ينزل من المنبر حتّى زوّج بنت صفية ابنة عبد المطلب من المقداد مع انَه كان افقر الناس حالاً وأقلهم مالاً، وقد ساوى بينهم في أعزّ الأمور وأنفسها وهو أمر الدّماء، فقال: صلى الله عليه وآله وسلم المسلمين اخوة تتكافأ دمائهم ويسعى بذمتهم ادناهم، فاذا كان دم السلطان والكنّاس على حدّ سواء يقتل هذا بهذا فانّي للسلطان والفخر والتكبّر على الكنّاس.

وامّا حطّ دية العبيد عن الأحرار فلكون الغالب فيهم النّشو والنماء على ملل الكفر وحالاتهم، وأما نقصان المرأة عن الرجل فلنقصان عقلها ودينها، اما العقل فهو انّ شهادة إمرأتين شهادة رجل واحد، وامّا الدين فهو انّ المرأة تمكث زماناً لاتصلي فيه ولاتصوم لمكان حيضها، وايضاً فإن الأنسان اذا تفكر في مبادىء أحواله وأواخرها ذلّت عنده نفسه ولم يدخلها في ميدان الفخر والكبر، ولهذا قال امير المؤمنين عليه السلام: ابن آدم اني لك والفخر فانّ اولك جيفة وآخرك جيفة وفي الدنا حامل الجيف، ولينظر الى احوال هذه الجيف فانّها ليست كجيف الحيوانات، اما الجيفة الأولى فهي المني فقد غلّظ الشارع نجاستها حتى فهم بعض الأصحاب من

تغليظه ان تطهير الثياب والأبدان منها يحتاج الى الغسل مرتين، كما ورد في ازالة البول ايضاً وانها يخرج من طريقين نجسين بالبول فيكون حاله ضمّ نجاسة الى نجاسة، واما الجيفة الأخيرة وهي ميتته فإنها أخسّ وأخبث من ميتة الكلب والنزير، وذلك ان كل من مس ميتة الكلب لم يوجب الشارع عليه غسلاً واما من مسّ جلد الميت فقد أوجب عليه تطهير كلّ بدنه مبالغة في خبث جيفته وفي اجتناب الناس له، حتى يعتبر الأحياء برؤية الأموات، وقد ألقى أيضاً على جيفته وهو في عالم الحياة فهي اظهر من ان تذكر، وحاله في الدّنيا أخسّ من حمار قد حمل جوالقا من العذرة.

والعجب انّه لو مرّ على مثل هذا الحمار لتنفسّ منه وبعد عنه ولعن الحمار وشم صاحبه ولم يتفكر في انّ هذا البلاء الذي قد اصاب الحمار انّما هو منه والاّ فالحمار أنّى له والعذرة، فها قد تراوحا على الجوالق، فقد كان الحامل له اولاً هذا الرجل الظّريف الذي يقبض الآن على انفه منه، ثمّ لّما عجز عن حمله ولم يطقه رمى ذلك الجوالق على الحمار الفقير فأخذ الحمار ليبعد عنه، فذلك الجوالق قد تراوح عليه حماران إن كنت تعقل.

وقد رأيت بخطّ شيخنا الشيخ بهاء الدين قدّس الله زكيّ تربته هذين البيتين وهما من قوله:

وثـــورين أحاطـــا بهـــذا الـــورى	فثـــور الثّريّـــا وثـــور الثّـــرى
فهـم(وهـم) فـوق هـذا ومـن بـين ذا	حمـــير مـــسرّحة في القـــرى

ولعمرك انّهم اخس من الحمير والثيران، فقد حكى سبحانه عن جماعة قصروا في القيام بوظائف العبوديّة فقال: وان هم الاّ كالأنعام بل هم أضل سبيلاً، وذلك انّ الأنعام تهرب من الضار لها وتقبل على من قصد ايصال النفع اليها بخلاف الأنسان فأنّه يهرب عمّن قصد نفعه وهو الذي ربّاه صغيراً ورزقه كبيراً، ويقبل من أراد ضرره وهم شياطين الجنّ والأنس، فقد قال سبحانه{والله يدعو الى دار السلام}وانت تهرب عمن يدعوك الى دار السّلم وتقبل على من يدعوك الى طبقات النيران، وفي الحديث انّ اهل النّار اذا دخلوها دخل الشيطان فيوضع له منبر من نار ويلبس ثياباً من نار، كما قال سبحانه{فالذين كفروا قطّعت لهم ثياب من نار} فيرقى فوق المنبر ثم يأخذ في السخرية والأستهزاء على من تحت منبره، فتضجّ اهل النار بلعنه وسبه، فيقول لهم أنصتوا لكلامي، فيقول أيّها الجهّال ان الله تعالى ارسل اليكم مائة ألف نبي وأربعة وعشرين ألف نبي يدعونكم الى تلك الجنّة العالية فلم تقبلوا قولهم وأنا دعوتكم وحدي الى هذه النار الشّديدة العذاب فأطعتموني فلا تلوموني ولوموا أنفسكم.

واما لأن الأنعام تعرف بيت صاحبها فتغدوا عليه وتروح وتسرح وتجيء فحالها أحسن من حالك، وذلك انَك تهرب من المساجد والبيت والكعبة ومن اولياء الله وأحبائه وإمّا لأن الأنعام قد قامت بوظائف ماخلقت له فانّ الثور انّما خلق للحرث والفرس للركوب ونحو ذلك ولم يحصل منها تقصير في هذه الغايات، وامّا انت فانّما خلقت للعبادة ولم تأت بشيء منها فهي أهدى منك وأحسن حالاً، ولو تفكّرت أيها الفاخر المتكبّر لرأيت انّ اول من سبقك بهذه الخصلة القبيحة هو امامك الشيطان حيث أبى عن السجود بقوله له خلقتني من نار وخلقته من طين، فانّه نظر الى ان جوهر النار وان ارتفع سنانها في الهوى وشبّت لكنه لحظة واحدة ثم لايحصل منها بعد الاَ الرماد الذي لاينتفع به، وأمّا التراب فهو وان كان موضوعاً تحت الأقدام لكنه بسبب هذا التواضع قد صار مادة لأنواع الورد والريحان وكل خير فهو اذن اشرف من النّار وانفع منها، فقد غلط في القياس كما سبق تحقيقه، وقد تقدّم في وظائف الصلوات ان الله سبحانه انما جعل موسى كليمه لأنّه اذا فرغ من الصلاة عفّر خديه على التراب، فانظر الى شرف التراب كيف ترقت بسببه الأنبياء الى مراتب القدس ومكالمة الحقّ.

وروي ان الله تعالى اوحى الى موسى عليه السلام فقال: اتدري لم رزقتك النبوة؟ فقال: يارب انت اعلم به مني، فقال: تذكر اليوم الذّي كنت ترعى الغنم بالموضع الفلاني فعدت شاة فعدوت خلفها، فلمّا لحقتها لم تضربها وقلت أتعبتني وأتعبت نفسك، فحين رأيت منك تلك الشفقة على ذلك الحيوان رزقتك النبوة، وبالجملة فليس الفخر والشرف الاَ لمن شرّفته الطّاعة، كما قال في الحديث القدسي: ليس الشّريف الا من شرّفته طاعتي.

وفيه ايضاً ان الناس يطلبون اشياء في اشياء فلا يجدونها لأنّي وضعتها في غيرها يطلبون العلم في الوطن فلا يجدونه لأنّي وضعته في الغربة، ويطلبون الغنى في جمع المال فلا يجدونه لأنّي وضعته في القناعة، ويطلبون العزّ بخدمة السّلطان فلا يجدونه لأنّي وضعته بخدمتي، ومن هذا قال سبحانه {إن اكرمكم عند الله اتقاكم} ولم يقل ان أكرمكم أتقاكم، اشارة الى ماحققناه من انّ الفخر والشّرف انّما ينبغي ان يكون هو الذي يفعله بالأنسان وينشر مدائحه ويرقّيه فوق درجات المعالي من غير ان يكون الأنسان هو المتولّي لذلك، وناهيك بالتكبر ذماً بعد الناس عن صاحبه بالذل فهو لايحبهم وهم لايحبّونه وذمّه على ألسنة الخلائق وان الله يبتليه في أغلب الأوقا بالذلّ والهوان فانّ الصادقين عليهما السلام قد مثّلوا الدنيا ببيت سقفه مخفوض[1] فالدّاخل اليه لابدّ له

---

(١) خفضه خفضاً ضد رفعه.

من ان يطأطأ رأسه عند الدخول ومن فع رأسه تلك الحالة شجّه السّقف وأخرج دمه ورمى بعمامته من فوق رأسه وفضحه بين الأقران الذّين كان يريد التّرفع اليهم.

وجاء عن الصادق عليه السلام انه قال لبعض تلاميذه يوماً: أيَ شيءٍ تعلَمت مني؟ قال يامولاي: ثمان مسائل، قال عليه السلام: قصّها عليّ لأعرفها، قال: الأولى رأيت كل محبوب يفارق محبوبه عند الموت فصرفت همي الى من لايفارقني وهو فعل الخير، قال: احسنت والله الثانية رأيت قوماً يفخرون بالحسب وآخرين بالمال والولد واذا ذلك لافخر، ورأيت الفخر العظيم قوله تعالى{ان اكرمكم عند الله اتقاكم} فاجتهدت ان اكون عند الله كريماً قال: احسنت والله، الثالثة قال: رأيت الناس في هولهم وطربهم وسمعت قوله تعالى{وامّا من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى}فاجتهدت في صرف الهوى عن نفسي حتى استقرت على طاعة الله تعالى، قال: احسنت والله، الرابعة قال: رأيت كل من وجد شيئاً يكرم عنده إجتهد في حفظه، وسمعت قوله تعالى{من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له وله أجر كريم} فأحببت المضاعفة ولم أر أحفظ ممّا يكون عنده، فكلّما وجدت شيئاً يكرم عندي وجّهت به اليه ليكون زخر الى وقت حاجتي اليه قال: احسنت والله.

الخامسة قال: رأيت حسد الناس بعضهم لبعض، وسمعت قوله تعالى{نحن قسمنا معيشتهم بينهم في الحيوة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخريّا ورحمة ربك خير ممّا يجمعون} فلما عرفت ان رحمة الله خير ممّا يجمعون ماحسدت أحداً ولاتأسفَت على مافاتني، قال: احسنت، السادسة قال: رأيت عداوة(الناس يعاندون) الناس بعضهم لبعض في دار الدنيا، وسمعت قول الله تعالى انّ الشّيطان لكم عدوّ مبين فاشتغلت بعداوة الشيطان عن عداوة غيره، قال: احسنت، السابعة قال: رأيت كدح الناس واجتهادهم في طلب الرزق وسمعت قوله تعالى{وماخلقت الجنّ والأنس الاّ ليعبدون ماأريد منهم من رزق وما أريد ان يطعمون انّ الله هو الرّزاق ذو القوة المتين}فعلمت ان وعده حق وقوله صدق فسكنت الى قوله ووعده ورضيت بقوله واشتغلت بماله عليّ عمّا لي عنده قال: احسنت والله، الثامنة قال: رأيت قوماً يتّكلون على ابدانهم وقوماً على كثرة اموالهم وقوماً على خلق مثلهم وسمعت قوله تعالى{ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لايحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ امره قد جعل الله لكل شيء قدرا}فاتكلت على الله وزال اتكالي عن غيره، فقال: والله انّ التوراة والأنجيل والزّبور والفرقان وسائر الكتب مشحونة بهذه المسائل.

واعظم اسباب التكبر الغنى وجمع الأموال، وروي ان اول من سك الدّراهم والدنانير النمرود، فأول درهم ودينار سكّهما الصائغ اخذهما الشيطان وقبلهما ووضعهما على عينيه،

وقال: انال مأريد من الناس بهذين، فكان كما قال، ومن هنا قال عليه السلام: انّ الله يبغض الشيخ الزاني، والفقير المتكبر، وذلك لعدم وجود الداعي فيهما وهو الشّهوة والمال، وفي بعض التّواريخ انّه قد سأل الفضل بن يحيى البرمكي عن سبب التكبر الذي كان يفعله مع النّاس ومن اين أخذه، فقال: اخذته من فلان وهو رجل من أقارب الخليفة، وذلك انّ الخليفة جعلني عاملاً على قم وتوابعها وكان لي من يكرهني عند الخليفة، فقالوا له: ينبغي ان تأخذ منه خراج هذه السنة قبل ان يمضي الى قم فأتتني غلمان الخليفة والخراج كان مالاً جزيلاً فقال لي ابي: إمض الى فلان وقل له انّ ابي يقرأ عليك السلام وتقول القصّة كذا وكذا، فان حصل شيء تقرضنا حتى نأتي بالخراج فمضيت اليه ووجدته جالساً وحده متكياً على محجّر، فسلّمت عليه ولم ينظر اليّ فتندّمت على المجيء اليه فقلت له ماقال لي ابي فلم يكلّمني فخرجت ولم أحك ماجرى لأبي، فلما كان قد مضى ساعة واذا الجمال محملة بتلك الأموال معها غلمانه، واذا هي تفي بالخراج وفوقه، فأوصلناها الى خزانة الخليفة، فلمّا جمعت الخراج أتيت بها الى بغداد حملت الجمال تلك الأموال وتقدّمتها فرأيته جالساً على تلك الهيئة فلما رأى الجمال قال: ماهذه الجمال؟ فقلت هذه الأموال التي استقرضها أبي منك، فقلت انّي كنت خزّاناً لأبيك، خذ أموالك وامض، فلم يكلمني غير هذه الكلمة، فأتيت بالأموال فأعجبني تكبره لأنّه مشفوع بالكرم.

واما حال المتكبر في الآخرة فهو شنيع فضيع، قال عليه السلام: يحشر المتكبرون يوم القيامة بصورة الذرّ تطأهم الخلائق بأرجلها حتى يفرغ الله من الحساب، فهذا الهوان والذلّ بأزاء ماراموه في الدنيا من الفخر والكبر لم يحصّلوه.

بقي الكلام في معناه وفي تحقيقه فقد روى الكليني(ره) في الصّحيح مسنداً الى محمّد بن مسلم عن أحدهما عليه السلام قال: لايدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبّة من خردل من الكبر، قال: فاسترجعت، فقال: مالك تسترجع؟ قلت لما سمعت منك، فقال ليس حيث تذهب انّما هو الجحود، وقال الصادق عليه السلام الكبر ان تغمص[1] الناس: وتسفه الحق وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ان اعظم الكبر غمص الخلق وسفه الحقّ، قال: قلت وماغمص الخلق وسفه الحق؟ قال: يجهل الحق ويطعن على أهله، فمن فعل ذلك فقد نازع الله تعالى ردائه وعن عمر بن يزيد عن ابيه قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام انّني آكل الطعام الطيّب، وأشم الريح الطيبة، وأركب الدابة الفارحة، ويتبعني الغلام، فترى في هذا شيئاً من التجبّر فلا افعله، فأطرق ابو عبد الله عليه السلام ثم قال: انّما الجبار الملعون من غمص الناس جهل الحق، قال:

---

(١)غمصه احتقره،رجل غمص عيوب.

عمر فقلت اما الحق فلا اجهل والغمص لادري ماهو؟ قال: من حقَر الناس وتجبر عليهم فذلك الجَبار، والغمص بالغين المعجمة والصاد المهملة هو تحقير الناس، أقول دلت هذه الأخبار على ان الكبر المتوعد عليه هو تحقير الناس وعدم قبول الحق فيدخل في هذا أمور:

الأول مايقع في مناظرة بين ارباب العلم فان الغالب من احوالهم انّه يريد كل واحد منهم إقحام خصمه ليترفَع عليه في المجالس، واذا ظهر له انّ كلام خصمه حق ردّه ولم يقبله منه لئلا يظهر للناس انّه قد أفلج، فمثل هذا المناظر يدخل في تعريف هذا المتكبر ولأنّه رد الحق بعد ماظهر له انّه حق، وايضاً فقد حقّر قائله حيث زعم الناس انه هذا الرجل المبطل هو المحقّ وذلك المحق هو المبطل.

ومن هنا المولى الصالح العالم عبد الله التستري اذا سأل التَقي الورع المولى احمد الأردبيلي عن مسئلة وتكلما فيها سكت الأردبيلي في أثناء الكلام، او قال حتى أُراجعها في الكتب، ثم أخذ بيد التستري ويخرجان من النجف الأشرف الى خارج البلد فاذا انفردا قال المولى الأردبيلي: هات ياأخي تلك المسئلة، فيتكلم فيها ويحققها الأردبيلي على مايريد المولى التستري، فيسأله فيقول ياأخي هذا التحقيق لم لاتكلّمت به هناك لّما سألتك؟ فيقول له ان كلامنا كان بين الناس، ولعل كان فيه تنافس وطلب الظفر منك او منّي والآن لاأحد معنا الاّ سبحانه.

الثاني في التواضعات بأن يقوم لبعض الناس على وجه التعظيم ولايقوم للبعض الآخر على وجه التَحقير بأن يخطر بباله انّ هذا لايستأهل التعظيم والقيام له، امّا لو كان بعض الناس يتوقع التعظيم والآخر لايتوقعه ولايطلبه من ذلك الرجل بل ربما شق عليه تواضعه له فالظاهر انّ تركه له لايعد من باب التكبر والفخر، وكذا في باب السلام والتحيّات فانّ كثيراً من الناس اذا تلاقوا مع اخوانهم لايبتدؤنهم بالسلام عمداً وقصداً ويحقّرونهم ويبخلون عليهم بالسلام، ويطلبون ان يكون المبتدي بالسلام هو ذلك الرجل الذي حقّروه، مع قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم ياعلي كل من لقيته فسلّم عليه، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم انّ من المنجيات من عذاب الله تعالى إفشاء السلام، وقوله ان البخيل من بخل بالسلام، وماورد من انّ ثواب المسلّم أكثر من ثواب الرادّ للسلام مع انّ الأول مستحب والثاني واجب، فهذا من المواضع المستثناة من القاعدة الكلية وهي انّ الثواب الواجب أزيد من ثواب المستحب، ومن المستثنى ايضاً إنظار المعسر وإبراؤه من الدين، فانّ الأول واجب والثاني مستحب، والثاني يفضل على الأول في الثّواب.

ومنها الصلاة المعادة بالجماعة بالنسبة الى الأولى، وقد عدّ منها الصلاةو في الأماكن الشَريفة والبقاع فانّه افضل من الصلاة في غيره، قال شيخنا البهائي(ره) ويمكن المناقشة في حكاية إنظار المعسر فانّ الواجب عدم مطالبته سواء حصل في ضمن الأنظار او الأبراء لكن حصوله في

ضمن الأبراء أفضل الواجبين، وقس عليه المناقشة في حكاية الصلاة في البقاع الشريفة بل هي فيه أظهر انتهى، أقول يمكن رفع المناقشة بأن الواجب في المعسر ليس هو عدم المطالبة مطلقاً بل عدم المطالبة الى وقت الأيسار فالواجب انّما هو هذا الفرد، وامّا عدم المطالبة مطلقاً فليس هو بواجب بل مستحب فيدخل في جملة الأفراد، وامّا المناقشة في الأخير فجوابها ان مراد القائل بها انّ الصلاة النّافلة في الأماكن الشريفة تفضل على الصلاة الواجبة في غيرها كما وردت في الأخبار، وليس المراد به الصلاة الواجبة الواقعة في البقاع الشريفة كما لايخفى، وقد روى الشيخ ره في الصحيح عم معاوية بن عمّار قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام رجلان افتتحا الصلاة في ساعة واحدة فتلا هذا القرآن فكانت تلاوته اكثر من دعائه، ودعا هذا فكان دعاؤه اكثر من تلاوته، ثمّ انصرفا في ساعة واحدة فأيّهما أفضل، قال: كل فيه فضل كل حسن، قلت اني قد علمت انّ كلا حسن وانّ كلا فيه فضل، فقال: الدعاء أفضل أما سمعت قول الله عز وجل {وقال ربكم ادعوني استجب لكم انّ الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين} هي والله العبادة هي والله أفضل الحديث، وقد جعل بعضهم هذا الفرد الخاص من جملة الأفراد المستثناة فردّ عليه شيخنا البهائي طاب ثراه بقوله ماتضمنه من تفضيل الدعاء على قرآءة القرآن في الصلاة لايدلّ على تفضيل المستحبّ على الواجب فلعل المراد بالقراة ماعدا القراءة الواجبة ان قلنا باستحباب السورة او المراد بالدعاء القنوت ان قلنا بوجوبه وان اريد بالقراءة والدعاء الواقعان بعد الصلاة في تعقيبها فلا إشكال، هذه كلامه ولايخفى مافيه اذ القول بوجوب القنوت نادر، كما ان القولابأستحباب السورة خلاف المشهور، وقد خطر بالبال جواب عن أصل السؤال، وحاصله انّ قراءة السورة وان وصف بالوجوب من حيث حصول القراءة في ضمنها لكنّها توصف بالأستحباب ايضاً من حيث الطول والقصر وغيرهما من الأعتبارات، ومن ثم قال الأصحاب رضوان الله عليهم تبعاً للأخبار: يستحب قراءة سورة كذا فهي من حيث انّها سورة طويلة توصف بالحكمين الوجوب والأستحباب لكن كل واحد بأعتبار فيكون عليه السلام قد فضل الدّعاء المستحب على قراءة السورة مثلاً لكن لامن حيث الوجوب وجهته، بل من جهة الأستحباب واعتباره اذ السورة الطويلة مثلاً يثاب عليها صاحبها مرتين، مرّة لحصول الواجب في ضمنها ومرة اخرى بكونها أطول من غيرها فتكون مستحبة، وبالجملة فهو تفضيل مستحب على مثله، وهذا كلام وقع في البين فلنرجع الى تمام كلامنا السابق فنقول:

انه قد تعارف في بعض البلاد ان يسلّم زيد مثلاً على عمر ابتداءً فلو ترك عمر والأبتدار بالتسليم نظراً الى الرسوم المتعارفة لا من جهة التّحقير فالظّاهر انّه لابأس به نعم قد فوّت على

نفسه مزيد الثواب، والعلة في توفير ثواب المسلم على المجيب انّ المسلم هو السبب في حصيل الثواب للمجيب فمن هذا زاد عليه.

الأمر الثالث في الجلوس في المجالس والتَصدّر فيها وتحقير الفقير بحيث لايرضى الغير بجلوسه في قرب منه، كما روي عن الصادق عليه السلام قال: جاء رجل موسر الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نقيّ الثوب فجلس الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فجاء رجل معسر درن[١] الثَوب فجلس الى جنب الموسر، فقبض الموسر ثيابه من تحت فخذيه، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: خفت ان يمسك من فقره شيءٌ، قال: لا خفت ان يصيبه من غناك شيءٌ، قال لا، قال: فخفت ان يوسخ ثيابك، قال لا، قال: فما حملك على ماصنعت؟ فقال ارسول الله انّ لي قريباً (ينا) يزيّن لي كلّ قبيح ويقبح لي كل حسن، فقد جلت له نصف مالي، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للمعسر أتقبل؟قال: لا، فقال له الرجل ولم؟ قال اخاف ان يدخلني مادخلك، فهذا ايضاً نوع من انواع العجب وأفراده.

الأمر الرابع في المحاورات والمكالمات، فان كثيراً من الناس من يعبّر عن نفسه بالعبارات الموجبة للتعظيم والتكبر كأن يقول انا أمرت وأنا نهيت الى غير ذلك من العبارات الظاهرة في الفخر والتعظيم، وقد روي ان رجلاً جاء الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فدّق عليه الباب، فقال من بالباب؟ فقال انا فغضب صلى الله عليه وآله وسلم من قوله، فخرج وهو يقول من القائل أنا وهي لاتليق الاّ بالله الذَي يقول أنا الجبار أنا القهّار أنا الخالق، ثم قال: صلى الله عليه وآله وسلم ان في رأس كل واحد من الناس سلسلتين، فواحدة من رأسه الى العرش وطرفها في يد ملك جالس هناك، والأخرى تنتهي الى تحت الأرض وطرفها في يد ملك هناك ايضاً، فاذا تواضع لله قال الله سبحانه للملك الذي في العرش قد واضع فلان فارفعه بين الناس حتى تكون مرتبته الى العرش، واذا تكبّر قال الله سبحانه للملك الآخر أخفضه بين الناس واهبط درجته حتّى ينتهي حاله الى ماتحت الثَرى.

الأمر الخامس في تبختره في المشي إمّا بأن يضرب الأرض برجله كأنّه يريد أن يخرقها، او يمشي الهوينا[٢] متبختراً متخيّلاً في المشي جاذباً عنقه، وربّما قلب عمامته فوق وجهه كما يفعله المتكبرون، كأنّه يريد ان يبلغ السماء حتى ان الأرض تخاطبه وتقول يامتكبر تمشي على وجهي بهذه الطريقة فأنا أتقاضى منك اذا وصلت الى بطني، فاذا مات قالت له الأرض هذا الكلام ايضاً، ثم تضغطه ضغطة شديدة حتى تخرج مخ رأسه من تحت أظافير رجليه.وروي انّ ذا النون

---

(١)درن درناً الثوب:علاه الوسخ.الدرين الثوب البالي.

(٢)الهوينا التؤدة والرفق،وهي تصغير الهوني والهوني تأنيث الأهون.

المصري رأى(رجلا خ) عبداً اسود متزراً بأزار يتبختر عند البيت في جماعة من أتباعه، فقال من انت وماهذا التبختر؟ قال كيف لاأتبختر وأنا عبد ملك مكة، قال ذو النون فأنا بالتَبختر أولى لي منك فإنَي عبد ملك الناس ويوم الدين، وبالجملة فأنواع التكبّر كثيرة وأكثرها يرجع الى القصد والنية، وكلها تشترك في ذلك العذاب الشديد نعوذ بالله من سيئات الأعمال ومساوىء الأخلاق.

(نور يكشف عن تحريم معونة الظالمين مطلقاً)

اعلم ايَدك الله وسددك والى كل خير وفقك وارشدك ان المقصود من ايجاد هذا العالم انَما هو التَعاون على البر والتقوى وقضاء مآرب بعضهم بعضاً حتَى يتم أمر الأجتماع والأئتلاف، ومن ثمَ ورد الحث على مثل هذا حتَى في الأمور القليلة، فقال سبحانه{ويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون، الذين هم يراؤن، ويمنعون الماعون} والمراد بالماعون الالآت التي يحتاج اليها الجيران والمؤمنون مثل الظروف والفروش والفأس والمسحاة وغيرها، فقرن من منع جيرانه وإخوانه من إعارة هذه الأمور بالمرائي الذي جعل له الويل، وهو واد في جهنم، وفي ظاهره دلالة على وجوب اعارة هذه الالآت، وحيث انعقد الأجماع على الأستحباب قلنا به والاّ فالقول بالوجوب لايخلو من وجه خصوصاً اذا استلزم الهوان به وقصد تحقيره ومذلته، فان القول بتحريم المنع قوي جداً، لما عرفت في النور السابق، ولاريب ان الظلم والتَعدي ممَا يخل بنظام نوع الأنسان، اذ فيه تفريق ماأجتمع ومن ثم وقع في الشَرع الأمر بالأخذ على يدي الظالم فقال صلى الله عليه وآله وسلم: أنصر أخاك ظالماً كان او مظلوماً، فقيل يارسول الله ننصره مظلوماً فما بالنا ننصره ظالماً؟ فقال: خذوا على يديه وامنعوه عن الظلم فهذه نصرتكم لأخيكم، وكما حرَم الظلم حرَم معونة الظالمين أمَا الذي له مدخل في الظلم فقد انعقد الأجماع على تحريمه، مثل ان يكون صاحب سيف أو سوط عند الظالمين، أو يكون يكتب لهم المظالم او يبعثونه في تحصيلها، الى غير ذلك، اما الذي لامدخل له في الظلم كالخيَاط يخيط لهم ثيابهم والبنَاء يبني لهم المنازل، او النَجار او الحدَاد ونحوهم فالمشهور بين الأصحاب هو عدم تحريمه، وناقشهم فيه شيخنا البهائي طاب ثراه وذهب الى تحريم معونة الظالمين مطلقاً، وهو الذي أخترناه في شرح الصحيفة، ولنذكر هنا بعض من الدلائل.

منها قوله تعالى{ولاتركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار} فالركون هو مطلق الميل سواء كان بالقلب او اللسان او الأعضاء والجوارح أو المعونة او نحوها، فاذا كان بالقلب كان فيه موادَة

الظالم، وقد أخبر سبحانه عن أقوام ونعى عليهم هذه الزلّة فقال{يوادّون من حادّ الله} ولاريب ان الظالم ممّن نصب الحرب مع الله تعالى، واذا كان باللسان او بغيره من الأعضاء كان فيه مع الموادة الأعانة المحرمة، فيكون قد أتى بحرامين مغلّظين، وقد نفى سبحانه في هذه الآية معونة الظالمين مطلقاً، وعقّبها بدخول النار على طريق العذاب، اذ لم يقل ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتدخلوا النار، وذلك انّ دخول النار لايستلزم مسيّها والعذاب فيها.

روى شيخنا الكليني طاب ثراه عن الوصا في قال: سمعت ابا جعفر عليه السلام يقول انّ فيما ناجى الله عبده موسى عليه السلام قال: انّ لي عباداً أبيحهم جنتي وأحكمهم فيها، قال: يارب ومن هؤلاء الذين تبيحهم جنّتك وتحكمهم فيها؟ قال: من أدخل على مؤمن سروراً، ثمّ قال: انّ مؤمناً كان في مملكة جبار فولع به، فهرب منه الى دار الشرك، فنزل برجل من أهل الشرك فأظلّه وأرفقه وأضافه، فلمّا حضره الموت أوحى الله عز وجل اليه وعزّتي وجلالي لو كان لك في جنتي مسكن لأسكنتك فيها، ولكنها محرمة على من مات بي مشركاً، ولكن يانار هيديه ولاتؤذيه، ويؤتى برزقه طرفي النهار قلت من الجنة؟ قال: من حيث شاء الله وقوله هيديه على مافي القاموس معناه أصلحي أحواله، فهذا قد دخل النار ولم تمسه، فانظر الى عظم شأن المؤمن عند الله سبحانه حيث أدخل المشرك الكافر جنته لأجل ضيافة المؤمن مرّة واحد، فمن أحب المؤمن وأضافه كساه ودمه كيف يكون حاله عند الله سبحانه وتعالى.

وروي عن الصادق عليه السلام قال: انّ الله يأمر بأدخال جماعة الى النّار، ويقول لمالك يامالك قل للنار لاتحرق لهم أيدياً لأنهم كانوا يرفعونها الى اوقات الصلوات، وقل للنار لاتحرق لهم وجوهاً لأنهم كانوا يسبغون الوضوء، وقل للنّار ولاتحرق لهم أرجلاً لأنّهم كانوا يمشون بها الى المساجد، فيأتي اليهم مالك فيقول لهم ياأشقياء ماكانت أعمالكم التي دخلتم بها النار؟ فيقولون انّا كنّا نعمل لغير الله، فتخطف النار قلوبهم، فهؤلاء ايضاً لاتمس النار لهم ابداناً.

ومنها مارواه الشيخ في الحسن عن بن ابي بعفور قال: كنت عند ابي عبد الله عليه السلام اذ دخل عليه رجل من أصحابه، فقال له: أصلحك الله انّه ربّما أصاب الرجل منّا الضّيق او الشّدة فيدعى الى البناء فيبنيه او النّهر بكريه والمسناة يصلحها فما تقول في ذلك؟ فقال ابو عبد الله عليه السلام: ماأحب انّي عقدت لهم عقدة، او وكيت لهم وكاء وانّ لي مابين لابتيها لا ولامدة بقلم، انّ اعوان الظالمين يوم القيامة في سرادق من نار حتّى يحكم الله بين العباد، وهذا صريح في تحريم اعانتهم بالمباحات فان شدّا لوكاء وأمثاله ممّا لامدخل له في الظلم كما قاله العلماء في المثال.

ومنها مارواه الكليني قدس الله روحه عن علي بن ابي حمزة قال: كان لي صديق من كتاب بني اميّة، فقال: استأذن لي على ابي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام،

فاستأذنت له فأذن له، فلمّا دخل وسلّم جلس، ثمّ قال: جعلت فداك انّي كنت في ديوان هؤلاء القوم فأصبت من دنياهم مالاً كثيراً وأغمضت في مطالبه، فقال ابو عبد الله عليه السلام: لولا انّ بني اميّة وجدوا من يكتب لهم ويجيء لهم الفيء ويقاتل عنهم ويشهد جماعتهم لما سلبونا حقّنا، ولو تركهم الناس وما في ايديهم ماوجدوا شيئاً الاّ ماوقع في ايديهم الحديث وهو شامل للمباح والمحرم بل والمستحب ايضاً لمكان قوله ويشهد جماعتهم، وقد أغرب العلاّمة(ره) في التذكرة حيث أستدلّ بهذه الأخبار على ماذهب اليه من تخصيص التحريم بمعونتهم بالمحرّم.

ومنها مارواه أهل كتب الرجال عند ترجمة صفوان بن مهران روى الكشّي عن الحسن بن علي بن فضال قال: حدثني صفوان بن مهران الجمّال قال: دخلت على ابي الحسن الأول عليه السلام، فقال لي: ياصفوان كل شيءٍ منك حسن جميل ماخلا شيئاً واحداً، فقلت أي شيءٍ جعلت فداك؟ قال: اكراهك جمالك من هذا الرجل، يعني هارون، قلت والله ماأكريته أشراً ولابطراً ولاللصيد ولا للهو، ولكن أكريته لهذا الطريق يعني طريق مكّة، ولا أتولاّه بنفسي ولكن ابعث معه غلماني، فقال لي: ياصفوان أيقع كراك عليهم قلت نعم جعلت فداك، قال: فقال لي أتحبّ بقاءهم حتى يخرج كراك عليهم قلت نعم، قال فمن احب بقاءهم فهو منهم، ومن كان منهم كان ورد النار، قال: صفوان فذهبت وبعت جمالي عن آخرها فبلغ ذلك هارون، فدعاني فقال لي: ياصفوان بلغني انّك بعت جمالك؟ قلت نعم، فقال: ولم؟ قلت انا شيخ كبير وانّ الغلمان لايقوم بالأعمال، فقال: هيهات هيهات انّي لأعلم من أشار اليك بهذا موسى بن جعفر، قلت مالي ولموسى بن جعفر، فقال: دع هذا عنك فوالله لولا حسن صحبتك لقتلتك، وهذا الحديث أبلغ من الأخبار السابقة فانّه بظاهره يعطي تحريم معونتهم حتى في الأمر الواجب كسفر مكة وأمثاله.

ومنها ماسنح بالبال وهو انّ الأمور التي ذكروها وقسّموها قسمين وجعلوا منها ماله مدخل في الظلم، ومنها ماليس كذلك ليس على ماينبغي فانّ الأمور التّي ذكروها ممّا لها مدخل في الظلم كلّها، وذلك انّ الخياطة والبنائية ونحوهما من الأمور التي جعلوها من القسم الثاني لو تركها أهلها لأقلع الظالمون عمّا هم فيه، وذلك انّ الخيّاط لو ترك الخياطة ثياب الظالمين والبناء ترك بناء منازلهم لبقوا بلا منزل ولاثياب وكذا باقي الحرف وأهل الكسب، فدل على ان كل هذه الأمور ممّا لها مدخل في الظلم لكن بعضها أقرب الى الظلم من بعض، كالكتابة في ديوانهم فانها اقرب الى الظلم من الحدادة والخياطة، ومن ثم صارت الكتابة معونة في العرف دون الثانيةوالا فالكل من واد واحد مع انّك قد عرفت انّ الأمور التي جعلوها من القسم الثاني يجب تحريمها من جهة اخرى ايضاً وهي انها مستلزمة لوداد من حاد الله ورسوله فهو حرام على كل وجه، ومنها

انه يرد على التخصيص اعتراض وهو ان اعانة كل احد بالمحرم محرمة سواء كانت اعانة الظالمين ام غيرهم، بل فعل المحرم في نفسه حرام سواء كانت اعانة او غيرها.

قال شيخنا البهائي(ره): واما ماينقل عن بعض الأكابر من انَ خياطاً قال له: انّي اخيط للسلطان ثيابه فهل تراني داخلاً بهذا في أعوان الظلمة؟ فقال: الدّاخل في اعوان الظلمة من يبيعك الأبر والخيوط وأمّا أنت فمن الظلمة أنفسهم فالظّاهر انه محمول على نهاية المبالغة في الأحتراز عنهم والأجتناب عن تعاطي امورهم والاّ فالأمر مشكل جداً انتهى.

أقول وعلى ماذكرناه لايكون هذا من باب المبالغة ولامن نهايتها لأنَ بيّاع الأبر والخيوط اذا علم انَ الخيّاط يخيط ثياب الظالم لايجوز له ان يبيع منه، ولو أصرَ الناس كلهم على هذا لتعطلت أمور الخياط فترك الخياطة، واذا ترك الخياطة أقلعوا عن الظلم وعزلوا أنفسهم عمّا ليس لهم من المناصب الجليلة، وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: اذا كان يوم القيامة ناد مناد أين الظلمة وأشباه الظلمة حتى من برى لهم قلما او لاق لهم دواة[1] قال فيجتمعون في تابوت من حديد ثم يرمى بهم في جهنم، اذا تحققت هذا كلّه فاعلم انّه قد بقي الكلام في مقامين:

الأول في تحقيق معنى الظالم الذي يحرم ماونته مطلقاً او على وجه، فنقول: المفهوم من الكتاب والسنة انَ للظالم اطلاقات، منها اطلاقة على الكفّار والمشركين قال: سبحانه{الا ان الكافرين هم الظالمون} ومنها اطلاقة على كل من خالف مذهب الأمامية حيث انهم ظلموا علياً عليه السلام حقّه بقولهم انَ غيره أفضل منه، وترتيبهم الخلفاء على ماذكروه، ومنها اطلاقة على حكامهم وسلاطينهم حيث ظلموا الأئمة عليهم السلام مناصبهم وظلموا الرعية وظلموا أنفسهم أيضاً، فأبوبكر وعمر وعثمان من الظالمين بالأمور المذكورة كلّها، ومنها اطلاقة على كل سلاطين الجور الذي لم يكن لهم اذن من الأمام عليه السلام لاعموماً ولاخصوصاً كالمجتهدين وان كان اولئك السلاطين من الشّيعة قد حكموا بالجور لابالعدل، ومنها اطلاقة على كل من يحكم بجور سواء كان في الأحكام الشرعية ام غيرها سواء كان منّا او منهم، فيدخل فيه القضاة وأهل الفتوى من الفريقين.

ومنها اطلاقة على البالغ في انتهاك الذنوب حيث انّه ظلم نفسه، وآيات القرآن متكثّرة بهذا الأطلاق كقوله{الا من ظلم نفسه} وقوله{الذين ظلموا انفسهم} الى غير ذلك، فيدخل فيه جميع أهل المعاصي من جميع فرق الأسلام وان كان من الشيعة، والشّائع في العرف اطلاقه على اهل الحكم الذين يحكمون بالجور سواء كانوا منّا او من غيرنا وسواء كان حكمهم في الأحكام

---

(١)لقت الدواة أصلحت مدادها.

الشرعية ام في الأحكام العرفية، فيكون مخصوصاً في الحكّام والقضاة، ولايبعد ارادة المعاني كلّها فإنَك قد عرفت ماورد من الأخبار الواردة في عقاب من أعان تارك الصلاة او سلّم عليهاو تبسَم في وجهه وكذا شارب الخمر وقاطع الرحم وغير ذلك من الذنوب المغلّظة، وحينئذ فيحرم اعانة كل هؤلاء بما يسمى اعانة عرفاً كما قاله بعض المحققين او بكل ما أطلق عليه الأعانة لغة كما هو الأولى، وفي هذا بلية عامّة لعموم البلوى به، وذلك ان قضاة الشيعة خصوصاً في هذه الأعصار الغالب عليهم الجهالة بالأحكام الشّرعية وأخذ الرشاوى والعمل بالأحكام موافقاً لمن كان لهم اليه ميل من الخصمين، فقد شاهدنا بعض القضاة اذا وردت عليه الدعوى يحكم بها بعد أخذ الرشوة، فقال رجل من الصلحاء: لو ان هذا الخصم الآخر أعطاك أكثر من ذلك الرجل كيف كنت توجه له الحكم، قال: لو أعطاني أكثر لكان قلت كذا وكذا ، فصوّر صورة لم تكن تخطر على خاطر الشَيطان، وقد يكون القاضي رجلاً يتجنب الرشاوي لكن ليس له أهليّة الفتاوى في الأحكام، فهذا ايضاً من قضاة الجور وان قضى بحق اتفاقاً، بل ولو قضى بحق من وجه الكتاب الفقهي لأنّ المشهور بين علمائنا رضوان الله عليهم انّه لايجوز تقليد الميت، فانّ الخلاف موجود في أكثر مسائل الفقه، ولو طالع كتاباً آخر كان قد رأى مذهباً آخر وهلّم جراً، بل ولو طالع كتاباً آخر لصاحب هذا الكتاب لوجه الأختلاف كما لايخفى على من تتبَع كتب العلامة قدَس الله روحه، فانّه قلّما ذهب في كتابين الى اجتهاد واحد بل له في كتاب واحد اجتهادات مختلفة.

وبالجملة فاعانة مثل هؤلاء القضاة معونة الظالمين أيضاً، ومن جملة اعانتهم الأختلاف الى مجالسهم الذي يحصل منه ترويج أقوالهم واقبال عوام الناس عليهم قائلين لو لم يكن هذا القاضي من أهل هذا المنصب لما قصده فلان وجلس معه ولم ينكر عليه، ومن الأعانة ايضاً السّعي له عند السلطان او من نصّبه لنصب القضاة وكذا قرضه الدّراهم ليستعين بها على اتمام اموره، ومن الأعانة المحرمة الأختلاف اليه في الدعاوى وأخذ الأموال بحكمه وان كان حقّاً، روى شيخنا الكليني عن عمر بن حنظلة قال: سألت اباعبد الله عليه السلام عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في دين او ميراث فتحاكما الى السلطان او الى القضاة أيحلّ ذلك؟ قال: من تحاكم اليهم في حق او باطل فانّما تحاكم الى الطّاغوت، وما يحكم له فانّما يأخذ سحتاوان كان حقاً ثابتاً له، لأنّه أخذ بحبكم الطاغوت وقد أمر الله أن يكفر به، قال: الله عز وجل {يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به} قلت كيف يصنعان، قال: ينظران من كان منكم ممّن قد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا، وعرف أحكامنا فليرضوا به حكماً فانّي قد جعلته عليكم حاكماً فاذا حكم بحكم فلم يقبل منه فانما استخف بحكم الله وعلينا ردّ، والراد علينا الرادّ على الله،

وهما على حد الشرك بالله، قلت فان كان كل واحد أختار رجلاً من أصحابنا فرضيا ان يكونا الناظرين في حقهما فاختلفا فيما حكما وكلاهما اختلف في حديثكم قال: الحكم ماحكم به أعدلهما وأوفقهما وأصدقهما في الحديث، وأورعهما ولايلتفت الى مايحكم به الآخر، قال: قلت فانَهما عدلان مرضيّان عند أصحابنا لايفضل واحد(لاتفضل واحداً) منهما على صاحبه، قال: فقال ينظر الى ماكان من روايتهم عنا في ذلك الذي حكمنا به المجمع عليه من أصحابك فيؤخذ به من حكمنا ويترك الشاذ الذي ليس بمشهور عند أصحابك، فانَ المجمع عليه لاريب فيه، وانَما الأمور ثلاثة أمر بين رشده فيتبع، وأمر بين غيه فيجتنب، وأمر مشكل يردَ علمه الى الله تعالى والى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: حلال بيَن وحرام بيَن، وشبهات بين ذلك، فمن ترك الشبهات نجى من المحرمات، ومن أخذ الشّبهات ارتكب المحرمات وهلك من حيث لايعلم.

قلت فان الخبران عنكم مشهورين قد رواهما الثقاة عنكم، قال: ينظر فما وافق حكمه حكم الكتاب والسنة وخالف العامّة فيؤخذ به ويترك ماخالف حكمه حكم الكتاب والسنة ووافق العامة، قلت جعلت فداك أرأيت ان كان الفقيهان عرفا حكمه من الكتاب والسنَة ووجدنا الخبرين موافقاً للعامة ففيه الرشاد، قلت جعلت فداك فان وافقهما الخبران جميعاً قال: ينظر الى ماهم اليه أميل حكَامهم وقضاتهم فيترك ويؤخذ بالآخر، قلت فان وافق حكَامهم الخبرين جميعاً، قال: ان كان ذلك فارجه حتى تلقى امامك فانَ الوقوف عند الشبهات خير من الأقتحام في الهلكات.

وقوله عليه السلام قد روى حديثنا وقوله حلالنا وحرامنا وان كان مصدراً مضافاً فيفيد العموم الاَ ان القرينة دالَة على انَ المراد بعض الأحاديث لكن ليس المراد الأحاديث المتعلَقة بخصوص تلك الدعوى، بل المراد مايتعلق بالأحكام غيرها ايضاً، وذلك مثل رواة الحديث في الصدر السالف، وفائدة روايته للأحاديث العمل بها في تلك الدعوى الواردة عليه، فلو كان ممَن روى الأحاديث لكن لم يعمل بها اعتباراً بالأغراض الدنيوية كان من قضاة الجور ايضاً، وقوله عليه السلام فانّي قد جعلته عليكم حاكماً ممّا استدل به الأصحاب على انَ المجتهدين منصوبون من قبله عليه السلام للقضاء فهم وكلاؤه والمعبَرون عنه في هذه الأعصار.

اقول بل فيه دلالة ايضاً على انَ من روى الأحاديث وعرف مواقعها كان له منصب القضاء وان لم يكن مجتهداً بالمعنى الجديد للمجتهد، فانَ المعنى المعروف منه في الصَدر السالف هو بذل جهده وطاقته في دراية الأحكام والأطلاع عليها حتّى ان قول الحلبييَن(ره) بوجوب الأجتهاد عيناً يرجع الى هذا لا الى الأجتهاد الأصطلاحي كما لايخفى وقوله عليه السلام المجمع عليه من أصحابك الظاهر انَ المراد بهذا الأجماع الأتفاق في نقل الرواية لا الأتفاق في الفتوى كما ذهب

اليه جماعة من الأصحاب بقرينة ماسيأتي، ولأنَ الكلام انَما هي في تعارض الروايات وترجيحها لافي تعارض الأقوال.

وقوله عليه السلام وشبهات بين ذلك الظَاهر ان المراد بالشبهات هنا ماتعارض فيه الدليلان من غير اهتداء الى التّرجيح بينهما كما يقع كثيراً في كتب الحديث، وقوله عليه السلام ماخالف العامة ففيه الرشاد ممَا لاريب فيه حتى انَه روي انَ رجلاً من أهل الأهواز كتب اليه عليه السلام وهو في المدينة انَه ربما أشكل علينا الحكم في المسئلة التي يحتاج اليها ولاتصل الأيدي اليك في كل وقت فماذا تصنع؟ فكتب اليه عليه السلام اذا كان الحال على ماذكرت فأت القاضي البلد وسله عن تلك المسئلة، فما قال: لك فخذ بخلافه فان الخير(الحقَ خ) في خلافهم.

وقوله عليه السلام ينظر الى ماهم عليه أميل(اه) مشكل بالنَظر الينا وذلك انَ اعصارهم عليهم السلام مختلفة فقد كان في عصر كل امام وزمان كل سلطان من سلاطين الجور من فتاوى الفقهاء الأربعة ومن يحذو حذوهم قول واحد وقد خفي علينا في هذه الأعصار المشهور من تلك الأقوال في أزمانهم، فانَ أقاويل ابي ابي حنيفة قد كانت مشهورة في اعصار بعض الخلفاء وأقوال مالك كانت مشهورة في بعض الأعصار ايضاً وكذا أقوال الشافعي والحنبلي ثم احتاج حمل الأخبار على التقية الى تفحَص تام عن أقوال الفقهاء الأربعة التي كانت مشهورة في أعصار ذلك الأمام عليه السلام الذي نقل الحديث عنه، فالمجتهد يحتاج الى الأطَلاع على هذا وان كان متعسراً، وقوله عليه السلام فارجه، الهاء ضمير المفعول أي أخَر ذلك الأمر حتى تلقى امامك، وفي حديث آخر قال: اذا كان ذلك فأيَهما أخذت به من باب التَسليم وسعك، وجه الجمع بينهما اما ان يحمل هذا على ماإذا كان الأمام عليه السلام ظاهراً يتمكن من الوصول اليه كما يدل عليه قرينه المقال وذاك(لك) على مثل هذه الأعصار، واما ان يحمل هذا التأخير على ما اذا كانت الأخبار الواردة في المعملات وحقوق النَاس، والأخذ بأيَهما شاء يكون محمولاً على احكام العبادات، وهذا هو الذي فهمه شيخ الطائفة(ره) وجعله وجهاً للجمع بين هذين الخبرين، وامَا ان يحمل الأرجاء على ما اذا أمكن الأحتياط فيه كأكثر مسائل العبادات، والأخذ بأيهما شاء على ما اذا لم يكن فيه ذلك، كما اذا تردَدَ الحكم بين الوجوب والتَحريم، وبالجملة فالقاضي يحتاج الى اطَلاع على كل مافي هذا الحديث ومن لم يكن كذلك لم يكن أهلاً للقضاء، فلا يجوز ان يجعل قاضياً ولايجوز التَحاكم اليه، بل ولا الجلوس عنده، روى الشيخ قدَس الله روحه عن محمد بن مسلم قال: مرَ بي ابو جعفر عليه السلام وابو عبد الله عليه السلام وانا جالس عند قاض بالمدينة فدخلت عليه من الغد، فقال لي: مامجلس رأيتك فيه أمس، قال: قلت جعلت فداك انَ هذا القاضي لي مكرم فربما جلست اليه، فقال لي: ومايؤمنك ان تنزل اللَعنة فتعم من في المجلس.

واما السلاطين والأمراء الجائرون سواء كانوا من العامة او الخاصة فالتردّد اليهم والأختلاف الى مجالسهماذا لم يكن لضرورة شرعية فيه المعونة والوداد، والحضور أوقات حكم الظلم فقد اشتمل على ثلاث محرّمات مغلّظة.

الأمر الثاني في جواز أكل طعامهم وقبول عطاياهم اعلم ان المنقول من اطوار الأئمة عليهم السلام انهم كانوا يأكلون طعامهم ويقبلون اموالهم، وقد ذكر الفقهاء رضوان الله عليهم انّ عطايا الحكّام حلالة على الآخذ لها وان كان الأثم على الحكام، كما قال: عليه السلام لك المهنا وعليهم الوزر، نعم قيدوها بما اذا لم تعلم بعينها انها من مال فلان، أقول قد دلّت الأخبار الكثيرة على انّ ما يأخذ السلاطين الجور باسم الخراج والمقاسمة وان كان اقل او اكثر من القدر الواجبى الذي يأخذه الأمام يجوز شراؤه من العمّال وان كانت عند صاحبه وعلل في الرواية بأنك اذا لم تأخذه أنت لم يرجعوه الى صاحبه بلا بأس لشرائه منهم وقبول عطيته منهم وان علم صاحبه، نعم اذا أخذ الحاكم والسّلطان شيئاً زائداً على القدر المقرر كالجرائم ونحوها فاذا اعطاها احد لايجوز له أخذها، وحينئذ فقولهم جوائز الظالم حلال اذا لم تعلم بعينها ان ارادوا به الجوائز التي يعطونها الناس ويأخذونها من مال الخراج فالظاهر جواز أخذها وان علم صاحبها بعينه، ولافرق بين الجائر من الطرفين بل ذهب شيخنا الشهيد الثاني قدس الله روحه الى انّ مايأخذه السلطان الجائر منهم اقرب الى الحل والأباحة ممّا يأخذه الجائر منا، وذلك انّهم يزعمون انّ الأولى الأمر المأمور بإطاعتهم في الكتاب العزيز في قوله تعالى{اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الأمر منكم} هم السلاطين والحكّام فهم يجب اطاعتهم عندهم ويجب دفع مال الخراج اليهم فكلّما يأخذونه من الرعايا يزعمون انّه حلال عليهم والرّعية ايضاً تعتقد انّه يجب عليهم دفعه اليهم فالآخذ والمأخوذ منه يزعمون انّه حلال.

وقد قال عليه السلام: دينّوهم بما دانوا به انفسهم أي الزموهم وعاملوهم بما أعتقدوا حقيّته في دينهم كأوانهم من اليهود والنصارى فانّ الجزية اذا أخذت منهم أجريت عليهم(عليها) أحكامهم بخلاف مايأخذه سلطان الشيعة من الرّعايا فانّه يعتقد انّه ظالم يأخذه، وكذلك اعتقاد المأخوذ منهم من رعايا الشّيعة، ولو أعتقد ذلك السلطان انه حلال له لم يكن من الشيعة الأمامية لأن اولي الأمر المأمور باطاعتهم انما هم الأئمة المعصومين من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، واما في هذه الأعصار فلمّا لم يكن الأمام عليه السلام ظاهراً كان نوابه وقوّامه هم من الفقهاء والمحدّثون بما عرفت في مقولة عمر بن حنظلة من قوله عليه السلام في شأن من روى احاديثهم وعرف حلالهم وحرامهم فاني قد جعلته عليكم حاكماً وحرم(تحريم) الردّ عليه وعدم قبول قوله فالآخذ هنا والمأخوذ منه يعتقد ان هذا المأخوذ باسم الخراج والمقاسمة حرام، لكن اكثر الأصحاب

رضوان الله عليهم نظروا الى اطلاق الأخبار او عمومها الواردة بإباحة مايعطيه الجائر من غير فرق بين ان يكون من الشيعة او من غيرهم فأطلقوا الحكم نعم يمكن ان يقال انّ عمّال السّلطان اذا لم يأخذوا الا ماتعارف أخذ السّلطان له من الخراج والمقاسمة كان بالنسبة اليهم اقرب الى الأباحة، وذلك لأنهم اذا لم يأخذوه من الرّعايا بعث السّلطان لغيرهم لكن اين يوجد مثل هذا العامل قبّح الله الجميع، وذلك انّ اهل الجور من الحكّام والقضاة لو عزلوا انفسهم ورفعوا ايديهم عن هذه المناصب لوجب على الأمام عليه السلام ان يظهر حتى لاتعطّل امور المسلمين ولايختل نظام الكون، لكن لمّا جرى نظام الدنيا وتمشى على هذا الوجه وان كان اكثره على البطلان تأخّر أمره عليه السلام الى ان يأذن الله سبحانه به عجّل الله فرجه بحق محمّد وآله.

نور يكشف عن الكذب وعن عظم خطره وعن توابعه ولواحقه

اعلم وفقك الله تعالى ان الكذب من أعظم الذنوب حتّى انّه قد روي انّ المؤمن يزني ويلوط ويسرق، ويشرب الخمر لكنّه لايكذب، فيكون قبحه في الشرع أشدّ من قبح الزّنا وشرب الخمر، وروي عنه صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: المؤمن اذا كذب من غير عذر لعنه سبعون ألف ملك، وخرج من قلبه نتن حتّى يبلغ العرش فتلعنه حملة العرش وكتب الله عليه بتلك الكذبة سبعين زنية اهونها كمن يزني مع امه.

روى الكليني طاب ثراه في الصحيح عن ابي جعفر عليه السلام قال: ان الله تعالى جعل للشّر اقفالاً وجعل مفاتيح تلك الأقفال الشّراب، والكذب شرّ(أشرّخ) من الشّراب، وذلك لأنّ المفاسد المترتبة على الكذب أزيد من مفاسد الشّراب، لأنّ الكذبة الواحدة ينشأ منها أهراق الدماء بغير حق ونهب الأموال ولأنّ الغالب في الكذب وروده في حق النّاس والشراب حق الله سبحانه وهو بالعفو اولى وأحرى، ولأنّه يسلب الأيمان ويمنعه من الأستقرار في القلب والشّراب انّما يمنع من قبول الصلاة اربعين يوماً لمكان بقاءه في الجوف هذه المدة، قال امير المؤمنين عليه السلام: لايجد عبد طعم الأيمان حتى يترك الكذب هزله وجدّه، ولأنّ الكاذب قد لايصدق في القول فتختل اموره بل أمور غيره لأنه يحتاج اليه في الشّهادات والأقرارات والوكالات والمعاملات، وقال عليه السلام: ينبغي للرجل المسلم ان يجتنب مؤاخاة الكذب، فانّه يكذب حتى يجيء بالصدق فلا يصدّق.

واما شارب الخمر فتوبته اذا احتيج اليه في هذه الأمور ان يقول استغفر الله ويظهر النّدامة، والكذّاب لو قال: هذا لم يصدّق، ويحصل الريب لحاكم الشرع عند اداء الشّهادة ونحوها، وشهادة المرتاب فيه لاتقبل شرعاً، لأنّ النتيجة الحاصلة من الكذب انّما هالبخل لأنّ

أقوى دواعي الكذب وأسبابه انما هو دناءة الهمة والحرص والخسة، والنتيجة الحاصلة من الشراب انما هو علو الهمة وإعانة الناس بأنواع العطايا وان كان عطاء في غير محله لكنه اولى من البخل، وقد يصل الى المستحق أحياناً، ولأن الغالب على أهل الشراب الخجالة والحياء من الناس لعلمهم بقبح ذنبهم، والكذاب عند نفسه ليس خجلاً ولا له حياء من الناس ولا ندامة، ولأن الشراب ربما يتداوى به عن بعض الأمراض كما أشير اليه في قوله سبحانه{ومنافع للناس} ومن ثم جوز بعض فقهائنا التداوي به عند الضرورات، والذي يرجح في النظر هو عدم جواز التداوي بالمحرمات لقوله عليه السلام ماجعل الله الشفاء في حرام قط وما في معناه، ومادل من الأخبار على جواز التداوي به محمول على التقية، واما الكذب فليس فيه سوى محض الضرر مع ان شارب الخمر قرن بعابد الصنم في قوله تعالى{إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه} ، وقدم فيه الخمر للإهتمام بتحريمه.

وقال عليه السلام: شارب الخمر كعابد الوثن، ومن بات سكراناً بات عروساً للشيطان، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: والذي بعثني بالحق نبياً ان شارب الخمر يموت عطشاناً، ويمكث في القبر عطشاناً، ويبعث يوم القيامة عطشاناً، وينادي واعطشاه ألف سنة، فيؤتى بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب، فينضح وجهه وتتناثر أسنانه وعيناه في ذلك الأناء فليس له بد من ان يشرب فيصهر مافي بطنه، ومن كان في قلبه آية من القرآن ثم صب عليه الخمر يأتي كل حرف يوم القيامة فيخاصمه بين يدي الله عز وجل، ومن كان له القرآن خصماً كان الله خصماً ومن كان الله له خصماً كان في النار.

وقال عليه السلام: من بات سكراناً عاين ملك الموت سكراناً، ودخل القبر سكراناً، فوقف بين يدي الله سكراناً، فيقول الله تعالى مالك؟ فيقول انا سكران فيقول الله تعالى ابهذا امرتك اذهبوا به الى السكران، فيذهب الى جبل وسط جهنم في عين تجري مدمة[١] ودماً ولايكون طعامه وشرابه الا منه، وعنه عليه السلام من أطعم شارب الخمر لقمة من الطعام او شربة من الماء سلط الله عليه في قبره حيات وعقارب طول اسنانها مائة ذراع وأطعمه من صديد جهنم يوم القيامة، ومن قضى حاجته فكأنما قتل ألف مؤمن، او هدم الكعبة ألف مرة، ومن سلم عليه لعنه سبعون ألف ملك، وقال عليه السلام: لعن الله شارب الخمر، وعاصرها وساقيها وحاملها والمحمول عليها.

---

(١)بالكسر وتشديد المهملة مايجتمع في الجرح من القيح الغليظ منه.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما من أحد يبيت سكراناً الاّ كان للشيطان عروساً الى الصباح فاذا أصبح وجب عليه ان يغتسل من الجنابة، فان لم يغتسل لم يقبل الله منه صرفا ولا عدلاً، ولايمشي على وجه الأرض أبغض الى الله من شارب الخمر، وقال عليه السلام: من سلَم على شارب الخمر، او عانقه او صافحه أحبط الله عليه عمل اربعين سنة.

فان قلت اذا كان هذا حاله فكيف صار غيره أقبح منه في العرف العام، قلت الذنب اذا كان مأنوساً كثير الأستعمال ربّما ارتفع قبحه من الأنظار بخلاف غيره من المعاصي، ولذا ترى اللواط مع انه أفحش الذنوب غير قبيح في بعض البلاد أهل الخلاف لإطباق الأكثر على فعله مع انه حرام عندهم، ولهذا لم يجعل الشارع للكذب حدّاً شرعياً كالشَراب ونحوه اذ هو كثير في محاورات الناس، وايضاً فإثباته لايخلو من نوع اشكال، وذلك ان الكاذب يمكنه التَخلص من كذبه بوجوه كثيرة مع قوله عليه السلام ادرؤا الحدود بالشبهات.

واعلم ان الكذب على قسمين، جليّ وخفي، فاما الجلي فهو أقسام أوّلها الكذب على الله وعلى رسوله والأئمة عليهم السلام، وهذا يقع على وجوه الوجه الأول ان يقول قال: الله كذا، وقال: الرسول كذا، وقال: الأمام كذا، فيكذب عليهم في حكم شرعي او غيره، وهذا يقع من علماء السوء كثيراً، ولقد كذَب على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حياته وبعد موته حتى وضعوا من الأكاذيب أدياناً مختلفة، وليت شعري ماكان دين النبي، أهو دين أبي حنيفة؟ ام الشافعيَ أم المالكي ام الحنبلي؟ ولايقدرون ان يقولوا ان دينه كان واحاً منها نعم يمكنهم ان يقولوا انَ دين ابي حنيفة كان نقيض دين النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأنّه كان يجلس في مسجد الكوفة ويقول في فتواه قال: علي وأنا أقول، ودين علي هو دين النبي صلى الله عليه وآله وسلم بلا ريب، وهذا الوجه من الكذب يقع من كلَ أحد حتّى من المؤمنين والشّيعة.

الوجه الثاني ماأعتاده الناس في المحاورات من قولهم الله يعلم، والرسول او الأمام انّي مافعلت ذلك الشيء، او فعلته وهو كذب، ومن هذا روي انّ الرجل اذا قال: الله يعلم وهو كاذب يقول الله سبحانه للملائكة ياملائكتي انظروا الى عبدي لم يجد أحداً أعجز مني يحيل هذه الكذبة عليه حتى أحالها على علمي، فأنا أفعل به كذا وكذا من الهوان والعذاب.

الوجه الثالث ان يكذب ثم يروّج كذبه بالحلف بالله او النبي او الأمام عليه السلام وهذا يقال له الكذب بالله وهو الذي يذر الدّيار بلاقع من أهلها، وهو حالقة الدّين يعني انّه يحلق الدّين ويمحوه كما يمحو الموسى الشعر، وفي الرواية لاتحلف بالله لا صادقاً ولاكاذباً، نعم روي في حديث آخر انَ الدّعوى اذا كانت ثلاثين درهماً واحتاجت الى المين فله الخيار في الحلف وان كانت أقل فلا يحلف، والوجهان الأولان بل الثلاثة هي التّي تضر بالوضوء والصوم، روى الشيخ(ره) انَ

ابي بصير قال: سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول الكذبة تنقض الوضوء وتفطر الصائم، قال: قلت هلكنا، قال: ليس حيث تذهب انّما ذلك الكذب على الله وعلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلى الأئمة عليهم السلام، ومنه ذهب الشيخان والمرتضى الى انّه مفسد للصوم ويجب به القضاء والكفارة، واما الوضوء فقال الشيخ قدّس الله روحه: المراد انّه ينقض كماله وثوابه، ووجهه الذيستحق به الثواب، وماصار اليه المرتضى(ره) لايخلو من وجه لما رواه الشيخ عن سماعه قال: سألته عن رجل كذب في شهر رمضان، فقال: قد أفطرواعليه قضاؤه وهو صائم يقضي صومه ووضوئه اذا تعمّد، والحمل على الأستحباب غير محتاج اليه، لعدم وجود المعارض.

القسم الثاني الكذب على الناس لغرض من الأغرض الدّنيوية، بل قد لايكون لغرض كمن اعتاده فكأنّه طبع عليه وهذا هو الذي ورد فيه انّه ينقض الدين والمروة ويذهب ماء الوجه ولعذاب الآخرة أشدّ نكالاً لو كانوا يعلمون.

القسم الثالث الجائز المشروع وهو كما سبق اذا ترتب عليه غرض أُخروي كإصلاح ذات البين بل لايسمى كذباً، قال الصادق عليه السلام: الكلأ ثلاثة:صدق، كذب وأصلاح بين الناس، قيل له جعلت فداك ماالأصلاح بين الناس؟ قال: تسمع من الرجل كلاماً يبلغه فتخبث نفسه فتلقاه فتقول سمعت من فلان قال: فيك من الخير كذا وكذا خلاف ماسمعت منه ويجوز الكذب في الحرب لمخادعة العدو وكان علي عليه السلام في حرب صفين ينادي بأعلى صوته والله لأقتلن معاوية، ثم يقول سراً ان شاء الله، فقال له رجل كان من خواصّه: كيف هذا ياأمير المؤمنين؟ قال: الحرب خدعة، انّ عسكري اذا سمع هذا الكلام منّي جدوا في الجهاد لعلمهم بأني لم أكذب، ثم أقول خفية ان شاء الله سبحانه، مع انّ قسمه عليه السلام على قتل معاوية سيكون في زمن ظهور المهدي عليه السلام، فانّه يخرج معاوية ويقتله قتلات متعددة، وكذلك الكذب على الزوجة، فانّه جائز ايضاً اذا واعدها بوعد ثم لم يف به، روى الكليني نوّر الله ضريحه عن عيسى بن حسان قال: سمعت اباعبد الله يقول كل كذب مسئول عنه صاحبه يوماً الا كذب في ثلاثة: رجل كائد في حربه فهو موضوع عنه، او رجل اصلح بين أثنين يلقي هذا غير مايلقي هذا يريد بذلك أصلاح مابينهما، او رجل وعد أهله شيئاً وهو لايريد أن يتمّ لهم.

وقال: لي يوماً واحداً من مشايخي المجتهدين وكان كثير المطايبة والمزاح يابني ينبغي لصاحب الزوجة ان يكون فخذه وجفن عينيه منه في ألم شديد، وذلك أنه اذا أراد الخروج من المنزل قالت له إمرأته: هات لنا الشيء الفلاني، فيضع يده على عينه للوعدة لها، فاذا رجع الى المنزل ولم يأت بشيءٍ قالت له: اين الشيء الفلاني؟ فعند ذلك يضرب يده على فخذه ويقول انّي نسيت ولم أذكر، فيكون هذان العضوان منه في الألم دائماً.

القسم الثاني هو الكذب الخفي وتحقيقه يتوقف على تمهيد المقدمة، وهي انّ الله عزّ شأنه قد كلَف العباد في عالم الأرواح وعالم الأشباح وقبلوا تكاليفه وسيّما هذا العالم فانّهم ذاكرون له ويدَعون في ذلك النسيان، كما قال ابن عباس: سميت إنساناً لأنّك ناسي، وهو نسيت لما جرى في عالم الأرواح، وجملة التكاليف هو التصديق بما جاء به النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأعظمها الأوامر والنواهي، ومن دخل تحت قلم التكليف فقد أقرّ ظاهراً وباطناً بإلتزام الشرائع ولوازمها من الأحكام، فالصادق في هذا الإقرار من بقي على حالة واحدة ولم يتلوث بمخالفة الأوامر والنواهي، ومن تلوّث فيها وارتكب مايخالف اعترافه الأوّل فقد كذّب نفسه في ذلك الأعتراف وفي قوله أتوب الى الله فإنّ أتوب معناه ارجع اليه عما فعلته، فمن قال: هذه الكلمة في هذا اليوم وارتكب شيئاً من النواهي في غد فقد كذب وهذا الكذب أقبح من غيره حيث انّه كذب مع الله وملائكته الكاتبين وأنبيائه المقرّبين وعباده الصّالحين.

ومن هذا جاء الحديث ان رجلاً اتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وطلب منه ان يأمره بأنفع الأعمال فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: اصدق ولاتكذب واعمل من المعاصي ماشئت، فاستعجب الرجل من هذا القول وقبله، فلما رجع قال: النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم ينه الا عن الكذب فانا آتي فلانة وكانت امرأة جميلة، فلما مضى الى بيتها ليزني بها تفكر في نفسه وقال: اذا خرجت من عندها ولقيني احد وسألني اين كنت وماكنت تعمل؟ فان صدقته في القول صار امري عظيماً وان كذبت فقد نهيت عنه، فرجع الى منزله ثم طلب ان يفعل ذنباً آخر وفكّر مثل هذا فأقلع عن جميع المعاصي، اذا عرفت هذا فأعلم ان من الكذب الخفي مانواجه ربنا والمطّلع على سرائرنا وضمائرنا كل يوم وأقله عشر مرات، وذلك انّا نقف بين يديه ونقول الحمد لك ايها المربي لنا الرحمن الرحيم بنا، المالك لأمورنا في يوم الوفود عليك فنحن نخصك بالعبادة ونخصك بالأستعانة بك فنحن لانعبد غيرك ولانستعين الا بك، والعبادة هي الا طاعة والأنقياد فانظر وتفكر وقل كيف أصدق في هذا المقال وانا أطيع غيره ممن نهاني عن اطاعته، والأنقياد لهم، ومن جملتهم عدوه وعدوك الشيطان فالمصر منا على اطاعته وهم الأكثرون خصوصاً حال الصلاة كيف يكون صادقاً في اياك نعبد ومن جملة معبوديك نفسك الأمارة بالقبائح التي لاتقصر عن الشيطان وهواك المردي لك، ومن الجملة ايضاً معبوديك من أهل الدنيا كالسلطان والحاكم وعمالهما وعبيدهما وعبيد عبيدهما وكلابهما ودوابهما وامائما ومن تتوهم انتسابه اليهما فما أكثر ماجعلت لربك من الشركاء والمعبودين ولقد أحسن ابن عباس حيث قال: في قوله تعالى ولاتتخذوا الهين اثنين انه تعالى نهاك عن الأثنين

وانت اتخذت الأثنين فما أقل حيائك ومن معبوديك ايضاً القصاص عليك كما قال عليه السلام: من استمع الى قائل فقد عبده فان كان يحدث عن الله فقد عبد الله وان كان يحدث عن الشيطان فقد عبد الشيطان ، والمراد بتحديثه عن الشيطان نقله الحكايات الكذب او هجاء المؤمنين او غيبتهم او نحو ذلك ، فما تعارف في هذه الاعصار من نقل حكايات اهل القصص التي وضعوها كقصة رستم وعنتر ، وحمزه واشباهها فالسامع لها عابد للشيطان ولعلك تظن ان العباده انما هي الصلاة واضربها وهذا ظن غلط فانك قد سمعت قوله تعالى في شأن اهل الكتابين إهل احبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ، قال عليه السلام: والله ما صلوا لهم وما صاموا لهم ولوا دعوهم اليهما ما قبلوا ولكن احلوا لهم حراما ، وحرموا عليهم حلالاً فقبلوا أقوالهم فمن قال: إنهم اربابهم وقال تعالى {أفمن اتخذ إلهه هواه} فقد جعل سبحانه إرادات النفس وأمنياتها الباطله إلها ، فأنت أيها المصلي اذا كان لك كل هؤلاء الالهه والمعبودين كيف لم تجر على مواجهة واحد منها بالكذب ، وما تجرئت الا على جنابه تعالى تقول لا أعبد إلا أنت ولا أطيع أحد سواك ، فكأنك ظننت ان هذا أعجز من جميع الهتك حتى خصصته بالكذب عليه دون باقي آلهتك ، ويجوز ان يكون الوجه فيه انك قصرت عبادتك الصادقه عليها، وذلك انها وان كان آلهه متعدده الا أنها ترجع الى أصل واحد حتى القصاص الذي يقص عليك الأباطيل فقد روى ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما أتى بالقران معجزة وفيه القصص الماضية والأخبارات قال: كفار قريش انا نقدر على مثل هذا وكان جماعة منهم يرجون في التجارات الى بلاد العجم فسمعوهم عن عنتر وامثاله، فكتبوا تلك القصص وعرّبوها وآتوا بها الى مكة ليعارضوا بها قصص القرآن فنزل قوله تعالى ذاماً لهم{ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل به عن سبيل الله} فقد كانوا يبذلون الأموال لمن ينقل اليهم قصة من تلك القصص الكاذبة ليفتنوا الناس عن متابعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأن هذا القرآن ليس بإعجازه للقدرة على الأتيان بمثله، وأنى لهم ذلك واما قولك اياك نستعين على طريق الحصر فأنت أكذب فيه من الأول لأنك اذا رجعت الى وجدانك وحالاتك ترى انك تستعين غيره في كل امورك، وتجعله سبحانه آخر من تستعين به فإنك اذا جبهت من عند المخلوقين وأيست من الأستعانة بهم بعد ما ألتمستها رجعت وقلت الحكم لله نستعين بالله وهذا احد معاني قول مولانا زين العابدين عليه السلام في دعاء الصحيفة اللهم يامنتهى مطلب الحاجات ولو استعنت به اولاً كفاك مهماتك ولم يحوجك الى أمثالك ونقل الثقاة ان محمود بن عمر الخوارزمي لما صنّف تفسيره الكشّاف حمله وأتى به الى الغزالي ليمده بالألطاف والأنصاف فلما جلس عنده ونقل له سبب مجيئه اليه قال له الغزالي: كيف فسرت اياك نستعين فقال: قلت ان تقديم المفعول يفيد الأنحصار فقال: اذا انت من علماء القشر فرجع الخوارزمي نادما على ما فعل، ولو تأملّت بهذا الكذب الخفي لوجدته أضرَ بأحوالك من ذلك الكذب الجلي

وذلك ان هذا يمنعك من قبول الطاعات ومن التأهل للقيام على بساط المناجاة ويورثك الحسرة والندامة ويوردك المهالك يوم القيامة ولو انصفت من نفسك لعلمت انك لو واجهت واحداً من الناس وقلت له انا لا أتردد الا الى بيتك ولا لي صديق سواك مع علمك بأنه يعلم انك تردد الى كل احد اكثر من ترددك الى بيته ولك اصدقاء كثيرون سواه لكنت عند نفسك جلاً من هذا الكذب الذي واجهت به صديقك تستحي ان تواجه به مرة اخرى بعد مضي زمان طويل، وانت هيهنا اذا كان اول النهار قلت اياك نستعين وما مضى من النهار الا اقله حتى جاء وقت الظهر فقمت بين يديه وقلت اياك نستعين وانت قبل ذلك القول وبين هذين القولين رجعت في مهماتك الى غيره واستعنت بعاجز مثلك على تمشيتها وما علمت ان امورك كلها بيده سبحانه يمضيها على حسب ارادته ومشيته ومن استعنت بهم فانّهم عباد مسخرون بتوفيقه تعالى لقضاء حوائجك ليس حالهم الاّ كحال قلم الكريم الذي كتب لك به النّوال والعطا، فشرعت تمدح القلم وتستعين به وتركت الإستعانة بذلك الرّجل الكريم، ماصدر هذا الاّ من جهل وقلّة تأمّل وقصر نظر في عميقات الأمور.

وفي الحديث القدسي انّ الرجل اذا أعجلته الحاجة فخفّف من صلاته لتداركها قال: الله سبحانه وتعالى انظروا ياملائكتي الى عبدي كيف خفّف صلاته ليتدلرك حوائجه أيظن انّ قضاء حوائجه اليَ، وقد أوحى الله يادنيا اخدمي من خدمني، وفي الحديث انّ السّارق كلّ السّارق من سرق من صلاته، وذلك بتخفيفها وحذف شيءٍ من واجباتها، وقد دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المسجد فرأى رجلاً يصلي ويستعجل في صلاته فقال: نقر كنقر الغراب، لئن مات هذا الرجل ليموت على غير سنّتي.

وتفكَر ايضاً بأنه اذا طلبك رجل من اخوانك لقضاء حاجة من الحاجات فقبلت التماسه، فأسرعت في الأتيان بها على الوجه الذي ارادها منك، ثمَ في أثناءها خطر على بالك انّ لي بعض الحوائج، فشرعت في تمام تلك الحاجة على غير الوجه الذي اراده منك وهو بمرئى منك ومسمع أما كان ذلك الصّديق يغضب منك ويعتب عليك، ويقول لك ياأخي هذه اللّحظة الواحدة ماكنّا نستحقها عندك ولو أرجعت الينا أغراضك وحوائجك لكنّا نقضيها لك أحسن من قضائك أنت لها، فقد فوّت حاجتك وحاجتنا، فأنت قد أغضبت صديقك وعطّلت حاجتك ما هذا الاّ سفه، وقلّة رشد.

(نور يكشف عن الربا واحكامه ولواحقه)

اعلم وفقك الله تعالى انّ الله سبحانه قد رغّب في القرض وجعل ثوابه أزيد من ثواب التَصدّق، وذلك انّ الروايات جاءت انّ الصّدقة الدّرهم منها بعشر، ودرهم القرض ثمانية عشر، وذلك انّ درهم القرض يرجع الى صاحبه فيقرضه مرة اخرى ويوسّع به على مؤمن آخر، ومن هنا جاءت الآيات والأخبار مؤكدة بتحريم الرّبا فقال سبحانه في سورة البقرة{الذين يأكلون الربا لايقومون الا كما يقوم الذي يتخبّطه الشيطان من المسّ} وقال{أحلّ الله البيع وحرّم الربا}.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: الرّبا سبعون جزء أيسرها مثل ان ينكح الرجل أمّه في بيت الله الحرام، ياعلي درهم ربا أعظم عند الله من سبعين زنية كلّها بذات محرم في بيت الله الحرام، وقال بلفظ آخر: للربا سبعون باباً أهونها عند الله كالذي ينكح امه، وقال عليه السلام: كلّ رباء شرك، وقال عليه السلام: كلّ ربوا اعظم عند الله تعالى من سبعين زنية كلّها بذات محرم، وقال عليه السلام: لعن الله الربا وآكله ومؤكله وكاتبه وشاهديه، وقال امير المؤمنين عليه السلام: معاشر الناس الفقه ثم المتجر، والرّبا في هذه الدنيا أخفى من دبيب النّمل على الصفا وقال عليه السلام: لم يتفقّه في دينه ثمّ اتّجر ارتطم في الربا ثم ارتطم، وهذا كله انّما جا من قبل طلب الأحسان وهو القرض، فيكون تحريم الربا سوطا يسوق الناس الى القرض وتعاطيه.

وقال الصادق عليه السلام: الربا رباء ان رباء يؤكل، ورباء لايؤكل، فأمّا الرباء الذي يؤكل فهديتك الى الرجل تطلب منه الثواب، أي الجزاء افضل منها، فذلك الرباء الذي يؤكل، وهو قوله تعالى{وماأتيتم من ربا ليربوا في أموال الناس فلا يربوا عند الله} واما الذي لايؤكل فهو الذي نهى الله تعالى عنه، وأوعد عليه النار، وقد تعارف عند بعض الناس لدفع الربا بعض الحيل الشرعيّة ولابأس به لقوله عليه السلام في جواب من سأل عن مثل هذا نعم الشيء الفرار من الحرام الى الحلال، خصوصاً من مثل هذا الحرام الذي قال فيه عليه السلام: لعن الله الربا وآكله، ومؤكله وكاتبه وشاهديه فشرّك بينهم في الأثم حسماً لمادّة الفساد.

واعلم ان الربا يجري في اكثر مايحتاج اليه الأنسان من الغلاّت والدّراهم وما دخل تحت الكيل والوزن ويكون على طريق التفاضل، والزيادة الحكميّة عندهم كالزيادة العينيّة في التحريم، وقد استثنوا من هذا الحكم جواز ابتياع درهم بدرهم مع اشتراط صياغة خاتم استناداً الى مارواه الشيخ، عن ابي الصبّاح قال: سألت ابا عبد الله عليه السلام عن الرّجل يقول للصّائغ صغ لي هذا الخاتم، وأبدل لك درهماً طازجاً بدرهم غلة، قال: لابأس، وقد عمل بها الشيخ(ره) البيع المذكور وعدّاها الى اشتراط غير الخاتم، وكذلك ابن ادريس الاّ انه نظر الى انّ الصياغة ليست زيادة عينيّة والممتنع في الرّبا هي خاصّة، قال: شيخنا الشهيد قدس الله روحه وأجود مانزلت عليه الرّواية انّها تضمنت ابدال درهم طازج بدرهم غلة مع شرط الصّياغة من جانب الغلّة، ومع ذلك

لايتحقق الزيادة لأنَ الطَازج على ماذكره بعض أهل اللّغة والفقهاء الدَرهم الخالص والغلّة غيره وهي المغشوش، وقد يطلق على المكسرة ولكن هنا يتم مع التفسير الأول لأنّ الزيادة الحكميّة مع المغشوش وهي تقابل بما زاد في المغشوش، هذا كلامه(ره) وقد تكلّمنا على ايضاح معنى هذا الحديث وعلى كلام اصحابناهذا في شرحنا على تهذيب الحديث بما لامزيد عليه، ولنقتصر هنا على بعضه فنقول.

انَ هذه الرَواية لاتصلح سنداً لما قالوه من الحكم الجزئي المخرج عن القاعدة الكليّة بل القاعدة على حالها من تحريم الزيادة الحكمية مطلقاً، وذلك لوجوه:الأول انّ ظاهر هذا الخبر كون مثل هذا قد وقع بلفظ التبديل وهو نوع مراضاة يتعاطاه الناس في معاملاتهم ومحاوراتهم فليس هو بيعاً حتى يجوز فيه مثل هذا.

الثاني ان قوله ابدل لك درهماً طازجاً بدرهم غلة ظاهر في انَ الدَرهم الطَازج انَما هو من مال الصَائغ والدَرهم الغلة من مال الرَجل الذي يقول، وهذا كما يقال في العرف اكتب لي هذا الكتاب وأبدل لك كتاب الشرائع بكتاب الأرشاد، فانّه صريح في انّ كتاب الشرائع انما هو من مال الكاتب لا من مال القائل، وكتاب الأرشاد من مال القائل، وحينئذ فدرهم الغلة انَما هو الدَرهم العتيق المكسر لكنّه بالوزن يزيد على الدَرهم الطازج الذي هو معرب تازة كما هو المتعارف في هذه الأعصار وغيرها على تجديد الدَراهم او تغييرها عن هيئتها الأولى، وحينئذ فتفاوت الدَراهم الطَازج وهو كونه جديد الضرب رائجاً في المعاملات مرغوباً اليه يقابل تلك الزيادة العينية التي في الدَرهم العتيق الذي هو درهم الغلة، فتكون الزيادة العينية بإزاء الزَيادة الحكميَة والدَرهم مقابل الدَرهم فلا تفال بينهما.

الثالث ان المعهود المتعارف هو انّ الدَرهم الجديد انَما هو عند الصائغ لاعند غيره فهو يريد ان يبدله بذلك الدَرهم الثقيل الوزن، ويوضح هذا المعنى ان الشيخ(ره) في التهذيب قد روى خبراً قبل هذا من الصّحيح، عن الحلبي قال: سألت ابا عبد الله عليهالسّلام عن الرجل يستقرض الدَراهم البيض عدداً ثمَ سودا وزناً، وقد عرف انَها أثقل ممّا أخذ، وتطيب نفسه ان يجعل فضلها له، فقال: لابأس اذا لم يكن قد شرط له، لو وهب له كلّها صلح له، فانَ الظاهر انَ المراد بالدَراهم البيض هي الجديدة الطَازجية والسّود هي الغلّة المقابلة لها، وقد صرَح بأن السود أثقل وزناً منها وانَها تعطى بدل القرض لأجل مقابلة الأحسان بالإحسان.

نور يكشف عن الكفر وعن حقيقة الشرك واقسامه وتوابعه المتعلقة به

اعلم ان الكفر في اللغة هو الستر ومنه قيل لليل كافر لأنه يستر ماأظهره نور النهار، وقيل للكافر لأنه ستر ماأنعم الله تعالى عليه من المعارف الإلهيّه والأنوار الرّبانيّة والنعم الجليّة والخفيّة، واما في اصطلاح فقهائنا رضوان الله عليهم فالكافر من جحد ماعلم من دين الأسلام ضرورة، كمن انكر الصلاة او الصوم والحج ونحوها أمّا من انكر ما علم من دين الشّيعة بالضرورة لامن دين الأسلام كتقديم امير المؤمنين عليه السلام بالخلافة والفضيلة وتكفير من تخلّف محلّه فهو ليس بمؤمن لكنّه لايخرج عندهم ن الأسلام الذي عليه المناكحات والطّهارات وإحقان الدماء والأموال، وأما في اصطلاح أهل البيت عليه السلام فالكفر يطلق على امور.

روى الكليني طاب ثراه عن الزّبري عن ابي عبد الله عليه السلام قال: قلت أخبرني عن وجوه الكفر في كتاب الله عزّ وجلّ، قال: الكفر في كتاب الله عزّ وجلّ على مسة اوجه فمنها كفر الجحود، والجحود على وجهين، فالكفر بترك ماأمر الله تعالى، وكفر البراءة وكفر النعم، فامّا كفر الجحود فهو الجحود بالربوبية، وهو قول من يقول لاربّ ولا جنّة ولانار، وهو قول صنفين من الزنادقة يقال لهم الدّهرية، وهم الذين يقولون وما يهلكنا الا الدهر وهو دين وضعوه لأنفسهم بالأستحسان منهم على غير تثبت ولاتحقيق لشيءٍممّا يقولون، قال الله{ان هم الا يظنون} انّ ذلك كما يقولون، وقال{انّ الذين كفروا سواء عليهم ءأنذرتهم ام لم تنذرهم لايؤمنون} يعني بتوحيد الله فهذا احد وجوه الكفر، واما الوجه الآخر من الجحود على معرفته فيه فهو ان يجحد الجاحد وهو يعلم انه حقّ قد استقرّ(استيقن)عنده وقد قال الله{وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا}وقال الله عز وجل وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلمّا جائهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين فهذا تفسير وجهي الجحود.

والوجه الثالث من الكفر كفر النعمة وذلك قوله تعالى يحكي قول سليمان{هذا من فضل ربي ليبلوني اشكر ام اكفر، ومن شكر فانّما يشكر لنفسه ومن كفر فانّ ربي غني كريم} وقال{لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم انّ عذابي لشديد} وقال{فاذكروني اذكركم واشكروا الي ولاتكفرون}.

الوجه الرابع من الكفر ترك ماأمر الله تعالى وهو قول الله تعالى{واذ اخذنا ميثاقكم لاتسفكون دمائكم ولاتخرجون أنفسكم من دياركم، ثم اقررتم وانتم تشهدون، ثم أنتم هؤلاء تقتلون انفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون عليه بالإثم والعدوان، وان يأتكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم اخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم}فكفرهم بترك ماأمر الله به ونسبهم الى الأيمان ولم يقبله منهم ولم ينفعهم

عنده، قال{فما جزاء من يفل ذلك منكم الا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردَون الى اشدَ العذاب ومالله بغافل عمَا تعملون.

والوجه الخامس من الكفر كفر البراءة، وذلك قوله تعالى يحكي قول ابراهيم{كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابداً حتى يؤمنوا بالله وحده}يعني تبرَأنا منكم، وقال يذكر ابليس وتبرَئه من أوليائه الأنس يوم القيامة انَي كفرت بماأشركتموني من قبل، وقال انما اتخذتم من دون الله اوثاناً مودَة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً، يعني يتبرأ بعضكم من بعض، اذا عرفت هذا ظهر لك معنى الكفر الواقع في الأخبار على فعل بعض المحرمات وترك بعض الواجبات، مثل ماورد انَ تارك الحج كافر، وتارك الصلاة كافر، ومرتكب الغيبة كافر وتارك الزكاة كافر الى غير ذلك، وكلَها داخلة تحت هذه الأفراد المذكورة للكفر، فلا تظن انَ الكفر له معنى واحد حتى يشكل عليك الأمر بتلك الأطلاقات كما أشكل على بعض الأعلام، فتقصى بحمل الترك على الترك من وجه الأستحلال وظاهر كثير من الأخبار يأباه.

واما الشرك فهو على ثلاثة أقسام شرك جلي، وشرك خفي، وشرك أخفى، امَا الشَرك الجلي فهو ماذهب اليه أهل الأوثان وعبَاد الأصنام أو الشمس والقمر وشيء من المخلوقات حيث عبدوها وسمَوها آلهة، وقالوا في العلَة التي من أجلها ردَوا كلامه صلى الله عليه وآله وسلم في الأمر بالتوحيد أجعل الألهة الهاً واحداً انَ هذا لشيءٌ عجاب، ثمَ قالوا مانعبدهم الاَ ليقربونا الى الله زلفاً، فهم لم ينكروا الصَانع لكن لم يوحدوه، فهؤلاء ومايعبدون حصب جهنَم وحطبها، وقال تعالى{واتقوا نارا وقودها النَاس والحجارة} فقيل المراد بالحجارة الأصنام التي كانوا ينحتونها من الأحجار، كقوله عليه السلام المرء من أحبَ، ولو انَ أحداً أحب حجراً حشره الله معه، فهم محشرون مع تلك الأحجار كما جا في الرواية، وفي رواية أخرى انَ المراد بالحجارة هنا جبال من كبريت لاضوء لنارها، وانَما هو دخان اسود فيه رائحة الكبريت، وفي الحديث انه يخرج كلَ واحد من زبانية جهنم وعلى عاتقه جبل من كبريت فيأتي المحشر ويسوق جماعة من العصاة امامه، فاذا قارب بهم شفير جهنَم وماهم فيها ورمى ذلك الجبل فوقهم حتَى تتوقد النار عليهم من فوقهم ومن تحت ارجلهم.

وامَا أوَل من وضع الأصنام وعبادتها فروي انَ اولاد أوصياء ادريس عليه السلام قد كان اهل زمانهم يحبَونهم حبَاً شديداً، فلمَا ماتواشق ذلك على قومهم فجاءهم ابليس لعنه الله تعالى فقال اتَخذ لكم اصناماً على صورهم فتنظرون اليهم وتأنسون بهم وتعبدون الله، فأعدَ لهم أصناماً على مثالهم، فكانوا يعبدون الله عز وجل وينظرون الى تلك الأصنام فلما جاء الشتاء والأمطار

ادخلوا الأصنام البيوت فلم يزالوا يعبدون الله عز وجل حتّى هلك القرن ونشأ أولادهم، فأتى الشيطان اليهم وقال لهم انّ آباءكم كانوا يعبدون هذه الأصنام، فعبدوها من دون الله عزّ وجلّ فذلك قول الله تبارك وتعالى{ولاتذرن ودا ولاسواعا} الآية.

واما عبادة النيران فقال الصادق عليه السلام: انّ قابيل لمّا رأى النّار قد قبلت قربان هابيل قال له ابليس: انّ هابيل كان يعبد النار، فقال قابيل: لاأعبد النّار التي عبدها هابيل ولكن اعبد ناراً أخرى وأقرّب قرباناً لها فتقبل قرباني، فبنى بيت النار فقرّب لها القربان ولم يكن له علم بربه عزّ وجلّ ولم يرث منه ولده الاّ عبادة النيران واما الشمس والقمر ففي الرّوايات انّه يؤتى بهما في عرصات القيامة كثورين عقورين فيأمر الله بهما حتّى يرميا في النّار لمكان عبادة النّاس لهما.

واما الشرك الخفي فقد تقدم في الريا تحقيقه وانّ من جملة افراده الرّيا، وذلك انّك شرّكت غير الله معه في عبادتك فهذا هو معنى الشرك بعينه بل هو اخس منه، وذلك أنّ أهل عبادة الأصنام قد عبدوا أموراً موجودة وأعياناً حاضرة أمامهم، واما انت في حال الريا فقد عبدت اموراً موهومة تخيلتها في قوتك الوهمية، وهو انّي اذا أطلت الصلاة في حضور فلان فربّما اثنى عليّ وربّما اوصلني احسانه، وفي غالب الأوقات انّه لايحصل له ماتخيّله فلا يبقى له سوى تعب القوة المتخيّلة والقوة الوهمية فاذن اهل عبادة الأصنام أعلم منك وأفهم، وايضاً فأن أهل الأصنام قد أتوا الى ملّة ودين وجدوا عليها آباءهم قد استحسنوها وزيّن لهم الشيطان أعمالهم حتّى انهم كانوا يعجبون من خلاف الأشراك كما سمعت في قوله تعالى{أجعل الالهة الهاً واحد انّ هذا لشيء عجاب}فهم يتعجبون منّا كيف نعبد الهاً واحداً ونترك الألهة المتعددة.

وبالجملة فهم يعبدون ماثبت عندهم استحقاقه للعبادة أخذا من أسلافهم، واما أنت ايّها المرائي فقد نشوت على فطرة التوحيد وسمعت من آبائك انّه لايجوز ان يشرك مع الله غيره في العبادة وفهمت هذا المعنى واعتقدت حرمته ومع هذا أقبلت عليه بكلّك وصرفت اليه مجامع لبك، فأهل عبادة الأصنام جهّال وأنت أجهل منهم، حيث انهم عبدوا ما استحسنوا وانت عبدت مااستقبحته وايضاً فإنّ أهل الأصنام انّما عبد كل جماعة منهم صنماً واحداً، كما روى انّه كان في أعصار الجاهلية لكل قبيلة صنم يعبدونه وقد كان معلّقة في الكعبة مثل ودّ وسواع ويغوث ويعوق ونسر، فهم يحبون ذلك الصنم ويعظّمونه ولايعظمون صنماً غيره، حتى انه نقل من محبتهم لها الأعاجيب الغريبة والحكايات العجيبة، كما روي ان أهل الهند اتّخذوا بيت صنم ووضعوا في سقفه وفرشه وجدرانه الأربعة حجر المغناطيس، ووضعوا فيما بينهن صنماً من حديد، فبقي معلقاً بينهنّ لتجاذبهنّ له وكثر في أهل الهند محبّوه وعاشقوه، وكان يفتح لهم بابه في كل سنة مرة فيزدحمون اليه ويطلون أجسادهم بالشّمع من القرن الى القدم، فيجيء أحدهم ويجعل بين يديه

شمع موقد بالنار والناس في النّظارة فعند رؤية الصنم توقد النّار على رأسه فيحترق بالتدريج من قرنه الى قدمه وهو يصبر على عشق الصّنم فيقتسم الناس رماده صرّة للتبرك، لصدقه في دعوى محبّة الصنم، ويعلمون الكاذب بفراره وعدم صبره على النار في سبيله فيقتلونه.

وايضاً قد نقل لنا متواتراً في هذه الأعصار انّ جماعة من أهل الهند ممّن يعبد النار اذا مات الرجل منهم أحرقوه في النار، وعمدوا الى زوجته وزيّنوها وحلّوها بأنواع الحلي والحلل وأتى بها أهلها وقومها الى تلك النار فرمت بنفسها في تلك النار حتى لاتبقى بعد زوجها، وان خافت من تلك النار قال أهلها: انّها ارتدت عن الدين وخافت من المعبود الذي هو النار، فيحللونها على المسلمين وكل من حضر من المسلمين يأخذها منهم، فهم يحبون النار هكذا وامّا انت ايّها المرائي ففي يومك الواحد بل ساعتك الواحدة تعبد الجماعات المتكثرة، وذلك ان كل من توهمت في جانبه جلب نفع او دفع ضرر او ثناء او توقير عكفت على اشراكه مع الله تعالى في العبادة(وانت خ ل)ككثير غرّة يعشق كل جميلة يراها او يسمع بها حتى عاب الشعراء وأهل العشق عليه ذلك فقالوا كثير ماهذا التقلّب في الهوى.

وبالجملة فأهل الأصنام في عبادتها اوثق منك وأثبت قدماً فاعتبروا ياأولي الأبصار وايضاً فإن أهل الأصنام انّما عبدوا آلهة ولم يستحيوا من اظهار عبادتها بل يفرحون باظهارها واما انت فلو قيل لك أشركت في عبادة ربك زيداً او عمر واحلفت وأقسمت وبرأت نفسك ممّا نسب اليك، فأنت تعبد من لاتحب الأنتساب اليه وهم يعبدون من يمتدحون بالإنتساب اليه، فمعبودهم على هذا أحسن من معبودك، وايضاً انك قد عرفت انّ اهل الأصنام انما يعبدونها لا لأنها النّافعة الضّارة بل لأنها تقرّبهم الى الله تعالى الذي هو النافع الحقيقي وانت ايّها المرائي قد عبدت غير الله سبحانه بزعمك انّه النافع والمعطي ولايخاطر ببالك حالة الريا الا قصر ماطلبته من الحالات عليه، فمن هذا ايضاً صار عبّاد الأصنام أفهم منك وأكثر شعوراً.

واما الشرك الأخفى فهو امور:منها ان تغيّر شيئاً بالإعتقاد عمّا هو عليه وذلك انّك قد عرفت انّ الله سبحانه قد وضع كلّ شيءٍ في محله ومقرّه فمن أتى يغير شيئاً وان كان حقيراً كان مشركاً، وهذا معنى ماروا بريد العجلي عن ابي جعفر عليه السلام قال: سألته عن أدنى مايكون به العبد مشركاً، قال: فقال: من قال للنواة أنّها حصاة وللحصاة انّها نواة ثم دان به، قال شيخنا البهائي رحمه الله تعالى: لعل مراده عليه السلام من اعتقد شيئاً من الدين ولم يكن كذلك في الواقع فهو ادنى الشّرك ولو كان مثل اعتقاد انّ النّواة حصاة وانّ الحصاة نواة ثم دان به، وقد دخل ابو حنيفة واضرابه من فقائهم تحت هذا النّوع من شرك على ماعرفت من انه يقول علي(كذا) وأنا أقول(كذا) لكن هذا من أفراد الشرك الجلي الاّ انّه لمّا خفي حاله على اكثر النّاس

ادرجناه تحت الشرك الأخفى والخفي، ويدخل تحت هذا ايضاً من كذب متعمداً في الأحكام الشرعية مثل علماء السوء ومحدثيهم الذين أكثروا الكذب على الله ورسوله فهم مشركون ايضاً، وكذلك من كذب من علماء الشيعة في المسائل الشرعيّة وتكلم بلا وقوف ولا تثبت وانّما توهّمه او تعمده لئلا يقال انّه جاهل، وكذلك من أفتى الناس وليس هو بأهل الفتوى فانّه والحال هذا قد نهي عن الخوض في الفتاوي، فاذا أفتى فقد أشرك من حيث لايشعر، ومن هنا صار الشرك دقيقاً جداً.

ومنها الطّاعة فانّك قد علمت انّ الذي يجب طاعته هو الله سبحانه او من امر بطاعته مثل حججه عليهم السلام فمن أطاع غير من فرض الله طاعته فقد صار مشركاً لأنّه بالله الا وهم مشركون} قال: يطيع الشّيطان من حيث لايعلم فيشرك، وقد دخل تحت هذا الفرد من الأشراك سائر مخالفينا من العامّة وغيرهم، وذلك لأنّهم ألزموا أنفسهم طاعة الطّواغيت والجوابيت ومن امر الله ان يكفروا به، فقد صاروا شركاء الله حيث اوجبوا مالم يوجب واشركوا فيه ايضاً من جهة انّ من أوجب طاعته لم يوجبوها هم، ومن هنا روى عميرة عن ابي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول أمر الناس بمعرفتنا والردّ الينا والتّسليم لنا، ثمّ قال: وان صاموا وصلّوا وشهدوا ان لااله الا الله وجعلوا في انفسهم ان لايردّوا الينا كانوا بذلك من المشركين.

ومنها المعارضة والأنكار على الحكم الألهيّة كما يصدر من عوام الناس كثيراً إمّا باللّسان أو بالقلب، واليه الأشارة بقوله عليه السلام لو انّ قوماً عبدوا الله وحده لاشريك له وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وحجوا البيت وصاموا شهر رمضان ثم قالوا لشيء صنعه الله او صنعه النبي صلى الله عليه وآله وسلم الا صنع خلاف الذي صنع، أو وجدوا ذلك في قلوبهم لكانوا بذلك مشركين، ثم تلا هذه الآية{فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في انفسهم حرجاً ممّا قضيت ويسلّموا تسليما} وحينئذ فما يقول جهّال الناس وعوامهم لو انّ الله أغناني لكان هو الأحسن او لو انّ الله فعل بزيد كذا وكذا لكان هو الأصلح ونحو ذلك من العبارات المشتملة بظاهرها على الأعتراض من باب الشرك وأحد أنواعه:فان اسباب المحبة

ومنها الأشراك معه في المحبة كما سيأتي انشاء الله تعالى كلّها راجعة اليه فيجب ان يكون هو المحبوب لا غير ولايكون في القلب غيره وهو بيته ومنزله كما سمعت في الحديث القدسي.

من قوله لم تسعن ارضي ولا سمائي ولا كرسيّ وانّما وسعني قلب عبدي المؤمن فلايكون في هذا البيت الاّ هو او من انتسب اليه وهو من أمر بودادهم مثل الأئمة الطاهرين والعلماء وأولاد الرجل وأقاربه ممّن أمر سبحانه بعطفهم والميل اليهم فمحبّة هؤلاء راجعة الى حبّه سبحانه كما جاء في الحديث، امّا اذا تجاوز القدر المأمور به صار شركاً ومن هذا جاء في الكتب ان

الله سبحانه انما غيب الصديق عن ابيه يعقوب لمكان افراطه في حبه حتى انه اذا ادخل البيت غير صاحبه وقد سأل الصادق عليه السلام عن العشق فقال تلك قلوب خلت من محبة الله فأذاقها الله حلاوة غيره.

وبالجملة فالإفراط في المحبة على القدر المأمور به يكون شركاً لأنه قد أشرك مع الله غيره في الحب والوداد من هنا جاء الأمر منه سبحانه بخلع حب الدنيا عن القلب وقد جاء في الرواية في قول ابراهيم عليه السلام رب أرني كيف تحيي الموتى الآية انّ الله عزّ وجلّ امر ابراهيم ان يزور عبداً من عباده الصالحين فزاره فلمّا كلّمه قال له: انّ لله تعالى في الدنيا عبداً يقال له ابراهيم اتّخذه خليلاً فقال ابراهيم وما علامة ذلك العبد؟ قال: يحيي له الموتى، قال: اولم تؤمن؟ قال: بلى ولكن ليطمئن قلبي على الخلّة، ويقال انه اراد ان يكون له في ذلك معجزة كما كانت للرّسل وانّ ابراهيم سأل ربه عزّ وجلّ ان يحيي له الميّت فأمره الله عزّ وجلّ ان يميت لأجله الحي سواء بسواء وهو انه امره بذبح ابنه اسماعيل وانّ الله عزّ وجلّ امر ابراهيم بذبح أربعة من الطير:طاووساً ونسراً وديكاً وبطّاً، فالطّاووس يريد به زينة الدّنيا، والنّسر يريد به الأمل الطّويل، والبطّ يريد به الحرص، والدّيك يريد به الشهوة ويقول عزّ وجل ان اردت ان يحيي قلب وتطمئن معي فأخرج عن هذه الأشياء الأربعة فإذا كانت هذه الأشياء في قلب فإنّه لايطمئن معي، وروي عن العالم عليه السلام في تفسير قوله تعالى فاخلع نعليك انّك بالواد المقدّس انّ المراد انزع حبّ قلبك عن أهلك فإنّ الزوجة تشبه بالنّعل والنّعل الآخر هم الأولاد فقد أمر حالة اللّقاء (لقائه خ ل) مع المحبوب الحقيقي بخلع ماسواه من الأحباب، وأمّا ايضاح هذه الطّيور الأربعة.

فاعلم انّ الطّاووس طائر معروف وهو يحبّ الزهو بنفسه والخيلاء والإعجاب بريشه وعقدة لذنبه كالطّاق لاسيّما اذا كانت الأنثى ناظرة اليه وقيل أعجب الأمور انه مع حسنه يتشأم به وقيل انّ السبب فيه انّه ادخل ابليس الى الجنّة فأخرج آدم منها فصار سبباً لخلو الدّار من أهلها فلذاكره النّاس اقامته في الدّور.

وروي ان آدم عليه السلام لمّا غرس الكرمة جاء ابليس فذبح عليها طاووساً فشربت دمه فلمّا طلعت اوراقها ذبح عليها قرداً فربت دمه، فلمّا طلعت ثمرتها ذبح عليها اسد فشربت دمه، فلمّا انتهت ثمرتها ذبح عليها خنزيراً فشربت دمه فلهذا شارب الخمر تعتريه هذه الأوصاف الأربعة، وذلك انّه اول مايشربها وتدب في أعضائه يزهو لونه ويحسن كما يحسن الطّاووس واذا جاء مبادىء السكر لعب وصفق ورقص كما يفعل القرد، واذا قوي سكره جاء بصفة الأسد فيعبث ويهتزي بما لافائدة فيه ثم ينقعص كما ينقعص الخنزير ويطلب النوم ويخل عزم قوته، وامّا النّسر فهو من أطول الطّير عمراً يقال انّه يعمر ألف سن، وسمّي نسراً لأنّه ينسر الشيء ويبتلعه.

وعن الحسن عليه السلام انه يقول في صياحه عش ماشئت فإنّ الموت ملاقيك وزعم قوم انّ الأنثى من هذا الصّنف تبيض من نظر الذكر اليها وهي لاتحضن وانّما تبيض في الأماكن العالية الضاحية للشمس فيقوم حرّ الشّمس للبيض مقام الحضن وهو حاد البصر يرى الجيفة من أربعائة فرسخ وكذلك حاسّة شمّه لكن قيل انّه اذا شمّ الطيب مات لوقته وليس في سباع الطّير اكبر جثة منه ومع هذا قالوا انّه اقواها جناحاً حتى انه يطير مابين المشرق والمغرب في يوم واحد اذا وقع على الجيفة وعليها عقيان تأخّرن عنه وكل الجوارحه تخافه، واذا وقع على الجيفة وأكل منها امتلأ ولم يستطع الطّيران ختّى يثب وثبات يرفع بها نفسه طبقة في الهوى حتى يدخل تحت الرّيح وربّما صاده الضعيف من الناس في هذه الحالة، وهو اشدّ الطّير حزناً على فراق الفه واذا فارق احدهما الآخر مات حزناً وكمداو في الروايات عنه صلى الله عليه وآله وسلم انّ النّسر سيّد الطيور، ومن هذا ذكروا في خواصه انّ من حمل معه قلب النّسر كان محبوباً ومهاباً مقضي الحاجة عند السّلطان وغيره ولايضره سبع ابداً.

وامّا البط وحرصه على الماء وعلى إلتقاط الحبّ اينما كان فهو ظاهر مشهور وامّا الدّيك وشهوته خصوصاً للجماع فظاهر وذلك انه ربّما كان في المحلة الواسعة الثيرة الدّجاج ديك فيكفي لكل تلك الدجاج، ومن خصاله الحميدة انّه لايؤثر واحدة على واحدة وقد أمر صلى الله عليه وآله وسلم بأن يتعلم الناس من الدّيك خصالاً:الشجاعة والغيرة والكرم وكثرة الجماع ويعجبني نقل كلام ذكره شيخنا الشيخ بهاء الدين قدس الله روحه وهو انّ النفس الأنسانية واقعة بين القوة الشهوانية والقوة العاقلة فبالأولى تحرصعلى تناول اللّذات البدنيّة البهيميّة كالغذاء والسّفاد والغالب وسائر اللّذات العاجلة الفانية وبالأُخرى تحرص على تناول العلوم الحقيقية والخصال الحميدة المؤديّة الى السعادات الباقية الأبدية والى هاتين القوتين اشار سبحانه بقوله وهديناه النّجدين، وبقوله تعالى{انا هديناه السبيل امّا شاكراً وامّا كفوراً} فان جعلت الشّهوة منقادة للعقل فقد فزت فوزاً عظيماً وأهتديت صراطاً مستقيماً وان سلّطت الشّهوة على العقل وجعلته منقاداً لها ساعياً في استنباط الحيل المؤديّة الى مراداتها هلكت يقيناً وخسرت خسراناً مبيناً، واعلم انّك نسخة مختصرة من العالم فيك بسائطه ومركباته وماداياته ومجرّداته بل انت العالم الكبير بل الأكبر كما قال أمير المؤمنين وسيّد الموحدين عليه الصلاة والسلام:

دوائك فيك وماتبصر ... ودائك منك وما تشعر

وتزعم انّك جرم صغير ... وفيك انطوى العالم الأكبر

وانت الكتاب المبين الذي ... بأسطاره يظهر المضمر

وما من شيء الاّ وانت تشبهه من وجه لكنّ الغالب عليك اربعة اوصاف: الملكية والسبعية والبهيميّة والشّيطانية فمن حيث الملكي تتعاطى أفعال الملائكة من عبادة الله سبحانه وتعالىوطاعته والتّقرب اليه ومن حيث الغضب(السبعيّة خ) تتعاطى أفعال السبّاع من العداوة والبغضاء والهجوم على النّاس بالضّرب والشّتم، ومن حيث الشّهوة تتعاطى أفعال البهائم من الشّره والشبق والحرص ومن حيث الشّيطانية تتعاطى افعال الشّياطين فتستنبط وجوه الشّر وتتوصل الى الأغراض بالمكر والحيل فكان المجتمع في اهابك ايّها الأنسان ملك وكلب وخنزير وشيطان فالملك هو العبادة والكلب هو الغضب والخنزير هو الشهوة والشيطان هو المكر والحيل، فان اشتغلت بجهاد هذه الثلاثة بالبصيرة النّافذة وكسرت شرّه هذه الخنزير بتسلّط الكلب عليه اذ بالغضب تنكسر سورة الشهوة واذللت الكلب بتسليط الخنزير وجعلت الكل في مملكة العدل مقهورين تحت السياسة اعتدل الأمر وظهر العدل في مملكة البدن وجرى الكل على الصراط المستقيم، وان لم تجاهدهم قهورك واستخدموك فلا تزال في استنباط الحيل وتدقيق الفكر في تحصيل مطلوبات الخنزير ومرادات الكلب فتكون دائماً في عبادة كلب وخنزير.

وهذا حال أكثر النّاس الذين همّتهم مصروفة الى البطن والفرج ومناقشة الخلق ومعاداتهم والعجب منك انّك تنكر على عبّاد الأصنام عبادتهم لها ولو كشف الغطا عنك وكوشفت بحقيقة حالك ومثّل لك مايمثل للمكاشفين امّا في النوم او في اليقظة لرأيت نفسك قائماً بين يدي خنزير مشمراً ذيلك في خدمتك ساجداً له مرة وراكعاً له أخرى منتظراً لإشارته وأمره فمهما طلب الخنزير شيئاً من شهواته توجهت على الفور الى تحصيل مطلوبه واحضار مشتهياته ولأبصرت نفسك جاثياً بين يدي كلب عقور عابداً له مطيعاً لما يلتمسه مدققاً للفكر في الحيل الموصلة الى طاعته وانت بذلك ساع فيما يرضى الشيطان ويسره فانّه هو الذي يهيّج الكلب والخنزير ويبعثهما على استخدامك، فأنت من هذا الوجه عابد للّشيطان وجنوده ومندرج في المخاطبين المعاتبين يوم القيامة بقوله{ألم أعهد اليكم يابني آدم ان لاتعبدوا الشّيطان انّه لكم عدو مبين}.

فليراقب كل عبد حركاته وسكناته وسكوته ونطقه وقيامه وقعوده لئلا يكون ساعياً طول عمره في عبادة هؤلاء، فهذا غاية الظّلم حيث صيّر المالك مملوكاً والسيّد عبداً والرئيس مرؤساً، اذا العقل هو المستحق للسّيادة والرئاسة والأستيلاء وهو قد سخّره لخدمة هؤلاء وسلّطهم عليه وحكمهم فيه، قال بعض المفسرين عند قوله تعالى{وسخّر لكم مافي السموات وما في الأرض جميعاً انّ في ذلك لآيات لقوم يتفكرون}قد سخّر لك الكون ومافيه لئلا يسخر منك شيء وتكون مسخّراً لمن سخّر لك الكل فان جعلت نفسك مسخّرة لما في الكون في الكون اسيرة للذّات الفانية

فقد جهلت فضل الله لديك وكفرت نعمته عليك اذ خلقك عبداً لنفسه حراً من الكل فاستعبدك الكلَ ولم تشتغل بعبودية الحق بحال انتهى وماأحسن قول رابعة العدوية:

لك ألف معبود مطاع أمـــره   دون الأله وتدّعـى التوحـــيدا

ومن افراد الشرك قول الناس فيما تعارف بينهم لولا فلان هذه السّنة او هذا الشّهر لمت انا وأولادي او لم أعش الى هذا الوقت ونحو ذلك ممّا يؤدي معناه، وذلك انّ هذا قول من غفل عن الله سبحانه وعن كونه هو الرّزاق وانّه هو الذي سخّر ذلك الرجل وهيأ له الأسباب التي يتوصل بها الى احسانك فهو ليس الا كالالة في ايصال ذلك النفع اليك، فان الله تعالى لو لم يعطه مالاً ولم يجعل في قلبه الشّفقة عليك ولم يأمره بصلة أمثالك لما رأيت منه شيئاً من الإحسان وكذلك اذا لم يتكلّم بهذا الكلام لكنّه كان من عقيدته وممّا ارتكز في خياله فانّه ايضاً من الشّرك الأخفى لأنَ هذا الأعتقاد الفاسد منه ليس الاّ كإعتقاد من عظم الأوثان وخضع لها لأنها التّي وصل النّفع اليه وتدفع الضرر عنه.

وبالجملة فأنواع الشرك وأفراده أكثر من ان تحصى وقوله سبحانه{ولاتشركوا به شيئاً} متناول لأنواع الشرك وافراده، فان قلت اذا كان كلَ ماذكرت من الشرك لمنهي عنه لاينفعك أحد منّا، ان التلبس بفرد من افراده اذا اعطيناه الأنصاف مع قوله تعالى{ان الله لايغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء} فكيف حالنا عند الورود على الله وكيف نرجوا منه المغفرة مع ما أسمعنا من هذا الكلام وقطع آمالنا منه.

قلت وان كان الحال على ماذكرت من عدم الخلوَ من أحد أفراده لكن الله سبحانه قد جرت عادته الرّبانية بتوفيق المؤمن للتوبة من ذلك الذنب والنّدامة عليه ومعرفته ولو بعد حين بأنَ المنعم الحقيقي ليس الا هو تعالى شأنه، ومن ألطافه به عدم توفيق الناس في غالب الأوقات لقضاءحوائجه حتى يرجع الى الله عند الأياس منهم ويلجأ اليه ويندم على ماأشرك به في جنب الله ويعرف انّه ليس الملجأ الاّ اليه كما قال مولانا الأمام زين العابدين عليه السلام ياكهفي حين تعييني المذاهب يعني به التّرددات الى الخلق والذّهاب اليهم فإذا أعيت عليه الحيل ولم ينتفع بتلك التّرددات إعترف بهذا المعنى.

وفي الحديث ان الله سبحانه يرمي عبده المؤمن بالنّعاس اذا أراد القيام للصلاة فيصبح وهو ماقت لنفسه زار عليها وهو من ألطاف الله سبحانه لئلا يعجب بعمله، وحينئذ فالنوم خير له من العبادة فهو سبحانه الذّي أنامه عن صلاة الليل لئلاّ يعجب بأعماله وهو الذي لم يوفّق الناس للإحسان اليه حتى يكون مأيوساً منهم فيرجع الى الله ويطلب ما طلب منه تعالى ويندم على الأقبال الذّي صدر منه على الناس فانظر هنا كيف صار منع الألطاف الطافاً.

نور يكشف عن عقوق الوالدين وعما توعد عليه من العذاب ومايتبعه من قطيعة الرحم

اعلم ان الله تعالى قد أكثر في كتابه من الوصية بالوالدين حتى انه ذكره في سبع آيات.

الأولى قوله تعالى في سورة البقرة{وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً}.

الثانية قوله تعالى في سورة النساء{فاعبدوا الله ولاتشركوا به شيئاً وبالوالدين احساناً}.

الثالثة قوله سبحانه في سورة الأنعام{قل تعالوا أتل ماحرّم ربّكم عليكم الاّ تشركوا به شيئاً وبالوالدين احساناً}.

الرابعة قوله تعالى في سورة بني اسرائيل{وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً{٢٣} وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً}.

الخامسة قوله تعالى في سورة العنكبوت{وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}.

السادسة قوله عز من قائل في سورة لقمان{وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ}.

السابعة قوله تعالى في سورة الأحقاف{وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً} فانظر الى هذه الآيات كيف قرن فيها بين النهي عن الشرك وبين النهي عن عقوق الوالدين اشارة الى انه في درجة الشرك في الخلود في العذاب، ومن هذا قال صلى الله عليه وآله وسلم: يقال للبار بوالديه اعمل ما شئت سأغفر لك ويقال للعاقّ لوالديه أعمل ماشئت فإنّي لاأغفر لك، وفي هذا اشارة الى ان البرّ بالوالدين لايضر معه سيئة فكل ماعمل من السّيئات تكفره تلك الحسنة وكذا في جانب العقوق فأنّ العاق كل ماعمل من خير لاينفعه وهو متلبس بالعقوق لوالديه وذلك انّه تعالى قرن رضاه برضاهما وعقوقه بعقوقهما، وفي الحديث انّ ريح الجنة ليشم من مسيرة خمسمائة عام ولايشمّه عاق الوالدين، وفي وصاياه صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام ياعلي خلق الله عزّ وجلّ الجنّة من لبنتين لبنة من ذهب ولبنة من فضة وجعل حيطانها الياقوت وسقفها الزبرجد وحصاها اللّؤلو وترابها الزعفران والمسك الأذفر ثمّ قال لها تكلّمي فقالت لااله الا الله الحيّ القيوم قد سعد من يدخلني قال الله جل جلاله وعزتي وجلالي لايدخلها مد من خمر ولانمّام ولاديّوث ولاشرطي ولامخنّث ولاعشّار ولاقاطع رحم ولاقدريّ، والشرطي

منسوب الى الشّرط كصرد طائفة من اعوان الظالمين سمّوا بذلك لأنّهم علموا بعلامات يعرفون بها.

وقوله ولاعشّار المراد به من يأخذ العشر او أقل او أكثر من غير حقّ سواء أخذه في البلد او الصحراء، وقوله ولاقاطع رحم سيأتي تحقيق الرحم ولكن من أقرب الأرحام الوالدين، وقوله ولاقدري المراد به الأشاعرة الذين ذهبوا الى انّ كل الأفعال مقدورة له سبحانه والعبد ليس له قدرة على شيء.

واعلم ان البر بالوالدين له فوائد في الدّنيا والآخرة والعقوق يبطلها امّا الدنيا فمن فوائده انّه يؤخّر الأجل ويزيد في العمر، والعقوق يقرب الأجل وفي الرواية انّه ربّما كان قد بقي من عمر الأنسان ثلاث سنين ثم انّه يحسن الى والديه ويصل ارحامه فيؤخره الله ثلاثين سنة وانّ منهم من يبقى من عمره ثلاثون سنة ثم انّه يقطع أرحامه او يعق والديه فيمحو الله سبحانه الثلاثين ويثبت مكانها ثلاث سنين وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رأيت في المنام رجلاً قد أتاه ملك الموت لقبض روحه فجاء برّه بوالديه فمنعه منه.

وقال الصادق عليه السلام من احب ان يخفف الله عنه سكرات الموت فليكن بقرابته وصولاً وبوالديه باراً فاذا كان كذلك هوّن الله عليه سكرات الموت ولم يصبه في حياته فقر أبداً، وفي الرواية انّه دخل النبي صلى الله عليه وآله وسلم على شاب وهو في سكرات الموت وقد تعسر عليه قبض الرَوح فقال صلى الله عليه وآله وسلم له يافلان فأجابه فقال ماترى قال أرى أسودين قد دخلا عليّ وهما واقفان امامي فأنا خائف منهما فقال صلى الله عليه وآله وسلم ألهذا الشاب ام؟ فقيل نعم فأتت أمه فقالت انا فقال لها أراضية أنت عن ابنك هذا ام ساخطة عليه؟ فقالت بل أنا ساخطة عليه والآن رضيت عنه لأجلك فغشي على الشاب فلمّا أفاق قال له مارأيت قال رأيت يارسول الله خرج الأسود ودخل عليّ ابيضان وانا فرحان برؤيتهما ثم انّه مات من ساعته.

وفي حديث آخر انّ رجلاً مات على عهده صلى الله عليه وآله وسلم ولّما دفنوه لفظته الأرض ولم تقبله فقال صلى الله عليه وآله وسلم انّ ام هذا الرجل ساخطة عليه فأمرها بالرضاء عنه حتى قبلته الأرض.

وروي عن العسكري عليه السلام قال عاش نوح عليه السلام ألفين وخمسمائة سنة وكان يوماً في السَفينة نائماً فهبّت ريح فكشفت عورته فضحك حام ويافث فزجرهما سام عليه السلام ونهاهما عن الضَحك وكان كلّما غطّى سام شيئاً تكفه الريح كشفه حام ويافث فانتبه نوح عليه السلام فرآهم(هماط) وهم يضحكون، فقال ماهذا؟ فأخبره سام بما كان فرفع نوح عليه السلام يده الى السماء يدعو ويقول اللهم غير ماء صلب حام حتّى لايولد له الا السّودان اللّهم غيّر ماء

صلب يافث فغيّر الله ماء صلبيهما فجميع السّودان حيث كانوا من حام وجميع التّرك والصّقالية ويأجوج ومأجوج والصّين من يافث حيث كانوا وجميع البيض سواهم من سام وقال نوح عليه السلام لحام ويافث جعل الله ذرّيتكما ملكاً لذرية سام الى يوم القيمة لأنّه برّني وعققتماني فلا زالت سمة عقوقكما في ذريتكما ظاهرة وسمة البرّ في ذرية سام ظاهرة ما بقيت الدنيا.

واما فوائده في الآخرة وهي السّعادة كل السّعادة قال الصادق عليه السلام بينا موسى بن عمران يناجي ربّه عزّ وجل اذ رأى رجلاً تحت ظلّ عرش الله فقال يارب من هذا الذي قد أظلّه عرشك؟ فقال هذا كان باراً بوالديه ولم يمش بالنّميمة.

وأما العقوق فقال الصادق عليه السلام ادنى العقوق اف ولو علم الله تعالى شيئاً أهون منه لنهى عنه وقال عليه السلام من نظر الى ابويه نظر ماقت وهما ظالمان له لم يقبل الله له صلاة ومن العقوق ان ينظر الرجل الى والديه فيحدّ النّظر اليهما وقال عليه السلام انّ ابي عليه السلام نظر الى ابن يمشي متّكأ على ذراع الأب قال فما كلّمه ابي عليه السلام مقتاً له حتى فارق الدنيا وروي عنه عليه السلام في قوله تعالى{ولاتقل لهما اف ولاتنهرهما} قال ان أضجراك فلا تقل لهما أف ولاتنهرهما ان ضرباك قال وقل لهما قولاً كريماً قال ان ضرباك فقل لهما غفر الله لكما فذلك منك قول كريم ثم قال واخفض لهما جناح الذّل من الرّحمة قال لاتملأ عينيك من النّظر اليهما الاّ برحمة لهما ورأفة ولاترفع صوتك فوق أصواتهما ولايدك فوق ايديهما ولاتقدّم قدامها.

وروى محمد بن مسلم عن ابي جعفر عليه السلام قال انّ العبد ليكون باراً بوالديه في حياتهما ثم يموتان فلا يقضي عنهما دينهما ولايستغفر لهما فيكتبه الله عزّ وجلد عاقاً وانّه ليكون عاقاً في حياتهما غير بار فاذا ماتا قضى دينهما واستغفر لهما فيكتبه الله عز وجل باراً وقال عليه السلام ثلاثة لم يجعل الله عز وجل للعبد فيهن رخصة اداء الأمانة الى البر والفاجر والوفاء بالعهد للبرّ والفاجر وبر الوالدين برّين كانا او فاجرين، وعن الزهري قال كان علي بن الحسين عليه السلام لايأكل مع امه وكان ابرّ النّاس بامه فقيل له في ذلك؟ فقال اخاف ان آكل معها فتسبق عينها الى شيءٍ من الطعام وانا لاأعلم فآكله فأكون قد عققتها.

وروى الشيخ عن محمد بن مسلم عن احدهما عليهما السلام قال لّما زوّج علي بن الحسين عليه السلام امّه مولاه وتزوّج هو مولاته كتب اليه عبد الملك بن مروان كتاباً يلومه فيه ويقول انك وضعت شرفك وحسبك، فكتب اليه علي بن الحسين عليه السلام انّ الله تعالى رفع بالإسلام كلّ خسيسة وأتم به الناقصة واذهب به اللّوم فلا لوم على مسلم وانّما اللّوم لوم الجاهليّة وامّا تزويج امّي فانّما أردت بذلك برها فلمّا انتهى الكتاب الى عبد الملك قال لقد صنع علي بن

الحسين أمرين ماكان يصنعهما احد الا اتّضع الاَ علي بن الحسين عليه السلام فانه بذلك ازداد شرفاً.

فان قلت كيف يوطن الشيعي نفسه على انَ امَ علي بن الحسين عليه السلام وهي شهربانو بنت يزدجرد ملك العجم بعد شهادة الحسين عليه السلام تزوّجت بمولى من الموالي اما معتق او غير معتق وهل النفس تقبل مثل هذا وان كان جائزاً في الشريعة، قلت قد روى الصدوق نور الله ضريحه عن الرضا عليه السلام انَ شهربانو امَ علي بن الحسين عليه السلام قد ماتتفي نفاسها به وكانت للحسين عليه السلام أمة مدخولة فسلّمه اليها وكانت هي التي تولّت تربيته وكان يقول لها امي ويحترمها ذاك الأحترام وهي التي زوجها مولاه والمراد به واحد من الشيعة وخواصّه لإطلاق المولى عليه ايضاً.

وقد روى التصريح به في حديث آخر وفي بعض الروايات انها ألقت نفسها في الفرات في وقت شهادة الحسين عليه السلام خوفاً من يزيد لأنه كان يكره العجم، وقيل انَ علي بن الحسين عليه السلام اركبها جملاً في تلك الواقعة الهائلة وقال لها كوني على ظهره اين مضى فقيل انه مضى بها الى الري والآن فيه بقعة يزورها الناس ويقولون هذا قبر امَ علي بن الحسين عليهما السلام ولكن الأعتماد على ماروي عن الرضا عليه السلام اذا عرفت هذا.

فاعلم ان حقوق الأم اعظم من حقوق الأب ولهذا أفردها سبحانه في الآيتين الأخيرتين بما به تستحق توقير التعظيم بقوله{حملته امه وهنا على وهن} وبقوله{حملته امه كرهاً ووضعته كرهاً} ومن هذا جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال له رجل يارسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال امّك قال ثم من؟ قال امّك قال ثم من قال ابوك ذكر الأم مرتين وفي رواية اخرى ثلاثا قال بعض العلماء هذا يدل على انّ للأم ثلثي بر الابن على الرواية الأولى او ثلاثة ارباعه على الرواية الثانية وللأب امّا الثلث او الربع وينبغي ان يحقق الأنسان انه مهما بالغ في برّهما وخدمتهما فهو لايكون قد أتى بحقهما.

كما روي ان رجلاً أتى الى الصادق عليه السلام فقال له انّي خدمت ابوي حتى كبر سنّهما فصرت اخدمهما كما تخدم الأطفال فهل اتيت بحقهما؟ فقال عليه السلام لا وذلك انّهما خدماك وهما يحبّان بقاك وانت تخدمهما وتكره بقاءهما، ولكن روي عن سدير الصيرفي قال قلت لأبي جعفر الباقر عليه السلام هل يجزي الولد والده؟ قال ليس له جزاء الا في خصلتين ان يكون الوالد مملوكاً فيشتريه فيعتقه او يكون عليه دين فيقضيه عنه.

بقي الكلام في تحقيق الوالدين الذين ورد في تلك الآيات الأمر ببرّهما وطاعتهما فنقول انَ الذي ورد في الأخبار عنهم عليهم السلام أطلاقهما على معان ثلاثة الأول ان المراد بالوالدين

النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلي عليه السلام قال صلى الله عليه وآله وسلم انا وعلي ابوا هذه الأمة ونحن الولدان المأمور ببرّنا في آيات الكتاب وذلك انّ الأبوين سببان في ايجاد الولد واما هما عليهما السلام فهما السببان الاعظمان كما قال تعالى في الحديث القدسي لولاك ما خلقت الافلاك فهما السببان في إيجاد العالمين فيكون مدخليتهما في وجود الابن أعظم من مدخلية الاب في وجود الابن ومن هذا كان صلى الله عليه واله هو اب المؤمنين وزوجاته امهاتهم

وفي الروايات الغريبه ان عليا عليه السلام صعد على منبر الكوفة فقال الفاظاً معناها ان المراد بالوالدين في قوله تعالى وبالوالدين احساناً انا ورسول الله، فقام رجل من أهل المسجد فقال له ياابن ابي طالب سحرت اهل الحجاز وأتيت تسحر أهل العراق بتأويلك القرآن فرمقه عليه السلام بطرفه فاذا هو قد صار غراباً ابقع فطار من بين القوم ووقع على حائطالمسجد يزعق والناس ينظرون اليه فقال بعضهم لبعض قد بلغ من سحر ابن ابي طالب انّه يمسخ الرجال والله لئن لم تعاجلوه بالقتل لصنع بكم ماصنع بصاحبكم وكان عدة القوم ثلاثين ألفاً، فتعاقدوا على انّه اذا جاء الى صلاة الجمعة وفرغ من الخطبة ونزل وسجد نبادر اليه بسيوفنا كلّها فنضربه بها حتّى لايعرف له قاتل، فلمّا أتى يوم الجمعة تقلّدوا بسيوفهم وأتوا الى المسجد، فلمّا سجد في الركعة الأولى أقبض كلّ واحد منهم قائمة سيفه ليخرجهمن جفنه، فما أتى في ايديهم سوى قبضات السيوف، فلمّا فرغوا من الصلاة قام عليه السلام وتخطّى القوم وأتى الى منزله، فنظروا واذا سيوفهم ليس الاّ القبضة والجفن ولم يروا حديدة السيف فتعجبوا.

وكان بعض مواليه عليه السلام معهم، قال فأتيته عليه السلام في بيته وحكيت له كيد القوم وتسويلهم وماجرى عليهم من فقد سيوفهم، فقال لي عليه السلام اذا كان غداً فتعال الينا اول النهار فأتيته في الغد، فقال لي اخرج الى ظهر الكوفة حتى تبلغ الى موضع كذا وكذا فاذا وصلت اليه ترى قافلة مقبلة يقدمها رجل على بغلة، فتقدّم عليه وقل له انّ امير المؤمنين عليه السلام أرسلني اليك وهو يقول سلّم اليّ هذه القافلة وارجع سالماً، فلمّا بلغت الى ذلك الموضع رأيت ذلك الرجل يقدم القافلة فقلت له ماقال لي، فقال هذه القافلة خذها اليه وارجع فأتيت بالقافلة اليه عليه السلام فطرحت تلك الأحمال عنده ولم أدر مافيها.

فقال عليه السلام ادع فلاناً يعني جماعة من شيعته ومواليه فدعوتهم فلمّا أتوا اليه قال اخرج ما في هذه الحمول، فلما خليتها فاذا حدايد السيوف، فعددتها فاذا هي ثلاثون ألفا، فقسمها بين مواليه وشيعته وخرجوا لبيعها في الاسواق وباعوا على اولئك القوم فعرفوها وأشتروها بأغلى ثمن، فأتيت اليه وقلت له ياامير المؤمنين ما هذه السيوف فقال هي سيوفهم، وذلك انها لما

ارادوالمكر أرسل الله اليهم ألفا من الملئكه فأخذ كل ملك بسيف واحد من القوم وجمعوها وأتوا بها مع ذلك الرجل الذي رأيته

هـذا المـناقب لاقعبان من لـبن شيبت بماء فصارت بعد أبوالا

فاين هذا من الرجل العالم الذي يقول كل الناس أفقه من عمر حتى المخدرات تحت الحجال وصاحبه الذي يقول ان لي شيطانا يعتريني اذا ملت فعدلوني، وبالجمله فالابوان عليهما السلام فمن برهما استحق ثواب الابرار، ومن عقهما كان من أهل العقوق.

الثاني ان المراد بالأب من علّم الأنسان العلوم الدينية فانّه قد هداه وأنقذه من النار، فهو قد أحيا قلبه ونوّره بأنوار المعارف الألهية وقد قال تعالى{ومن احيا نفساً فكانما أحيا الناس جميعاً}قال من أنقذها من ظلالة الى هدى، وهذا شأن المعلمفهو الأب الثاني لأنه كان سبباً في حياته الباقية والأب سبب في حياته الفانية، وحينئذ فيجب عليه ان يبره فان عقه بواحد من أنواع العقوق كان من أهل الذنوب والآثام.

وكان في أصفهان رجل عالم من مجتهدينا رأيناه وقرأنا عليه وقد كان في أول تحصيله يقرأ عند مجتهد آخر فلما نشأ ذلك التلميذ أنكر قراءته على ذلك الشيخ، ولم يقرّ له بالفضل، فبلغ الأستاذ قوله فدعا عليه وقال اللهم اسلبه كل ماقرأ عندي وأخذه مني، فسلبه الله الحافظة بعد ما كان مشهوراً بالحفظ فصار لايحفظ مسئلة على خاطره، بل لابدّ له في كل مسئلة من مراجعة كتبه ومؤلفاته وهو الآن موجود في اصفهان ونحن نحمد الله على توفيقه لنا لبرّ المشايخ والقيام بوظائف دمتهم والأستغفار لهم أحياءً وأمواتاً ورضّاهم عنا.

واما تلاميذنا فمنهم من آذانا غاية الإيذاء، وعقنا نهاية العقوق، فنحن نقول اللهم قابل اسائته الينا بالإحسان، وقابل عقوقه لنا ببرك به، ووفقه لكل خير بحق محمد وآله الطّاهرين، ولاتستبعد ماجرى على ذلك الفاضل من سلب الله سبحانه ما منحه من المسائل فانه قد روي عنه عليه السلام انّ العلم يهتف بالعمل فان اجابه والا إرتحل عنه، ولاريب ان البر للمعلم من أعظم الأعمال وأقواها، فحيث لم يقم به ارتحل عنه العلم ارتحالاً بعيداً.

الثالث المراد بهما هذان الأبوان وان علوا، فالجدّاب وان علا وكذا الجَدة وكما يجب على الولد البر بوالديه فكذلك يجب على الوالدين البرّ بأولادهما، قال عليه السلام يلزم الأباء من العقوق لأولادهم مايلزم الأولاد من العقوق لأباءهم، وقال عليه السلام لعن الله والدين حملا ولدهما على عقوقهما، فينبغي للآباء أن يحسن الى الأولاد كما هو المشاهد في هذه الأعصار، وممّا يتعلق بالأولاد من مسائل الفقه تأكيداً لحقوق الأبوين تحريم السفر المباح بغير إذنهما، وكذا السفر المندوب، واما لو كان واجباً كالسفر لطلب العلم فان أمكن تحصيله عندهم كتحصيله في السفر فلا

يجوز حينئذ الا بإذنهما، وان لم يكن مطلقاً، او أمكن على وجه ناقص جاز السفر مطلقاً والمراد بالعلم الذي يجب له السفر الواجب علم الكلام والفقه والحديث والتَفسير أمّا غيره كحكمة الأبدان وحكمة الفلاسفة والنّجوم ونحوها فلا يجوز له السفَر الا بإذنهما.

واما مقدمات العلوم الواجبة كعلم العربية ونحوه فالظّاهر جواز السفَر له ايضاً بغير اذنهما كالعلم الواجب، وذلك لأنّ علم النحو او نحوه قد صار جزء من العلم الواجب لشدّة توقّفه عليه، وانّ من كان لااطلاع له على علوم العربية لم يحصّل العلوم الواجبة على وجه يكمل الأنتفاع بتحصيله، ومنه ايضاً ماقاله بعض الأعلام من انه يجب طاعتهما في كل فعل وان كان شبهة، فلو أمراه بالأكل معهما من مال يعتقده شبهة الأكل وجب له أكله فليؤخّر الصلاة وليطعهما لما قلناه، ويجوز لهما منعه عن صلاة الجماعة ولكن لامطلقاً بل اذا شقّ عليهما مخالفته كالسَعي في ظلمة الليل الى العشاء والصّبح، وكالسّعي في الأوقات الحارّة والباردة.

ومنه ايضاً ماقاله جماعة من الأصحاب وهو انّهما لو دعواه في الصّلاة النافلة قطعها، لما صح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انّ امرأة نادت ابنها وهو في صومعة، فقالت ياجريح فقال اللّهم امي وصلاتي، فقالت لاتموت حتى تنظر في وجوه المؤمنات، وفي بعض الروايات انّه صلى الله عليه وآله وسلم قال لو كان جريح فقيهاً لعلم انّ اجابة أمّه أفضل من صلاته، ومنه ايضاً ترك الصّوم ندباً الا بإذن الأب ولم أقف على نصّ في الأم.

ومنه ايضاً ترك اليمين والعهد الابإذنه ايضاً مالم يكن في فعل واجب او ترك محرم، ولم أقف في النّذر على نصّ خاص الا ان يقال هو يمين يدخل في النهي عن اليمين الا بإذنه.

بقي الكلام في تحقيق الرحم المأمور بصلته في الكتاب والسنة، والكلام هنا يقع في أمور:

الأول الرحم؟ قال اكثر علمائنا المراد به المعروف بنسبه وان بعد، وان كان بعضه آكد من بعض ذكراً او انثى، وقصر بعض العامة له على من يحرم نكاحهم لاوجه له مع ماورد في الروايات، وروي في تفسير قوله تعالى{فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم، فعن علي عليه السلام انّها نزلت في بني اميّة، وهو يدل على تسمية القرابة المتباعدة رحماً، وقد روي في حديث انّه صلى الله عليه وآله وسلم لّما عرج الى السّماء رأى رحماً معلقة بالعرش تشكو من رحمها، فسألت كم بينها وبين القرابة؟ فقيل انها تلتقي معها بعد سبعين أباً، والظاهر انّ مثل هذا من باب التأكيد ومن باب الأستحباب.

الثاني بمن الصلة؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم صلوا ارحامكم ولو بالسّلام، ففيه تنبيه على ان السلام صلة، ولاريب انه مع فقر بعض الأرحام وهم العمود ان يجب الصلة بالمال ويستحب لباقي الأقارب ويتأكد في الوارث وهو قدر النَفقة، ومع الغنى فبالهدية في بعض الأحيان

بنفسه او برسوله، واعظم الصلة ماكان بالنّفس، وفيه اخبار كثيرة، ثم بدفع الضّرر عنها، ثم يجلب النَفع اليها، ثم بصلة من يجب نفقته وان لم يكن رحماً للواصل كزوجة الأب والأخ ومولاه وأدناها السلام بنفسه، ثم برسوله، والدعاء بظهر الغيب والثّناء في المحضر.

الثالث ما الصلَة التي يخرج به عن القطيعة؟ والجواب المرجع في ذلك الى العرف لأنَه ليس حقيقة شرعية ولالغوية، وهو يختلف بإختلاف العادات وبعد المنازل وقربها.

الرابع هل الصلة واجبة او مستحبة؟ قال شيخنا الشهيد قدس الله روحه أنها تنقسم الى الواجب وهو مايخرج به عن القطيعة، فان قطيعة الرحم معصية بل قيل هي من الكبائر والمستحب مازاد على ذلك.

(نور في حب الدنيا واسبابه وعلاماته)

اعلم وفقك الله اننا قد اسلفنا لك بيان الدنيا التي قال فيها الأنبياء عليهم السلام حبَها رأس كل خطيئة، وان المراد بها الحالة التي تبعدك عن جناب مولاك وان كانت الصلاة وسائر الطاعات، فانها اذا وقعت لابقصد الأخلاص كانت رياء يقصد بها التَقرب الى المخلوقين فيكون من أرفاد الدنيا، وان المال وان كثر اذا قصد به التَوسعة على الأخوان كان من أهم المطالب الأخروية، وكذلك الجاه والأعتبار فانَه قد يطلب لقضاء حوائج المؤمنين الذي عرفت ان قضاء الحاجة واحدة منها أفضل عند الله من عشر طوافات بالبيت مع انَ ثواب كل طواف يكتب له ستة الآف حسنة، ويمحي عنه ستة الآف سيئة، ويرفع له ستة الآف درجة، وليس من ذنب يصدر من ابن آدم الاَ كان منتهيا الى حب الدَنيا ومسبّباً عنه.

روى الكليني طاب ثراه عن محمد بن مسلم بن عبيد الله[1] قال سأل علي بن الحسين عليه السلام أي الأعمال أفضل عند الله تعالى؟ قال مامن عمل بعد معرفة الله تعالى ومعرفة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أفضل من بغض الدَنيا، وانَ لذلك شعباً كثيرة وللمعاصي شعباً، فأول ما عصي الله تعالى به الكبر معصية ابليس حير ابى واستكبر وكان من الكافرين، ثم الحرص وهي معصية آدم وحواء حين قال الله تعالى لهما{فكلا من حيث شئتما ولاتقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين} فأخذا مالا حاجة له اليه، ثم الحسد وهي معصية ابن آدم حيث حسد أخاه فقتله، فتشعَب من ذلك حب النساء، وحب الدنيا، وحب الرئاسة، وحب الراحة، وحب الكلام وحب

---

(١) هو الزهري المدني المعروف بابن شهاب واسم جده(عبيد الله).

العلو والثَروة فصرن سبع خصال، فاجتمعن كلّهن في حب الدنيا، فقالت الأنبياء والعلماء بعد معرفة ذلك حب الدّنيا رأس كل خطيئة، والدّنيا دنياء ان دنيا بلاغ، ودنيا ملعونة.

وبالجملة فهي سبب لكل المعاصي، قال الصادق عليه السلام انّ الشيطان يدير ابن آدم في كل شيءٍ فاذا أعياه جشم له[1] عند المال فاذا أخذ(فأخذ) برقبته، واَما جمع المال بقصد التَوسعة على العيال والأخوان وان كان هذا كما عرفت ليس من امور الدنيا الا انّ الأولى ان يقتصر على هذه النَية، ففي الحديث انّ المؤمن اذا قال ان آتاني الله مالاً أفعل كذا وكذا من أمور الخير أعطاه الله ثواب مانواه وان لم يعطه المال ليفعله، امّا اذا وجد بالسَعي وحصل ذلك المال فهو فيه على أخطار.

منها انّ المال الكثير قلّما يجتمع من حلال كما قال الصادق عليه السلام ماأجتمعت عشرة الآف من حلال قط، ومنها انّه عند اجتماعها كثيراً مايعرض له اهمال الحقوق الواجبة كما قال عليه السلام لاتتعرّضوا لجمع الأموال فانّه كلّما كثرت الأموال كثرت الحقوق بها، وإخراج الحقوق عسر جداً لما روي عنه عليه السلام انّ درهم الصّدقة يفك بين لحيي سبعمائة شيطان كلّهم يعضون عليه بأضراسهم، ومن ذا الذي يكون له من قوة الأيمان مايقابلهم الاّ القليل.

وروي ان رجلاً عابداً كان جالساً مع العبّاد فقرأ احدهم هذا الحديث، فقال ذلك العابد أنا هذه السّاعة امضي الى منزلي وأتصدّق بصدقة وأرى كيف الشّياطين تمنعني، فخرج مبادراً الى المنزل فدخله وأتى الى الحنطة وبسط عباه فأخذ بها حنطة يتصدّق بها فرأته زوجته فقالت له اين تريد بهذه الحنطة ونحن في هذه السنة المجدبة، لعلّك تريد ان تهلك أولادك جوعاً، فسوّلت له الأباطيل حتّى ندم ورمى بالحنطة، وأتى الى اصحابه فقالوا له لعلّك تصدّقت بشيءٍ ولعل الشّياطين لم يحضروك، فقال انّ الشّياطين لم يحضروا ولكن كانت أمّهم حاضرة، فقامت مقامهم في المنع يعني به زوجته، ولاشك في انّ الواحدة منهنّ تعادل الآفاً من الشّياطين، ومن هنا قال صلى الله عليه وآله وسلم شاوروهن وخالفوهنّ، وكان هو صلى الله عليه وآله وسلم يفعل مثل ذلك، وفي الحديث انه مايأس الشّيطان من بني آدم الاّ أتاهم من قبل النّساء وهن من أعظم فخوخه ومصائده، وقد بيّنا سابقاً ان كل فتنة وقعت في العالم فانّما جاءت من قبلهنّ، وذلك ان الفتنة الأولى وهي أكل آدم من الشجرة وإخراجه الى الأرض انّما جاء من قبل حوّاء لأنّ آدم لما يقبل وساوس الشّيطان وسوس الى حواء فجاءت الى آدم فكلّمته في أمر الأكل من الشّجرة حتى حملته عليه، واَما الفتنة الأخيرة التّي نشأ منها خراب العالم وهي غصب خلافة أمير المؤمنين عليه

---

(١)جشم الأمر تكلفه على مشقة وتجشم فلانا من بين القوم أي اختاره وقصد قصده.

السلام وإستظهارهم واتّفاقهم على عداوته فانّما جاء من قبل عائشة وعداوتها وحسدها لفاطمة عليها السلام بسبب انّه صلى الله عليه وآله وسلم كان يظهر المحبّة لها ولولديها فغارت من هذا عائشة وأضمرت العداوة لها ثمّ أظهرتها، فتخطّت تلك العداوة من النّساء الى الرجال فبغض علياً عليه السلام ابوبكر وعمر ففعلا مافعلا وفعلت عائشة بعدها مافعلت.

ومنها انّه ربما تسبّب بجمع الأموال الى إهلاك نفسه ابتداءً قبل الظّفر بمطلوبه منه، كما روي انّ المسيح عليه السلام خرج يوماً الى البريّة ومعه ثلاثة من أصحابه، فلمّا توسّعوا في البرية رأوا لبنة ذهب مطروحة في الطريق، فقال عيسى عليه السلام هذا الذي أهلك من كان قبلكم ايّاكم ومحبّة هذا، فمضوا عنها فما مضى ساعة حتى قال واحد منهم ياروح الله ائذن لي في الرجوع الى البلد فانّي أجد الألم، فاذن له فأتى الى تلك اللّبنة ليأخذها فجلس عندها.

فقال الثاني ياروح الله ائذن لي في الرجوع فأذن له وكذلك الثّالث، فاجتمعوا عند تلك اللبنة ليأخذوها فاتّفقوا على أخذها، فقالوا نحن جياع فليمض واحد منا الى البلد ليشتري لنا طعاماً حتى تدخل البلد، فمضى واحد فأتى الى السوق واشترى طعاماً فقال في نفسه انّي أجعل فوقه سمّاً فيأكلاه فيموتا فتبقى تلك اللّبنة الذهب لي وحدي فوضع في الطّعام سمّاً، واما الآخران فتعاقدا(هدا) على ان يقتلاه ويأخذا اللبنة، فلمّا جاء بالطّعام بادروا اليه وقتلاه وجلسا يأكلان الطعام فما أكلا الا قليلاً حتى ماتا فصاروا كلّهم امواتا عند تلك اللبنة، فلمّا رجع عيسى عليه السلام مرّ على تلك اللّبنة فرأى أصحابه أمواتاً، فعلم انّ تلك اللّبنة هي التي قتلهم، فدعى الله سبحانه فأحياهم لأجله فقال لهم أما قلت لكم انّ هذا هو الذي أهلك من كان قبلكم فتركوا اللّبنة ومضوا.

وحكي ان رجلاً عارفاً سافر وحده ومعه كيس من الدراهم، فلمّا توسّع في البرية توهم من حمل تلك الدّراهم وخاف على نفسه القتل فأخذ بالكيس ورماه ومشى على فراغ بال واطمئنان خاطر، وقد كان رجل يمشي في ذلك الطّريق على أثره فوجد ذلك الكيس فرفعه وحمله معه فلحق بذلك العارف، فسأله وقال ياأخي أهذا الطّريق أمن أم لا؟ فقال له العارف ان كان الذي رميته انا رفعته انت فهو غير أمن وان كان تركته فالطّريق أمن، وكثيراً ما رأينا رجالاً ركبوا البحار وخاطروا بالأنفس وتحملوا مشاق السفر الطويل وصرفوا أكثر أعمارهم في تحصيل الأموال فلمّا حصّلوها ورجعوا الى بلادهم عجل عليهم الموت قبل الوصول اليها بيوم او يومين او أقل فأكلها بعده أعداؤه املا زوج امرأته او نحوه، وربّما حصل من تلك الأموال النّدامتان، امّا ندامة الدّنيا فبخروجه من تلك الأموال ومفارقته لها عند الموت وكذلك في حال الحياة ايضاً فان صاحب المال تعبان القلب من وجوه كثيرة.

وقد كان لنا أخ صالح فسافر الى بلاد الهند وأتى معه بما يقرب من ألفي درهم فأتى الينا ونحن في شيراز في المدرسة المنصوريّة في عشر السّتين بعد الألف فأخذنا له حجرة في المدرسة وبقي معنا ووضع تلك الدّراهم معه في الحجرة، وكان من خفيف نومهاَنّ كلّ من يمشي في صحن المدرسة هو يستيقظ من نومه خوفاً عليها، وكنّا نخرج معه من المدرسة الى البساتين او نحوها ونأتي اليه قبل الخروج حتّى يجعل القفل العظيم على الحجرة ونحن معه فاذا انتهينا الى البستان وجلسنا قام ذلك الشّيخ فنقول له اين؟ فيقول الى المدرسة أخاف ان اكون قد نسيت حجرتي من غير قفل.

فنقول له انّا قد رأيناك قفلتها فلم يقبل منّا، وهذا كان حاله مدّة من الزمان فلمّا أنفقها من يده صرنا نجيء اليه وهو نائم وندقّ الباب دقاً عنيفاً فما يستيقظ، وصار يترك الحجرة هكذا من غير قفل، فعلمنا انّ الدّراهم خرجت من يده وكان الحال على ماعلمناه.

واما الندامة الأخروية فقال عليه السلام ويل لمن رأى حسناته في ميزان غيره وذلك انه يتعب باله في جمع المال ولاينفعه في سبيل الله فيأتي بعده من يتصدّق به ويصل المؤمنين فيكون ثوابه يوم القيامة في ميزان غيره، فيالها حسرة عظمى وشقاوة كبرى، وان أنفقها الوارث في غير حقّها عوقب عليها وكان لذلك الرجل الذي جمعها ولم ينفقها فيما أمر به حظّ وافر من عذابها.

وقد كان في زماننا رجل صالح وكان في خدمة سلطان الهند خرم شاه، وكان مداخله من الأموال في كل سنة تقرب من أربعمائة ألف دينار وكان ينفقها في سبيل الله، فسمع السّلطان بذلك فطلبه يوماً وقال له يافلان ينبغي للإنسان ان يكون له حظّ من حب المال، وأنا سمعت بأنّك ماتحب المال، فقال ذلك الرجل ايها السّلطان والله انّي لحريص على حب المال وماأحد من خواصّك أحرص مني.

وذلك اني اريد ان آخذ كلّ أموالي معي ولا أُبقي منها شيئاً، والنّاس يريدون يبقونها بعدهم فأي حريص أحرص مني، فقال له صدقت، ومن هذا كلّه والخوف منه مال الأولياء الى ارادة الفقر، فقال عليه السلام اذا رأيت الفقر مقبلاً فقل مرحباً بشعار الصالحين واذا رأيت الغنى مقبلاً فقل ذنب عجلت عقوبته، إنا لله وانا اليه راجعون.

وفي الروايات انّ عيسى عليه السلام لما رفعه الله الى السماء الرّابعة زارته الملائكة فوجدوا عليه قميصاً مرقّعاً برقع كثيرة فضجّوا وقالوا الهنا ليس يساوي عبدك عيسى عندك ثوباً صحيحاً؟ فنودوا ان فتّشوا عيسى، ففتشوه فوجدوا في قميصه أبرة يرقع بها ما يخترق منه، فقال تعالى فو عزتي وجلالي لولا ابرته لرفعته الى السّماء السّابعة، وفي الأنجيل انّ عيسى عليه السلام قال اللّهم ارزقني غدوة رغيفاً من شعير، وعشيّة رغيفاً من شعير، ولاترزقني فوق ذلك فاطغى.

وقال الصادق عليه السلام انّ الله عزّ وجلّ ليعتذر الى عبده المحوج كان في الدنيا كما يعتذر الأخ الى أخيه فيقول وعزتي وجلالي ماأفقرتك لهو ان كان بك عليّ فارفع هذا الغطاء فأنظر ماعوّضتك عن الدّنيا، فيكشف له عن بصره فينظر ماعوّضه الله عزّ وجلّ عن الدّنيا فيقول ماضرّبي يارب مازويت عنّي مع ماعوّضتني، والى هذا الحديث وأمثاله نظر العقلاء فأختاروا بيع هذه الدّنيا الدنيّة بما عند الله سبحانه.

روى هشام بن الحكم انّ رجلاً من اهل الجبل أتى ابا عبد الله عليه السلام ومعه عشرة آلاف درهم وقال له اشتر لي داراً انزلها اذا قدمت وعيالي ثم مضى الى مكّة، فلمّا حجّ وانصرف انزله الصادق عليه السلام غب داره، وقال اشتريت لك داراً بالفردوس الأعلى، حدّها الأول الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والثاني الى علي عليه السلام والثالث الى الحسن عليه السلام والرابع الى الحسين وكتبت الصّك به، فلمّا سمع الرّجل بذلك قالت رضيت، ففرق الصادق عليه السلام تلك الدّنانير على أولاد الحسن والحسين عليهما السلام وانصرف الرجل، فلمّا وصل الى منزله اعتلّ علّة الموت، فلمّا حضرته الوفاة جمع أهل بيته وحلفهم ان يجعلوا الصّك معه في قبره ففعلوا ذلك، فلمّا اصبحوا وغدوا الى قبره وجدوا الصّك على ظهر قبره وعلى ظهره وفي لي ولي الله جعفر بن محمد بما وعدني.

ورأيت في كتاب عوالي اللئالي حديثاً وهو انّ رجلاً غنيّاً أراد المسير الى مكة فهيّأ لها مايحتاج اليه المسافر فركب يوماً في بعض حوائجه ، فمر بطريق ورأى امرأة علويّة قد أقبلت الى دجاجة ميتة منبوذة في الطريق لتأخذها.

فقال لها هذه ميتة فلم تأخذيها؟ قالت الحاجة تضطر الأنسان الى هذا، فأخذها معه الى المنزل ودفع اليها كلّ ماهيّأه للسفر وترك الحج في تلك السنة، فلما رجع الحاج مضى اليهم ليزورهم وكل من دخل عليه قال له أحدهم رأيناك يافلان بعرفات، ويقول الآخر رأيناك بالمشعر، وهكذا فتعجّب الرجل فأتى الى الأمام عليه السلام وحكى له فقال نعم انّ الله سبحانه أرسل ملكاً على صورتك ليحجّ عنك، وهو ذا يحجّ عنك في كلّ سنة، فانظر كيف فاز بثواب الصّدقة والحجّ.

وبينبغي للإنسان ان يقدم امور آخرته على امور دنياه فانّك قد تحققت انّ في جمع الأموال الأخطار الكثيرة، حكى عن بعض الصالحين انّه سأل عن توبته، فقال انّي كنت رجلاً دهقاناً فاجتمع عليّ اشغال ليلة من الليالي كنت احتاج الى ان اسقي زرعاً، وكنت حملت حنطة الى الطّاحون، فوثب حماري وضل فقلت ان اشتغلت بطلب الحمار فاتني سقي الزرع، وان اشتغلت بالسقي ضاع الطّحن والحمار، وكان ذلك ليلة الجمعة وبين قريتي والجامع مسافة بعيدة.

فقلت اترك هذه الأمور كلّها وامضي الى صلاة الجمعة، فمضيت وصليت فلمّا انصرفت ومررت بالزرع فاذا هو قد سقي، فقلت من سقاه؟ فقيل انّ جارك أراد ان يسقي زرعه فغلبته عيناه وانتبق السّكر فدخل الماء زرعك، فلمّا وافيت باب الدار اذا انا بالحمار على المعلف، فقلت من ردّ هذه الحمار؟ فقالوا صال عليه الذئب فالتجأ الى البيت، فلمّا دخلت الدّار اذا أنا بالدقيق موضوع هناك، فقلت كيف سبب هذا؟ فقالوا انّ الطحّان طحن هذا بالغلط فلمّا علم انّه لك ردّه الى منزلك، فقلت ماأصدق ما قيل من كان لله كان الله له، ومن أصلح لله أمراً أصلح الله أموره.

وينبغي للعاقل ان يتفكّر في الأمثال التي ضربها عليهم السلام للدّنيا، منها مارواه الصّدوق(ره) باسناده الى الحرث الأعور قال بينا أنا أسير مع أمير المؤمنين عليه السلام ياحارث الحيرة اذ نحن بدير انّي يضرب النّاقوس، قال فقال علي بن ابي طالب ياحارث أتدري مايقول هذا الناقوس؟ قلت الله ورسوله وابن عم رسوله أعلم، قال انّه يضرب مثل الدنيا وخرابها ويقول:لااله الا الله حقّاً حقّاً صدقاً صدقاً، انّ الدّنيا قد غرّتنا وشغلتنا واستهوتنا واستغوتنا، ياابن الدنيا مهلاً مهلاً، ياابن الدنيا دقاً دقاً، ياابن الدنيا جمعاً جمعاً تفنى الدنيا قرناً قرناً، ما من يوم يمضي عنّا الاّ أوهى منّا ركناً قد ضيّعنا داراً تبقى واستوطنا داراً تفنى لسنا ندري مافرّطنا الا لو قدمنا، قال الحرث ياأميرالمؤمنين النّصارى يعلمون ذلك؟ قال لو علموا ذلك لما اتّخذوا المسيح إلهاً من دون الله.

قال فذهبت الى الدّير فقلت له بحق المسيح لّما ضربت بالنّاقوس على الجهة التي تضربها، قال فأخذ يضرب وأنا أقول حرفاً حرفاً حتّى اذا بلغ الى موضع قوله الا لوقدمنا فقال بحق نبيكم من أخبركم بهذا؟ فقلت الرجل الذي كان معنا امس، قال وهل بينه وبين النبي من قرابة، قلت هو ابن عمه، قال بحق نبيكم اسمع هذا من نبيكم قال قلت نعم، فأسلم ثمّ قال لي والله انّي وجد في التوراة انّه يكون في آخر الأنبياء نبي وهو يفسر مايقول الناقوس.

ومنها قول الباقر عليه السلام مثل الحريص على الدّنيا كمثل دودة القزّ كلمّا ازدادت على نفسها لفّاً كان أبعد لها من الخروج حتى تموت غماً، فانظر الى حسن هذا المثال بل حال الأنسان أسوء من حال دودة القز وذلك انّ دودة القز ان ماتت غماً في الذي نسجته على نفسها لكنها لاتموت بالكليّة ولهذا اذا بقيت في القزّ مدة مديدة تحرّكت في بطن القزة وقرضت وخرجت منها بصورة طائر حسن الصورة وماذلك الاّ لأنّها جهدت في خراب ما نسجت ولاتموت في بطن القزة الاّ اذا وضعت القزة في الشمس الحارة، واما الأنسان اذا نسج على نفسه بمتاع غرور الدّنيا تعذر عليه الخروج فيبقى في المجلس الضيّق الى ان تأتيه شمس القيامة فتحرقه.

ومنها قول الصادق عليه السلام انّ في كتاب علي عليه السلام انّما مثل الدنيا كمثل الحيّة مـاألين مسّها وفي جوفها السّم الناقع، يحذرها العاقل ويهوى اليها الصبي الجاهل وهذا المثل كالأول وذلك انّ الصّبي انما ينظر الى ظاهرها وفي ظاهرها من النقوش والخطوط فيهوى اليها الصبي بل الحيّة خير من الدنيا وذلك انّها وان كان في جوفها السم الناقع الضّار لكن يخرج منها خرزة سوداء مدورة تنفع للسع الحيّات، وذلك انّها توضع على موضع اللدغة فتجذب السم وتقلعه من البدن، فهي نافعة من هذه الجهة مع انّها انّما تضرّ من آذاها.

حكى لي ثقة من أصدقائي انّه كان عندهم حية في البيت فكان عندها فراخ، قال فأردنا أن ننظر اليها يوماً، فلمّا خرجت بادرنا الى فراخها فوضعناها تحت قدر وخرجنا من البيت، فلمّا أتت الى فراها فلم ترها عمدت الى البيت وجالته على الفراخ فلم تجدها، فلمّا أيست منها أتت الى لبن في البيت فدخلت فيه وشربت منه وقاءته حتى صار أصفر من السّم، وخرجت من البيت فعمدنا الى فراخها ووضعناها في موضعها فأتت مرة اخرى، فلمّا رأتها أتت الى ذلك اللبن ودخلت فيه وخرجت عنه فوضعت نفسها على التراب ودخلت على اللبن وهكذا حتى صار ذلك اللبن مثل لون التراب ومضت عنه حتى لانشربه، واما الدنيا فإنها تلسع كل احد ومنها قوله عليه السلام الدنيا كمثل ماء البحر كلما شرب منه العطشان ازداد عطشاً حتى يقتله ومنها قوله عليه السلام الدنيا كمثل البيت قد انخفض سقفه فكل من دخل اليه لابد وان يطأطأ رأسه ومتى رفعه شجه السقف والداخل الى الدنيا حاله هكذا بل هو اسوأ حالاً.

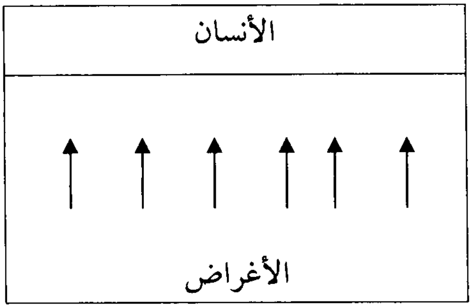
ومنها مانقله الصدوق طاب ثراه عن بعض الحكماء في تشبيه اغترار الأنسان بالدنيا وغفلته عن الموت والأهوال وانهماكه في لذات الدنيا الممزوجة بالكدورات بشخص مدل في بئر مشدود وسطه بحبل وفي اسفل ذلك البئر ثعبان عظيم متوجه اليه منتظر سقوطه فاتح فاه لألتقاطه، وفي أعلى ذلك البئر جرذان أبيض وأسود لايزالان يقرضان ذلك الحبل شيئاً فشيئا ولايفتران على قرضه انا من الأناة، وذلك الشخص مع انه يشاهد ذلك الثعبان ويرى انقراض الحبل انا فأنا قد أقبل على قليل عسى القد لطّخ به جدار ذلك البئر وامتزج بترابه واجتمع عليه زنابير كثيرة وهو مشغول بلطعه منهمك في ملتذ بما أصاب منه لتلك الزنابير عليه قد صرف باله غير ملتفت الى مافوقه وماتحته فالبئر هو الدنيا والحبل هو العمر والثعبان الفاتح فاه هو الموت والجرذان الليل والنهار القارضان للأعمار، والعسل المختلط بالتراب هو لذات الدنيا الممزوجة بالكدورات والآلام والزنابير هم ابناء الدنيا المتزاحمون عليها وهذا المثل كالأمثال السابقة في الأنطباق على الممثل له.

وبالجملة فالعاقل من تفكر في كلام امير المؤمنين عليه السلام فانه كان عارفاً بداء الدنيا ودواءها ومن ثم قال ابو جعفر عليه السلام كان امير المؤمنين عليه السلام بالكوفة اذا صلى العشاء الآخر ينادي ثلاث مرات حتى يسمع اهل المسجد ايها الناس تجهز وا رحكم الله فقد نودي فيكم بالرحيل فما التعرج على الدنيا بعد النداء فيها بالرحيل تجهزوا وارحكم الله وانتقلوا بأفضل ما بحضرتكم من الزاد وهو التقوى، واعلموا ان طريقكم الى المعاد وممركم على الصراط، والهول الأعظم أمامكم وعلى طريقكم عقبة كئود ومنازل مهولة مخوفة لابد لكم من الممر عليها والوقوف بها فأما برحمة من الله فنجاه من هولها وعظّم خطرها وفضاعت منظرها ومختبرها واما بهلكه ليس لها بعدها انجبار واي مثل للدنيا اعظم من أمثاله سبحانه وله الأمثال العليا قال في سورة الحديد{أنمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ} وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مالي والدنيا انما مثلي والدنيا كمثل راكب قال(من القيلولة) في ظل شجرة في يوم صيف ثم راح وتركها.

وفي وصية لقمان لأبنه على ماقال الصادق عليه السلام ان الدنيا بحر عميق قد غرق فيه عالم كثير، فلتكن سفينتك فيها تقوى الله، وحشوها الأيمان وشراعها التوكل وقيمها العقل ودليلها العلم وسكانها الصبر ومن أجل هذا ورد الحث على التفكر لأنه يؤدي الى مقت الدنيا والرغبة عنها، وروى الحسن الصيقل قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عما يروي الناس تفكر ساعة خير من قيام ليلة، قلت كيف يتفكّر قال يمر بالخربة او بالدار فيقول اين ساكنوه اين بانوه مالك لا تتكلمين، وقال الرضا عليه السلام ليس العبادة بكثرة الصلاة والصوم انما العبادة التّفكر في امر الله عز وجل وذلك ان بالتّفكر يقصر الأمل فاذا قصر الأمل كثر العمل واقوى اسباب حب الدنيا والميل اليها انما يجيء من جهة طول الأمل فان الأمل يزيد على العمر بكثير.

روي عن ابن مسعود قال خط النبي صلى الله عليه وآله وسلم ربعاً وخط خطاً في الوسط خارجاً منه وخط خططاً صغاراً الى هذا الذي في الوسط، فقال هذا الأنسان وهذا أجله محيطاً به وهذا هو الخط الذي هو خارج أمله وهذه الخطط الصغار الأغراض فانى أخطأه هذا نهشه هذا وهذه صورته:

الأمل



واما من قصر امله في الدنيا فهي لاتغره، روي ان عيسى عليه السلام صعد جبلاً فرأى شخصاً يعبد الله تعالى في حر الشمس فقال له لم لاتستظل؟ فقال يانبي الله انّي سمعت من الأنبياء انّي لاأعيش أكثر من سبعمائة سنة فلم أجد من عقلي ان اشتغل بالبناء، فقال عليه السلام انّي لأخبرك بما يعجبك، قال فماذا؟ قال يكون في آخر الزمان قوم لاتنتهي عمر أحدهم الى أكثر من مائة سنة وهم يبنون الدور والقصور ويتّخذون الحدائق والبساتين ويأملون أمل عمر ألف سنة، قال الشيخ فوالله اني لو أدركت زمانهم لجعلت عمري في سجدة واحدة، ثمّ قال لعيسى عليه السلام ادخل هذا الكهف حتى ترى عجباً فدخل فرأى سريراً من حجر وعليه ميّت وعلى رأسه لوح من حجر مكتوب عليه أنا فلان الملك أنا الذي عمرت ألف سنة، وبنيت ألف مدينة، وتزوجت بألف بكر، وهزمت ألف عسكر ثم كان مصيري الى هذا فاعتبروا ياأولي الألباب.

وفي الحديث ان سليمان عليه السلام مرّ على رجل يعمل بمسحاته فوقف قربه فقال اللهم انزع من قلبه آمال الدنيا، فنزعها الله سبحانه فألقى الرجل مسحاته وجلس، ثمّ قال بعد ساعة اللهم الق في قلبه الأمل، فقام الى مسحاته وحرث، فتقدّم اليه سليمان عليه السلام وقال له ياعبد الله كيف جلست ثم قمت؟ قال قد فكرت انّ هذا الذي أحرثه لعلي لاأبقى الى أوانه فلم أزرعه فجلست، ثمّ فكرتبأن الأنسان لابد له من خير يعيش به في الدنيا ثم قمت الى مسحاتي.

ومن أعظم أسبابه أيضاً حب الأولاد قال الله تعالى{انما اموالكم وأولادكم فتنة} وقد كان رجل يقول عند أمير المؤمنين عليه السلام اللهم اني اعوذ بك من الفتن، فقال عليه السلام لاتقل هذا فان أولادك من الفتن وتلا هذه الآية، ولكن قل اللهم اني أعوذ بك من مضلاّت الفتن، وفي الرواية ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يوماً يخطب على المنبر فجاء الحسنان عليهما السلام وعليهما ثياب جديدة، فعثر الحسين عليه السلام في ذيل ثوبه فلمّا رآه النبي صلى الله عليه وآله وسلم قطع الخطبة وسقط عليهما وحملهما وأجلسهما معه فوق المنبر، وقال صدق الله حيث

قال{إنّما اموالكم واولادكم فتنة} والله لما رأيت الحسين عثر بطرف ثوبه لم أملك نفسي حتى وقعت عليه.

واسباب الميل الى الدنيا اكثر من ان تحصى ودواء الكل واحد وهو التّفكر في فنائها وسرعة زوالها وتقلّب أحوالها، فمن عجائب تقلبها انَ رجلاً من الخلفاء العباسيّة جعلوه خليفة يوماً واحداً، وقد عزلوه في اليوم الآخر وأخذوا ماعنده فاحتاج ذلك اليوم الى ان يقف على باب المسجد ويتكفّف الناس، وكان يقول لهم ارحموا من كان بالأمس أميركم واليوم سائلكم، وكل مانال فيها المؤمن من المراتب فهي سجنه بالنّظر الى ما أعدّ له في الجنان، فالميل الى مثل هذا لايكون عن رأى سديد، روي انّه خرج الحسن عليه السلام من داره في حلّة فاخرة وبزّة طاهرة ثم ركب بغلة فارهة غير قطوف وصار مكتنفاً من حاشيته وحاشيه بصفوف، فعرض له في طريقه من محاويج اليهود رجل قد أنهكته العلة وارتكبته الذلة، فاستوقف الحسن عليه السلام وقال ياابن رسول الله أنصفني، فقال عليه السلام في أي شيء؟ فقال جدك يقول الدنيا سجن المؤمن وجنّة الكافر وانا كافر فما ارى الدنيا الا جنّة تتنعم بها وتستلذ بها وماأراها الاّ سجناً لي قد أهلكني ضرّها وأتلفني فقرها، فلمّا سمع الحسن عليه السلام كلامه أوضح لليهودي خطاء ظنه، وقال ياشيخ لونظرت الى ما أعدّ لي وللمؤمنين في الدّار الآخرة ممّا لاعين رأت ولاأذن سمعت لعلمت اني قبل انتقالي اليه هذه الدنيا في سجن ضيق مع ماأنا فيه، ولو نظرت الى ماأعد الله لك ولكل كافر في الدار الآخرة من سعير نار الجحيم ونكال العذاب المقيم لرأيت أنّك قبل مصيرك اليه الآن في نعمة واسعة وجنّة جامعة، ومأحسن قول الشاعر:

ياخاطب الدنيا الدنيّة انّها	شرك الرّدى وقرارة الأكدار
دنيا اذا ماأضحكت في يومها	أبكت غداً تعساً لها من دار
غاراتها لاتنقضي وأسيرها	لايفتدى بعظائم الأخطار

وقول الآخر:

هي الدنيا تقول بملأ فيها	حذار حذار من بطشي وفتكي
فلا يغرركم حسن ابتسامي	فقولي مضحك والفعل مبكي

والدنيا اما مأخوذة من الدناءة وهي الخسة او من الدنو وهو القرب لقربها بالنظر الى الآخرة، وهذا المعنى الثاني هو الذي حمل الناس على مساوىء الأعمال حيث زعموا انّها نقد والآخرة نسيئة وقدّموا النقد على النسيئة ولم ينظروا الى قول الخبير امير المؤمنين عليه السلام لو

كانت الدنيا ذهباً والآخرة خزفاً لأخترت خزف الآخرة على ذهب الدنيا لأنَه خزف باق وذهب الدنيا فان، فكيف والآخرة ذهب والدنيا خزف فان.

ورأيت في كتاب تفسير انّ ملكاً من ملوك اليونان استعمل على ملبسه جارية أدبها بعض الحكماء فألبسته يوماً ثيابه وأرته المرآة فرآى في لحيته شعرة بيضاء، فاستدعى بالمقراض فقصها، فأخذتها الأمة فقبلتها ووضعتها عال(قال) واصغت اذنها اليها فقال الملك لأي شيء تصغين اليها؟ فقالت اني اسمع هذه المبتلاة تفقد كرامة قرب الملك تقول قولاً عجباً، قال وماهو؟ قالت مايجتري لساني على النطق به، قال قولي امنته مالزمت الحكمة، فقالت انها تقول ايها الملك المسلّط الى امد قريب انَي خفت بطشك بي فلم اظهر حتى عهدت الى بناتي ان يأخذن بثاري، وكأنّك بهن قد خرجن عليك فأما ان يعجلن الفتك بك وامّا ان ينقصن شهوتك وقوتك وصحتك، حتى تجد الموت، فقال اكتبي كلامك فكتبته فبقي يتدبر فنبذ ملكه وخرج سائحاً قال الشاعر:

يــاويح مــن فقــد الــشباب وغيَــرت	منـــه مفــارق رأســه بخــضاب
يرجـــو عمـــارة وجهـــه بخــضابه	ومـــصير كـــل عمـــارة لخــراب
انَـــي وجـــدت أجـــلَ كـــلَ رزيــة	فقـــد الــشَباب وفرقــة الأحبــاب

ومن اسباب الدنيا والميل اليها النساء واطاعتهن، روي ان رجلاً من بني اسرائيل رأى في المنام انَه خيَر ثلاث دعوات مستجابات بأن يصرفها حيث يشاء، فشاور امرأته في محلَ الصرف فرأت ان يصرف واحدة منها في حسنها وجمالها ليزيد حسن المعاشرة بينهما، فصرفها في ذلك فصارت جميلة فيما بين بني اسرائيل فاشتهر امرها الى ان غصبها ملك ظالم، فدعى الرجل غيرة بأن يصيّرها الله تعالى على صورة كلب فصارت كلباً أسود وجاءت الى زوجها وتضرعت اليه مدة حتى رق قلبه ودعى بأن يصيرها الله تعالى على صورتها الأولى، فصارت الدعوات الثلاث فيها، وهي كما كانت بشؤم المشاورة معها.

وحكي انَ خسروا لملك أتى اليه رجل بسمكة كبيرة فأمر له بأربعة الآف درهم، فقالت شيرين فكيف تصنع اذا احتقر من أعطيته شيئاً من حشمك وقال أعطاني ماأعطى الصيّاد او اقل، فقال خسروالملك انى الرجوع عن الهبة قبيح خصوصاً من الملوك، فقالت شيرين التدبير ان تدعوه، وتقول له هذه السَمكة ذكر ام انثى فان قال ذكر ام انثى فان قال ذكر فنقول انما أردت أنثى، وان قال أنثى فتقول له انما أردت ذكراً، فاستدعاه فسأله عن ذلك، فقال ايها الملك انها خنثى لاذكر ولاانثى فاستحسن جوابه وأمر له بأربعة الآف درهم اخرى، فلمّا تسلم الصيّاد ثمانية الآف درهم من الخزان ورجع سقط منها في الطريق درهم فاشتغل بأخذه، فقالت شيرين للملك

أنظر الى خسته وغلبة حرصه فاستدعاه وسأله عن غرضه في اشتغاله بأخذ الدرهم الساقط فقال ايها الملك كان عليه اسمك وحكمك فخفت ان يطأه أحد برجله غافلاً عنه، فاستحسن ايضاً جوابه وأمر له بأربعة الآف درهم أخرى، وذهب الصياد باثني عشر ألف درهم، وأمر الملك منادياً ينادي الأمن دبّر أمره برأى النساء خسر درهماً او درهمين، والعجب انّ بعض المذنبين قد أيس من رحمة الله وباع حظّه الأوفر بهذه الدّنيا الدنية.

وروى الصدوق باسناده الى البزاز وقال كان بيني وبين حميد بن قحطبة الدوسي[1] معاملة فرحلت اليه في بعض الأيّام فبلغه خبر قدومي فاستحضرني للوقت وعلى ثياب السفر لم أغيرهما وذلك في شهر رمضان وقت صلاة الظهر، فلما دخلت عليه رأيته في بيت يجري فيه الماء، فسلمت عليه وجلست، فأتى بطشت وابريق فغسل يديه ثم أمرني فغسلت يدي، وأحضرت المائدة وذهب عنّي انّي صائم وانّي في شهر رمضان فأمسكت يدي، فقال حميد مالك لاتأكل؟ ثم ذكرت فقلت ايها الأمير هذا شهر رمضان ولست بمريض ولابي علة توجب الأفطار وانّي صحيح البدن، ثم دمعت عيناه وبكى، فقلت له بعد ما فرغ من طعامه مايبكيك ايها الأمير؟ قال أنفذ الى هارون الرشيد وقت كونه بطوس في بعض الليل ان اجب، فلما دخلت عليه رأيت بين يديه شمعة تتّقد وسيفاً مسلولاً وبين يديه خادم واقف، فلمّا قمت بين يديه رفع رأسه اليّ فقال لي كيف طاعتك لأمير المؤمنين؟ فقلت بالنفس والمال، فأطرق ثم اذن لي بالإنصراف فلم ألبث في منزلي حتّى عاد الرسول اليّ وقال اجب امير المؤمنين، فقلت في نفسي انا لله وانا اليه راجعون أخاف ان يكون قد عزم على قتلي وانّه لمّا رآني استحيا مني، فعدت الى بين يديه فرفع رأسه فقال كيف طاعتك لأمير المؤمنين؟ فقلت بالنّفس والمال والأهل والولد، فتبسم ضاحكاً ثم اذن لي بالإنصراف فلمّا دخلت منزلي لم ألبث ان عاد اليّ الرسول فقال اجب امير المؤمنين، فحضرت بين يديه وهو على حاله، فرفه رأسه اليّ فقال كيف طاعتك لأمير المؤمنين؟ فقلت بالنّفس والمال والأهل والولد والدين، فضحك ثم قال لي خذ هذا السّيف وامتثل مايأمرك به هذا الخادم، قال فتناول الخادم السيف وناولينه وجاء بي الى بيت بابه مغلق ففتحه فاذا فيه بئر في وسطه ثلاث بيوت ابوابها مغلقة ففتح باباً منها فاذا فيه عشرون نفساً عليهم الشعور والذّوائب، شيوخ وكهول وشبّان مقيدون.

فقال انّ امير المؤمنين يأمرك بقتل هؤلاء وكانوا كلهم علوية من ولد علي وفاطمة عليهما السلام، فجعل يخرج الي واحداً بعد واحد فأضرب عنقه حتّى أتيت على آخرهم ثم رمى بأجسادهم ورؤوسهم في تلك البئر، ثم فتح باب بيت آخر فاذا فيه ايضاً عشرون نفساً من العلويّة

---

[1] هو حميد بن قحطبة الطائي الطوسي، في بعض النسخ المطبوعة (الدوسي) وفي بعضها وكذا في المخطوطة (الطوسي) وفي عيون اخبار الرضا (ع) ايضاً (الطائي الطوسي) وفي بعض المواضع (حميد) بالتصغير.

من ولد علي وفاطمة عليهما السلام مقيّدون، فقال لي انّ امير المؤمنين يأمرك بقتل هؤلاء ايضاً فجعل يخرج اليّ واحداً واحداً فأضرب عنقه ويرمي به في تلك البئر حتى اتيت على آخرهم، ثم فتح باب بيت ثالث فاذا فيه مثلهم عشرون نفساً من ولد علي وفاطمة عليهما السلام مقيّدون عليهم الشَعور والذَوائب، فقال ان امير المؤمنين يأمرك بقتل هؤلاء ايضاً فجعل يخرج اليّ واحداً بعد واحد فأضرب عنقه فيرمى به في تلك البئر حتى اتيت على تعة عشر نفساً منهم وبقي شيخ منهم عليه شعر، فقال تبّاً لك يامشؤوم ايّ عذر لك يوم القيامة اذا قدمت على جدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد قتلت من اولاده ستين نفساً قد ولدهم علي وفاطمة عليهما السلام، فارتعشت يدي وارتعدت فرائصي فنظر الى الخادم مغضباً وزبرني فأتيت على ذلك الشيخ ايضاً فقتله ورمى به في تلك البئر، فاذا كان فعلي هذا وقد قتلت ستين نفساً من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فما ينفعني صومي وصلاتي وانا لاشك اني مخلّد في النار، قال الصدوق طاب ثراه وللمنصور مثل هذه الفعلة في ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

اقول هذا الرجل وان افرط وتعدّى الحدّ في فعلته هذه من قتل هذه الذرية الطاهرة الاّ انه ماكان ينبغي له الأياس من رحمة الله بل كان يجب عليه الندامة ومداومة الأستغفار والذكر لعل الله يرضى عنه خصومه كما جاء في الرواية ان امرأة قتلت ولدها ثم ندمت فأتت الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم نادمة على فعلها طالبة للتوبة، فقال صلى الله عليه وآله وسلم لو قتلت في يومك سبعين نبياً ثم ندمت على مافعلت وعرف الله منك التوبة لتاب عليك ورحمك، نعم مثل هؤلاء الجماعة لايوفّق منهم للتوبة الاّ القليل، الا ترى الى الوحشي وهو قاتل الحمزة لّما ظهرت منه امارات التوبة والنَدامة قبل الله توبته، وقال صلى الله عليه وآله وسلم حمزة وقاتله في الجنة، والشيطان مع ماهو عليه من الضلال لم ييأس من الرحمة[١] كما جاء في الرواية عن الصادق عليه السلام قال ان امرأة من الجن يقال لها عفراء وكانت تنتاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فتسمع من كلامه فتأتي صالحي الجن فيسلمون على يديها وفقدها النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسأل عنها جبرئيل عليه السلام فقال انّها زارت اختاً لها تحبّها في الله تعالى، فقال عليه السلام طوبى للمتحابين في الله ان الله تبارك وتعالى خلق في الجنة عموداً من ياقوتة حمراء عليها سبعون ألف

---

(١)روى الكليني ره في الكافي باسناده مضمراًكانه قال اعطى التائبين ثلاث خصال لو اعطي خصلة منها جميع اهل السماوات والأرض لنجوا بها وهو قوله عز وجل:ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين فمن احبه الله لم يعذبه الحديث.

ولكن هذا الرجل كما ذكره الصنف(ره) لم يوفق للتوبة وطبع على قلبه وجائه اليأس من رحمة الله بسبب تلك الجناية التي اوردها على الذرية الطيبة واليأس من روح الله تعالى من الكبائر الموبقة.

قصر، في كل قصر سبعون ألف غرفة خلقها الله عز وجل للمتحابين في الله، وجاءت عفراء فقال لها النبي صلى الله عليه وآله وسلم ياعفراء اين كنت؟ فقالت زرت اختاً لي، فقال طوبى للمتحابين في الله والمتزايرين ياعفراء أي شيءٍ رأيت؟ قالت رأيت عجائب كثيرة، قال فأعجب مارأيت؟ قالت رأيت ابليس في البحر الأخضر على صخرة بيضاء ماداً يديه الى السماء وهو يقول الهي اذا بروت قسمك وادخلتني نار جهنم فأسألك بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين الاّ خاصتني منها وحشرتني معهم، فقلت ياحارث ماهذه الأسماء التي تدعوه بها؟ فقال رأيتها على ساق العرش من قبل ان يخلق الله عز وجل آدم بسبعة آلاف سنة فعلمت انها اكرم الخلق على الله فأنا أسأله بحقهم، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم والله لو أقسم أهل الأرض بهذه الأسماء لأجابهم الله تعالى.

فان قلت مافائدة دعاء الشيطان هذا مع انه من الخالدين في النار والعذاب، قلت يجوز لأجل هذا الدعاء ان ينقله الله تعالى في طبقات النار من طبقة حارة الى ماهو أخفّ منها فيكون قد خلّصه من تلك النار التي كان فيها، فان للنار سبع طبقات ولكل طبقة انواع واهوال من العذاب، ويجوز ان يخلّصه الله سبحانه من النّار لحظة ثمّ يعود اليها مخلداً فيها، ويجوز ان يكون المراد من أهل الأرض من قوله صلى الله عليه وآله وسلم لو أقسم أهل الأرض من كان له قابلية استجابة الدعاء ممن أتصف بالأيمان والأسلام.

والأحسن هو ان يقال انّ الكلام على ظاهره من ان كل من دعى الله من أهل الأرض بهذه الأسماء اجابه الله تعالى سواء كان الداعي مؤمناً او كافراً او شيطاناً لكن اجابة الدعاء عبارة عن الجزاء الذي يكون بازائه سواء كان ذلك المدعو به او غيره، والشيطان وغيره اذا دعوا الله سبحانه بهذه الأسماء جاراهم الله سبحانه عليه امّا في الدنيا بتوسعتها ونحوه، واما في الآخرة بتخفيف عذاب ونحوه، فيصدق من هذا انّ الله تعالى أجابهم على الدّعاء.

وفي الأخبار المعتبرة انّ رجلاً عصى الله تعالى وقتل تسعة وتسعين رجلاً بغير حق فلمّا مضت عليه مدة ندم وقال أريد التوبة فأتى الى رجل عابد وحكى له ماصنع من القتل وقال اريد التوبة، فقال له ذلك العابد لاتوبة لك وحالك على هذا، فلما قال له هذا الكلام عمد الرجل الى ذلك العابد فقتله فبقي مدة، ثم أتى الى رجل عالم فقال له انّي قتلت مائة فهل لي من توبة؟ فقال نعم اقصد ارض كذا فانّ فيها نبياً او عالماً فامض اليه وتب على يديه، فمضى عليه فلما كان في عرض الطريق أتى أجله فأتته لقبض روحه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فتنازعتا في قبض روحه فقالت ملائكة الرحمة نحن نقبض روحه لأنه قصد ارض التوبة، وقالت ملائكة العذاب نحن نقبض روحه لأنه لم يتب بعد، فأوحى الله تعالى اليهم ام اذرعوا الأرض وانظروا الى أي

ارض هو اقرب، فلمّا مسحوا الأرض وجدوه الى ارض التوبة أقرب بذراع او بشبر فتبادرت اليه ملائكة الرحمة فقبضوا روحه في خبر آخر انّ الملائكة لّما قصدوا الى مساحة ارض التّوبة فطويت بعد ما كانت ابعد من تلك الأرض وهذا حاله مع المذنبين.

وبالجملة فكل بلاء الأنسان ومصائبه انّما هو من الدنيا والميل اليها حتى انه سأل بعض العارفين عن الطّريق الى الله تعالى فقال خطوتان وقد وصلت خطوة على النّفس وخطوة على الدنيا، فسمع بعض أهل العرفان هذا الكلام فقال طوّل ماقصر الله بل خطوة على النَفس وقد وصلت لأنَ الدنيا تصير حجاباً للعبد بواسطة النّفس وهو تعالى الستّار على عبده.

روي انَ بعض الأنبياء سرق له حمار فقال الهي أنا نبيك سرق حماري فأطلعني عليه، فأوحى الله تعالى انّ الرجل الذي سرق حمارك سألني ان استره وأنا لاأردّه ولا أردّك فخذ منّي حماراً آخر حتى لايفتضح ذلك الرجل، وبالجملة فاستقصاء الكلام في الدنيا وتقلباتها وأحوالها يحتاج الى تأليف كتاب منفرد، نعم انّ من جملة الدّنيا اسباب الميل اليها لذاتها فلا بأس بذكرها في نور على حده.

(نور في لذات الدنيا بانواعها)

وبيان انّه لالذة في الدّنيا وانّ مافيها من اللّذات انّما هو دفع آفة بآفة اخرى

اعلم ان الدنيا كما عرفت بيت ضيق مظلم قد اجتمعت فيه انواع المخلوقات و اصنافها ففيه الحيات والعقارب والسباع والذئاب الضّواري وكلها قد قصدت ابن آدم وهو معها في ذلك البيت الضيق وهو يراها قاصدة اليه، وقد وقد وضع امامه شيء من الخبز ليأكله، فيأكل وينظر الى مامعه في ذلك المنزل الضّيق من الأفاعي والسّباع والعقارب وهي جوعانة وليس لها شيء تأكله سوى لحوم ابن آدم، فالأنسان من الجوع يأكل ما أمامه من الخبز لكنه ينظر الى مامعه من السّباع في حال أكله مترقّباً حين بعد حين لوصولها اليه، واهلاكها اياه، فمن كان هذا حاله كيف يلتذّ بأكل ام بشرب ام بنكاح ام بلباس، ولو فتحت عيني قلبك الذي تبصر به لوجدت حالك في الدنيا هو هذا بل انت اسوء حالاً ، اما العقارب فهم اقاربك الذين منهم من يتمنى موتك للميراث، ومنهم من يريده حسداً لك حيث فضّلت عليهم امّا بامور دنيوية او اخروية، ومنهم من يريد يتزوج بزوجتك بعدك الى غير ذلك من الأغراض، وياليتهم مثل العقارب فان الأغلب في العقرب واشباهه انّما يلدغ اذا اوذي وتعدى الأنسان عليه مع انّ لدغته تبرى في يوم واحد وامّا الأقارب ومايصل اليك في كل يوم من أنواع لسعهم وأذيّتهم فهو مما لاغاية له ولانهاية لأمده الى الموت.

واما الحيات فهم اخوانك الذي قال فيهم امير المؤمنين انّهم جواسيس العيوب ومن الحيَات ايضاً شياطين الجنّ والأنس الذين صرفوا لياليهم وأيّامهم في الفكر لإرادة مخادعك واضلالك والقائك الى حيات جهنم وأفاعيها التي ورد في الخبر لو انّ حيّة منها ظهرت الى الدنيا ونفخت فيها لما بقي فيها شجر ولامدر ولاجبل الاّ ذاب من سمّها.

وامّا السّباع فهي مصائب الدّنيا ودواهيها الحادثة يوماً بعد يوم وساعة بعد ساعة ونفساً بعد نفس كالهموم والأحزان والأمراض وفقد الأحبة الذي جعله امير المؤمنين عليه السلام عديلاً ليوم القيامة فقال لولا هول المطلع وفراق الأحبة لأردنا الموت، وأهول من هذا كلّه تذكرت الموت وسأبعده من الأهوال فانّي لأظن احداً كان في لذة وذكر الموت ثم تمت له اللّذة.

حكى صاحب نزهة الأبرار انّ الرشيد زخرف مجلسه يوماً وبالغ فيه وصنع طعاماً كثيراً ثم وجّه الى ابي العتاهية فأتاه فقال له صف لنا مانحن فيه من نعيم هذه الدّنيا فأنشأ يقول:

عش مابدا لك سالما	في ظل شاهقة القصور

فقال احسنت فقال:

فاذا النفوس تقعقعت[١]	في ضيق حشرجة الصّدور
فهناك تعلم موقنا	ماكنت الا في غرور

فبكى هارون الرشيد، فقال الفضل بن يحيى بعث اليك امير المؤمنين لتسرّه فأحزنته، فقال هارون الرشيد دعه فانّه رآنا في عمى فكره ان يزيدنا عمى، ولذا قال صلى الله عليه وآله وسلم اكثروا ذكر هادم اللّذات، وحكي ان الحجاج كان عنده جاريتان جميلتان وكان معجباً بهما مولعاً بعشقهما، فقال ان الناس يقولون ماتمّ فرح لأحد الى اللّيل وها أنا ذا أجلس بمجلس الطرب الى اللّيل، فلمّا كان الغد هيأ في مجلسه أحسن ما يكون وتخلّى عن الناس بخواصه وتلك الجواري، فلمّا مضى بعض النهار أمر بالشراب فشرب هو ومن كان في ذلك المجلس وشربت جارية من تلك الجواري فاختنقت بالشراب وماتت من ساعتها فبكى عليها بكاء كثيراً ومضى عامة ذلك اليوم بالحزن، فكان يوم سروره يوم عزاه ومصيبته، اذا عرفت هذا كله.

فاعلم انّ اللذات الواقعة في هذه الدّنيا ثلاث:الأولى اللّذة الحسية وهي قضاء الشهوتين:البطن والفرج وتوابعهما، وهذه اللّذة أدون اللّذات الثلاث وأحقرها، الثانية اللّذة الخيالية وهي الحاصلة من الأستعلاء والرئاسة ونحوهما، الثالثة اللّذة العقلية وهي الحاصلة بسبب معرفة الأشياء والوقوف على حقائقها ووجه الحصر ان الأنسان أوّل مايحس ويشعر باللّذة الأولى

---

(١)تقعقع اضطرب وتحرك.صوت عند التحرك.

لظهورها في بادي الرأي، ثم اذا توغل فيها وقضى وطره منها سمت نفسه الى المرتبة الثانية وهي حب الرئاسة ونفوذ الأمر والنهي، فاذا توغل فيها ورزق الوقوف على مافيها من الآفات والبليات ترقى منها الى الثالثة وهي العالية الحاصلة من ادراك حقائق الأشياء كما هي بقدر الطَاقة الشَبرية فلنتكلم في كل واحدة من هذه اللّذات وما تشتمل عليه ليظهر لك ماذكرناه في عنوان النور.

القسم الأول الكلام في اللّذة الحسيّة اعلم انّ مطالب الخلق من الأحوال المخصوصة (المحسوسة) محصورة في نوعين احدهما دفع الألم والثاني تحصيل اللّذة، اما دفع الألم الحسيّة فقد توصلوا اليه بطرق احدهما لبس الثّياب وذلك لأن جلد الأنسان لطيف يتأثر من الحر والبرد فاحتاج الى دفع هذا الألم الى لبس الثياب وبالحقيقة لبس الثوب ضرر لأنه اتعاب للبدن لكن لبس الثوب يدفع مضرة أعلى من هذه المضرة كما عرفت، فهو من باب دفع الضرر بالضَرر، ومثاله ماحكي انّ بعض الناس دخل على ابراهيم بن سيّار النَظام المتكلم فرأى في يده قدحاً من الدَواء المرّ فسأله عن حاله فانشد:

أصبحت في دار بليّات أدفع آفات بآفات

وثانيها بناء الدَور والمساكن والمقصود منه انّ الأنسان خلق في ممر الآفات، فاذا كان بغير بيت خاف على نفسه وماله وولده ومن يعنوه فاذا بنى البيت أمن من تلك الآفات، واما الذي يترتب على بناء البيت من التعب وبذل ماء الوجه ومعاداة الجيران والتَوصّل منه الى إعانة الظالمين فظاهر فهذا ايضاً من باب دفع آفة بآفة فلا لذّة فيه فان قلت قد يكون مع الأنسان من الثّياب مايدفع الحر والبرد فيتأنّق في لبس الثّياب الفاخرة تحصيلا للذّة لالدفع الألم، وكذا القول في البيوت وبنائها فلا يكون من باب دفع الألآم، قلت اذا تأملت حقّ التأمل ترى هذا ايضاً من ذاك وذلك لأنّ لبس الثوب الفاخر انّما يكون بعد منازعة النفس وطلبها إيّاه وتشوّقها عليه وتعبها في طلبه فيكون هذا ألماً نفسانيّاً يدفع بتلك الثّياب الفاخرة، ومن ثمّ لو لبس الأغنياء الثّوب الفاخر انما يكون بعد منازعة النفس وطلبها ايّاه وتشوقها عليه وتعبها في طلبه فيكون هذا ألماً نفسانيّاً يدفع بتلك الثياب الفاخرة، ومن ثم لو لبس الأغنياء الثوب الثّوب الفاخر لمن هو ادنى منهم لم يلتذّوا عند لبسه، وكذا في جانب المأكل والمسكن والمنكح وما ذاك الاّ لأنّ نفوسهم لم تطلبه منهم ولم تنازعهم على تحصيله، ومن ثمّ لمّا كانت ملاذّ الجنة تحصل بمجرد الخطور في البال من غير مجاذبة مع النَفس فتكون لذة محضة لادفع ألم حسّي ونفسي.

واما الطرق الموصلة الى تحصيل اللّذات فهي قضاء شهوة البطن وقضاء شهوة الفرج، وقبل ان نبين مافيها من الدناءة والخسة والإهانة والتَشبه بالبهائم نذكر مقدّمة:وهي انّ البلغاء والأكابر اذا أراد الخوض في تحقير الدنيا يرجع حاصل كلامهم الى امور:

الأول انَها فانية فيجب على العاقل اجتنابها، فهو اشارة الى انَها في نفسها لذيذة وطيبة لكنها فانية.

الثاني قولهم انَ طيَباتها ممزوجة بالألآم وراحتها بالكدورات، وهذا ايضاً كالأول اشارة الى انَ فيها لذات طيبة لكن المانع للعاقل من ارتكابها ذلك المزج.

الثالث قولهم انَ الأراذل من الناس مشاركون الأفاضل في هذه اللَذات والراحات بل يزيدون عليهم فيها أضعافاً كثيرة حتى انَ العقلاء قد تحَيروا في هذا فقالوا:

كــم عاقـــل أعيـــت مذاهبـــه　　وجاهـــل جاهـــل تلقـــاه مرزوقـــا

هـــذا الـــذي تـــرك الأوهـــام حـــائرة　　وصـــير العـــالم النّحريـــر زنـــديقاً

والأنصاف انَ صاحب هذا البيت وأمثاله لم يتفكروا في صنع الله تعالى ولم يدروا انَ الأرزاق على قسمين، قسم منها ماهو رزق للرَوح كالعلوم والمعارف، وقسم منها ما هو رزق للبدن كالمأكل والملابس والمناكح، فمن رزق من الأوَل حرم من الثاني وكذا العكس، فمن أرادهما معاً كان عديم الأنصاف، ولو نظرت الى جاهل جمع من الأموال مالا يحصى وأراد ان يبد لك ماله بعلمك حتى يكون لك جهله وحماقته لما رضيت ولما قبلت واذا كان الحال على هذا المنوال فلا ينبغي ان يصير العالم النّحرير زنديقاً.

وبالجملة فقول الأكابر ذلك يدل على انَ حالات الدنيا وان كانت لذَات لكن يجب تركه لرزالة الشركاء ودنائتهم، وأمَا الحكماء فإنهم قالوا ان هذه الأحوال ليست في أنفسها سعادات ولاخير بل هي أحوال خسيسة ومطالب دنيَة في ذواتها، واذا كان الأمر كذلك فيكون الكلام دائر على امرين، احدهما ان تلك الأحوال خسيسة في نفسها، وثانيها انَها وان كانت احوالاً شريفة الاّ انَه يلزمها لوازم مكروهة، امَا بيان الأمر الأول فيجيء على انواع.

النوع الأول أنَا رأينا الأنسان كلما كثر جوعه كان التذاذه بالأكل أتمَ، وكلَما كان عهده بالوقاع أطول كان التذاذه ايضاً به أكمل، ولاشك انَ الجوع والأحتياج الى الوقاع ألمان شديدان فلمَا رأينا انه كلَما كانت هذه الألام أشدَ كان دفعها ألذَ وأطيب غلب على الظَن انه لامعنى لهذه اللذات والرَاحات الاّ مجرّد دفع تلك الألام السَابقة، الا ترى انَ من جلس في الحمام الحار وغلب استيلاء الحرارة عليه فاذا فتح الباب ودخل عليه نسيم بارد فانَ الأنسان يستلذَ ذلك الهواء البارد استلذاذاً في الغاية وما ذلك الاّ لأنَه عظم تألَمه بسبب الهواء الحارَ في الحمام، فلما وصل اليه النسيم البارد زال عنه تلك الحرارة المؤلمة فعلم منه انَه لاحاصل لتلك اللَذات الحسية الاّ دفع تلك

الألام، فيدلَ على انَ هذه الأحوال التي يتخيل انَها لذات في أنفسها ليست لذات بل لاحاصل لها سوى دفع تلك الألام.

الثاني انَ مع المعلوم بالبديهة انَه كلّما كان شهوة الفوز بالشيء أقوى وأكمل كانت اللّذة الحاصلة بسبب وجدانه أقوى وأكمل، فان لم تحصل تلك الشهوة لم تحصل اللذة بوجدانه، الا ترى انَ من رمى قلادة الدَر الى الكلب والعظم الى الأنسان فانَه لم تحصل اللَذة لواحد منهما، واذا عكس حصلت اللَذة فثبت انه كلما كانت الحاجة الى الشيء أشدَ كان الفوز به ألذَ، فثبت انَ مقدار اللَذة الحاصلة في الحال مساوية لمقدار المضرة الحاصلة بسبب الأحتياج اليه في الماضي، واذا كان الأمر كذلك فحينئذ تتقابل اللَذة الحاصلة في الحال بالألم الحاصل في الماضي واذا تقابلا تساقطا فصار كأنَه لم يوجد.

الثالث في بيان انَ هذه اللَذات الحسية خسيسة جداً وذلك انَها بأسرها لاتحصل الاَ بواسطة مخامرة رطوبات عفنة مستقذرة، امَا لذَة الأكل فالأمر فيها ظاهر لأنَ الأنسان لايلتذ بالطَعام الاَ اذا وضعه في فمه ولاشك انَ ذلك الطعام يمتزج بريق الفم ويختلط به وهو في نفسه شيء مستقذر، والدَليل عليه انَ تلك اللقمة الممضوغة لو سقطت من الفم فانَ الأنسان يستقذرها ولايمكنه ان يردَها الى فمه، وذلك يدل على انَ اللذة الحاصلة من الطعام لاتحصل الاَ عند انعجان ذلك الطَعام واختلاط اجزائه بتلك الرطوبات المستقذرة فهذا يدلَ على انَ العاقل انما يقدم على الأكل لا لأنه يعدَه سعادة وبهجة بل لأجل انَه خلق محتاجاً اليه ولولا احتاج اليه لما قدم عليه، وقد انشد عبد القاهر النَحوي هذا البيت:

لولا قضاء جرى نزَهت انملتي   عن ان تلمَ بمأكول ومشروب

وامَا لذة الجماع فخاستها اظهر من ان تحتاج الى البيان، والدليل عليه انَ أخسَ أعضاء الإنسان هذه الأعضاء المخصوصة ولذلك سترها الله تحت الثياب وان أظهروا غيرها وهذه الأعضاء لاتفيد اللَذة الاَ عند المَاسة والتلطَخ بتلك الرَطوبات المتولَدة في داخل الأعضاء وتمام اللَذة انَما يحصل بانفصال النَطفة وهي ايضاً رطوبة عفنة فلا تكون من جنس الخيرات والسعادات بل يكون الأنسان كالمضطرَ اليها فاذا دفع تلك الآلام والأرجاع استراح فيظنَ انَها خيرات ولذَات وليس كذلك، ولذلك ترى الأنسان اذا فرغ من الجماع اخذه فتور البدن وضعف القوة وندم على مافعل، وكان رجل من الظَرفاء يقول لو حصل عندي الشاهدان العادلان عند فراغي من الجماع لطلَقت زوجتي للكراهة الحاصلة لي بعد قضاء الوطر منها.

الرابع في خساسة تلك الأحوال انَ العقلاء اذا رأوا رجلاً أكولاً ذمَوه ونسبوه الى طبيعة الحيوانات، اما اذا قلل الأكل والشَرب عظَموه ونسبوه الى طبيعة الملائكة.

الخامس انّ اللّذة الحاصلة عند الأكل لذّة ضعيفة جداً وكمالها انما يحصل في اللّقمة الأولى والثانية عند حصول الجوع الشّديد فاذا فتر الجوع فأتت الرّغبة فضعف الألتذاذ بالأكل، فثبت انَ زمان حصول هذه اللّذة زمان قليل، ولذا تقول الناس يقولون ان الله تعالى رفع اللّذة عن اطعمة الأغنياء وودّعها في اطعمة الفقراء وذلك ان الأغنياء لايشتد جوعهم فلايلتذّون بالطعام بخلاف الفقراء.

السادس انذ هذه اللّذات حقيرة جداً وذلك لأنَ اللّذات الجسمانية المرغوب فيها كثيرة جداً والحاصل منها ليس الا القليل، وذلك يوجب التّعب الشّديد وذلك لأنَ الأنسان يبصر بعينه جميع مافي المبصرات واذا أبصر شيئاً فقد يميل طبعه اليه فيصير ذلك سبباً لإشتداد رغبته في تحصيله، وكذلك القول في القوة السّامعة فانّها تسمع اشياءً كثيرة تميل اليها وتتألم من سماع القبيح.

وبالجملة فالقلب بمنزلة المرآة المنصوبة على جدار وكان ذلك الجدار ممراً لأكثر موجودات هذا العالم وكلّما مرَ به شيء ظهر من ذلك الشيء فيه أثر، فان كان موافقاً مال طبعه اليه فان لم يقدر على تحصيله تألَم قلبه، فثبت بهذا الطريق انَ قلبه لابدَ وان يكون ابداً مستغرقاً في الهموم والآلام، واما الفرح فانّما يحصل اذا حصل المطلوب ودفع المكروه وذلك قليل في جنب كثير، فثبت انَ الغالب على هذا العالم هو الهموم والأحزان، وامّا اللّذة فقليلة جداً ومن المعلوم ان النادر في جنب الراجح كالمعدوم بالنسبة الى الموجود، والذي يؤيد هذا ويؤكده ماروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انّه رأى جابر بن عبد الله وقد تنفّس الصعداء ففقال ياجابر علام تنفسك اعلى الدنيا؟ فقال جابر نعم، فقال ياجابر ملاذ الدّنيا سبعة:المأكول والمشروب والملبوس والمنكوح والمركوب والمشموم والمسموع، فألذ المأكولات العسل وهو من فضل الذّباب، وأجل المشروب الماء وكفى بإباحته وسياحته على وجه الأرض، وأعلى الملبوسات الديباج وهو من لعاب دودة، وأعلى المنكوحات النساء وهو مبال في مبال، وانّما يراد أحسن مافي المرأة لأقبح مافيها وأعلى المركوبات الخيل وهن قواتل، وأجلَ المشمومات المسك وهو دم من سرّة دابّة وأجل المسموعات الغناء والترنم وهو اثم، فما هذه صفته كيف يتنافس عليه، قال جابر بن عبد الله فوالله ماخطرت الدنيا بعد على قلبي.

القسم الثاني الكلام في اللّذات الخياليّة وهي لذّة الرئاسة ونحوها ويدل خستّها أمور:

الأول كل احد يجب ان يكون هو الرئيس للغير وان يكون كل من سواه تحت قدرته وتحت تصرفه وحكمه، وذلك لأنَ كون الأنسان قادراً على الغير نافذ التصرف فيه صفة الكمال محبوبة لذواتها، وكونه مقدوراً للغير ومحلاً لتصرف الغير صفة النقص وصفة النقص مبغوضة

لذاتها، فثبت انَ طبع كل احد يحمله على ان يكون هو الرئيس لغيره وهو المتصرف في غيره، وان يمنع غيره من ان يكون رئيساً حاكماً عليه، واذا كان كذلك فالساعي في تحصيل الرئاسة لذلك الأنسان المعين ليس الاَ ذلك الأنسان، واما كل من سواه فانهم يسعون في إبطال تلك الرئاسة وفي اعدامها واذا كان كذلك فذلك الأنسان الواحد هو السّاعي في حصول تلك الرئاسة، واما جميع اهل المشرق والمغرب فكلهم يسعون في ابطالها ودفعها واعدامها، والمطلوب الذي يقل السّاعي في تحصيله ويكثر الساعي في ابطاله يكون صعب الحصول جداً، وكل ماكان كذلك كان السّعي في طلبه منشأ للهموم والأحزان وكان العقل مانعاً من طلبه وحاكماً بوجوب الأحتراز عنه.

واما اعوان السلاطين وأشباههم فهم انّما يحبون الرئاسة للسلطان اذا علموا تعذر الوصول اليها مع انَ سعيهم انّما هو في نفع انفسهم ولأجل طلب الرئاسة على غيره.

الثاني انَ الرئاسة لاتقف على حد فقبل الوصول اليها هو في ألم طلبها فاذا فاز بها يكون في ألم طلب الزيادة عليها حتى ينصرف(يصرف ظ) عمره في ألم الطّلب كما هو المشاهد من أحوال الحكّام والسلاطين.

الثالث انَ الشيء كلّما كان ألذَ كانت الرغبة في تحصيله أشد(اكثر ظ) وكانت الرغبة في ازالة العوائق عنها اشد وحصول الرئاسة للغير من اشد الأشياء عائقاً عن حصولها فكانت الرغبة في ابطال ذلك العائق اعظم الرغبات، فثبت ان كل من رغب في تحصيل الرئاسة فقد رغب الناس في قتله وقوى ميلهم الى افنائه وابطاله، ومن شاهد الأمراء والملوك عرف انَ الأمر هكذا، لكن من المعلوم انَ الحياة أصل لجميع النعم والرئاسة فضيلة زائدة، فكلما كان السعي في طلب هذه الفضيلة الزائدة يوجب السعي في ابطال الأصل كان باطلاً لأنَ كلَ فرع أفضى الى بطلان الأصل كان باطلاً.

الرابع انَ الأنسان اما يمون افضل من غيره او مساوياً له او اقل حالاً منه فان كان افضل من غيره فكونه أفضل حالة مكروهة لذلك الغير فذلك الغير يسعى بكل ما يقدر عليه في ابطال تلك الفضيلة عن الراجح، فان كان ذلك الرجحان بصفة قابلة للزوال مثل كونه ملكاً حاكماً فالأعداء يسعون في ابطالها وازالتها بأقصى مايقدرون عليه، وان كان ذلك الرجحان بصفة لايمكن ازالتها مثل العلم فهيهنا للأعداء طريقان:

احدهما انّهم ان امكنهم اخفاء تلك الفضيلة بطريق من الطرق فعلوه، وذلك بإلقاء الشّبهات في كلامه وتشويش دلائله.

والثاني انَهم ان عجزوا عنه نسبوه الى انواع القبائح ليصير اتصافه بتلك القبائح والفضائح مانعاً من حصول صفة الكمال له والتَجربة يدلّ على انّ الرجل الكامل لابدّ وان يكون مبتلى بهذه الأحوال.

واما ان كان مساوياً لغيره فالوحدانية صفة كمال وصفة الكمال محبوبة لذاتها والشّركة صفة نقص والنقص مكروه لذاته، واذا ثبت هذا فالشركاء يسعون بأقصى الوجوه في ابطال الشركة واظهار انه افضل وأكمل من ذلك الشخص الذي يعتقد فيه كونه شريكاً له، وذلك السعي يكون تارة بالقاء الشبهات في كونه موصوفاً بتلك الفضيلة التي فيها وقعت الشركة، وتارة بادّعاء كونه موصوفاً بصفة من صفات القبح والنّقصان ليصير ذلك مانعاً من كون ذلك الغير شريكاً له في الفضيلة، واما اذا كان أدون حالاً من غيره فهذا الشّخص لايلتفت اليه بل الأطباء قالوا انَه متى صار عضو من الأعضاء ضعيفاً فانّ الأعضاء القوية ترسل اليه جميع الفضلات.

الخامس ان الأنسان امّا ان يكون في الألم او في اللّذة ويكون الياً عنهما، فان كان في الألم والمضرَة فلا شك انه حالة منفردة مكروهة، وان كان في الخيرة واللّذة فلا شك انَه عالم بأحوال هذه الدنيا غير باقية بل هي سريعة الزوال مشرفة على الأنقراض والأنقضاء فكلما كانت الحالة التي يكون الأنسان فيها ألذّ وأطيب كان خوف الزوال أشدّ ايلاماً للقلب واعظم تأثيراً في هذا المعنى، وامّا ان كان الأنسان خالياً عن الألم واللّذة فانَه يكون كالمعطل الباطل وهذه الحالة مكروهة، وهذا الوجه مجرب عند العقلاء وأشارت اليه الشعراء حتى ان بعضهم طلب ايام الفراق وكره ايَام الوصال لعدم دوام حالات الزمان واموره.

السادس انّ شعور الأنسان بالكيفيات المحسوسة انّما يكون حال حدوثها له امّا حال بقائها فلا شعور بها فاللذات الحاصلة من هذه المحسوسات لايحصل في حال الشعور بها وحال حصول الشعور بها ليس الا حال حدوثها ينتج ان الألتذاذ بهذه المحسوسات لايحصل الا حال حدوثها فاذا لم يحصل الألتذاذ في حال البقاء والطَبع طالب اللذة صار طالباً لشيء آخر فعلى هذا لو انّ الأنسان ملك خزائن الأرض كلها فإلتذاذه بها لايكون الا حال حدوثه ثم عند الفراغ يطلب شيئاً آخر ويحاول تحصيل الزيادة وبسبب ذلك الطلب والحرص يحصل في قلبه ألم الشّوق ومضرة الطلب، فثبت انّ هذا البلاء ممّا لاسبيل الى دفعه.

السابع ان الأنسان اذا فتح باب الحرص على نفسه فقد ينتهي ذلك الى ان يصير طالباً للجمع بين الضدين ومثاله انّ القدرة صفة كمال وهي محبوبة بالذات والأستغناء عن الغير صفة كمال فتكون محبوبة بالذات، اذا عرفت هذا فنقول:انّ الرجل اذا مال الىطبعه الى السخاوة والجود فهذه السخاوة من حيث انها تدل على انّ قلبه غير ملتفت الى حب المال صارت كأنها

مطلوبة ومن حيث انها تقضي خروج المال من يده وخروج المال عن اليد يوجب نقصاناً في القدرة الحاصلة بسبب المال والنقصان في القدرة مكروه صارت السخاوة من هذه الجهة مكروهة منفردة وجميع الخلق موصوفون بهذه البليّة، ولأجل ميل الطبع الى حصول المدح والثناء والتعظيم يحبون الجود والسخاوة، ولأجل فوت القدرة الحاصلة بسبب ذلك المال يبغضونه، فلهذا السبب بقي كل الخلق في موقف المعارضة والترجيح، فمنهم من ترجّح عنده ذلك الجانب فيبذل المال، ومنهم من المعارضة والترجيح، فمنهم من ترجّح عنده ذلك الجانب فيبذل المال، ومنهم من ترجّح عنده الجانب الثاني فيمنع، ومنهم من بلغ في الجهالة الى حيث يريد الجمع بين الوجهين فيعد الناس بالجود والسخاوة والمروّة والكرم طمعاً منه في انّه ربّما فاز لهذا المعنى بالمدح والثناء ثم انّه عند حضور الوقت لايفي به فحينئذ يقع في الفضائح، واذا تأملت احوال أهل الدنيا علمت انّهم بأسرهم داخلون تحت البلاء المتولّد من هذه القضيّة، اما في الكثير منه او القليل.

الثامن انّ الأنسان امّا ان يسد باب الأنعام على الغير واما ان لايسده وفي كل واحد من هذين الطّرفين آفات كثيرة، امّا آفات القسم الأول فامور:

أولها انّ كل من اشتهر عند الناس بالبعد من الخير والنفع أبغضوه، وكل من صار بغيضاً عند الكلّ فوصول الآفة اليه أسرع من كل شيء.

وثانيها انّ الناس اذا عرفوا منه تلك الصفة بغضوه ولم يلتفتوا اليه، وكل من علم من الناس انّهم انّما ينظرون اليه بعين المقت والأزراء فانّه يضيق قلبه وتتألم روحه، وثالثها انّه اذا لم يظهر منه خير صار كالجماد وكالعدم وهذه حالة منفردة جداً.

وامّا القسم الثاني فآفاته كثيرة ايضاً منها انّ ايصال الخير الى الكل محال فلا بد من ايصاله الى البعض دون البعض وذلك يصيره سبباً للعداوة الشديدة فانّه يقول له لم منعتني خيرك وأوصلته الى غيري، ومنها انّ الذي وصل اليه الخير مرّة يلتذّ بذلك الخير والألتذاذ سبب للطلب فيبقى ابداً طامعاً في ذلك الرجل وايصال الخير اليه في كل حين وساعة متعذر فيصير ذلك سبباً للعداوة الشديدة، ولهذا قيل اتق شر من احسنت اليه، ومنها انّ المقدار الذي وصل اليه من الخير يصير معتاداً بالوفاء ويصير كالأمر المستحق فيقع في قلبه طلب الزيادة عليه فيصير ذلك سبباً قوياً في العداوة، فثبت ان على التقديرين أعني باب سدّ الخيرات وفتحها لايسلم الأنسان عن الضرر، وللإشارة الى هذه الأحوال قال صلى الله عليه وآله وسلم لقريش لاتسعوا الناس بأموالكم ولكن سعوهم بأخلاقكم.

التاسع انَ الأنسان امّا ان تفرغ جميع الخلق ويعتزل عنهم واما ان يخالطهم ويصاحبهم وعلى كلا التقديرين فالضرر لازم، اما الأول فلأن الأنسان مدني الطبع ومالم يجتمع مع الجمع العظيم فانَ مصالحه لاتنتظم.

وامّا الثاني ففي معاشرة النّاس ارتكاب الغيبة والنميمة والرياء وسائر اسباب مهالك الدارين.العاشر انَ الأنسان اما ان يعيش في الدنيا خالياً عن الزوجة والولد او معهما وكل واحد من القسمين سبب لحصول الآفات والبليّات، امّا مع الزوجة والولد فلا يحتاج الى البيان، امّا الزوجة وهي كما قال سبحانه لأبراهيم عليه السلام انَ مثلها كالضّلع الأعوج فدعه اعوجاجه واستمتع به مع انَ الأفعى التي تكون مغع الأنسان تلدغه ساعة بعد ساعة أسهل وأخف على الأنسان من امرءة السوء، وقال بعضهم انّه لاامرأة في الدنيا الا وهي امرأة سوء لكنهنَ يتفاوتن في مراتب السوء، ونقل اخلاقهنَ وذمائم أفعالهن يحوج الى تأليف عشرة آلاف كتاب بل أزيد.

وامّا الولد فان كان جيداً كان خوف موته ينغض(ينقص خ) جميع الطيّبات، وان كان رديَاً تألم القلب عند حياته تألماً يزيد على كل الآلام والآفات، ومن ذلك روى انَ علياً عليه السلام رأى رجلاً ومعه ولده لاتحبّه فانّه ان عاش كدّك وان مات هدك[١] وان كان خالياً عنهما فمشقّته ظاهرة ايضاً.

الحادي عشر انَ هذه الحياة هل هي طيبة لذيذة في نفسها او ليست كذلك، والقسم الأول باطل لأنَ الشيء الطيّب المستلذ كلّما كانت مشاهدته أكثر كان الألتذاذ به أقوى وأكمل فكان يجب ان يكون الأنسان الفارغ عن كل الأعمال والأقوال المراقب لمرور الساعات والأوقات عليه حال كونه حياً يعظم التذاذه لذلك لأنّه على هذا التقدير يشاهد اللّذيذ المشتهى وهذا باطل لأن المعطل عن كل الأعمال يضيق قلبه ولايمكنه تحمل ذلك، ولذلك صار الملوك يشغلون أنفسهم بالصيد واللّعب حذراً من التّعطيل وكذا غيرهم، وامّا ان لايكون الحياة لذيذة في نفسها فهذا ايضاً باطل وذلك لأنَ كلَ حيوان يكره الموت ويفرَ منه واذا تخيَل نزول الموت به دفعه على اقوى الوجوه.

الثاني عشر انَ الأنسان امّا ان يكون رئيساً على الغير او لايكون وفي كل واحد من القسمين انواع من الآفات، اما القسم الأول فنقول انَ الرئاسة انّما تكون لذيذة اذا كان احوال الخدم واقعة على وفق ارادة الرئيس وكلّما كان عدد الخدم اكثر كانت ارادات الرئيس اكثر، وكلما كانت الأرادات اكثر كانت الآلام الحاصلة بسبب فوت تلك المرادات اكثر لكن من المعلوم

---

(١)هدك هدكا البناء:هدمه.

انَ حصول المرادات الجسمانية ابداً كالممتنع لأنَ اجسام هذا العالم مبنيَة على التغيير والتبدل وسرعة الأنقضاء فانَها كالزيبق تتبدل من حال الى حال، فثبت انه كلَما كانت الرئاسة اكثر واعظم كانت الحسرات والزفرات والغموم والهموم أقوى وأكثر.

وامَا القسم الثاني وهو ان لايكون رئيساً فهو(اماظ) ان يكون معطلاً محروماً وامَا ان يكون خادماً ضعيفاً وكلاهما منفزان.

الثالث عشر انَ حصول الرئاسة اما ان يكون مع العدل او يكون مع الظَلم وكلاهما منفران، امَا مع العدل فهو متعذر لأنَه يقتضي تسليم الرئاسة الى من هو الأحقَ بها، واما مع الظلم فهو موجب لتحقير الدنيا وعذاب الآخرة.

الرابع عشر انَه لايمكن اجراء الرئاسة على الظَاهر الاَ مع الكذب والتزوير فان الرئيس الكامل لوشافه كل أحد بأنَك لاتستحق عندي الا القدر الفلاني من التعظيم وانَك دون فلان وفلان لتشوشت رئاسته واختَلت ولايته بل لابد وان يقول لأكثر اصحابه انَك أفضل الناس وأكمل اصحابي عليَ وعليك اعتمادي وهو يعلم انَ كل هذا القول زور وبهتان.

الخامس عشر انَ الرئاسة لاتحصل الاَ بالأتفاق الكثير وهو لايمكن الاَ بالمال الكثير ولاريب في انَ تحصيله شاقَ فلو لم يكن للرئيس من المشاق الاَ تعلق قلبه بتحصيل الأموال الكثيرة وصونها عن اللصوص والسراَق لكفى ذلك تعباً ومشقة فكيف وانَه يحتاج الى تحصيل تلك الأموال من غير حلها فيستحق اللَعن، وكل من اعطاه منها شيئاً يستقلَه بالنظر الى مايتوقع منه، فيستحق منه الطعن فتكون حاله دائرة بين اللَعن والطَعن.

السادس عشر انَ هذا الرئيس امَا ان يكون حسن المعاشرة طيَب الخلق غير مهيب، او يكون هناك مهيباً معظماً، اما الأول فبأنه اختلط معهم لم يحتشموه ولم يبق له في قلوبهم وقع ولاينقادون له، وهذا من اسباب زوال الملك، وامَا الثاني فانَهم اذا خافوه ربَما قصدوا قتله فلا بدَ له حينئذ من التوسط بين الحالتين وهو غير معلوم ومقداره غير مضبوط، فربَما وقع الغلط من الرئيس في موارده فمن ثم يكون الرئيس دائماً في مقام الخوف.

السابع عشر انَ ذلك الرئيس امَا ان يساوي بين جميع اصحابه في العطيَة او يفضل بعضهم على بعض وفي كليهما زوال الرئاسة كما لايخفى.

الثامن عشر حقيقة الرئاسة انَ ذلك الرجل يلتزم باصلاح جميع مهمات الخلق وعقل الأنسان لايفي باصلاح مصالح نفسه فكيف يفي باصلاح مهمات الخلق العظيم.

القسم الثالث في اللَذات العقلية الحاصلة بسبب العلوم، اعلم انَ العلوم امَا عقلية وامَا وضعية، فأما العلوم الوضعية فلا ينتفع بها الاَ بسبب مصالح الحياة الجسمانية، والتبع لايكون

اكمل من الأصل لما قد سبق من خساسة الحياة الجسمانية ومن هنا ترى انَ اكثر العلوم التي ترى الخلق مقبلين عليها علوم خسيسة فانَه لافائدة فيها الاَ اعانة المصالح الدنيوية، واما العلوم العقلية وهي امَا ان تكون مطلوبة لذاتها او لغيرها.

الثاني كالمنطق وشرفه مرتب على شرف ذلك الغير، والأول هو معرفة الاله وهو أشرف العلوم ولكن من ذا الذي الى عتبة تلك الحضرة العلية ومن ذا الذي شمَ رائحة تلك الحديقة الزاهرة فحاصل العقول كلَها ظنون وخيالات ومنتهى الأمر أوهام وحسبانات.

قال الرازي هذه الأشياء المسمَاة بالبراهين لو كانت في أنفسها براهين لكان كل من سمعها ووقف عليها وجب ان يقبلها وان لاينكرها أصلاً، وحيث نرى انَ الذي يسميَه احد الخصمين برهاناً فانَ الخصم الثاني يسمعه ويعرفه ولايفيد له ظنَاً ضعيفاً علمنا انَ هذه الأشياء ليست في أنفسها براهين بل هي مقدمات ضعيفة انضافت العصبية والمحبَة يحتج فتخيل بعضهم كونه برهاناً مع انَ الأمر في نفسه ليس كذلك، وايضاً فالمشبَه يحتجَ على القول بالتشبيه بحجة ويزعم انَ تلك الحجة أفادته الجزم واليقين، فاما ان يقال انَ كل واحدة من هاتين الحجتين صحيحة فحينئذ يلزم صدق النَقيضين وهو باطل، وامَا ان يقال احديهما صحيحة والأخرى فاسدة الاَ انه متى كان الأمر كذلك كانت مقدمة واحدة من مقدمات تلك الحجة باطلة في نفسها مع انَ الذي تمسك بتلك الحجة جزم بصحة تلك المقدمة ابتداءً فهذا يدل على انَ العقل يجزم بصحة الفاسدة جزماً ابتداء فاذا كان الأمر كذلك كان العقل غير مقبول القول في البديهيات، واذا كان كذلك فحينئذ تنسدَ جميع الدلائل.

فان قالوا العقل انَما جزم بصحة ذلك الفاسد لشبهة متقدمة، فنقول قد حصل في تلك الشَبهة المتقدمة مقدَمة فاسدة، فان كان ذلك لشبهة اخرى لزم التسلسل، وان كان ابتداء فقد توجَه الطَعن، وايضاً فانَا نرى الدلائل القوية في بعض المسائل العقلية متعارضة مثل مسئلة الجوهر الفرد، فانا نقول كلَ متحيز فانَ يمينه غير يساره وكلما كان كذلك فهو منقسم، ينتج ان كل متحيز منقسم ثم نقول الآن الحاضر غير منقسم والا لم يكن كلَه حاضراً بل بعضه، واذا كان غير منقسم كان أول عدمه في آن آخر متصل بآن وجوده فلزم تتالي الأنات ويلزم منه كون الجسم مركباً من اجزاء لاتتجزى، فهذان الدَليلان متعارضان ولانجد جواباً شافياً عن احدهما، ونعلم ان احد الكلامين مشتمل على مقدمة باطلة وقد جزم العقل بصحتها ابداً فصار العقل مطعوناً فيه.

ثمَ أخذ في تفصيل هذه الوجوه بكلام طويل فظهر من هذا كلَه انَ اللَذات الحسيَة خسيسة واللَذات الخيالية مستحقرة، واما اللَذات العقلية فلا سبيل الى الوصول اليها والقرب منها والتَعلق بها على انَا نقول انَ المناقضة في الأستدلال وفي تعارض الدليلين العقليين يكون موجوداً بالنَسبته

الى الشخص الواحد، فانّا اذا نظرنا في تحصيل مجهول رتّبنا له مقدمات نزعم انّها بديهية، فلما نظرنا في تلك المقدمات وحصل عقيب ذلك النَظر اعتقاد سمينا ذلك الأعتقاد علماً، ثم ينكشف لنا بعده بطلان ذلك الأعتقاد وفساده مع ترتب ذلك الأعتقاد على المقدمات التي كانت بزعمنا بديهية، فعلم من هذا انَ حال غيرنا نافي الأستدلال مثل حالنا، والغلط الذي يعرض لغيرنا فكيف يحصل لنا الجرم من تلك الحجج والبراهين اذا عرفت هذا كله.

فاعلم ان هيهنا بحث شريف حققناه في شرحنا على تهذيب الحديث ولابأس بالإشارة هنا ايضاً الى مجمله وحاصله انَ اكثر الأصحاب قد تبعوا جماعة من مخالفينا من أهل الرأي والقياس ومن أهل علم الطَبيعة والفلاسفة وغيرهم من الذين اعتمدوا على العقول واستدلالاتها وطرحوا ماجاءت به الأنبياء عليهم السلام حيث لم يأت على وفق عقولهم، حتى انّه نقل ان عيسى عليه السلام لَما دعى افلاطون الى التصديق بما جاء به أجاب بأنَ عيسى رسول الى ضعفاء العقول وامّا انا وامثالي فلسنا نحتاج في المعرفة الى ارسال الأنبياء والحاصل انّهم مااعتمدوا في شيء من امورهم الا على العقل فتابعهم بعض اصحابنا وان لم يعترفوا بالمتابعة، فقالوا انّه اذا تعارض الدليل العقلي والنقلي طرحنا النقلي او تأولناه الى مايرجع الى العقل، ومن هنا تراهم في مسائل الأصول يذهبون الى اشياء كثيرة قد قامت الدّلائل النّقلية على خلافها لوجود ماتخيّلوا انّه دليل عقلي كقولهم بنفسي الإحباط في العمل تعويلاً على ماذكروه في محله من مقدمات لاتفيد ظنّاً فضلاً عن العلم، وسنذكرها ان شاء الله تعالى في انوار القيامة مع وجود الدلائل من الكتاب والسنّة على انَ الأحباط الذي هو الموازنة بين الأعمال واسقاط المتقابلين وابقاء الرجحان حق لاشك فيه ولاريب يعتريه، ومثل قولهم ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يحصل له الأسهاء من الله تعالى في صلاة قط تعويلاً على ماقالوه من انّه لوجاز منه السهو في الصلاة لجاز عليه في الأحكام مع وجود الدلائل الكثيرة من الأحاديث الصحاح والحسان والموثقات والضعفاء والمجاهيل على حصول مثل هذا الأسهاء، وعلل في تلك الروايات بأنه رحمة للأمة لئلا يعبر الناس بعضهم بعضاً بالسَهو، وسنحقق هذه المسئلة في نور من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى الى غير ذلك من مسائل الأصول.

واما مسائل الفروع فمدارهم على طرح الدّلائل النقلية والقول بما أدّت اليه الأستحسانات العقلية، واذا علموا بالدلائل النَقلية يذكرون اولاً الدلائل العقلية ثم يجعلون دليل النَقل مؤيداً لها وعاضداً ايّاها، فيكون المدار والأصل انّما هو العقل وهذا منظور فيه لأنّا نسألهم عن معنى الدّليل الذي جعلوه أصلاً في الأصولين وفي الفروع فنقول ان اردتم به ماكان مقبولاً عند عامة العقول فلا يثبت ولايبقى لكم دليل عقلي، وذلك كما تحققت من ان العقول مختلفة في

مراتب الأدراك وليس لها حدّ تقف عنده، فمن ثم ترى كلاً من اللاحقين تتكلم على دلائل السابقين وينقصه ويأتي بدلائل اخرى على ماذهب اليه، ولذلك لاترى دليلاً واحداً مقبولاً عند عامة العقلاء والأفاضل وان كان المطلوب متحداً، فانّ جماعة من المحققين قد اعترفوا بأنه لم يتم دليل من الدلائل على اثبات الواجب، وذلك انّ الدلائل التي ذكروها مبنية على بطلان التسلسل ولم يتم برهان على بطلانه فاذا لم يتم دليل على هذا المطلب الجليل الذي توجهت الى الأستدلال عليه كافة الخلائق فكيف يتم على غيره ممّا توجهت اليه آحاد المحققين وان كان المراد به ماكان مقبولاً بزعم المستدل به واعتقاده فلا يجوز لنا تكفير الحكماء والزنادقة ولاتفسيق المعتزلة والأشاعرة ولا الطعن على من ذهب الى مذهب يخالف مانحن عليه، وذلك انّ اهل كل مذهب استندوا في تقوية ذلك المذهب الى دلائل كثيرة من العقل وكانت مقبولة في عقولهم معلومة لهم ولم يعارضها سوى دلائل العقل لأهل القول الآخر او دلائل النقل وكلاهما لايصلح للمعارضة على ماقلتم لأنَ الدليل النَقلي يجب امّا تأويله او طرحه ودليل العقل لهذا الشخص لايكون حجة على غيره لأن عنده مثله ويجب عليه العمل بذاك، مع انّ الأصحاب رضوان الله عليهم ذهبوا الى تكفير الفلاسفة ومن يحذوا حذوهم وتفسيق اكثر طوائف الأسلام، وماذاك الا لأنهم لم يقبلوا منهم تلك الدلائل ولم يعدوها من دلائل العقل.

فان قلت فعلى ماذكرت من عدم الأعتماد على الدليل العقلي فلا يكون معتبراً بوجه من الوجوه، قلت بل الدّليل العقلي ينبغي تقسيمه الى اقسام ثلاثة:

الأول كان بديهياً ظاهراً في البداهة ولايعارضه آخر مثل الواحد نصف الأثنين ومافي درجته من البديهيات.

الثاني ماكان دليلاً عقلياً نقلي الاّ انّ ذلك العقلي قد تعاضد مع نقلي آخر فهذا ايضاً يترجّح على الدّليل النَقلي عند التّعارض ولكنَ التعارض في الحقيقة انّما هو بين النقليات، وذلك كما دلَ الدليل العقلي على انّه تعالى ليس في مكان، ودل قوله تعالى الرحمن على العرش استوى، على المكان ظاهراً فيجب ترجيح ذلك العقلي لتأيّده بالنَقليات الدالة على انَه تعالى منزّه عن الكون والمكان.

الثالث ماتعارض فيه محض العقل والنقل من غير تأيّد بالنّقل فهذا لانرجّح فيه العقل بل نعمل بالنقل ولاتستغرب مثل هذا فانه مدلول الأخبار الصحيحة الصّريحة فيه، وذلك انّهم عليهم السلام قد نهوا عن الأعتماد على العقول لأنّها ضعيفة لاتدرك الأحكام ولاعللها وماحصل محققوا أصحابنا رضوان الله عليهم دلائلهم العقلية الاّ بسبب ورود النّقل بمضمونها فأيّدوا النقل بذلك

الدليل لكنهم في كثير من المواضع يهملون مثل هذا ويعولون على العقل ويطرحون النقل لأجله، والحاصل انّ لذات الدنيا هذه كلّها خيالات، ولذا قال الرازي:

نهايـــة أقـــدام العقـــول عقـــال ... واكثـــر ســـعي العـــالمين ضـــلال
وارواحنـــا في وحـــشة مـــن جـــسومنا ... وحاصـــل دنيانـــا أذى ووبـــال
ولم نـــستفد مـــن بحثنـــا طـــول عمرنـــا ... ســـوى ان جمعنـــا فيـــه قيـــل وقـــال
وكـــم قـــد رأينـــا مـــن رجـــال ودولـــة ... فبـــادوا جميعـــاً مـــسرعين وزالـــوا
وكـــم مـــن جبـــال قـــد علـــت شـــرفاتها ... رجـــال فزالـــوا والجبـــال جبـــال

فهذه احوال الذّات المحللة وامّا لذاتها المحرمة فعليها عقاب الدارين.

واما الزنا فقد تقدم بعض احواله، وروي عن الباقر عليه السلام انّه قال لايزني الزاني وهو مؤمن ولايسرق السارق وهو مؤمن، ومعناه في حديث آخر انّ روح الأيمان تفارقه مادام على بطن المرأة فاذا قام من بطنها رجعت اليه، وامّا وباله الراجع اليه فهو انّ الزاني على ماروي انه لايزني الاّ وقد زنى به او يزنى به وان زنى بأولاد الناس او لاط بهم زني بأولاده وليط بهم، وان زنى بنساء الناس زنى بامرأته.

روي انّه كان في زمن داود عليه السلام رجل فاسق، فأتى يوماً الى امرأة فجبرها على الزنا فلمّا قعد على بطنها ألهمت تلك المرأة ان قالت له أنت تزني بي وفي هذه السّاعة رجل يزني بإمرأتك، فقام ومضى الى بيته فرأى رجلاً يزني بإمرأته فاخذه الى داود عليه السلام وحكى له انّه كان يزني بامرأته فأوحى الله تعالى اليه ياداود قل له كما تدين تدان شعر:

كما يدين الفتى يـــــوماً يدان به ... من يزرع الثوم لم يحصد ريحـــاناً

وذلك كله مع النّدامة التي يلحقه بعد الفراغ من الزنا ان كان له شيء من الأيمان.

وامّا الخمر وماورد فيه من الوعيد في الكتاب والسنة فهو كثير حتى انّ الله تعالى قرن الخمر بعبادة الصنم، فقال انّما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشّيطان فاجتنبوه، وفي الحديث انّ شارب الخمر كعابد الوثن، وقال عليه السلام لعن الله الخمر وغارسها وساقيها والمحمولة اليه ومشتريها وبائعها وآكل ثمنها.

وعن امير المؤمنين عليه السلام لو انّ قطرة من الخمر قطرت في بئر ونزح ماء من ذلك البئر وسقى به أرض فأنبتت حشيشاً ويبس ذلك الحشيش، ثمّ انّ شاة رعت من ذلك الحشيش فاختلط فيه قطيع غنم واشتبهت ثم ذبحت تلك الشّياه كلّها لم آكل من لحومها شيئاً وقال عليه السلام لاتجالسوا شارب الخمر ولاتزوّجوه ولاتزوّجوا اليه، وان مرض فلا تعودوه وان مات فلا

تشيعوه، وان شارب الخمر يجيء يوم القيامة مسوداً وجهه مزرقة عيناه، مائلا شدقه سائلاً لعابه، دالعاً لسانه من قفاه.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يشرب عليها الخمر، وقد روي ايضاً تحريم النظر الى الخمر، ولكونه من الخبائث المحرَمة ورد عنه عليه السلام انَ من ترك شرب الخمر لغير وجه الله تعالى بل حفظاً لبدنه او عرضه سقاه الله تعالى من الرحيق المختوم، مع انَ الذنوب لايثاب عليها تاركها الاَ اذا كان الترك لوجه الله تعالى.

واعلم انَه على مايحكى عنه شاربوه من ان فيه النتن والعفونة، وانَ الجرعة عنه اذا وصلت الى الحلقوم وانتهت الى الجوف تكون كجرَة السكَين من الحلق الى الجوف لو كان حلالاً لما شربه أحد مع هذه الأوصاف التي عدوها فيه، لكن الشَيطان يقوي عزائم اوليائه، مع ماروي من قوله عليه السلام من بات سكراناً بات عروساً للشَيطان فمن كان الشَيطان يلوط به فيا سوء حاله ويا حزن باله.

وامَا السَرقة فالمهانة المرتبة عليها ظاهرة، حتى انَ اليد التي قيمتها خمسمأة دينار قد أذلها الله سبحانه في باب السرقة حتى انَه امر بقطعها بربع الدنيا، فقال المعري شعراً[١] معترضاً به على الحكمة الألهية وذلك انَه قيل فيه الزَندقة:

يد بخمس مئين عسجد فديت مابالها قطعت في ربع دينار

فأجابه المرتضى طيَب الله ثراه:

حراسة النفس(عز الأمانة خ) أغلاها وأرخصها خيانة المال(ذل الخيانةخ)فافهم حكمة الباري

وحكي ان رجلاً اخرج من السجن في رجله قيد وهو يسأل الناس، فقال الأنسان اعطني كسوة خبز، فقال لو قنعت بالكسرة لما وضع القيد في رجلك، وأمثال هذه المعاصي هي فخوخ[٢] الشيطان ومصائده.

---

(١)ابو العلا احمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان المعري ولد بمعرة النعمان في عام(٣٦٣) هـ وتوفي عام(٤٤٩) هـ والبيت الأول كما صرَح هو نفسه في كتابه(لزوم مالا يلزم) هو هذا البيت:

تناقض ما لنا الا السكوت به وان نعوذ بمولانا من النار

ثم يقول

يد بخمس مئين الخ فما في بعض الكتب ان البيت الأول

هو قوله:

يد بخمس الخ لاوجه له= انظر لزوم مالايلزم ج١ ص ٣٩١ ط٢ مصر سنة(١٣٤٨) هـ ق.

(٢)الفخ آلة يصاد بها جمع فخاخ وفخوخ ويقال:وثب فلان من فخ الشيطان أي تاب.

كما روي ان ابليس كان يأتي الأنبياء عليهم السلام من لدن آدم الى ان بعث الله المسيح عليه السلام يتحدث عندهم ويسائلهم ولم يكن بأحد منهم أشدّ أنساً منه بيحيى بن زكريا عليه السلام فقال له يحيى ياأبامرة أحب ان تعرض عليّ مصائدك وفخوخك التي تصايد(تصطاد خ) بها بني آدم، فقال لهابليس حبا وكرامة وواعده لغذ، فلمّا اصبح يحيى عليه السلام قعد في بيتهينتظر الموعد وأغلق عليه أغلاقاً فما شعر حتى اتى اليه من خوخة[١] كانت في بيته، فاذا وجهه صورة وجه القردة، وجسده على صورة الخنزير، واذا عيناه مشقوقتان طولاً وفمه مشقوق طولاً، واذا اسنانه عظم واحد بلا ذقن ولالحية، وله اربعة ايد:يدان في صدره، ويدان في منكبه واذا عراقيبه[٢] قوادمه واصابعه خلفه وعليه قباء وقد شد وسطه بمنطقة فيها خيوط معلقة بين احمر واصفر واخضر وجميع الألوان، اذا بيده جرس عظيم وعلى رأسه بيضة، واذا في البيضة حديدة معلقة شبيهة بالكلاب، فلما تأمله يحيى عليه السلام قال له ماهذه المنطقة التي في وسطك؟ فقال هذه المجوسيَة التي سننتها وزيّنتها لهم، فقال له ماهذه الخيوط الألوان؟ قال هذه اصباغ النساء لاتزال المرأة تصبغ الصَبغ حتى تقع مع لونها فيفتتن الناس بها، فقال له فما هذا الجرس الذي بيدك؟ قال مجمع كل لذة من طنبور وبربط ومغرفة وطبل وناي وصرناي، وانَ القوم ليجلسون على شرابهم فلا يستلذونه فأحرِّك الجرس فيما بينهم فاذا سمعوه استخفهم الطرب، فمن بين من يرقص، ومن يفرقع اصابعه ومن بين من يشق ثيابه.

فقال واي الأشياء اقر لعينك؟ قال النساء هنّ فخوخي ومصائدي فانّي اذا اجتمعت على دعوات الصالحين ولعناتهم صرت الى النساء فطاب نفسي بهن فقال له يحيى عليه السلام فماهذه البيضة التي على رأسك؟ قال بها اتوقى دعوات المؤمنين، قال فما هذه الحديدة التي ارى فيها؟ قال بهذه أقلّب قلوب الصالحين، قال يحيى عليه السلام فهل ظفرت بي ساعة قطّ؟ قال لا ولكن فيك خصلة تعجبني، قال يحيى فما هي؟ قال انت رجل أكول فاذا أفطرت أكلت وشبعت فيمنعك ذلك من بعض صلاتك وقيامك بالليل، قال يحيى عليه السلام فانّي أعطي الله عهداً اني لااشبع من الطَعام حتى القاه، قال له ابليس وانا أعطي الله عهداً انَي لاانصح مسلماً حتى ألقاه، ثم خرج فما عاد اليه بعد ذلك فهذه فخوخه.

واما دواء جراحاته فروى الفضل بن شاذان في تفسير مولانا الحسن العسكري عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم آلافاً ذكروا امّة محمد محمد وآله عند نوائبكم وشدائدكم لينصر الله به ملائكتكم على الشّياطين الذين يقصدونكم، فانَ كل منكم معه ملك عن

---

(١)الخوخة كوة تؤدي الضوء الى البيت،الباب الصغير في الباب الكبير.

(٢) المرقوب عصب غليظ فوق العقب.ج عراقيب.

يمينه يكتب حسناته، وملك عن يساره يكتب سيئاته، ومعه شيطانان من عند ابليس يغويانه، فمن يجد منكم وسواساً في قلبه وذكر وقال لاحول ولاقوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله على محمد وآله الطَيبين الطاهرين خنس[١] الشيطانان فأتيا الى ابليس فشكواه وقالا له قد أعيانا أمره فامددنا بالمردة، فلا يزال يمددها بألف مارد، فيأتونه فكلَما راموه وذكر الله وصلى على محمد وآله الطيبين لم يجدوا عليه طريقاً ولامنفذ قالوا لإبليس ليس له غير انَك تباشر بجنودك فتغلبه وتغويه، فيقصد ابليس بجنوده، فيقول الله تعالى للملائكة هذا ابليس قد قصد عبدي فلاناً او امتي فلانة بجنوده فقبلوه، فيقابلهم بازاء كل شيطان رجيم منهم مائة ألف ملك وهم على افراس من نار بأيديهم سيوف من نار ورماح من نار وقسي ونشاشيب وسكاكين واسلحتهم من نار، فلا يزالون يخرجونهم ويقتلونهم بها ويأسرون ابليس فيضعون عليه الأسلحة، فيقول يارب وعدك وعدك قد أجلتني الى يوم الوقت المعلوم، فيقول الله عز وجل للملائكة وعدته لأميته ولم اعده ان لاأسلط عليه السلاح والعذاب والآلام اشتفوا منه ضرباً بأسلحتكم فانّي لااميته، فيثخنونه بالجراحات ثم يدعون فلا يزال سخين العين على نفسه واولاده المقتلين(المتقدمين خ) ولايندمل شيء من جراحاته الا بسماع اصوات المشركين بكفرهم، وان بقي على طاعة الله وذكره والصلاة على محمد وآله بقي على ابليس تلك الجراحات، وان زال العبد عن ذلك وانهمك في مخالفة الله عز وجل ومعاصيه اندملت جراحات ابليس، ثم قوى ذلك العبد حتى يلجمه ويسرجه على ظهره ويركبه ثم ينزل عنه ويقول ظهره لنا الآن متى اردنا نركبه، وهذا الملعون قد تصدى لإضلال المؤمنين في بلدانهم قبل خلقهم.

روى الصدوق ره باسناده قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما اسرى بي الى السماء حملني جبرئيل عليه السلام على كتفه الأيمن فنظرت الى بقعة بأرض الجبل حمراء أحسن لوناً من الزعفران، أطيب ريحاً من المسك، فاذا فيها شيخ على رأسه برنس، فقلت لجبرئيل ماهذه البقعة الحمراء؟ قال بقعة شيعتك وشيعة وصيّك علي، فقلت من الشيخ صاحب البرنس؟ قال ابليس، قلت فما يريد منهم، قال يريد ان يصدهم عن ولاية امير المؤمنين عليه السلام ويدعوهم الى الفسق والفجور، فقلت ياجبرئيل أهو بنا اليهم، فاهوى بنا اليهم اسرع من البرق الخاطف، فقلت قم ياملعون فشارك اعدائهم في اموالهم واولادهم ونسائهم فانّ شيعتي وشيعة علي ليس لك عليهم سلطان فسميت تلك البلاد قم لذلك.

---

(١)خنس عنه تأخر وتنحى وانقبض.

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم ليس لك عليهم سلطان يعني به التَسلط الذي يخرجهم به من الأيمان الى الكفر كما هو حاله مع غيرهم، وامّا ايقاعهم في المعاصي فلا يقال له سلطان وذلك لأنَهم يتداركونه بأمور كثيرة.

كما روي ان رجلاً اتى الصادق عليه السلام فقال له انّ جماعة من مواليك وشيعتك قد انهمكوا في المعاصي فما حالهم في القيامة، فقال عليه السلام يتوبون بعد المعصية فيغفر الله لهم، فقال ربَما لم يتوبوا، فقال انّ الله سبحانه يبتليهم بالأوجاع والأمراض ونقص من الأموال والأولاد ليكون كفَارة لذنوبهم، فقال الرجل ربَما لم يبتلوا بهذه، فقال لعلهم يبتلون بسلطان جائر يؤذيهم فيكون كفَارة لذنوبهم، فقال ربَما لم يكن ذلك قال عليه السلام فان لم يكن ذلك ابتلوا بجار يؤذيهم فيكون كفارة لذنوبهم، قال ربَما لم يكن ذلك، قال ان لم يكن ذلك فقد يبتلون بامرأة سوء تؤذيهم فيكون ايذاء تلك الزوجة كفارة لذنوبهم، فقال ربَما لم يكن ذلك فغضب عليه السلام فقال اذا لم يكن واحد من هذا كله ادركتهم شفاعتنا وينجيهم من أهوال القيامة رغماً على انفك.

أقول ماأدري مايقول الناظر في هذه المكفرات للذنوب من انّ ايَها اعظم مصيبة على الأنسان، قال بعض المحققين أشد هؤلاء هو زوجة السَوء أخت الشَيطان وامّه، ولما أتى جبرئيل عليه السلام الى لوط لعذاب امته وصنعت امرأة لوط ماصنعت من اخبار فساق امته بأن عند لوط ضيفاناً، قال جبرئيل له يالوط انت نبي فكيف يكون هذه امرأتك؟ فقال له لوط عليه السلام ياجبرئيل انّ الله سبحانه أوحى اليّ ان يالوط لابدّ لكل واحد من اوليائي من شخص يؤذيه في الدنيا لرفع درجته في الجنَة فاختر من شئت، فاخترت ان يكون المؤذي لي زوجتي، واختياره عليه السلام لها اشارة الى ماقلناه من انَها اعظم مصيبة من كل المصائب ولهذا اختارها لوط عليه السلام لأنّ الأنبياء لايختارون الاّ ماكان اكثر ثواباً وأشقّ وأشدّ من غيره فلو كان هناك مصيبة او هائلة تعادلها لطلبها لوط عليه السلام، وهكذا وقع مثل هذا لنوح عليه السلام حتى ضرب الله سبحانه مثل تلك المرأتين في القرآن اشارة الى هاتين المرأتين وهما زوجتا نبينا صلى الله عليه وآله وسلم فقد صنعتا صنعاً يزيد على صنع المرأتين الأوليين، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم يجري في هذه الأمة ماجرى في الأمم السابقة حذو النَعل بالنَعل والقذَة بالقذَة.

وفي الروايات عن علي عليه السلام قال كنت جالساً عند الكعبة فاذا شيخ محدودب، فقال يارسول الله ادع لي بالمغفرة، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم خاب سعيك ياشيخ وضلّ عملك قال علي عليه السلام فلمّا ولَى قلت يارسول الله من هذا؟ قال ابليس لعنه الله، فعدوت خلفه حتَى لحقته وصرعته الى الأرض وجلست على صدره، ووضعت يدي على حلقه

لأخنقه، فقال لي لاتفعل يااباالحسن فانّي من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم، والله ياعلي لأحبك جداً وما أبغضك احد الا شرّكت اباه في امّه فصار ولد زنا، فضحكت وخلّيت سبيله، هذا كان دأب الشّيطان في التردد الى الأنبياء عليهم السلام وسؤالاتهم.

روى الصدوق قدس الله روحه باسناده الى الصادق عليه السلام قال انّ ابليس قال لعيسى بن مريم عليه السلام أيقدر ربك على ان يدخل الأرض بيضة لاتصغر الأرض ولاتكبر البيضة؟ فقال عيسى عليه السلام ويلك انّ الله لايوصف العجز ومن أقدر ممّن يلطف الأرض ويعظم البيضة، وهذا الحديث يبيّن معنى الحديث الذي رواه الكليني ره عن محمد بن اسحق قال ان عبد الله الدّيصاني سأل هشام بن الحكم فقال له ألك رب؟ فقال بلى، قال أقادر هو؟ قال نعم قادر قاهر، قال يقدر ان يدخل الدنيا كلها في البيضة لاتكبر البيضة ولاتصغرالدّنيا؟ قال هشام النَظرة فقال له قد أنظرتك حولا، ثم خرج عنه فركب هشام الى ابي عبد الله عليه السلام فاستأذن عليه فأذن له، فقال له ياابن رسول الله أتاني عبد الله الدّيصاني بمسئلة ليس المعول فيها الاّ على الله وعليك، فقال له ابو عبد الله عليه السلام عمّا ذا سألك قال فقال لي كيت وكيت، فقال ابو عبد الله عليه السلام ياهشام كم حواسك؟ قال خمس قال قال ايّها أصغر قال الناظر، قال وكم قدر الناظر؟ قال مثل العدسة او اقل منها، فقال ياهشام فأنظر امامك وفوقك واخبرني بما ترى؟ فقال ارى سماءً وأرضاً ودوراً وقصوراً وبراري وجبالاً وانهاراً، فقال له ابو عبد الله عليه السلام انّ الذي قدر ان يدخل الذي تراه العدسة او اقل منها قادر ان يدخل الدنيا كلها البيضة لاتصغر الدنيا ولاتكبر البيضة، فأكبّ هشام عليه وقبّل رأسه ورجليه وقال حسبي ياابن رسول الله وانصرف الى منزله، وبمضمون الحديث الأول روي عن الصادق عليه السلام قال قيل لأمير المؤمنين عليه السلام هل يقدر ربّك ان يدخل الدنيا في بيضة من غير ان تصغر الدنيا او تكبر البيضة، قال انّ الله تبارك وتعالى لاينسب الى العجز والذي سألت لايكون.

وروى البزنطي عن الرضا عليه السلام قال سأله رجل هل يقدر ربك ان يجعل السماوات والأرض ومابينهما في بيضة؟ فقال نعم وفي اصغر من البيضة، وقد جعلها في عينك وهي أقل من البيضة لأنّك اذا فتحتها عاينت السماء والأرض ومابينهما ولو شاء لأعماك عنها.

أقول حديث عيسى وحديث امير المؤمنين عليه السلام يدلاّن على انّ مثل هذا لايكون وهذا لايقدح في القدرة الكاملة، وذلك انه محال في نفسه فلاحظ له من الشيئية التي اتصف سبحانه بانه على كل شيء قدير، وقد قرر المحققون ان شرط صدور الأثر قدرة الفاعل وقابلية الأثر للصدور والأمور المحالة لا قابلية لها فالنقص انما هو فيها لا في القدرة لأن الأثر مالم يكن ممكناً لم يدخل في حيز الوجود، الأ ترى انه تعالى لم يتصف بالقدرة على خلق الشريك لعدم قابلية

الشريك لأن يدخل في عالم الموجودات وكذلك انه تعالى لايكذب ولايظلم وليس هو لعدم القدرة بل لعدم قابليتها للصدور فهذا محال بالنظر الى الغير ومانحن فيه محال بالنظر الى نفسه والى هذا اشار عيسى بن مريم عليه السلام بقوله ومن اقدر ممن يلطف الأرض اه، يعني انه تلطيف الأرض وترقيقها حتى تدخل في البيضة وان كان امراً عظيماً لكنه لكنّه لما اتصف بالإمكان جرى تحت القدرة الكاملة واما حديث الصادق والرضا عليهما السلام فيمكن حملهما على وجوه:

الأول ان الأئمة عليهم السلام قد أوتوا جوامع الكلم وتكليم الناس على قدر عقولهم واجابة السائل بمايرضيه ومصلحة الأحوال، ولّما كان صلاح الحال والوقت اقتضى الجواب الأقناعي لأنه يرضي الخصم ويكسر شبهته أجاباً عليهما السلام به، ولو قالا لايكون ماسألت لبقي السائل على عناده كما هو المعتاد غي هذه الأعصار.

الثاني ان الدَ يصاني سأل الأدخال من غير التفات الى ادخال الكبير او صورته، فأجابه عليهما السلام بأنَ لهذا النحو من الأدخال مصداقاً وهو ادخال الصورة المحسوسة المقدّرة بالمقدار الكبير بنحو الوجود الظلّي في الحاسة، ولااستحالة فيه اذ كون الصورة الكبيرة فيه بالوجود الظلي لايوجب اتصافها بالمقدار الكبير، ولما كان منظور السائل مايشمل هذا النحو من الأدخال لم يقل بعد ما سمع الجواب مرادي الأدخال العيني.

الثالث ماقيل انَ المراد انَ من قدر على هذا الأدخال قدر على ذلك الأدخال لأنه من بابه فيكون حكاية العدسة من باب التنظير وهو بعيد لعدم موافقته لحديثي عيسى وامير المؤمنين عليه السلام الا بإرتكاب تكلّف في معنى قول امير المؤمنين عليه السلام والذي سألت لايكون بأنَ يكون بمعنى يوجد، يعني ان الذي سألت عنه وان كان ممكناً لكنّه لايوجد اذ ليس كل ممكن يدخل في حيز الوجود، لما عرفت وهذه المسئلة تسمى المسئلة الشّيطانيّة وذلك ان الشيطان اول من اخترعها لإمتحان الأنبياء عليهم السلام، وحاشا حجج الله سبحانه عن العجز والأفحام، مع انّه قد حصل له من هذا السؤال ما اعمى عينه وذلك انّه ورد في الرواية انَ الشّيطان اول ماسأل بها ادريس عليه السلام فأتى اليه وهو يخيط في مجسد الكوفة[1] وقال له ياادريس ايقدر ربك ان يدخل الدنيا في بيضة من غير ان تكبر البيضة وتصغر الدنيا؟ فقال له ادريس عليه السلام ادن مني حتى اجيبك، فلمّا دنى منه أهوى بالابرة التي يخيط بها الى عينه فعورها، قال ربي قادر على هذا فصار الشَيطان اعور من ذلك اليوم، عليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين، ولعنة الله على كل عدو من الأعداء الى يوم الدين بحق محمد وآله الغر الميامين الطيبين الطاهرين هذا تمام الكلام في الجزء

---

(١)في النسخ المطبوعة(مجلس الكوفة)والصحيح: مسجد الكوفة)كما في النسخة المخطوطة.

الأول لنذكر المنجيات وتوابعها بأنوار اخرى والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

هذا آخر المجلد الأول من الكتاب ويليه المجلد الثاني على حسب تجزأة السيد المصنف رحمه الله تعالى.

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول العبد المذنب الجاني نعمت الله الحسيني الجزائري هذا المجلد الثاني من كتابه الأنوار النعمانية شرعنا في تأليفه بعد الفراغ من المجلد الأول ونرجو من الله سبحانه ان يوفقنا لإتمامه وان يجعله ذخيرة لإكرامه بحق محمد وآله الطاهرين.

نور في التوبة ومايتعلق بها من الأحكام والمعارف

اعلم ان الله سبحانه قد مدح التّوابين في كتابه العزيز في آيات كثيرة وكفى بها قوله سبحانه انّ الله يحب التّوابين ويحب المتطهرين، فلا درجة اعظم من محبّة الله تعالى، وذلك انّها اقصى الدرجات والأنبياء والأولياء انّما هي غاية سعيهم لاغيرها من الجنة ومراتبها، فانّ الجنة وماأعدّ فيها من النعيم انّما هي مقاصد التّجار وغاياتهم والاّ فأهل الهمم العالية والمطالب الغالية انّما يطلبون محبته ورضاه.

روي عنه صلى الله عليه وآله وسلم قال بكى شعيب من حب الله عز وجل حتى عمى فرد الله عز وجل عليه بصره، ثم بكى حتى عمى فرد الله عزّ وجل عليه بصره، ثمّ بكى حتى عمى فرّد الله عزّ وجل عليه بصره، فلمّا كانت الرابعة أوحى الله اليه ياشعيب الى متى يكون هذا ابدأ منك، ان يكن هذا خوفا من النّار فقد احررتك(اجرتك خ) وان يكون شوقاً الى الجنة فقد ابحتك، قال الهي وسيدي انت تعلم انّي مابكيت خوفاً من نارك ولاشوقاً الى جنّتك ولكن عقد حبك على قلبي فلست اصبر أو أراك، فأوحى الله جل جلاله اليه امّا اذا كان هذا هكذا فمن أجل هذا سأخدمك كليمي موسى بن عمران.

قال الصدوق طاب ثراه يعني بذلك لاأزال أبكي اوأراك قد قبلتني حبيباً، ولايخفى انّ ماقاله ره ان كان قد وجده في حديث فلا لابأس به والا فلا يحتاج الى صرف الكلام عن ظاهره لأنّ معناه لاأقطع البكاء الى ان أراك بعد الموت، وحاصله الى ان اموت وذلك انّ لقاء الله سبحانه انّما يكون بعد الموت، والظّاهر انّ الذي حمله ره على هذا التأويل هو قول شعيب عليه السلام أو اراك فانّ الرؤية ممتنعة عليه سبحانه ولكن هذا المجاز مشهور وقد وقع في القرآن والسنة كثيراً قال الله تعالى{وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة} وقال امير المؤمنين عليه السلام كيف أعبد ربّاً لم أره.

وبالجملة فالمحبّة انّما هي نهاية الدرجات وقد منحه سبحانه للتّائبين، وقال الصادق عليه السلام لَما نزلت هذه الآية{والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله} ولم يصروا على مافعلوا وهم يعلمون، صعد ابليس جبلاً

بمكة يقال له ثور فصرخ صرخة بأعلى صوته بعفاريته، فاجتمعوا اليه، فقالوا ياسيّدنا لم دعوتنا؟ قال نزلت هذه الآية فمن لها، قال عفريت من الشيطان انا لها بكذا وكذا، قال لست لها، فقام آخر فقال مثل ذلك، قال لست لها، قال الوسواس الخنّاس انالها، قال بماذا؟ قال اعدهم وأمنيهم حتى يواقعوا الخطيئة فاذا واقعوا الخطيئة انسيتهم الأستغفار فقال انت لها فوكله بها الى يوم القيامة، وقد عرفت ان الله تعالى يحب المؤمن المفتن التواب، وقال عليه السلام ويل لمن غلبت آحاده عشراته وذلك انّ الواحد من الحسنات بعشر وواحدة السيئات بواحدة وقال عليه السلام لاتأتون يوم القيامة الا وتحت كل ذنب استغفار يكون مكتوباً في صحائف اعمالكم، وقال الأمام ابوعبد الله جعفر الصادق عليه السلام اذا تاب العبد توبة نصوحاً احبه الله فستر عليه في الدنيا وىلآخرة، فقلت وكيف يستر عليه؟ قال ينسى ملكيه ما كتبا عليه من الذنوب، ويوحي الى جوارحه ان اكتمي عليه ذنوبه ويوحي الى بقاع الأرض ان اكتمي ماكان يعمل عليك من الذنوب فليق الله حين يلقاه وليس شيء يشهد عليه بشيء من الذنوب وعنه عليه السلام مامن عبد مؤمن مذنب الا أجلّه الله عز وجل سبع ساعات من النها فان هو تاب لم يكتب عليه شيء وان هو لم يفعل كتب عليه سيئة فآتاه عباد البصري فقال له بلغنا انك قلت مامن عبد يذنب ذنباً الا اجله الله سبع ساعات من النهار فقال ليس هكذا قلت ولكن قلت مامن مؤمن وكذلك كان قولي وفي خبر آخر ان المؤمن يذكر ذنبه بعد عشرين سنة حتى يستغفر ربه فيغفر له ولو لم يكن في التوبة الا سروره سبحانه تكفي بها فضلاً وشرفاً على سائر الأعمال روي عنه صلى الله عليه وآله انه قال الله افرح بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل في ارض دوية[1] مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه، فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهب راحلته، فطلبها حتى اذا اشتدّ عليه الحر والعطش وماشاء الله قال ارجع الى مكاني الذي كنت فيه فأنام حتى اموت، فرجع ووضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ فاذا راحلته عنده عليها زاده وشرابه، فالله أشدّ فرحاً بتوبة العبد المؤمن هذا براحلته.

وتحقيق الكلام في التوبة يتم ببيان امور، الأول في وجوبها على العبد وفي وجوب قبولها عليه تعالى، اما الوجوب على العبد سمعاً فهو مجمع عليه، وانّما الخلاف في وجوبها عقلاً، فأثبتته المعتزلة وهو الحق لأنه دفع ضرر وهو واجب عقلاً، ولأنّ النّدم على القبيح من مقتضيات العقل الصحيح، وذهب جماعة الى وجوبها عن الصغائر سمعاً لاعقلاً، ولعلهم نظروا الى ظاهر قوله

---

(١)أي البرية.

تعالى{ان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفّر عنكم سيئاتكم}فاذا كانت السيئات مكفرة فلا يترتب عليها ضرر يجب دفعه ولكن حكاية الندم على القبيح تعم القسمين.

واما الوجوب الفوري فعليه المعتزلة واصحابنا الأمامية، وذلك لأنّ المعاصي للإيمان كالمأكولات المضرة للأبدان فان كان الخائف من الهلاك في هذه الدنيا المنقضية يجب عليه ترك السموم ومايضره من المأكولات في كل حال وعلى الفور فالخائف من هلاك الأبد اولى بأن يجب عليه ذلك، وان كان متناول السم اذا ندم يجب عليه ان يتقا على سبيل الفور تلافياً لبدن المشرف على هلاك لايفوت عليه الاَ هذه الدنيا الفانية فمتناول سموم الدين وهي الذنوب أولى بأن يجب عليه الرجوع عنها ليتدارك النَعيم المقيم والملك العظيم وفي فواته العذاب المقيم، فالبدار البدار الى التوبةقبل ان تعمل سموم الذنوب بروح الأيمان عملاً يجاوز الأمر اختبار الأطباء ولاينفع بعده الأحتماء فلا ينجح بعد ذلك وعظ الواعظين، ويدخل في قوله {وسواء عليهم ءأنذرتهم ام لم تنذرهم لايؤمنون} ولايعزنّك اطلاق لفظ المؤمن على هذا فانَ نيران الذنوب اذا أكلت الفروع أكلت الأصل لأنَه لااستمرار لبقاء الأصل بدون الفرع ومن سوَف التوبة يكون على خطرين.

الأول ان يعاجله الأجل فلا يبقى له وقت تدارك التوبة، كما قال تعالى{من قبل ان يأتي احدكم الموت فيقول رب لولا اخرتني الى اجل قريب} قال بعض المفسرين ان المحتضر يقول عند كشف الغطايا ملك الموت أخَرني يوماً اعتذر فيه الى ربي واتوب اليه واتزود صالحاً، فيقول فنيت الأيام، فيقول اخرني ساعة، فيقول فنيت الساعات، فيغلق عنه باب التوبة ويغرغر بروحه الى النار ويتجرع غصة اليأس وحسرة الندامة، وربما عدل به شياطين العديلة ومن ثم استحب تلقين المحتضر كلمات الفرج لتطرد عنه شياطين العديلة التي تعدله عن الأيمان الى الكفر.

الثاني ان تتراكم الذنوب على قلبه الى ان تصير طبعاً فلايقبل المحو، فانَ كل معصية يفعلها الأنسان يحصل منها ظلمة في قلبه فاذا تراكمت اسود القلب، وعبّر عنه بالقلب المنكوس والقلب الأسود.

كما روي عن الأمام ابي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال كان ابي يقول مامن شيء أفسد للقلب ليواقع الخطيئة فلا يزال به حتى يغلب عليه فيصير أعلاه أسفله، فاذا آل أمره الى هذا الحال صارت ذنوبه مزينة في نظره فلا يرغب في التَوبة بل ربما زادت في تلك المعاصي، ومن هذا ذهب جماعة من المسلمين الى انَه لو أخَر التوبة ساعة واحدة حصل له اثم آخر يجب التوبة منه ايضاً، ففي ساعتين اربع ذنوب وهكذا فيكون عليه في اليوم الواحد آلاف من الذنوب.

وامَا وجوب قبول التوبة عليه سبحانه بحيث لو عاقب على الذنب بعد التوبة كان ظالماً، او هو تفضل يفعله سبحانه كرماً منه ورحمة بعباده فيه خلاف، فالمعتزلة على الأول، والأشاعرة على الثاني، واليه ذهب الطَوسي والعلاّمة وتوقف فيه صاحب التَجريد وظاهر الأخبار وكلام الأئمةالطاهرين عليهم السلام يدل على الثاني سيما كلام مولانا زين العابدين عليه السلام في السادس عشر من ادعية الصحيفة ياالهي لو بكيت اليك حتى تسقط اشفار عيني، وانتحبت حتى ينقطع صوتي، وقمت لك حتى تنتشر قدماي، وركعت لك حتى ينخلع صلبي، وسجدت لك حتى تتفقأ حدقتاي، وأكلت تراب الأرض طول عمري شربت ماء الرماد آخر دهري وذكرتك في خلال ذلكحتى يكل لساني ثم لم ارفع طرفي الى آفاق السماء استحياءً منك استوجب بذلك محو سيئة واحدة من سيئاتي وامثال هذا.

وقد استدلوا على وجوب القبول بأن السيد اذا ابق عبده شهراً مثلا ثم رجع نادماً كمال الندم متأسفاً على ماوقع منه عازماً ان لايعود ابداً ثم انَ المولى لم يقبل توبته بل كان مصراً على عقابه فانَ العقلاء يذمونه، واجيب عنه بأن السيد لو قرر معه انَه متى ابق مدّة كذا عاقبه العقاب الفلاني فانه اذا رجع وعاقبه السيد ذلك العقاب الذي قرره فانه لايستحق بذلك الذم من العقلاء، وما نحن فيه من هذا القبيل.

وفيه نظر وذلك انَ الذي نحن فيه هو ان السيد اذا قال عند الناس وكتب الى العبد الأبق بانك اذا رجعت عليك الأمان ولااعاقبك على هذا الأباق لأنَ اسباب الأباق ودواعيه كانت موجودة في الدار والبلاد، فاذا رجع ذلك العبد وبعد رجوعه عذبه المولى لعدَه العقلاء من المذمومين ومانحن فيه من هذا القبيل، فانه سبحانه قد اكثر من الكلام على قبول التوبةوعلى اسقاط الذنب عندها، والأولى في الأستدلال ان يقع على هذا النّمط وكأنَه مراد المستدل وان لم يصرح به.

الأمر الثاني في حقيقة التوبة، وقد اختلف فيها الأخبار والأقوال، اما الأخبار فمنها ماروي عن الأمام ابي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من تاب قبل موته بسنة قبل الله توبته، ثم قال ان السنمة لكثير، من تاب قبل موته بشهر قبل الله توبته، ثم قال ان الشهر لكثير من تاب قبل موته بجمعة قبل الله توبته، ثم قال الجمعة لكثير من تاب قبل موته بيوم قبل الله توبته، ثم قال ان يوماً لكثير من تاب قبل ان يعاين قبل الله توبته.

ومنها مارواه السيد رضى في نهج البلاغة من كلام امير المؤمنين عليه السلام انَ قائلاً قال بحضرته استغفر الله فقال له عليه السلام ثكلتك امَك اتدري ماالأستغفار؟ انَ الأستغفار درجة

العليين وهو اسم واقع على ست معان، اولها الندم على مامضى، الثاني العزم على ترك العود اليه ابداً، الثالث ان تؤدي الى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله املس ليس عليك تبعة، الرابع ان تعمد الى كل فريضة عليك ضيّعتها فتؤدي حقها، الخامس ان تعمد الى اللّحم الذي نبت على السحت فتذيبه بالأحزان حتى يلصق الجلد بالعظم وينشأ بينهما لحم جديد، السادس ان تذيق الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية.

ومنها مارواه الكليني طاب ثراه باسناده الى الصادق عليه السلام قال مامن مؤمن يقارف في يومه وليلته اربعين كبيرة فيقول وهو نادم استغفر الله الذي لااله الا هو الحي القيّوم بديع السماوات والأرض ذو الجلال والأكرام وأسأله ان يصلي على محمد وآل محمد وان يتوب علي الا غفر الله عز وجل له، ولاخير فيمن يقارف في يوم اكثر من اربعين كبيرة، ومنها ماروي في الأخبار انَ التوبة هي الندم على ماسلف والعزم على ان لايعود، الى غير ذلك من الأخبار.

واما الأقوال فمنها ماقيل ان التوبة ذوبان الحشا لما سبق من الفحشاء، ومنها انّها نار في القلب تلتهب وتصدع في الكبد لاينشعب، ومنها ماقيل انّها خلع لباس الجفا ونشر بساط الوفا، ومنها ماقيل انّها تبديل الحركات المذمومة بالحركات المحمودة، ومنها ماقيل انها رجوع الأبق عن الجرم السابق، والكلام الجامع في هذا الباب ما قاله صاحب الأحياء وهو ان التوبة لاتحصل الا بحصول امور ثلاثة: اولها معرفة ضرر الذنوب وكونها حجاباً بين العبد ومحبوبه وسموماً قاتلة لمن يباشرها فاذا عرف ذلك وتيقنه حصل له من ذلك حالة ثانية هي التألم لفوات المحبوب والتأسف من فعل الذنوب وهذا التألم والتأسف هو المعبر عنه بالندم واذا غلب هذا الألم حصل له حالة ثالثة هي القصد الى امور ثلاثة تعلق بالحال والأستقبال والمضي فالمتعلق بالحال هو ترك ماهو مقيم عليه من الذنوب والمتعلق بالأستقبال هو العزم على عدم العود اليها الى آخر العمر والمتعلق بالماضي تلافي مايمكن تلافيه من قضاء الفوائت والخروج من المظالم فهذه الثلاثة اعني المعرفة والندم والقصد الى المذكورات امور مترتبة في الحصول وقد يطلق على مجموعها اسم التوبة وكثيراً مايطلق على الثاني اعني الندم وحده ويجعل المعرفة مقدمة لها وذلك القصد ثمرة متأخرة عنها وقد يطلق على مجموع الندم والعزم انتهى.

اقول ومن هنا اختلفت الأخبار والأقوال وللإختلاف وجه ألطف وادق من هذا وهو ان للتوبة درجات ومراتب وفوائد مختلفة فاقل درجاتها احباط العذاب المترتب على ذلك الذنب وهذا هو المراد من التوبة قبل المعاينة الواقعة في الحديث الأول واعلى درجاتها وفوائدها اسقاط العقاب والفوز باعلى الكرامات مع الملائكة المقربين والأنبياء المرسلين والعباد الصالحين وهذا لايكون بمجرد التوبة قبل المعاينة بل لابد فيه من اتعاب البدن واعمالها في الأعمال وهذا هو التوبة

في حديث نهج البلاغة وعليها يحمل ماورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال التائب اذا لم يستبن عليه اثر التوبة فليس بتائب يرضي الخصماء ويعيد الصلوات ويتواضع بين الخلائق ويقي نفسه عن الشهوات ويهزل رقبته بصيام النهار ويصفر لونه بقيام الليل ويخمض بطنه بقلة الأكل ويقوس ظهره من مخافة النار ويذيب عظامه شوقاً الى الجنة ويرق قلبه من هول ملك الموت ويجفف جلده على بدنه بتفكر الآخرة فهذا اثر التوبة فاذا رأيتم العبد على هذه الصفة فهو تائب ناصح لنفسه.

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري قال جاءت امرأة الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالت يانبي الله امرأة قتلت ولدها هل لها من توبة؟ فقال لها والذي نفس محمد بيده لو انها قتلت سبعين نبياً ثم تابت وندمت ويعرف الله من قلبها انّها لاترجع الى المعصية ابداً لقبل الله توبتها وعفى عنها، فانّ باب التّوبة مفتوح مابين المشرق والمغرب وانّ التّائب كمن لاذنب له.

واما اوسط درجاتها وفوائدها فهي كثيره متفاوتة فمن تاب قبل موته بسنة وتلافى في تلك السنة مساوىء اعماله وأقبل على مايوجب تصحيح آماله كان له من الدرجة أعلى ممّن تاب قبل موته بشهر، وكذا من تاب قبل موته بشهر بالنّسبة الى من تاب قبل موته بجمعة، وهكذا ومقصودهم عليهم السلام ترغيب الخلائق في التّوبة وبيان انّ التوبة مقبولة في كل حين الا ان يغرغر بروحه وتعاين الموت واسبابه، فانّ الأمور تصير عندها ضرورية ويكون حينئذ ملجأة الى التوبة، فمن هذا أغلق عنه بابها.

قال بعض المفسرين ومن لطف الله بالعباد ان امر قابض الأرواح بالإبتداء في نزعها من اصابع الرجلين ثم يصعد شيئاً فشيئاً الى ان يصل الى الصّدر ثم ينتهي الى الحلق ليتمكن في هذه المهلة من الأقبال بالقلب على الله والوصية والتوبة مالم يعاين والأستحلال وذكر الله سبحانه فيخرج روحه وذكر الله على لسانه فيرجى بذلك حسن خاتمته وفّقنا الله وايّاكم للتوبة.

فان قلت ذكرت ان الندم وهو تألم القلب اما هو التّوبة او اعظم اجزائها، وهذا التألم لايكون بالأختيار فكيف يوصف بالوجوب، قلت ان سببه تحقيق العلم بفوات المحبوب والتفكر فيما يترتب على ذلك الذّنب من العقاب، فكلما تفكر وحقّق العلم زادت نيران قلبه واشتعلت، وتحقيق هذا العلم وزيادة التفكر امر ان اختياران فمن هذا وصف التألم بالوجوب لمكان الأختيار في اسبابه، فصار الحاصل هو ان العاقل التائب ينبغي ان يكون توبته ممّا يوجب المقامات العالية، بل ذكر بعض المحققين انّ التوبة واجبة في الأوقات على جميع الأشخاص، وذلك انّ الأنسان لايخلو عن اتّباع الشهوات وكل شهوة فعلها يرتفع منها ظلمة الى القلب كما يرتفع من نفس

الأنسان ظلمة الى وجه المرآة الصقيلة، فان تراكمة ظلمة الشهوات، صارت رينا كما قال تعالى{كلا بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون}.

واذا تراكم الرين صار طبعاً على القلب كالخبث على وجه المرأة، ولايكفي في ازالة اتباع، (اطباع خ) تلك الشهوات تركها في المستقبل، بل لابدّ من محو تلك الآثار التي انطبعت في القلب، كما لايكفي في ظهور الصورة في المرآة قطع الأنفاس والبخارات المسودة لوجهها في المستقبل مالم يشتغل بمحو ماانطبع فيها من الآثار، وكما يرتفع الى القلب ظلمة من المعاصي والشهوات فيرتفع اليه نور من الطاعات، فيمحي ظلمة المعصية بنور الطاعة، واليه الأشارة بقوله عليه السلام اتبع السّيئة الحسنة تمحها، فاذن لايستغني العبد في حال من الأحوال عن محو آثار السيّات عن قلبه بمباشرة حسنات تضادها وهذا الواجب ليس من باب الواجب الشرعي الذي يلزم من وجوبه في كل الأوقات تعطيل المعائش والمكاسب وخراب الدنيا، بل هو الواجب المعنى الثاني وهو الوجوب الشرطي كما يقال الوضوء واجب لصلاة النافلة يعني لايمكن التوصل الى فعل النافلة الا به، فكذا مانحن فيه، وهو انّه لايمكن التوصل الى درجات المقرّبين الاّ به فمن ارادها توصّل الى تحصيلها به، ومن رضى لنفسه بالدرجات الناقصة كان كمن اقتصر على الصلاة الواجبة وترك النافلة، فليس عليه عذاب وانّما حرم من جزيل الثواب.

وللنظر الى هذا رفض الأولياء ملاذ الدنيا بالكلية، حتى انه روي ان عيسى عليه السلام توسّد في منامه حجراً فجاء اليه الشّيطان فقال له أما كنت تركت الدنيا للآخرة، فقال نعم وما الذي حدث؟ قال توسدك بهذا الحجر تنعم بالدنيا فلم لاتضع رأسك على الأرض، فرمى عيسى عليه السلام الحجر ووضع رأسه على الأرض، فكان رميه الحجر توبة عن ذلك التّنعم مع انّه ليس واجباً، وكذلك نبينا صلى الله عليه وآله وسلم لمّا ثنّي له الكساء الذي ينام عليه فلمّا اصبح قال انّ هذا منعني عن المبادرة الى القيام للعبادة.

ولقد صدق ابو سليمان الداراني حيث قال لو لم يبك العاقل فيما بقي من عمره الا على فوت مامضى منه في غير الطّاعة لكان خليقاً ان يجزيه ذلك الى الممات، فكيف من يشتغل فيما بقي من عمره بمثل مامضى من جهله، وذلك ان العاقل اذا ملك جوهرة نفيسة وضاعت منه بكى على ضياعها، فان صار ضياعها سبب هلاكه كان بكاؤه اشد، وكل ساعة من العمر جوهرة نفيسة لاقيمة لها ولابدل عنها، فاذا ضيّعتها في الغفلة فقد خسرت خسراناً مبيناً، روي ان ملك الموت اذا ظهر للعبد اعلمه انّه قد بقي من عمره ساعة، وانّه لايستأخر عنها فيبدو للعبد من الأسف مالو كانت له الدنيا كلها لخرج منها على ان يضم الى الساعة ساعة اخرى يتدارك تفريطه فيها فلا يجد اليه سبيلا، وهو اول مايظهر من معاني قوله عز وجل وحيل بينهم وبين مايشتهون.

والى ماذكرنا من الدرجات اشار ذو النون المصري حيث قال ان الله عز وجل عباد نصبوا اشجار الخطايا نصب روامق القلوب، وسقوها بماء التوبة، فأثمرت ندما وحزنا فجنوا من غير جنون وتبدلوا من غير عيٍ ولابكم، وانهم هم البلغاء الفصحاء العارفون بالله عز وجل ورسوله، ثم شربوا بكأس الصفا فورثوا الصبر على طول البلاء تولَهت قلوبهم في الملكوت وجالت افكارهم في حجب الجبروت، واستظلوا تحت رواق الندم، وقرأوا صحيفة الخطايا فأورثوا انفسهم الجزع حتى وصلوا الى علو الزهد بسلَم الورع، فاستعذبوا مرارة الترك للدنيا واستلانوا خشونة المضجع حتى ظفروا بحبل النجاة وعروة السلامة، وسرحت ارواحهم في العلى حتى اناخوا في رياض النعيم وخاضوا في بحر الحياة، وردموا خنادق الجزع، وعبروا جسور الهوى حتى نزلوا بفناء العلم، واستقوا من غدير الحكمة وركبوا سفينة الفطنة، وأقلعوا بريح النجاة في بحر السلامة حتى وصلوا الى رياض الراحة ومعدن العز والكرامة، فانظر رحمك الله الى غاية التوبة وانَها أي غاية.

وفي كتاب الشيخ ورام انَ ذا النون المصري قال مررت ببعض الأطبّاء وحوله جماعة من النساء والرجال بأيديهم قوارير الماء وهو يصف لكل واحد منهم مايوافقه فدنوت منه فسلَمت عليه فردَ عليَ السلام، فقلت له صف لي دواء الذنوب يرحمك الله، فأطرق الى الأرض ساعة وكان الطَيب عاقلاً ثم رفع رأسه، فقال يافتى ان أنا وصفت لك تفهم؟ فقلت نعم ان شاء الله تعالى، فقال لي خد عروق الفقر وورق الصَبر، واهليلج الخشوع وابليلج التواضع، ألق الجميع في هاون التَوبة ثم اسحقه بدستج التقوى، ثم ألقه في طبخير التوفيق وصب عليه من ماء الخوف، واوقد تحته نار المحبة وحركه بأصطام الحكمة حتى يرغى، ثم أفرغه في جام الرضا وروحه بمروحة الحمد حتى يبرد، ثم أفرغه في قدح المناجاة ثم أفرجه بماء التوكل وحركه بملعقة الأستغفار، ثم اشربه وتمضمض بعده بماء الورع، فاذا انت فعلت هذا فانَك لاتعود الى ذنب ابداً.

وهذه التوبة هي التي اشار اليها امير المؤمنين عليه السلام في ذلك الحديث فقال عليه السلام ان العبد ليذنب الذنب فيدخل به الجنة، قيل كيف ذلك يارسول الله؟ قال يكون نصب عينيه تائباً فاراً منه حتى يدخل الجنة، وروي انه كان في بني اسرائيل شاب عبد الله عشرين سنة ثم عصاه عشرين سنة ثم نظر في المرآة فرأى الشيب في لحيته فسائه ذلك، فقال الهي اطعتك عشرين سنة وعصيتك عشرين سنة، فان رجعت اليك أتقبلني؟ فسمع قائلاً يقول أجبتنا فأجبناك، وتركتنا فتركنك، وعصيتنا فأمهلناك وان رجعت الينا قبلناك.

واعلم ان التائبين العالمين هم الفائزون، وذلك انَ الناس ينقسمون في الآخرة بالضرورة الى اربعة اقسام:الهاً لكون، والمعذبون، والناجون، والفائزون، ومثاله من الدنيا ان يستولي ملك

من الملوك على اقليم فيقتل بعضهم فهم من الهالكين، ويعذّب بعضهم فلا يقتلهم فهم من المعذبين، ويخلي بعضهم فهم الناجون، ويخلّع على بعضهم فهم الفائزون فان كانت الملك عادلاً لم يقسمهم كذلك الا بالأستحقاق فلا يقتل الا معانداً له في الملك ولايعذّب الا من قصّر في خدمته مع الأعتراف بملكه، ولايخلّي الا معترفاً له بالدولة لكنَه لم يخدمه ليخلع عليه، ولايخلع الا على من خدمه، وكل واحدة من هذه الدرجات الأربع متفاوتة وذلك لتفاوت انواع العذاب والفوز:

الرتبة الأولى الهلاك:وهم الأيسون من الرحمة الصادرة منه سبحانه، وهم المعاندون المكذَبون.

الرتبة الثانية المعذبون:وهذه رتبة من تحلَى بأصل الأيمان ولكن قصر في الوفاء بمقتضاه وهو انَه قد تابع هواه وشهواته وارادته.

الرتبة الثالثة النااجون:وهي السلامة دون السعادة ولعل هذه الرتبة هي رتبة المجانين والبلهاء ونحوهم.

الرابعة الفائزون:وهم العارفون العاملون فهؤلاء هم السابقون وهم الذين كان قصدهم هو سبحانه لاجنَة ولاخلاصاً من نار، ولذلك قيل لرابعة العدوية كيف رغبتك في الجنة فقالت الجار ثم الدار.

الأمر الثالث في قبول التوبة للتجزي كأن يتوب عن ذنب ولم يتب عن ذنب، فقال بعضهم انَ هذه التوبة غير مقبولة وذلك انّ التوبة عن الذنب انما تصح لقبح ذلك الذنب وقبح الذنوب كلها علَة مشتركة بينها، فمن تاب عن ذنب وهو مرتكب غيره يكون كالكاشف عن انَ التوبة عن ذلك الذنب لالقبحه بل لعلة اخرى، وايضاً فانّ الله سبحانه قد مدح التَوابين وقال انَه يحبهم ومن احبه الله سبحانه لم يعذَبه، ومن ارتكابه للذَنوب الآخر يستحق التَعذيب والعفو غير واجب.

وقال بعض الأعلام بقبول مثل هذه التوبة ولعله الظاهر من الآيات والأخبار وحسن الأعتبار، والتحقيق ان نقول قول من قال انّ التوبة لايصلح تجزّيها ان عني به انَ ترك بعض الذنوب لايفيد اصلاً بل وجوده كعدمه فهذا خطأ لأنَ كثرة الذنوب سبب لكثرة العقاب كما انَ قلتها سبب لقلته، ونقول لمن قال يصح ان اردت به ان التوبة عن بعض الذنوب يوجب قبولاً يوصل الى النجاة والفوز كان هذا ايضاً خطأ فان الفوز كما عرفت انَما يكون بترك الجميع، ويقال في دليل من قال لايصح وهو انَ التوبة عبارة عن الندم والمعاصي كلها اوجاع وآلام فلا معنى لتوجّعه من ألم دون ألم فان العلّة شاملة لهما، ولو جاز هذا لجاز ان يتوب من شرب الخمر من

احد الدَنين دون الآخر، فان استحال ذلك من حيث ان المعصية في الخمرين واحد وانّما الدّنان ظروف فكذلك اعيان المعاصي آلات للمعصية والمصيبة من حيث هي مخالفة لأمر واحد، فيقال على هذا انَ التوبة عن بعض الذنوب اما ان يكون عن الكبائر دون الصغائر أوعن عن الصغائر دون الكبائر او عن كبيرة دون كبيرة.

امَا الأول فممكن من جهة علمه بأشدّية عذابها، كمن جنى على ابن السّلطان وعلى دابّته فانّه يعلم انّ الأول أشدَ جرماً فيخاف منه اكثر، وقد كثر التائبون في الأعصار وليس احد معصوماً من الذنوب سوى أهل العصمة عليهم السلام.

واما الثاني فهو ممكن ايضاً لأنّ لذَة نفسه في الكبيرة أشدَ من خوفه منها، واما الصغائر فليس له لذّة نفس فيها فيكون خوفه منها اكثر من لذّته بها.

واما الثالث فجائز ايضاً لإعتقاده انّ بعض الكبائر أشدّ وأغلظ عند الله تعالى.

الأمر الرابع في اسباب عظم الصغيرة وهي تكون بأمور:الأول الأصارا ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم لاصغيرة مع الأصرار ولاكبيرة مع الأستغفار، فكبيرة واحدة ارجى للعفو من صغيرة تداوم عليها، ومثال ذلك قطرات الماء تقع على الحجر على توال فتؤثر فيه وذلك القدر من الماء لو صبّ عليه دفعة واحدة لم يؤثّر لأن الصغيرة كلّما دامت عظمت في اظلام القلب، والكبيرة قلما يتصور الأتيان بها من دون صغائر تكتنفها فانّ الزاني قلّما يزني بغتة بل يحتاج الى المراودة وباقي المقدّمات.

الثاني استصغار الذنب فانّه اذا استعظمه صغر عند الله واذا استصغره عظم عند الله لأن استعظامه يدل على كراهية القلب فلا يتأثر منه، واستصغاره يدلّ على شدة الألفة به وهو يوجب تأثر القلب به، الثالث السّرور بالصغيرة فانّها تكبر عند ذلك كما يقول القائل رأيتني كيف خجلت فلاناً او كيف نفقت عليه الكاسد، لأنّه ينبغي ان يكون في حزن من غلبة الشّيطان عليه.

الرابع ان يتهاون بستر الله عليه وحلمه عنه وامهاله له ولايدري انّه انّما امهل مقتاً له ليزداد دائماً، فيظن ان تمكينه من المعاصي عناية من الله عز وجل به، فيكون ذلك لأمنه من مكر الله وجهله بمكامن الغرور، الخامس اظهار الذنب فانّ هذا منه خيانة(جناية خ) على ستر الله الذي اسد له عليه وتحريك لرغبة السامعين في ذلك الذنب، فهما جنايتان انضمتا الى جناية، فان اضيف اليه حمل الغير على ذلك الفعل كان له اربع جنايات، وفي الحديث كلّ الناس معاف الاّ المجاهرين يبيت احدهم على ذنب قد ستر الله عليه فيصبح ويكشف ستر الله ويتحدث به، وذلك لأنّ من صفاته ستر القبيح، السادس ان يكون المذنب عالماً مقتدى به فانّه قد يموت العالم ويبقى

شرّه، قال ابن عباس ويل للعالم من الأتباع يزل زلّة فيرجع عنها ويحملها الناس فيذهبون بها في الآفاق.

بقي الكلام في موجبات الأصرار على الذنوب وفي مزيلاته اعلم انّ موجباته اربعة، اولها انَ العقاب الموعود غائب ليس بحاضر والنّفس جبلت على عدم التأثر بالآجل وهذا لايكون الا من ضعف الأيمان، الثاني انَ اللذات الباعثة على الذنوب لذاتها ناجزة وهي آخذة بالمخنق وقد قوى واستولى بسبب الأعتياد، والعادة طبيعة خامسة، والتَروع عن العاجل الى الآجل شديد على النَفس كما قال سبحانه{كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة}.

وفي الرواية انه تعالى خلق النَار فقال لجبرئيل اذهب فانظر اليها، فذهب فنظر اليها فقال وعزّتك خشيت الا يبقى احد الا دخلها، وخلق الجنّة فقال لجبرئيل اذهب فانظر اليها، فذهب فنظر اليها فقال وعزتك لايسمع بها احد الاّ دخلها، فحفَها بالمكاره فقال لجبرئيل اذهب فانظر اليها، فذهب فنظر اليها فقال وعزّتك خشيت ان لايدخلها احد، فاذن كون الشهوة مرهقة في الحال وكون العقاب متأخراً سببان في الأسترسال.

الثالث انّه ما من مؤمن مذنب الا والغالبعلى عزمه التوبة وتكفير السيئات بالحسنات وطول الأمل غالب على الطّباع فلا يزال يسوّف التّوبة والتكفير فمن حيث رجائه توفيق التّوبة ربَما يقدم عليه مع الأيمان، الرابع انّ المؤمن يعتقد انَ عفو الله تعالى مباح للمذنبين فيذنب اعتماداً عليه.

وامّا علاج هذه الأمور الأربعة ومزيلها فهو الفكر في كل واحد منها، امّا الأول فبأن تتفكر وتقول انَ ماهو آت يأتي ومأقرب غداً للناظرين والموت اقرب منه، والمتأخر اذا وقع صار ناجزاً، ويفكَر انّه في الدنيا يركب البحار ويقطع القفار لأجل الربح الذي يظن حصوله واحتياجه اليه، ولو اخبره طبيب نصراني بضرر الماء البارد لتركه خوفاً من الموت مع انّ ألمه لحظة واحدة فكيف لايقلع عن الذنب باخبار الأنبياء عليهم السلام انّ ألمه يبقى أبد الآباد، وكل يوم من الآخرة بمقدار خمسين ألف سنة من ايّام الدنيا وبهذا التّفكر يعالج اللّذة الغالبة عليه ويقول اذا لم أقدر على ترك هذه اللّذات الفانية في هذه الأيام القلائل فكيف اقدر على ذلك ابد الآباد، واذا كنت لااقدر على مفارقة زخارف الدنيا مع كدورتها فكيف اصبر على مفارقةالنّعيم.

واما تسويف التوبة فعلاجه بالفكر في انَ اكثر صياح اهل النار من التّسويف لأنَ المسوف يبني الأمر على ماليس اليه وهو البقاء فلعلّه لايبقى، وان بقي فلا يقدر عليه في هذا الحال، فليت شعري فهل عجز في الحال الا لغلبة الشهوة والشهوة لاتفارقه بل تقوى كل يوم وهو يضعف، فاذا كان وقت قوته وضعفها لايقدر عليها فكيف يقدر عليها اذا انعكس عليه الأمر فيكون مثاله مثل

من احتاج الى قلع شجرة صغيرة لاتنقلع الا بمشقة شديدة فقال اؤخّرها ثمَ أعود اليها وهو يعلم انَها كلَما بقيت ازداد رسوخها وهو كلَما زاد عمره ضعفت قوَته فلا حماقة اعظم من حماقته.

واما انتظار عفو الله فعلاجه الفكر في انّ العفو ليس بواجب على الله فهو كمن أنفق جميع ماله وترك نفسه وعياله فقراء فينتظر انّ الله سيطلعه على كنز من الكنوز في أرض خربة وهذا ايضاً حماقة.

وما احسن كلاماً وقع الينا من سيدنا المرتضى نور الله ضريحه، وحاصله الأعتراض على الأنسان بأنَه اذا أذنب ذنباً يقول نرجو عفو الله فيعتمد على العفو مع انَه تعالى لم يوجبه على نفسه، والذي اوجبه على نفسه وهو ايصال الرزق لم يصدَق الله فيه ولم يعتمد عليه، فيطلبه في البراري والبحار وهو تعالى يقول{وما من دابة في الأرض الا على الله رزقها} فهو سبحانه قد ضمن ايصال الرزق الى كل واحد فكيف لاتعتمد عليه فيما ضمنه لك واعتمدت عليه فيما لم يوجبه على نفسه، ولو ضمن لك ألف دينار رجل نصراني له بعض الأعتبار بين التجار كنت تصدَقه وتعتمد على ضمانه فكيف لاتعتمد على ضمان من له خزائن السماوات والأرض ماهذا الا سفه وجهل.

فان قيل هذا موقوف على الفكر فما بال القلوب هجرت الفاكر وماعلاج القلوب لردَها اليه، قلنا المانع لها منه امران احدهما انّ الفكر في مقدمات الآخرة لداع مؤلم للقلب فينفر القلب عنه ويتلذذ بالفكر في امور الدنيا على سبيل التَفرج والأستراحة، وثانيهما انَ الفكر مشغول بلذات الدنيا في كل حين فصار عقله مسخَراً لشهوة(لشهوته خ ل) فهو مشغول بتدبير حيلته، وامَا علاجهما فبأن يقول لقلبه اذا تألمت من الفكر في أمور الآخرة فكيف لاتخاف من الألم على ورودها عليك ومواقعتها لك ونظير هذه التَفكرات.

اذا عرفت هذا فاعلم انّ الإصرار امَا فعلي وهو المداومة على نوع واحد من الصغائر بلا توبة او الأكثار من جنس الصغائر بلا توبة، واما حكمي وهو العزم على فعل الصغيرة بعد الفراغ منها، امَا من فعل الصغيرة ولم يخطر بباله بعدها توبة ولاعزم على فعلها فالظَاهر انَه غير مصر، ولعلَه مَما تكفَره الأعمال الصالحة من الوضوء والصلاة والصيام كما ورد في الأخبار.

الأمر الخامس الذنب ان لم يستتبع امراً آخر يلزم الأتيان به كفى الندم والعزم على عدم العود اليه ابداً كلبس الحرير وان تبعه امر آخر من حقوق الله او الناس وجب ذلك الأمر ايضاً كالعتق في الكفارة وقضاء الفوائت، وان كان حدّاً فهو مخيَر بين ان يتوب عنه بينه وبين ربه وهو الأولى وبين ان يقرَبه عند حاكم الشرع ليقيم عليه الحدّ.

وامَا حقوق الناس المالية فيجب تبرئة الذّمة منها بقدر الأمكان، فان مات صاحب الحق وجب الدفع الى ورثته في جميع الطبقات، وان بقي الى يوم القيامة ففيه أقوال ثلاثة:الأول انه لآخر وارث ولو بالعموم كالأمام، الثاني انّه ينتقل الى الله سبحانه الثالث انّه لصاحبه الأول وهذا هو الأصح، لما روي في الصحيح عن عمر بن يزيد عن الصادق عليه السلام قال اذا كان للرّجل دين فمطله حتى مات ثمَ صالح ورثته على شيء فالذي أخذ الورثة لهم ومابقي فهو للميت يستوفيه منه في الآخرة وان هم لم يصالحهم على شيء حتى مات ولم يقض عنه فهو للميت يأخذه منه.

وامَا حقوق النّاس الغير المالي فان كان اضلالاً وجب الأرشاد، وان كان قصاصاً وجب اعلام المستحق له وتمكينه من استيفائه فيقول انا الذي قتلت اباك مثلاً فان شئت فاعف عني، وان كان حداً كما في القذف فان كان المستحق له عالماً بصدور مايوجبه وجب التمكين ايضاً وان كان جاهلاً به ففي وجوب الأعلام خلاف ينشأ من انّه حق آدمي فلا يسقط الا باسقاطه، ومن كون الأعلام تجديداً للأذى وتنبيهاً على مايوجب البغضاء، وكلام المحقق الطوسي وتلميذه العلاّمة يعطي عدم وجود الأعلام في هذه الصورة وهذه المذكورات من قضاء الفوائت واداء الحقوق والتمكين من القصاص والحد لادخل لها في حقيقة التوبة وانّما هي واجبات برأسها والتوبة صحيحة بدونها لكنّها تصير بها أكمل وأتم.

خاتمة هذا البحث في التوبة المؤقتة والتوبة المجملة، واما الأولى فهو كأن يتوب عن الذنوب سنة، وفي صحتها خلاف والأولى عدم الصّحة لأنك قد تحقّقت انّ العزم على العود في المستقبل دائماً من اجزائها وهذا مناف له، وامّا الثانية فكأن يتوب عن الذنوب على الإجمال وهو ذاكر للتفصيل فقد توقف في صحتها الواجا نصير الدين الطّوسي، والقول بالصّحة غير بعيد لعد قيام الدليل على وجوب التفصيل.

نور في الحب ودرجاته وعلاماته وتوابعه ومايتعلق بذلك

اعلم ايدك الله سبحانه ان لفظ الحب ممّا قد اشتهر في الكتاب والسنة وعلى ألسنة الناس، وقد وصف الله تعالى به نفسه فقال يحبّهم ويحبّونه، وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحب لله من شرط الأيمان في أخبار كثيرة، قال ابو رزين العقيلي يارسول الله ماالأيمان؟ قال ان يكون الله ورسول الله احبّ اليك ممّا سواهما.

وفي حديث آخر لايؤمن احدكم حتى يكون الله ورسوله احب اليه ممّا سواها قال يارسول الله انّي احبك، فقال عليه السلام استعد للفقر، فقال اني احب الله، فقال استعدّ للبلاء،

والحب هو ميل الطَبع الى الشيء الملتذ فان تأكد ذلك الميل وقوى سمّي عشقاً، والبغض عبارة عن نفر الطبع عن المؤلم المتعب فاذا قوى سمّي مقتاً، وحيث انّ الحب مقول بالإشراك بين حب الله سبحانه وبين حب النّاس لمحبوبهم مع انّ محلّهما واحد وهو القلب فلا بأس بالإشارة الى بيان مراتبه وتطبيق كل مرتبة من مراتب حب الله تعالى، لما اشتهر من قولهم المجاز قنطرة الحقيقة، ولأن الألفة بهذه المراتب مألوفة لأكثر الناس بخلاف مراتب حبّه تعالى فانّها ليست مأنوسة الاّ لمن ارتضاه الله تعالى.

فاعلم اولاً ان الحب على ماعرّفه بعضهم هو ايثار المحبوب على سائر المصحوب وقيل هو ميلك اليه بكلّيتك وايثارك له على نفسك وموافقتك له سراً او جهراً، وقيل المحبة محو المحب بصفاته وايثار المحبوب بذاته، وقيل هي هتك الأستار وكشف الأسرار وقيل هو محو الأشباح وذوب الأرواح، وفي بعض الكتب القديمة الحب سرّ روحاني يهوي من عالم الغيب الى القلب، ولذلك سمّي هوى، من هوى يهوي اذا سقط، ويسمى بالحب لوصوله الى حبّة القلب التي هي منبع الحياة، واذا اتصل بها سرى مع الحياة في جميع اجزاء البدن واثبت في كل جزء صورة المحبوب.

كما حكي عن الحلاّج انّه لّما قطعت اطرافه كتب في مواقع الدم الله لله قال هو:

ماقدَ لي عضـــو ولامفـــصل الا وفـــيه لـــتكم ذكـر

وهكذا حكي عن زليخا انّها افتصدت فارتسم من دمها على الأرض يوسف يوسف وامّا ما اشتهر من قولهم:مجاز قنطرة الحقيقة فقد اشار اليه الشّيخ كمال الدّين عبد الرزاق في شرح منازل السّائرين، حيث قال العشق النظيف أقوى في تلطيف السر، والأعداد للعشق الحقيقي فانّه يجعل الهموم همّاً واحداً ويقطع توزع الخاطر وتفرّقه، ويلذذ خدمة المحبوب ويسهل التّعب والمشقة في طاعته، بخلاف العشق المنبعث من غلبة سلطان الشهوة فانّه وسواس وسعى في تحصيل لذّات النّفس وعلى هذين النّوعين يبني مدح العشق الصوري وذمّه في كلام بعض العرفاء من الحكماء.

وهذه التعاريف كلها حق وتكثّرها انّما جاء من جهة تعدّد مراتبه ودرجاته، وهي على تكثرها قد حصرت في خمسة:أولها الأستحسان وهو يتولد من النّظر والسّماع ولايزال يقوى بطول التّفكر في محاسن المحبوب وصفاته الجميلة، وثانيها المودة وهي الميل اليه والألفة بشخصه والأئتلاف الروحاني معه، وثالثها الخلة وهي تمكن محبّة المحبوب من قلب المحب واستكشاف سرائره.

ورابعها العشق وهو الأفراط في المحبة حتى لايخلوا العاشق من تخيّل المعشوق وذكره لايغيب عن خاطره فعند ذلك تشتغل النّفس عن استخدام القوة الشهوانية والنفسانية فتمتنع عن

الطعام والشّراب لعدم الشهوة ومن النوم لإستضرار الدماغ، وخامسها الوله وهو ان لايوجد في قلب العاشق غير صورة المعشوق ولاترضى نفسه الا به.

امّا المرتبة الأولى فأهلها كثيرون وهي أكثر، وامّا الدرجة الثانية فهي مشتملة على الأئتلاف الروحاني، وقد تقدم في انوار الملكوت انّ الله سبحانه لّما خلق الأرواح قبل الأجساد بأربعة آلاف سنة أوقعت بينها الموافقة والمنافرة في عالم الأرواح، ولّما قدمت الى هذا العالم وحلت منازل الأبدان واشتغلت بتعمير هذا المنزل نسيت ماوقع منها في قديم الزمان وسوالف الأيام فلا تذكر محبوبها من غيره لكنها اذا رأته في هذا العالم انعكست اشعتها العلميّة وتحرّكت نحو تلك الألفة القديمة ومالت اليه، حتى ان الرائي اذا رأى رجلاً لم يره في هذا العالم أصلاً يميل اليه من ساءته ويظن انّه رآه ويقول اين رأيت هذا الرجل وهو لم يره الاّ في عالم الأرواح، وهذا هو الذي اراده صلى الله عليه وآله وسلم عن قوله الأرواح جنود مجنّدة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر اختلف.

وهذه المرتبة ان وقعت في محبّات الناس، او محبات أهل الله يرى الأنسان نفسه غير مختار في تحصيلها وذلك انّها تحصّل نفسها قبل تحصيلك اياها، نعم زيادتها قوّة وضعفاً ربما كان للإنسان فيه اختيار بسبب طول المعاشرة والأطلاع على مايوجب مزيد الألفة والوداد.

ومن هذه محبّة الأمامية لأهل البيت عليهم السلام فانّ الأنسان اذا اعطى الأنصاف من نفسه وفكّر علم انّ حبهم ممّا تداخل القلوب والعروق، وامتزج باللحم حتّى لم يبق فيه اختيار لأحد منهم، فانّك ترى الطفل اذا نشأ وعرف نفسه ألهم من جانب الله سبحانه الميل الى اهل البيت وحبّهم ولعن مبغضيهم وان لم يذكر له ابوه وامه مثل هذا فان قلت لايثاب المرء الا على ماكان له فيه اختيار، وذلك انّ حبهم مأمور به في قوله تعالى{قل لااسئلكم عليه من اجر الا المودة في القربى} فيكون داخلاً في الأحكام، وقد تقرر انّ مالم يدخل تحت الأختيار من الأفعال الكسبية لايكون داخلاً في الأحكام الخمسة ولايثاب عليه فاعله، قلت الجواب عن هذه الشّبهة من وجوه:

الأول بناء على ماعرفت من قدم التخالف والتوالف وانّه كان في عالم الأرواح وكان هناك كمال الأختيار، وقد اشتمل ذلك العالم على انواع التكاليف من دخول نار اوقدها الله سبحانه، وامر الفريقين بدخولها فدخلها أهل اليمين وهم نحن، فصارت عليهم برداً وسلاماً، وأبى أهل الشمال وهم مخالفونا وقالوا لاطاقة لنا بدخولها فقال تعالى الى ناري ولاابالي، وحينئذ فحبّنا لهم عليهم السلام في هذا العالم تعارف وتجديد لما وقع في العالم الأول وهو عالم الأختيار فيرجع الى الأختيار.

الثاني انَ سببه اختياري وهو تحقيق أحوالهم والأطلاع على بعض محاسنهم وما آتاهم الله تعالى من درجات الكمال فيدخل تحت الأختيار لدخول سببه كما تقدم في ندم التوبة.

الثالث انَ الله سبحانه اذا فطر المؤمن على جبلة من الخير وانشأة عليها لعلمه بأنه أهل لها تفضَل عليه بالثواب، فيكون من باب الثواب التَفضلي لا الأستحقاقي، فانَ الأنسان اذا فكر في اكثر الصفات يرى ان الجبلة او الفطرة لها مدخل عظيم فيها، وانّه من نعمه سبحانه التي نشأ الخلق عليها، وامَا كمالها وفروعها فمن اختياره وسعيه وامَا محبة اهل الله من المؤمنين والصلحاء فهو وان لم يدخل تحت الأختيار ايضاً الا انَ اسبابه ودواعيه ممَا حصلَها بسعيه وكدَه بسبب الأيمان وارتكابه الأعمال، وانَه جعل نفسه من جنس الصالحين والجنس الى الجنس أميل.

ةامَا الدرجة الثالثة وهي الخلة فانَما يحصل التمكن الذي فيها من مصادفته الخالي وذلك انَ القلب حصن البدن فمن دخله ملك مالك البدن وجرت علي او امره ونواهيه جميع جنوده وعساكره وهي الأعضاء والدَواعي والأرادات، فاذا كان ذلك الحصن خالياً ودخله سلطان من غير احتياج الى معركة وحرب كان تمكَنه فيه اكثر، ومال الى احداث الآثار فيه لظنَه انَه بيته ومنزله، ولايدخل اليه مايعارضه وينازعه فيه، ومن ذلك ترى الحبَ اذا وقع وفي ايَام الشباب ووقت الطفولة يكون تمكنه في القلوب اشدَ واعظم ممَا وقع في وقت آخر

أتاني هواها قبل ان اعرف الهـــتوى وصـــادف قلباً خالياً فتمـكنا

فيه المتعاندات

قد صـــيغ قلبي على مقدار حبـــكم فما لغير هـــواكم فيه متـسع

وهذه الدرجة في الحب الحقيقي هي درجة الخليل عليه السلام وبه سمَي الخليل مأخوذ من الخلال كأنَ المحبوب قد تداخل في خلال الحبيب واعماق بدنه، وذلك انَ الخليل عليه السلام لَما خيف عليه من النَمرود فمضت به امَه الى كهف جبل وألقته في مغارته، وصارت تختلف اليه في كل اربعين يوماً مرَة وربَما كا أزيد، وكان الله سبحانه هو الذي تولى تربيته، فلمَا نشأ رأى انه لأحد متكفل به سواه تعالى فلم يشغل قلبه بحب الآباء والأمهات لأجتنابهم له وبعدهم عنه فكان قلباً خالياً قد صادف ذلك الهوى فتمكن فيه، وكذا وقع مثل هذا لنبينا صلى الله عليه وآله وسلم حيث انه تعالى اوقعه في اليتم ونأ ولم ير له مربيَاً سواه تعالى فصغر على الحب وكبر عليه ولم يجعل سبحانه لأحد من ابويه حقاً عليه، فمن هذا سلبه ابويه من صغره كما ورد في الروايات.

واما المرتبة الرابعة وهي العشق فاشتقاقه من العشقة وهو نبت يلتف على الشجرة من أصلها الى فرعها، فهو محيط بها كما انَ العشق محيط بمجامع القلب، واما اشتغال النفس بهذه

المرتبة عن قواها الشهوانية وعن النوم فانما جاء من فرط نار المحبة الكامنة في القلب الشاغلة له عمّا عداه، حتى انّه في هذه الحالة ربّما اشتغل قلبه وحسّه عن آلام البدن واوجاعها.

حكى شيخنا البهائي طاب ثراه في حاشية العالية على تفسير القاضي انّ رجلاً يهودياً كان عنده جارية وكان مفرطاً في حبها ومتعشقاً لها، فمرضت يوماً واحتاجت الى طبخ طعام لمكان المرض، فوضع القدر فلما قرب اشتواء الطعام احتاج الى سوطه، فأخذ المغرفة وشرع يسوطه فكان هو يسوط الطعام والجارية تأن، فلمّا سمع انينها اشتغل قلبه بها فوقعت المغرفة من يده وصار يسوط القدر بيده ولم يحسن به حتى تساقط لحم يده فلما سكنت من الأنين ورجع اليه عقله رأى انه كان يسوط القدر بيده، ومثل هذه الحالة قد كانت في الحب الحقيقي، وذلك ان امير المؤمنين عليه السلام لَمَا كانت النصال تلج في بدنه من الحروب كان الجرَاح يخرجها منه اذا اشتغل بالصلاة لعدم احساسه بها ذلك الوقت لإشتغال قلبه بعالم القدس ومالك(ملك خ) الجبروت[١].

ورأيت في عشر السبعين بعد الألف لَمَا كنت بشيراز رجلاً عرياناً والناس خلفه في حوش عمارة السيد احمد بن موسى الكاظم عليه السلام، فرأيته في كل واحدة من يديه سكيناً وهو يضرب بهما صدره ويقطع بهما لحم بدنه ودماؤه تجري، فسألت عن حاله فقالوا كان يهوى شخصاً وقد أشخصه اهله الى بعض البلدان فما يدري اين ذهب، وهكذا كانت عشّاق الله سبحانه، فقد ورد في الأخبار ان العباد من بني اسرائيل اذا بلغوا في العبادة عمد العابد منهم الى سلسلة من الحديد وأخرجها من ترقوته وشدّ بها الى احد اساطين المسجد لئلا يخرج من منزل حبيبه الى غيره، وفي هذه المرتبة ايضاً من جهة الف النفس بصورة المحبوب قد يرى غيره بصورته لأنه لاصورة في خياله غير صورة محبوبه.

حكى لي اوثق مشايخي باصفهان ليلة من الليالي انّه قد كان له صديق وقد كان يهوى صاحباً له، فاتفق انّ اهله ارسلوه ببضاعة الى بلدة ببهبهان، فلمّا زمضت له ايّام له لم يملك الصبر عنه فسافر الى تلك البلدة، فحكي انّه لما دخل بهبهان كانت ليلة الجمعة وكان الناس يخرجون الى قبور موتاهم لزيارتهم، قال فرأيت مجمعاً من الناس فجلست معهم حتىأسأل عن احوال ذلك الصاحب وأهتدي الى منزله، ثم أخذت في تخيّل صورته فنظرت الى يدي واذا هي بصورة يده، والى اعضائي كلها فما رأيت شيئاً من اعضائي وجوارحي الاّ وهي على صورة اعضائه فغرقت في بحر التعجب، فلما دخلت البلد وسألت عنه قيل لي في مجمع من الناس مجتمعين في بيت رجل للضيافة فدخلت عليهم ونظرت اليه فرأيته في تلك الصورة التي رأيت نفسي عليها، فلما شاهدت

---

(١)هذه القضية مشهورة بين الشيعة في حق امير المؤمنين عليه السلام سلام الله عليه كما صرح بشهرتها بينهم العلامة القاشاني(ره) في كتابه النفيس المحجة البيضاء في القسم المخطوط منه الموجود في مكتبتنا.

من نفسي هذا الحال رجعت الى اصفهان، وهذه الحكاية كان الشيخ ادام الله ايّام سلامته اذا تذاكرنا مذاهب الصوفية وقولهم بالحدود والأتحاد وهو ان الله يحل بكل المخلوقات يكذّبهم ويقول انّ مثل هذا الأتحاد الخيالي ممكن، ولبعض اصحابنا:

علمت لمذهب التوحيد حقاً ... وكنت ابطل رأى الأتحاد
الى ان بنت ياروحي بروحي ... وشخصك يافؤادي في فؤادي

وهذا ايضاً من الأتحادات الشّعرية الخيالية، واظن انّ الشعرين المشهورين بالأشكال من هذا الباب وهما هذان:

رأت قمر السماء فذكرتني ... ليالي وصلنا بالرقمتين
كلانا ناظر قمر ولكن ... رأيت بعينها ورأت بعيني

يعني اننا اتحدنا في ذلك الوقت فصارت عيني عينها وعينها عيني، وذلك من المبالغات الشَعرية او من التَصورات الخيالية، وقد ذكر له أهل تلك الصّناعة وجوها كثيرة حتى انّ بعضهم قد صنّف فيه مقدّمة وذكر له سبعين معنى تقريباً، ولنذكر بعض ماقالوه وهو معان:

اولها ان معناه انها أي المحبوبة كانت تنظر الى القمر الحقيقي في السماء وانا انظر الى القمر المجازي الذي هو وجهها بأنه قمر حقيقي لأن عينها تنظر الى القمر الحقيقي، ثم قال ورأت بعيني يعني انها رأت القمر الحقيقي بعيني أي نظرت اليه بانه قمر مجازاً وانه في الواقع الحقيقي لأنها نظرت بعيني وانا انظر اليه على انه مجاز بالنّسبة اليها ولا يخفى في هذا الوجه من التّكلف.

وثانيها ماقاله الوالي تغمده الله برحمته وكان عالماً شاعراً اديباً صالحاً عفيفاً عابداً وكان حاكماً على بلاد العرب كالحويزة وما والاها، وقد كنّا نحن بشوشتر فكان كل سنة يرسل الينا المكاتيب والرسائل ويرغبنا ويحثنا على الوصول الى حضرته وقد أبطأنا عليه بعض المرات، فكتب الينا مكتوباً وهذه الأبيات من جملته:

يأخا بشرنا تأخّرت عنا ... قد أسأنا ببعد عهدك ظنا
كم تمنيت لي صديقاً صدوقا ... فاذا انت ذلك المتمنى
فبغصن الصبا لما تثني ... وبعد الصبا وان بان عنا
كن جوابي لكي تردّ شبابي ... لاتقل للرسول كان وكنا

وقد كان اكثر المصنفات في فنون العلوم وكان يحفظ من القصائد مع كبر سنه مالايعد لأنه كان يحفظ اكثر الدَواوين على خاطره، وله ديوان نفيس وماكنَا نسمع في مجلسه شيئاً سوى روى جدنا عن جبرئيل عن الباري، وقد انتقل الى جوار ربه ورحمته سنة الثامنة[١] والخمسين بعد الألف، وجلس في الملك بعده ابنه الكبير وفقه الله تعالى والأسم الشريف لذلك المرحوم هو السيد علي خان بن السيد خلف بن السيد مطلب الذي اسلمت الكفار على ايديهم واستبصرت المخالفون في أعصار دولتهم:

نسب كان عليه من شمس الضحى نوراً ... ومن فلق الصَبـــاح عمـودا

وحاصل المعنى بتوقفه على البيتين وهو انَها رأت قمراً في السماء ببهجة واستحسان فأذكرتني ليالي كنت أو أصلها بالرقمتين لما كانت مساعدة بالوصل وتنظر الي بتوجه وتودد، ثم قال كلانا ناظر قمراً وهو القمر الحقيقي ولكن رأيت بعينها في هذه الحالة التي هي معرضة عنَا وصادَة فيه، ورأت بعيني في حال نظري اليها باستحسان وتوجَه فأنا انظر الى القمر الحقيقي معرضاً عنه اذا طلبتي غيره، وهي تنظر اليه بتوجَه منها اذ مطلبها النَظر اليه.

وثالثها كون معناه انَ الرجل اذا نظر الى الشيء ينظر اليه شزرا[٢] والمرأة اذا نظرت تنظر فتوراً لمكان الحياء والخجل، ولكن هنا لما نظرت الى القمر الحقيقي نظرت شزراً لعدم حيائها منه، وهو لما نظر الى القمر المجازي وهو وجهها نظر اليه بحياء وفتور، فقد صار وصف كل واحد منهما للآخر.

ورابعها انَها نظرت الى قمر السماء ونظرت انا الى قمر وجهها فأنا نظرت الى قمر كالقمر الذي رأته هي بعينها، يعني ان وجهها قد صار قمراً حقيقياً، فأنا أنظر بعينها يعني مثل الذي تنظره عينها وهو القمر الحقيقي، وهي تنظر الى قمر حقيقي بعيني، أي بالعين التي نظرت بها الى القمر الذي هو وجهها، وقيل فيه معان كثيرة.

ونظير هذا في مراتب الحقيقة ماروي عن الأمام ابي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام قال في حديث الأسراء انَ عبدي ليتقرب اليَ بالنوافل حتى احبه، فاذا احببته كنت سمعه الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به، ويده التي يبطش بها، ان دعاني اجبته وان سألني أعطيته، ولقد هلك جماعة من الصوفية في هذا الحديث حيث حملوه على ظاهره، فذهبوا منه الى الأتحاد المعروف بينهم، وهذا كفر منهم والحاد في ذات الله، ومعناه الذي يمكن ايصاله الى الأفهام هو انَ العبد اذا تقرَب الى الله عز وجل تقرَب اليه ايضاً، كما قال من تقرب اليَ شبراً تقربت اليه ذراعاً،

---

(١) في النسخة المخطوطة: الثانية.

(٢) الشزر بالفتح فالسكون نظر الغضبان بمؤخر العينين يقال نظر اليه شزراً أي نظر غضب.

ومن تقرب الي ذراعاً تقربت اليه باعاً، فاذا وقعت المقاربة منحه الله الألطاف الألهية حتى لايكون عاملاً الا بما كان موافقاً لرضاه فهو سبحانه الذي يتصرف في اعضائه وجوارحه ويجريها في مجرى طاعته وارادته، فهو الذي يسمعه وهو الذي ينصب عينيه لمشاهدة آثاره وعالم ملكوته، وهو تعالى الذي ينطق لسانه بكلماته وعباداته الى غير ذلك.

وهذه المرتبة تسمى عند السالكين الفناء في الله وسيأتي تحقيقها ان شاء الله تعالى عند تحقيق مراتب السلوك، والى ماذكرنا يشير كلام سيد السالكين مولانا امير المؤمنين عليه السلام ماقلعت باب خيبر بقوة جسمانيّة بل قلعتها بقوة ربّنيّة، وذلك انه عليه السلام قد أفنى قوّته البشرية في الطاعات والعبادات فأعطاه تعالى قوة ربّانية بها قدر على مايعجز عنه قوة البشر، ومن هذا قال عليه السلام عرفت الله بفسخ العزائم، وقال ايضاً ان قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبهما كيف شاء، ومن نظائر ماسبق ماذكره ابن الجوزي في تاريخه.

قال لمّا تزوجت ليلى جاء المجنون الى زوجها وهو يصطلي في يوم شاة فوقف وقال له:

بربك هل ضممت اليك ليلى	قبيل الصبح او قبّلت فاها
وهل رفّت عليك قرون ليلى	رفيف الأقحوانة في نداها

فقال اللهم اذ خلقتني فنعم، فقبض المجنون بكلتا يديه قبضتين من الجمر فما فارقهما حتى سقط مغشياً عليه، فسقط الجمر مع لحم راحتيه وتوفي سنة سبعين من الهجرة.

وحكى بعض الثقاة قال اجتزت في بعض اسفاري بحي بني عذرة، فنزلت في بعض بيوته، فرأيت جارية قد ألبست من الجمال حلية الكمال فأعجبني حسنها وكلامها، فخرجت في بعض الأيام ادور في الحي واذا انا بشاب حسن الوجه وعليه أثر الوجد وأضعف من الهلال وانحف من الخلال، وهو يوقد ناراً تحت قدر ويردد ابياتاً ودموعه تجري على خدّيه، فممّا حفظت منه قوله:

فلا عنك لي صبر ولافيك حيلة	ولا عنك لي بدّ ولاعنك مهرب
ولي ألف باب قد عرفت طريقها	ولكن بلا قلب الى اين اذهب
فلو كان لي قلبان عشت بواحد	وأفردت قلباً في هواك يعذب

فسألت عن الشاب وشأنه، فقيل يهوى الجارية التي انت نازل في بيتها وهي محتجبة عنه منذ اعوام، قال فرجعت الى البيت وذكرت لها مارأيت، فقالت ذاك ابن عمي، فقلت لها ياهذه للضّيف حرمة فنشدتك بالله الا مامتّعته بالنظر اليك في يومك هذه، فقالت صلاح حاله في ان لايراني، قال فحسبت ان امتناعها ظنّة منها، فما زلت اقسم عليها حتى أظهرت القبول وهي

متكرهة، فقلت لها انجزي وعدك الآن فداك ابي وامي، فقالت تقدمني فاني ناهضة اثرك، فاسرعت نحو الغلام فقلت له ابشر بحضور من تريد فانّها مقبلة نحوك الآن، فبينما انا اتكلم معه اذ خرجت من خبائها مقبلة تجرّ اذيالها وقد اثارت الريح غبار اقدامها حتى ستر الغبار شخصها، فقلت للشاب هاهي قد أقبلت، فلما نظر الغبار صعق وخر على النار لوجهه فما اقعدته حتى اخذت النار من صدره ووجهه، فرجعت الجارية وهي تقول من لايطيق مشاهدة غبار نعالنا كيف يطيق مشاهدة جمالنا.

ونظير هذه في عالم الحقيقة قوله تعالى{ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه}الآية، ونقل في كتاب مصارع العشاق ان كثير عزة قال اعجب وألذ مامرّ عليّ في حب عزة انّه كان معه ركب يريدون الحج، وقد اتفق ان في ذلك الركب عزة مع زوجها وكان كثير لايعلم بهما، فبينما هو ذات يوم في الطريق قاعد يبري واذا عزة واقفة على رأسه فطار لبّه لما نظر اليها وصار يبري اصابعه بالشفرة والدم يسيل من يده وهو لايحس به، وكان زوجها باعثها تشتري سمناً فأظهرت غرة لكثير انها تريد سمناً وكان عنده ظرف، فقام وصب لها في الأناء فأمتلأ وفاض ووقع في الأرض، فلما نظرت غرة الى الدم يسيل من اصابعه قطعت قطعة من مقنعتها وعصبت بها يده ومضت الى زوجها فرآها على حالة منكرة، فسألها فأخفت عليه حالها حتى ألحّ عليها فأخبرته بما كان، فقبضها من يدها وأوجعها وأتى بها الى قدام كثير، وقال لها اشتميه وسبيه حتى اسمع فقابلت كثيرا وأخذت في شتمه وسبّه وزوجها يسمع فقال كثير:

يكلّفها الخنزير شتمي ومابها ... هوآئي ولكن الكميل استدلت
هنيئاً مريئاً غير داء مخامر ... لغرة من اعراضنا ما استحلّت

ومن النظائر في عالم الحقيقة ان رجلاً كان ورده ياالله، فكان يقولها كل اوقاته فلمّا قتل جرى دمه على الأرض مكتوباً فيه ياالله ياالله اينما جرى، وما ذلك الا لإختلاط محبّته تعالى وممازجتها بلحمه ودمه، وفي عالم الشهود قد نقل ايضاً مثله وهي انّ زليخا قد احتجمت يوماً فلما وقع الدم على الأرض كان مكتوباً فيه يوسف يوسف اينما سال.

وحكي ايضاً في التفاسير انها غضبت على يوسف عليه السلام يوماً فأمرت خادمها بأن يضربه اسواطاً وهي تسمع صوت السوط، فكان الخادم يوقع الأسواط على الأرض ويضرب الأرض وهي تسمع فخطر بخاطر الخادم ان يضربه سوطاً واحداً حتى يرى الأثر على بدنهفلا تكذبه زليخا في ضرب الأسواط، فضربه سوطاً فخرجت زليخا من خدرها وصاحت به كفّ عن

الضرب فهذا السوط الذي ضربته الآن قد وقع ألمه في قلبي، وكأنّك ضربتني أنا لايوسف، فأمنت على الخادم فحكى لها كيفية الضرب وانّه كان على الأرض الاّ ذلك السوط.

وقد سبق ان زليخا قعدت يوماً على ممر يوسف فلما اخبرتها جاريتها بدنوه منها قالت يايوسف بحق الذي اعزك واذلني ان تقف ساعة ولاتغيب عني، فقال يازليخا اين مالك وجمالك؟ قالت ذهبا في سبيلك، فقال واين عيناك؟ فقالت ذهبتا بالبكاء على فراقك، فقال واين عشقك؟ قالت في صدري كما كان، قال فأين برهانك؟ قالت ناولني سوطك، فناولها اياه فتأوهت ونفخت فيه فأحترق السوط من نفسها، فألقاه يوسف من يده وصرف عنان الفرس فراراً، فقالت يايوسف انك بدعوى الرجولية لم تكن مثل هذه المرأة فاني حفظت تلك النار في صدري منذ اربعين سنة ولم انهزم كأنهزامك.

ومن احكام هذه المرتبةفي عالم الشّهود ماذكره شرّاح كتاب المعنى عند ذكره في بحث لو الشّرطية قول الهذلي:

ولو تلتقي اصداؤنا بعد موتنا ... ومن دون رمسينا من الأرض سبسب
لظل صدا صوتي وان كنت رمّة ... لصوت صدا ليلي يهشّ ويطرب

والأصداء جمع صدا وهو الذي يجيبك مثل صوتك في الجبال، والرّمس تراب القبر، والسبسب المفازة، والرمة العظام البالية، ثم نقل بعد هذا قول توبة:

ولو ان ليلى الأخيلية سلّمت ... عليّ ودوني جندل وصفائح
لسلّمت تسليم البشاشة اوزقى ... اليها صدى من جانب القبر صائح

والصفائح الحجار العراض تكون على القبر، وزقى أي صاح، قال الشرّاح ذكر صاحب كتابالجليس والأنيس قال مرّت ليلى الأخيلية ومعها زوجها قرب قبر توبة، فقال لها ياليلى هذا قبر توبة فسلمي عليه، قالت وماتريد منه قال اريد تكذيبه أليس هو الذي يقول ولو انّ ليلى الأخيلية الشّعر، فلا والله مابرحت حتى تسلمي عليه فقالت السلام عليك ياتوبة ألست القائل ولو انّ ليلى الأخيلية سلّمت فأين ماقلت؟ فاذا طائر كان هناك فخرج من القبر حتى ضرب بصدرها فشهقت شهقة فماتت، فدفنت الى جانب قبره فنبتت على قبره شجرة، وعلى قبرها شجرة فطالتا فالتفتا فانظر الى فرط المحبة كيف اثّر فيهما وسرى منهما الى شجرتيهما حتى تلاقتا، والظاهر ان تلاقيهما عياناً يشعر بتلاقي روحي اهل الحب بياناً وماذلك الا لأن عشقهما كان عفيفاً، ومن هذا الباب قول المجنون:

ولو وقفت ليلى بقبري وقد عفت معالمه واستفتحت بسلام
لحنَت اليها بالتحية رمّتي ورنّت بترجيع السلام عظامي

ولذا نقل عنه صلى الله عليه وآله وسلم انَه من قال من عشق فعفَ فمات دخل الجنّة، وفي كتاب رياض النَعيم عن ابراهيم بن نفطويه النحوي قال دخلت على محمد بن داود الأصفهاني صاحب المذهب في مرضه الذي مات فيه، فقلت كيف تجدك؟ فقال حب من تعلم اورثني ماترى قلت مامنعك منه مع القدرة عليه، فقال الأستمتاع على وجهين النظر المباح واللّذة المحظورة، واما النظر المباح فقد منعني منها مابلغني عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال من عشق وكتم وعفَ غفر الله له وأدخله الجنّة قال ثمّ انّه أنشدني أبياتاً لنفسه فلمّا انتهى الى قوله:

ان يكن عيب خده من عذار له فعيب العيون شعر الجتفون

فقلت له انت تنفي القياس في الفقه وتثبته في الشعر، فقال غلبة الهوى وملكة النفوس ودعوا اليه قال ومات في ليلته.

وحكى بعض الصلحاء قال رأيت الغزالي في البرية وعليه موقعة وبيده ركوة وعصا، فقلت ايها الأمام أليس تدريس العلم ببغداد خيراً من هذا؟ فنظر اليّ نظر الأزراء وقال لّما بزغ بدر السعادة من فلك الأرادة وجنحت شمس الأصول الى مغارب الوصول:

تركت هوى ليلى وسعدى بمنزل وعدت الى مصحوب اول منزل
ونادت بي الأشواق مهلاً فهذه منازل من تهوى رويدك فانزل

ولذا نقل عنه صلى الله عليه وآله وسلم انه قال من عشق فعف فمات دخل الجنة، وحكي عن العشاق السبعة مثل ذلك، ذكر جامع ديوان المجنون انَه دخل يوماً على ليلى وكان يحاكيها فأتى زوجها فعمدت الى المجنون وادخلته تحت ثيابها وجلست، فلمّا خرج زوجها أخرجته من تحت الثياب فقالت له مارأيت تحت الثياب؟ قال وحقك دخلت أعمى وخرجت أعمى، وقد كان غمض عينيه حتى لاينظر الى بدنها، وهذا ايضاً علامة دوام الحب والا فالحب اذا نكح فسد.

وقد شاهدنا من ارتكب اعظم المشاق في باب العشق والمحبة ولكن ذكر حكاياتهم يفضي الى تطويل الكتاب، وقد ذكر بعض أهل التاريخ انّ كثير عزة كان رافضياً وكان خلفاء بني امية

يعرفون ذلك منه، دخل على عبد الملك بن مروان يوماً فقال نشدتك بحق علي بن ابي طالب عليه السلام هل رأيت أعسق منك؟

فقال نعم بينما اسير في الفلوات اذ انا برجل قد نصب حبائله، فقلت ماأجلسك هنا؟ قال أهلكني وأهلي الجوع فنصبت حبائلي لأصيب لهم ولنفسي مايكفينا يومنا هذا، فقلت أرأيت أن أقمت فأصبت صيداً تجعل لي جزء، قال نعم، فبينما نحن كذلك اذ وقعت عليه ظبية فخرجنا مبتدرين فأسرع اليها فحلّها وأطلقها، فقلت له ماحملك على هذا؟ قال دخلني عليها رقّة لشبهها بليلى وأنشأ يقول:

أيا شبه ليلى لاتراعي فانني ... لك اليوم من وحشية لصديق

أقول وقد أطلقتها من وثاقها ... لأنت لليلى لو عرفت عتيق

فعيناك عيناها وجيدك جيدها ... ولكن عظم الساق منك دقيق

ولما اسرعت في العدو جعل يقول:

اذهبي في كلاءة الرحمن ... انت مني في ذمة وامان

لاتخافي من ان تحاجي بسوء ... ماتغني الحمام في الأغصان

اقول ونظير هذا في عالم الحقيقة انّ الرجل الذي كان يضحك منه فرعون لما تشبه بموسى عليه السلام في الملبس ودخل على فرعون يقلّد على موسى في اقواله وافعاله وقد غضب منه موسى، ولّما اغرق الله فرعون وجنوده وكان فيهم ذلك الرجل فلم يغرقه الله سبحانه، فقال موسى يارب ان هذا الرجل أغاضني فلم لم تغرقه؟ فقال ياموسى انّه تشبّه بك في الثياب والكلام فأنجبته لما تشبّه بأحبابي.

وحكى بعض الثقاة انّه كان رجل يهودي ابن واحد من السلاطين قد سمّاه فأفرط في حبه ومنعه عن اشغاله، فترك معاشه وجعل نفسه سقّاء في باب بيت السلطان حتى يراه كلما خرج فبقي على هذا مدّة، ثم ان بعض خواص ذلك الولد اخبره عن حال ذلك الرجل وافراطه في عشقه، فقال ذلك الولد اظن ذلك الرجل كاذباً في دعواه، فقالوا اختبره ان اردت تصديق مقاله، ثم انّه ركب يوماً وخرج الى الصّيد وامر ذلك الرجل ان يجيء معه الى الصحراء فلما بلغ الى محل الصيد رمى سهماً وقال لذلك الرجل امض الى هذا السهم وانظر اين وقع فاجلس عنده، فمضى الرجل الى السهم واخذه وقبله وجلس نتظراً لولد السلطان، فرجع ومعه خواصه الى البلد ولم يخرج بعد الى تلك الصحراء حتى مضى اربعون سنة فاتفق انه خرج يوماً الى تلك الصحراء فرأى رجلاً قد

اخذه العمر وهو جالس وبيده سهم، فسأله عن حاله فقص قصته فعرفه ابن السلطان فقال له تعرفني؟ فنظرالرجل اليه فقال اعرفك وانا مقيم على ماأمرتني به ولاأحول عنه الى الموت قضاء لأمرك لما كنت حبيباً، فأراد منه المجيء الى البلد فلم يقبل فبقي وكان هناك قبره.

ونظيره في عالم الحقيقة ماارواه الصدوق باسناده الى الصادق عليه السلام قال انّ اسماعيل الذي قال الله عز وجل في كتابه{واذكر في المتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا} لم يكن اسماعيل بن ابراهيم، بل نبياً من الأنبياء بعثه الله عز وجل الى قومه، فأخذوه فسلخوا فروة رأسه ووجهه فأتاه ملك الموت، فقال ان الله عز وجل بعثني اليك فمرني بماشئت، فقال لي اسوة بما يصنع بالحسين عليه السلام، وقد وعد رجلاً على ضحوة فاشتّدت الشمس عليه، فقال اصحابه يارسول الله لو انّك تحوّلت الى الظّل، قال قد وعدته الى هيهنا وان لم يجيء كان منه المحشر، وفي خبر آخر انّه وعد رجلاً فجلس له حولاً ينتظره فانّ انتظاره عليه السلام انّما جاء من قبل الأمر به من جهة ذلك المحبوب الحقيقي فهو تعظيم له في الحقيقة لالذلك الرجل.

فان قلت اذا آل الأمر الى مرتبة العشق والمحبة افيجوز ان يكون في ذلك الحصن أعني القلب غيره سبحانه؟ قلت نعم ولكن ذلك الغير يكون اعوانه واتباعه واحبابه فيصدق ان ليس في ذلك الحصن غيره كما يصدق ان ليس غير السلطان في الحصن الظّاهري، مع ان السلطان وحده لايجوز ان يكون فيه وحده بدون الأتباع والأعوان والجنود.نعم ليس فيه مايعارض ذلك السلطان ولايكون مناسباً له ويكون اجنبياً عنه وكذلك القلب فانّه اذا كان فيه حب الله وحب من احبّه الله صدق انه ليس في القلب حب غير الله لما عرفت، ومن هذا قال صلى الله عليه وآله وسلم في دعائه اللّهم ارزقني حبّك وحب مايقربني الى حبك واجعلك أحب اليّ من الماء البارد.

وقد كان ذلكفي اكثر اهل العشق هذا العشق فانّهم كانوا يحنون الى من له أدنى نسبة الى محبوبهم كالدّيار والمنازل والأقارب والجيران حتى كلاب الحي:

رأى المجنون في البيداء كلباً ... فجرّ له من الأحسان ذيلاً
فلاموه على ما صار منه ... وقالوا ألم أنلت الكلب نيلاً
فقال لهم دعوني انّ عيني ... رأته مرة في حيّ ليلى

وكذلك الديار فانّ ماقرب من دار الحبيب يمون عندهم كداره:

لاتقولوا دارها بشرقي نجد ... كل نجد للعامريّة دار

وقوله الرّضي ره:

عارضاً بي ركب الحجاز أسايل(أسائله) ... متى عهدهم بأيّام جمع

واتمــلا حــديث مــن ســكن الخيــف ولاتكتباهــــا الا بـــدمعي
فـــاني ان ارى الـــدّيار بطـــرفي فلعلـــي ارى الـــديار بـــسمعي

وكما انّ السلطان المستقرّ في الحصن يحتاج في بقائه في ذلك الحصن الى الماء والزّاد واللّباس وسائر مايحتاج اليه في المعاش فكذلك القلب، فانّ ابن آدم قد خلقأجوف يحتاج الى المأكل والمشرب الى غير ذلك مما يحفظ البدن، ولايهتم الأنسان في تحصيل شيء الاّ اذا أحبّه وعلم انّ فيه مصلحة، فحينئذ فحب الزوجة والولد والمال والأقارب والأعوان اذا كان لغرض ديني لاينافي حبَ الله تعالى بل يؤكده ويقرّره، امّا المال ففيه معاونة المحاويج والفقراء من اهل الله، واما الزوجة فهي لباس الرجل السّاتر له وبها يحصل له التّعفف عن ارتكاب المحرمات.

واما الأولاد فالمصالح الأخروية المترتبة على وجودهم اكثر من ان تحصى، روي انّ نبياً من الأنبياء مرَ على قبر يعذّب صاحبه ثم مرّ عليه بعد مدّة فلم يكن يعذّب فسأله أصحابه عن رفع العذاب عنه، فقال انّه خلف ولداً فجاءت به امه الى المعلم، فلقّنه بسم الله الرحمن الرحيم فاستحى الله ان يعذب رجلاً وابنه يقول بسم الله الرحمن الرحيم.

واما الأقارب فهم من اعظم النّعم حتى لو كانوا اعداء، فان الصادق عليه السلام قال أفضل الصدقة الصدقة على ذي الرحم الكاشح أي المعادى، وبالجملة فحب هؤلاء وامثالهم لمثل هذه المصالح لاينافي حب الله تعالى بل يجتمع معه ويكون معاوناً على بقائه واستمراره، روي انّه عليه السلام سأل رجل من الشّيعة فقالوا له يارسول الله قد تخلّى عن الدنيا وأقبل على العبادة، قال فمن اين يأكل؟ قالوا له أخر يعطيه، فقال انّ ثواب ذلك الأخ اكثر من ثوابه مع عبادته، وهذا اشارة الى ماذكرناه، امّا اذا احبَ الولد لغرض دنيوي وكذا المال ليتوصل به الى الأغراض الفاسدة فهذا مّا لايجتمع مع حب الله سبحانه.

فان قلت فاذا احب هذه المذكورات لاللغرض الأول ولاللغرض الثاني بل لأن الطبيعة البشرية اقتضته فانّك ترى انّ الرجل يحب اطفاله واقاربه ولايخطر بخاطره شيء من الأغراض أفيكون مثل هذا مضاداً لحب الله سبحانه أم غير مضادّ له.

قلت الحق انّ مثل هذا لايضاده، وذلك انّ مثل هذه المحبّات يكون بها بقاء النّوع الأنساني، ولولاها لما عطفت الأمَ على الولد وآثرته على نفسها ووقته الحر والبرد وكذلك الرجل على ولده فتكون هذه المحبات منه تعالى لإنتظام النّوع وقد صرّحت بمثل هذه الأخبار، روي انَ الله تعالى خلق المحبّة على مائة جزء فقسم واحداً منها بين الخلق وبه يحبّ الرجل ولده والأمَ طفلها، وأبقى منها تسعة وتسعين جزء يرحم بها الخلائق يوم القيامة.

نعم الذي يجب هنا ان يجعل حب الله سبحانه سلطان ذلك الحصن، وهذه المحبّات من العساكر والأتباع لا ان يجعل واحدة منها هي الرئيس ويكون محبته تعالى من التّوابع كما هو الموجود في اكثر الناس، والى هذا الأشارة بما روي من انّ الحسن عليه السلام قال يوماً لجده صلى الله عليه وآله وسلم أيجتمع محبتان في قلب واحد؟ فقال لإبني، فقال أتحب أبي؟ قال نعم، قال أفتحب امي؟ قال نعم، قال أفتحب أخي؟ قال نعم، قال أفتحبني انا؟ قال نعم، قال افتحب الله تعالى؟ قال نعم، قال الحسن عليه السلام فكيف اجتمعت هذه المحبّات كلها وأنت قلت لايجتمع محبتان في قلب واحد، فقال صلى الله عليه وآله وسلم يابني ان احبكم يرجع الى حب الله تعالى في قطب القلب وحبّكم كالخطوط التّي هي حوله، فهذا الحب كلّه واحد وتفصيله ماذكرنا، وعلى هذا ينحل الإعتراض الذي اورده بعض القاصرين على قول الشاعر:

محى حبها حب الأولى كن قبلها ... وحلّت محلاً لم يكن حل من قبل

ووجه الأعتراض بانه اذا كان حبها قد محى حب من تقدمها على انّ القلب كان محلاً لغيرها لكن حبها اخرج ذلك الغير، فما معنى قوله وحلت مكاناً لم يكن منزولاً قبلها، والجواب ان حب من كان قبلها كان محلّه اطراف القلب وجوانبه، ولّما أتى هذا الحب أخرج تلك المحبَات من كل الأطراف واستقر في وسط القلب الذي لم يكن محلاً لأحد قبله، وقد كانت الشعراء اذا أرادوا ان يدعوا على احد سواء ادعيتهم عليه ان يكون مشغولاً بحب محبوب يكون ذلك المحبوب مشغولاً بحب غيره كما قال بعض الشعراء:

من قصر الليل اذا زرتني ... أشكو وتشكين من الطّول

عدو عينيك وشأنيهما ... أصبح مشغولاً بمشغول

فقوله اذا زرتني ظرف متعلق بأشكو، ومعناه أنّك ايتّها المحبوبة اذا زرتني اشكو أنا من قصر الليل، وانت تشكين من طوله، ثمّ دعا علي بعض من يبغض عينيها ويشنأهما بأنه يصبح مشغولاً بمحبوب يكون ذلك المحبوب مشغولاً بغيره وليس اضرّ على العاشق من هذا لأنه وان قربت داره لكنّه غير نافع بعد ان لايكون له وداد:

على ان قرب الدار ليس بنافع ... اذا كان من تهواه ليس بذي ودّ

وقد يمثلون مثل هذا الحبيب بما قال:

كالعيسن في البيداء يقتلها الظماء ... والماء فوق ظهورها محمول

وقال شيخنا الحويزي قدس الله روحه:

فلا تعجب لهجر من حبيب ... قريب الدار مرجو الوصال

فحكم الجملتين الفصل قطعاً وبينهما كمال الأتصال

ونظير هذا في عالم الحقيقة شيء عجيب وهو انَه سبحانه وله المثل الأعلى قد تحبَب الينا بأنواع المحبات ونحن مشغولون عنه في غيره من آلهتنا التي هي النَفس والهوى والشَهوات والأرادات حتى انَه تأسف على أحوالنا فقال {ياحسرة على العباد مايأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤون} فهو قد تأسف علينا تأسف المحب على المحبوب كما يقول احدنا اذا تأسف على محبوب له قد أتى بما يحصل له من الضرر ياحسرتي على حبيبي فلان كيف أتى بهذا الفعل حتى حصل له منه ماحصل، وفي الحديث القدسي ياابن آدم أتحبب اليك بالإحسان وتتبغض اليَ بالمعاصي، خيري اليك نازل وشرَك اليَ صاعد حتى كأنَ لك المنة عليَ وأنا المحتاج اليك.

فان قلت ذكرت ان صاحب هذه المرتبة يشتغل عن استعمال القوة الشهوانيَة والقوة النَفسانية فما للأنبياء وأوصياءهم والأولياء مَن حصَل هذه المنزلة لم يمنعوا أنفسهم عن القوتين بل كانت القوة الشَهوانية فيهم اكثر منها في غيرهم، فقد نقل انَ سليمان عليه السلام كان يصحب معه البساط ألف امرأة منكوحة منها سبعمأة من الأماء، وثلاثمائة من الحرائر، وقيل انَه كان يطوف عليهنَ في ليلة، وامَا نبيَنا صلى الله عليه وآله وسلم فقد مات عن تسع وقد اكثر من الزوجات، وكذلك الأئمة صلوات الله عليهم، واما القوة الأخرى فروي انَ الحسن والصادق عليهما السلام وكذلك الرضا عليه السلام كانوا يتأنقون في المأكل والملبس والشرب مع انَ تلك الدرجة لم يبلغ كمالها أحد سواهم، قلت هاتان اللذتان الواقعتان في هذا العالم على قسمين:

القسم الأول مانوقعه نحن منهما لداعي الشَهوة المركَبة في الأبدان ولأجل الألتذاذ وطلباً للأولاد والتكاثر، ومن هنا ترى الزاني لايزني الاَ ان يكون على لذة منه، بل قيل ان الزنا ألذ عند اهله من الحلال، وحكى صاحب الكشكول ان رجلاً كانت له امرأة وكان يتركها ويمضي الى الزنا فقالت له امرأته يوماً ايَها الرجل عندك حلال طيب فتدعه وتمضي الى الزنا، فقال لها امَا قولك حلال فنعم وامَا قولك طيَب فلا، وفيه ايضاً ان رجلاً كان يلوط بالأولاد فعاتبته امرأته وقالت انَ الذي تطلبه من الغلمان عندي انا الفرد الأحسن، فقال نعم عندك منه الأحسن لكن الذي عندك له جار مؤذ وهو غير حسن فنحن نترك ماعندك لكراهة جاره، فانظر الى هذا الرجل قبَحه الله كيف اجابها، ولعلَه صادق باعتقاده، وذلك لأن النفس حريصة على مامنعت عنه مع معاونة الشيطاطين وتسويلاتهم واين هؤلاء من جميل العاشق.

كما روي انه بثينة دخلت يوماً على عبد الملك بن مروان فقال يابثينة ماأرى شيئاً مما كان يقول جميل، فقالت ياأمير المؤمنين انه كان يرنوا لي بعينين ليستا في رأسك، قال فكيف صادفته في عفَته، قال كما وصف نفسه:

لا والـــذي تـــسجد الجبـــاه لـــه مـــالي بمـــا دون ثوبهـــا خـــبر
ولابفيهـــا ولاهممـــت بهـــا ماكـــان الاَ الحـــديث والنظـــر

وعن ابي سهل الساعدي قال دخلت على جميل وبوجهه آثار الموت، فقال لي ابا سهل انَ رجلاً يلقى الله ولم يسفك دماً حراماً ولم يشرب خمراً ولم يأت بفاحشة أترجو له، قلت أي والله فمن هو؟ قال انَي لأرجو ان أكون ذلك، فذكرت بثينة فقال انَي لفي آخر يوم من الدّنيا وأول يوم من الآخرة لانالتني شفاعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ان كنت حدّثت نفسي بريبة قطّ.

واما القليل منا فربما ضموا الى الدّواعي المذكورة سابقاً الأستنان بسنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما سمع فيه من مراتب المثوبات، روي ان سليمان عليه السلام مرّ يوماً بعصفور يقول لزوجته ادني مني حتى اجامعك لعل الله يرزقنا ولداً ذكراً يذكر الله تعالى فانّا كبرنا، فتعجب سليمان عليه السلام وقال هذه النيّة خير من مملكتي.

واما احباؤه عليه السلام فهم انّما يأتون هذه الشّهوات والمستلذات لالدّواعي التي فينا بل لأنه تعالى امرهم باستعمالها، فهي وان كانت لذيذة في الحس عندنا الا انّ اعظم لذّتها في المعنى عندهم، لأنّهم لايستلذون الاَ بما فيه رضى محبوبهم، ومن ثم يستلذوا من المحرمات استلذاذ غيرهم منّا، ومن هذا قال امير المؤمنين عليه السلام لو ادخلتني نارك لم اقل انّها نار، وأقول انها جنّتي لأنَ جنتي رضاك فاينما أنزلتني أعرف ان رضاك فيه:

وهجـــره اعظم من نـــاره ووصـــله أطيـــب من جنّته

وقال له سلمان الفارسي رضي الله عنه ياأمير المؤمنين أتحب الموت أم الحياة؟ فقال لأحبَ الا ماأحبه لي مولاي، وامّا طلب الجنان والخلاص من النّيران فانّما هو مقصد التجار والعبيد كأمثالنا، وذلك لأنَ طلب النعمة واللّذة يكون على وجوه ثلاثة اعلاها ان يكون لذته بالمنعم لا بالنعمة ولابالأنعام، ومثاله من المشاهدات ان السلطان اذا اراد الخروج الى سفر فأنعم بفرس على انسان فيتصور ان لذّة المنعم عليه وفرحه بالفرس على وجوه ثلاثة:

الأول ان يفرح بالفرس من حيث انّها مال، ولو وجدها في الصحراء لكان يفرح بها ذلك الفرح فهذا فرح من لاحظّ له في السلطان.

الثاني ان يفرح به لامن حيث انه فرس بل من حيث يستدلّ به على عناية الملك وشفقته حتى لو أعطاها غير الملك لم يفرح بها أصلاً لعدم احتياجه الى الفرس.

الثالث ان يفرح به ويستلذ به ليركب ويخرج في خدمة الملك ويتحمل مشقة السفر لينال بخدمته رتبة القرب منه فيرتقي الى درجة الوزراء، ثم انه ليس يريد من الوزارة نفس الوزارة بل مشاهدة الملك والقرب منه، حتى لو خير بين القرب دون الوزارة وبين الوزارة دون القرب لأختار القرب، فهذه ثلاث درجات، فالأولى درجة الجهّال واكثر الناس الذين يفرحون بالأموال والنَعم لكونها أموالاً، ولافرق عندهم في تحصيلها من يد نبي من الأنبياء او مجوسيَ من المجوس، وامّا الدرجة الثانية فهي درجة الأحباب والأخلاّء الذين يفرحون بنعم الله ولذات الدنيا من حيث انَه يقدر بها على التوصّل الى القرب منه والنزول في جواره.

وقد روي ان واحداً من الصّحابة دخل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاذا هو شاد حجراً على بطنه من الجوع، وهو مستلق على قفاه لايقدر على الجلوس وهو يقول:اللهم انّي اعوذ بك من نوم يضجع على الفراش ويشغلني عن طاعتك فهم عليهم السلام انّما يريدون الأكل ليقووا بها على الطاعة والخدمة لمحبوبهم.

واما المرتبة الخامسة وهي الوله والهيام وان لايكون في القلب والخيال سوى ذلك المشوق فهذه آخر المراتب، وهذه آخر مراتب الخليل عليه السلام كما قال عليه السلام انّما سمي ابراهيم لأنَه برَ فهام، يعني انّه هام في الحب حتى انّه لم يكن له شغل ولم يكن في قلبه احد سوى ذلك الحبيب، وهذه درجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام وهي التي أشار علي بن الحسين عليهما السلام الى طلبها بقوله وفرّغ قلبي لمحبتك، يعني يكون فارغاً من محبة كل احد ويكون مقصوراً عليك وحدك، قال بعضهم رأيت امرأة مستقبلة البيت في غاية الضرَ والنحافة رافعة يديها تدعو، فقلت لها هل من حاجة؟ قالت حاجتي ان تنادي بالموقف بقولي:

تزود كل الناس زاداً يقيهم ... ومالتي زاد والسّلام على نفسي

ففعلت فاذا بفتى منهوك، فقال انا الزاد فمضيت معه اليها فما زادت على النظر والبكاء، ثم قالت له انصرف مصاحبا، فقلت ماعلمت ان لقائكما يقتصر على هذا، فقالت امسك اما علمت انَ ركوب العار ودخول النّار شديد.

قيل لإعرابي مابلغ من حبك لفلانة؟ قال اني لأذكرها وبيني وبينها عقبة الطائف فأجد من ذكرها رائحة المسك، وسأل الرشيد رجلاً ماشد مايكون من العشق قال ان يكون ريح البصل منه احبَ من ريح المسك من غيره.

عبد الله بن عجلان الهذلي أحد العشاق المذكورين تزوّجت عشيقته فرأى أثر كفها على ثوب زوجها فمات كمداً، وزار علي بن عبيدة الريحاني جارية كان يهواها وعنده اخوانه، فحان وقت الظهر فبادروا الى الصلاة وهما يتحدّثان، فأطالا حتى كادت الصلاة تفوت، فقيل ياابا الحسن الصلاة، فقال رويدك حتى تزول الشمس، يعني تذهب المرأة، ابو العينا اضحكني بائع رمان يقول وقعت من فوق جبل الهوى الى بحار الحب طرطب، عشق رجل امرأة فقيل له مابلغ من عشقك لها؟ قال كنت ارى القمر على سطحها أحسن منه على سطوح الناس، ليلى العامريَة مع قيس:

لم يكـــن المجنـــون في حالـــه	الاّ وقـــد كنـــت كمـــا كانـــا
لكنـــه بـــاح بـــسرّ الهـــوى	وانـــني قـــد دنـــت كتمانـــا

وفي الرواية انّ سليمان عليه السلام رأى عصفوراً يقول لعصفورته لم تمنعيني نفسك ولو شئت أخذت قبة سليمان بمنقاري فألقيتها في البحر، فتبسم سليمان من كلامه، ثم دعى بهما فقال للعصفور أتطيق ان تفعل ذلك، فقال لايارسول الله ولكن المرء قد يزيّن نفسه ويعظّمها عند زوجته، والمحب لايلام على مايقول، فقال سليمان عليه السلام للعصفورة لم تمنعيه من نفسك وهو يحبك؟ فقالت يانبي الله انّه ليس محباً ولكنه محب مدع لأنه يحب معي غيري، فأثّر كلام العصفورة في قلب سليمان عليه السلام وبكى بكاءً شديداً واحتجب عن الناس اربعين يوماً يدعو الله ان يفرغ قلبه لمحبّته وان لايخالطها بمحبّة غيره، اذا تحقّقت هذا كله فاعلم ان أهل دعوى محبّة الله كثيرون والدعوى لاتصدق الا بالشاهد والشواهد هنا وان كان كثيرة الاّ انّ اظهرها وأقواها أمور ثلاثة:

الأول النّحول والسقم والذبول، لأنها صفات العاشق سيّما العاشق الذي يكون من الوصال في شكّ ومن الحبيب على حذر، فانّ نار الحب اذا اشتعلت بالقلب سرى تأثيرها الى باقي الأعضاء لأنّها جنوده وتوابعه، والنّقص الداخلي على السّلطان يدخل على الرّعية.

وروي انّه قال رجل لسيد العاشقين امير المؤمنين عليه السلام مابال وجهك تعلوه الأنوار وأنت على هذا الحسن والجمال، وغيرك من العبّاد وأهل الحب على حال عظيم من أصفرار الوجه ونحول البدن وضعف القوة، فقال عليه السلام أولئك العباد والأحباب أحبوا حبيباً وهم لايعرفون حالهم عنده أراض عنهم ام غير راض، ولايعلمون انّه قبل خدمتهم ام لا، واما انا فقد عرفت حالي عنده، وانّي راض عنه وهو راض عني، فصار خاطري مطمئناً فلا يصفر وجهي

ولاينحل بدني، وان اردت وصف حال المحبين فانظر في احوال يحيى بن زكريا عليهما السلام تجد حالاً غريباً وطرازاً عجيباً.

روينا بالأسانيد الكثيرة عنه صلى الله عليه وآله وسلم انه قال كان من زهد يحيى بن زكريا عليهما السلام انه أتى بيت المقدس فنظر الى المجتهدين من الأحبار والرهبان عليهم مدارع الشعر وبرانس الصوف، واذا هم قد خرقوا تراقيهم وتركوا فيها السلاسل وشدوها الى سواري المسجد، فلما نظر الى ذلك أتى امه فقال ياأماه انسجي لي مدرعة من شعر، وبرنساً من صوف حتى آتي بيت المقدس فأعبد الله مع الأحبار والرهبان، فقالت له امه حتى يأتي نبي الله فاوامره في ذلك، فلما دخل زكريا عليه السلام أخبرته بمقالة يحيى، فقال له زكريا يابني مايدعوك الى هذا وانما أنت صبي صغير، فقال له ياابه اما رأيت من هو اصغر سناً من قد ذاق طعم الموت، قال بلى، ثم قال لأمه انسجي له مدرعة من شعر وبرنساً من صوف، ففعلت فتدرع بالمدرعة على بدنه ووضع البرنس على رأسه، فأقبل يعبد الله عز وجل مع الأحبار حتى اكلت مدرعة الشعر لحمه، فنظر يوماً الى ماقد نحل من جسمه، فأوحى الله عز وجل اليه أتبكي على ماقد نحل من جسمك؟ وعزتي وجلالي لو اطلعت الى النار اطلاعة لتدرعت مدرعة الحديد فضلاً عن المنسوج، فبكى حتى أكلت الدموع لحم خديه، ثم بدا للناظرين اضراسه فبلغ ذلك امه، فدخلت عليه وأقبل زكريا واجتمع الأحبار والرهبان فأخبروه بذهاب لحم خديه، وقال ماشعرت بذلك.

فقال زكريامايدعوك الى هذا انما سألت ربي ان يهبك لي لتقر بك عيني، قال انت امرتني بذلك ياابه، قال ومتى ذلك يابني؟ قال ألست القائل ان بين الجنة والنار لعقبة لايجوزها الا البكاؤن من خشية الله تعالى، قال نعم فجد واجتهد فشأنك غير شأني، فقام يحيى فنفض مدرعته فأخذته امه فقالت أتأذن لي يابني ان اتخذ لك قطعتي لبود تواريان اضراسك، وينشفان دموعه، حتى ابتلتا من دموع عينيه، فحسر عن ذراعيه ثم أخذهما فعصرهما فتحدر الدموع من بين اصابعه، فنظر زكريا الى ابنه والى دموع عينيه فرفع رأسه الى السماء فقال اللهم هذا ابني وهذه دموع عينيه وأنت ارحم الراحمين.

وكان زكريا عليه السلام اذا أراد ان يعظ بني اسرائيل يلتفت يميناً وشمالاً فاذا رأى يحيى لايذكر جنة ولانارا، فجلس ذات يوم يعظ بني اسرائيل وأقبل يحيى فلف رأسه بعباه وجلس في غمار الناس والتفت زكريا يميناً وشمالاً فلم ير يحيى، فأنشأ يقول حدثني حبيبي جبرئيل عليه السلام عن الله عز وجل انّ في جهنم جبلاً يقال له السكران في اصل ذلك الجبل واد يقال له الغضبان يغضب لغضب الرحمن تبارك وتعالى، في ذلك الوادي جب قامته مأة عام، في ذلك الجب توابيت من نار، في تلك التوابيت صناديق من نار وأغلال من نار، فرفع يحيى رأسه وقال

واغفلتاه من السَكران ثم أقبل هائماً على وجهه، فقام زكريا عليه السلام من مجلسه فدخل على ام يحيى فقال ياام يحيى فاطلبي يحيى فانّي اخاف ان لاتراه الا وقد ذاق الموت، فقامت وخرجت في طلبه حتى مرَت بفتيان من بني اسرائيل، فقالوا لها ياام يحيى اين تريدين؟ قالت اريد ان اطلب ولدي يحيى ذكرت النّار عنده فهام على وجهه، فمضت ام يحيى والفتية معها حتى مرت براعي غنم، فقالت له ياراعي هل رأيت شاباً من صفة كذا وكذا، فقال لها لعلك تطلبين يحيى بن زكريا، قالت نعم ولدي ذكرت النار بين يديه فهام على وجهه، فقال اني تركته السّاعة على عقبة ثنية كذا وكذا ناقعاً قدميه في الماء رافعاً بصره الى السماء يقول وعزّتك يامولاي لاذقت بارد الشّراب حتى انظر الى منزلتي منك، فأقبلت امه فلمّا رأته أمه دنت منه فأخذت برأسه ووضعته بين ثدييها وهي تناشده بالله ان ينطلق معها الى المنزل، فانطلق معها حتى أتى المنزل.

فقالت له ام يحيى هل لك ان تخلع مدرعة الشّعر وتلبس مدرعة الصّوف فانّه ألين ففعل وطبخت له عدساً فأكل واستلقى فنام فذهب به النوم فلم يقم صلاته، فنودي في منامه يايحيى بن زكريا أردت داراً خيراً من داري وجواراً خيراً من جواري، فاستيقظ فقام، فقال يارب أقلني عثرتي، الهي فو عزّتك لاأستظل بظل سوى بيت المقدس، وقال لأمه ناوليني مدرعة الشّعر، فتقدمت امه فدفعت اليه المدرعة وتعلّقت به، فقال لها زكريا ياام يحيى دعيه فانّ ولدي قد كشف له عن قناع قلبه ولن ينتفع بالعيش، فقام يحيى فلبس مدرعته ووضع البرنس على رأسه ثم أتى بيت المقدس فجعل يعبد الله عز وجل مع الأحبار حتى كان من امره ماكان.

اقول فهذا حال يحيى لأنّه كان محباً، وفي الرواية ان عيس عليه السلام مرّ بثلاثة نفرات قد نحلت ابدانهم وتغيّرت ألوانهم فقال لهم مالذي بلغ بكم؟ قالوا الخوف من النار، فقال حقّ على الله ان يؤمن الخائف، ثم جاوزهم الى ثلاثة آخرين فاذا أشدّ نحولاً وتغيّرا كان على وجوههم المرآى من النور، فقال مالذي بلغ بكم؟ قالوا نحب الله عزّ وجل، فقال انتم المقرّبون انتم المقرّبون، كيف لا وهذا مشاهد في العالم المجازي، فلقد شاهدنا من خلّى قلبه عن حب الله فأذاقه حب غيره نحيلاً ضعيفاً عديم القوة.

وقد بالغ الشعراء كل مبالغة في وصف نحول العاشق، فقال بعضهم:

ولــو انــني علقــت في رجــل نملــة	لــسارت ولم تعلــم بــأني علقــت
ولــو نمــت في عــين البعــوض معارضــا	لمــا علمــت في أي زاويــة نمــت
ولــو وضــعوني وســط حبــة خــردل	لبانــت خوافيهــا الجميــع ولابنــت

وقال ابو الطيب:

كفى بجسمي نحولاً انني رجل ... لولا مخاطبتي اياك لم ترني

وقال الخباز البلدي:

كمل الهوى صعب ولكنني ... بليت بالأصعب من أصعبه

أنحلني الحب فلو زج بي ... في مقلة الوسنان لم ينتبه

وكان لي فيما مضى خاتم ... واليوم لو شئت تمنطقت به

وقد نسبوا هذه الأبيات للعلامة الحلي طاب ثراه:

لي في محبته شهود اربع ... وشهود كل قضية اثنان

خفقان قلبي واضطراب مفاصلي ... وشحوب [1] لوني واعتقال لساني

وفي امالي الزجاج عن ابوبكر بن شقير النحوي قال اخبرنا احمد بن عبيد قال خبِّرت عن هشام بن عروة عن ابيه عن النعمان بن بشير، قال بعثني عثمان او معاوية على صدقات بني عذرة فصدقتهم وارتحلت عنهم، فلمّا ظننت انّي قطعت بلادهم رفع لي بيت فقصدته، فاذا بفنائه شاب مستلق على قفاه لم يبق منه الا عظم على جلد، فلمّا أحس بي ترنَم بصوت ضعيف، وأنشأ يقول:

جعلت لعراف اليمامة حكمه ... وعرّاف هجران هما شفتاني

فقالوا نعم نشفي من الدّاء كلّه ... وقاما مع العوّاد يبتدراني

فما تركا من رقية يعلمانها ... ولاسلوة الا وقد سقياني

فقالا شفاك الله والله مالنا ... بماضمنت منك الضلوع يدان

ثم خفت فنظرت فاذا في صدر البيت عجوز، فقلت لها ياهذه اخرجي الى هذا الفتى فاني اظنه قد مات، فقالت وانا أظن ذاك ايضاً والله ماسمعت له انّه منذ سنة الاّ اليوم فانه قال في أوّله:

من كان من امهاتي باكياً شجني ... فانّني قد أراني اليوم مقبوضاً

يسمعنه(يسمعنينه خ) فاني غير سامعه ... اذا علوت على الأعواد معروضا

---

(١)شحب شحوباً لونه:تغير من جوع او مرض او نحوهما.

ثم خرجت فاذا هو ميت فغسلته وكفنته وصليت عليه ودفنته، ثم قلت للعجوز من هذا؟ فقالت هذا قتيل الحب عروة بن خزام.

الثاني من العلامات السهر والقلق والأضطراب عند ذكره وان لايشتغل بغيره، اما السهر فلأنه طريق العاشق من جهة نار الهجران وانتظار لوقت الوصال سيما الليل الستّار، وفي الحديث القدسي ياموسى كذب من زعم انّه يحبني وهو نيام طول ليله، أليس كل حبيب يحب الخلوة مع حبيبه، ياابن عمران لو رأيت الذين يصلون لي في الدّجى وقد مثلت نفسي بين أعينهم يخاطبوني وقد جللت عن المشاهدة، ويكلموني وقد عززت عن الحضور، ياابن عمران هب لي من عينك الدموع ومن قلبك الخشوع ثم ادعني في ظلم الليالي تجدني قريباً مجيباً، وسأل عليه السلام مال بال المتهجدين في الأسحار من أحسن الناس وجوهاً؟ قال لأنهم خلوا بربهم فكساهم من حلل انواره، وذلك انك ترى القائمين في الأسحار على هيئة من الحسن المعنوي وان لم يكن فيهم هذا الحسن الظاهري وما ذلك الا لتلك الخلوة مع الحبيب.

وفي الحديث القدسي يااحمد ليس من قال اني احب الله تعالى احبني حتى يأخذ من ابليس قوتا ويلبس دوناً(درناً خ) وينام سجوداً ويطيل قعوداً، ويلزم صمتاً ويتوكَل عليَ ويبكي كثيراً، ويقل ضحكاً ويخالف هواه، ويتّخذ المسجد بيتاً والعلم صاحباً، والزهد جليساً، والعلماء احباباً والفقراء رفقاء، ويطلب رضائي ويفر من سخطي ويهرب من المخلوقين هرباً، ويفر من المعاصي فراراً ويشتغل بذكري اشتغالاً فيكثر التسبيح دائماً ويكون بالوعد صادقاً وبالعهد وافياً، ويكون طاهراً وفي الصلاة زاكياً، وفي الفرائض مجتهداً وفيما عندي من الثواب راغباً، ومن عذابي راهباً مشفقاً ولأحبابي قريناً وجليساً.

واما القلق والأضطراب فهي من لوازم العاشق اذا ذكر محبوبه كما قال عز من قائل في صفات اهل الأيمان {إنّما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم} وذلك ان العاشق تتحرك نار وجده وتشب عند ذكر المعشوق وكذلك أكثر عروقه وأعضائه، ومن هذا استدل الطبيب الحاذق على معرفة المعشوق عند كتمان العاشق هواه، وقد وقع في قرب اعصارنا مثل هذا وهو انّ شاباً من أولاد الأكابر قد عشق امرأة في بعض بلاد الهند، واتّفق ان اباه اراد السفر الى منزله في اصفهان فأتى بذلك الولد معه وقد كان ذلك الولد يكتم ذلك الحب، فلمّا وصلا الى اصفهان زاد شوقه والتهبت نار فراقه وبقي يصفر وجهه وينحل بدنه يوماً فيوماً ولايدري ماعلته حتى ضعف عن حركة المشي فبقي نائماً على الفراش، وقد أعيت الأطباء عن علاجه ومعرفة علته فأتوا اليه بطبيب حاذق وتأمّله فقبض على نبضه وقال ياصبي مرضك من الشيء الفلاني ام من الشيء الفلاني، فجعل يعد عليه الأمراض حتى بلغ الى العشق، فلما عده تحرك النبض حركة شديدة

فعرف انَ علته العشق ثم شرع يعد له البلدان بأنّ معشوقك في البلد الفلاني ام في البلد الفلاني حتى ذكر تلك البلدة فتحرك النبض ايضاً مثل تلك الحركة ايضاً، فأمر الطبيب بإحضار من يعرف اهل تلك البلدة فلمّا حضرت عدّله نساء تلك البلدة وبناتها، فلما انتهى الى تلك المرأة تحرك النبض أشدَ من الحركتين الأوليين فعلم ان محبوبته تلك المرأة، فتوصّلوا الى تحصيلها.

واما في العالم الحقيقي فقد كان الخليل عليه السلام يسمع ازير صدره عند ذكر الله على ميل، وكان صدره يغلي كغليان القدر، واما عدم الأشتغال بغيره فهي عادة العاشقين واعمال الجوارح تظهر مايجن القلب وذلك انَ نار المحبة كامنة فيه، فان وقعت نار محبة القلب في عود او بخور فاحت رائحته على الأعضاء وعرف منها ورود تلك النار الكامنة على ذلك الجسم الطيِّب، وان وقعت تلك النار في خرقة بالية ظهرت رائحتها المنتنة من الأعضاء والجوارح لأنّها كما عرفت من خدمه وتوابعه فهي التي تظهر ماأضمره القلب كدموع العاشق، فانه اذا أراد كتمان الهوى نَمت عليه الدموع وأظهرت ماكتم:

كتمت الهوى في القلب حتى ختمته ... فباحت بع العينان والدَمع مطرق
ومن كان ذا عشق وان كان جاحدا ... فانَ الهوى في عينه حين ينطق

الا ترى انك لو جلست مع رجل لم تعرف حاله ولم تطلع على باطن امره وماأجنّه في قلبه فاذا اردت ان تعرف فحاوره في انواع المكالمات وانظر الى ميله الى أي نوعيتكلم به فاعلم انَ مافي قلبه هو حب ذلك الشيء، وذلك انك ترى أهل الدراهم والدّنانير لايحبون منك حديثاً الا اذا اشتمل على مقالتها وبين أحوالها ومايترتب عليها من النَفع الدنيوي فتعلم من هذا ان محبوبه هو هذا لاغير، وكذلك انواع العشق وهذه قاعدة يضطر على فعلها الأنسان حتى انه لو تكلَف اظهار غير محبوبه سبقه اللسان اليه ومالت الجوارح الى خلاف ماتكلّفه، وهذا شأن حب العالمين، وماأحسن قول رابعة العدوية في العالم الحقيقي:

أحبك حبين حب الهوى ... وحبا لأنك أهل لذاكا
فأما الذي هو حب الهوى ... فشغلي بذكرك عمَن سواكا
واما الذي انت اهل له ... فكشفك للحجب حتى اراكا
فلا الحمد في ذا ولافي ذاك لي ... ولكن لك الحمد في ذا وذاكا

وينظر الى هذا قول بعض العارفين انّي أقول يارب ياالله فأجد ذلك أثقل على قلبي من الجبال، لأنَ النَداء يكون من وراء حجاب، وهل رأيت جليساً ينادي جليسه، وقد أشار بعضهم الى مثل هذا حيث قال:

كانت لقلبي أهواء مفرّقة ... فاستجمعت مذ رأتك العين أهوائي
فصار يحصدني من كان أحسده ... وصرت مولى الورى اذ صرت مولائي
تركت للناس دنياهم ودينهم ... شغلاً بذكرك يادنيني ودنيائي

وذلك ان لذة الذكر أعلى من كل لذة لأنَه من واردات القلوب، ولذات القلب أعظم من لذات الحواس في النَشأتين، لأن الجنة معدن تمتع الحواس فاما القلب فلذته في لقاء الله فقط ومثاله في اطوار الخلق في لذاتهم مانذكرهم، وهو ان الصبي في اول حركته وتمييزه يظهر فيه غريزة بها يستلذ اللعب واللهو حتى يكون ذلك عنده ألذ من سائر الأشياء، ثم يظهر بعده لذة الوقاع وشهوة النساء فيترك بها جميع ماقبلها في الوصول اليها، ثم يظهر له لذة الرئاسة والعلو والتكابر وهي آخر لذات الدنيا وأقواها كما قال تعالى{اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر} الآية ثم بعد هذا يظهر له غريزة اخرى يدرك بها لذة معرفة الله تعالى ومعرفة افعاله فيستقر معها جميع ماقبلها وكل متأخَر فهو اقوى وهذا هو الأخير اذ يظهر حب اللعب في سن التمييز وحب النساء والزينة في سن البلوغ وحب الرئاسة بعد العشرين وحب العلوم بعد الأربعين وهي الغاية العليا وكما ان الصبي يضحك على من يترك اللعب ويشتغل بملاعبة النساء وطلب الرئاسة، وكذلك الرؤساء يضحكون على من يترك الرئاسة ويشتغل بمعرفة الله تعالى والعارفون يقولون ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون، ولكن الأشغال بمعرفة الله تعالى يقتضي ان لايصدر منه شيء من المعاصي ولقد احسن ابن المبارك في قوله حتى ان الصادق عليه السلام تمثل به:

تعصي الأله وانت تذكر حبه ... هذا لعمري في الفعال بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته ... ان المحب لمن يحب مطيع

وروي عن ذي النون المصري انه قال خرجت يوماً من وادي كنعان، فلما علوت الوادي فاذا انا بسواد مقبل عليَ وهو يقول وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون ويبكي، فلما قرب اليَ فاذا هي امرأة عليها جبة صوف وبيدها ركوة فقالت من انت غير فزعة مني، فقلت رجل غريب، فقالت ياهذا هل توجد مع الله غربة قال فبكيت من قولها فقالت ماالذي ابكاك قلت قد وقع

الدواء على داء قد قرح فاسرع في نجاحه، قالت فان كنت صادقاً فلم بكيت قلت يرحمك الله الصادق لايبكي، قالت لا ولم ذاك؟ قالت لأن البكاء راحة القلب، قال ذو النون فبقيت والله متحيراً من قولها، اقول ونظير هذا في عالم الشهود ان مجنون ليلى كان ربما اتاها وخلى بها، فاذا جاء زوجها ادخلته تحت ثيابها لئلا يراه احد فاذا اخرجه قالت له مارأيت تحت الثياب قال وحقك اني دخلت اعمى وخرجت اعمى، فكان يغمض عينيه خوفاً من ان يقع نظره على بدنها فتبرد نار العشق، وهكذا كان احوال العشاق السبعة، نعم روى الزجاج في اماليه عن ابي عبد الله بن الملك النحوي قال حدّثنا الزبير بن بكار قال روي ان عزة على ام البنين فقالت لها ان سألتك عن شيء تصدقيني؟ قالت نعم، قالت اقسمت عليك باي شيء وعدت كثيراً حين يقول:

قضى كل ذي دين فوفي في غريمه — وعزة ممطول تعني غريمها

قالت وعدته قبله فمطلته سنة، فلما ألحَ بالتقاضي هجرته، فمضني واياه مضيق بعد حين فاستحيت منه فقلت حيّاك الله ياجمل(جميل خ) ولم احيّه، فتبسم وأنشأ يقول:

حييتك بعد الهجر وانصرفت — فحيء ويحك من حياك ياجمل

ليت التحية كانت لي فأشكرها — مكان ياجمل حييت يارجل

وهو على تقاضيه الى الآن قالت ام البنين بالله الا قضيتها وعلى اثمها، اقول ماكان من كثير رحمه الله يجوز مثل هذا بل كان الواجب عليه مافعل جميل من الصنع الجميل، فان قلت ذكرت ان من افرط في المحبة شغل قلبه المحبوب وصار وقت الذكر له لايخطر على خاطره الا ذلك الحبيب فكيف احس امير المؤمنين عليه السلام بسؤال السائل حتى تصدّق بالخاتم مع انه عليه السلام كان لم يحس بألم اخراج النصال من بدنه اذا كان في الصلاة، قلت الذي ينافي الأقبال القلبي عن جنابه تعالى هو التذكَر لأمور الدنيا والشّغل بها والتوجه الى سؤال ذلك السائل لم يكن من ذلك الباب وذلك ان السائل لما سأل ولم يجبه احد قال اللهم اشهدك اني سألت في مسجد نبيك فلم يجبني احد بشيء فانكسر خاطره فتدارك ذلك الأنكسار بالإشارة اليه بالخاتم الذي كان سبباً لوصوله الى اقتسام صفات الربوبية بقوله تعالى{انما وليكم الله ورسوله والمؤمنون الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكوة وهم راكعون} فهو انتقال من عالم صفات الربوبية اعني تولي الأمور العامة ورجوع اختيارها اليه، كما رجعت الى الله تعالى ورسوله ولارتبة اعلى منه سوى ما تفرد به سبحانه من لوازم الألهية.

بل روي في بعض الأخبار ان ذلك السائل كان ملكاً ارسله الله في صورة رجل سائل الى مسجد النبي صلى الله عليه وآله امتحاناً للصحابة بمثل هذا التكليف، بل روى ايضاً ان ذلك

السائل كان جبرئيل عليه السلام وروي ان ابابكر قال تصدّقت بخواتيم كثيرة وانا في الصلاة لينزل فيَ مانزل في علي بن ابي طالب فلم ينزل ولقد احسن ابن الجوزي في وصف هذا الحال منه عليه السلام:

يسقي ويشرب لاتلهيه سكرته … عن النديم ولايلهو عن الكأس

اطاعه سكره حتى تمكن من … فعل الصحاة فهذا اعظم الناس

وتقد م الأشارة الى هذه فان قلت اذا كان هذا الحبيب سبحانه احسن الأحبّاء وأبقاها أقبلها وأزينها وأملحها وأكثرها ميلاً الى العاشقين فلم هجرته العشاق؟ ولم اقبلوا على الفرار منه؟ وعلى ارتكاب خلاف اقواله[1] قلت سببه ان القلوب التي هي معدن هذا السر العظيم قد ابتليت بأعظم الأمراض، والمريض اذا استولى عليه الألم يجد في ذوقة الحلو مراً والطيب خبيثاً ولايجد الشيء على حاله الا اذا صحّ من ذلك الوجع.

ثم اعلم ان امراض القلب كثيرة وانواعها مختلفة كأمراض البدن بل ازيد وكل مرض يحتاج الى دواء وليس كل مريض الأحتماء من شيء ولاينفعه كل دواء، بل لكل علة خاصة علم خاص وعلاج خاص ووزانة من الدين ان كل عبد فليس يبتلى بكل شهوة وارتكاب كل ذنب بل لكل مؤمن ذنب مخصوص او ذنوب مخصوصة وانما حاجته في الحال مرهقة الى العلم بانها ذنوب ثم الى العلم بآفاتها وقد ضررها في الدين ثم الى العلم بكيفية التوصل الى الصبر عنها ثم الى العلم بكيفية تكفير ماسبق منها فهذه علوم مخصوصة اختص بها اطباء الدين وهم العلماء ورثة الأنبياء فالعاصي ان علم عصيانه فعليه طلب العلاج من الطبيب وهو العالم، وان كان لايدري ان مايرتكبه ذنب فعلى العالم ان يعرفه ذلك، ولذلك وجب ان يتكفّل كل عالم باقليم او بلدة او محلة او مشهد فيعلم اهلها دينهم ويميز مايضرهم عما ينفعهم وما يشقيهم عما يسعدهم ولاينبغي ان يصبر الى ان يسأل منه بل ينبغي ان يتصدى لدعوة الناس الى نفسه فانهم ورثة الأنبياء، والأنبياء عليهم السلام ماتركوا الناس على جهلهم بل كانوا ينادون في مجامعهم ويدورون في ابوابهم بالأبتداء ويطلبون واحداً واحد للإرشاد فإن مرضى القلوب لايعرفون مرضهم كما ان الذي ظهر على وجهه برص ولامرآة معه لايعرف برصه مالم يعرفه غيره وهذا فرض على العلماء كافة وعلى السلاطين ان يرتبوا في كل قرية وكل محلة فقيهاً متبيناً يعلم الناس دينهم فانَ الخلق لايولدون الا جهّالاً فلابد من تبليغ الدعوة اليهم في الأصل والفرع.

---

(١) وفي الحديث ان الله تعالى اذا احب عبداً القى محبته الى الماء فلا يشربه احد الا احبه واذا ابغض عبداً القى بغضه في الماء فلا يشربه احد الا ابغضه منه عفى عنه.

روي عنه عليه السلام قال ان الله تعالى لم يأخذ على الجهال ان يتعلموا حتى اخذ اولاً على العلماء ان يعلموهم، فالدنيا دار مرضى اذ ليس في بطن الأرض الا ميت ولا على ظهرها الا سقيم، ومرض القلوب اكثر من مرض الأبدان والعلماء اطباء والسلاطين قوام دار المرضى وكل مريض لم يقبل العلاج بمداواة العالم سلم الى السلطان ليكف شره[1] كما يسلم الطبيب المريض الذي لايحتمي او الذي غلب عليه الجنون الى القيم ليقيده في السلاسل والأغلال ويكف شره عن ساءر الناس وانما صار مرض القلوب اكثر من مرض الأبدان لوجوه ثلاثة:

احدها ان المريض لايدري انه مريض، وثانيها ان مرض الأبدان عاقبته موت مشاهد تنفر الطباع منه، ومابعد الموت غير مشاهد فقلت النفر عن الذنوب وان علمها مرتكبها فلذلك تراه يتكل على الله في مرض القلب ويجتهد في علاج مرض البدن من غير اتكال والثالث وهو الداء العضال فقد الطبيب فان الأطباء هم العلماء وقد مرضوا مرضاً شديداً عجزوا عن علاجه وصارت لهم سلوة في عموم المرض حتى لايظهر نقصانه فاضطروا الى اغواء الخلق والأساة اليهم بما يزيدهم مرض لأن الداء المهلك هو حب الدنيا وقد غلب هذا الداء على الأطباء فلم يقدروا على تحذير الخلق فيه استنكافاً من ان يقال لهم فما بالكم تأمرون بالعلاج وتنسون انفسكم فبهذا السبب عم الداء وعظم الوباء وانقطع الدواء وهلك الخلق لفقد الأطباء بل اشتغل اكثر الأطباء بفنون الأغواء فليتهم اذ لم ينصحوا لم يغشوا واذ لم يصلحوا لم يفسدوا، وليتهم سكتوا وما نطقوا فانهم اذا تكلموا لم يهمهم في مواعضهم سوى مايستميل قلوب الأعوام الى الرجاء وذكر دلائل الرحمة لأن ذلك ألذ في الأسماع وأخف على الطباع، فينصرف الخلق عن مجالس الوعظ وقد استفادوا مزيد جرأة على المعاصي، ومزيد ثقة بفضل الله عز وجل ومهما كان الطبيب جاهلاً او خائناً اهلك بالدواء حيث يضعه في غير موضعه.

فالرجاء والخوف دواءان ولكن لشخصين متضاديَ العلة، اما الذي غلب عليه لخوف حتى هجر الدنيا بالكلية فينكسر صورة اسرافه في الخوف بذكر اسباب الرجاء ليعود الى الأعتدال وكذا المصر على الذنوب المشتهي للتوبة الممتنع عنها بحكم القنوط واليأس استعظاماً لذنوبه التي سبقت يعالج ايضاً بأسباب الرجاء حتى يطمع التوبة فيتوب فاما معالجة المغرور المنهمك في المعاصي بذكر اسباب الرجاء فيضاهي معالجة المحرور بالعسل طلباً للشفاء، وذلك من دأب الجهال والأغبياء، فاذن فساد الأطباء هي المعضلة التي لاتقبل الدواء اصلاً اعاذنا الله واياكم من الأمور المبعدة عن جناب الحق انه على مايشاء قدير.

---

(١)كيف يكون حال الناس ولاسيما الجهال اذا صار السلاطين والقوام من اهل البدع والأهواء وصاروا من اسباب العار والشنار على الأسلام واما الأطباء فصاروا مرضى ومن اهل لدنيا كما في زماننا هذا

نور في الصبر وأقسامه ومحاله وفوائده ومايتعلق به من المناسبات

اعلم وفقك الله تعالى ان القرآن والحديث قد اكثرا مدحه حتى انه سبحانه وصف الصابرين بأوصاف وذكر الصبر في القرآن في نيف وسبعين موضعاً وأضاف اكثر الخيرات والدرجات الى الصبر وجعلها ثمرة له فقال عز وجل{وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وقال وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا} وقال{انما يوفي الصابرين اجرهم بغير حساب} الى غير ذلك من الآيات، وقال الصادق عليه السلام الصبر من الأيمان بمنزلة الرأس من الجسد فاذا ذهب الرأس ذهب الجسد كذلك اذا ذهب الصبر ذهب الأيمان وقال عليه السلام اذا دخل المؤمن قبره كانت الصلاة عن يمينه والزكوة عن يساره، والبر مظل عليه ، ويتنحى الصبر ناحيه، فإذا دخل عليه الملكان اللذان يليان مسائلته قال الصبر للصلوة والزكوة والبر دونكم صاحبكم فإن عجزتم عنه فانا دونه وروى عنه صلى الله عليه واله انه قال الصبر ثلاثه :صبر عند المصيبه، وصبر على الطاعه، وصبر عن المعصيه فمن صبر عند المصيبة حتى يردها بحسن عزائها كتب الله له ثلثمائة درجه ، ما بين الدرجة الى الدرجة كما بين السماء الى الارض ، ومن صبر على الطاعة كتب الله له ستمائة درجة ، ومابين الدرجة الى الدرجة كما بين تخوم الارض الى العرش ، ومن صبر عن المعصية كتب الله له تسعمائة درجة وما بين الدرجة الى الدرجة كما بين تخوم الارض الى منتهى العرش ، وقال الصادق عليه السلام انا صبرنا وشيعتنا أصبر منا ، قيل له كيف صار شيعتكم أصبر منكم ؟ قال لأنا نصبرعلى مانعلم وشيعتنا يصبرون على مالا يعلمون ، وقال صلى الله عليه واله الصبر نصف الإيمان، فان قلت ما معنى كونه نصف الايمان ؟ قلت قد ذكر له الغزالي في إحيائه وجهين الاول ان الايمان يطلق على التصديقات والأعمال جميعاً فيكون للإيمان ركنان احدهما اليقين والآخر الصبر، والمراد باليقين المعرف القطعية، والمراد بالصبر العمل بمقتضى اليقين، اذ اليقين يعرّفه انّ المعصية ضارة والطاعة نافعة ولايمكن ترك المعصية والمواظبة عهلى الطّاعة الاَ بالصبر فيكون الصبر نصف الأيمان بهذا الأعتبار، ولهذا جمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بينهما فقال من اقلَ ماأوتيتم اليقين وعزيمة الصبر.

الوجه الثاني ان يراد من الأيمان ماينفع في الدنيا والآخرة او يضر فيهما وله بالإضافة الى مايضرّه حال الصبر وبالإضافة الى ماينفعه حال الشكر، فيكون الشكر احد شطري الأيمان بهذا الأعتبار كما كان اليقين أحد الشطرين بالإعتبار الأول، وبهذا النّظر قال بعض الصحابة الأيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر، ولّما كان الصبر صبرا عن بواعث الهوى بثبات باعث الدين وكان باعث الهوى قسمين باعث من حيث الشهوة، وباعث من جهة الغضب، والشهوة لطلب

اللَذيذ والغضب للهرب من المؤلم، وكان الصوم صبراً من مقتضى الشهوة فقط وهو شهوة البطن والفرج دون مقتضى الغضب، قال صلى الله عليه وآله وسلم بهذا الأعتبار الصوم لأنّ كمال الصَبر بالصبر عن دواعي الشهوة ودواعي الغضب جميعاً فيكون الصّوم بهذا الأعتبار ربع الأيمان.

واعلم ان محامد الأخلاق كلها ترجع الى الصبر لكن له اسم بكل واحد من موارده، فان كان صبرا عن شهوة البطن والفرج سمّي عفة، وان كان على احتمال مكروه اختلف اساميه عند الناس باختلاف المكروه الذي عليه الصبر، فان كان في مصيبة اقتصر على اسم الصبر ويضاد الجزع، وان كان في احتمال الغنى سمي ضبط النفس ويضادّه البطر، وان كان في حرب ومقاتلة سمي شجاعة ويضاده الجبن، وان كان في كظم الغيظ والغضب سمي حلماً ويضاده السفه، وان كان في نائبة من نوائب الزمان سمي سعة الصدر ويضاده الضّجر والتبرم وضيق الصدر، وان كان في اخفاء كلام سمي كتمان السّر، وان كان عن فضول العيش سمي زهداً ويضاده الحرص، وان كان صبراً على قدر يسير من الحظوظ سمي قناعة ويضاده الشّره، ومن جهة دخول هذه المحاسن في الصبر لما سأل صلى الله عليه وآله وسلم عن الأيمان قال هو الصبر لأنه اكثر اعماله واعزّها كما قال الحجَ عرفة، وقد جمع الله ذلك فسمي الكل صبرا فقال تعالى والصابرين في البأساء أي المصيبة والضراء أي الفقر، وحين البأس أي المحاربة، اولئك الذين صدقولا واولئك هم المتقون، وبعضهم ظن انّ هذه احوال مختلفة في ذواتها وحقائقها نظراً الى تعدد الأسامي والصواب ماعرفت.

واما الموارد المحتاجة الى الصبر فأنواع، اولها مايوافق الهوى وهو الصحة والسلامة والمال والجاه وكثرة العشيرة واتّساع الأسباب وجميع ملاذّ الدنيا وماأحوج العبد الى الصبر عن هذه الأمور فانّه ان لم يضبط نفسه عن الركون اليها الإنهماك في الملاذ المباحة أخرجه ذلك الى البطر والطَغيان فانّ الأنسان ليطغى ان رآه استغنى والرجل كل الرجل من يصبر على العافية، وثانيها الطّاعة والصبر عليها شديد لأنّ النّفس بطبعها تنفر عن العبوديّة وتشتهي الربوبيّة، ولذلك قيل مامن نفس الاّ وهي مضمرة ماأظهره فرعون من قوله انا ربكم الأعلى ولكن فرعون وجدله مجالاً فأظهر اذ استخفَ قومه فأطاعوه، وما من أحد الاّ وهو يدّعى ذلك مع عبده وخادمه ونحوهما وان كان ممتنعاً من اظهاره فانّ امتعاظه وغيضه عند تقصيرهم في خدمته واستبعاده ذلك ليس يصدر الاّ من اظهار الكبر ومنازعة الربوبيّة في رداء الكبرياء، فان العبوديّة شاقّة على النفس مطلقاً.

ثم من العبادات مايكره بسبب الكسل كالصلاة، ومنها مايكره بسبب البخل كالزكاة، ومنها مايكره ذلك بسبب جميعها كالحج والجهاد وهذه الأمور تحتاج الصّبر قبل العمل وحاله وبعده، امّا قبله فبأن يصبّر نفسه على تصحيح النّية والأخلاص عن شوائب الرياء ودواعي الآفات، وهذا يحتاج الى صبر شديد على ماتقدم في تحقيق النّية وهو الذي قصر تعالى امره عليه في قوله{ومامروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين}وامّا حالة العمل فلئلا يغفل عن ذكر الله تعالى في اثناء عمله ويدوم على شروط العمل الى آخره، واما بعد الفراغ فيحتاج الى الصبر عن إفشائه والتّظاهر به للرياء والسمعة وعن كل مايحبط اجره.

وثالثها المعاصيوما أحوج العبد الى الصبر عنها، وذلك انّ المعاصي خصوصاً الكذب والغيبة مألوفة بالعادة فان العادة طبيعة خامسة(خاصة ج) واذا انضافت الى الشهوة تظاهر جندان من جنود الشيطان على جند الله عز وجل، وكلما كان الذنب ألذّ على النفس كان الصبر عنه أثقل كالصبر على الغيبة واستحقار النفس فان ظاهره غيبة وباطنه ثناء على النفس، فللنفس فيه شهوتان نفي الغير واثبات نفسه وبهما يتم له الربوبيّة التي في طبعه وهي ضدّما امر به من العبودية، ورابعها مالايرتبط هجومه بإختياره كما اوذي بفعل او قول او جنى عليه في نفسه او ماله فالصبر على ذلك بترك المكافأة تارة يكون واجباً، وتارة يكون فضيلة، خامسها مالايدخل تحت الأختيار أوله ولآخره كالمصائب مثل موت الأعزّة وهلاك الأموال وزوال الصحة بالمرض وعمى العين وفساد الأعضاء، والصبر على هذا لايخلو من اشكال، وحيث انتهى بنا الحال الى هذا فلابأس ببسط الكلام في هذا المقام.

فنقول ان شيخنا الشهيد الثاني نور الله ضريحه قد كتب رسالة وسمّاها مسكن الفؤاد عند فقد الأحبّة والأولاد، وقد نظمها على سلك غريب ونمط عجيب الا انها لاتخلو من بعض الزوائد[١] فأحببنا تحرير دلائلها وان تضيف اليها ماسنح بالبال ونضيف اليها بعض الأخبار، فنقول اعلم اولاً انّه قد ثبت انّ العقل هو الآلة التي بها عرف الله تعالى وصدق الرّسل والتزم أحكام الشّرائع، ومثله كالنور في الظلمة يزيد وينقص، فينبغي لمن رزقه الله العقل ان يعمل بمقتضاه ويجعله حاكماً له وعليه ويراجعه فيما يرشده اليه فيكشف له الرضا بالقضاء سيّما بفراق الأحباب من وجوه كثيرة.

---

(١)رسالة لطيفة شريفة ليس فيها بعض الزوائد وفرغ شيخنا الشهيد الثاني قس سره من تأليفها سنة(٩٥٤) هـ وسبب تصنيفه لها كثرة ماتوفى له من الأولاد بحيث لم يبق منهم احد الا الشيخ حسن صاحب المعالم العلامة المحقق الشهير وكان لايثق بحياته وقد استشهد وهو ابن اربع سنين او سبع سنين وهذه الرسالة مطبوعة سنة(١٣٤٢) هـ في النجف الأشرف.

منها انّه اذا نظر الى عدله وحكمته وشفقته بخلقه ان اخرجهم من العدم الى الوجود وفعل بهم ماهو الأصلح لهم في كل افعاله، ولاشك انّ الموت من جملة ذلك فيكون هو الأصلح بهم، فان حدثتك نفسك مثل رعاع النّاس اذا مات لهم ميّت قالوا انّ الصلاح في بقائه، فلو كان قد بقي لربّى أطفاله ولقام بأمور عياله، وربّما قالوا انّ موت هذا باعث الى موت ذلك الفقير لأنّه كان يصله ويعطيه، وهذه الكلمات الواهية هي الشّرك الخفي على ماتقدّم بيانه، وان تيقّن انّه الصلاح لكن لم تطمئن نفسه ولم تسكن روعته فهو الحمق الجلي النّاشىء عن الغفلة في شأن الحكمة القديمة، حتى روي انّ العبد ليدعوا الله ان يرحمه ويجيب دعاه في امثال ذلك، فيقول الله تعالى لملائكته كيف ارحمه من شيء به أرحمه.

ومنها انّه اذا تدبر في احوال الرسل وصدقهم فيما قالوا وسمع ماوعدوا به من الثّواب على كل فرد من انواع المصائب سهل عليه موقعه، وعلم ان في ذلك تمام السّعادة، وينبغي ان يمثل العاقل انّه لو دهمه أمر عظيم أو سبع او حية وكان عنده أعز أولاده وكان بحضرته نبي من الأنبياء وأخبره انّك ان افديت به سلمت انت وولدك، وان لم تفعل عطبت ولايعلم هل يعطب ولدك أم يسلم، أيشك عاقل انّ الأفتداء بالولد الذي يتحقق به سلامتهما هو عين المصلحة.

روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انّه قال لعثمان بن مظعون وقد مات ولده واشتدّ حزنه عليه يابن مظعون انّ الجنة ثمانية ابواب، وللنار سبعة ابواب أفما يسرك ان ىتأتي باباً الا وجدت ابنك الى جنبه آخذ بحجرتك يستشفع لك الى ربك حتى يشفعه الله تعالى.

ومنها ان الأغلب انّ الولد انّما يراد امّا لنفع الدنيا او الآخرة، ومنفعته على تقدير موته معلومة وعلى تقدير بقائه موهومة، بل المظنون عدمها لأنّ الزمان قد هرم وشناكما قيل :

أتى الزمــتان بنوه في شبــيبته فسرّهم واتــــيناه على الهـرم

وأجابه بعض مشايخنا:

هم على كل حـــال أدركوا هرماً ونحن جئناه بــعد الشّيب والـعدم

وتأمل اكثر الخلق هل تجد احداً منهم نافعاً لأبويه الا القليل حتى اذا رأيت واحداً فعدّ ألوفاً بخلافه، فإلحاقك ولدك الواحد بالفرد النادر عين الغفلة، هذا اذا كنت تريد ان تجعله وليّاً صالحاً فكيف وانت لاتريده الا ليرث منك البيت والبستان والصخرة والميزان، فدعه من هذا الميراث الخسيس واجعله ممّن يرث الفردوس الأعلى في جوار اولاد الأنبياء عليهم السلام مربّاً ان كان صغيراً في حجرة سارة حتى لو كان مرادك ان تورثه علمك وكتبك فاذكر انّ ذلك لو تمّ لك فما وعدت من ثوابه أكثر من هذا.

قال الصادق عليه السلام ولد واحد يقدمه الرجل افضل من سبعين ولداً يقون بعده يدركون القائم عليه السلام، واعتبر المثل وهو انّه قيل انَ رجلاً فقيراً معه ولد عزيز عليه وعليه خلقان الثياب قد اسكنه في خرب مقفرة ذات سباع وحيّات، فاطلع عليه رجل حكيم ذو ثروة وقصور عالية، فأرسل اليه بعض غلمانه رحمة له، وقال له انَ سيدي يقول لك انّي رحمتك من هذه الخربة ورحمت ولدك وقد تلطّفت عليك بهذا القصر، ينزل به ولدك ويوكل عليه جارية كريمة تقوم بخدمته الى ان تقضي انت اغراضك وتجيء اليه وتسكن معه، فقال ذلك الرجل انا لاارضى بمفارقة ولدي لالعدم وثوقي بمولاك بل اعتقد انّه صادق ولكن طبعي اقتضى ذلك، ومأأريد ان أخالفه فما كنت ايّها السّامع تقول هذا الرجل تعدّه من الأغبياء فلا تقع في خلق لاترضاه لغيرك.

واعلم ان لسع الأفاعي واعظم آفات الدنيا لانسبه لها الى ادنى هول من اهوال الآخرة، فما ظنّك بتوبيخ يكون مقداره ألف سنة او أضعافه، ومنها انه ينبغي ان يفكر في انّ الجزع يشتمل على عدم الرضاء بالقضاء، وفي ذلك التعرض لذمّ الله تعالى حيث قال لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلائي فليعبد رباً سواي، وقال موسى عليه السلام دلّني على امر فيه رضاك، قال انّ رضائي في رضاءك بقضائي، وأوحى الله تعالى الى داود عليه السلام ياداود تريد وأريد وانّما يكون مأأريد فان سلّمت لما أريد كفيتك ماتريد، وان لم تسلم لما اريد أتعبتك فيما تريد ثم لايكون الاّ مأأريد.

ومنها ان ينظر صاحب المصيبة الى انّه في دار قد طبعت على الكدر والعناء وجبلت على المصائب والبلاء فما يقع فيها من ذلك فهو بموجب طبيعتها، وان وقع خلاف ذلك فهو على خلاف العادة، وقد نزل على الأولياء من المحن والشدائد ماتعجز عن حمله الجبال وقال صلى الله عليه وآله وسلم اشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل، كيف لاوهي سجن المؤمن وجنّة الكافر، ومتى حصل فيهم محبوب كانت آلامه تزيد على لذاته بأضعاف مضاعفة، وأقل حسراته الفراق الذي يفتّ الأكباد، فكلما نظرت في الدنيا انّه شراب فهو سراب، وعماراتها وان علت الى خراب:

له ملك ينادي كلّ يوم　　　لدوا للموت وابنوا للخراب

وفي الحديث انّ عبادي يطلبون مني مالاأخلقه وهو الرّاحة في الدنيا، ويدعون طلب ماخلقته وهو النّعيم المقيم ولقد احسن بعض الفضلاء حيث رثى ابنه:

طبعت على كدر وانت تريدها　　　صفوا من الأقذار والأكدار
ومكلّف الأيّام ضد طباعها　　　متطلب في الماء جذوة نار

واذا رجــــوت المـــستحيل فانّمــــا تــبني البنــاء علــى شــفير هــار

روي عن علي عليه السلام ان صبرت جرى عليك القضاء وانت مأجور وان جزعت جرى عليك القضاء وانت مأزور، فاغتنم شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك، واجعل الموت نصب عينيك واستعدّ له بصالح العمل، ودع الأشتغال بغيرك فانّ الأمر يأتي اليك دونه وقال علي عليه السلام انّ اشدّ ماأخاف عليكم خصلتان اتّباع الهوى وطول الأمل، فامّا اتباع الهوى فانه يعدل عن الحق، واما طول الأمل فانّه يورث الحب للدنيا.

وأوحى الله سبحانه الى بعض الصدّيقين ان لي عبادا من عبادي يحبّوني واحبهم ويشتاقون اليّ واشتاق اليهم، ويذكروني واذكرهم، فان اخذت طريقهم احببتك وان عدلت عنهم مقتك، قال يارب وماعلامتهم؟ قال يراعون الظلال بالنهار كما يراعى الشفيق غنمه، ويحنون الى غروب الشمس كما تحن الطير الى اوكارها عند الغروب فاذا جنّهم الليل واختلط الظلام وفرشت الفرش ونصبت الأسرة وخلا كلّ بحبيبه، نصبوا لي اقدامهم، وفرشوا لي وجوههم وناجوني بكلامي، وتملقوني بانعامي، فبين صارخ وباك وبين متأوه وشاك وبين قائم وقاعد، وبين راكع وساجد بعيني مايتحمّلون من أجلي، وبسمعي مايشكون من حبي، اول ماأعطيهم ثلاثا:اقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عنّي كما أخبر عنهم، والثاني لو كانت السماوات والأرض ومافيهما من موازينهم لأستقللتها لهم، والثالث أقبل بوجهي عليهم فترى من أقبلت عليه بوجهي يعلم أحد ماأريد ان أعطيه اذا عرفت هذا فلنتكلم الآن في امور:

الأول في بيان الأعواض الحاصلة من موت الأولاد ومايقرب من هذا المراد، اعلم انّ الله سبحانه عدل حكيم لايليق بكمال ذاته ان ينزل بعبده المؤمن في دار الدنيا شيئاً من البلاء وان قل ثم لايعوّضه عنه مايزيد عليه اذ لو لم يعطه شيئاً كان ظالماً، ولو عوضه بقدره كان عابثاً، وقد تظافرت بذلك الأخبار النّبوية ومنها(فيها خ) انّ المؤمن لو يعلم ماأعد الله تعالى له على البلاء لتمنى انّه في دار الدنيا قرض بالمقاريض، وروي هذا الحديث عن السّلمي ازيد من ثلاثين صحابيّاً، روى الصدوق رع باسناده الى السّلمي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقوا ايّما رجل قدّم ثلاثة أولاد لم يبلغوا الحنث او امرأة قدّمت ثلاثة اولاد فهم حجاب يسترونه من النّار، والحنث بكسر الحاء الذّنب والمراد لم يبلغوا السنّ الذي يكتب عليهم فيه الذنب.

وقال الصادق عليه السلام ولد واحد يقدّمه الرجل افضل من سبعين يخلفونه من بعده كلّهم قد ركب الخيل وقاتل في سبيل الله تعالى، وقال عليه السلام ثواب المؤمن من ولده الجنّة صبر او لم يصبر، وقال عليه السلام ولد يقدّمه الرجل افضل من سبعين ولداً يبقون بعده يدركون

القائم عليه السلام، وقال صلى الله عليه وآله وسلم انّ العبد اذا سبقت له من الله تعالى منزلة فلم يبلغها بعمل ابتلاه الله تعالى في جسده او في ماله او في ولده ثم صبّره على ذلك حتى يبلغه المنزلة التي سبقت له من الله عز وجل، وقال ايضاً خمس ماأثقلهن في الميزان:لااله الا الله والله اكبر والحمد لله، والولد الصالح بتوفى للمرء المسلم فيحتسبه، أي يعدّه حسبة وكفاية عند الله عز وجل، وقال عليه السلام تزوجوا فاني مكاثر بكم الأمم حتى انّ السّقط ليظل محبنطئا على باب الجنة، فيقال له ادخل فيقولا لاادخل حتى يدخل ابواي والسّقط مثلّث السّين والكسر أكثر هو الذي يسقط من بطن امّه قبل اتمامه، ومحبنطئا بالهمز وتركه وهو المتغضّب المستبطي للشيء.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم سوداء ولود خير من حسناء لم تلد انّي مكاثر بكم الأمم حتى انّ السَقط ليظل محبنطئا على باب الجنة فيقال له أدخل الجنّة يقول أنا وأبواي، فيقول له وانت وأبواك، وقال صلى الله عليه وآله وسلم النفساء يجرها ولدها يوم القيامة بسررها الى الجنة، النَفساء بضم النون وفتح الفاء[1] المرأة اذا ولدت، والسّرر بفتح السين ماتقطعه القابلة من من سرّة المولود التي هي موضع القطع، وكأنّه يريد الولد الذي لم تقطع سرته، وقال صلى الله عليه وآله وسلم من قدّم من صلبه ذكراً لم يبلغ الحنث كان أفضل من ان يخلف من بعده مائة كلّهم يجاهدون في سبيل الله تعالى لاتسكن روعتهم الى يوم القيامة، وقال ايضاً لئن أقدم سقطاً أحبّ اليّ من ان اخلف مائة فارس كلهم يقاتل في سبيل الله تعالى، وقال اذا كان يوم القيامة خرج ولدان المسلمين من الجنّة بأيديهم الشّراب، قال فيقول النّاس لهم اسقونا اسقورنا فيقولون ابوينا ابوينا.

وروي عنه صلى الله عليه وآله وسلم اذا كام يوم القيامة نودي في اطفال المسلمين ان اخرجوا من قبوركم فيخرجون من قبورهم، ثم ينادى فيهم ان امضوا الى الجنة زمراً فيقلون ربنا ووالدينا معنا، ثم ينادى فيهم الثانية ان امضوا الى الجنة زمراً فيقولون ربنا ووالدينا معنا فيقال في الثالثة ان امضوا الى الجنة زمراً فيقولون ربنا ووالدينا معنا، فيقول في الرابعة ووالديكم معكم فيثوب(فيسرع خ) كلّ طفل الى ابويه فيأخذون بأيديهم فيدخلون الجنة، فهم اعرف بآبائهم وأمّهاتهم يومئذ من أولادكم الذين في بيوتكم، وعن انس انّ رجلاً كان يجيء بصبي له معه الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وانه مات والده فقوموا الى اخينا نعزيه، فلما دخل عليه اذا الرجل حزين وبه كآبة، فقال يارسول الله كنت ارجوه لكبر سني وضعفي، فقال يارسول الله

[1] وبفتح النون وسكون الفاء وبفتحها ايضاً.

صلى الله عليه وآله وسلم امّا يسرّك ان يكون يوم القيامة بازائك يقال له ادخل الجنة فيقول رب وأبواي ولايزال يشفع حتى يشفع الله تعالى فيكم ويدخلكم جميعاً الجنة.

وعن انس ايضاً قال توفي ابن لعثمان بن مظعون ره فاشتدّ حزنه عليه حتى اتّخذ في داره مسجداً يتعبد فيه، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال ياعثمان انّ الله عزّ وجلّ لم يكتب علينا الرهبانيّة، انما رهبانيّة امتي الجهاد في سبيل الله تعالى ياعثمان بن مظعون انّ للجنة ثمانية ابواب وللنار سبعة ابواب أفما يسرك ان لاتأتي بابا منها الا وجدت ابنك الى جنبه آخذاً بحجرتك يستشفع لك الى ربك عز وجل، قال فقيل يارسول الله ولنا في افراطنا مالعثمان؟ قال نعم لمن صبر منكم واحتسب، الحجزة بضم الحاء المهملة والزاء موضع شدّ الأزار، ثم قيل للأزار حجزة، وعن قرة بن اياس انّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يختلف اليه رجل من الأنصار مع ابن له فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم يافلان تحبه؟ قال نعم يارسول الله احبك كما أحبه، ففقده النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا يا رسول الله مات ابنه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اما يرضى اولاترضى ان لاتأتي يوم القيامة بابا من ابواب الجنةالا جاء يسعى حتّى يفتحه لك، فقال رجل يارسول الله له وحده ام لكلّنا؟ فقال بل لكلّكم.

وروى البيهقي انّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان اذا جلس تحلق اليه نفر من اصحابه وفيهم رجل له بنيّ صغير يأتيه من خلف ظهره فيقعده بين يديه الى ان هلك ذلك الصبي فامتنع الرجل من الحلقة ان يحضرها تذكراً له وحزناً عليه، قال ففقده النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال مالي لأرى فلاناً؟ قالوا يارسول الله بنيَه الذي رأيته هلك فمنعه الحزن عليه والذَكر له ان يحضر الحلقة فلقيه نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم فسأله عن بنيَه فأخبره انَه هلك، فعزاه وقال يافلان ايَما كان احب اليك ان تمتّع عمرك اولاً تأتي غداً باباً من ابواب الجنة الا وجدته قد سبقك اليه ففتحه لك، قال يانبي الله لابل يسبقني الى باب الجنة احب اليَ قال فذاك لك، فقام رجل من الأنصار فقال يارسول الله أهذا لهذا خاصة ام من هلك له طفل من المسلمين كان ذلك له؟ قال بل من هلك له طفل من المسلمين كان له ذلك.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته أقبضتم ولد عبدي؟ فيقولون نعم، فيقول قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون نعم، فيقول ماذا قال عبدي؟ فيقلون حمدك واسترجع فيقول الله تعالى أبنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسمّوه بيت الحمد، وعن جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من دفن ثلاثة فصبر عليهم واحتسب وجبت له الجنة، فقالت امّ ايمن واثنين، فقال من دفن اثنين فصبر عليهما واحتسبهما وجبت له الجنة،

فقالت ام ايمن وواحد فسكت وامسك، ثم قال ياام ايمن من دفن واحد فصبر عليه واحتسب وجبت له الجنة.

وعن ابن مسعود قال دخل النبي صلى الله عليه وآله وسلم يعزيها بإبنها قال بلغني انّك جزعت جزعاً شديداً، قالت ومايمنعني يارسول الله وقد تركني عجوزاً رقوباً، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لست بالرقوب انما الرقوب التي تتوفى وليس لها فرط ولايستطيع الناس ان يعودون عليهامن إفراطهم فتلك الرقوب، والرقوب بفتح الراء التي لايولد لها ولد ولايعيش لها هذا بحسب اللغة وقد خصّه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بماذكر، وعن زيد بن اسلم قال مات ولد لداود عليه السلام فحزن عليه حزناً كثيراً فأوحى الله تعالى الى داود ماكان يعدل هذا الولد عندك؟ قال يارب كان يعدله هذا الولد عندي ملأ الأرض ذهباً، قال فلك عندي يوم القيامة ملأ الأرض ثواباً.

وعن داود بن ابي هند قال رأيت في المنام كأن القيامة قد قامت وكأن الناس يدعون الى الحساب، قال فقرب الى الميزان فوضعت حسناتي في كفة وسيئاتي في كفه فرجَحت السيئات على الحسنات، فبينا انا مغموم اذ اتيت بمنديل او كالخرقة البيضاء فوضعت مع حسناتي فرجَحت فقيل لي تدري ماهذا؟ قلت لا، قال هذا سقط كان لك قلت فانّه كان لي ابنة، فقيل لي ابنتك ليست لك لأنك كنت تتمنى موتها، وعن ابي شوذب ان رجلاً كان له ابن صغير لم يبلغ الحلم فأرسل الى قومه فقال انّ لي اليكم حاجة قالوا ماهي؟ قال انّي اريد ان ادعوا على ابني هذا ان يقبضه الله وتؤمنون على دعائي، فسألوه عن ذلك فأخبرهم انّه رأى في نومه كأن الناس قد حمعوا ليوم القيامة وأصابهم عطش شديد.فاذا الولدان قد خرجوا من الجنة معهم الأباريق وفيهم ابن اخ له، فالتمس منه انه يسقني فأبى وقال ياعم لانسقي الا الآباء فأحببت انّ الله يجعل ولدي هذا فرطاً لي، فدعا وأمَنوا فلم يلبث الصبي حتى مات.

وعن محمد بن خلف قال كان لإبراهيم الحربي ابن له أحد عشر سنة قد حفظ القرآن ولقنه أبوه العلم فمات، فأتيته لأعزيه فقال لي كنت اشتهي موته، فقلت ياأب اسحق أنت عالم الدنيا تقول مثل هذا في صبي قد انجب وحفظ القرآن ولقنته الحديث والفقه، قال نعم ثم قال رأيت في النوم كأن القيامة قد قامت وكأن صبياناً بأيديهم قلال فيها ماء يستقبلون الناس يسقونهم وكان اليوم حار شديد، فقلت لأحدهم اسقني من هذا الماء، قال فنظر اليّ وقال لي لست انت ابي، قلت فأنى شيء انتم؟ قال ونحن الصبيان الذين متنا في دار الدنيا وخلَفنا آباءنا، فنستقبلهم فنسقيهم الماء، فلهذا تمنيت موته.

وروى الغزالي في الأحتيء انّ بعض الصالحين كان يعرض عليه التزويج برهة من دهره فيأبى، قال فانتبه من نومه ذات يوم وقال زوّجوني فزوّجوه، فسأل عن ذلك فقال لعل الله تعالى يرزقني ولداً يقبضه فيكون لي مقدّمة في الآخرة، ثم قال رأيت في المنام كأن القيامة قد قامت وكأني في جملة الخلائق في الموقف وبي من العطش ماكاد أن يقطع عنقي وكذا الخلائق من شدّة العطش والكرب، فنحن كذلك واذا ولدان يتخللون الجمع، عليهم قناديل من نور وبأيديهم أباريق من فضة وأكواب من ذهب وهم يسقون الواحد بعد الواحد، ويتخللون الجمع ويجاوزون اكثر الناس، فمددت يدي الى أحدهم فقلت اسقني فقد اجهدني العطش، فقال ليس لك فينا ولد انّما نسقي آبائنا فقلت ومن انتم؟ قالوا نحن من مات من اطفال المسلمين.

وحكى الشيخ ابوعبد الله في كتاب مصباح الظلام عن بعض الثّقاة انّ رجلاً أوصى بعض أصحابه ممن حج يقرأ سلامه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويدفن رقعة مختومة له عند رأسه الشّريف، ففعل ذلك فلمّا رجع من حجه أكرمه الرجل وقال له من اين علمت بتبليغها قبل ان أحدّثك فأنشأ يحدثه، قال لي اخ مات وترك ابناً صغيراً فربيته واحسنت تربيته ثم مات قبل ان يبلغ الحلم، فلمّا كان ذات ليلة رأيت في المنام كأنّ القيامة قد قامت والحشر قد وقع والناس قد اشتد بهم العطش من شدّة الجهد وبيد ابن اخي ماء، فالتمست ان يسقيني فأبى وقال ابي احق به منك، فعظم عليّ ذلك وانتبهت فزعاً، فلمّا اصبحت تصدقت بجملة دنانير وسألت الله تعالى ان يرزقني ولداً ذكراً فرزقته، واتفق سفرك فكتبت لك تلك الرقعة ومضمونها التوسل بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم الى الله عز وجل في قبوله مني رجاء ان اجده يوم الفزع الأكبر، فلم يلبث ان حمّ ومات وكان ذلك يوم وصولك فعلمت انك بلّغت الرسالة.

ومن كتاب النوم والرؤيا لأبي صقر الموصلي حدّثني عن علي بن الحسين بن جعفر حدّثني ابي حدثني بعض اصحابنا ممّن اثق به قال أتيت المدينة ليلاً فنمت في البقيع بين اربعة قبور عند قبر محفور، فرأيت في منامي اربعة اطفال قد خرجوا من تلك القبور وهم يقولون:

أنعم الله بالحبيبة عينا ... وبمسراك ياأميم الينا
عجباً ماعجبت من ضغطة القبر ... ومفداك ياأميم الينا

فقلت انّ لهذه الأبيات لساناً واقمت حتى طلعت الشّمس، فاذا جنازة قد اقبلت فقلت من هذه؟ قالوا امرأة من أهل المدينة، فقلت اسمها اميمة؟ قالوا نعم، قلت قدمت فرطا؟ قالوا نعم اربعة اولاد فأخبرتهم الخبر، وأنشد بعض الأفاضل:

عطيّته اذا أعطى سرورا ... فان سلب الذي اعطى اثابا

فـأي النعمـتين أعـد فـضلاً ... وأحمـد عنـد عقباهـا أيابـا
أنعمتـه الـتي كانـت سـرورا ... ام الأخـرى الـتي جلبـت ثوابـا

الأمر الثاني في الصبر وقد عرفت معناه، واما اقسامه فهي ثلاثة:أحدها صبر العوام وهو حبس النَفس على وجه التَجلد واظهار الثبات في النَائبات ليكون حاله عند الناس مرضيّة:يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون، وثانيها صبر الزهّاد والعبّاد وأهل التقوى لتوقّع ثواب الآخرة، انّما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وثالثها صبر العارفين فانّ لبعضهم التذاذاً بالمكروه لتصورهم انّ معبودهم خصّهم به من دون النّاس وصاروا ملحوظين بشريف نظره، {وبشّر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم واولئك هم المهتدون}، وهذا النوع يخص باسم الرضا، والأول لاثواب عليه بل هو رياء محض، والصبر عند الأطلاق يحمل على القسم الثاني.

وعن الحسن عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال انّ في الجنّة شجرة يقال لها شجرة البلوى، يؤتى بأهل البلاء يوم القيامة فلا يرفع لهم ديوان ولاينصب لهم ميزان يصب عليهم الأجر صباً وقرأ{انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب} وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال الله عز وجل اذا وجهت الى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه او ماله او ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيامة ان انصب له ميزاناً او انشر له ديوانا، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم الضرب على الفخذ عند المصيبة يحبط الأجر والصبر عند الصَدمة الأولى أعظم وعظم الأجر على قدر المصيبة، ومن استرجع بعد المصيبة جدّد الله له أجرها كيوم أصيب بها، وسأل رجل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال مايحبط الأجر في المصيبة؟ فقال تصفيق الرجل بيمينه عن شماله، والصبر عند الصدمة الأولى فمن رضى فله الرضا، ومن سخط فعليه السّخط.

وعن ام سلمة زوجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم قالت أتاني ابو سلمة يوماً من عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قولاً سررت به، قال لايصيب احد من المسلمين مصيبة فيسترجع عند مصيبته ثم يقول اللهم اجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها الا فعل ذلك به، قالت ام سلمة فحفظت ذلك منه فلمّا توفى ابو سلمة استرجعت وقلت اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منه، ثم رجعت الى نفسي فقلت من اين يحصل خير من ابي سلمة فلما انقضت عدتي استأذن عليَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وانا ادبغ اهابا، فغسلت يدي من القرظ واذنت له فوضعت له وسادة أدم

وحشوها ليف، فقعد عليها فخطبني الى نفسي، فلما فرغ من مقالته قلت مابي ان لايكون بك الرَغبة ولكنَي امرأة في غير شديدة فأخاف ترى مني شيئاً يعذبني الله عليه، وانا امرأة قد دخلت في السن وانا ذات عيال، فقال أمّا ذكرت من السن فقد اصابني مثل الذي اصابك، واما ماذكرت من العيال فانَما عيالك عيالي قالت فقد سلمت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنزوجها، فقالت ام سلمة[١] فقد ابدلني الله بأبي سلمة خيراً منه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وعن الحسين بن علي بن ابي طالب عليه السلام انَ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من اصابته مصيبة فقال اذا ذكرها انَا لله وانَا اليه راجعون جدّد الله له أجرها مثل ماكان له يوم اصابته، وعن جابر عن الباقر عليه السلام قال اشد الجزع الصّراخ بالويل والعويل ولطم الوجه وجزَ الشعر، ومن اقام النواحة فقد ترك الصَبر ومن صبر واسترجع وحمد الله جلَ ذكره فقد رضى بما صنع الله ووقع اجره على الله جل وعز ومن لم يفعل ذلك جرى عليه القضاء وهو ذميم وأحبط الله عز وجل اجره، وعن موسى الكاظم عليه السلام قال ضرب الرجل على فخذه عند المصيبة احباط اجره، وعن اسحق بن عمار عن الصادق عليه السلام قال يااسحق لاتعدَنَ مصيبة أعطيت عليها الصبر واستوجبت عليها من الله عز وجل الثواب، انما المصيبة التي يحرم صاحبها أجرها وثوابها اذا لم يصبر عند نزولها.

الأمر الثالث في نبذ من أحوال السلف عند موت ابنائهم وأحبائهم قال ابو الأحوص دخلنا على ابن مسعود رضي الله عنه وعنده ثلاثة بنين له وهم غلمان كأنهم الدَنانير حسناً فجعلنا نتعجب من حسنهم، فقال كأنكم تغبطوني بهم، قلنا أي والله، بمثل هؤلاء يغبط المرء المسلم، فرفع رأسه الى سقف بيت قصير قد عشعش فيه الخطّاف وباض، فقال والذي نفسي بيده لئن أكون نفضت يدي من تراب قبورهم أحبَ اليَ من ان اسقط عشَ هذا الخطّاف وينكسر بيضه، يعني حرصاً على الثواب.

وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقري الناس في المسجد جاثياً على ركبتيه اذ جاءت امَ ولده بابن له يقال له محمد، فقامت على باب المسجد ثم اشارت له الى ابيه، فأقبل فأفرج له القوم حتى جلس في حجره، ثم جعل يقول مرحباً بسمي من هو خير منه ويقبله حتى يكاد يزدرديقه، ثم قال والله لموتك وموت اخوتك أهون عليَ من عدتكم من هذا الذبان، فقيل له لم تتمنى هذا؟ فقال اللهم غفرا انَكم تسألوني ولا أستطيع الا ان اخبركم كم اريد بهذا الخير، اما انا فأحرز أجورهم وأتخوف عليهم سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول يأتي عليكم

---

(١)ام سلمة ام المؤمنين اسمها هند بنت ابي امية هي افضل ازواج رسول الله(ص) بعد خديجة ام المؤمنين سلام الله عليها.

زمان يغبط الرجل بخفة الحال مايغبط اليوم بكثرة المال والولد، وكان ابو ذر رضي الله عنه لايعيش له ولد، فقيل له انّك امرء لايبقى لك ولد، فقال الحمد لله الذي يأخذهم من دار الدّنيا ويذخرهم في دار البقاء.

ومات لعبد الله بن عامرالمازني رضي الله عنه في الطاعون الحارف سبع بنين في يوم واحد فقال اني مسلم مسلم، وعن عبد الرحمن بن غنمة قال دخلنا على معاذ وهو قاعد عند رأس ابن له وهو يجود بنفسه، فما ملكنا انفسنا ان ذرفت اعيننا وانتحب بعضنا، فزجره معاذ وقال مه فوالله لعلم الله برضاي لهذا احب اليّ من كلّ غزوة غزوتها مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فاني سمعته يقول من كان له ابن عليه عزيز وبه ضنيناً ومات فصبر على مصيبته واحتسبه أبدل الله الميت داراً خيراً من داره وقراراً خيراً من قراره، وأبدل المصاب الصلاة والرحمة والمغفرة والرّضوان، فما برحنا حتى قضى الغلام حين اخذ المنادي لصلاة الظهر فرحنا نريد الصلاة فما جئنا الاّ وقد غسّله وكفّنه، وجاء رجل بسريره غير منتظر لشهود الأخوان ولجمع الجيران، فلمّا بلغنا ذلك تلاحقنا وقلنا يغفر الله لك ياابا عبد الرحمن هلاّ انتظرتنا حتى نفرغ من صلواتنا ونشهد ابن اخينا، فقال امرنا ان لانتنظر موتانا ساعة ماتوا من ليل او نهار، قال فنزل في القبر وانزل معه آخر فلمّا اراد الخروج ناولته بيدي لأنتشطه من القبر، فأبى وقال ماأدع ذلك لفضل قوتي ولكن اكره ان يرى الجاهل انّ ذلك منّي جزع واسترخاء عند المصيبة، ثمّ أتى مجلسه ودعى بدهن فادهن وبكحل فاكتحل وببردة فلبسها واكثر في يومه ذلك من التبسّم ينوي به ماينوي، ثمّ قال انا لله وانا اليه راجعون، في الله خلف عن كل هالك وعزاء من كل مصيبة، ودرك لكل مافات.

وروي ان قوماً كانوا عند علي بن الحسين عليهما السلام فاستعجل خادم بشوي يشوي(خ) في التّنور، فأقبل مسرعاً فسقط من يده لعلي بن الحسين عليه السلام، فأصاب رأسه فقتله فوثب علي بن الحسين عليه السلام فلمّا رأى ابنه ميّتاً قال للغلام انت حرّ اما انك لم تتعمده وأخذ في جهاز ابنه.

وعن الأحنف بن قيس قال تعلّموا الحلم والصبر فانّي تعلمته، فقيل ممن؟ قال من قيس بن عاصم، قيل ومابلغ من حلمه؟ قال كنّا قعوداً عنده اذ أتى بأبنه مقتولاً وبقاتله مكبولاً فما حلّ حبوته ولاقطع حديثه حتى فرغ، ثم التفت الى قاتل ابنه فقال ياابن أخي ماحملك على مافعلت؟ قال غضبت، قال اوكلما غضبت قتلت أهنت نفسك وعصيت ربك وأقللت عددك، اذهب فقد اعتقتك، ثم التفت اليه بنيه فقال يابنيَ اعمدوا الى اخيكم غسلوه وكفنوه فاذا فرغتم منه فأتوني به

حتى اصلّي عليه، فلمّا دفنوه قال ان امه ليست منكم وهي من قوم آخرين فلا أرآها ترضى بما صنعتم فاعطوها ديته من مالي.

وقدم الى بعض الخلفاء قوم من بني عبس فيهم رجل ضرير، فسأله عن عينيه، فقال بتّ ليلة في بطن واد ولم اعلم عبسياً يزيد ماله على مالي، فطرقنا سيل فذهب ماكان لي من أهل ومال وولد غير بعير وصبي مولود وكان البعير صعباً فشرد فوضعت الصبي واتّبعت البعير فلم أجاوز الاّ قليلاً حتى سمعت صيحة ابني، فرجعت ورأس الذئب في بطنه وهو يأكله ولحقت البعير لأحبسه فبعجني رجلاً وذهب بعيني، فأصبحت لامال لي ولاأهل ولاولد ولابصر، وقال ابو علي الرازي صحبت الفضل بن عباس ثلاثين سنة مارأيته ضاحكاً ولامبتسماًالا يوم مات ابنه عليّ، فقلت له في ذلك فقال ان الله سبحانه أحب أمراً فأحببت ماأحب الله عز وجل.

واصيب عمر بن كعب الهندي بتستر فكتموا أباه الخبر، ثم بلغه فلم يجزع، وقال الحمد لله الذي جعل من صلبي من أصيب شهيدا، ثم استشهد له ابن بجرجان، فلمّا بلغه الخبر قال الحمد لله الذي توفّى مني شهيدا.

وروى البيهقي انّ عبد الله بن مطرف مات فخرج ابوه مطرف على قومه في ثياب حسنة وقد أدهن، فغضبوا وقال يموت عبد الله وتخرج في ثياب حسنة مدهنا، قال أفأستكين لها لها وقد وعدني ربّي تبارك وتعالى عليها ثلاث خصال هي أحب اليّ من الدنيا كلها قال الله تعالى{الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون، اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون}، ودعا رجل من قريش اخواناً فجمعهم على طعام وضربت ابناً له دابّة بعضهم فمات، فأخفى ذلك عن القوم وقال لأهله لا أعلمن صاحت منكم صائحة وبكت باكية، وأقبل على اخوانه حتى فرغوا من طعامه، ثمّ أخذ في جهاز الصبي فلم يفجأهم الا بسريره، فأرتاعوا وسألوه عن أمره فأخبرهم فعجبوا من صبره وكرمه.

وذكر ان رجلاً من اليمامة دفن ثلاثة رجال من ولده ثمّ اجتبى فنادى قومه يتحدّث كأن لم يفقد احدا، فقيل له في ذلك؟ فقال ليسوا في الموت ببديع ولا انا في المصيبة بأوحد، ولاجدوى للجزع فعلام تلوموني؟ وأسند ابو العباس مسروق عن الأوزاعي قال حدّثني بعض الحكماء قال خرجت وانا اريد الرّباط حتى اذا كنت بعريش مصر اذ انا بمظلّة وفيها رجل قد ذهبت عيناه واسترسلت يداه ورجلاه، وهو يقول لك الحمد سيّدي ومولاي اللّهم انّي احمدك احمدا يوافى محامد خلقك كفضلك على سائر خلقك اذ فضّلتني على كثير ممّن خلقت تفضيلا، فقلت والله لأسألنه، فدنوت وسلمت عليه، فرد عليّ السلام فقلت له رحمك الله اني أسألك عن شيء اتخبرني به ام لا؟ فقال ان كان عندي منه علم اخبرتك به، فقلت رحمك الله على أي فضيلة من

فضائل تشكره؟ فقال او ليس ترى ماقد صنع بي، قلت بلى، فقال والله لو ان الله تبارك وتعالى اصب على نار تحرقنا، وامر الجبال فدمرتنا، وامر البحار فغرقتنا، وأمر الأرض فخسفت بي ماازددت فيه سبحانه الا حبا، ولاازددت له الا شكراً، وان لي اليك حاجة افتقضيها لي؟ فقلت نعم قل ماتشاء فقال بني لي كان يتعاهدنا اوقات صلواتي ويطعمني عند افطاري، وقد فقدته منذ امس فانظر هل تجده لي؟ قال فقلت في نفسي ان في قضاء حاجته لقربة الى الله عز وجل، وقمت وخرجت في طلبه حتى اذا صرت بين كثبان الرمال اذا انا بسبع قد افترس الغلام يأكله، فقلت انا لله وانا اليه راجعون كيف اتى هذا العبد الصالح بخبر ابنه؟ قال فأتيته فسلمت عليه فقلت رحمك الله ان سألتك عن شيء اتخبرني به؟ فقال ان كان عندي منه علم اخبرتك؟ قال قلت انت اكرم على الله تعالى واقرب منزلة او نبي الله ايوب عليه السلام، فقال بل ايوب اكرم على الله تعالى مني واعظم عند الله تعالى منزلة مني، فقلت انه ابتلاه الله فصبر حتى استوحش منه من كان يأنس به، وكان غرضا لمرار الطريق، اعلم ان ابنك الذي اخبرتنا به وسألتي اطلبه لك افترسه السبع، فأعظم الله اجرك، فقال الحمد لله الذ لم يجعل في قلبي حسرة من الدنيا، ثم شهق شهقة وسقط على وجهه فسجلت ساعة ثم حركته فاذا هو ميت، فقلت انا لله وانا اليه راجعون كيف اعمل في امره، ومن يعينني على غسله وكفنه وحفر قبره ودفنه؟ فبينا انا كذلك اذ انا بركب يريدون الرباط، فأشرت عليهم فأقبلوا نحوي حتى وقفوا علي، فقالوا من انت وماهذا؟ فأخبرتهم بقصتي، فعقلوا رواحلهم حتى غسلناه بماء البحر وكفنّاه بأثواب كانت معهم، وتقدمت وصليت عليه مع الجماعة ودفناه في مظلته وجلست عند قبره انسابه وأقرأ القرآن الى ان مضى من الليل ساعات؟ فغفوت غفوة فرأيت صاحبي في أحسن صورة واجمل زي في روضة خضراء عليه ثياب خضر قائما يتلو القرآن، فقلت له الست صاحبي، قلت فما الذي صيرك الى ما أرى؟ فقال اعلم انني وردت مع الصابرين لله عز وجل لم ينالوها الا بالصبر والشكر عند الرخاء وانتبهت.

وروي بينما عمر بن عبد العزيز ذات يوم جالس اذا تاه ابنه٩ عبد الملك، فقال الله الله في مظالم بني ابيك فلان وفلان وفلان فوالله لوددت ان القدور قد غلت بي وبك فيما يرضى الله وانطلق فاتبعه ابوه بصره وقال اني لأعرف خير احواله، قالوا وما خير أحواله؟ ان يموت فأحتسبه، ولما دخل عليه ابوه في مرضه فقال كيف تجدك قال اجدني في الموت فاحتسبني ياابه فان ثواب الله عز وجل خير لك من مني، فقال والله يابني لئن تكون في ميزاني احب اليّ من ان اكون في ميزانك؟ فقال ابنه لئن يكون ما تحب أحب اليّ من ان يكون ماأحب، فلما مات وقف على قبره وقال رحمك الله يابني لقد كنت ساراً مولداً وباراً ناشياً وماأحب اني دعوتك فأحببتني، ومات ابن له آخر قبل عبد الملك فجاء فقعد عند رأسه وكشف الثوب عن وجهه وجعل ينظر اليه

ويستدمع، فجاء ابنه عبد الملك فقال ليشغلك ماأقل من الموت عمن هو في شغل حلاً لديك، فكأن قد لحقت ابنك وساويته تحت التراب بوجهك فبكى عمر.

الأمر الرابع في صبر بعض النساء روي عن معاوية بن قرة قال كان ابو طلحة يحب ابنه حباً شديداً فمرض فخافت ام سليم على ابي طلحة الجزع حين قرب موت الأبن، فبعثه الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلما خرج ابو طلحة من داره توفي الولد فسجته(فسبجته خ) (فغطته خ) ام سليم بثوب وعزلته في ناحية من البيت، ثم تقدمت الى اهل بيتها وقالت لهم لاتخبروا ابا طلحة بشيء ثم انها صنعت طعاماً ثم مست شيئاً من الطيب فجاء ابو طلحة من عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال مافعل ابني؟ فقالت له هدأت نفسه، ثم قال هل لنا ما نأكل فقامت فقربت اليه الطعام ثم تعرضت فوقع عليها فلما أطمأن قالت له ياابا طلحة اتغضب من وديعة كانت عندنا فرددناها الى اهلها؟ فقال سبحان الله لا؟ فقالت ابنك كان عندنا وديعة فقبضه الله تعالى، فقال ابو طلحة فانا أحق بالبصر منك، ثم قام من مكانه فاغتسل وصلى ركعتين ثم انطلق الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاخبره بصنيعتها فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بارك الله لكما في وقعتكما، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحمد لله الذي جعل في امتي مثل صابرة بني اسرائيل، فقيل يارسول الله ماكان من صبرها؟ فقال كان في بني اسرائيل امرأة وكان لها زوج ولها منه غلامان، فأمرها بطعام ليدعو عليه الناس، ففعلت واجتمع الناس في داره فانطلق الغلامان يلعبان فوقعا في بئر كان في الدار فكرهت ان تنقص على زوجها الضيافةظ فادخلتهما البيت وسجتهما (سبجتهما خ) بثوب فلما فرغوا دخل زوجها فقال اين ابناي؟ قالت هما في البيت وانها كانت مسحت بشيء من الطين وتعرضت للرجل حتى وقع عليها ثم قال اين ابناي؟ قالت هما في البيت فناداهما ابوهما فخرجا يسعيان فقالت المرأة سبحان الله والله لقد كانا ميتين ولكن الله تعالى احياهما بالصبر.

وروي في مناجاة برخ الأسود الذي امر الله تعالى كليمه موسى عليه السلام يسأله يستسقي لبني اسرائيل بعد ان قحطوا سبع سنين، وخرج موسى عليه السلام ليستسقي لهم في سبعين ألفاً فأوحى الله تعالى اليه كيف استجيب لهم وقد اظلّت عليهم ذنوبهم وسرائرهم خبيثة يدعونني على غير يقين ويؤمنون مكري ارجع الى عبد من عبادي يقال له برخ يخرج حتى استجيب له، فسأل عنه موسى عليه السلام فلما يعرف فينا موسى عليه السلام ذات يوم يمشي في طريق فاذا هم بعبد الأسود بين عينه تراب من اثر السجود، في شملة قد عقدها على عنقه، فعرفه موسى عليه السلام بنور الله تعالى فسلّم عليه فقال ماسمك؟ قال اسمي برخ، فقال ان انت طلبتنا منذ حين، اخرج استسق لنا فخرج فقال في كلامه ماهذا من فعالك وماهذا من حلمك

ومااللذي بدا لك انقضت عليه غيومك ام عاندت الرياح عن طاعتك؟ ام نفد ماعندك ام اشتد غضبك على المذنبين؟ الست غفاراً قبل خلق الخطائين، خلقت الرحمة وامرت بالعطف ام ترينا انك ممتنع ان تخشى الفوت فتعجل بالعقوبة؟ فما برح برخ حتى اخضلّت بنو اسرائيل بالقطر، فلما رجع برخ استقبله موسى عليه السلام فقال كيف رأيتني حين خاصمت ربي؟ كيف ان انصفنا؟

وعن ابي قدامة الشامي قال كنت اميراً على الجيش في بعض الغزوات، فدخلت بعض البلدان فدعوت الناس ورغبتهم في الجهاد وذكرت فضل الشهادة وما لأهلها، ثم تفرق الناس وركبت فرسي الى منزلي واذا انا بامرأة من احسن الناس، ينادي ياابا قدامة فمضيت ولم اجب، فقالت ماهكذا كان الصالحون، فوقفت فجاءت فدفعت الى رقعة مشدودة وانصرفت باكية، فنظرت في الرقعة فاذا فيها مكتوب انت دعوتنا الى الجهاد ورغبتنا في الثواب ولاقدرة لي على ذلك فقطعت احسن ما في، وهما ظفيزتاي وانفذتهما اليك لتجعلهما قيد فرسك لعل الله تعالى يرى شعري قيد فرسك في سبيله فيغفر لي، فلمّا كان صبيحة القتال فاذا بغلام بين يدي الصفوف يقاتل خاسراً، فتقدمت اليه فقلت يافتى غلام عزّ راجل ولاآمن ان تجول الخيل فتطأك بأرجلها فارجع عن موضعك هذا.

{ياايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار} وقرأ الآية الى آخرها فحملته على هجين[1] كان معي فقال ياابا قدامة أقرضني ثلاثة اسهم، فقلت هذا وقت قرض؟ فما زال يلح عليَ حتى قلت بشرط ان منَ الله عليك بالشهادة أكون في شفاعتك، قال نعم، فأعطيته ثلاثة اسهم، فوضع سهماً في قوسه ورمى به فقتل روميًا، ثم رمى بالآخر فقتل روميًا، وقال السلام عليك ياابا قدامة سلام مودع، فجاءه سهم فوقع بين عينيه فوضع رأسه على قربوس سرجه، فتقدمت اليه فقلت لاتنسها، فقال نعم ولكن لي اليك حاجة اذا دخلت المدينة فأت والدتي وسلَم خرجي اليها وأخبرها، فهي التي اعطتك شعرها لتقيد به فرسك، وسلّم عليها فهي العام الأول أصيبت بوالدي وفي هذا العام بي، ثم مات فحفرت له ودفنته فلمّا هممت بالإنصراف عن قبره قذفته الأرض فألقته على ظهرها، فقال أصحابه، غلام عزّ ولعله خرج بغير اذن امه فقلت انَ الأرض لتقبل من هو شر من هذا، فقمت وصلَيت ركعتين ودعوت الله تعالى فسمعت صوتاً يقول ياابا قدامة أترك وليّ الله تعالى، فما برحت حتة نزلت عليه الطيور فأكلته، فلما أتيت المدينة ذهبت الى دار والدته، فلما قرعت الباب خرجت اخته اليَ، فلما رأتني عادت الى امها وقالت ياأماه هذا ابو قدامة وليس معه اخي وقد اصبنا في العام الأول بابي وفي هذا العام بأخي،

---

(١) فرس وبرذونة هجين أي غير عتيق او الهجين من الخيل الذي ولدته برذونة من حصاني عربي جمع هجن وهواجن ايضا.

فخرجت أمَه فقالت أمعزيّاً ام مهنيا؟ فقلت مامعنى هذا؟ قالت ان كان مات فعزني، وان كان قتل فهنّني، وان كان قتل فهنّني، فقلت لابل مات شهيداً، فقالت له علامة فهل رأيتها، قلت نعم لم تقبله الأرض ونزلت الطيور فأكلت لحمه وتركت عظامه فدفنتها فقالت الحمد لله، فسلّمت اليها الخرج ففتحته وأخرجت منه مسحاً وغلاً من حديد، وقالت انّه كان اذا جنّه الليل لبس هذا المسح وغلَ نفسه بهذا الغل وناجى مولاه، ونادى في مناجاته الهي احشرني من حواصل الطيور، فاستجاب الله سبحانه دعاه رحمه الله.

وقال ابان بن تغلب(ره) دخلت على امرأة وقد نزل بابنها الموت، فقامت اليه وغمضته(قمصته وسبجَته خ) وسجته، ثم قالت يابني ماالجزع فيما لايزول ومماالبكاء فيما ينزل غداً يابني تذوق وما ذاق ابوك وستذوقه من بعد امك، وان اعظم الرّاحة لهذا الجسد النوم والنوم أخو الموت فما عليك ان كنت نائماً على فراشك او على غيره وانّ غداً السؤال والجنة والنار، فان كنت من اهل الجنة فما ضرّك الموت، وان كنت من اهل النار فما تنفعك الحياة ولو كنت اطول الناس عمرا، والله يابني لولا انّ الموت أشرف الأشياء لإبن آدم لما أمات الله نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم وأبقى عدوه ابليس.

وعن المبرّد انه خرج الى اليمن فنزل على امرأة لها مال كثير ورقيق وولد وحال حسنة فأقام عندها، فلمّا اراد الرحيل قال ألك حاجة؟ قالت نعم كلّما نزلت هذه البلاد فانزل عليّ، ثم انَه غاب اعواماً ثم نزل عليها فوجدها قد ذهب مالها ورقيقها ومات ولدها وباعت منزلها وهي مسرورة ضاحكة، فقال لها أتضحكين مع ما قد نزلت بك؟ فقالت ياعبد الله كنت في حال النَعمة في احزان كثيرة فعلمت انَها من قلّة الشكر فأنا اليوم في هذه الحالة أضحك شكر الله تعالى على ماأعطاني من الصّبر.

وعن مسلم بن يسار قال قدمت البحرين فأضافتني امرأة لها بنون ورقيق ومال ويسار وكنت اراها محزونة فغبت عنها مدّة طويلة ثم اتيت فلم أرى ببابها انساناً، فأستأذنت عليها فاذا هي ضاحكة مسرورة، فقلت لها ما شأنك؟ قالت انّك لَما غبت عنّا لم نرسل شيئاً في البحر الا غرق، ولافي البرّ شيئاً الا عطب، وذهب الرقيق ومات البنون، فقلت لها يرحمك الله رأيتك محزونة في ذلك اليوم، فقالت نعم انّي لما كنت فيما كنت فيه من سعة الدنيا خشيت ان يكون الله تعالى قد عجّل لي حسناتي في الدنيا فلما ذهب مالي وولدي ورقيقي رجوت ان يكون الله تعالى قد ذخر لي عنده شيئاً.

وروى البيهقي عن ذى النون المصري قال كنت في الطّواف فاذا انا بجاريتين قد اقبلتا وأنشأت احديهما تقول:

صبرت وكان الصبر خير مغبة | وهل جزع مني يجدي فأجزع
صبرت على مالو تحمل بعضه | جبال برضوي أصبحت تتصدع
ملكت دموع العين ثمَ رددتها | الى ناضري والعين في القلب تدمع

فقلت ممَن ذا ياجارية؟ فقالت من مصيبة نالتني لم تصب احداً قط، قلت وماهي؟ قالت كان لي شبلان يلعبان امامي وكان ابوهما ضحَى بكبشين، فقال احدهما لأخيه ياأخي أريك كيف ضحَى ابوك بكبشه؟ فقام وأخذ شفرة فنحره وهرب القاتل، فدخل ابوهما فقلت انَ ابنك قتل اخاه وهرب، فخرج في طلبه فوجده قد افترسه السبع، فرجع الأب فمات في الطريق عطشاً وجوعا.

الأمر الخامس في الرضا قد عرفت انه ثمرة المحبَة بل كلَ كمال فهو ثمرتها فانَها لَما كانت فرع المعرفة استلزم تصوَر رحمته رجاه وتصوَر هيبته الخشية، ومع عدم الوصول الى المطلوب الشوق، ومع الوصول الأنس، ومع افراط الأنس الأنبساط ومع مطالعة عنايته التَوكل، ومع استحسان مايصدر عنه الرضا، ومع تصور قصور نفسه في جنب كماله وكمال احاطة محبوبه وقدرته عليه التَسليم اليه، والرضى أعظم كلَ المراتب.

قال صلى الله عليه وآله وسلم اذا كان يوم القيامة انبت الله لطائفة من امتي اجنحة فيطيرون من قبورهم الى الجنان يسرحون فيها ويتنعمون كيف يشاؤون، فتقول لهم الملائكة هل رأيتم الحساب؟ فيقولون ما رأينا حساباً، فتقول هل جزتم الصراط؟ فيقولون ما رأينا صراطا، فتقول هل رأيتم جهنم؟ فيقولون ما رأينا شيئاً، فتقول الملائكة من امَة من انتم؟ فيقولون من امة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فيقولون ناشدناكم الله تعالى حدثونا ماكانت اعمالكم في الدنيا؟ فيقولون خصلتان كانتا فينا فبلَغنا الله تعالى هذه المنزلة بفضل رحمته، فيقولون كنا اذا خلونا نستحي ان نعصيه، ونرضى باليسر ممَا قسم لنا، فتقول الملائكة حقَ لكم هذا.

وفي بعض الأخبار ان نبياً قال له امَته سل لنا ربك أمرا اذا نحن فعلناه يرضى به عنا، فأوحى الله تعالى اليه قل لهم يرضون عنَي حتى ارض عنهم، ونظيره ماروي عن نبينا صلى الله عليه وآله وسلم انَه قال من احب ان يعلم ماله عند الله عزَ وجل فلينظر مالله عز وجل عنده، فانَ الله تعالى ينزل العبد منه حيث انزله العبد من نفسه، وفي اخبار داود عليه السلام مالأوليائي ومن اوليائي ان يكونوا روحانيَين لايغتمَون.

وروي انَ موسى عليه السلام قال يارب دلَني على امر فيه رضاك حتى اعمله، فأوحى الله تعالى اليه انَ رضائي في كرهك وانت لاتصبر على ماتكره، قال يارب دلني عليه قال فانَ

رضائي في رضاك بقضائي، وفي مناجاة من نبي أي رب ايّ خلقك احب اليك؟ قال من اذا اخذت حبيبه سالمني، قال فأيّ خلق انت عليه ساخط؟ قال من يستخيرني في الأمر فاذا قضيت له سخط قضائي.

وروي ان جابر بن عند الله الأنصاري رضي الله عنه أبتلي في آخر عمره بضعف الهرم والعجز فرآه محمد الباقر عليهما السلام فسأله عن حاله، فقال انا في حالة أحبّ فيها الشّيخوخة على الشباب والمرض على الصحة والموت على الحياة، فقال البافقر عليه السلام اما انا فان جعلني الله شيخاً أحب الشيخوخة، وان أماتني أحب الموت، وان ابقاني أحب البقاء، فلمّا سمع جابر هذا الكلام قبّل وجهه وقال صدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فانه قال ستدرك لي ولداً اسمه اسمي يبقر العلم بقرا كما يبقر الثّور الأرض، ولذلك سمّى باقر علم الأولين والآخرين أي شاقه.

وروى(ووردخ) في الأسرائيليات انّ عابدا عبد الله تعالى دهراً طويلاً فراى في المنام فلانة رفيقتك في الجنة، فسأل عنها واستضافها ثلاثاً لينظر الى عملها فكان يبيت قائماً وتبيت نائمة ويظل ائماً وتظل مفطرة، فقال لها أما لك عمل غير ما رأيت؟ فقالت ماهو غير ما رأيت ولاأعرف غيره، فلم يزل يقول تذكري حتى قالت خصيلة واحدة هي ان كنت في شدّة لم أتمن ان اكون في رخاء، وان كنت في مرض لم اتمن ان اكون في صحة وان كنت في الشمس لم اتمنَ ان اكون في الظَل، فوضع العابد يديه على رأسه وقال أهذه خصيلة، هذه والله خصلة عظيمة يعجز عنها العباد.

واما درجات الرضا فثلاثة:الأولى ان ينظر الى موقع البلاء والفعل الذي يقتضي الرضا ويدرك موقعه ويحسَ بألمه، ولكن يكون راضياً به بل راغباً فيه مريداً له بعقله وان كان كارهاً له بطبعه طلباً لثواب الله تعالى والفوز بالجنة التي عرضها السماوات والأرض وقد أعدّت للمتقين، وهذا القسم من الرضا هو رضاء المتقين، ومثاله مثال من يلتمس الفصد والحجامة من الطّبيب العالم بتفاصيل امراضه وما فيه صلاحه فانّه يدرك ألم ذلك الفعل الا انّه راض به وراغب فيه ومتقلّد من الفصاد منّة عظيمة، ومثله من يسافر في طلب الربح فانّه يدرك مشقة السفر ولكن حبه لثمرة سفره طيّب عنده مشقة السفر وجعله راضياً به، ومهما اصابه بليّة من الله تعالى وكان له يقين بأنَ ثوابه الذي ادخر له فوق مافاته رضي به ورغب فيه وأحبّه وشكر الله عليه.

الثانية ان يدرك الألم كذلك ولكنه احب لكونه مراد محبوبه ورضاه، فان غلب عليه الحب كان جميع مراده وهواه مافيه رضاء محبوبه، الثالثة ان يبطل احساسه بالألم حتى يجري عليه المؤلم ولايحس ويصيبه جراحة ولايدرك ألمه، مثاله الرّجل المحارب فانّه في حال غضبه او حال

خوفه قد يصيبه جراحة وهو لايحس بها حتى اذا رأى الدّم استدلّ به على الجراحة، وذلك لأنّ القلب اذا صار مستغرقاً بأمر من الأمور لم يدرك ماعداه، والعشق من أعظم المشاغل، وكما يقوي حب الصور الجميلة الظاهرة المدركة بحاسة البصر كذلك يقوي حب الصور الجميلة الباطنة المدركة بنور البصيرة الربوبيّة وجلالها لايقاس بها جلال، فمن انكشف له شيء منه فقد بهره بحيث يدهش ويغشى عليه فلا يحسّ بما يجري عليه.

كما روي انّ امرأة عثرت فانقطع ظفرها فضحكت، فقيل لها اما تجدين الوجع فقالت انّ لذّة ثوابه أزالت عن قلبي مرارة وجعه، وكان بعضهم يعالج غيره من علّة فنزلت به فلم يعالج نفسه، فقيل له في ذلك فقال ضرب الحبيب لايوجع.

ولمّا اشتدّ البلاء على ايوب عليه السلام، قالت امرأته الا تدعو ربّك فيكشف مابك؟ فقال لها ياامرأة انّي عشت في الملك والرّخاء سبعين سنة وانا اريد ان اعيش مثلها في البلاء لعلي كنت اديت شكرها ماأنعم الله عليّ، واولى بالصبر على ماأبلى، وروي انّ يونس عليه السلام قال لجبرئيل دلّني على أعبد أهل الأرض، فدلّه على رجل قطع الجذام يديه ورجليه وذهب ببصره وسمعه وهو يقول الهي متّعتني بها ماشئت وسلبتني ماشئت، وأيقنت لي فيك الأمل يابرّ ياوصول.

وروي انّ موسى عليه السلام مرّ برجل أعمى أبرص مقعد مضروب الجنبين بالفالج قد تناثر لحمه من الجذام، وهو يقول الحمد لله الذي عافاني ممّا ابتلى به كثيراً من خلقه، فقال له عيسى عليه السلام ياهذا واي شيء من البلاء أراه مصروفاً عنك، فقال ياروح الله انا خير ممّن لم يجعل الله في قلبه من معرفته، فقال له صدقت هات يدك فناوله يده، فاذا هو احسن الناس وجهاً وأفضلهم هيئة قد أذهب الله عنه ماكان، به فصحب عيسى عليه السلام وتعبّد معه.

قال بعضهم قصدت عبادان في بدايتي فاذا انا برجل اعمى مجذوم قد صرع، والنمل تأكل لحمه ووضعته في حجري، وأنا أردّد الكلام، فلمّا أفاق قال من هذا الفضولي الذي يدخا بيني وبين ربي، فو حقّه لو قطعني ارباً ارباً ماأزددت له الا حباً.

وروي عن بعضهم وكان قاسى المرض ستين سنة، فلمّا اشتّد حاله دخل عليه بنوه، فقالوا له اتريد ان تموت حتى تستريح مما انت فيه، قال لا، قالوا فماتريد؟ قال مالي ارادة انّما أنا عبد وللسيد الأرادة في عبده والحكم في أمره، وقيل اشتدّ المرض بفتح الموصلي وأصابه مع مرضه الفقر والجهد، فقال الهي وسيدي ابتليتني بالمرض والفقر فهذه فعالكم بالأنبياء والرسل فكيف لي ان اؤديَ شكر ماأنعمت بع عليّ، وقيل لرابعة العدوية متى يكون العبد راضياً عن الله تعالى؟ فقالت

اذا كان سروره بالمصيبة كسروره بالنعمة، وقيل لها يوماً كيف شوقك الى الجنة؟ فقالت الجار ثم الدار.

الأمر السادس في البكاءكاعلم ان البكاء بمجرّده غير مناف للصبر ولاللرضا بالقضاء وانّما هو طبيعة بشرية وجبلة انسانية، فلاحرج في ابرازها مالم تشتمل على احوال تؤذن بالسخط وتذهب بالأجر:من شق الثوب ولطم الوجه وضرب الفخذ وغيرها واوّل من بكى آدم عليه السلام على ولده هابيل ورثاه بأبيات مشهورة قد تقدّمت وان خفي شيء فلا يخفى حال يعقوب عليه السلام فانّه بكى حتّى ابيضّت عيناه.

وعن مولانا الصادق عليه السلام قال انّ زين العابدين عليه السلام بكى على ابيه اربعين سنة صلئماً نهاره وقائماً ليله، فاذا حضر الأفطار جاء غلامه بطعامه وشرابه فيضعه بين يديه، فيقول كل يامولاي، فيقول قتل ابن رسول الله جائعاً، قتل ابن رسول الله عطشاناً، فلايزال يكرر ذلك حتى يبل طعامه من دموعه، فلم يزل كذلك حتى لحق بالله عزّ وجلّ.

وروي عن بعض مواليه انّه قال برز يوماً الى الصحراء فتبعته، فوجدته قد سجد على احجار خشنة، فوقفت وانا اسمع شهيقه وبكاه وأحصيت عليه ألف مرة وهو يقولكلااله الا الله حقاً حقا، لااله الا الله تعبّداً ورقا، لااله الا الله ايماناً وصدقا، ثم رفع رأسه من سجوده وانّ(فاذا خ) لحيته ووجهه قد غمرا بالماء من دموع عينيه، فقلت ياسيدي أما آن لحزنك ان ينقضي، لبكائك ان يقل؟ فقال لي ويحك انّ يعقوب بن اسحق بن ابراهيم كان نبيّاً ابن نبي وله اثنى عشر ولداً فغيّب الله واحداً منهم فشاب رأسه من الحزن واحدودب ظهره من الغم وذهب بصره من البكاء وابنه حي في دار الدنيا وأنا رأيت ابي واخي وسبعة عشر من اهل بيتي صرعى مقتولين فكيف ينقضي حزني ويقل بكائي.

وعن جابر بن عند الله رضي الله عنه قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيد عبد الرحمن بن عوف فأتى ابراهيم وهو يجود بنفسه، فوضعه في حجره فقال له يابني انّي لاأملك لك من الله شيئا، وذرفت عيناه، فقال له عبد الرحمن يارسول الله تبكي أما أنت نهيتنا عن البكاء؟ فقال انّما نهيت عن النوح وعن صوتين أحمقين فاجرين:صوت عند نغمة لعب ولهو ومزامير شيطان، وصوت عند مصيبة خمش وجوه، وشق جيوب وزنه شيطان انّما هذه رحمة، ومن لايرحم لايرحم، لولا انّه أمر حق ووعد صدق وسبيل نائبة(ثابتة خ) وانّ آخرنا سيلحق أوّلنا لحزنّا حزناً أشدّ من هذا، وانّا بك لمحزونون تبكي العين وتدمع القلب ولانقول مايسخط الرب عز وجل.

وعن ابي امامة قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين توفى ابنه وعيناه تدمعان فقال يانبي الله على هذا السخل، والذي بعثك بالحق نبياً لقد دفنت اثنى عشر ولداً في الجاهلية كلهم أشبَ منه أدسَه في التراب[١] فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم فماذا ان كانت الرحمة ذهبت منك، يحزن القلب وتدمع العين ولانقول مايسخط الرب، وأنا على ابراهيم لمحزون، وقال صلى الله عليه وآله وسلم يوم مات ابراهيم ماكان من حزن في القلب او في العين فانها هو رحمة، وماكان من حزن باللسان واليد فهو من الشيطان.

وروي انه صلى الله عليه وآله وسلم لما مات عثمان بن مظعون كشف الثوب عن وجهه، ثم قبله بين عينيه ثو بكى طويلاً، فلما رفع السرير قال طوباك ياعثمان لم تلبسك الدنيا ولم تلبسها؟ ولما أصيب جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أسماء رضى الله عنها، فقال لها اخرجي لي ولد جعفر فخرجوا اليه فضمهم اليه وشمهم ودمعت عيناه فقالت يارسول الله اصيب جعفر؟ قال نعم أصيب الندم.

قال عبد الله بن جعفر أحفظ حين دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على امي فنعى لها ابي ونظرت اليه وهو يمسح على رأسي ورأس أخي وعيناه تهرقان الدموع حتى تقطر على لحيته، ثم قال اللهم ان جعفر قد قدم الى احسن الثواب فاخلفه في ذريته بأحسن ماخلفت احداً من عبادك في ذريته، ثم قال ياأسما الا أبشرك قالت بلى بأبي وامي، فقال انَ الله عز وجل جعل لجعفر جناحين يطير بهما في الجنة .

وعن ابي عبد الله عليه السلام عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما جائته وفات جعفر بن ابي طالب وزيد بن حارثة كان اذا دخل بيته بكى عليهما جدا وقال كان يحدثاني ويؤنساني فجاء الموت فذهب بهما، وعن خالد بن سلمة قال لما جاء نعي زيد بن حارثة أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم منزل زيد فخرجت اليه بنية زيد، فلما رأت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خمشت في وجهه، فبكى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال هاه هاه، فقيل يارسول الله ماهذا؟ فقال شوق الحبيب الى حبيبه.

ولما انصرف النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أحد راجعاً الى المدينة لقيته حمنة بنت حجش، فنعى لها الناس اخاها فاسترجعت واستغفرت له، ثم نعى لها خالها حمزة فاسترجعت واستغفرت له، ثم نعى لها زوجها مصعب بن عمير فصاحت وولولت، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان زوج المرأة منها لبمكان لما رأى صبرها على (عن) اخيها وخالها وصياحها

---

(١) دس الشيء وفيه ادخله فيه واخفاه.

على زوجها ثم مرّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على دور من دور الأنصار من بني عبد الأشهل فسمع البكاء والنوائح على قتلاهم فذرفت عيناه وبكى، ثم قال لكن حمزة لابواكي له، فلمّا رجع سعد بن معاذ واسيد بن خضير الى دار بني عبد الأشهل أمر نساءهم ان يذهبن فيبكين على عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بكاءهن على حمزة خرج اليهن وهنَ على باب مسجده يبكين، فقال لهنَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ارجعن يرحمكن الله فقد آسيتن بأنفسكن.

وروى الشيخ باسناده الى الصادق عليه السلام انَ ابراهيم خليل الرحمن سأل ربه ان يرزقه الله ابنة تبكيه بعد موته، وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليس منا من صرب الخدود وشق الجيوب، وعن ابي امامة انّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعن الخامشة وجهها والشاّقة جيبها والداّعية بالويل والثّبور، وعن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال كبر مقتا عند الله الأكل من غير جوع، والنوم من غير سهر، والضحك من غير عجب، والرَنة عند المصيبة، والمزمار عند النغمة، وعن الباقر عليه السلام أشدَ الجزع الصّراخ بالويل والعويل ولطم الوجه والصدرور وجز الشعر، ومن اقام النوائح فقد ترك الصبر ومن صبر واسترجع وحمد الله جل ذكره فقد رضي بما صنع الله تعالى ووقع أجره على الله عز وجل ومن لم يفعل ذلك جرى عليه القضاء وهو ذميم واحبط الله عزّ وجلّ اجره.

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اربع من كن فيه كان في نور الله الأعظم:من كان عصمة أمره شهادة ان لااله الا الله وانَي رسول الله، ومن اذا اصابته مصيبة قال انا لله وانا اليه راجعون، ومن اذا اصاب خيراً قال الحمد لله، ومن اذا اصاب خطيئة قال استغفر الله واتوب اليه.

وقال الباقر عليه السلام مامن مؤمن يصاب بمصيبة في الدنيا فيسترجع عند المصيبة ويصبر حين تفجأه المصيبة الا غفر الله له مامضى من ذنوبه الا الكبائر التي اوجب الله تعالى عليها النار، وكلما ذكر مصيبة فيما يستقبل من عمره فاسترجع عندها وحمد الله عز وجل الا غفر الله له كل ذنب اكتسبه فيما فيما بين الأسترجاعين الا الكبائر من الذنوب رواهما الصدوق، واسند الكليني الثاني الى معروف بن خرّبوذ عن الصادق عليه السلام ولم يستثن من الكبائر.

وروى الترمذي باسناده الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال اذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته أقبضتم ولد عبدي؟ فيقولون نعم، فيقول قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون نعم فيقول ماذا قال عبدي؟ فيقولون حمدك واسترجع، فيقول الله تعالى ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد ونحوه رواه الكليني عن الصادق عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ويجوز النوح بالكلام الحسن وتعداد الفضائل مع اعتماد الصدق، لأنَّ فاطمة عليهما السلام فعلته في قولها ياأبتاه من ربّه ماأدناه، ياأبتاه الى جبرئيل انعاه، ياابتاه أجاب ربه لما دعاه.

وروي انها قبضت قبضة من تراب قبره صلى الله عليه وآله وسلم فوضعتها على عينيها وأنشدت:

ماذا علي من شم تربة احمد	الاّ يشم مدى الزمان غواليا
صبّت عليَ مصائب لو انها	صبّت على الأيام صرن لياليا

وروى ابن بابويه انَّ الباقر عليه السلام أوصى ان يندب في المواسم عشر سنين، وروى يونس بن يعقوب عن الصادق عليه السلام قال قال لي ابي ياجعفر فرق من مالي كذا وكذا على نوادب يندبني عشر سنين بمنى ايّام مني، قال الأصحاب والمراد بذلك تنبيه الناس على فضائله واظهارها ليقتدى بها وتعلم ماكان عليه اهل هذا البيت عليهم السلام لتبقى آثارهم لزوال التقية بعد الموت، وعن ابي سعيد الخدري قال لعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم النائحة والمستمعة.

الأمر السابع في التعزية وماشابهها:روي ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من عزّى مصاباً فله مثل اجره من غير ان ينقص من اجره شيئا، ومن كفّن مسلماً كساه الله من سندس واستبرق وحرير، ومن حفر قبراً لمسلم بنى الله عز وجل له بيتاً في الجنة ومن أنظر معسراً أظله الله في ظله يوم لاظل الا ظله، وسأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن التّصافح في التعزية، فقال هو سكن للمؤمن ومن عزّى مصاباً فله مثل اجره، وعن ابي برزة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من عزى ثكلى كسي برداً في الجنة.

وروي ان داود عليه السلام قال الهي ماجزاء من يعزي الحزين والمصاب ابتغاء مرضاتك؟ قال جزاؤه ان اكسوه رداء من ارديه الأيمان أستره به من النار وأدخله به الجنة، قال ياالهي فما جزاء من شيّع الجنائو ابتغاء مرضاتك؟ قال جزاؤه ان يشيّعه الملائكة يوم يموت الى قبره، وان أصلّي على روحه في الأرواح، وقال موسى عليه السلام الهي ما لمعزّي الثكلى من الأجر قال اظلّه تحت ظلي يوم لاظل الا ظلي.

واما كيفيتها فقد تقدم خبر المصافحة فيها، واما مايقال فيها فما يتفق من بعض الكلمات، ويروى من الأخبار المؤدية الى السلوة، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا عزّى قال آجركم ورحمكم، واذا هنّا قال بارك الله لكم وبارك عليكم، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم انه قال في مرض موته ايها الناس ايما عبد من امتي اصيب بمصيبة من بعدي فليتعزّ بمصيبة بي عن

المصيبة التي تصيبه بغيري، فانّ احداً من امتي لن يصاب بمصيبة بعدي اشدّ عليه من مصيبتي، وروى انّه كان في بني اسرائيل رجل فقيه عالم مجتهد وكانت له امرأة وكان بها معجباً، فماتت فوجد عليها وجداً شديداً حتى خلى في بيت وأغلق على نفسه واحتجب عن الناس، فلم يكن يدخل عليه احد، ثمّ انّ امرأة من بني اسرائيل سمعت به فجائته، فقالت لي اليه حاجة استفتيه فيها ليس يجزيني الاّ ان أشافهه بها، فذهب الناس ولزمت الباب فأخبر، فاذن لها فقالت استفتيك في أمر فيه أفأردّه اليهم؟ قال نعم والله قالت انه قد مكث عندي زماناً طويلاً قال ذلك احق لردك اياه، قالت رحمك الله افتأسف على ما أعارك الله عز وجل ثم أخذه منك وهو احق به منك فأبصر ماكان فيه ونفعه الله بقولها.

وعن ابي الدرداء قال كان لسليمان بن داود عليه السلام ابن يحبه حباً شديدا، فمات فحزن عليه حزناً شديداً، فبعث الله اليه ملكين في هيئة البشر، فقال ما انتما قالا خصمان، قال اجلسا بمنزلة الخصوم فقال احدهما اني زرعت زرعاً فأتى هذا فأفسده فقال سليمان ما تقول ياهذا؟ قال اصلحك الله انه زرع في الطريق واني مررت به فنظرت يميناً وشمالا فاذا الزرع، فركبت قارعة الطريق فكان في ذلك فساد زرعه، فقال سليمان عليه السلام ماحملك على ان تزرع في الطريق اما علمت ان الطريق سبيل الناس؟ ولابد للناس ان يسلكوا سبيلهم، فقال له احد الملكين او ماعلمت ياسليمان ان الموت سبيل الناس ولابد للناس ان يسلكوا سبيلهم، قال فكأنما كشف عن سليمان عليه السلام الغطاء ولم يجزع على ولد بعد ذلك، ورواه ابن ابي الدنيا.

وروى ايضاً ان قاضياً كان في بني اسرائيل مات له ابن فجزع عليه وصاح، فلقيه رجلان، فقالا له اقض بيننا، فقال من هذا فررت، فقال احدهما ان هذا مر بغنمه على زرعي فأفسده فقال الآخر ان هذا زرع بين الجبل والنهر ولم يكن لي طريق غيرهفقال له القاضي انت حين زرعت بين الجبل والنهر الم تعلم أنه طريق الناس؟ فقال له الرجل فانت حين ولد لك الم تعلم انه يموت فارجع الى قضائك؟ ثم عرجا وكانا ملكين.

وروي انه كان بمكة مقعدان لهما ابن شاب فكان اذا نفلهما فاتى بهما المسجد فكان يكتسب عليهما يوماً، فاذا كان المساء احتملهما فأقبل بهما، فأفتقدهما النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسأل عنهما، فقيل مات ابنهما، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو ترك احد ترك ابن المقعدين رواه الطبراني، وروي عن بعض العابدات انها قالت مااصابني من مصيبة فاذكر معها النار الا صارت في عيني اصغر من التراب.

وروى عبد الرحمن بن الحجاج قال ذكر عند ابي عبد الله عليه السلام البلاء وما يختص الله عز وجل به المؤمن، فقال سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من اشد الناس بلاء في

الدنيا؟ فقال النبيون، ثم الأمثل فالأمثل ويبتلى المؤمن بعد على قدر ايمانه وحسن اعماله فمن صح ايمانه وحسن عمله اشتد بلاؤه، ومن سخف ايمانه وضعف عمله قل بلاؤه، وعن ابي بصير عن ابي عبد الله عليه السلام قال ان لله عز وجل عباداً في الأرض من خالص عباده ماينزل من السماء تحف الى الأرض الا صرفها عنهم الى غيرهم، ولابلية الا صرفها اليهم وعن ابي جعفر الباقر عليه السلام قال ان الله تبارك وتعالى اذا احب عبداً غته بالبلاء غتاً وثجه(بجه) بالبلاء ثجاً(بجا) فاذا دعاه قال لبيك عبدي لئن عجلت لك ماسألت اني على ذلك لقادر ولكن ادخرت لك فما ادخرت لك خير لك.

وعن حمران عن ابي جعفر عليه السلام قال ان الله عز وجل ليتعاهد المؤمن بالبلاء كما يتعاهد الرجل اهله بالهدية من الغيبة، ويحميه من الدنيا كما يحمي الطبيب المريض، وعن ابي عبد الله عليه السلام قال دعي النبي صلى الله عليه وآله وسلم الى طعام فلما دخل منزل الرجل نظر الى دجاجة فوق حائط قد باضت فوقعت البيضة على وتد في الحائط فثبتت عليه ولم تسقط ولم تنكسر فتعجب النبي صلى الله عليه وآله وسلم منها فقال له الرجل اعجبت من هذه البيضة فو الذي بعثك بالحق ما رزيت قط، فنهض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يأكل من طعامه شيئاً، وقال من لم يرز فما لله فيه من حاجة.

وروينا بالأسناد الى اسحق بن عمار قال ان اباعبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام كتب الى عبد الله بن الحسن[١] حين حمل هو واهل بيته يعزيه على ماصار بسم الله الرحمن الرحيم الى الخلف الصالح والذرية الطيبة من ولد اخيه وابن عمه، اما بعد فلأن كنت قد تفرت انت واهل بيتك ممن حمل معك بما اصابكم ماانفردت بالحزن والغيظ والكآبة واليم وجع القلب دوني، وقد نالني من ذلك من الجزع والقلق ومن المصيبة مثل مانالك، ولأن رجعت الى الله عز وجل به للمتقين من الصبر وحسن العزاء حين يقول لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم {فاصبر لحكم ربك فانك باعيننا} وحين يقول{فاصبر ولاتكن كصاحب الحوت} وحين يقول لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم حين مثل بحمزة{وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين} فصبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يعاقب وحين يقول{وامر اهلك بالصلاة واصطبر عليها لانسئلك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى، وحين يقول {الذين اذا

---

(١) هو عبد الله الملقب بالمض ابن الحسن المثنى بن الأمام الحسن المجتبى (ع) وانما سمي المحض لأن اباه الحسن بن الأمام الحسن(ع) وامه فاطمة بنت الحسين وكان شيخ بني هاشم في زمانه ذكره الشيخ (ره) في رجاله من اصحاب الصادق(ع) وقال هاشمي مدني تابعي(١هـ) قتل رضوان الله عليه في مجلس المنصور الدوانيقي بالهاشمية سنة(١٤٥)هـ وهو ابن(٧٥) انظر مقاتل الطالبيين لأبي الفرج ص ١٨٤ ط مصر.

اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون} وحين يقول{ انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب} وحين يقول لقمان لأبنه{وأصبر على ماأصابك ان ذلك لمن عزم الأمور} وحين يقول عن موسى{قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين} وحين يقول{الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر}وحين يقول{ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين}وحين يقول{والصابرين والصابرات} وحين يقول{واصبروا حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين} وأمثال ذلك من القرآن كثير.

واعلم أي عم ان الله جل وعز لم يبال بضر الدنيا لوليه ساعة قط ولاشيء أحب اليه من الضرروالجهد واللأواء[١] مع الصبر وانه تبارك وتعالى لم يبال بنعيم الدنيا لعدوه ساعة قط، ولولا ذلك ماكان اعداؤه يقتلون اولياء الله ويخيفونهم(يخيفوخ) ويمنعونهم واعدؤه آمنون مطمئنون عالون ظاهرون ولولا ذلك ماقتل زكريا ويحيى بن زكريا ظلماً وعدواناً في بغي من البغايا، ولولا ذلك ماقتل جدك علي بن ابي طالب عليع السلام لما قام بأمر الله جل وعز ظلما وعمك الحسين بن فاطمة صلى الله عليهما ظلماً واضطهاداً وعدواناً، ولولا ذلك ماقال الله عز وجل في كتابه{ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون}ولولا ذلك لما قال في كتابه{ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لايشعرون}.

ولولا ذلك لما جاء في الحديث: لولا ان يحزن المؤمن لجعلت للكافر عصابة من حديد فلا يصدع رأسه ابداً ولولا ذلك لما جاء في الحديث:ان الدنيا لاتساوي عند الله عز وجل جناح بعوضة ولولا ذلك ماسقي كافر منها شربة ماء ولولا ذلك لما جاء في الحديث:لو ان مؤمناً على قلة جبل لبعث الله له كافراً او منافقاً يؤذيه ولولا ذلك لما جاء في الحديث:انه اذا احب الله قوماً او احب عبداً صب عليه البلاء صباً فلا يخرج من غم الا وقع في غم ولولا ذلك لما جاء في الحديث:مامن جرعتين احب الى الله عز وجل ان يجرعها عبده المؤمن في الدنيا من جرعة غيظ كظم عليها وجرعة حزن عند مصيبة صبر عليها بحسن عزاء واحتساب، ولولا ذلك لما كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يدعون على من ظلمهم بطول العمر وصحة البدن وكثرة المال والولد، ولولا ذلك مابلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا خص رجلاً بالترحم

---

(١)للأواء الشدة والمحنة.

والأستغفار استشهد فعليكم ياعم وابن عم وبني عمومتي واخوتي بالصبر والرضا والتسليم والتفويض الى الله عز وجل والرضا والصبر على قضائه، والتمسك بطاعته والنزول عند امره افرغ الله علينا وعليكم الصبر وختم لنا ولكم بالسعادة وابعدكم وايانا من كل هلكة بحوله وقوته انه سميع قريب وصلى الله على صفوته من خلقه محمد النبي واهل بيته، هذا آخر التعزية بلفظها كما في كتاب التتمات والمهمات، وحيث انتهى بنا الحال الى هنا فلا بأس بالإشارة الى الداهية العظمى والمصيبة الكبرى وهي واقعة الطفوف فان المصائب وان جلّت فهي بالنسبة اليها حقيرة.

نور في بعض احوال واقعة الطفوف وشهادة مولانا ابي عبد الله الحسين(ع)

اعلم ايدك الله ان البلاء انما كتب على المؤمن وان الدنيا ليست بدار ثواب ولابدار عقاب لم يرض سبحانه بأن يجعل ثواب المؤمن فيها ولاعقاب الكافر فيها وذلك لقلة ايامها ونقصان الأعمار فيها ومن ثم بعث الدواهي والمصائب فيها الى احبابه واقاربه ولامصيبة مثل مصيبة مولانا الحسين عليه السلام فانها هدت اركان الدين وصدعت قواعد الشرع المبين وابكت الأجفان واقرحت القلوب ولعمري انها المصيبة التي يتسلّى بها المؤمن عن كل مصاب والداهية المنسية له مفارقة الخلان والأحباب، واعلم اولاً ان جماعة من مخالفينا(اورد واهنا شبهه ظ) بل وربما قاله بعض الجهّال منا وهو ان الحسين عليه السلام كان عالماً بأن يجري عليه ماجرى قبل مسيره الى العراق فلم سار اليها حتى صار كالمعين على نفسه؟ وهذه شبهة ركيكة والجواب عنها من وجوه:

الأول ان الأمام اذا وجد الأعوان وجب عليه القيام بأمر الجهاد ولايجوز له التقاعد عنه لظنه بهم الخذلان له كما لم يجز للأنبياء عليهم السلام ترك الجهاد لهذه المظنة بل قاموا بالدعوة حتى اصيبوا من الأمة بالمصائب العظام، كما وقع لأولي العزم وغيرهم استتماماً لحجة الله تعالى على الخلائق، ومن ثم اسدى اليهم مولانا الحسين عليه السلام كمال الحجة في اثناء المحاربة والعلم الواقعي الذي ظهر لهم وخفي على غيرهم مما لايجوز العمل عليه في الأحكام الظاهرة، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحكم بين المتداعين بظاهر الشريعة ويجعل الحق لمن توجه له الحكم في الظاهر وان كان يعلم ان الحق للخصم الآخر في الواقع ونفس الأمر، وكان يقول انكم تأتوني وأحدكم يعرب حجته ويفصح عنها فأخذ له الحق نظرا الى ظاهر الشريعة ولكنّي انما اقطع له جذوة من نار جهنم.

الوجه الثاني انه عليه السلام لو لم يسر الى العراق لما تركوه ولو ذهب الى المكان البعيد، كما روي ان اخاه محمد بن الحنفية لحقه الى عرفات واشار عليه بان يلحق الرمال من اليمين حتى ينظر بواطن اهل العراق، فقال له ياأخي نعم مارأيت من الصلاح ولكن هؤلاء القوم مايسكتون

عن طلبي اينما ذهبت حتى يسفكوا دمي، فعند ذلك يلبسهم الله ذل الدنيا والآخرة وما خرج من مكة الا خائفاً من القتل[1].

الثالث ان الأنبياء والأئمة عليهم السلام قد خصهم الله تعالى بانواع من التكاليف فلعل هذا وهو الا لقاء الى التهلكة منها نظراً الى الحكم المصالح الألهية، ومن ثم روي انه لو لم يقم عليه السلام بالجهاد الذي قام به لما استتم حجة الشيعة وذلك ان المخالفين لنا يقولون ان سكون علي عليه السلام عن المتخلفين دليل على رضاه عنهم والا فما يمنعه عن الجهاد وهو اشجع الشجعان؟ فنقول لهم ان الذي منعه هو الخوف على نفسه الا تروا الى مولانا الحسين عليه السلام لما قام يطلب حقه كيف جرى عليه من المصائب والبلوى فان قلت كيف لم يبايع عليه السلام ليزيد حتى لايصل اليه ذلك الضرر، قلت هذا مجرد كلام والمؤمن لايلدغ من جحر مرتين وذلك انه عليه السلام رأى اخاه الحسن عليه السلام لما سالم معاوية كيف فعل به اولاً وكيف غدر به آخراً حتى قتله مسموماً فما كان يصنع ابنه يزيد مع الحسين عليه السلام الا اسوأ من هذا، لأن معاوية كان فيه الدهاء وماكان يتجرأ على قتل الحسين عليه السلام ظاهراً ولهذا اوصى عند موته ليزيد انك تظفر بالحسين فلا تقتله واذكر فيه القرابة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واما السير والتواريخ الواردة بكيفية شهادته عليه السلام فهي على تكثرها لم تستوف المصائب التي جرت عليه وعلى اهل بيته من بعده واصحابه الذين قتلوا معه ولنشر الى طرف منها فانا قد استوفيناها في المجلد الثاني من كتابنا الموسوم بنوادر الأخبار روى الصدوق طاب ثراه مسنداً الى الرضا عليه السلام قال كان ابي صلوات الله عليه وآله اذا دخل شهر المحرم لايرى ضاحكاً وكانت الكآبة تغلبه حتى تمضي منه عشرة ايام فاذا كان يوم العاشر كان ذلك اليوم يوم مصيبته وحزنه وبكائه، وكان يقول هذا اليوم الذي قتل فيه الحسين عليه السلام.

اقول يظهر من هذا الخبر ومما روي بمعناه ان مايفعله عوامنا في عشرة ايام المحرم من اجتناب اكثر الملاذ والتشبّه بأهل المصيبة في المأكل والملبس ودخول الحمام وترك حلق الرأس وغير ذلك ليس هو بدعة بل هو ثواب جزيل واشتراك لأهل البيت عليهم السلام في مصابهم وروينا بالأسناد الى ابن محمود قال الرضا عليه السلام ان المحرم شهر كان اهل الجاهلية يحرمون فيه القتال

---

(١) وقد امر يزيد لعنه الله بقبضه (ع) او قتله فانه انفذ عمر بن سعيد بن العاص من المدينة الى مكة في عسكر عظيم وولاة امر الموسم وامره على الحاج كلهم فحج بالناس واوصاه بقبض الحسين (ع) سراً وان لم يتمكن منه يقتله وامره ان يناجز الحسين(ع) القتال ان هو ناجزه فلما كان يوم التروية قدم عمر بن سعيد الى مكة في جند كثيف ثم ان يزيد دس مع الحاج في تلك السنة ثلاثين رجلاً من شياطين بني امية وامرهم بقبض الحسين(ع) على أي حال اتفق فلما علم الحسين(ع) عزم على التوجه الى العراق .

فاستحلت فيه دماؤنا وهتكت فيه حرمتنا وسبي فيه ذرارينا ونساؤنا واضرمت النيران في مضاربنا وانتهب مافيه من ثقلنا ولم يرعوا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حرمة في امرنا ان امر الحسين عليه السلام اسهر جفوننا واسبل دموعنا واذل عزيزنا ياأرض كرب وبلاء اورثتنا الكرب والبلاء الى يوم الأنقضاء فعلى مثل الحسين فليبك الباكون فان البكاء عليه يحط الذنوب العظام وروينا ان الريان بن شبيب قال دخلت على الرضا عليه السلام في اول يوم من المحرم فقال لي ياابن شبيب أصائم انت فقلت لا فقال هذا هو اليوم الذي دعا فيه زكريا عليه السلام ربه عز وجل فقال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء، فاستجاب الله له وامر الملائكة فنادت زكريا وهو قائم يصلي في المحراب ان الله يبشرك بيحيى فمن صام هذا اليوم ثم دعى الله عز وجل استجاب له كما استجاب لزكريا عليه السلام ثم قال ياابن شبيب ان المحرم هو الشهر الذي كان اهل الجاهلية فيما مضى يحرمون فيه الظلم والقتال لحرمته فما عرفت هذه الأمة حرمة شهرها ولاحرمة نبيها لقد قتلوا في هذا الشهر ذريّته وسبوا نساءه وانتهبوا ثقله فلا غفر الله ذلك لهم ابداً ياابن شبيب ان كنت باكياً لشيء فابك للحسين بن علي بن ابي طالب عليه السلام فانه ذبح كما يذبح الكبش وقتل معه من اهل بيته ثمانية عشر رجلاً مالهم في الأرض شبيه ولقد بكت الماوات السبع والأرضون لقتله لقد نزل الى الأرض من الملائكة اربع الآف لنصره فوجدوه قد قتل فهم عند قبره شعث غبر الى ان يقوم القائم فيكونون(فهم يكونون خ) من انصاره وشيعته وشعارهم يالثارات الحسين عليه السلام.

ياابن شبيب لقد حدثني ابي عن ابيه عن جده انه لما قتل جدي الحسين عليه السلام امطرت السماوات دماً وتراباً احمر ياابن شبيب ان بكيت على الحسين حتى تصير دموعك على خديك غفر الله لك كل ذنب اذنبته صغيراً كان او كبيرا قليلاً كان او كثيرا ياابن شبيب ان سرك ان تلقى الله عز وجل ولاذنب عليك فزر الحسين عليه السلام، ياابن شبيب ان سرك ان يكون لك من الثواب مالمن استشهد مع الحسين عليه السلام فقل متى ذكرته ياليتني كنت معهم فافوز فوزاً عظيماً ياابن شبيب ان سرك ان تكون معنا في الدرجات العلى في الجنات فاحزن لحزننا وافرح لفرحنا وعليك بولايتنا فلو ان رجلاً تولى حجراً لحشره الله يوم القيامة معه وروينا مسنداً عن اشياخ لبني سليم قالوا غزونا بلاد الروم فدخلنا كنيسة من كنائسهم فوجدنا فيها مكتوبا:

ايرجوا معشراً قتلوا حــــسينا   شفـــاعة جده يوم الحساب

فقال فسألنا كم هذا في كنيستكم؟ فقالوا قيل ان يبعث نبيكم بثلاثمائة عام وروينا مسنداً الى هرثمة بن ابي مسلم قال غزونا مع علي بن ابي طالب عليه السلام صفين فلما انصرفنا نزل بكربلاء فصلى بها الغداة ثم رفع اليه من تربتها فشمها ثم قال واهاً لك ايتها التربة ليحشرن منك

قوم يدخلون الجنة بغير حساب فرجع هرثمة الى زوجته وكانت شيعية لعلي عليه السلام فقال الا احدثك عن وليك ابا الحسن نزل بكربلاء فصلى ثم رفع اليه من تربتها فشمها، ثم قال واها لك ايتها التربة ليحشرن منك اقوام يدخلون الجنة بغير حساب، قالت المرأة ايّها الرجل فان امير المؤمنين عليه السلام لم يقل الا حقاً، فلما قدم الحسين عليه السلام قال هرثمة كنت في البعث الذي بعثهم عبيد الله بن زياد، فلما رأيت المنزل والشجر ذكرت الحديث فجلست على بعيري ثم صرت الى الحسين عليه السلام فسلمت عليه فأخبرته بما سمعت من ابيه في ذلك المنزل الذي نزل به الحسين عليه السلام، فقال امعنا انت ام علينا؟ فقلت لامعك ولاعليك خلّفت صبية اخاف عليهم من عبيد الله بن زياد، قال فامض حيث لاترى لنا مقتلاً ولاتسمع لنا صوتاً فو الذي نفس الحسين بيده لايسمع اليوم واعيتنا احد فلا يعيننا الا اكبه الله على وجهه في جهنم، وقال عليه السلام انا قتيل العبرة ولايذكرني مؤمن الا استعبر.

وروينا مسنداً الى مولانا الصادق عليه السلام قال انَ ام سلمة أصبحت يوماً تبكي، فقيل لها مالك؟ فقالت لقد قتلت ابني الحسين وما رأيت رسول الله عليه السلام منذ مات الا الليلة، ولااراني الا وقد اصبت بابني، قال وجاءت الجنيّة منهم تقول:

الا يـــاعين فـــانهملي بجهـــد	فمـن يبكـي علـى الـشهداء بعـدي
علـــى رهـــط تقـــودهم المنايـــا	الى متحيّـــر في ملـــك عبـــدي

وروينا مسنداً الى مولانا الباقر عليه السلام قال كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم في بيت ام سلمة رضي الله عنها فقال لها لايدخل على احد، فجاء الحسين عليه السلام وهو طفل فما ملكت معه شيئاً حتى دخل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فدخلت ام سلمة على اثره، فاذا الحسين على صدره واذا النبي صلى الله عليه وآله وسلم تبكي، واذا في يده شيء يقلبه فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ياام سلمة ان هذا جبرئيل يخبرني ان هذا مقتول وهذه التربة التي يقتل عليها فضعيه عندك فاذا صارت دماً فقد قتل حبيبي، فقالت ام سلمة يارسول الله سل الله ان يدفع ذلك عنه، قال قد فعلت فأوحى الله عز وجل اليّ ان له درجة لاينالها احد من المخلوقين وان له شيعة يشفعون فيشفعون وان المهدي من ولده، فطوبى لمن كان من اولياء الحسين عليه السلام وشيعتهم والله فائزون.

وعن كعب الأحبار قال ان في كتابنا ان رجلاً من ولد محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقتل ولايجف عرق دواب اصحابه حتى يدخلوا الجنة فيعانقوا الحور العين فمر بنا الحسن عليه السلام فقلنا هو هذا قال لا فمر بنا الحسين عليه السلام فقلنا هو هذا قال نعم.

وروينا مسنداً الى الصادق عليه السلام قال البكاؤن خمسة:آدم ويعقوب ويوسف وفاطمة بنت محمد وعلي بن الحسين فاما آدم فبكى على الجنة حتى صار في خديه أمثال الأودية واما يعقوب فبكى على يوسف حتى ذهب بصره واما يوسف فبكى على يعقوب حتى تأذى به اهل السجن فقالوا اما تبكي بالنهار وتسكت بالليل واما تبكي بالليل وتسكت بالنهار فصالحهم على واحد منها واما فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعليها السلام فبكت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى تأذى بها اهل المدينة وقالوا لها قد آذيتينا بكثرة بكاك فكانت تخرج الى مقابر الشهداء فتبكي حتى تقضي حاجتها ثم تنصرف واما علي بن الحسين عليه السلام فبكى على مصائب ابيه الحسين عليه السلام عشرين سنة او اربعين سنة وما وضع بين يديه طعام الا بكى حتى قال له مولى له جعلت فداك ياابن رسول الله اني اخاف عليك ان تكون من الهالكين، قال انما اشكوا بثي وحزني الى الله واعلم من الله مالاتعلمون اني لم اذكر مصرع بني فاطمة الا خنقتني لذلك العبرة.

وروينا مسنداً الى ابي عمار-المنشد عن ابي عبد الله عليه السلام قال قال لي ياابا عمار انشدني في الحسين بن علي عليه السلام قال فانشدته فبكى ثم انشدته فبكى قال فما زلت انشده وهو يبكي حتى سمعت البكاء من الدار، قال فقال لي ياابا عمار من انشد في الحسين بن علي شعراً فابكى خمسين فله الجنة، ومن انشد في الحسين شعراً فأبكى ثلاثين فله الجنة ومن انشد في الحسين فابكى عشرين فله الجنة ومن انشد في الحسين فابكى عشرة فله الجنة ومن انشد في الحسين فابكى واحداً فله الجنة ومن انشد في الحسين فتباكى فله الجنة.

وروينا مسندا الى داود الرقي قال كنت عند ابا عبد الله عليه السلام اذا استسقى الماء فلما شربه رأيته قد استعبر واغر ورقت عيناه بدموعه، ثم قال ياداود لعن الله قاتل الحسين فما انقص ذكر الحسين للعيش، اني ماشربت ماء بارداً الا وذكرت الحسين وما من احد شرب الماء فذكر الحسين عليه السلام ولعن قاتله الا كتب الله له مائة ألف حسنة ومحى عنه مائة ألف سيئة ورفع له مائة ألف درجة، وكأنما اعتق ألف نسمة وحشره الله تعالى يوم القيامة بلج الوجه.

وروينا مسنداً الى ابن ابي نعيم قال شهدت ابن عمر فأتاه رجلاً فسأله عن دم البعوضة قال من انت؟ قال من اهل العراق، قال فانظر الى هذا يسألني عن دم البعوضة وقد قتلوا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول للحسن والحسين انتما ريحانتاي من الدنيا.

وروينا مسنداً الى الصادق عليه السلام في حديث طويل وصف فيه مقتل الحسين عليه السلام قال ثم وثب الحسين عليه السلام بعد مقتل اكثر اصحابه متوكياً على سيفه فنادى بأعلى

صوته قال انشدكم الله هل تعرفوني قالوا نعم انت ابن رسول الله وسبطه قال انشدكم الله هل تعرفون(تعلمون خ) ان علي بن ابي طالب ابي؟ قالوا اللهم نعم قال انشدكم الله هل تعلمون ان فاطمة امي بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم؟ قالوا اللهم نعم قال انشدكم الله هل تعلمون ان جدتي خديجة بنت خويلد اول نساء هذه الأمة اسلاماً؟ قالوا اللهم نعم قال انشدكم ان سيد الشهداء حمزة عمي وعم ابي؟ قالوا نعم اللهم قال انشدكم الله هل تعلمون ان الطيار في الجنة عمي؟ قالوا اللهم نعم قال انشدكم الله ان هذا سيف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وانا متقلده؟ قالوا اللهم نعم قال انشدكم الله هل تعلمون ان هذه عمامة رسول الله وانا متعمم بها؟ قالوا اللهم نعم قال انشدكم الله تعلمون ان علياً كان اولهم اسلاماً واعلمهم علماً واعظمهم حلماً وانه ولي كل مؤمن ومؤمنة؟ قالوا اللهم نعم قال فبم تستحلون دمي وابى الذائد عن الحوض غدا يذودعنه كما يذاد البعير الصار على الماء، ولواء الحمد في يد جدي يوم القيامة قالوا لقد علمنا ذلك كله ونحن غير تاركين حتى تذوق الموت عطشاً فأخذ الحسين عليه السلام بطرف لحيته وهو يومئذ ابن سبعة وخمسين سنة ثم قال اشتد غضب الله على المجوس حين عبدوا النار دون الله، واشتد غضب الله على اليهود حين قالوا عزير ابن الله واشتد غضب الله على النصارى حين قالوا المسيح ابن الله واشتد غضب الله على قوم قتلوا نبيهم واشتد غضب الله على هذه العصابة الذين يريدون قتل ابن نبيهم.

ثم قال ونظر الحسين عليه السلام يميناً وشمالاً فلم ير احدا، فرفع رأسه الى السماء فقال اللهم انك ترى ماصنع بولد نبيك، وحال بنو كلاب بينه وبين الماء ورمى بسهم فوقع في نحره وخرّ على فرسه، فأخذ السهم ورمى به، وجعل يتلقى الدم بكفه فلمّا امتلأت لطخ بها رأسه ولحيته وهو يقول ألقى الله عز وجل وأنا مظلوم متلطخ بدمي ثم خر على خدّه الأيسر صريعاً فأقبل عدو الله سنان بن انس وشمر بن ذي الجوشن العامري في رجال من اهل الشام حتى وقفوا على رأس الحسين عليه السلام، فقال بعضهم لبعض اريحوا الرجل فنزل سنان بن انس لعنه الله وأخذ بلحية الحسين عليه السلام وجعل يضرب السيف في حلقه وهو يقول انّي لأجتزّ رأسك وانا اعلم انّك ابن رسول الله خير الناس اماً وابا.

واقبل فرس الحسين عليه السلام حتى لطخ عرفه(غرّته خ) وناصيته بدم الحسين عليه السلام وجعل يركض ويصهل، فسمع بنات النبي صلى الله عليه وآله وسلم صهيله، فخرجن فاذا الفرس بلا راكب فعرفن انّ حسيناً قد قتل، وخرجت امّ كلثوم بنت الحسين عليه السلام واضعة يدها على رأسها تندب وتقول:وامحمداه هذا الحسين بالعراء قد سلب العمامة والرداء، وأقبل ابن

سنان لعنه الله حتى ادخل رأس الحسين عليه السلام على عبيد الله بن زياد لعنه الله، وهو يترنّم ويقول:

املأ ركابي فضة وذهبا	اني قتلت الملك المحجبا
قتلت خير الناس امّاً وابا	وخيرهم اذ ينسبون نسبا

فقال له عبيد الله بن زياد ويحك فاذا علمت انّه خير الناس اماً واباً لم قتلته اذا فأمر به فضرب عنقه وعجّل الله بروحه الى النار، وارسل ابن زياد لعنه الله الى ام كلثوم بنت الحسين عليه السلام فقال الحمد لله الذي قتل رجالكم فكيف ترون مايفعل بكم؟ فقالت ياابن زياد لئن قرت عينك بقتل الحسين عليه السلام فطال ماقرّت عين جده صلى الله عليه وآله وسلم به وكان يقبله ويلثم شفتيه ويضعه على عاتقه، ياابن زياد أعدّ لجده جوابا فانّه خصمك.

وروينا مسندا الى الباقر عليه السلام أصيب الحسين بن علي عليهما السلام ووجد فيه ثلاثمائة وبضع وعشرون طعنة:برمح او ضربة بسيف او رمية بسهم، وروي انها كانت في مقدمه لأنه عليه السلام لايولي.

وروينا عن فاطمة بنت الحسين عليه السلام قالت دخلت الغارة علينا الفسطاط وانا جارية صغيرة وفي رجلي خلخالان من ذهب، فجعل رجل يفض الخلخالين من رجلي وهو يبكي، فقلنا مايبكيك ياعدو الله؟ فقال كيف لاابكي وانا اسلب بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقلت لاتسلبني، قال اخاف ان يجيء غيري فيأخذه، قالت هي وانتبهوا مافي الأفنية حتى كانوا ينزعون الملاحف عن ظهورنا، وعن فاطمة بنت علي عليها السلام ان يزيد لعنه الله امر بنساء الحسين عليه السلام فحبس مع علي بن الحسين عليهما السلام في محبس لايكنهم من حرَ ولابرد حتى تقشرت وجوههم، ولم يرفع في بيت المقدس حجر على وجه الأرض الا وقد وجد في تحته دم عبيط، ونظر الناس الى الشمس على الحيطان حمراء كانّها الملاحف المصفرة الى ان خرج علي بن الحسين عليه السلام بالنسوة وردّ رأس الحسين عليه السلام الى كربلا [1]

وروينا مسنداً الى الصادق عليه السلام قال لّما ضرب الحسين عليه السلام بالسيف ثم ابتدر ليقطع رأسه نادى مناد من قبل رب العزة تبارك وتعالى من بطنان العرش، فقال ايتها الأمة المتحيرة الظالمة بعد نبيها لاوفقكم الله لاضحى ولافطر، ثم قال ابو عبد الله عليه السلام لاجرم والله ماوفقوا ولايوفقون ابداً حتى يقوم ثائر الحسين عليه السلام، أقول لعل المراد انهم لايوفقون

---

(١) ان كان لفظ: (رد) بصيغة الماضي كما هو الظاهر يدل الخبر على مجيء اهل البيت (ع) الى كربلاء.

لمثوبات هذين اليومين وماأعد الله فيها من الووبة للعاصين والتجاوز عن جرم المجرمين وان حملته على اشتباه الأهلة في زمن دولة بني امية فلا بعد فيه.

ورويناه مسنداً الى الرضا عليه السلام قال قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم تحشر ابنتي فاطمة يوم القيامة ومعها ثياب مصبوغة بالدماء، تتعلق بقائمة من قوائم العرش تقول ياأحكم الحاكمين احكم بيني وبين قاتل ولدي، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويحكم لأبنتي ورب الكعبة.

وبالإسناد الى ابن عباس قال كنت مع امير المؤمنين عليه السلام في خروجه الى صفين فلما نزل نينوى وهو شط الفرات قال بأعلى صوته ياابن عباس اتعرف هذا الموضع؟ قلت له ماأعرفه ياأمير المؤمنين فقال علي عليه السلام لو عرفته كمعرفتي لم تكن تجوزه حتى تبكي كبكائي قال فبكى طويلاً حتى اخضلت لحيته وسالت الدموع على صدره وبكينا معه وهو يقول اوه اوه ولآل ابي سفيان مالي ولال حرب حزب الشيطان وأولياء الكفر؟ صبراً ابا عبد الله فقد لقي ابوك مثل الذي تلقى(تلقاه خ) ثم دعى بماء فتوضأ وضوء الصلاة فصلى ماشاء الله ان يصلي ثم ذكر نحو كلامه الأول الا انه نعس عند انقضاء صلاته وكلامه بساعة ثم انتبه فقال ياابن عباس فقلت هاانا ذا فقال الا احدثك بما رأيت في منامي آنفاً عند رقدتي فقلت نامت عيناك ورأيت خيراً ياامير المؤمنين قال رأيت كأني برجال قد نزلوا معهم اعلام بيض قد تقلدوا بسيوفهم وهي بيض تلمع وقد خطوا حول هذه الأرض خطة ثم رأيت كأن هذه النخيل قد ضربت بأغصانها والأرض تضطرب بدم عبيط، وكأنني بالحسين عليه السلام سخلي وفرخي ومضغتي ومخي قد غرق فيه فيستغيث فلا يغاث وكأن الرجال البيض قد نزلوا من السماء ينادونه ويقولون صبراً آل الرسول فانكم تقتلون على يدي شرار الناس، وهذه الجنة ياابا عبد الله اليك مشتاقة ثم يعزونني ويقولون له ياابا الحسن ابشر فقد اقر الله به عينك يوم يقوم الناس لرب العالمين ثم انتبهت هكذا.

وروي ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان ذات يوم جالساً وحوله علياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فقال لهم كيف بكم اذا كنتم صرعى وقبوركم شتى؟ فقال له الحسين عليه السلام انموت موتا او نقتل قتلاً فقال بل تقتل يابني ظلما ويقتل اخوك ظلماً وتشرد ذراريكم في الأرض، فقال الحسين عليه السلام ومن يقتلنا يارسول الله قال شرار الناس قال فهل يزورنا بعد قتلنا احد قال نعم يابني طائفة من امتي يريدون بزيارتكم بري ووصلتي فاذا كان يوم القيامة جئتها الى المواقف حتى آخذ بأعضادها فأخلصها من أهواله وشدائده.

وروى سالم بن ابي حفصة قال قال عمر بن سعد للحسين عليه السلام ياابا عبد الله ان قبلنا ناس سفهاء يزعمون اني اقتلك فقال له الحسين عليه السلام انهم ليسوا بسفهاء

ولكنهم حلماء اما انه يقر عيني انك لاتأكل بري العراق بعدي الا قليلا وروينا عن سعد الأسكاف قال قال ابو جعفر عليه السلام كان قاتل يحيى بن زكريا ولد زنا وكان قاتل الحسين بن علي عليه السلام ولد زنا ولم تحمر السماء الا لهما قال وخرجنا مع الحسين عليه السلام فما نزل لنا(نزل خ) منزلاً وارتحل عنه الا ذكر يحيى بن زكريا وقال يوماً من الأيام ان من هوان الدنيا على الله عز وجل ان رأس يحيى بن زكريا أهدى الى بغي من بغايا بني اسرائيل، وعن عاصم عن ذر قال اول رأس حمل في الأسلام على رمح هو رأس الحسين بن علي عليه السلام فلم أر باكياً وباكية اكثر من ذلك اليوم.

وعن ابن عباس قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في النَوم اشعث أغبر معه قارورتان فيهما دم عبيط، فقلت يارسول الله ماهذا؟ فقال دم الحسين وأصحابه ولم أزل ألتقطه منذ اليوم، قال فحسب ذلك اليوم واذا هو يوم قتل الحسين عليه السلام، وعن الكندي قال لَما قتل الحسين عليه السلام مكثنا سبعة يام اذا صلينا العصر نظرنا الى الشَمس على الحيطان كأنها ملاحف مصفرة من شدّة حمرتها، وضربت الكواكب بعضها بعضاً.

وروي انه لما اصبح ابن زياد لعنه الله بعث برأس الحسين عليه السلام فدير به في سكك الكوفة كلها وقبائلها.

فروي عن زيد بن ارقم انّه قال مر به وهو على رمح وانا في غرفة فيها فلما حاذاني سمعته يقرأ{أم حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا} فوقف والله شعري وناديت رأسك والله يابن رسول الله وأمرك أعجب وأعجب، وعن ابي حباب قال لقيت رجلاً من طي فقلت له بلغني انكم تسمعون نوح الجن على الحسين، قال نعم قلت ماالذي سمعت؟ قال سمعتهم يقولون:

مسح الرسول جبينه فله بريق في الخدود   أبواه من عليا قريش جده خير الجدود

وقال ديك الجن يرثي الحسين عليه السلام:

ويكــــبرون بأن قــتلت وانما   قــتلوا بك التّكــــبير والتهـليلا

وروي عن رجل اسدي قال كنت زارعاً على نهر العلقمي بعد ارتحال عسكر بني امية فرأيت عجائب لاأقدر احكي الا بعضها، وهو اذا هبَت الأرياح تمر عليَ نفخات كنفخات المسك والعنبر واذا سكنت ارى نجوما تنزل من السماء الى الأرض وترقى من الأرض الى السماء وانا منفرد مع عيالي ولا أرى أحداً أسأله عن ذلك، وقبل غروب الشمس يقبل اسد من القبلة فأوليَ عنه الى منزلي، فاذا اصبح الصَباح أراه مستقبل القبلة ذاهبا، فقلت في نفسي حكت عساكر بن زياد هؤلاء خوارج قد خرجوا على عبيد الله بن زياد فأمر بقتلهم وأرى منهم مالم أر من سائر

القتلى، فو الله هذه الليلة لابدّ من المساهرة في هذه الأرض لأبصر هذا الأسد يأكل من هذه الجثث ام لا، فلما صار غروب الشمس واذا به اقبل فخفته فاذا هو هائل المنظر، فارتعبت منه وهممت ان انهزم عنه فثبطت نفسي وراجعتها وهو يتخطى القتلى حتى وقف على جسد كأنّه الشمس اذا طلعت تحت الغمام، فبرك عليه، فقلت يأكل منه واذا به يمرغ وجهه على ذلك الجسد وهو يهمهمويدمدم ودموعه تجري على خديه، فقلت الله اكبر ماهذه الأعجوبة فجعلت احرسه حتى اعترك الظلام واذا الشموع معلقة فملأت الأرض فزادني عجبا، اذا أنا اسمع بكاء ونحيبا ساعة، واذا بلطم مفجع لكن لم أر أشخاصاً فقصدت تلك الأصوات فخيل لي انّي وقعت عليها فأصغيت سمعي زمانا، فاذا هو تحت الأرض وفهمت من ناع فيهم يقول واحسيناه واماماه فاقشعر جلدي وطار لبي، فقربت من الباكي واقسمت عليه بالله وبرسوله من تكون؟ فقال انا نساء من الجن، فقلت وماشأنكن؟ فقالت في كل يوم وليلة هذا عزاؤنا على الحسين العطشان المجدل على الزملاء، فقلت هذا الحسين الذي عنده الأسد، فقالت نعم، قالت انت تعرف هذا الأسد؟ قلت لا، قالت هذا ابوه علي بن ابي طالب فهممت ان ارجع ودموعي تجري على خديَ حزنا عليه، واذا برجال لم أر أطول منهم ذو اسلحة كثيرة، فكاد فؤادي ان يطير، واذا بهم قائل يقول فارجع فرجعت خائفا، وقيل هذا الرجل هو الذي دفن الحسين عليه السلام.

وروينا عن علي بن الحسين عليهما السلام قال لما وفدناعلى يزيد بن معاوية لعنهما الله تعالى أتوا بحبال وربطونا مثل الأغنام ؛وكان الحبل بعنقي وعنق أم كلثوم وبكتف زينب وسكينة والبنات تساق كلما قصرن عن المشي ضربنا(بن) حتى أوقفونا بين يدي يزيد، فتقدمت إليه وهو على سرير مملكته ، وقلت له ماظنك برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو يرانا على هذه الصفة؟ فبكى وبكى كل من كان حاضرا في مجلسه فأمر بالحبال فقطعت من أعناقنا وأكتافنا وروي عن المنهال بن عمر قال بينما أتمشى في السوق من دمشق وإذا أنا بعلي بن الحسين عليه السلام يتوكأ على عصا ورجلاه كأنهما قصبتان والدم يسيل من ساقيه ، والصفرة قد أزدادت من عليه فخنقتني العبرة فأعترضته وقلت كيف أصبحت ياابن رسول الله ؟ قال فبكى وقال كيف حال من أصبح أسيرا ليزيد بن معاوية ، ونسائي الى الآن ماشبعن بطهورلهن ولاكسين رؤسهن نائحات الليل والنهار و ونحن يامنهال كمثل بني إسرائيل في آل فرعون يذبحون أبنائهم ويستحيون نسائهم ؛ أمست العرب تفتخر على العجم بأن محمدا عربيَ ؛وأمست قريش تفتخر على العرب بأن محمدا منهم ، وأمسينا معشر أهل البيت مغصوبين مقتلين مشردين ؛ مايدعونا إليه مرة إلا نظن القتل إنَا لله وإنَا إليه راجعون ، قلت سيدي وإلى أين تريد ؟ قال المحبس الذي نحن فيه ليس له سقف والشمس تصهرنا به ولانرى الهوى فأفر منه لضعف بدني سويعة ، وأرجع خشية على النساء

فبينما هو يخاطبني وأخاطبه وإذا بإمرأة تناديه، فتركني ورجع اليها فحققت النظر إليها وإذا بها زينب بنت علي عليه السلام تدعوه إلى أين تمضي ياقرة عيني؟ فرجع وانحرفت عنه ؛ ولم أزل أذكره وأبكي .

وروي عن الطرماح بن عدي رضب الله عنه قال كنت من قتلاء كربلاء وقد بقي فيّ رمق من الحياة؛ ولو حلفت لكنت صادقا إذ رأيت بعد عشرات متتابعات عشرين فارسا لهم نور شعشعاني وكلهم ذو ثياب بيض يفوح منها رائحة المسك والعنبر ، فقلت في نفسي هذا ابن زياد وقد أقبل بطلب جسد الحسين عليه السلام ليمثل به ، فجاؤا حتى نزلوا بين القتلى ثم أن المتقدم أتى إلى الحسين وجلس عنده وأجلسه وسنده إلى صدره وأومى إلى نحو الكوفة بيده فما ردها إلا وبها رأس الحسين عليه السلام ، فركبه على الجسد كما كان أولا فطار عقلي وقلت ليس ابن زياد قادرا على هذا فتأملته فإذا هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ فقال السلام عليك ياولدي فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ياجداه ، قال كيف ولدي قتلوك ؟أتراهم ماعرفوك ومن الماء منعوك وعن حرم جدكَ أحرجوك ويلهم ألا أخبرتهم بحسبك عسى يرقوا بحالك ، فبكى وقال ياجداه أخبرتكم فقالوا نعرفك حق المعرفة ولكن نقتلك ظلما وعدوانا فقال عليه السلام ياأبي آدم وياأبي نوح، وياأبي إبراهيم؛ وياأخي إسماعيل، وياأخي موسى، وياأخي عيسى ، فأجابوه بالتلبية : أنظروا إلى مافعلت أشقى أمتي من بعدي بعترتي ، ولاأنالهم الله شفاعتي يوم القيامة فقالوا آمين اللهم آمين ، فجعلوا يبكون ويعزون النبي صلى الله عليه وآله وسلم زمانا طويلا ، وهو يحث التراب على رأسه وشيبته الطاهرة والحسين يقص عليه ماصدر وماعملوه فيه حتى غشي عليه من البكاء وأنا أسمعهم وأشاهدهم ، ففارقوه وانطرح كما كان ميتا اولا .وروي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان ذات يوم جالسا وغدا بالحسين عليه السلام مقبلا طفلا ، فأخذه على فخذه الأيمن ، وأتى بولده إبراهيم فوضعه على فخذه الأيسر وجعل يقبل هذا على فمه وهذا بحلقه وشفتيه وهو مشغوف بهما ، فإذا جبرئيل قد انحدر عليه وقال يامحمد إنّ الله تعالى لم يكن ليجمع لك بينهما ولكنه عز وجل يريد يأخذ روح أحدهما فأختر أيهما شئت ، فقال في نفسه إذا مات إبراهيم بكيت أنا وحدي وإذا مات الحسين بكيت عليه انا وعلي وفاطمة ، ياأخي جبرئيل موت إبراهيم خير لي فمات بعد ثلاثة ايام ، فكان بعد ذلك كلما جاء الحسين عليه السلام قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم أهلا وسهلا ومرحبا بمن فديته بولدي إبراهيم .

وروي أن الحريم لَمّا أدخلن في السبي إلى يزيد بن ماوية لعنه الله كان يطاع فيهن ويسأل عن كل واحدة بعينها وهن مربقات بحبل طويل وزجر بن قيس لعنه الله يجرهن حتى اقبلت امرأة كانت تستر وجهها بزندها لأنها لم يكن لها خرقة تستر بها وجهها ، فقال من هذه التي ليس لها

ستر ؟ قالوا سكينة بنت الحسين ؛ قال انت سكينة؟ فسالت دموعها على خدّها وأختنقت بعبرتها فسكت عنها حتى كادت تطلع روحها من البكاء ، فقال لها ومايبكيك؟ قالت كيف لاتبكي من ليس لها ستر تستر وجهها ورأسها عنك وعن جلسائك ، فبكى يزيد وأهل مجلسه ؛ ثم قال لعن الله عبيد الله بن زياد ماقسى قلبه على آل الرسول ، ثم أقبل إليها و قال إرجعي مع النسوة حتى آمر بكن بأمري فقالت يايزيد إنّ بكائي أكثره من طيف رأيته الليلة ، قال قصيه علي فأمر السائق في الوقوف ، فقالت إني لم أنم منذ قتل ابي الحسين لأني لم أتمكن من الركوب على ظهر أدبر أعجف هذا ، وكلما عثربي يقهرني هذا زجربن قيس بالسوط ، فلم أر من يخلصني منه فلعنه يزيد وجلسائه ؛ ثم قالت رقدت الليلة وإذا أرى قصرا من نور شرايفه الياقوت واركانه من الزبرجد وأبوابه من العود القماري ، فبينا انا أنظر إليه وإذا ببابه قد فتحت فخرج منها خمس مشايخ يقدمهم وصيف [1] فتقدمت إليه فقلت له لمن هذا القصر؟ فقال لأبيك الحسين ؛ فقلت ومن هؤلاء المشايخ ؟ فقال هذا آدم ، وذاك نوح ؛ وهذا إبراهيم ، و(هذا) موسى و(هذا) عيسى فبينما اناأنظر إلى كلامه وإلى القصر إذ أقبل رجل قمري الوجه قابضا على لحيته هما وأسفا حزينا كئيبا فقلت ومن هذا؟ قال أما تعرفيه؟ فقلت لا قال هذا جدك المصطفى ، فدنوت منه وقلت ياجداه قتلت والله رجالنا ؛وذبحت أطفالنا وهتكت حريمنا ؛ ياجدنا لو رأيتنا على الأقتاب بغير وطاء ولاغطاء ولاحجاب ينظر إلينا البر والفاجر لرأيت أمرا عظيما وخطبا جسيما ، فأحنى علي وضمني إلى صدره وبكى بكاءا شديدا ، وأنا احكيه (حاكيه خ) بهذا وأمثاله ، فقالت لي تلك الأنبياء غضي من صوتك يابنت الصفوة فقد اوجعت قلوبنا وقلب سيدنا وابكيته وابكيتنا.

فأخذ الوصيف بيدي وأدخلني إلى القصر وإذا بخمس نسوة وبينهن امرأة ناشرة شعرها على كتفيها وعليها ثياب سود ، وبيدها ثوب مضمخ بالدّم، إذا قامت قمن لقيامها ، وإذا جلست جلسن معها لجلوسها ، لاطمة خديها جارية دمعتها وهي تنوح والنساء تجيبها بذلك فقلت للوصيف ومن هؤلاء النسوة ؟ فقالت ياسكينة هذه حوّى ، وهذه مريم و التي عندها آسيا بنت مزاحم ، وهذه أم موسى ؛ وخديجة الكبرى ، فقلت وصاحبة القميص المضرج بالدماء ، قال جدتك فاطمة الزهراء ؛ فدنوت منها فقلت السلام عليك ياجدتاه ، ورفعت رأسها وقالت سكينة ؟ قلت نعم ، فقامت لاطمة معولة فقالت أدن مني فضمتني إلى صدرها ، فقلت ياجدتي على صغر سني أيتمت ، فقالت واويلتا وامهجة قلباه من أحنا عليكن من بعد القتل ، من جمعكن عن الشتات آن الرحيل أخبريني ياسكينة عن حال العليل ، فقلت ياجدتاه مرارا كثيرة أرادوا قتله

---

(١) قد يطلق الوصيف على الخادم غلاما كان أو جارية.

فدفعهم منه علته لأنه مكبوب على وجهه ، سلبوه ثيابه لايطيق النهوض ولوتراه عينك حين اركبوه على ظهر اعجل ادبر وقيدوا عنقه بقيد ثقيل ؛فبكى فقلنا له ما يبكيك؟ قال إذا رأيت قيدي هذا ذكرت أغلال أهل النار، فسألناهم بفكه فقيدوا رجله من تحت بطن الناقة وإذا بفخذه يسيل دما وقيحا ، باكيا نهاره وليله إن نظر إلى رأس أبيه ورأس الأنصار مشهرين ، وإن نظر إلينا عاريات مكشفات ، فكلما رأى ذلك إزداد البكاء ، فلطمت على وجهها ونادت واولداه واضيعتاه هكذا صدر عليكم من بعدنا ، ثمّ إنها قالت وبجسد القتيل من غسله من كفنَه من صلى عليه من دفنه من زاره ؟ فقلت لم يكن له غسل غير دموعنا ، وكفنته السَوافي من رمالها ؛ ورحلنا عنه وزوارها الطير والوحش ؛فنادت واحسناه واولداه واقلة ناصراه هذا والنساء باكيات معولات لإعوالها ، ثم نظرن إليَ وقلن له مهلا يابنت الصفوة لقد أهلكت سيدتنا وأهلكتنا ، فانتبهت من رقدتي هذه ويزيد وجلستؤه وأمراء بني أمية يبكون ، فأمرهن بالأنصراف فانصرفن .

روينا في تفسير قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه أنه رأى ساق العرش والأسماء عليه ، فلقنه جبرئيل ، فقال قل:ياحميد بحق محمد ياعلي بحق علي يافاطر بحق فاطمة يامحسن بحق الحسن ، ياصاحب (قديم خ) الإحسان بحق الحسين ؛فسالت دموعه وانخشع قلبه ، وقال ياأخي جبرئيل في ذكرى الخامس ينخشع قلبي وتسيل عبرتي ، قال جبرئيل ولدك هذا يصاب بمصيبة تصغر عندها المصائب ، فقال ياأخي وماهي؟ قال يقتل عطشانا غريبا وحيدا فريدا ؛ ليس له ناصر ولا معين ولو تراه ياآدم ينادي واعطشاه واقلة ناصراه حتى يحول العطش بينه وبين السماء كالدخان فلم يجبه أحد إلا بالسيوف وشرب الحتوف فيذبح ذبح (كما يذبح خ) الشاة من قفاه ويشهر رؤوسهم هو وأنصاره في البلدان ومعهم تؤخذ النسوان ، سبق يأخي في علم الواحد المنان ، فبكى مع جبرئيل بكاء المثكولة والثكيل .

وروينا حديث الجمال لعنه الله بإسناده (نا) إلى سعيد بن المسيَب قال لما استشهد مولانا أبو عبد الله الحسين عليه السلام وحج الناس من قابل دخلت على مولاي علي بن الحسين عليه السلام فقلت له يامولاي قد قرب الحج فماتأمرني؟ فقال إمض عاى نيتك فحج فحججت فبينما أنا أطوف في الكعبة وإذا برجل مقطوع اليدين ووجهه كقطع الليل المظلم وهو متعلق بأستار الكعبة وهو يقول اللهم رب هذا البيت الحرام إغفر لي وماأحسبك تفعل في سكان سماواتك وأرضك وجميع ماخلقت لعظم جرمي ، وقال سعيد بن المسيّب فشغلت وشغل الناس عن الطواف حتى حف به الناس واجتمعنا عليه؛ فقلت أيا ويلك لو كنت إبليس لما كان ينبغي لك أن تيأس من رحمة الله فما أنت وماذنبك؟ فبكى وقال ياقوم أنا أعرف بنفسي وذنبي وماجنيت فقالوا له تذكره لنا فقال أنا كنت جمالا لأبي عبد الله عليه السلام لما خرج من المدينة إلى العراق وكنت

اراه إذا أراد الوضوء للصلاة يضع سراويله عندي ، فأرى تكة تغشي الابصار بحسن إشراقها وألوانها ، وكنت أتمناها أن تكون لي ؛ إلى أن صرنا بكربلاء فقتل الحسين عليه السلام وهي معه؛ فدفنت نفسي في مكان من الأرض فلم أطلب أنا وأمثالي ، فلما جن الليل خرجت من مكاني فرأيت في تلك المعركة نورا لاظلمة ، ونهارا لاليلا ، والقتلى مطروحون (حين) على وجه الأرض ، فذكرت لحيتي وشقائي التكَة فقلت والله لأطلبن الحسين عليه السلام وأرجو أن تكون التكَة في سراويله فآخذها ، ولم أزل أنظر في وجوه القتلى حتى أتيت إلى الحسين عليه السلام ، فوجدته مكبوبا على وجهه وهو جثة بلا رأس ونوره مشرق مرمل بدمائه والرياح سافية عليه ، هذا والله الحسين عليه السلام ، فنظرت إلى سراويله كما كنت أراها ، فدنوت منه فضربت يدي إلى التكَة لآخذها ، فإذا هو قد عقدها عقدا كثيرة فلم أزل أحلها حتى حللت عقدة منها فمد يده اليمنى وقبض على التكَة فلم أقدر على أخذ يده عنها ولاأصل إليها ، فدعتني النفس الملعونة إلى أن أطلب شيئاأقطع به يده فوجدت قطعة سيف مطروح فاخذتها ، فلم أزل أجزّ يده حتى فصلتها عن زنده ، ثم نحّيتها عن التكَة ، فمددت يدي إلى التكَة لأحلها فمد يده اليسرى فقبض عليها فلم أقدر على أخذها ، فأخذت قطعة السيف وقطعتها بها ، فمددت يدي إلى التكَة لآخذها وإذا بالأرض ترجف والسماء تهتزّ وإذا بغلبة(بغلغلة) عظيمة وبكاء ونداء ، يقول ياابناه يامقتولاه واذبيحاه، واحسيناه واغريباه ، يابني قتلوك وماعرفوك ومن شرب الماء منعوك ؛وما عرفوا جدك وأباك، فلما رأيت ذلك صعقت ورميت نفسي بين القتلى وإذا بثلاث نفر وامراة تقول:

ألا يـــانور عـــيني ياحـــسينا ... فمـــن قطـــع اليـــسار مـــع اليمينـــا

ومـــن أرادك في البيـــداءطريحا ... ومـــن أيـــتم بناتـــك والبنينـــا

ومـــن سـلب الثيـاب أيـاحبيبي ... ويـــاذخري ويـــاعيني اليمينـــا

عفـــيرا بـــالتراب بغـــير رأس ... خـــضيب النّحـــر متلـــول الجبينـــا

فمـــن أوصـــيت بعـــدك باليتـــامى ... ومـــن لـــسكينة حـــصنا حـــصينا

ومـــن للثـاكلات وللـضّياعا(للـصبايا) ... لقـــد أضـــحوا بأيـــدي الكافرينـــا

يعـــز علـــي ان ألقـــاك ملقـــى ... بـــلا غـــسل ولاكفـــن رهينـــا

أيـــاروحي لقـــد طولـــت حزنـــي ... لقتلـــك يـــابن خـــير العالمينـــا

لمقتلـــه بكـــت امـــلاك ربـــي ... وحـــور العـــين يبكـــي والأمينـــا

لقـــد أورثـــتني حزنـــا طـــويلا ... علـــى طـــول الليـــالي والـــسّنينا

فـــآه لمـــا جـــرى لـــك يـــاحبيبي ... نـــساؤك حاســـرات مجررينـــا

فنوحـــوا وانــــدبوا مـــولا قتـــيلا　　　حبيــــب رســــول رب العالمينـــــا

وقد امتلأت الأرض وحولها خلايق وقوفا؛ وقد امتلأت الأرض بصور الناس وأجنحة الملائكة، وإذا بواحد منهم يقول ياإبناه ياحسين فدائك جدك وأبوك وامك واخوك ، وإذا بالحسين عليه السلام ورأسه على بدنه ، وهو يقول ياجداه يارسول الله ، ويأبتاه ياامير المؤمنين ، ويأماه يافاطمة الزهراء ، ويأخاه المقتول بالسم قبلي ، عليكم مني السلام ، ثمّ إنه بكى وقال ياجداه قتلوا والله رجالنا ياجداه سلبوا والله نسائنا ياجداه ؛نهبوا والله رحالنا ياجداه ذبحوا والله أطفالنا ياجداه ، يعز والله عليك أن ترى رحالنا ومافعل الكفار بنا وإذابهم قد جلسوا حوله يبكون على ماأصابهم من الكفاروفاطمة تقول ياأباه يارسول الله أماترى مافعل أمتك بولدي ، أتأذن لي أن آخذ من دم شيبه واخضب به ناصيتي والقى الله عزّوجلّ وأنا متخضبة (مختضبة) بدم ولدي الحسين ؟ فقال لها خذي ونأخذ يافاطمة ، فرأيتهم يأخذون من دم شيبه وتمسح به فاطمة ناصيتها والنبي وعلي والحسن يمسحون به نحورهم وصدورهم وأيديهم إلى المرافق، وسمعت فاطمة الزهراء تقول وهي مقروحة الفؤاد يابني من الذي قطع رأسك الشريف؛يابنيّ من ذا الذي رضَ لصدرك العفيف ، يابني من ذا الذي أيتم أطفالك ، يابني من ذا الذي قتل رجالك ، قال وسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول له فديتك ياحسين يعز علي والله ان أراك مقطوع الرأس، مرمل الجبين؛ دامي النحر مكبوبا على قفاك قد كستك الذواري من الرمل (مول) وأنت طريح مقتول مقطوع الكفين ، يابني من قطع يدك اليمنى وثنى باليسرى؟ فقال ياجداه كان معي جمّال من المدينة وكان يراني إذا وضعت سراويلي للوضوء فيتمنّى أن يكون له؛ فمامنعني أن أدفعها إليه إلاَ لعلمي أنّه صاحب هذا الفعل فلما قتلت خرج يطلبني من بين القتلى ، فوجدني جثة بلا رأس فتفقد سراويلي فوجد فأى التّكة وقد كنت عقدتها عقدا كثيرة ، فضرب يده ألى التّكة فحلّ عقدة منها فمددت يدي اليمنى فقبضت على التّكة ، فطلب المعركة فوجد قطعة سيف فقطع به يميني ثمّ حلّ عقدة أخرى فقبضت على التّكة بيدي اليسرى لئلا يحلها فتنكشف عورتي ، فجز يدي اليسرى؛ فلما أراد حلّ التّكة حسّ بك فرمى نفسه بين القتلى ، فلما سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلّم كلام الحسين عليه السلام بكى بكاءا شديدا وأتى بين القتلى إلى أن وقف نحوي وقال: مالي ومالك ياجمّال ، تقطع أيدا طالما قبّلها جبرئيل عليه السلام وملائكة الله أجمعين وتبرّكت بها أهل السماوات والأرض ، أماكفاك ماصنع به الملاعين من الذلّ والهوان ، هتكوا نساءه بعد الخدر وانسباك السّتور وقد سلبهن الأعداء و سود الله وجهك ياجمّال في الدنيا والآخرة ، وقطع الله يديك ورجليك وجعلك في حزب من سفك دمائنا

وجزاؤك على الله ، فماأستتم دعاؤه حتى شلت يداي وحسبت بوجهي كأنه ألبس قطعا من الليل مظلما ، وبقيت على هذه الحالة ، فجئت إلى هذا البيت أستشفع وأنا أعلم أنَه لايغفر لي أبدا فلم يبقَ في مكة أحد إلا وسمع حديثه وتقرب إلى الله بلعنه ، وكل يقول حسبك ماجنيت بالعين .

وروينا أنَ آدم عليه السلام لمَا نزل إلى الأرض فلم يرحوَى فصار يطوف الأرض في طلبها ؛ فمرَ بكربلاء فأعتلَ وضاق صدره من غير سبب ، وعثر في الموضع الذي قتل فيه الحسين عليه السلام حتى سال الدم من رجله ؛ فرفع رأسه إلى السماء وقال إلهى هل حدث مني ذنب آخر فعاقبتني به ؟ فإني طفت جميع الأرض فماأصابني ماأصابني في هذه الأرض ، فأوحى الله إليه ياآدم ماحدث منك ذنب ولكن يقتل في هذه الأرض ولدك الحسين ظلما فسال دمك موافقة لدم الحسين ، فقال آدم يارب أيكون الحسين نبيا ؟ قال لا ولكنه سبط النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وقال من القاتل له ؟ قال قاتله يزيد لعين أهل السماوات واهل الأرض ، قال آدم فأي شيء أصنع ياجبرئيل ؟ فقال إلعنه ، فلعنه آدم أربع مرات ومشى أربع خطوات إلى جبل عرفات بقدرة رافع السماوات فوجد حوَى هناك .

وإنَ نوحا عليه السلام ركب في السفينة وطافت به جميع الدنيا ، فلما مرت السفينة بكربلاء أخذته إلى الأرض وخاف نوح من الغرق ؛ فدعى ربَه وقال إلهي هل حدث مني ذنب؟فإنَي طفت جميع الدنيا فماأصابني فزع مثل ماأصابني في هذه الأرض ، فنزل إليه جبرئيل وقال له يانوح في هذا الموضع يقتل الحسين سبط محمد خاتم الأنبياء وابن خاتم الأوصياء ، قال ومن القاتل له ياجبرئيل ؟ قال قاتله لعين أهل السماوات السبع والأرضين السبع ، فلعنه نوح عليه السلام ، أربع مرات فسارت السفينة حتى بلغت الجودى واستقرَت عليه.

وإنَ إبراهيم عليه السلام مرَ في أرض كربلاء وهو راكب فرسا فعثر الفرس وسقط إبراهيم وشجَ رأسه وسال دمه ، فأخذ في الإستغفاروقال إلهي أي شيء حدث منَي؟ فنزل جبرئيل وقال ياإبراهيم ماحدث منك ذنب ولكن هنا يقتل سبط خاتم الأنبياء وابن خاتم الأوصياء فسال دمك موافقة لدمه . قال ياجبرئيل ومن يكون قاتله ؟قال قاتله لعين أهل السماوات والأرضين ، والقلم جرى على اللوح بلعنه بغير إذن ربَه، فأوحى الله تعالى إلى القلم أنَك استحققت الثناء بهذا الَعن، فرفع إبراهيم عليه السلام يده ولعن يزيد لعنا كثيرا وأمَن فرسه بلسان فصيح ، فقال إبراهيم عليه السلام لفرسه أي شيء عرفت حتى تؤمَن على إبراهيم؟ فقال ياإبراهيم ؟ فقال ياإبراهيم أنا أفتخر بركوبك عليَ ؛ فلما عثرت وسقطت عن ظهري عظمت خجلتي وكان سبب ذلك من يزيد لعنه الله تعالى .

وإنَ إسماعيل عليه السلام كانت أغنامه ترعى بشط الفرات فأخبره الراعي أنَها لاتشرب من هذه المشرعة منذ كذا يوما ، فسأل ربه عن سبب ذلك ، فنزل جبرئيل عليه السلام وقال ياإسماعيل إسأل غنمك فإنّها تجيبك عن سبب امتناعها من شرب الماء ، فقال لها لمَ لاتشربين من هذا الماء ؟ فقالت بلسان فصيح قد بلغنا أنَ ولدك الحسين يقتل هنا عطشانا فنحن لانشرب من هذه المشرعة حزنا عليه ، فسأل عن قاتله ؛ فقالت يقتله ، لعين أهل السماوات والأرضين والخلائق أجمعين ، فقال إسماعيل عليه السلام اللهم إلعن قاتل الحسين عليه السلام وإنَ موسى عليه السلام كان ذات يوم سائرا ومعه يوشع بن نون ، فلما جاء إلى أرض كربلاء إنخرق نعله وانقطع شراكه دخل الخسك في رجليه وسال دمه ، فقال إلهي أيَ حدث مني ؟ فأوحى الله إليه أنَ هنا يقتل الحسين عليه السلام وهنا يسفك دمه فسال دمك موافقة لدمه، فقال ربَ ومن يكون الحسين ؟ فقيل هو سبط محمد المصطفى وابن علي المرتضى فقال ومن يكون قاتله ؟ فقال هو لعين السمك في البحار والوحوش في القفار والطيور في الهوى ، فرفع موسى يده ولعن (قال إلهي إلعن) يزيد ودعا عليه وأمَن يوشع بن نون على دعاءه ومضى لشأنه؛

وإنَ سليمان عليه السلام كان يجلس على بساطه ويسير بالهواء ؛ فمر ذات يوم وهو سائر في أرض كربلاء فدارت الريح بساطه ثلاث دورات حتى خافوا السقوط ، فسكنت الريح ونزل البساط في ألاض كربلاء ؛فقال سليمان لللائح لمَ سكنت ؟ فقالت إنَ هنا يقتل الحسين عليه السلام ؛ فقال ومن يكون الحسين ؟ قالت هو سبط محمد المختار وابن علي الكرار قال ومن قاتله ؟ قالت يقتله لعين أهل السماوات والأرض ، فرفع يده سليمان ولعن يزيد وأمَن دعاءه الإنس والجنَ فهبت الريح وسار البساط

وإنَ عيسى عليه السلام كان سايحا في البراري ومعه الحواريون فمرَبأرض كربلاء فرأى أسدا كاشرا قد أخذ الطريق ، فتقدم عيسى عليه السلام إلى الأسد وقال له لم جلست في هذا الطريق ولاتدعنا نمر ؟ فقال الأسد بلسان فصيح إنَي لم أدع بكم الطريق حتى تلعنوا يزيد قاتل الحسين عليه السلام ، فقال عيسى عليه السلام ومن يكون الحسين ؟ قال هو سبط محمد النبي الأمَي وابن علي الولي ، قال ومن القاتل له ؟ قال قاتله لعين الوحوش والذئاب والسباع أجمع خصوصا في أيام عاشوراء ؛ فرفع عيسى عليه السلام يده ولعن يزيد ودعا عليه وأمَن الحواريين على دعاءه فتنحى الأسد عن طريقهم ومضوا لشأنهم .

وروى الكليني طاب ثراه بإسناده إلى إدريسبن عبد الله الأودي قال لَما قتل الحسين عليه السلام أراد القوم أن يوطئوه الخيل ، فقالت فضة لزينب ياسيدتي إنَ سفينة وهو مولى لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنكسرت به سفينة في البحر فطاف على خشبة من الماء فخرج إلى

جزيرة ، فرأى أسدا مقبلا فأتى الأسد وقال ياأبا الحرث أنا مولى رسول الله ؛فهمهم بين يديه حتى أوقفه على الطريق ، والأسد رابض في ناحية فدعني أمضي إليه وأعلمه ماهم صانعون غدا ، قال فمضيت إليه ، فقالت ياأباالحرث ؛فرفع رأسه ثمّ قالت أتدري مايريدون يعملوا (يفعلوا) غدا بأبي عبد الله عليه السلام ؟ يريدون أن يوطئوا الخيل ظهره ، قال فمشى حتى وضع يديه على جسد الحسين عليه السلام ، فأقبلت الخيل فلما نظروا إليه قال لهم عمر بن سعد لعنه الله هذه فتنة لاتثيروها إنصرفوا فانصرفوا .

قال مؤلف هذا الكتاب عفى الله عنه قد تقدّم أنّهم أوطأوه الخيل ، ولامنافاة بينهما لجواز أن يكون في يوم مجيء الأسد لم يوطأوه الخيل وأوطأوه بعد ذلك ، وفي إرشاد المفيد ره، أنّه لما ام يبق احد مع الحسين عليه السلام دعا بسراويل يمان يلمع فيه البصر ففرزه (فغرزه) لكيلا يسلب من بعد قتله ، فلمّا قتل عمد بحر بن كلب فسلبه السراويل وتركه مجردا ، وكانت يدا بحر بن كعب ييبسان في الصيف كأنهما عودان :ويرطبان في الشتاء فينضحان دما وقيحا ألى أن أهلكه الله تعالى ؛والأخبار الواردة بهذا المضمون كثيرة جدا.

وامّا من قتل مع الحسين عليه السلام من أهل بيته فقال شيخنا المفيد نوّر الله ضريحه هم ثمانية عشر:وهم العبّاس وعبد الله وجعفر وعثمان بنو أمير المؤمنين عليه السلام؛ أمّهم أم البنين بنت حزام الكلابية ؛وعبيد اله وأبوبكر ابنا أمير المؤمنين عليه السلام ؛ أمّهما ليلى الثقفية ، وعلي وعبد الله إبنا الحسين بن علي عليه السلام ؛ والقاسم وأبوبكر وعبد الله بنو الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام؛ وعبد الله وجعفر وعبد الرحمن بنو عقيل بن أبي طالب وعبد الله بن مسلم بن عقيل ومحمد بن عقيل بن أبي طالب عليه السلام ومحمد وعون ابنا عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، فهؤلاء ثمانية عشر نفسا من بني هاشم وهم كلهم مدفونون مما يلي رجلي الحسين عليه السلام إلأ العبّاس فإنّه دفن موضع قتله .

وأما أصحاب الحسين عليه السلام الذين قتلوا معه فإنّهم دفنوا حوله ؛ولسنا نحصل لهم أجداثا على التحقيق والتفصيل غير أنّا لانشك في أنّ الحائر محيط بهم ، هذا كلامه ره، اقول قد ترك ره ذكر الحر فإنه من الشهداء وليس هو ممّا يحيط به الحايرالشريف بل هوبعيد عن قبر مولانا الحسين عليه السلام بفرسخ وأزيد وقبره الآن معروف يزوره بعض النّاس ، وبعض الخواص من الشيعة والعلماء يترك زيارته ، بل ربما سمعت بعض محدثي الشيعة لعنه والطعن عليه تعويلا على أنّه قطع عليه بالأرتداد الفطريَ ، ومثل هذا المرتد عند الأكثر لاتقبل توبته، ومانقل من قبور الحسين عليه السلام لها منقول بأخبار الآحاد وهو لايعارض الإجماع ، وأمّا أنا فقد أوردت

بعض الكلمات المناسبة لهذا المقام في شرح تهذيب الحديث ولابأس هنا بالإشارة إلى نبذة منه وهو يتم ببيان أمور :

الأول في تحقيق معنى المرتد؛ فنقول الذي قاله اصحابنا رضوان الله عليهم أنّ المرتد هو ماأنكر ماعلم ثبوته من الدين ضرورة أو إثبات ماعلم نفيه كذلك ، أو يفعل ذلك صريحا كالسجود للصنم ونحوه ، وإلقاء المصحف في القاذورات ، وعلى هذا فالمرتد أكثر من غيره ، وذلك إنّه ما من يوم إلاوأكثر الناس يتهم الله قضاءه وعدله ؛ وغير ذلك مما يوجب الإرتداد ، نعم ربّما ظهر من بعض الأخبار أنّه يشترط في مثله العلم بكونه من ضروريات الدين ، وعلى هذا فلعل الجاهل معذور حتى يعرف ويلقي العالم إليه الحكم الشرعي لإمكان الجهل بالضروريات لكثير من النّاس؛ خصوصا أهل القرى والصحارى ، ويؤيده قوله صلى الله عليه وآله وسلّم النّاس في سعة مما لم يعلموافإذا عرفت هذا فنقول :

أنَ الحر لَما خرج من الكوفة ماكان قصده القتال مع الحسين عليه السلام وإنّما أمره عبيد الله بن زياد لعنه الله بأن يأتي به إلى الكوفة ؛وإمّا منعه له عن الرجوع إلى المدينة بعد أن طلب الحسين عليه السلام أن يأذن له فيه فقد كان جاهلا بأنّ مثل هذا يخرج من الدين ويكون الرجل مرتدا به ، ومن ثمَ لما رجع إلى الحسين عليه السلام وتاب حلف بأني ماكنت أعلم أنَ القوم يفعلون بك هذا ، وقد كان صادقا في يمينه ، وحينئذ فالذي صدر منه نوع من أنواع الكبائرفلما تاب منها قبل الحسين عليه السلام توبته منها ، ويؤيده أنّ كثيرا من الشيعة ومن أقارب الأئمة عليهم السلام كانوا يؤذون أئمتهم عليهم السلام بأنواع الأذى مثل العبّاس أخو الرضا عليه السلام ومثل اقارب مولانا الصادق عليه السلام ؛ وقد كان جماعة منهم يسعون بقتلهم وإهانتهم عند خلفاء الجور ومع هذا كله إذا أراد أحد من الشيعة أن يذكرهم بسوء في مجالس الأئمة عليهم السلام يغضبون عليهم السلام ، ويبالغون في نفيه ؛ ويقولون إنَ هؤلاء أقاربنا دعونا معهم لاتتعرضوا لهم بسوء من كلام خبيث وغيره ؛ فالذي صدر من الحر على تقدير العلم منه مثل الذي صدرمن هؤلاء مع أنَّ الأئمة عليهم السلام قبلوا حالهم قبل التوبة فكيف لو تابوا .

الثاني أنَ المراد من الدين المأخوذ في التعريف إنّما هو دين الإسلام على ماصرّحوا به لادين الشيعة فقط ؛ وذلك أنّه لوكان المراد بالمرتد من أنكر ماعلم ثبوته من دين الشيعة ضرورة لكان مخالفونا كلهم مرتدين في هذه الدنيا ، لأنَ كون علي بن أبي طالب عليه السلام هو الخليفة الأول بالنّص والأستحقاق ممّا ثبت من دين الشيعة ضرورة ، فكان يجب أن يحكم على كافة أهل الخلاف بالأرتداد والمصرح به من علمائنا بخلافه في هذه الدنيا ، أمّا في الآخرة فعذابهم أشد من المرتد وغيره ، وحينئذ منع الحسين عليه السلام عن الرجوع إلى المدينة وإن كان حراما إلا أنّه ليس

ضروريا من دين الإسلام ولايقول مخالفونا بكفر مثل هذا ، نعم قالوا بكفر كل من خرج على إمام عادل وحاربه والحرَ في وقت الحرب كان لإمام عليه السلام لا عليه ، فلم يصدق عليه من هذه الجهة أيضا إسم الإرتداد .

الثالث أنَ قولهم أنَ المرتد الفطري غير مقبول التوبة لانقبله على إطلاقه ، بل نقول أنَ توبته مقبولة فيما بينه وبين الله تعالى كما صارإليه شيخنا الشهيد الثاني طاب ثراه ، وحينئذ فلو لم يقدر على قتله أو تأخر قتله فتاب صحت توبته وقبلت عباداته ومعملاته ؛ لكن لاتعود إليه زوجته ولاماله على مالايخفى ، وأمّا فيما بينه وبين الناس فبأن يقول أنَ ذلك النَاس الذي ثبت عندهم إرتداده إن كان غير الإمام لم يجز له العفو عنه ؛ كما عفا أمير المؤمنين عليه السلام عن اهل البصرة وقبل توبة من تاب منهم ، ومع أنَهم كانو مرتدَين عن الفطرة ، وكذلك قبل توبة من تاب من أهل النهروان وصفين وسائر حروبه وموارده مع صدق تعريف الإرتداد عليهم بكل الوجوه؛ ومن هذا أجاب مخالفونا بزعمهم عن كل ماأوردناه عليهم إلا عن محاربة الصحابة لأمير المؤمنين عليه السلام فإنَهم لم يقدروا عليه ، بل قالوا وإمّا عن حرب الصحابة فنسكت، وبعضهم أحاله على علم الله تعالى القديم وإنَه كان مقدرا وعلم الله بزعمهم هو علة للمعلول ووقوعه، وآخرون قالوا إنَهم تابوا بعد المحاربةإلى غير ذلك من الخرافات البردة والتمويهات الفاسدة .

الرابع قولهم أنَ ارتداده قطعي وتوبته ظنّي(ظنية) لايخفى مافيه ، وذلك أنَ كل خبر وأثر تضمَن خروجه على الحسين عليه السلام ومنعه له عن الرجوع تضمَن توبته وقبول الحسين عليه السلام لها وإنّه عليه السلام رثاه بأبيات من الشعر وهي مشهورة ، وفي كتب الأحاديث والسير والتواريخ مسطورة ، وقد ترحّم عليه بعد قتله ، وهذا متواتر نقله الخلف عن السلف في كل عصر وأوان بحيث لا يمكن إنكاره ، ولعمرك إنَ الطعن على الحر يؤول إلى الطعن على من قبل توبته وهو مولانا الحسين عليه السلام ؛ وهذا هو الإرتداد الظاهرالذي لايقبل التوبة وأعاذنا الله وإيَاكم من الغقدام على مثله والجرأة عليه .

ولقد حدّثني جماعة من الثقاة أنَ الشاه إسماعيل لَما ملك بغداد واتى إلى مشهد الحسين عليه السلام وسممع من بعض النَاس الطعن على الحر أتى إلى قبره وأمر بنبشه ، فنبشوه فرأوه نائما كهيئته لَما قتل ؛ورأوا على رأسه عصابة مشدودا بها رأسه ؛ فاراد الشاه نوّر الله ضريحه أخذ تلك العصابة لما نقل في كتب السير والتأريخ أنَ تلك العصابة هي دسمال الحسين عليه السلام شدَ به رأس الحر لَما لَما أصيب في تلك الواقعة ؛ ودفن على تلك الهيئة ، فلمّا حلوا تلك العصابة جرى الدم (دمه) من رأسه حتى امتلأ منه القبر فلمّا شدوا عليه تلك العصابة إنقطع الدم فلمّا حلوها جرى الدم ، وكلما أرادوا أن يعالجوا قطع الدم بغير تلك العصابة لم يمكنهم، فتبين لهم حسن

حاله ، فأمر فبني على قبره بناء وعين له خادما يخدم قبره؛ والذي يجود بنفسه في ذلك الوقت الضيق ويقدم على القتل وعلى أن يفدي الحسين عليه السلام بنفسه لاشكَ في أنَ حاله من أحسن الأحوال .

الخامس إنَ الذي يظهر من هذه الأخبار المعتبرة الصحيحة كما قاله الشهيد الثاني عطر الله مرقده هو أنَ الإرتداد كله قسم واحد وإنّه يستتاب صاحبه فإن تاب وإلا قتل ، وهذا مذهب ابن جنيد طاب ثراه والاخباربإطلاقها أو عمومهادالة عليه ولم يدل على المشهور من التفصيل سوى رواية عمّار الساباطي وهي على ضعفها لاتقوم بتقليد الأخبار الصحيحة المتكثرة ، فيكون وقت منع الحر للحسين عليه السلام إلى وقت رجوعه إليه هو زمن الإستتابة فتاب وقبلت توبته ، وبالجملة فالقول بأنَ توبة المرتد الفطري غير مقبولة حتى بينه وبين الله تعالى مشكل جدا ، والله الهادي إلى سواء السبيل.

(نور في الفقر والزهد والتوكل)

الحمد لله الذي تسبح له الرمال ويسجد له الظلال ؛ويتدكدك من هيبته الجبال خلق الإنسان من الطين اللازب والصلصال، وزيّن صورته بأحسن تقويم وأتمّ إعتداله ؛وعصم قلبه بنور الهداية عن ورطات الضلال ، وأذن له في قرع باب الخدمة بالغدوَ والآصال، ثمّ كحَل بصيرة المخلص في خدمته بنور العبرة حتى لاحظ بضياءه حضرة الجلالة فلاح له من البهجة والفلاح والبهاء والكمال ماأستقبح دون مبادىء إشراقه كل حسن وجمال ، واستثقل ماصرفه عن مشاهدته وملازمته غاية الإستثقال وتمثل له طاهر الدنيا في صورة امرأة جميلة تميس وتختار ، وانكشف له باطنها عن عجوز شوهاء عجنت من طينة الخزي وضربت في قالب النكال ، وهي متلفقة بجلبابها لتخفي قبائح أسرارها بلطائف السحر والإحتيال؛وقد بصبت حبائلها في مدارج الرجال فهي تقتنصهم بضروب المكر والإغتيال ، ثمّ لاتجتري معهم بالخلف في مواعيد الوصال بل تقيدهم مع قطع الوصال بالسلاسل والأغلال ، وتبديهم بأنواع البلايا والانكال ، فلمذا إنكشف للعارفين منها قبائح الأسرار والأفعال زهدوا فيما زهد المبغض لها ؛ فتركوا التفاخر والتكاثر بالأموال ، وأقبلوابكنه هممهم على حضرة الجلالة منها بوصال ليس له انفصال؛ومشاهدة أبدية لايتريها فناء ولازوال ، والصلاة على سيدنا محمد سند الأنبياء وعلى آله وخير آل.

أمّا بعد فإنَ الدنيا عدوة الله تعالى بغرورها ظلَ من ظل، وبمكرها زلَ من زل، فحبها رأس الخطيئات السيئات وبغضها أم الطاعات ورأس القربات ، وقد قدمنا الكلام في بيان معناها والآن نتكلم في تحقيق هذه الأمور الثلاثة:

امّا الفقر فهو عبارة عن إنزواء الدنيا عن العبد وأمّا الزهد فعو إنزواء العبد عن الدنيا ، وأمّا التوكل فهو تفويض العبد أموره إلى مولاه بعد أن فعل ماأوجب عليه من الأسباب، وذلك كقول الصادق عليه السلام التوكل أن تعقل بعيرك ثمّ تقول توكلت على الله في حفظه ، يعني لايكون إعتمادك في حفظه على العقال، فكم من جمل قد سرق بعقاله ، ولاتترك العقال إعتمادا على التوكل فإنّ العقال جزء من مفهوم التوكل ومن أكمل شروطه؛ فأمّا الفقر فهوفقد ماهو محتاج إليه، فأمّا فقد مالا حاجة إليه فلا يسمى فقرا، فدل كهذا على أنّ ماسى الله فهو فقير لإحتياجه إليه في دوام الوجود؛ فالغنى المطلق ليس إلا هوتعالى شأنه ؛ والذي أردنا بيانه هنا هو الإحتياج إلى المال وفاقده يدور على خمسة أحوال:

الأولى وهي العليا أن يكون بحيث لو أتاه المال لكرهه وتأذّى به وهرب من أهله مبغضا له ، وهذا هو الزهد، الثانية أن يكون بحيث لايرغب فيه ولايكرهه وهذا هو الرضا، الثالثة أن يكون وجود المال أحب إليه من عدمه لرغبته له فيه ولكن لم تبلغ رغبته لأن ينهض بل إن أتاه من غيرطلب أخذه ، وهذا يسمى قانعاإذ أقنع نفسه بالموجودحتى ترك الطلب.

الرابعة أن يكون تركه للطلب لعجزه وإلا فهو راغب فيه رغبة لوجود سبيلا إلى طلبه ولو بالتعب لطلبه ؛ وصاحب هذه الحالة يسمّى الحريص، الخامسة أن يكون مافقده من المال مضطرا إليه كالجائع الفاقد للخبز؛ وتسمى هذه الحالة مضطرا.

فأعلى هذه الأحوال هو الزهد، نعم إذا انضمّ الزهد إلى الإضطرار كان هو الأعلى ؛ وفوق هذه الحالات كلها حالة أخرى أعلى من الزهد:وهي أن يستوي عنده وجود المال وفقده ، وتسمى هذه الحالة غناء النفس وهي التي أشار إليها المسيح عليه السلام بقوله خادمي يداي ، ودابتي رجلاي، وفراشي الأرض ووسادي الحجر ، ودفئي في الشتاء مشارق الأرض وسراجي بالليل القمر، وأدامي الجوع ، وشعاري الخوف، ولباسي الصوف، وفاكهتي وريحانتي ماأنبتت الأرض للوحوش والأنعام، أبيت وليس لي شيء؛وأصبح وليس لي شيء ؛ وليس على وجه الأرض أحد اغنى مني ، والزهد الذي هو أعلى درجة الأبرار ذنب بالنسبة إلى صاحب هذه المرتبة السادسة ، لقول صلى الله عليه وآله وسلم حسنات الأبرار سيئات المقربين .

وقد حقق هذا المعنى بعض أرباب القلوب بأنّ الكاره للدنيا وهي درجة الزهد مشغول بكراهتها كما أنّ الراغب فيها مشغول بها ، والشغل بما سوى الله حجاب عنه، لأنّ لاحجاب بينك وبينه سوى شغلك بغيره، كما قال عليه السلام يامن كان الحاجب للعباد عنه هم العباد ، يعني به أنّ الحاجبللعباد عن الله سبحانه هو أنفسهم وماأقترفوه من المعاصي وأتوابه من الشغل بغيره؛ فكل مشغول عن الله بغيره سواء كان يحب الدنيا أو يبغضها يكون ذلك الشاغل حاجبا له

عن ذلك الجناب، وكثاله مثال الرقيب الحاضرفي مجلس يجمع العاشق والمعشوق فإن إلتفت قلب العاشق إلى الرقيب وإلى بغضه واستثقاله فهو في حالة اشتغال قلبه مصروف عن التلذذ بمشاهدة معشوقه؛ولو استغرقه العشق لغفل عن غير المعشوق ولم يلتفت إليه ، فكماأنّ النظر إلى غير المعشوق لحبه عند حضور المعشوق شرك في العشق ونقص فيه فكذا النظر إلى غير المحبوب لبغضه شرك فيه ونقص ، ولكنّ أحدهما أخفّ من الآخر، بل الكمال في أن لايلتفت القلب إلى غير المحبوب ؛بغضا وحبّا، فإنّه لايجتمع في القلب حبّان في حالة واحدة فلا يجتمع أيضا بغض وحب في حالة واحدة ؛ فالمشغول ببعض الدنيا غافل عن الله تعالى كالمشغول بحبها إلا أن المشغول بحبها غافل وهو في غفلته سألك في طريق البعد والمشغول ببعضها غافل لكنه سالك في طريق القرب، فالكمال له متوقع ؛ومثالهما كرجلين في طريق الحج مشغولين بعلف الناقة وركوبها لكن أحدهما مستقبل القبلة والىخر مستدبرها ، فكلاهما محجوب عن الكعبة إلا أنّ الأول يرجى له الوصول بخلاف الثاني فالاول حاله محمودة بالنظرإلى الثاني وإن كانت ناقصة بالنسبة إلى من هو مقيم على الإعتكاف في الكعبة ، ولذلك قيل من زهد في الدنيا واقتصرعليه فقد استعجل الراحة، فظهر من هذا كله أنّ الزهد الذي هو عدم الرغبة في الدنيا كمال بالإضافة إلى الراضي والقانع والحريص نقصان بالنسبة إلى غناء النفس.

واعلم أنّ اسم الفقر يطلق على المراتب الخمسة الأولى ؛ وأما السادسة فإن أطلق عليها اسم الفقرفإنما يراد بها الفقر إلى الله سبحانه لأنّه معنى من معاني الفقير، وحينئذ لامنافاة بين قوله صلى الله عليه وآله وسلّم اللهم إني أعوذ بك من الفقر، وقوله كاد الفقرأن يكون كفرا؛وبين قوله اللهم أحيني مسكينا وامتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين إذ فقر المضطر هو الذي إستعاذ منه ، والإفتقار إلى الله عز وجلّ هو الذي سأله ، فلا منافاة.

أقول والأولى في رفع المنافاة التفريع على ماسبق ؛وهو أن من درجات الفقر وإطلاقاته وحالاته الإضطرار وهوشدة مايحتاج إليه من الأموال والمعايش ومنه أيضا درجة الرضا ؛وهو كما عرفت أن يكون بحيث لايرغب منه ولايكرهه، فيكون كل واحد من الحدديثين منزّلا على درجة من درجات الفقر .

أمّا حديث الإستعاذة من الفقر فهو منزّل على درحة الإضطرار ، فإنّ الإنسان ربما لم يقدرمعها على القيام بوظائف العبودية كما تقدم من أنه صاى الله عليه وآله وسلم جاع في بعض أوقاته فاضطجع على قفاه ولم يتمكن من القيام للصلاة ، فكان يقول اللهم إني أعوذ بك من جوع يضجعني على الفراش وينسيني ذكرك ، وهذا المعنى هو المراد من قول مولانا أمير المؤمنين عليه السلام صارعت كل شيء فغلبته ، وصارعني الفقر فغلبني .

وروي أنّه لمّا جاء إعرابي إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال إنّي مأخوذ بثلاث علل :علّة النفس ، وعلّة الفقر، وعلّة الجهل، فأجابه أمير المؤمنين عليه السلام وقال ياأخا العرب علّة النفس تعرض على الطبيب، وعلّة الجهل تعرض على العالم ؛وعلة الفقر تعرض على الكريم؛فقال الأعرابي ياأمير المؤمنين أنت الكريم وأنت العالم وأنت الطبيب ؛فأمر له أمير المؤمنين عليه السلام بأن يعطى من بيت المال ثلاثة آلاف درهم ، وقال تنفق ألفا بعلة النفس ، وألفا بعلة الجهل، وألفا بعلة الفقر.

وأمّا الدرجة التي طلبها صلى الله عليه وآله وسلّم فهي درجة القناعة والرضاالمشار إليها بقوله صلى الله عليه وآله وسلم اللهم ارزق آل محمد الكفاف، وقوله اللهم لاتعطني قليلا فأشقى ولا كثيرا فأطغى والشقاء هنا بمعنى التعب من باب قوله تعالى طه ماأنزلنا عليك القرآن لتشقى ، نزلت بعد أن كان يصلي عليه السلام كل الليل فورمت قدماه وتعب من جهة العبادة ، وهو المراد أيضامن قوله عليه السلامإذا رأيت الفقرمقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين، وإذا رأيت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته، وإنّا لله وإنّا إليه راجعون .

ومن هذا الباب مارواه شيخنا الكليني (ره) عن النوفلي (ره) رفعه إلى علي بن الحسين عليه السلام قال مرَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسَم براعي إبل فبعث يستسقيه، فقال أمّا ما في ضروعها فصبوح الحي ، وأما مافي آنيتها فغبوقهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم اللهم أكثر ماله وولده ثمَ مرّ براعي غنم فبعث يستسقيه ، فجلب له مافي ضروعها وأكفأ مافي إنائه في إناء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم وبعث إليه بشاة؛ فقال هذا ماعندنا وإن احببت أن نزيدك زوّدناك ، قال فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم اللهم ارزقه الكفاف ، فقال له بعض أصحابه يارسول الله دعوت للذي ردّك بعاء عامتنا نحبه ودعوت للذي أسعفك بحاجتك بدعاء كلنا نكرهه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ماقلَ وكفى خير من ما كثر وألهى، اللهم ارزق محمدا وآل محمد الكفاف .

وروي عن عمران بن حصين أنَه قال كانت لي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم منزلة وجاء فقال ياعمران إنَ لك عندنا منزلة وجاها فهل لك في عيادة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم فقلت نعم بأبي أنت وأمي يارسول الله ؛فقام وقمت معه حتى وقف بباب فاطمة عليها السلام فقرع الباب وقال السلام عليكم أدخل، فقالت فاطمة أدخل يارسول الله ؛ قال أنا ومن معي ؟ قالت ومن معك يارسول الله ؟قال عمران قالت فاطمة والذي بعثك بالحق نبيا ماعليَ إلا عباءة قال اصنعي بها هكذاوهكذا اشار بيده ؛قالت هذا جسدي فقد واريته فكيف برأسي ؟ فألقى إليها ملاءة كانت عليه خلفه فقال شدي بها على رأسك ، ثم أذنت له ،

فدخل فقال السلام عليكم يابنتاه كيف أصبحت ؟ قالت أصبحت والله وجعة وزادني وجعا على مابي أني لست أقدر على طعام آكله فقد أضرني الجوع ، فبكى رسول الله صلى اله عليه وآله وسلَم وقال لاتجزعي يابنتاه والله ماذقت طعاما منذ ثلاث ، وإنَي لأكرم على الله منك ولو سألت ربي لأطعمني ولكني آثرت الآخرة على الدنيا ، ثمَ ضرب بيده على منكبها وقال لها أبشرى فوالله إنَك لسيدة نساء أهل الجَنة ، قالت فأين آسيةامرأة فرعون ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد؟ قال آسية سيدة نساء عالمها، ومريم سيدة نساء عالمها، وخديجة سيدة نساء عالمها ، وأنت سيدة نساء عالمك إنَكن في بيوت من قصب لاأذى فيها ولاصخب ولانصب، ثمَ؛ قال لها اقنعي بابن عمك فوالله لقد زوجتك سيدا في الدنيا وسيدا في الآخرة روى هذا الحديث الغزالي وغيره؛ومع هذا ذهبوا إلى عايشة أفضل من فاطمة، وهذا ليس بأوَل قارورة كسرت في الأسلام .

وعن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَم يقول يدخل فقراء المسلمين الجنَة قبل الأغنياء بخمسئة عام حتى أن الرجل من الأغنياء يدخل في غماره فيأخذ بيده فيستخرج ، وجاء رجل إلى إبراهيم بن أدهم بعشرة آلاف درهم فأبى عليه أن يقبلها وطلب إليه الرجل ؛ فقال أتريد أن أمحو إسمي من ديوان الفقراء بعشرة آلاف لاأفعل، وقل أبو الدرداء مامن احد إلا وفي عقله نقص ؛ وذلك أنَه إذا أتته الدنيا بالزيادة ظلَ فرحا مسرورا، والليل والنهار دائبان في هدم عمره ثمَ لايحزنه ذلك ، ويح ابن آدم ماينفعه مال يزيد وعمر ينقص، ويصدق هذا أن الرجل إذا كان له عند أحد دين أو عطاء مقرر ويكون موزعا على الشهور كيف تراه يحب أن يقض الأشهر والسنون حتى يحل وقت الدين والعطاء مع أنَ مايذهب من عمره لم يرجع إليه أبدا، مفقود المال يمكن رجوعه فهذا أيضا من نقصان العقل .

فقال الحسن عليه السلام لعن الله أقواما أقسم الله عزوجل لهم ثمَ لم يصدقوه ثمَ قرأ و في السماء رزقكم وماتوعدون فورب السماء والأرض ، وكان ابو ذر رضي الله عنه يوما جالسا فأته امرأة، فقالت له تجلس بين هؤلاء والله مافي البيت هفَة ولاسفة [1] فقال ياهذه إنَ بين أيدينا عقبة كؤدا لاينجو منها إلا كل مخف ، فرجعت وهي راضية، وبروى أن الله عز وجل قال في بعض الكتب المنزلة يابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها إلا القوت فإذا أنا أعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيركفأنا محسن إليك .

وعن أنس بن مالك قال بعث الفقراء رسولا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَم فقال إني رسول الفقراء إليك، فقال مرحبا بك وبمن جئت من عندهم قوم أحبهم ، قاللوا

---

(١)يقال :مافي بيتك هفة ولاسفة أب لامشروب في بيتك ولامأكول

يارسول الله إنَ الأغنياء ذهبوا بالحسنة يحجون ولانقدر عليه وإذا مرضوا بعثوا بفضل أموالهم ذخبرة لهم فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلَم بلّغ عني الفقراء إنّ لمن صبر واحتسب منكم ثلاث خصال ليست للأغنياء أمّا خصلة واحدةفإنّ في الجنة غرفا ينظر إليها أهل الجنة كما ينظر اهل الأرض إلى نجوم السماءلايدخلها إلا نبي فقيرأوشهيد فقير ، او مؤمن فقير ، والثانية يدخل الفقراء الجنَة قبل الأغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام ؛ الثالثة إذا قال الغني سبحان الله والحمدلله ولاإله الا الله والله أكبر؛ فقال الفقير مثل ذلك لم يلحق الغني بالفقير وإن أنفق فيها عشرة آلاف درهم ؛وكذلك أعمال البر كلها؛ فرجعا اليهم فقالوا رضينا رضينا .

فإن قلت كيف فضل تسبيح الفقراء على تسبيح الأغنياء مع أنَ كلا منهماطاعة له تعالى كما هو المفروض وليس في لأحدهما رياء، قلت الجواب عن هذا من وجوه الأول أنأفضل أفراد الغني هو الذي ينفق في سبيل الله تعالى واجباته ومستحبانه ومع هذا فصاحبه في أمن من الدنيا مستشعرا راحة بذله وهو مما يورث الإنس لهذا العالم والوحشة من الآخرة؛ وبقدر مايستأنس العبد بالدنيا يستوحش من الآخرة لأنَهما كالمشرق والمغرب بقدر ماتقرب من أحدهما تبتعد من الآخر؛ ومهما إنقطعت اسباب الأنس بالدنيا تجافى القلوب عن الدنيا وزهرتها ؛والقلب إذا تجافى عن ماسوى الله عز وجل وكان مؤمنا بالله إنصرف لامحالة إلى الله ، إذلايتصور قلب فارغ، وليس في الوجود إلا الله، فمن أقبل على غيره تجافى عنه ومن أقبل عليه تجافى عن غيره ؛ فالغني قلبه مشغول بماله ومحبته كامنة فيه كمون النار في الأحجار، فعلاقة الفقير وأنسه في الدنيا أضعف وبقدر ضعف علاقته يتضاعف ثواب تسبيحاته وعباداته ، فإن حركات اللسان ليست مرادة لأعيانها بل ليتأكد بها الإنس بالمذكور، فلايكون تأثيره في إثارة الأنس في قلب فارغ من غير المذكور كتأثيره في قلب مشغول ، ولذلك قيل مثل من تعبد في طلب الدنيا مثل من يطفى النار بالحلفاء ، ومثل من يغسل يده من الغمر بالسمك ومن دخل السوق فرأى شيئا يشتهيه فصبر واحتسب كان خيرا له من ألف دينارأنفقهاكلها في سبيل الله عز وجلّ

الثاني أنّ داعي الفقير إلى العبادةغايب وداعي الغنى حاضر لأنّ من دواعيه إلى العبادة إتمام النعمة عليه فهو ناظر إلى قوله تعالى ولئن شكرتم لازيدنكم ؛فداعي الغني الذي ينشطه على العبادة حاضر موجود بخلاف الفقير فإنّه لاداعي له كذلك ، فاعتمادهعلى غايب دليل على قوة إيمانه ووفور إخلاصه .

الثالث أنّ مثل الفقير العابد والغني العابد مثل مولى له مملوكان فخلع على احدهما وكساه ولم يخلع على الآخر ولم يكسه وكلاهما مشغول بخدمته ؛ فلاريب أنّ خدمة ذلك العبد

الذي لم يخلع عليه ولم بعطه شيئا كثيرا أقبل عند اهل العقل والكمال من خدمة الآخر؛ وهذا الوجه في الحقيقة يرجع إلى الوجهين الأولين .

ولنرجع إلى الكلام الأول فنقول:للفقير قانون شرعي في باطنه وظاهره ومخالطته وأفعاله، امَا الباطن فأن لايكون فيه كراهة لما أورده الله سبحانه عليه من الفقر يعني لايكون كارها له من حيث أنَه فعل الله سبحانه، وإن كان كارها له من حيث التألّم به وذلك كالحجّام فإنَ المحجوم وإن كان كره فعله من حيث الألم لكن من حبث أنّه فعل الحجّام براد له ، ويرى أنَ للحجّام المنّة عليه بذلك؛ وهذا المعنى واجب ونقيضه حرام محبط للأجر، وألى هذا الاشارة بقوله صلى الله عليه وآله وسلَم يامعشر الفقراء اعطوا الله الرضا من قلوبكم تضفروا بثواب فقركم، وإلا فلا ؛وارفع من هذاأن لايكون كارها للفقر بل يكون راضيا به، وأعلى منهما أن يكون طالبا لعلمه بغوائل الغنى .

وروي عن على عليه السلام أنَ لله عقوباتومثوبات بالفقر فمن علامات الفقر إذا كان مثوبة إن يحسن عليه خلقه ، ويطيع به ربَه ولايشكو حاله ويشكر الله تعالى على فقره ، ومن علامة ان يكون عقوبة ان يسوء عليه خلقه ويعصي ربَه ويكثر الشكاية، ويتصخت القضاء ، وهذا يدل على أن الفقر المحمود ذلك الفرد إذ قيل ماأعطي عبد شيئا من الدنيا إلا قيل له خذه على ثلاثة أثلاث :شغل ، وهمّ، وطول حساب وأمَا الظاهرفبأن يظهر التعفف والتجمل ولايظهرالفقر والشكوى؛ففي الحديث أنَ الله تعالى يحب الفقير المتعفف أبا العيال ، وإذا أراد إظهاره فلا بظهر إلا لأخ في الأيمان لأنَ الشكوى إليه ربَما ترتب عليها بعض الفوائد، ولابدَ من شكوى إلى ذي صبابة يواسيك أويسليك أويتوجع، ولأن المحن وزحمات القلوب ربما كان القلب لايطيق تحملها كمالايطيق تحمل غيرها .

روي عن جابر بن يزيد الجعفي قل حدثني أبوجعفر عليه السلام سبعين ألف حديث لم أحدث بها احدا ولن أحدث بها أحداأبدا، قال جابر قلت لأبي جعفر عليه السلام جعلت فداك إنَك قد حملَتني وقرا عظيما بما حدثتني به من سركم الذي لاأحدث به أحدا فربَما جاش في صدري حتى يأخني منه شبه الجنون ، قال ياجابر إذا كان كذلك فاخرج إلى الجبّانة فاحفر حفيرة ودلَ رأسك فيها ثمّ قل حدّثني محمد بن على بكذا وكذا؛ فإنَ الأرض تحمل حديثنا ، فإذا كانت القلوب لاتطيق حمل العلومع كونها لذة محضة فكيف تطيق حمل أثقال الهموم والغموم التي صرعت مثل أمير المؤمنين عليه السلام في قوله عليه السلام صارعني الفقر فغلبني [١]

---

(١)ينسب إلى أمير المؤمنين (ع) قوله:

روى أخطب خاوارزم إنَ إعرابيا جاء إلى الحسين عليه السلام وقال يابن رسول الله صلى اله عليه وآله وسلم قد ضمنت دية كاملة وعجزت عن ادائه فقلت في نفسي أسأل أكرم النَاس ، ومارأيت أكرم من اهل بيت رسول الله ؛فقال الحسين عليه السلام ياأخا العرب اسألك عن ثلاث مسائل فإن أجبتك عن واحدة أعطيتك ثلث المال ، وإن اجبت عن اثنتين أعطيتك ثلثي المال، وإن اجبت عن الكل أعطيتك الكل ، فقال الإعرابي يابن رسول الله أمثلك يسأل مثلي وانت من أهل بيت العلم والشرف ، فقال الحسين عليه السلام بلى سمعت جدَي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول المعروف بقدر المعرفة ؛ فقال الإعرابي سل عمّا بدا لك فإن أجبت وإلا تعلمته منك ، ولاقوة إلا بالله ، فقال الحسين عليه السلام فما النجاة عن الهلكة ؟ فقال الإعرابي الثقة بالله فقال الحسين عليه السلام فما يزين الرجل؟ فقال الإعرابي علم معه حلم ، فقال فإن اخطأ ذلك ، فقال مال معه مبرة ، فقال فإن اخطأ ذلك فقال فقر معه صبر ، فقال الحسين عليه السلام فإن أخطأ ذلك ، فقال الإعرابي فصاعقة تنزل من السماء وتحرقه فإنَه اهل لذلك، فضحك الحسين عليه السلام ورمى إليه بصرّة فيها ألف دينار؛وأعطاه خاتمه وفيه فص قيمته مائتا درهم، وقال ياإعرابي إعط الذهب ألى غرمائك واصرف الخاتم في نفقتك فاخذ الإعراب وقال الله أعلم حيث يجعل رسالته.

وامَافي مخالطته فبأن لايتواضع لغني لاجل غناه بل يتكبر عليه لاجله؛ روي عن مولانا امير المؤمنين عليه السلام انه قال ماأحسن تواضع الغني للفقير رغبة في ثواب الله تعالى وأحسن منه تيه [١]الفقير على الغني ثقة بالله عزوجل فهذه رتبة وأدون منها أن لايرغب في مخالطة الأغنياء لأنَ ذلك من مباديء الطمع، قال بعضهم وإذا خالط الفقير الأغنياء فاعلم أنَه مراء وإذا خالط السلطان فاعلم أنَه لص وأماإذا في أفعاله فبأن لايفتر عن العبادات بسبب الفقر ولايمتنع عن التصدق المكن ، ففي الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَم درهم من الصدقة أفضل عند الله تعالى من مائة ألف درهم، قيل وكيف يارسول الله؟ فقال أخرج رجل من عرض ماله مائة ألف فتصدَق بها وأخرج رجل درهما لايملك غيرهما طيبة به نفسه؛ فصار صاحب الدرهم أفضل من صاحب المائة ألف، وقد تقدمت الرواية في ذلك الفقير الذي حمل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلَم تمرة واحدةفوضعها على تمور الصدقة؛فأنزل الله سبحانه قرآنا في مدائحه .

صارعت كل كريهة فغلبتها — والفقر صارعني فأصبح غالبي

إن أخفه يقتل إن أبده يفضح — فيا عسا له من صاحب

(١)تاه تيها تكبَر

وينبغي ان لايدخره مالا بل ياخذ قدر الحاجة ويخرج الباقي والإدخار على ثلاث مراتب ؛أحدهما أن لايدخر إلا ليومه وليلته وهي درجة الصدّقين، والثانية أن يدخر لأربعين يوما لأن مازاد داخل في طول الأمل كما فهمه العلماء من ميعاد الله تعالى لموسى عليه السلام وهذه رتبة المتقين :والثالثة أن يدخر لسنة وهي رتبة الصالحين ، قال الصادق عليه السلام إنّ النفس اذا احرزت قوت سنتها أستقرت وما زادعلى ذلك فهو همّ وغمّ وخروج عن الوثوق بفضل الله سبحانه.

وامّا آداب الفقيرفي قبوله للعطاء بغير سؤال فهو ثلثه أيضا ، الأول لايلاحظ الفقير نفس المال وهو كونه حلالا خاليا عن الشبهات فأنّ البعد عن الشبهات درجة الصالحين ، الثاني ان يلاحظ غرض المعطي وهو أمّا أن تطيب قلب الفقير وطلب محبته وهو الهدية، أو الثواب والصدقة والزكاة او الذكر والرياء والسمعة أمّا على التجرد أو ممزوجا ببقية الأغراض، أما الأول وهو الهدية فلابأس بقبولها فأإن قبولها سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم :ولكن ينبغي أن لايكون فيها منّة ؛فإنّ علم أنّ بعضها مما يعظم فيه المنّة فليرد البعض دون البعض.

فقد أهدي إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلّم سمن وأقط وكبش ، فقبل السمن والأقط ورد الكبش وكان يقبل من بعض الناس ويرد على بعض ، حتى قال لقد هممت أن لا أتهب إلا من قرشي أو ثقفي أو دوسي، وأمّا إذا كان غرض المعطي الثواب المجرد كصدقة أو زكاة فعلى الفقير أن ينظر في صفات نفسه أنّه هل هو من اهل الإستحقاق لها أم لا ، وإن كانت صدقة وكان يعطيه لدينه ولظاهره من الصلاح فلينظر هو إلى باطن نفسه فإن كان مقارفا (متقا) لمعصية في السرويعلم انّ المعطي لو علم ذلك لنفر طبعه ولما تقرب إلى الله تعالى بالتصدق عليه فهذا حرام كما قيل ، وذلك كما لو عطى هو لظنّه أنه عالم أو علوي ولم يكن فإنّ أخذه لاشك في حرمته ، وقد يكون غرض المعطي الشهرة والرياء فينبغي للفقير ان لايأخذ لئلا يكون معينا له على ذلك الغرض الفاسد ، وعوتب بعضهم في رد ماكان يأتيه من صلة ؛فقال إنّما أردت صلتهم إشفاقا ونصحا لهم لأنّهم يذكرون ذلك ويحبون أنت يعلم يعلم به فتذهب اموالهم وتحبط اجورهم ؛ فإذا علم الفقير هذه الأمور وخلّو ذلك المال منها فليأخذ ماأعطوه ؛كما روى عنه صلى الله عليه وآله وسلّم قال ماالمعطي من سعة بأعظم اجرا من الىخذ إذا كان محتاجا ، ومن أتاه شيء من هذا المال من غير مسألة ولاإستشراق فإنّما هو رزق ساقه الله إليه .

وقال الصادق عليه السلام تارك أخذ الزكاة وقد وجبت له كتارك دفعها وقد وجبت عليه ، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم لاحق لابن آدم إلا في ثلاث : طعام يقيم صلبه

وثوب يواري عورته؛ وبيت يكنّه ، فما زاد فهو حساب ؛ فإذا أنت في أخذ الحاجة من هذه الثلث مثاب ، وفيما زاد عليه إن لم تعص الله متعرض وإن عصيت الله تعالى فأنت متعرض للعذاب .

واعلم أن السؤال من غير حاجة مما لايبعد القول بتحريمه لانَه لاينفك عن ثلاث أمور محرمة ؛الأول إظهار الشكوى من الله تعالى كما أنّ العبد المملو لو سأل لكان سؤاله تشنيعا على سيده فكذا سؤال العبد تشنيعا على الله تعالى ؛ وهذا ينبغي أن يحرم ولايحل إلا لضرورة كالميتة ، والثاني إنّ فيه إذلال السائل نفسه لغير مولاه وليس للمولى ان يذل نفسه إلا لله إلا لضرورة ؛ وكان الباقر عليه السلام إذا أعطى الفقراء أعطاهم من تحت حجاب فقيل له في ذلك فقال لئلا أرى ذل السؤال في وجوه السائلين وقال الصادق عليه السلام إنّ أمير المؤمنين عليه السلام بعث إلى رجل خمسة أو ساق من تمر وكان ذلك الرجل ممن يرجى رفده وكان لايسأل عليا عليه السلام ولاغيره شيئا ، فقال رجل لأمير المؤمنين عليه السلام والله ماسألك فلان شيئا ولكان يجزيه من الخمسة الأوساق وسق واحد ، فقال له ياأمير المؤمنين عليه السلام لاكثر الله في المؤمنين مثلك ، اعطي أنا وتبخل أنت به ، إذا انا لم أعط الذي يرجوني إلا من بعد مسألتي ثمّ أعطيته بعد المسألة فلم اعط إلا ثمن ماأخذت منه ، وذلك لأنّي عرضته لان يبذل لي وجهه الذي يعفره في التراب لربي ولربه عزوجل عند تعبده له ، وطلب حوايجه إليه فمن فعل هذا باخيه المسلم وقد عرف أنَه موضع لصلته ومعروفه فلم يصدق الله عز وجل في دعاءه له حيث يتمنى له الجنة بلسانه ويبخل عليه بالحطام من ماله ، وذلك أنّ العبد قد يقول اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات فإذا دعى له بالمغفرة فقد طلب له الجنة فماأنصف من فعل هذا بالقول ولم يحققه بالفعل .

وروى صاحب كشف الغمّة أنّ رجلا جاء إلى الحسين عليه السلام وسأله حاجة فقال له ياهذا حق سؤالك يعظم لديَ وممعرفتي بما يجب لك تكبر لدي ، ويدي تعجز عن نيلك بما أنت اهله ، والكثير في ذات الله عزوجل قليل ، ومافي ملكي وفاء لشكرك ، فإن قبلت الميسور ورفعت عني معونة الاهتمام لما أتكلفه من واجبك فعلت، فقال يابن رسول الله أقبل القليل وأشكر العطية واعذر على المنع ؛ فدعا الحسن عليه السلام بوكيله وجعل يحاسبه على نفقاته حتى استقصاها ، فقال هاتي الفاضل من الثلثمائة الف درهم فاحضر خمسين ألفا ؛ قال فما فعل الخمسمائة دينار؟ قال هي عندي قال أحضرها؛ فأحضرها فاحضرها فدفع الدراهم والدنانيرإلى الرجل وقال هات من يحملها فاتاه بحمّالين فدفع الحسن عليه السلام إليه رداءه لكري الحمّالين ، فقال مواليه ماعندنا درهم ، فقال لكني أرجو أن يكون لي عند الله أجر عظيم .

وروى أيضا عن المدايني قال خرج الحسن والحين عليهما السلام ، وعبد الله بن جعفر حجَاجا ففاتهم اثقالهم؛ فجاعوا وعطشوا فموا بعجوز ، فقالو هل من شراب؟ قالت نعم؛ فأناخواوليس لها إلا شويهة في كسر الخيمة ؛ فقالت إحلبوها وامتذقوا لبنها ، ففعلوا ذلك وقالوالها هل من طعام؟ قالت لا إلا هذه الشاة فليذبحها أحدكم حتى أهيىء لكم شيئا تأكلون فذبوحها فهيأت لهم طعاما فأكلوه؛ فلما ارتحلوا قالوا نحننفر من قريش نريد هذا الوجه ، فإذا رجعنا سالمين فألَمي بنا فإنَا صانعون إليك خيراثمَ ارتحلوا فأقبل زوجها فغضب على صنعها ، ثم بعد مدة ألجأتهم الحاجة إلى دخول المدينة ، فجعلا يبيعان البعر ويعيشان منه فمرت العجوز في بعض سكك المدينةفإذا الحسن عليه السلام على باب داره جالس ، فعرف العجوز وهي له منكرة ، فبعث له غلامها فردها، فقال ياأمة الله تعرفيني ؟ قالت لا، قال انا ضيفك يوم كذا، فقالت العجوز بأبي أنت وأمي فأمر الحسن عليه السلامفاشترى لها من شاة الصدقة ألف شاة ، وأمر لها بألف دينار وبعث معها غلامه إلى أخيه الحسين عليه السلام، فقال بكم وصلك أخي الحسن ؟ فقالت بألف شاة وألف دينار فامرلها بمثل ذلك ؛ ثمَ بعث بها مع غلامه إلى عبد الله بن جعفر ، فقال بكم وصلك الحسن والحسين عليهما السلام ؟ فقالت بألفي دينار وألفي شاة فامر لها عبد الله بألفي شاة والفي دينار ، وقال لوبدأبي لأتعبتهما فرجعت العجوز إلى زوجها بذلك وفي بعض كتب العربيةانَ شاعرا أتى معن بن زايدة وهو في قصر إمارته فلم يجد إليه سبيلا ، فرأى نهرا يجري إلى داخل القصر ؛ فكتب هذا البيت بقرطاسةووضعها على خشبة وسيَرها الماء حتى ادخلها القصر ؛فاتفق أن معنا كان جالساعلى شاطيء النهرفرأى الخشبة وعليها القرطاسة، فأخذها وقرأ مافيهاوهو:

أياجود معن ناج معنا بحاجتي فليس إلى معن سواك شفيع

فخرج من قصره واستدعاه فأتى به فقال أنت الذي كتبت هذا الشعر ؟ فقال نعم ، فأمر له بمائة ألف درهم ؛ فأخذها ومضى إلى الخان ، فلمَا كان اليوم الثاني طلبه واخرج القرطاسة وقرأ ذلك الشعر وأمر له بمائة ألف درهم ، وبقي على هذا الحال خمسة أيَام ، ثمَ أن ذلك الشاعر خاف من ندامته على الدراهم فأخذها ومضى بها إلى البلد فطلبه اليوم السادس، فقيل له إنَه سافر فقال والله إنَ طالع خزانتي أقوى من طالعه فوالله لو بقي في البلد لأعطيته كل درهم ودينار في خزانتي ؛ فانظر إلى هذه السخاوة الجيدة .

الأمر الثالث في السؤال أنَه لاينفك عن إيذاء المسئول غالبا ؛ لأنَه ربَما لاتسمح له نفسه بالبذل عن طيبة قلب فإن بذل حياء من السائل ورياء فلعله يكون حراما على الآخذ ، وإن منع ربما استحى من المنع إذ يرى نفسه في صورة البخلاء ، ففي البذل نقصان ماله وفي المنع نقصان

جاهه وكلاهما مؤذييان والسائل هو السبب في الأيذاء والأيذا حرام إلا لضرورة ، وقد اتضح بهذه الأمور الثلاثة معنى قوله صلى الله عليه وآله وسلّم مسألة النّاس من الفواحش مأحلّ من الفواحش غيرها فسمّاها فاحشة ، ولاشك أنّما الفاحشة تباح عند الضرورة فقط.

وقال صلى الله عليه وآله وسلّم من سال عن غنى فإنّما يستكثر من جمر جهنّم ، ومن سأل وله مايعينه جاء يوم القيامة ووجهه عظم يتقعقع ليس عليه لحم ، وماأحسن قول بعض العارفين بأنّ الفقير إذا أخذ مع علمه بأن باعث المعطي هو الحياء منه أو من الحاضرين ولولاه لما ابتدأه به يكون ذلك الأخذ حراما بلا خلاف فيه بين الأمة وحكمه حكم الآخذ من غيره بالضرب إذ لافرق بين أن يضرب جلده بسياط الخشب أو يضرب باطن قلبه بسوط الحياء وخوف الملام ، وضرب الباطن أشد نكاية في قلوب العقلاء ؛ ولايجوز ان يقال هو في الظاهر رضي به ومدار الأحكام الشرعية على الظواهر ، لأن الفرق بين الصورتين ظاهر لايخفى ، نعم الإطلاع على البواطن عسر جدا لأن السائل ربما ظن أن المعطي راض وهو غير راض، ومن جهة هذا ترك المتقون السؤال رأسا؛ ولكن قرائن الاحوال ربما أطلعت السائل على بواطن بعض النّاس دون البعض، فإذا احتاج إلى السؤال فلا يسأل إلا من قامت له القرينة على حسن باطنه وإنّ عطاءه خال من الأمور، اما إذا علم السائل أو الوالي بأن المعطي إنّما اعطاه م فقره او لإضطراره الشديد كأن لايجد طعام ليلة أو أكثر أو أقل وكان عنده أزيد مما ظنّ به المعطي واعطاه لتلك الحالة فقد جزم أهل التحقيق بأنّ ذلك الطعام أو المال حرام على السائل ويجب عليها وعلى الوالي أن يرجعه إلى أهله، فإن لم يعرفوه تصدق لهم به على المساكين او صرفه في وجه من وجوه مصالح المسلمين، وينزل أخذ السائل مع إظهار الحاجة كاذبا كأخذ العلوي بقوله إني علوي وهو كاذب؛ فإنّه لايملك ماياخذ، وكأخذ الصوفي والصالح الذي يعطي لصلاحه وهو في الباطن يقترف معصية لو عرفها المعطي ماعطاه.

واما الشيء الذي يطلبه السائل فهو دائر بين أحوال أربعة أما أن يكون مضطرا إليه أومحتاجا إليه حاجة شديدةأو خفيفة او لاحاجة به إليه، أما المضطر إليه كسؤال الجائع عند الخوف على نفسه فهو واجب إلا أن يكون قادرا على الكسب وهو غير مشغول بتحصيل العلم بحيث يستغرق وقته فيه، وأما الذي لاحاجة به إلى السؤال فسؤاله حرام قطعا، وأمّا شدة الإحتياج كمن له جبة ولاقميص له تحتها في الشتاء وهو يتأذى بالبرد لكن لايبلغ تأذيه الضرر فهنا الأولى ترك السؤال ، وإذا سأل هذا ينبغي له الصدق في سؤاله كأن يقول ليس تحت جبّتي قميص والبرد يؤذيني وانا أطيقه ولكن يشق عليّ وأما الحاجة الخفيفة فمثل سؤاله قميصا يلبسه فوق ثيابه عند خروجه ليستر الخروق من ثيابه عن أعين الناس، ومن يسأل الإدام وهو قادر على

الخبز، أو أن يسأل كراء الفرس في الطريق وهو قادرعلى كراء الحمارفقد قيل إن كان فيه تلبيس حال بإظهار حاجة غير هذه فهو حرام، وإن لم يكن وكان فيه شيء من المحذورات الثلاثة من الشكوى أو الذل أو إيذاء المسئول فهو حرام ؛ لأنَ مثل هذه الحاجة لاتصلح لأن يباح بها مثل هذه المحذورات ، وإن لم يكن فيها شيء من ذلك فهو مباح مع الكراهة .

فإن قلت كيف يمكن إخلاء السؤال عن هذه المحذورا ت؟ قلت ذكر له بعض أهل السلوك طريقا: وحاصله أنَ دفع الشكوى أن يظهر الشكر لله عند السؤال والإستغناء عن الخلق فلايسأل سؤال محتاج ولكن يقول أنا مستغن بماأملكه ولكن نفسي تطالبني بهذا ؛فيخرج به عن حد الشكوى ، وأما الخروج عن حد الذل فبأن يسأل شخصا لاينقصه ذلك في عينه ولايحتقره بسبب سؤاله ، وأما إيذاء المسئول فسبيل الخروج عنه هو أن لايعين شخصا حين السؤال بل يلقي الكلام مجملا بحيث لايقدم على البذل إلا متبرعا بصدق الرغبة وأما إذا سأل معينا فينبغي أن لايصرح بل يعرض تعريضا يبقى له سبيل إلى التغافل إن أراد ؛ فإذا لم يتغافل مع القدرة عليه ذفلك دليل على رغبته به وينبغي للسائل أن يسأل من لايستحي منه لو رده أو تغافل عنه فإنَ الحياء من السائل يؤذي .

إذا عرفت هذا فاعلم أنَه قد سبق في الخبر تحريم السؤال عن ظهر غنى فما حد الغنى؟ وتحديده لايخلو من إشكال لإختلاف الأخبار، فقد ورد في الحديث إستغنوا بغناء الله تعالى، قالوا وماهو؟ قال غذاء يوم وعشاء ليلة، وفي خبر آخر من سأل وله خمسون درهما أو عدلها من الذهب فقد سأل إلحافا، وفي حديث آخر أربعون درهما ، وينبغي تنزيل هذه الأخبار على الأحوال المختلفة.

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم لاحق لإبن آدم إلا في ثلاث: طعام يقيم به صلبه؛وثوب يواري به عورته ، وبيت يكنَه ، ومازاد فهو حساب ، وذكر هذه الأجناس الثلاثة مثالا لكثرة الإحتياج إليها وإلا فما بمعناها حكمه حكمها أيضا .

فأما الثواب فيراعى فيه مايليق بذوي الدين وهو قميص ومنديل وسراويل ومداس والثاني مستغنى عنه؛ وليقس على هذا أثاث البيت، وأما الطعام في اليوم فقدره في الشرع مد وأما المسكن فهو مايحتاج إليه من غير زينة ، وأما بالإضافة إلى الأوقات فمايحتاج إليه من الطعام في الحال مما لاشكَ فيه .

فأما السؤال لما سيأتي فالضابط فيه أنَه إذا كان عنده طعام سنة فالسؤال حرام، وأما إذا كان أقل فله حالات ودرجات في الفضل والفضيلة حتى يبلغ الأربعين يوما فإذا كان عنده طعامها فلايسأل ، وأفضل من هذا كله ترك السؤال إذا كان عنده غداء يومه وعشاءه ، وفي الحديث

القدسي يابن آدم كما لاأطلب منك عمل غد في هذا اليوم فلاتطلب أنت منّي رزق غد في هذا اليوم ، هذا محصل الكلام في الفقر.

وأما مايوجبه فروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلّم أنه قال عشرون خصلة تورث الفقر ، أوله القيام من الفراش للبول عريانا ، والأكل جنبا ، وترك غسل اليدين عند الأكل ؛وإهانة الكسيرة من الخبز، وإحراق الفوم والبصل ، والقعود على أفنية البيت ، وكنس البيت بالليل وبالثوب، وغسل الأعضاء في موضع الإستنجاء ومسح الأعضاء المغسولة بالمنديل والكم ، ووضع القصاع والأواني غير المغسولة ، ووضع أواني الماء غير مغطاة الرؤوس ، وترك بيوت العنكبوت في المنزل ؛ واستخفاف الصلاة ، وتعجيل الخروج من المسجد؛ والبكور إلى التسوق ؛ وتأخير الرجوع عنه إلى العشاء، وشراء الخبز من الفقراء ؛واللعن على الأولاد، والكذب، وخياطة الثوب على البدن وإطفاء السراج بالنفس ، وفي خبر آخر والبول في الحمّام، والأكل على الجشاء، والتخلل بالطرفاء والنوم بين العشائين ، والنوم قبل طلوع الشمس ، ورد السائل الذكر بالليل ، والتمشط من قيام ، واليمين الفاجرة، وقطيعة الرحم وأما الزهد فهو إنصراف الرغبة عن الشيءإلى ماهو خير منه فإذا يستدعي حال الزهد مرغوبا عنه ومرغوبا فيه وشرط المرغوب عنه أن يكون مرغوبا فيه بوجه من الوجوه ؛وبالجملة فلا يتصورالزهد إلا بالعدول غير المحبوب إلى الاحب والذي يرغب عن كل ماسوى الله تعالى حتى الفراديس فلا يحب إلا الله فهذا هو الزهد المطلق وأما الذي رغب عن الدنيا ولكن طمع في حور العين وقصورها فهذا أيضا زاهد ولكنه دون الأوّل .

وأما الذي يترك من حظوظ الدنيا البعض دون البعض كالذي يترك التوسع في الأكل ولايترك التجمّل في الزينة فلا يستحق إسم الزهد مطلقا وإن كان زهدا صحيحا كما أنّ التوبة عن بعض المعاصي صحيحة دون البعض الآخرعلى ماتقدم ، فإذن الزهد المبحوث عنه هو الرغبةعن الدنيا عدولا إلى الآخرة أو عن غير الله تعالىإليه تعالى، وإشترط بعضهم في المرغوب عنه ان يكون مقدورا عليه فإن ترك مالا يقدر عليه محال ؛ وقد يقوى اليقين في تلك النشأة حتى يبيع الرجل نفسه كما قال الله تعالى إنّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنّة ؛ ثم بين أنَ صفقتهم رابحة فقال فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به.

وقد ورد في الأخبار أنّ عليا عليه السلام باع نفسه على الله تعالى ، وقد اشترط الله عليه وقت الشراء الصبر على ماأصابه بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الظالمين، وزإلى ماذكرنا من أنَه يشترط في الزهد الرغبة عن محبوب إلى أحب منه الإشارة بما روى أنّ رجلا قال في دعاءه اللهم ارني الدنيا كما تراها ، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم لاتقل هكذا ولكن قل اللهم

أرني الدنيا كما أريتها الصالحين من عبادك، وذلك أنّ الله تعالى يراها حقيرة كما هي ، وامأ العبد فيراها حقيرة في حق نفسه بالإضافة إلى ماهو خير له ؛وهذا هو الزهد فلابد في الثواب من أن تكون محبوبة له في نفسها حتى يتركها إلى غيرها ؛وليس من الزهد ترك المال وبذله لى سبيل السخاء والفتوّة وعلى سبيل استمالة القلوب وإن كان كل ذلك من محاسن العادات ولامدخل له في العبادات ، وإنّما الزهد ات تترك الدنيا لعلمك بحقارتها بالإضافة إلىنفاسة الآخرة ، أما كل نوع من الترك فإنّه يتصور ممن لايؤمن بالآخرة .

وأما الاخبار الواردة في فضيلة الزهد فكثيرة جدا ، ففي الرواية عنه صلى الله عليه وآله وسلم من أصبح وهمّه الدنيا شتت االله عليه امره وفرّق عليه ضيعته، وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنياإلا ماكتب الله له ، ومن اصبح وهمّه الآخرة جمع الله همّه وحفظ عليه ضيعته ، وجعل غناه في قلبه واتته الدنيا وهي راغمة ، وقال إبراهيم بن أدهم لشقيق بن إبراهيم حين قدم عليه من خراسان كيف تركت الفقراء من أصحابك ؟ قال تركتهم إن أعطوا شكروا وإذا منعوا صبروا؛ وظنَ أنّه لّما وصفهم بترك السؤال فقد أثنى عليهم غاية الثناء، فقال إبراهيم هكذا تركت كلاب بلخ عندنا ؛ فقال شقيق فكيف الفقراء عندك ياابا إسحاق ؟فقال الفقراء عندنا إن منعوا شكروا وإذا أعطوا أثروا ، فقبّل رأسه فقال صدقت ياأستاذ وأمّا تفاصيل الزهد ودرجاته بالإضافة ألى نفسه فثلاث : الأولى ان يزهد في الدنيا وهو لها مشته وقلبه إليها مايل ولكنّه يجاهد نفسه ويكفذها؛ وهذا يسمى المتزهد وهو مبدأ الزهد، وهذه هي الدرجة السفلى وصاحبها على خطر، فإنّه ربما تغلبه نفسه على العود إلى الدنيا .

الثانية الذي يترك الدنيا طوعا لإستحقاره إياها بالإضافة إلى ماطمع فيه كالذي يترك درهما لأجل درهمين فإنّه لايشق عليه ذلك، وهذا الزاهد يلتفت إلى زهده ويظن أنّه ترك شيئا له قدر إلى ما هو أعظم قدرا منه ؛وربّما أعجب بنفسه وزهده .

والثالثة وهي العليا التي يزهد طوعا ويزهد في زهده ولايرى أنّه ترك شيئا إذا عرف أند الدنيا لاشيء، فيكون عند نفسه كمن ترك خزفة واخذ جوهرة فإنّه لايرى أنّ هذا معاوضة وأنّه ترك شيئا بالإضافة إلى الله تعالى وإلى نعيم الآخرة؛ قيل ومثل من ترك الدنيا للآخرة عند أرباب القلوب وأهل المعرفة مثل من أراد الدخول على السلطان فمنعه كلبه عن الدخول ، فرمى إليه لقمة خبز فشغله بها فدخل على السلطان ونال على أعلى درجات القرب منه أفتراه يقدرأن يمنَ على الملك بأنّي أعطيت كلبك لقمة خبز حتى أنّك بلّغتني هذه الدرجة ، فالشيطان كلب على باب الله تعالى يمنع النّاس من الدخول مع أنّ الباب مفتوح والحجاب مرفوع ، والدنيا كلقمة خبز بل

أقل بالنسبة إليَ ماأعد الله تعالى للزاهدين في دار النعيم ؛ فكل واحدة من هذه الدرجات لها درجات ؛وأمّا إنقسامه بالإضافة إلى المرغوب فيه فثلاث درجات أيضا .

الأولى أن يكون المرغوب فيه النجاة من النّار ومن ساير الآلام كأن يسمع أنّ في جهنّم عقارب كالبغال المعلّقة وإنّ فيها حيّات لو نفخت منها حيّة في الدنيا لاذابت الجبال والأحجار ولما بقي على وجه الأرض رطب ولايابس إلا احترق، وإنّ الرجل ليوقف في الحساب حتى ولو وردت مائة بعير عطاشى على عرقه لصدرن رواء؛ فهذا زهد الخائفين وسمّى الصادق عليه السلام عبادة هؤلاء بأنها عبادة العبيد وهو الخوف من عقاب المولى وهذه هي الدرجة السفلى

الثانية ان يزهدرغبة في ثواب الله تعالى واللذات الموعودة في الجنة فهذا زهد الراجين ؛وسمى مولانا الصادق عليه السلام عباداتهم بأنهاعادة التجار؛فهؤلاء لاخطوا مع الخلوص من العذابنيل الثواب .

الثالثة وهي العليا ان لايكون له رغبة الافي الله تعالى وفي رضائه ولقاءه ، وهذا هو التوحيد الحقيقي الذي أشار إليه مولانا أمير المؤمنين عليه السلام بقوله ما عبدتك خوفا من نارك ، ولاطمع في جنّتك ولكن وجدتك أهلا للعبادة فعبدبتك ، وهذه الدرجة لايمكننا نيلها ولو قلبا بألسنتنا أنّ هذه الدرجة هي مقصودنا ، لكذّبنا الوجدان ، فلسان الحال يكّذب لسان المقال ، وإلى هذه الدرجات الإيماء بقوله تعالى قل للذي كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنّم وبئس المهاد ، ثمّ قال في ذلك السياق الذين اتقوا عند ربهم جنّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله ، وفي موضع آخر يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم؛ والإشارة إلى القريب وفي آية أخرى بعد أن ذكر ماهيأ لهم من مراتب النعيم : ورضوان من الله أكبر ؛ وذلك لعلمه سبحانه بأختلاف مطالب خلائقه وتشتت طبائعهم .

وروي أنّ عيسى عليه السلام جلس في ظلّ حايط إنسان فأقامه صاحب الحائط ، فقال ماأقمتني أنت إنّما أقامني الذي لم يرض لي أن أتنعم في ظل الحائط.

فإن قلت ذكرت أنّ الزهد ترك ماسوى الله تعالى فكيف يتصور ذلك مع الاكل والشرب واللبس ومخالطة الناس فإنّ هذا إشتغال بما سوى الله ؟ قلت معنى الإنصراف عن الدنيا وهو الإقبال بالقلب على الله تعالى ولايتصور ذلك إلا بضروريات الحياة ؛ فإذا كان المقصود بتلك الأمور التوصل إلى جناب الحق تعالى كان الإشتغال بها مثل إشتغال الحاج بإصلاح أحوال ناقته وعلفها في طريق الحج ، فإنّ الغرض منه التوصل إلى مكّة فهذا مما لاينافي الزهد وضروريات الإنسان في حياته كثيرة؛فمنها المطعم وذلك لأنّ الإنسان لابدّ له من طعام حلال يقيم به صلبه،

وللإنسان في هذا أحوال : الأ، لى وهو الأعلى(اعلاها) ان يقتصر على قدر دفع الجوع عند شدة الجوع ودفع المرض فإذا استقلّ بما تناوله لم يدّخر من غذائه لعشائه ، الثانية أ، يدّخر لشهر أولاً ربيعن يوما ، الثالثة أن يدّخر لسنة فقط ؛ وهذه رتبة ضعفاء الزهّاد ومن ادّخر لأكثرمن ذلك لايسمّونه زاهدا .

وعن واحدة من زوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم قالت كانت تأتي أربعون ليلة ومايوقد في بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مصباح ولانار ، قيل لها فبم كنتم تعيشون؟ قالت بالأسودين التمر والماء، وكان صلى الله عليه وآله وسلم يركب الحمار ويلبس الصوف؛وينتعل المخصوف ويلعق اصابعه ويأكل على الأرض، ويقول إنّما أنا عبد آكل كما يأكل العبيد، وقال عيسى عليه السلام بحق أقول أنّه من طلب الفردوس وخبز الشعير له والنوم على المزابل مع الكلاب كثير، وكان يقول يابني إسرائيل عليكم بالماء القراح والبقل البري وخبز الشعير ، وإيّاكم وخبز البر فإنّكم لن تقوموا بشكره .

ومنها الملبس وأقل درجاته مايدفع الحر والب د ويستر العورة وهو كساء يتغطى به وأوسطه قميص وقلنسوة ونعلان ، وأعلاه أن يكون معه منديل وسراويل ، وماجاوز هذا من حيث المقدارفهو عنهم متجاوز حد الزهد، وشرطوا في الزاهد أن لايكون له ثوب يلبسه إذا غسل ثوبه بل يلزمه القعود في البيت ، وقيل لسلمان الفارسي رحمه الله مالك لاتلبس الجيد من الثياب ؟ قال ومالعبد والثوب الحسن فإذت أعتق فله والله ثياب لاتبلى أبدا .

ومنها المسكن وله فيه ثلاث درجات أعلاها أن لايطلب موضعا خاصا بل يقنع بزوايا المساجد ؛ واوسطها أن يطلب موضعا خاصا مثل كوخ مبني من سعف أو من خص أو مايشبهه ؛ وأدناها أن يطلب حجرة مبنية أمّا بشراء أو بإجارة، وقد اتخذ نوح عليه السلام بيتا من قصب فقيل له لو بنيت ؟ فقال هذا لمن يموت كثير.

ومنها أثاث البيت وللزهد فيه أيضا درجات واعلاها حال عيسى عليه السلام إذ كان لايصحبه إلا مشط وكوز ؛فرأى إنسانا يمشّط لحيته بأصابعه فرمى المشط ورأى آخر يشرب من النهر بكفيه؛ فرمى الكوز؛وهذا حكم كل أثاث فإنذه إنّما يراد لمقصود فإذا استغنى عنه فهو وبال في الدنيا والىخرة ، ومالايستغني عنه ينبغي أن يقتصر منه على أقل الدرجات وهو الخزف في كل ما يكفي فيه ولايبالي في ان يكون مكسور الطرف وأوسطها أن يكون له أثاث بقدر الحاجة صحيح في نفسه ولكن يستعمل الآلة الواحدة في مقاصد ؛ وادناه أن يكون له بعدد كل حاجة (حالة) آلة من الجنس الخسيس فإن تجاوز هذا القدر خرج عن أبواب الزهد.

ودخل رجل على أبي ذرفقال ياأبا ذر ماأرى في بيتك متاعا ولاغير ذلك من الاثاث ، فقال إنّ لنا بيتا نوجه صالح متاعنا إليه، فقال إنّه لابدّ لك من متاع مادمت هيهنا ، فقال ،نّ صاحب المنزل لايدعنا فيه، وفرشت عائشة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فراشا جديدا وقد كان صلى الله عليه وآله وسلم ينام على عباءة مثنية فمازال يتقلّب ليلته ، فلمّا اصبح قال لها أعيدي العباءة الخلقة ونحّي هذا الفراش عني قد أسهرني الليلة.

ومنها المنكح وكان أزهد الناس النبي والأئمة عليهم السلام وقد نكحوا النساء، لكن الحق أنّهم كانوا عالمين بعدم شغل النساء لهم عن الله سبحانه ، والأولى في الزهد الأقتصار على واحدة طلبا للنسل وحرصا على سنته صلى الله عليه وآله وسلم وماورد فيه من الثواب ، وبالجملة فمايحتاج إليه الأنسان في حفظ الحياة مما لاينافي الزهد بل يؤكده ويحققه ، روي أنّ الخليل أصابته حاجة فذهب إلى صديق له يستقرضه شيئا فلم يقرضه فأوحى الله تعالى إليه لو سألت خليلك لأعطاك، فقال يارب عرفت مقتك للدنيا فخفت أن أسألك منها شيئا ؛فأوحى الله تعالى ليس الحاجة من الدنيا .

وروى الكليني طاب ثراه انّ رجلا سأل عن علي بن الحسين عليه السلام عن الزهد فقال عشرة أشياء فأعلى درجة الزهد أدنى درجة الورع ، وأعلى درجة الورع أدنى درجة اليقين ، واعلى درجة اليقين أدنى درجة الرضا، ألا وإنّ الزهد في آية من كتاب الله : لكيلا تأسيوا على مافاتكم ولاتفرحوا بما آتاكم ؛ هذا مجمل الكلام في الزهد .

وأمّا التوكل فهو مقام عظيم ومسلك من مسالك الموقنين ، وقد صرّحت به الأخبار النبويّة والآيات القرآنية، قال صلى الله عليه وآله وسلم لوأنّكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقتم كما ترزق الطير، تغدو خماصا وتروح بطانا ، واما الخليل عليه السلام فروي أنّ جبرئيل عليه السلام جاء إليه وقد رمي إلى النّار من المنجنيق فقال له الك حاجة؟ فقال إمّا إليك فلا قال له اسأل ربّك حتى ينجيك من نار نمرود ، قال يكفي علمه بحالي عن سؤالي ، فرجع جبرئيل فقال تعالى للنار كوني بردا وسلاما على إبراهيم ، وهذا كان فائدة توكله على مولاه .

واعلم أنّه او ادعى رجل دعوى لبّسها على رجل آخر وأراد الرجل المدعى عليه أن يوكل وكيلا في رفع تلبيس دعوى ذلك الرجل الآخر لعلمه أوظنّه بأنه هو لايقدرعلى جواب تلك الدعوى الملبسة فهو يقصد أن يكون في الوكيل نهاية الهداية والقوّة والفصاحة والشفقة، أما الهداية فليعرف بها مواقع التلبيس ، وأما القوّة فليستجري على التصريح بالحق ولاياهن ولايجبن ، وأمّا الفصاحة وهي قدرة اللسان فليكون بها قادرا على حلّ عقدة التلبيس ، وأمّا غاية الشفقة فليكون بها باذلا كل مجهوده في حقّه؛ فإن كان شاكا في هذه الأربعةأو في واحد أو جوّز أن يكون

خصمه أكمل في هذه الأربعة من الوكيل ، لم تطمئن نفسه إلى وكيله؛وتتفاوت أحواله في شدّة الثقة والطمأنينة بحسب تفاوت قوّة إعتقاده لهذه الخصال في وكيله ، وإذا وقع في يده مثل هذا الوكيل إعتمد عليه وفوّض كشف ذلك التلبيس إليه ، فإذا كان حاله هذا في حال رجل مثله ربما يظن فيه مثل هذه الامور وكان الواقع خلافها فكيف لايوكل من يعلم أنّه قد بلغ من هذه الخصال الأربع غايتها وهو جناب الحق سبحانه ، فيجعله وكيله فيما يعتريه من تلبيسات الشيطان ومن ألاسباب التي يحتاج إليها في عالم حياته في كلّ أوان ، وليفهم معنى قوله لاحول ولاقوة إلا بالله فإذا تفهم هذا المعنىقوي باعث توكله على الله تعالى في جميع الأمور ، وهذا اليقين حاصل لأكث النّاس ؛ نعم قد يضعف اليقين بانضمام الأوهام إليه فغنَ القلب قد ينزعج بتبعية الوهم ، فإنّ العاقل لو كلَف المنام مع الميت في بيت واحد لربّما جبن قلبه وخاف منه مع علمه بإنّه جماد وأنّه لافرق بينه وبين الأحجار الموضوعة في البيت، وإذا عرفت هذا فاعلم أنّ لتلك الحالة ثلاث درجات الأولى ماذكرناه، وهو أن يكون حاله في الثقة على الله والإعتماد على كفالته كحاله في الثقة بالوكيل.

الثانية وهي أقوى أن يكون حاله مع الله كحال الطفل مع أمّه فإنّه لايعرف غيرها ولايفزع إلى أحد سواها ، وإذا رآها تعلق بذيلها وإن نابه أمر في غيبتها كان أول سابق إلى لسانه؛ فهو قد وثق بشفقتها ثقة ليست خالية عن نوع إدراك بالتمييز الذي له ، ويظنّ أنّه طبع من حيث أنَ الصبي لو طولب بتفصيل هذه الخصال لم يقدر على تلفيق لفظه ولا على إحضاره مفصلا ولكن كل ذلك وراء الإدراك والفرق بين هذه الدرجة وماقبلها أنّ هذا متوكل وقد فنى في توكله عن توكله إذ ليس قلبه يلتفت إلى التوكل وحقيقته بل إلى الوكيل ، وأما الأول فمتوكل بالتكلف والكسب وليس فانيا عن توكله بل له إلتفات إليه وذلك شغل صارف عن ملاحظة المتوكل عليه وحده.

الثالثة وهي القصوى و يأن يرى نفسه بين يدي الله تعالى كالميت بين يدي المغسّل فإنّه يقلبه كيف شاء والإختيار إنّما هو إليه لاغير وهذا يفارق الصبي فإنّ الصبي يفزع إلى أمّه ويصيح إليها بل هذا مثاله مثال من علم أنّه إن ترك الأم فهي لن تتركه وتبتدر بجميع أنواع المنافع، وهذا المقام في التوكل يثمر ترك الدعاء إعتمادا على كرمه وعنايته كما نقلنا عن الخليل عليه السلام وصاحب هذه الرتبة لايبقى له تدبير في أموره بل الله تعالى هو المدبّر لأموره كما قاله أرباب السلوك.

وأما صاحب الدرجة الثانية فينبغي له تدبير مأمره به الوكيل وإن كان قد ترك تدبير مأمره به غيره، ومن هنا قال الصادق عليه السلام التوكل هو أن تعقل بعيرك وتتوكّل على الله

تعالى في حفظه ، وأمّا صاحب الدرجة الأ، لى وهو لايزال في التدبير من الوكيل وغيره ، فظهر بهذا أنَ التوكل لاينافيه الأعمال بل ربّما يحققه ، نعم إذا سعى الإنسان في مجاهدات نفسه حتى بلغ الدرجة الثالثة كان غير محتاج إلى التبير والأعمال ولكنّه هنا قد عمل أشقَ الأعمال ودبّر فوق كل تدبير وهو المجاهدة مع النفس حتى وطّنها على تلك الدرجة، فهذا غير مناف لما أمر الله سبحانه به من السعي لطلب الأرزاق، فإنّ مثل هذا السعي أشدَ من ركوب البحار وقطع القفار كما لايخفى على من له أدنى إنصاف، وأمّا أعمال المتوكلين فاعلم أن الأسباب التي بها تجلب المنافع ثلاث درجات أيضا مقطوع به ومظنونا ظنّا يوثق به وموهوم وهمّا لاتثق به النفس .

الدرجة الأولى المقطوع بها وذلك مثل الأسباب التي إرتبطت المسببات بها بتقدير الله ومشيئته إرتباطا مطردا لايختلف ، كما إذا كان الطعام موضوعا بين يديك وأنت جائع محتاج ولكنّك لست تمد يدك إليه وتقول أنا متوكل وشرط التوكل عدم السعي ومد اليد إلى الطعام سعي وحركة ، كذلك مضغة بالأسنان فهذا سفه وجنون وليس من التوكل في شيء بل التوكل في هذه الصورة هو أن تمدَ يدك وتاكل ويكون توكلك هذا علىفضله سبحانه حتى لاتجفَ يدك في الحال، ولاتفلج وليصيبك مايفزعك في حال الأكل .

الدرجة الثانية الأسباب التي ليست متعينة لكنَ الغالب أنَ المسببات لاتحصل بدونها كالذي يفارق الأمصار والقوافل ويسافر بالبوادي التي لايطرقها الناس إلا نادرا ويكون سفره من غير إستصحاب زاد فهذا ليس شرطا في التوكل بل استصحاب الزاد في البوادي سنّة الولين؛ ومن هذا كان الخواص إذا سافروا في القفار لاتفارقهم الإبرة والمقراض والحبل والركوة، وذلك لأنَ الأغلب في البوادي أنها خالية من هذه الأربعة التي يحتاج إليها المسافر، ولو انحاز رجل إلى شعب من شعاب الجبل خال من الماء والكلأ والساكن وجلس متوكلا فهو آثم؛ كماروي أنَ ذزاهدا من الزهّاد فارق الأمصار واقام في سفح جبل سبعا ؛ وقال لاأسأل أحدا شيئا حتى يأتيني ربي برزقي ؛ فقعد سبعا فكاد يموت ولم يأته شيء، فقال يارب إن أحييتني فأتني برزقي الذي قسمت لي وإلا فاقبضني إليك، فأوحى الله تعالى إليه وعزتي لاأرزقنّك حتى تدخل الأمصار وتعقج بين النّاس فدخل المصر وأقام فجاءه هذا بطعام وهذا بشراب فأكل وشرب فأوجس في نفسه من ذلك ، فأوحى الله تعالى إليه أردت أن تذهب حكمتي بزهدك في الدنيا ؛أما علمت أن رزق عبدي بأيدي عبادي أحب إلي من بيد قدرتي ، فإذن ترك الأسباب مراغم للحكمة لكن الإعتماد على الله سبحانه

كما روي أن عيسى عليه السلام قال انظروا إلى الطير لاتزرع ولاتحصد ولاتدخر والله تعالى يرزقها يوما بيوم فإن قلتم نحن أكبر بطونا فانظروا إلى الأنعام كيف قيض الله لها هذا الخلق

الدرجة الثالثة ملابسة الأسباب التي يتوهم إفضاؤها إلى المسببات من غير ثقة ظاهرة كالذي يستقصي في التدبيرات الدقيقة في تفصيل الأكتساب ووجوهه وذلك يخرج عن درجات التوكل كلها كما هو الغالب على النّاس ؛فإذا ظهر أنَ الأسباب منقسمة إلى مايخرج التعلق بها عن التوكل وإلى ما لايخرج وإن الذي لايخرج ينقسم إلى مقطوع به وإلى مظنون والمتوكلون في ملابسة هذه الاسباب على ثلاث مقامات؛الاول مقام الخواص وقد مثَله اهل السلوك بالذي يدور في البوادي بغير زاد ثقة بفضل الله تعالى عليه في تيسير ما يمسك حياته ولو كان من بقول الارض وحشيشها، المقام الثاني ان يقعد في بيته او في مسجد ولكنه في القرى والامصار فهذا أضعف من الاول ولكنه ايضا متوكّل لأنه تارك للكسب والأسباب الظاهرة معتمد على فضل الله تعالى في تدبير أموره .

المقام الثالث أن يخرج ويكتسب إكتسابا رفيقا جميلا وهذا المقام هو الممدوح الوارد في الشريعة الذي أراده صلى الله عليه وآله وسلم من قوله إلا أن الروح الأمين نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ولايحملنَكم استبطاء شيء من الرزق على أن تطلبوه من الحرام فإنَ اله سبحانه قسَم الأرزاق بين عباده حلالا ولم يقسَمها حراما ، نعم من ترك الكسب إذا كان مستغرقا وقته في العلم أو العبادة كان له وجه في الجملة، مع إنَ الواردة عن الأئمة الطاهرين عليهم السلام أنَ التكسب للعيال والأخوان أفضل من العبادة، نعم لايكون إعتماده على الكسب وعلى آلاته بل على ذلك الكفيل.

روي أنَ العبد ليهم من الليل بأمر من أمور التجارة مما لو فعله لكان فيه هلاكه فينظر اله إليه من فوق عرشه فيصرفه عنه ، فيصبح كئيبا حزينا يتظنن بجاره وابن عمَه من شيَعني من دهاني وما هو إلا رحمة رحمه الله تعالى بها ؛ وهذا مجمل الكلام في هذا المقام والله المستعان

خاتمة هذا البحث في الرزق ، إعلم أن الذي إتفق عليه أصحابنا رضوان الله عليهن والمعتزلة أنَ الرزق هو ماصحَ إنتفاع الحيوان به بالتغذي أو غيره ؛ فليس لأحد منعه فالحرام على هذا ليس برزق ؛وعند الاشاعرة كلما إنتفع به حي سواء كان بالتغذي أو بغيره مباحا كان أوحراما وقال الأشاعرة في الإستدلال لو لم يكن الحرام رزقا لم لم يكن المغتذي به طول عمره مرزوقا ، وليس كذلك لقوله تعالى، وما من دابّة في الأرض إلا على الله رزقها .

والجواب عن هذا ظاهر وهو أن المغتذي في الدنيا لايجوز أن يكون مغتذيا بالحرام طول عمره ، وذلك أن أيام الرضاع اللبن ليس بحرام عليه وفي كل أوقاته التنفس في الهوى ليس بمحرَم عليه أيضا مع أنَ الرزق على قسمين : منه ماكان غذاء للابدان ومنه وهو الأكمل الأعظم ماكان غذاء للأرواح كالعلوم والكمالات وهذا هو الغذاء الباقي بعد فناء الابدان وغذائها ، وبسببه

حرم الإعلام من كثرة الغذاء الأبداني لوجود الأرواح عندهم، وعلى هذا فالعلماء مرزوقون الرزق الأكمل ؛ وحينئذ فقوله :

كـم عـالم عـالم أعيـت مذاهبـه وجاهـل جاهـل تلقـاه مرزوقـا
هـذا الـذي تـرك الأوهـام حـائرة وصـيّر العـالم النحريـر زنـديقا

ممالا ينبغي وذلك لأنّ العالم اكثر رزقا من الجاهل وإن كان له ملك كسرى أوقيصر، ومن كان له حظ من الإنصاف وكان له نوع اطلاع على بعض العلوم يعلم أنّه لوأتى إليه جاهل سيما الأحمق وكان عنده من المال مالايحصى، وقال أريد أن اعاوضك هذا المال الوافر بهذا العالم القليل الذي تعرفه لم يقبل ذلك العالم بل يرجع عليه ماله وذلك لأنّ الأموال لذّات خيالية ومايصل إلى مالكها منها إلا تعب الأرواح والأبدان والعلم لذّة حقيقية لايزال يصعد بصاحبه حتى يرقيه فوق مراتب الملوك والسلاطين ، وهل رأيت عالما عزل عن سرير علمه ؟وكم رأيت سلطانا عزل عن سرير ملكه وتاجر أغرق ماله أو سرق فبقي يتكفف الناس

ونظير هذا ماروي من أن رجلا من فقراء الشيعة أتى إلى الأمام أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فشكى إليه الفقر ، فقال له عليه السلام انت من شيعتنا تدعي الفقر شيعتنا كلهم أغنياء ، ثمّ قال له يافلان أنت(إنّ) لك تجارة قد أغنتك؛ فقال وماهي ؟قال لوأنّ رجلا غنيا قال لك أعطيك ملأ الدنيا فضة وتحول عن ولاية أهل البيت إلى ولاية غيرهم أكنت فاعلا قال لا يابن رسول الله ولو ملأت الدنيا لي ذهبا ، فقال عليه السلام إذن لست فقيرا وأنما الفقير من ليس له مالك ، ثمّ وصله بمال .

وروي انّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال يوما لأصحابه من الفقير؟ قالوا الذي لادرهم له ولادينار ؛ فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليس هذا هو الفقير ، وإنّما الفقير الذي يؤتى به في عرصات القيامة ضاربا لهذا وشاتما لهذا وغاضبا من هذا ؛ فإن كان له شيء من الحسنات أخذت منه ودفعت ألى المضروب والمغصوب منه والمشتوم ، وإن لم يكن له حسنات أخذت ذنوبهموجعلت في عنقه ، أقول وذلك قوله تعالى وليحملنّ أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم .

ولنرجع إلى مانحن بصدده ، فنقول أن خطبته صلى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع قد رواها العامّة والخاصة وهي صريحة فما ذهبنا إليه غير قابل للتأويل ، رواها شيخنا الكليني طاب ثراه بإسناده ألى الإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام قال :قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع ألا أنّ الروح الأمين نفث في روعي أنّه لاتموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله واجملو في الطلب ، ولايحملنّكم استبطاء شيء من الرزق أن

تطلبوه بشيء من معصية الله ، فإنّ الله تعالى قسّم الأرزاق بين خلقه حلالا ولم يقسمها حراما ، فمن اتقى الله وصبر أتاه رزقه من حله ومن هتك حجاب ستر الله عز وجل وأخذه من غير حلّه قص به رزق الحلال وحوسب عليه يوم القيامة ، وأما مايترآى من بعض الأخبار التي أطلق عليها لفظ الرزق على الحرام فسبيله التأويل وارتكاب المجاز جمعا بين الأخبار ، مع أنّ الله سبحانه قال في كتابه العزيز ومما رزقناهم ينفقون ، فمدحهم على هذا الإنفاق ولامدح لمن أنفق من الحرام .

بقي الكلام في أن الرزق هل ينقص يزيد بتفاوت السعي ونقصانه ام لا؟ وظاهر الأخبار المعتبرة أنّه إذا ضمّ إليه السعي القليل المأمور به كان غير قابل لهما بل لايصل إليه إلا ماقدّر له ، وفي دعاء الصحيفة وجعل لكل أرواح منهم قوتا معلوما مقسوما من رزقه لاينقص من زاده ناقص ولايزيد من نقص منهم زايد ، وفي الحديث أنّ أرزاقكم تطلبكم كما تطلبكم آجالكم فلن تفوتوا الأرزاق كما لم تفوتوا الآجال ؛ نعم لو جلس الرجل في بيته وترك الطلب فهل يجب على الله سبحانه إيصال الرزق إليه أم لايجب؟ قال بعضهم بوجوب القدر الضروري وهو مايمسك به الحياة ؛ وقال بعضهم لايجب إلا لمن ألقى عنان التوكل إليه لقوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه ، والحق إنّ مثل هذه الأيصال غير واجب عليه سبحانه ، نعم ربما تفضل به ولا مانع من التفضل .

في الحديث أنّه لما نزل قوله تعالى وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها قال أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم إنّ ربنا قد تكفل بأرزاقنا فلا نتعب في طلبها فغلقوا عليهم الأبواب وجلسوا في بيوتهم، فنزلت آية السعي في مناكب الأرض وأطرافها ، ففتحوا الأبواب وسعوا في تحصيل الأرزاق ، ومن هنا كان المحدّثون من أصحاب النبي والأئمة عليهم السلام أهل حرفة وكسب وتجارة ؛ نعم ذاك زمان وهذا زمان وذلك أن العلم كان علم الكلام والحديث وكانت عين الحياة موجودة عندهم يردونها في كل أوقاتهم ولا كانوا مثلنا يحتاجون إلى الاجتهاد في المسائل عند تعارض الأدلّة ؛ ولاكانوا يحتاجون إلى صرف أكثر أوقاتهم في الفحص عن أحوال العلوم ومقدماتها من العربية والمنطق واللغة إلى غير ذلك من علوم الإجتهاد الإثنى عشر علما ؛وقد اشتهر أن العلم نقطة كثرها الجاهلون وقد قلنا سابقا بدله أن العلم بسيط ركّبه العالمون ، فمن هذا لم يسع العلماء في هذه الأعصار الجمع بين الكسب للمعاش وتحصيل العلوم الكثيرة إلى أن يبلغوا درجة الأجتهاد فلا جرم وكلّوا أمور معاشهم إلى خالقهم وهو رازقهم وعليه فليتوكل المتوكلون ؛ وقد تتبعنا أكثر موارد الرزق وأسبابه فلم نر سببا أجلب للرزق من الصدقة ، فإن الوفاء حاضر وهو عشرة أو سبعون إلى سبعمائة عوض الواحد ، فمن أراد تصديق هذا فليتصدق على فقير بدرهم وينظر كيف يجازيه ربه في ذلك اليوم أو غده مع مايدّخر له من الأجر الجزيل والثواب

الجميل ، وماأحسن قول الشاعر في شأن أكثر أرزاق الجهّال وسموّ مكانهم ؛ وفقر العقلاء واتضاعهم

الدهر كالبحر يعلو وفقه جيف ... ويستقر بأقصى قعره الدرر

وفي السماء نجوم لاعداد لها ... وليس يكسف إلا الشمس والقمر

وهذا هو الذي جلب الدواهي إلى العقلاء ونفخ قلوبهم، وقرقر بطونهم وقال بعض مشائخنا من أهل الظرافة:

قلت لنحوي وفي بطنه ... قرقرة ماهذه القرقرة

فقال ياجاهل في نحونا ... هذا تسمى الضرطة المضمرة

وقال سيدنا المرتضى قدس اله روحه في عتاب الدنيا:

عتبت على الدنيا فقلت إلى متى ... أكابد ضرا همه ليس ينجلي

اكل شريف قد على بجدوده ... حرام عليه الرزق غير محلل

فقالت نعم يابن الحسين رميتكم ... بسهم عناد حين طلقني علي

وبالجملة شأن الدنيا ومدارها اعاننا اله وإيّاكم من خدائعها .

نور في احوال الملوك والولاة وكيفية ماينبغي لهم من السلوك في أنفسهم ومع رعيتهم ومايلحق بهذا

إعلم أيدك الله ووفقك أن قوله تعالى تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء ؛ دليل على أن امور الملك مقدرة في عالم الملكوت ، وذلك أنا رأينا من أتعب نفسه وبذل ماله في تحصيل ملك أو ولاية فلم يصل إليها وبلغه غيره بلا تعب وبذل مال ، هذا مايقتضيه ظاهر لفظها ، وأما بطن الآية فقد ورد في الخبر أن المراد بالملك الذي يؤتيه الله من يشاء هو الملك الواقعي الذي يكون الله تعالى به راضيا وهو ملك آل محمد عليهم السلام وتوابعهم ، فهو الملك الذي آتاهم ولم يؤته غيرهم .

قال الصادق عليه السلام وأما ملك بني أمية فقد غصبوه من آل محمد ، وذلك كما أن الرجل له ثوب فيأتي إليه رجل فغصبه إياه فالله تعالى لم يؤته ذلك الثوب وإنّما تعدى في أخذه

وغضبه ، وحاصل معنى الآية حينئذ أن إعطاء الملك بيدك فمن كان في علمك قابلا له نوهت بإسمه في هذا العالم وقررت أن يكون هو الملك والسلطان كأهل البيت عليهم السلام والمجتهدين من شيعتهم بعدهم ؛ ومن لم بكن في علمك قابلا للملك كأعداء آل محمد ومخالفيهم نزعته عن الملك وما أعلمت العباد إلا بعدم استحقاقه للملك ؛ فإن الخليل عليه السلام لما جعل ملكا وسلطانا وإماما لكافة الناس أراد إبقاء هذا الملك في ذريته فقال ومن ذريتي ، فأجابه تعالى لاينال عهدي الظالمين ، فأسمعه في القديم أنَ من كان ظالما كان معزولا عن الملك والدولة والإلهية، فلينظر الوالي والملك الموالين لأهل البيت عليهم السلام فإن كانوا من أهل الظلم والتعدي كانوا في معزل عن أن يكونوا قد آتاهم الله الملك ، وإن كانوا من أهل العدل وفي مقام قضاء حوائج الشيعة والتحنن على فقرائهم فليعلموا أنه ملك من الله سبحانه ودولة ساقها الله إليهم فيجب عليهم القيام بشكرها واعلم أنه ينبغي للولاة والسلاطين أن يجعلوا لهم وقتا خاصا مع ربهم يتضرعون فيه إليه وينزعون ثياب الملك ويلبسون الثياب الخشنة ويقرون له بالعبودية ليكون كفارة ماأظهروه من الجبروت في حضور الخلايق ، وقد نقل أهل السير والتواريخ أن عمر بن عبد العزيز كان له في كل يوم بيت يدخله وحده ويغلق عليه بابه ويلبث فيه كثيرا ثم يخرج منه ، فلما توفي وجلس في مكانه يزيد بن عبد الملك سأل خواص بن عبد العزيز عن خزانته ؛ فقالو لانعلم له خزانة ولكن له موضع كان يتفرد به وحده فلعل خزانته تكون هناك ، فلما ذهبوا إلى ذلك البيت وفتحوا قفله رأوه بيتا خاليا من الفروش أرضا بيضاء وفيه مكان مفروش بالتراب فوق الأرض مقدار ما يصلي فيه الإنسان عنده ثياب خشنة بعضها من الليف وبعضها من الكرباس الغليظ ؛ وفوقها طوق من الحديد كان يضعه في عنقه ويلبس تلك الثياب ويجلس فوق ذلك التراب للبكاء والتضرع

ونقل مثل هذا وامثاله من أطوار الملك الجليل الشاه عباس الأول أسكنه الله بحابيح الجنان وحكى رجل كان يخدمه لما كان ذلك الرجل صغير السن، قال أمرني ذات يوم بحمل الإبريق معه ليتطهر به من البول قال ذلك الولد فحملته ومشيت خلفهحتى صعد إلى سطح عال في بيوته ، فلما انتيت معه إلى أول السطح أخذ الإبريق من يدي وقال لي أجلس هنا حتى أرجع إليك؛ فأجلسني في مكان لاأراه فيه فغاب عني طويلا حتى خفت عليه ؛ فلحقته فرأيته ساجدا وهو يبكي وخده ملصق بالأرض وقد صار تحته شبه الطين من الدموع ، ثم رفع رأسه وغضب علي فاعتذرت إليه إني خفت عليك بطول مقامك على السطح فصببت الماء على يديه وغسل وجهه ، فلوى أذني وقال لايخرج منك شيء وإن سألك أحد من الخدام والعبيد فقل كان الشاه يلوط بي .

وقد عرفت أن العبادة هي التواضع لله سبحانه وأول من سبقهم بهذا ملك الملوك وسلطان السلاطين مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، لقد كان له حالات مع ربه في أوقات خاصة يجلس فيها على التراب ويتذرع إلى الله تعالى .

وفي الرواية عن عروة بن الزبير قال كنا جلوسا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتذاكرنا أعمال أهل بدر وبيعة الرضوان ، فقال ابو الدرداء ألا أخبركم بأقل القوم مال وأكثرهم ورعا وأشدهم اجتهادا في العبادة ؟ قالوامن؟ قال علي بن أبي طالب ، قال رأيته في حايط بني النجار يدعو بدعوات ، وذكر الدعوات إلى أن قال ؛ ثم انغمر في البكاء فلم أسمع له حسا ولاحركة ؛ فقلت غلب عليه النوم لطول السهر واوقظه لصلاة الفجر فأتيته فإذا هو كالخشبة الملقاة ؛ فحركته فلم يتحرك ؛ فقلت إنا لله وإنا إإيه راجعون مات والله علي بن أبي طالب ، فأتيت منزله مبادرا أنعاه إليهم، فقالت فاطمة ياابا الدرداء ماكان من شأنه وقصته ؟ فاخبرتها الخبر فقالت هي والله ياأبا الدرداء الغشية التي تأخذه من غشية الله ، ثم أتوه بماء فنضحوه على وجهه فأفاق ونظر إليّ وأنا أبكي ، فقال مابكاؤك ياأبا الدرداء ؟ فقلت بما أراه تنزله بنفسك فقال ياأبا الدرداء فكيف فقال ياأبا الدرداء فكيف اذا رأيتني أدعى إلى الحساب وأيقن أهل الجرائم بالعذاب واحوشتني ملائكة غلاظ وزبانية فظاظ فوقفت بين يدي الملك الجبار قد أسلمني الأحباء ورفضني أهل الدنيا لكنت أشد رحمة لي بين يدي من رتخفى عليه خافية ، فقال أبو الدرداء فوالله مارايت ذلك لأحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

ولايجوز للولاة أن يقولوا نحن ملوك ولم يطلب اله تعالى منا العبادة وإنما أراد منا العدالة ، فيدلهم الشيطان بغروره ويستفزهم ، بل يجب أن يتصوروا بأن كلما عظمت النعمة على العبد عظم تكليفه بالشكر عليها ، ولاشكر إلا الطاعة والعبادة والإحسان إلى العباد ، وينبغي أن يعلموا أن طاعتهم من الصلاة والصوم ونحوها يترتب عليها من الثواب الكامل مالايترتب على غيرها وذلك لكثرة المشقة عليهم في تحملها لما تعودوا عليه من التنعم والتلذذ .

وروي أن أفضل الأعمال أحمزها ، وينبغي لكل وال من الولاة أن يميل إلى حب العلماء والأخيار وأن يكثر مصاحبتهم ومجالستهم ويختار له صاحبا منهم ؛ ويكون عالما ورعا سليم النفس ، راغبا في قضاء حوايج المؤمنين ليجلب للوالي أسباب الثواب.

اما حب العلماء فلما روي من قوله صلى الله عليه وآله وسلم كن عالماً او متعلماً او محبّاً لأهل العلم ولاتكن الرابع فتهلك، وفي الحديث ان من احب حجراً حشره الله معه والمرء مع من احب، وقال عليه السلام ان الله يغفر للمؤمنين ولمحبيهم ولمحبي محبيهم، فهذا من أفضل الأعمال للولاة وغيرهم، واما مجلستهم فلما ورد في الخبر من ان جلوس ساعة واحدة مع العالم يعدل من

الثواب مالايحصى وان النظر الى العلماء عبادة، واما اختيار صاحب منهم بتلك الأوصاف فليكون واعظاً له مذكراً له في احوال الغفلات لكثرة مشاغله فيحتاج الى الواعظ والمذكّر، وهكذا كان احوال الملوك والسلاطين في الأعصار الماضية.

وينبغي ان يعظه برفق، روي ان عابداً دخل على معاوية ليعظه، فقال يافاسق ياكلب هكذا تظلم الناس وأطال الكلام معه، فقال له معاوية ياعابد انت افضل من موسى نبي الله ام هو افضل منك؟ فقال بل موسى خير مني، فقال له وأنا أشقى ام فرعون؟ فقال بل فرعون، فقال انّ فرعون لما ارسل الله اليه واعظين وهما موسى وهارون قال لهما {فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى} فأمرهما الله سبحانه بالكلام اللّين وأنت تعظني بهذه الخشونة، وليكن هم المصاحب للوالي ان يقص عليه احوال الملوك والولاة المتقدمين الذين كانوا أشد منه بأساً وأقوى مراساً فأفناهم الزمان وجار عليهم الدهر الخوان، ومن اعظمهم نبي الله سليمان بن داود عليه السلام فلقد طلب من الله تعالى الملك بقوله{رب هب لي ملكا لاينبغي لأحد من بعدي انك انت الوهاب} حتى قال نبينا صلى الله عليه وآله وسلم رحم الله اخي سليمان ماكان ابخله.

وقال الصادق عليه السلام لما سأل عن معنى الآية والحديث، فقال اما معنى الآية فهو ان سليمان اراد ملكاً لاينبغي لأحد من بعده ان يقول ان ملك سليمان قد حصّله سليمان بالغلبة والجنود مثل سلاطين الدنيا، فسخّر الله له الريح والطير والوحش وميز ملكه عن ملك الملوك حتى عرف الناس ان ملك سليمان قد أعطاه الله ايّاه واما معنى الحديث فقال عليه السلام رحم الله اخي سليمان ماكان ابخله بعرضه، او رحم اخي سليمان ماكا ابخله لو كان معنى الآية ماذهب اليه عوام الناس من الأخذ بظاهرها، وقد منح الله سبحانه سليمان عليه السلام ملكاً عظيماً حيث سخر لهى مافي الكونين فأمر سليمان عليه السلام الجن فنسجوا له بساطاً من الأبريسم والذهب، وكان يجلس عيه مع خاصته، وكان في مجلسه على البساط ستمائة ألف كرسي، ولسليمان عليه السلام سرير مرصع في وسط الكراسي يجلس عليها العلماء والأنبياء ، وسخر له ريح الصبا غدوها شهر ورواحها شهر، وكان يسير في اول النهار من مكة ويتغذى في الكوفة ثم يسير من الكوفة ويتعشى في الشام.

وقد زاد الله في ملكه بانّه مايتكلم احد كلمة اين ماكان الا ألقتها الريح الى اذنه حتى يسمعها، ومع هذا الملك كان لم يأكل ما مسّه النار بل كان يعمل من سعف[1] الخوص زنبيلا ويشتري بثمنه شعيرا فيضعه بين صخرتين حتى يصير جريشاً ويجعله في الشمس حتى يجف فيأكله،

---

(١)محركة جريدة النخل او ورقه.

فاذا جنَه الليل نزع ثياب الملك ولبس ثياباً من ليف النخل وغل يديه الى عنقه فقام باكياً الى الصباح.

وفي الرواية عن الصادق عليه السلام قال ان سليمان عليه السلام قال ذات يوم لأصحابه ان الله تبارك وتعالى قد وهب لي ملكاً لاينبغي لأحد من بعدي سخّر لي الريح والأنس والجن والطيور والوحوش، وعلمني منطق الطير وأتاني من كل شيء ومع جميع ماأوتيت الملك ماتم سروري يوماً الى الليل، وقد احببت ان ادخل قصري في غد فأصعد الى اعلاه وأنظر الى ممالكي ولاتؤذوا لأحد علي لئلا يرد عليَ ماينقص عليَ يومي، فقالوا نعم، فلما كان من الغد أخذ عصاه بيده وصعد الى اعلى موضع من قصره، ووقف متكيا على عصاه ينظر الى ممالكه مسروراً بما أوتي فرحا بما أعطاه، اذ نظر شاب حسن الوجه واللباس قد خرج عليه من بعض زوايا قصره، فلما بصر به سليمان قال له من أدخلك الى هذا القصر وقد اردت ان اخلو فيه اليوم؟ وباذن من دخلت؟ قال الشاب ادخلني هذا القصر ربه وباذنه دخلت، فقال ربه أحق مني فمن انت؟ فقال انا ملك الموت قال وفيم جئت؟ قال جئت اقبض روحك، قال امض لما امرت به فهذا يوم سروري وابى الله عز وجل ان يكون لي سرور دون لقائه، فقبض ملك الموت روحه وهو متكىء على عصاه، فبقي سليمان متكيا على عصاه وهو ميت ماشاء الله والناس ينظرون اليه وهم يقدَرون(يعتقدون)انَه حي فافتتنوا فيه واختلفوا.

فمنهم من قال ان سليمان قد بقى متكياً على عصاه الأيام الكثيرة ولم يتعب ولم ينم ولم يأكل ولم يشرب انَه لربنا الذي يجب علينا ان نعبده، وقال قوم ان سليمان سارح، وقال المؤمنون ان سليمان عبد الله ونبيه يدبر الله امره بما شاء، فلما اختلفوا بعث الله عز وجل الأرضة فدبّت في عصا سليمان، فلما أكلت جوفها انكسرت العصا وخر سليمان من قصره على وجهه، فشكرت الجن للأرضة صنيعها، فلأجل ذلك لاتوجد الأرض في مكان الا وعندها ماء وطين، وذلك قول الله عز وجل{فلما قضينا عليه الموت مادلهم على موته الا دابة الأرض تأكل منسأته} يعني عصاه، فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين.

ثم قال الصادق عليه السلام والله مانزلت هذه الآية هكذا وانما نزلت فلما خر تبينت الجن ان الأنس لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا في العذاب المهين، ثم لينظر العاقل اغلى قوله صلى الله عليه وآله وسلم لو كانت الدنيا تسوى عند الله جناح بعوضة ماسقى كافراً منها شربة ماء، والى قول جبرئيل عليه السلام يامحمد ان الله يقول لك عش ماشئت فانك ميت، واحبب من شئت فانك مفارقه، واعمل ماشئت فانك مجزى به، ولما دخل يزيد الرّقاشي على عمر بن عبد العزيز قال عظني يايزيد، قال ياامير المؤمنين اعلم انك لست اول خليفة تموت، فبكى عمر وقال

زدني يايزيد، فقال ياامير المؤمنين ليس بينك وبين آدم الا أب ميت، فبكى وقال زدني يايزيد، فقال ياامير المؤمنين ليس بين الجنة والنار منزل، فسقط مغشياً عليه، وليتلوا الواعظ ان الدنيا دار من لادار له، ومال من لامال له، ولها يجمع من لاعقل له، وعليها يعادي من لاعلم له، وعليها يحسد من لافقه له، ومن صح فيها سقم، ومن سلم فيها هرم، ومن افتقر فيها حزن، ومن استغنى فيها فتن حلالها حساب وحرامها عقاب، من سعى اليها فاتته، ومن قعد عنها اتته، لاخيرها يدوم ولاشرها يبقى.

واعلم ان الذي اصبحت فيه من النعيم انما صار اليك بموت غيرك وهو خارج من يدك بمثل ماصار اليك وهل الدنيا الا كما قال الأول قدر يغلي وكنيف يملأ:

ولقد سألت الدار عن اخبارهم ... فتبسمت عجبا ولم تبدي
حتى مررت على الكنيف فقال لي ... أموالهم ونوالهم عندي

وقال الرشيد لأبن السماك عظني وبيده شربة من ماء، فقال ياامير المؤمنين لو حبست عنك هذه الشربة أكنت تشتريها بملكك؟ قال نعم، قال أرأيت لو حبس عنك خروجها أكنت تفتديها بملكك؟ قال نعم، قال فما(فلا) خير في ملك لايسوى شربة ولا بولة.

وحكى الأصمعي ان النعمان لما بنى الخورنق وأشرف عليه يوماً وقد اعجبه ملكه وسعته ونفوذ امره، فقال لأصحابه هل أوتي أحد مثل ماأوتيت؟ فقال له حكيم من حكماء اصحابه هذا الذي أوتيت شيء لم يزل ولايزول ام شيء كان لمن قبلك زال عنه وصار اليك؟قال بل شيء كان لمن قبلي وصار الي وسيزول عني، قال فسررت بشيء تذهب عنك لذته وتبقى تبعته، قال فاين المهرب؟ قال امَا تقيم وتعمل بطاعة الله او تلبس أمساحاً وتلحق بجبل تعبد ربك فيه وتفر من الناس حتى يأتيك أجلك، قال فاذا فعلت ذلك فمالي، قال حياة لاتموت وشباب لايهرم، وصحة لاتسقم وملك جديد لايبلى، قال فاي خير فيما يفنى الله لأطلبن عيشاً لايزول ابدا، فانخلع من ملكه ولبس الأمساح وسار في الأرض وتبعه الحكيم، وجعلا يسيحان في الأرض ويعبدان الله حتى ماتا.

وهذا القصرقد بناه رجل اسمه سنماروفلما فرغ من بنائه دخله النعمان وخواصه وتعجبوا من عظم بنائه وارتفاعه، فقال لهم ذلك الباني وأعجب من هذا انَي اريك آجرة في حائطه اذا قلعتها تهدم هذا القصر العظيم كلّه فدلَه عليها، فأمر به فرموه من أعلى القصر، وقيل انَما رماه لئلا يبني لغيره من الملوك مثله، وقد صار جزاء سنمار مثلا بين الناس يضرب لمن يقابل الأحسان بالأسائة، ووجدت هذه الأبيات على مدينة سيف بن ذي يزن وهو من اعظم الملوك:

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم غلب الرجال فلم تنفعهم القلل
واستنزلوا من معالي على(عن) معاقلهم فأسكنوا حفرا يابئس مانزلوا
ناداهم صارخ من مادفنوا ايـن الأسرّة والتيجان والحلل
ايـن الوجوه التي كانت محجبة من دونها تضرب الأستار والكلل
فأفصح القبر عنهم حير سائلهم تلك الوجوه عليها الدود يقتلل
قد طال ماأكلوا يوماً وماشربوا فأصبحوا بعد ذاك الأكل قد أكلوا

وقد رأيت مدينة عظيمة في فارس وهي على جبل ولها مصعد تصعد منه الدواب والحيوانات، وهو منه صخرة واحدة، وفيه درجات كثيرة وفوق تلك المدينة مجلس عظيم قد كان له سقف والآن ليس هو بمحوجود، وانّما الموجود منه اسطواناته وكل واحدة منها صخرة سوداء تقرب من المنارة ارتفاعا، وفيها حمام من صخرة واحدة، وامّا طرقاتها فوضعها عجيب وهو انّ الطريق وان طال قد صنعوه من اربعة احجار، فحجر هي أرضه وحجر في يمينه والأخرى عن شماله، والرابعة سقفه، وله فرج من الجانب الفوقاني للضوء، وحدثنا اهل تلك البلاد انّ تلك المدينة من بنيان الجن لسليمان عليه السلام ورأيت على بعض أحجارها مكتوبا هذين الشعرين:

ايـن الملوك التي كانت مسلطة حتى سقاها بكأس الموت ساقيها
كم من مدائن في الآفاق قد بنيت أمست خراباً ودار الموت أهليها

وفي الأخبار ان اسكندر عليه السلام اجتاز يوماً في عسكره على رجل جالس في مقبرة وبين يديه عظام رميمة وجماجم بالية وهو ينظر اليها، فقال له الأسكندر ماتصنع في هذه العظام؟ فقال ان هذه المقبرة قد دفن فيها جماعة من الملوك فبعثني الله سبحانه ان أعزل عظام الملوك عن عظام الفقراء فأنا انظر في هذه الجماجم والعظام لأعرف هذا من هذا، فمضى الأسكندر وقال والله ماعنى غيري، وهذا كان السبب في طلبه الموضع الذي مات فيه.

وفي الرواية ان داود عليه السلام اجتاز على غار فدخله فوجد فيه رجلاً ميتاً عظيم الخلقة واذا عند رأسه حجر مكتوب فيه انا دوسم الملك، ملكت ألف عام وفتحت ألف مدينة، وهزمت ألف جيش وافترعت الف بكر من بنات الملوك ثم صرت الى ماترى(رميماً كما ترى) فصار التراب فراشي والحجارة وسادتي، والدّيدان جيراني فمن رآني فلا يغتر بالدنيا كما غرتني.

وروي ان عيس عليه السلام مرّ ذات يوم مع جماعة من اصحابه، فلما ارتفع النهارمرّوا بزرع قد امكن من الفرك، فقالوا يانبي الله انا جياع، فأوحى الله تعالى اليه ان ائذن لهم في قوتهم،

فأذن لهم فتفرّقوا في الزرع يفركون ويأكلون، فبينما هم كذلك اذ جاء صاحب الزّرع وهو يقول زرعي وأرضي ورثتها من آبائي فباذن من تأكلون؟ قال فدعى عيسى عليه السلام ربه، فبعث الله تعالى جميع من ملك تلك الأرض من لدن آدم الى ساعته، فاذا عند كل سنبلة او ماشاء الله رجل او امرأة ينادون زرعي وأرضي ورثته عن آبائي؟ ففزع الرجل منهم وكان قد بلغه امر عيسى عليه السلام وهو لايعرفه، فلمّا عرفه قال معذرة اليك يارسول الله انّي لم اعرفك زرعي ومالي حلال لك، فبكى عيسى عليه السلام وقال ويحك هؤلاء كلّهم قد ورثوا الأرض وعمروها ثم ارتحلوا عنها، وانت مرتحل عنها ولاحق بهم ليس لك أرض ولامال، وفي الدّيوان المنسوب الى مولانا امير المؤمنين عليه السلام انّه لمّا رأى فاطمة عليها السلام مسجاة بثوبها بكى فرثاها ثم قال:

لكل اجتماع من خليلين فرقة	وان الذي دون الممات قليل
أرى علل الدنيا عليّ كثيرة	وصاحبها حتى الممات عليل
وانّ افتقادي فاطما بعد احمد	دليل على ان لايدوم خليل
الا ايّها الموت الذي لست تاركي	أرحني فقد أفنيت كل خليل
اراك بصيراً بالذين احبهم	كأنّك تنحو نحوهم بدليل

ولما نفض يديه من ترابها تمثّل بقول بعض بني ضبّة:

أقول وقد فاضت دموعي حسرة	أرى الأرض تبقى والأخلاء تذهب
أخلاي لو غير الحمام اصابكم	عتبت ولكن ماعلى الموت معتب

وروي ان عيسى عليه السلام كان مع صاحب له يسيحان، فأصابهما الجوع فأنتهيا الى قرية فقال عيسى عليه السلام لصاحبه انطلق فاشتر لنا طعاما، وقام عيسى عليه السلام يصلي فجاء الرجل بثلاثة أرغفة، فأبطأ عليه انصراف عيسى عليه السلام، فأكل رغيفا، فأنصرف عيسى عليه السلام فقال اين الرغيف الثالثة؟ فقال ماكان الا رغيفين، قال فمرا على وجوههما حتى مرّا بظباء، فدعى عيسى عليه السلام ظبياً منها فنحروه وأكلوا منه، فقال عيسى عليه السلام للظبي قم باذن الله فقام حيا، فقال الرجل سبحان الله فقال عيسى عليه السلام بالذي أراك هذه الآية من صاحب الرغيف الثالث؟ فقال ماكانا الا اثنين فخرجا حتى اتيا قرية عظيمة، فاذا قريب منها ثلاث لبنات من ذهب، فقال الرجل هذا مال؟ فقال عيسى عليه السلام أجل هذا مال واحدة لي وواحدة لك وواحدة لصاحب الرغيف الثالث، فقال الرجل انا صاحب الرغيف الثالث فقال عيسى عليه السلام هي لك كلها ففارقه، فأقام عليها ليس معه مايحمله عليه فمرّ عليه(به) ثلاثة

نفرات فقتلوه وأخذوا اللبن، فقال اثنان منهم لواحد انطلق الى القرية فأتنا بطعام، فذهب فقال احد الباقين للآخر تعالى نقتل هذا اذا جاء ونقسم هذا بيننا، وقال الذي ذهب أجعل في الطعام سماًفأقتلهما وآخذ اللبن، ففعل فلما جاء قتلاه وأكلا الطعام الذي جاء به فماتا، فمر بهم عيسى عليه السلام وهم حولها مصروعون، فقال الدنيا هكذا تفعل بأهلها، ووجد مكتوباً على قبر سيف بن ذي يزن:

من كان لايطأ التراب برجله ... وطأ التراب بصفحة الخد
من كان بينك في التراب وبينه ... شبران كان بغاية البعد
لو بعثرت للناس اطباق الثرى ... لم يعرف المولى من العبد

ووجد مكتوباً على قصر بعض الملوك:

هذي منازل اقوام عهدتهم ... يوفون بالعهد مذ كانوا وبالذمم
تبكي عليهم ديار كان يطربها ... ترنم المجد بين الحلم والكرم

ولبعضهم:

تروح لك الدنيا بغير الذي غدت ... ويحدث من بعض الأمور أمور
وتجري اللَيالي باجتماع وفرقة ... وتطلع فيها أنجم وتغور
فمن ظنَ انَ الدَهر باق سروره ... فذاك محال لايدوم سرور
عفى الله عمَا صير الهم واحدا ... وأيقن انَ الدَيرات تدور

وفي الرواية ان رجلين تنازعا في دار فأنطق الله لبنة من جدار تلك الأرض فقالت اني كنت ملكاً من ملوك الأرض ملكت الدنيا ألف سنة، فلما صرت تراباً أخذني خزّاف بعد ألف سنة فصيّرني خزفا، فبقيت ألف سنة فأخذني لبّان فصيرني لبنة وانا في هذا الجدار منذ كذا وكذا فلم تنازعا في هذه الأرض.

وروي انه سأل الخضر عليه السلام عن اعجب شيء رأيته؟ فقال أعجب مارأيته أني مررت على مدينة ولم أر على وجه الأرض أحسن منها، فسألت بعضهم متى بنيت هذه المدينة؟ فقالوا سبحان الله مايذكر آباؤنا وأجدادنا متى بنيت، ومازالت كذلك من عهد الطوفان، ثم غبت عنها نحو خمسمائة سنة وعبرت عليها بعد ذلك، فاذا هي خاوية على عروشها، ولم أر احد أسأله، واذا رعاة غنم فسألتهم عنها، فقالوا لانعلم، فغبي عنها نحواً من خمسمائة عام ثم انتهيت

اليهافاذا موضع تلك المدينة بحر، واذا غواصون يخرجون منها اللؤلؤ فقلت لبعض الغواصين منذ كم هذا البحر هيهنا؟ فقالوا سبحان الله مايذكر آباؤنا ولاأجدادنا الاّ انّ هذا البحر منذ بعث الله الطوفان، ثم غبت عنها نحواً من خمسمائة عام ثمّ انتهيت اليها فاذا ذلك البحر قد غاض ماؤه واذا مكانه أجمة ملتفة بالقصب والبردي والسباع، واذا صيادون يصيدون السمك في زوارق صغار، فقلت لبعضهم اين البحر الذي كان هيهنا؟ فقال سبحان الله مايذكر آباؤنا واجدادنا انّه كان هيهنا بحر قط، فغبت عنها نحواً من خمسمائة عام ثم اتيت الى ذلك الموضع فاذا هو مدينة على حالته الأولى والحصون والقصور والأسوار قائمة، فقلت لبعضهم اين الأجمة التي كانت هيهنا ومتى بنيت هذه المدينة؟ فقال سبحان الله مايذكر آباؤنا واجدادنا الا انّ هذه المدينة على حالها منذ بعث الله الطوفان، فغبت عنها نحواً من خمسمائة عام ثم انتهيت اليها فاذا عاليها سافلها وهي تدخن بدخان شديد فلم أر أحداً أسأله عنها، ثم رأيت واعياً فسألته اين المدينة التي كانت هيهنا؟ ومتى حدث هذا الدخان؟ فقال سبحان الله مايذكر آباؤنا واجدادنا الا انّ هذا الموضع كان هكذا منذ كان، فهذا أعجب شيء رأيته في سياحتي في الدنيا فسبحان مبيد العباد.

ولما ثقل عبد الملك بن مروان رأى غسّالاً يلوي بيده ثوباً، فقال وددت اني كنت غسّالاً لا أعيش الا بما أكتسبه يوماً فيوما، فبلغ ذلك اباحازم فقال الحمد لله الذي جعلهم عند الموت يتمنون مانحن فيه ولانتمنى عنده ماهم فيه، وكانت العرب لاتعرف الألوان انّما طعامهم اللحم يطبخ بماء وملح حتى كان زمن معاوية، فاتّخذ الألوان واسرف فيها وما شبع من كثرة ألوانه حتى مات.

وقيل ان السبب الموجب لنزول معاوية بن يزيد بن معاوية عن الخلافة انّه سمع جاريتين يتلاحيان وكانت احديهما بارعة الجمال، فقالت لها الأخرى لقد أكسبك جمالك كبر الملوك، فقالت الحسناء واي ملك يضاهي ملك الحسن وهو قاض على الملوك وهو الملك حقا، فقالت لها واي خبر في الملك وصاحبه امّا قائم بحقوقه وعامل بالشكر فيه فذاك مسلوب اللذة والقرار منغص العيش، وامّا منقاد لشهواته ومؤثر للذة ومضيّع للحقوق ومنصرف عن الشكر فمصيره الى النار، فوقعت الكلمة من نفس معاوية موقعاً مؤثراً وحملته على الأنخلاع عن الخلافة فقال له أهله أعهدت الى احد يقوم بها مكانك؟ فقال كيف اتجرّع مرارة فقدها وأتقلّد تبعة عهدها، ولوكنت مؤثراً بها لأثرت بها نفسي، ثم انصرف واغلق بابه ولم يأذن لأحد، فلبث بعد ذلك خمساً وعشرين ليلة ثمّ قبض، وقالت له امه عندما سمعت منه ذلك ليتك كنت حيضة، فقال ليتني كنت حيضة كما تقولين ولااعلم انّ للناس جنة ولانارا ولاللنار اناسا، ونحو ذلك من الموعظ والنصائح.

وينبغي للوالي ان لايتأنق في الملبس في غير ايام اعياده بل يلبس الأوسط من الثياب ليرغب الناس في لبس الأدنى، فتتوفر الأموال بين الرعية ويكثر اسباب الخير عندهم، ولعلم

الوالي انّ كلّ رداء يرتديه فهو جميل وانّ الثياب يعلو قدرها يلبسه لانّها هي التي ترفع قدره، وكان ملك السلاطين مولانا امير المؤمنين عليه السلام قد رفع جبّة عند الخياط ووضع فيها سبعين رقعة حتى قال والله انّي لأستحي من راقعها ان يرقعها لي مرة اخرى، والولاة لايقدرون على هذا لكن لايفوتهم الأقرب اليه، واما المطعم فان تأنقوا فيه فينبغي لهم ان يحضروا طعاماً مخصوصاً بهم ويكون على المائدة طعام خال من التكلف لتأكله الولاة، حتى انهم لو لم يأكلوا منه فلا أقل من ان يكون حاضراً معهم على الموائد وهو طعام الفقراء لتقتدي الناس به وليسهل على الفقيرفقره، وليكون مذكر للوالي واهل خاصته احوال الفقراء والمساكين ومشبّههم في بعض الأحوال فانّ من تشبّه بقوم كان منهم وان لم يعمل عملهم كما جاء في الرواية.

وروي ان فرعون كان له مضحكة يضحك من كلامه، فأتى يوماً الى باب فرعون ليدخل عليه فرأى رجلاً واقفاً على باب فرعون رث الهيئة عليه عباءة سملة وبيده عصاه، فقال له من انت؟ قال انا موسى نبي الله ارسلني الى فرعون أدعوه الى التوحيد، فرجع على طريق الأستهزاء، فاغتاظ موسى عليه السلام من إستهزائه به ثم لما انتهى حال فرعون الى ان اغرقه الله تعالى اياه وجنوده في شطّ النيل فنجا الله سبحانه ذلك الرجل الذي استهزىء بموسى، فقال يارب كيف لاتعزق هذا وهو قد أذاني؟ فأوحى الله تعالى ياموسى ان لااعذب من تشبّع بأحبابي وان كان على غير طريقهم.

وروي ان امير المؤمنين عليه السلام لمّا صار والياً منع نفسه من ان يبات شبعانا، فقيل له في ذلك؟ فقال ينبغي للوالي ان يكون في مطعمه مثل أفقر رعيته، وانا أخاف ان يكون رجل في اليمامة قد بات جائعاً فكيف اشبع انا من الطعام.

وينبغي للوالي ان يرفع حجابه وأهل ابوابه في وقت الغداء والعشاء، ويأمر بفتح الأبواب لتدخل الأيتام وأهل السؤال فينالوا من طعامه شيئا، ولايكون أهل السؤال يصيحون من وراء الجدران والأبواب حتى لو أمر لهم بطعام بيد أحد غلمانه فربما أخذه الغلام لنفسه وربما اعطاه الفقير وأعقبه بالإهانة والضّرب حتى لايجيء مرة اخرى، اما لأن مايأخذه الفقير نقص من غداء الغلمان وعشائهم وامّا لأنّ الغلام اذا مشى الى الفقير الذي يكون واقفاً خارج الأبواب فات على ذلك الغلام شيء من مقرّره من المائدة واما لغير ذلك، بل ينبغي للوالي واهل الثروات ان يعاينوا ويطلعوا على اعطاء السائلين من موائدهم وان هم اعطوا بأيديهم فيالها من مكرمة لايعد لها ثوابها شيء.

وكان الصادق عليه السلام اذا اعطى السائل درهماً او نحوه اخذه من يد السائب فقبله ووضعه على عينه، ثم دفعه اليه مرة اخرى، فقيل له في ذلك؟ فقال لأنّ درهم السؤال اول مايقع

في يدي الله تعالى فأحب ان اتشرف به واعظمه لمكان يدي الرحمة، وكان الكاظم عليه السلام يتصدق بالسكر والحلوى فقيل له في سببه؟ فقال ان الله تعالى يقول{لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون} وأنا احب السّكر والحلوى فأحب ان أتصدق بهما، وفي الرواية انّ الله تعالى انما امهل فرعون ومدّله في الملك مع ما كان عليه من الكفر انّه كان اذا حضرت موائده أمر بفتح الأبواب ورفع الحجاب، وكان كل من يمر على بابه من الفقراء والأيتام يأكل من طعامه، وفي رواية أخرىانه كتب على باب قصره بسم الله الرحمن الرحيم، فلما تعجّل موسى عليه السلام نزول العذاب عليه أوحى الله سبحانه اليه ياموسى انت تنظر الى كفره وانا انظر الى ماكتبه على باب قصره.

وروي ان رجلاً من اهل مصر رفع الى فرعون عنقود عنب، وقال له انت ربنا فأطلب منك ان تحول هذا العنب لئالىء كبارا، فأخذ العنقود من يده ودخل بيتاً من بيوته وغلق عليه الأبواب وجلس يتفكر كيف يصنع ذلك الأمر، فأتى عليه الشيطان ودق عليه الباب، فقال فرعون من بالباب؟ فقال ابليس ضرطتي بلحية رب لايدري من بالباب، فعرفه فرعون[1] فقال ادخل ياملعون، فقال ابليس ملعون يدخل على ملعون فدخل عليه فرآه متحيّراً متفكرا فأخذ العنقود وقرأ عليه اسماً فصيّره عنقوداً من اللؤلؤ فقال له يافرعون أنصف من نفسك أنا في هذا العالم والكمال وما قبلوني ان اكون عبداً وأنت في هذا الجهل والحماقة تريد ان تكون ربا، فقال له فرعون لم لاسجدت لآدم حين امرت بالسجود له؟ فقال له ابليس لأنّي علمت انّ مثلك في صلبه.

وما أحسن مراسلة وقعت بين كسرى وقيصر وهو انّ قيصر ملك الروم بعث الى كسرى ملك الفرس مّما ذا انتم اطول منّا اعمارا وأدوم ملكا؟ فأجابه كسرى امّا بعد ايها السيد الكريم والملك الجسيم، اما سبب الملك واغرازه في مغرزه ورسوخه في مركزه فلأمور أنتم غافلون ولستم لأمثالها فاعلون، منها ان ليس لنا نوّاب يرشي ويمنع ولابواب يدفع ويردع لم تزل ابوابنا مشرعة ونوّابنا لقضى الحوائج مسرعة، لاأقصينا صغيراً ولا أدنينا اميرا ولا احتقرنا بذوي العقول(الأصول)، ولاقدّمنا الشّبان على الكهول ولاكذبنا في وعد ولاصدقنا في ايعاد ولاتكلّمنا بهزل ولاسمنا وزيرا الى عزل، موائدنا مبسوطة وعقولنا مضبوطة لانقطع في امل ولالجليسنا نمل، خيرنا مضمون وشرّنا مأمون وعطاؤنا غير ممنون، لانجوح احدا الى باب بل نقضي بمجرّد الكتاب، نرقَ للباكي ونستقصي قول الحاكي ماجعلنا همّنا بطوننا ولافروجنا، اما البطون فلقمة واما الفروج فأمة، ولانؤاخذ على قدر غيظنا بل نؤاخذ على قدر الجناية، ولانكلف الضّعيف المعدم

---

(١)كيف عرف فرعون ابليس وتكلمه ولذا اظن هذه القضية اسطورة ذكروها من باب المطايبة والأمثال.

مايتحمله الشَريف المنعم ولانؤاخذ البريء بالسقيم ولا الكريم باللئيم النمام عندنا مفقود والعدل في جانبنا موجود الظلم لانتعاطاه والجور أنفسنا تأبأه، لانطمع في الباطل ولانأخذ العشر قبل الحاصل، لاننكث العهود ولانحنث في الموعود الفقير عندنا مدعو والمفتخر لدينا مقصو، جارنا لايضام وعزيزنا لايرام رعيتنا مرعية وحوائجهم لدينا مقضية صغيرهم عندنا خطير وزريهم لدينا كبير، الفقير بيننا لايوجد والغنى بما لديه يسعد العالم عندنا مكرم معظم والتَقى عندنا(لدينا خ) موقَر مقدم، ولايسد بمملكتنا باب ولايوجد عندنا سارق ولامرتاب سماؤنا معطرة واشجارنا لم تزل مثمرة، لانعامل بالشهوات ولانجازي بالهفوات، الطير الينا شاكي والبعير اتانا متظلم وباكي عدلنا قد عم القاصي والداني وجودنا قد غمر الطائع والعاصي، عقولنا باهرة وكنوزنا ظاهرة وفروجنا عفايف وذيولنا نظايف، أفهامنا سليمة حلومنا جسيمة كفوفنا سوامح بحورنا طوافح نفوسنا ابية وطوالعنا المعية، ان سألنا اعطينا وان قدرنا عفينا(عفونا)وان وعدنا اوفينا وان غضبنا اغضينا، فلمَا وصل الكتاب الى قيصر قال يحق لمن يكون هذه سياسته ان تدوم رئاسته.

وينبغي للوالي ان لايشعر قلبه التَكبر وان اظهره في حضور الرعية لمصلحة الملك واذا جلس او ركب ورأى العساكر حافَة به فليذكر ذلك الوقت عظمه الله سبحانه وليذكر حقارته وهوانه، وان الملك زائل عنه اغلى غيره وانَه يصل الى طبقات الأرض ويصاحب الديدان، فاذا خطر بخاطره مثل هذا عرف قدر نفسه.

وفي كتب السير انَ عمر بن عبد العزيز كان له ابن وقد صاغ خاتماً من ألف درهم، فحكوا له ماصنع ابنه، فكتب اليه يابني بع الخاتم بألف درهم واشبع بها ألف مسكين وصغ خاتماً من اربعة دراهم واكتب على فصَه رحم الله امرأ عرف قدره، فصنع مامره، وفي الحديث القدسي العز ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعنيهما ادخله ناري ولاابالي.

وقال عليه السلام ياابن آدم أني لك والفخر فانَ أوَلك جيفة وآخرك جيفة وفي الدنيا حامل الجيف، وقد سبق تحقيق هذا في باب التكبر.

وينبغي للوالي ان يجعل لأمواله ثلاثة من الوكلاء:واحد منها يكون وكيله في قبض الأموال الحلال مثل مداخل أملاكه وتجاراته الحلال ونحو ذلك ليصرفها على نفسه وعلى تصدَقاته وعطاياه للعلماء والفقراء والأخيار، وثانيها ان يكون وكيله في قبض الخراج والأموال التي تجبى اليه كل سنة ويكون قانوناً سلطانياً على الرعية فانَ مثل هذه تقرب من الحلال ان لم تكن حلالا، وذلك انَ الوالي اذا كان عالماً عاملاً من عمَال السلطان وأولاه تلك البلاد فكأنه أعطاه مال خراجها ومقرَراتها ويكون الوزر على السلطان، فبهذا يكون داخلاً تحت الشبهات ولايكون حراماً محضا، وثالثها ان يكون وكيله في قبض المحرمات المحضة فانَ ولاة هذه الأعصار ولايتركون

مثله ويكون مصرف هذا اهله فانهم احق به من الغير والاَ فلا يكون مصرف مثل هذا الاَ في الأمور الحقيرة البعيدة من الشرع.

ويجب على الوالي الوجوب العيني وهو أهم مايجب عليه العدل وحياطة الرعية قال انوشيروان حصّن البلاد بالعدل فهو سور لايغرقه ماء ولايحرقه نار ولايهدمه منجنيق وكان كسرى اذا جلس في مجلس حكمه أقام رجلين عن يمينه وشماله وكان يقول لهما اذا زغت[١] فحرّكوني ونبّهوني، فقالا له يوما والرعية تسمع ايّها الملك انتبه فانّك مخلوق لاخالق وعبد لامولى، وليس بينك وبين الله قرابة انصف الناس وانظر لنفسك.

وقال بعض الحكماء اذا ولّيت ولاية فايّاك وان تسعين في ولايتك بأقاربك فتبتلي بما ابتلي به بن عثمان بن عفان واقض حقوقهم بالمال لابالولاية، وحمل بعض عمّال انوشيروان اليه في بعض السنين ثمانين ألف درهم زيادة على الموظف المقرّر، فسأله عن ذلك؟ فقال وجدت في ايدي قوم فضلاً فأخذته منهم، فقال ردّوا هذا المال على من اخذ منه فان مثلنا في ذلك كمثل من طين سطحه بتراب اسا بيته، فيوشك ان يكون ضعف الأساس وثقل السطح مسرعين في خراب بيته.

وفي الحديث من ولي من امور المسلمين شيئاً ثم لم يحطهم بنصحه كما يحوط أهل بيته فليتبوأ مقعده من النار، وروي ايضاً انه اذا كان يوم القيامة يؤتى بالوالي فيقذف على جسر جهنم يأمر الله سبحانه الجسر فينتفض به انتفاضة فيزول كل عظم منه عن مكانه، ثم يأمر الله تعالى العظام فترجع الى اماكنها ثم يسألئ فأن كان مطيعاً أخذ بيده وأعطاه كفلين من رحمته وان كان لله عاصياً أخرق به الجسر فهوى به جهنّم مقدار سبعين خريفاً.

وفي الرواية انّه كان في زمن بني اسرائيل سلطان ظالم فأوحى الله سبحانه الى نبي من أنبيائه أن قل لهذا الظالم ماجعلتك سلطاناً الاَ لتكف أصوات المظلومين عن بابي، فوعزتي وجلالي لأطعمنّ لحمك الكلاب، فسلّط عليه سلطاناً آخر حتى قتله فأطعم لحمه الكلاب.

وروي ان كسرى صنع طعاماً فدعى الناس اليه، فلمّا فرغوا ورفعت الآلات وقعت عينه على رجل وقد أخذ جاماً له قيمة كثيرة، فسكت عنه وجعل الخدم يرفعون الآلات فلم يجدوا الجام، فسمعهم كسرى يتكلمون فقال مالكم؟ قالوا فقدنا جاماً من الجامات فقال لاعليكم أخذه من لايردّه وأبصره من لاينمّ عليه فلمّا كان بعد ايّام دخل الرجل على كسرى وعليه حلية جميلة وحال مستجدة، قال له كسرى هذا من ذاك؟ قال نعم، ولم يقل له شيئاً.

---

(١) أي ملت عن الحق.

وروي اهل السّر والتواريخ انّ كسرى انوشيروان قد ظلم في أوّل حكمه كثيراً حتى بلغ ظلمه الى رجل راهب كان يعبد الله في صومعته، فكتب العابد اليه كتاباً بسم الله الرحمن الرحيم ملكتم فأسأتم، ووضع عليكم فضيّقتم، نسيتم سهام الأسحار وهي صائبة خصوصاً اذا خرجت من قلوب قد اوجعتموها واجساد قد أعريتموها وأجفان عين قد أجريتموها، فأعملوا ماشئتم فأنا صابرون وجوروا فانّا بعزة الله واثقون، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

وينبغي يعلم نيّات الملوك والولاة له مدخل في زيادة معائش الرعية ونقصانها، وروى الكليني عن ابيه قال خرج كسرى في بعض ايّامه للصيد فعنّ له صيد فتبعه فانقطع عن اصحابه، فرفع له كوخ فقصده فاذا عجوز بباب الكوخ جالسة، فقالت له أنزل فنزل ودخل الكوخ فاذا ابنة العجوز قد جاءت ومعها بقرة، فأدخلتها الكوخ وكسرى ينظر وقال في نفسه:

ينبغي ان نجعل على كل بقرة اناوة فهذا حلاّب كثير، فلمّا مضى من الليل شطره قالت العجوز يافلانة قومي الى البقرة فاحلبيها فقامت الى البقرة فوجدتها حائلاً فنادت امّها يا اماه قد اضمر لنا الملك شراً قالت وماذلك؟ قالت لأن هذه البقرة حائل وماتدرّ بقطرة، فقالت لها امّها امكثي فانّ عليك ليلاً، فقال كسرى في نفسه من أين لها انّي اضمرت في نفسي الشر اما انّي لاأفعل ذلك، قال فمكثت قليلاً ثم نادتها يابنية قومي احلبي البقرة، فقامت اليه فوجدتها حاملا، فحلبتها وأقبل الصبح وتتبّع الرجال كسرى أثره حتى أتوه، فركب وامر بحمل العجوز وابنتها اليه فحملتا فأحسن اليهما، وقال كيف علمت ان الملك قد اضمر شراً وان الشر الذي قد اضمره قد عدل عنه؟ قالت العجوز انا بهذا المكان من كذا وكذا ماعمل فينا بعدل الا أخصب بلادنا واتّسع عيشنا، وماعمل فينا بجور الا ضاق عيشنا وانقطعت موادّ النفع عنا.

وفي كتاب عجائب المخلوقات انّ ريحان الفارسي وهو الأخضر لا الذي يميل الى الحمرة لم يكن قبل كسرى انوشيروان وانما وجد في زمانه، وسببه انّه كان ذات يوم جالساً كفواً عنها فانّي أظنها مظلومة، فمرت تنساب حتى استدارت على فوهة بئر، فنزلت فيها ثم أقبلت تتطلع فنظروا فاذا في قعر البئر حية مقتولة وعلى ظهرها عقرب اسود، فأدلي بعضهم رمحه الى العقرب فنخسها به وأتى الملك فخبّره بحال الحية، فلما كان في العام القابل أتت الحيّة في اليوم الذي كان كسرى جالساً فيه للمظالم وجعلت تنساب حتى وقفت ولفظت من فيها بذراً اسود، فأمر الملك ان يزرع فنبت منه اليرحان، وكان الملك كثير الزكام وأوجاع الدماغ فاستعمل منه ونفعه جداً، فانظر الى عدل هذا الملك اين بلغ، على انّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ولدت في زمن الملك العادل يعني به كسرى.

ورووا انه لما اراد بناء قصره الذي في المدائن امر بشراء ماحوله ورغَب الناس في الثمن الوافر الا عجوز كان لها بيت صغير قالت ما ابيع جوار السلطان بالدنيا كلها فاستحسن انوشيروان منها هذا القول وامر بترك ذلك البيت على حاله واحكام عمارته وبنى الأيوان محيطاً به وكان في جانب الأيوان قبة محكمة العمارة يعرفها اهل تلك الناحية بقبة العجوز وكان على الأيوان نقوش وصور بالتزاويق وقد شكوا غلمان الدار الى انوشيروان وقالوا ان العجوز تدخن في بيتها ودخانها يفسد نقوش الأيوان فقال كلما افسدت اصلحوها ولاتمنعوها من التدخين وكان للعجوز بقرة تأتيها آخر النهار لتحلبها، فاذا وصلت الى الأيوان طووا فرشه لتمشي البقرة الى باب قبة العجوز فاذا فرغت من حلبها رجعت البقرة وسووا الفراش وكان هذا مذهبه في العدل.

وروي ان المأمون ارق ليله فاستدعى سميره [1] تحدته بحديث فقالت ياامير المؤمنين كان بالبصرة بومة وبالموصل بومة فخطبت بومة البصرة الى بومة الموصل بنتها لأبنها فقالت بومة البصرة لا انكحك ابنتي الا ان تجعل في صداقها مائة ضيعة خراب فقالت بومة الموصل لااقدر عليها الآن ولكن ان دام والينا سلمه الله تعالى علينا سنة واحدة فعلت لك ذلك فاستيقظ المأمون وتفقد امر الولاة.

وروى شيخنا الكليني باسناده الى الأمام ابي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال ان الله عز وجل جعل لمن جعل له سلطاناً أجلاً ومدَة من ليالي وايَاماً وسنين وشهور فان عدلوا في الناس امر الله عز وجل صاحب الفلك فأبطأ بادارته فطالت ايَامهم ولياليهم وسنونهم وشهورهم وقد وفى الله عز وجل بعدد الليالي والشهور.

قال شيخنا المعاصر ادام الله ايَامه لعل المراد بسرعة ادارة الفلك وبطؤها تعجيل زوال اسباب الملك وعكسه، ويجوز ان يكون لكل دولة فلك غير الأفلاك المعروفة الحركات فيكون سرعة الأدارة وبطؤها عارضين لذلك الفلك انتهى وكأنه ايده الله تعالى اراد دفع الأعتراض على ظاهر الحديث من وجهين:

الأول ماذهب اليه الحكاء والمنجمون من ان الفلك لايمكن ان يزول عن الحركة التي ههي عليها الآن وبرهنوا بزعمهم على هذا.

الثاني انه ربما كان سلطان جائر في بلاد من البلدان وسلطان عادل في بلاد اخرى فكيف يكون جور هذا وظلمه سبباً في زوال ملك الآخر ونقص عمره مع ان رعيه الجائر ايضاً مما ليس لهم ذنب في الجور فكيف تنقضي ايام اعمارهم على طريق السرعة

---

(١)الذي يحدث بالليل.

والجواب عن الأول انه قد ورد في الأخبار المستفيضة وقد تقد بعضها ان ايام دولة المهدي عليه السلارم انما تكونه كل سنة منها تعادل سبع سنين من هذه السنين فقيل له ياابن رسول الله ان الفلك لاتزول عن حركتها هذه ولو زال لفسد؟ فقال عليه السلام هذا قول الزنادقة والمنجمين، والمراد بازنادقة الحكماء واما الأشكال الثاني فالجواب عنه غير الجائر من الرعية والملوك ان قدروا على ازالته عن الملك وسكتوا عنه مداهنة فالذي يصيبهم من قصر الأعمار والملك انما هو بسبب المداهنة وقد عذب الله تعالى في الأمم السابقة من اذنب ومن داهن وجعلهم في العذاب سواء ومن لم يقدر على ازالته عن الملك فكان ينبغي له ان يفر عن بلاده ويطلب بلاد الله العريضة لأن السكنى مع الظالمين ذنب حتى انه ورد في الحديث لو ان الجعل يبني بيتاً في محلة الظالمين لعذبه الله تعالى بعذابهم واما من لم يقدر على الفرار وكان الظلم قد عم البلاد والعباد فيجوز ان يكون سبحانه وتعالى ان يضيف الى اعمار هؤلاء الذين

لم يذنبوا بوجه من الوجوه بقية ايامهم التي اسرع اليها الظلم بحركته فيعوضهم بدلها اياماً ولیالي في دولة من يأتي من الملوك ويظهر من هذا الخبر وغيره ان يام دولة الولاة مكتوب عن الله تعالى لايزيد ولاينقص الا بالجور والعدل ولو اراد الناس والرعية والعساكر زواله ماقدروا عليه بوجه من الوجوه كما هو المشاهد حتى تنقضي الأيام ويأذن الله بزوا ذلك الملك فعند ذلك يزول بأنقص الأسباب وادناها فلا ينبغي ان يخطر بخاطر احد من الولاة انني اذا فعلت الفعل الفلاني كان سبباً لزوال ملكي الا ان يكون ظالماً في ذلك الفعل فحينئذ يجب على الوالي دفع الظالمين الذين يظلمون الرعية ويخيفون الطرقات ويمنعون المتمردين ويغيرون القوافل ونحو ذلك فان لم يدفعهم ظلمهم كان له الحظ الأوفر من العذاب والعقاب ويكون مداهنته مهم هي السبب الأقوى في زوال ملكه مع انه قد ظن انه سبب لبقاء ملكه.

وفي بعض الأخبار ان عدل الحاكم يوماً يعادل عبادة العابد خمسين سنة وليس العدل هو ان القضية اذا بلغت اليه حكم بها على طريق الحق وانما العدل وروده هو على القضايا لاورود القضايا عليه بأن يكون له اطلاع على بلاده ومحاله ويكون له العيون والجواسيس في اقطار ممالكه حتى يتعرف القضايا ويوردوها عليه، وهكذا كان احوال السلف من الملوك ولايجوز للوالي ان يضرب الأستار ويغلق الأبواب في وجوه المسلمين ولينظر الى قول الصادق عليه السلام من ضرب بينه وبين اخيه حجاباً ضرب الله بينه وبين الجنة سبعين حجاباً مسير كل حجاب منها سبعون عاماً او اكثر وليجعل له وقتاً خاصاً لتفرده بنفسه ومع عياله واهل بيته كما كان يصنع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد كتب مولانا امير المؤمنين عليه السلام لعامله مالك الأشترقانونا للإماره والولايه نقلها علماؤنا رضوان الله عليهم في الكتب المعتبرة وهذا لفظها:هذا ما امر به على عبد

الله امير المؤمنين مالك بن الحرث الأشتر في عهده اليه حين ولاه مصر جباية خراجها وجهاد عدوها واستصلاح اهلها وعمارة بلادها امره بتقوى الله وايثار طاعته واتباع ماأمره به في كتابه من فرائضه وسننه التي لايسعد احد الا بإتباعها ولا يشقى احد الا مع جحودها واضاعتها وان ينصر الله سبحانه بيده وقلبه ولسانه فانه جل اسمه قد تكفل بنصرة من نصره واعزاز من اعزه وامره ان يكسر ممن نفسه عند الشهوات ونزعه عند الجمحات فان النفس امارة بالسوء الا مارحم الله.

ثم اعلم يامالك اني قد وجهتك الى بلاد وقد خرجت عليها دول قبلك من عدل وجور وان الناس ينظرون من امورك في مثل ماكنت تنظر فيه من امور الولاة قبلك ويقولون فيك ماكنت تقول فيهم وانما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عباده فليكن احب الذخائر اليك ذخيرة العمل الصالح فاملك هواك وشح بنفسك عما لايحل لك فان الشح بالنفس الأنصاف فيما احبت او كرهت واشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة واللطف بهم ولاتكونن عليهم سبعاً ضاريا تغتنم اكلهم، فانهم صنفان اما اخ لك في الدين واما نظير لك في الخلق يفرط منهم الزلل وتعرض لهم العلل ويؤتى على ايديهم في العمد والخطاء فاعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب ان يعطيك الله من عفوه وصفحه فانك فوقهم ووالي الأمر عليك فوقك والله فوق من ولاّك وقد استكفاك امرهم وابتلاك بهم، ولاتنصبن نفسك لحرب الله فانه لايدي لك بنقمة ولاغنى بك عن عفوه ورحمته، ولاتندمن على عفو ولاتبحجنّ بعقوبة ولاتسرعن الى بادرة وجدت عنها مندوحة، ولاتقولن انّي مؤمر آمر فأطاع فانّ ذلك ادغال في القلب ومنهكة للدين وتقرب من الغير، واذا أحدث لك ماأنت فيه من سلطانك ابهة او مخيلة فانظر الى اعظم ملك الله فوقك وقدرته منك على مالاتقدر عليه من نفسك فانّ ذلك يطامن اليك من طماحك، ويكف عنك من عزمك ويفي اليك بما عزب عنك من عقلك، اياك ومسامات الله في عظمته والتّشبه به في جبروته فانّ الله يذل كل جبار ويهين كلّ مختال، انصف الله وانصف من نفسك ومن خاصّة أهلك ومن لك فيه هوى من رعيّتك فانّك الا تفعل تظلم، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده، ومن خاصمه الله أدحض حجته وكان لله حرباً حتى ينزع ويتوب، وليس شيء ادعى الى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من إقامة على ظلم، فانّ الله يسمع دعوة المظلومين وهو للظالمين بالمرصاد.

وليكن احب الأمور اليك اوسطها في الحق واعمها فغي العدل واجمعها لرضى الرّعية، فان سخط العامّة يجحف برضا الخاصة، وان سخط الخاصة يغتفر مع رضا العامّة، وليس احد من الرعية أثقل على الوالي مؤنة في الرخاء وأقل معونة له في البلاء وأكره للإنصاف وأسأل بالألحاف وأقل شكراً عند الأعطاء وأبطأ عذراً عند المنع وأضعف صبراً عند ملمّات الدهر من اهل الخاصة، وانما عمود الدين وجماع المسلمين والعدة للأعداء العامة من الأمة فليكن صفوك لهم وميلك

معهم وليكن ابعد رعيتك منك وأشنأهم عندك اطلبهم لمعائد الناس فان في الناس عيوباً الوالي احق من سترها فلا تكشفن عما غاب عنك منها، فإنما عليك تطهير ما ظهر لك والله يحكم على ما غاب عنك ، فاستر العوره ما استطعت يستر الله منك ما تحب ستره من رعيتك اطلق عن الناس عقدة كل حاقد واقطع عنك سبب كل وتر وتغاب عن كل مالا يصح لك ، ولا تعجلن الى تصديق ساع فان الساعي غاش وان تشبه بالناصحين ولا تدخلن في مشاويرك بخيلا يعدل بك عن الفضل ويعدك الفقر ولا جبانا يضعفك عن الامور، ولا حريصا يزين لك الشره بالجور فان البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله شر وزرائك من كان للاشرار قبلك وزيرا ومن شركهم في الآثام فلا يكونن لك بطانة فانهم اعوان الأئمة واخوان الظلمة وانت واحد منهم خير الخلف ممن له مثل آرائهم ونفادهم وليس عليه مثل آصارهم وأوزارهم ممن لم يعونوا ظالماً على ظلمه ولاآثماً على اثمه أولئك أخف عليك مؤنة وأحسن لك معونة وأحنا عليك عطفا وأقل غيرك ألفاً فاتخذ أولئك خاصة من خلواتك وحفلاتك ثم ليكن أثرهم عندك أقولهم بمر الحق وأقلهم مساعدة فيما يكون منك مما كره الله لأوليائه واقعاً ذلك من هواك حيث وقع وألصق بأهل الورع والصدق ثم رضهم على ان لايطروك ولايبحجوك بباطل لم تفعله فان كثرة الأطراء تحدث الزهو وتدني من الغرة ولايكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء فانّ في ذلك تزييداً لأهل الأحسان في الأحسان وتدريباً لأهل الأساءة على الأساءة وألزم كلاً منهم ماألزم نفسه وأعلم انه ليس شيء بأدعى الى حسن ظن وال(راع خ)برعيته من احسانه اليهم وتخفيفه المؤنات عنهم وترك استكراهه اياهم على ماليس له قبلهم، فليكن منك في ذلك أمر يجتمع لك به حسن الظن برعيتك فانّ حسن الظن يقطع عنك نصباً طويلا وان احق من حسن ظنك به لمن حسن بلاؤك عنده وان احق من ساء ظنك به لمن ساء بلاؤك عنده ولاتنقض سنة صالحة بها صدور هذه الأمة واجتمعت بها الألفة وصلحت عليها الرعية ولاتحدثن سنة بشيء يضر بشيء من ماضي تلك السنن فيكون الأجر لمن سنها والوزر عليك بما نقضت منها وأكثر مداومة العلماء ومناقشة الحكماء في تثبيت ماصلح عليه امر بلادك واقامة ماأستقام به الناس قبلك.

واعلم ان الرعية طبقات لايصلح بعضها الا ببعض ولاغنى لبعضها عن بعض فمنها جنود الله ومنها كتاب العامة والخاصة ومنها قضاة العدل، ومنها عمال الأنصاف والرفق، ومنها اهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسلمة الناس ومنها التجار وأهل الصناعات ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة وكل قد سمى الله سهمه ووضع على حده وفريضته في كتابه او سنة نبيه عهداً منه عندنا محفوظاً فالجنود بأذن الله حصون الرعية وزين الولاة وعز الدين وسبل الأمن وليس تقوم الرعية الا بهم ثم لاقوام للجنود الا بما يخرج الله لهم من الخراج الذي يقوون به

في جهاد عدوهم ويعتمدون عليه فيما أصلحهم ويكون من وراء حاجتهم ثم لأقوام لهذين الصنفين الا بالصنف الثالث من القضاة والعمال والكتاب لما يحكمون من المعاقد ويجمعون من المنافع ويؤتمنون عليه من خواص الأمور وعوامها ولاقوام لهم جميعاً الا بالتجار وذوي الصناعات فيما يجتمعون عليه من مرافقهم ويقيمونه من اسواقهم ويكفونهم من الترفق بأيديهم مما لايبلغه رفق غيرهم ثم الطبقة السفلى من اهل الحاجة والمسكنة الذين يحق رفدهم ومعونتهم وفي الله لكل سعة ولكل على الوالي حق بقدر مايصلحه وليس يخرج الوالي من حقيقة ما ألزمه الله تعالى الا بالأهتمام والأستعانة بالله وتوطين نفسه على لزوم الحق والصبر عليه فيما خف عليه او ثقل فول من جنودك انصحهم في نفسك لله ولرسوله ولإمامك اتقاهم حساً وافضلهم حملاً ممن يبطي عن الغضب ويستريح الى العذر ةويرأف بالضعفاء وينبوا على الأقوياء وممن لايثير العنف ولايقعد به الضعف ثم ألصق بذوي الأحساب وأهل البيوتات الصالحة والسوابق الحسنة ثم أهل النجدة والشجاعة والسخاء والسماحة فانهما جماع للكرم وشعب من العرف ثم تفقد من أمورهم ما تتفقده الوالدة من ولدها ولايتفاقمن في نفسك شيء قويتهم به ولاتحقرن لطفاً تعاهدتم به وان قل فانه داعية الى بذل النصيحة لك وحسن الظن بك ولاتدع تفقد لطيف امورهم اتكالاً على جسميها فانَ لليسير منك موضعاً ينتفعون به وللجسيم موقعاً لايستغنون عنه وليكن اثر رؤوس جندك عندك من ساواهم في معونته وافضل عليهم من جدته بما يسعهم من وراءهم من خلوف اهليهم حتى يكون همهم هماً واحداً في جهاد العدو فانَ عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك ولاتصح نصيحتهم الا بحيطتهم على ولاة أمورهم وقلة استثقال دولهم وترك استبطاء انقطاع مدتهم وافسح في اموالهم واوصل من حسن الثناء عليهم وتعديل ما أبلى ذه البلاء منهم فان كثرة الذكر لحسن افعالهم يهز الشجاع ويحرض ان كل ان شاء الله ثم اعرف لكل مرء منهم ما أبلى ولاتضمن بلاء احد الى غيره ولاتقصرن به دون غاية بلاءه ولايدعونك شرف امرأ الى ان تعظم من بلاءه ماكان صغيراً ولاضعه امرأ الى ان تصتصغر من بلاءه ماكان عظيماً واردد الى الله ورسوله مايطعلك من الخطوب ويشتبه عليك من الأمور فقاد قال الله سبحانه لقوم احب ارشادهم {ياايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الأمر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله ورسوله}فلراد الى الله الآخذ بمحكم كتابه والراد الى الرسول الآخذ بسنته الجامعة غير المفرقة ثم أختر للحكم بين الناس افضل رعيتك في نفسك ممن لاتضيق به الأمور ولاتمحكه الخصوم[1] ولايتمادى في الزلة ولايحسر من الفيء الى الحق اذاعرفه ولا تشرف نفسه على طمع

---

(١)امحكه جعله محكان أي عسر الخلق او اغضبه أي لاتحمله مخاصمة الخصوم على اللجاج والأصرار على رأيه.

ولايكتفي بأدنى فهم دون اقصاه اوقفهم في الشبهات وآخذهم بالحجج واقلهم تبرماً بمراجعة الخصم واصبرهم على تكشف الأمور واصرمهم عند اتضاح الحكم ممن لايزهيه اطراء ولايستميله اغراء واولئك قليل ثم أكثر تعاهد قضائه وافسح له في البذل مايزيل علته وتقل معه حاجته الى الناس واعطه من المنزلة لديك ما لايطمع فيه غيره من خاصتك ليأمن بذلك أغتيال الرجال له عندك فانظر في ذلك نظراً بليغا فان هذا الدين قد كان اسيراً في ايدي الأشرار يعمل فيه بالهوى وتطلب به الدنيا ثم انظر في امور عمالك فاستعملهم في امورك اختياراً ولاتولهم محاباة وآثره فانهما جماع من شعر الجور والخيانة وتوخ منهم اهل التجربة والحياء من البيوتات الصالحة والقدم في الأسلام المتقدمة فانهم اكرم اخلاقاً واصح اغراضا وأقل في المطامع اشرافا وابلغ في عواقب الأمور نظراً ثم اسبغ عليهم الأرزاق فان ذلك قوة لهم على استصلاح انفسهم وغنى لهم عن تناول ماتحت ايديهم وحجة عليهم ان خالفوا امره او ثلموا امانتك ثم تفقد اعمالهم وابعث العيون من اهل الصدق والوفاء عليهم فان تعاهدك في السر لأمورهم جذوة لهم على استعمال الأمانة والرفق بالرعية، وتحفظ من الأعوان فان احد منهم بسط يده الى خيانة اجتمعت بها عليه عندك اخبار عيونك اكتفيت بذلك شاهداً وبسطت عليه العقوبة في بدنه وأخذته بما أصاب من عمله، ثم نصبته بمقام المذلّة ووسمته بالخيانة وخلّدته عار التهمة.

وتفقد الخراج بما يصلح اهله فانَ في صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم ولاصلاح لمن سواهم الا بهم، لأنَ الناس كلهم عيال على الخراج واهله، وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج، لأنَ ذلك لايدرك الا بالعمارة ومن طلب الخراج بغير عمارة وأخرب البلاد وأهلك العباد لم يستقم امره الا قليلا، فان شكوا ثقلاً او علة او انقطاع شرب او بالَة او احالة ارض اغتمرها غرق او احجف بها عطش خففت عنهم بما ترجوا ان يصلح به امرهم فلا يثقلن عليك شيء خففت به المؤنة عنهم فانه ذخر يعودون به عليك في عمارة بلادك وتزين ولايتك مع استجلاب حسن ثناؤك وتبحجك باستفاضة العدل فيهم متعمد افضل قوتهم بما ذخرت عندهم من اجمالك لهم والثقة منهم بما عودتهم من عدلك عليهم ورفقك بهم فربما حدث من الأمور ما اذا عوَلت فيه عليهم من بعد احتملوه طيبة انفسهم به فان العمران محتمل ماحملته وانما يؤتى خراب الأرض من أعواز اهلها وانما يعوز اهلها لأشراف انفس الولاة على الجمع وسوء ظنه بالبقاء وقلة انتفاعهم بالعبر ثم انظر في حال كتابك فول من امورك خيرهم واخصص رسائلك التي تدخل فيها مكائدك واسرارك باجمهم لوجود صالح الأخلاق ممن لاتبطره الكرامة فيجترى بها عليك في خلاف لك بحضرة ملأ ولاتقصر به الغفلة عن ايراد مكاتبان عمالك عليك واصدار جواباتها على الصواب عنك وفيما يأخذ لك ويعطي منك،

ولايضعف عقداً عقده لك ولايعجز عن اطلاق ماعقد عليك ولايجهل مبلغ قدر نفسه في الأمور فان الجاهل يقدر نفسه يكون بقدر غيره اجهل ثم لايكن اختيارك اياهم على فراستك واستنامتك وحسن الظن منك فان الرجال يتعرفون بفراسات الولاة بتصنعهم وحسن خدمتهم وليس وراء ذلك من النصيحة والأمانة شيء ولك اختبرهم بما ولوا الصالحين غيرك فأعهد لأحسنهم كان في العامة اثر او اعرفهم بالأمانة وجهاً فان ذلك دليل على نصيحتك لله ولمن وليت امره واجعل لرأس كل امر من امورك رأساً منهم لايقهرها كبيرها ولايتشتت عليه كثيرها ومهما كان في كتابك من عيب فتغابيت عنه الزمته ثم استوص بتجار وذوي الصناعات واوصي بهم خيرا المقيم منهم والمضطرب والمترفق بيديه فانهم مواد المنافع واسباب المرافق وجلابها من المباعد والمطارح في برك وبحرك وسهلك وجبلك وحيث لايلتأم الناس لمواضعها ولايجترؤن عليها فانهم سلماً لاتخاف بائقته والصلح لاتخشى غائلته وتفقد امورهم بحضرتك وفي حواشي بلادك واعلم مع ذلم ان في كثير منهم ضيقاً فاحشاً وشحاً قبيحاً واحتكاراً للمنافع وتحكماً في البياعات وذلك باب مضرة للعامة وعيب على الولاة فامنع من الأحتكار فان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منع منه وليكن البيع بيعاً سمحاً بموازين عدل واسعار لايجحف بالفريقين من البائع والمبتاع فمن قارف حكره بعد نهيك اياه فنكل وعاقب في غير اسراف ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لاحيلة لهم والمساكين والمحتاجين والبؤساء والزمني فان في هذه الطبقة قانعاً ومعترا او احفظ الله ماستحفظك من حقه فيهم واجعل لهم قسماً من بيت مالك وقسماً من غلات صوافي الأسلام في كل بلد فان للأقصى منهم مثل الذي للأدنى وكان قد استرعيت حقه فلا يشغلنك عنهم بطرفانك لاتقدر بتضييعك ألطافه لأحكامك الكثير المهم فلا تشخص همك عنهم ولتصعر خدك لهم وتفقد امور من لايصل اليك منهم ممن تقتحمه العيون وتحقره الرجال ففرغ لأولئك ثقتك من اهل الخشية والتواضع فليرفع اليك امورهم ثم اعمل فيهم بالأعذار الى الله سبحانه يوم تلقاه فان هؤلاء من بين الرعية احوج الى الأنصاف من غيرهم وكل فاعذر الى الله في تأدية حقه اليه وتعهد أهل اليتيم وذوي الرقة في السن مما لا حيلة له ولاينصب للمسئلة نفسه وذلك على الولاة ثقيل والحق كله ثقيل وقد يخففه الله على اقوام طلبوا العاقبة فصبروا انفسهم ووثقوا بصدق موعود الله لهم واجعل لذوي الحاجات منك قسماً تفرغ فيه شخصك وتجلس لهم مجلساً عاماً فتواضع فيه لله الذي خلقك وتقعد عنهم جندك وأعوانك من أحراسك وشرطك حتى يكلمك مكلمهم غير متتعتع فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول في غير موطن لن تقدس امة لايؤخذ فيها للضعيف حقه من القوي غير متعتع ثم احتمل الخرق منهم والعي ونح عنك الضيق والأنف يبسط الله عليك بذلك أمناف رحمته ويوجب لك ثواب طاعته واعط ما اعطيت هنيئاً

وامنع اجمال واعذار ثم امور من امورك لابد لك من مباشرتها منها اجابة عمالك بما يعي عنه كتابك ومنها اصدار حاجات الناس يوم ورودها عليك مما تحرج منه صدور اعوانك وامض لكل يوم عمله فان لكل يوم مافيه واجعل لنفسك فيما بينك وبين الله افضل تلك المواقيت واجزل تلك الأقسام وان كانت كلها لله اذا صلحت فيه النية وسلمت منها الرعية وليكن في خاصة ماتخلص لله به دينك اقامة فرائضه التي هي له خاصة فاعط الله من بدنك في ليلك ونهارك ووف ماتقربت به الى الله من ذلك كاملاً غير مثلوم ولامنقوص بالغامنة بالغاً من بدنك مابلغ واذا اقمت في صلاتك للناس فلا تكونن منفراً ولامضيعا[1] فان في الناس من به العلة وله الحاجة، وقد سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واله حين وجهني الى اليمن كيف اصلي بهم؟ فقال صلّ بهم كصلاة أضعفهم وكن بالمؤمنين رحيما.

واما بعد هذا فلاتطولنَ احتجابك عن رعيتك فانَ احتجاب الولاة عن الرعية شعبة من الضيق وقلة علم بالأمور، والأحتجاب منهم يقطع عنهم علم مااحتجبوا دونه فيصغر عندهم الكبير ويعظم الصغير ويقبح الحسن ويحسن القبيح ويشابه الحق بالباطل وانّما الوالي بشر لايعرف ماتوارى عنه الناس به من الأمور وليست على الحق سمات تعرف بها ضروب الصدق من الكذب وانّما انت احد رجلين امّا امرء وسخت نفسك بالبذل في الحق ففيم احتجابك من واجب حق تعطيه او فعل كريم تسديه او مبتلى بالمنع فما اسرع كفَ الناس عن مسألتك اذا أيسوا من بذلك، مع انَ اكثر حاجات الناس منك لغيرك وعمّا قليل تنكشف عنك اغطية الأمور وينتصف منك للمظلوم، املك حميّة أنفك وسورة حدك وسطوة يدك وعزب لسانك واحترس من كل ذلك بكف البادرة وتأخير السطوة حتى يسكن غضبك فتملك الأختيار ولن تحكم ذلك من نفسك حتى تكثر همومك بذكر المعاد الى ربك، والواجب عليك ان تتذكر مامضى لمن تقدمك من حكومة عادلة او سنّة فاضلة او أثر عن نبينا صلى الله عليه وآله وسلم فريضة في كتاب الله فتقتدي بما شاهدته مما علمنا به فيها وتجتهد نفسك في اتباع ماعهدت اليك في عهدي هذا واستوثقت به من الحجة لنفسي عليك لئلا تكون لكعلّة عند تسرع نفسك الى هواها، وان ظنّت الرعية بك حيفاً فأصحر لهم بعذرك واعدل عنك ظنونهم باصحارك، فانَ في ذلك رياضة منك لنفسك ورفقاً برعيتك واعذاراً تبلغ فيه حاجتك من تقويمهم على الحق ولاتدفعن صلحا دعاك اليه عدوّك لله فيه رضى فانَ في الصلح دعة لجنودك وراحة من همومك وأمناً لبلادك، ولكن الحذر من عدوك بعد صلحه فانَ العدو ربما قارب ليتغفل فخذ بالحزم واتّهم في ذلك حسن الظن، وان عقدت بينك

---

(١) التنفير بالتطويل والتضييع بالنقص في الأركان والمطلوب التوسط.

وبين عدوك عقدة او ألبسته منك ذمة فحطّ عهدك بالوفاء واردع ذمتك بالأمانة، واجعل نفسك جنة دون ماأعطيت فانّه ليس من فرائض الله سبحانه شيء الناس اشدّ عليه اجتماعاً مع تفريق اهوائهم وتشتّت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين لما استوبلوا من عواقب الغدر، فلا تغدرن بذمتك ولاتخيسنّ بعهدك ولاتختلن عدوّك فانّه لايجتري على الله الا جاهل شقي وقد جعل الله عهده وذمته امناً أقضاه بين العباد برحمته وحريماً يسكنون الى منعته ويستفيضون الى جواره فلا ادغال ولا مدالسة ولاخداع فيه ولاتعتقد عقداً تجوز فيه العلل ولاتعولن على لحن قول بعد التّأكيد والتّوثقة، ولايدعونك ضيق امر لزمك فيه عهد الله الى طلب انفساخه بغير الحق فانّ صبرك على ضيق أمر ترجوا انفراجه وفضل عاقبته خير من غدر تخاف تبعته وان تحيط بك من الله فيه طلبة لاتستقيل فيها دنياك ولاآخرتك.

ايّاك والدماء وسفكها بغير حلها فانّه ليس شيء أدعى لنقمته ولاأعظم لتبعة ولاأحرى بزوال نعمة وانقطاع مدّة من سفك الدماء بغير حقّها، والله سبحانه مبتدىء بالحكم بين العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة، فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام فانّ ذلك ممّا يضعفه ويوهنه بل يزيله وينقله ولاعذر لك عند الله ولاعندي في قتل العمد لأنّ فيه قيود البدن، وان ابتليت بخطأ، وأفرط عليك سوطك او سيفك او يدك بعقوبة فانّ في الزكاة فما فوقها مقتلة فلا تطمحن بك نخوة سلطانك عن ان تؤدي الى اولياء المقتول حقهم.

وايّاك والأعجاب بنفسك والثّقة بما يعجبك منها وحب الأطراء فان ذلك من اوثق فرص الشيطان في نفسه ليمحق مايكون من احسان المحسن، وايّاك والمن على رعيتك باحسانك والتزيد فيما كان من فعلك أو ان تعدهم فتتبع موعدك بخلفك، فانّ المنّ يبطل الأحسان والتزيد يذهب بنور الحق، والخلف يوجب المقت عند الله والناس قال الله سبحانه{كبر مقتاً عند الله ان تقولوا ما لاتفعلون}.

واياك والعجلة بالأمور قبل اوانها والتساقط[1] فيها عند امكانها او اللجاجة فيها اذا نكرت[2] (تنكرت خ) والوهن عنها اذا استوضحت فضع كل امر موضعه وأوقع كل عمل موقعه، واياك والأستئثار بما الناس فيه اسوة والتغابي عما يعني به ممّا قد وضح للعيون فانّه مأخوذ منك الناس اليك بلا مؤنة فيه عليك من شكاة مظلمة او طلب انصاف في معاملة.

---

(١)التساقط بمد السين ـ من ساقط الفرس عدوه اذا جاء مسترخيا وفي نسخة نهج البلاغة المطبوعة مع شرح عبده: التسقط من قولهم في الخبر يتسقط اذا اخذه قليلا قليلا يريد به هنا التهاون.

(٢)قال عبده تنكرت لم يعرف وجه الصواب فيها واللجاجة الأصرار على منازعة الأمر ليتم على عسر فيه.

ثم ان للوالي خاصة وبطانة فيهم استئثار وتطاول وقلة انصاف فاحسم مؤنة(مادة خ) اولئك بقطع اسباب تلك الأحوال ولاتقطعنَ لأحد من حاشيتك وخاصتك(حامّتك) قطيعة ولايطمعن منك في اعتقاد عقدة تضرَ بمن يليها من الناس في شرب او عمل مشترك يحملون مؤنته على غيرهم فيكون مهنأ ذلك لهم دونك وعيبه عليك في الدنيا والآخرة، والزم الحق من لزمه من القريب والبعيد وكن في ذلك صابراً محتسباً واقعاً ذلك من قرابتك وخاصّتك حيث وقع، وابتغ عاقبته بما يثقل عليك منه فانَ بغية(مغبّة) ذلك محمودة وانا اسأل الله تعالى بسعة رحمته وعظيم قدرته على اعطاء كل رغبة ان يوفقني واياك لما فيه رضاه من الأقامة على العذر الواضح اليه والى خلقه مع حسن الثناء في العباد وجميل الأثر في البلاد وتمام النعمة وتضعيف الكرامة، وان يختم لي ولك بالسعادة والشهادة وانا اليه راغبون والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الطيبين الطاهرين وسلم تسليماً كثيرا هذا آخر رسالته عليه السلام وهي كافية لمن اراد العمل بها من الحكام والولاة، وفيها سلطان الدنيا وملك الآخرة، فمن قصد العمل بها أوتي خير الدنيا والآخرة، وهذه الوصية تحتاج الى شرح حسن منقح لايخلو من بعض الطول لأنَها كلام من قيل فيه ان كلامه فوق كلام المخلوق وتحت كلام الخالق، وحيث انَ شرحها هنا يحتاج الى بسط فيطول الكتاب فان وفق سبحانه جعلناه كتاباً منفردا وبالله الأستعانة في كل الأمور.

وقد بقي رسالة اخرى رويناها بأسانيد متعددة الى عبد الله بن سليمان النوفلي قال كنت عند جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فاذا بمولى لعبد الله النَجاشي قد ورد عليه فسلم واوصل اليه كتاباً ففضَه وقرأه فاذا اول سطر فيه بسم الله الرحمن الرحيم أطال الله بقاء سيدي وجعلني من كل سوء فداه ولا أراني فيك مكروهاً فانَه ولى ذلك والقادر عليه اعلم سيدي اني بليت بولاية الأهواز فان رأى سيدي ان يحد لي حداً ويمثل لي مثالا لأستدل به على مايقربني الى الله عز وجل والى رسوله، ويلخص في كتابه مايرى لي العمل به وفيما ابتذله واين اضع زكاتي وفيمن اصرفها؟ وبمن آنس والى من استريح والى من أثق وامن والجأ اليه في سري، فعسى الله ان يخلصني الله بهدايتك ودلالتك(وولايتك) فانَك حجة الله على خلقه وأمينه في بلاده لازالت نعمته عليك.

قال عبد الله بن سليمان فأجابه ابو عبد الله عليه السلام بسم الله الرحمن الرحيم حاطك الله بصنعه ولطف بك بمنه، وكلأك برعايته فانَه ولى ذلك، امَا بعد فقد جائني رسولك بكتابك وقرأته وفهمت ماذكرته وسألت عنه وزعمت(وذكرت) انَك بليت بولاية الأهواز فسرني ذلك وسائني، وسأخبرك بما سائني من ذلك وما سرني ان شاء الله تعالى، فامَا سروري بولايتك فقلت عسى ان يغيث الله بك ملهوفاً خائفاً من أولياء آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ويعز بك ذليلا، ويكسو بك عاريهم، ويقوي بك ضعيفهم، ويطفىء بك نار المخالفين عنهم، واما الذي

سائني من ذلك فان ادنى ما أخاف عليك ان تعثر بوليّ لنا فلا تشم حظيرة القدس فانّي ملخص لك جميه ما سألت عنه ان انت عملت به ولم تجاوزه رجوت ان تسلم ان شاء الله تعالى أخبرني ياعبد الله ابي عن آبائه عن علي بن ابي طالب عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انَه قال من استشاره اخوه المؤمن فلم يمحضَه النصيحة سلبه الله لبه عنه، واعلم انّي سأشير عليك برأي ان انت عملت به تخلَصت ممّا انت متخوفه(تخافه خ) واعلم انّ خلاصك ونجاتك في حقن الدماء وكف الأذى عن اولياء الله، والرفق بالرعية والتأني وحسن المعاشرة مع لين في ضعف وشدة في غير عنف ومداراة صاحبك ومن يرد عليك من رسله، وارتق فتق رعيتك بأن توقفهم على ماوافق الخير والعدل ان شاء الله تعالى.

اياك والسعاة واهل النمائم فلا يلتزقنَ بك منهم أحد ولا يراك الله يوماً وليلة وانت تقبل منهم صرفاً ولاعدلاً[١] فيسخط الله عليك ويهتك سترك، واحذر مكرخوز الأهواز فانّ ابي أخبرني عن آبائه عن امير المؤمنين عليه السلام انه قال ان الأيمان لاينبت في قلب يهودي لاخوزي ابدا، فاما من تأنس به وتستريح اليه وتلجأ أمورك اليه فذلك الرجل الممتحن المستبصر الأمين الموافق لك على دينه، وميز اعوانك وجرب الفريقين فان رأيت هنالك رشداً فشأنك واياه، واياك ان تعطي درهماً او تخلع ثوباً او تحمل على دابّة في غير ذات الله لشاعر او مضحك او ممتزح الا أعطيت مثله في ذات الله، وليكن جوائزك وعطاياك وخلعك للقوّاد والرسل والأجناد وأصحاب الرسائل واصحاب الشرط والأخماس، وما أردت أن تصرفه في وجوه البر والنَجاح والفتوة والصدقة والحج والمشرب والكسوة التي تصل فيها وتصل بها والهدية التي تهديها الى الله عز وجل والى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم من أطيب كسبك.

ياعبد الله اجهد ان لاتكثر ذهباً ولافضة فتكون من اهل هذه الآية التي قال الله عز وجل{الذين يكنزون الذهب والفضة ولاينفقونها في سبيل الله} الآية، ولاتستصغرن من حلو او فضل طعام تصرفه في بطون خالية تسكن بها غضب الرب تبارك وتعالى، واعلم اني سمعت ابي يحدث عن آبائه عن امير المؤمنين عليه السلام انَه سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول لأصحابهيوماً ما آمن بالله واليوم الآخر من بات شبعاناً وجاره جائع، فقلنا هلكنا يارسول الله؟ فقال من فضل طعامكم ومن فضل تمركم ورزقكم وخلقكم وخرقكم تطفئون به غضب الرب، وسأنبئك بهوان الدنيا وهو ان شرفها على مامضى من السلف والتابعين، فقد حدثني ابي محمد بن علي بن الحسين عليهم السلام لما تجهز الحسين عليه السلام الى الكوفة أتاه عبد الله بن عباس

---

(١) يقال لايقبل منه صرف ولاعدل أي توبة وفدية او نافلة وفريضة والمراد.

فناشده الله والرحم ان يكون هو المقتول بالطف، فقال اني اعرف بمصرعي منك وما وكدي من الدنيا الا فراقها، الا اخبرك يابن عباس بحديث امير المؤمنين عليه السلام والدنيا؟ فقال له بلى لعمري انّي احب ان تحدثني بأمرها، فقال قال ابي قال علي بن الحسين عليهما السلام سمعت اباعبد الله الحسين عليه السلام يقول حدثني امير المؤمنين عليه السلام قال انّي كنت بفدك في بعض حيطانها وقد صارت لفاطمة عليها السلام، فاذا انا بامرأة قد قحمت[١] عليّ وفي يدي مسحاة وانا اعمل بها، فما نظرت اليها طار قلبي ممّا تداخلني من جمالها، فشبهتها ببثينة بنت عامر الجمحي وكانت من اجمل نساء قريش، فقالت يابن ابي طالب هل لك ان تتزوج بي فاغنيك عن هذه المسحاة؟ وادلّك على خزائن الأرض فيكون لك الملك مابقيت ولعقبك من بعدك؟ فقال لها عليه السلام من انت حتى اخطبك من اهلك؟ قالت انا الدنيا، قال لها فارجعي واطلبي زوجاً غيري فأقبلت على مسحاتي وأنشأت أقول:

لقد خاب من غرته دنيا دنية	وماهي ان غرت قرونا بنائل
أتتني على زي العزيز بثينة	وزينتها في مثل تلك الشمائل
فقلت لها غري سواي فانني	عزوف[٢] عن الدنيا ولست بجاهل
وما أنا والدنيا فانّ محمدا	أحل صريعاً بين تلك الجنادل
وهيها اتتني بالكنوز ودرّها	وأموال قارون وملك القبائل
أليس جميعاً للفناء مصيرها	ويطلب من خزانها بالطوائل
فغرّي سوائي انّني غير راغب	بما فيك من ملك وعز ونائل
فقد قنعت نفسي بما قد رزقته	فشأنك يادنيا وأهل الغوائل
فانّي أخاف الله يوم لقائه	وأخشى عذاباً دائماً غير زائل

فخرج من الدنيا وليس في عنقه تبعة لأحد حتى لقي الله محموداً غير ملوم ولامذموم، ثم اقتدت به الأئمة من بعده بما قد بلغكم لم يتلطخوا بشيء من بوائقها عليهم السلام أجمعين وأحسن مثواهم، وقد وجهت اليك بمكارم الدنيا والآخرة عن الصادق المصدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فان انت عملت بما نصحت لك في كتابي هذا ثمّ كانت عليك من الذنوب والخطايا كمثل اوزار الجبال وامواج البحار رجوت الله ان يتحامى عنك جل وعز بقدرته ياعبد الله اياك ان تخيف مؤمناًفانّ ابي محمد بن علي حدّثني عن ابيه عن جدّه علي بن ابي طالب عليه

(١)الأقحان الدخول في الشيء بشدة وقوة.

(٢)عزفت نفسي عنه تعزف عزوفاً بالزاء المعجمة زهدت فيه وانصرفت وبالفارسية(روبر تافتن).

السلام انه كان يقول من ظر الى مؤمن نظرة ليخيفه بها أخافه الله يوم لاظل الا ظله، وحشره الله في صورة الذر لحمه وجسده وجميع أعضائه حتى يورد مورده وحدثني ابي عن آبائه عن علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال من أغاث لهفاناً من المؤمنين أغاثه الله يوم لاظل الا ظله وآمنه يوم الفزع الأكبر وآمنه من سوء المنقلب ومن قضى لأخيه المؤمن حاجة قضى الله له حوائج كثيرة احديها الجنة، ومن كسى أخاه المؤمن من عري كساه الله من سندس الجنة واستبرقها وحريرها ولم يزل يخوض في رضوان الله مادام على المكسو منه سلك، ومن أطعم أخاه من جوع أطعمه الله من طيبات الجنة، ومن سقاه من ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم ريه، ومن أخدم أخاه أخدمه الله من الولدان المخلدين وأسكنه مع أوليائه الطاهرين، ومن حمل أخاه المؤمن من رجله(على راحلة) حمله الله على ناقة من نوق الجنة وباهى به الملائكة المقربين يوم القيامة ومن زوج أخاه المؤمن امرأة يأنس بها ويشد عضده ويستريح اليها زوجه الله من الحور العين وآمنه بمن أحب من الصديقين من أهل بيت نبيه وأخوانه وآنسهم به، ومن أعان أخاه المؤمن على سلطان جائر أعانه الله على اجازة الصراط يوم زلت الأقدام، ومن زار أخاه المؤمن الى منزله لالحاجة منه اليه كتب من زوار الله وكان حقيقاً على الله ان يكرم زائره.

ياعبد الله وحدثني ابي عن آبائه عن علي عليه السلام انه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول لأصحابه يوماً معاشر الناس انه ليس بمؤمن من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه فلا تتبعوا عثرات المؤمنين فانه من تتبع عثرة مؤمن تتبع الله عثراته يوم القيامة وفضحه في جوف بيته، وحدثني ابي عن آبائه عن علي عليه السلام انه قال أخذ الله ميثاق المؤمن ان لايصدق في مقالته ولاينتصف من عدوه، وعلى ان لايشفى غيظه الا بفضيحة نفسه[1] لأن كل مؤمن ملجم وذلك لغاية قصيرةوراحة طويلة، أخذ الله ميثاق المؤمن على أشياء أيسرها عليه مؤمن مثله بمقالته[2] يبغيه ويحسده وشيطان يغويه ويفتنه(يضله) وسلطان يقفو أثره ويتتبع عثراته وكافر بالله الذي هو به مؤمن يرى سفك دمه ديناً واباحة حريمه غنماً فما بقاء المؤمن بعد هذا؟ ياعبد الله وحدثني ابي عن آبائه عن علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال نزل جبرئيل عليه السلام فقال يامحمد ان الله يقرئك السلام ويقول اشتققت للمؤمن اسماً من اسمائي سميته مؤمناً فالمؤمن مني وانا منه من استهان بمؤمن فقد استقبلني بالمحاربة.

ياعبد الله وحدثني ابي عن آبائه عن علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال يوماً ياعلي لاتناظر رجلاً حتى تنظر في سريرته فان كانت سريرته حسناء فان الله عز

---

(١) أي بتعييبها وتعجيزها عن ان يفعل شيئاً للعدو لشفاعة نفسه بل تشفي المؤمن بملامة نفسه واظهار عجزه وذله.

(٢) أي يعتقد مثل ما أعتقده في الدين ومع ذلك يبغيه.

وجل لم يكن ليخذل وليه، وان كانت سريرته ردية فقد يكفيه مساويه، فلو جهدت ان تعمل به أكثر مَا عمله من معاصي الله عز وجل ماقدرت عليه، ياعبد الله وحدثني ابي عن آبائه عن علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال أدنى الكفر ان يسمع الرجل عن أخيه الكلمة فيحفظها عليه يريد ان يفضحه بها اولئك لاخلاق لهم.

ياعبد الله وحدثني ابي عن آبائه عن علي عليه السلام انّه قال من قال في مؤمن مارأت عيناه وسمعت اذناه مايشينه ويهدم مروّته فهو من الذين قال الله عز وجل{ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب اليم} ياعبد الله وحدثني ابي عن آبائه عليه السلام انه قال من روى عن اخيه المؤمن رواية يريد بها هدم مروّته وشينه أوثقه الله بخطيئته يوم القيامة حتى يأتي بالمخرج ممَا قال ولن يأتي بالمخرج منه ابداً ومن ادخل على اخيه المؤمن سرورا فقد ادخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سرورا، ومن أدخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سروراً فقد سرَ الله ومن سرَ الله فحقيق عليه ان يدخله الجنة.

ثم اني اوصيك بتقوى الله وايثار طاعته والأعتصام بحبله فانّه من اعتصم بحبل الله فقد أهدي الى صراط مستقيم، فاتق الله ولاتؤثر أحداً على رضاه وهواه فانّه وصية الله عز وجل الى خلقه لايقبل منهم غيرها ولايعظم سواها، واعلم ان الخلائق لم يوكلوا بشيء أعظم من التقوى فانه وصيتنا اهل البيت فان استطعت ان لاتنال من الدنيا شيئاً تسأل عنه غداً فافعل، قال عبد الله بن سليمان فلما وصل كتاب الصادق عليه السلام الى النَجاشي نظر فيه وقال صدق والله الذي لااله الا هو مولاي فما عمل احد بما في هذا الكتاب الاّ نجا، فلم يزل عبد الله يعمل به ايام حياته، هذا تمام الرسالة بلفظها وقد اشتملت على قوله عليه السلام مانبت الأيمان في قلب يهودي ولاخوزي ابداً ولعل ظاهره لايخلو من اشكال، اذ قوله ابداً يدل بظاهره على استغراق الأزمنة المستقبلة بالنَظر الى زمن مولانا امير المؤمنين عليه السلام مع انَ الأهواز قد كان منها المؤمنون في كل الأعصار سيما هذه الأزمان(الأعصار)، وحينئذ فمامعنى هذا النفي المؤكد بالدوام؟ قلت يمكن الجواب عنه من وجوه:

اولّها انَ المراد من قوله خوزي كفَارهم بقرينة ذكرهم مع اليهودي، فيكون اشارة الى انَ كفارهم قد طبعوا على الكفر بحيث لايقبلون دخول الأيمان في قلوبهم، وكأنهم ينشأوا على الفطرة التي قال فيها علي عليه السلام كلَ مولود يولد على الفطرة حتى انَ ابويه يهوّدانه وينصرانه.

وثانيها ان نبات المؤمن مغاير لحصولهواستقراره بعد الحصول وذلك اَ نبات الأيمان في القلب عبارة عن تأصلّه فيه وأستحكام ثباته فيه كأستحكام نبات الشجرة في الأرض وحينئذ فمعناه انَ ايمان غيرهم في القلوب نبات كنبات الشجر في اعماق الأرض واما ايمان اهل الأهواز فهو

كشجرة زرعت على وجه الأرض ودخلت عروقها في الأرض للبقاء لكن اين لإستحكام هذه الشجرة التي نبتت في الأرض وطلعت اغصانها خارج القلب لكن اين لإستحكام هذه الشجرة التي نبتت في الأرض وطلعت اغصانها خارج القلب بعد ان كان مستقرها القلب، وبالجملة فايمان غيرهم قد خرج من داخل القلب وجرى على ظاهره وايمان اهل الأهواز قد أتى الى القلب من الأعضاء الخارجة عنه، فيكون كناية عن عدم كمال استقراره وثباته في القلب كما قال عزَ من قائل في قسمي الأيمان{فمستقر ومستودع}.

وثالثها ان قوله عليه السلام لاينبت الأيمان المراد به الأيمان الكامل لما تقدم من انَ الأيمان عشر درجات، ولاريب انَ امير المؤمنين عليه السلام اذا اطلق لفظ الأيمان لايريد به غالباً الا الدرجة العالية منه او ماقاربها كايمان سلمان او ابي ذر والمقداد وعمار ونحوهم من اكابر الصحابة، فمثل هذا الأيمان لاينبت ولايدخل في قلوبهم فلا ينافيه دخول الإيمان بأقسامه الأُخرى، ولاتظن انَ هذا الجواب هو عين الجواب الثاني بل هو غيره وحينئذ فيكون النابت في قلوبهم أقل درجاته.

واما الحويزة فهي داخلة في الأهواز، وقد ذكر صاحب كتاب غرائب البلدان مذمة ابلدين(الحويزة) قال الحويزة وما أدراك ما الحويزة دار الهوان ومنزل الحرمان، ثم ماأدراك ما الحويزة أرضها رغام وسماؤها قثام وسحابها جهام وسمومها شهام ومياهها سمام وطعامها حرام واهلها لئام، وخواصها عوام وعوامها طغام، لايدري ريعها ولايرجى نفعها ولايعرى ضرعها ولايرعى ذرعها، ولقد صدق الله قوله فيها{ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثَمرات}الآية، وهم يتخذون الغمز والزور الى ارزاقهم سبباً ويأكلون الدنيا سلباً ويعدَون الدنيا لهوا ولعبا ولو اطَلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعباً وفيهم يقول الشاعر:

اذا سقى الله أرضاً صوب غادية　　　فلا سقاها سوى النَيران تضطرم

وينسب اليها ابو العباس احمد بن محمد الحويزي وكان اذا عزل عن الدولة شرع في العبادة والزهد ومطالعة الكتب حتى يظهر للناس انَه كان يتمنى العزل، واذا أقبلت عليه الدَولة كان من أظلم الظلمة، فصعد اليه جماعة وشقوا بطنه.

قال مؤلف هذا الكتاب عفى الله عنه قد كان أوائل تحصيلنا العلوم فيها في أول زمان حكومة الوالي المرحوم السيد علي خان ورأينا ان الغالب على اهلها العبادة والزهادة ومطالعة العلوم وكتابة الكتب وأهلها في غاية الذكاء، وذلك انَ الرعية تبع للوالي وكان واليها المذكور قد حاز الحظ الأوفر من العبادة والزهادة والتَبحر في فنون العلوم ونظم الأشعار والقصائد الرائقة

وقد اكثر من التصانيف العالية في انواع العلوم وقد كان في الحلم والعفو عمّن اساء اليه بمكان لايدانى فيه، واما شجاعته وقوة قلبه فقد كانت تضرب بها الأمثال، وقد اتصلنا بملازمة مجلسه العالي اوقاتاً كثيرة وما كان عيب مجلسه الاذكر فنون العلوم والآداب فيه كما قال الشاعر:

ولاعيب فيهم غير ان سيوفهم ... بهنّ فلول من قراع الكتائب

وقد ذكرنا فيما تقدم مكاتبة أرسلها الينا أكثر فيها الملاطفة واظهار المحبة، وفي وقت تأليف هذا الكتاب صار الوالي ولده المبارك الذي اقتفى أثر ابيه في مكارم الأخلاق السيد حيدر خان، وبالجملة فالولاة اذا جعلوا هذا النور قانوناً لأعمالهم وأحكامهم فازوا بالنّشأتين ووفقوا للدولتين.

(نور في احوال العالم والمتعلم وكيفية آدابهما)

وهذا النور يشتمل على فوائد:الفائدة الأولى آدابهما في أنفسها وهي على أمور:

الأول في نية التعليم والتعلم فانك قد عرفت انّ مدار قبول الأعمال على النّية وبسببها يكون العمل ارة خزفة لاقيمة لها وتارة وبال على صاحبه مكتوب في ديوان السّيئات وان كان في صورة الواجبات.

روي عنه صلى الله عليه وآله وسلم انه قال ان اول اناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتي به الى فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها؟ قال قاتلت فيك حتى استشهدت، قال كذبت ولكنك قاتلت ليقال جريَ فقد قيل ذلك ثم امر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل تعلم العلم وعلّمه وقرأ فيك القرآن قال كذبت ولكنّات تعلّمت ليقال انّك قارىء فقد قيل ثمّ امر به فسحب على وجهه حتى القي في النار.

وهذه الدرجة هي درجة الأخلاص عظيمة المقدار كثيرة الأخطار، وذلك انّ الأنسان لو فكر في نفسه لعلم انّ الباعث الأكثر سيّما في الأبتداء لطالب العلم طلب الجاه والمال اوالشهرة وانتشار الصيت ولذة الأستيلاء واستثارة الحمد والثناء وربما لبس الشيطان عليه مع ذلك ويقول لهم غرضكم نشر دين الله.

وهذه المقاصد تظهر عند ظهور واحد من الأقران اكثر علماً منه وأحسن حالاً بحيث يصرف الناس عنه فلينظر حينئذ فان كان حاله مع الموقّر له والمعتقد لفضله احسن وهو له اكثر احتراماً وتلقى به أشدَ استبشاراً ممّن يميل الى غيره مع كون ذلك الغير مستحقاً للموالاة فهو مغرور عن دينه مخدوع وهو لايدري، وربّما انتهى الأمر بأهل العلم الى ان يتعايروا تعاير النساء فيشقَ على احدهم ان يختلف بعض تلامذته الى غيره وان كان يعلم انه ينتفع بغيره ويستفيد في دينه، ولو كان الباعث على العلم هو الأخلاص لكان اذ اظهره غير شريكاً او مستبداً او معناً على التّعليم

لشكر الله تعالى اذ كفاه او اعانه على هذا المهم بغيره، وايضاً فيه تكثر المرشدين الهادين وأوتاد الأرض وربما لبس عليه الشيطان وقال انما غمك من ظهور هذا العالم لإنقطاع الثواب عنك ووصوله الى غيرك لا لأجل انصراف الناس عنك ولم يعلم ان انقياده للحق أفضل من انفراده بهذا المعنى بل قد ينخدع الأنسان ويحدث نفسه بانه لو ظهر من هو أولى منه واعلم لفرح به واختاره على نفسه، ثم اذا ظهر ذلك العالم كذب عليه في الذي حدثته به نفسه، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انَ الله يؤيد هذا الدين بأقوام لاخلاق لهم فيه، وقال ايضاً انَ الله يؤيّد هذا الدين بالرجل الفاجر.

الأمر الثاني استعمال ماعلماه فانَ العاقل همّه الرعاية والجاهل همه الرواية وجاء رجل الى علي بن الحسين عليه السلام فسأله مسائل، فأجاب ثم عاد ليسأل مثلها فقال علي بن الحسين عليه السلام مكتوب في الأنجيل لاتطلبوا علو مالاتعلمون، ولما تعملوا بما علمتم، فان العلم اذا لم يعمل به لم يزدد صاحبه الا كفراً ولم يزدد من الله الا بعداً ومثال الفقيه المتقن للعلوم من غير عمل مثل مريض به علّة لايزيلها الا دواء مركب من أخلاط كثيرة لايعرفها الا حذائق الأطباء فسعى في طلب الطبيب بعد ان هاجر عن وطنه حتى عثر على طبيب حاذق، فعلّمه الدواء وفصل له الأخلاط وأنواعها ومقاديرها ةمعادنها التي منها يجلب وعلّمه كيفية دقّها وعجنها، فتعلم ذلك منه وكتب منه نسخاً حسنة بحسن خط ورجع الى بيته وهو يكررها ويقرأها ويعلّمها المرضى ولم يشتغل بشربها واستعمالها افترى انَ ذلك يغني عنه من مرضه شيئا؟ هيهات لو كتب منه ألف كتاب وعلّمه ألف مريض حتى شفي جميعهم وكرّره كل ليل ألف مرّة لم يغنه ذلك من مرضه شيئاً الى ان يزن الذهب ويشتري الدواء ويخلطه كما تعلم ويشربه ويصبر على مرارته ويكون شربه في وقته بعد تقديم الأحتماء وجميع شروطه، واذا فعل جميع ذلك كلّه فهو على خطر من شفائه فكيف اذا لم يشربه اصلاً، هكذا الفقيه اذا أحكم علم الطاعات ولم يعمل بها، واحكم على المعاصي ولم يجتنبها، وأحكم علم الأخلاق المذمومة ومازكى نفسه منها، واحكم علم الأخلاق المحمودة ولم يتصف بها فهو مغرور في نفسه مخدوع عن دينه، وقد يغرّه الشيطان فيقول له مانت وهذا المثال لأنَ مطلبك القرب من الله تعالى ويتلو عليه الأخبار الواردة في فضائل العلم ولم يعلم ماوصف الله به العالم التّارك لعلمه كقوله تعالى في وصف بلعم بن باعور الذي كان في حضرته اثنا عشر ألف محبرة يكتبون عنه العلم مع ماآتاه الله من الآيات المتعددة التي كان من جملتها انّه كان بحيث اذا نظر يرى العرش، كما نقله جماعة من العلماء، فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث، فاذن المطلوب من العالم انما هو العلم والعمل.

واماَ طلب الرزق فقد ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان الله تعالى قد تكفل لطالب العلم برزقه خاصَة عما ضمنه لغيره، بمنى ان غيره يحتاج الى السعي على الرَزق حتى يحصل غالباً وطالب العلم لايكلفه بذلك بل كفاه مؤنة الرَزق ان احسن الظن به وعندي في ذلك من الوقائع من ألطاف الله تعالى بي من أول اشتغالي بالعلم وهو اوائل سنة الستين بعد الألف الى هذا الوقت وهو عام التاسع والثمانين بعد الألف من انواع الأرزاق وكيفية التَسبب اليها ما لايحصيه الا الله تعالى.

الأمر الثالث حسن الخلق زيادة على غيرهما من الناس والتواضع وبذل الوسع في تكميل النفس، وذلك ان المتلبس بالعلم ينظر الناس الى اوصافه فتتعدى اوصافه الى غيره من الرعية فيكون في حسن اخلاقه انتظام النَوع كما انَ في فساده فسادها ويااليته اذ هلك انقطعت مفاسد اعماله بل هي باقية بعده فيمن استن بأخلاقه وأفعاله، قال بعض العارفين ان عامة الناس ابداً دون المتلبس بالعلم بمرتبة، فاذا كان ورعاً تقياً صالحاً تلبست العامة بالمباحات، واذا اشتغل بالمباح تلبست العامة بالشبهات، فان دخل بالشبهات تعلق العامي بالحرام كفر العامي، وهذا مما هو مشاهد بالعيان فلا يحتاج الى النقل من الأعيان.

الأمر الرابع ان يكون على الهَمة منقبضاً عن الملوك واهل الدنيا لايدخل اليهم طمعاً ماوجد الى الفرار منهم سبيلا صيانة للعلم عما صانه سلف، ومن فعل ذلك فقد خان امانته وعرض نفسه، وفي اغلب الأحوال لم يبلغ بغيته، قال صلى الله عليه وآله وسلم الفقهاء أمناء الرسل مالم يدخلوا في الدنيا، قيل يارسول الله ومادخولهم في الدنيا؟ قال اتباع السلطان فاذا فعلوا ذلك فاحذروهم على دينكم، اما لو اتبع السلطان ليجعله وسيلة الى اعلاء كلمة الحق وترويج الدين وقمع اهل البدع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونحو ذلك فهو افضل الأعمال، وبه يجمع بين الأخبار وقد فعل ذلك جماعة من الأعيان كعلي بن يقطين وعبد الله النجاشي وابي القسم بن روح احد الأبواب الشريفة ومحمد بن اسماعيل بن بزيع، ونوح بن دراج وغيرهم من اصحاب الأئمة الطاهرين، ومن الفقهاء مثل السيدين الأجلين المرتضى والرضي وابيهما، وخوجا نصير الدين الطوسي والعلامة الحلي، ومن المتأخرين شيخنا بهاء الدين محمد العاملي والفاضل الورع المولى عبد الله التستري، والمحقق الكاشي وفي هذا العصر استاذنا الخونساري.

روى الصدوق باسناده الى الرضا عليه السلام انَه قال انَ لله تعالى بأبواب الظالمين من نور الله به البرهان ومكن له في البلاد ليدفع بهم عن اوليائه ويصلح الله به امور المسلمين لأنه ملجا المؤمنين من الضرروااليه يفزع ذوو الحاجة من شيعتنا بهم يؤمن الله روعة المؤمن في دار الظلمة اولئك المؤمنون حقاً اولئك امناء الله في ارضه، اولئك نور الله في رعيتهم يوم القيامة

ويزهر نورهم لأهل السماوات كما يزهر الكواكب الزَهرية لأهل الأرض، اولئك من نورهم نور القيامة تضيء منهم القيامة خلقوا والله للجنة وخلقت الجنة لهم فهنيئاً لهم ماعلى احدكم ان لو شاء لنال هذا كله، قال الراوي وهو محمد بن اسماعيل بن بزيع بماذا جعلني الله فداك؟ قال تكون معهم فتسرنا بادخال السرور على الؤمنين من شيعتنا فكن منهم يامحمد، ولكنَ الحق انَ هذا موضع خطر فانَ حب الرئاسة ربما حجب القلب عن طرق الصواب، ومن هذا بعد عنه العلماء الأعلاموقد حدثني اوثق مشايخي انَ السيد الجليل محمد صاحب المدارك والشيخ المحقق الشيخ حسن صاحب المعالم قد تركا زيارة المشهد الرضوي على ساكنه افضل الصلوات خوفاً من أن يكلفهم الشَاه عباس الأول بالدخول عليه مع انه كان من اعدل سلاطين الشيعة فبقيا في النجف الأشرف ولم يأتيا الى بلاد العجم احترازاً من ذلك المذكور.

الأمر الخامس ان يحافظ على القيام بشعائر الأسلام وظواهر الأحكام كإقامة الصلوات في الجماعات وافشاء السلام للخاص والعام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الأذى بسبب ذلك صادعاً بالحق متكلَماً باذلاً نفسه لله لايخاف لومة لائم متأسياً في ذلك بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وغيره من الأنبياء، متذكراً لما نزل بهم من المحنعند القيام بأوامر الله تعالى، فإن العلماء هم القدوة ويقتدي بهم من لاينظرون اليه ولايعلمون به وبالجملة فهم قد ورثوا الأنبياء عليهم السلام ووارث النبي الأخذ عنه يجب عليه ان يراعي نسبة من اخذ عنه الميراث.

الفائدة الثانية آدابهما في درسهما واشتغالهما وهو يشتمل ايضاً على امور:

أولها ان لايزال كل منهما مجتهد في الأشتغال قراءة ومطالعة وتعليقاً ومباحثة ومذاكرة وحفظاً وفكراً واقراءً وغيرها، وان يكون ملازمته للعلم هي رأس ماله، ومن هنا قيل اعط العلم كلَك يعطك(يعطيك) بعضه، وعن الباقر عليه السلام رحم الله عبداً أحيا العلم فقيل وما احياؤه؟ قال ان يذاكر به أهل الدين والورع.

وثانيها ان لايسأل احداً تعنتاً اوتعجيزاً بل سؤال متعلم لله او معلَم له منبه على الخبر قاصداً للأرشاد او الأسترشاد فهناك تثمر شجرة العلم، فاما اذا قصد المراء والجدال واحب ظهور الفلج والغلبة فان ذلك يثمر في النفس ملكة ردية ويستحق المقت من الله تعالى ومع ذلك فهو منقص للعيش فانَك لاتماري سفيها الا ويؤذيك ولاحليماً الا ويقيلك(ويغلبك خ) وفي تركه ثواب جزيل قال صلى الله عليه وآله وسلم من ترك المراء وهو محق بني له بيت في أعلى الجنة، ومن ترك المراء وهو مبطل بني له بيت في رنط الجنة وحقيقة المراء الإعتراض على كلام الغير باظهار خلل فيه او لفظاً او معنى او قصداً لغير غرض ديني أمر الله تعالى به، فامّا اللفظ فهو كاظهار خلل فيه من جهة النحو او اللغة او النظم او الترَتيب بسبب قصور المعرفة او طغيان اللسان، واما في المعنى

كإن يقول ليس كما تقول وقد أخطأت فيه لكنَه كذا، واما في قصده فمثل ان يقول هذا الكلام حق ولكن ليس قصدك منه الحق ومايجري مجراه وعلامة فساد مقصد المتكلم يتحقق بكراهة ظهور الحق على غير يده.

وثالثها ان لايستنكف من التَعلم والإستفادة ممَن هو دونه في منصب او شهرة او سن او في علم آخر، بل يستفيد من كل من يفيده لقوله صلى الله عليه وآله وسلم الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها، وليس العمى طول السؤال وانّما تمام العمى طول السّكوت على الجهلومن هذا الباب ان يترك السؤال استحياء فانه كما قال الصادق عليه السلام من رقَ وجهه رق عمله، وقال عليه السلام هذا العلم عليه قفل ومفتاحه السؤال.

ورابعها وهي اهمها الإنقياد للحق بالرجوع عند الهفوة ولو ظهر على يد من هو اصغر منه، فانه هو المكبر المذكور في الأخبار الذي هو رد الحق الى اهله وعدم قبوله منهم، وما أحسن الأنصاف من العالم، وقد كان لي شيخ جليل قرأت عليه كثيراً من العربية والأصول فما وجدت احداً أنصف منه، وذلك انه ربما أشكلت المسئلة علينا وقت الدرس فاذا طالعتها انا وكنت اصغر الشركاء سنَاً قال لي ذلك الشيخ هذا الحق وغلطت انا وجميع هؤلاء فيغلط نفسه والطلبة لأجل معرفته بصحة كلامي، ثم يقول لي امل على ما خطر بخاطرك حتى أعلقه حاشية على كتابي، فأملي لنا عليه وهو يكتبه حاشية، وهو وقت تأليف هذا الكتاب في بلاد حيد آباد من بلاد الهند واسمه الشيخ جعفر البحريني مدَ الله ايام سعادته، ومن جملة اخلاقه ان استاذنا الشيخ عبد الله الحويزي قد ألَف تفسيراً غريباً بالأحاديث وحدها سماه نور الثقلين، فسألت الشيخ جعفر سلَمه الله تعالى عن ذلك التفسير وكيف هو؟ فقال لي يافلان هذا التفسير في حياة مؤلفه مايسوي عندنا شيئاً ولاهو جيد فاذا مؤلفه فأوَل من يكتبه بماء الذهب انا، ثمَ تلى عليَ هذين الشعرين:

ترى الفتى ينكر فضل الفتى	مادام حياً فاذا ماذهب
لجَ به الحرص على نكتة	يكتبها عنه بماء الذهب

ولقد صدق في هذا، وقد كان في اصفهان رجل فاضل فصنف كتاباً مليحاً فلم يكتبه احد ولم يلتفت اليه، فقال له رجل من الطَلبة لم لايشتهر كتابك؟ فقال لأنَ له عدواً فاذا أزال الله سبحانه ذلك العدو اشتهر كتابي، فقال له ومن هو؟ فقال انا وقد صدق في كلامه هذا.

وبالجملة فارتكاب طريقة الأنصاف طريقة الحكماء الألهين كيف لاوقد روي ان الله سبحانه أمر نوحاً عليه السلام بالرجوع الى قبول كلام الشيطان حتى نصح نوحا، وقال له وهو في

السفينة يانوح اياك والحرص فانه الذي أخرج أباك آدم من الجنة حين أباح الله له جميع ثمارها ونهاه عن شجرة الحنطة فدعاه الحرص الى الأكل منها، واياك والتكبر فانه الذي بلغ بي الى ماترى بعدما كنت طاووساً للملائكة، وذلك انه أمرني بالسجود لأبيك آدم فتكبرت عنه وأبيت، واياك ان تخلو بامرأة أجنبية في بيت واحد فانّك اذا خلوت بها أكون انا الثالث فاوقعك بوسواسي في الفتنة، فأوحى الله سبحانه الى نوح ان اقبل كلام الشيطان فانّي اجريت الحق على لسانه.

وخامسها ان يتأمل ويهذّب مايريد ان يورده او يسأل عنه قبل ابرازه والتفوه به ليأمن من صدور هفوة او زلة او انعكاس فهم فيصير له بذلك ملكة.

وسادسها ان لايحضر مجلس الدرس الا اذا كان متطهراً من الحدث والخبث متنظفاً متطيباً في بدنه وثوبه لابساً أحسن ثيابه قاصداً بذلك تعظيم العلم وترويح الحاضرين من الجلساء والملائكة سيّما اذا كان في مسجد.

الفائدة الثالثة آداب يختص بها المعلم وهو يشتمل على بيان امور:الأول ان لاينتصب للتدريس حتى يكمل اهليته ويظهر استحقاقه لذلك ويشهد له صلحاء مشايخه ففي الخبر المشهور:المتشبع بما لم يعط كلابس ثوب زور، واذا نصب نفسه للتدريس وكان محتاجاً الى قراءة الدّرس(دروس) عسر عليه جداً فلا ينبغي له ان يتصدى للتدريس الا بعد قضاء الوتر من قرائة الدرس.

الثاني ان لايذل العلم ببذله لغير اهله ويذهب الى بيوت الأكابر لتعليم العلم الا ان تدعوا اليه ضرورة وتقتضيه مصلحة دينية، الثالث ان يكون عاملاً بعلمه زيادة على ماتقدّم في الأمر المشترك، قال سبحانه{كبر مقتاً عند الله ان تقولوا مالاتفعلون} وقال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام قصم ظهري رجلان عالم متهتك وجاهل متنسك فالجاهل يغش الناس بنسكه والعالم ينفرهم بتهتكه.

الرابع زيادة حسن الخلق فيه وتكميل النفس فانّ العالم الصالح في هذا الزمان بمنزلة نبيَ من الأنبياء كما جاء في الحديث من قوله صلى الله عليه وآله وسلم علماء امتى كأنبياء بني اسرائيل بل قيل انّ العالم أعظم في هذا الزمان، وذلك لأن انبياء بني اسرائيل كان يجتمع منهم في العصر الواحد ألوف، واما العلماء في هذه الأعصار فلا يوجد منهم الا واحد بعد واحد.

الخامس ان لايمتنع من تعليمه لأحد لكونه غير صحيح النية على كثير من الطالبين ابتداء الطلب لقلة أنسهم بموجبات تصحيح النية فيؤدي الى تفويت كثير من العلم مع انَه يرجى اذا توسَع في العلم النيّة الصحيحة منه، قال بعض العلماء طلبنا العلم لغير الله فأبى ان يكون الا لله، ومعناه انَه صارت عاقبته ان صار لله، لكن يجب على العالم اذا عرف من المتعلم مثل هذا ان

يرشده الى نية الخير بتلاوة الأخبار والآيات الواردة فيه فان لم ينجع ذلك فيه فليتركه، وقد أشار الى هذا مولانا امير المؤمنين عليه السلام بقوله لاتعلقوا الجواهر في أعناق الخنازير، وعن الصادق عليه السلام قال قام عيسى بن مريم خطيباً في بني اسرائيل لاتحدثوا الجهال بالحكمة فتظلموها ولاتمنعوها اهلها فتظلموهم.

السادس بذل العلم عند وجود المستحق فانه تعالى قد أخذ على العلماء في شأن تعليم الجهّال ماأخذه على الأنبياء، وقال مولانا الصادق عليه السلام قرأت في كتابي علي عليه السلام انَ الله لم يأخذ على الجهال عهداً بطلب العلم حتى أخذ على العلما عهداً ببذل العلم للجهال لأنَ العلم كان قبل الجهل، فان قلت بناء على ماتقدم من أخذ العهد على العلماء أيجب عليهم تعليم الجهّال قبل ان يبتدأوهم ام لايجب الا بعد السؤال؟ قلت هذه مسئلة غامضة ومارأينا من تعرض لها ولكن الذي يظهر من ممارسة الأخبار وأطوار الأئمة الأطهار عليهم السلام مع جهّال شيعتهم انَ وجوب بذل العلم لايكون الا بعد السؤال بشرط ان يعرفوا الجهّال ان أخذ العلم واجب عليكم، فاذا ألقى العالم مثل هذا الكلام المجمل الى الجهال وجب على الجهال التفحص والسؤال وعلى العلماء الجواب.

نعم اذا رأوا جاهلاً بحكم ظهر جهله عندهم وجب عليهم ارشاده، وعلى هذا ينحل معنى الحديث الذي نقله المشايخ رضوان الله عليهم وهو ان سائلاً سأل الصادق عليه السلام عن النساء أيحتلمن؟ فقال نعم ولكن لاتحدثوهنَ به فيتخذنه علة، حيث أشكل ظاهره بأن ارشاد الضال وتعليم الجهال واجب واجب فكيف لم يوجب عليه السلام هذا الحكم؟ حتى انه ذخب شيخنا المعاصر أدام الله أيامه الى انَ هذا الحديث مخصص لذلك العام، وبيان دفع الأشكال انه عليه السلام قال لاتحدثوهنَ يعني لاتخبروهنَ به ابتداء منكم لما عرفت من عدم وجوب مثله ولم يقل عليه السلام لاتجيبوهنَ عن هذه اذا سألنكم، وهذا ظاهر من قوله لاتحدثوهنَ فانَ ظاهره ابتداؤهن به على مالا يخفى، وقال الباقر عليه السلام زكاة العلم ان تعلّم عباد الله.

السابع ان يحترز عن مخالفة أفعاله لأقواله وان كانت على الوجه الشرعي مثل أن يأمر بشيء من المستحبات وهو لايأتي بها لإشتغاله بما هو أهم منها، فان هذا وان كان جائزاً الا ان العوام ربما توهَموا انه تلبيس عليهم، فانه ينبغي للعالم كشف مايلتبس حاله على الناس كما اتفق للنبي صلى الله عليه وآله وسلم حين رآه بعض أصحابه يمشي ليلاً مع بعض زوجاته الى منزلها، فخاف ان يتوهم انها ليست من نسائه فقال له انَ هذه زوجتي فلانة، ونبّهه على العلَة لخوفه من تلبيس ابليس عليه.

الثامن اظهار الحق بحسب الطاقة من غير مجاملة لأحد ولذلك قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذا ظهرت البدع في امتي فليظهر العالم علمه ومن لم يفعل فعليه لعنة الله، وماجاءت الغفلة في الغالب واستيلاء الجهالة والتَقصير عن معرفة الفرائض والقيام بالواجبات والسنن الا من تقصير العلماء عن اظهار الحق على وجهه واتعاب النفس في اصلاح الخلق وردَهم الى سلوك سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، بل لايكتفي علماء السوء بهذا حتى يوافقون العوام والفساق على مايصنعون، فعند ذلك ينزل من السماء الويل والثّبور، قال بعض العلماء ان كل قاعد في بيته اين ما كان فليس خالياً عن المنكر من حيث التقاعد عن ارشاد الناس وتعليمهم معالم الدين وحملهم على المعروف سيَما العلماء، فانَ اكثر الناس جاهلون في الشرع في الواجبات العينية كالصلاة وشرائطها سيَما في القرى والبوادي فيجب كفاية ان يكون في كل بلد وكل قرية واحد يعلم الناس دينهم باذلاً نفسه للإرشاد والتعليم، وقد سبق الكلام فيه اما اذا احتاج العالم الى كتمان العلم للضرورة فلا بأس بكتمانه وان كان في بلاد الإيمان، فإنا رأينا انَ الضرر الذي يحصل من عوام الشيعة لعلمائهم لايقصر عن الضرر الذي يحصل للعلماء من المخالفين في المذهب.

الفائدة الرابعة في آداب المعلم مع تلاميذه وهو يشتمل ايضاً على أمور:

أولها ان يؤد بهم على التدريج بالآداب السنيّة والشيَم المرضية، وأول ذلك أن يحرص الطالب على الأخلاص لله تعالى في سعيه ومراقبة الله تعالى، وان يعرَفه انّ ذلك يفتح عليه أبواب العلم وينابيع الحكمة.

وثانيها ان يرغَبهم في العلم ويذكرهم فضائله وفضائل العلماء وانَهم ورثة الأنبياء وانذهم على منابر من نور يغبطهم الأنبياء والشهداء، ونحو ذلم مما ورد في فضائل العلم والعلماء من الآيات والأخبار والأشعار والأمثال، ففي الأدلَة الخطابية والأمارات الشعرية(حظ) هزّ[1] عظيم للنَفوس الإنسانية.

وثالثها ان يحب لهم مايحب لنفسه ويكره لهم مايكره لنفسه من الشرّ فان ذلك من تمام الإيمان ومقتضى المؤاساة، ففي صحيح الأخبار لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه، ولاشك ان المتعلم أفضل الأخوان بل الأولاد فانَ العلم كما عرفت قرب روحاني وهو أجل من الجسماني.

ورابعها ان يزجره عن سوء الأخلاق وارتكاب المناهي او ترك الإشتغال او إساءة أدب أو كثرة كلام لغير فائدة او معاشرة من لايليق بع معاشرته او نحو ذلك بطريق التعريض لا التصريح،

---

(١) هز أي تحريك.

لأنه يهيج الحرص على الإصرار، وقد ورد لو منع الناس عن غتَ البعر لفتّوه وقالوا مانهينا عنه الا وفيه شيء، فان لم ينته بالتعريض فبالتصريح والا فيغلظ عليه القول فان لم ينته يطرده، وبالجملة فكما يعلمهم مصالح دينهم يعلمهم مصالح دنياهم ليكما عليهم فيلة الحالتين.

وخامسها ان لايتعاظم على المتعلمين بل يتواضع لهم، قال تعالى{واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين} وفي الخبر عنه صلى الله عليه وآله وسلم علّموا ولاتعنفوا فان المعلم(العلم) خير من المعنف(العنف) وعنه صلى الله عليه وآله وسلم لينوا لمن تعلّمون ولمن تتعلمون منه، وينبغي ان يخاطب كلاً منهم سيّما الفاضل المتميز بكنية ونحوها من أحب الأسماء اليه، فلقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكني أصحابه إكراماً لهم، وقال صلى الله عليه وآله وسلم انَ رجالاً يأتونكم من أقطار الأرض يتفقهون في الدين فاذا أتوكم فاستو صوابهم خيراً.

وسادسها اذا غاب أحد منهم او من ملازمي الحلقة زائداً على العادة يسأل عنه وعن أحواله وموجب انقطاعه فان لم يخبر عنه أرسل اليه او قصد منزله بنفسه وهو أفضل كما كان يفعله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فان كان مريضاً عاده او في غمّ فرجّه عنه او مسافراً تفقّد اهله وتعرّض لحوائجهم ووصلهم بما أمكن.

وسابعها ان يستعلم اسماء طلبته وحاضري مجلسه وأنسابهم وكناهم ومواطنهم واحوالهم ويكثر الدعاء لهم.

وثامنها ان يكون سمحاً ببذل ماحصّله من العلم متلطّفاً في افادته طالبيه، ولاينبغي ان يدخّر عنهم شيئاً من انواع العلوم التي يحتاجون اليها او يسألون عنها اذا كان الطّالب أهلاً لذلك، وليكتم عنهم مالم يتأهلوا له من المعارف لأنّ ذلك ممّا يفرق الهمّ، فان سأله عن شيء من ذلك نبهَه على انَ ذلك يضرّه وانّه لم يمنعه منه شحاً بل شفقة ولطفاً.

وتاسعها منع المتعلم ان يشتغل بغير الواجب قبله وبفرض الكفاية قبل فرض العين ومن فرض العين إصلاح قلبه وتطهير باطنه بالتّقوى وكذلك يمنعه علم الأدب قبل علم السنة وهكذا.

وعاشرها ان يكون حريصاً على تعليمهم باذلاً وسعه في تقريب الفوائد الى أفهامهم متهماً بذلك مؤثراً له على حوائجه ومصالحه مالم يكون ضرورة الى ماهو أرجح منه، ويفهم كل واحد منهم بحسب فهمه فلا يلقى اليه مالا يحتمله فهمه، ويخاطب كل واحد منهم بحسب فهمه فلا يلقى اليه مالايحتمله فهمه، ويخاطب كل واحد على قدر درجة فهمه، ويكرر المسئلة من الأقوال والدّلائل القويّة والضعيفة وينبه على وجه ضعفه.

وحادي عشرها ان يذكر في تضاعيف الكلام ماىناسبه من قواعد الفن الكلية التي لاتنخرم او يضبط مستثنياتها ان كانت كقوله كل ركن يبطل الصلاة بزيادته ونقصانه مطلقاً الاّ مواضع مخصوصة ويذكرها مفصلة.

وثاني عشرها ان يحرصهم على الأشتغال في كل وقت ويطالبهم باعادة محفوظاتهم ويسألهم عمّا ذكر لهم من المهمات والمباحث فمن وجده حافظاً مراعياً اكرمه وأثنى عليه وأشاع ذكر ذلك، ومن وجده مقصراً عنفه في الخلوة، وان رأى مصلحة في الملأ فعله فانّه طبيب.

وثالث عشرها ان يطرح على اصحابه مايراه مستفاد المسائل الدقيقة والنكت الغريبة يختبر بذلك أفهامهم ليتدبروا بذلك ويعتادوه، وقد روي ان النبي صلى الله عليه وآله وسلمقال ان من الشجرة شجرة لايسقط ورقها وانها مثل المسلم حدثوني ماهي؟ فوقع الناس في شجر البوادي، قال ابن عمر ووقع في نفسي انها النخله فاستحيت ، ثم قالوا حدثنا ماهي يا رسول الله ؟ فقال هي النخله ، فقال له ابوه لو قلتها لكان لكان احب الي من كذا وكذا وكذلك اذا فرغ من شرح الدرس فلا بأس بأن يطرح مسائل تتعلق به على الطلبة واعادة ذكر ماأشكل منه ليمتحن بذلك فهمهم وضبطهم لما شرح لهم، فمن ظهر استحكام فهمه له شكره ومن لم يفهمه تلطّف في اعادته له، وينبغي للشيخ ان يأمر الطلبة بالإجتماع في الدرس لما يترتب عليه من الفائدة التي لاتحصل مع الأنفراد واعادة ماوقع من التقرير بعد فراغه فيما بينهم ليثبت في أذناهم.

ورابع عشرها ان ينصفهم في البحث فيعترف بفائدة يقولها بعضهم وان كان صغيراً فانّ ذلك من بركة العلم، وقد قدّمنا الكلام فيه.

وخامس عشرها ان لايظهر للطلبة تفضيل بعضهم على بعض عنده في مودّة او اعتناء مع تساويهم في الصفات من سنّ او فضيلة او ديانة فانّ ذلك ممّا ينفر القلوب وان كان بعضهم اكثر تحصيلا وأشدّ اجتهاداً فلا بأس بترجيحه بشرط أن يذكر لهم انّ ترجيحه وإكرامه انّما هو لهذه الفضيلة، وذلك لينشط باقي الطلبة فيحصلون صفاته.

وسادس عشرها ان يقدّم في تعليمهم اذا ازدحموا الأسبق ولايقدمه بأكثر من درس الاّ برضاء الباقين، ويختار اذا كانت الدروس في كتاب واحد باتفاق منهم وهو المسمى بالتقسيم ان يبدأ في كل يوم بدرس واحد منهم فانّ الدرس المبدأ به ربّما حصل فيه من النشاط في التقرير مالايحصل في غيره الا اذا علم من نفسه عدم الملالة وبقاء النّشاط فيرتّب الدرس ترتيب الكتاب، فيقدّم درس العبادات على درس المعاملات وهكذا، وان رأى مع ذلك تقديم الأسبق ليحرص المتأخر على التقدم كان حسناً، وينبغي ان لايقدم احداً في نوبة غيره ولايؤخره عن نوبته الاّ اذا رأى في ذلك مصلحة كما عرفته، وان جاؤا معاً وتنازعوا أقرع بينهم بشرطه الآتي.

وسابع عشرها اذا سلك الطّالب في التحصيل فوق مايقتضيه حاله وخاف ضجره أوصاه بالرفق بنفسه وذكره قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم انّ المنبت(المنبث) لاأرضا قطع ولاظهرا أبقى، وكذلك اذا ظهر له منه نوع ملالة او ضجر أمره بالرّاحة وتخفيف الإشتغال وليزجره عن تعلّم مالا يفهمه فان استثاره من لايعرف حاله في الفهم في قراءة فن او كتاب لم يشر عليه حتى تجرّب ذهنه ويعلم حاله.

وثامن عشرها اذا كان عالماً ببعض العلوم لاينبغي له ان يقبّح الطالب غيره من العلوم كما يتفق ذلك لكثير من جهلة المعلمين، فان المرء عدوّ ماجهل حتى اذا كان غيره أعرف منه بذلك وجب عليه هداية المتعلم اليه بأن يقول له هذا العلم الذي تقرأه عندي فلان أعرف منّي به، لأنّ هذا نصح أخيه المسلم بل ولده الروحاني كما عرفت.

وتاسع عشرها ان لايتأذى ممّن يقرأ عليه اذا قرأ على غيره لمصلحة راجعة الى المتعلم فانّ هذه مصيبة يبتلي بها جهلة المعلّمين ومن لايريد بعلمه وجه الله تعالى وهو من أوضح الدلائل على فساد النية فانّه عبد مأمور بأداء رسالة ملك الى بعض عبيده، فاذا أرسل الملك عبداً آخر لأداء الرسالة لاينبغي للأول الغضب فانّ ذلك لاينقصه عند السيد بل يزيده قدراً ورفعة عنده اذا وجده راضياً، فالواجب على المعلم اذا رأى المتعلم قابلاً لقراءة درسين وهو يملّ من الدرس الآخر ان يهديه على معلم آخر، امّا لو كان جاهلاً او فاسقاً او مبتدعاً او كثير الغلط بحيث يفيد الطالب ملكة رديّة وكان الطالب جاهلاً بحاله فالتّحذير من الأغترار به حسن مع مراعاة المقصد الصحيح.

العشرون اذا تكمل الطالب وتأهل للإستقلال بالتّعليم وأراد ان يصير مدرساً فينبغي ان يقوم المعلم بنظام أمره في ذلك ويمدحه في المحافل ويأمر الناس بالأخذ عنه، ولينبّه الناس على قدر معلوماته وتقواه وصلاحه كما انّه لو رأى منه ميلاً الى الأستقلال بالتّعليم ولم يبلغ درجته ينبغي له ان يقبح له ذلك عنده ويشدّد النكير عليه في الخلاء فان لم ينجع فليظهر ذلك على وجه صحيح حتى يرجع الى الإشتغال.

الفائدة الخامسة آدابه في درسه وهي أمور:الأول ان لايخرج الى الدرس الاّ كامل الهيئة من الثّياب التي توجب له الوقار واقبال القلوب عليه، وأفضلها البيض وهذا مذكور في كتاب التجمل من الكافي، وليقصد بذلك تعظيم العلم وتبجيل الشريعة وليتطيب ويسرح لحيته ويزيل عنه كلما يشينه، وكان بعض المحدّثين اذا جلس لتعليم الحديث لبس أحسن ثيابه ولايزال يبخر بالعود الى ان يفرغ، ويقول أحب تعظيم حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

الثاني ان تدعو عند خروجه للدرس بالدعاء المروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم اللّهم اني أعوذ بك انّ أضلّ او أضل، وأزل او أُزل وأظلم او أُظلم او أجهل أو يجهل عليّ عز

جارك وجل ثناؤك ولااله غيرك ولااله غيرك، ثم يقول بسم الله حسبي الله توكّلت على الله ولاحول ولاقوة الا بالله العلي العظيم، اللهم ثبت جناني وأدر الحق على لساني، ويديم ذكر الله الى ان يصل المجلس.

الثالث ان يسلّم على من حضر اذا وصل المجلس ويصلّي ركعتين تحية المسجد ان كان مسجداً والا نوى بهما الشكر لله تعالى على توفيقه وتأهيله لذلك، او للحاجة الى تسديده وعصمته عن الخطاء او مطلقتين، فانّ الصلاة خير موضوع، واما استحبابها لذلك بخصوصه فلم يثبت وان استحبَه العلماء ثم يدعو بعدهما بالتوفيق والإعانة والعصمة.

الرابع ان يجلس على سكينة ووقار مطرقاً ثانياً رجليه او محتبياً غير متربع ولامقع ولاغير ذلك من الجلسات المكروهة مع الأختيار كل ذلك في حال الدرس امّا في غيره فلا بأس بمد رجليه او احدهما او اتكائه فانّ الطلبة بمنزلة أولاده.

الخامس قيل يجلس مستقبل القبلة لأنه أشرف ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم خير المجالس ما استقبل بها القبلة، ويمكن ان يقال باستحباب استدباره لها ليخصّ الطّلبة بالإستقبال لأنَهم اكثر وكذا من يجلس اليهم للإستماع.

السادس ان ينوي حين خروجه من منزله تعليم العلم ونشره وتبليغ الأحكام الدينية التي أوتمن عليها، وأمر بتبيانها والأزدياد في العلم بالمذاكرة والأجتماع على ذكر الله تعالى، والدعاء للعلماء الماضين وغير ذلك من المقاصد التي يزيد بها جزيل الثواب وليس المراد بنية هذه المطالب الجليلة ان يقول افعل كذا لأجل كذا بل ماعرفت في تحقيق النية من ان يكون تلك المقاصد هي الباعثة والمحركة له على ذلك الفعل.

السابع ان يصون بدنه عن الزحف والتَنقل عن مكانه والتقلقل، ويديه عن البعث والتَشبيك، وعينيه عن تفريق النَظر بلا حاجة، ويتّقي كثرة المزاح والضّحك فانّه يقلّل الهيبة، وامّا القليل من المزاح والضَحك فمحمود كما كان يفعله النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقد كان يضحك حتى تبدو نواجده ولكن لايعلو الصوت.

الثامن ان يجلس في موضع يبرز وجهه فيه لجميع الحاضرين ويفرق النظر بينهم ويخص من يكلمه او يسأله، وان يقدم على الشروع في البحث والتدريس الإستعاذة من الشَيطان وحمد الله والصلاة على محمد وآله والدعاء للعلماء الماضين ولمشائخه خاصّة ولوالديه وللحاضرين، وان كان في مدرسة دعى للواقف ولم يرد في هذا نص لكن فيه خير عظيم، واذا تعددت الدروس فليقدم منها الأشرف والأهم فالهم، فيقدم أصول الدين ثم التَفسير ثم الحديث ثم اصول الفقه ثم النحو ثم المعاني وعلى هذا القياس باقي العلوم بحسب مرتبتها والحاجة اليها، وان لايشتغل بالدروس

وفيه مايزعجه ويشوش فكره من مرض او جوع او مدافعة حدث او خبث او غضب او نعاس او برد او حرَ او نحو ذلك، وان لايكون في مجلسه مايؤذي الحاضرين من دخان او غبار او صوت يزعج او شمس حارّة او نحو ذلك.

التاسع ان يتودد لغريب حضر عنده وينبسط عنده فأن للقادم دهشه سيما بين يدي العلماء ، ولايكثر النظروالالتفات اليه استغرابا له فانه يخجله ، واذا اقبل بعض الفضلاء وقد شرع في مسئله امسك عنها حتى يجلس، وان جاء وهو يبحث اعادها له، واذا أقبل وقد بقى للفراغ وقيام الجماعة بقدر ما يصل الى المجلس فليؤخر تلك البقية وليشتغل عنها الى ان يصل ثم يعيدها او يتم تلك البقية كي لا يخجل المقبل بقيامهم عند جلوسه.

العاشر وهو الأهم منها اذا سأل عن شيء لايعرفه او عرب في الدرس مالايعرفه فليقل لأعرفه او لاتحققه او حتى اراجع النظر ولايستنكف عن ذلك فيمن(لمن)علم العالم ان يقول فيما لايعلم لااعلم والله اعلم، قال علي عليه السلام اذا سألتم عن مالاتعلمون فاهربوا، قالوا وكيف المهرب؟ قال تقولون الله اعلم، وعن ابي جعفر الباقر عليه السلام قال ماعلمتم فقولوا وما لم تعلموا فقولوا الله اعلم ان الرجل ليشرع بالآية من القرآن يخر فيها ابعد مابين السماء والأرض وعن ابي عباس رضي الله عنه اذا ترك العالم لأدري اصيبت مقاتله وقال ابن مسعود لاادري ثلث العالم وقال بعض الفضلاء ينبغي للعالم ان يورث اصحابه لاادري يعني يقولها كثيراً حتى يعتادوها وقول العالم لاادري مما يزيد في قدره ومحله وهو دليل واضح على تقواه وانما يمتنع من لاادري من قل علمه وعدمت تقواه حتى لايسقط من العيون.

الحادي عشر اذا اتفق له تقرير او جواب فتوهمه صواباً ثم ظهر له خطأه فيجب عليه ان يبادر الى التنبيه على فساده ويبين لهم خطأه قبل تفرق الحاضرين ولايمنعه الحياء عن ذلك فيؤخره الى وقت آخر لأن فيه استقرار الخطاء في قلوب الطلبة وتأخير بيان الحق مع الحاجة اليه وخوف عدم حضور اهل المسجد فيستمر على فهم الخطأ وفيه طاعة للشيطان في الإستمرار على الخطأ مع ان في رجوعه تعليم للطلبة هذه الخصلة الحميدة ويرفعه الله تعالى بذلك على خلاف مايظنه الأحمق ويتوهمه الجاهل وينبغي ان ينبه المتعلم عند فراغ الدرس بما يدل عليه ان لم يعرفه القارىء وقد جرت عادة السلف ان يقولوا اجد والله اعلم وينبغي ان يختم الدرس بذكر شيء من الدقائق والحكم والمواعظ وتطهير الباطن يتفرقوا على الخضوع والإخلاص فان البحث يورث في القلب قوة وربما اعقب قسوة فليحركه في كل وقت الى الإقبال وان يختم المجلس بالدعاء بما قد غشيهم من الرحمة وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذا اراد ان يقوم من مجلسه يقول اللهم اغفر لنا ماأخطأنا او ماتعمدنا وما أسررنا وماأنت أعلم به منا وانت المقدم انت المؤخر لااله الا

انت وينبغي ان يمكث قليلاً بعد قيام الجماعة فان فيه فوائد وآداب له ولهم: منها ان كان في نفس احدهم بقايا سؤال تأخر ومنها ان كان لأحد به حاجة قد صبر عليها حتى فرغ يذكرها له ومنها عدم خفقان النعال خلفه ومنها عدم ركوبه بينهم ان كان يركب وينبغي ان ينصب لهم نقيباً فطناً يرتب الحاضرين ومن يدخل عليه على قدر منازله ويوقظ النائم وينبه الغافل ويأمر بسماع الدروس والأنصاف اليها لمن لايعرف وكذلك ينصب لهم رئيساً آخر يعلّم الجاهل ويعيد درس من اراد ويرجع اليه في كثير مما يستحي ان يلقى به العالم من مسئلة او درس فان فيه ضبطاً لوقت العالم واذا قام من مجلسه فينبغي له ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لااله الا انت استغفرك واتوب اليك سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ورواه جماعة من فعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفي بعض الروايات ان الثلاث آيات كفارة المجالس، وكما يستحب للعالم يستحب لكل قائم.

الفائدة السادسة في آداب المتعلم وهي أمور: أولها ان يحسن نيته ويطهر قلبه من الأدناس ليصلح لقبول العلم وحفظه، وان يغتنم التحصيل في أيام الشباب وقبل الإتسام بالعلم والفضل، قال بعضهم تفقهوا قبل ان تسودوا وفي الخبر مثل الذي يتعلم العلم في الصغر كالنقش على الحجر، ومثل الذي يتعلم العلم في كبره كالذي يكتب على الماء وهذا بإعتبار الغالبوولاينبغي لمن كبر ان يمنع نفسه عن الطّلب فانّ فضل الله واسع، وقد اشتغل جماعة من السلف في حال كبرهم ففقهوا وصاروا أساطين في الدين ومصنّفين في الفقه وغيره.

وثانيها ان يقطع ماقدر عليه من العوائق الشاغلة والعلائق المانعة عن تمام الطلب وكمال الإجتهاد ويرضى بماتيسر من القوت وبما يستر مثله من اللباس وان كان خلقاً، فبالصبر على ضيق العيش ينال سعة الحلم ويجمع شمل القلب عن متفرقات الآمال لينفجر عنه ينابيع الحكمة والكمال، قال بعض السلف لايطلب احد هذا العلم بعز النّفس فيفلح ولكن طلبه بذل النفس وضيق العيش وخدمة العلماء أفلح، وقال بعضهم لاينال هذا العلم الا من عطّل دكانه وخرب بستانه وهجر اخوانه ومات أقرب الى اهله فلم يشهد جنازته، وهذا كله وان كان فيه مبالغة فالمقصود انّه لابد فيه من جمع القلب واجتماع الفكر، وبالغ بعض المشايخ لبعض تلامذته اصبغ ثوبك حتى لايشغلك فكر غسله، ومن أقوى موانع الطّلب للتزويج فينبغي تركهايام التحصيل لأنه قلمّا يجتمع مع العلم حتى قال بعضهم ذبح العلم في فروج النساء، وعن ابراهيم بن أدهم من تعود أفخاذ النساء لم يفلح، يعني اشتغل بهن عن الكمال، وفي المثل السائر لو كلّفت بصلة مافهمت مسئلة، ولايغتر الطالب بماورد في النّكاح من التّرغيب فان ذلك حيث لايعارضه واجب أولى منه ولاواجب أضيق من العلم سيّما في هذا الزمان فانّه كما قيل وان وجب على الأعيان

والكفاية على تفصيل فقد وجب في هذا الزمان على الأعيان مطلقاً، لأنَ فرض الكفاية اذا لم يقم به من فيه كفاية يصير كالواجب العيني في مخاطبة الكل وتأثيمهم وينبغي له ان يترك المعاشرة مع من يشغله عن مطلوبه فانَ تركها من أهم ماينبغي لطالب العلم ولاسيما لغير الجنس وخصوصاً لمن كثرت بطالته فانَ الطبع سرّاق، فاذا خالط فلا يخالط الا من يفيده او يستفيد منه فان لم يتفق فالوحدة ولاقرين السوء، قال مؤلف هذا الكتاب عفى الله عنه سنذكر ان شاء الله تعالى في نور آخر أحوالنا وماجرى علينا من ضيق المعاش ايام تحصيل العلم وكيف تنقلنا لأجل العلم من بلاد الى بلاد فمن راجعه سهل عليه الصبر على مضائق العلم وعلى الله التوكل.

وثالثها ان يكون حريصاً على التعلم مواظباً عليه في جميع أوقاته ليلاً ونهاراً سفراً وحضراً ولايذهب شيئاً من اوقاته في غير العلم الاّ بقدر الضرورة لما لابدّ منه من أكل ونوم واستراحة بسيرة لإزالة الملل ومؤانسة زائر وتحصيل قوت وغيره فانَ بقيَة العمر لأثمن لها ومن استوى يوماه فهو مغبون، وليس بعاقل من امكنه الحصول على درجة ورثها(ورثة) الأنبياء ثم فوتها ولابدَ دون الشهد من ألم النحل وقيل:

لاتحسب المجد تمراً انت آكله   لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

وان يكون عالي الهمة فلا يرضى باليسير مع امكان الكثير، ولايؤخّر فائدة الى وقت آخر يرجو فيه ازالة الموانع فانَ هذا الوقت لم يخلق واذا خلق فله فائدة أخرى وفي الخبر الوقت سيف فان قطعته والا قطعك، وينبغي ان يأخذ في ترتيب العلم بما هو الأولى، واذا اشتغل في فن فلا ينتقل عنه حتى يتقن فنه كتاباً او كتابان ان امكن، وليحذر التنقل من كتاب الى كتاب ومن فن الى غيره من غير موجب فانَ ذلك علامة الضجر وعدم الفلاح، فاذا تحققت أهليته فالأولى له ان لايدع فنَاً من العلوم المحدودة الاّوتنظر فيه نظر تطلع، ثم ان ساعده العمر طلب التّبحر فيه فانَ العلوم متقاربة وبعضها مرتبط ببعض.

الفائدة السابعة آدابه مع شيخه، قال الصادق عليه السلام كان امير المؤمنين عليه السلام يقول ان من حق العالم ان لاتكثر عليه السؤال، ولاتأخذ بثوبه واذا دخلت عليه وعنده قوم فسلم عليهم وخصّه بالتحية دونهم، واجلس بين يديه ولاتجلس خلفه ولاتغمز بعينك وانّما مثل العالم مثل النخلة تنتظرها متى يسقط عليك منها شيء، والعالم اعظم أجراً عند الله من الصائم القائم الغازي في سبيل الله، وفي الحديث المروي عن مولانا زين العابدين عليه السلام وحق سائسك بالعلم التعظيم له والتوفير لمجلسه وحسن الإستماع عليه والإقبال عليه وان لاترفع عليه صوتك ولاتجيب احداً يسأله عن شيء حتى يكون هو الذي يجيب ولاتحدث في مجلسه احدا، ولاتغتاب احدا، وان تدفع عنه اذا ذكر عندك بسوء، وان تستر عيوبه وتظهر مناقبه، ولاتجالس له عدواً

ولاتعادي له ولياً، فاذا فعلت ذلك شهدت لك ملائكة الله عز وجل بأنَك قصدته وتعلمت علمه لله جل جلاله اسمه لالناس وفي هذه الفائدة أمور:

اولها وهو الأهم ان يقدم النظر فيمن يأخذ عنه العلم فان تربية الشيخ لتلميذه ممّا تكسبه جميع أخلاقه بل ودينه ايضاً على ماشهدناه، مع ان العالم نائب عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وليس كل عالم يصلح لهذا، فليختر من كملت اهليته وظهرت ديانته وعرفت عفّته واشتهرت صيانته وسيادته، وظهرت مروّته وحسن تعليمه، ولايغتر الطالب بمن زاد علمه مع نقص في ورعه او دينه او خلقه، وليحترز ممن أخذ علمه من بطون الكتب من غير قراءة على الشيوخ خوفاً من وقعه في التصحيف والغلط والتحريف، قال بعض السلف من تفقّه من بطون الكتب ضيّع الأحكام وقال آخر ايّاكم والصّحفيّين الذين يأخذون علمهم من الصحف فانما يفسدون اكثر مما يصلحون وليحذر من التقييد بالمشهورين وترك الأخذ من الخاملين فان ذلك من الكبر على العلم وهو عين الحماقة لأن الحكمة ضالة المؤمن يلتقطها حيث وجدها.

وثانيها ان يعتقد في شيخه انه الأب الحقيقي والوالد الروحاني وهو اعظم من الوالد الجسماني فيبالغ في حقه اعظم من رعايته في حق ابيه، وسأل الأسكندر عليه السلام مابالك توقر معلمك وأكثر من والدك فقال لأن المعلم سبب لحياتي الباقية ووالدي سبب لحياتي الفانية وايضاً فالأب لم يقصد حال الجماع وجود الولد ولاكمال وجوده وانما قصد لذة نفسه واما المعلم فقصد تكميل وجوده وسببه وبذل فيه جهده وقد روي ان السيد الرضي قدس الله روحه كان عالي الهمة أبيَ النفس عن ان يقبل من أحد شيئاً فقال له يوماً بعض مشايخه ان دارك ضيقه لاتليق بحالك ولي دار واسعة وهيأتها لك فأنتقل اليها فأبى فأعاد عليه الكلام فقال ياشيخ انا لم اقبل بر ابي قط فكيف اقبل من غيره فقال له الشيخ انما حقي عليك اعظم من حق ابيك لأني ابوك الروحاني وهو ابوك الجسماني، فقال السيد رحمه الله قد قبلت الدار ومن هنا قال بعض الفضلاء:

من علم العلم كان خير اب ذاك ابو الروح لا ابو النطف

وثالثها ان يعتقد انه مريض وشيخه طبيب وذلك لأن المرض هو انحراف الروح عن المجرى الطبيعي وطبيعة النفس العلم وقد خرجت عنه بسبب اشتغال القوى البدنية واخلاطها فلا ينبغي ان يخالفه فيما يشير عليه كأن يقول له أقرأ الكتاب الفلاني وأكتف بهذا القدر من الدرس فإذا خالفه كان بمنزلة المريض الذي يرد على الطبيب وقد قيل في الحكمة مراجعة الطبيب مريضه يوجب تعذيبه وكما ان الواجب على المريض ترك تناول المؤذيات والأغذية المفسدة والدواء في حضرة الطبيب وغيبته كذلك المتعلم وينبغي ان ينظر الى الشيخ بعين الإجلال والإحترام ويضرب صفحاً من عيوبه وقد كان بعض السلف اذا ذهب الى شيخه تصدّق بشيء وقال اللهم استر عيب

معلمي عني ولاتذهب ببركة علمه مني وقال آخر كنت اصفح الورقة بين يدي شيخي صفحاً رقيقاً هيبة له لئلا يسمع وقعها وقال آخر والله ماإجترأت ان اشرب الماء وشيخي ينظر الى هيبة له، وقال حمد ان الأصفهاني كنت عند شريكه فآتاه بعض أولاد الخليفة المهدي فاستند الى الحائط وسأله عن حديث فلم يلتفت اليه وأقبل علينا ثم عاد فعاد شريك لمثل ذلك فقال اتستخف بأولاد الخلفاء؟ قال لاولكن العلم أجل عند الله من أن أضيعه فجثى على ركبتيه، فقال شريك هكذا يطلب العلم وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من علم احداً مسئلة ملك رقه قيل ايبيعه ويشتريه؟ قال بل يأمره وينهاه، ونقل بعض الأفاضل قال حكيت لشيخي منا مالي فقلت رأيت انك قلت لي كذا وكذا فقلت لك لم ذاك؟ فهجرني شهراً ولم تكلمني، وقال لولا انه كان في باطنك تجويز المطالبة وانكار ماأقوله لك لما جرى ذلك على لسانك في المنام والأمر كما قال، قال مؤلف الكتاب عفى الله عنه قد كان حالي مع شيخي صاحب كتاب بحار الأنوار[١] لما كنت أقرأ عليه في أصفهان انه خصني من بين تلامذته مع انهم كانوا يزيدون على الألف بالتأهّل عليه والمعاشرة معه ليلاً ونهاراً وذلك انه لما كان يصنف ذلك الكتاب كنت ابات معه لجل بعض مصالح التصنيف وكان كثير المزاح معي والضحك والضرائف حتى لاأمل من المطالعة ومع هذا كله كنت اذا أردت الدخول عليه أقف بالباب ساعة حتى أتأهب للدخول عليه ويرجع قلبي الى استقراره من شدة ماكان يتداخلني من الهيبة والتوقير الإحترام حتى أدخل عليه ولقد كنت وحق جنابه الشريف والأيام التي قضيناها في صحبته ونرجوا من الله ان تعود أستسهل لقاء الأسود على الدخول عليه هيبة له وإجلالاً وينبغي ان يعظمه في حال الخطاب ولايخاطبه بتاء الخطاب وكافة ولايناديه من بعد بل يقول ياسيدي وياastاذي وماأشبه ذلك ويخاطبه بصيغ الجمع وينبغي ان يرد غيبته زيادة على مايجب رعايته في غيره فان عجز عن ذلك قام وفارق المجلس، ويرعى ذريته وأقاربه وأودذاءه ومحبيه في حياته وبعد موته.

ورابعها ان يصبر على جفوة تصدر من شيخه او سوء خلق ولايصدّه ذلك عن ملازمته وحسن عقيدته ويتأول أفعاله التي ظاهرها مذموم على أحسن تأويل وأصحّه فما يعجزه عن ذلك الا قليل الوفيق، ويبدأ هو عند جفوة شيخه بالإعتذار والتوبة مما وقع والأستغفار وينسب الموجب اليه ويجعل العتب فيه عليه فانّ ذلك أبقى لمودّة شيخه وعن بعض السلف من لم يصبر على ذلّ التعليم بقي عمره في عماية الجهالة، ومن صبر عليه آل أمره الى عزّ الدنيا والآخرة، وأما نحن فسنذكر ان شاء الله تعالى الذلّ الذي أصابنا في تحصيل العلم في النور الآتي وبحمد الله وتوفيقه آل

---

(١) هو العلامة المحدث شيخ الأسلام والمسلمين المولى محمد باقر المجلسي رحمه الله المتوفي(١١١١) هـ وقد صنف المحدث النوري(ره) كتاب فيض القدسي في أحواله وترجمة حالاته.

أمرنا الى عز الدنيا ونرجو منه تعالى عز الآخرة وهو المطلوب، وبقيت أمور أخرى كثيرة تركناها حذراً من التطويل وبما ذكرناه كفاية للعامل.

الفائدة الثامنة آدابه في درسه وقراءته وهي امور:الأوّل ان يبتدىء اولاً بحفظ كتاب الله العزيز حفظاً متقناً فهذا أصل العلوم وأجلّها وكان السلف لايعلّمون الفقه والحديث الاّ لمن حفظ القرآن.

الثاني ان يقتصر من المطالعة على مايحتمله فهمه ولايمجه طبعه وليحذر من تحيّر الذهن في مطالعة الكتب الكثيرة فانّه يضيع زمانه، وليعط الكتاب الذي يقرأه والفن الذي يأخذه كلّيته حتى يتقنه حذراً من الخبط، ومن هذا الباب الإشتغال بكتب الخلاف في العقليات ونحوها قبل ان يصح فهمه ويستقر رأيه على الحق.

وينبغي ان يعتني بتصحيح درسه الذي يحفظه قبل حفظه تصحيحاً متقناً ثم يحفظه حفظاً محكما، ثم يكرره وان يحضر معه الدواة والقلم للتصحيح، واذا ردّ عليه الشيخ لفظة فظن او علم انّ ردّه خلاف الصواب كرر اللفظة مع ماقبلها لينبه بها الشيخ او يأتي بلفظها الصواب على وجه الإستفهام، فربما وقع ذلك سهواً ولايقل بل هي كذا، فان رجع الشيخ الى الصواب فذاك والاّ ترك تحقيقها الى مجلس آخر بتلطف ولايبادر الى اصلاحها على الوجه الذي عرفه مع اطلاع الشيخ والحاضرين، وكذلك اذا تحقق خطأ الشيخ في جواب مسئلة وكان لايفوت تحقيقه فان كان كذلك كالكتابة في رقاع الأستفتاء وكون السائل غريباً او بعيد الدار او مشنّعاً تعيّن تنبيه الشيخ على ذلك في الحال بالإشارة ثم التصريح، فانّ تركه ذلك خيانة للشيخ فيجب نصحه بما أمكن من تلطف وغيره، فاذا وقف على مكان في التصحيح كتب قبالته بلغ العرض او التصحيح.

وينبغي له ان يقسم اوقات ليله ونهاره على مايحصله فانّ الأوراد توجب الأزدياد وأجود الأوقات للحفظ الأسحار وللبحث الأبكار وللكتابة وسط النهار وللمطالعة والمذاكرة الليل وبقايا النهار، ومما قالوه ودلت عليه التجربة انّ حفظ الليل انفع من حفظ النهار، ووقت الجوع انفع من وقت الشبع والمكان البعيد عن الملهيات انفع، وان يباكر بدرسه لخبر بورك لأمتي في بكورها، ولخبر اغدوا في طلب العلم فانّي سألت ربّي ان يبارك لأمتي في بكورها، ويجعل ابتداءه يوم الخميس، وفي رواية يوم السبت او الخميس وفي آخر عنه صلى الله عليه وآله وسلم اطلبوا العلم يوم الإثنين فانّه ميسر لطالبه، وروي في يوم الأربعاء خبر مامن شيء بدء به يوم الأربعاء الا وقد تم، وربما اختار بعض العلماء الإبتداء يوم الأحد ولم نقف على مأخذه.

الثالث اذا حضر مجلس الشيخ فليسلّم على الحاضرين ثمّ يخصّ الشيخ بزيادة تحية واكرام، وعدّ بعضهم حلق العلم حال أخذهم في البحث من المواضع التي لايسلم فيها، واختاره

جماعة من الأفاضل وهو متَجه حيث يشغلهم ردَ السلام عمَا فيه من البحث وحضور القلب كما هو الغالب، سيَما اذا كان في أثناء تقرير مسئلة فانَ قطعه عليهم أضرَ من كثير من الموارد التي ورد انَه لايسلم فيها، لكن متى أريد ذلك فليجلس الداخل عليهم على بعد من مقابلة الشيخ بحيث لايشعر به حتى يفرغ ان امكن جمعا بين حق الأدب وحق البحث في دفع الشَواغل، وينبغي له اذا سلم ان لايتخطى رقاب الحاضرين الى قرب الشيخ ان لم يكن منزلته كذلك بل يجلس حيث ينتهي به المجلس كما ورد في الحديث، فان صرح له الشيخ او الحاضرون بالتقدم او كانت منزلته او كان يعلم ايثار الشيخ والجماعة لذلك او كان جلوسه بقرب الشيخ لمصلحة كأن يذاكره مذاكرة ينتفع بها الحاضرون او لكونه كبير السن او كثير الفضيلة والصلاح فلا بأس، قال شيخنا الشيخ زين الدين طاب ثراه واعلم انَه متى سبق الى مكان من مجلس الدرس كان أحقَ به فليس لغيره ان يزعجه منه وان كان أحقَ به بحسب الآداب، قيل ويبقى بعد ذلك أحق به كالمحترف اذا ألف مكاناً من السوق او الشارع فلا يسقط حقه منه بمفارقته وان انقطع عن الدرس يوماً او يومين اذا حضر بعد ذلك انتهى، وفيه مالايخفى.

وينبغي ان لايجلس بين أخويه او اب او ابن، او قريبين او متصاحبين الاَ برضاهما معاً لماروي انَ النبي صلى الله عليه وآله وسلم نهي ان يجلس الرجل بين الرجلين الا بإذنهما، وينبغي ان لايقرأ الاَ بإذن الشيخ ذكره جماعة من العلماء، فاذا اذن له استعاذ بالله من الشيطان الرجيم ثم سمى الله تعالى وحمده وصلى على النبي وآله ثم يدعو للشيخ ولوالديه ولمشايخه وللعلماء ولنفسه، وينبغي ان يتذاكر مع من يوافقه من مواضبي مجلس الشيخ بما وقع فيه من الفوائد فانَ في المذاكرة نفعاً عظيماً وقدم على نفع الحفظ وينبغي الإسراع بها قبل تفرق اذهانهم فان لم يجد من يتذاكر معه ذاكر نفسه بأن يكرر معنى ماسمعه ولفظه على قلبه ليتعلق ذلك بخاطره، وقد اشتهر انَ الأخفش كان له عنز يتذاكر اليه.

الفائدة التاسعة في آداب الفتوى والمفتي والمستفتي اعلم اولاً انَ الإتاء ولن كان كثير الأجر لكنه عظيم الخطر لأنَ المفتي وارث النبي وهو موقع عن الله تعالى ونائبه ولسانه الناطق عنه فليعرف كيف يكون، قال سبحانه في التحذير{ولاتقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب} وانظر الى خطابه لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم{ولو تقوَل علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين} فكيف يكون حاله مع غيره اذا تقوَل عليه وقال صلى الله عليه وآله وسلم أشدَ الناس عذاباً يوم القيامة رجل قتل نبياً او قتله نبي او رجل يضل الناس بغير علم او مصوَر يصوَر التماثيل، وعن ابي عبيدة الحذاء قال سمعت

اباجعفر الباقر عليه السلام يقول من أفتى الناس بغير علم ولاهدى لعنته ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ولحقه وزر من عمل بفتياه.

واعلم انه يجب في المفتي ان يكون مكلفاً مسلماً عادلاً مجتهداً ومن لم يكن مجتهداً فلا يجوز له الإقدام على الإفتاء(الفتوى) والفتوى فرض كفاية فاذا سأل زليس هناك غيره تعيّن عليه الجواب، وينبغي ان لايفتي في حال تغيّر أخلاقه من الغضب والجوع والعطش والحزن والفرح والنَعاس والحر والبرد ومدافعة الأخبثين، واذا أفتى في واقعة ثم تغيّر اجتهاده وعلم المقلد برجوعه من مستفت او غيره عمل بقول الثاني، فان لم يكن عمل بالقول الأول لم يجز العمل به وان كان قد عمل به قبل علمه لم ينقض ولم لو يعلم المستفتي رجوع المفتي فكأنه لم يرجع في حقّه ويلزم المفتي اعلامه برجوعه قبل العمل وبعده ليرجع عنه في عمل آخر(عمله الآخر ولو أفتى في حادثة ثم حدث مثلها فان ذكر الفتوى الأولى ودليلها افتي بذلك، ثانياً بلا نظر، وان ذكرها ولم يذكر دليلها ولاطرى مايوجب رجوعه ففي جواز افتائه بالأولى او وجوب اعادة الإجتهاد قولان، ومثله تجديد الطلب في التيمم والإجتهاد في القبلة، والقاضي اذا حكم بالإجتهاد ثم وقعت المسئلة وليس للمفتي ان يكتب السؤال على علمه من صورة الواقعة اذا لكم يكن في الوقعة تعرض له بل على مافي الرقعة، فان أراد خلافه قال ان كان الأمر كذا فجوابه كذا، واستحبوا ان يزيد علو مافي الرقعة ماله تعلق بها ممَا يحتاج اليه السائل لحديث ماهو الطَهور ماؤه أيحلَ ميتته؟

ويستحب ان يكتب في اول فتواه الحمد لله او الله الموفق او حسبنا الله او حسبي الله، او الجواب وبالله التوفيق او نحو ذلك، واحسنه الإبتداء بالتحميد للحديث، وينبغي ان يقول بلسانه ويكتب ثم يختمه بقوله والله اعلم او بالله التوفيق ويكتب بعده قال او كتبه فلان بن فلان الفلاني فينتسب الى مايعرف به من قبيلة او بلد او صفة او نحوها، وينبغي ان يقتصر(يختصر) جوابه غالباً ويكون بحيث يفهمه العامة فهماً جليا، حتى كان بعضهم يكتب تحت ايجوز:يجوز او لايجوز، وتحت ام لا:لا او نعم او نحوهما، واذا رأى المفتي رقعة الإستفتاء وفيها خط غيره ممَن هو اهل للفتوى فان كان دونه ووافق ماعنده كتب تحت خطه الجواب صحيح او هذا جواب صحيح او جوابي كذلك أومثل هذا او بهذا أقول او نحو ذلك، واما اذا رأى فيها خط من ليس أهلاً للفتوى فلا يفتي معه لأنَ في ذلك تقريراً منه لمنكر بل له ان يضرب عليه وان لم يأذن له صاحب الرقعة لكن لاتحبسها عنده الا بإذنه، وله نهي السائل وزجره وتعريفه قبح مافعله، وان رأى فيها اسم من لايعرفه سأل عنه فان لم يعرفه فله الإمتناع من الفتوى معه خوفاً ممَا قلناه، ولو خاف فتنة من الضرر على فتيا علدم الأهلية ولم يكن خطأ عدل الى الإمتناع من الفتيا معه واما اذا كانت خطاء وجب التنبيه عليه وحرم الإمتناع من الإفتاء تاركاً للتنبيه على خطائها.

ولو اجتمع مفتيان او اكثر ممّن يجوز استفتاؤهم فان اتفقوا في الفتوى أخذ المستفتي بها، وان اختلفوا وجب عليه الرجوع الى الأعلم الأتقى، وان اختلفوا في الوصفين رجع الى اعلم الورعين وأورع العالمين، فان تعارض الأعلم والأورع قدّم الأعلم في التقليد امّا لو كان المفتي ميتاً فهل يجوز تقليده مع وجود الحي اولامعه؟ للجمهور اقوال اصحّها عندهم جوازه مطلقاً لأنَ المذاهب لاتموت بموت اصحابها ولهذا يعتدّ بها بعدهم في الإجماع والخلاف، وانَ موت الشّاهد قبل الحكم بشهادته لايمنع الحكم بشهادته بخلاف فسقه.

والثاني لايجوز مطلقاً لفوات اهليته بالموت ولهذا ينعقد الإجماع بعده ولاينعقد في حياته على خلافه وهذا هو المشهور بين أصحابنا خصوصاً المتأخرين منهم، والذي استوجهناه في تضاعيف هذا الكتاب هو جواز تقليد المجتهد الميّت لأنَ كلَ مادلَ على جواز تقليد المجتهد الحيَ يدل على جواز تقليد المجتهد الميّت خصوصاً شيخنا المحقق قدس الله روحه في كتابه الشّرائع والمعتبر فانّه نقل(ينقل) متون الأخبار في اكثر المسائل بخلاف العلاّمة طاب ثراه فانّه كثير الإجتهاد والفتوى.

الفائدة العاشرة في المناضرة وآدابها، اعلم انَ المناضرة في احكام الدين من الدين، وينبغي ان يقصد بها اصابة الحق وطلب ظهوره كيف اتفق لاظهور عزارة علمه وصحة نظره فانَ ذلك من أقبح القبائح، ومن آيات هذا القصد ان لايوقعها الاَ مع رجاء المباشرة، فأما اذا علم عدم قبول المناظرة للحق وانه لايرجع عن رأيه وان تبين خطاؤه فمناظرته غير جائزة، وشرط المناظرة في الدين ان يكون مجتهداً يفتي برأيه لابمذهب أحد حتى اذا بان له الحق على لسان خصمه انتقل اليه، فأما من لايجتهد فليس له مخالفة مذهب من يقلّده فأيَ فائدة له في المناظرة.

وينبغي ان يناظر في واقعة مهمة او في مسئلة قريبة من الوقوع والمهم ان يبيّن الحق ولايطول الكلام زيادة على مايحتاج اليه في تحقيق الحق، وان يكون المناظرة في الخلوة احب اليه منها في المحفل والصدور فانَ في حضور الخلق مايحرك دواعي الرياء والحرص على الإقحام ولو بالباطل، وينبغي ان لايمنع مفتيه من الإنتقال من دليل الى دليل ومن سؤال الى سؤال بل يمكنه من ايراد مايحضره ويخرج من كلامه مايحتاج اليه في اصابة الحق، فان وجده في جملته او استلزمه وان كان غافلاً عن اللزوم فليقبله ويحمد الله تعالى فانَ الغرض إصابة الحق، وان كان في كلام متهافت اذا حصل منه المطلوب، واما قوله قد تركت كلامك الأول وليس لك ذلك ونحو ذلك من أراجيف المناظرين فهو محض العناد، واما آفات المناظرة فهي أكثر من ان تذكر فلا ينبغي الوقوع فيها وقبولها الاَ عند الإضطرار اليها.

الفائدة الحادية عشر في آداب الكتابة ومايتعلق بها إعلم ان الكتابة من أجل المطالب الدينية وهو تابع للعلم فان كان واجباً عينياً كان الكتابة كذلك اذا توقف الحفظ عليه وان كان واجباً كفائياً كانت الكتابة كذلك، روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال قيّدوا العلم، قيل وماتقييده؟ قال كتابته، قال الصادق عليه السلام لعبيد بن زرارة احتفظوا بكتبكم فانكم سوف تحتاجون اليها، وروى الصدوق في أماليه باسناده الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم انّه قال ان المؤمن اذا مات وترك ورقة واحدة عليها علم كانت الورقة ستراً فيما بينه وبين النار، واعطاه الله تعالى بكل حرف مدينة أوسع من الدّنيا ومافيها، ومن جلس عند العالم ساعة ناداه الملك جلست الى عبدي وعزّتي وجلالي لأسكنتك الجنّة معه ولاأبالي، ويجب على الكاتب اخلاص النية الى الله تعالى كما يجب اخلاصها في طلب العلم لأنّه عبادة وضرب من تحصيل العلم بل هو في بعض الموارد أكثر ثواباً من العلم بسبب كثرة الإنتفاع به ودوامه، ومن هنا جاء تفضيل مداد العلماء على دماء الشهداء حيث انّ مدادهم ينتفع به بعد موتهم ودماء الشهداء لاينتفع به بعد موتهم.

وينبغي لطالب العلم ان يعتني بتحصيل الكتب بأي نوع كان لأنّه قد حصل بها نوف زائداً لمن حصلّها على من لم يحصلها، وينبغي ان لايشتغل بنسخها ان امكنه تحصيلها بشراء و نحوه، ويستحب اعارة الكتب لمن لاضرر عليه فيها ممّن لاضرر منه بها استحباباً مؤكداً لما فيه من الإعانة على العلم والمساعدة على البرّ والتقوى، وقال بعض السلف من بخل بالعلم ابتلي باحدى ثلاث:ان ينساه او يموت فلا ينتفع به او تذهب كتبه، وهذا شيء شاهدناه مراراً كثيرة، وقد كان لنا شيخ يحصل منه بعض البخل بالكتب فبقيت كتبه بعده قد باعها بناته في الأسواق بأبخس قيمة، وكان لنا شيخ آخر اذا طلبنا نحن او غيرنا منه كتاباً وكان له حاجة اليه قلع الأوراق التي يحتاج اليها وأعطى الباقي فنمت كتبه وانتفع العلماء بها وأعطاه الله تعالى اولاداً قابلين للعلم وفهمه، واذا قضى حاجته من الكتاب فلا يحبسه لئلا يمنع صاحبه من اعارة غيره، اما اذا طلبه المالك حرم عليه حبسه ويصير ضامناً له، ولايجوز ان يصلح كتاب غيره المستعار او المستأجر بغير اذن صاحبه فلا يحسّنه ولايكتب له شيئاً في بياض فواتحه الاّ اذا علم رضاء مالكه ولاينسخ منه بغير اذن صاحبه فانّ النسخ انتفاع زائد على الإنتفاع بالمطالعة.

وينبغي ان يراعي الأدب في وضع الكتب باعتبار علومها وشرفها وشرف مصنفها فيضع الأشرف على الكل ثم يراعي التدريج، فان كان فيها المصحف الكريم جعل اعلى الكل، والأولى ان يكون في خريطة ذات عروة في مسمار او وتد في حائط طاهر نظيف في صدر المجلس ثم كتب

الحديث الخالص، ثم تفسير القرآن، ثم تفسير الحديث ثم اصول الدين، ثم اصول الفقه، ثم العربية، ولايضع الكبير فو قالصغير لئلا يكثر تساقطها.

وينبغي ان يكتب اسم الكتب في جانب آخر الصَفحات، وفائدته معرفة الكتاب وتيسّر اخراجه، ولاينبغي ان يجعل الكتاب خزانة الكراريس او غيرها، ولامخدّة ولامروحة ولامسنداً ولامقتلة للبراغيث، ولايطوي حاشية الورقة او زاويتها، وكان شيخنا صاحب كتاب بحار الأنوار أدام الله ايام سعادته يعير تلامذته كتب الحديث فاذا ارجعوها يخرج من تحت الأوراق من فتات الخبز ما يزيد على شبع الرجل، ثمّ انه سلمه الله تعالى صار اذا أراد ان يعير كتاباً لواحد من الطلبة يقول ان كان عندك طبق تأكل فيه الخبز والا اعرناك طبقاً مدّة كون الكتاب عندك.

وينبغي لمن استعار كتاباً ان يتفقده عند أخذه ورده، واذا اشترى كتاباً تعهّد أوّله وآخره ووسطه ويصفح أوراقه ويعتبر صحّته وممّا يغلب على ظنه صحّته اذا ضاق الزمان تفتيشه ان يرى الحاقاً او اصلاحاً فانّه من شواهد الصّحة، حتى قال بعضهم لايضيء الكتاب حتى يظلم، يريد اصلاحه بالضّرب والكشط والإلحاق ونحوه، وينبغي له اذا نسخ شيئاً من الكتب الشرعية ان يكون على طهارة مستقبلاً طاهر البدن والحبر والورق ويبتدي الكتاب بكتابة بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله والصلاة على رسوله وآله، وكلما كتب اسم الله تعالى أتبعه بالتعظيم مثل تعالى او عزّ وجل او تقدّس او نحو ذلك ويتلفظ بذلك وكلما كتب اسم النبي صلى الله عليه وآله وسلم كتب بعده عليه وآله، بل قال بعضهم والسلام ايضاً، ويصلّي هو بلسانه ايضاً، ولايختص الصّلاة في الكتاب ولايسأم من تكريرها ولو وقعت في السّطر مراراً كما يفعله بعض المحرومين من الثّواب لطلب الإختصار، فيكتبون صلعم، اوصل او صه او نحو ذلك، فانّ ذلك كله كما قال شيخنا الشهيد الثاني طاب ثراه خلاف الأولى والمنصوص، بل قال بعض العلماء انّ اول من كتب صلعم قطعت يده، واقل مافي الإخلال بها تفويت الثواب العظيم عليها، فقد ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم انه قال من صلى عليّ في كتب لم تزلالملائكة تستغفر له مادام اسمي في ذلك الكتاب، واذا مرّ بذكر احد من الصحابة الأكابر رضي الله عنه او رضوان الله عليه او بذكر احد من السلف الأعلام كتب رحمه الله او تغمده الله برحمته ونحو ذلك، وينبغي ان لايكتب الكتب بالكتابة الدقيقة، قال بعض السلف لكاتب وقد رآه يكتب خطّاً دقيقاً:لاتفعل فانّه يخونك أحوج ماتكون اليه.

واما القلم فقالوا لاينبغي ان يكون صلباً جداً فيمنع من سرعة الجري او رخواً جداً فيسرع اليه الحفاء، قال بعضهم اذا أردت ان يجود خطك فأطل جلفتك واسمنها، وحرف قطّتك وأيمنها، وليكن السكين حادة لبرائة الأقلام وكشط الورق خاصّة ولاتستعمل في غير ذلك، وليكن

مايقطّ عليه القلم صلبا، وقالوا الأحسن ان يكون القصب الفارسي اليابس جداً، وينبغي ان لايقرطم(يقرمط خ) الحروف ولايأتي بها مشبهة بغيرها بل يعطى كلّ حرف حقه وكل كلمة حقّها ويراعى من الآداب الواردة مطلقاً في ذلك ماروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انّه قال لبعض كتّابه الف(الق) الدّواة وحرّف القلم وانصب الباء وفرّق السين ولاتعور الميم وحسّن الله ومدّ الرحمن وجوّد الرحيم، وضع قلمك على اذنك اليسرى فانّه اذكر لك.

وعن زيد بن ثابت انه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا كتبت بسم الله الرحمن الرحيم فبيّن السين فيه، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لاتمد الباء الى الميم ترفع السين، وعن انس قال:قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا كتب احدكم بسم الله الرحمن الرحيم فليمدّ الرحمن، وعنه من كتب بسم الله الرحمن الرحيم فغفر له، وقد كرهوا في الكتابة فصل مضاف اسم الله تعالى منه كعبد الله او رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلا يكتب عبداً ورسول في آخر سطر والله مع مابعده اول سطر آخر لقبح الصورة، وهذه الكراهة للتنزيه، وذكروا ان الضرب على الغلط هو اجود من الكشط والمحو لاسيما في الحديث لأنّ كلاً منهما يضعف الكتاب ورما أفسد الورق، وعن بعض المشايخ انّه كان يقول كان الشيوخ يكرهون حضور السكين مجلس السماع، وفي كيفية الضرب خمسة اقوال:

احدها ان يصل بالحروف المضروب عليها ويخطّ عليها ممتّد أويسمى عند المغاربة بالشّق، وأجوده ماكان دقيقاً بيناً يدل على المقصود، ولايسود الورق ولايطمس الحروف ولايمنع قراءة ماتحته.

وثانيها ان يجعل الخط فوق الحروف منفصلاً منعطفاً طرفاه على أول المبطل وآخره ومثاله هكذا.

وثالثها ان يكتب لفظة لا أو لفظة"من" أوله ولفظة"الى" فوق آخره، ومعناه من هنا ساقط الى هنا ومثل هذا يحسن فيما صح في رواية وسقط اخرى.

ورابعها ان يكتب في أول الكلام المبطل وفي آخره نصف دائرة ومثاله(هكذا) فان ضاق المحل جعله في أعلى كل جانب، وخامسها ان يكتب في أول المبطل وفي آخره صفراً وهو دائرة صغيرة سميّت بذلك لخلو ما أشير اليه بها من الصّحة كتسمية الحساب لها بذلك لخلو موضعها من عدد، واذا صحح الكتاب على الشيخ او في المقابلة علم على موضع وقوفه يبلغ او بلغت او بلغ العرض او نحو ذلك ممّا يفيد معناه.

وينبغي ان يفصل كل كلامين او حديثين بدائرة او قلم غليظ ولايوصل الكتابة كلها على طريقة واحدة لما فيه من عسر استخراج المقصود، ورجحوا الدّائرة على غيرها وعمل عليها غالب

المحدثين وأختار بعضهم اعتمال الدائرة حتى تقابل، فكل كلام يفرغ منه ينقط في الدّائرة التي تليه نقطة وفي المقابلة ثانية وهكذا.

الفائدة الثانية عشر في أقسام العلوم الشرعية ومايتوقف عليه من العلوم العقلية والأدبية، إعلم انّ العلوم الشرعية الأصلية أربعة:علم الكلام، وعلم الكتاب العزيز وعلم الأحاديث النبوية ، وعلو الأحكام الشرعية، وهو المعبر عنه بالفقه ، فأما علم الكلام وهو أصول الدين فهو أساس العلوم الشرعية لأن معلوماته أشرف المعلومات وقد ورد الحث على تعلمه ، قال ابن عباس جاء إعرابي إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال يارسول الله علمني من غرائب العلم ، قال ماصنعت في رأس العلم حتى تسأل عن غرائب العلم؟ قال الرجل مارأس العلم يارسول الله ؟ قال معرفة الله تعالى حق معرفته ، قال الإعرابي ومامعرفة الله حق معرفته ؟ قال تعرفه بلا مثل ولاشبيه ، ولاند وأنه واحد أحد ظاهر باطن أول آخر لا كفو له ولانظير فذلك حق معرفته .

وأما علم الكتاب فقد استقر الإصطلاح فيه على ثلاثة فنون قد أفردت بالتصنيف قد أطلق عليها إسم العلم : أحدها علم التجويد وفائدته معرفة أوضاع حروفه وكلماته مفرده ومركبه ، فيدخل فيه معرفة مخارج الحروف وصفاتها ومدها وإظهارها وإخفائها وإدغامها .إمالتها وتفخيمها وترقيقها ونحو ذلك ، وثانيها علم القراءة ، وفائدته معرفة الوجوه الإعرابية والبنائية التي نزل القرآن وادعوا نقلها عن النبي صلى اله عليه وآله وسلم تواتوا ويندرج فيه بعض ماسبق في الفن الأول ؛وقد يطلق عليهما واحد ويجمعهما تصنيف واحد وثالثهما علم التفسير وفائدته معرفة معانيه وأحكامه ؛ وأما علم الحديث فهو من أجلّ العلوم قدرا وأعلاها رتبة وأعظمها مثوبة بعد القرآن ، وأما الفقه فهو العلم بالحكم الشرعي المأخوذ عن الدليل فهذه الأربع هي أصول العلوم وهي المقصود بالذات .

وأما العلوم الفرعية وهي التي يتوقف هذه الأربعة عليها أما معرفة الله تعالى ومايتبعه فلا يتوقف أصل تحققه علىشيء من العلوم بل يمفي فيه مجرد النظر وهو أمر عقلي يجب على كل مكلف ، وهو أول الواجبات بالذات وإن كان الخوض في مباحثه وتحقيق مطالبه ودفع شبه المبطلين فيه يتوقف على بعض العلوم العقلية كالمنطق وغيره واما الكتاب العزيز فإنه بلسان عربي مبين فيتوقف معرته على علوم العربية من النحو والتعريف والإشتقاق والمعاني والبيان والبديع ولغة العرب وأصول الفقه ليعرف به حكم عامه وخاصه ومطلقه ومقيده ومحكمه ومتشابهه إلى غير ذلك .

وأما الحديث النبوي فالكلام فيه كالكلام في الكتاب وعلومه ويزيد الحديث عليه بمعرفة رواته من حيث الجرح والتعديل ؛ وأما الفقه فيتوقف معرفته على جميع ماذكر من العلوم الفرعية والأصلية ، والمنطق آلة شريفة لتحقيق الأدلة مطلقا فهذه عشرة علوم يتوقف عليها العلوم الشرعية وجملة مايتوقف عليها الفقه اثني عشرة وهي ترجع بحسب مااستقر عليه تدوين العلماء إلى ثمانية فإن علم الأشتقاق قد أدرج في أصول الفقه غالبا وفي بعض علوم العربية وعلم المعاني والبيان والبديع قد صار علما واحدا في أكثر الكتب الموضوعة لها ، والتصريف داخل في النحو في أكثر الكتب وقل من أفرده علما خصوصا المتقدمين .

الفائدة الثالثة عشر في بيان العلم الشرعي وماألحق به على ثلاث مراتب فرض عين، وفرض كفاية ، وسنة ، فالأول مالايتأذى الواجب عينا إلا به وعليه حمل حديث طلب العلم فريضة على كل مسلم ، وأما فرض الكفاية فمما لابد للناس منه في إقامة دينهم من العلوم الشرعية كحفظ القرآن والأحاديث وعلومهما والفقه والأصول والعربية ومايحتاج إليه في قوام أمر المعاش كالطب والحساب ؛ وتعلم الصنائع الضرورية كالخياطة والفلاحة حتى الحجامة ونحوها ، وقال بعض العلماء فرض الكفاية أفضل من فرض العين لأنّه يصان البعض به جميع المكلفين عن أثمتهم المترتب على تركهم له بخلاف فرض العين فإنه إنما يصان به عن الإثم القائم به فقط ، وأما السنة فكتعلم نقل العبادات والآداب الدينية ومكارم الأخلاق وشبه ذلك وهو كثير ومنه تعلم الهيئة للإطلاع على عظمة الله تعالى ومايترتب عليه من الهندسة وغيرها .

وبقي علوم أخرى بعضها محرم مطلقا كالسحر والشعبذة وبعض الفلسفة ، كل مايترتب عليه إثارة الشكوك وبعضها محرم على وجه دون آخر كأحكام النجوم والرمل فإنه يحرم تعلمها مع اعتقاد تأثيرها وتحقيق وقوعها ويباح مع اعتقاد كون الأمر مستندا إلى الله تعالى وإنه أجرى بالعادة كونها سببا في بعض الآثار وعلى سبيل التفاؤل كما قاله بعض الأصحاب ؛ وقد تقدم أن الأولى هو القول بتحريم تعلم علم النجوم وتعليمه مطلقا، وبعضها مكروه كأشعار المولدين المشتملة على الغزل وترجية الوقت بالبطالة وتضييع العمر بغير فائدة، وبعضها مباح كمعرفة التواريخ والوقائع والأشعلر الخالية عَما ذكر مما لايدخل في الواجب كأشعار العرب العارية التي تصلح للإحتجاج بها في الكتاب والسنة فإنها ملحقة باللغة ، وباقي العلوم من الطبيعي والرياضي والصناعي أكثره موصوفا بالإباحة بالنظر إلى ذاته وقد يمكن جعله منه (مستحبا لتكميل النفس خ) وبالتكميل للنفس وإعدادها لغيره من العلوم الشرعية بتقويتها في القوة النظرية ، قد يكون حراما إذا استلزم التقصير في العلم الواجب عينا أو كفاية كما يتفق كثيرا في زماننا هذا لبعض المحرومين الغافلين عن حقائق الدين .

الفائدة الرابعة عشر في ترتيب العلوم بالنظر إلى المتعلم ، إعلم أنه لكل علم من هذه العلوم مرتبة من التعلم لابد لطالبه من مراعاتها لئلا يضيع سعيه وليصل إلى بغيته بسرعة ، وكم قد رأينا طلابا للعلم سنين كثيرة لم يحصلوا منه إلا القليل ، وآخرين حصلوا منه كثيرا في مدة قليلة بسبب مراعاة ترتيبه ، فينبغي أن يشتغل في أول أمره بحفظ كتاب الله تعالى وتجويده على الوجه المعتبر ليكون مفتاحا صالحا ومعينا ناجحا فإذا فرغ منه اشتغل بتعلم العلوم العربية فإنها أول آلات الفهم وأعظم أسباب العلم الشرعي ، فيقرأ أولا علم التصريف و يتدرج في كتبه من الأسهل إلى الأصعب حتى يتقنه ويحيط به علما ، ثم ينتقل إلى النحو فيشتغل فيه على هذا النهج ويزيد فيه والجد بالحفظ ؛ ثم ينتقل منه إلى بقية العلوم العربية ، فإذا فرغ منها أجمع إشتغل بالمنطق وحقق مقاصده على النمط الأوسع ولايبالغ فيه مبالغته في غيره لأن المقصود منه يحصل بدونه .

وحدثني جماعة من الثقاة أن السيد المحقق السيد صاحب المدارك وخاله الشيخ الأجل الشيخ حسن بن الشهيد الثاني ره كانا يقرءان في النجف الأشرف عند الزاهد الورع المولى أحمد الأردبيلي فقرءا عليه من شرح الشمسية مايتوقف عليه الإجتهاد من مباحث الألفاظ وبعض أحوال القضايا والقياسات والظاهر أنه لايزيد على عشرة دروس وقرءا من شرح مختصر بن الحاجب للعضدي ما يتوقف عليه أيضا الأجتهاد وهي دروس معدودة ، وكان الجماعة الذين يقرأون عند المولى الأردبيلي يهزؤن بهما على هذا النمط من القراءة، فقال لهم المولى لاتهزؤا بهما فعن قليل يصلون إلى درجة الإجتهاد وأحتاج انا إلى أن آخذ تصديق اجتهادي عنهم [1] فكان الحال كما قال ، فإنهم بلغوا رتبة التصنيف والإجتهاد في مدة ثمان سنين ، ثم إذا فرغ من المنطق إنتقل إلى علم الكلام ويتدرج فيه كذلك ، ثم ينتقل منه إلى اصول الفقه متدرجا في كتبه ومباحثه وهذا العلم أولى بالعلوم تحريرا فلا يقتصر منه على القليل فبقدر ما تحقّقه يتحقّق عنده المباحث الفقهية؛ثمّ ينتقل منه الى علم دراية الحديث فيطالعه ويحيط بقواعده و ليس هو من العلوم الدقيقة وانّما هو من مصطلحات مدونة وفوائد مجموعة ، فإذا وقف على مقاصده إنتقل إلى قراءة الحديث بالرواية والتفسير والبحث والتصحيح على حسب مايقتضيه الحال ويسعه الوقت ، ولا أقل من أصل منه يشتمل على أبواب الفقه وأحاديثه .

وكان شيخنا المعاصر أدام الله عزه يقول يكفي من الأصول الأربعة كتاب التهذيب ثم ينتقل منه إلى البحث عن الآيات القرآنية المتعلقة بالأحكام الشرعية فقد أفردها العلماء رضوان الله

---

(١) هذا الكلام من المحقق الأردبيلي ره من باب التواضع.

تعالى عليهم بالبحث وخصوها بالتصنيف فليطالع فيها كتابا وأحسنها في هذه الأيام الآيات الأحكامية التي صنفها شيخنا الشيخ جواد الكاظمي تغمده اله برحمته [١] واستنباط الفروع من الأصول واستفادة الحكم من كتاب أو سنة من جهة النص أو الإستنباط من عموم لفظ أو إطلاقه ومن حديث صحيح أو حسن أو غيرهما ليتدرب على هذه المطالب على التدريج ؛وهذا لايحصل إلا بقوة قدسية يمنحها الله سبحانه لعبده ولاحيلة للعبد فيها نعم للجد والمجاهدة والإنقطاع إلى الله سبحانه أثرين في تحصيلها كما قال : والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وأن الله لمع المحسنين ؛ فإذا فرغ من ذلك كله شرع في تفسير الكتاب العزيز بأسره فكل هذه العلوم مقدمة له ، فإذا وفق له فلا يقتصر على ماستخرجه المفسرون بأنظارهم فيه بل يكثر من التفكر في معانيه ويصفي نفسه للتطلع على خوافيه وبتهل إلى الله تعالى في أن يمنحه من لدنه فهم كتابه وأسرار خطابه ، فحينئذ يظهر عليه من الحقائق مالم يصل إليه غيره من المفسرين ، لأن الكتاب العزيز بحر لجيَ في قعره درر وفي ظاهره خبر ، والناس في التقاط درره والإطلاع على بعض حقائقه على مراتب ومن ثم ترى التفاسير مختلفة حسب اختلاف أهلها فيما يغلب هليهم .

فمنها مايغلب عليه العربية ككشاف الزمخشري ، ومنها مايغلب عليه الحكمة والبرهان الكلامي كمافتح الغيب للرازي ، ومنها مايغلب عليه القصص كتفاسير الثعلبي ومنها مايسلط على تأويل الحقائق دون التفسير الظاهر كتفسير عبد الرزاق الكاشي إلى غير ذلك من المظاهر فإذا فرغ من ذلك وأراد الترقي وتكميل النفس فليطالع كتب الحكمة من الطبيعي والرياضي والحكمة العملية المشتملة على تهذيب الأخلاق في النفس وماخرج عنها من ضرورات دار الفنا، ثم ينتقل بعده إلى العلوم الحقيقية والفنون الخفية فإنها الباب لهذه العلوم ونتيجة كل معلوم وبها يصل إلى درجة المقربين ويحصل على مقاصد الواصلين ، هذا كله ترتيب من هو أهل لهذه العلوم وله استعداد لتحصيله ونفس قابلة لفهمها ، فأما القاصرون عن درك هذا المقام والممنوعون بالعوائق عن الوصول إلى هذا المرام فليقتصروا منها على ما يمكنهم الوصول إليه متدرجين فيه حسب ما دللنا عليه ، فإن لم يكن لهم بد من الأقتصار فلا أقل من الإكتفاء بالعلوم الشرعية والأحكام الدينية ، فإن ضاق الوقت وضعفت النفس عن ذلك فالفقه أولى من الجميع فبه قامت النبوات وانتظم أمر المعاش والمعاد مضيفا إليه ما يجب مراعاته من تهذيب النفس وإصلاح القلب ليترتب عليه العدالة التي بها قامت السموات والأرض والتقوى الذي هو ملاك الأمر فإذا فرغ عما خلق له من العلوم فليشتغل بالعمل الذي هو زبدة العلم وعلة الخلق قال الله تعالى وماخلقت الجن

---

(١)هو تلميذ الشيخ البهائي قدس سره وكتابه في آيات الأحكام وهو كتاب جليل من نفائس الآثار.

والإنس إلا ليعبدون ، وما أجهل وأخسر وأحمق من يتعلم صنعة لينتفع بها في أمر معاشه ثم يصرف عمره ويجعل كده في تحصيل آلاتها من غير أن يشتغل بها اشتغالا لايحصل به الغرض منها وكم قد رأينا في شيراز وأصفهان من طالب اشتغل بالمقدمات وأمعن النظر فيعا حتى انقضى عمره ولم يعرف شيئا من العلوم الشرعية، وربما آل الأمر إلى احتقارها واحتقارمن يعرفها بل يعدون الفقيه حمارا وليس هذا إلا من عدم ثبات الأيمان في قلوبهم .

واعلم أن ترتيب العلوم على نحو ماذكرنا مأخوذ من كلام شيخنا الشهيد الثاني نور الله ضريحه بل أكثر فوائد هذا النور مأخوذة من كلامه ولاعيب علينا في أخذ كلامه لأنه البحر الذي عرف منه المتأخرون بأسرهم وحيث أنك قد عرفت أولا أن الأذهان تحتاج إلى تشحيذ لأنها تكل كما كل الأبدان وتشحيذها إنما يكون بلطائف العلوم وغوامض الفنون وهو الذي فهمه المحققون من قوله صلى الله عليه وآله وسلم روحوا ارواحكم ببدايع الحكمة فإنها تكا كما تكل الأبدان ، فلابأس بذكر نور يشتمل على لعض ما في الفنون من الؤعربية وغيرها والله الموفق .

كان من قصد الناشرين للكتاب بهذه الحلة الرائقة أتمام طبعه في ثلاث أجزاء على حسب تجزئتهم في الطبع كما ذكروا ذلك في إعلان نشر الكتاب وقبوضه ولكن الكتاب لم يتم واحتاج إلى جزء آخر فانتظرو الجزء الرابع وبه يتم الكتاب وسيصدر عن قريب أن شاء الله تعالى .

بسمه تعالى

نجز الجزء الثالث من الكتاب على حسب تجزئتنا في الطبع ويليه الجزء الرابع وأوله :(نور في بعض التراكيب المشكلة والأخبار الدقيقة)ونسأل الله تعالى التوفيق لأتمامه والحمد لله أولا وآخرا وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين وقد تصدى لتصحيحه وبذل الجهد فيه : عمران بن على حسين الـ (غريدوستي) عفا الله عنه ووفقنا الله تعالى لأتمامه في أوائل شهر محرم الحرام سنة : (١٣٨٠) هـ ق المطابق (١٣٣٩) هـ ش .

الفهرست

الأنوار النعمانية

لمؤلفه

العالم العامل والكامل الباذل صدر الحكماء ورئيس العلماء

السيد نعمة الله الجزائري

طاب ثراه وجعل الجنة مثواه

المتوفى ١١١٢ هـ

الجزء الرابع

دار الكوفة

دار القارئ

الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

دار القارئ للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف: ٤١٣٢٥٦ / ٠٣ بيروت ـ لبنان بريد إلكتروني: DAR_ALKARI@hotmail.com

دار الكوفة طباعة - نشر - توزيع - بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

نور في بعض التراكيب المشكلة

وا"لأخبار الدقيقة والمسائل الفقهية وغيرها اعلم أنه قد تقدّم أنّ الأحتياج الى علم النحوّ اشدّ من الأحتياج الى غيره، فلا بأس بأن نبدأ ببعض تراكيبه ونثره(وتفسيره)

أنّ هند المليحة الحسناء وای من أضمرت لخلّ وفاء

يرفع هند والمليحة ونصب الحسناء وتحقيقه أنّ الهمزة فعل أمر والنون للتوكيد والأصل اين بهمزة مكسورة وياء ساكنة للمخاطبة ونون مشدّده للتوكيد، ثمّ حذفت الياء للألتقاء الساكنين، وهند منادى، والمليحة نعت لها على اللفظ، والحسناء إمّا نعت لها على الموضع وإما بتقدير أمدح، وأمّا نعت لمفعول به محذوف اي عدي ياهند المرأة الحسناء، وعلى الوجهين الأولين فيكون انما أمرها بأيقاع الوعد الوفي من غير أن يعيّن لها الموعود، وقوله اي مصدر نوعي منصوب بفعل الأمر، والأصل وَ أيا مثل واي من أضمرت، وقوله أضمرت بالتأنيث محمول على معنى من ومن النثر قولهم أنّ قائم، بتشديد أنّ ورفع قائم، والجواب عنه انّ أصله إن أنا قائم، فحذفت همزة أنا إعتباطا، وأدغمت نون ان في نونها، وحذفت ألفها في الوصل وان المخففة هنا مهملة عن العمل، ومثله قوله تعالى لكنّا هو الله ربّي والأصل لكن هو الله ربّي ومن الشعر المتعلق بالمسائل الفقهية ماكتبه الرشيد يوماً الى القاضي ابي يوسف وهو هذان البيتان

فأن ترفقي ياهند فالرفق أيمن وان تخرقي ياهند فالخرق أشأم

فأنت طلاق والطلاق عزيمة ثلاث ومن يخرق أعقّ وأظلم

فقال ماذا يلزمه اذا رفع الثلاث واذا نصبها؟قال ابو يوسف فقلت هذه مسألة نحويّة فقهيّة ولاآمن الخطاء ان قلت فيها برأيي، فأتيت الكسائي وهو في فراشه فسألته فقال ان رفع ثلاثاً طلقت واحدة لأنه قال أنت طالق ثمّ أخبر وانّ الطلاق التامّ ثلاث وان نصبها طلقت ثلاثاً لأنّ معناه أنت طالق ثلاثاً وما بينهما جملة معترضة، فكتبت بذلك الى الرشيد فأرسل اليّ بجوائز فوجّهت بها الى الكسائي وقال المحقق ابن هشام الصواب ان كلا من الرفع والنصب محتمل لوقوع الثلاث ولوقوع الواحدة، أمّا الرفع فلأنّ ألـ في الطلاق امّا لمجاز الجنس كما تقول زيد الرجل اى هو الرجل المعتدّ به، وإمّا للعهد الذكرى مثلها في فعصى فرعون الرسول، اى هذا الطلاق المذكور عزيمة ثلاث، ولايكون للجنس الحقيقي لئلاّ يلزم الإخبار عن العامّ بالخاصّ كما يقال للحيوان انسان وذلك باطل، اذ ليس كلّ حيوان انساناً ولاكلّ طلاق عزيمة ثلاث، فعلى العهديّة تقع الثلاث وعلى

الجنسية تقع واحدة كما قال الكسائي وأمّا النصب فلأنّه يحتمل لأن يكون على المفعول المطلق وحينئذ يقتضى وقوع الثلاث اذ المعنى فأنت طالق ثلاثاً ثمّ أعترض بينهما بقوله والطلاق عزيمة، وان يكون حالاً من الضمير المستتر في عزيمة وحينئذ لايلزم وقوع الثلاث لأنّ الطلاق عزيمة اذا كان ثلاثاً فأنما يقع مانواه، هذا مايقتضيه معنى هذا اللفظ وأمّا الذى أراده الشاعر المعين فهو الثلاث لقوله بعد

فبيني بها ان كنت غير رفيقة وما لأمرء بعد الثلاث مقدم

أقول هذا كله انّما يصح على مذاهب الجمهور من وقوع الطلقات الثلاث بلفظ واحد في مجلس واحد، وأمّا الذى ذهب إليه علماء أهل البيت عليهم السلام من حكم هذا الطلاق فهو أمّا البطلان او وقوع طلقة واحدة فقط، وقد بقى على هذا المبحث اعتراضات كثيرة حررناها في حواشينا على مغنى ابن هشام.ومن النثر مسألة العقرب والزنبور الّتي وقعت بين سيبويه والكسائى

وكان من خبرهما انّ سيبويه قدم على البرامكة فعزم يحيى بن خالد على الجمع بينهما، فجعل لذلك يوماً فلمّا حضر سيبويه تقدّم اليه الفراء وخلف الأحمر فسأله خلف عن مسئلة فأجاب فيها فقال له أخطأت ثمّ سأل ثانية وثالثة وهو يجيبه ويقول له أخطأت، فقال هذا سوء أدب فأقبل عليه الفرّاء انّ فى هذا الرجل حدّة وعجلة، فسأله فأجابه فقال أعد النظر، فقال لست أكلّمكما حتّى يحضر صاحبكما، فحضر الكسائى فقال له تسألني او أسألك؟فقال له سيبويه سل أنت فسأله عن هذا المثال: وهو كنت أظن انّ العقرب أشدّ لسعة من الزنبور فاذا هوهي اوفاذا هو ايّاها، فقال له سيبويه فاذا هوهى ولايجوز النصب: وسأله عن أمثال ذلك نحو خرجت فاذا عبد الله القائم او القائم بالنصب فقال كلّ ذلك بالرفع، فقال له الكسائى العرب ترفع كلّ ذلك وتنصبه؟فقال يحيى قد أختلفتما وانتما رئيسا بلديكما فمن يحكم بينكما، فقال له الكسائى هذه العرب ببابك قد سمع منهم أهل البلدين فيحضرون ويسألون، فقال يحيى وجعفر أنصفت فأحضروا فوافقوا الكسائى، فاستكان سيبويه وأمر له يحيى بعشرة آلاف فخرج الى شيراز وأقام بها حتّى مات، وقد رأينا قبره ولكن لم نزره لأنّه منهم.

ويقال انّ العرب أرشوا على ذلك او أنّهم علموا منزلة الكسائي عند الرشيد ويقال انّهم انّما قالوا القول في الكسائى ولم ينطقوا بالنصب وانّ سيبويه قال ليحيى مرهم ان ينطقوا بذلك فانّ ألسنتهم لاتطوع به، وقد نظم هذا ابو الحسن حازم بن محمّد الأنصاري حاكياً هذه الواقعة والمسألة فقال:

والعرب قد تحذف الأخبار بعد اذا إذا عنت فجأة الأمر الذى دهما
وربّما نصبوا بالحال بعد اذا او بعد ما رفعوا من بعدها ربما
فان توالى ضميران إكتسابهما وجه الحقيقة من أشكاله غمما

لــذاك أعيــت علــى الأفهــام مــسألة أهــدت الى ســيبويه الحتــف والغممــا
قــد كانــت العقــرب العوجــاء أحــسبها قــدما أشــدَ مــن الزنبــور وقــع حمــاً
وفي الجــواب عليهــا هــل اذا هــوهي او هــل اذا هــو اياهــا قــد أختــصما
وخطَــأ ابــن زيــاد وابــن حمــزة فــى ماقــال فيهــا ابــو بــشر وقــد ظلمــا
وغــاظ عمــرواً علــيَ في حكومتــه ياليتــه لم يكــن في أمرهــا حكــما
كغــيظ عمروعليّــاً في حكومتــه ياليتــه لم يكــن في أمرهــا حكمــا
وفجَــع ابــن زيــاد كــلَ منتحــب مــن أهلــه اذ غــدا منــه يفــيض دمــا
كفجعــة بــن زيــاد كــلَ منتحــب مــن أهلــه اذ غــدا منــه يفــيض دمــاً
وأصــبحت بعــده الأنفــاس باكيــة في كــلَ طــرس كــدمع ســحَ وأنــسجما
ولــيس يخلــو أمــرأ مــن حاســد اضــم لــولا التنــافس في الــدنيا لمــا اضــما
والغــبن في العلــم اشــجى محنــة علــمت وأبــرح النــاس شــجواً عــالم هــضــما

وقوله وربَما نصبوا اي ربَما على الحال بعد أن رفعوا مابعد اذا على الأبتداء فيقولون فاذا زيد جالساً، و قوله ربما فى آخر البيت بالتخيف توكيد لربمَا في أوَله بالتشديد، وغمما في آخر البيت الثالث بفتح الغين كناية عن الأشكال والخفاء، وغمما فى آخر البيت الرابع بضمّها جمع غمّة، وابن زياد هو الفراء واسمه يحيى وابن حمزة الكسائي واسمه علي، وابو بشر سيبويه واسمه عمرو، والف ظلما للتثنية ان بنيته للفاعل وللأطلاق انَ بنيته للمفعول، وعمرو وعلىَ الأوّلان سيبويه والكسائى والاخران ابن العاص ومولانا أمير المؤمنين عليّ بن ابي طالب ﵇، وحكما الأوَل والد الفراء والثانى زياد بن ابيه عليهما اللّعنة والعذاب والنيران وابنه المشار اليه هو المرسل في قتل ابي عبد الله الحسين ﵇، واضم كغضب وزنا ومعنى وأعجام ضاد وهضم مبني للمفعول اى لم يوفَ حقَه وامّا سؤال الكسائى فجوابه ماقال سيبويه فاذا هوهي هذا وجه الكلام مثل فاذا هي بيضاء وامَا فاذا هو ايَاها فان ثبت فخارج عن القياس وظرف فيه معنى وجدت ورايت فجاز له ان ينصب المفعول وهو مع ذلك ظرف فيه مخبر به عن الإسم بعده انتهى، وهو خطأ لأنّ المعاني لاتنصب المفاعيل الصحيحة. والثانى انّ ضمير النصب أستعير في مكان ضمير الرّفع قاله ابن مالك والثالث انَه مفعول به والأصل فاذا هو يساويها ثـمّ حذف الفعل فأنفصل الضمير والرابع انَه مفعول مطلق والأصل فاذا هو يلسه لسعتها ذهب اليه الأعلم الخامس انّه منصوب على الحال من الضمير فى الخبر المحذوف والأصل فاذا هو ثابت مثلها ثـمّ حذف المضاف فأنفصل الضمير وأنتصب في اللّفظ على الحال على سبيل النيابة، وهذا كلّه ماكان يخفى على سيبويه لكنّه لمّا كان

خلاف المشهور بين الفصحاء انكره سيبويه: وهو لفظ عجمي ومعناه بالعربيّة رائحة التفاح قال ابراهيم الجزيني سمَى بذلك لأنّ وجنتيه كانتا كأنّهما تفّاحتان، وسبب قراءته النّحو على ماذكره أهل النحو انَه جاء الى حماد بن سلمة لكتابة الحديث فاستملى منه قوله ﷺ ليس من أصحابي أحد الاَ ولو شئت لأخذت عليه ليس أباالدرداء، فقال سيبويه ليس أبو الدرداء فصاح به حماد لحنت ياسيبويه انَما هذه استثناء فقال لأطلبن علما لايلحنني معه أحد، ثمّ مضى ولزم الأخفش وغيره، وروينا عن ابن هشام الخضراوى انّ السبب هو انَه جاء الى حماد بن سلمة فقال ماتقول في رجل رعف بالصلوة؟، ضمّ العين فقال له حماد لحنت ياسيبويه انَما هو رعف بكسر العين فقال لأطلبنَ علما الحديث، ونهض الى الخليل وحكى له ماجرى فقال الخليل ماردّ عليك به فهو الفصيح وماقلت انت لغة غير فصيحة فلزم الخليل من ساعته الى ان بزغ فى صناعة الأعراب.

وروى الخطيب فى تاريخه عن الفرّاء انّ الكسائي ايضاً انما تعلَم النحو على كبر

وذلك انَه مشى يوماً حتّى اعيى ثمّ جلس الى قوم ليستريح معهم فقال قد عيّيت بالتّشديد بلا همزة فقالوا له لاتجالسنا وانت تلحن قال وكيف؟قالوا ان أردت من التعب فقل اعييت وان أردت من انقطاع الحيلة والتحيّر في الأمر فقل عييت مخففًا فقام من ساعته فلزم حمّاداً حتّى تقدّم عنده فخرج الى البصرة فلقى الخليل قد مات وجلس موضعه يونس فتكلّم معه فأقرّ له يونس في مسائل، وانّما سمّي الكسائي لأنَه لَما قرأ على حمزة كان يلتفّ بكساء فقال أصحاب حمزة له الكسائي ومات سيبويه سنة ثمانين ومائة واماّ الكسائى فمات سنة تسع وثمانين ومائة. ومنها أيضاً ماينسب الى الأمام زين العابدين عليه السلام حيث قال

عتبت على الدنيا فقلت الى متى	أكابدها بؤسه ليس ينجلى
اكلّ شريف قد على بجدوده	حرام عليه العيش غير محلّل
فقالت نعم ياأبن الحسين رميتكم	بسهم عنادى حين طلّقني علي

وقال المسيح عليه السلام انا الّذي كفأت الدنيا على وجهها فليس لى زوج يموت ولابيت يخرب، اجتمعت عند رابعة عدّة من الفقهاء والزّهّاد

فذمّوا الدّنيا وهي ساكتة فلمّا فرغوا أقالت من أحبّ شيئاً اكثر من ذكره لَما يحمد واماّ يذمُ فان كانت الدنيا في قلوبكم لاشىء فلم تذكرونها، ومن الأشعار الجيّدة قول شيخنا البهائي ره في قصيدة طويلة وهي:

سرى البرق من نجد فهيّج تذكاري عهوداً بخروي والعذيب وذي قار[1]
وهيّج من أشواقنا كلّ كامن واججّ في أحشائنا لاهب النار
ألا ياليلات العذيب وحاجر سقيت بهام من بني المزن مدرار
ويا جيرة بالمازمين خيامهم عليكم سلام الله من نازح الدار
خليلي مالي والزمان كانّما يطالبني فى ان بأوتار
فابعد أحبابي واخلى مرابعى وابدلنى من كلّ صفو بأكدار
وعادل بي من كان أقصى مرامه من المجدان يسمو الى عشر معشار
الم يدر انّى لاذلّ لخطبه وان سامني خسفا وارخص تسعاري
مقامي بفرق الفرقدين فماالذّى يؤثّره مسعاه في خفض مقدار
وانّي امرء لايدرك الدهر غايتى ولاتصل الأيدى الى سر أغوار
اخالط ابناء الزمان بمقتضى عقولهم كيلا يفوهوا باتكار
واظهر انّي مثلهم تستفزني صروف الليالي باختلال وامرار
ويضجرني خطب المهول لقاؤه ويطربنى الشادى بعود ومزمار
ويضمى فؤادي ناهد الثّدي كاعب باسمر طَار واحور سحّار
وانّي لأسخى(سخى)بالدّموع لوقفة(قتاظ) على طلل بال ودارس اجحار
وماعلموا انّى امرء لايروعني توالى الرّزايا فى عشّي وابكار
اذا دك طود الصبر من وقع حارث فطود اصطباري شامخ غير منهار

الى آخر القصيدة ومن الأشعار قوله: استقدر الله خير او ارضين به فبينما العسر ازدارت مياسيراخرج الأنباري بسنده الى الكلبي قال عاش عبيد بن شبرمة الجهرمي ثلثمائة سنة وادرك الأسلام ودخل على معاوية وهو متخلّف، فقال حدّثني باعجب ما رأيت قال مررت ذات يوم بقوم يدفنون ميّتا لهم فلمّا انتهيت اليهم اغرورقت عيناي بالدموع فتمثلت بقول الشاعر:

ياقلب أنك من أسماء مغرور فاذكروا هل ينفعنك اليوم تذكير
قد بحت بالحبّ ماتخفيه من أحد حتّى جرت بك اطلاقاً محاضير
تبغى أمورا فما تدرى اعاجلها ادنى لرشدك ام مافيه تأخير
فاستقدرالله البيت، وبينماالمرء في الأحياء مغتبط ان صارفي الرّمس تعفوه الأعاصير

---

(١) اساس لأمكنة

يبكي الغــــريب عليه ليس يـــــعرفه　　　وذوقرابــــته فـــي الــــحيّ مـــسرور

فقال لي رجل اتعرف من يقول هذا الشعر؟قلت لا قال انّ قائله هو الذّي دفنّاه الساعة وانت الغريب تبكي عليه ليس تعرفه، وهذا الذي خرج من قبره اقرب الناس اليه رحماً وهو اسرّهم بموته، فقال معاوية لقد رايت عجباً فمن الميّت؟قال عنيز بن الوليد العذري والمخاضير جمعمحضر وهو الفرس الكثير العدو والأعاصير جمع أعصار وهي ريح تثير الغبار الى نحو السماء

ومن الأشعار قول ابي الطيّب

امن ازديارك في الدجّى الرّقباء　　　اذ حيث كنت من الظلام ضياء

أمن فعل ماض فهو مفتوح الآخر لامكسوره على انّه حرف كما توهّمه بعض الأفاضل: والأزديار ـ أبلغ من الزيارة، والدال بدل عن التاء، وفي متعلّق به لايأمن لأنّ المعنى أنّهم آمنون دائماً ان تزوري في الدجا، واذا ماتعليل او ظرف مبدل من محلّ في دجا، وضياء مبتدأ خبره حيث، وابتدأ بالنكرة لتقدّم خبرها عليها ظرفاولأنّها موصوفة في المعنى لأنّ من الظّلام صفة لها في الأصل فلمّا قدمت عليها صارت حالاً عنها ومن للبدل وهي متعلّقة بمحذوف، وكان تامّة وهي وفاعلها خفض باضافة حيث، والمعنى اذ الضياء حاصل في كلّ موضع حصلت فيه بدلاً من الظلامومن الأشعار قول ابي نواس الحكمي:

غير مأسوف على زمن　　　ينقضي بالهمّ والحزن

وذلك انّ لفظ غير نكرة فلا يجوز وقوعه مبتدأ، وقد ذكر له النحاة ثلاثة أعاريب أوّلها ماقاله ابن الشجري وابن مالك، من انّ غير مبتدء لاخبر له بل الذي أضيف اليه مرفوع يغني عن الخبر، وذلك لأنّه في معنى النفي، والوصف بعده مخفوض لفظاً، وهو في قوّة المرفوع بالأبتداء، فكأنّه قيل ماأسوف على زمن ينقضي مصاحباً للهمّ والحزن، فهو نظير مامضروب الزيدان والنايب عن الفاعل والظرف وثانيها ماقاله ابن جنيّ من انّ غير خبر مقدّم والأصل زمن ينقضي بالهمّ والحزن غير مأسوف عليه، ثمّ قدّمت غير وما بعدها، ثمّ حذف زمن دون صفته فعاد الضمير المجرور بعلي على غير مذكور فأتى بالأسم الظاهر مكانه، وثالثهما ماصار اليه ابن الخشاب من انّ غير خبر لمحذوف ومأسوف مصدر جاء على مفعول كالميسور، والمراد به أسم الفاعل، والمعنى أنا غير آسف على زمن هذه صفته، وفيه من التكلّف مالايحتاج الى البيان، ومنه أيضاً:

أبى جوده لاالبخل واستعجلت به　　　نعم من فتى لايمنع الجود قاتله

وقد روى البخل منصوباً ومجروراً: فالنصب على انّ لازايدة مثلها في قوله مامنعك أن لاتسجد، واما الجرّ فعلى انّ لاإسم مضاف لأنّه اريد به اللفظ وشرحه انّ كلمة لاتكون للبخل وتكون للكرم، وذلك أنّها اذا وقعت بعد قول القائل أعطني أو هل تعطيني كانت للبخل، وان وقعت بعد قوله أتمنعني عطاؤك، أو أتحرمني نوالك كانت للكرم، وقيل هى غير زايدة أيضاً في رواية النصب وذلك على أن تجعل اسماً مفعولاً والبخل بدلاً منها كما قاله الزجاج، وقال بعضهم لامفعول به والبخل مفعول لأجله اي كراهيّة البخل مثل يبين الله لكم أن تضلّوا اي كراهة ان تضلّوا، وقال الزمشخرى في أحاجيه هذا البيت غامض المعنى وما رأيت أحداً فسّره، أقول الظاهر هو أنّ معنى البيت هذا وهو انّه مدح ذلك الكريم بأنّ جوده ابى ان ينطق بلا التّي للبخل اي التّي يقولها البخيل وأستعجلت بجوده نعم اى سبقت نعم الى جوده على لاحال كون نعم صادرة من فتى لايمنع جوده للذي يريد قتله، يعني انّ الطالب لو طلب روحه لجاد بها كما قال بعده:

ولو لم يكن في كفّه غير نفسه   لجاد بها فليتّق الله سائله

فعلى هذا يكون رواية قاتلة بالتاء الفوقانيّة، ويروى بالتحتانية من القول فيكون الهاء فيها عائدة الى نعم اي قائل هذه اللّفظة وهي نعم لايمن جوده أحد ومن الأشعار المروّحة للخاطر مانقله شيخنا البهائى ره من خطّ جدّ"طاب ثراه"

الى كم تماد فى غرور وغفلة   وكم هكذا نوم الى غير يقظة
لقد ضاع عمر ساعة منه تشترى   بملأ السما والأرض أيّة ضيعة
أترضى من العيش الرغيد وعيشة   مع الملأ الأعلى بعيش البهيمة
فيادرة بين المزابل ألغيت   وجوهرة بيعت بأبخس قيمة
أفان بباق تشتريه سفاهة   وسخطا برضوان ونار بجنّة
ءانت صديق ام عدوّ لنفسه   فانّك ترميها بكلّ مصيبة
ولو فعل الأعدابنفسك بعض ما   فعلت لمسبهم(كذا)بها بعض رحمة
فقد بعتها هوناً عليك رخيصة   وكانت بهذا منك غير حقيقة
كلفت بهادنيا كثيرا غرورها   تقابلها في نصحها بالخديعة
اذا أقبلت ولّت وان هى أحسنت   أساءت وان ضاقت فشوبا(ب)كدورة
وعيشك فيها ألف عام وينقضي   كعيشك فيها بعض يوم وليلة
عليك بما يجدي عليك من التقى   فأنّك في سهو عظيم وغفلة
تصلّي بلا قلب صلوة بمثلها   يصير الفتى مستوجباً للعقوبة
تخاطبه أياك نعبد مقبلا   على غيره فيها لغير ضرورة

ولـو ردَ مـن ناجـاك للغـير طرفـة ... تمَيـزت مـن غـيظ عليـه وغـيرة
تـصلّي وقـد أتممتهـا غـير عـالم ... تريـدا احتياطـا ركعـة بعـد ركعـة
فويلـك تـدري مـن تناجيـه معرضـا ... وبـين يـدي مـن تنحنـى غـير مخبـت
ذنوبـك في الطاعـات وهـي كـثيرة ... اذا عـدَدت تكفيـك عـن كـلَ زلَـة
تقـول مـع العـصيان ربّـي غـافر ... صـدقت ولكـن غـافر بالمـشيّة
فربَـك رزاق كمـا هـو غـافر ... فلـم لاتـصدَق فيهمـا بالـسويَة
فكيـف ترجـى العفـو مـن غـير توبـة ... ولـست ترجـى الـرزق الاّ بحيلـة
وهـاهو بـالأرزاق كفـلَ نفـسه ... ولم يتكفَـل للأنـام بجنَـة
ومازلـت تـسعى في الـذي قـد كفيتـه ... وتهمـل مـا كلَفتـه مـن وظيفـة
تـسيء بـه ظنَـاً و تحـسن تـارة ... علـى حـسب مايقـضى الهـوى بالقـضيَة

ومن الأشعار ايضا[١] قوله

لتقعـدن مقعـد القـصيَ ... منَـى ذا القـاذورة المقلَـي
او تحلـفي بربـك العـليَ ... انَـي ابـو ذيَـاك الـصبيَ

يروى بكسران وفتحها، فالكسر على الجواب، والفتح على معنى او تحلفي على انى ابو الصبىَ، قاله شخص غاب عن زوجته وجاء وقد ولدت ولداً، ويحكى أنها قالت في جوابه:

لا والـذى ردَك ياصـفيَ ... مـا مـسنيَ بعـدك مـن إنـسيَ
غـير غـلام واحـد صـبيَ ... بعـد أمـردين مـن بـني تلـيَ
وآخـرين مـن بـني عـديَ ... وخمـسة كـانوا علـى الطـويَ
وسـتَة جـاؤا مـع العـشيَ ... وغـير تـركيَ ونـصرانيَ

فقام اليها وسدَ فاها وقال اسكتي قبحَك الله لو لم أسدَ فاك لذكرت الجنَ الأنس وهذه المرأة المباركة قد أستقلَت هؤلاء المعدودين، وقول زوجها لذكرت الجنَ والأنس مبالغة، نعم كانت تذكر مع هؤلاء الأقارب والجيران لأنَ الذَين عدتهم انَما هم ـ من الطوائف البعيدة، ولاريب انَ من الأصدقاء والجيران اكثر من الأجانب، وشفقتها ـ لارضي الله عنها ـ عليهم اكثر من الأباعد، ونظير هذه المرأة الكرديَة التَى نظم حالها شيخنا الشيخ بهاء الدين قدَس الله روحه حيث قال:

كـان فـى الأكـراد شـخص ذو سـداد ... أمـة ذات أشـتهار بالفـساد

لم تخَيـــب مـــن نـــوال طالبـــاً | لـــن تكفَـــن عـــن وصـــال راغبـــاً
بابهـــا مفتوحـــة للـــداّخلين | رجلـــها مرفـــوعة للـــفاعلين
فهـــى مفعـــول بهـــا في كـــلّ حـــال | فعلـــها تمييـــز أفـــعال الرجـــال
كـــان ظرفـــا مـــستقراً وكرهـــا | جـــاء زيـــد قـــام عمـــر وذكـــرها
جاءهـــا بعـــض الليـــالي ذو أمـــل | فاعـــتراها الابـــن في ذاك العمـــل
شـــقَ بالـــسكين فـــورا صـــدرها | فـــى محـــاق المـــوت أخـــفى ذكرهـــا
مكَـــن الغـــيلان في أحـــشائها | خلّـــص الجـــيران مـــن فحـــشائها
قـــال بعـــض القـــوم مـــن أهـــل الملام | لم قـــتلت الأمّ ياهـــذا الغـــلام
كـــان قتـــل المـــرء أولى يـــافتى | انّ قتـــل الأم شـــىء مـــاأتى
قـــال يـــاقوم أتركـــوا هـــذا العتـــاب | ان قـــتل "الأم" ادنـــى للـــصواب
كنـــت لـــو أبقيتهـــا فيمـــا تريـــد | كلّ يوم قاتـل شخص (شخصاًخ) جديد
انّهـــا لومـــا تـــذق حـــد الحـــسام | كـــان شـــغلي دائمـــاً قـــتل الأنـــام
أيهـــا المأســـور فـــى قيـــد الـــذنوب | أيّهـــا المحـــروم مـــن ســـتر العيـــوب
أنـــت في أســـر الكـــلاب العاويـــة | مـــن قـــوى الـــنفس النفـــور الغاويـــة
كـــل صـــبح ومـــساء لاتـــزال | مـــع دواعـــي الـــنفس فـــى قيـــل وقـــال
فاقتـــل الـــنفس الكفـــور الجانيـــة | قتـــل كـــردىَ لأمَ زانيـــة
أيّهـــا الـــساقي أدر كـــأس المـــدام | واجعلـــن فـــى دورهـــا عيـــشي مـــدام
خلَـــص الأرواح مـــن قيـــد الهمـــوم | أطلـــق الأشـــباح مـــن أســـر الغمـــوم
فالبـــهائى الحـــزين الممتـــحن | مـــن دواعـــى الـــنَفس فـــى أســـر المحـــن

وقد نظم رحمه الله تعالى هذا المضمون فى أشعر عجميّة[٢] مضمونها انّ تلك المرأة الكرديّة مع كثرة هذه الجنايات اذا أتى وقت الصلاة قامت وصلّت: فتعجّب من قوّة هذا الوضوء وانّه كيف لم ينتقض مع هذه الجنايات التّى لاتحصى، فليس هذا الوضوء الاّ من باب سدّ اسكندر ذى القرنين.

---

(١) تلك الاشعار الفارسية مذكورة في رسالة: (نان و جلوا) لشيخنا البهائي ره او لها

بو در هرى بيره زنى | كهنه رندى حيلة سازي بر فنى

وآخرها:

اين رضواز شنك رومحكمترأست | اين وضو نبود سد اسكندر است

ومنها ماسأل الصلاح الصفدي عنه وهو قول قيس:

أصلَي فلا أدرى اذا ماذكرتها	أثنتين صلّيت الضحى ام ثمانيا

ماوجه الترديد بين الأثنين والثمانية؟فقال كأنّه لكثرة السهو وأشتغال الفكر كان يعدّ الركعات بأصابعه ثمّ انّه يذهل فلا يدري هل الأصابع التّى ثناها هى التّى صلاّها، ام الأصابع المفتوحة؟قال بعض المتأخّرين وأقول لله درّ الصلاح فى هذا الجوَاب الرائق الذّى صدر عن طبع أرقَ من السحر الحلال وألطف من الخمر شيب بالزلال وان كنّا نعلم أن قيساً لم يقصد ذلك.

ومن الأشعار مانقله صاحب التبيان قال قال ابو الحسن دخلت على المرتضى فأراني أبياتاً قد عملها وهي هذا:

سرى طيف سعدى طارقا فاستفزنى	هبوبا(سحيرا)وصحبي بالفلاة هجود

فلمّا انتبهنا للخيال الذّي سرى	اذ الأرض قفرو المزار بعيد

فقلت لعيني عاودى النوم واهجعي	لعلّ خيالاً طارقا سيعود

فقال لي خذ هذه الأبيات الى أخي الرضى وقل له لعلّه يتممّها في الأوقات المستقبلة فلمّا أتيت الى أخيه الرضا ورآها قال عليّ بالمحبرة، فأتوه بها فقال:

فردّت جوابا والدموع بوادر	وقد أنّ للشمل المشتّ ورود

فيهات من ذكرى حبيب تعرضّت	لنا دون لقياها مهامه بيد

فعدت الى المرتضى بالخبر، فقال يعزّ عليّ اخى قتله الذكاء، فما كان الاّ يسيراً حتى مضى، وهذا ليس ببعيد فانّ الذكاء اذا غلب على الطبيعة احترقت السوداء فاذا أحترقت مات صاحبها، وقد وقع مثله لأبى تمام، وذلك انّه مدح الخليفة يوما فقال في مدحه:

أقدام عمرو فى سماحة حاتم	في حلم أعنف فى ذكاء اياس

فقال له الحاضرون يااباتمام ماهذا المدح الناقص؟كيف شبهّت الخليفة بأجلاف العرب؟ومن اين لهؤلاء درجة الخليفة فضلاً عن انه يشبّه لهم؟فقال لهم ياقوم هذا جائز وقد ورد فى الكلام الفصيح، فقالوا له هات الشاهد على هذا ولك ماطلبت، فقال أمهلوني هذه اللخطة حتّى أتفكّر، فسكتوا عنه فتأمّل لحظة حتّى احمرّ وجهه ثمّ أصفرّ وتقلبّت عليه ألوان، ثمّ قال لهم:

لاتنكروا ضربي له من دونه	مثلا تعاطى بين كلّ الناس

الله قد ضرب الأجلّ لنوره	مثلاً كما المشكوة والمقباس

فلمّا أنشد هذين الشعرين قال أريد الجائزة ولاية مصر سبع سنين، فكأنَ الخليفة أستكثرها، فقال وزيره أكتب له عهداً على ولاية مصر ولايبقى لك الاّ الذكر الجميل، وهذا الرجل لايبقى في الدّنيا أكثر من سبع أيام: فقال له الخليفة وكيف ذلك؟قال لأنّه لمّا شرع فى التفكر أخذ فى تعداد أشعار العرب فلم يجد هذا المثل ثمّ أخذ فى الأحاديث وعدّها فلم يجده أيضاً، فأخذ في القرآن وتصفَحه على خاطره حتّى بلغ الى سورة النور فوجد هذا المثل فيها وقد احترقت طبيعته من قوّة هذه التخيّلات الكثيرة فى اللحظة الواحدة، فلونه هذا يدلّ على أنّ حياته لاتكون اكثر من سبعة أيّام، فقال ابو تمام قد صدق فيما قال والآجال بيد الله تعالى فكتب الخليفة أحكاماً على ولاية مصر فأخذها وأراد المسير اليها فمات فى اليوم السابع، ومثل هذا قد وقع كثيراً ومن الأشعار قول سيّد العشّاق:

فأمّا عن هوى ليلي وتركى   زيارتها فانّي لا أتوب

وذلك لأن ظاهره انّه لايتوب عن ترك الزيارة وهو معنى فاسد، ومن ثمّ قال بعضهم ان الرواية يجب أن يكون وحتّى زيارتها، ولكن الذّي وجدناه فى ديوانه وتوجّه المحقّقون الى تحقيق معناه هو لفظ الترك، وقد ذكر له وجوه: أحدها انّ المراد بالواو فى وتركي واو الحال، والمعنى انّي لا أتوب فى حال كوني تاركا لزيارتها من عدم تمكني منه، وثانيها انّي لا أتوب عن ترك الزيارة لأنّي لم أفعله ولاتوبة عمّا لم يفعل.

وثالثها وهو الصواب ماذكره بن الحاجب فى أماليه حيث قال وتوجيهه انّ ذكر الترك لبيان مايطلب منه، ثمّ قال فانّي لاأتوب ممّا يطلب منّي تركه، الا ترى انه لوقال: وامّا من هوى ليلى وتوبتى من زيارتها فانّى لاأتوب لكان مستقيماً على انّ المعنى فانّى لاأتوب ممّا تطلب منّى التوبة منه لاعلى معنى فانّى لاأتوب من توبتي، اذ لافرق بين ان يقول وتركي زيارتها او توبتي من زيارتها انتهى، وقبله:

ذكرتك والحجيج لهم ضجيج   بمكّة والقلوب لها وجوب
فقلت ونحن فى بلاد حرام   به لله أخلصت القلوب
أتوب اليك يارحمن ممّا   أسأت فقد تكاثرت الذنوب
فامّا عن هوى ليلي وتركي   زيارتها فانّي لا أتوب
فكيف وعندها قلبي رهين   اتوب اليك منها أو انيب

ومن الأشعار قوله:

قال زيد سمعت صاحب بكر   قايل قد وقعت فى اللأواء

بجرّ زيد ورفع قائل واللأواء وتوجيه إعرابه انّ القال والقيل اسمان كما جاء فى الحديث من قوله نهى عن القيل والقال، فقال منصوب بسمعت، وصاحب منادى والباء فيه متّصلة فى التقدير ببكر، ورفع اللأوار على الأبتداء، وخبره قوله ببكر، ورفع قائل على انّه خبر مبتداء محذوف اى هو قائل، وف أمر من وفي يفي، وترتيب الكلام في البيت على وجهه سمعت قال زيد ياصاح ببكر للأواء اي الشدّة والضيق وهو قائل قد وقعت فف كما تقول وقعت فاعنيَ

ومن الأشعار:

ياصاحب ملك الفؤاد عشـــيّة زار الحبيب بها خليل ناء

بجرّ صاحب ورفع الحبيب وخليل، وتوجيه أعراب انّ صاحب منادى مرّ خم، وقوله بن أمر من بان يبين، وخليل فاعل ملك ومعناه ياصاحب أبعد فقد ملك الفؤاد خليل ناء عشيّة زار الحبيب بها

ومن الأشعار أيضاً:

انّ ابي جعفر على فرســاً او انّ عبد الاله ماركـــــبا

برفع جعفر ونصب فرساً ورفع عبد الاله، وتوجيه أعراب أنّ أبى اسم ان وهو بمعنى والدي وعلى فعل وفاعل ومفعوله فرساً، وانّ من الأنين وهو فعل وفاعله عبد الاله، والتقدير انّ والدي جعفر ركب فرساً ولو شكى عبد الاله وانّ ماركب والدي ومنه ايضاً:

أقول لخالدا ياعمــر ولّما علتنـــا بالسيــوف المرهفات

بنصب خالداً ورفع السيوف والمرهفات، وتوجيه أعرابه انّ الّلام من لخالداً فعل أمر من ولى يلي فانّ فعل الأمر لِ بحرف واحد، وخالداً مفعول وعلتناب اصله علت نابى، والناب الجمل الكبير وحذفت الياء للألتقاء الساكنين، والسيوف فاعل علت، والتقدير أقول ياعمرولِ خالدا أي اتبعه وألصق به وهذا القول قلته لّما علت جملي السيوف المرهفات ومنه ايضاً:

اذا ماكنـــــت في أرض غريبــــــاً يـــصيد بهـــا ضـــراغمها البغـــاث
فـــكن ذا بـــزّة فالـــمرء يـــزرى بـــه في الحـــيّ أثـــــواب رثـــاث

برفع ضراغمها والبغاث، وتوجيه أعرابه انّ البغاث وهو الطّير الصغير فاعل يصيد، وقوله بها ضراغمها جملة حاليّة محذوفة الواو لوجود الضمير في الجملة، ومنه:

جــــاءك سلمان ابو هــــاشما وقد غــدى سـيّدها الحــــارث

وهذا البيت قيل أنّه من مغلق الأعراب، وتوجيهه انّ جاء فعل ماض، والكاف كاف التشبيه، وابوها فاعل جاء، وشما من شام البرق يشيمه اذا نظر اليه والنون نون التوكيد الخفيفة

وقد وقف عليها فأبدلها ألفاً، وفي شما ضمير فاعل لأنَ الأمر للمواجهة، وسيّدها مفعول شما، والحارث فاعل غدى، وتقديره جاء أبوها كسلمان شما سيّدها وقد غدا الحارث ومنه أيضاً:

جاء بي خالداً فأهلك زيداً ... ربك الله يامحمّد زيداً

ينصب خالداً ونصب ربّك الله وحر محمّد، وتوجيه أعرابه أن جاء فعل ماض وقصر للضرورة، وبي أصله ابي بمعنى والدي، وخالداً منصوب بوقوع الفعل عليه، وربّك الله نصب على التحذير أي أتق ربّك الله، ومحم منادى مرخم أي يامحمّد، ويأمر من ودي يدي اذا أعطاه ديته، وزيداً منصوب على أنه مفعول به، ومعناه أعط يامحمّد زيداً ديته، ومنه،

من سعيد بن دعلج يا أبن هند ... تنج من كيده ومن مسعودا

بنصب سعيد ومسعود، وتوجيه أعرابه انّ من في الموضعين أمر من مان يمين وهو الكذب، ونصب سعيداً ومسعوداً على المفعوليّة فكأنّه قال أكذب سعيد بن دعلج وأكذب مسعودا تنج، ومنه أيضاً:

خمر الشيب لمتى تخميرا ... وحد ابي الى القبور البعيرا

ليت شعري اذا القيامة قامت ... ودعي بالحساب اين المصيرا

بنصب البعير والمصير وتوجيهه أنَ خمرَ بمعنى خالط، وفي حدى ضمير راجع الى الشيب، والبعيرا مفعول حدى، والمصيرا مفعول شعري، أي ليتني أشعر المصير اين يكون.ومنه:

وردنا ماء مكّة فاستقينا ... من البئر الّتي حفر الأميرا

بنصب الأمير وتوجيهه انّه مفعول لأستقينا كما تقول استقينا الله فاسقانا الغيث، وفي حفر ضمير الفاعل وهو راجع الى الأمير لأنّه مقدّم تقديراً، ومنه:

جاء البشير بقرطاس فخرّقه ... فوق المنابر عبد الله ياعمروا

بنصب عبد الله وعمروا، وتوجيهه أنّ عبد مثنى وسقطت نونه بالأضافة، والتقدير عبدان الله، ونصب عمروا امّا على أنّه نكرة غير مقصودة، وامّا على أنّه مندوب حذف منه هاء السكت أي ياعمرواه، ومنه:

ما أكلنا شيئاً سوى الخبز الاّ ... انّه كان ذا خميرة فطيروا

برفع فطير، وتوجيهه انّه أمر من طار يطير فهو أمر للجماعة بأن يفروا مسرعين عن أكل مثل هذا الخبر، ومنه

اذا جاء شهر الصوم فافطر ... على مشويّه وكل النهار

بنصب شهر ورفع النهار، وتوجيهه انَ النهار فاعل جاء، والمراد به ولد الحباري وشهر منصوب على الطرفيَة، وتقديره اذا جاء وحصل ولد الحباري في شهر الصوم فافطر على ماذبحت وشويت منه وكل، ومنه:

استرزق الله واطلب من خزائنه　　　رزقا يثبــــك وانَ الله غفّــــارا

برفع لفظة الله الثانية ونصب غفّارا، وقد وجّهه ابو العباس أحمد بن يحيى تغلب بأنَ قوله وانَ فعل من الأنين بمعنى الشكاية وهو معطوف على أسترزق ولفظ الله الثاني فاعل يثبك وغفّارا حال من الله، وتقديره أسترزق الله وأنَ اليه واطلب من خزائنه رزقاً يثبك الله حال كونه غفّارا.ومنه:

قيل لي أنظر الى السهام تجدها　　　طايــرات كمــا يطير الفـــــراشا

بنصب الفراش، وتوجيهه أن يكون مفعولاً ثانياً لتجدها، أي تجدها كالفراش حال كونها طايرات كما تطير، ومنه قول الفرزدق في مدح مولانا زين العابدين عليه السلام

يكاد يمسكه عرفان راحــته　　　ركن الحطيم اذا ماجــاء يســتلم

بنصب عرفان، وتوجيهه انّه مفعول لأجله بتقدير اللّام، ومنه:

أكلت دجاجتان وبطّتـــــان　　　كما ركـــب المـــهلّب بغلتـان

وتوجيهه أنَ الدجاج جمع دجاجة وتان اسم فاعل من تنى يتنو، وكذلك يريد بط جمع بطة وقد أضافه الى تان، وكذلك بغل رجل تان، أمثال هذا كثير نظما ونظرا، ومنه:

مرَ كما انقضَ على كوكـب　　　عفريت جنَ في الدجـــا الأجـــدل

برفع كوكب، وتوجيه أعرابه انّ الأجدل فاعل مرَ وكوكب فاعل إنقضَ، وتقديره مر الأجدل أي الصقر كما أنقض كوكب على عفريت جنَ في الدجا، وهنا بيت يتّفق فيه وجوه كثيرة بحسب التغيير، وهي أربعون ألف وجه وثلثمائة وعشرون وجهاً، والبيت هذا:

علي أمام جليل عظـيم　　　فريـــد شجـــاع كريـم حلـــيم

وقلل شيخنا الشهيد قدّس الله روحه محازاة لقول بعض العلماء

لقلبي حبيب مليح ظريف　　　بديع جمـــيل رشـيق لطيـــف

وهو من بحر المتقارب، وتوجيه الوجوه فيهما انَ اللّفظين الأوّلين لها سورتان، فاذا ضربتا في مخرج الثالث صارت ستّة، فاذا ضربت في مخرج الرابع صارت اربعة وعشرين، فاذا أضربت في مخرج الخامس صارت مائة وعشرين، فاذا ضربت في الستة فسبعماة وعشرين، فاذا ضربت في السبعة فخمسة آلاف وأربعون، ثمّ في مخرج الثامن يبلغ ماقلناه ومن لطائف الأشعار قوله:

ســــألته التقبيـــــل في خـــدّه　　　عـــشرا ومـــازاد يكـــون أحتـــساب

فمـــذ تعانقــــــنا وقبّلــــــته غلطـــــت في الـــعدّ فـضــاع الحساب

ومنه أيضاً:

ليست بأوطانك اللاتى نشأت بها لكـــن ديــار الّـــذي تهـــواه أوطــان

خير المواطن ماللّنفس فيه هوى ثــمّ الخيـــاط مـــع الأحبـــاب ميـــدان

كــلّ الـديار اذا فكّــرت واحــدة مـــع الحبيـــب وكـــلّ النّـــاس إخـــوان

أفدى الّذين دنوا والهجر يبعدهم والنـــازحين وهـــم في القلـــب ســـكّانوا

كنّا وكانوا بأهنا العـيش ثمّ نأوا كأنّنـــا قـــطّ ماكنّا وماكـــانوا

ومنه أيضاً قول ابن الدهّان كتب بهما الى بعض الحكّام وقد عوفي من مرضه:

نــذر النــاس يــوم برئــك صــوماً غـــير انّـــي نـــذرت وحـــدي فطـــرا

عالمــاً انّ يــوم برئـــك عـــيد لأرى صـــــومه وان كـــــان نـــذراً

وقال أحمدبن الحكيم الكاتب كتبه الى بعض أصحابه في مرضه:

فـديتك ليلـى مـذ مرضـت طويـل ودمعـــي لمـــا لاقيـــت منـــك همـــول

ءأشـــرب كأســـاً او أســـرّ بلـــذّة ويعجـــبني ظنّـــي وانـــت نحيـــل

ويـضحك سـنّي او تجـفّ مـدامعي وأصـــبوا الى لهـــو وأنـــت عليـــل

ثكلـت اذن نفـسي وقـامت قيامتـــي وغـــال حيـاتي عـــند ذلـك غـــول

وقال بعضهم:

وقائلــــة لّمـــا رأت شـــيب لّمتـــى واســـتره عـــن وجههـــا بخـــضاب

أتـــستر عـــني وجــه حــقّ بباطــل وتـــوهمني مـــاءً بلمـــع ســـراب

فقلـت لهـــا كفّـى ملامـــك انّهـا مــلا بــس أحـــزاني لفـــقد شبــابي

ولبعضهم:

وحقّـك ماخـضبت مـشيب رأسـي رجـــاء ان يـــدوم لـــي الـــشباب

ولكنّـي خـشـــيت يـراد منّـي عقـول ذوي المـشـيب فـلا تـصـاب

ولبعضهم:

وتـاجر أبـصرت عـشاقه والحـرب فيمـا بينهم ثـائر
قـال علي مـا أقتلـوا هـتاهنا قـلت علـى عيـنك ياتـاجر

للشافعي:

لايـدرك الحكمـة مـن عمـره يكـدع في مـصلحة الأهـل
ولاينـال العلـم الاّ فتـى خـال مـن الأفكـار والـشغل
لـو انّ لقمـان الحكـيم الّـذي سـارت بـه الركبـان بالفـضل
بلـى الفـقر وعـيال لمـا فـرّق بـين التيـس والبـغل

لبعضهم:

بقـدر الـصعود يكـون الهبـوط فايّـاك والرتـب العاليـة
فكـن في مكـان اذا مـا وقـعت تقـوم ورجـلاك في عـافية

لبعضهم:

ماعاينـت عينـاي في عطلـتي أقـل مـن حطـي ومـن نحـتي
قـد بعت عبـدي وحمـاري وقـد أصبحـت لافـوقي ولاتحـتي

وقال بعضهم:

حتّـام انـت بمـا يلـهيك مـشتغل عـن نحـج قـصدك مـن خمـر الهـوى ثمـل
ترضـى مـن الـدهر بـالعيش الـذّميم الى كـم ذا التـواني وكـم يغـري بـك الأمـل
وتدّعي بطـريق القـوم معرفة وانـت منقطـع والقـوم قـد وصـلوا
فـآنهض الى ذروة العليـاء مبتـدرا عزمـاً لترقـى مكانـا دونـه الحيـل
فـان ظفـرت وقـد جـاوزت مكرمـة بقاؤهـا ببقـاء الله متّـصل
وان قـضيت بهـم وجـدا فأحـسن مـا يقـال عنـك قـضى مـن وجـده الرجـل

وقال الشيخ ابو الفتح البستي:

زيـادة المـرء في دنيـاه نقـصان وربحـه غـير محـض الخـير خـسران
وكـلّ وجـدان حـظ لأثبـات لـه فـانّ معنـاه في التحقيـق فقـدان

ياعامرا لخراب الدهر مجتهدا … تالله هل لخراب الدهر عمران
وياحريصاً على الأموال تجمعها … نسيت أنَ سرور المال أحزان
دع الفؤاد عن الدنيا وزخرفها … فصفوها كدر والوصل هجران

والقصيدة طويلة

فائدة سر بعد الطعام ولو خطوة كل بعد الشرب ولو لقمة نم بعد الحمّام ولو لحظة بل بعد الجماع ولو قطرة، ومن أظرف الأشعار

قلت وقد لحَ في معاتبتي … فظنَ انَ الملال من قبلي
خدَك ذا الأشعري حنفي … وكان لي من أحمد المذاهب لي
حسنك مازال شافعي ابدا … يامالكي كيف صرت معتزلي

وقال بشار بن برد:

ياقوم اذني لبعض الحيَ عاشقة … والأذن تعشق قبل العين أحياناً
قالوا بمن لاترى تهوى فقلت لهم … الأذن كالعين توفي القلب ماكانا

وقال:

اذا ما المدح صار بلا نوال … من الممدوح كان هو الهجاء

قال الرضى رضى الله عنه يخاطب الطايع:

مهلا أمير المؤمنين فاننّا … في دوحة العليا لانتفرّق
مابيننا يوم الفخار تفاوت … الكلَ منّا في السيادة معرق
ألا الخلافة ميّزتك فانّني … أنا عاطل منها وأنت مطوّق

وقيا أنَه كان يوماً عند الخليفة وهو يعبث بلحيته ويرفعها الى أنفه، فقال له الطايع أظنّك تشمَ رايحة الخلافة منها؟فقال بل رايحة النبوة، قال ابو عبد الله الزبيري اجتمع راوية جرير وراوية كثير وراوية الأحوص وراوية نصيب وأفتخر كلّ منهم وقال صاحبي أشعر، فحكموا السيدة سكينة بنت الحسين عليه السلام بينهم لعقلها وبصيرتها، فخرجوا اليها ودخلوا عليها، فقالت وقد ذكروا لها أمرهم: أراوية جرير: أليس صاحبك يقول:

يقرَ بعيني ما تقرَ بعينها   وأحسن شيء ما به العين قرّت

وليس شيء أقرَ لعينها من النكاح أفتحبَ صاحبك ان ينكح؟ قبّح الله صاحبك وقبّح شعره، ثمَ قالت لراوية جميل أليس صاحبك الّذي يقول:

فلو تركت عقلي معي ماطلبتها   وان طلابيها لما فات من عقلي

فما أرادها ولكن طلب عقله، قبّح الله صاحبك وقبّح شعره، ثم قالت لراوية الأحوص أليس صاحب الذّي يقول:

من عاشقين تواعدا وتواصلا   ليلا اذا نجم الثريّا حلّقا

باتا بأنعم ليلة وألذّها   حتّى اذا وضح الصباح تفرّقا

قبّح الله وقبّح شعره هلاّ قال تعانقنا؟وقال المتنبّي:

اذا أنت أكرمت الكريم ملكته   وان أنت أكرمت اللئيم تمرّدا

فوضع الندى في موضع السيف بالعلى   مضرَ كوضع السيف في موضع الندَى

وكتب عليَ بن صلاح الدين بن يوسف ملك الشام الى الإمام الناصر لدين الله يشكو أخويه ابا بكر وعثمان وقد خالفا وصيّة أبيهم له:

مولاي أنَ ابابكر وصاحبه   عثمان قد غصبا بالسيف حقَ عليَ

وكان بالأمس قد ولاّه والده   في عهده فأضاعا العهد حين ولي

فانظر الى حظ هذا الأسم كيف لقى   من الأواخر مالاقى من الأول

فخالفه وحلاّ عقد بيعته   او الأمر بينهما والنصَ فيه جلي

فوقّع الخليفة الناصر على ظهر كتابه بهذه الأبيات:

وافى كتابك يابن يوسف منطقا   بالحقَ يخبر أنَ أصلك طاهر

منعوا علياً إرثه اذ لم يكن   بعد النبيَ له بيثرب ناصر

فاصبر فانَ غدا عليَ حسابهم   وأبشر فناصرك الإمام الناصر

قال معاوية يوماً لجارية بن قدام ماكان أهونك على قومك اذ سمّوك جارية؟ فقال ما أهونك على قومك اذ سمّوك معاوية وهي الأنثى من الكلاب، وحكى عن الشريف المرتضى انّه

كان جالساً في قبّة لها مشرف على الطريق فمرّ به ابن مطرّ ِاز الشاعر يجرّ نعلاله بالية وهي تثير الغبار، فأمر بأحضاره وقال له أنشد أبياتك الّتي تقول فيها:

اذا لم تبلّـــغني اليكـم ركائـــبي فلا وردت مـاءً ولارعـت العـــشبا

فأنشده أياها فلمّا أنتهى الى هذا البيت أشار الشريف الى نعله البالية وقال أهذه كانت من ركائبك؟فأطرق المطرز ساعة ثمّ قال لَما عادت هبات سيّدنا الشريف الى مثل قوله:

وخذ الـــنوم من جفونـــي فانّي قد خلعت الكــــرى على الـعشّاق

عادت ركائبي الى مثل ماترى لأنّك خلعت مالاتملكه الى من لايقبل، فاستحيا الشريف منه وأمر له بجائزة فأعطوه، قيل قدم لقمان من سفره فلقى غلاماً له فقال مافعل ابي؟قال مات قد ملكت أمري، قال فما فعلت أمّي؟قال ماتت.قال ذهب همّي، قال فما فعلت أختي؟قال ماتت، قال سترت عورتي، قال فما فعلت أمرأتي؟قال ماتت، قال جدّد فراشي، قال فما فعل أخي؟ قال مات قال آه إنقطع ظهري، وكان الشيخ عز الدّين اذا قرأ القاري عليه من الكتاب وانتهى الى آخر باب من أبوابه لايقف عليه بل يأمره ان يقرأ من الباب الّذي بعده ولو سطراً، ويقول ماأشتهى ان تكون مّمن يقف على الأبواب، ويقال انّ اياس بن معاوية نظر الى ثلاث نسوة فزعن من شيء، فقال هذه حامل، وهذه مرضع، وهذه بكر، فسئلن فكان الأمر كذلك، فقيل له من أين لك هذا؟فقال لَما فزعن وضعت احديهنّ يدها على بطنها، والأخرى على ثديها، الأخرى على فرجها،

وقال المعرى:

والنجم يستـــصغر الأبصـار رؤيته والذنب للطـرف لاللنجم في الصـغر

قال مسلم بن الوليد يمدح ابن مزيد الشيباني:

تـــراه في الأمـــن درع مـــضاعفة لايـأمن الـدهر ان يـدعى علـى عجـل

لايعبـق الطـــيب خدّيـه ومفــــرقه ولايمـسّح عينـــــيه مـن الكــــحل

يقال أنّ هارون الرشيد لَما سمع البيت الأوّل وفهم أنّه لمن وفيمن طلب ابن مزيد فأحضروا عليه ثياب ملوّنة ممصّرة، فلمّا نظر الرشيد في تلك الحال قال أكذّبت شاعرك يايزيد، قال فيم ياأمير المؤمنين؟قال في قوله تراه في الأمن..... الخ، فقال يزيدلاوالله ماكذّبته وانّ الدرع عليّ مافارقني وكشف ثيابه فاذا عليه درع، فأمر الرشيد بحمل خمسين ألف دينار الى يزيد وخمسة الآف دينار الى مسلم، ويقال انّه لَما سمع البيت قال مامنتعتني من الطيب باقي عمري فما رأى بعد ذلك ظاهر

الطيَب ولامكتحلا، يقال أنَه كان أعطر الناس في زمانه وكان يقول الله بيني وبين مسلم حرمني أحب الأشياء. ومن لطائف الأشعار قول ابي الحسن التهاميَ يرثي ابنه:

حكـم المنيَـة في البريـة جـاري ... ماهـذه الـدنيا بـدار قـرار
بينـا يـرى الأنـسان فيهـا مخـبراً ... حتَـى يـرى خـبر مـن الأخبـار
طبعـت علـى كـدر وانـت تريـدها ... صـفوا مـن الأقـذار والأكـدار
ومكلَـف الأيَـام ضـدّ طباعهـا ... متطلّـب في المـاء جـذوة نـار
وللعـيش نـوم والمـنيَة يقظـة ... والمـرء بينهـما خيـال سـار
والـنفس أن رضـيت بـذلك أو أبـت ... منقـادة بأزمَـة المقـدار
فاقـضوا مـآربكم عجـالا انمـا ... أعمـاركم سـفر مـن الأسـفار
وتراكـضوا خيـل الـشباب وبـادروا ... ان تـستردَ فـانهنَ عـواري
فالـدهر يـشرق ان سـقى ويعـض ان ... يـبني ويهـدم مـابنى ببـوار
لـيس الزمـان وان حرصـت مـسالماً ... حلـف الزمـان عـداوة الأحـرار
ياكوكبـاً ماكـان أقـصر عمـره ... وكـذا تكـون كواكـب الأسـحار
وهـلال أيَـام مـضى لم يـستبد ... بـدراً ولم يمهـل بوقـت سـرار
عجـل الخـسوف عليـه قبـل أوانـه ... فغطـاه قبـل مظنَـة الأبـدار
وكـأنَ قلـبي قـبره وكأنَـه ... في طيّـه شـرَ مـن الأشـرار
ان يحتقـر صـفوا فـربَ مفخَـم ... يبـدو ضـئيل الـشخص للنظّـار
انَ الكواكـب في علـوَ محلّهـا ... لـترى ضـغاراً وهـي غـير صـغار
ولـدا لمعـزى بعـضه فـاذا أنقـضى ... بعـض الفتـى فالكـلَ في الأدبـار
أبكيـه ثـم أقـول معتـذراً لـه ... زقفـت حيـث تركـت ألـئم دار
جـاورتُ أعـدائي وجـاور ربَـه ... شـتّان بـين جـواره وجـواري
انَـى لأرحـم حاسـديَ لحـرَ مـا ... ضـمَت صـدورهم مـن الأوغـار
نظـروا صـنيع الله بـي فعيـونهم ... في جنَـة وقلـوبهم في نـار
لاذنـب لـي قـد رمـت كـتم فـضايلي ... فكانَمـا برّقعـت وجـه نـار
وسـترتها بتواضـع فتطلّعـت ... أعناقهـا تعلـو علـى الأسـتار

بسط الكلام مع الأحباب مطلوب وعليه جرى قول موسى عليه السلام هي عصاي الآية وهيهنا سؤال وهو أنَ تكليم العبد للربَ سبحانه ميسّر كلَ وقت لكلَ أحد كما في الدعاء ونحوه، وكان

ينبغي لموسى ﵇ ان لايطيل الكلام بل يختصر ويشسكت، ليفوز بسماع الكلام مرّة أخرى فانه أعظم اللّذتين، والجواب أنّ تكليم موسى للحقّ سبحانه في ذلك الوقت ليس من قبيل التكليم الميسر في كلّ وقت، لأنّه جواب عن سؤاله تعالى ومكالمة له سبحانه كما يتكلّم جليس الملك الملك، وفرق بين تكليم الجليس للملك وبين سماع الملك كلام شخص محجوب عن بساط القرب يصيح خارج الباب، وهذا هو الميسّر لكلّ أحد، على أنّ موسى ﵇ لم يكن على يقين من أنّه ان أختصر وسكت فاز بالمخاطبة مرة أخرى، ألا نرى كيف أجمل في قوله: ولي فيها مآرب أُخرى، رجاء أن يسأل من تلك المآرب فيبسط الكلام مرّة أُخرى

وقال شيخنا البهائي ره لايبعد أن يكون ﵇ قد فهم أنّ سؤال الحقّ تعالى له انّما هو لمحض رفع الدهشة عنه، فأخذ يجري في كلامه مظهراً ارتفاع الدهشة، وانّ السؤال انّما هو لتقريره على أنّها كمن يريد تعجيب الحاضرين من قلب النحاس ذهباً فيقول ماهذا؟ فيقولون نحاس فيخرجه لهم ذهباً، فأخذ موسى ﵇ في ذكر خواص العصا تأكيداً للإقرار بانّها عصا، فيكون بسط الكلام هذا أيضاً للإستلذاذ وحده كما هو مشهور. دخل مامة دار المأمون وفيها روح بن عبادة، فقال له روح: المعتزلة حمقى، وذلك أنّهم يزعمون انّ التوبة بأيديهم وانّهم يقدرون عليها متى شاؤا وهم مع ذلك دائما يسألون الله تعالى ان يتوب عليهم، فما معنى مسألتهم ايّاه ماهو بأيديهم؟ والأمر فيه اليهم لولا الحمق؟ فقال ثمامة ألست تزعم أنّ التوبة من الله وهو يطلبها من العباد ليس بأيديهم ولا يجدون اليه سبيلا؟ فأجاب حتّى أجيب وفي التواريخ أنّ معن بن زائدة كان يتصيّد، فعطش ولم يكن في تلك الحال مع غلمانه ماء، فبينما هو كذلك اذ مر به جاريتان من حيّ هناك، في جيد كلّ واحدة قربة من الماء فشرب منهما، وقال لغلمانه هل معكم شيء من نفقتنا؟ فقالوا ليس معنا شيء، فدفع الى كلٍّ من الجاريتين عشرة من سهامه وكان نصالها من ذهب، فقالت أحديهما للأخرى ويحك ماهذه الشمائل الاّ لمعن بن زائدة، فليقل كلّ منّا في ذلك شيئاً، فقالت أحديهما:

يركّب في السهام نصال تبر ... ويرميها العدى كرماً وجودا
فللمرضى علاج من جراح ... وأكفان لمن سكن اللّحودا

وقالت الأخرى:

ومحارب من فرط جود بنائه ... عمّت مكارمه الأقارب والعدى
صنعت نصال سهامه من عسجد ... كي لا يعوّقه القتال عن الندى

ومن الآثار قولهم أنَ سر الحقيقة ممَا لايمكن أن يقال، قال البهائي طاب ثراه له محملان أحدهما أنَه يخالف لظاهر الشريعة في نظر العلماء فلا يمكن قوله، وعلى هذا جرى قول مولانا زين العابدين عليه السلام:

يارب جوهر علم لو أبوح به ... لقيل أنت ممن يعبد الوثنا
ولا ستحلَ رجال مسلمون دمي ... يرون أقبح ما يأتواله حسنا

الثاني انَ العبارات قاصرة عن أدائه غير وافية ببيانه فكلَ عبارة قريبة الى الذهن من وجه بعيدة عنه من وجوه، كلَما أقبل فكري فيك شبراً فرَ ميلاً، وعلى هذا جرى قول بعضهم:

وانَ قميصاً خيط من نسج تسعة ... وعشرين حرفاً عن معاليك قاصر

ومن هذا يظهر أنَ قولهم إفشاء سرَ الربوبيَة كفر: له محملان أيضاً فعلى المحمل الأوَل يراد بالكفر مايقابل الأسلام، وعلى المحمل الثاني يراد بالكفر مايقابل الأظهار اذا الكفر في اللغة الستر، فيكون معنى الكلام انَ كل مايقال في كشف الحقيقة فهو سبب لأخفائها وستر لها في الحقيقة. ومن الأخبار ماروي انَه عشش ورشان في شجرة دار رجل، فلمَا همَت فراخه بالطيران زيَنت له أمرأته أخذها ففعل ذلك مراراً فشكا الورشان الى سليمان عليه السلام وقال يارسول الله أردت أن يكون لي أولاد من بعدي يذكرون الله، فزجر الرجل ثمَ أخذها بأمر أمرأته، فأعاد الورشان الشكوى، فقال لشيطانين اذا رأيتماه يصعد الشجرة فشقَاه نصفين، فلما أراد أن يصعد أعترضه سائل فذهب فأطعمه كسرة من خبز شعير، ثمَ صعد وأخذ الفراخ، فشكا الورشان، فقال لشيطانين فقالا إعترضنا ملكان فأخذا بعنقنا فطرحا في الخافقين. ومن الأخبار اللَطيفة الَتي يروح الخاطر بها عند الملال مارواه السيَد التقيَ ابن طاووس تغمَده الله برحمته في كتابه الأقبال من قوله عليه السلام لو علم الناس ما في زيارة نصف شعبان من الثواب لقامت ذكور رجال على الخشب، وقد كنت ليلة من الليالي نائماً وشيخنا الثقة صاحب كتاب بحار الأنوار جالس يؤلَف، فأيقظني من النوم وقال تفكَر في معنى هذا الحديث وقد كان مطرحاً بينه وبين من حضر من تلامذته، فقلت له معناه أنَ الناس لو عملوا قدر ثواب زيارة مولانا الحسين عليه السلام في نصف شعبان لقامت الرجال الذكور وهو الكاملون من الرجال على أرجل الخشب لو لم يكن لهم أرجل يقدرون بها على التوصل فاستحسنه وقال أنَ السيَد ابن طاووس ذكر غير هذا وهو أنَ معناه لو أنَ الناس علموا ذلك الثواب لتركوا التقية في زيارته عليه السلام حتَى أنَ حكَام الجور يصلبونهم على الخشب فيقومون مصلَبين على الأخشاب، فقلت له هذا معنى لكنَ الأنصاف انَ الأوَل أظهر. ومعنى ثالث ظريف سنح لبعض الأفاضل وكان يستحسنه وهو أنَ الناس لو عملوا ذلك الثواب لقامت ذكورهم على

الخشب يعني لفعلوا الزنا مع كلَ أمرأة حتى أيورتهم تقوم على الخشب لعلمهم بأنَ ثواب تلك الزيارة مكفر لكلَ تلك الذنوب، وهذا معنى بعيد، ومعنى رابع وهو ان يكون هذا كناية عن سرعة المبادرة.ومن الأخبار قول مولانا أمير المؤمنين عليه السلام لو كان الموت يشترى لأشتراه أثنان كريم أبلج، وحريص ملهوف: وهذا يحتمل معاني.أولها انَ الكريم الأبلج انَما يشتري الموت عند تضائق الأمور عليه، وذلك انَ الكريم اذا لم يكن عنده مايعطى خصوصاً وقت السؤال حصل له من الحالات ما يتمنى معها الموت، وامَا الحريص فربَما حصل له شيء من نقصان المال بوجه من الوجوه حتَى صار يتمنَى الموت ولايرى ذلك النقص في دنياه وثانيها انَ الكريم لسخاء نفسه ومبله الى الإعطاء وطلب السائلين منه وإرادة الرفق والبقاء للمسلمين في الدنيا لو كان الموت يشترى لأشتراه ورفعه من بينهم حتَى لايموت أحد ويكون نظام الأعطاء والسؤال على حاله.وامَا البخيل فمن شدَة حرصه على الدنيا لو كان الموت يشترى لأشتراه وجعله تحت قبضته حتَى يميت به من ينازعه في مال الدنيا وأسبابها فتخلوا الدنيا وأسبابها له، وثالثها انَ البخيل من شدَة حرصه وإرادته لجمع كلَ شيء لو كان الموت يشترى لأشتراه وجعله من جملة أمواله وأسبابه ويحتمل معاني اخر • ومن الأخبار قوله عليه السلام انّ الله يكره البخيل في حياته والكريم في مماته، قيل انَ الكراهة في الموضعين منصرفة الى القيد والمراد انَه تعالى يكره حياة البخيل وموت الكريم والأظهر إبقاؤه على ظاهره وانَ المراد انَه سبحانه يكره البخيل في وقت حياته ويكره الكريم في وقت الممات أي الَذي يتكرَم عند موته كما هو الغالب على طباع الناس من انَهم اذا مرضوا ورأوا أمارات الموت بادروا الى الوصايا بالأمور الواجبة الَتي كانوا مصرَين على الأخلال بها مدَة حياتهم، ويجوز ان يراد من الكريم وقت الموت الَذي يكون غرضه الأضرار بالورثة او بعضهم فهو يحتال في إضرارهم بالوصايا الكثيرة وبهبة ماله لبعضهم دون بعض ونحو ذلك، وله معنىً آخر دقيق لكنَه مأخوذ من كلامه عليه السلام في موارد كثيرة وهو ان يكون المراد أنَه يبغض الَذي يبخل في الحياة ويريدها ويرجحها على غيره من الموت وما بعده، وكذلك الكريم الَذي يريد الموت ويتكرَم بنفسه على الموت بل الَذي ينبغي ان يكون حال المؤمن عليه انَه لايريد الاَ ما أراده الله تعالى له، ففي مدة الحياة يحبَها واذا جاء الموت حبَه ايضاً، كما كان مولانا أمير المؤمنين عليه السلام يتمدَح به وهو المعنى العالي المراد من قوله عليه السلام في دعاء التوجَه ومحياي ومماتي لله ربَ العالمين، يعني به كما تقدَم انَ حياتي وموتي لله تعالى فلا أرحج منهما الاَ مار حجَه لي سبحانه وتعالى وقرَ به اليَ.ومنه مارواه في الكافي مسند الى ابي عبد الله عليه السلام فقال والله لو علم ابو ذر ما في قلب سلمان لقتله، ولقد آخا رسول الله صلى الله عليه وآله بينهما فما ظنَكم بساير الخلق، انَ علم العلماء صعب مستصعب لايحتمله الاَ نبيَ مرسل او ملك مقرَب او عبد مؤمن امتحن الله قلبه للأيمان، فقال وانَما صار سلمان من العلماء

لأنه امرء منّا أهل البيت، فلذلك نسبته الى العلماء، والأشكال انّما هو في قوله لقتله وهو يحتمل لمعان: اولها انّ الله تعالى قد أعطى سلمان من العلم مالم يعطه اباذر وكان سلمان يتّقي اباذر في أظهار علمه ولو ظهر له لقال انه ساحر لأنه ليس بنبيّ ولاوصي نبيّ، وقوله عليه السلام انّ علم العلماء اه لبيان انّ سلمان رضي الله عنه كان يحتمل ذلك وثانيها انّ ضمير الفاعل راجع الى العلم وضمير المفعول راجع الى ابي ذر ومعناه انّ اباذر لو أعطى علم سلمان لما طاق تحمّله بل كان العلم قاتلاً له وثالثها انّ اباذر لو علم كلّ ماعلمه سلمان لم يمكنه كتمانه فاذا أظهره قتله الناس لعدم فهمهم لمعانيه كما اتّفق ذلك في كثير من خواص الأئمّة عليهم السلام كمحمّد بن سنان وجابر الجعفيّ ممّن أتّهمهم أهل الرجال بالغلوّ وأرتفاع القول وذلك لأنّ الأئمّة عليهم السلام ألقوا اليهم من أسرار علومهم مالم يحدّثوا به غيرهم من الشيعة فاستغرب الشيعة تلك الأخبار لعدم موافقة غيرهم لهم على روايتها فطعنوا عليهم بهذا السبب وهذا السبب هو سبب رفعتهم وعلوّ درجاتهم عند مواليهم فما فيه الجرح هو الذي فيه المدح، وقد حققنا هذا المقام في شرحنا على الأستبصار ويؤيد المعنى الأوّل ماورد في حديث آخر من قوله عليه السلام لو علم ابوذر مافي قلب سلمان لقال رحم الله قاتل سلمان.ومن الأخبار مارواه شيخنا الكليني طاب ثراه عن الصادق عليه السلام قال أسلم ابو طالب بحساب الجمل وعقد بيده ثلاثاً وستّين، وهذا الحديث من مشكلات الأخبار وقد ورد تفسيران في خبرين: الأوّل مارواه صاحب كتاب الخرائج والجرائح عن الداودي قال كنت عند ابي القاسم بن روح فسأله رجل مامعنى قول العبّاس للنبيّ صلى الله عليه وآله انّ عمّك اباطالب قد اسلم بحساب الجم وعقد بيده ثلاثاً وستّين؟فقال عنى إله أحد جواد، وتفسير ذلك انّ الألف واحد واللاّم ثلثون، والهاء خمسة والألف واحد والحاء ثمانية، والدال أربعة، والجيم ثلاثة، والواو ستّة، والألف واحد، والدال أربعة فذلك ثلاثة وستّون، ومثله في كتاب الغيبة ومعاني الأخبار للصدوق طاب ثراه.الثاني مارواه ابن شهر آشوب في كتاب المناقب مسنداً الى قتادة في حديث طويل قال فيه لَما حضرت أبا طالب الوفاة دعى برسول الله صلى الله عليه وآله وبكى، وقال يامحمّد انّي أخرج من الدنيا ومالي غمّ الاّ غمّك، الى ان قال صلى الله عليه وآله ياعمّ انّك تخاف عليّ أذى أعادي ولاتخاف على نفسك غداً عذاب ربّي، فضحك ابو طالب وقال يامحمّد:

دعوتني وزعمت أنّك ناصحي ... ولقد صدقت وكنت قدماً أمينا

وعقد على ثلاث وستّين عقد الخنصر والبنصر والأبهام على أصبعه الوسطى وأشار بأصبعه المسبحة يقول لااله الا الله، وقال فيه شيخنا البهائي تغمده الله برحمته معنىً ثالث وهو انه أشار بحساب العقود الى كلمة سبّح من التسبيحة وهي(هو) التغطية أي غطّ واستر فانّه من النفائس والأسرار، وقيل معناه انّه اسلم بثلاث وستّين لغة كما روى عن الصادق عليه السلام قال انّ ابا طالب

أسلم بحساب الجمل قال بكلّ لسان.ومن الأخبار مارواه الكليني قدّس الله روحه عن المفضّل بن عمر عن الصادق عليه السلام قال بين المرء والحكمة نعمة العالم والجاهل شقيّ بينهما، وهذا الخبر ايضاً من مشكلات الأحاديث، وله وجوه أولها انّ النعمة بكسر النون منوّنا المراد به العقل الّذي يوصل العالم الى العمل بعلمه ويطلعه على الأسرار، ويوصل الجاهل الى التعلّم والأخذ من العالم الربّاني، والضمير راجع الى الحكمة والنعمة، والعالم شقيّ لتركه العمل والجاهل شقيّ لتركه العلم، وثانيها أنّ النعمة منوّن والعالم بيان لنعمة او بالأضافة وهي أمّا لاميّة او بيانيَة، والمراد ارشاده وهدايته، الجاهل شقيّ بينهما بين الحكمة ونعمة العالم، او بين المرء والحكمة، وثالثها ان يكون المراد انّ المرء من أوّل عقله وتمييزه الى بلوغه حدّ الحكمة متنعم بنعمة العلم والجاهل من أوّل عمره الى منتهاه شقيّ محروم، ورابعها انّ النعمة بفتح النون المراد به التنعّم، ومعناه انّ التنعّم يمنع المرء من تحصيل الحكمة وهي العمل بما يعلم، والعالم والجاهل كلاهما شقيٌّ بين التنعّم والحكمة، امّا العالم فشقيٌّ بسبب تنعّمه عن العمل بما يقتضي عمله، والجاهل شقيٌّ بسبب التنعّم عن تحصيل العلم.وخامسها ما فهمه المحقّق الداماد ره حيث قال أي بين المرء والعلم نعمة هي العالم لكونه السبب الموصل ايّاه اليه، والجاهل العادم العقل ذو القوّة الجاهليّة شقيٌّ بين العالم والعلم خائب ضائع السعي غير نائل ايّاه، ولو أراد العالم ايصاله اليه لشقائه الفطري وشقاوته الذاتية ونعمة يحتمل الأضافة البيانيّة والتنوين التمكّني التنكيري على ان يكون العالم بيانا لها ومعيناً ايّاها.وسادسها انّ قوله بين المرء والحكمة نعمة جملة، وقوله العالم اه جملة اخرى، والنعمة ما يتنعّم به، والشقا بمعنى التعب مثل قوله تعالى{ ماأنزلنا عليك القرآن لتشقى}أي لتتعب، فالعلم تعبان على تحصيل العلم، والجاهل على فوات العلم عنه وعدم الوصول اليه بسهولة، وانّ العالم يميل الى الحكمة لكنّه من جهة الحرمان عن النعمة في ألم، والجاهل يميل الى النعمة وهو من الحرمان من الحكمة في تعب وكلفة، وقد قيل فيه وجوه أخرى تركناها حذرا من التطويا.ومن الأخبار المشكلة مارواه الشيخ ره في الصحيح عن سعيد الأعرج قال سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول صلّى رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ سلّم في ركعتين فسأله من خلفه يارسول الله أحدث في الصلاة شيء؟ قال وما ذاك؟ قالوا انّما صلّيت ركعتين، فقال أكذلك ياذا اليدين؟ وكان يدعى ذا الشمالين، فقال نعم، فبنى على صلاته فأتم الصلاة أربعاً، وقال انّ الله عزّ وجلّ هو الّذي أنساه رحمة للأمّة، الا ترى لو انّ رجلاً صنع هذا لعير وقال ما تقبّل صلاتك فمن دخل عليه اليوم ذلك قال قد سنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وصارت أسوة وسجد سجدتين لمكان الكلام.اقول هذا الخبر قد وقع فيه التشاجر والنزاع وهو المعركة العظمى بين الصدوق ره وبين أكثر علمائنا رضوان الله عليهم فانّهم نفوه رأساً وطرحوا الأخبار الدالّة عليه وبالغوا التشنيع عليه، فممّن شنّع عليه من المتأخرين

شينا المحقق الشيخ بهاء الدين نوّر الله مرقده، وقال في جملة كلامه انَ نسبة السهو الى ابن بابويه أولى من نسبتها اليه ﷺ، وقال أيضاً عند قول ابن بابويه وان وفّقنا الله صنّفنا كتاباً في كيفيّة سهو النبيَ ﷺ: الحمد لله الّذي لم يوفّقه لتصنيف ذلك الكتاب.وامّا المتقدمون فمنهم سيّدنا الأجلّ المرتضى قدّس الله روحه فانّه قال بعدما حكى كلام الصدوق ره: إعلم أنَ الّذي حكيت عمّا حكيت ممّا قد أثبتناه قد تكلّف ماليس من شأنه فأبدى بذلك عن نقصه في العلم وعجزه، ولو كان ممّن وفق لرشده لما تعرض لما لايحسنه ولاهو من صناعته، ولايهتدي الى معرفته لكنّ الهوى مرد لصاحبه نعوذ بالله من سلب التوفيق ونسأله العصمة من الظلال، ونستهديه في سلوك نهج الحق وواضح الطريق، وقال بعد نقله خبر ذي اليدين انّ هذا الخبر من الأخبار الأحاد الّتي لاتثمر علما ولاتوجب عملاً، ومن عمل على شيء منها فعلى الظنّ يعتمد في عمله بها دون اليقين وقد نهى الله تعالى عن أتّباع الظنّ، وقال بعد كلام طويل ولسنا ننكر ان يغلب النوم الأنبياء ﷺ في أوقات الصلاة حتّى تخرج فيقضونها بعد ذلك وليس عليهم في ذلك عيب ولانقص لأنّه ليس ينفكّ بشر من غلبة النوم ولأنَ النائم لاعيب عليه، وليس كذلك السهو لأنّه نقص عن الكمال في الأنسان وهو عيب يختص به من أعتراه، وقد يكون من فعل الساهي تارة كما يكون من فعل غيره والنوم لايكون الاّ من فعل الله تعالى، فليس من مقدور العباد على حالة ولو كان من مقدورهم لايتعلّق به نقص وعيب لصاحبه لعمومه جميع البشر وليس كذلك السهو، لأنه يمكن التحرّز منه، ولأنّا وجدنا الحكماء يجتنبون ان يودعوا أموالهم وأسرارهم ذوي السهو والنسيان ولايمنعون من إيداعه من تعتريه الأمراض والأسقام، ووجدنا الفقهاء يطرحون مايرويه ذوو السهو من الحديث الاّ أن يشركهم فيه غيرهم من ذوي اليقظة والفطنة والذّكاء والحذاقة، فعلم فرق مابين السهو والنوم بما ذكرنا، ولو جاز ان يسهو في الصلاة لجاز أن يسهو في الصيام حتّى يأكل ويشرب نهاراً في شهر رمضان بين أصحابه وهم يشاهدونه ويستدركون عليه الغلط وينبهّونه عليه بالتوقيف على ماجناه، وأجاز أن يجامع النساء في شهر رمضان نهاراً ثمّ ذكر من هذا الباب أمور كثيرة وقال أنَ هذا ما(ممّا) لايذهب اليه مسلم ولاغال ولاموحّد ولايجيزه ملحد وهو لازم لمن حكيت عنه فيما أفتى به من سهو النبيّ ﷺ ودلّ على ضعف عقله وسوء أختياره وفساد تخيّله.وقال ثمّ العجب حكمه بأنّ سهو النبيّ ﷺ وسهو من سواه من أمّته كافّة البشر من غيرها من الشيطان بغير علم فيما أدّعاه ولاحجّة ولاشبهة يتعلّق بها أحد من العقلاء اللّهمّ الاّ ان يدّعي الوحي في ذلك ويتبيّن به ضعف عقله لكافّة الألباء ثمّ العجب من قوله انّ سهو النبيّ ﷺ من الله دونَ الشيطان لأنه ليس للشيطان على النبيّ ﷺ سلطان وانّما زعم انّ سلطانه على الذين يتولّونه والّذين هم به مشركون وعلى من أتّبعه من الغاوين، ثمّ هو يقول انّ هذا السهو الّذي من الشيطان يعمّ جميع البشر سوى الأنبياء

والأئمة عليهم السلام ، فكلهم أولياء الشيطان وأنهم غاوون اذا كان الشيطان عليهم سلطان وكان سهوهم منه دون الرحمن، ومن لم يتيقّظ لجهله في هذا الباب كان في عداد الأموات انتهى كلام المرتضى ره.والحقَ انَ الأخبار قد أستفاضت في الدلالة على ماذهب اليه الصدوق، وكأنه الأقوى وقد أشبعنا الكلام والأستدلال على هذا المطلب الجليل في شرحنا على تهذيب الحديث ولكن حيث ذكرناه هنا فلا بأس بالأشارة الى نبذة مّا هناك، فنقول أمّا تشنيع شيخنا البهائي ره فهو من جملة مطايباته وظرائفه وتحقيق الوجه ما سيأتي. وأمّا علم الهدى طاب ثراه فهو وان بالغ في التشنيع ولكنَه ليس من عدم علمه بجلالة الصدوق او انه يعتقد ويعلم انَ ماقاله في شأنه هو الواقع، نعم قد ذهب علماؤنا رضوان الله عليهم الى تغليط بعضهم بعضاً في مسائل الأجتهاد، ومن ذهب منهم الى حكم من الأحكام تكلَم عليه مخالفوه وطعنوا فيه وجرحوه ونسبوه الى التخبّط في العقل والفتوى حتَى لايتابعه أحد في تلك الحكم ويرون مثله واجباً: وقد استثنوه من مسائل الغيبة وادخلوه في الجائز منها، مع انّ هذه المسألة مسألة أصوليّة فكيف لايطعنون على المخالف لهم، فيها والاّ فالمرتضى ومن شاركه في التشنيع كشيخنا المفيد أعلى الله مقامه قد أعتمدوا على الصدوق ره في الأخبار والأحكام ونقلوها عنه وأعتمدوا على نقله، فكيف يقبلونها منه وينسبونه الى الخروج عن الدين؟ فليس الوجه فيه الاّ ماذكرناه، وقد شاهد مثل هذا من أوثق مشايخنا واورعهم وأتقاهم وأبعدهم من الأغراض والمنافسات.وامّا قوله ره انّ هذا خبر آحاد لايوجب علماً ولاعملاً فالجواب عنه أمّا أولاً فلان مدار أثبات الأحكام في هذه الأعصار وما سبقها عليه، وذلك انَ المرتضى ره كان قريب العهد بأعصار أجداده الطاهرين وكانت الأصول الأربعمائة والكتب الخمسة آلاف كلّها موجودة عنده، وكان بينه وبين الأمام موسى بن جعفر عليهما السلام مثل مابين مولانا صاحب الزمان عليه السلام وبين الأمام موسى عليه السلام من الآباء، وقد كان متمكّناً من معرفة الأحاد والتواتر وبقيت الكتب والأصول على هذا الحال الى زمن ابن أدريس ره فلمّا كان زمانه حصل الضياع في الأصول والكتب بأسباب مختلفة، منها أنّ بعضها دخل خزائن الملوك فلم يخرج منها، ومنها أنّ بعض سلاطين الجور وأئمّتهم أحرقوا بعضها، ومنها أنّ الشيعة لّما رأوا هذه الأصول الأربعة مدوّنة وهي مرتبة وأسهل تناولاً من تلك الأصول والكتب أهملو أستعمالها ونسخها الباعث لأستمرارها حتّى انتهى الحال الينا فلم نجد في هذا العصر الاّ ثلاثين اصلاً تقريباً، فصار الأعتماد كلّه على أخبار الأحاد، وقد قبلنا خبر السكوني والنوفلي وأضرابهما.وامّا ثانياً فلأن حكاية سهو النبيّ صلى الله عليه وآله قد روى بما يقارب عشرين سنداً وفيها مبالغة وأنكار على من أنكره كما روى عن ابي الصلت الهروي قال قلت للرضا عليه السلام ياابن رسول الله انّ في سواد الكوفة قوماً يزعمون انّ النبيّ صلى الله عليه وآله لم يقع عليه السهو في صلاته، قال كذبوا لعنهم الله انّ الّذي لايسهو هو الله

الَذي لااله الا هو، وبالجملة فهذا المضمون مرويَ بالطرق الصحيحة والحسان والموثقات والمجاهيل والضعاف فأنكاره مشكل.

وامَا قوله ره ولسنا ننكر أن يغلب النوم آه فيرد عليه أنَه اذا أعترف بهذا لزمه ان يعترف بالمتنازع فيه أمَا من النقل فلأنَ الأخبار الدَالة على حكاية السهو أكثر من الأخبار الدَالة على حكاية النوم وقضاء الصلوات، وامَا من جهة العقل فلأنَ نفيه النقص عن غلبة النوم وأثباتها للسهو خلاف طور العقل والعادة فأنَه كما يمكن التحرز من النوم الكثير المفضي الى قضاء الصلاة بل هو هيهنا أمكن، فأنَ الأماكن الَتي يظنَ الأنسان فيها غلبة النوم في وقت الصلاة كشدَة التعب او السهر الى آخر الليل او نحو ذلك يمكنه ان يقعد انساناً يوقظه ذلك الوقت كالنبيَ ﷺ فأنَه كان كثير الأعوان والجنود لما نام بذلك الوادي أحتاج فيه الى قضاء الصلاة بخلاف السهو فانَه ليس له وقت خاص يتمكَن الأنسان من التحرَز فيه، وهذا ظاهر غير خفيّ، مع أنَ كلام الصدوق ره تابع للأخبار في كون الَذي أسهاه هو الله تعالى وحينئذ فلا فرق بين النوم والسهو في أنَهما فعله سبحانه وتعالى فعلهما في نبيَه في موارد خاصَة.وامَا قوله ره لأنَا وجدنا الحكماء اه فالجواب عنه أنَ الحكماء انَما يجتنبون ايداع من كثر سهوه وكذلك الفقهاء انَما يجتنبون رواية من غلب عليه السهو لامن سهى في مورد خاص، وقد كان الباعث له على السهو في ذلك المورد ذلك الحكيم الَذي أودعه، وقوله طاب ثراه ولو جاز أن يسهواه الجواب عنه انَ تجويز السهو عليه في الصوم وفيما ذكرت من الأمثلة ان كان رحمة للأمَة جوَزناه عليه لكنَه جائز غير واقع، وان لم يكن رحمة للأمَة مع أشتماله على نوع نقص فلا نجوزه خصوصاً في تبليغ الأحكام فانَ السهو فيها ظاهر النقص وهو أرتفاع الوثوق بوعده ووعيده.وامَا قوله ثمَ العجب اه فلا عجب فيه بعد وروده في الأخبار الصحيحة وحاشا الصدوق من ان يتجرَى على هذا الخطب الجليل من غير مدرك يعتمد عليه، وامَا تعجَبه الأخير فلا يخفى مافيه وذلك لأنَ الصدوق ره أراد أقتباس الآية او هو خبرنقل لفظه من غير إرادة منه لتفسير معنى التولي ومعناه إطاعة الشيطان فيما يلقيه من الوساوس ومن ذا الَذي يخلو من هذا سوى المعصومين ﷺ، وامَا الَذين هم به مشركون والغاوون فهم فرق أخرى غير المؤمنين، فكأنَه قال انَ سلطان الشيطان على المؤمنين وعلى غيرهم، أمَا المؤمنون فبالقائه الوساوس ونحوها، وامَا غيرهم فهو الإخراج من النور الى الظلمات، مع أنَا لانوافق الصدوق الاَ فيما نطق به النص الصحيح وهو إسهاؤه سبحانه له في خصوص الصلاة اذا عرفت هذا.فاعلم أنَ الذي حدى الأصحاب رضوان الله عليهم على إنكاره هو ثلاثة أمور: الأوَل الأجماع الَذي نقلوه، الثاني قولهم اذا تعارض العقل والنقل قدَم العقل وأوَل النقل أن أسكن والاَ طرح، الثالث ماروواه شيخ الطائفة تغمَده الله برحمته بإسناده الى ابن بكير عن زرارة قال سألت ابا جعفر ﷺ

هل سجد رسول الله ﷺ سجدتي السهو قطّ؟ قال لا ولا يسجدهما فقيه، والجواب أمّا عن الأوّل فهو ممنوع، وذلك انّ الصدوق وشيخه محمّد بن الحسن بن الوليد قد خالفاه صريحاً وظاهر كثير من المحدّثين الذهاب اليه حيث أنّهم نقلوا الأخبار الواردة في شأن السهو من غير تعرّض منهم لردّها فيكون كالموافقة السكوتيّة منهم، واما المعاصرون في هذه الأوقات فقد ذهب منهم المحقّق الكاشي وبعض مجتهدي العراق اليه، وأمّا الثاني فقد تقدّم القول فيه وانّ الدليل العقلي لايقدّم مطلقاً بل يقدّم اذا تأيّد بالنقل فيكون من باب تعارض النقلين في الحقيقة، والاّ فالدلائل العقليّة غير تامّة في أنفسها فضلاً عن أثبات الأحكام الشرعية بها.وأمّا عن الثالث فبأنّ راويه ابن بكير وحاله مشهورة فهو لايعارض الأخبار الصحيحة مع أنّ القول بظاهره خلاف الوجدان مع أنّ التأويل جارٍ فيه بأن يكون المراد أنّه لم يسجدهما كغيره في الكثير او الأنتهاء الى وساوس الشيطان فانّ ذلك أسهاء من الرحمن فتأمّل في هذا المقام راكباً جواد المرام ومن الأخبار ماروى النبيّ ﷺ انه قال: قال الله تعالى انّي وضعت خمسة أشياء في خمسة والناس يطلبونها في خمسة أخرى فمتى يجدونها، انّي وضعت العزّ في طاعتي والناس يطلبونه من أبواب السلاطين فمتى يجدون؟ ووضعت العلم والحكمة في الجوع والناس يطلبونه في الشبع فمتى يجدونه؟ووضعت الراحة في الجنّة والناس يطلبونها في الدنيا فمتى يجدوها؟ ووضعت الغنى في القناعة والناس يطلبونه بجمع المال فمتى يجدونه؟ ووضعت رضاي في مخالفة الهوى والناس يطلبونه في الهوى فلم يجدوه.ومن الأخبار الرافعة للملال مارواه الصدوق ره بأسناده الى الصادق عليه السلام قال انّ الله تبارك وتعالى اوحى الى موسى بن عمران عليه السلام ان أخرج عظام يوسف من مصر ووعده طلوع القمر وأبطأ طلوع القمر عليه الحديث، والأشكال الوارد على هذا الحديث انّه مناف بظاهره لما روى من انّ الأنبياء وأوصيائهم لايبقون في قبورهم فوق ثلاثة ايام بل يرفعهم الله تعالى الى جناب قربه فكيف بقيت عظام الصديق عليه السلام الى زمن موسى عليه السلام؟ والجواب أنّه يجوز ان يكون رفعه الله تعالى اليه ثمّ أنزله بعد لمصلحة خاصّة تجري على يدي موسى عليه السلام مثل حكاية العجوز دلّته على العظام ونحوها، وقد أستدلّ بعض العلماء من هذا الحديث على جواز نقل الموتى وعظامهم الى المشاهد والأماكن الشريفة والأعتراض عليه من وجوه.أولها انّ هذا شرع من قبلنا وهو غير حجّة علينا، وثانيها انّ المرويّ انّ عظام الصديق عليه السلام قد كانت في صندوق مرمر في شطّ النيل بأعتبار انّ الماء أخذ الجرف الّذي دفن فيه، وحرمة المؤمن حيّاً كحرمته ميّتاً وأبقاؤه في الماء خلاف حرمته فمن ثمّ أمر بنقل عظامه.وثالثها أنّ أحكام الأنبياء لايستلزم جوازها كلّها في غيرهم من الأمّة فلعلّ هذا وامثاله من ذلك، على انّا روينا من بعض الكتب المشهورة أنّ الصديق عليه السلام أوصى عند موته بأن يحمل تابوته الى وطنه وهو أرض كنعان، فلمّا مات منع أهل مصر أولياء يوسف عليه السلام من نقله وقصدوا التبرك

به، فبقى في مصر الى زمان موسى عليه السلام، فلعلّ أمره سبحانه له بحمل تلك العظام مبنيٌ على وصيّة الصديق عليه السلام كما أنَ الأسكندر ره لمّا مات أوصى بأن يحمل نعشه الى بلاد الروم لأنّها بلاده وموطنه، ومن الأيمان حبُ الأوطانحومن ثمَ ذهب جماعة من الأصحاب الى التفصيل وهو أنَ الميَت ان أوصى بالنقل الى أحد الأماكن الشريفة جاز والاّ فلا يجوز، مع أنّا لم نرو حديثاً يدلّ على جواز النقل، لكنَ الشيخ ره أشار في كتاب المصباح الى أنّه وجد رواية تدل على النقل الى تلك البقاع المشرّفة، والقول ماقاله حذام، لكن بقي الكلام في أنَ ذلك الحديث الّذي أشار اليه لو نقل الينا لأطلعنا على موضع الدلالة وكيفيّتها لأنَ الأنظار مختلفة، ومن ثمَ جاء الأختلاف في مسائل الأجتهاد(المسائل الأجتهادية خ ل)كما لايخفى اذا عرفت هذا: فأعلم أنّ نقل الموتى مناف للأخبار الواردة بتعجيل حمل الميّت الى قبره.روى الصدوق طاب ثراه أنّه قال رسول الله صلى الله عليه وآله لاألفينَ منكم رجلاً مات له ميّت ليلاً فانتظر به الصبح ولارجلاً مات له ميّت نهاراً فانتظر به الليل، لاتنتظروا بموتاكم طلوع الشمس ولاغروبها عجّلوا بهم الى مضاجعهم يرحمكم الله، فقال الناس وانت يارسول الله يرحمك الله وقد روى هذا المضمون في أخبار أُخرى.مع أنَ النقل يحصل منه في الغالب المثلة في الميَت ونتن الرائحة وتأذّى الناس منه وربّما أنتشر لحمه في الطريق وسال منه الدم والصديد وهذا مناف للحرمة المأمور بأمتثالها، حتّى أنّه ورد أنَ غاسله ينبغي أن يلين مفاصله برفق ولايجعله بين رجليه وغير ذلك من الأمور المنافية لأداء حق حرمته.وأمّا نقل العظام فهي أسوء حالاً وأشنع فعلاً في إستلزامها هتك الحرمة مع أمر زائد وهو نبش القبر الّذي لم يرد له نصّ ولاخبر، فاذن الأولى دفن الميّت في بلده والملائكة الذين ينقلون الموتى نقلهم له خير من نقل أهله له والله العالم بحقائق الأمور.ومن الأخبار ماروي أنّه رأى عبد الله بن جعفر يماكس في درهم فقيل أتماكس في درهم وأنت الّذي تجود بما تجود؟ فقال نعم ذاك مالي جدت به وهذا عقلي بخلت به، منها مارواه صاحب كتاب قرب الأسناد عن أمير المؤمنين عليه السلام في قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان قال من السماء وماء البحر فاذا أمطرت السماء فتحت الأصداف أفواهها فيقع فيها من ماء المطر فتخلق اللؤلؤة الصغيرة من القطرة الصغيرة واللؤلؤة الكبيرة من القطرة الكبيرة.ومن الأخبار مارواه الشيخ طاب ثراه بسند صحيح عن الصادق عليه السلام قال لاينقض الوضوء الاّ حدث والنوم حدث.وقد تكلم الفقهاء رضوان الله عليهم في هذا الحديث كلاماً طويلاً كثيراً وبعضهم حاول إرجاعه الى أحد الأشكال الأربعة، وأعترض من بعده عليه وبعضهم قال انّه ينتج وان لم يكن على هيئة واحد من الأشكالات الأربعة كما تقول زيد مقتول بالسيف والسيف آلة حديديّة، فقد أنتج الصحيح وليس على هيئة واحد منها، والّذي ظهر لنا انّ الأمام عليه السلام ماكان غرضه من القاء مثل هذه الأحكام الى عامّة الشيعة الاّ ايصالها الى أفهامهم واين لهم بمعرفة

الأشكالات المنطقيّة والبحث عن شرائطها؟ بل مراده عليه السلام الردّ على الجمهور في كلا جزئي الحديث، امّا قوله عليه السلام لاينقض الوضوء الاّ حدث فهو الردّ على ابي حنيفة وأضرابه ممّن قال بأنّ الرعاف ينقض الوضوء وكذا أكل مامسته النار، وكذا التقبيل ولمس المرأة ونحوه ممّا ليس بحدث وامّا قوله عليه السلام والنوم حدث فهو للردّ ايضاً على جماعات منهم حيث قالوا انّ النوم في نفسه ليس بحدث ناقض وانّما هو ناقض باعتبار انّه مظنّة خروج الحدث، فانّ النائم لايعلم بما يخرج منه، فلو نام وهو جالس وملصق مقعده بالأرض ومحترز من خروج الحدث على الوجه الأكمل لم ينقض وضوئه بذلك النوم.والى هذا مال بعض أصحابنا وربما دل عليه بعض الأخبار وهي محمولة على التقية.ومنها ماروى انّ في كلام بعض الأنبياء صلوات الله عليهم انّ آدم لّما هبط الى الدنيا وطلب الغذاء أحتاج اى ألف عمل حتّى خبز الخبز وزاد واحداً على الألف وهو ان يبرّده ثمّ يأكله، ومن الأخبار المروحة للخاطر مارواه الصدوق مارواه الصدوق قدّس الله روحه باسناده الى ابي عبد الرحمن قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام انّي ربّما حزنت فلا أعرف في أهل ولامال ولا ولد، وربّما فرحت فلا أعرف في أهل ولامال ولاولد، قال ليس من أحد الاّ ومعه ملك وشيطان فاذا كان فرحه كان دنو الملك منه.واذا كان حزنه كان دنوّ الشيطان منه وذلك قول الله تبارك وتعالى{الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً والله واسع عليم}، أقول هذا الخبر روى هكذا في سبب الفرح والحزن من غير سبب معروف، وروى في خبر انّ السبب فيه دخول السرور على أهل البيت عليهم السلام ودخول الحزن عليهم، فانّ الشيعة لكون طينتهم من طينة أهل البيت صاروا يفرحون بفرحهم يحزنون بحزنهم من حيث لايشعرون، وفي خبر آخر انّ السبب فيه هو كون الأنسان له أصدقاء وأحبّاء وهم متفرقون في البلدان فربّما حصل لبعضهم فرح فتحسّ النفس به فتفرح من حيث لايشعر الأنسان بسببه ظاهراً وكذا في جانب الحزن .ولاتنافي بين هذه الأخبار لأنّها علامات ومعرفات وقد يكون للشيء الواحد أسباب مختلفة.ومن الأخبار مارواه الصدوق أيضاًى باسناده الى الباقر عليه السلام قال ماأنزل الله تبارك وتعالى كتاباً ولاوحياً الاّ بالعربية فكان يقع في مسامع الأنبياء عليهم السلام بألسنة قومهم، وكان يقع في مسامع نبيّاً صلى الله عليه وآله بالعربيّة، فاذا كلّم به قومه كلّمهم بالعربيّة فيقع في مسامعهم بلسانهم وما كان أحد يخاطب رسول الله صلى الله عليه وآله بايّ لسان خاطبه الاّ وقع في مسامعه بالعربيّة كلّ ذلك يترجم جبرئيل عليه السلام تشريفاً من الله عزّ وجلّ له.ومن الأخبار ماروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال اذا أشتد الحر فابردوا بالصلاة فانّ الحرّ من قيح جهنّم، واشتكت النار الى ربّها فاذن لها في نفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف، فشدّة ما تجدون من الحرّ من قيحها وما تجدون من البرد زمهريرها.ومن الأخبار ماروى عن الأمام ابي عبد الله الصادق عليه السلام انّه قال من عرف الفصل من الوصل والحركة من السكون فقد بلغ القرار في

التوحيد، ويروى في المعرفة وقال شيخنا في الكشكول المراد بالحركة السلوك وبالسكون القرارة في عين أحديَة الذات وقد يعبّر بالوصل عن فناء العبد بأوصافه في أوصاف الحقَ، وهو التحقق بأسمائه تعالى المعبّر عنه بأحصاء الأسماء كما قال ﷺ ومن أحصاها دخل الجنَة.ومن الأخبار المروَحة للخاطر مارواه الكليني تغمده الله برحمته بسنده الى محمّد بن مسلم قال دخلت على ابي عبد الله عليه السلام وعنده ابو حنيفة فقلت له جعلت فداك رأيت رؤيا عجيبة، فقال لي يا ابن مسلم هاتها فإنَ العالم بها جالس وأومى بيده الى ابى حنيفة قال قلت رأيت كأنّي دخلت داري واذا أهلي خرجت عليَ فكسرت جوزاً كثيرة ونثرته عليَ فتعجّبت من هذه الرؤيا، فقال ابو حنيفة انت رجل تخاصم وتجادل لئاماً(ايّاماخ) في مواريث أهلك فبعد نصب(تعب ظ) شديد تنال حاجتك منهم ان شاء الله تعالى.فقال ابو عبد الله عليه السلام أصبت والله يا أباحنيفة، قال ثمَ خرج ابو حنيفة من عنده فقلت جعلت فداك انّي كرهت تعبير هذا الناصب، فقال ياابن مسلم لايسوئك الله فما يواطى تعبيرهم تعبيرنا ولاتعبيرنا تعبيرهم وليس التعبير كما عبّره، قال قلت جعلت فداك فقولك أصبت والله وتحلف عليه وهو مخطىء؟ قال نعم حلفت عليه أنّه أصاب الخطأ، قال فقلت له فما تأويلها؟فقال يا ابن مسلم انّك تتمتّع بأمرأة نتعلم بها أملك فتخرق عليك ثياباً جدداً فانَ القشر كسوة اللّب، قال ابن مسلم فوالله ماكان بين تعبيره وتصحيح الرؤيا الاَ صبيحة الجمعة، فلما كان غداة الجمعة انا جالس بالباب اذ مرّت بي جارية فأعجبتني، فأمرت غلامي فردها ثمَ أدخلها داري فتمتعت بها فاحسّت بي وبها اهلي فدخلت علينا البيت فبادرت الجارية نحو الباب وبقيت أنا، فمزقت عليَ ثياباً كنت ألبسها في الأعياد.وروى أيضاً أنه جاء موسى العطار الى ابي عبد الله عليه السلام فقال له ياابن رسول الله رأيت رؤيا هالتني رأيت صهراً لي ميّتا قد عانقني وقد خفت ان يكون الأجل قد أقترب فقال: ياموسى توقّع الموت صباحاً ومساءً فانّه ملاقينا، ومعانقة الأموات للأحياء أطول لأعمارهم، فما كان أسم صهرك؟ قال: حسين فقال: عليه السلام أمّا أنَ رؤياك تدلّ على بقائك وزيارتك أباعبد الله الحسين عليه السلام، فانّ كلّ من عانق سمي الحسين عليه السلام يزوره ان شاء الله تعالى، أقول هذان الخبران وما روى في معناهما يدلان على تعبير الرؤيا، وفي هذا المقام تحقيقات ذكرناها في شرحنا على الأستبصار ويزيد الأشارة هنا الى بعضها وهي أمور:

الأوَل في سبب الرؤيا ويكون بعضها صادقاًوالآخر كاذباً وكلّ طائفة ذهب الى قول، امّا الحكماء فقد بنوا ذلك على أصلهم من أنطباع صور الجزئيات في النفوس الفلكيو وصور الكليات في العقول المجرّدة وقالوا انّ النفس حالة النوم قد تتّصل بتلك المبادي الغالية فيحصل لها بعض الصور المخزونة في الخيال ببعض، فهذه هي الرؤيا الكاذبة، وقد أطالوا الكلام في تفصيل هذا،

وحيث أنَ هذا الأصل الذي هو العقول ونفوس الأفلاك منفيَ بالشرع فلا فائدة في نقل ذلك الكلام.

وامَا أهل السنَة من المخالفين فقال المازري منهم في شرح قول النبيَ ﷺ الرؤيا من الله والحلم من الشيطان مذهب أهل السنَة في حقيقة الرؤيا انَ الله تعالى يخلق في قلب النائم اعتقادات كما يخلقها في قلب اليقظان، وهو سبحانه وتعالى يفعل مايشاء لايمنعه النوم واليقظة، فاذا خلق هذه الأعتقادات فكأنَه جعلها علماً على أمور اخر يخلقها في ثاني الحال، وكان قد خلقها فاذا خلق في قلب النائم الطيران وليس بطائر فاكثر مافيه ان اعتقد أمراً على خلاف ماهو فيكون ذلك الأعتقاد علماً على غيره كما يكون خلق الله تعالى الغيم علماًعلى المطر والجميع خلق الله ولكن يخلق الرؤيا والأعتقادات الَتي جعلها علماً على ماتيسَر بغير حضرة الشيطان.وخلق ماهو علم على مايضرَه بحضرة الشيطان فنسب الى الشيطان مجازاً لحضوره عندها وان كان لافعل له حقيقة، وهذا(في الفساد) كالأوَل اذ مبناه على أصل أفسد من الأصل.وهو ماذهب اليه الأشاعرة من أنَ الأفعال كلَها من الله خيرها وشرَها.

وامَا الصوفية فقال أعلمهم وهو محي الدين الأعرابي ليس كلَ مايراه الأنسان صحيحاً ويجوز تعبيره، بل الصحيح ما كان من الله يأتيك به ملك الرؤيا من نسخة امَ الكتاب وما سوى ذلك أضغاث احلام لاتأويل لها، وهي على أنواع قد يكون من فعل الشيطان يلعب بالأنسان او يريد مايحزنه وله مكائد يحزن بها بني آدم كما قال تعالى {انَما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا}، ومن لعب الشيطان به الأحتلام الَذي يوجب الغسل فلايكون له تأويل، وقد يكون من حديث النفس كما يكون في أمر او حرفة يرى نفسه في ذلك الأمر والعاشق يرى معشوقه ونحوه، وقد يكون من مزاج الطبيعة كمن غلب عليه الدم يرى الفصد والحجامة والحمرة والرعاف والرياحين والمزامير والنشاط ونحوه، ومن غلب عليه الصفراء يرى النار والشمع والسراج والأشياء الصفر والطيران في الهوى ونحوه، ومن غلب عليه السوداء يرى الظلمة والسواد والأشياء السود وصيد الوحش والأهوال والأموات والقبور والمواضع الخربة وكونه في مضيق لامنفذ له او تحت ثقل ونحوه، ومن غلب عليه البلغم يرى البياض والمياه والأنداء والثلج والوحل فلا تأويل لشيءٍ منها.

وأمَا المتكلمون من الشيعة فقال سيَدنا الأجلَ علم الهدى تغمَده الله برحمته الواسعة في جواب سائل سأل منه ما القول في المنامات أصحيحة هي أم باطلة؟ ومن فعل من هي؟وما وجه صحَتها في الأكثر؟وما وجه الأنزال عند رؤية المباشرة في المنام؟وان كان فيها صحيح وباطل فما السبيل الى تميز أحدهما من الآخر؟

الجواب اعلم انَ النائم غير كامل العقل لأنَ النوم ضرب من السهو والسهو ينفي العلوم ولهذا يعتقد النائم الأعتقادات الباطلة لنقصان عقله وفقد علومه، وجميع المنامات انما هي أعتقادات يبتديها النائم في نفسه ولايجوز ان من فعل غيره فيه لأنَ من عداه من المحدَثين سواء كان بشراً او ملائكة او جنّاً اجسام والجسم لايقدر أن يفعل في غيره أعتقاداً أبتداءً، بل ولاشيئاً من الأجناس على هذا الوجه وانّما يفعل ذلك في نفسه على سبيل الأبتداء، وانّما قلنا انه لايفعل في غيره جنس الأعتقادات متولّداً لأنَ الذي يعدّى الفعل من محلَ القدرة الى غيرها من الأسباب انّما هو الأعتمادات مايولد الأعتقادات وليس في جنس الأعتمادات يولد الأعتقادات، ولهذا لو أعتمد أحدنا على قلب غيره الدهر الطويل ماتولّد فيه شيء من الأعتقادات وقد بين وشرح في مواضع كثيرة، والقديم يقال هو القادان يفعل في قلوبنا ابتداء من غير سبب أجناس الأعتقادات ولا يجوز أن يفعل في قلب النائم إعتقاد لأن أكثر أعتقادات النائم جهل ويتأوّل الشيء على خلاف ماهو به لأنّه يعتقد انّه يرى ويمشي وانّه راكب وانّه على صفات كثيرة وكلّ ذلك على خلاف ماهو به وهو تعالى لايفعل الجهل.

فلم يبق الاّ انَ الأعتقادات كلّها من جهة النائم، وقد ذكر المقالات ان المعروف بصالح قبّة كان يذهب الى انَ مايراه النائم في منامه على الحقيقة، هذا جهل منه يضاهي جهل السو فسطائية، لأنَ النائم يرى أنَ رأسه مقطوع وانّه قد مات وانّه قد صعد الى السماء ونحن نعلم ضرورة خلاف ذلك كلّه، واذا جاز عند صالح هذا جاز ان يعتقد اليقظان في السراب انّه ماء، وفي المرءى اذا كان في الماء انّه مكسور وهو على الحقيقة صحيح لضرب من الشبهة واللبن فالا جاز ذلك في النائم وهو من الكمال ابعد ومن النقص أقرب.

وينبغي أن يقسم مايتخيّل النائم أنّه الى أقسام ثلاثة، منها يكون من غير سبب يقتضيه ولاداع يدعو اليه أعتقاداً مبتدأ، ومنها مايكون من وسواس الشيطان يفعل في داخل سمعه كلاماً خفيّاً يتضمن أشياء مخصوصة فيعتقد النائم اذا سمع ذلك الكلام انّه يراه فقد نجد كثيراً من النيّام يسمعون حديث من يتحدّث بالقرب منهم فيعتقدون انّهم يرون ذلك الحديث في منامهم، ومنها مايكون سببه والداعي اليه خاطر يفعله الله تعالى او يأمر بعض الملائكة بفعله.ومعنى هذا الخاطر ان يكون كلاماً يفعل في داخل السمع فيعتقد النائم ايضاً انّه مايتضمّن ذلك الكلام، والمنامات الداعية الى الخير والصلاح في الدين يجب ان يكون الى هذا الوجه مصروفة كما انَ مايقتضي الشرَ منها الأولى ان تكون الى وسواس الشيطان مصروفة، وقد يجور على هذا فيما يراه النائم في منامه ثمَ يصحَ ذلك حتّى يراه في يقظته على حدّ ما يراه في منامه، وفي كلّ منام يصح تأويله ان يكون سبب صحّته انَ الله تعالى يفعل كلاماً في سمعهلضرب من المصلحة بأن شيئاً يكون أو قد كان

على بعض الصفات فيعتقد النائم انَ الَذي يسمعه هو مايراه فاذا صحَ تأويله على مايراه فما ذكرناه ان لم يكن ممَا يجوز ان يتفَق فيه الصحَة اتَفاقاً فان في المنامات ما يجوز ان يصحَ بالأتفاق وما يضيق فيه مجال نسبته الى الأتَفاق، فهذا الَذي ذكرناه يمكن ان يكون وجهاً فيه.

فأن قيل أليس قد قال ابو علي الجبائي في بعض كلامه في المنامات انَ الطبائع لايجوز ان تكون مؤثَرة فيها لأنَ الطبائع لايجوز على المذاهب الصحيحة ان تؤثَر في شيء، وانَه غير ممتنع مع ذلك ان يكون بعض الماكل يكثر عندها المنامات بالعادة كما أنَ فيها مايكثر عنده بالعادة تخييل(تخيل) الأنسان وهو مستيقظ ما لاأصل له؟ قلنا قد قال ذلك ابو علي وهو خطأ لأنَ تأثيرات المأكل بمجرى العادة على المذاهب الصحيحة اذا لم تكن مضافة الى الطبائع فهي من فعل الله تعالى فكيف يضيف التخيل الباطل والأعتقاد الفاسد الى فعل الله تعالى، فأمَا المستيقظ الَذي استشهد به فالكلام فيه والكلام في النائم واحد، ولايجوز ان يضيف التخييل الباطل الى فعل الله تعالى في نائم ولايقظان، فأمَا ما تخيَل من الفاسد وهو نائم فلا بدَ من ان يكون ناقص العقل في الحال وفاقد التمييز بسهو وما يجري مجراه فيبتدي إعتقاد لا أصل له كما قلناه في النائم.

فان قيل فما قولكم في منامات الأنبياء ﵈؟ وما السبب في صحَتها حتى عدَ ما يرونه مضاحياً لما يسمعونه من الوحي؟ قلنا الأخبار الواردة بهذا الجنس غير مقطوع على صحَتها ولاهي ممَا توجب العلم، وقد يمكن ان يكون الله تعالى أعلم النبيَ بوحي يسمعه من الملك على الوجه الموجب للعلم أنَي سأريك في منامك في وقت كذا مايجب ان تعمل عليه فيقطع على صحَته من هذا الوجه لامجرد رؤيته في المنام، وعلى هذا الوجه يحمل منام ابراهيم ﵇ في ذبح أبنه، ولولا ما أشرنا اليه كيف كان يقطع ابراهيم ﵇ بأنَه متعبد بذبح ولده ثمَ أردف هذا بتأويل حديث من رآني فقد رآني، ثمَ قال وهذا الَذي رتبناه في المنامات وقسمناه أسدَ تحقيقاً من كلَ شيء في أسباب المنامات.

فامَا مايهذي به الفلاسفة في هذا الباب فهو ماتضحك منه الثكلى لأنَهم ينسبون ماصحَ من المنامات لما أعيتهم الحيل في ذكر سببه الى أنَ النفس أطَلعت على عالمها فأشرقت على مايكون، وهذا الَذي يذهبون اليه في حقيقة النفس غير مفهوم ولامضبوط فكيف اذا أضيف اليه الأطَلاع على عالمها، وما هذا الأطلاع؟ والى أيَ شيء يشيرون بعالم النفس؟ ولم يجب أن تعرف الكائنات عند هذا الأطلاع فكلَ هذا زخرفة ومخرفة لايتحصَل منها شيء، وقول صالح قبَة مع أنَه تجاهل محض أقرب الى أن يكون مفهوماً من قول الفلاسفة انتهى كلامه.

والمعتمد عندنا هو مادلَت عليه الأخبار عن الأئمَة الطاهرين ﵈ لأنَ ماسواها تخمين وخرص روى الصدوق ره باسناده الى محمَد بن القاسم النوفلي قال قلت لأبي عبد الله ﵇

المؤمن قد يرى الرؤيا فيكون كما رآها، وربّما راى الرؤيا فلا يكون شيئاً؟ فقال انّ المؤمن اذا نام خرجت من روحه حركة ممدودة صاعدة الى السماء فكل ما رآه روح المؤمن في ملكوت السماء في موضع التقدير والتدبير فهو الحقّ وكلّ ما رآه في الأرض فهو أضغاث أحلام، فقلت له وتصعد روح المؤمن الى السماء؟ قال نعم، قلت حتّى لايبقى منها شيء في بدنه؟ فقال لا لو خرجت كلّها حتّى لايبقى منها شيء اذاً لمات فقلت فكيف تخرج؟فقال أما ترى الشمس في السماء في موضعها وضوئها وشعاعها في الأرض فكذلك الروح أصلها في البدن وحركتها ممدودة.

وروى أيضاً بأسناده الى معاوية بن عمّار عن ابي جعفر عليه السلام انّ العباد اذا نامو خرجت أرواحهم الى السماء فما رأت الروح في السماء فهو الحقّ وما رأت في الهوى فهو الأضغاث(أضغاث أحلام) ألا أنّ الأرواح جنود مجنّدة فما تعارفت في الأرض واذا تباغضت في السماء تباغضت في الأرض.

وروى أيضاً بأسناده الى علي عليه السلام قال سئلت رسول الله صلى الله عليه وآله عن الرجل ينام فيرى الرؤيا فربّما كانت حقّاً وربّما كانت باطلاً فقال رسول الله صلى الله عليه وآله ياعلي ما من عبد ينام الاّ عرج بروحه الى ربّ العالمين فما رأى عند رب العالمين فهو حقّ ثمّ اذا أمر الله العزيز الجبّار بردّ روحه الى جسده فصارت الروح بين السماء والأرض فما رأته فهو أضغاث أحلام.

فهذه الأخبار تدل على انّ للروح عروجاً الى الملكوت في عالم المنام، وفيه دلالة على ماقدمنا في نور الأرواح من أنّها ليست بمجرّدة بل هي أجسام لطيفة شفّافة قد تتّصف بأوصاف الجسمانيات والذين قالوا بتجرّدها من الأصحاب ذهبوا الى أنّها تدخل في قالب مثالي مثل هذا القالب الاّ انّه ألطف منه فتصعد وتنزل به وهذا هو البدن الذي تستقرّ به الروح بعد الموت وبعد خراب هذا البدن، بل ذهب شيخنا المعاصر سلّمه الله تعالى الى جواز تعدّده وحمل عليه ماروى مستفيضاً في الأخبار من حضور مولانا أمير المؤمنين عليه السلام عند الأموات وقد يموت في اللحظة الواحدة آلاف من الناس في مشارق الأرض ومغربها، فكيف يمكن حضوره عندهم مع البدن الواحد، وكذلك ما روى من انّ أربعين صحابياً طلبوه الى الضيافة في ليلة واحدة في وقت واحد ولّما أصبحوا قال كلّ واحد منهم انّ عليّاً كان ضيفي البارحة وامّا نحن فقد أوّلنا هذه الأخبار تأويلاً آخر وقد تقدّم.

وبالجملة فالروح اذا صعدت الى عالم الملكوت وطالعت الألواح السماوية والدفاتر الألهيّة فان كانت لتلك الأرواح صفاء بالتنزّه عن شواغل البدن وعلايقه وان الأشياء كما هي فلا يحتاج تلك الرؤيا الى تعبير المعبّرين، وان كانت مكدّرة بالعلائق والعوائق رأت الأشياء بصورة شبيهة بصورتهاكما أنّ ضعيف البصر ومؤف العين يرى الأشياء على غير ما هي عليه، والعارف بعلّته

يعرف انَ تلك الصورة شبيهة بأيَ شيء فيعبّرها ويكون كما قال، ويمكن ان يظهر الله عليه الأشياء في تلك الحالة بصورة تناسبها لمصالح كثيرة كما أنَ الأنسان قد يرى المال في نومه بصورة حيّة وقد يرى الدراهم بصورة عذرة.

ومن هذا ظهر انَ معبّر الأحلام على الحقيقة والأستمرار لا يكون الا من عرف بطبائع الناس وأمزجتها وحقائق ما أنطوت عليه سرائرهم حتّى يعرف الداء والدواء، ولايكون الاَ الأمام عليه السلام، ومن ثمَ ترى تعبيره عليه السلام للأحلام قد يكون بغير ما يناسبها ظاهراً كما تقدّم في خبر محمّد بن مسلم الذي عبَره ابو حنيفة اولاً وقد يكون لصدق الأحلام وكذبها سبب آخر وهو القاء الملائكة الى الروح العلوم والمعارف او هو سبحانه وتعالى من غير توسط ملك والكذب من القاء الشياطين.

روى ابو بصير عن الباقر عليه السلام قال سمعته يقول انّ لأبليس شيطاناً يقال له مزع يملأ المشرق والمغرب في كلَ ليلة يأتي الناس في المنام.

وروى البرقي عن ابيه عن صفوان عن داود عن اخيه قال بعثني انسان الى ابي عبد الله عليه السلام زعم انّه يفزع في منامه من أمرأةٍ تأتيه، قال فصحت حتّى سمع الجيران، فقال ابو عبد الله عليه السلام: اذهب اليه فقل انّك لاتؤدّي الزكاة؟ قال: بلى والله انّي لأأوديها فقال قل له ان كنت تؤدَيها لاتؤدّيها الى أهلها.وفي روة الكليني مسنداً الى سعد بن ابي خلف عن ابي عبد الله عليه السلام قال: الرؤيا على ثلاثة وجوه بشارة من الله للمؤمن وتحذير من الشيطان وأضغاث أحلام، وفيها أيضاً مسنداً الى ابي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام جعلت فداك الرؤيا الصادقة والكاذبة مخرجها من موضع واحد؟ قال: صدقت، امّا الكاذبة المختلفة فأنّ الرجل يراها في اوّل ليلة في سلطانالمردة الفسقة وانّما هي شيء يخيّل الى الرجل وهي كاذبة مخالفة لاخير فيها، وامّا الصادقة لاتختلف ان شاء الله تعالى الا ان يكون جنباً او ينام على غير طهور، ولم يذكر الله عزّ وجلّ حقيقة ذكره فانّها تختلف وتبطي على صاحبها.

فدلّت هذه الأخبار على انّ الشياطين يلقون الأكاذيب والأباطيل، وقد يكون السبب فيه الخيالات النهاريّة المألوفة للأنسان في عالم اليقظة فانّ الأنسان اذا فكّر في شيء حال يقظته رآه حال منامه.ومن هذا لم يعبر المعبّرون والعقلاء أحلام الشعراء واضرابهم لأنّ الغالب عليهم التخييلات في الأكاذيب والأباطيل، وقد اتى رجل الى ابن سيرين فقال له: اني رأيت البارحة كأنَ بيدي خاتماً وانا أختم به على أفواه الناس وفروجهم، فقال له: ينبغي ان تكون مؤذّنا وهذا شهر رمضان فاذا أذّنت حرمت الأكل والجماع فاخذ تعبيره من المناسبات.

الأمر الثاني في بيان قوله ﷺ: من رآني فقد رآني فانَ الشيطان لايتخيّل بي قلنا قد قال سيّدنا الأجلَ المرتضى اعلى الله درجته في علّيين فان قيل فما تأويل ما يروى من قوله ﷺ من رآني فقد رآني فانَ الشيطان لايتخيّل بي وقد علمنا ان الحقَ والمبطل والمؤمن والكافر قد يرون النبيَ ﷺ في النوم ويخبر كلَ واحد منهم بضدَ ما يخبر به الآخر فكيف يكون رأينا له في الحقيقة مع هذا؟ قلنا هذا خبر واحد ضعيف من أضعف أخبار الأحاد ولامعول على مثل ذلك، على انه يمكن مع تسليم صحته ان يكون المراد به من رآني في اليقظة فقد رآني على الحقيقة لأنَ الشيطان لايتمثّل بي لليقظان فقد قيل انَ الشيطان ربّما تمثّل بصورة البشر وهذا التشبيه أشبه بظاهر ألفاظ الخبر لأنَه قال من رآني فقد رآني فأثبت غيره رائياً له ونفسه مرئية، وفي النوم لارائي له على الحقيقة ولا مرئي وانّما ذلك في اليقظة، ولو حملناه على النوم لكان تقدير الكلام من اعتقد انه يراني في منامه وان كان غير راء له على الحقيقة فهو في الحكم كأنّه قد رآني وهذا عدول من ظاهر لفظ الخبر وتبديل لصيغته هذا كلامه ره.

اقول انَ هذا الخبر مروي عن الأئمّة عليهم السلام في شأن المنامات والأحلام صريح في انَ المراد انَه من رآني في المنام فقد رآني لأنَ الشيطان لايتمثّل بصورتي ولابصورة أحد من أهل بيتي، واما قوله أنَ المؤمن والكافر يشاهده فالجواب عنه ان الظاهر انَه خطاب للمؤمنين لأنَهم المنتفعون برؤيته، وان رآه واحد من الكفّار للأرتداع عن مذهبه الباطل فهو أيضاً مؤمن في القديم زاغ عن الحقَ اياماً إما بآبائه وامّهاته او بالشبهات ثمّ رجع اليه، وامّا انَ المؤمنين يرونه بالصور المختلفة فهو حقَ وذلك لأنَ النبيَ والأئمّة عليهم السلام قد كانوا يظهرون للناس في عالم اليقظة على صفات مختلفة وصور متضادّة على قدر ما تحتمله عقولهم وأوهامهم كما تقدّم سابقاً، وامّا إنّهم يفتون الناس الأحكام المتضادّة فقد كان هذا في عالم اليقظة ايضاً خصوصاً مولانا الصادق عليه السلام فانّه كان يفتي شيعته بالفتاوي المتضادّة ويخالف بينهم لمصالحهم كما قال عليه السلام الّذي خالفت بينهم ولولاه لأخذ الناس برقابهم، فالمصلحة الّتي تكون في اليقظة تكون في النوم أيضاً وذلك أنَ الناس مرضى والأمام الطبيب الحاذق فهو يصف لكل داء دواءه.

ومن ثمّ ترى الأطياف والأحلام قد أختلفت في الحشيشة الّتي يسمّونها الناس بالتتن فبعضهم نقل أنّه راى الأمام عليه السلام فنهاه عن شربها واستعمالها، وبعضهم نقل أنّه راى الأمام عليه السلام وقد أمره بأستعمالها، وذلك أنَ حكمها يختلف بأختلاف الطبائع والأمزجة فربّما وافقت طبيعةٍ وأضرّت باخرى كبعض الأدوية والعقاقير فكلا الطيفين حقَ.وحيث بلغ بنا الكلام الى هذا المقام فلا بأس بأرخاء العنان لتحقيق هذا المرام.

فنقول هذه الحشيشة المذكورة لم يرد بخصوصها نص من الشارع مثل غيرها من سائر النبات فانّه لم يصل الينا في كلّ نبت حديث بخصوصه مع ان المنقول تواتراً انّها لم تكن مستعملة في قديم الزمان وانّما حدثت في هذا المائة وهي المائة الحادية عشر والآن جماعة، موجودون يقولون انّا لم نرها في أول أعمارنا وانّما حدث أستعمالها في العشرة بعد الألف الى هذه الأعصار نعم ربّما حفر الناس الآبار والحفاير واخرجوا من تحت الأرض آلات استعمالها وهذا لايدل على انّ تلك آلات لهذا بخصوصه اذ ربّما كانت آلة لغيره ومن جهة أختلاف الأطياف والمنامات في تلقي الأحكام من المعصوم عليه السلام أشكل الأمر في جعل الرؤيا دليلاً شرعيّاً يجب العمل به اذ ليس له قاعدة كليّة يجب اطرادها فيه.

وقد كان بعض المعاصرين يذهب الى تحريم صلاة الجمعة ويشنع على من يفعلها بل ربّما قال بكفره، ثمّ بعد برهةٍ من الزمان مال الى وجوبها وفعلها فقيل له في ذلك فقال: انّي رأيت الأمام عليه السلام بالمنام وأمرني بفعلها فصلاها مدّة ثمّ تركها ولعله قال أنّ الأمام نهاني عنها في المنام وليس مثل هذا الاّ مفراً اذا أعيت عليه الأحكام.

وامّا الجمهور فقال الصفدي وهو من أفاضلهم قد تكلم الفقهاء فيمن رأى النبيّ صلى الله عليه وآله وأمره بأمر هل يلزم العمل له ام لا؟ قالوا ان أمره بما يوافق أمره يقظة ففيه خلاف وان أمره بما خالف أمره يقظة فان قلنا أنّ من رآه صلى الله عليه وآله على الوجه المنقول في صفته فرؤياه حقّ فهذا من قبيل تعارض الدليلين والتعارض بأرجحهما وما ثبت في اليقظة فهو ارجح فلا يلزمنا العمل بما أمره فيما خالف أمره يقظة.

اذا عرفت هذا فاعلم انّ جماعة من علماء العصر كالمولى علي نقي وشيخنا الشيخ فخر الدين الطريحي، والشيخ التقي الشيخ عليّ بن سليمان البحريني، وبعض فضلاء البحرين وربّما تابعهم بعض المتفقهين ذهبوا الى تحريمه حتّى أنّ المولى علي نقي تغمّده الله برحمته صنّف كتاباً كبيراً في تحريمه وقد اطلعني عليه ولده لمّا كان يقرأ عليّ في علم العربيّة في شيراز وكان مجلّداً كبيراً، والباقي على التحليل حتّى انّ التقيّ المجلسي طاب ثراه كان يشربه في صوم التطوع ويترك إستعماله في الصوم الواجب حذراً من كلام العوام ولهم على التحريم دلائل:

أولّها ماروى عن مولانا الصادق عليه السلام من قوله اذا رأيتم الناس قد أقبلوا على شيء فدعوه.وهذه الحشيشة قد أقبل عليها الناس اقبالاً عظيماً لايمكن ردعهم عنه، حتى أنّ السلطان المرحوم الشاه عبّاس الأوّل قد عمل عليه الحرج وأحرق من يتجر به فيه فكان الناس يحفرون تحت الأرض مثل السراديب ويذهبون اليها ويشربونه هناك وفي ذلك الحال يحرقون الخرق بقربهم حتى لاتخرج رائحته وحتى تشتبه برائحتها وكانوا يشترونه في ذلك الوقت بوزن الدراهم بل وأغلى منها

فلمَا رأى ذلك السلطان انّ ذلك الحرج لاينفع قرّر عليه من مال الخراج مالاً عظيماً قصد به تعجيز الناس عن التجارة به وعن استعماله فما أزدادوا له الاّ حبّاً وكرامة والأغلب في تجارته الأرباح والفوائد.

وثانيها انّه من الأسراف الّذي وقع النهي عنه في الكتاب والسنة وذلك انّه ربما كان للأنسان درهم واحد فانفقه فيه وبقي جائعاً وربّما حصل منه الضرر العظيم بسكره فانّا رأينا من شربه وسكر حتّى وقع في النار فأحترقت منه بعض الأعضاء وربّما تكلّفت له أرباب الأموال حتّى صنعوا آلته وزيّنوها فكان مجموعهما ثلاثين ألف دينار وأزيد فهذا أسراف والأسراف حرام فيكون التتن حراماً.

وثالثها أنّه من الخبائث المحرّمة في محكم الكتاب والسنة لأنّ النفوس تنفر عنه بل ربّما كان بعض شاربيه ذا مّاً له ومادحاً لمن لايشربه.

ورابعها التأويل على الرؤيا والمنامات بان بعض الناس قد رأوا احد المعصومين عليهم السلام وقد نهى عنه وذمّ شاربيه.

وخامسها انّ الأشياء قبل ورود الشرع فيها على أقوال منها التحريم واذا دار الشيء بين التحريم والأباحة لم يخرج صاحبه من العهدة يقيناً الاّ بتركه فوجب تركه وبعضهم ذكر له دلائل لافائدة في نقلها لركاكتها، منها قوله أنّ قليان على وزن بلبان او انّه مشابهه في الصورة والأستعمال فينبغي تركه، واما نحن فليس لنا رغبة في أستعماله وقد مرّت علينا ايام طلب العلم في شيراز وأصفهان تقريباً من عشرين سنة ولا استعملناه لأنّه ربّما كان فيه تضييع الوقت والآن ربما استعملناه بتابعيّة اهل المجالس ولكنّ الحكم الشرعي لاينبغي ان يهمل.وتحريم مالم يسند الى دليل شرعيّ ممّا لايجوز، وهذه الدلائل لاتفيده تحريماً بل ربّما أفادته الأباحة، وذلك لأنّ الجواب أمّا عن الدليل الأوّل فبان المراد من الناس جمهور المخالفين كما هو المفهوم من أصطلاح الأخبار ويدلّ عليه سياق الخبر الّذي ورد هذا فيه كما في الأستبصار وغيره مع انّه ليس بمطرد على ظاهره بل المراد به موارد خاصّة كالأحكام والعبادات الّتي لم ينص عليها الدليل الواحد بل يتعارض فيها الأدلّة فاذا تعارضت فيها الأدلّة فدع ما أقبل عليه الجمهور واعرف انّ الحقّ في الأدلّة على نقيضه وخلافه واحمل ماوافق الناس على التقيّة، بل قوله عليه السلام خذ بما أشتهر بين أصحابك ربما أشعر به، وذلك أنّ المشهور بين علماء الشيعة في هذه الأعصار هو القول بتحليل التتن وجواز أستعماله.

وامّا الجواب عن الثاني وهو الأسراف فاعلم أوّلاً انّ الأصحاب رضوان الله عليهم جعلوه من حكم الحرام كلّه ولكنّ المفهوم من الأخبار أنّه على قسمين حرام ومكروه فالأوّل ماقاله مولانا

الصادق عليه السلام انما الأسراف فيما أتلف المال وأضر بالبدن والمراد من إتلاف المال صرفه في غير المصارف المقصودة للعقلاء.

واما الثاني فمثاله ماروى من انّ من شرب من ماء الفرات وألقى بقية الكوز خارج الماء فقد أسرف، وقوله عليه السلام انّ من الأسراف أن تجعل ثياب بدنك ثياب صونك، وقوله عليه السلام انّ من الأسراف ان تعطي السائل السنبل بكلّ قبضتك الى غير ذلك، وذكر جماعة من الأصحاب انّ الأسراف هو ان يتجاوز الأنسان حاله في الأنفاق ولهذا الكلام وجهان:

الأول انّ المراد حاله بالنظر الى أهل بلاده وهذه لايطرد فيه الأسراف لأنّا شاهدنا أهل بعض البلاد الغالب عليهم الحرص وسوء المعاش مع مافيهم من الثروة والأموال فلو انّ أحداً تجاوز في الملبس والمأكل ونحوهما لم يكن مسرفاً لأنّ المفروض قدرته على ذلك.

الثاني ان المراد حاله بالنظر الى ثروته وقدرته وهذا يتحقق فيه الأسراف كأن يكون تاجراً مثلاً فينفق الأرباح في سنة ويتعدّى الى رأس المال او يستقرض وينفق من غير ان يكون عند وجهه، وقد بقى هيهنا فرد آخر وهو أنّ الأنسان اذا تأنق بالمنازل والمجالس والملابس والمناكح مع أمكان الأكتفاء بدونها فهل يعدّ مثل هذا من باب الأسراف الظاهر انّه لايكون اسرافاً بل ربما كان مستحباً لأن فيه أظهار نعم الله تعالى المأمور به في قوله تعالى: واما بنعمة ربك فحدّث، فقد ورد أنّ المراد التحديث بالفعل لابالقول.

وكان الأئمة عليهم السلام يتأنّقون في المطاعم والملابس وغيرها واما مولانا امير المؤمنين عليه السلام وصبره وأستعماله لما خشن وجشب فقد ورد به العذر عن الصادق عليه السلام سابقاً وحينئذٍ فهذه الحشيشة من هذا الباب وهو ان الناس مالت أنفسهم اليها وكانوا قادرين على أثمانها فلا بأس بإستعمالها كغيرها.

واما حكاية الأسكار فهي غير مطردة، وذلك أنّ الأنسان قد يسكر عن بعض المحلّلات، فمن عرف من حاله هذا وامثاله كان عليه حراماً لاغير واما التأنق في اللة فانّما يكون حراماً مع عدم القدرة لاغير، واما الجواب عن الدليل الثالث وهي كونها من الخبائث فاعلم انّ الخبيث نقيض الطيّب وقد ورد الأمر بأكل الطيبات وأجتناب الخبائث والطيّب في أصطلاح الأخبار والتفاسير يطلق على معان أربعة:

أوّلها ماهو مستلذّ للنفس، وثانيها ماأحلّه الشارع، وثالثها ماكان ظاهراً، ورابعها ما خلا عن الضرر في الروح والبدن، وجزم بعض الأصحاب بأنه حقيقة في الأوَل وهو المراد من قوله تعالى{كلوا ممّا في الأرض حلالاً طيّباً} ولكن الشائع في الأخبار هو الأطلاق الثاني وهذه الحشيشة

غير خبيثة بواحد من الأمور اما الأول فلأنها عند أغلب الناس من أحسن الملاذ حتى بالغ الناس في أستعمالها.

واما المعنى الرابع فلأنها اذا أضرت الأبدان كانت محرَمة عليه بخصوصه وليس المراد من الخبيث ماتنفر عنه بعض الطباع وذلك انّ كثيراً من المحلّلات تأبى عن أكلها طباع آحاد الناس وكثير من الطبائع تميل الى بعض المحرمات فيجاهدها صاحبهاحتّى ترتدع، وقد جاء جندي الى رجل عالم صالح من مشايخنا فقال له: ايّما أعظم أجراً عند الله أنا أو أنت؟ فقال له الجندي: بل أنا أعظم أجراً وذلك أنّه اذا أصبح عليّ النهار مالت نفسي ونازعتني على فعل كلّ محرَم فأُجاهدها وأزجرها الى الليل وانت اذا أصبحت لم يكن لنفسك همّة ولارغبة الاّ في العلم والعبادة فاين أنا منك فصدّقه ذلك الشيخ، وليس هذه الحشيشة الاّ مثل سائر النبات فانّ الناس لو عمدوا الى نبت آخر وعظَموه هذا التعظيم لم يكن حراماً فليكن هذا من ذاك وبالجملة فالمراد من الخبيث ما خبّثه الشارع بالنهي عنه أو أستقذره عامّة العقلاء.

وامّا الجواب عن الدليل الرابع وهو المنامات فقد عرفته سابقاً وانّه يختلف بأختلاف الأشخاص فربما كان نافعاً لبعض الأبدان مضراً للبعض الآخر فلا يدخل تحت قاعدة كلّية فلا يكون مدركاً للأحكام الشرعية.

وامّا الجواب عن الخامس فهو ظاهر لأنّ الشرع قد ورد بها وأدرجها تحت القواعد الكلّية كغيرها من النبات قال الله تعالى {هو الّذي خلق لكم مافي الأرض جميعاً}، وقال ايضاً {كلوا ممّا في الأرض حلالاً طيّباً ولاتتبعوا خطوات الشيطان}، وقال سبحانه{يا أيّها الذين آمنوا كلوا من طيّبات مارزقناكم}، وقال تعالى{وكلوا ممّا رزقكم الله حلالاً طيّباً ولاتعتدوا}، وقال{وأنزلنا من السماء ماء فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتّى كلوا وارعوا انعامكم انّ في ذلك لآيات لأولي النهى}، وقال عزّ من قائل{والأرض مددناها وألقينا فيها من كل شيء موزون} وقال{كلوا من طيبات مارزقناكم ولاتطغوا فيه فيحلّ عليكم غضبي}، وقال{وأنزلنا من السماء ماء مباركاً فأنبتنا به جنّات وحبّ الحصيد}، وقال تعالى{قل من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق}، فهذه تسع آيات ملقاة الى من أنكر هذا المقال، وأمّا السنة فقد روى الصدوق طاب ثراه عن الصادق عليه السلام انه قال: كلّ شيء لك طلق حتّى يرد عليك فيه مايحرّمه، والى الآن لم يرد دليل يحرّم هذا التتن سوى الأطياف والتشهيات.

وامّا الأجماع فقد أجمع الأصحاب قديماً وحديثاً على تحليل مالم يرد النصّ بتحريمه وهذا أجماع قطعي لاينكر، فبعد هذه الدلائل كلّها كيف يجوز أن يقال انّه لم يرد به نص وامّا قولهم بأنّه مثل بلبان فهو من الدلائل الباردة ولقد حدّثني بعضهم أنّ هذا الكلام لّما حكوه للمولى حسين

التستري ره ضحك وقال انَ آلة التتن نقيض البلبان وذلك أنَ البلبان يحتاج الى نفخ الهوى فيه وآلة التتن تحتاج الى جذب الهوى منه وأخراجها عنه وبالجملة فالحكم بالتحريم مشكل وبالله الأستعانة والتوفيق.

الأمر الثالث قد روى في كثير من الأخبار انَ الرؤيا على ماتعبَر روى الكليني في الروضة عن معمَر بن خلاد قال سمعت ابا الحسن عليه السلام يقول ربَما رأيت الرؤيا فأعبَرها والرؤيا على ما تعبَر، وروى بأسناده الى ابن الجهم قال: سمعت ابا الحسن عليه السلام يقول: الرؤيا على ماتعبَر، وروى بأسناده الى ابن الجهم قال: سمعت ابا الحسن عليه السلام يقول الرؤيا على ماتعبر فقلت له انَ بعض أصحابنا روى ان رؤيا الملك كانت أضغاث أحلام فقال ابو الحسن عليه السلام انَ امرأة رأت على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ان جذع بيتها إنكسر فأتت رسول الله

صلى الله عليه وآله فقصَت عليه الرؤيا، فقال لها النبي صلى الله عليه وآله: يقدم عليك زوجك ويأتي وهو صالح وقد كان زوجها غائباً فقدم كما قال النبي صلى الله عليه وآله ثمَ غاب عنها زوجها غيبة أُخرى فرأت في المنام كأن جذع بيتها قد أنكسر فلقيت رجلاً أعسر فقصَت عليه الرؤيا فقال لها الرجل السوء يموت زوجك قال: فبلغ النبيَ صلى الله عليه وآله فقال: الا كان عبَر لها خيراً.

وقوله ان رؤيا الملك كانت أضغاث احلام انها كانت أضغاث احلام لكن لَما عبَرها الصديق عليه السلام وقعت على ما عبَر فالأمام عليه السلام أتى بالحديث شاهداً على تصديق مقالة الرجل، واما الأعسر فهو الرجل المشؤوم او الَذي يعمل بيده اليسرىوهو من الشؤم ايضاً وروى مسنداً الى جابر بن يزيد عن ابى جعفر عليه السلام ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول انَ رؤيا المؤمن ترفرف بين السماء والأرض على رأسها صاحبها حتَى يعبرها لنفسه او يعبَرها له مثله، فاذا عبَرت لزمت الأرض فلا تقصَوا رؤياكم الاَ على من يعقل وقال: صلى الله عليه وآله لاتقص الاَ على مؤمن خلا من الحسد والبغي.

ومن كتاب تعبير الرؤيا للكليني جاء رجل الى الصادق عليه السلام وقال رأيت انَ في بستاني كرما يحمل بطيخاً فقال له: احفظ أمرأتك لاتحمل من غيرك، وأتاه رجل فقال: كنت في سفر فرأيت كأنَ كبشين ينتطحان على فرج أمرأتي وقد عزمت على طلاقها لما رأيت فقال عليه السلام: أمسك أهلك انَها لَما سمعت بقرب قدومك ارادت نتف المكان فعالجته بالمقراض.

وفي هذه الأخبار أشكالان: الأوَل مامعنى هذا الربط والعليَة بين التعبير والوقوع حتَى صار التعبير علَة في الوقوع؟ حتَى قال عليه السلام: المنام طائر اذا قص وقع، قلت هذا شيء لانتحقَقه من حيث العقل ولكن الشرع ورد به فوجب قبوله كما وجب علينا قبول الأحكام من غير معرفة بتفاصيل عللها، ويمكن ان يكون العلَة فيه هو انَه يحصل من التعبير التفأل والتطَير وقد عرفت ان التطَير يضرَ من يتطير به فيكون الوقوع للطير (للتطير) الحاصل من التعبير وكذا التفأل، وامَا ان

كثيراً من الرؤيا اذا عبَرت لم تقع فيمكن ان يقال ان الّذي يقع منها هو الّذي يصحّ عليه الوقوع لأنك قد تحقّقت ان بعض أقسامه مستند الى الشياطين والأفكار النهارية فهذا ممّا لايصحّ عليه الوقوع وان عبّره المعبّرون.

الأشكال الثاني قد عرفت انّ تعبير الرؤيا لايعلمه الاّ من علم الأمزجة والطبائع وليس هو الاّ الأمام عليه السلام فكيف جاءت هذه الأخبار دالّة على وقوع الرؤيا عند التعبير؟ فاذا كان الحال هكذا فكلّ أحد يصدق عليه أنه معبّر؟ قلت فرق بين وقوع المنام عند تعبير العالم ووقوعه عند تعبير غيره، وحاصل الفرق ان ما وقع اوّلاً هو الّذي كان في الواقع ونفس الأمر، وامّا الواقع عند تعبير الجاهل فهو الوقوع العادي فكأنّ الله سبحانه أجرى العادة بوقوع المنامات عند تعبير الجاهل وان لم يكن معناها الواقعي هو هذا فتأمل في هذا المقام فانّه حريّ بالتأمّل.

الأمر الرابع روى الجليل علي بن ابراهيم ره في تفسيره باسناده الى مولانا الصادق عليه السلام في سبب نزول قوله تعالى {انّما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا وليس بضارّهم شيئاً الاّ بأذن الله} أنّ فاطمة عليها السلام رأت في منامها انّ رسول الله صلى الله عليه وآله هم ان يخرج هو وفاطمة وعلي والحسن والحسين عليهم السلام من المدينة فخرجوا حتّى جاوزوا حيطان المدينة فتعرذض لهم طريقان فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله ذات اليمين حتّى انتهى بهم الى موضع فيه نخل وماء فاشترى رسول الله صلى الله عليه وآله شاة كبرى وهي الّتي في أحد أذنيها نقط بيض فأمر بذبحها فلمّا اكلوا ماتوا في مكانهم فانتبهت فاطمة عليها السلام باكية ذعرة فلم تخبر رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك فلمّا أصبحت جاء رسول الله صلى الله عليه وآله بحمار فأركب عليه فاطمة عليها السلام وأمر أن يخرج امير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام من المدينة كما رأت فاطمة عليها السلام في نومها فلمّا خرجوا من حيطان المدينة عرض له طريقان فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله ذات اليمين كما رأت فاطمة عليها السلام في نومها فمضى الى موضع فيه نخل وماء فأمر عليّاً عليه السلام فاشترى شاة فأمر بذبحها فذبحت وشويت، فلمّا أرادوا أكلها قامت فاطمة وتنحّت ناحية منهم تبكى مخافة ان يموتوا فطلبها رسول الله صلى الله عليه وآله حتى وقف عليها وهي تبكي، فقال ماشأنك يابنيّة؟ قالت يارسول الله رايت كذا وكذا في نومي وقد فعلت انت كما رأيته فتنحيت عنكم فلا أراكم تموتون، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله فصلّى ركعتين ثمّ ناجى ربّه فنزل عليه جبرئيل عليه السلام فقال يامحمّد هذا شيطان يقال له الدها وهو الذي أرى فاطمة عليها السلام هذه الرؤيا ويرى المؤمنون في منامهم ما يغتمون به، فأمر جبرئيل فجاء به الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له: أنت اريت فاطمة هذه الرؤيا؟ فقال نعم يامحمّد فبزق عليه ثلاث بزقات فشجّه في ثلاث مواضع ثم قال جبرئيل لمحمّد صلى الله عليه وآله يامحمّد اذ رأيت في منامك شيئاً تكرهه او رأى أحد من المؤمنين فليقل أعوذ بما عاذت به ملائكة الله المقربون وانبياء الله المرسلون وعباده

الصالحون من شرَ ما رأيت من رؤياي ويقرء الحمد والمعوذتين وقل هو الله ويتفل عن يساره ثلاث تفلات فانّه لايضره مارأى، وأنزل الله على رسوله انّما النجوى من الشيطان.

والأشكال الوارد على هذا الحديث هو انّه قد ورد في كثير من الأخبار انّ الشيطان ليس له تسلَط على أرباب العصمة عليهم السلام بوجه من الوجوه فكيف تسلّط الدها حتّى فعل مافعل؟ والجواب انّ هذا ليس من باب التسلّط وذلك لما يتعقّبه من المعجزة الّتي هي الأتيان بذلك الشيطان وحبسه وأذلاله واهانته وليس هذا الاّ مثل ذلك الرجل الذي أتى اليها وقال لها أنّ عليّ بن ابي طالب عليه السلام يريد أن يأخذ عليك أمرأة حتى غضبت فاتَضح لها الحال انّه رجل كذّاب.

ومن الأخبار المروّحة للخاطر مارواه الكليني طاب ثراه عن ابي بصير عن ابي عبد الله عليه السلام قال يا ابا محمّد انّ الميّت منكم على هذا الأمر شهيد قال: قلت وان مات على فراشه؟ قال: أي والله على فراشه حيّ عند ربّه يرزق، اقول ثواب الشهادة انّما حصّلوها من نياتهم وذلك انّ نياتهم انّهم لو كانوا مع الأمام عليه السلام لجاهدوا الكفّار معه ولو ظهر المهديّ عليه السلام في كلّ وقت من الأوقات لكان من أنصاره وأعوانه ومن هنا قال عليه السلام انّي لأعدّ نفسي من شهداء كربلا وذلك اني لو كنت معه لجاهدت أعداءه.

ومن الأخبار المروّحة للخاطر ماروى مسنداً الى محمّد بن الفضيل عن ابي الحسن الأول عليه السلام قال: قلت له جعلت فداك الرجل من أخواني يبلغني عنه الشيء الذي أكرهه فأسأله عن ذلك فينكر ذلك وقد أخبرني عنه قوم ثقات فقال لي: يامحمّد كذّب سمعك وبصرك عن أخيك فان شهد عندك خمسون قسامة وقال لك قولاً فصدّقه وكذّبهم لاتذيقن(يعن) عليه شيئاً تشينه به وتهدم به مروّته فتكون من الذين قال الله في كتابه الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب اليم.

اقول قوله الشيء الذي اكرهه شامل لما كان في حقّ المنقول اليه او مطلقاً كما هو المفهوم من التنظير بالآية، وامّا تكذيب القسامة فلا ينافي ثبوت الحدود عليه بالشاهدين او الأربعة لأنّ هذا الكلام عند غير الأمام، وقوله كذب سمعك وبصرك معناه ان ماترى منه وتسمع من المكروهات ينبغي ان تتكلّف لها محامل سديدة وتوجيهات قريبة او بعيدة وتقول انّما قال هذا او فعل هذا لهذا الوجه السائغ فتكون في هذه التوجيهات قد كذّبت سمعك وبصرك حيث انّهما اتّهماه وأخذا بظاهر كلامه من غير تأويل والاّ فلا معنى لتكذيب العين بعد ان رأت والأذن بعد أن سمعت.

وفي الحديث أحمل ماسمعت من أخيك على سبعين محملاً من محامل الخير فان عجزت فأقبل على نفسك وقل التقصير منك حيث أعيت عليك محامل الخير وفي حديث آخر انّه سئل عليه السلام بين الصدق والكذب من المسافة؟ فقال بينهما مقدار كف فوضع كفّه بين أذنه وعينه فقال ما رأيت

فهو الصدق وماسمعت فهو الكذب وهذا في مقام آخر وعلى كلّ تقدير فلعلّ مثل هذه الأخوان قد كانت في الأعصار السالفة، واما في هذه الأعصار فهم كما قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام أخوان هذا الزمان جواسيس العيوب، وكما قال الشاعر

كفاني الله شرك ياابن عمي   فاما الخير منك فقد كفاني

وفي الخبر عن النبي صلى الله عليه وآله من لم يقبل من متنصّل عذراً صادقاً كان او كاذباً لم ينل شفاعتي، ولو انّ احداً أساء اليك من جانبك الأيمن ثمّ تحوّل الى جانبك الأيسر فاعتذر عندك فأقبل عذره، وأوصاف الأخوان هذه وكان في وقت شباب الزمان

أتى الزمان بنوه في شبيبته   فسرّهم وأتيناه على الهرم

وما أحسن جوابه لبعض مشايخنا

همو(وهم) على كلّ حال ادركوا هرما   ونحن جئناه بعد الشيب والعدم

ومن الأخبار المروّحة للخاطر ماروي عن أمير المؤمنين عليه السلام قال أنّ الله يعذب الستّة بالستة: العرب بالعصبيّة، والدهاقين بالكبر، والأمراء بالجور، والفقهاء بالحسد والتجار بالخيانة وأهل الرستاق بالجهل، أقول المراد بالدهاقين رؤساهم وبأهل الرستاق عامّتهم.

ومن الأخبار مارواه صاحب كتاب ربيع الأبرار انّ أبليس قال: الهي انّ عبادك يحبّونك ويعصونك، ويبغضوني ويطيعوني؟ فأتاه الجواب إني غفرت لهم ما أطاعوك بما أبغضوك وقبلت منهم أيمانهم وان لم يطيعوني بما أحبوني.

ومن الأخبار المروّحة للخاطر ماروي عن عبد الله بن طلحة قال: سئلت ابا عبد الله عليه السلام عن الوزغ؟ فقال: رجس وهو مسخ كلّه فاذا قتلته فاغتسل، وقال عليه السلام انّ ابي كان قاعداً في الحجر ومعه رجل يحدّثه فاذاً هو بوزغ يولول بلسانه، فقال ابي للرجل: أتدري مايقول هذا الوزغ؟ قال : لا علم لي بما يقول قال: فانّه يقول: والله لئن ذكرتم عثمان بشتمه لأشتمن عليّاً حتّى تقوم منه هيهنا، قال: وقال ابي ليس يموت من بني أميّة ميّت الاّ مسخ وزغاً، وقال عليه السلام انّ عبد الملك بن مروان لمّا نزل به الموت مسخ وزغاً فذهب من بين يدي من كان عنده وكان عنده ولده فلمّا ان فقدوه عظم ذلك عليهم فلم يدروا كيف يصنعون، ثمّ أجتمع أمرهم على أن يأخذوا جذعاً فيضعوه كهيئة الرجل قال: ففعلوا ذلك وألبسوا الجذع درع حديد ألقوه في الأكفان فلم يطّلع عليه أحد من الناس الاّ أنا وولده.

أقول المشهور بين أصحابنا هو أستحباب الغسل عند قتل الوزغ وأستدلوا عليه بقول الصدوق ره انّ من قتل وزغاً فعليه الغسل، وقال بعض العلماء ان العلّة في ذلك انه يخرج عن ذنوبه فيغتسل منها، قال في المعتبر وعندي أن ماذكره ابن بابويه ليس بحجّة وما ذكره المعلّل ليس

طائلاً انتهى، وهذا الخبر صريح في الدلالة ولو أستندوا اليه لكان أوثق لهم، والظاهر انّ الأصحاب رضوان الله عليهم انّما أهملوا ذكره والأستدلال به لأنّه غير مذكور في الأصول الأربعة في بابه بل ذكره شيخنا الكليني ره في الروضة في الأخبار المتفرّقة.

ومن الأخبار المروّحة للخاطر ماروى ان عيسى بن مريم ﷺ كان جالساً ذات يوم وعنده جبرئيل ﷺ فمرّ بهما رجل على ظهره خرمة حطب وبيده رغيف يأكله وكان يلعب ويضحك فقال جبرئيل ﷺ: عجباً لهذا الرجل يفعل ماترى ومابقي من عمره الاّ ساعة او ساعتان، فأنهى ذلك عيسى ﷺ الى من بحضرته فلمّا كان في اليوم الأنف مرّ رجل وعلى عاتقه حبل يخرج للأحتطاب فقال القوم: يانبي الله ألست قلت ما بقي من عمر هذا الرجل الا ساعة او ساعتان؟ قال أنما قلت ذلك من جبرئيل فقالوا يارسول الله ادع لنا ربّك يبيّن لنا هذا الأمر؟فسأل الله تعالى فأتاه جبرئيل ﷺ وقال له قل لهذا الرجل ليأتك بالخرمة الّتي ذهب بها امس، فخرج الرجل وجاء بالخرمة ففتحها عيسى ﷺ فاذا في وسطها حيّة أفعى فقال جبرئيل ﷺ رأيت في اللوح ان هذا الرجل تقتله هذه الحيّة ولكن سله مافعل من الخير منذ فارقنا، فقال له عيسى ﷺ: مافعلت من الخير أمس؟قال: مافعلت شيئاً الاذ كنت آكل ذلك الخبز(الرغيف) فبقيت بقيّة فسألني رجل فأعطيته تلك البقية فقال جبرئيل ﷺ انّ الله تعالى قد دفع عنه ذلك البلاء بتلك الصدقة وزاد في عمره كذا سنة، وذلك قوله سبحانه وتعالى{يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب}.

أقول قد مضى أمثال هذا الخبر وأنّه لامنافاة بينه وبين ماروى في باب العلم من أنّ علمه سبحانه علمان علم أستأثر به فذلك الذي يمحو منه مايشاء ويثبت وعلم علّمه ملائكته وأنبيائه فذلك الذي لايدخله محو ولاإثبات لئلاّ يكذّب الناس أنبياء الله تعالى لأن مثل المحو لم يستلزم التكذيب بل أستلزم التصديق على الوجه الأبلغ أمّا لو أخبروا بأمر فوقع خلافه كان منافياً لما تقرر في باب العلم على ما لايخفى.

ومن الأخبار المروّحة للبال ماروي من أنّه كان رجل في بني إسرائيل منهمكاً في المعاصي فأتى في بعض أسفاره على بئر فاذا كلب قد لهث من العطش فرق له فأخذ عمامته وشدّ بخفّه وأستقى الماء وأروى الكلب فأوحى الله الى نبي ذلك الزمان أنّي قد شكرت له سعيه وغفرت له ذنبه لشفقته على خلق من خلقي، فسمع ذلك فتاب من المعاصي وصار ذلك سبباً لتوبته وخلاصه من العقاب.

ومن الأخبار المروّحة ماروي عنه ﷺ أنّه قال انّ للأسلام نيفاً وسبعين شعبة أعلاها شهادة ان لااله الا الله وأدناها إمالة الأذى عن الطريق، أقول روي في خبر أنّ رجلاً مر بطريق وقع فيه

ماء فوضع حجراً في الماء لتضع المّارة رجلها عليه فلمّا جف الطريق مرّ به رجل آخر فرفعه فأوحى الله الى نبيَ ذلك الزمان اني قد غفرت لهما.

ومن الأخبار المروّحة ماروى من قوله ﷺ لايلدغ المؤمن من جحر مرّتين، أقول روي انّ سببه هو أنّ أبا غرّة الشاعر اسر يوم بدر وجيء به الى النبيّ ﷺ فقال يارسول الله تصدّق بي على عيالي وأعف عني عفى الله عنك، فقال ﷺ: على أن لاتعين عليّ بيد ولالسان فعاهد على ذلك، فلمّا عاد قومه الى حرب رسول الله ﷺ عاد معهم وكان يحرض القوم على القتال، فأسر وجيء به الى النبي ﷺ فقال يارسول الله تصدّق بي على عيالي وأعف عنّي عفى الله عنك، فقال ﷺ العفو مكرمة لاتعد لها مكرمة ولكن لايلدغ المؤمن من جحر مرّتين، والله لاتجلس بمكة وتمسح لحيتك وتقول خدعت محمّداً مرّتين ياعلي قم وأضرب عنقه فقام وضرب عنقه.

ومن الأخبار ماروى أنّه ذكر عند مولانا ابي عبد الله جعفر بن محمّد الصادق ﷺ قول النبيّ ﷺ النظر الى وجه العالم عبادة، فقال هو العالم الذي اذا نظرت اليه ذكرك الآخرة، ومن كان خلاف ذلك فالنظر اليه فتنة.

ومن الآثار ما حدّثني به بعض من أثق به ان قد حفر قبر في مشهد مولانا أمير المؤمنين ﷺ فوجد فيه لوح مكتوب فيه هذان البيتان:

بلـه يـاقبر هـل زالـت محاسـنها ... ام هـل تغيّـر ذاك المنظـر النظـر

لا(ما) أنت ياقـبر لاروض ولافـلك ... فكيـف يجمـع فيـك الـشمس والقمـر

ومنها أيضاً أنّ أمرأة كانت تبكي على قبر وهي بديعة الجمال فقيل لها لم تبكين على ميت تحت التراب؟ فأنشدت هذين الشعرين:

فـان تـسئلاني عـن هـوى فـانّني ... رهينـة هـذا القـبر يافتيـاني

وإنّـي لأسـتحييه والـترب بيننـا ... كمـا كنـت أسـتحييه وهـو يرانـي

ومن الأخبار المروّحة للخاطر ماروى من أنّه لما خلقت المرأة نظر اليها أبليس فقال: أنت سؤلي وموضع سرّي ونصف جندي وسهمي الذي أرمي به فلا أخطي واذا أختصمت هي وزوجها في البيت فله في كلّ زاوية من زوايا البيت شيطان يصفق ويقول فرح الله من فرحني حتّى اذا أصطلحا خرجوا عميا يتعاوون ويقولون أذهب الله نور من ذهب بنورنا، وقيل أنّ عرش الرحمن ليهتزّ عند أفتراق الزوجين، وقيل أنّ فرحة أبليس اذا فرق بين المتحابّين كفرحته حين أخرج آدم من الجنّة.

ومن الأخبار مارواه سيّدنا الأجلّ علم الهدى قدّس الله روحه من قوله ﷺ انّ الميّت ليعذّب ببكاء الحيّ عليه، وفي رواية أُخرى انّ الميت يعذّب في قبره بالنياحة عليه، أقول أجاب عن هذا الحديث المرتضى ره قال: والجواب اذا كنّا قد علمنا بأدلة العقل التي لايدخلها الأحتمال والأمتناع والمجاز قبح مؤاخذة أحد بذنب غيره وعلمنا أيضاً ذلك بأدلة السمع مثل قوله تعالى{ولاتزر وازرة وزر أخرى} فلا بدّ ان نصرف ماظاهره بخلاف هذه الأدلة فالتي سئلنا عنها ان صحّت روايتها معناه انه من أوصى وصياً ان يناح عليه ففعل ذلك بأمره وعن أذنه فأنّه يعذّب بالنياحة عليه وليس معنى يعذب بها ان يؤاخذ بفعل النياحة وانّما معناه أنّه يؤاخذ بأمره بها ووصيته بفعلها، وأنما قال النبي ﷺ ذلك لأنّ في الجاهلية كانوا يرون البكاء عليهم والنوح فيأمرون ويؤكّدون الوصية بفعله، وهذا مشهور عنهم، ثمّ قال ويمكن ان يكون في قوله يعذب ببكاء أهله وجه آخر وهو ان يكون المعنى أنّ الله تعالى اذا أعلم ببكاء وأعزته عليه وما لحقهم من الحزن والهمّ تألّم بذلك فكان عذاباً له والعذاب ليس بجار مجرى العقاب الذي لايكون الاّ على ذنب متقدّم بل قد يستعمل كثيراً بحيث يشمل الألم والضرر، الا ترى أنّ القائل قد يقول لمن أبتدأ بالضرر والألم قد عذّبتني بكذا وكذا كما تقول أضررت بي وألمتني وانّما لم يستعمل العقاب حقيقة في الألم المبتداء من حيث كان أشتقاق لفظه من العاقبة التي لابدّ من تقدّم سبب لها وليس هذا في العذاب انتهى ويمكن ان يوجّه بوجه ثالث وهو ان يكون المراد ماتعارف في كل الأعصار من انّهم ينوحون على الميت ويعدّدون أوصافه الجميلة عندهم مثل قتل الأقران، وصبة الغارات على المسلمين ونحو ذلك من الأوصاف التي يعذّب الميت عليها وهم ينوحون بها عليه.

ومن الطرائف : مانقله الزمخشري قال عظم على طيّ موت حاتم فأدّعى أخوه أن يخلفه، فقالت له أمّه: هيهات شتان مابين خلقتكما وضعته فبقى سبعة أيّام لايرضع حتّى القمت ثديي طفلاً من الجيران وكنت أنت راضعاً أحدهما(تأخذ الأخرخ) وآخذاً الآخر بيدك فأنّى لك!.

ومن الأخبار قوله ﷺ انّ من البيان لسحراً، وهو يحتمل المدح وهو الأشهر في معناه، والذم ايضاً، امّا الأوّل فهو في أصله انّ من البيان بياناً غريباً على الأسماع يأتي عليها كالسحر، وامّا الثاني فمعناه انّ من البيان بياناً مّموهاً كما ان السحر مّموه.

ومن الأخبار المروحة مارواه الصدوق قدّس الله روحه بأسناده الى ابي بصير قال: سمعت الصادق عليه السلام يحدّث عن ابيه عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ يوماً لأصحابه أيُكم يصوم الدهر؟ فقال سلمان: أنا يارسول الله، قال: فأيّكم يحيي الليل؟ قال سلمان انا يارسول الله، قال: فأيَكم يختم القرآن في كلّ يوم؟ فقال: سلمان انا يارسول الله فغضب بعض أصحابه وهو عمر بن الخطاب فقال: يارسول الله انّ سلمان رجل من الفرس يريد أنّ يفتخر علينا معاشر قريش، قلت

أيكم يصوم الدهر فقال: انا وهو أكثر ايّامه يأكل!وقلت ايكم يحيي الليل فقال: أنا وهو أكثر ليله نائم، وقلت ايكم يختم القرآن في كل يوم فقال: أنا وهو أكثر ايّامه صامت، فقال النبي ﷺ يافلان أنى لك بمثل لقمان الحكيم سله فانّه ينبئك، فقال الرجل لسلمان ياابا عبد الله أليس زعمت أنك تصوم الدهر؟ فقال: نعم فقال: رأيتك في أكثر نهارك تأكل؟فقال: ليس حيث تذهب اني أصوم الثلثة الأيام في الشهر وقال الله عزّ وجلّ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها واواصل شعبان بشهر رمضان فذلك صوم الدهر، فقال اليس زعمت انّك تحيي الليل؟ فقال: نعم قال: أكثر ليلتك نائم فقال: ليس حيث تذهب ولكنّي سمعت حبيبي رسول الله ﷺ يقول من بات على طهر فكأنّما أحيى اليل كلّه وانا أبيت على طهر فقال: أليس زعمت أنّك تختم القرآن في كلّ يوم؟ قال: نعم، قال فأنت أكثر ايّامك صامت فقال: ليس حيث تذهب ولكني سمعت حبيبي رسول ﷺ يقول لعليّ ؏ ياابا الحسن مثلك في أمتي مثل{ قل هو الله أحد} فمن قرأها مرة فقد قرأ ثلث القرآن، ومن قرأها مرّتين فقد قرأ ثلثي القرآن ومن قرأها ثلاثاً فقد ختم القرآن، فمن أحبّك بلسانه فقد كمل له ثلث الأيمان ومن أحبّك بلسانه وقلبه فقد كمل له ثلثا الأيمان ومن أحبّك بلسانه وقلبه ونصرك بيده فقد أستكمل الأيمان كلّه والّذي بعثني بالحقّ ياعلي لو أحبّك اهل الأرض كمحبة أهل السماء لما عذّب أحد بالنار، وأنا أقرأ {قل هو الله أحد} في كل يوم ثلاث مرّات، فقام وكأنّه ألقم حجراً.

ومن الأخبار ماروي عن سليمان ؏ انّه قال: الغالب لهواه أشدّ من الذي يفتح البلاد وحده.ومن الآثار انّ امرأة قرشيّة حلقت شعر رأسها وكانت أحسن الناس شعراً فقيل لها في ذلك؟ فقالتك أردت أن أغلق الباب فلمحني رجل ورأسي مكشوف فما كنت لأدع عليّ شعراً رآه من ليس بمحرم، ومن الآثار أنّه نزل رجل على أخ له فشخص المنزول اليه في بعض حاجاته وقال لأمرأته يازرقا أوصيك بضيفي هذا، فلمّا عاد بعد شهر قال لها: كيف ضيفنا قالت: ما أشغله بالعمى عن كلّ شيء وكان الضيف أطبق عينيه فلم ينظر اليها والى المنزل الى ان عاد زوجها.

ومن الأخبار ماروي عن مولانا أمير المؤمنين ؏ قال كانت الفقهاء والحكماء اذا كاتبوا بعضهم بعضاً كتبوا بثلاث ليس معهنّ رابعة: من كانت الآخرة همّه كفاه الله همّه من الدنيا، ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته.ومن أصلح فيما بينه وبين الله عزّ وجلّ أصلح الله فيما بينه وبين الناس.

اقول قد سبرنا هذا الخبر وجرّبنا مضمونه فرأيناه كما قال ؏ وذلك انا رأينا رجالاً قد أتّصفوا بالصلاح والعلم والعمل ورأينا ألسنة المؤمنين تنالهم بسوء وتهمة فتعجبنا من ظاهر

أحوالهم ومّما يقول الناس فيهم، ولمّا تفحصنا عن أحوالهم باطناً ظهر لنا أنَ ماقاله الناس فيهم حق واقع ولكن ماعلمنا طريق أطّلاع الناس على باطن حالهم سوى ماذكرناه سابقاً في تضاعيف الأنوار من ان الله سبحانه يرسل ملكاً بصورة رجل فيظهر باطن ذلك الرجل للناس حتّى يعرفوه بما هو عليه من الصلاح والفساد ولكن مثل هذا لايكون برهاناً شرعيّاً يستدلّ به الدليل الشرعي على ذلك الباطن، نعم ربّما اتّهم بعض الناس شخصاً بريئاً ماقيل فيه لكن يظهر للناس بعد حين براءته مما قيل فيه وامّا ما ورد من قولهم عليهم السلام لايضرّك مايقول الناس فيك اذا كنت صالحاً عند الله فقد عرفت انَ المراد من الناس جمهور المخالفين وهؤلاء اذا كان حال الرجل عندهم حال سوء فهو دليل على حسن حاله عند الله.

ومن الأخبار ماروي عن الصادق قال انَ العبد لفي فسحة من امره مابينه وبين اربعين سنة فاذا بلغ أربعين سنة أوحى الله عزّ وجلّ الى ملائكته انّي قد عمّرت عبدي عمراً فغلّظا وشدّدا وتحفظا واكتبا عليه قليل عمله وكثيره وصغيره وكبيره.

اقول مامعنى هذا التشديد عليه؟ وما كان التخفيف عنه قبل الأربعين؟ قلت: يجوز ان يكون ذلك التخفيف اشارة الى ماروى من انَ الملك الّذي اسمه رقيب وهو كاتب الحسنات يقول لعتيد وهو كاتب السيئات اذا فعل العبد سيئة ارتقبه لعلّه يتوب فيرتقبه سبع ساعات فان تاب والاّ كتبها عليه فيكون هذا الأنتظار والأرتقاب فيما قبل الأربعين.

ومن الأخبار ماروى عن النبي صلى الله عليه وآله قال انَ قلوب بني آدم كلّها بين أصبعين من أصابع الرحمن يصرفها كيف شاء، وقد ذكر سيّدنا المرتضى أعلى الله علاه فيه وجوهاً: الأول انّه قد ورد في اللغة والشعر الفصيح اطلاق الأصبع على الأثر الحسن ومعناه حينئذٍ انّه مامن آدميّ الاّ وقلبه بين نعمتين جليلتين حسنتين وهي نعم الآخرة لأنهما نوعان ووجه تسمية النعمة أصبعاً لأنّه يشار بالأصبع الى النعمة، الثاني ماقاله ايضاً او ذكر انه الأوضح والأشبه بمذاهب العرب وهو ان يكون معناه يتيسر تصريف القلوب عليه كما يقال هذا الشيء في خنصري وتحت أصبعي وهو المراد من قوله تعالى {والسماوات مطويات بيمينه} الثالث يجوز ان يكون القلب يشتمل عليه جسمان على شكل الأصبعين يحرّكه الله تعالى بهما ويقلّبه بهما.

اقول ويجوز ان يكون المراد بالأصبعين هنا النقطة السوداء والنقطة البيضاء اللّذان في قلب ابن آدم كما ورد في مستفيض الأخبار وانَ الأولى تتزايد بتزايد الذنوب حتّى يصير القلب كلّه أسود كما أنَ القلب بفعل أعمال البر يبيض شيئاً فشيئاً حتّى يصير القلب كلّه أبيض ويجوز ان يكون المراد بالأصبعين هنا او امره تعالى ونواهيه اللذين لايكون التصديق بهما والأذعان الاّ بالقلب فيكون أشارة الى الأوامر والنواهي ونسخهما في وقت دون آخر ويجوز أن يكون المراد

بالأصبعين هنا اللطف والخذلان فانَ من عمل ما يستحق به الألطاف منحه من الألطاف مايكون هو جلَ شأنه عينه التي بها يبصر وسمعه الّذي به يسمع وقلبه الّذي به يفهم كما ورد في الحديث المشهور ومن أستحقَ الخذلان بأعماله أهمله ونفسه حتّى يرد مورد المهالك.

ويجوز ان يكون المراد بالأصبعين هنا ماورويناه في هذا الكتاب من انَ على قلب كل واحد ملكاً عن يمينه وشيطاناً عن يساره فهذا يأمره بالخير وذاك يأمره بالشرَ وسمى هذا أصبعاً لأنّه مخلوق من مخلوقاته وهو سبحانه الّذي سلّطه على قلب بن آدم امتحاناً له وأبتلاءً، ويجوز ان يكون هذا الحديث أشارة الى الأسرار الألهية الّتي يفعلها سبحانه بقلب عبده من غير ان يطلعه عليها لأنَه الذي يحول بين المرء وقلبه لكن ذلك الصنع منه سبحانه لايصل الى حدَ الألجاء والأضطرار حتَى ينافي التكليف فيكون إشارة الى قول مولانا أمير المؤمنين عليه السلام عرفت الله بفسح العزائم ونقض الهمم وتحقيق هذا يحتاج الى مقام آخر.

ومن الأخبار المروَحة من الملال مارواه الصدوق ره بأسناده الى سلمان الفارسي رضي الله عنه قال صلَى بنا رسول الله صلى الله عليه وآله صلاة الصبح فلمّا سلّم قال: اين ابن عمي وقاضي ديني ومنجز عدتي اين عليَ بن ابي طالب؟فأجابه بالتلبية لبَيك لبَيك يارسول الله قال: ياعلي أتريد أن أعرفك فضلك من الله تعالى؟ قال: نعم ياحبيبي قال: ياعلي أخرج الى صحن المسجد فاذا طلعت الشمس فسلَم عليها قال: فخرج علي عليه السلام الى صحن المسجد فلمّا طلعت الشمس قال لها السلام عليك ايتها الشمس؟ فقالت: وعليك السلام ياأول ياآخر ياظاهر ياباطن يامن هو بكلَ شيء عليم قال: فضجت الصحابة قالوا: يارسول الله بالأمس تقول لنا الأوَل والآخر صفات الله تعالى؟! قال: نعم تلك صفات الله عزَ وجلَ وهو الله وحده لاشريك له يحيي ويميت وهو حيَ لايموت بيده الخير وهو على كلَ شيءٍ قدير، قالوا: فما بالنا نسمع الشمس تقول لعلي هذا فصار عليَ ربّاً يعبد؟! فقال النبي صلى الله عليه وآله: أستغفروا الله ثمَ توبوا اليه اما قولها ياأوّل فهو أوّل من آمن بي وصدّقني، وامّا قولها ياآخر فهو آخر من يكسر الأصنام، وامّا قولها ياظاهر فهو والله أظهر دين الله بالسيف، وامّا قولها ياباطن فهو باطن بطينة علمي، وامّا قولها يامن هو بكلَ شيءٍ عليم، فو عزّة ربي ما علّمني ربّي شيئاً الاّ علّمته علياً وانّه بطرق السماء أعرف بها من طرق الأرض، ثمّ قال ياعلي أدخل وافتخر.فدخل وهو يقول:

أنا للحرب اليها وبنفسي أطليها

نعمة من خالق الخلق بها قد خصّنيها	وانا حامل لواء الحمد يوماً أحتويها
وانا السابق في الأسلام طفلاً ووجيهاً	ولي الفضل على الناس بفاطم وابيها
ثمَ فخري برسول الله اذ زوّجنيها	واذا أنزل ربّي آية علّمنيها

ولقد زقّني العلم لكي صرت فقيهاً

ومن الأخبار مارواه الصدوق بأسناده الى مولانا الحسين عليه السلام قال كنت مع عليّ بن ابي طالب يوماً على الصفا واذا هو بدراج يدرج على وجه الأرض على الصفا فوقف مولاي بأزائه فقال: السلام عليك أيّها الدراج، فقال الدراج: عليك السلام ورحمة الله وبركاته ياأمير المؤمنين، فقال علي عليه السلام ايها الدراج، فقال الدراج: عليك السلام ورحمة الله وبركاته ياأمير المؤمنين، فقال علي عليه السلام ايّها الدراج ماتصنع في هذا المكان؟ قال: انا في هذا المكان منذ اربعمائة عام أسبّح الله تعالى واقدسه وأحمده وأعبده حقّ عبادته فقال عليه السلام انّه لصفاء نقيّ لامطعم فيه ولا مشرب فمن اين مطعمك ومشربك ؟ قال: يامولاي وحقّ من بعث ابن عمّك نبيّاً وجعلك وصياً انّي كلّما جعت دعوت الله عزّ وجل لشيعتك ومحبّيك فأشبع، واذا عطشت دعوت الله على مبغضيك فأروى.

ومن الآثار ماورد في كلام الحكماء كما أنّ الذباب يتبع.واضع الجروح ويجتنب المواضع الصحيحة كذلك الشرار يتبعون معايب الناس فيذكرونها ويدفنون المحاسن، ومن الآثار مانقله صاحب كتاب ربيع الأبرار عن الشافعي قال بينا انا أدور في طلب العلم فدخلت بلدةً من بلاد اليمن فرأيت أنساناً من وسطه الى أسفله بدن أمرأة ومن وسطه الى فوقه بدنان مفترقان بأربع أربع أيد ورأسين ووجهين وهما يتقاتلان ويتلاطمان ويصطلحان ويأكلان ويشربان، ثمّ غبت عنهما سنين ورجعت فسألت عنهما فقيل لي أحسن الله عزاك في البدن الواحد فربط من أسفله بحبل وثيق وترك حتّى ذبل فقطع وعهدي بالجسد الآخر في السوق ذاهباً وجائياً، قال: ورأيت في اليمن شيخاً كبيراً يدور على بيوت الفتيان يعلّمهن الغنا فاذا حضرت الصلاة صلّى قاعداً.

ومن الأخبار ماروى عن ابي الحسن موسى عليه السلام انّه قال لرجل من أصحابه يافلان أتّق الله وقل الحق ولو كان فيه هلاكك فأنّ فيه نجاتك، يافلان أتّق ودع الباطل وان كان فيه نجاتك فانّ فيه هلاكك، أقول لعلّك تقول أنّ هذا بظاهره ينافي ماورد من الأمر بالتقيّة فأنّها لاتكون الاّ في قول الحقّ مع انّه روى في الأخبار وأنعقد عليه الأجماع انّ التقية تقتضي كتمان قول الحق بما يكون فيه ضرر أقلّ من الهلاك؟ قلت يمكن الجواب عن هذا بوجهين:

الأوّل انّه عليه السلام كان عالماً بأحوال ذلك الرجل وبأنّه يكتم الحقّ من غير أن يصل الى حدّ التقية فهدّده عليه السلام بهذه المبالغات.

الثاني وهو الأظهر انّ المراد الخوف والتوهم من الهلاك كأن يقول اذا قلت الحقّ في هذه الواقعة فلعلّ الحاكم يقتلني أو يضرّني مع انّ ذلك الحاكم لم يعتدّ قتل من قال الحق ولا إضراره، وهذا كثير في هذه الأعصار.

ومن الأخبار مارواه الصدوق بأسناده الى الصادق عليه السلام قال أنّ داود النبي عليه السلام قال يارب أخبرني من قريني في الجنة ونظيري في منازلي؟ فأوحى الله تعالى اليه انّ ذلك متّى ابو يونس قال: فأستأذن الله في زيارته، فأذن له فخرج هو وسليمان ابنه عليهما السلام حتى أتيا موضعه فاذا هما ببيتٍ من سعف، فقيل لهما: مو في السوق، فسألا عنه، فقيل لهما أطلباه في الحطّابين، فسألا عنه فقال لهما جماعة من الناس نحن ننتظره الآن حتى يجيء فجلسا ينتظرانه اذ أقبل وعلى رأسه وقر من حطب، فقام اليه الناس فألقى عنه الحطب وحمد الله، وقال من يشتري طيّباً بطيّب فساومه واحد وزاده آخر حتّى باعه من بعضهم قال فسلّما عليه فقال: أنطلقا بنا الى المنزل وأشتري طعاماً بما كان معه، ثمّ طحنه وعجنه في نقير له، ثمّ أجّج ناراً وأوقدها ثمّ جعل العجين في تلك النار وجلس معهما يتحدّث، ثمّ قام وقد نضجت خبزته فوضعها في النقير وفلقها وذرّ عليها ملحاً ووضع على جنبه مطهرة ماء وجلس على ركبتيه وأخذ لقمة فلمّا رفعها الى فيه قال: بسم الله، فلمّا أزدردها قال: الحمد لله ثمّ فعل مثل ذلك بأخرى وأخرى، ثمّ أخذ الماء فشرب منه فذكر اسم الله تعالى فلمّا وضعه قال: الحمد لله، يارب من ذا الذي أنعمت عليه وأوليته مثل ما أوليتني، قد صحّحت سمعي وبصري ويدي حتّى وقوّيتني حتّى ذهبت الى شجر لم أغرسه ولم أهتم بحفظه فجعلته لي رزقاً وهيأت لي من أشتراه منّي فأشتريت بثمنه طعاماً لم أزرعه، وسخرت لي النار فأنضجته وجعلته(جعلتني خ) آكله بشهوة أقوى به على طاعتك، فلك الحمد، قال: ثمّ بكى فقال داود لسليمان: يابنيّ قم فانصرف بنا فانّي لم أر عبداً قط أشكر لله من هذا صلى الله عليه وعليهما.

ومن الأخبار المروّحة مارواه الصدوق ره بأسناده الى مولانا أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: أنّي قلت اللهمّ لاتحوجني الى أحد من خلقك، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لاتقل هكذا فليس من أحد الاّ وهو محتاج الى الناس، قال: فقلت كيف أقول يارسول الله؟ قال: قل اللهمّ لاتحوجني الى شرار خلقك قلت يارسول الله ومن شرار خلقه؟ قال الّذين اذا أعطوا منّوا واذا منعواغ عابوا.

ومن الآثار ماقاله الزمخشري في ربيع الأبرار قال: كان ببابل سبع مداين في كل مدينة أعجوبة: كان في أحديها تمثال الأرض فاذا التوى على الملك بعض أهل مملكته بخراجهم خرق أنهارها في التمثال فلا يطيقون سدّ الشقّ حتّى يعدلوا ومالم يسدّ في التمثال لم يسدّ في ذلك البلد.

وفي الثانية حوض اذا أراد الملك أن يجمعهم لطعامه أتى في كلّ واحد مما أحب من شراب فصبه في ذلك الحوض فأختلط الأشربة فكل من أراد شربه سقى منه كأنّه شرابه الّذي جاء به، وفي

الثالثة طبل اذا أرادوا ان يعلموا حال الغايب عن أهله قرعوه فان كان حيّاً صوت وان كان ميّتاً لم يصوّت، وفي الرابعة مرآة اذا أرادوا ان يعلموا حال الغائب ينظروا فيها فيبصروه على أيّ حالة هو عليها كأنّهم يشاهدوه، وفي الخامسة أوَزة من نحاس فإذا دخل غريب صوّت صوتاً يسمعه أهل المدينة، وفي السادسة قاضيان جالسان على الماء فيأتي الخصمان فيمشي المحقّ على الماء حتّى يجلس مع القاضي ويرتطم المبطل، وفي السابعة شجرة ضخمة اذ أجلس أحد تحتها تظلّ الى الألف فإذا زاد على الألف واحد جلسوا كلّهم في الشمس.

ومن الآثار ماحكي عن بعضهم إنّه قال: رأيت ببلاد الهند شيخاً كبيراً يسمّى فلان الصبور، فسألت بعضهم عن حاله، فقيل أنّه كان له حبيب في عنفوان شبابه فسافر يوماً فخرج هذا الرجل الى وداعه فبكت احدى عينيه ولم تبك الأخرى، فقال لعينه: لأحرمنّك النظر الى محبوب الدنيا عقوبة لك على مالم تساعديني على البكاء لفراق محبوبي، فمنذ ثمانين سنة غمض عينه ولم ينظر بها الى شيء.

ومن الأخبار ماروي أنّ يوسف عليه السلام كان له زوج حمام فلمّا فارق يوسف يعقوب عليه السلام فكلمّا أراد يعقوب أن يبتسم او يخاطب أحداً او يتكلم جاء الحمام ووقع بحذائه فذكّره عهد يوسف عليه السلام فكان ينتقض عيشه.

ومن الأخبار ماروي أنَ رجلين تنازعا في أرض فأنطق الله عزَ وجلّ لبنة في جدار تلك الأرض حتى قالت انّي كنت ملكاً من ملوك الأرض ملكت الدنيا ألف سنة ثمّ متُ وصرت رميماً ألف سنة فأخذني خزّاف فاتّخذ مني خزفاً، فأستعملت مدّة ثمّ أنكسرت وبقيت ألف سنة خزفا ثمّ أخذني رجل وضرب منّي لبناً فأنا في الجدار منذ كذا سنة فلم تتنازعا في هذا الأمر.

ومن الأخبار ماروي انّ الله تعالى أوحى الى يعقوب أتدري لم فرّقت بينك وبين يوسف كذا وكذا سنة؟ لأنّك أشتريت جارية لها ولد ففرّقت بينهما بالبيع، فما لم يصل ولدها اليها لم أوصل اليك يوسف، ومن الآثار مانقله صاحب كتاب ربيع الأبرار قيل لكسرى أيّ الناس أحبّ اليك ان يكون عاقلاً؟ قال: عدوي قيل وكيف ذاك؟ قال: لأنّه اذا كان عاقلاً فأنّي منه في عافية.

ومن الأخبار مانقله الزمخشري قال: علي رضى الله عنه لعامل أنطلق على تقوى الله وحده لاشريك له، وتقول اذا قدمت الحي أرسلني اليكم أمير المؤمنين وليّ الله وخليفته لأخذ حق الله منكم في أموالكم فهل لله في أموالكم من حقّ فتؤدوه الى وليّه؟ فإن قال قائل لافلا تراجعه!وإن أنعم لك منعم فانطلق معه من غير أن تخيفه او توعده الى آخر الحديث، ثمّ قال: قلت أنظر الى

هذالا البون الباين والتفاوت المتباين فإنّ فيه عبرة لمعتبر ودليلاً لمن أفتكر[٣] هذا أمير المؤمنين وسيّد المسلمين ووصي رسول رب العالمين يأمره في الصدقة بهذه الأوامر ويكلها الى ربّ المال من غير أكراه ولا إجبار ولا إستخلاف على صحّة دعواه، وهذا ابو بكر قاتل من منعها وسفك الدماء وبيا النساء واسترق الذّرية وسمّى مانعها مرتدين، أفاتّباع أمير المؤمنين وسيد الوصيين وابن عمّ رسول رب العالمين، ومن ثبتت عصمته، ووجبت على الأمة طاعته، ونص رسول الله ﷺ على أمامته أولى باتّباع؟ام من حرر على نفسه الخطأ، وأستقال ماتقلّده من الأمر وأقرّ انّه يقول في الأحكام رأيه ويفتي المسلمين بأجتهاده ام يصمّم الخصم على أعتقاده في أنّ كل مجتهد مصيب وان هذا حلّ له قتال مانع الزكاة وسمّاه كافراً ولم يخالفه أحد، وأنّ مافعله أمير المؤمنين من ترك القتال عليها الأبل تركها على ربّها بأمانته؟ وهذا تفاوت عظيم وتباين شديد يدلّ كل متأمّل على أنّ أحد هذين المجتهدين مخطىء مأثوم في فعله انتهى، فانظر كيفأجرى الله الحجّة على لسانه.

ومن الأخبار ماروي عن ابن المكندر قال خرجت الى بعض نواحي المدينة في ساعة حارة فلقيت محمّد بن علي الباقر عليهما السلام وكان رجلاً بديناً وهو متكي على غلامين له أسودين، فقلت في نفسي شيخ من شيوخ قريش في هذه الساعة على هذه الحالة في طلب الدنيا، لوجاءك الموت وأنت على هذا الحال؟قال فخلّى عن الغلامين من يده ثمّ تساندهما وقال لو جاءني الموت وانا في هذه الحال جائني وانا في طاعة من طاعات الله أكفّ بها نفسي عنك وعن الناس، فانّما كنت أخاف الموت لو جائني وأنا على معصية من معاصي الله، فقلت يرحمك الله أردت أن أعظك فوعظتني.

ومن الأخبار ما روي عن محمّد بن الفضل قال لمّا كان في السنة الّتي بطش هارون بالبرامكة وقتل جعفر بن يحيى وحبس يحيى بن خالد ونزل بهم مانزل كان ابو الحسن عليه السلام واقفاً بعرفة يدعو، ثمّ طأطأ رأسه فسأل عن ذلك؟ فقال أنّي كنت أدعوا الله على البرامكة قد فعلوا بأبي مافعلوا، فاستجاب الله لي فيهم اليوم فلمّا أنصرف لم يلبث الاّ يسيراً حتّى بطش بجعفر وحبس يحيى وتغيرت حالهم.

ومن الأخبار ماروي عن سليمان الجعفري قال: كنت مع الرضا عليه السلام في حائط وأنا أحدّثه أذا جاء عصفور فوقع بين يديه وأخذ يصيح ويكثر الصياح ويضطرب فقال أتدري مايقول؟ قلت الله ورسوله وابن عمّ رسوله أعلم قال: قد قال لي أنّ حيّة تريد أن تأكل فراخي في البيت فقم وخذ تلك النسعة وأدخل البيت وأقتل الحيّة قال فقمت وأخذت النسعة ودخلت البيت واذا حيّة تجول في البيت فقتلتها.

---

(٣) افتكر من الامر : فكر (وهي عامية)

ومن الأخبار ما أورده صاحب كتاب تاريخ نيشابور ان عليّ الرضا عليه السلام دخل الى نيشابور في السفرة الّتي قضى له فيها بالشهادة كان في مهد بغلة شهباء عليها مركب من فضة فعرض له في الأسواق الأمامان المحدّثان ابو زرعة ومحمّد بن أسلم فقالا ايّها الأمام ابن الأئمة بحقّ آبائك الطاهرين الاَ أريتنا وجهك المبارك الميمون ورويتنا حديثاً عن آبائك عن جدّك فأستوقف البغلة ورفع المظلة والناس قيام وكانوا بين صارخ وباك وممزّق ثوبه ومتمرغ في التراب ومقبّل حزام بغلته الى أن أنتصف النهار وجرت الدموع كالأنهار، فصاحت القضاة معاشر الناس أسمعوا فأملى عليه السلام هذا الحديث وعدّ من المحابر أربع وعشرون الفاً سوى الدوى، والمستملي ابو زرعة الرازي ومحمّد بن أسلم فقال عليه السلام: حدّثني ابي موسى بن جعفر الكاظم قال حدثني ابي جعفر بن محمّد الصادق قال حدثني لبي محمّد بن علي الباقر قال حدثني ابي علي بن الحسين زين العابدين قال: حدّثني ابي الحسين بن غلي شهيد كربلاء قال: حدّثني ابي علي بن ابي طالب شهيد أرض كوفة، قال: حدثني أخي وابن عمّي محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله قال حدثني جبرئيل عليه السلام قال سمعت رب العزّة سبحانه وتعالى يقولكلمة لااله الا الله حصني فمن قالها دخل حصني ومن دخل حصني أمن من عذابي قال الأستاذ ابو القاسم القشيري انّ هذا الحديث بهذا السند بلغ بعض أمراء السامانيّة فكتبه بالذهب وأوصى أن يدفن معه فلمّا مات رأى في المنام فقيل له: مافعل الله بك؟ قال: غفر لي بتلفظي بلا اله الا الله وتصديقي محمّداً رسول الله وأنّي كتبت هذا الحديث بالذهب تعظيماً وأحتراماً.

ومن الأخبار ماروى انّ زيد بن موسى بن جعفر عليه السلام خرج بالبصرة وأدّعى الى نفسه وأحرق دوراً وأعيث ثمّ ظفر به وحمل الى المأمون قال زيد: لّما دخلت على المأمون نظر اليّ ثمّ قال: اذهبوا به الى أخيه ابي الحسن علي بن موسى الرضا فتركني بين يديه ساعة واقفاً، ثمّ قال: يايزيد سوء لك سفكت الدماء وأخفت السبيل وأخذت المال من غير حلّه غرّك حديث حمقى أهل الكوفة انّ النبي صلى الله عليه وآله قال ان فاطمة أحصنت فرجها فحرمها وذرّيتها على النار، ان هذا لمن خرج من بطنها الحسن والحسين فقط اما والله مانالوا ذلك الا بطاعة الله، ولئن أردت أن تنال بمعصية الله مانالوا بطاعته انك اذاً لأكرم على الله منهم، قال صاحب كشف الغمّة تغمده الله برحمته ظفر المأمون بيزيد وأنفاذه أيّاه الى أخيه وظفر قبل هذا بمحمّد بن جعفر وعفوه عنه وقد خرجا وادّعيا الخلافة وفعلا مافعلا من العبث في بلاده يقوّي حجّة من ادّعى انّ المأمون لم يغدر به عليه السلام ولا ركب منه ما أتّهم به محمّداً وزيداً لايقاربان الرضا عليه السلام في منزلته من الله سبحانه ولا من المأمون، ولم يكن له ذنب يقارب ذنوبهما بل لم يكن له ذنب أصلاً فما وجه العفو هناك والفتك هنا؟!.

أقول وجهه انَ المأمون كان عالماً بأنّ كلَ من يخرج عليه من العلويين لا يستتم أمره لعدم أنقياد الشيعة له وأن أطاعهم القليل ردّوا عنهم كما فعلوا مع زيد بن علي بن الحسين عليهما السلام بخلاف الرضا عليه السلام فانّه لو خرج لخرجت الشيعة ولتم الأمر بزعم المأمون ولهذه العلّة فتك الرشيد لعنه الله بموسى الكاظم عليه السلام والاّ فهو قد كان يعرف من قدره ما عرفه المأمون من قدر الرضا غليه السلام.

ومن الأخبار ماروي عن الجواد عليه السلام سأل القاضي يحيى بن أكثم في مجلس المأمون فقال: أخبرني عن رجل نظر الى أمرأة في أوّل النهار فكان نظره اليها حراماً عليه فلمّا أرتفع النهار حلّت له.فلمّا زالت الشمس حرمت عليه فلمّا كان وقت العصر حلّت له فلمّا غربت الشمس حرمت عليه فلمّا طلع الفجر حلّت له ماحال هذه المرأة وبماذا حلّت له وحرمت عليه؟ فقال له يحيى بن اكثم لا والله لا أهتدي الى جواب هذا السؤال فقال ابو جعفر عليه السلام هذه أمة لرجل من الناس نظر اليها أجنبيَ في أوّل النهار فكان نظره اليها حراماً عليه فلمّا أرتفع النهار إبتاعها من مولاها فحلّت له فلمّا كان الظهر أعتقها فحرمت عليه فلمّا كان وقت العصر تزوجها: فحلت له فلمّا كان وقت المغرب ظاهر منها فحرمت عليه فلمّا كان وقت العشاء الاخرة كفّر عن الظهار فحلّت له فلمّا كان نصف الليل طلّقها واحدة فحرمت عليه فلمّا كان الصبح راجعها فحلّت له قال فأقبل المأمون على من حضره من أهل بيته فقال لهم: هل فيكم أحد يجيب عن هذه المسئلة بمثل هذا الجواب؟ويعرف القول فيما تقدّم من السؤال؟ قالوا لا والله انّ أمير المؤمنين أعلم وما راى، فقال لهم: ويحكم انَ أهل هذا البيت خصّوا من الخلق بما ترون من الفضل وان صغر السنَ فيهم لايمنعهم من الكمال.

وروى الصدوق طاب ثراه بأسناده الى الصادق عليه السلام انّ المسوخ من بني آدم ثلاثة عشر صنفاًكالقردة والخنازير والذئب والدبّ والفيل، والدعموص والجريث والعقرب والسهيل، والزهرة والعنكبوت، والقنذ قال الصدوق: والزهرة وسهيل دابتان وليسا نجمين ولكن سمّى بهما النجمان كالحمل والثور، قال والمسوخ جميعها لم يبق أكثر من ثلاثة أيام ثمّ ماتت ولم تتوالد وهذه الحيوانات على صورها سمّيت مسوخاً استعارة، وعن الرضا عليه السلام الفيل مسخ كل زنّاء، والذئب كان أعرابيّاً ديّوثاً والأرنب مسخ لأنّها كانت أمرأة تخون زوجها ولاتغتسل من حيضها، والوطواط مسخ لأنه كان يسرق تمور الناس، والقردة والخنازير قوم من بني أسرائيل أعتدوا في السبت والجريث والضبّ فرقة من بني إسرائيل حين نزلت المائدتان على عيسى بن مريم عليهما السلام لم يؤمنوا فتاهوا فوقعت فرقة في البحر وفرقة في البر والفارة وهي الفويسقة والعقرب كانا نمّاماً والدب والوزغ والزنبور كان كل منهما لحاماً يسرق في الميزان، وفي خبر عن الرضا عليه السلام انّ من جملتها الطاووس والأرنب.

وروى مرفوعاً الى الأصبغ بن نباتة قالك جاء نفر الى أمير المؤمنين عليه السلام فقالوا له: انّ المعتمد[٤] يزعم انّك تقول هذا الجري مسخ قال: مكانكم حتّى أخرج اليكم فتناول ثوبه ثمّ خرج اليهم فمضى حتّى انتهى الى الفرات بالكوفة فصاح ياجريّ؟فأجابه لبّيك لبّيك قال من أنا قال أنت إمام المتقين وأمير المؤمنين، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام فمن أنت، قال: انا ممّن عرضت عليه ولايتك فجهدتها ولم أقبلها فمسخت جرياً وبعض هؤلاء الّذين معك يمسخون جريّاً فقال أمير المؤمنين عليه السلام بيّن قصّتك وممّن كنت ومسخ معك؟قال نعم ياأمير المؤمنين كنّا أربعاً وعشرين طائفة من بني إسرائيل قد تمرّدنا وطغينا وأستكبرنا وتركنا المدن لانسكنها أبداً، وسكنا بالمفاوز رغبة منا في البعد عن المياه وأتانا آت أنت والله أعرف به منّا فصرح صرخة فجمعنا في مجمع واحد وكنّا متفرقين في تلك المفاوز فقال مالكم هربتم عن المدن والأنهار والمياه وسكنتم هذه المفاوز؟ فأردنا أن نقول لأنّا فوق العالم تعزّزاً وتكبّرا فقال قد علمت ما في أنفسكم فعلى الله تتعززون وتتكبّرون؟فقلنا له: لا فقال: أليس قد أخذ عليكم العهد ان تؤمنوا بمحمّد بن عبد الله المكي؟ فقلنا بلى، قال وقد أخذ عليكم العهد بولايةوصيّه وخليفته من بعده أمير المؤمنين عليّ بن ابي طالب عليه السلام، فسكتنا فلم نجب الاّ بألسنتنا وقلوبنا ونيّاتنا لم تقبلها ولم تقرّ بها، فقال أو تقولون بألسنتكم خاصّة؟ ثمّ صاح بنا صيحةوقال لنا كونوا بإذن الله مسوخاً كلّ طائفة جنساً، ثمّ أيّتها القفار كوني بإذن الله أنهاراً تسكنك هذه المسوخ، وأتّصلي ببحار الدنيا وبأنهارها حتّى لايكون ماء الاّ كانوا فيه فمسخنا ونحن أربعةً وعشرون طائفة فمنّا من قال أيّها المقتدر عليه بقدرة الله تعالى فبحقّه عليك الاّ ما أغنيتنا غمّ الماء وأجعلنا على وجه الأرض كيف شئت، قال لك فعلت قال أمير المؤمنين عليه السلام فبيّن لنا ما كان من أجناس المسوخ البريّة والبحريّة فقال: أمّا البحريّة فنحن الجري والزقّ، والسلاحف، والمارماهي والزمّار، والسرطان وكلاب الماء، والضفادع وبنت هرص والعرصان، والكوسح والتمساح.

قال عليه السلام وأمّا البريّة؟قال نعم ياأمير المؤمنين الوزغ، والكلب والدب والقرد والخنازير والضبّ والحرباء والورل والخنافس والأرنب والضبع قال أمير المؤمنين عليه السلام صدقت ايها الجري فما فيك من طبع الأنسانيّة وخلقها؟ قال الجريّ أفواهنا وكلّنا نحيض، قال أمير المؤمنين عليه السلام صدقت ايّها الجريّ، قال الجرّي: ياأمير المؤمنين فهل من توبة، فقال عليه السلام: الأجل يوم القيامة وهو اليوم المعلوم والله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين، قال الأصبغ فسمعنا والله ماقال ذلك الجريّ ووعيناه وكتبناه وعرضناه على أمير المؤمنين عليه السلام وكان من دلائله.

---

(٤) كذا هي النسخ .

وفي خبر آخر عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في جملة مسلئل الراهب اعلم انّ الله عزّ وجلّ مسخ خمساً وعشرين طائفة منهم الدبّ والقرد، ثمّ قال بعد تعدادها امّا الأرنب فانّه كان أمرأة لاتغتسل من الحيض والجنابة، وامّا الدب فانّه كان رجلاً مخنّثاً وأمّا الغراب فانّه كان رجلاً نماماً وامّا ابن العرس فانّه كان يجادل في الله بغير علم، وامّا الخنازير فأنّهم كانوا سبعمائة رجل من النصارى وهو الّذين أكلوا على مائدة موسى عليه السلام أربعين يوماً لم يؤمنوا به فمسخهم الله تعالى خنازير، وامّا القردة فأنّهم كانوا خمسمائة يهودي وهم الّذين أعتدوا في السبت وأصطادوا الحيتان، وامّا العنكبوت فانّها فأنّها كانت أمرأة ساحرة سحرت زوجها فمسخها الله تعالى، وامّا السلحفاة فانّه كانت أمرأة كيّالة تطفف الكيل، وأمّا القنفذ فأنّه كان رجلاً ينبش القبور ويأخذ أكفان الموتى، وامّا السرطان فانّه كان متزوج من أمرأتين وكان يميل الى واحدة دون الأخرى، وأمّا الثعلب فانّه كان رجلاً لصّاً حرامياً يسرق الحاج وامّا الزنبور فانّه كان رجلاً يكذّب العلماء، وامّا سهيل فأنه كان رجلاً من اليمن فهو أول من أظهر مكر السلاطين، وامّا العقرب فانّه كان رجلاً بخيلاً من بني إسرائيل وهو يفسد في نساء العالمين، وامّا الوزغة فإنّها كانت إمرأة حسنة ولاتمنع نفسها من الرجال، وامّا الكلب فانّه كان رجلاً يشهد الزور، وامّا الفأرة فإنها كانت إمرأة تزوّجت زوجين في مكان واحد وأحدهما لايعلم بالآخر وامّا الحية فإنّها كانت رجلاً حاكماً يحكم بين الناس بغير حقّ الحديث.

ومن الأخبار مسنداً الى الأصبغ بن نباتة قال أمسكت لأمير المؤمنين غلي بن ابي طالب عليه السلام بالركاب وهو يريد ان يركب فرفع رأسه ثمّ تبسم فقلت: يا أمير المؤمنين رأيتك رفعت رأسك وتبسمت؟ قال: نعم ياأصبغ أمسكت لرسول الله صلى الله عليه وآله الشهباء فرفع رأسه الى السماء وتبسّم فقلت: يارسول الله رفعت رأسك الى السماء وتبسمت؟ قال: ياعلي انه ليس من أحد يركب ثمّ يقرأ آية الكرسي ثمّ يقول أستغفر الله الّذي لااله الاّ هو الحيّ القيوم وأتوب اليه اللّهم إغفر لي ذنوبي انّه لايغفر الذنوب الا أنت الاّ قال السيد الكريم ملائكتي عبدي يعلم انّه لايغفر الذنوب غيري فاشهدوا انّي غفرت له ذنوبه.

ومن الأخبار مارواه صاحب كشف الغمّة قال انّ هارون الرشيد لعنه الله بعث يوماً الى موسى عليه السلام على يدي ثقة له طبقاً من السرقين الّذي هو على هيئة التين أراد إستخفافه فلمّا رفع الأزار عنه اذاً هو من أحلى التين وأطيبه فاكل منه وأطعم الحامل منه وردّ بعضه الى هارون، فلمّا تناوله هارون صار سرقيناً في فيه وكان في يده تيناً جنيا.

ومن الأخبار ماروي انّ المأمون عليه اللعنة لمّا جعل الرضا وليّ العهد كره ذلك جماعة من حاشية المأمون خوفاً من خروج الملك من بني العباس الى بني فاطمة فحصل لهم من الرضا عليه السلام

نفور واتّفقوا على انّه اذا جاء الى المأمون لايرفعون له الستر أيضاً، فأزدادوا فيه عقيدة ورجعوا الى خدمته.

ومن الأخبار قوله ﷺ لايموت لمؤمن ثلاثة من الأولاد فتمسّه النار الا تحلّه القسم، وفي حلّه وجوه: الأول انّ العرب اذا أرادوا تقليل مكث الشيء وتقصير مدّته شبهوه بتحليل القسم، وذلك ان يقول الرجل بعد حلفه ان شاء الله تعالى فيقولون مايقيم فلان عندنا الاّ تحله القسم، ومعنا لاتمسه النار الا قليلاً، الثاني ماقال بعضهم من أنّ الاّ زائدة دخلت للتوكيد وتحلّه القسم منصوب على الوقت والزمان ومعناه فتمسه النار وقت تحلّة القسم الثالث وهو الأظهر أنّ القسم اشارة الى قوله تعالى {وان منكم الا واردها كان على ربك حتماً مقضيا}، فمعناه انه لايرد النار الاّ بقدر مايبر الله به قسمه.

ومن الأخبار الرقيقة المروحة خبر شقيق البلخي قال: خرجت حاجاً في سنة تسع واربعين ومأة فنزلت القادسية، فبينا أنا أنظر الى الناس في زينتهم وكثرتهم فنظرت الى فتى حسن الوجه فوق ثيابه ثياب من صوف مشتمل بشملة في رجليه نعلان وقد جلس منفرداً، فقلت في نفسي هذا الفتى من الصوفية يريد أن يكون كلاً على الناس في طريقهم والله لأمضين اليه ولأوبخنه فدنوت منه، فلمّا رآني مقبلاً قال: ياشقيق أجتنبوا كثيراً من الظنّ انّ بعض الظنّ إثم، ثمّ تركني ومضى فقلت في نفسي انّ هذا الأمر عظيم قد تكلّم بما في نفسي وتكلّم بإسمي وماهذا الاّ عبد صالح لألحقنّه ولأسألنّه ان(يحلّني خ) يحالنيّ، فأسرعت في أثره فلم ألحقه وغاب عن عيني فلمّا نزلنا راقصة فاذا هو به يصلي وأعضاؤه تضطرب ودموعه تجري، فقلت هذا صاحبي أمضي اليه وأستحلّه، فصبرت حتّى جلس وأقبلت نحوه، فلمّا رآني مقبلاً قال: ياشقيق أتل{ وإنّي لغفّار لمن تاب وعمل صالحاً ثمّ أهتدى}، ثمّ تركني ومضى فقلت انّ هذا الفتى لمن الأبدال لقد تكلّم على سرّي مرتين، فلمّا نزلنا زبالة اذا بالفتى قائم على البئر وبيده ركوة يريد أن يستقي ماء فسقطت الركوة من يده في البئر وانا أنظر اليه فرأيته قد رمق السماء وسمعته يقول شعراً:

أنت ربي اذا ظمئت من الماء وقوتي اذا أردت الطعاما

اللّهم سيّدي مالي غيرها فلا تعدمنيها، قال شقيق فو الله لقد رأيت البئر وقد إرتفع ماؤها فمدّ يده وأخذ الركوة وملأها ماء فتوضأ وصلّى أربع ركعات ثمّ مال اليّ كثيب رمل فجعل يقبض بيده ويطرحه في الركوة ويحرّكه ويشرب، فأقبلت اليه وسلّمت عليه فردّ عليّ السلام فقلت أطعمني من فضل ما أنعم الله عليك فقال ياشقيق لم تزل نعمة الله علينا ظاهرة وباطنة فأحسن ظنّك بربك، ثمّ ناولني الركوة فشربت منها فإذا هو سويق وسكّر فو الله ماشربت قطّ ألذّ منه ولاأطيب ريحاً فشبعت ورويت وأقمت أياماً لا أشتهي طعاماً ولاشراباً ثمّ لم أره حتّى دخلنا مكة

فرأيته ليلة الى جنب قبَة الشراب في نصف الليل قائماً يصلّي بخشوع وأنين وبكاء فلم يزل كذلك حتى ذهب الليل فلما رأى الفجر جلس في مصلاّه يسبح، ثمّ قام فصلّى الغداة وطاف بالبيت إسبوعاً وخرج فتبعته وإذا له غاشية وموال وهو على خلاف ما رأيته في الطريق، ودار به الناس من حوله يسلّمون عليه، فقلت لبعض من رأيته يقرب من هذا الفتى؟ فقال: هذا موسى بن جعفر بن محمّد بن علي بن ابي طالب عليهم السلام، فقلت قد عجبت ان تكون هذه العجائب الاّ لمثل هذا السيّد وقد نظمه الشاعر:

شقيق البلخى عنه وما	شاهد منه ومالّذي كان أبصر
قال لّما حججت عاينت شخصاً	شاحب اللون ناحل الجسم أسمر
سائراً وحده وليس له زاد	فما زلت دائماً أتفكّر
وتوهمت انّه يسأل الناس	ولم أدر أنّه الحجّ الأكبر
ثمّ عاينته ونحن نزول	دون فيد[٥] على الكثيب الأحمر
يضع الرمل في الأناء ويشربه	فناديته وعقلي محيّر
إسقني شربة فناولني منه	فعاينته سويقاً وسكر
فسألت الحجيج من يك هذا	قيل هذا الأمام موسى بن جعفر

ومن الآثار انّه كان حكيم من حكماء اليونان قد ترك الدنيا فقيل له: لم لا تتخذ بيتاً؟ فقال: لي بيت اوسع من كلّ البيوت، السماء سقفه، والأرض سطحه فقيل له: لم لاتتخذ امرأة لعلّه يولد لك ولد يواريك في حفرتك؟ فقال: إذا متّ فكلّ من يتأذى بجيفتي يدفنني، فقيل له: ولم سمّيت كلباغورس؟ فقال: لأنّ صفة الكلب فيّ لأني أدور حول الصديق وأنهش العدو.

وفي المحاضرات أنّه قيل لرجل من أبعد الناس سفراً؟ قال من كان سفره في طلب أخٍ صالح، وسمع المأمون ابا العتاهية ينشد:

وإني لمحتاج الى ظلّ صاحب	يرقّ ويصفو إن كدرت عليه

فقال: خذ مني الخلافة وأعطني هذا الصاحب، قيل لفيلسوف ماالصديق؟ فقال: اسم على غير معنى حيوان غير موجود.

---
(٥) (فيد) منزل بطريق مكة

ومن الأخبار مارواه الصدوق طاب ثراه مسنداً الى عبد السلام بن صالح قال: قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام يابن رسول الله ماتقول في حديث روي عن الصادق عليه السلام اذا خرج القائم عليه السلام قتل ذراري الحسين عليه السلام بفعال آبائهم؟ فقال عليه السلام: هو كذلك، قلت فقول الله عزّ وجلّ {ولا تزر وازرة وزر أُخرى} ما معناه؟ قال: صدق الله في جميع أقواله ولكن ذراري قتلة الحسين يرضون بأفعال آبائهم ويفتخرون بها ومن رضى شيئاً كان كمن أتاه ولو أنّ رجلاً قتل بالمشرق فرضى بقتله رجل بالمغرب لكان الراضي عند الله عزّ وجلّ شريك القاتل، وانّما يقتلهم القائم عليه السلام منكم اذا قام؟ قال يبدأ ببني شيبة فيقطع أيديهم لأنّهم سراق بيت الله عزّ وجلّ.

اقول هذا الحديث مشكل وهو عامّ البلوى وذلك أنّ مدار الناس على انّهم اذا سمعوا ظالماً قتل رجلاً او أخذ ماله او ضربه أستحسنوه، وقالوا: إنّه يستحق ما صنع به فعلى ما في هذا الحديث يكون من رضى بفعل ذلك الحاكم او غيره من الظالمين شريكه في الأثم والعدوان.

ومن الأخبار مارواه الصدوق عن الصادق عليه السلام انّه قيل له ىأخبرنا عن الطاعون فقال لهم عذاب جهنّم عذاب الله لقوم ورحمته لآخرين، قالوا: كيف تكون الرحمة عذاباً؟ قال اما تعرفون انّ نيران جهنّم عذاب على الكفّار وخزنة جهنّم معهم وهي رحمة عليهم، أقول لعلّ المراد انّ الطاعون هو من نقمات الله سبحانه ومؤاخذته للعاصين والحال أنّه يعمّ العاصي وغيره فأوضحه عليه السلام بأنّه محمود العاقبة بالنسبة الى غير العصاة، وذلك أنّه يزيد في درجاتهم ويوفر حظوظهم من الثواب.

ومن الأخبار ماروي عن النبي صلى الله عليه وآله انّه قال خير الصدقة ما أبقت غني واليد العاملة خير من اليد السفلى، وأبدأ بمن تعول امّا قوله صلى الله عليه وآله خير الصدقة ما أبقت غني فالظاهر انّ المراد به الحث على العطية الوافرة وذكر سيّدنا المرتضى طاب ثراه معنىً آخر وهو أنّ خير الصدقة ما تصدقت به من فضل قوتك وقوت عيالك فاذا خرجت صدقتك خرجت على أستغناء منك، ويؤيّده الحديث الآخر انّما الصدقة عن ظهر غنىً، وامّا قوله صلى الله عليه وآله واليد العليا خير من اليد السفلى فقال: قوم يريد انّ اليد المعطية خير من اليد الآخذة وقال آخرون انّ العليا هي الآخذة والسفلى هي المعطية قال ابن قتيبة ولا أرى هؤلاء الاّ قوماً أستطابوا السؤال فهم يحتجّون للدناءة، وقال سيّدنا المرتضى طاب ثراه انّ اليد هيهنا هي العطية والنعمة فكأنّه عليه السلام اراد ان العطية الجزيلة خير من العطية القليلة، اقول وهذا معنىً قوي وان كان المتبادر هو الأوّل.

وفي كتاب المناقب من روايات الجمهور مارووه عن عبد الله بن عمر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسأل بأيّ لغة خاطبك ربّك ليلة المعراج؟ فقال: خاطبني بلغة عليّ بن ابي طالب فألهمني ان قلت يارب انت خاطبتني ام علي؟ فقال: ياأحمد انا شيءٌ وليس كالأشياء ول أُقاس

بالناس ولا أُوصف بالأشياء، خلقتك من نوري وخلقت علياً من نورك فاطّلعت على سرائر قلبك فلم أجد الى قلبك أحبَ من علي بن ابي طالب فخاطبتك بلسانه كيما يطمئن قلبك، وعن الحسن عليه السلام انّه قال لرجل كيف طلبك للدنيا؟ قال: شديد قال فهل أدركت منها ماتريد؟ قال: لا قال فهذه الّتي تطلبها لم تدرك فكيف بالّي لم تطلبها.

ومن الأخبار مارواه الجمهور عن مجاهد قال: قال لي علي عليه السلام جعت يوماً بالمدينة جوعاً شديداً فخرجت أطلب العمل في عوالي المدينة فاذا انا بأمرأة قد جمعت مدراً[٦] وظننتها تريد بلّه، فأتيتها فقاطعتها كلّ ذنوب[٧] على تمرة، فمددت ستّة عشر ذنوباً حتّى مجلت يداي، ثمّ أتيت الماء فأصبت منه، ثمّ أتيتها فقلت: يكفي هكذا بين يديها وبسط الراوي كفيه وجمعهما فعدّت لي ستّ عشرة تمرة فأتيت النبي صلى الله عليه وآله فأخبرته وأكل معي.

ومن الأخبار المروحة ماروي عن علي بن الحسين بن شابور قال: قحط الناس بسرّ من رأى في زمن ابي الحسن الأخير فأمر المتوكل بالخروج الى الأستسقاء فخرجوا ثلاثة أيّام يستسقون ويدعون فما سقوا فخرج الجاثليق في اليوم الرابع والرهبان معه والنصارى الى الصحراء فخرج معه راهب فلمّا مد يده هطلت السماء بالمطر وخرجوا في اليوم الثاني فهطلت السماء، فشكّ أكثر الناس وتعجبّوا وصبوا الى دين النصرانيّة، فأنفذ المتوكل الى ابي الحسن عليه السلام وكان محبوساً فأخرجه من حبسه وقال ألحق امّة جدك فقد هلكت، فقال: إني خارج من الغد ومزيل الشكّ ان شاء الله، فخرج الجاثليق في اليوم الثالث والرهبان معه وخرج ابو الحسن عليه السلام في نفر من أصحابه فلمّا بصر بالراهب وقد مدّ يده أمر بعض مماليكه ان يقبض على يده اليمنى ويأخذ مابين أصبعيه ففعل وأخذ منه عظماً أسود، فأخذه ابو الحسن عليه السلام بيده وقال أستسق الآن فاستسقى وكانت السماء مغيمة فتشققّت وطلعت الشمس بيضاء فقال المتوكل ماهذا العظم يا ابامحمّد؟ فقال عليه السلام: هذا الرجل عبر بقبر نبيٍ من انبياء الله فوقع في يده هذا العظم وما كشف عن عظم نبيٍ الاّ هطلت بالمطر.

ومن الأخبار المروحة ماروي عن صالح بن سعيد قال دخلت على ابي الحسن عليه السلام يوم وروده سر من رأى فقلت له جعلت فداك في كلّ الأمور أرادوا أطفاء نورك حتّى أنزلوك هذا الخان الأشنع خان الصعاليك؟ فقال: هيهنا أنت ياابن سعيد ثمّ أومى بيده فاذا بروضات أنيقات وأنهار جاريات وجنات فيها خيرات عطرات وولدان كأنّهم اللؤلؤ المكنون، فحار بصري وكثر عجبي، فقال لي: حيث كنّا فهذا لنا ياابن سعيد لنا في خان الصعاليك.

---

(٦) المدر قطع الطين

(٧) الذنوب الدلو العظيم

ومن الخبار ماروي انَ هبة الله بن ابي منصور الموصلي قال: كان بديار ربيعة كاتب نصراني يسمى يوسف بن يعقوب، وكان بينه وبين والدي صداقة، قال فوافانا فنزل عند والدي فقال له والدي فيم قدمت في هذا الوقت؟قال دعيت الى حضرة المتوكل ولا أدري مايراد منّي الاّ انّي اشتريت نفسي من الله بمائة دينار وقد حملتها لعلي بن محمّد بن الرضا عليه السلام، فقال له والدي قد وفّقت في هذا وخرج الى حضرة المتوكل وجائنا بعد ايّام قلائل فرحاً مستبشراً، فقال له والدي: حدّثني حديثك، قال: صرت الى سرّ من رأى وما دخلتها قطّ فنزلت في دار وقلت يجب ان نوصل المائة دينار الى ابن الرضا قبل مصيري الى باب المتوكل وقب ان يعرف أحد قدومي، وعرفت أنّ المتوكل قد منعه من الركوب وانّه ملازم لداره، فقلت كيف أصنع رجل نصراني أسأل عن دار الرضا أخاف أن يكون زيادة فيما أخاف، قال: ففكرت ساعة في ذلك فوقع في قلبي أن أركب وأخرج في البلد فلا أمنعه حيث يذهب لعلّي أعرف داره من غير أن أسأل أحداً، فجعلت الدنانير في كاغد وجعلتها في كمّي وركبت فكان الحمار يتخرّق بي الشوارع والأسواق يمرّ حيث يشاء الى ان صرت الى باب دار فوقف الحمار فجهدت ان يزول فلم يزل.فقلت للغلام سل لمن هذه الدار فسأل فقيل دار ابن الرضا، فقلت الله أكبر دلالة والله مقنعة، قال: فاذا خادم أسود قد خرج فقال: أنت يوسف بن يعقوب، قلت نعم فقال: أنزل فاقعد في الدهليز، ودخل فقلت: هذه دلالة أُخرى من أين عرف أسمي واسم ابي وليس في البلد من يعرفني ولادخلته قطّ فخرج الخادم فقال المائة دينار التي في كمّك في الكاغد هاتها، فناولته ايّاها وقلت هذه ثالثة فرجع فقال: ادخل فدخلت وهو وحده فقال لي: يايوسف مابان لك؟ فقلت يامولاي قد بان لي من البرهان مافيه كفاية لمن أكتفى فقال هيهات انّك لاتسلم ولكن يسلم ولدك فلان وهو من شيعتنا، يايوسف انّ أقواماً يزعمون انّ ولايتنا لاتنفع أمثالك كذبوا والله انّها لتنفع إمض فيما وافيت له فانّك سترى ماتحبّ، فمضيت الى باب المتوكل فنلت كل ما أردت وأنصرفت، قال هبة الله: فلقيت أبنه وهو بعد هذا مسلم حسن التشيع، فأخبرني أنّ اباه مات على النصرانيّة وانّه أسلم بعد موت أبيه وكان يقول انا ببشارة مولاي عليه السلام.

مسألة قوله تعالى{ولو أنّ مافي الأرض من شجرة أقلام والبحر يمدّه من بعده سبعة أبحر مانفدت كلمات الله، قال الشيخ شهاب الدين أحمد بن أدريس قاعدة لو أنها اذا دخلت على ثبوتيين كانا منفيين او منفيين كانا ثبوتيين او نفى وثبوت فالنفي ثبوت والثبوت نفي وبالعكس، واذا تقررت هذه القاعدة فيلزمك ان يكون كلمات الله قد نفدت وليس كذلك.ونظير هذه الآية قول النبي صلى الله عليه وآله نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه يقتضي أنّه خاف وعصى مع الخوف وهو

أقبح وذكر الفضلاء في الحديث وجوهاً امّا الآية فلم أر لأحد فيها ويمكن تخريجها على ماقالوه في الحديث غير انّي ظهر لي جواب عن الحديث والآية جميعاً سأذكره.

قال ابن عصفور لو في الحديث بمعنى ان لمطلق الشرط وان لايكون كذلك، وقال شمس الدين الخسر وشاهى لو في أصل اللغة لمطلق الربط وانّما أشتهرت في العرف بما ذكروا الحديث انما ورد المعنى اللغوي لها، وقال الشيخ عز الدين الشيء الواحد يكون له سببان فلا يلزم من عدم أحدهما عدمه وكذلك هيهنا الناس في الغالب انّما لم يعصوا لأجل الخوف فاذا ذهب الخوف عصوا فأخبر ﷺ انّ صهيباً أجتمع له سببان يمنعانه عن المعصية الخوف والأجلال.

وأجاب غيرهم بأنّ الجواب محذوف تقديره لو لم يخف الله عصاه، والذي ظهر لي انّ لواصلها ان تستعمل للربط بين شيئين كما تقدّم ثمّ انّها ايضاً تستعمل لقطع الربط تقول لو لم يكن زيد عالماً لأكرمه أي لشجاعته جواب لسؤال سائل يقول انّه اذا لم يكن عالماً لم يكن ربط بين عدم العلم والاكرام فتقطع أنت ذلك الربط وليس مقصودك ان تربط بين عدم العلم والأكرام لأنّ ذلك ليس بمناسب وكذلك الحديث، وكذلك الآية لّما كان الغالب على الناس ان يرتبط عدم عصيانهم بخوف الله تعالى فقطع رسول الله ﷺ ذلك الربط وقال لو لم يخف الله لم يعصه ولّما كان الغالب على الأوهام انّ الأشجار كلّها اذا صارت أقلاماً والبحر مداداً مع غيره يكتب به الجميع فيقول الوهم مايكتب بهذا شيء الاّ نفد فقطع الله تعالى هذا الربط وقال مانفدت أنتهى.

ومن الأخبار ماروي انّ المتوكل عرض عسكره على علي الهادي عليه السلام وأمر انّ كل فارس يملأ مخلاة فرسه طيناً ويطرحونه في موضع واحد فصار كالجبل واسمه تلّ المخالي وصعد هو وابو الحسن عليه السلام وقال انّما طلبتك لتشاهد خيولي، وكانوا قد لبسوا التخافيف[٨] وحملوا السلاح وقد عرضوا بأحسن زينة، وأتمّ عدّة وأعظم هيئة، وكان غرضه كسر قلب من يخرج عليه، وكان يخاف من ابي الحسن عليه السلام ان يأمر أحداً من أهل بيته بالخروج، فقال له ابو الحسن عليه السلام فهلاّ أعرض عليك عسكري؟ قال: نعم فدعى الله سبحانه فاذا بين السماء والأرض من المشرق الى المغرب ملائكة مدحجون، فغشى على الخليفة فلمّا أفاق قال له ابو الحسين عليه السلام نحن لا ننافسكم في الدنيا فانّا مشغولون بلآخرة فلا عليك شيء ممّا تظنّ.

ومن الآثار ماروي انّه قال: مررت بصومعة راهب من رهبان الصين فناديته ياراهب فلم يجبني، فناديته الثانية فلم يجبني، فناديته الثالثة فأشرف عليّ قال ياهذا مانا براهب انّما الراهب من رهب الله في سمائه، وعظّمه في كبريائه وصبر على بلائه وحمده على نعمائه، وتواضع لنعمته،

---

(٨) أي لباس الخوف

وذل لعزته واستسلم لقدرته، وخضع لمهابته، وفكّر في حسابه وعقوبته فنهاره صائم وليله قائم قد أسهره ذكر النار ومسئلة الجبّار، فذلك هو الراهب وامّا انا فكلب عقور حسبت نفسي في هذه الصومعة عن الناس لئلا أعقرهم، فقلت ياراهب فما الذي قطع الخلق عن الله عزّ وجلّ بعد اذ عرفوه؟ فقال ياأخي لم يقطع الخلق عن الله الا حب الدنيا وزينتها لأنّها محل المعاصي والذنوب، والعاقل من رمى بها على قلبه وتاب الى الله من ذنبه وأقبل على ما يقربه من ربّه.

ومن السير ماكتبه العلاّمة المحقّق الطوسي الى صاحب حلب بعد فتح بغداد امّا بعد فقد نزلنا بغداد سنة خمس وخمسين وستمائة فساء صباح المنذرين فدعونا ملكها الى طاعتنا فأبى فحق عليه القول فأخذناه أخذاً وبيلاً .وقد دعوناك الى طاعتنا فان أتيت فروح وريحان وجنّة نعيم، وان أبيت فلا سلطان منك عليك فلا تكن كالباحث عن حتفه بظلفه والجادع مارن أنفه بكفّه والسلام.

ومن الآثار مانقله الشيخ الورام تغمّده الله برحمته قال: انّ قوماً كانوا مسافرين فحادوا عن الطريق فانتهوا الى راهب منفرد عن الناس، فسألوه فأشرف عليهم من صومعته فقالوا ياراهب انّا أخطأنا الطريق فكيف الطريق؟ فأومأ برأسه الى السماء فعلم القوم ما أراد فقالوا انّا سائلوك فهل أنت مجيبنا؟ فقال: أسألوا ولاتكثروا فانّ النهار لايرجع، وانّ العمر لايعود، والطالب حثيث، فعجب القوم من كلامه فقالوا ياراهب علام الخلق غداً عند مليكهم؟فقال: على نياتهم فقالوا: أوصينا، قال: تزودّوا على قدر سفركم فانّ خير الزاد مابلغ البغية ثمّ ارشدهم الطريق وأدخل رأسه في صومعته.

ومن الأخبار مارواه الصدوق عن الباقر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله اربع لايدخل بيتاً واحدة منهمنَ الأحزب ولم تعمده البركة: الخيانة والسرقة وشرب الخمر والزنا، وروي أيضاً بأسناده الى يحيى بن العلا قال: سمعت ابا جعفر عليه السلام يقول خرج علي بن الحسين عليهما السلام الى مكّة حاجاً حتّى انتهى الى واد بين مكّة والمدينة فاذا هو برجل يقطع الطريق، فقال له: علي بن الحسين عليهما السلام ماذا تريد، قال: أريد أن أقتلك وأخذ مامعك، قال: فأنا أُقاسمك ما معي وأُحاللك، فقال اللص: لاأفعل قال دع ممّا معي ما أبتلغ به فأبى عليه قال: فأين ربّك؟ قال نائم قال: فاذا أسدان مقبلان بين يديه فأخذ هذا برأسه وهذا برجليه، قال: فقال زعمت انّ ربّك نائم.

ومن الأخبار ماروي عن مولانا الباقر عليه السلام قال أوصاني أبي فقال يابنيّ فقال: يابنيّ لاتصحبن خمسة ولاتحادثهم ولاترافقهم في طريق، فقلت جعلت فداك ياابه من هؤلاء الخمسة؟ فقال: لاتصحبَن فاسقاً فانّه يبيعك بأكلة فما دونها فقلت ياأبه فما دونها؟قال يطمع فيها ثمّ لاينالها، قال: قلت ياأبه ومن الثاني؟ قال: لاتصحبن البخيل فانّه يقطع بك في ماله أحوج ماكنت اليه قال: فقلت ومن الثالث قال لاتصحبنّ كذّاباً فانّه بمنزلة السراب يعد منك القريب ويقرب

منك البعيد، قلت ومن الرابع قال لاتصحبنَ أحمقاً فأنَه يريد أن ينفعك فيضرك قلت ياابه من الخامس قال: لاتصحبنَ قاطع رحم فانَي وجدته ملعوناً في كتاب الله في ثلاثة مواضع.

ومن الأخبار ماروي انَ علي بن الحسين دعا مملوكاً مرتين فلم يجبه وأجابه في الثالثة فقال له: يابني أما سمعت صوتي؟ قال: بلى قال: فما لك لم تجبني؟ قال أمنتك قال: الحمد لله الَذي جعل مملوكي يأمنني، وكان بالمدينة كذا وكذا أهل بيت يأتيهم رزقهم وما يحتاجون اليه، ولايدرون من أين يأتيهم، فلمَا مات عليَ بن الحسين عليهما السلام فقدوا ذلك.

ومن الأخبار ما روي عن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله من قال سبحان الله غرس الله له بها شجرة في الجنَة، ومن قال الحمد لله غرس له بها شجرة في الجنَة ومن قال لااله الا الله غرس له بها شجرة في الجنَة، ومن قال الله أكبر غرس الله له بها شجرة في الجنة فقال رجل من قريش وهو ابو بكر يارسول الله انَ شجرنا في الجنَة لكثير؟ قالكبلى ولكن ايَاكم ان ترسلوا عليها نيراناً فتحرقوها وذلك انَ الله عزَ وجلَ يقول {ياأيها الَذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولاتبطلوا أعمالكم}.

ومن الأخبار ماروي عن الصادق عليه السلام قال سأل الحسين بن علي عليهما السلام فقيل له كيف أصبحت ياابن رسول الله؟ قال: أصبحت ولي ربَ فوقي والنار أمامي، والموت يطلبني والحساب محدق بي وانا مرتهن بعملي لاأجد ما أحبَ ولاأدفع ما أكره والأمور بيد غيري فان شاء عذَبني وان شاء عفى عني فاي فقير أفقر منَي.

وقيل لعلي بن الحسين عليهما السلام كيف أصبحت ياأبن رسول الله فقال: أصبحت مطلوباً بثمان: الله تعالى يطلبني بالفرائض والنبي بالسنَة والعيال بالقوت، والنفس بالشهوة والشيطان بالمعصية والحافظان بصدق العمل وملك الموت بالروح، والقبر بالجسد فأنا بين هذه الخصال مظوم.

وقيل لأمير المؤمنين عليه السلام كيف أصبحت قال: كيف يصبح من كان لله عليه حافظان، وعلم انَ خطاه مكتوبات في الديوان ان لم يرحمه ربَه فمرجعه الى النيران قال جابر الأنصاري دخلت علي أمير المؤمنين عليه السلام يوماً فقلت: كيف أصبحت ياأمير المؤمنين قال آكل رزقي قال جابر ماتقول في دار الدنيا؟ قال ماتقول في دار اولها غمَ وآخرها الموت، قال: فمن أغبط الناس قال جسد تحت التراب أمن العقاب ويرجو الثواب.

وقيل لسلمان الفارسي كيف أصبحت؟ قال: كيف أصبح من كان الموت غايته والقبر منزله، والديدان جواره وان لم يغفر له فالنار مسكنه وقيل لحذيفة كيف أصبحت؟ قال: كيف أصبح من كان أسمه عبداً ويدفن غداً في القبر واحداً ويحشر بين يدي الله تعالى واحداً.

وقيل للصادق عليه السلام انّ رجلاً رأى ربّه عزّ وجلّ في منامه فما يكون ذلك قال: ذاك رجل لادين له انّ الله تعالى لايرى في اليقظة ولافي المنام ولا في الدنيا ولا في الآخرة وقال عليه السلام وقع بين سلمان الفارسي وبين رجل وهو عمر بن الخطاب كلام وخصومة فقال له رجل: من أنت ياسلمان؟فقال سلمان امّا أوّلي وأولك فنطفة قذرة وامّا آخري وآخرك فجيفة منتنة، فاذا كان يوم القيامة ووضعت الموازين فمن ثقلت موازينه فهو اللئيم، والأخبار النادرة كثيرة لو أستقصيناها لطال الكتاب.

نور في المزاح والمطايبات وبعض الهزل وبعض المضحكات وبعض الأجوبة المسكتة وماناسب هذا

اعلم ارشدك الله تعالى انّ الأرواح قد تكل من مطالعة العلوم وإدراكها فتحتاج الى التروّح تارة بالحكم العلميّة الرقيقة وتارة بالنزول الى عالم البشر وسلوك مسالكهم وذلك لأنّ ادراكات العلوم لذات الروح وغذاؤها واللذة اذا دامت على خلاف العادة يحصل منها الملال كالأطعمة الحسنة بالنسبة الى طبيعة البدن من ان تفرحها وتمرحها حتّى يحصل لها نشاط جديد ومزيد أقبال على المطالعات والأدراكات وفي حكمة آل داود حقّ على العاقل ان لايغفل عن اربع ساعات فساعة فيها يناجي ربّه، وساعة يحاسب نفسه، وساعة يفضي الى أخوانه الّذين يصدقونه عن عيوب نفسه وساعة يخلى بين نفسه ولذاتها فيهما يحلّ ويحمد، فانّ في هذه الساعة عوناً لتلك الساعات وأجماماً[٩] للقلوب، وفي رواية انّ هذه النفوس تملّ وهذه القلوب تدثر فأبتغوا لها طرائف الحكم وملاهيا.

وعن ابن عبّاس انّه كان يقول عند ملله من دراسة العلم حمضوا(خوضوا) فيخوضون عند ذلك في الأخبار والأشعار، فامّا المزاح والمطايبات فهو ممّا وردت الشؤريعة بأستحبابه والأمر به سيما في السفر، ولكن ينبغي ان ينتهي الى قول الكذب والى غضب الرفقاء، وقد روى انّ المؤمن هو الّذي يكون فرحه في وجهه وحزنه في قلبه، وقد كان النبي صلى الله عليه وآله يمزح يمزح أحياناً وكذلك الأئمة عليهم السلام والعلماء والصلحاء والأتقياء، فقد روى أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان يأكل تمراً مع علي عليه السلام وكان يضع النوى قدّام علي عليه السلام فلمّا فرغا قال: ياعلي هذا النوى كلّه أمامك انّك لأكول، فقال يارسول الله الأكول الّذي يأكل التمر ونواه يعني به النبي صلى الله عليه وآله لأنّه لم يكن عنده نوى التمر، ومزاحه مع العجوز مشهور.

---

(٩) الجمام بالفتح الراحة

وروى انّه كان يجيء احياناً الى خواص أصحابه من ورائهم فيحتضنهم ويضع يديه على أعينهم حتّى يعرفوه من هو الى غير ذلك من الأخبار، وقد خطر بخاطر معاوية لعنه الله تعالى ان يداعب عقيل بن اب طالب وكان عقيل حاضر الجواب فقال له: ياعقيل اين ترى عمّك ابا لهب في النار؟ قال: اذا دخلتها على يسار الداخل مفترشاً عمّتك حمّالة الحطب فانظر أيهما أسوء حالاً الناكح او المنكوح، وإمرأة ابي لهب هي امُ جميل بنت حرب بن اميّة عمّة معاوية.

وروى انّه سمع بعض العلماء رجلاً يقول اين الزاهدون في الدنيا الراغبون في الآخرة؟فقال له: ياهذا إقلب الكلام وضع يدك على من شئت، ومن هذا القبيل ما وقع بين مؤمن الطاق وابي حنيفة وذلك انّ اباحنيفة كان يوماً جالساً عند مؤمن الطاق واذا رجل يصيح من رأى لي الشابَ الضالَ؟ فقال له مؤمن الطاق امّا الشاب الضال فلم نره ولكن رأينا الشايب المضل وهو هذا وأشار الى ابي حنيفة.

وروى أيضاً أنّ ابا حنيفة قال له: مؤمن الطاق أعطني ضامناً أنّك ترجع بصورتك هذه ولعلك ترجع بصورة كلب او خنزير او قرد فكيف أعطيك من غير ضامن، وأجتمع بعض الأعراب مع أمرأة فلمّا قعد منها مقعد الرجل من المرأة ذكر معاده فأستعصم وقام عنها، وقال انّ من باع جنّة عرضها السماوات والأرض بمقدار فتر بين رجليك لقليل معرفة بالمساحة.

وفي المحاضرات انّه رأى مخنّث زنجياً يفجر بروميّة، فقيل لهك مايفعل ذلك؟ قال يولج الليل في النهار.وفيها أيضاً انّه نظر الحسن الى ذي زيٍ حسن فسأل عنه فقيل هو ضارط يكسب بذلك المال، فقال ماطلب أحد الدنيا بما تستحقه سواه، قيل لضرّاط لا تضرط فالضراط شؤم قال فالشؤم جدير ان أخرجه من بطني ولا لأأحمله معي.

ومن المحاضرات قال يحيى بن أكثم لشيخ بالبصرة بمن أقتديت في جواز المتعة؟ قال بعمر بن الخطّاب، فقال: كيف هذا وعمر كان أشدّ الناس انكاراً فيها؟ قال: لأنّ الخبر الصحيح قد أتى انّه صعد المنبر فقال انّ الله ورسوله أحلا لكم متعتين وانّي أحرمهما عليكم وأعاقب عليهما، فقبلنا شهادته ولم نقبل تحريمه.

وعاتب الصاحب يوماً رجلاً زوّج أمّه، فقال: ما في الحلال بأساً، فقال كذا أحبّ ان يكون لغة لغة من اشتهى ان تنال أمّه، وقيل لأبن سيابة قد كرهت أمرأتك شيبك فمالت عنك، فقال انّما مالت الى الأبدال لقلّة المال، والله لو كنت في سن نوح وشيبة إبليس، وخلقة منكر ونكير ومعي مال لكنت أحبّ اليها من معترفي جمال يوسف وخلق داود وسنّ عيسى وجود حاتم وحلم أحنف.

مرضت عجوز فأتاها أبنها بطبيب فرآها مزيّنة بأثواب مصوغة، فعرف حالها فقال الطبيب: ما أحوجها الى زوج، فقال الأبن: ما للعجائز والأزواج، فقالت: ويحك ألطبيب أعلم منك على كلِ حال، قيل لأبي علقمة فلان زوّج ابنته وساق مهره وأعطى الختن كذا وكذا فالختن يكرمها، فقال لو فعل هذا إبليس ببناته لتنافست فيهنَ الملائكة المقرّبون.

وروي انّه دخل يزيد بن مسلم علي سليمان بن عبد الملك وكان ذميماً فلمّا رآه سليمان قال قبّح الله رجلاً أشركك في أمانته، فقال له يزيد: رأيتني يا أمير المؤمنين والأمر عنّي مدبر ولو رأيتني وهو عليَ مقبل لأستكثرت منّي وأستعظمت مني ما أستحقرت فقال: أترى الحجاج وطأ لكم المنابر وذلّل لكم الجبابر وهو يجيء يوم القيامة عن يمين أبيك وعن يسار أخيك فحيث كانا كان.

وروي أنّ بعض اليهود قال لعلي عليه السلام مادفنتم نبيّكم حتّى أختلفتم، فقال له: إنّما إختلفنا عنه عنه لافيه ولكنّكم ما جفّت أرجلكم من البحر حتّى قلتم لنبيّكم إجعل لنا الهاً كما لهم آلهة قال: انكم قوم تجهلون، وقال معاوية لأبي الأسود: بلغني انّ علياً اراد ان يدخلك في الحكومة فعزمت عليك أي شيءٍ كنت تصنع، فقال كنت آتي المدينة فاجمع الفاً من المهاجرين والفاً من الأنصار فان لم أجدهم أتممهم من أبنائهم ثم أستحلفهم بالله العظيم المهاجرون أحقَ ام الطلقاء، فتبسّم معاوية قال: اذن والله ما أختلف عليك أثنان.

وروي انَ عمر بن الخطّاب كان يعس بالليل في المدينة أي يطوف مثل العس فسمع صوت رجل في بيته فارتاب بالحال، فتسور فوجد رجلاً عنده غمرأة وخمر فقال: ياعدو الله أترى أنّ اله عزَ وجلَ يسترك وأنت على معصيته؟ فقال الرجل: لاتعجل عليَ ياعمران كنت انا عصيت الله في واحدة فقد عصيته أنت في ثلاث، قال الله لاتجسسوا وإنّك قد تجسست، وقال واتوا البيوت من أبوابها وقد تسوّرت، وقال واذا دخلتم فسلّموا وما سلّمت، فقال عمر: فهل عندك من خير إن عفوت عنك؟ قال: بلى والله لئن عفوت عنّي لأأعود الى مثلها ابداً فعفى عنه.

وروي انَ معاوية لعنة الله تعالى قال يوماً لأهل الشام وعنده عقيل بن ابي طالب هذا ابو يزيد عندنا لولا انّه علم ان لاخبر له من أخيه لما أقام عندنا وتركه فقال له عقيل أخي خير لي في ديني وأنت خير لي في دنياي، وقال له مرّة وانت معنا يا ابا يزيد؟ قال ويوم بدر كنت معكم.

ومن المطايبات انّ رجلاً تركيّاً سمع واعظاً يقول من جامع امرأته مرّة بنى له طوف في الجنّة، فإن جامعها مرتين بنى له طوفان وهكذا حتّى يتم البيت في الجنّة فأتى الى إمرأته وحكى لها ففرحت، فلمّا أتى الليل وناما قالت قم حتّى تؤسس لنا بيتاً في الجنّة، فقاربها مرة ونام، فقالت له قم حتّى نبني فوق ذلك الأساس طوفاً آخر، فقاربها مرة أُخرى وذهبت قوّته كلّها فنبّهته لبناء

الطوف الثالث فقال لها: يافلانة انَ الأطواف الّتي بنيناها لم تجفَ وطينها أخضر فنخاف ان ينهدم البنيان فدعيه حتَى يجف فتخلّص منها بهذه الحيلة.

وتزوج رجل بإمرأة قد مات عنها خمسة أزواج، فمرض السادس وأشرف فقالت الى من تكلني؟ فقال الى الشقي السابع، وروى ايضاً انَه لقي ابو العينا بعض إخوانه في السحر فجعل يعجب من بكوره ويقول ياعبد الله أتركب في مثل هذا الوقت فقال الرجل: ابو العينا يشاركني في الفعل ويفردني بالتعجّب.

ودخل الوليد بن يزيد على هشام وعلى الوليد عمامة وشي، فقال هشام: بكم أخذت عمامتك؟ قال بألف درهم فقال هشام عمامة بألف؟ أيستكثر ذلك قال: ياأمير المؤمنين انها لأكرم أطرافي وقد اشتريت انت جارية بعشرة آلاف لأخس اطرافك، وروي انَه تظلّم اهل الكوفة الى المأمون من عامل ولاّه عليهم فقال المأمون ماعلمت في عمّالي أعدل منه فقام رجل من القوم فقال: يا أمير المؤمنين ما أحد أولى بالعدل والأنصاف منك فاذا كان عاملنا بهذه الصفة فينبغي أن تساوي به أهل الأمصار حتّى يلحق كل بلد من عدله مالحقنا، واذا فعل امير المؤمنين فلا يصيبنا أكثر من ثلاث سنين، فضحك المأمون وعزل العامل عنهم.

وتزوج أعرابي امرأة أشرف منه حسباً ونسباً، فقال: ياهذه انّك مهزولة؟ فقالت: هزالي أولجني بيتك، ونظر رجل الى امرأتين يتلاعنان فقال: مرا لعنكما الله فإنكنَ صويحبات يوسف فقالت أحديهما ياعمّي فمن رمي به في الجب نحن ام أنتم؟.

جاءت امرأة الى عدي بن ارطاة تشكو من زوجها انّه عنين فقال عدي: انّي لأستحي انَ المرأة تذكر مثل هذا قالت: ولم لاأرغب فيما رغبت فيه امّك فلعلّ الله تعالى يرزقني ابناً مثلك، اتى الحجاج بإمرأة من الخوارج فقال: لمن حضره ما ترون فيها؟ قالوا اقتلها فقالت: جلساء أخيك خير من جلسائك قال ومن أخي قالت فرعون لّما شاور جلسائه في موسى قالوا: أرجه وأخاه[١٠] وأبعث في المدائن حاشرين.

عاد المعتصم ابا الفتح بن خاقان والفتح صغير فقال له: داري أحسن ام دار أبيك قال: ياأمير المؤمنين دار أبي مادمت فيها، وقالوا: صحب ذئب وثعلب اسداً فاصطادوا عيراً وظبياً وارنباً، فقال الأسد للذئب: اقسم هذا بيننا فقال: العير لك والظبي لي والأرنب للثعلب فغضب الأسد وأخذ بحلق الذئب حتّى قطع رأسه وقال للثعلب اقسمه انت فقال: العير لغدائك والظبي

(١٠) أي احبسه واخاه واخر امره ولا تعجل بقتله

لعشائك والأرنب تتفكه[١١] به في الليل، فقال: من علّمك هذه القسمة العادلة؟ قال: رأس الذئب الّذي بين يديك.

وقد أصطحب كلب وديك فخرجا من البلد الى الصحراء فلمّا اتى عليهما الليل اقبلا الى شجرة عالية فصعدها الديك وبات على أغصانها وبات الكلب تحتها، فلمّا أتى وقت السحر صاح الديك كما هو عادته فسمعه ابن آوى فقصد الشجرة واذا الديك فوقها فصاح اليه أيّها المؤذن رحمك الله انزل من فوق المنارة حتّى نصلّي جميعاً فقال له: الديك نعم ننزل ولكنَ الأمام نائم تحت الشجرة فايقظه حتّى نصلي بصلاته فلمّا أتى الى تحت الشجرة حسَ الكلب به وقام اليه وقتله.

وروى انَ غرة قالت لبثينة تصدى لكثير وأطعميه في نفسك حتّى أسمع ما يجيبك ثمَ أقبلت عليه وغرَة تمشي ورائها مختفية وعرضت عليه الوصل فقاربها ثمَ قال:

رمتني على فوت(قرب) بثينة	تولي شبابي وأرجحنَ شبابها
بعينين نجلاوين لو رقرقتهما	لنئو الثريّا لأستهلَ سحابها

ثمَ قالت أولى لك بها نجوت وأنصرفتا يتضاحكان وروي أنَ كُثيراً لَما مات أتى الباقر عليه السلام الى جنازته ورفها، وقال نصر بن سار لأعرابي: هل أتخمت قط؟ قال: امّا من طعامك وطعام أبيك فلا يقال انَ نصر أحمَ من هذا الجواب ايّاماً وقال ليتني خرست ولم أفه بسؤال هذا الشيطان.

ولَما مات مولانا جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام قال ابو حنيفة امؤمن الطاق: مات امامك، قالك لكن امامك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم يعني ابليس وقال رجل لبشار لَما ذهبت عيناه: ماالّذي عوضك الله بهما؟ فقال: لاأرى مثلك، تزوّج اعمى امرأة فقالت: لو رأيت حسني وبياضي لعجبت، فقال: اسكتي لو كنت كما تقولين ماتركك البصراء، نظر حكيم الى معلم رديء الكتابة، فقال له: لولا تعلم الصراع؟ قال: لاأحسنه قال: هو ذا انت تعلم الكتابة ولاتحسنها.

قال ابو العيناك قال لي المتوكل يوماً: هل رأيت طالبيّاً حسن الوجه قط؟ قلت: نعم رأيت ببغداد منذ ثلاثين سنة واحداً، قال: تجده كان يواجر وكنت تقود عليه، فقلت ياأمير المؤمنين: قد بلغ هذا من فراغي ادع موالي مع كثرتهم وأقود على الغرباء، فقال المتوكل للفتح: أردت أن

---

[١١] قوله تعالى فيها فاكهة ونخل ورمان الفاكهة ما يتفكه به الانسان أي يغتنم بأكله رطباً كان اويابساً كالزبيب والرطب والتين والبطيخ والرمان.

أشتفي منهم فاشتفى لهم منّي وقدم الى مائدة عليها ابو هفان وابو العينا فالوذج، فقال ابو هفان: لهذه أحر من مكانك في جهنم، فقال له ابو العينا: ان كانت حارة فبردّها بشعرك.

وقال ابو العينا اُدخل على المتوكل قد تنبأ فقال له: ماعلامة نبوّتك؟ قال: ان يدفع اليّ أحدكم امرأة فانّي أُحبلها في الحال فقال: ياابا العينا هل لك ان تعطيه بعض الأهل؟ قال: انما يعطيه من كفر به فضحك وخلاه، مرت جارية بقوم ومعها طبق مغطّى فقال لها بعضهم: أيّ شيء معك في الطبق؟ قالت: فلم غطّيناه، قالت أمرأة مزيد لمزيد: ياقرنان يامفلس، قال: ان صدقت فواحدة من الله تعالى والأخرى منك.

رفع مزيد مرة الى المدينة زق فارغ فأمر الأمير بضربه، فقال له: لمَ تضربني قال: لأنّ معك آلة الخمر، قال: وأنت أعزك الله معك آلة الزنا، قال الرشيد لبهلول من أحبِّ الناس اليك؟ قال: من أشبع بطني، فقال: انا أشبعك فهل تحبّني؟ قالك الحب بالنسيئة لايكون.

ضرط ابن صغير لعبد الملك بن مروان في حجره، فقال له: قم الى الكنيف، فقال: أنا فيه، وكان عبد الملك شديد البخر، دخل ابراهيم الحراني الحمام فراى رجلاً عظيم الذكر فقال لهك بكم يباع البغل؟فقال: لابل نحملك عليه من غير ثمن فلمّا خرج أرسل اليه بصلة وكسوة، وقال لرسوله قل له أكتم هذا الحديث فانّه كان مزاحاً فردّه لو قبلت حمالتنا لقبلنا صلتك.

بنى بعض أكابر البصرة داراً وكان في جواره بيت العجوز يساوي عشرين ديناراً وكان محتاجاً في تربيع الدار فبذل لها فيه مائتي دينار فلم تبعه فقيل لها: انّ القاضيَ يحجر عليك لسفاهتك حيث ضيّعت مائتي دينار لما يساوي عشرين ديناراً قالت: فلم لايحجر على من يشتري بمائتين مايساوي عشرين، وكان ببغداد رجل متعبّد اسمه رويم فعرض عليه القضاء فتولاّه فلقيه الجنيد يوماً فقال: من أراد ان يستودع سره من لايفشيه فعليه برويم فانّه كتم حب الدنيا اربعين سنة حتّى قدر عليها.

وحكى أنّه حضر منجّم في مجلس بعض الملوك وأخذ يخبر عن أحوال بعض العلويّات، فبلغه في المجلس انّ امرأته وجدت مع شخص يزني بها فأنشد بعض الظرفاء:

حديث المنجم في حكمه ... يحلّ لدنيا محلّ الحدث
يخبّر عن حادثات السماء ... ويجهل في بيته ماحدث

قال بعض العارفين لرجل من الأغنياء: كيف طلبك للدنيا فقال: شديد، قال: فهل ادركت منها ماتريد؟ قال: لا قال: هذه التي صرفت عمرك في طلبها لم تحصل منها ماتريد فكيف

التي لم تطلبها. سمع بعض الزّهّاد يوماً من الأيّام شخصاً يقول: اين الزاهدون في الدنيا الراغبون في الآخرة؟ فقال له الزاهد: ياهذا اقلب كلامك وضع يدك على من شئت.

حكي انَ بعض الأرقاء كان عند مالك يأكل الخاص ويطعمه الخشكار، فاستنكف الرقيق من ذلك فطلب البيع فباعه فاشتراه من يأكل النخالة ولايطعمه شيئاً فطلب البيع فباعه فشراه من لايأكل شيئاً وحلق رأسه وكان في الليل يجلسه ويضع السراج على رأسه بدلاً من المنارة، فأقام عنده ولم يطلب البيع، فقال له النخاس: لأيَ شيءٍ رضيت بهذه الحالة عند هذا الملك؟قال: أخاف ان يشتريني في هذه المرة من يضع الفتيلة في عيني عوضاً عن السراج، قال الفرزدق: لزياد الأعجم ياأغلف؟فقال: ياابن النمامة؟كان بعضهم ابن ذميم فخطب له الى قوم فقال الأبن لأبيه يوماً: بلغني انَ العروس، فقال الأب: يابني بورى انّها عميا حتّى لاترى سماجة وجهك.

كان بالبصرة رجل يقال له حوصلة وكان له جار يعشق ابناً له، فوجّه حوصلة ابنه الى بغداد ولم يعلم جاره بذلك، فجاء ليلة يطلبه وصاح بالباب أعطونا ناراً، فقال حوصلة: المقدحة ببغداد، وقال بعض العلويّة لأبي العينا أتبغضني ولاتصحَ صلاتك الاَ بالصلاة عليَ اذا قلت اللّهم صل على محمد وآل محمّد؟قال ابو العينا اذا قلت الطيبين الطاهرين خرجت منهم، سكر مزيد يوماً فقالت امرأته اسأل الله ان يبغض النبيذ اليك، قال: والرجال اليك.

قالت امرأة مزيد وكانت حبلى ونظرت الى قبح وجهه: الويل لي ان كان الذي في بطني يشبهك، فقال لها: الويل لي ان كان الذي في بطنك لايشبهني.مر الفرزدق وهو راكب بغلة فضربها فضرطت فضحكت منه امرأة فالتفت اليها وقال: ما يضحكك فوالله ماحملتني انثى قطَ الا ضرطت؟ فقالت له المرأة فقد حملتك امّك تسعة اشهر فالويل للناس من كثرة ضراطها، تنبأ رجل وادّعى انّه موسى بن عمران وبلغ خبره الخليفة وقال من انت؟ قال: موسى بن عمران الكليم، قال: واين عصاك الّتي صار ثعباناً؟ قال قل انا ربكم الأعلى كما قال فرعون حتّى أصيّرها ثعباناً كما فعل موسى.

تنبأت أمرأة على عهد المأمون فأوصلت اليه فقال لها من أنت؟قالت: انا فاطمة النبيّة، قال لها المأمون: اتؤمنين بما جاء به محمّد وهو حقّ فانَ محمداً قال: لانبي بعدي قالت صدق عليه السلام فهل قال لانبيّة بعدي؟ قال المأمون لمن حضر امّا انا فقد انقطعت فمن كان عنده حجة فليأت بها وضحك حتّى غطّى وجهه،

تنبأ آخر في أيام المستعصم فلمّا أحضر بين يديه قال له انت نبي؟ قال: نعم قال الى من بعثت؟ قال: اليك قال: اشهد انّك لسفيه احمق، قال: انّما يبعث الى كلّ قوم مثلهم، فضحك المعتصم وأمر له بشيء.

وتنبأ آخر في خلافة المأمون فقال له ماانت؟ قال: انا نبي؟ قال: فما معجزتك؟ قال سل ماشئت، وكان بين يديه قفل فقال: خذ هذا القفل فافتحه، فقال له: أصلحك الله لم أقل لك انّي حدّاد قلت انا نبي، فضحك المأمون واستتابه وأجازه.قرأ بعض المغفلين في بيوت بالرفع، فقال له شخص: ياأخي إنّما هو بالجرّ، فقال: يامغفل اذا كان الله تعالى يقول في بيوت اذن الله ان ترفع تجرّها انت لماذا.

وسأل بعض المغفلين انساناً فاضلاً قال له: كيف تنسب الى اللغة لغوي، فقال أخطأت في ضمَ اللام انّما الفصيح ماجاء في القرآن انّك لغويّ مبين، وحكى الشريف ابو معلّى قال: ولقد كنّا ليلة بأصفهان في دار الوزارة في جماعة من الرؤسا فلمّا ناموا سمعنا صراخاً وصوتاً مرتفعاً واستغاثة فاذا الشيخ الأديب ابو جعفر القصّاص ينيك ابا علي الحسن الشاعر وذلك يستغيث ويقول انّني شيخ أعمى فما يحملك على نيكي؟ وذلك لايلتفت الى ان فرغ منه وسلَ منه كذراع البكر، وقام قائلاً انّي كنت أتمنى ان انيك ابا العلا المعرّي لكفره وإلحاده ففاتني فلمّا رأيتك شيخاً عمي فاضلاً نكتك لأجله.

ويقال انّ الأشعث مرّ يوماً فجعل الصبيان يعبثون به، فقال لهم: ويلكم سالم بن عبد الله يفرّق تمراً من صدقة عمر فمر الصبيان يعدون الى سالم بن عبد الله وعدا أشعث معهم، وقال: مايدريني لعلّه كان حقّاً، رأت الضبع ظبيةً على حمار فقالت: اردفيني حمارك؟ ثمَ سارت يسيراً فقالت: ما افره حمارنا، فقالت لها الظبية: انزلي قبل ان تقولي ماأفره حماري فما رأيت أطمع منك.

وحكي انّ بعضهم دخل بأمرد الى بيته وكان بينهما ماكان، فلمّا خرج الأمرد ادّعى انّه هو الفاعل، فقيل له ذلك فقال: فسدت الأمانات وحرم اللواط الاّ ان يكون بشاهدين.

ومن هجاء بعض البخلاء:

رأى الضيف مكتوباً على باب داره	فصحّفه صيفاً فقام الى السيف
فقلت له خيراً يظن بأنّني	أقول له خبزاً فمات من الخوف

في كتاب الحلي قال الأصمعي: تزوّجت اعرابيّةٌ غلاماً من الحي فمكثت معه ايّاماً ووقع بينهما جدال، فخرج في نادي الحي وهو يقول: يا واسعة يعيّرها بذلك فقالت: بديهة:

انّي تنقّلت من بعد الخليل فتىً	مزراء ما له عقل ولاباه
ماغرني فيه الا حسن بنيته	ومنطق لنساء الحيَ تيّاه

فقــال لَمـا خــلا بــي انــت واســعة — وذاك مــن خجــل منّــي تغــشاه
فقلــت لَمـا أعــاد القــول ثانيــة — انــت الفــداء لمــن قــد كــان يمــلاه

ويقال اهجى بيت قالته العرب قول الأخطل:

قـوم اذا استنبح الأضياف كلبهم — قـالوا لأمّهـم بـولي علـى النـار
فــضيّقت فرجهــا بخــلاً ببولتهــا — ولم تبــل لهــم الاّ بمقــدار

قال الصفدي: اشتمل هذا البيت على عايب اولها انّهم لايعطون للضيف شيئاً حتّى يرضى بنباح كلابهم فيستبح منها، وثانيها انّ لهم ناراً قليلاً تطفي ببول مرأة وثالثها انّ أمّهم الّتي تخدمهم فليس لهم خدم غيرها ورابعها انّهم كسالى عن مباشرة امورهم حتّى تقوم بها امّهم وخامسها انّهم عاقّون لوالدتهم بحيث انّهم يمهنونها في الخدمة وسادسها عدم أدبهم لأنّهم يخاطبون امّهم بهذه المخاطبة الّتي تستحي الكرام الألتفات اليها وسابعها انّهم يتركون أمّهم عند مواقدهم لأنّهم قالوا لها: بولي ولم يقولوا لها قومي الى النار.

وثامنها انّهم جبناء لايوقدون لأنّهم يستيقظون يسمعون الحسّ الخفيّ من البعد وتاسعها أنّهم لايتألّمون ممّا يصعد من رائحة البول اذا وقع في النار، وعاشرها الزام والدتهم بأن لاتبول وتدخّر ذلك لوقت الحاجة والا فما كل وقت يطلب الأنسان الإراقة يجدها فتجد ذلك ألماً مشقّة من أحتباس البول وحادي عشرإفراطهم في البخل الى غاية يشفقون معها على الماء ان يطفي به النار وثاني عشرها انّهم يؤكدون بهذا القول عداوة المجوس للعرب لأنّ الفرس يعبدونها وهؤلاء يبولون عليها فيتأكّد الحقد.

وحكي انّ الرشيد سأل جعفر البرمكي عن جواريه؟ فقال ياأمير المؤمنين: كنت في الليلة الماضية مضطجعاً وعندي جاريتان وهما يكبساني فتناومت لأنظر صنيعهما واحديهما مكيّة والأخرى مدنيَة، فمدّت المدنيَة يدها الى ذلك الشيء فلعبت به فانتصب قائماً فوثبت المكيّة فقعدت عليه، فقالت المدنيّة انا أحق لأني حدثت عن نافع عن ابن عمرو عن النبي ﷺ انه قال: من أحيا أرضاً ميتة فهي له فقالت المكيّة: وانا حدثت عن معمر عن عكرمة عن ابن عبّاس عن النبي ﷺ انه قال ليس الصيد لمن أثاره ةانّما الصيد لمن قبضه فوجدت سندي الحديثين كما قالتا فضحك الرشيد حتّى أستلقى على ظهره فقال من تساوم منهما؟ فقال هما ومولاهما بحكمك ياأمير المؤمنين وحملهما اليه، سأل بعض ما أمتع لذات الدنيا؟ فقال: ممازحة الحبيب وغيبة الرقيب.

وسأل بعض المتكلمين عن الروح فقال: هو الريح والنفس فقال له السائل: فحينئذ اذا تنفس الأنسان خرجت نفسه، واذا ضرط خرجت روحه فانقلب المجلس ضحكاً، يقال انّ بعض السؤال اجتاز بقوم يأكلون، فقال: السلام عليكم يابخلاء؟ فقالوا له: أتقول انّا بخلاء قال فكذبوني بكسيرة.

اجتمع بنات حبيب المدنيّة عندها فقالت الكبرى يابنيّة كيف تحبّين؟ فقالت: ياأم ان يقدم زوجي من سفر فيدخل الحمام ثمّ يأتيه زوّاره المسلمون عليه فاذا فرغ أغلق الباب وارخى الستر فيأتي ما أردته، فقالت: اسكتي ما صنعت شيئاً، فقالت للوسطى: فقالت: ان يقدم زوجي من سفر فيضع ثيابه واتاه جيرانه فلمّا صار الليل تطيّبت له وتهيّأت ثمّ أخذني على ذلك، فقالت: ماصنعت شيئاً فقالت للصغرى: فقالتك ان يقدم زوجي من سفر وكان دخل الحمام وأطلى، ثمّ قدم وقد نزع سرواله فيدخل عليّ ويغلق الباب ويرخي الستر فيدخل ايره في حري ولسانه في فمي واصبعه في إستي، فناكني في ثلاثة مواضع، فقالت: اسكتي فامّك تبول الساعة من الشهوة.

ومر الحجّاج متنكراً فرأته امرأة فقالت: الأمير ورب الكعبة، فقال: عندك من قرى قالت: نعم خبز فطير وماء نهر، فاحضرته فأكل وقال هل لك ان تصلحيني مع امرأتي فقالت: هل عندك من جماع يغني؟ قال: نعم، قالت: فلا حاجة لك الى احد يصلح بينكما، وقال رجل للشعبي ماتقول في رجل اذا وطي امرأة تقول قتلتني او اوجعتني فقال: اقتلها ودمها في عنقي.

ظهر ابليس لعيسى عليه السلام فقال له: ألست تقول لن يصيبنا الاّ ماكتب الله عليك؟ قال: بلىقال: فارم نفسك من ذروة هذا الجبل فانّه ان قدّر لك السلامة تسلم، فقال له: ياملعون انّ الله تعالى يختبر عباده وليس للعبد أن يختبر ربّه، سأل اعرابي خالد بن الوليد وألحّ في سؤاله وأطنب في الأبرام، فقال خالد: أعطوه بدرة يضعها في حر أمّه، فقال الأعرابي: وأخرى لأستهايا سيّدي لئلا تبقى فارغة.فضحك وأمر له بها ايضاً.

قال بعض الخلفاء انّي لأبغض فلاناً فقال له بعض الحاضرين: أوله خيراً تحبّه فانعم، فما لبث ان صار من جلسائه، سأل بعض الجند عن نسبه فقال: انا ابن اخت فلان فسمع ذلك اعرابي فقال: انّ الناس ينتسبون طولاً وهذا الفتى ينتسب عرضاً، خطب معاوية خطبة عجيبة فقال: ايّها الناس هل من خلل؟ فقال رجل: من عرض الناس نعم من حلمك كخلل المنخل فقال: وماهو قال: اعجابك بها ومدحك لها، انشد الفرزدق سليمان بن عبد الملك قصيدته الّتي يقول فيها:

فبتن بجانبـــي مصـــرعات وبتّ أفــض أغـــلاق الختام

فقال له: ويحك يافرزدق أقررت عندي بالزنا ولابدّ من حدّك، فقال كتاب درأ منّي الحد، قال: واين؟قال قوله تعالى {والشعراء يتبعهم الغاوون الى قوله انّهم يقولون ما لايفعلون}، فضحك وأجازه، ومن هذا أخذ صفي الدين قوله:

نحن الّذين أتى الكتاب مخبراً بعفاف أنفسنا وفسق الألسن

وفد حاجب بن زرارة علي انوشيروان واستأذن عليه فقال للحاجبكسله من هو فقال: رجل من العرب فلمّا مثل بين يديه قال له: انوشيروان من انت قال: سيّد العرب قال: أليس زعمت انّك واحد منهم؟ فقال: انّي كنت كذلك ولكن لّما اكرمني الملك بمكالمته صرت سيّدهم، فأمر بحشو فيه درأ.

دعا رجل آخر الى منزله وقال: لنأكل معك خبزاً وملحاً، فظنّ الرجل انّ ذلك كناية عن طعام لذيذ، فمضى معه فلم يزد على الخبز والملح فبينا هما يأكلان اذ وقف بالباب سائل فنهره صاحب المنزل فلم ينزجر فقال المدعو: ياهذا انصرف فانّك لو عرفت من صدق وعيده ما عرفت من صدق وعده لما تعرضت له.

قال الزمخشري في ربيع الأبرار مر رجل بأديب فقال: كيف طريق البغداد؟فقال: من هنا ثمّ مر به آخر فقال: كيف طريق كوفة؟فقال: من هنا فبادر مسرعاً فقال: انّ مع ذلك المارّ الف ولام لايحتاج اليهما منه، قال بعضهم: الدنيا مدوّرة ومدارها على ثلاث مدورات الدرهم والدينار والرغيف، وجد يهودي مسلماً يأكل شوي في نهار شهر رمضان فأخذ يأكل معه فقال له المسلم: ياهذا انّ ذبيحتنا لاتحل على اليهود، فقال: انا في اليهود مثلك في المسلمين، من كلامهم الكريم شجاع القلب والبخيل شجاع الوثبة، قال رجل للفرزدق متى عهدك بالزنايا ياابا فراس فقال: منذ ماتت امرأتك يافلان.

من كتاب المدهش في حوادث سنة ٢٤١ ماجت النجوم وتطايرت شرقاً وغرباً كالجراد من قبل غروب الشمس الى الفجر، وفي السنة التي بعدها رجمت السويداء وهي ناحية من نواحي مصر فوزن منها حجر فكانت عشرة أرطال وزلزل في الري وجرجان وطبرستان ونيشابور واصفهان وقم وقاشان ودامغان في وقت واحد فهلك في دامغان خمسة وعشرين الفاً وتقطّعت جبال ودنا بعضها من بعض ووقع طائر ابيض بحلب وصاح اربعين صوتاً ايّها الناس اتّقوا الله ثمّ طار وأتى من الغدو فعل ذلك ثمّ ما رأى بعدها ومات رجل في بعض اكوار الأهواز فسقط طائر على جنازته وصاح بالفارسيّة انّ الله قد غفر لهذا الميت ولمن حضر جنازته.

قال ولد الأحنف لجارية ابيه يازانية؟ فقالت: لو كنت زانية لأتيت بمثلك.

ولَمّا قتل جعفر بن يحيى البرمكي قال ابو نؤاس: والله مات الكرم والجود والفضل والأدب فقيل له: ألم تكن تهجوه في حياته؟فقال: ذلك والله لشقائي وركوبي الى هواي وكيف يكون في الدنيا مثله في الجود والأدب؟ ولمّا سمع فيه قولي:

لقد غرَني من جعفر حسن بابه ولم ادر انّ اللوم حشو إهابه
ولست اذا أطنبت في مدح جعفر بأوّل انسان خوى في ثيابه

بعث اليَ بعشرين الف درهم وقال: غسل ثيابك بها قال رجل لأحمد بن خالد الوزير لقد أعطيت مالم يعطه رسول الله ﷺ قالك وكيف ذاك ياأحمق؟ فقال: لأنَ الله تعالى يقول ولو كنت فظاً غليظ القلب لأنفضّوا من حولك وانت فظّ غليظ ونحن لانبرح من حولك، مدح بعض الشعراء صاحب شرطة، فقال: اما انَي أعطيك شيئاً من مالي فلا يكون ابداً ولكن اجن جناية قتل حتَى لا أعاقبك بها.

دخلت غرّة على عبد الملك فأمرها بالدخول على زوجته عاتكة فلمّا دخلت قالت لها: خبَريني عن قول كثير فيك:

قضى كلَ ذي دين فوفَى غريمه وغرّة ممطول معنَى غريمها

ماهذا الدين؟ فقالت: قبلة فقالت عاتكةك أنجزي وعدك وعليَ اثمه، قال ابو العينا: أخجلني ابن صغير لعبد الرحمن بن خاقان قلت له: وددت انّ لي ابناً مثلك فقال: هذا بيدك قلت كيف ذلك؟قال: احمل ابي على إمرأتك تلد لك مثلي.

السبب في تسمية الأيّام الّتي في آخر البرد ايّام العجوز وهو مايحكى انَ عجوزاً كاهنة في العرب كانت تخبر قومها ببرد يقع وهم لايكترثون بقولها حتَى جاء فأهلك زرعهم وضروعهم فقيل ايّام برد العجوز وقال جار الله في كتاب ربيع الأبرار قيل الصواب انّها ايّام العجز أي آخر البرد وقيل انَ عجوزاً طلب من أولادها ان يزوّجوها فشرطوا عليها ان تبرز الى الهواء سبع ليال ففعلت فماتت.

وادّعت سجاح بنت الحارث النبوة في ايّام مسيلمة وقصدت حربه فأهدى اليها مالاً واستأ منها حتَى أمنته وامنها فجاء اليها واستدعاها وقال لأصحابه اضربوا لها قبّة وحمّروها لعلّها تذكر الباه، ففعلوا فلمّا أتت قالت له أعرض ماعندك حتّى نتدارس، فلمّا خلت معه في القبّة قالت: اقرأ عليَ ما يأتيك جبرئيل فقال: اسمعي هذه الآية انكن معاشر النساء خلقن افواجاً، وجعلن لنا ازواجاً نولج فيكنَ ايلاجاً ثمَ نخرجه منكنَ اخراجاً، قالت: صدقت انَك نبيَ مرسل، فقال لها: هل لك في ان اتزوّجك فيقال نبيَ تزوّج نبيّه؟ فقالت: افعل مابدا لك فقال لها:

الا قـــومي الى المخــــدع — فقــد هــيء لــك المــضجع
وان شـــــئت فملغـــــاة — وان شـــئت علـــى الأربـــع
وان شـــــئت بثلثيـــــه — وان شـــئت بـــه أجمـــع

فقالتكبل به اجمع فانّه اجمع للشمل، فضرب به بعض ظرفاء العرب لذلك مثلاً وقال: اعلم من سجاح، فأقامت عنده ثلاثاً وخرجت الى قومها فقالواك كيف وجدتيه؟ فقالت: لقد سألته فوجدت نبوته حقاً واني قد تزوجته فقال قومهك ومثلك يتزوج بغير مهر فقال مسيلمة: مهرها اني قد رفعت عنكم صلاة الفجر والعتمة، ثمّ اقامت بعد ذلك مدة في بني تغلب ثم أسلمت في اسلامها، ومن مزخرفات مسيلمة: والزارعات زرعاً، والحاصدات حصداً والذاريات ذرواً والطاحنات طحناً والعاجنات عجناً فالآكلات أكلاً فقال بعض ظرفاء العرب: والخاريات خرواً.

في المحاضرات نظرت امرأة من البادية في المرآة وكانت حسنة الصورة وكان زوجها رديء الصورة، فقالت له والمرآة في يدها: انّي لأرجو ان ندخل الجنّة انا وانت فقال: وكيف ذلك؟ فقالت: امّا انا لأنيّ ابتليت بك فصبرت، وامّا انت فلأنّ الله سبحانه انعم بي عليك فشكرت، لّما تزوّج المهلب بديعة المطربة أراد الدخول بها فجاءها الحيض فقرأت وفار التنور، فقرأ هو سآوي الى جبل يعصمني من الماء، فقرأت هي لاعاصم اليوم من أمر الله الاّ من رحم الله.

كتب العبّاس الى القاضي بن قريعة فتوى ما يقول القاضي أدام الله ايّامه في يهودي زنا بنصرانيّة فولدت له ولداً جسمه للبشر ووجهه للبقر فما يرى القاضي في ذلك فليفتنا مأجوراً؟ فأجاب هذا من أعدل الشهود على الملاعين اليهود انّهم أُشربوا حبّ العجل في صدورهم فخرجوا من ايورهم، ورأى ان يعلق على اليهود رأس العجل وتربط مع النصرانيّة الساق مع الرجل ويسحبا سحباً على الأرض وينادي عليهما ظلمات بعضها فوق بعض.

احمد بن علي بن الحسين المؤدب:

تـصدر للتـدريس كـلّ مهـوس — بليـد يـسمّى بالفقيـه المـدرّس
يحـقّ لأهــل العلــم ان ستمـوا بــه — ببيــت قــديم شــاع في كــلّ مجلــس
لقـد هزلـت حتّـى بـدا مـن هزالهـا — كلاهـا وحتّـى رامهـا كـلّ مفلـس

شعر

قد بلينا بأمير ظـلـم الـناس وسبّح — فهو كالجزّار فيـهم يذكر الله ويذبـح

قال جار الله في كتاب ربيع الأبرار يقال: انّ من لاتعلم الاّ فنّا واحداً من العلم ينبغي ان يسمّى خصّ العلماء، حضرت الحطيئة الوفاة فقيل له اوص للمساكين بشيء من مالك، فقال: اوصيت لهم بطول المسئله فانّها تجارة لن تبور، أتى بعض الزّهاد الى تاجر ليشتري قميصاً، فقال له بعض الحاضرين: انّه فلان الزاهد فارخص عليه فغضب الزاهد وولّى عنهما، وقالك جئت لنشتري بدراهمنا لابأدياننا.

هلكت ابل اعرابي بأجمعها في يوم ففرح وقال: انّ موتاً تخطّاني الى ابلي لعظم النعمة، قيل للبهلول أتعدّ مجانين بلدك؟ قال هذا شيء يطول ولكنّ أعدّ العقلاء، ضلّ

لأعرابيّ بعير فحلف ان وجده ان يبيعه بدرهم واحد، فوجده فلم يحتمل قلبه ان يبيعه بذلك الثمن، فعمد الى سنّور وعلّقه في عنقه وأخذ ينادي عليه: الجمل بدرهم والسنور بخمسمائة ولا أبيعهما الاّ معاً فمر بعض الأعراب به وقال ما ارخص الجمل لولا القلادة.

قال في المحاضرات: ادّعى رجل على آخر طنبوراً عند بعض القضاة فأنكر المدّعى عليه وتوجّه اليمين عليه فقال القاضي: قل ان كانت الطنبور عندي فايري في حر أخته، فقال واي يمين هذه؟ فقال القاضي هذه يمين الدعوى اذا كانت طنبوراً.

قال بعض الخلفاء لبعض الزهّاد انّك لعظيم الزهد، فقال: انّك أزهد منّي قال: كيف ذلك؟ قال: لأنّك زهدت في نعيم دائم عظيم وزهدت انا في نعيم الدنيا الحقير المنقطع.تسمّى المائة سنة من التاريخ حماراً وسمّى مروان الحمار لأنّه كان على رأس المائة من دولة بني أُميّة.

قيل للحسن البصري هلاّ يصلّي فانّ اهل السوق قد صلوا، فقال: اولئك قوم ان اتفقت سوقهم أخّروا الصلاة وان كسدت عجّلوها.كان بعضهم في ايّام صغره أشدّ منه ورعاً في ايّام كبره وقد أنشأ في هذا المعنى يقول:

عصيت هوى نفسي صغيراً وعندما	أتتني الليالي بالمشيب وبالكبر
أطعت الهوى عكس القضيّة ليتني	خلقت كبيراً ثمّ عدت الى الصفر

قال بعض الحكماء حججت في بعض السنسن فبينما انا أطوف بالبيت اذا انا بأعرابي متوشّح بجلد غزال وهو يقول:

اما تستحي يارب أنك خلقتني	أناجيك عرياناً وانت كريم

قال وحججت في العام القابل فرأيت الأعرابيّ وعليه ثياب وحشم وغلمان فقلت له: انت الّذي رأيتك في العام الماضي وانت تنشد ذلك البيت؟ فقال: نعم خدعت كريماً فانخدع.وشهد جماعة عند ابن شبرمة على فراخ نخل فقال لهم: كم عددها؟ فقالوا: لاندري فردّ شهادتهم فقال

واحد منهم كم لك تقضي في هذا المسجد، فقال: ثلاثون سنة قالك كم فيه اسطوانة؟فخجل وقبل شهادتهم، وشهد عنده رجل فردّ شهادته وقال بلغني انّ جارية غنّت فقلت لها: أحسنت فقال: قلت ذلك حين ابتدأت او حين سكتت فقال: حين سكتت فقال: انّما استحسنت سكوتها ايّها القاضي فقبل شهادته.

كان سائل وخلفه ابن صغير فسمع الصغير امرأة تصيح خلف جنازة وتقول يذهبون بك ياسيّدي الى بيت ليس فيه وطأ ولا غطأ ولاغداء ولا عشاء فقال: ياابت انّما يأخذونه الى بيتنا.وجد بعض الأعراب رجلاً مع امّه فقتلها فقيل له هلاّ قتلت الرجل وتركت امّك فقال كنت احتاج كلّ يوم ان اقتل رجلاً، قيل لأبي العينا فما اشد عليك من ذهاب بصرك، فقال: قوم يبدوني بالسلام كنت احبّ ان ابدأهم وربّما حدثت المعرض عنّي فكنت احبّ ان اعلم لأقطع كلامي عنه.

رمى المتوكل عصفوراً فأخطأ فقال وزيره ابن جهدون: أحسنت ياسيدي فقال: أتهزأ بي كيف أحسنت؟ قال: الى العصفور.وقال يوماً لبعض الصبيان في أي باب من ابواب النحو انت فقال: في باب الفاعل والمفعول به فقال: انت في باب ابويك اذن.وقالت له قينة ياأعمى فقال: ما أستعين على قبح وجهك بشيء أنفع منه.

كان الجاحظ قبيح الصورة جداً حتّى قال الشاعر:

لو يمسخ الخنزير مسخاً ثانياً ماكان الاّ دون قبح الجاحظ

قال يوماً لتلامذته ما أخجلني الاّ امرأة أتت بي الى صائغ فقالت: مثل هذا فبقيت حائراً في كلامها فلمّا ذهبت سألت الصائغ فقال: استعملتني لأصوغ لها صورة جنّي فقلت: لاأدري كيف صورته فأتت بك.من كلامهم اذا علم الثقيل انّه ثقيل فليس بثقيل.

قيل لأعرابي ما تسمّون المرق؟ قالك السخين قيل فاذا برد؟ قال: نحن لانتركه يبرد.

قيل لأعرابي على مائدة بعض الخلفاء وقد حضر فالوذج وهو يأكل منه ياهذا انه لم يشبع منه احد الاّ مات فأمسك يده ثمّ ضرب بالخمس وقال: استوصوا بعيالي خيراً، حكى الأصمعي قال: نزلت في بعض الأخباء فنظرت الى قطع من القديد منظومة في خيط فأخذت في أكلها فلمّا استوفيتها أتت المرأة صاحبة الخباء وقالت: اين ما كان في الخيط؟ فقلت: أكلته فقالت: ليس هذا ممّا يؤكل فانّي أخفض الجواري وكلّما اخفضت جارية علقت خفضتها في هذا الخيط.

قال أعرابي لآخر أقرضني عشرين درهماً وأجّلني شهراً، قال امّا الدراهم فليست عندي وامّا الأجل فقد أجلّتك سنة. كان رجل جار الفيروز الديلمي فأراد بيع داره لدين ركبه فلمّا سامها وأخبر المشتري بالثمن قال البائع: هذا ثمن الدار فاين ثمن الجوار؟ فقال: فهل يباع الجوار

فقال: نعم جوار فيروز يباع بأضعاف ثمن الدار فلمّا بلغه ذلك بعث اليه بأضعاف ثمنها وقال له: بعها على نفسك بورك لك فيها.

قال المنصور لبعض الخوارج وقد اتى به اسيراً أي اصحابي أشدّ اقداماً في الحرب؟ فقال: انّي لأعرفهم بوجوههم فانّي لم أر في الحرب الا قفاهم.سأل شقيق البلخي رجلاً كيف يفعل فقراؤكم؟ قالوا: ان وجدوا أكلوا وان فقدوا صبروا.قال: كلّ كلاب بلخ كان هكذا، قال فأنتم؟قال: ان وجدنا آثرنا وان فقدنا شكرنا قال يحيى بن معاذ من أكل حتّى شبع عوقب بثلاث ألقى الغطاء على قلبه والنعاس على عينيه والكسل على بدنه.

اكل رجل من العرب عند معاوية فرآى على لقمته شعرة فقال: خذ الشعرة من لقمتك فقال: وانت كنت تلاحظني ملاحظة من يرى الشعرة لاوالله لاواكلتك بعدها ابداً.وأكل آخر مع معاوية وجعل يمزق جديا على الخوان تمزيقاً عنيفاً ويأكله أكلاً ذريعاً فقال له معاوية انّك لحرد عليه كأنّ امّه نطحتك، فقال: وانّك لشفيق عليه كانّ امّه أرضعتك قيل لفيثاغورس ما بال العلماء يأتون أبواب الأغنياء اكثر ممّا يأتي الأغنياء ابواب العلماء فقال: لمعرفة العلماء بفضل الغنى وجهل الأغنياء بفضل العلم.

طوّل عائد عند مريض فقال له: طوّل جلوسك.في بعض التواريخ انّ بعض الأعراب في البادية اصابه حمى في ايّام القيظ فأتى الأبطح وقت الهاجرة فتعرى في شديد الحرّ وطلا بدنه بزيت وجعل يتقلّب في الشمس على الحصار ويقول سوف تعلمين ياحمى مانزل بك وبمن ابتليت، عدلت عن الأمراء وأهل التزين ونزلت بي ومازال يتمرغ حتّى عرق وذهبت حماه، وقام فسمع في اليوم الثاني قائلاً قد حمّ الأمير بالأمس فقال الأعرابي: انا والله بعثتها اليه ثمّ ولّى هارباً.عرض على ابي مسلم فرس جواد فقال: لمن بحضرته لماذا يصلح هذا الفرس فقالوا: للغزو فقال: انّما يصلح لأن يركبه الأنسان ويفر من جار السوء.لبعضهم

لو ضرط الموسر في مجلس	قالوا له يرحمك الله
لو عطس المفلس في مجلس	سبّ وقالوا فيه ماساه
فمضرط المفلس عرنينه	ومعطس الموسر نعساه

قال الراغب في المحاضراتك انّ بقزوين قرية أهلها متناهون في التشيّع فمر بهم رجل فسألوه عن اسمه فقال: عمر، فضربوه ضرباً شديداً فقال: ليس اسمي عمر فتضربونني بل عمران، فقالوا هذه أشدّ من الأول فانّه عمر وفيه حرفان من اسم عثمان فهو احق بالضرب.

قال بعض الأعراب لأبن عباس من يحاسب الناس يوم القيامة، فقال: يحاسبهم الله تعالى فقال الأعرابي: نجونا اذن ورب الكعبة، فقيل وكيف؟ قال لأنَ الكريم لايدقق في الحساب.كأنَ بعضهم يقول اللَهم احفظني من صديقي، فقيل له في ذلك فقال: لأنَي أتحرز من العدو ولا أقدر ان اتحرز من الصديق، قدَم قوم غريمهم الى الوالي وادّعوا عليه بألف دينار فقال الوالي: ماذا تقول فقال: صدقوا فيما ادَعوا لكنَي أسألهم انَ يمهلوني لأبيع عقاري وابلي وغنمي ثمّ اوفيهم، فقالوا: ايها الوالي ليس عنده ممّا يقول، فقال: قد سمعت شهادتهم بأفلاسي فكيف يطالبونني، فأمر بأطلاقه.

كان في بغداد رجل قد علته ديون كثيرة وهو مفلس فأمر القاضي ان لايقرضه أحد شيئاً ومن أقرضه فليصبر عليه ولايطالبه بدينه، وأمر بأن يركب على بغل ويطاف به في المجامع ليعرفه الناس ويحترزوا من معاملته، فطافوا به البلد ثمَ جاؤا به الى باب داره، فلمَا نزل عن البغل قال له صاحب البغل: أعطني أجرة بغلي، فقال: وفي أي شيءٍ كنَا من الصباح الى هذا الوقت ياأحمق.وقف إعرابي على قبر هشام بن عبد الملك واذا بعض خدامه يبكي على قبره ويقول مالقينا بعدك، فقال الأعرابي: أما انَه لو نطق لأخبرك انَه لقى اشدَ ممّا لقيتم.

شعر

لا أشتكي زمني هذا فأظلمه	وانَما اشتكى من اهل هذا الزمن
هم الذباب الَتي تحت الثياب فلا	يكن الى أحد منهم بمؤتمن
قد كان لي كنز صبر فافتقرت الى	إنفاقه في مداراتي لهم فغنى

قال ابو حنيفة لمؤمن الطاق: مات امامك يعني جعفر الصادق عليه السلام، فقال له مؤمن الطاق: لكنَ إمامك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم فضحك المهدي وأمر لمؤمن الطاق بعشرة الآف درهم قال في الكشكول: قد صمّم العزيمة بهاء الدين العاملي على ان يبني مكاناً في النجف الأشرف لمحافظة نعال زوار ذلك الحرم الأقدس، وان يكتب على ذلك المكان هذين البيتين الذين سنحا بالخاطر الفاتر وهما:

هذا الأفق المبين قد لاح لديك	فاسجد متذللاً وعفّر خديك
طور سينين(سيناء)فاغضض الطرف به	هذا حرم العزة فاخلع نعليك

شيخنا البهائي ره لما تشكى طول الأقامة في قزوين مع الأردو:

قد اجتمعت كل الفلاكات في	فقوموا بنا نغدوا فقوموا بنا

الأردو ... نغـــدوا

فمختلطـــات الهــمَ فيـــه كـــثيرة ... فلـيس لهـا رسـم ولـيس لهـا حـد

وأشـــكال آمـــالي أراهـــا عقيمـــة ... ومعكوســة فيهـا قـضاياي ياسـعد

فقـم نرتحـل عــنهم فـلا عــدل فـيهم ... ولكــن لــديهم عجمـة مالهـا حـد

فمـــن قلَـــة التمييـــز حـــالي ســـيءٌ ... وفعلـــي معتّـــل وهمَـــي ممتـــد

كـأنّ علـى الأبـصار مـنهم غـشاوة ... فمـن بـين أيـديهم ومـن خلفهـم سـد

قال رجل لحكيم: مابال الرجل الثقيل اثقل على الطبع من الحمل الثقيل فقال: لأنّ الحمل الثقيل يشارك الروح الجسد في حمله والرجل الثقيل تنفرد الروح بحمله كتب بعض الحكماء على باب داره لايدخل داري شرَ فقال له بعض الحكماء: فمن اين تدخل امرأتك؟ قال بعض الحكماء المرأة كلها شرَ وشرٌ مافيها غير انّه لابد منها، كان لأبن الجوزي امرأة كانت تسمّى نسيم الصبا فطلّقها، ثمَ ندم عل ما كان منه فحضرت يوماً مجلس وعظه فعرفها، واتّفق ان جلس امرأتان أمامها وحجباها عنه فأنشد مشيراً الى تينك المرأتين:

ايا جـبلي نعمـان بـالله خـلّيا ... نسيم الصبا يخلص الى نسيمها

ممّا ينسب الى ليلى:

باح مجـنون عـامر بـهواه ... وكتمت الهوى فبحـت بوجـدي

وقالت ايضاً:

بـاح مجـنون عـامر بـهواه ... وكتمـت الهـوى فبحـت بوجـدي

فـاذا كانـت القيامـة نـودي ... مـن قبيـل الهـوى تقـدَمت وجـدي

قيل لأشعب الطماع قد صرت شيخاً كبيراً وبلغت هذا المبلغ ولاتحفظ من الحديث شيئاً، فقال: بلى والله ماسمع أحد عن عكرمة ما سمعت، قالوا فحدّثنا قال: سمعت عكرمة يحدث عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ قال: خلتان لاتجتمعان الاَ في مؤمن نسي عكرمة واحدة ونسيت انا الأخرى.

شعر

انَ القلـوب بحـار في مودّتهـا ... فاسئل فؤادك عنّي فهو يكفيني

لا أسـأل النـاس عمّـا في ضـمائرهم ... مـافي ضـميري لهـم مـن ذاك يغنـيني

كتب بعض الأدباء الى القاضي بن قريعة مايقول القاضي ايّده الله تعالى في رجل سمّى أبنه مداماً وكنّاه ابو النداما، وسمّى ابنته الراح، وكنّاها ام الأفراح ويسمّى عبده الشراب، وليدته القهوة وكنّاها امّ النشوة، اينهى عن بطالته ام يترك على خلاعته؟ فكتب في الجواب لو لفّت هذا لأبي حنيفة لأقعده خليفة ولعقد له رأيه وقاتل تحتها من خالف رأيه ولو علمنا مكانه مسحنا اركانه فان اتبع هذه الأسماء أفعالاً وهذه الكنى استعمالاً علمنا انه قد احيا دولة المجون، واقام لواء البزرحون فبايعناه وشايعناه وان لم يكن الا اسماء سمّاها ماله بها من سلطان خلعنا طاعته وفرقنا جماعته فنحن امام فقال: احوج منّا الى امام قوان.

وقال الحسن عليه السلام لمولانا علي بن ابي طالب صلوات الله عليه امّا ترى حب الناس للدنيا قال: هم اولادها أفيلام المرء على حب والديه.قيل لحكيم: ما مثل الدنيا؟ قال: هي أقل من ان يكون لها مثل.اراد بعض الأعراب السفر في اول السنة فقال: ان سافرت في المحرم كنت جديراً ان أحرم، وان اسافر في صفر خشيت على يدي تصفر، فأخّر السفر الى شهر ربيع فلمّا سافر مرض ولم يحظ بطائل فقال: ظننته في ربيع الرياض فاذا هو من ربيع الأمراض.

قيل للحسن ياابا سعيد اما رويت عن النبي صلى الله عليه وآله انّه لايزداد الزمان الاّ شدة فما بال زمان عمر بن عبد العزيز؟ قال: لابدّ للتاس من تنفيس.صدع ملك فأمر الطبيب ان يضع قدميه في الماء الحار، فقال: خصي عنده اين الرأس من القدم؟ فقال: اين وجهك من بيضتيك؟ نزعتا فذهبت لحيتك. قال بصله دخلت سقاية بالكرخ فتوضأت فلمّا خرجت تعلّق السقا بي فقالت هات القيمة، فضرطت ضرطة وقلت خلّ الآن سبيلي فقد نقضت وضوئي، فضحك وخلاني. ولّما اخذ محمّد بن سليمان صالح بن عبد القدوس ليوجه به الى المهدي قال له: أطلقني حتى أفكّر لك فيولد لك ولد ذكر ولك يكن لمحمّد بن سليمان غير بنت واحدة، قال: بل اصنع ماهو أنفع لك فكر حتى تفلت من يدي.

حمل بعض الصوفيّة طعاماً الى طحّان ليطحنه فقال: انا مشغول، فقال: اطحنه والاّ دعوت عليك وعلى حمارك ورحاك، قال: فأنت مجاب الدعوة؟ قال: نعم، قال: فأدع الله عزّ وجلّ انّ يصير حنطتك دقيقاً فهو أنفع لك وأسلم لدينك.دخل الشعبي الحمّام وفيه رجل مكشّف، فغمض عينيه، فقال له الرجل: ياشيخ متى ذهبت عيناك؟ قال: مذهتك الله سترك.أعترض رجل المأمون فقال: يا أمير المؤمنين أنا رجل من العرب، قال: ماذاك بعجب قال: وإنّي أريد الحج، قال: الطريق أمامك نهج، قال: وليست لي نفقة، قال: سقط عنك الفرض، قال: اني جئتك مستجدياً لامستفتياً، فضحك وامر له بصلة.

قال الأصمعي مررت بكنّاس يكنس كنيفاً بالبصرة وهو ينشد:

أضاعوني وأيّ فتى أضاعوا ... ليوم كريهة وسداد ثغر

فقلت له: أمّا سداد الكنيف فأنت مليّ به، وامّا الثغر فلا علم لنا بك كيف انت فيه، وكنت حديث ألسن وأردت العبث به فأعرض عنّي ملياً ثمّ أقبل عليّ فأنشد متمثّلاً:

واكرم نفسي انّني ان أهنتها ... وحقّك لم تكرم على احد بعدي

فقلت له والله مايكون من الهوان شيءٌ أكثر ممّا بذلتها له فأيّ شيءٍ أكرمتها فقال: بلى والله انّ من الهوان لما هو شرّ ممّا أنا فيه فقلت وما هو؟ قال: الحاجة اليك والى أمثالك من الناس.

قدم رجل عجوزاً دلالة الى القاضي، فقال: أصلح الله القاضي زوّجتني هذه امرأة فلمّا دخلت بها وجدتها عرجاء، فقالت: أعزّ الله القاضي زوّجته امرأة يجامعها أم زوجته حمارة يحجّ عليها.قيل لأمرأةٍ ظريفة: أبكر أنت قالت: أعوذ بالله من الكساده.

قال ابو العينا: خطبت إمرأة فاستقبحتني، فكتب اليها:

فان تنفري من قبح وجهي فانّني ... اديب أريب لاعيي ولافدم

فأجابت ليس لديوان الرسائل أريدك. خرجت حبّي المدنية في خوف الليل فلقيها إنسان فقال لها: أتخرجين في هذا الوقت؟ قالت: ولاأبالي ان لقيني شيطان فانا في طاعته او لقيني رجل فأنا في طلبه.غاب رجل عن امرأته فبلغها أنّه اشترى جارية فاشترت غلامين، فبلغ الخبر زوجها فجاء مبادراً وقال لها ماهذا؟ فقالت: أما علمت انّ الرحا الى بغلين أحوج من البغل الى رحوين؟ بع الجارية حتّى أبيع الغلامين، ففعل ذلك.

دخل ابو يونس فقيه مصر على بعض الخلفاء، فقال له: ماتقول في رجل اشترى شاة فضرطت فوثبت من استها بعرة ففقأت عين رجل على من الدية؟ قال: على البائع، قال: ولم؟ قال: لأنّه باع شاة في استها منجنيق فلم يبرىء من العهدة. غضب سعيد بن وهب يوماً على غلام له فأمر به فبطح وكشف عنه الثوب ليضربه فقال: يا ابن الفاعلة انّما غرّتك استك هذه حتّى اجترأت عليّ هذه الجرأة، وسأُريك هوانها عليّ فقال الغلام: طال ما غرتك هذه الأست حتّى اجترأت على الله وسوف ترى هوانك، قال سعيد: فورد عليّ من جوابه ما حيّرني وأسقط السوط من يدي.

سأل اعرابي عبد الملك فقال: سل الله تعالى، فقال الأعرابي: قد سألته فأحالني عليك، فضحك وأعطاه.دخل إعرابي المخرج فخرج منه صوت، فجعل فتيان حضروه يضحكون منه، فخرج فقال: يافتيان هل سمعتم شيئاً في غير موضعه؟ قال ابن ابي البغل لرجل ولد لي مولود فما اسميه: قال: لاتخرج من الأصطبل وسمّه ماشئت. دخل كلب مسجداً خراباً فبال على المحراب

وفي المسجد قرد نائم فقال للكلب: اما تخاف الله تبول في المحراب فقال الكلب: ما أحسن ماخلقك الله حتَى تتعصب له. وقالوا انَ جدياً وقف على سطح يشتم ذئباً في الأرض، فقال له الذئب: لست الَذي تشتمني ولكن مكانك يفعل ذلك.

عدى كلب خلف ظبي قال الظبي: انَك لاتلحقني، قال: لم؟قال: لأني أعدو لنفسي وأنت تعدو لغيرك. وقف مطيع بن اياس على رجل يعرف بأبي العمير من أصحاب المعلي الخادم، فجعل يعبث به ويمازحه الى ان قال له:

ألا أبلـغ لـــديك ابـــا العـــمير أراني الله في استك نصف أيري

فقال له ابو العمير: ياابا سلمى لوجدت بالأير كلَه لأحد جدت لي به لما بيننا من الصداقة لكنَك لحبك له لاتريده كلَه الاَ لك، فافحمه ولم يعاود العبث به وكان مطيع يرمي بالأبنة. جلس بعض الأعراب يبول وسط الطريق بالبصرة، فقيل له ياإعرابي أتبول في طريق المسلمين؟ فقال: وانا من المسلمين بلت في حقَي من الطريق.

قال ابو زيد النحوي: مرَ رجل من قيس ومعه ابن له يريد الجمعة وابو علقمة المعتوه على باب المسجد جالس، فقال الغلام لأبيه: أكلَم ابا علقمة، قال: لا فأعاد عليه الكلام ثلاثاً، فقال له ابوه: أنت أعلم، فقال له الغلام: ياابا علقمة مبال لحي قيس قليلة خفيفة المؤنة ولحي اليمن كثيرة عريضة شديدة المؤنة؟ قال: من قول الله تعالى{والبلد الطيَب يخرج نباته بإذن ربَه والَذي خبث لايخرج الاَ نكدا}، مثل لحية أبيك، قال: فجذب القيسي يده من يد ابنه ودخل غمار الناس حياءً وخجلاً. سأل رجل رجلاً ما اسمك؟ قال: بحر قال: ابو من ؟ قال: ابو الفيض، قال: ابن من قال: ابن الفرات، قال: ماينبغي لصديقك ان يزورك الاَ في زورق. ونظيره انَ رجلاً سأل شاباً ما اسم ابيك؟ قال: عمر، فقال: ماسم امَك؟ قال: عائشة، قال: ماسم عمك؟ قال: عثمان، ثمَ قال له: ماسمك انت؟ فقال: رجل من الحاضرين اسمه شمر، فضحك الحاضرون، وكنت انا شاهدت ذلك الشاب في العراق وقد كانوا اهل بيت عظيم، وكانوا من اهل السنة فتشيَعوا كلَهم وبقيت عليهم تلك الأسماء.

قدم عبد الله بن علي بعض الأمويين للقتل وجرَد السيف لقتله فضرط الأموي فأنزعج السياف فألقى السيف من يده، فضحك عبد الله بن علي وأمر بتخلية سبيل الأموي، فقال: هذا أيضاً من الأدبار كنَا ندفع الموت بأسيافنا ونحن الآن ندفعه بأستاهنا. دخل اللصوص على رجل فقير ليس في بيته شيء وجعلوا يطلبون ويفتشون، فانتبه الرجل فقال: يافتيان هذا الَذي تطلبونه في بالليل قد طلبناه بالنهار فلم نجده. دخل لص دار قوم فلم يجد فيها شيئاً الاَ دواة، فكتب على الحائط عزَ عليَ فقركم وعناي. كان ابو الشمقمق اديباً شاعراً ظريفاً وكان فقيراً حتَى انَه لم يجد

مايلبس وكان يجلس بالبيت فأتاه رجل فقال له: ياأخي انّ العارين في الدنيا أهل الثياب في الآخرة، قال: ان كان الّذي تقول حقاً لأكونن بزازاً يوم القيامة.

نظر ابن سمانة الى مبارك التركي على دابّة، فرفع رأسه الى السماء وقال: يارب هذا حمار له فرس وانا انسان وليس لي حمار. سأل بعض المغاربة الجراوي للشاعر أي بروج السماء لك؟ فقال: واعجباً منك مالي بيت في الأرض فكيف يكون لي برج في السماء فضحك وأمر له بدار. لقيت امرأة من الأرزد المهلب وقد قدم من الحرب، فقالت: ايها الأمير انّي نذرت ان وافيت سالماً ان أقبّل يدك، وأصوم يوماً، وتهب لي جارية سندية وثلاثمائة درهم، فضحك المهلب وقال: وفينا بنذرك فلا تعاودي مثله فليس كلّ أحد يفي لك به.

سافر اعرابي فرجع خائباً فقال: ماربحنا من سفرنا الاّ ماقصرنا من صلاتنا. خرج رجلان من خراسان الى بغداد في متجر لهما فمرض أحدهما وعزم الآخر على الرجوع، فقال لصاحبه: ما أقول لمن يسألني عنك؟ قال: قل لهم لمّا دخل بغداد اشتكى رأسه وأضراسه ووجد خشونة في صدره وغرراً في طحاله، وخفقاناً في فؤاده، وضرباناً في كبده، وورماً في ركبتيه، ورعشةً في ساقيه، وضعفاً عن القيام على رجليه، فقال: بلغني انّ الأيجاز في كل شيءٍ مّما يستحبّ فأنا أكره ان أطوّل عليهم لكنّي أقول لهم قد مات.

نظر زياد الى رجل على مائدته قبيح الوجه يدرع في الأكل، فقال له: كم عيالك قال: تسع بنات، قال: فأين هنّ منك؟ قال: انا أجمل منهنّ وهن آكل منّي، قال: ما أحسن ما سألت وفرض لهنّ فرضاً كان سبب غناه. سأل ابو العينا احمد بن صلالح حاجةً فوجده ثمّ أقتضاه اياها فقال: حال دونها هذا المطر والرحل، قال: فحاجتي صيفية، وقف سائل على باب فقال: ياأهل الدار فبادر صاحب الدار قبل ان يتمّ السائل كلامه فقال: صنع الله لك فقال السائل: ياابن البطر أكنت تصبر حتّى تسمع كلامي عسى جئت أدعوك الى دعوة.وقف سائل على باب قوم فقال: تصدّقوا عليّ فإني جائع، قالوا: لم نخبز بعد قال: فكف سويق؟ قالوا: ما اشترينا بعد، قال: فشربة ماء فانّي عطشان، قال: ما أتانا السقا بعد، قال: فيسير دهن أضعه على رأسي، قالوا: ومن اين الدهن؟ قال: ياأولاد الزنا ماقعودكم هيهنا قوموا وسلوا معي.

وقف اعرابيٍ على قوم يسألهم فقال احدهم: بورك فيك، وقال آخر: ما أكثر السؤال، فقال الأعرابي: ترانا اكثر من بورك فيك والله لقد علّمكم الله كلمة ماتبالون معها ولو كنّا مثل ربيعة ومضر، كان لمزيد غلام وكان اذا بعثه في حاجة قد جعل بينه وبينه علامة اذا رجع سأله فقال: حنطة او شعير، فان كان عاد بقضاء الحاجة قال: حنطة وان لم تقض الحاجة قال: شعير،

فبعثه يوماً في حاجة فلمّا انصرف قال له: حنطة او شعير؟ قال: خرأ قال: ويلك وكيف ذاك قال: لأنهم لم يقضوا الحاجة وضربوني وشتموك.

قال مطيع بن اياس عبرت جسر بغداد على بغلتي فاعترضني رجل اعمى وظنني من الجند فقال: اللهمّ سخّر الخليفة ان يعطي الجند ارزاقهم فيشتروا من التجار الأمتعة فتربح التجار عليهم فتكثر اموالهم فتجب فيها الزكاة عليهم فيتصدّقوا عليّ منها، فقلت له: يا أعمى سل الله ان يرزقك ولاتجعل بينك وبينه هذه الحوالات. ونظير هذا انّ سائلاً في أصفهان أتى الى دار رجل غني فسأل شيئاً، فنادى صاحب البيت لعبده وقال: ياجوهر قل لقنبر وقنبر لبلال يقل لعنبر وعنبر يقل لهذا السائل يرزقك الله، فلمّا سمع السائل رفع يديه الى السماء وقال: الهي قل لجبرئيل يقل لميكائيل وميكائيل يقول(يقل خ) لأسرافيل واسرافيل يقول(يقل خ) لعزرائيل حتّى يقبض روح هذا البخيل وانصرف.

حدّث الأصمعي عن يونس قال: صرت الى حيّ بني يربوع فلم أجد الاّ النساء وأضر بي الجوع فقلت: هل لكن في الصلاة؟ قلن ايم الله انّ لنا فيها رغبة، فاذّنت وتقدمت وكبرت وقرأت الحمد لله رب العالمين، ثمّ قلت يا ايها الذين آمنوا اذا نزل بكم الضيف فلتقم ربّة البيت فتملأ قعباً زبداً وقعباً تمراً فانّ ذلك خير وأعظم اجراً، قال: فو الله مافرغت من صلاتي وانقلبت الاّ وصحاف القوم حولي فأكلت حتّى شبعت فجاء رجال الحي فسمعت امرأة وهي تقول لزوجها يافلان: ما سمعت قرآناً مثل الّذي قرأه ضيفنا اليوم، فقال لها زوجها: تبارك ربّنا انّه ليأمرنا بمكارم.

وقد خرج بعض السلاطين بكرة من منزله فلمّا بلغ الى رأس الطريق عثرت به الفرس فوقع الى الأرض فلمّا ركب رأى في رأس الطريق رجلاً مقبلاً فقال السلطانك هذا رجل نحس مشؤوم لَمّا رأيته عثرت بي الفرس فاذهبوا اضربوا عنقه، فلمّا سمع الرجل ذلك قال: أنت قاتلني ولكن لي كلمة أقولها، قال له: قل، قال: احلَفك واقسم عليك أي الرجلين أنحس وأشأم انا أم أنت رأيتني عثرت بك الفرس وقمت سالماً وانا رأيتك حصل لي القتل من رؤياك، فأيّنا أنحس على صاحبه فضحك السلطان فأمر له بجائزية كثيرة. قد تعارف بين الناس وفي الطب انّ الرجل اذا عظم منخره كبر ذكره، والمرأة اذا أتسع فمها أتّسع فرجها.

وقد أعطى بعض السلاطين لرجل من أصحابه جارية بيضاء فاتّفق انّها كانت واسعة الفم واخيه، فبقيت عند ذلك الرجل مدّة فزعمت في نفسها انّ الرجل لم يشعر بإتساع الموضعين، فقالت له يوماً: ايّها الرجل هلم الي ان تعدّ عيوبي وأعدّ عيوبك، وقال: ليس فيك عيب لأنّك من حواري السلطان فقالت: لابدّ من هذا فأخذت في تعداد عيوبه فلمّا فرغت قالت عدّ أنت،

فقال: فمك واسع قولي اثنان فعلمت انه علم وانقطعت عن الكلام وهذا الرجل قد كان راكباً مع السلطان وهو الشاه عبّاس الأوّل واسم ذلك الرجل كل عناية وهو مضحكته، فلمّا بلغا الى طريق بين المنازل رأوا راكباً وثب من سطح بيت الى سطح بيت آخر وفي اثناء طفرته ضرط ذلك الكلب فقال السلطان لذلك الرجل: هذه الضرطة أهي لصاحب هذا البيت أم صاحب هذا البيت؟ فقال: أعزّ الله السلطان هذه الضرطة وقعت في الهوى وكلّ شيءٍ هوائي فهو للسلطان لا لهذا ولا لهذا فضحك السلطان كثيراً.

وقد دخل يوماً على ذلك السلطان وهو في بستانه يحرث ويزرع داخل البيت، فقال له: يامولاي ماتزرع هذا اليوم في هذا البستان المبارك؟ فقال: أيورة الحمير، فقال: يامولاي لاترفع صوتك أخاف ان يكون الحرمات يسمعن هذا الكلام فيقلعنه قبل ان يخضّر ويخرج من الأرض.

وقد كان في بلاد العراق في أرض الجزائر رجل فقير وقد كان سعى وكسب بأنواع الكسب حتّى وقع بيده مائتا درهم تقيريباً فتزوّج بها امرأة وبقيت عنده ايّاماً، فماتت فبكى عليها وصاح وكان يقول: واي بمن وضعت مالي كلّه فيها وكان الحاضرون يضحكون من كلامه وهو يقصد الدراهم، ولمّا ماتت امرأة رجل بحراني أتى الى رجليها وجلس عندهما فبكى فقيل له: انّها امرأة ماتت وسيجيء غيرها، فقال بلسان البحرين: انّها امّ بكسر الهمزة لا زوجة فقالوا له: لم تجلس عند رأسها؟فقال: انّي ما رأيت الخير الاّ في رجليها.

وقد كان رجل بحراني نائماً فوق مرتفع فسقط من ذلك المرتفع الى الأرض ليلاً وقد كانت زوجته في الأرض فقالت: ماهذه الطقة؟ قال: عباتي وقعت من فوق فقالت: وقعتها ثقيلة على الأرض؟ قال: انا فيها. وكان ايضاً رجل قد قال لأمرأته تعالي نروح الى بيت أبيك وقد كان بين المنزلين فرسخ او نحوه فقالت له زوجته: ربّما لقينا قاطع طريق فكيف نقاومه؟ فقال لها: أضربه بعصاي هذه حتّى أقتله، فمضيا فلمّا توسط الطريق فاذا بفتىً من أهل البصرة وخلفه عنزةٌ تمشي فلمّا رأى تلك المرأة أعجبته فقال لزوجه بخشونةٍ من الكلام تعال اقبض هذه العنزة، فقال: حبّاً وكرامةً فأخذ البصري تلك المرأة الى مكان قريبٍ من زوجها وفعل بها مافعل فلمّا فرغ ناداه هات العنزة وخذ امرأتك فأخذ الرجل عنزته ومضى، فقالت المرأة لزوجها: ألم تقل اني أضرب قاطع الطريق بعصاي فأين عصاك هذا الوقت؟ فقال لها: انّ هذا البصري ماربح عليّ بل انا الّذي غلبته، قالت: وكيف غلبته؟ فقال: هو كان معك وانا كنت انيك العنزة حتّى قطعت سفلها من النيك، اما سمتها تمعمع؟ فقالت: نعم سمعتها، فقال: وايضاً تبعته وقلت له كلمة أحرقت بها قلبه، فقالت: كيف قلت له قال: قلت له ايّها الرجل حصّل لك كساً تأتي اليها كلّ وقت فانّ كساسة الناس ماتتّهيأ لك كلّ وقت، فحرقت كبده في هذه الكلمة.

وقد تمتع رجل بحراني بامرأة عجمية فلمّا أصبح سأله بعض اخوانه كيف وجدتها فقال: وجدت فيها خصلتين من خصال الجنّة وهما البرد والسعة يعني انها باردة وواسعة وكان رجل منهم في البصرة فلقيه رجل من أهلها وبيده حيّة عظيمة، فقال لذلك البحراني: أقسم عليك بحب ابي بكر الصدّيق الاّ مالزمت هذه الحيّة فقال: انظر في ايّ شيءٍ تحلفني واي شيءٍ يقبضني؟ لأنّ اهل البحرين كلّهم مثل اهل الجزائر في كونهم شيعة أمير المؤمنين عليه السلام حتّى انه حكى لي رجل ثقة فقال: انّ بحرانياً وضع في القبر فسأله الملكان عن ربّه وعن نبيّه فقال: الله ربّي ومحمّد نبيّ، فسأله عن امامه فقال: انا من اهل البحرين يعني لاأحتاج الى السؤال عنه.

وقد سمعت من جماعة من الثقاة ان قافلة من اهل البحرين سافروا الى زيارة مولانا امير المؤمنين عليه السلام فلمّا فرغوا وخرجوا الى قريب من بلد الحلّة كان بينهم رجل لايخلوا من قلّة العقل فقالوا له: ياابا حميد أعطاك الأمام براة مكتوبة؟ فقال: لا فقالوا له: اذن لم يقبل زيارتك فها نحن كلنا أعطانا براوات بقبول الزيارة، فقال لهم: إنتظروني هنا ثمّ رجع فأتى الى الروضة الطاهرة واستقبل القبر وبكى وقال: يامولاي ما التقصير الّذي وقع منّي حتّى لم تعطني براة مثل اصحابي، فخرجت اليه براة من المحجر الشريف مكتوب فيها ابو حميد عتيق من النار كتبه علي بن ابي طالب، فرجع الى أصحابه مسروراً فلمّا رأوها تبركوا بها وقيل لي: انها الى الآن موجودة عند اولاده وذراريه.

وقد جاء جماعة منهم الى البصرة فلمّا دخلوا شط البصرة أراد واحد من أهلها ان يعبث بهم، فقال لهم: كيف أحوال مخنثي البحرين أهم قليلون ام كثيرون؟ فقام اليه رجل منهم فقال: نعم قد قلّوا وارسلونا نملأ هذه السفينة من مخنّثي البصرة ونرسلها الى هناك.

ونظير هذا انّ شاباً حسن الصورة من اهل اصفهان كان جالساً في السوق وهو مغرور بحسنه وجماله ويعبث بكل من يمر به، فمرّت به فتاة جميلة فقال لها: ايّتها المرأة كيف يباع القبل والدبر عندكم؟ فقالت له: امّا القبل فلا يباع بالموازين والمثاقيل امّا الدبر فأنت أعرف به منّي كيف يباع فانقطع عن الكلام.

ونقل عن ابن الراوندي انه اتى يوماً الى السوق فمرّ بدكّان يباع فيه الباقلا فرأى رجلاً غنيّاً اشترى باقلا وجلس يأكله فأكل لبّه ورمى قشوره، فقام من غير حمد الله تعالى ولاشكر، فرأى بعده رجلاً فقيراً جاء الى تلك القشور فالتقطها من التراب وأكلها وحمد الله وشكره وقام، وابن الراوندي واقف ينظر اليه فلمّا قام أتى الى ذلك الرجل وصفعه على رقبته وبالغ في ضربه وقال له: ماطمع الله فينا ولا جرّأه علينا معاشر الفقراء الاّ انت وأمثالك، لأنّه نظر الى انّكم تحمدونه على القشور والأغنياء ما يحمدونه على اللباب فعلم انّكم راضون بهذا.

ونقل عنه ايضاً انّه كان جالساً تحت حائط وليس على رأسه قلنسوة فرفع يديه الى السماء وطلب من الله سبحانه ان يرزقه قلنسوة فاتّفق أنّ وراء ذلك الجدار رجلاً كنّاساً كان يكنس كنيفاً وكان في تلك الكنيف خلق قلنسوة بين الفضلات، فأخذها ورماها بمسحاته فوقعت على رأس ابن الراوندي، فلمّا نظر اليها راى ما عليها فأخذها ورمى بها في الهوى وقال: هذه اجعلها على رأس جبرئيلك ان كان رأسه مكشوفاً بغير قلنسوة، هكذا كان حاله مع الله تعالى.

وقد تمتّع رجل من أصحابنا بإمرأة وكان ذلك الرجل فقيراً فصار القرار على درهمين تقريباً، فجامعها تلك الليلة خمس مرّات فلمّا أصبح طالبته بالدرهمين ولم يكن عنده شيء، فألحت عليه بحضور جماعة من المؤمنين فقالت: ايها الناس انه جامعها خمس مرّات ولم يعطها شيئاً فقال لها: ياحبّابه تعالي ثمّ انّه نام ورفع أرجله وقال: تعالي جامعيني سبع مرّات، عوض الخمس مرّات، فقال الحاضرون: الحقّ مع العالم.

وتمتّع رجل من أصحابنا امرأة في شيراز واعطاها محمّديّة وكان الوقت حاراً فصعدنا السطح وامّا هو فغلق باب حجرته عليه وبقى مع المرأة، فلمّا قرب نصف الليل فاذا صوت المرأة قد ارتفع وهي تقول هلموا اليّ فقد قطع فرجها، فنزلنا اليهما فأتيت اليها وقلت ماجرى عليك؟ فقال: انّ الليل لم ينتصف وانّه قاربني عشرين مرة وما صرت أطيق فهذه المحمّديّة يأخذها ويعفيني بقية الليل، فقلت له يافلان: ماتقول في كلامها هذا فقال: انّها كذّابة مابلغت العشرين فلزمني من يدي وقال تعال، فأتيت معه فأدخلني الحجرة واذا هو قد خطّ المرات خطوطاً في الجدار فعددتها واذا هي ثمان عشرة فقال: انظر كيف كذبت عليّ، فقلت له يافلان: أقسم عليك بالله ماكان في نظرك الشريف الى وقت الصباح من مرة، فقال: والله كان في خاطري اربعين مرة ليكون بإزاء كل نصف غازي مرة، ثمّ انّ المرأة أعطته المحمّديّة وانهزمت نصف الليل.

وقد اراد بعض المؤمنين ان يتمتّع في أصفهان فقالت له عجوز دلاّلة: انا أهديك على امرأة جميلة فأخذته الى بيت امأة فرأى امرأة تحت الأستار والحجب فظنّ بها القبول وقد كان أعطى الدراهم للعجوز وأنصرفت فلمّا خلي معها ورفعت الحجب نظر الي وجهها واذا لها من العمر ماتجاوز التسعين ولايتكلّم الاّ بالدرادر لعدم الأسنان، ففكر في نفسه فانتهى فكره الى ان قال لها: ياحبّابة أريد شيئاً من الدهن فقامت واحضرته عنده فكشف رأسه ودهّنه دهناً جيداً، فقال لها: نامي على اسم الله تعالى حتّى نقضي الحاجة فنامت فقدّم رأسه فقالت: ماتصنع؟ فقال: قاعدة بلادنا ان يأتون النساء برؤوسهم، فقالت: خرّب الله بلادكم وهذا شيء ما يكون، فقال: انظري كيف يكون فقامت من تحته وقالت هذه دراهمك خذها لابارك الله لك فيها فلم يقبل حتّى ضاعفت له الدراهم أضعافاً كثيرة بالتماس كثير حتّى أخذها وخرج منها.

وواحد آخر أيضاً قد جرت عليه مثل هذه المقدّمة فلمّا خلي بها فرآها تزيد في العمر على عجائز بني اسرائيل قام وأخذ ابريقاً الى الكنيف، فأخذ لفّافة عمامته وعصب بها ذكره حتى صار كالجاون الصغير فأقبل اليها وهو يتوجّع ويأنّ فانكشف لها، فقالت: ماهذه العصابة على ذكرك، فقال: انّ معي داء البشل والطبيب أمرني بان أتمتّع امرأة عجوزاً وألفظ سم هذا الوجع فيها حتى ابرأ، فصاحت من هذا الكلام وقالت: خذ دراهمك لابارك الله لك فيها، فقال: هيهات هيهات لاأقبل هذا ابداً حتّى زادت على ما أعطاها زيادة وافرة فأخذها ومضى.

وقد جاء رجل الى مجلس واحد من العلماء فسمع انّ من جامع امرأته مرّة واحدة كان ثوابه مثل ثواب من قتل كافراً فجاء الى زوجته ونقل لها هذا الحديث ففرحت به، فلمّا جاء الليل قالت له: اما تقتل كافراً؟ قال: بلى فجامعها مرّة وناما، ثمّ ايقظته وقالت اجلس نقتل كافراً فأتاها مرّة أخرى فكررت عليه قتل الكفار تلك الليلة حتّى انتصف الليل، فاستلقى الرجل على قفاه من الضعف فقالت: ذهب الليل فقم نقتل كافراً فقام اليها وقال: يا أيتها المرأة إتقي الله تعالى في دمي فانّ سيف عليّ بن ابي طالب ذا الفقار لم يحط بقتل الكفّار في مدّة ستّين سنة وتريدني انا أن أقتل الكفّار كلّهم في ليلة واحدة.

وكان عند رجل من أهل البصرة هرّة مؤذيةٌ تسرق طعامهم وتفسد عليهم أمورهم وكلّما أبعدوها عن منزلهم رجعت اليه، فوضعوها فوق لوح وقيّروا رجليها ويديها فوقها وأجروها على وجه الماء، فأخذها الماء فاتّفق انّ حاكم البصرة كان في سفينة في الشط فرأى الهرة تصيح وسط الشط فأمر بها فأتى بها اليه، فعرف انّ صاحبها فعل بها هذا الفعل، فلمّا أتى بها الى البصرة كتب كتابة ووضع فيها خاتمه مضمون الكتابة انّ هذه الهرة لأجل خاطر الحاكم ينبغي ان يعفو صاحبها عن ذنبها ويجعلها في منزله، فعلّق الكتابة في عنقها وسيّبها فأتت الى بيت صاحبها فرآها صاحبها والكاغذة في رقبتها معلّقة ففتحها وقرأها واذا فيها حكم الحاكم وخاتمه في قبول الهرّة وان صاحبها لايخرجها من بيته وان أخرجها أخرجه الحاكم من البصرة، فلمّا قرأه جمع مفاتيح بيته وحملها مع الهرة الى حضرة الحاكم فقال: ايّها الأمير هذه مفاتيح منزلي فسلّمها الى هذه الهرّة وانا أخرج من المنزل لأنّ هذه الهرة بدون حكم منكم وكاغذ كانت تخرب علينا وتفسد والآن حكمكم معلّق في عنقها لانقدر على اضرارها ولا إبعادها، فضحك الأمير وخلاّها.

ودخل اللص على دار رجل وكان البيت مظلماً فوجد في البيت شيئاً من الطحين وكان معه رداءه ففرش رداءه ومضى الى ان يأتي بالطحين ليضعه في الرداء، وكان صاحب المنزل يقظاناً فمدّ يده الى رداء اللص وأخذه، فأتى اللص بالطحين وصبّه فوق الأزار يظنّ ان الأزار مطروح، فأراد رفع الأزار فلم يجده، فصاح به صاحب المنزل هذا لصّ، فقال اللص: قد علم

أيَنا السارق انا او انت، فخرج اللص من غير رداء. وكان في العراق رجل مؤمن فقير وكان عنده حصير ينام عليه مع زوجته، فاذا أرادوا المواقعة ربّما تنجّس ذلك الحصير فقال لأمرأته: اذا أردنا ذلك الأمر إفرشي لنا القباء الخلق حتّى لاينجّس الحصير، فقالت: هكذا يكون فأتت اليه ذلك اليوم من العصر، فقالت له: افرش القباء هذه الليلة، فقال: بلى فقضوا حاجتهم تلك الليلة فأتت اليه في اليوم الثاني واستأمرته في وضع القباء فأمرها فصارت كلّ يوم تبكّر عليه في هذا الأمر، فكلّ ذلك المؤمن من كثرة المجامعة فأتت اليه يوماً تستأمره، فقام اليها وضربها، وقال لها: ياملعونة انا قلت لك اذا أردنا قضاء هذه الحاجة فافرشي لنا خلق القبا ولم أقل لك افرشيه كلّ ليلة.

وقد غار جماعة من عساكر الروم على قبيلةٍ من الأعراب فانهزمت أهل القبيلة وبقيت منهم امرأةٌ عجوز في مكانهم لعدم قوّتها على المسير فأتى اليها رجلان او ثلاثة من عسكر الروم وقالوا لها: ايّتها العجوز نجامعك مرات على عدد أضراسك وكانت قليلة الأضراس، فعدوا أضراسها وتناوبوا عليها حتّى فرغوا من ذلك الحساب، فلمّا ركبوا وأدبروا عنها نادت اليهم وقالت هذه الرحى من ضروسي خفيت عليكم وقت العدّ، فرجعوا اليها وجامعوها مرّة، فلمّا ركبوا وضعت اصبعها على ضرس وقالت هذا ضرس مكسور تعدّيتم عنه، فرجعوا اليها فكانت كلمّا ركبوا تطالبهم بحساب رحاء أو سنّ أو ضرس الى ان عجزوا فولّوا عنها هاربين. وقيل للأعمش لم عمشت عينك؟ فقال: من النظر الى الثقلاء.

قال صاحب الأغاني انّ رجلاً قال لجرير من أشعر الناس؟ قال: قم حتّى أعرفك الجواب فأخذ بيده وجاء الى أبيه عطيّة وقد أخذ عنزة فاعتقلها وجعل يمتصُ ضرعها، فصاح به أُخرج ياابه، فخرج شيخ ذميم رثّ الهيئة وقد سال لبن العنز على لحيته، فقال: ترى هذا؟ قال: نعم قال: اولا تعرفه؟ قال: لا قال: هذا ابي أفتدري لِمَ كان يشرب من ضرع العنزة قال: لا قال: مخافة ان يسمع صوت الحلب أحد فيطلب منه، ثمّ قال: أشعر الناس من فاخر بهذا الأب ثمانين شاعراً وقارعهم فغلبهم جميعاً.

ذكر انّ الحجاج خرج يوماً متنزّهاً فلمّا فرغ من تنزّهه صرف عنه أصحابه وانفرد بنفسه، فاذا هو بشيخ من بني عجل فقال له: من اين ايّها الشيخ؟ قال: من هذه القرية قال: كيف ترون عمّالكم؟ قال: شرُ عمّال يظلمون الناس ويستلّون أموالهم، قال: فكيف قولك في الحجاج؟ قال: ذلك ماولى العراق أشرّ منه قبّحه الله تعالى وقبّح من استعمله قال تعرف من انا؟ قال: لا قال: انا الحجّاج، فقال له: أتعرف من انا قال: لا قال: انا مجنون بني عجل أصرع في كلّ يوم مرتين فضحك وأمر له بصلة.

دخل شريك بن الأعور على معاوية وكان ذميماً فقال له معاوية: انّك لذميم والجميل خير من الذميم، وانّك لشريك وما لله شريك، وانّ اباك الأعور والصحيح خير من الأعور فكيف سدت قومك؟! فقال له: انّك معاوية وما معاوية في اللغة الاّ كلبة عوت فاستعوت الكلاب، وانّك لأبن صخر والسهل خير من الصخر، وانّك لأبن حرب والسلم خير من الحرب، وانّك ابن اميّة فصغرت فكيف صرت علينا امير المؤمنين ثمّ خرج من عنده وهو يقول:

ايشتمني معاوية بن حرب   وسيفي صارم ومعي لساني

وقال معاوية لرجل من اهل اليمن: ما كان أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة؟ فقال: أجهل من قومي قومك الّذين قالوا لّما دعاهم الرسول اللّهم ان كان هذا هو الحقّ فامطر علينا حجارةً من السماء او ائتنا بعذاب اليم، ولم يقولوا اللّهم ان كان هذا هو الحقّ فاهدنا اليه.

وخطب معاوية يوماً فقال: انّ الله تعالى يقول{وان من شيءٍ الاّ عندنا خزائنه وما ننزله الاّ بقدر معلوم} فعلامَ تلوموني؟ فقال له الأحنف: ما نلومنّك على ما في خزائن الله ولكن على ما أنزله الله من خزائنه وجعلته في خزائنك وحلت بيننا وبينه.

حكي انّ بعض الأكابر مرّ بامرأةٍ من بعض أحياء العرب فقال لها: ممّن المرأة؟ فقالت: من بني فلان، فقال: أتكنون؟ فقالت: نعم نكتني، فقال لها: معاذ الله ولو فعلته لأغتسلت، فأجابته على الفور وقالت: دع ذا أتحسن العروض؟ قال: نعم، قالت: قطع حوّلوا عنّا كنيستكم يابني حمالة الحطب، قال: حولوا عن فاعلات ناكني فاعلن، فقالت: من الفاعل؟ فقال: الله اكبر انّ للباغي مصرعاً.مرّ رجل بابي بكر ومعه ثوب، فقال له ابو بكر: أتبيعه؟ فقال: لايرحمك الله، فقال له ابو بكر: لو تستقيمون لقوّمت السنتكم هلاّ قلت ويرحمك الله. قال شيخنا البهائي تغمّده الله برحمته اعتراض ابي بكر غير وارد على ذلك الرجل لإحتمال ان يكون قصده من قوله لايرحمك الله معناه الظاهر.

قال الأصمعي: دخلت البادية ومعي كيس فأودعته امرأةً منهم، فلمّا طلبته أنكرته فقدّمتها الى شيخ من الأعراب فأقامت على إنكارها، فقال: ليس عليها الاّ اليمين، فقلت: كأنك لم تسمع قوله تعالى.

ولاتقبل لسارقة يميناً   ولو حلفت بربّ العالمينا

فقال: صدقت، ثمّ تهدّدها فأقرت فردّت اليّ مالي، ثمّ التفت اليّ الشيخ فقال: في ايّ صورة تلك الآية فقلت في سورة:

ألا هبي بصحبك فأصبحينا   ولاتبغي خمور الأندرينا

فقال: سبحان الله لقد كنت أظنّها في سورة انّا فتحنا لك فتحاً مبيناً. قال الرشيد لمسكين سأله حاجة: مابال الملوك وعندهم الأطباء لاتطول أعمارهم؟ فقال المسكين: لأنَ الملوك يعطون رزقهم جملة فيأكلون وأرزاقنا تأتينا من خرت الأبرة فنأكلها شيئاً فشيئاً فنبقى حتّى نستوفيها، فعجب من جوابه وأعطاه عشرة الآف درهم فما أتت عليه أيّام حتّى مات، فقال الرشيد: جمعنا له رزقه فمات.

جلس كسرى يوماً لمظالم العباد فتقدّم اليه رجل قصير وجعل يقول: انا مظلوم فلم يلتفت اليه، فقال الوزير: أنصف الرجل فقال: انّ القصير لايظلمه أحد فقال: الّذي ظلمني أقصر منّي.قال حائك للأعمش: ما تقول في الصلاة خلف الحائك؟ قال: لابأس بها على غير وضوء، قال: وشهادته قال: تقبل مع عدلين يشهدان معه. وقد كان رجل في أصفهان يقرأ في علم الحساب فدخل يوماً على الوزير الأعظم الّذي بيده الموقوفات يريد منه شيئاً من غلات الأوقاف فسأله الوزير في ايّ شيءٍ تقرأ قال: في بحث القسمة من خلاصة الحساب فأراد الوزير ان يعبث به فقال له: كيف تقسم مائة ضرطة على تسعين لحية، فقال الرجل: قسمتها انّ الوزير سلّمه الله تعالى له من كلّ شيءٍ فاذا رفع العشر تصير القسمة ظاهرة فضحك الوزير هو والحاضرون.

ومضى رجل من أهل العراق الى قرية في خراسان اسمها جام وهي قرية الملاّ جامي في حياة الملأ المذكور، فلمّا أتى الرجل العراقي الى مسجدها أخذ في الصلاة وشدّ الحنك، فلمّا رآه أهل تلك القرية مواظباً على الصلاة متلبساً الثياب البيض تركوا الصلاة مع الملأ وأقبلوا الى الصلاة خلف ذلك الرجل، فوبّخهم الجامي وقال: هذا عربي جاهل كيف تصلّون خلفه، فعزموا ان يجمعوا بينهما للمباحثة، فاجتمع الناس فلمّا جلسوا قال العراقي للجامي: مامعنى لا أعلم فقال: معناه(نميدانم) فصاح العراقي وقال: اشهدوا انّه قال(نميدانم)وهذه اللفظة معناها لاأعلم فظن الحاضرون من الأعاجم أنّه سأله مسئلة وقال للجامي: لا أعلم يعني لا أعلم هذه المسئلة فأقبلوا على الرجل وهجروا الجامي، فلمّا آل الحال الى هذا خرج الجامي من تلك القرية وخرج الناس لمشايعته فوقف على باب البلد فقال: ايّها الناس اوصيكم في هذا الرجل العربي فانّه رجل صالح فامضوا اليه والتمسوا لي منه شعرة من لحيته تكون معي في السفر أتبرّك بها فمضوا الى الشيخ فنتف شعرة وأرسلها له فأخذها وسافر، فقال اهل القرية: انّ لحية إمامنا تصلح للتبرّك فأتوه وطلبوا منه شعرة شعرة الى ان أتوا على آخرها، فبقى الرجل العربي معدوم اللحية فانهزم من بينهم.

وقد تنازع رجل شيعي ورجل سني في انّ الأفضل بعد رسول الله ﷺ أهو علي ابن ابي طالب؟ او ابوبكر؟ فتراضيا على انّهم يمشون فأول من يطلع عليهم في الطريق يكون حكماً

يرضون بقوله، فلمّا مشيا واذا برجل قد طلع عليهما من رأس الطريق فأتوا اليه فقال له الشيعي: انّا رضيناك حكماً في مسئلة، فقال: ماهي؟ قال: انا أقول انّ أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ هو علي بن ابي طالب ؑ، فقال: وهذا ابن زانية مايقول؟ فلمّا سمع ذلك الرجل هذه الكلمة ولّى هارباً.

وحكي لي في مشهد أمير المؤمنين ؑ رجل كان مخالفاً ثمّ أستبصر فقال: انّي كنت أتوضأ بعد تشيّعي في مكان لم يكن فيه أحد، فتوضّأت وضوء الشيعة فمسحت رجلي فالتفت واذا رجل من أكابر المخالفين فوق رأسي فعمدت الى رجلي فغسلتهما فقال لي: ماهذا الوضوء مسحت أوّلاً ثمَ غسلت؟ فقلت له هذه المسئلة قد وقع فيها الخلاف بين الله تعالى وبين ابي حنيفة فقال الله تعالى{ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ} وقال ابو حنيفة: ويجب غسل الرجلين في الوضوء فانا مسحت رجلي خوفاً من الله تعالى ثمّ غسلت رجلي منكم، فضحك ذلك الرجل وانصرف.

قد يشدّ الأنسان في اصبعه او يده ونحوه ليتذكر به ويسمّى الرتيمة فهل في جسدك عرق او شعرة الاّ وهي تذكرك الخالق فما هذا النسيان البارد:

اذا لم تكن حاجاتنا في نفوسكم | فليس بمغن عنه عقد الرتائم

ما أبيض الرغيف حتّى اسودّ وجه الضعيفك

ما أبيضَ وجه المرء في طلب العلا | حتّى تسودّ وجهه في البيد

رأت فأرة جملاً فجرّت خطامه فتبعها فلمّا وصل الى بيتها وقف ونادى بلسان حاله اما ان تتخذي داراً تليق بمحبوبك او محبوباً يليق بدارك، وانت اما ان تصلّي صلاة تليق بمعبودك او تتّخذ معبوداً يليق بصلاتك، من لم يسمع كلام الصامت ولم يفهم عبادة الجامد فليس بفطن لايغرنّك صفو العيش فالدرد في أسفل الكأس:

كان للقوم في الرجاجة باقي | أنا وحدي شربت ذاك الباقي

وصلاح الأجسام سهل ولكن | في صلاح العقول يعيى الطبيب

وسمّيتها ليلى وسمّيت دارها | بنجد فلا ليلى اردت ولانجدا

ياكاسباً من غير حلٍ درهماً | ولعلّه في اجرة الحفّار

وما حاجر الا بليلى وأهلها | اذا لم تكن ليلى فلا كان حاجر

وليس هوى العيون هوى صحيح | اذا لم يتصل بهوى القلوب

وليس يشين السيف ان لاترى له | لدى الضرب جفنا مذهبا ومفضضاً

وما اسفي الاّ على العمر ينقضي | وليس لنا في الأجتماع نصيب

وما الغل في الأعناق لموق حديدة ولكن مامن اللئيم هو القتل
ومن يسأل الركبان عن كل غائب فلا بدّ ان يلقى بشيراً وناعياً
أصحَ وأقوى ما سمعناه في الندى من الخبر المأثور منذ قديم
احاديث ترويها السيول عن الحيا عن البحر عن كف الأمير تميم
لاتتبعن كلّ دخان ترى فالنار قد تو قد للكي

الهمم تتفاوت في جميع الحيوانات العنكبوت من حين يولد ينسج لنفسه بيتاً ولا تقبل منّة الأمَ، والحيَة تطلب ماحفره غيرها اذ طبعها الظلم، لَما كان الطائر يحتاج ان يزق فرخه لم يحمل عليه الاَ تدبير بيضتين، ولَما كانت الدجاجة تحضن ولا تزق كان بيضها أكثر، ولَما كانت الرقة[١٢] لاتحضن ولا تزق صارت تبيض ستّين بيضة وتحفر لهنَ وتترك التراب عليهنَ، وبعد ايام ينبشن ويخرجن، اذا صبَ في القنديل ماء ثمَ صب عليه زيت صعد الزيت فوق الماء فيقول الماء: انا ربَيت شجرتك فاين الأدب لم ترتفع علي؟فيقول الزيت أنت في رضراض الأنهار تجري على طريق السلامة وانا صبرت على العصر وطحن الرحا وبالصبر يرفع القدر، فيقول الماء الاَ انّي انا الأصل فيقول الزيت استرعيك فانَك لو تولَيت المصباح لأنطفأ.

كان داود ﷺ يقول في مناجاته الهي خرجت أسأل أطبّاء عبادك ان يداووا لي جرح خطيئتي وكلَهم عليك دلَني من امتطى على راحلة الشوق لم يشق عليه بعد السفر:

على قدر اهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام الكرائم

كان بعض الأغنياء كثيراً الشكر فطال عليه الأمد فبطر وعصى فما زالت نعمته ولا تغيَرت حالته، فقال: يارب تبدلت طاعتي وماتغيَرت نعمتي فهتف هاتف ياهذا لأيَام الوصال عندنا حرمة ضيَعتها وحفظناها، العود في بلادها خشب فاذا سوفر به الى طالبي الطيب عزَ البهائم تنظر العواقب هذا الأيَل يأكل الحيَات فيشتدَ عطشه فيحوم حول الماء فلا تشربه لعلمه انَ الماء ينفذ السمَ الى اماكن لايبلغها الطعام، ومن عادته ان يسقط قرنه في كلَ سنة وهو سلاحه فيختبي الى ان ينبت، هذه الحيَة تستتر طول الشتاء في الأرض فتخرج وقد غشَى بصرها فتحكه بأصول الراز يانج لأنَه يزيل الغشاء، اذا جلست في ظلام الليل بين يدي سيدك فاستعمل أخلاق الأطفال فانَ الطفل اذا طلب من ابيه شيئاً فلم يعطه بكى:

ياسادتي هل يخطرنَ ببالكم من ليس يخطر غيركم في باله

---

(١٢) الرقة العظيم من السلاحف يعني: (لاك بشت) اودويبة صغيرة

حاشـاكم ان تغفلـوا عـن حـال مـن ... هـو غافـل في حـبكم عـن حالـه
بـاتوا وخلفـت ابكـي في ديـارهم ... قـل للـديار سـفاك الـرايح الغـادي
وقل لأظعانهم حييت من ظعن ... وقـل لـواديهم حييـت مـن وادي

قال البازي للديك: ماعلى وجه الأرض أقلّ وفاءً منك أخذوك أهلك بيضة فحضنوك فلمّا خرجت جعلوا مهدك حجورهم، ومأيدتك أكفهم حتى اذا كبرت صرت لايدنو منك احد الا طرت هيهنا وهيهنا، وانا أخذت مسنّاً من الجبال فعلّموني ثم أرسلوني فجئت بالصوت لهم، فقال له: الديك لم نر بازياً مشوياً في سفود وكم رأيت في سفود من ذيك البحتري:

واذا تكامـل للفتـى مـن عمـره ... خمسون وهو الى التقى لايجنح
عكفـت عليـه المخربـات فمـا لـه ... متـأخَر عنهـا ولا متزجـر
فـاذا رأى الـشيطان غـرّه وجهـه ... حيّاً وقال فديت من لايفلح

الفخر بالهمم العالية لابالرمم البالية، من شارك السلطان في عز الدنيا شاركه في ذل الآخرة، كان بيّاع لبن يخلط اللبن بالماء فجاء السيل فذهب بالغنم، فجعل يبكي ويقول اجتمعت تلك القطرات فصارت سيلاً:

أسـائل عمّن لا أُريد وانّمـا ... اريـدكم من بـينهم بسـؤال

رأى رجل في طريق مكة امرأة فتبعها فقالت: مالك؟ قال: قد سلب حبّك قلبي، قالت: فلو رأيت أُختي هذه فالتفت فلم ير أحداً، فقالت: ايها الكاذب في دعواه لو صدقت ما التفت، بات الفرزدق عند ديرانيّة فأكل طفيشلها(١٣) بلحم خنزير، وشرب خمرها، وفجر بها، وسرق كساها ثمّ قال: لله درّ ابن المراغة يعني جريراً حيث يقول:

وكنـت اذا نزلت بـدار قـوم ... رحلت مخزّية وتركـت عاراً

نظر اعرابي الى القمر حين طلع فأبصر به الطريق وقد خاف ان يضل، فقال: ماعسيت ان أقول ان قلت حسّنك الله فقد فعل او رفعك الله فقد فعل.نظر رجل حجازي الى هلال شهر رمضان وقال: قد جئتني بقرينك قطع الله أجلي ان لم أقطعك بالأسفار. قيل لأعرابي ماعلمك بالنجوم؟قال: من الّذي لايعلم أجذاع بيته.قيل لأعرابي ما أعددت للبرد قال: طول الرعدة.

---

(١٣) الطفيشل نوع من المرق.

كان لأبن اسحق الموصلي غلام يستقي له، فقال له يوماً: يافتح ماخبرك؟ قال: خبري انّي لا أرى احداً في الدار أشقى منّي ومنك، قال: كيف؟ قال: لأنك تطعمهم الخبز وأنا أسقيهم الماء، فضحك وأعتقه.إستطاب اسماعيل بن أحمد نيشابور ثمَ قال: نعم الوطن لولا، قيلككيف؟قال: كان ينبغي ان يكون مياهها الّتي في باطنها على ظاهرها ومشايخها الّذين في ظاهرها وفي باطنها.الأيوان من بغداد على مرحلة بناه كسرى في نيف وعشرين سنة طوله مائة ذراع في عرض خمسين في سمك مائة، ولّما بنى المنصور بغداد أحبّ ان ينقضه ويبنى بنقضه، فاستشار خالد بن برمك فنهاه فقال: هو آية الأسلام ومن بناه علم انّ من هذا بناؤه لايزيل أمرِ الا نبي، وهو مصلّى علي بن ابي طالب، والمؤنة في نقضه اكثر من الأرتقاء، فقال: أبيت الاّ ميلاً الى العجم فهدمت ثلمة، فبلغت النفقة عليها مالاً كثيراً فأمسك، فقال له خالد: انا الآن أشير بهدمه لئلاّ يتحدّث بعجزك عنه فلم يفعل.

اعتل شابور ذو الأكتاف بالروم وكان أسيراً، فقالت له بنت الملك وقد عشقته: ما تشتهي؟ قال: شربة من ماء دجلة وشمّة من تراب اصطخر، فأتته بعد أيّام بماء وقبضةٍ من تراب وقالت: هذا من ماء دجلة وشمّة من تراب اصطخر، فأتته بعد أيّام بماء وقبضةٍ من تراب وقالت: هذا من ماء دجلة وهذا من تربة ارضك، فشرب واشتم بالوهم فنقّي من علته.

قيل لحكيم أيّ الأوقات أحمد للأكل؟ قال: من قدر فاذا اشتهى، وامّا من لم يقدر فاذا وجده قيل لمدني بم تتسحّر الليلة؟ قال: باليأس من فطور القابلة.

قيل لأبن الحارث ماتقول في الفالوذج؟ قال: وددت انّها وملك الموت قد اعتلجا في صدري، والله لو انّ موسى لقي فرعون بفالوذجة لأمن ولكن لقيه بعصى. شكي الى ابي العينا مدني سوء الحال فقال له: ابشر فأنّ الله قد رزقك الأسلام والعافية، فقال: أجل ولكن بينهما جوع يقلقل الكبد . شكى رجل الى طبيب وجع البطن، فقال: أكلت سمكاً ولحم بقر وبيضاً وماستا.فقال: انظر ان مت في هذا والاّ فأرم بنفسك في حالق.

اشترى إعرابي غلاماً فقيل يبول في الفراش، فقال: ان وجد فراشاً فليبل عليه راشداً.وقال المأمون لأحمد بن يوسف: انّ أصحاب الصدقات تظلّموا منك، فقال: والله يا أمير المؤمنين مارضي أصحاب الصدقات عن رسول الله ﷺ حتّى أنزل الله تعالى فيهم{ومنهم من يلمزك في الصدقات فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون}، فكيف يرضون عنّي، فاستضحك المأمون وقال له: تأمّل أحوالهم وأحسن النظر في أمرهم.

دعا الرشيد ابا يوسف ليلاً فسأله عن مسئلة فأفتاه فأمر له بمائة ألف درهم، فقال: ان رأى اميران يأمر بتعجيلها قبل الصبح، فقال: عجّلوها له، فقيل انّ الخازن في بيته والأبواب مغلقة فحين دعي بي فتحت.

كان ابو الأسود يتشيّع وكان ينزل في بني قشير وهم عثمانية وكانوا يرمونه بالليل فاذا أصبح شكى ذلك فشكاهم مرّة، فقالوا له: مانحن نرميك ولكنّ الله يرميك؟فقال: كذبتم والله لو كان الله يرميني لما أخطأني، كان بعض أهل البصرة يتشيّع وكان له صديق يوافقه في المذهب فأودعه مالاً فجحده، فأضطر الى ان قال لمحمّد بن سليمان وسأله ان يحضره ويحلّفه بحقّ علي عليه السلام ففعل ذلك، فقال الرجل: أعزّ الله الأمير هذا الرجل صديقي وهو أعزّ عليّ وأجل من ان أحلف له بالبرائة من متخلف في ولايته وايمانه، ولكنّي أحلف بالبرائة من متفق على ايمانهما وولايتهما ابي بكر وعمر، فضحك محمّد بن سليمان والتزم المال وخلّى عن الرجل.

اتى عتاب بن ورقا بامرأةٍ من الخوارج، فقال لها: ياعدوّة الله مادعاك الى الخروج اما سمعت الله سبحانه يقول:

كتب القـتل والقــتال علــــينا وعلى الغانيـــات جرّ الذيـول

قالت: ياعدو الله أخرجني قلة معرفتك بكتاب الله.قال المنصور لبعض الخوارج من اشدّ اصحابي اقداماً كان في مبارزتك؟ فقال: ما أعرفهم بوجوههم ولكنّي اعرف أقفيتهم فقل لهم يدبروا حتّى أصفهم فأغتاظ وأمر بقتله.

قال الحجاج لرجل من الخوارج: والله انّي أبغضكم، فقال الخارجي: أدخل الله اشدّنا بغضاً لصاحبه الجنّة، خفّف اشعب الصلاة مرة، فقال له بعض اهل المسجد: خففت الصلاة جداً؟ قال: لأنّه لم يخالطها رياء.قال رجل لجواسيس الصقلى انّك من مدينة خسيسةٍ فقال: امّا انا فيلزمني العار من قبل بلدي وامّا انت فيلزم العار اهل بلدك منك.

وفي المثل(أبخل مارد) وهو رجل من ابن هلال بن عامر كان يسقي ابله في حوض فلمّا بقي في اسفل الحوض قليل ماء سلح فيه لئلا يشربه غيره، وفيه ابله من باقل وهو رجل من ثعلبة اشترى ظبياً باحدى عشر درهماً، فسئل عن ثمنه ففتح يديه وأخرج لسانه يريد بذلك أحد عشر درهماً فهرب الظبي من يده.

(أسرع من نكاح امّ خارجة) وهي عمرة بنت سعد كانوا يقولون لها خطب فتقول: نكح أي كلّ من يخطبها نكحها.

(أهيم من المقترش) وهو سعد بن مالك كان عاشقاً لفاطمة بنت المنذر بن ماء السماء متيّماً بها، ومن حبّه لها انّه قطع ابهامه وجهّزه اليها.

(أجود من فم كعب) هو كعب بن مادة رافق رفقة فعطشوا فآثرهم بالماء ومات عطشاً.

(أجبن من صافن) هو طائر يتعلّق بالشجر برجليه وينكس رأسه من الخوف يصاد فيصفر الى السحر.

(أجوع من زرعة) هي كلبة لبنى يربوع اماتوها جوعاً.

(أحمق من عجل) بن لخيم بن صعب بن عدي بن بكر بن وائل قيل له ما سميت فرسك فقام وفقأ عينه وقال: سميته الأعور.

(أحمى من مجير الجراد) وهو مريخ بن سويد كان اذا نزل الجراد بأرضه منع الناس من التعرض له.

(احذر من الغراب) اوصى الغراب ولده فقال: يابني اذا رميت فتلوصي قال انا اتلوص قبل ان أرمى(أحذر من الذئب)لأنّه ينام واحدى عينيه مفتوحةٌ من الخوف(أحير من ضب) لأنّه اذا فارق حجره لايهتدي اليه(ازنى من ظلمة) امرأة زنت اربعين سنة واستخنثت اربعين سنة ولمّا عجَزت اتَخذت تيساً وعنزاً(معزاً خ) فقيل لها في ذلك: فقالت: لأسمع أصوات الجماع.

(أسأل من فحلس) وهو سيّد عزيز كان اذا غزى قومه سألهم ان يجعلوا له قسماً من الغنيمة ولجميع من عنده حتّى لناقته(أشأم من البسوس) وهي خالة معن بن مرة الشيباني كانت لها ناقة يقال لها شرَان فرآها كليب ترعى في حماه وقد كسرت بيض طائر كان قد أجاره فرمى ضرعها بسهم فوثب جسّاس الى كليب فقتله فهاجت الحرب بين بكر وتغلب بن وابل بسببها اربعين سنة.

(أشأم من رغيف الحولاء) هي جنازة كانت في بعض أحياء العرب فأخذ منها رغيف فقتل عليه ألف رجل(أشغل من ذات النحيين) هي امرأةٌ من تيم كانت تبيع السمن في الجاهليّة، فأتاها جواب الأنصاري يبتاع منها سمناً فلم يجد عندها أحداً فساومها فحلّت نحيا مملواً فنظر اليه وقال: أمسكيه حتّى أنظر الى غيره، ثمّ فتحت له نحياً آخر فنظر فيه، وقال: أمسكيه فمسكت النحيين فلمّا شغل يديها قام اليها وجامعها ولم تقدر على دفعه فقضى حاجته وهرب(أظلم من حيّة) لأنّها لاتتخذ بيتاً لنفسها وتدخل بيوت الغير فتخرجهم عنها.

(أحجم من حجّام ساباط) كان يحجم الجند فاذا بطل حجم امّه حتّى لايقال انّه بئس الحجام فما زال يحجم امّه حتّى سرق دمها فماتت(أكبر من عجوز بني اسرائيل)وهي الّتي دلّت موسى عليه السلام على تابوت يوسف عليه السلام، وهي من ولد اسحق عليه السلام وعاشت اربعمائة سنة.(ألأم من أسلم) هو ابن ذرعة كان قد وليَ خراسان فقيل له: انّ الفرس كانت اذا مات لهم ميّت جعلوا في

فيه درهماً فنبش المقابر لذلك(الأم من راضع اللبن) هو رجل من بني تميم كان يرتضع ناقته ولايحلبها لئلا يسمعه احد.

(أندم من الكسعي) وهو محارب بن قيس من بني كسع كان يرعى إبلاً بواد معشب فرأى نبعة على صخرة فأعجبته، فقطعها واتّخذ منها قوساً فمرّت به قطعان من حمر الوحش ليلاً فرمى عشيراً فأنفذها، وأخرج السهم منها فأصاب الجبل فأرى ناراً فظنّ انّه أخطأ ثمّ مرّ قطيع آخر فرماه فأنفذه كالأوّل وفعل ذلك مراراً، فعمد الى قوسه فكسره من حنقه، فلمّا أصبح رأى الحمر قتلن مضرّجةً بالدم فندم وعضّ ابهامه فقطعها(أنمّ من صبح)لأنّه يهتك الأستار.

قال اعرابيٌ لأبي الأسود الدؤلي: وكان الأعرابي أعور ما الشيء ونصف الشيء ولاشيء؟ فقال: امّا الشيء فالبصر، وامّا نصف الشيء فالأعور كما أنت، وامّا لاشيء فالأعمى. ثمّ اعرابي أبطيه فقطب وقال: أخرجني الله من بينكما. وفي ربيع الأبرار انّ مخنّثاً لقي آخر وقد تاب فقال له: من اين معاشك؟ قال: بقيت لي بقية من الكسب القديم فقال له: انّ لحم الخنزير طريّاً خير من قديده.أطعم رجل قوماً أضرس أسنانهم فقيل له قد لعمري إقتصصت من كلّ ضرس يجني عليك في رغفانك.قيل لإعرابي كيف حزنك على ولدك؟ قال: ماترك حبّ الغدا والعشا لي حزناً.

مرّ سكران بمؤذّن رديء الحنجرة، فجلد به الأرض وجعل يدوس بطنه، فاجتمع عليه الناس فقال: مابي رداءة صوته ولكن شماتة اليهود والنصارى بالمسلمين. قيل لأبي العينا: هل بقي في دهرنا من يلقي؟ قال: نعم ولكن في البئر.وقال رجل لإبن سيرين إننا ننال منك فاجعلنا في حلّ، فقال: ماكنت لأحلّ لكم ماحرّم الله عليكم.مرّ رجل بأبي عليه بالضمير. قال رجل لبعض الأعراب لاأحسبك تحسن الجزاءة، فقال: بلى وأبيك انّي بها لحاذق أبعد الأثر وأعدّ المدر واستقبل الشيح، واستدبر الريح، واقعي اقعاع الظبي وأجفل إجفال النعام.

استأجر رجل حمّالاً ليحمل معه قفصاً فيه قوارير على ان يعلّمه ثلاث خصال ينتفع بها، فلمّا بلغ ثلث الطريق قال: هات الخصلة الأولى، فقال: من قال لك انّ الجوع خير من الشبع فلا تصدّقه، فقال: نعم، فلمّا بلغ نصف الطريق قال: هات الثانية وقال: من قال لك انّ المشي خير من الركوب فلا تصدّقه، قال: نعم، فلمّا انتهى الى باب الدار قال: هات الثالثة، قال: من قال لك انّه وجد حمّالاً أرخص منك فلا تصدّقه، فرمى الحمّال بالقفص فكسر جميع القوارير، وقال: من قال لك انّه بقي في القفص قارورة واحدة فلا تصدّقه.

وفي بعض المحاضرات الراغب الأصفهاني قال اياس لأهل مكة: قدمنا بلدكم فعرفنا خياركم من شراركم في يومين، قيل له كيف؟ قال: كان معنا خيار وأشرار فلحق خيارنا بخياركم

وشرارنا بشراركم فألف كلّ شكله. وفيها ايضاً ترك المعاتبة دليل على قلّة الأكتراث بالصديق وقيل المعاتبة تزيل الموجدة اوكد للمحبّة ماكان بعد المعتبة. وفيها قول بشار:

ياقوم اذني لبعض الحي عاشقة والأذن يعشق قبل العين احياناً
قالوا بما لاترى تهذي فقلت لهم الأذن كالعين توفي القلب ماكانا

كان رجل في بغداد وكان عنده كلب يتبع قطيع الغنم فاتّفق انّ ذلك الكلب قد مات ولأجل انّ صاحبه كان يحبّه دفنه في المقبرة، فبلغ الخبر الى قاضي بغداد فأمر بإحضاره وأفتى بإحراقه حيث أنّه دفن الكلب في مقابر المسلمين، فلمّا أخذوه للإحراق قال ياقوم لي حاجة الى القاضي فدنى منه وقال: ايّها القاضي انّ الكلب قد اوصى بوصية وأريد ان أعرضها على جنابك حتّى لايبقى في عنقي لأنّي مقتول، فقال القاضي: وماهي؟ قال: انّ الكلب لمّا حضرته الوفاة اشرت اليه انّ هذا القطيع هو مالك فأوصى به لمن شئت، فأشار الى بيت مولانا القاضي وهذا قطيع الغنم حاضر فقال القاضي: ماكانت علّة المرحوم اما اوصى بشيءٍ غير هذا الفاتحة انّ الله سبحانه يمنّ عليه بنعيم الآخرة، إمضِ سالماً حتّى تأتينا بوصايا المرحوم فمضى الرجل سالماً واتى اليه بالقطيع.

قال الحجّاج لكاتبه: لاتجعلنّ مالي عند من لاأستطيع اخذه منه قال: ومن لايستطيع أن يأخذ منه ماله قال: المفلس.

وكان في أصفهان في زمن تأليف هذا الكتاب اخوان فامّا الأعلم منهما فقد كلّفه السلطان بأن يلي قضاء أصفهان كتب له سجلاً وارسل اليه خلعة فاخرة فلم يقبل بل اعطى من ماله مبلغاً خطيراً للوزراء حتّى عاونوا على الأستعفاء عنها وامّا أخوه الآخر فقد بذل الأموال على تحصيلها حتّى وقعت في يده، فأتى الوزير الأعظم يوماً من الأيّام يذكر عند السلطان محاسن الأخ الأوّل بانّه لم يقبل القضا مع وفور مداخلها وزيادة الجاه والأعتبار فيها وليس هذا الاّ من علوّ همّته، فضحك السلطان وقال: انّ اخاه وهو القاضي اعلى همّة منه وذلك انّ القاضي طلّق الآخرة وعافها وهذا عاف الدنيا فالهمّة العالية لمن عاف الآخرة وطلّقها، فضحك الحاضرون من حسن كلامه وعبثه بالقاضي.

وقد كان بين رجلين منازعة في بعض الدعاوي فأتى أحدهما الى بيت القاضي ومعه ظرف لبن وقد كان القاضي داخل البيت ورأى فلمّا خرج الى مجلس القضا اتى الآخر بكبش سمين الى بيت القاضي لكنّ القاضي لم يعلم به فلمّا تداعيا جعل الحق مع صاحب اللبن فأتى اليه خادمه يخبره بالكبش فقال: انّ الكبش اتى الي باللبن واراقه في الأرض فبقينا بغير لبن فعرف القاضي

مضمون كلامه فقال: أعيدا عليّ الدعوى فانّي كنت اتفكر في امور الآخرة وقد غفلت عن امور الدنيا فلمّا اعاد الكلام قال سبحان الله الحق مع هذا الرجل وانا أخذني الفكر فجعله مع صاحب الكبش.

وفي كتاب ربيع الأبرار انّ ملانا امير المؤمنين عليه السلام رأى اعرابيّاً قد خفّف صلاته فعلاه بالدرة ليضربه على تلك الصلاة الخفيفة، فأعاد الأعرابي تلك الصلاة بتأنٍّ فقال له امير المؤمنين عليه السلام: هذه أحسن ام تلك فقال ياأمير المؤمنين: الأولى خير من الثانية لأنّ الأولى صلّيتها خوفاً من ربّك واَما الثانية فقد صلّيتها خوفاً منك فضحك عليه السلام . ومن الآثار مانقل انّ الأشعث كان يصلّي خلف مروان بن عثمان في الصفّ الأوّل فضرط مروان فقطع ابن الأشعث صلاته وانصرف حتى ظنّ الناس انّ تلك الضرطة منه وبقي مروان يصلي، فلمّا فرغ وانصرف الى منزله أتى اليه ابن الأشعث فقال له: أعطني الديّة، فقال: ايّ ديّة؟ قال: ديّة الضرطة الّتي جعلتها على نفسي، فان تعطني ديّتها والا اخبرت اهل المسجد وفضحتك بينهم فأعطاه ما أراد.

ومن ذلك ماوجد في كتب السير انّ السلطان هولاكو لّما أقبل بعسكره الى ارض بابل انهزم الناس عنه وقد بقى رجل واحد قد كان جالساً وحده، فسأله واحد من العسكر من انت وكيف بقيت؟ قال: انا الله ولكنّي إله الأرض أما سمعت في السماء إله وفي الأرض إله فانا اله الأرض فذهب ذلك الرجل وحكى للسلطان هولاكو، فأقبل ذلك السلطان يمشي اليه وسأله فقال: انا اله الأرض فقال: تقدر على ايّ شيء؟ فقال: على كلّ شيء فنظر السلطان الى صبي كان معه وقال: هذا الصبي فمه ضيّق فان كنت الهاً فوسّع فمه فقال ذلك الرجل: قد تعاقدت وتحالفت مع اله السماء بانّ توسعت مابين السرة الى فوق على اله السماء وتوسعة مابين السرة الى تحت على انا فان اردت هذا فأنا قادر عليه فضحك السلطان وانصرف عنه.

ومنه ايضاً انّ رجلاً بحرانيّاً كان عنده امرأة سليطة فطبخت طعاماً وقعد معها يأكل وكان الطعام مالحاً فلم يقدر على اظهاره خوفاً منها فقال: أقول ثمّ سكت ثمّ قال: أقول ثمّ سكت فقالت: ما تقول ورفع المسّ(المداس خ) وضربته على رأسه فسال دمه فقام ووقف ناحية فقال: انا ما أترك شمخرتي ولاعطاس رأسي الطعام مالح مالح مالح . ورأيت في بعض الكتب انّ سكينة بنت الحسين عليه السلام غضبت على رجل فأمرت بحلق لحيته فأتاه الحالق يحلقها فقال له: انفخ شدقيك حتى احلق لحيتك فقال: أمروك بحلق لحيتي او بأن تعلّمني لعب الزمر فقال الحالقك هكذا يكون حلق الشعر؟ فقال: اذا امرأتك حلقت ذلك الموضع من ينفخ لها طرفي شعرتها•شفرتها خ) فحكوا لسكينة فضحكت وتجاوزت عنه.

وأتى رجل الى الوزير الأعظم الّذي ترجع اليه أمور القضاة وهو الّذي يعزل وينصب لكن بالرشاوي والبرطيل فعمد الرجل الى دبة كبيرة وملأها من التراب والحجارة والجصّ والنورة ووضع في رأسها قليلاً من الدهن وأتى بها الى الوزير فلمّا رآها كتب له سجلاً محكماً على القضاء فأخذه ومضى الى بلاده فلمّا ارادوا ان يخرجوا من الدهن اطّلعوا على مافي الدبة من المكر والحيلة، فأرسلوا وأخبروا الوزير فأرسل الوزير الى القاضي انّ ذلك السجل الّذي كتبناه لك فيه بعض الخلل والغلط ارسله الينا لنصلحه ونرسله اليك، فكتب اليه القاضي اعزّ الله مولانا الوزير عن حال السجل الّذي امرتم لنا به ولا رأينا فيه خللاً ولا غلطاً ولكن ان كان شيء فالخلل والغلط انّما وقع في الدبة فضحك الوزير وخلاّه.

وقد أعطى قضاة بعض البلدان لرجل وكان ذلك الوزير رحمة الله كلّ رجل أعطاه رشوة اكثر من القاضي الآخر عزل من أعطى القليل فأتى اليه ذلك الرجل لمّا كتب له كتابة على القضاء فقال: أعزّ الله الوزير انّي اكتريت دابة الى بلادي فاستكيرها راساً او راسين فضحك الوزير وعرف ما أراد.

وقد أراد السلطان المرحوم الشاه عبّاس الأول ان يعرض بعساكره فيراها فلمّا عرض بهم رأى بينهم ولداً جميلاً حسن الصورة واللباس والمركوب والسلاح فسأله مقرّره من دفتر السلطان فذكر شيئاً قليلاً فقال له الشاه: انّ وظيفتك هذه لايفي بزيّك هذا وهيئتك هذه فلعلّك تمضي بالليل وتؤجر نفسك لمن يعمل بك فقال له ذلك الولد اعز الله السلطان انّ عبيده الأتراك قد أرخصوا هذه التجارة بكثرتهم حتّى انّهم لم يبقوا لأحد سبباً فيها فضحك السلطان وأمر له بعطايا جزيلة.

وكان هذا السلطان رحمه الله يخرج في الليل بزي الفقراء يدور في بلده لينظر الظالم من المظلوم ويتصفّح احوال الناس فأتى ليلة الى بقّال فقال: ايّها البقّال انا رجل فقير وليس عندي الاّ نصف فلس وأريد هذه الليلة لأنام فأعطني بهذا النصف شمعة تشتعل الى الصباح فقال: الشمعة لايكون هذا حالها ولكن أبيعك رأساً من الثوم كبيراً تضعه في دبرك فانّه يشتعل به الى الصباح ولاتقدر ان تنام فضحك ومضى عنه ولمّا أصبح الصباح وجلس على سرير الملك ارسل الى ذلك البقّال فلمّا دخل عليه وتعارفا خاف البقّال منه فأمّنه وأعطاه.

وقد أتى رجل بدوي الى بعض البلدان فاضافه صديق له وقدّم اليه فاوزج فلمّا شرب منها جرعة ورأى لطافتها وضع يده على دبره فقيل له في ذلك فقال: لئلا تخرج من هناك سريعاً لنعومتها فقال له صديقه تعرف اسم هذه فقال له البدويّ نحن نقول في صلاتنا اهدنا الصراط المستقيم واظنّ، هذا هو الصراط المستقيم فقال له: نعم هذا هو.وقدم اعرابي الى البلاد فقدّم اليه

صديقه عنباً فصار يأكل العنقود بعنقوده فقال له صاحب البيت انَ النبي ﷺ امر ان يؤكل العنب اثنتين اثنتين فكيف تأكل أنت عنقوداً عنقودا؟ فقال: ذلك الحديث انّما روي في الباذنجان والرقي.

قال التفتاز اني سمعت انَ بعض البغّالين كان يسوق بغلة في سوق بغداد وكان بعض عدول دار القضاء حاضراً، فضرطت البغلة فقال: البغال على ماهودا بهم بلحية العدل بكسر العين يعني احد شقي الوقر فقال بعض الظرفاء: افتح العين فانَ المولى حاضر.ثمّ قال: ومّما يناسب هذا المقام انَ بعض أصحابي ممَن الغالب على لهجتهم امالة الحركات نحو الفتحة اتاني بكتاب فقلت له لمن هو؟ فقال: لمولانا عمر بفتح العين فضحك الحاضرون فنظر اليّ كالمتعرّف سبب ضحكهم المسترشد لطريق الصواب فرمزت اليه بغض الجفن وضم العين فتفطَن للمقصود واستطرف ذلك الحاضرون.وقد كان ابو العلا المعري يتعصّب لأبي الطيّب فحضر يوماً مجلس المرتضى ره فذكر ابو الطيب فأخذ المرتضى في ذمّه والأزراء عليه، فقال له المعري: لو لم يكن له من الشعر الاّ قصيدته اللامية وهي:

لك يامنازل في القلوب منازل أقفرت أنت وهنَ منك أواهل

لكفى في فضله فغضب المرتضى وأمر بسحب المعري فسحب وضرب، فلمّا أُخرج قال المرتضى رحمه الله لمن بحضرته هل تدرون ماعني الأعمى عني قول المتنبي في أثناء قصيدته:

واذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كامل

ولّما بلغ الخبر الى ابي العلاء قال قاتله الله تعالى ما أشدَ فهمه وذكاه والله ما عنيت غيره.

ومن المحاضرات انَه رأى رجل شيخاً ينيك أتانا يوم الجمعة وهي تضرط والشيخ يصلي على النبي ﷺ فقال له رجل: ويحك تفعل هذا يوم الجمعة ومع ذلك تصلي على النبي ﷺ فقال: اما يجوز ان اشكر الله على أير يضرط الأتان منه.وسئل الأحنف مابال أستاه الرجال يكون عليها الشعر أكثر من استاه النساء؟ فقال: انّ استاه الرجال حمى وانَ استاه النساء مرعى.ومنه قال ابو زيد للكتاف بقيت زماناً لا أجد امرأة تستوعب ما عندي فظفرت يوماً بواحدة فكنت اولج فيها شيئاً فشيئاً حتَى استوعبت فقلت أتأذنين في الأخراج فقد أدخلت فقالت سقطت بعوضة على نخلة فقالت للنخلة استمسكي لأطير فقالت النخلة: ما شعرت بوقوعك فكيف أشعر بطيرانك.ومنه قالت امرأة لرجل يجامعها ويبطي الفراغ افرغ فقد ضاق قلبي فقال: لوصاق فرجك كنت قد فرغت منذ ساعات. ورأى رجل آخر وهو يبول وكان معه أير كأير حمار فقال: ياهذا كيف تحمل هذا الأير؟ فقال: أكبير هو؟ فقال: نعم قال: إنَ امرأتي تستصغره. شكى رجل امرأة كثرة شعرتها فنتفت وكتبت الى محبها: فديتك سهلَت السبيل الَذي اشتكى به جوادك فيه الجفا من خشونة فان كنت تهوى ان تزور جنابنا فلا ترتبط عنّا فالهلال ابن ليلة.

قال يزيد بن عروةلّما مات كثير: لم تتخلّف امرأة بالمدينة ولارجل عن جنازته وغلبت النساء عليه يبكيه ويذكرن عزّة في ندبتهنّ له فقال ابو جعفر محمّد بن علي الباقر عليهما السلام افرجوا عن جنازة كثير لأرفعها قال: فجعلنا ندفع عنها النساء وجعل محمّد بن علي عليهما السلام يضربهنّ بكمّه ويقول تنحّين ياصواحبات يوسف فانتدبت له امرأة منهنّ فقالت: يابن رسول اللصدقت انّا لصواحباته وقد كنّا خيراً منكم له فقال ابو جعفر عليه السلام لبعض مواليه احتفظ بها حتّى تجيئني بها فاذا انصرفت، قال: فلمّا اتى بتلك المرأة كأنها شرر النار فقال لها الباقر عليه السلام انت القائلة انّكن ليوسف خيراً منّا؟ قالت: نعم تؤمنني غضبك يابن رسول الله دعوناه الى اللذات من المطعم والمشرب والتمتع والنعم وانتم معاشر الر جال القيتموه في الجب وبعتموه بأبخس الأثمان وحبستموه في السجن فاينا كان أحنأ به وارؤف؟ فقال الباقر عليه السلام: لله درّك لن تغالب امرأة الاّ غلبت ثمّ قال لها الك بعل: قالت: لي من الرجال من انا بعله فقال ابو جعفر عليه السلام: ما اصدقك مثلك من تملك زوجها ولايملكها قال: فلمّا انصرفت قال رجل من القوم: هذه بنت فلانة بنت متعقّب.

وقد تزوّج الثعالبي امرأة عجوزاً، وذلك انّه رأها محلاّة فظنّ أنّها مقبولة، فلمّا تزوجها انكشفت له سوء حالها فقال شعراً:

عجوز تشتهي أن تكون فتية ... وقد يبس الجنبان واحدودب الظهر
تروح الى العطار تصلح شبابها ... وهل يصلح العطار ماأفسد الدهر
وما غرّني الاّ خضاب بكفها ... وكحل بعينها وأثوابها الصفر
بنيت بها قبل المحاق بليلة ... فكان محاقاً كلّه ذلك الشهر

ومن هذا القبيل انّ واحداً من اخواننا الصالحين تمتّع بامرأةٍ في شيرار فلمّا غلق عليها الأبواب ونظر الى وجهها فاذا هو كالشنّ البالي وليس لها الاّ درادر تتكلّم فيها، قال: فغمضت عيني وقبضت على أنفي وأصبت منها مرّة، فلمّا فرغت أردت فتح الباب فقالتكلاتفتحه ودعنا اليوم في عيشنا وان لم ترد من القبل فهذا غيره حاضر، فعرفت الموت في المواقعة الأُخرى فصحت الى أصحابي هلمّوا اليّ وخلصوني من هذا الموت الحاضر فأتوا الي وحلّوا الباب وأخرجوني منها.

ومن هذا انّ رجلاً من الأخوان تمتّع ايضاً في شيراز وكان معنا في المدرسة النمصوريّة، قال: فلمّا تكشفت لي واستلقت على قفاها نظرت الى ذلك الموضع واذا هي غلفاء لم تختتن، فعمدت

الى سكين صغير وأتيت به وختنتها، فصاحت وجرى الدم، فلمَا قامت طالبتني بالجراحة فطالبتها بكروة الختان وغلبتها وأخذت منها القيمة لكن لامن جنس الدراهم والدنانير.

وقيل لبصريَة أيَ الرجال تشتهين؟ فقالت: ماأدري غير انّي أعلم انَ الأوّل داء والثاني دواء، والثالث شفاء، ومن ربَع فنفسي له الفاداء.

وفي المحاضرات انَ الحسن بن علي عليهما السلام كان مطلاقاً مذواقاً فقيل له في ذلك: فقال: رأيت الله علَق بهما الغنى، فقال: وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله، وقال في موضع آخر: وان يتفرّقا يغن الله كلاً من سعته.

وفي المحاضرات قال ابو الشمقمق لبعض من اراد التزويج تزوّج بقحبة، فقال: اسمع القحبة تكون أملح وأخرى بأنها تكون عالمة بما يحبّه الرجل، وتأخذ نفسها بالتنظف، ومتى قلت لها يازانية لم تأثم، ولأنّها يجتهد الاّ تأتيك بولد ثمّ انها تعلم انّك تعرفها فلا تتكبّر عليك.

وفيها ايضاً انّه كان رجل قصد امرأة كلنت تفجر وتنفق، فطلّقها وتزوج بعفيفة فطلب منها ماكانت تأتي به الأولى، فعاد يوماً الى داره وقدَمت المرأة اليه طعاماً طيّباً، فقال من اين؟ فقالت: جاءني فلان وحمل طعاماً وشراباً وحلواء فأكلنا وجامعني وهذا نصيبك، فقال: اذا تعاطيت هذا فايّاك واخباري بتفاصيل مايجري فانّي غيور.

وقد كانت مضحكة الشاه عبّاس الأوّل جالساً في المجلس فأمر السلطان رحمه الله تعالى جارية من جواريه بان تعبث به وتحمله على الكلام، وقيل انَ هذا هو أول يوم ذخل فيه مجلس السلطان، فأتت اليه وكشفت عن ماعندها وقالت: هذه المزرعة اذا كربت وزرعت في بلادكم مايكون حاصلها؟ ومن البذر اذا رمي فيها ما يكون حاصله عند الحصاد؟ فقام اليها ناعضاً ذكره قابضاً بيده فقال: ان كان سنبلة هذه المزرعة تجيء على هذا المقدار فمن البذر يجيء حاصله مائة منَ، وان كان أصغر من هذا فحاصله قليل، فضحك السلطان والحاضرون.

وقد كان لهذا السلطان صقر يصيد عليه وقد شغف بحبه، فقال للصقارين احتفظوا على هذا الصقر واعلموا انَ كل من يأتي بخبر موته ضربت عنقه، فاتّفق بعد مدّة انّ ذلك الصقر قد مات، فتحيَر الصقارون في إخبار السلطان ويعلمون انه يطلبه، فأتوا الى ذلك المضحكة وأخبروه بالحال، فقال: لاعليكم فدخل الى السلطان فقال: اين كنت؟ قال كنت مع الصقّارين انظر الى الصقور، فقال له: رأيت صقري الفلاني؟ فقال: نعم اعزك الله تعالى رأيته ولكن رأيت فيه أحوالاً عجيبة، قال: وماهنّ؟ قال: رأيته مغمضاً عينه ناشراً جناحيه وكلّما أتاه الصقّار بلحم لم يأكله وقد عقص برأسه فقال السلطان: فاذاً مات؟ فقال: اشهدوا ايها الحاضرون انَ السلطان أعزه الله تعالى هو الّذي تلفظ بموته الاانا ولا الصقّار، فضحك السلطان ولم يعاقب احداً على موته.

وقد كانت عنده امرأة جميلة وكان السلطان له هوىً فيها، فاراد ان يرسله بحاجة ليخلو له البيت، فقال له: ياعنايت ارسلك بخدمة يحصل لك منها فائدة كثيرة؟ فقال: امرك فقال: انّ لنا في البلد الفلانية خيولاً كثيرة فامض الى هناك واعزل الذكور عن الأناث فكتب له كتاباً وارسله، فاتى الى منزله وقال لأمرأته انّ السلطان يريد ارسالي ولكن اعلم انه يريد ان يأتي اليك هذه الليلة ولكن أنا أختفي تحت الباب، فاذا جاء اليك وأرادك قولي له: تعالى نلهو ونلعب، فاجعلي نفسك فرساً وقولي له حتّى يكون حصاناً فيأتي اليك ويصهل ويحمحم، وهذا يكون شأنك معه حتّى أخرج اليكما، فلمّا جاء الليل أخذ بيده عصا واختفى تحت الباب، فلمّا جنّ الليل أتى السلطان الى تلك الأمرأة فلمّا دخل قال لها: انّي ارسلت فلاناً في خدمة حتّى يخلو لنا البيت، فتحاكيا فلمّا اراد ان يقاربها قالت له: هلمّ الى الملاعبة، فقال لها: هو الأحسن، فقالت له: كن انت حصاناً وانا فرساً، واصهل وحمحم وتجيء اليّ فلمّا أخذا في ذلك اللهو وشرع السلطان في الصهيل خرج من تحت الباب وبيده تلك العصا فضرب السلطان بها ضربة شديدة، فصاح السلطان ونظر اليه واذا هو الرجل فقال له: قاتلك الله انا ارسلتك بخدمة، فقال: انّك ارسلتني لأعزل الحصن عن الأفراس فها انا جئت لهذا، فعزل السلطان عن المرأة فعرف السلطان أنّه علم ما أراد.

وفي المحاضرات انّه وقع بين مزيد ورجل خصومة، فقال الرجل: أتخاصمني وقد نكت امرأتك كذا مرة، فعاد مزيد الى داره وقال: يافلانة أتعرفين فلاناً؟ فقالت: أي والله ابو عينيه، فقال: ناكك ورب الكعبة اسئلك عن اسمه وتجيبيني بكنيته.

حكاية حملت زانية فلمّا وضعت أتت الى رجل عالم من أهل الحديث فقالت لهك سمّ لي هذا الولد، فقال سمّيه ابن كثير.حكاية أُخرى تزوج رجل امرأة فأتت بولد صحيح لخمسة أشهر، فقالت له: سمّ ولدك، فقال: أُسميه شاطر علي، لأنّه قطع مسافة تسع أشهر في خمسة أشهر.

وكان عند سلطان البصرة رجل مؤمن عالم يقوم بحوائج المؤمنين وهو مقدمهم عند ذلك السلطان، فأتى اليه جماعة من المؤمنين وطلبوا منه ان يمشي معهم الى ذلك السلطان ليسلموا عليه، فأتى معهم فوجدوا ذلك السلطان جالساً في أعلى قصره، فقال لهم ذلك الشيخ قفوا هنا حتّى أصعد أنا اليه وأطلب لكم الأذن، فلمّا صعد اليه وجده مشغولاً ببعض الملاهي، فقال له: انّ العلماء واقفون يريدون الأذن وأنت أعزّك في الله شغل، ولكن أقول لهم يقرؤون الفاتحة من تحت وينصرفون الى وقت آخر، فضحك وقال ياشيخ الفاتحة الّتي من تحت مانريدها ولكن اطلبهم الى فوق.

وقد كان ذلك الشيخ واسمه الشيخ عبد الله رجلاً طلق اللسان حسن الصحبة، واتّفق انّه مضى ليلاً الى خدمة ذلك السلطان لقضاء بعض حوائج المؤمنين، فلمّا اراد القيام مطرت السماء

فقال له السلطان: ياشيخ أنت رجل كبير السن ويسقَ عليك الحركة في هذا الوقت ولكن بات هذه الليلة عندنا وأنا أنام معك، فقبل منه فلمّا أراد النوم أمر السلطان بعض غلمان خزانته فوضعوا للشيخ فراشاً وأخذ السلطان اللحاف بيده ووضعه فوق الشيخ ونام السلطان الى جنبه وغلمانه باتوا قربه، فلمَا انتصف الليل وقام ليسوّي اللحاف على الشيخ، فوضع يده فوق رجل الشيخ فاستيقظ الشيخ وظنَ ان السلطان يريد واحداً من غلمانه ليفعل به مايفعل، فقال له: أعز الله مولانا السلطان لايغلط فهذا الغلام نائم في الجانب الآخر وانا فلان، فضحك السلطان في تلك الليلة ضحكاً كثيراً، وقال: ياشيخ جئت لأتفقد أحوالك، فقال: يامولاي هو ليل وخفت فيه على نفسي من الغلط.

وقد تشاتم رجلان فقال أحدهما للآخر: والله لئن لم تسكت لأضربنّك صفعة أنقلك بها من البصرة الى مكّة، فقال له الآخر: احب ان تصفعني أُخرى فتنقلني الى المدينة ليتم حجي على يديك.

وقد كان صفي الدين الحلي الشاعر جالساً يوماً مع جماعة، فضرط فشاعت ضرطته في البلد فلم يتمكن من الأقامة في بلده، فخرج الى البصرة والى غيرها وبقى أعواماً كثيرة فتذكر بلده وقد طال الزمان فقد نسي أهل بلدي ماوقع منّي، فأتى الى الحلة فقبل ان يدخلها أتى الى خارج البلد واذا بإمرأتين على شاطىء الفرات وهما يتحاكيان وهو يسمع، فقالت أحديهما للأُخرى: كم عمر ابنك من سنة، فقالت: والله لاأعلم ضبط عدده وتريخه من سنة ضرطة صفي الدين الحلّي، فلمّا سمعها قال: جعلوها تاريخاً فهم لاينسونها ابداً فرجع ولم يدخل البلد الى ان مات.

وقد كان كسرى لابساً حله سنية القيمة فرآها مضحكته فاحتال في أخذها، فطلبها منه يوماً، فقال: اذا أعطيتك هذه الحلّة الرفيعة فأيَ شيءٍ اعطي الأمراء والعمّال حتّى يجيء في النظر هذا لايكون؟ فلمّا كان بعض الليالي بقي ذلك الرجل في المجلس حتى انتصف الليل ولابقي الا هو والسلطان، فقال له السلطان: اذا بقيت الى هذا الوقت فبات هيهنا، فقال: يامولاي ليس هنا لحاف أتغطى به، قال له السلطان: أغطيك في هذه الحلة، فقال: هذا مليح، فغطّاه بها ومضى الى داخل منزله، فعمد ذلك الرجل الى تلك الحلّة وخوى فيها ونام، فلمّا جاء الصبح أتى الفراشون اليه وقالوا له قم حتّى نفرش الفراش، فقال: لاأقوم حتّى يجيء السلطان وأقصُ عليه مناماً رأيته في هذه الليلة، فجاء السلطان وقال له: قم من هذه النومة، فقال: يامولاي رأيت طيفاً أهالني رؤيته فقال: وماهو؟ قال: رأيت كأن ثورين قصدا نحوي ووضع أحدهما قرنيه في بطني ووضع الآخر قرنيه في ظهري فعصراني عصرةً شديدة، فقال له السلطان: لايكون خروت في ثيابك وفي الحلة،

فقام وقال: يامولاي فما يكون هذا الخروأ هو من الثورين ام ليس الاَ منّي وقد أفتضحت عندك في شأن الحلَة، فضحك السلطان وقال: هي لك.

وكان يوماً في المجلس مع السلطان وكان تحت السلطان بساط عالي القيمة فطلبه منه؟ فقال السلطان: لاأعطيك هذا الاَ ان تخري مثقالاً لاأزيد منه ولاأنقص، فقال: لك عليَ فقام وخرَى خروةً كبيرة، فقال السلطان: كيف هذا؟ قال: أعزّك الله خذ أنت مثقال: والباقي لهؤلاء الأمراء الحاضرون أخاف ان يعتبوا عليَ اذا خرجوا من عندك فضحك السلطان وامر له بذلك البساط.

وفي ربيع الأبرار للزمخشري انه كان لرجل غلام من أكسل الناس، فأمره بشراء عنب وتين فأبطأ ثمَ جاء بأحدهما فضربه، وقال: ينبغي لك اذا ما أستقصيت حاجة ان تقضي حاجتين، ثمَ مرض فأمر ان يأتيَ بطبيب فأتى به وبرجل آخر، فسأله فقال: اما ضربتني وأمرتني ان أقضي حاجتين في حاجة؟ قال: بلى، قال: قد جئتك بطبيب فان رجاك والاَ حفر هذا قبرك فهذا طبيب وهذا حفَار.

وفي أمالي الرجاج أخبرنا ابو عبد الله اليزيدي عن عمّه ابي القاسم يرفعه الى ابي محمَد يحيى بن المبارك قال: عوتب دعبل بإنصرافه عن النساء، فتزوَج امرأة أقامت عنده ليلة، ثمّ خلاها فقيل له في ذلك؟ فأنشأ يقول:

رأيــت عجــوزاً وقــد أقبلــت ... فأبــدت لعــيني عــن مبــصعة
فــصيره الخلـــق دحداحـــة ... تـــدحرج في المـــشي كالبندقـــة
تخطـــط حاجبهـــا بالمـــداد ... وتـــربط في عجزهـــا مرفعـــة
وثـــديان ثـــديٌ كبلوطـــةٍ ... وآخر كالقرية المفهقة

وقد غاب رجل عن زوجته فتزوّجت بعده وولدت أولاداً، فجاء الزوج الأول فلزمته المرأة وقالت له: هؤلاء أولادك فانفق عليهم، فقال: ياقوم انا كنت في بلاد أُخرى وليس لي خبر بهذه الأولاد، فحاكته الى قاضي الحنفيّة فالحق الأولاد بالزوج الأوَل فقال: ايَها القاضي : أعزّك الله انا رجل فقير وليس عندي ما أقوم بنفقتهم، فقال القاضي للحاضرين عنده: ليأخذ كلَ واحد منكم ولداً يربيه لأجل الثواب، وكان في المجلس رجل خصيٌ فأعطاه ولداً فحمله على كتفه، فلمّا وصل الى السوق سأله رجل من اين لك هذا الولد وانت خصي؟فقال: نعم كنّا عند مولانا القاضي وقسّم أولاد الزنا على الحاضرين فهذا كان سهمي منهم.

وأعلم ياأخي أيقظك الله من الغفلة انّا بهذين الكراسين أبعدناك عن دار الحضور وقرّبناك الى دار الغرور، فاستيقظ من هذه وكفّر الضحك بماروي عن الأئمّة الطاهرين عليهم أفضل

الصلوات من انَ كفّارته ان تقول بعده ربي لاتمقتني، كما انَ كفارة مايكون منك في المجلس هو ان تقول اذا أردت القيام، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين، وتذكَر انَ الدنيا ليست بدار فرح ولامرح وان أضحكت يوماً ابكت ايّاماً:

دنيا اذا ما أضحـــكت في يومها	أبكت غداً تعـــساً لهـــا من دار

فارفع طرفك وامسح دموع الضحك عن خدّيك ليكون المكان خالياً لدموع الحزن فقد جاء ذكر هادم اللذات الذي قال فيه ﷺ أكثر واذكر هادم اللذات، فها نحن قد أخذنا في تفاصيل أحواله.

نور في مقدمات الموت من الأمراض ودوائها

وما ناسب هذا المقام

إعلم أرشدك الله تعالى انّ الله سبحانه بمنزلة المؤدّب والناس بمنزلة الأطفال، والمؤدّب شأنه تأديب الأطفال بما تقتضيه المصلحة، فالأمراض كلّها تأديبات من الحكيم لمصالح لايخفى بعضها.

منها مارواه صاحب كتاب طب الأئمّة عليهم السلام وهو من أخوان عبد الله بن ابي بسطام الزيات واخوه الحسين بن ابي بسطام ذكرهما النجاشي ره رويا عن الصادق عليه السلام رواه جدّه الحسين بن علي عليه السلام قال: عاد أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام سلمان الفارسي رضي الله عنه، فقال: ياابا عبد الله كيف أصبحت من علّتك؟ قال: ياامير المؤمنين أحمد الله كثيراً وأشكو اليك كثرة الضجر، قال: فلا تضجر ياباعبد الله فما من أحد من شيعتنا يصيبه وجع الاّ بذنب قد سبق منه، وذلك الوجع تطهير له، قال سلمان: فان كان الأمر على ماذكرت وهو كما ذكرت فليس لنا في شيء من ذلك أجر خلا التطهير قال علي عليه السلام: ياسلمان انّ لكم الأجر بالصبر عليه والتضرع الى الله تعالى عزَ اسمه والدعاله بهما يكتب لكم الحسنات ويرفع لكم الدرجات، وامّا الوجع خاصّة فهو تطهير وكفارة، قال: فقبل سلمان مابين عينيه وبكا، وقال: من كان يميّز لنا هذه الأشياء لولاك ياامير المؤمنين؟!.

وروى شيخنا الكليني عن الباقر عليه السلام قال: قد كان الناس يعتبطون اعتباطاً فلمّا كان زمن ابراهيم عليه السلام قال: رب اجعل للموت علّة يؤجر بها الميت ويسلى بها عن المصاب قال: فأنزل الله البرصام ثمّ أنزل بعده الداء.وروي عن الصادق عليه السلام قال: انّ رسول الله ﷺ رفع رأسه الى

السماء فتبسَم، فقيل يارسول الله رأيناك رفعت رأسك الى السماء فتبسّمت؟ قال: نعم لملكين هبطا من السماء الى الأرض يلتمسان عبداً صالحاً مؤمناً في مصلّى فيه ليكتبا له عمله في يومه وليلته فلم يجداه في مصلاه، فعرجا الى السماء فقالاك ربّنا انّ عبدك فلان المؤمن التمسناه في مصلاه لنكتب عمله في يومه وليلته فلم نصبه فوجدناه في حبالك، فقال الله عزّ وجلّ أكتبا لعبدي مثل ماكان يعمله في صحّته من الخير في يومه وليلته مادام في حبالي، فانّ عليّ ان اكتب له أجر ماكان يعمله اذا حبسته عنه، وكذلك اذا ضعف عن العمل لكبر فانّ الله يكتب له من الأعمال الصالحة مثل ماكان يعمله في نشاطه.

ومنها انّ الأمراض زواجر للعبد عن المعاصي، فالأمراض بمنزلة الأسواط التي يضرب بها المؤدّب الولد بها، ومنها انّ الأنسان اذا كان صحيح البدن كان غافلاً عن الوصية نائماً عنها ولايوقظه الاّ المرض ان كان لبيباً والاّ فأكثر الناس في غفلة حتّى عند الموت.روى صاحب روضة الواعظين انّه قال رسول الله ﷺ من مات بغير وصية مات ميتة جاهليّة.

وقال ﷺ لاينبغي لأمرءٍ مسلم ان يبيت ليلة الاّ ووصيته تحت رأسه. وقال الصادق عليه السلام من لم يوص عند موته لذوي قرابته ممّن لايرث فقد ختم عمله بمعصية.

ومنها تحصيل الثواب لعوّاده روي عن الصادق عليه السلام انّه اذا كان يوم القيامة نادى العبد الى الله عزّ وجلّ فيحاسبه حساباً يسيراً فيقولك مامنعك ان تعودني حين مرضت، فيقول المؤمنكانت ربّي وانا عبدك انت الحي القيّوم الّذي لايصيبك ألم ولانصب، فيقول عزّ وجلّ: من عاد مؤمناً فقد عادني، ثمّ يقول له أتعرف فلان بن فلان؟ فيقول نعم يارب فيقول: مامنعك ان تعوده حين مرض؟ أما انّك لو عدته لعدتني ثمّ لوجدتني به وعنده، ثمّ لوسألتني حاجة لقضيتها لك ولم أردّك عنها.وروي عن النبي ﷺ انّه قال من عاد مريضاً فله بكل خطوةٍ خطاها حتّى يرجع الى منزله ألف ألف حسنة، ويمحي عنه سبعون ألف ألف سيئة، ويرفع له سبعون ألف ألف درجة ويوكل به سبعون ألف ألف ملك يعودونه في قبره ويستغفرون له يوم القيامة.

امّا وجع العين فلاعيادة فيه، وأعظم العائدين ثواباً من خفّف الجلوس عند المريض الاّ ان يعلم من حال المريض رضاه بطول الجلوس، وقدّر جلوس العيّادة على ما في الروايات مقدار حلب ناقة، وينبغي أن يحمل معه الى المريض تفاحة او سفرجل اة أنرجة او لعقة من طيب او قطعة من عود لأنّ المريض يستريح الى كلّ من دخل عليه بها، كذا جاء في الرواية عن الصادق عليه السلام ومن تمام العيادة ان يضع احدى يديه على الاخرى او على جبهته، وينبغي ان يطلب العائد من المريض الدعاء للعائد وان يأذن المريض لكلّ العائدين لأنّ مستجاب الدعوة مخفيٌ بينهم، فلعله المنوع عن الدخول، ومرض الصبي كفّارة لذنوب والديه.

وروي عن الباقر ﷺ قال حمى ليلة تعدل عبادة سنة، وحمى ليلتين تعدل عبادة سنتين، وحمى ثلاث ليال تعدل عبادة سبعين سنة، قال ابو حمزة: قلت فان لم يبلغ سبعين سنة؟قال: فلأبيه وأمه، قال: قلت فان لم يبلغا قال: فلقرابته، قال: فان لم يبلغ قرابته؟ قال: لجيرانه.

وروي ان حمى يوم كفارة ذنوب سنة، وذلك انّ ألمها يبقى في البدن سنة، وانها تأخذ من البدن عافية سنة أيضاً، وهي حظّ المؤمن من جهنّم لأنها من قيحها، وذلك لما عرفت من انّ نوعاً من النار تحت الأرض فاذا فارت خرجت حرارتها فأصابت المياه سيما رؤوس الجبال ومافيها من المياه.

وينبغي للمريض ان لايشكر الى العوّاد فانّه ينقص الثواب، وامّا كيفية الشكوى فرواها جميل بن صالح عن ابي عبد الله غليه السلام قال: سئل عن حدّ الشكاية للمريض، فقال: انّ الرجل يقول حممت اليوم وسهرت البارحة وقد صدق وليس هذا شكاة انما الشكوى ان يقول لقد ابتليت بما لم يبتل به أحد ويقول لقد اصابني مالم يصب احداً، وليس الشكوى ان يقول سهرت البارحة وحممت اليوم ونحو هذا.

وامّا التداوي والمضي الى الطبيب فقد ورد الأمر به قال النبي ﷺ تداووا فانّ الله عزّ وجلّ لم ينزل داء الاّ وقد أنزل له شفاء وقال ﷺ: تجنّب الدواء ما أحتمل بدنك من الداء، فاذا لم يحتمل الداء فالدواء.وعن ابي عبد الله ﷺ قال انّ نبياً من الأنبياء مرض، فقال: لاأتداوى حتّى يكون الّذي أمرضني هو الذي يشفيني، فأوحى الله عزّ وجلّ لاأشفيك حتّى تداوي فانّ الشفاء منّي.وقد قال موسى ﷺ يارب ممّن الداء؟ قال: منّي، قال: فلم أمرت المرضى بالطبيب؟ قال: ليطيب نفوسهم، فمن هذا سمّي الطبيب طبيباً.

فإن قلت مافائدة رجوع المريض الى الطبيب الحاذق والآخذ بدوائه؟ قلت: لعلّ فائدته رفع استمرار المرض لادفع الأجل فانّه لايدفعه عن نفسه فكيف يدفعه عن غيره:

انّ الطبيب له في الطبّ معرفة	مادام في أجل الأنسان تأخير
حتّى اذا ماأنقضت أيّام مدته	حار الطبيب وخانته العقاقير

نعم سيأتي أن شاء الله تعالى في تحقيق الأجل انّ منه الأجل القابل للزيادة والنقصان باعتبار إرتباطه بالأسباب كصلة الأرحام وصلة المساكين وفعل بعض الطاعات والعبادات، وحينئذ فيجوز ان يكون التداوي من جملة أسباب الزيادة وتركه من اسباب النقيصة حيث ورد الأمر به، ولايلزم في التداوي الرجوع الى الأطبّاء والحكماء بل الى من تركن النفس الى دواءه ولو كنّ العجائز وأضرابهن، فانّ كثيراً من الحرف الجائزة قد ضمّن الشارع أهلها مايتلفونه كالقصار

والصائغ وصاحب الحمّام ونحوهم إحتياطاً لأموال الناس، وهذا ايضاً احتياطاً في دمائهم حتى لايتحرى على الطب من لامعرفة له به ولاوقف على مفرداته ومخركباته ولاعلى تمييز العقاقير بعضها عن بعض كما هو الغالب في هذه الأعصار، ولهذا اسقط الشارع الضمان عنه اذا اخذ البراءة اما من المريض او من وليه.

واعلم ان التداوي قد روي عن الأئمة عليهم السلام على قسمين دعاء ودواء، فاما الدعاء فهو صالح لكل الأبدان كما سيأتي ان شاء الله تعالى، واما الدواء فقد روي في بعض الأمراض ادوية لاتصلح ظاهراً ولاتوافق كلَ الأبدان في جميع البلدان نعم ربما وافق طبائع أهل العراق ومكة والمدينة وماوالاها، ومن ثم قال جماعة من الأصحاب انّ تلك الأدوية والمعالجات المذكورة في كتاب طب الأئمة وغيره من المروي عنهم عليهم السلام انّما هو مخصوص بأهل تلك البلاد المذكورة، ولكنَ الحق ان في بعض الأخبار مايدل على العموم مثل ماروي في غير حديث من الأستشفاء والمداواة بالعسل لقوله تعالى{فيه شفاء للناس}، فانّ القرآن لم ينزل لخصوص بلد دون اخرى، وحينئذٍ فالحق في الجواب هو ان ما ورد عنهم عليهم السلام من انواع الدواء لأنواع الأمراض عام شامل للأبدان والبلدان.

نعم ينبغي للمريض ان يتعاطى تلك الأدوية من عزائم القلب وصميمه وان لايتوهم من شيءٍ منها فإنك قدد تحققت انّ من تطيّر من شيء ضرّه ذلك الشيء، وقد شاهدنا جماعة من الأفاضل ممن ساءهم وفور الأخلاص يتداوون في خراسان بالأدوية المذكورة في طب الأئمة وغيره التي لو تداوى بها اهل تلك البلد لنالوا منها انواع الضرر بزعمهم، وحصل اولئك الأفاضل منها الشفاء العاجل، فليس السبب الا ماعرفت.

وأعظم انواع الدواء النافع ماروي عن الرضا عليه السلام انّه قال: لو انّ الناس قصّروا في الطعام لأستقامت ابدانهم، وفي الرواية انّ طبيباً نصرانياً دخل على مولانا الصادق عليه السلام فقال له: ياابن رسول الله أفي كتاب ربكم أم في سنّة نبيكم شيء من الطب؟ فقال: نعم امّا كتاب ربنا فقوله تعالى{كلوا واشربوا ولاتسرفوا}واما سنة نبينا فقال صلى الله عليه وآله: الحمية من الأكل رأس كل دواء، والأسراف في الأكل رأس كل داء، فقام النصراني وهو يقول: والله ماترك كتاب ربكم ولاسنَة نبيكم شيئاً من الطب لجالينوس، وقال عليه السلام: ليس الحمية من الشيء تركه انّما الحمية من الشيء الأقلال منه، اذا عرفت هذا فالنتلوا عليك أدوية الأمراض الدعائية المروية عن ارباب العصمة عن(من ظ) أهل البيت عليهم السلام التي جرّبها العلماء والأخيار واستعملها الفضلاء في كل الأعصار.

اعلم انَ القرآن وآياته فيهما شفاءٌ من جميع الأمراض خصوصاً آية الكرسي فأنّي جرّبتها وكذا غيري فانها تحفظ من اللصوص وفي الحروب ومن هوام الأرض ودوابه ولو انّ احداً قرأها

ودخل بين السيوف والرماح لنجاه الله تعالى بها من كل الأهوال وحفظها يتضاعف بتضاعف قرأها مرة أرسل الله تعالى ملكاً يحفظه، واذا قرأها مرتين ارسل الله اليه ملكين يحفظانه وهكذا الى خمس مرات فاذا قرأها خمساً قال الله تعالى للملائكة: خلوني انا أحفظه لاعليكم وحفظه.

رقية الحمى عن الصادق عليه السلام هي كتابة آية الكرسي في اناء وذرفه بجرعة ماء يشربه المريض، أخرى وهي رقية جبرئيل للنبي صلى الله عليه وآله لّما حمّ فقرأ عليه بسم الله أشفيك من كل داء يؤذيك باسم الله والله شافيك بسم الله خذها فليهنيك بسم الله الرحمن الرحيم{فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم} لتبرأنّ بإذن الله عزذ وجلّ وهذه العوذة من خزانت السماء السابعة، اخرى للحمى وغيرها قال الصادق عليه السلام: حل ازرار قميصك وادخل رأسك في جيبك واذّن وأقم إقرأ الحمد سبع مرات.

أُخرى عن مولانا الباقر عليه السلام انّه كان اذا خمّ بل ثوبان ويطرح عليه احدهما فاذا جفّ طرح عليه الآخر وقال محمّد بن مسلم: سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول: ماوجدنا للحمى مثل الماء البارد والدعاء.

وقال ابن بكير: كنت عند ابي عبد الله عليه السلام وهو محموم فدخلت عليه مولاه له فقالت له: كيف تجدك فديتك، وسألته عن حاله وعليه ثوب خضب قد طرحه على فخذيه وقالت له: لو تدثّرت حتّى تعرّق فقد ابرزت جسدك للريح، فقال: اللهم اولعتهم بخلاف نبيك صلى الله عليه وآله قال رسول الله صلى الله عليه وآله الحمى من قيح جهنّم وربما قال من فور جهنّم فاطعئوها بالماء البارد والله الشافي.

رقية الصداع اشتكى رجل الى الصادق عليه السلام الصداع فقال: ضع يدك على الموضع الّذي يصدعك وأقرأ آية الكرسي وفاتحة الكتاب وقل الله اكبر الله اكبر لااله الا الله والله اكبر اجلّ واكبر مّما اخاف واحذر اعوذ بالله من عرق نعار واعوذ بالله من حر النار.اخرى رواها عمر بن حنظلة قال: شكوت الى ابي جعفر عليه السلام صداعاً يصيبني قال: فاذا اصابك فضع يدك على هامتك وقل لو كان معه آلهةً كما تقولون اذاً لأبتغوا الى ذي العرش سبيلاً، واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدّون عنك صدوداً.

وصدع المأمون بطرسوس فلم ينفعه علاج، فوجّه اليه قيصر قلنسوة وكتب اليه بلغني صداعك فضع هذه على رأسك، تسكن فخاف انّها مسمومة فوضعت على رأس حاملها فلم تضره، وضعت على رأس مصدّع فسكن فوضعها على رأسه فسكن، فتعجب من ذلك ففتقت فاذا فيها بسم الله الرحمن الرحيم{كم من نعمة لله في عرق ساكن حمعسق لايصدعون عنها ولاينزفون} من كلام الرحمن خمدت النيران ولاحول ولاقوة الا بالله العلي العظيم.

رقية العين عن امير المؤمنين عليه السلام قال: اذا اشتكى احدكم عينه فاليقرأ عليها آية الكرسي وفي قلبه انه يبرأ ويعافى ان شاء الله تعالى، أخرى يقرأ على الماء ثلاث مرات ويغسل به وجهه: {فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد}، {ولونشاء لطمسنا على اعينهم الى قوله يبصرون}، اخرى يكتب {الله نور السماوات} الآية في جام بالتربة معجوناً بماء زمزم ثم يغسله ويصيّره في قارورة ويكتحل منه بالميل.

واما رقية الشبكور[١٤] فهي على ماقال مولانا الكاظم عليه السلام ان يكتب { الله نور السماوات والأرض} الآية ثلاث مرات في جام ثم يغسله ويصيّره في قارورة ويكتحل به فهو مجرّب.

رقية وجع يقرأ على دهن الياسمين والبنفسج مرات قوله تعالى كأن لم يسمعها كأن في اذنيه وقرأ انّ السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا ويصب في الأذن.

رقية وجع الضرس إقرأ فاتحة الكتاب ثلاث مرات وقل هو الله احد ثلاث مرات ويقول ياضرس أبا لحار تسكنين أم بالبارد تسكنين أم بسم الله تسكنين أسكن سكنتك بالذي سكن له مافي السماوات وما في الأرض وهو السميع العليم، قال من يحيي العظام وهي رميم الى قوله بكل خلق عليم اخرج منها فانّك رجيم ولنخرجنّهم منها الآية فخرج منها خائفاً يترقّب، اخرى يأخذ مسماراً ويقرأ عليه ثلاث مرات فاتحة الكتاب والمعوذتين ثم يقرأ من يحيي العظام الى قوله عليم، ثم يقول ياضرس فلان بن فلان أكلت الحار والبارد فبالحار تسكنين ثمّ يقرأ أوله ماسكن في الليل والنهار الآية شددت داء هذا الضرس من فلان بن فلانة باسم العلي العظيم ثمّ يضربه في حائط يقول: الله الله الله.

رقية رعاف يكتب على جبهة المرعوف بدمه او بالزعفران وقيل ياارض ابلعي مائكي وياسماء اقلعي الى آخره فانّه يسكن ان شاء الله تعالى.

رقية وسوسة القلب يقول فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله، ويقرأ المعوّذتين، وقال امير المؤمنين عليه السلام اذا وسوس الشيطان الى احدكم فليتعوّذ بالله وليقل بلسانه وقلبه آمنت بالله ورسوله مخلصاً له الدين.

رقية وجع القلب يقرأ هذه الآيات على الماء ويشربه {لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين سيهزم الجمع ويولّون الدبر الى قوله أدهى وأمر انّ الله يمسك السموات والأرض ان تزولا الى قوله غفورا}، وامّا ضيق القلب فيقرأ سبع عشر يوماً ألم نشرح الى آخره كل يوم مرّتين مرة بعد الغداة ومرة بالعشاء رقية وجع البطن يقرء بسم الله الرحمن الرحيم{وذا النون اذ ذهب

---

[١٤]) نقل هذه الكلمة العجيبة بين الالفاظ العربية والحاق الالقف واللام عليها عجيب.

مغاضباً فظن ان لن نقدر عليه الى آخر الآية} ويقرأ فاتحة الكتاب سبع مرات فانه جيد مجرّب أخرى يقرأ {لئن أنجيتنا لنكوننَ من الشاكرين ان الله بالناس لرؤوف رحيم وننزّل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين}.

رقية وجع الظهر يقرء {شهد الله الى قوله سريع الحساب}، رقية احتباس البول يغسل رجليه ويكتب على ساقه اليسرى {ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر الى قوله لمن كان كفر}، اخرى ربَنا الذي في السماء تقدس اللهم اسمك في السماء والأرض اللهم كما رحمتك في السماء اجعل رحمتك في الأرض اغفر لنا حوبنا وخطايانا انت رب الطيبين انزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على هذا الوجع فليبرأ.

رقية الولادة يقرأ هذه الأدعية في كوز مملوءاً ماء ثلاث مرات وتشرب المرأة ويصيب بين كتفيها وثدييها فتضع الولد ان شاء الله تعالى: بسم الله الذي لااله الا هو العزيز الكريم سبحان الله رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين بسم الله الحليم الكريم سبحان الله رب السماوات ورب العرش الحمد لله ربَ العالمين كأنَهم يوم يرون ما يوعدون.

رقية وجع الركبة عن ابي حمزة قال: عرض لي وجع في ركبتي فشكوت ذلك الى ابي جعفر عليه السلام فقال: اذا انت صلَيت فقال: ياأجود من اعطى ياخير من سئل يا أرحم من استرحم إرحم ضعفي وقلّة حيلتي واعفني من وجعي، قال: ففعلت فعوفيت.

رقية للخنازير عن الرضا عليه السلام قال: خرج بجارية لنا خنازير في عنقها، قال: ياعلي قل لها فلتقل: يارؤوف يارحيم ياسيدي، تكرره قال: فقلت فأذهب الله عزَ وجلَ عنها.

رقية الأبق والضالة روي عن الرضا عليه السلام قال اذا ذهب لك ضالّة فقل {وعنده مفاتح الغيب الى قوله في كتاب مبين}، ثم تقول انَك تهدي من الضلالة وتنجي من العمى وترد الضالّة صلَ على محمَد وآله واغفر لي وردَ ضالّتي وصل على محمد واله وسلَم.

رقيَة العين معمر بن خلاد قال: كنت مع الرضا عليه السلام بخراسان على نفقاته فأمرني ان اتَخذ له غالية فلمّا أخذتها فأعجب بها فنظر اليها فقال لي: يامعمرانَ العين حقَ فاكتب في رقعة الحمد وقل هو الله احد والمعوذتين وآية الكرسي واجعلها في غلاف القارورة. وروي عن ابي عبد الله عليه السلام انَه قال: العين حقَ وليس تأمنها منك على نفسك ولامنك على غيرك، فاذا خفت شيئاً من ذلك فقل: ماشاء الله لاقوّة الا بالله العلي العظيم ثلاثاً وقال: اذا تهيّأ احدكم تهيئة تعجبه فليقرأ حين يخرج من منزله المعوذتين فانّه لايضره باذن الله، وقال عليه السلام من اعجبه من اخيه شيء فليبارك عليه فانَ العين حقَ.

رقية فزع الصبيان اذا زلزلت الى آخر السورة فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عدداً الى قوله امداً وآية شهد الله وقل ادعوا الله ومن يتوكل على الله فهو حسبه انّ الله بالغ امره.

رقية النعاس يقرء ولمّا جاء موسى لميقاتنا الى قوله اول المؤمنين يقرأ على الماء ويمسح به رأسه ووجهه وذراعيه، رقية الصرع ومالنا الاّ نتوكّل على الله الآية.

رقية الثالول يأخذ صاحبه قطعة ملح ويمسحها بالثالول ويقرأ عليه ثلاث مرات لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله الى آخر السورة ويطرحها في تنور وينصرف سريعاً يذهب انشاء الله تعالى.

رقية البرص والجذام يقرأ عليه ويكتب ويعلق عليه بسم الله الرحمن الرحيم يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملئكة رسلاً اولى اجنحة مثنى وثلاث ورباع باسم فلان بن فلانه. شكى رجل الى ابي عبد الله عليه السلام البرص فأمره ان يأخذ طين قبر الحسين عليه السلام بماء السماء ففعل ذلك فبرأ.

رقية البهق يكتب على موضع البهق وان من شيءٍ الاّ عندنا خزائنه ومانّنزّله الا بقدر معلوم هل يسمعونكم اذ تدعون او ينفعونكم او يضرون.

رقية التعب والنصب من لحقه علّة في ساقه او تعب او نصب فليكتب عليه ولقد خلقنا السموات والأرض ومابينهما في ستة ايّام ومامسّنا من لغوب.

رقية الجرب والدمل والقوباء يقرأ عليه ويكتب ويعلّق عليه بسم الله الرحمن الرحيم {ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار} الآية {منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى اكبر وانت لاتكبر والله يبقى وانت لاتبقى والله على كلّ شيء قدير}.

رقية القولنج عن الأئمة عليهم السلام قال: يكتب للقولنج امّ القرآن وقل هو الله احد والمعوذتين ويكتب اسفل ذلك اعوذ بوجه الله الكريم وبعزّته الّتي لاترام وبقدرته الّتي لايمتنع منها شيء من شرّ هذا الوجع ومن شرّ مافيه ومن شرّ ماأجد فيه.

رقية الطحال يقرأ على كفّه اذا جاء نصر الله ثلاث مرات ثم يقرأ انّ الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا الى آخر الآية ثلاث مرّات ثمّ امسح بهما رأسه ثلاث مرات، اخرى يكتب ويعلق على هذا الموضع انّ الله يمسك السموات والأرض الآية انّه من سليمان وانّه بسم الله الرحمن الرحيم.

رقية الحيّة وهي مجربة جرّبناه نحن وغيرنا يقرأ على قدح جديد ان أمكن ويكون فيه ماء والقراءة ثلاث مرات، واذا شربها رسول الملسوع نفعت الملسوع وان كان بعيداً، تقرأ الحمد وقل

هو الله احد وقل ياايها الكافرون وقل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس وتقول باسم الله وبالله ومن الله والى الله ولاباق الا الله ولاواق الا الله ولااله•غائب) الاَ الله لايغلب الله غالب ربَ المشارق والمغارب ثمانية من الملائكة لايأكلون ولايشربون وعن ذكر الله لايفترون يسبّحون ويهللون ويكبرون ويقدّسون سبّوح قدّوس رب الملائكة والروح ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن سمع عندنا راق فاسترقا، فقال: انا الراقي والله الواقي انّه قال: بسم الله الرحمن الرحيم من شر تسعة وتسعين حيّة حيّات البرور وحيّات البحور وحيّات الزروع وحيّات التراب وحيّات الخراب وحيّات الماء وحيّات السماء، واعوذ برب الأبصام من شر البظير والقصير واسود الراس والأرطب والربربة والسلحوت والأقب، ومن شر حوريين وجوريين وشبّان وباران وبهران، ومن شر الأرقم والأدقم والأفقم، ومن شر البثن التي تقرّب النفس من النعش والكفر ومن شر غبراء كالمرة وصفراء كالزهرة، ومن شر ام طاقتين مع ام الخرافس، ومن شر الأسود الخالص كالليل الدامس، ومن شر بنات حربا والسرطانية وحوريا وجوريا، ومن شر الحيّة التي ترقد سنة وتقعد سنة، ومن شر اسود الراس والذنب وابونقطة، ومن شر رئيس الخشاب.

ذكر عندنا آدم انه مشى على الحيّة فلسعته حيّة فاسوّد وجهه وذوا جنبيه وصاح منها صيحة، فسمعه الرب فناداه الشافي السميع العليم وقال: ياآدم هذه من بركات الأرض واشجاره(قسم) نسم الخلائق (بايدا) بادانها بكابكر طلسم طوسان طاب طاب حريا عالم بمشوثا ثويت شميثا غيثا سمخيثا برديثا جافوث(خافر)كهيج كهكهيج آمين رب موسى وهارون فناداه الشافي ايّتها الحيّة الحارّة المارّة عزمت عليك بالله العظيم الأعظم وبكلمات الله الكريم الأكرم وبحق عيسى بن مريم والكعبة وزمزم والركن الأعظم وبمحمّد صاحب الحوض والحرم عودي الى منشرك(بحق أ) بألف لاحول ولاقوة الا بالله العلي العظيم، ايّتها الحيّة اجمعي سمّك في صدرك كما تجتمع الملائكة بالبيت المقدّس كلمة من كلمات الله تحرق الشجر الأخضر فان كان السم في المخ فيخرج الى العظم وان كان في العظم فيخرج ال اللحم وان كان في اللحم فيخرج الى الدم وان كان في الدم فيخرج الى الجلد فيخرج الى الفضا بحق من خلق الفضا وبما نزل بخاتم سليمان بن داوود عليه السلام انه من سليمان وانّه بسم الله الرحمن الرحيم، انَ شربة الملدوغ شفاء ان شربه المندوب كفى بألف لاحول ولاقوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين برحمتك ياأرحم الراحمين.

رقية أخرى بسم الله الرحمن الرحيم قل من يكلؤكم في الليل والنهار من حية وعقرب، وبرية، يادابتي اخرجي ولاتقتلي وتسلسلي وتسبسبي من المفاصل والعظام واظهري وسمة تستحطان ذمة الفلفلي حجا لجا، لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية

الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون، ياايها السم الناقع اخرج بنور لامع، ان كنت بالمخ اخرج الى العظم، وان كنت بالعظم اخرج الى اللحم، وان كنت باللحم اخرج الى الجلد، وان كنت بالجلد اخرج خارجاً بحق ألف لاحول ولاقوة الابالله العلي العظيم، فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم بسم الله الرحمن الرحيم ياثمانية الملائكة لايأكلون ولايشربون وعن ذكر ربهم لايفترون، سبوح سبوح قدوس قدوس ربنا ورب الملائكة والروح، جانا ابونا يسعى فلسعته حية قال اقرأ كلما ياطلس طلوس بكاليك عزمت على تسعة وتسعين حية من حيات المدورات، وعن اناران وامير الحنشاء، وعن الفقم والبقم والأرقم وعن الملك الخافس كالليل الدامس وعن الساقي مع ام خراشا، وعن اللدغة التي ترقد سنة وتقعد سنة يااها السم الناقع اخرج بنور وجه الله الساطع وبالضياء اللامع ان كنت بالمخ اخرج باللحم، وان كنت باللحم اخرج بالدم، وان كنت بالدم اخرج بالريش وايبس يبوس الحشيش وطر طيران الريش بألف لاحول ولاقوة الابالله العلي العظيم، اعوذ بكلمات الله التامات من شر ماخلق الله من الشيطان الرجيم:

كفاك ربك كم يكفيك وكفه ... كميتها ككميت كان من كلكا

تكركراككر الكر في كبدي ... يحكي مشكشكه كلت لك الغلكا

يكفيك ربك كف الكاف كافية ... ياكوكب كان يحكي كوكب الفلكا

ثم تقرأ الفاتحة سبع مرات والأخلاص كذلك وآية الكرسي كذلك وتقول اللهم انا الراقي وانت الواقي وانا الراشف وانت الكاشف انّ شربة الملدوغ شفا وانّ شربة المندوب كفي.

رقية جربت وانا انظر مراراً الى من اراد ان يبقر خده او شيء من اعضاءه فليقرأ على رأس الأبرة هذا الدعاء مرة واحدة بسم الله الرحمن الرحيم يالله ياعزيز يارحيم بحق هذا الأسم العظيم وبحق سليمان راعي الملك العظيم، وبحق ابراهيم الخليل جد الأنبياء والمرسلين وهذا ينفع اذا قرأ على النشتر في حال الفصد.

رقية الفصد اذا تقابلت العساكر فيأخذ رجل قبضة من التراب بيديه كليهما ويقرأ سورة والتين والزيتون ثلاث مرات فاذا فرغ قال: بلى انه على كل شيءٍ حاكم فيرمي التراب الذي في يده اليمنى على الجانب الأيسر، والذي في يده اليسرى على الجانب الأيمن فان العسكر المقابل ينهزم باذن الله تعالى.

رقية اخرى يكتب آيات الفتح غي كاغد ويشد في السهم ويرمي به جانب العدو فانّه ينهزم ان شاء الله تعالى:

الأولى {ألم تر الى الملأ من بني اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله، قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا قالوا اوما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا فلمّا كتب عليهم القتال تولوا الا قليلاً منهم والله عليم بالظالمين}.

الثانية{لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء سنكتب ماقالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق}.

الثالثة {ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلمّا كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله او اشد خشية قالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب، قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولايظلمون فتيلا}.

الرابعة{وأتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق اذ قربا قرباناً فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر، قال لأقتلنك قال انما يتقبل الله من المتقين.

الخامسة { قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاء لاَ يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء خَلَقُواْ كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ}.

السادسة { إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}

رقية لحل المربوط ذكره شيخنا ابن فهد قدس الله روحه يكتب اول سورة الفتح الى مستقيما، وسورة النصر، وقوله من آياته ان خلق لكم من انفسكم الآية ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر فجرنا الأرض عيوناً فالتقى الماء على امر قد قدر، وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا، كذلك حللت فلان بن فلان عن فلانة بنت فلانة لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم، فان تولوا فقل حسبي الله لااله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم.

رقية اخرى يكتب ويعلق اوّل الفتح الى قوله نصراً عزيزا، وفجّرنا الأرض عيوناً فالتقى الماء على امر قد قدر، وجعلنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصور فجمعناهم جمعاً،

وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحيها الذي أنشأها اول مرّة وهو بكل خلق عليم، ثم يكتب حتى اذا ركب في السفينة خرقها قال أخرقتها لتغرق أهلها ثلاثاً ثم يكتب اللهم اني اسئلك بحق اسمك المنكنون بين الكاف والنون، وبحق محمّد واهل بيته الطاهرين ان تحل ذكر فلان بن فلانة عن فلانة بنت فلان بكهيعص بحمعسق بقل هو الله احد، وعنت الوجوه للحي القيّوم وقد خاب من حمل ظلماً بألف لاحول ولاقوة الابالله العلي العظيم.

اخرى يكتب على ورقتين من الزيتون يبلغ الرجل واحدة والمرأة واحدة يكتب للرجل والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون، وللمرأة والأرض فرشناها فنعم الماهدون.

اخرى يكتب على ثلاث بيضات بعد ان يسلقوا ويقشروا: الأولى حتى اذا ركبا في السفينة خرقها الآية. الثانية اولم ير الذين كفروا ان السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيءٍ حي افلا يؤمنون، الثالثة فاستغلظ فاستوى الآية ثم يأكل الأولى فان انحلَ والا اكل الثانية فان حل والا اكل الثالثة والرقيات المأثورة عن اهل البيت عليهم السلام كثيرة ولكن ماذكرناه مما لاشك فيه ولاريب يعتريه.

نور آخر في طب الرضا (ع) وضعه للمأمون

نقلتها بلفضها وهذه الرسالة الذهبية(المذهبية) في الطب الذي بعث به الأمام الهمام علي بن موسى الرضا عليه السلام الى المأمون العباسي في صحة المزاج وتدبيره بالأغذية والأشربة والأدوية، قال امام الأنام عزة وجه الأسلام، مظهر الغموض بالرؤية اللامعة كاشف الرموز في الجعفر الجامعة، اقضى من قضى بعد جده المصطفى صلى الله عليه وآله وأغزى من غزى بعد ابيه المرتضى صلوات الله وسلامه عليه وآله امام الأنس والجن علي بن موسى الرضا صلوات الله وسلامه عليه وعلى آبائه وأولاده النجباء الكرام النقباء: أعلم ياأمير المؤمنين ان الله تعالى لم يبتل العبد ببلاء حتّى جعل له دواء يعالج به، ولكل صنف من الداء صنف من الدواء وتدبير ونعت، وذلك ان الأجسام الأنسانية جعلت على مثال الملك فملك الجسد في القلب والعمال العروق والأوصال والدماغ، وبيت الملك قلبه وأرضه الجسد والأعوان يداه ورجلاه وعيناه وشفتاه ولسانه واذناه، وخزانته معدته وبطنه وحجابه صدره، فاليدان عونان يقربان ويبعدان ويعملان على ما يوحي اليهما الملك والرجلان ينقلان الملك حيث يشاء والعينان يدلان على مايغيب عنه لأن الملك من وآراء حجاب لايوصل اليه الا بهما وهما سراجاه ايضاً، وحصنه الجسد وحرزه الأذنان لايدخلان على الملك الا مايوافقه لأنهما لايقدران ان يدخلا شيئاً حتى يوحي الملك اليهما، فاذا اوحى اليهما اطرق الملك

منصتاً لهما حتى يسمع منهما ثم يجيب مايريد فترجم عنه اللسان بأدوات كثيرة منها ريح الفؤاد وبخار المعدة ومعونة الشفتين وليس للشفتين قوة الا بالأسنان وليس يستغنى بعضهما عن بعض والكلام لايحسن الا بترجيعه بالأنف لأن الأنف يزيّن الكلام كما يزين النفخ المزمار وكذلك المنخران هما ثقبتا الأنف يدخلان على الملك مايحب من الريح الطيبة، فاذا جاءت ريح تسوء على الملك اوحى الى اليدين فحجبا بين الملك وتلك الريح وللملك مع هذا ثواب وعقاب، فعذابه اشد من عذاب الملوك الظاهرة القاهرة في الدنيا وثوابه افضل من ثوابهم فاما عذابه فالحزن واما ثوابه فالفرح واصل الحزن في الطحال واصل الفرح في الثرب[١٥]الكليين ولهما عرقان موصلان الى الوجه، فمن هناك يظهر الحزن والفرح فترى علامتيهما في الوجه وهذه العروق كلها طرق من العمال الى الملك ومن الملك الى العمال ومصداق ذلك انه اذا تناولت الدواء ادنه العروق الى موضع الداء بإعانتها،

وأعلم ياأمير المؤمنين ان الجسد بمنزلة الأرض الطيبة متى تعوهدت بالعمارة والسقي من حيث لايزاد في الماءفيغرق ولاينقص منه فيعطش دامت عمارتها وكثر ريعها وزكى ونما زرعها، وان تغوفل منه فسدت ولم ينبت فيها العشب، فالجسد بهذه المنزلة وبالتدبير بالأغذية والأشربة يصلح ويصح وتزكو العافية فانظر ياأمير المؤمنين مايوافقك ويوافق معدتك ويقوى عليه بدنك ويستمرئه من الطعام فقدره لنفسك واجعله غذائك.

وأعلم ياأمير المؤمنين ان كل واحدة من هذه الطبائع تحب مايشاكلها فأعتد ما يشاكل جسدك.ومن أخذ الطعام زيادة لم يغذه ومن اخذه بقدر لازيادة ولانقص عليه نفعه وكذلفك الماء سبيله ان تأخذ من الطعام كفايته في اباّه ووقته وادفع يديك منه وعندك اليه ميل فانّه اصلح لمعدتك وبدنك وأزكى لعقلك، واخفَ على جسمك يا أمير المؤمنين كل البارد في الصيف والحار في الشتاء والمعتدل في الفصلين على قدر قوتك وشهوتك، وابدء في أوّل الطعام بأخفَ الأغذية الّتي تتغذى بها بقدر عادتك وبحسب طاقتك ونشاطك وزمانك الذي يجب ان يكون في كلّ يوم عند مايمضي من النهار ثمان ساعات أكلة واحدة او ثلاث اكلات في يومين تتغذى باكراً في اوّل يوم تتعشى، فاذا كان في اليوم الثاني فعندما مضى ثمان ساعات من النهار أكلت أكلة واحدة ولم تحتج الى العشاء كذا أمر جدي محمد المصطفى ﷺ وعلي صلوات الله عليه في كلّ يوم وجبة وفي غده وجبتين وليكن ذلك بقدر لايزيد ولاينقص، وارفع يدك من الطعام وانت تشبهه وليكن شرابك على اثر طعامك من هذا الشراب الصافي العتيق الّذي يحل شربه وانا أصفه فيما بعد ونذكر الآن

---

(١٥) الثرب على وزن فلس شحم رقيق على الكرش والامعاء.

ما ينبغي ذكره من تدبير فصول السنة وشهورها الرومية الواقعة فيها في كلّ فصل على حده، وما يستعمل من الأطعمة والأشربة وما يتجنب منه وكيفيّة حفظ الصحة من أقاويل القدماء ونعود الى قول الأئمة عليهم السلام في صفة شراب يحل شربه ويستعمل بعد الطعام.

ذكر فصول السنة امّا فصل الربيع فانّه روح الزمان واوّله ازار وعدة ايّامه احد وثلاثون ايّاماً وفيه يطيب الليل والنهار ويلين ويذهب سلطان البلغم، ويهيج الدم ويستعمل فيه الغذاء اللطيف واللحوم والبيض ال(نيم برشت) ويشرب بعد تعديله، ويتّقى فيه أكل البصل والثوم والحامض ويحمد فيه شرب المسهل ويستعمل فيه الفصد والحجامة.

نيسان ثلاثون يوماً فيه يطول النهار ويقوي مزاج الفصل ويتحرك الدم وتهبّ فيه الريّاح الشرقية ويستعمل فيه الماكل المشوي ومايعمل بالخل ولحوم الصيد ويعالج الجماع والتمريخ بالدهن في الحمام، ويشرب الماء على الريق وتشم الرياحين والطيب، أيار أحد وثلاثون يوماً تصفوا فيه الرياح وهو آخر فصل الربيع وقد نهى عن الملوحات واللحوم الغليظة كالرؤوس ولحوم البقر واللبن، وينفع فيه دخول الحمام أوّل النهار وتكره فيه الرياضة قبل الغذاء، حزيران ثلاثون يوماً يذهب فيه سلطان الدم ويقبل زمان المرّة الصفراء، وينهى فيه عن التعب وأكل اللحم دائماً والأكثار منه، وشم المسك والعنبر، وينفع فيه أكل البقول الباردة كالهندباء والبقلة الحمقاء؟وكل الخضر كالخيار والقثاء والشيرخشت، والفاكهة الرطبة، واستعمال المحمضات، ومن اللحوم لحم المعز الفني والجدي ومن الطيور دجاج والطيهوج والدراج والألبان والسمك الطري.

تموز أحد وثلاثون يوماً فيه شدة الحرارة وتفور المياه ويستعمل فيه شرب الماء البارد على الريق، وتؤكل فيه الأشياء الباردة، ويكثر فيه مزاج الشراب وتؤكل فيه الأغذية السريعة الهضم كما ذكر في حزيران، آب أحد وثىثون يوماً، فيه تشتّد السموم ويهيج الزكام بالليل، وتهب الشمال، ويصلح المزاج بالتبريد والترطيب وينفع فيه شرب اللبن الرائب، ويجتنب فيه الجماع والمسهل، ويقل من الرياضة وتشم الرياحين الباردة، أيلول ثلاثون يوماً فيه يطيب الهوى ويقوى سلطان المرأة السوداء ويصلح شرب المسهل، وينفع فيه اكل الجلاب واصناف اللحوم المعتدلة كالجدي والحوالي من الظأن، ويجتنب لحم البقر والأكثار من الشوى ودخول الحما، ويستعمل فيه الطيب المعتدل المزاج، ويجتنب فيه اكل البطيخ والقثاء.

تشرين الأول احد وثلاثون يوماً فيه تهب الرياح المختلفة، ويتنفس فيه ريح الصبا، ويجتنب فيه الفصد وشرب الدواء ويحمد في الجماع، وينفع اكل اللحم السمين والرمان المز والفاكهة بعد الطعام، ويستعمل فيه من اكل اللحوم بالتوابل ويقلل فيه من شرب الماء وتحمد فيه الرياضة، تشرين الثاني ثلاثون يوماً فيه يقع المطر الموسمي ونهي فيه عن شرب الماء في الليل، ويقلل فيه من

دخول الحمام والجماع، ويشرب كل يوم بكرة جرعة ماء حار، ويجتنب فيه اكل البقول الحارة كالكرفس والنعناع والجرجير، كانون الأول احد وثلاثون يوماً تقوى فيه العواصف ويشتد فيه البرد، وينفع فيه كل ما ذكر في تشرين الثاني، ويحذر فيه من اكل الطعام البارد، ويتقى فيه الحجامة والفصد، وتستعمل فيه الأغذية الحارة بالقوة والفعل، كانون الثاني احد وثلاثون يوماً يقوى فيه غلبة البلغم، وينبغي ان يتجرع فيه الماء الحار على الريق، ويحمد فيه الجماع، وينفع فيه الأحساء مثل البقول الحارة كالكرفس والجرجير والكراث، وينفع فيه دخول الحمام اول النهار والتمريخ بدهن الخيري وماناسبه، ويحذر فيه الحلو واكل السمك الطري واللبن، شباط ثمانية وعشرون يوماً تختلف فيه الرياح وتكثر الأمطار، ويظهر فيه العشب ويجري فيه الماء في العود، وينفع فيه اكل الثوم ولحم الطير والصيود والفاكهة اليابسة، ويقلل من اكل الحلاوات، وتحمد فيه كثرة الحركة والرياضة.

صفة الشراب الذي يحل شربه واستعماله بعد الطعام وقد تقدم ذكر نفعه عند ابتدائنا بالقول على فصول السنة وما يعتد فيها من حفظ الصحة وصفته ان يؤخذ نمن الزبيب المنقَى عشرة ارطال فيغسل وينقع بماء صاف غمرة وزيادة عليه اربعة اصابع ويترك فيه اناءه ذلك ثلث ابام في الشتاء وفي الصيف يوم وليلة، ثم يجعل في قدر نظيف، وليكن الماء ماء السماء ام قدرت عليه والا فمن الماء العذب الذي ينبوعه من ناحية المشرق ماء براقة ابيض خفيفاً وهو القابل لما يعرضه على سرعة من السخونة والبرودة، وتلك دلالة على خفَة الماء، ويطبخ حتَى ينتفخ الزبيب وينضج، ثم يعصر ويصفى مأواه ويبرد، ثم يرد الى القدر ثانياً ويؤخذ مقداره بعود ويغلى بنار لينة غلياناً رقيقاً حتى ينضي ثلثاه، ثم يؤخذ من العسل المصفَى رطال فيلقى عليه ويؤخذ مقدار الماء الى أي كان من القدر ويغلى حتى يذهب قدر العسل ويعود الى حد، ويؤخذ خرقة ضعيفة فيجعل فيها زنجيل وزن درهم، ومن القرنفل نصف درهم، ومن الألدار جينا مثله، ومن الزعفران درهم، ومن السنبل نصف درهم، ومن الهندباء مثله، ومن المصطقى نصف درهم بعد ان يستحق كل واحد على حده، وينخل ويجعل في خرقة ويشد بخيط شداً جيداً ويلقى فيه وتمرس الخرقة في الشراب بحيث تنزل القوى العقاقير التي فيها ولايزال يعاهد بالتحريك على نار لينة برفق حتَى يذهب منه مقدار العسل ويرفع ويزداد ماء ويؤخَر مدة ثلاثة شهور حتَى يتداخل مزاجه بعضه في بعض، وحينئذ يستعمل ومقدار ما يشرب منه اوقية الى اوقيتين من الماء القراح، فاذا اكلت ياأمير المؤمنين مقدار ماوصفت لك من الطعام فاشرب من هذا الشراب مقدار ثلاثة اقداح بعد طعامك، فاذا فعلت ذلك فقد امنت باذن الله تعالى يومك وليلتك من الأوجاع الباردة المزمنة كالنقرس والرياحوومثل ذلك من اوجاع الكبد والطحال والأمعاء والأحشاء والعصب والدماغ والمعدة،

فان صدقت بعد ذلك شهوة الماء فليشرب نصف ماكان يشرب قيل أنّه أصلح لبدن امير المؤمنين واكثر لجماعة واشد لضبطه وحفظه وان صلاح البدن يكون بالطعام والشراب وفساده بهما فان اصلحتهما صلح البدن وان افسدتهما فسد البدن.

وأعلم ياأمير المؤمنين انّ قوة النفوس تابعة لأمزجة الأبدان، وان الأمزجة تابعة للهوى، ويتغير بحسب تغيير الهواء في الأمكنة فاذا برد الهوى مرة وسخن أخرى تغيرت بسببه امزجة الأبدان وأثر ذلك تغيير في القوى، فان كان الهوى معتدلاً أعتدلت امزجة الأبدان وصلحت تصرفات الأمزجة في الحركات الطبيعية كالهضم والجماع والنوم والحركة وسائر الحركات لأن الله تعالى بنى الأجسام على اربع طبائع وهي المرتان والدم والبلغم، وبالجملة حاران وباردان قد خولف مابينهما فجعل الحارين ليناً ويابساً وكذلك الباردين رطباً ويابساً ثم فرق فوق ذلك على اربعة اجزاء من الجسد على الرأس والصدر والشراسيف واسفل البطن. وأعلم ياأمير المؤمنين انّ الرأس والأذنين والعينين والمنخرين والفم والأنف من الدم، وان الصدر من البلغم والريح، وان الشراسيف من المرّة الصفراء، وان اسفل البطن من المرّة السوداء، واعلم ياأمير المؤمنين ان النوم سلطان الدماغ وهو قوام الجسد وقوته، فاذا اردت النوم فليكن انضجاعك على شقك الأيمن ثم انقلب على الأيسر وكذلك قم من مضجعك كما بدأت به بعد نومك، وعوّد نفسك القعود من الليل ساعتين، وادخل الخلاء لحاجة الأنسان والبث فيه بقدر حاجتك ولاتطل فيه فان ذلك يورث الداء الدفين.

واعلم ياأمير المؤمنين ان اجود ما استكت به ليف الا رآك فانه يجلي الأسنان ويطيّب النكهة ويشد اللثة ويسمنها، وهو نافع من الحفر اذا كان معتدلاً ولـلا كثار منه يرفق الأسنان ويزعزعها ويضعف اصولها فمن اراد حفظ الأسنان فليأخذ قرن الأبل محروقاً وكذا مارجا(مارخا) وسعد او وردى وسنبل الطيب وحب الأثد(ثل) أجزاء سواء، وملحا اندريانا ربع جزء فيدق الجميع ناعماً وبستن به فانّه ينفع الأنسان ويمسكها ويحفظ أصولها من الآفات والعاهات العارضة، ومن اراد ان يبيض أسنانه فليأخذه جزء ملحاً اندرايانا ومثله زبد البحر وليسحقهما ناعماً ويستن بهما.

واعلم ياأمير المؤمنين انّ احوال الأنسان الّتي بناه الله تعالى عليها وجعله متصرفاً بها اربعة احوالكالحالة الأولى خمسة عشر سنة، وفيها شبابه وحسنه وبهاؤه وسلطان الّد في جسمه، ثمّ الحالة الثانية من خمسة عشر الى خمسة وثلاثين سنة، وفيها المرّة الصّفراء وقوة غلبتها وهي أقوى مايكون، ولايزال كذلك حتّى يستوفي المدّة المذكورة ثمّ يدخل في الحالة الثالثة الى ان تتكامل مدة العمر ستين سنة، فيكون في سلطان المرّة السّوداء وهو سن الحكمة والمعرفة والدراية وانتظام الأمور وصحّة النظر في العواقب وصدق الرأي وثبات الجأش في التصرفات، ثمَ يدخل في الحالة

الرابعة وهو سلطان البلغم وهي الحالة الّتي لايتحول منها مابقي الاّ الى الهرم ونكد العيش، ونقص من القوة وفساد في كونه ونكسه، انّ كلّ شيءٍ كان لايعرفه حتى يعود ينام عند القعود ويسهر عند النوم ولايتذكر مايتقدم، وينسى مايحدث من(في)الأوقات، ويزيل عوده، ويتغير معهوده، ويجف ماء رونقه وبهائه ويقل نبت شعره وأظفاره، ولايزال في جسمه انعكاس وادبار ماعاش لأنّه في سلطان البلغم وهو بارد جامد، فبروده وجموده يكون فناء كلّ جسم يستولي عليه في آخر القوةالبلغميّة وقد ذكرت للأمير مايحتاج اليه في سياسة المزاج واحوال جسمه وعلاجه.

وانا اذكر مايحتاج الى تناوله من الأغذية والأدوية ومايجب ان يفعله في أوقاته، فاذا اردت الحجامة فليكن في إثنتي عشرة ليلة من الهلال الى خمسة عشرة، فانّه أصحّ لبدنك، فاذا نقص الشهر فلا تحتجم الاّ ان تكون مضطراً الى ذلك وهو لأنّ الدم ينقص في نقصان الهلال ويزيد في زيادته، ولتكن الحجامة بقدر مايمضي من السنين ابن عشرين سنة يحتجم في كل عشرين يوماً، وابن ثلاثين سنة يحتجم في كل ثلاثين يوماً مرّة واحدة، وكذلك ابن الأربعين سنة يحتجم في كلّ اربعين يوماً فما زاد فبحسب ذلك.

واعلم ياأمير المؤمنين ان الحجامة انّما يؤخذ دمها من صغار العروق المبثوثة في اللّحم ومصداق ذلك انها لاتضعف القوة كما يوجد من الضعف عند الفصد، والحجامة النقرة تنفع من ثقل الرأس والوجه والعينين وهي نافعة الوجع الأضراس، وربّما ناب الفصد عن جميع ذلك، وقد يحتجم تحت الذقنين لعلاج القلاع في الفم ومن فساد تلك اللثة وغير ذلك من أوجاع الفم، وكذلك الحجامة بين الكتفين ينفع من الخفقان الّذي يكون من الأمتلاء والحرارة، والذي على الساقين قد ينقص من الأمتلاء نقصاناً بيّناً وينفع من الأوجاع المزمنة في الكلأ والمثانة والأرحام، ويدرّ الطمث غير انّها تنهك الجسد وقد يعرض منها الغشي الشديد الا انّها تنفع ذوي الثبور والدماميل، والّذي يخفف من ألم الحجامة تخفيف المص أوّل ماتضع المحاجم، ثمّ يدر المص قلسلاً والثواني أزيد من المص في الأوائل وكذا الثوالث فصاعداً، ويتوقف عند الشرط حتّى يحمرّ الموضع جيداً بتكرير المحاجم ويلين المشرط على جلود لينة ويمسح الموضع قبل شرطه بالدهن وكذا الفصد، ويمسح الموضع الذي فيه بدهن فانّه يقلّل من الألم، وكذلك يلين المشرط والمبضع بالدهن عند الحجامة والفراغ منها يلين الموضع بالدهن وليقطر على العروق اذا فصد شيئاً من الدهن كيلا يحتجب فيضرّ ذلك المقصود ويعتمد الفاصد أن يفصد من العروق ماكان في مواضع قليلة اللحم لأنّ في قلة اللحم من قوق العروق قلة الألم، واكثر العروق ألماً اذا فصد حبل الذراع والقيفال لأتّصالهما بالعضل(بالعضد) وصلابة الجلد.

واما الباسليق والأكحل فانّهما في الفصد أقلّ ألماً لما لم يكن فوقهما لحم، والواجب تكميل الفصل(الفصد) بالماء الحارّ ليظهر الدم وخاصّة في الشتاء فانّه يليّن الجلد ويقلّل الألم، ويسهّل الفصد ويجب في كلّ ماذكرناه من اخراج الدم اجتناب النساء قبل ذلك باثني عشر ساعة ويحتجم في يوم صاح صاف لأغيم فيه ولاريح شديدة، ويخرج من الدم بقدر مايرى تغييره ولاتدخل يومك ذاك الحمّام فانّه يورث الداء وأصبب على رأسك وجسدك الماء الحار ولاتفعل ذلك من ساعتك، وايّاك والحمّام اذا احتجمت فانّ الحمة الدائمة تكون فيه، فاذا اغتسلت من الحجامة فخذ خرقة فرعوني فالقها على محاجمك، وثوباً ليناً من قزّ وغيره وخذ قدر حمّصة من الترياق الأكبر فاشربه به ان كان شتاء، وان كان صيفاً فاشرب السكنجبين من العنصلي فانّه الترياق الأكبر، وامزجه بالشراب المفرّح المعتدل وتناوله او بشراب الفاكهة فان تعذّر ذلك فشراب الأترج، فان لم تجد شيئاً من ذلك فتناوله بعد علكة ناعماً تحت الأسنان واشرب عليه سكنجبينا عسلياً فانّك متى فعلت ذلك آمنت من للّقوة والبرص والبهق والجذام باذن الله تعالى، وامتص من الرمان المزّ فانّه يقوي القلب ويجيء بالدم، ولاتأكل طعاماً مالحاً بعد ذلك بثلاث ساعات فانّه يخاف ان يعرض من ذلك الجرب، وان كان عشاء فكل الطباهيج(هج)اذا إحتجمت واشرب عليه من الشراب الزكي الذي ذكرته لك اولاً، وادهن بدهن الخيري وشيء من المسك وماء بارد صب منه على هامتك ساعة فراغك من الحجامة، وامّا بالصيف فاذا احتجمت فكل السكباج والهلام والمصوص ايضاً والحامض، وصبّ على هامتك دهن بنفسج بماء الورد وشيء من الكافور واشرب من ذلك الشراب الذي وصفت لك بعد طعامك، وايّاك وكثرة الحركة والغضب ومجامعة النساء يومك.

واحذر ياأمير المؤمنين ان تجمع بين البيض والسمك في المعدة في وقت واحد فانهما متى اجتمعا في جوف انسان ولد عليه النقرس والقولنج والبواسير والأضراس واللبن والبييذ الذي يشربه أهله اذا أجتمعا ولد النقرس والبرص، ومداومة اكل البصل يعرض منه الكلف في الوجه، وأكل الملوحة واللحمان المملوحة واكل السمك المملوح بعد الفصد والحجامة يعرض منه البهق والجرب، واكل كليّة الغنم واجواف الغنم يعكّر المثانة ودخول الحمام على البطنة يوجب القولنج، والأغتسال بالماء البارد بعد اكل السمك يورث الفالج، واكل الأترج في الليل يقلب العين ويوجب الحول واتيان المرأة الحائض يورث الجذام في الولد الجماع بعد الجماع من غير بينهما بغسل يورث الولد الجنون، وكثرت أكل البمض وادمانه يولد الطحال ورياحه في رأس المعدة والأمتلاء من البيض المسلوق يورث الربو والأبتهاء، واكل اللحم النيّ يورث الدود واكل السين(التين) يقمّل منه الجسد اذا ادمن عليه وشرب الماء البارد عقيب الشيء الحار او الحلاوة يذهب الأسنان، والأكثار من لحوم الوحش والبقر يورث تغيير العقل وتحيير الفهم ويبلد الذهن وكثرة النسيان،

واذا اردت دخول الحمام وان لاتجد في رأسك مايؤذيك فأبدأ عند دخول الحما بخمس جرع من الماء الفاتر فانَك تسلم بإذن الله تعالى من وجع الرأس والشقيقة، وقدر خمس أكف ماء حار تصبها على رأسك عند دخول الحمّام.

وأعلم ياأمير المؤمنين انّ الحمّام ركّب على تركيب الجسد على اربع بيوت مثل اربع طبائع الجسد: البيت الأول بارد يابس، البيت الثاني بارد رطب، الثالث حار رطب، الرابع حار يابس، ومنفعة الحمّام عظيمة تؤدي الى الأعتدال وتنقي الدرن، وتليّن العصب والعروق وتقوي الأعضاء الكبار، وتذيب الفصول وتذهب العفن، فاذا اردت ان لايظهر في بدنك بثرة ولابخر فابدأ عند دخول الحمّام بدهن بدنك بدهن البنفسج، واذا اردت استعمال النورة ولايصيبك قروح ولا شقاء ولاسواد فاغتسل بالماء البارد قبل التنوير ومن اراد دخول الحمام للنورة فليجتنب الجماع قبل ذلك باثني عشر ساعة وهو يوم تام، وليطرح في النورة شيئاً من البصر والقاقيا والحضض او يجمع ذلك ويأخذ منه اليسير اذا كان مجتمعاً ومتفرقاً، ولايلقي في النورة شيء يابس، او يجمع ذلك اجزاء يسيرة مجموعة او متفرقة بقدر مايشرب الماء رائحة، وليأكل الزرنبخ مثل سدس النورة ويدلّك الجسد بعد الخروج منها بشيء يقلع رائحتها كورق الخوخ، ويبخّر العصفر او السعد الحنا والورد والسنبل مفردة ومجتمعة، ومن اراد ان يأمن احراق النورة فلقلل من تقليبها وليبادر اذا عمل في غسلها وان يمسح البدن بشيءٍ من دهن الورد، فانّ احرقت والعياذ بالله يؤخذ عدس مقشّر يسحق ناعماً ويداف بماء ورد وخل ويطلى به الموضع الذي اثّرت به النورة فانه يبرأ بإذن الله والذي يمنع من آثار النورة في الجسد هو ان يدلك الموضع بخل العنب الثقيف[١٦] ودهن الورد دلكاً جيداً.

ومن اراد ان لايشتكي مثانته فلا يحبس البول ولو على ظهر دابة، وان لاتؤذيه فلا يشرب على طعامه حتى يفرغ منه، من فعل ذلك رطّب بدنه وضعفت معدته، ولم تؤخذ العروق قوة من الطعام فانه يصير في المعدة فجا اذا صب الماء على الطعام اوّلاً.

ومن اراد ان لايجد الحصى وعسر البول فلا يحبس المني عند نزول الشهوة ولايطيل المكث على النساء، من اراد ان يأمن وجع السفل ولايظهر به رياح البواسير فليأكل كل ليلة سبع تمرات برني بسمن البقر، ويدهّن بين انثييه بدهن زئبق خالص ومن اراد ان يزيد حفظه فليأكل سبع مثاقيل زبيباً بالغداة، ومن اراد ان يقل نسيانه ويكون حافظاً فليأكل كل يوم ثلاث قطع زنجبيل مربى بعسل ويصطبغ بالخردل مع طعامه في كل يوم، ومن اراد ان يزيد في عقله فليتناول في كل

---

(١٦) الثقيف الحامض جداً

يوم سكر بلوج، ومن اراد ان لاينشق ظفره ولايميل الى الصفرة ولايفسد حول ظفره فلا يقلَم اظفاره الا يوم الخميس، ومن اراد ان لا تلومه اذنه فليجعل فيها عند النوم قطنة، ومن اراد ردع الزكام مدة ايام الشتاء فليأكل يوم ثلاث لقم من الشهد.

واعلم ياأمير المؤمنين ان للعسل دلائل يعرف بها نافعه من ضاره، وذلك انَ منه شيئاً اذ ادركه الشم عطش، ومنه شيء يسكر، وله عند الذوق حراقة شديدة فهذه الأنواع من العسل قاتلة ولاتؤخَر شم النرجس فانَهم يمنع الزكام في مدَة ايَام الشتاء وكذلك الحبَة السوداء، واذا خاف الأنسان الزكام في زمان الصيف فليأكل كلَ يوم خيارة وليحذر الجلوس في الشمس.

ومن خشي من الشقيقة والشوصة فلابدَ من أكل السمك الطري صيفاً كان اوشتاء، ومن اراد ان يكون صالحاً خفيف اللَحم فليقلل من عشائه بالليل، ومن اراد ان لايشتكي سرَته فليدهنها متى دهن رأسه، ومن اراد ان لاتنشق شفتاه ولايخرج منهما ناسور فليدهن حاجبيه متى دهن رأسه.

ومن اراد ان لاتسقط اذناه ولهاته فلا يأكل حلواً حتَى يتغرغر بالخلَ، ومن اراد ان لاتفسد اسنانه فلا يأكل حلواً الاَ بعد خبز، ومن اراد ان لايصيبه اليرقان فلا يدخل بيتاً في الصيف حين أوَل مايفتح، ولايخرج منه اول مايفتح بابه في الشتاء غدوة، ومن اراد أن لايصيب ريحاً في بدنه فليأكل الثوم كلَ سبعة ايَام مرَة، ومن اراد أن يستمري طعامه فليتك بعد الأكل على شقَه الأيمن ثمَ ينقلب على شقَه الأيسر حين ينام.

ومن اراد ان يذهب البلغم من بدنه وينقصه فليأكل كل يوم بكرة شيئاً من الجوارش اطريفل، ويكثر دخول الحمام ومضاجعة النساء والجلوس في الشمس ويجتنب كل بارد من الأغذية فانَه يذيب البلغم ويحرقه، ومن اراد ان يطفي لهب الصفراء فليأكل كل يوم شيئاً رطباً وبارداً وليناً ويروح بدنه، ويقلل الحركة، ويكثر النظر الى من يحب، ومن اراد ان يحرق السوداء فعليه بكثرة القي وفصد العروق ومداومة النورة، ومن اراد ان يذهب بالريح الباردة فعليه بالحقنة والأدهان اللينة على الجسد، وعليه بالتمكيد بالماء الحار في الأبزن، ومن أراد ان يذيب البلغم فليتناول بكرة كل يوم من الأطريفل الصغير مثقالاً واحداً.

واعلم ياأمير المؤمنين ان المسافر ينبغي له ان يحترز في الحرَ اذا سافر وهو ممتل من الطعام ولاخالي الجوف وليكن على حدَ الأعتدال وليتناول من الأغذية الباردة مثل الفريض والهلام والخل والزبيب وماء الحصرم ونحو ذلك من الأطعمة الباردة .

واعلم ياأمير المؤمنين انَ السَير الشديد في الحرَ الشديد ضارَ بالأبدان الملهوسة اذا كانت خالية من الطعام، وهو نافع في الأبدان الخصبة فامَا صلاح المياه للمسافر مع دفع الأذى عنه فهو

ان لايشرب الماء من ماء كلَ منزل الاّ بعد ان يمزجه ماء المنزل الذي قبله، او بشراب(بتراب) واحد غير مختلف يشربه بالمياه على إختلافها، والواجب ان يتزوّد المسافر من تربة بلده وطينه التي ربى(بربي) عليها وكلّما ورد الى منزل طرح في إنائه الّذي يشرب منه الماء شيئاً من الطين الذي تزوده من بلده، ويتعاهد الماء والطين في الآنية بالتحريك ويؤخر قبل شربه حتّى يصفو صفاءً جيداً، وخير المياه شرباً لمن هو مقيم او مسافر ماكان ينبوعه من الجهة الشرقية الخفيف الأبيض، وأفضل المياه ماكان مخرجها من مشرق الشمس الصيفي، وأوضحها وأفضلها ماكان بهذا الوصف الذي ينبع منه وكان مجراه في جبال الطين وذلك انّها تكون في الشتاء باردة وفي الصيف مليّة البطن نافعة لأصحاب الحرارة.

وامَا الماء المالح والمياه الثقيلة فانّها تيبس البطن، ومياه الثلوج والجليد رديّة لسائر الأجساد كثيرة الضرر جداً، وأما مياه الجبّ فانّها عذبة صافية نافعة ان دام جريها ولم يدم حبسها في الأرض، وامّا البطايخ والسباخ فانّها حارّة غليظة في الصيف لو كررها وداوم طلوع الشمس عليها، وقد يتولد علي من دوام شربها المرّة الصفراوية وتعظم به أطلحتهم(اطحلتهم)، وقد وصفت لك ياأمير المؤمنين فيما تقدّم من كتبي هذا مافيه كفاية لمن أخذ به.

وانا ذاكر من الجماع فلا تقرب النساء من اول الليل صيفاً ولاشتاء وذلك لأنّ المعدة والعروق تكون ممتلئة وهو غير محمود، ويتولد منه القولنج والفالج واللقوة والنقرس والحصاة والتقطير والفتق وضعف البصر ورقته، فاذا أردت ذلك فليكن في آخر الليل فانّه أصلح للبدن وأرجى للولد، وأزكى للعقل في الولد الذي يقضي الله بينهما، ولاتجامع امرأة حتى تلاعبها وتكثر ملاعبتها وتعمز ثدييها فانك اذا(ان) فعلت ذلك غلبت شهوتها واجتمع ماؤها، لأنّ ماؤها يخرج من ثدييها، والشهوة تخرج من من وجهها وعينيها، واشتهت منك مثل الذي اشتهيت(تشتهبه) منها، ولاتجامع النساء الاّ طاهرة فاذا فعلت ذلك فلا تقم قائماً ولاتجلس جالساً ولكن تميل على يمينك ثمّ انهض مسرعاً الى البول من ساعتك فانّك تأمن الحصاة باذن الله تعالى، ثمّ أغتسل من ساعتك(ثم) واشرب من الموميائي بشراب العسل او بعسل منزوع الرغوة فانّه يردّ من الماء مثل الذي خرج منك.

واعلم ياأمير المؤمنين انّ جماعهنّ والقمر في برج الحمل او في الدّار من البروج أفضل وخير من ذلك ان يكون في برج الثور لكونه شرف القمر، ومن عمل بما وصفت في كتابي هذا ودبّر به جسده أمن باذن الله تعالى من كلّ داء وصحّ جسمه بحول الله تعالى وقوّته، فانّ الله يعطي

العافية ويمنحها اياه، والحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين، وصلى الله على سيدنا محمد واله الطيبين الطاهرين[١٧].

نور آخر في مقدمة من مقدمات هادم اللذات وهي الأجل

اعلم ارشدك الله تعالى انّ الكلام هنا يقع في مقامين: الأوّل في قبوله الزيادة والنقصان فقد تعارضت فيه الآيات ظاهراً وكذا الأخبار، قال الله تعالى ولكلّ امّة أجل فاذا جاء اجلهم لايستأخرون ساعة ولايستقدمون، وقال تعالى{ومايعمّر من معمّر ولا ينقص من عمره الاّ في كتاب}، ففيها تعارض بحسب الظاهر، وامّا الأخبار فروي انّ انّ من يموت بالذنوب أكثر ممن يموت بالآجال، ومن يعيش بالأحسان أكثر ممّن يعيش بالأجل.

وفي حديث آخر انّه يكون قد بقي من عمر أحدكم ثلاث سنين فيصل رحمه أو يفعل شيئاً من انواع البر فيمحو الله الثلاث ويثبت له ثلاثين، وقد يكون بقي من عمره ثلاثون سنة فيقطع رحمه او يعقّ والديه فيمحو منه الثلاثين ويثبت له ثلاثاً.

وفي حديث آخر انّه يكون قد بقي من عمر أجدكم ثلاث سنين فيصل رحمه أو يفعل شيئاً من أنواع البرّ فيمحو الله الثلاث له ثلاثين، وقد يكون بقي من عمره ثلاثون سنة فيقطع رحمه او يعقّ والديه فيمحو منه الثلاثين ويثبت له ثلاثاً.

وفي حديث آخر انّ الله سبحانه يمدّ للمؤمن في عمره ماعلم انّ الحياة خير له فاذا علم انّ في حياته إرتكاب موبقات الذنوب قبضه اليه وقوله تعالى{يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده ام الكتاب}قد ورد في الأخبار تفسيره بمحو الأعمار زيادة ونقصاناً، والأخبار الواردة بهذا المضمون مستفيضة بل متواترة، وفي بعضها مايعارض ذلك كقوله عليه السلام في الدّعاء ويامن لاتبدل حكمته الوسائل، وفي الدعاء الأوّل من الصحيفة السجادية: ثم ضرب له في الحياة الدنيا أجلاً موقوتاً ونصب له امداً محدوداً يتخطا اليه بأيام عمره، ويرهقه بأعوام دهره حتى اذا بلغ أقصى أثره واستوعب حساب عمره قبضه الى ما ندبه اليه من موفور ثوابه او محذور عقابه.

وقال النبي صلى الله عليه وآله في خطبة الوداع: ألا إنّ الروح الأمين نفث في روعي انّه ان تموت نفس حتّى تستكمل رزقها فاتقوا الله واجملوا الطلب، الى غير ذلك من الأخبار.

---

(١٧) اشتهر نقل هذه الرسالة عن الامام الرضا سلام الله عليه وشرحها جمع من علمائنا كالسيد فضل الله الراوندي المتوفى بعد سنة . (٥٤٨)هـ والسيد عبد الله شبر المتوفى (١٢٤٢)هـ .

ومن ثم وقع الأختلاف بين العلماء في قبول الأجل للزيادة والنقصان، فذهب جماعة منهم الى انه لايقبلهما وانما هو اجل واحد تعويلاً على ظواهر تلك الأخبار وماروي في معناها، وعلى دليل آخر وهو انَ المقدورات في الأزل والمكتوبات في اللوح المحفوظ لاتتغير بالزيادة والنقصان لأستحالة خلاف معلوم الله تعالى وقد سبق العلم بوجود كلّ ممكن أراد وجوده وبعدم كلممكن أراد بقاءه على حالة العدم الأصلي او اعدامه بعد ايجاده فكيف يمكن الحكم بزيادة العمر او نقصانه بسبب من الأسباب؟ وأجابوا عن الأخبار الأول بوجوه:

احدها انَ تلك الأخبار الدالة على الزيادة والنقصان انَما وردت على سبيل الترغيب حتى يقبل الناس على فعل الأحسان وبر الوالدين وصلة الأرحام، وثانيها انَ المراد بزيادة العمر الثَناء الجميل بعدى الموت كما قال الشاعر:

ذكر الفتى عمره الثاني وغايته(حاجته) مافاته وفضول العيش اشغاب

وقال: ماتوا فعاشوا بحسن الذكر بعدهم ونحن في صورة الأحياء أموات

وقال:

كم مات قوم وماتت محاسنهم وعاش قوم وهم في الناس اموات

وثالثها ان المراد بزيادة العمر زيادة البركة في الأجل امَا في نفس الأجل فلا، فذهب آخرون الى مادلت عليه الأخبار الأولى من قبول الأجل للزيادة والنقصان وأجابوا عن آية{لايستأخرون ساعة ولايستقدمون}، وقوله تعالى{ولن يؤخر الله نفساً اذا جاء اجلها} وعن الأخبار الواردة بمضمونها تارة بأن الأجل صادق على كل مايسمَى أجلاً موهبيَاً او اجلاً مسببيَلاً ويحمل على الموهبي ويكون وقته الذي لايقبل التقدّم والتأخَر، واخرى بأن الأجل عبارة عما يحصل عنده الموت لامحالة سواء كان بعد عمر الموهبي او المسببي ونحن نقول كذلك لأنَه عند حصول اجل الموت لايقع التأخير، وليس المراد به العمر اذا لأجل مجرّد الوقت.

وامَا دليلهم العقلي فأجابوا عنه اولاً بأنه وارد في كل ترغيب مذكور في القرآن والسنَة حتى الوعد بالجنَة والنعيم على الأيمان، وكذلك التَوعد بالنيران وكيفية العذاب وذلك ان الله تعالى علم ارتباط الأسباب بالمسببات في الأزل وكتبه في اللوح المحفوظ، فمن علمه مؤمناً فهو مؤمن، ومن علمه كافراً فهو كافر، وهذا اللازم يبطل الحكومة في بعثة الأنبياء والأوامر الشرعية والمناهي وفي ذلك هدم الأيمان.

وامَا ثانياً فالجواب عن كلّ هذه الأمور واحد وهو ان الله تعالى كما علم كمية العمر علم إرتباطه بسببه المخصوص وكما علم من زيد دخول الجنَة جعله مرتبطاً بأسبابه المخصوصة من

ايجاده وخلق العقل له وبعث الأنبياء ونصب الألطاف وحسن الأختيار، والعمل بموجب الشرع، فالواجب على كلّ مكلف الأتيان بما أمر به ولايتكل على العلم فانّه مهما صدر منه فهو المعلوم بعينه فاذا قال الصادق: ان زيداً اذا وصله رحمه زاد الله في عمره ثلاثين سنة ففعل ذلك إخباراً بأن الله تعالى علم ان زيداً يفعل مايصيّر به عمره زائداً ثلاثين سنة، كما انه اذا أخبر بأن زيداً اذا قال لااله الا الله دخل الجنة ففعل تبيّناً ان الله تعالى انّه يقول ويدخل الجنّة بقوله.

وبالجملة جميع مايحدث في العالم معلوم لله تعالى على ماهو عليه واقع من شرط او سبب وليس نصب صلة الرحم زيادة في العمر الاّ كنصب الأيمان سبباً في دخول الجنّة، والعمل بالصالحات في رفع الدرجة والدّعوات في تحقيق المدعو به، وقد جاء في الحديث لاتملّوا من الدعاء فانّكم لاتدرون متى يستجاب لكم، وفيع سرّ لطيف وهو انّ المكلف عليه الأجتهاد ففي كل ذرة من الأجتهاد امكان سببية لخير علم الله تعالى كما قال سبحانه{والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا}، وهذا الجواب لشيخنا الشهيد الأوّل قدس الله روحه، وأمّا تحقيق هذا المقام فانتظره في المقام الثاني سيأتيك ان شاء الله تعالى.

المقام الثاني في اتّحاد الأجل وتعدّده: ذهب الأشاعرة الى ان أجل الحيوان هو الزمان الذي علم الله انّه يموت فيه، فالمقتول عندهم مات بأجله الّذي قدّره الله تعالى له وعلم انّه يموت فيه ولايتصور تغيير هذا القدر بتقديم ولاتأخير، والمعتزلة قالوا ماتولد من فعل القاتل فهو من افعاله لامن فعل الله تعالى، وقالوا: انه لو لم يقتل لعاش الى الأمد الذي قدره الله تعالى له لمات وان لم يقتله، فالقاتل ـ لم يجلب بفعله أمراً لامباشرة ولاتوليداً، فكان لايستحق الذم عقلاً ولاشرعاً لكنه مذموم فيها قطعاً، اذا كان القتل بغير الحق، واستشهدوا ايضاً بانّه ربما قتل في المعركة الواحدة ألوف ونحن نعلم بالضرورة ان موت الجم الغفير في الزمان القليل بلا قتل مما يحكم العادة بامتناعه، ولذلك ذهب جماعة منهم الى انّ مالايخالف العادة كما في قتل واحد ومايقرب منه واقع بالأجل منسوب الى القاتل.

وامّا اصحابنا الأمامية رضوان الله عليهم فمنهم من وافق المعتزلة في تعدد الأجل وقالوا الأجل منه أجل محتوم كمن مات حتف انفه، ومنه اجل محزوم كالمقتول والغريق ومن هوى من عال فمات، وبعضهم كما سمعت سمّى الأول اجلاً موهبياً والثاني مسبّبياً.

وذهب شيخنا الصدوق ره الى مذهب الأشاعرة وأجاب عن بعض شبه المعتزلة حيث قال في كتاب التّوحيد: أجل الأنسان هو وقت موته، وأجل حياته هو وقت حياته وذلك معنى قول الله عزّ وجلّ {فاذا جاء اجلهم لايستأخرون ساعة ولايستقدمون}، فان مات الأنسان حتف أنفه على

فراشه وان[١٨] قتل فانّ أجل موته هو وقت موته، وقد يجوز ان يكون المقتول لو لم يقتل لمات من ساعته، وقد يجوز ان يكون لو لم يقتل لبقي وعلم ذلك مغيّب عنّا وقد قال الله عزّ وجلّ{لوكنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى ضاجعهم}.

وقال عزّ وجلّ{قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل}، ولو قتل جماعة في وقت لجاز أن يقال انّ جميعهم ماتوا بآجالهم، وانّهم لو لم يقتلوا لماتوا من ساعتهم، كما كان يجوز ان يقع الوباء في جميعهم فيميتهم في ساعة واحدة، وكان لايجوز ان يقال انّهم ماتوا بغير أجلهم.

وبالجملة انّ أجل الأنسان هو الوقت الذي علم الله عزّ وجلّ انّه يموت فيه او يقتل، وقول الحسن عليه السلام في أبيه صلوات الله عليه انّه عاش بقدر ومات بأجل، تصديق لما قلنا في هذا الباب انتهى كلامه ره.

وامّا الذي فهمناه من تتبع الأخبار فهو معنى ثالث جامع بين القولين، وذلك ان الله سبحانه وتعالى قد خلق لوحاً وسمّاه لوح المحو والأثبات وكتب فيه الآجال والأرزاق وجميع مايكون واقعاً في عالم الكونين معلّقة على الأسباب والشروط، وهي التي يقع فيها المحو والأثبات والتغيير والبداء، مثلاً كتب انّ عمر زيد عشرين ان لم يصل رحمه وان وصل رحمه فعمره ثلاثون سنة، وان رزق زيد في هذه السنة مائة درهم ان لم يسعى السعي الفلاني وان سعى فيه فرزقه ألف درهم، وانّ فلاناً في هذه السنة من الحاجّ ان لم يكن يصدر منه ذلك الفعل فلا يكون حاجّاً وكذلك جميع الكائنات فهذا اللوح الّذي وصف سبحانه نفسه بأنّه كل يوم في شأن.

وقد خلق سبحانه لوحاً آخر وهو اللوح المحفوظ وكتب فيه الكائنات على ماعلمه سبحانه وتعالى منها في الأزل فانّ علمه بالأشياء قبل وجودها كعلمه بها بعد وجودها وهذا العلم الذي علمه وكتبه في ذلك اللوح لايتغير ولايتبدل بوجه من الوجوه لأنه علمه مربوط بالمسببات والأسباب، وعلم وقوع الأسباب وعدم وقوعها لأنّه قد علم انّ زيداً يصل رحمه فيكون عمره كذا او لايصل رحمه فيكون عمره كذا وانّ زيداً اذا خرج الى المعركة الفلانيّة يقتل واذا لم يخرج لم يقتل، وقد علم في الأزل احد الطرفين فكتبه في اللوح، وهذا العلم المكتوب في اللوح هو الذي أشارت اليه الأخبار المتشابهة كقوله صلى الله عليه وآله قد كتب القلم في اللوح بما هو كائن الى يوم القيامة وجفّ القلم بما فيه فلن يكتب بعد ابداً، وقوله عليه السلام قد فرغ من الأمر، ونحو ذلك وقد تقدّم اكثرها في الأخبار المذكورة في تضاعيف الأنوار السابقة.

---

(١٨) شرط لاوصل

وهذا اللوح هو المسمّى في لسان الشرع بأمّ الكتاب في قوله تعالى{يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده امّ الكتاب، يعني انه لايدخله محو ولااثبات.

نعم اذا بلغ بك البحث الى هنا فليكن هذا حدّك ولاتلج في اللجّة العميقة التي بعد هذا الكلام فانك اذا وضعت قدمك خارج هذه المقالة دحضت بك المزالق في بحر لجيّ بعيد قعره كثير الحيات والأفاعي اسود الجوف والماء غرق فيه عالم كثير وكلّما أمكنك التنحي عن ساحله فابعد عنه، واياك والفكر فيه فان الفكر الذي نهى عنه سيد العارفين مولانا امير المؤمنين عليه السلام وهو يتصل ببحر القضاء والقدر.

واما الجواب عن قول المعتزلة ان القتل لو كان هو الأجل لم يكن القاتل جانياً ولما استحق الذم فهو ان نقول القاتل انّما استحق هذا باعتبار انه اوصل هذا الألم اليه وكان الواجب عليه تركه حتى يكون الموصل اليه ذلك الألم هو الله سبحانه وتعالى لأنّ ايصال هذا الألم مقصور على الله عزّ وجلّ لأيصال انواع المثوبات اليه وذلك القاتل لو لم يقتله لمات ذلك الوقت، وكان الواجب عليه ان يدعه وربذه في قبض روحه، وهذا ظاهر لاغبار عليه ومن تصفّح الأمور الواقعة في هذا العالم جزم بأنّ الآجال امور مقرّرة موقوفة على البلوغ الى حد كمالها.

ومن تلك الأمور انّ جماعة من اللصوص دخلوا دار رجل في الليل ليسرقوه فلما دخلوا الدار رأوا ان ذلك الرجل له ولد رضيع مشدود في المهد، فقالوا: نخاف ان يبكي ويستيقظ أمّه وابوه من بكائه، فأخذوا ذلك الولد في المهد واخرجوه من الدار ووضعوه خارج الحوش، وشرعوا في نقل اثاث البيت ووضعه في الحوش، فلمّا فرغوا من نقل الأثاث رجعوا الى داخل البيت لعله ان يكون قد بقي شيءٌ، فلما دخلوا استيقظت المرأة لولدها فلم تره، فقال لزوجها اين المهد؟ فخرجا الى الحوش يطلبون الولد، فلما خرجوا من البيت واذا البيت قد وقع سقفه وجدرانه فرأوا الولد في المهد مع جميع أثاث البيت، فلما أصبح الصباح حفروا التراب واذا اللصوص اموات، فانظر الى هذا التقدير الأزلي كيف وافق الحكمة الألهيّة.

ومن تلك الأمور انّ رجلاً عالماً من علماء تستر وكان صاحباً لنا كان بيته على جرف الشط وكان الجرف عالياً، فكان ليلة من اللّيال قدموا اليه طعاماً فجلس، هو واهله واولاده ليأكلون، فاتفق انّهم نسوا احضار الملح، فقال لزوجته: أحضري الملح، فقامت ومضت فابطئت، فتبعها الولد وأبطأ وقامت البنت ايضاً وتبعتهم الجارية وهم يريدون الأتيان بالملح من الحجرة الأخرى، فتعجب ذلك العالم وخرج في اثرهم فلما وضع رجله خارج العتبة انهالت الحجرة في الماء مع مافيها وكان بين الأرض والماء مايقرب من طول المنارة، فسلموا كلهم بحمد الله سبحانه، وفي هذا التاريخ بعضهم موجود في شيراز.

ومن الأمور ايضاً اني لمّا كنت أسفر في البحار لطلب العلوم حكى لنا صاحب سفينة أنّه قد كان في يوم من الأيام كثير الهوى والموج جلس رجل من اهل السفينة على حافتها لقضاء الحاجة، فاتّفق انه سقط في البحر فغطاه الماء، فأتى اليه واحد من اهل السفينة ومد يده في الموضع الذي سقط فيه فاستخرجه من تحت الماء فدثروه بلحاف وبقي ساعات، فلما رفعوا الغطاء عنه وشرع في الكلام فاذا هو غير صاحبهم الذي وقع، فسألوه عن قصته، فقال: انّه قد كسر بنا السفينة منذ سبعة ايام وقد كنت لي لوحة أسبح عليها وقد ضعفت عن امساكها هذا اليوم، فذهب عني فبقيت على وجه الماء ساعة وغشي عليّ وماشعرت لنفسي الاّ وأنا عندكم في هذا المركب، فذهب صاحبهم فانظر الى هذا التقدير كيف يمكن الكلام فيه.

وذكر اليافعي في تاريخه في حوادث سنة وخمسمائة انّ بعض الملوك قال له منجّموه انّه يموت في الساعة الفلانية من عقرب تلدغه، فلمّا كان قبل الساعة المذكورة تجرد عن جميع لباسه سوى مايستر عورته وركب فرساً بعد ان غسله ونظّفه ودخل به البحر حذراً مما قيل، فبينما هو كذلك اذ عطست فرسه فخرجت من انفها عقرب فلدغته فمات منها، فما أغناه الحذر من القدر.

وروى ذا النون المصري خرج ذات يوم يريد غسل ثيابه فاذا هو بعقرب قد أقبل اليه كأعظم مايكون، قال: ففزع منها فزعاً شديداً وأستعاذ بالله منها فكفي شرّها، فأقبلت حتى وافت شط النيل فاذا هي بضفدع قد خرج من الماء، فاحتملها على ظهره وخرج بها الى الجانب الآخر، قال ذو النون: فعبرت خلفه فأتت الى شجرة كثيرة الظل فاذا غلام أمرد نائم تحتها وهو مخمور، فقلت: انّها أتت لقتل هذا الفتى فاذا انا بأفعى أتت لقتل الفتى، فظفرت العقرب بالأفعى ولزمت دماغ الأفعى حتى قتلها ورجعت الى الماء وعبرت على ظهر الضفدع الى الجانب الآخر، فأنشد ذو النون:

ياراقد والجليل يحفظه	من كل سوءٍ يكون في الظلم
كيف تنام العيون عن ملك	تأتيك منه فوائد النعم

قال: فانتبه الفتى من كلام ذى النون فأخبره الخبر فنزع ثياب اللّهو ولبس اثواب السياحة وساح ومات على تلك الحالة، وامثال هذه الحكايات كثير، نعم يبقى الكلام في فائدة لوح المحو والأثبات وتغيير الكائنات وصفاتها فيه مع وجود لوح المحفوظ، وعدم اطلاعنا على العلة لايقتضي نفيها، والتّفحص عنها غير محتاج اليه بل انما نحتاج في هذا المقام الى التسليم والأذعان لاغير، اذا عرفت هذا فلنشرع الآن في بيان الموت.

فنقول انَه كما قال مولانا عليه السلام قد خطّ الموت علي بن آدم كما خطّ القلادة على جيد الفتاة[١٩] وفي هذا التشبيه لطيفة مليحةكوهي انّ الموت يزين ابن آدم وهو حلية له كما انّ القلادة حلية لجيد الفتاة، روي انّ نبيّاً من الأنبياء طلب منه قومه ان يدعو الله تعالى ليرفع الموت عنهم، فدعاه فرفع الموت عنهم حتى كان الرجل ينظر الى ابيه وجدّه وجد ابيه وجد جده وهكذا وكذلك من طرف الأم، فكان يقوم بخدمتهم ويتعاهد أحوالهم كالأطفال فيشتغل بخدمتهم عن الكسب لهم وضاقت بهم الدور والمنازل، فطلبوا اليه بأن يدعو الله سبحانه ويجري عليهم الموت.

وروي ايضاً انّ ابراهيم عليه السلام سأل الله تعالى ان لايميته الاّ اذا سأل، فلمّا استكمل ايّامه التي قدرت له فخرج، فرأى ملكاً على صورة شيخ فان كبير قد أعجزه الضعف وظهر عليه الخرف ولعابه يجري على لحيته وطعامه وشرابه يخرجان من سبيله على غير اختياره، فقال له: ياشيخ كم عمرك؟فأخبره بعمر يزيد على عمر ابراهيم بسنة، فاسترجع وقال: انا أصير بعد سنة الى هذا الحال فسأل الموت.

هذا مع ان النسان اذا كر سنه ملّ الحياة وملته الأهل والأحباب وطلبوا موته وان تعاهدوا حاله بخدمة من الخدمات فانّما هو من جهة التكليف الألهي لا من باب المحبّة والوداد، نعم طلب الموت وارادته مما ورد النهي عنه، وذلك انّ عمر المؤمن جوهرة نفيسة لاقيمة لها ويمكنه في كلّ نفس منه ان يصل الى درجة من درجات المقربين.

ومن هذا كان مولانا السجاد عليه السلام اذا رأى جنازة قال: الحمد لله الذي لم يجعلني من السواد المخترم، أي لم يجعلني شخصاً هالكاً فهو يحمد الله سبحانه على الحياة، نعم يجوز الدعاء بما كان يدعو به عليه السلام من قوله اللّهم أبقني ماعلمت انّ الحياة خير لي فاذا صار عمري للشيطان فاقبضني اليك، ولاينافي هذا ماورد من قوله عليه السلام من احبّ الله لقائه ومن كره لقاء الله كره الله لقائه، لأنّ هذا كما جاء في الروايات انّما هو حال الموت ومعاينة احوال تلك النشأة، وذلك انّ الله سبحانه يوحي الى ملك الموت ان امض الى فلان عبدي المؤمن واقبض روحه ولاتقبضها الاّ برضاً منه فيأتي اليه ويقف عنده وقفة العبد بين يدي المولى ويقول له انّ الله تعالى قال لي لااقبض روحك الا برضاك، فيقول المؤمن لاارضى، فيصعد ملك الموت ويقولك الهي علمت ماقال عبدك المؤمن، فيقول الله سبحانه إمض الى بيته في الجنّة وخذ له منه قبضة من الريحان واكشف له عن منزله في الجنة حتى يعاينه، فيأتي بقبضة الريحان اليه ويفتح اليه باباً الى داره في الجنة، فيقول له: ياملك الموت ماهذا الريحان الطيب؟ وذلك ان رائحته تشمّ من مسيرة خمسمائة عام، وماهذا

---

(١٩) هذه الكلمات النيرة من فقرات خطبة سيد الشهداء-ع- وقد القاها في مكة المكرمة قبل خروجه الى العراق .

المكان؟فيقولكهذا مكانك في الجنّة، وهذا الريحان منه، فعند ذلك يضطرب ويقول عجّلوني عجّلوني، ويرشح جبينه عرقاً، فعند ذلك الوقت يحب لقاء الله ويحب الله لقاءه، وان كان كافراً أتى اليه ملك الموت وكشف له عن مكانه في النار حتى يعاينه، فعند ذلك يقول ردّوني ردّوني فيكره لقاء الله ويكره الله لقاءه.

والى هذه الألطاف الألهيّة أشير حيث قال تعالى في الحديث القدسي ماترددت في شيءٍ انا فاعله مثل تردّدي في قبض روح عبدي المؤمن يكره الموت واكره مسائته، فكراهته للموت انّما هي قبل المعاينة، وتردّده تعالى كناية عن ايصال تلك الألطاف اليه حتى توجبه الرضا والقبول، مع انّ الموت أمر قد رغبت عنه وعافته الأنبياء والأولياء وغيرهم، امّا رغبة الأخيار عنه فلأنّهم أرادوا تحصيل أعالي الدرجات والفوز بماليه من القربات، وأسبابه لاتكون الاّ قبل الموت، فأحبّوا الحياة رغبة فيما بعد الموت.

وامّا رغبة الأشرار عنه فلما قال مولانا الحسن عليه السلام حين سئل يابن رسول الله صلى الله عليه وآله مابالنا نكره الموت وانتم لاتكرهونه؟ فقال عليه السلام: لأنّكم عمرتم منازلكم هذه وخرّبتم تلك المنازل فلا تحبّون الأنتقال من عمران الى خراب، وامّا نحن فنقلنا كلّ ماعندنا من الأثاث الى تلك الدار فخربنا هذه وعمرنا تلك، فنحن نحب الأنتقال من خراب الى عمران، مع انّ هذه الحياة الدنيا ممّا جبلت الطبيعة على حبّها وطلبها، ولذا لاترى أحداً يطلب الموت الاّ اذا تضايقت عليه اسباب الحياة، امّا بفقر او بكبر سن او بخوف من عدوّ او نحو ذلك، وامّا وقت اتساع اسباب الحياة فهو ممّا لايخطر بباله بوجه من الوجوه، ومن هنا كان صلى الله عليه وآله يقول: اللّهم اجعل رزق محمد وآل محمد كفافاً لاكثيراً فأطغى ولاقليلاً فأشقى، وقد دعا الى رجل اساء اليه بكثرة الرزق، ودعا لرجل احسن اليه بالكفاف، فقيل له في ذلك.! فقال: أما سمعتم قوله تعالى{انّ الأنسان ليطغى ان رآه استغنى} اذا عرفت هذا:

فاعلم انّ اول من عرف الموت وكرهه ابونا آدم عليه السلام، روى الصدوق طاب ثراه باسناده الى الأمام ابي جعفر الباقر عليه السلام قال: انّ الله عزّ وجلّ عرض على آدم عليه السلام اسماء الأنبياء وأعمارهم قال: فمر بآدم اسم داود النبي عليه السلام فاذا عمره في العالم أربعون سنة، فقال آدم: يارب ماأقل عمر داود وماأكثر عمري؟ يارب انا زدت من عمري ثلاثين سنة أثبت ذلك له؟قال: نعم ياآدم، قال: فانّي قد زدته من عمري ثلاثين سنة فأنفذ ذلك له وأثبتها له عندك وأطرحها من عمري، قال ابو جعفر عليه السلام فأثبت الله عز وجل لداود عليه السلام من عمره ثلاثين سنة، وكانت له عند الله مثبة فذلك قول الله عز وجل {يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده ام الكتاب}، قال: فمحا الله ماكان مثبتاً لآدم وأثبت لداود مالم يكن عنده مثبتاً، قال: فمضى عمر آدم فهبط عليه ملك الموت ليقبض روحه

فقال له آدم: ياملك الموت انه قد بقي من عمري ثلاثون سنة، فقال له ملك الموت: ياآدم ألم تجعلها لإبنك داود النبي وطرحتها من عمرك حين عرض عليك اسماء الأنبياء من ذريّتك وعرضت عليه اعمارهم وانت يومئذ بوادي الدّخنا؟قال: فقال له آدم ما أذكر هذا، قال: فقال له ملك الموت ياآدم لاتجحد ألم تسأل الله عز وجل ان يثبتها لداود ويمحوها من عمرك؟فأثبتها لداود في الزبور ومحاها من عمرك في الذكر، قال آدم: لم أذكر حتّى أعلم ذلك، قال ابو جعفر ﷺ: وكان آدم صادقاً لم يذكر ولم يجحد، فمن ذلك اليوم أمر الله تبارك وتعالى العباد ان يكتبوا بينهم اذا تداينوا وتعاملوا الى أجل مسمّى لنسيان آدم وجحوده ماجعل على نفسه، أقول لو كان آدم ﷺ ممن يحب الموت لما قدم على هذه السؤالات وتفحّص عن هذه الأمور.

وامّا ادريس النبي ﷺ فروى الشيخ الراوندي في كتاب القصص انّ ادريس النبي ﷺ كان يسبّح النهار ويصومه ويبيت حيث ماجنّه الليل، ويأتيه رزقه حيث ما أفطر، وكان يصعد له من العمل الصالح مثل ماصعد لأهل الأرض كلهم، فسئل ملك الموت ربّه في زيارة ادريس وان يسلّم عليه، فاذن له فنزل وأتاه فقال: انّي أريد ان أصحبك فأكون معك، فصحبه وكان يسبّحان النهار ويصومانه فاذا جنّهما الليل أتى أدريس فطره فيأكل ويدعو ملك الموت اليه فيقول لاحاجة لي فيه، ثمّ يقومان يصلّيان وادريس يصلي ويفطر وينام وملك الموت يصلي ولاينام ولايفطر فمكثا بذلك اياماً ثم انهما مرّا بقطيع غنم وكرم قد اينع، فقال ملك الموت هل لك ان تأخذ من ذلك حملاً اومن هذا عناقيد فتفطر عليه، فقال: أعودك الى مالي فتابى فكيف تدعوني الى مال الغير، ثمّ قال ادريس صلوات الله عليه قد صحبتني واحسنت فيما بيني وبينك من انت؟ قال: انا ملك الموت قال ادريس لي اليك حاجة، قال: وماهي؟ قال: تصعد بي الى السماء فاستأذن ملك الموت ربه في ذلك فأذن له فحمله على جناحه فصعد به الى السماء:

ثم قال له ادريس ﷺ: ان لي حاجة اخرى، قال: وماهي؟قال: بلغني من الموت شدة فأحب ان تذيقني منه طرفا فأنظر هو كما بلغني، فاستأذن ربه فأذن له فأخذ بنفسه ساعة ثم خلى عنه، فقال له كيف رأيت؟ فقال: بلغني عنه شدّة فانه لأشد ممّا بلغني ولي اليك حاجة اخرى تريني النار، فاستأذن ملك الموت صاحب النار ففتح له، فلما رآها ادريس ﷺ سقط مغشياً عليه، ثم قال: لي اليك حاجة اخرى تريني الجنة، فاستأذن ملك الموت خازن الجنة فدخلها فلما نظر اليها قال: ياملك الموت ماكنت لأخرج منها انّ الله تعالى قال{كل نفس ذائقة الموت}، وقد ذقته ويقول {وان منكم الا واردها}وقد وردتها، ويقول في الجنة وماهم بخارجين منها، فانظر الى ادريس النبي ﷺ كيف احتال على رفع الموت عنه، وما ذلك الاّ لكراهته له وسماعه بشدّته ومرارته.

واما نوح عليه السلام فروي عن الصادق عليه السلام انه قال عاش نوح عليه السلام ألفي سنة وخمسمائة سنة منها ثمانمائة سنة وخمسون سنة قبل ان يبعث وألف سنة الاّ خمسين عاماً ومائتا عام في السفينة وخمسمائة عام بعد ما نزل من السفينة، ونصب الماء فمصر الأمصار واسكن ولده البلدان، ثم جاء ملك الموت وهو في الشمس فقال: السلام عليك، فرد عليه نوح صلوات الله عليهما وقال: ماجاء بك؟ قال: جئت لأقبض روحك، قال: تدعني ادخل من الشمس الى الظل؟فقال له: نعم، قال: فتحَول نوح عليه السلام ثمَ قال: ياملك الموت كأن ما مر بي من الدنيا مثل تحوَلي من الشمس الى الظل فامض ماامرت به فقبض روحه صلوات الله عليه.

اقول كان ذلك الظل بيته عليه السلام الذي بناه اخر عمره والاَ فطول عمره كان هو وعياله يستظل بالأشجار، فاذن الله تعالى ان يصنع بيتاً من سعف النخل اذا نام فيه يكون نصفه في الظل ونصفه في الشمس، وطلبه التحول اليه من ملك الموت اما لأجل الأحترام والأعتزاز فانَ حرمة المؤمن في منزله ومأواه، واما لأجل طلب الحياة تلك اللحظة التي يتحول بها، واما لكليهما، فانظر الى نوح عليه السلام مع ما اوتي من العمر الطويل كيف لم يرغب بالموت ابتداء فكيف يكون حالنا نحن مع مانحن عليه من قصر الأعمار وعمارة الديار.

واما الخليل عليه السلام فروينا مسنداً الى مولانا الصادق عليه السلام قال: قال امير المؤمنين عليه السلام لما اراد الله تعالى قبض ابراهيم عليه السلام هبط اليه ملك الموت فقال: السلام عليك ياابراهيم، قال: وعليك السلام ياملك الموت اداع انت ام ناع؟ قال: بل داع فأجبه، فقال ابراهيم: فهل رأيت خليلاً يميت خليله؟قال: فرجع ملك الموت حتى وقف بين يدي الله فقال: إلهي قد سمعت ماقال خليلك ابراهيم، فقال الله جل جلاله: ياملك الموت اذهب اليه وقل له: ان الحبيب يحب لقاء حبيبه هل رأيت حبيباً يكره لقاء حبيبه؟ وتوفي ابراهيم عليه السلام بالشام ولم يعلم اسماعيا بموته فنزل جبرئيل عليه السلام فعزاه بأبيه.

واماَ الكليم عليه السلام فقد كان اكثرهم كراهة للموت كما روي عن الصادق عليه السلام ان ملك الموت اتى موسى بن عمران فسلَم عليه فقال: من انت؟قال: انا ملك الموت، قال: ماحاجتك؟فقال له: جئت أقبض روحك من لسانك، قال: كيف وقد كلَمت به ربي عز وجل؟فقال: من بين يديك فقال له موسى: كيف وقد حملت بهما التوراة، فقال: من رجليك فقال: كيف وقد وطأت بهما طور سيناء؟ قال: وعدَ اشياء غير هذا قال فقال له ملك الموت: فأني امرت ان اتركك حتَى تكون انت الذي تريد ذلك، فمكث موسى عليه السلام ماشاء الله، ثم مرَ برجل وهو يحفر قبراً فقال له موسى عليه السلام الا اعينك على حفر هذا القبر؟فقال له الرجلكبلى قال: فأعانه حتَى حفر القبر ولَحد اللحد فأراد الرجل ان يضطجع في اللحد لينظر كيف هو، فقال له موسى عليه السلام: أنا أضطجع فيه فأضطجع

فأرى مكانه من الجنَة، فقال: يارب اقبضني اليك، فقبض ملك الموت روحه ودفنه في القبر وسوي عليه التراب، قال: وكان الذي يحفر القبر ملك في صورة آدمي فلذلك لايعرف قبر موسى عليه السلام.

وفي حديث آخر انَ موسى عليه السلام لما جاءه ملك الموت ليقبض روحه لطمه فأعوره فقال: رب انَك ارسلتني الى عبد لايحب الموت، فأوحى الله اليه أن ضع يدك على متن ثور ولك بكل شعرة وارتها يدك سنة، فقال: ثمَ ماذا قال: الموت فقال: انته الى امر ربك.

واما المسيح عليه السلام فقد فرَ من الموت والتجأ الى الله سبحانه حتَى رفعه اليه فهو الآن في عالم الملكوت ويهبط الى الأرض زمان خروج المهدي عليه السلام كما تقدم مفصلاً في بابه، لكن اذا اردت من استقبل الموت ولم يخف منه فهما الأخوان المباركان النبي صلى الله عليه وآله واخوه علي بن ابي طالب عليه السلام أما النبي صلى الله عليه وآله فقد ارسل الله سبحانه اليه ملكاً في زمن مرضه ومعه بغلة عليها مفاتيح خزائن الأرض، فقال له: انَ الله ارسلني اليك بهذه المفاتيح لتكون ملكاً في الدنياولاينقص عليك شيئاً من حظَ الآخرة فقال النبي صلى الله عليه وآله اريد لقاء ربي، وماقال هذا الاَ لما عرف من ارادة الحبيب لقائه.

وامَا سيد الموحدين عليه السلام فقد كان يباشر الحروب بثياب بدنه حتَى انَ ابنه الحسن عليه السلام قال له في لبس الدرع فقال: يابني والله لايبالي ابوك اعلى الموت وقع ام وقع الموت عليه والله لأبن ابي طالب آنس بالموت من الطَفل بثدي امَه، ولَما ضربه ابن ملجم لعنه الله قال: فزت ورب الكعبة، وفي تلك الليلة كان يكرر النظر الى السماء ويقول: مايمنع قاتلي عن قتلي، وكان قد ترك خضاب لحيته حتَى كانت بيضاء فقيل له في ذلك؟ فقال: ان حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله أخبرني انَ لحيتي ستخضب من دم رأسي فأنا منتظر لذلك الخضاب فانظر الى رجل جعل زينته وخضابه دم مفرق رأسه وكان يقول والله ليضرب الرجل ألف ضربة بالسيف على رأسه خير من ان يقال فيه انَه مات على فراشه، يعني ينبغي للرجل ان يقتل في سبيل الله لا ان يموت موتاً.

وقد اقتدى بهذين الأخوين اولادهم الطاهرون(ع)، وناهيك به مبادرة مولانا ابي عبد الله الحسين عليه السلام الى العراق عارفاً بقدومه على الموت والقتل سامعاً لصوت قائل يقول: تسير هؤلاء القوم والمنايا تسير معهم، ولَما قرب الى العراق وسمع بقتل ابن عمَه مسلم بن عقيل وهاني بن عروة أشار اليه اصحابه بالرجوع فقال: لاخير في الحياة بعد هؤلاء الفتية، فأقبل بأهل بيته وفتيته مبادراً الى الموت مثل مبادرة الظمئان الى الماء الزلال، فجالدهم بسيفه حتى افنى منهم الجمّ الغفير الى ان تكاثروا عليه فخرج الى لقاء ربه شاكياً من هذه الأمة وفعالها، راغباً عن قيل الدنيا وقالها، وتبعه على هذا الأثر أولاده المعصومون فما منهم الاَ وقتيل او مسموم وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

والحاصل انّ مثل الأنبياء اذا خافوا من الموت فكيف لانخاف نحن منه لكن الذي يطيب القلب ويجعله مطمئناً ماروي مستفيضاً بل متواتره في الأخبار من حضور رسول الله ﷺ وامير المؤمنين عليه السلام عند المحتضر حال احتضاره.

روى شيخنا الكليني وغيره من اصحابنا عن مولانا الصادق عليه السلام لو انّ مؤمناً اقسم على ربَه ان لايميته ما أماته ابداً، ولكن اذا حضر أجله بعث الله عز وجل ريحين، ريحاً يقال لها المنسية، وريحاً يقال لها المسخية فأمّا المنسية فانها تنسيه أهله وماله، وأما المسخية فانّها تسخي نفسه عن الدنيا حتى يختار ماعند الله.

وقال عليه السلام اذا اتاه ملك الموت لقبض روحه جزع عند ذلك، فيقول له ملك الموت ياولي الله لاتجزع فوالذي بعث محمّداً لأنا أبرَبك وأشفق عليك من والد رحيم لو حضرك، فافتح عينيك فينظر فيرى رسول الله ﷺ وامير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فهؤلاء رفقاؤك فينادي روحه مناد من رب العزة فيقول: ياأيَتها النفس المطمئنة الى محمّد واهل بيته ارجعي الى ربك راضية بالولاية مرضية بالثواب، فادخلي في عبادي يعني محمداً واهل بيته، وادخلي جنتي فما من شيء أحب اليه من انسلال روحه واللحوق بالمنادي.

وقال عليه السلام لعقبة بن نافع لن تموت نفس مؤمنة حتّى تراهما، قلت فاذا نظر اليهما المؤمن أيرجع الى الدنيا؟ فقال: لايمضي امامه، قلت له: أيقولان شيئاً؟ قال: نعم يدخلان على المؤمن فيجلس رسول الله ﷺ عند رأسه، وعلي عليه السلام عند رجليه فيكتب عليه رسول الله ﷺ فيقول ياولي الله أبشر أنا رسول الله انّي خير لك ممّا تركتمن الدنيا، ثمّ ينهض رسول الله ﷺ فيقوم علي عليه السلام حتى يكبَ عليه فيقولكياولي الله ابشر انا علي بن ابي طالب الذي كنت تحب أما لأنفعنّك، ثمَ قال انَ هذا في كتاب الله عزَ وجلَ، فقلت: اين جعلني الله فداك؟قال: في يونس قول الله عزَ وجلَ {هيهنا الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الآخرة لاتبديل لكلمات الله ذلك الفوز العظيم}.

وفي خبر آخر قال ابو عبد الله عليه السلام اذا حيا بينه وبين الكلام أتاه رسول الله ﷺ وعل عليه السلام، فجلس رسول الله ﷺ عن يمينه، والآخر عن يساره، فيقول له رسول الله ﷺ اما ماكنت ترجو فهو ذا أمامك، واما ماكنت تخاف منه فقد امنت منه، ثمّ يفتح له باباً الى الجنة فيقولكهذا منزلك في الجنة فان شئت رددناك الى الدنيا ولك فيها ذهب وفضة، فيقول لاحاجة لي في الدنيا، فعند ذلك يبيض لونه ويرشح جبينه وتقاص شفتاه، وتنشر منخراه، وتدمع عينه اليسرى، فأيّ هذه العلامات رأيت فاكتف بها:

فاذا خرجت من الجسد فيعرض عليها كما عرض عليها وهي في الجسد فتختار الآخرة فينزل عليه بكفن من الجنة بمسك اذفر، فيكفن بذلك الكفن ويحنّط بذلك ثمّ يكسى حلّة صفراء من حلل الجنّة، فاذا وضع في قبره فتح له باب من ابواب الجنة ثم يفتح له عن امامه مسيرة شهر، وعن يمينه وعن شماله، ثم يقال له: نم نومة العروس على فراشها، ثمّ يزور آل محمد في جنان رضوي فيأكل معهم من طعامهم ويشرب معهم من شرابهم، ويتحدّث معهم في مجالسهم حتّى يقوم قائمنا اهل البيت فاقبلوا معه يلبّون زمراً زمراً.

واذا احتضر الكافر حضره رسول الله ﷺ وعلي وجبرئيل وملك الموت عليه السلام فيدنومنه علي عليه السلام فيقول: يارسول الله انّ هذا كان يبغضنا اهل البيت فابغضه فيقول رسول الله ﷺ: ياجبرئيل انّ هذا كان يبغض الله ورسول الله ﷺ وأهل بيت رسوله فابغضه، ويقول جبرئيل ياملك(لملك) الموت انّ هذا كان يبغض الله ورسوله واهل بيت رسوله فابغضه واعنف عليه، فيدنو منه ملك الموت فيقول: ياعبد الله أخذت أمان براءتك من النار، تمسكت بالعصمة الكبرى في الحياة الدنيا؟ فيقول: لا فيقول أبشر ياعدو الله بسخط الله عز وجل وعذابه والنار، اما الذي كنت تحذره فقد نزل بك، ثم يسل نفسه سلاً عنيفاً، ثمّ يكل بروحه ثلاثمائة شيطان كلهم يبزق في وجهه ويتلأذى بروحه، فاذا وضع في قبره فتح له باب من ابواب النار فيدخل عليه من قيحها ولهبها.

وقال عليه السلام في الميت تدمع عيناه عند الموت، قال: ذلك معاينة رسول الله ﷺ فيرى مايسرّه، اما ترى الرجل يرى مايسره فتدمع عينه لذلك ويضحك، قال ابن ابي يعفور كان خطاب الجهنمي حليطاً لنا وكان شديد النصب لآل محمد، قال: فدخلت عليه اعوده للتقية فاذا هو مغمى عليه في الموت، فسمعه يقول مالي ومالك ياعلي؟ فأخبرت بذلك اباعبد الله عليه السلام فقال ابو عبد الله عليه السلام رآه ورب الكعبة ثلاثاً ومخاطبته عليه السلام لحارث الهمداني متواتر نقله الخاصة والعامة وهو:

ياحار همدان من يمت يرني	من مؤمن او منافق قبلاً
يعرفني طرفه واعرفه	بنعمته واسمه ومافعلا
وانت عند الصراط تعرفني	فلا تخف عثرة ولازللا
اسقيك من بارد على ظمأ	تخاله في الحلاوة العسلى
اقول للنار حين تعرض	للعرض دعيه لاتأخذي الرجلا
دعيه لاتقربيه ان له	حبلاً بحبل الوصي متصلاً

ولم يذهب احد من الأصحاب الى تأويل هذا ولا الى انكاره، نعم ذهب سيّدنا الأجل علم الهدى تغمده الله برحمته الى تأويله، فقال معنى قوله من يمت يرني انّه يعلم في ذلك الحال ثمرة ولايته عليه السلام وإنحرافه عنه لأنَ المختصر:

قد روي انه اذا عاين الموت وقاربه أرى في تلك الحال مايدلَ على انه من اهل الجنة والنار، وقد تقول العرب رأيت فلاناً اذا رأى مايتعلق به من فعل او امر يعود اليه.

وانّما اخترنا هذا التأويل لأن امير المؤمنين عليه السلام جسم فكيف يشاهده كلَ محتضر، والجسم لايجوز ان يكون في الحالة الواحدة في جهات مختلفة، ولهذا قال المحصّلون انَ ملك الأموات يقبض الأرواح جنس، ولايجوز ان يكون واحداً لأنّه جسم والجسم لايجوز ان يكون في حالة واحدة في اماكن متعددة، فقوله تعالى{يتوفيكم ملك الموت} اراد به الجنس، كما قال{والملك على ارجائها} هذا كلامه ره، والعجب منه كيف إرتكب تأويل هذه الأخبار الكثيرة مع ان بعضها من جهة صراحته في المطلوب غير قابل للتأويل لهذا الدليل العقلي وقد اسلفنا الجواب عن كلامه ره، وهو انَ شيخنا المعاصر أدام الله ايّامه بنى هذا على تعدد البدن المثالي، فيكون لعلي عليه السلام ابدان متعددة كل بدن منها في مكان من الأمكنة المختلفة، وامّا الذي رجحناه نحن أخذا من مفاهيم الأخبار فهو القول بالتمثّل، بأن الله سبحانه يمثّل للميت رسول الله صلى الله عليه وآل وسلم وامير المؤمنين عليه السلام والأئمة(ع) كما مثله لأهل السماوات واقفاً يصلي والملائكة تصلّي خلفه، فقال هذا علي بن ابي طالب عليه السلام تركته في الأرض وها هو قد سبقني الى السماء؟ فقال الله عزَ وجلَ هذا شخص مثل علي بن ابي طالب خلقته في جميع السماوات حتى تنظر اليه الملائكة فتطمأنَ اليه نفوسهم من شدة حبِهم لعلي بن ابي طالب عليه السلام.

ويؤيده مارواه الكليني في رواية سدير الصير عن مولانا عليه السلام في قوله ملك الموت للمحتضر افتح عينيك فانظر، قال ويمثّل له رسول الله صلى الله عليه وآل وسلم وفاطمة والحسن والحسين والأئمة المعصومين من ذريتهم عليهم السلام، فيكون عليه السلام يأتي الى بعض المحتضرين بنفسه الشريفة وصورته الأصلية، ويأتي الى بعض آخر صورته الممثّلة المشابهة لتلك الصورة الأصلية، وهذا غير الجواب الأول الذي بني على البدن المثالي.

وهذا التمثل من باب مارواه الشيخ الكليني طاب ثراه قال: قال امير المؤمنين عليه السلام انَ ابن آدم اذا كان في آخر يوم من ايّام الدنيا وأول يوم من ايام الآخرة مثل له ماله وولده وعمله، فيلتفت الى ماله فيقول: والله انّي كنت عليك حريصاً شحيحاً فما لي عندك؟فيقول خذ مني كفنك، قال: فيلتفت الى ولده فيقول والله اني كنت لكم محبّاً واني كنت عليكم محامياً فما لي عندكم؟ فيقولون: نؤدّيك الى حفرتك فنواريك فيها، قال: فيلتفت الى عمله فيقول والله إني

كنت فيك لزاهداً وانَك كنت لثقيلاً فما لي عندك؟ فيقولك انا قرينك في قبرك ويوم نشرك حتى أعرض انا وانت على ربك الحديث وبالجملة فاذا انقضت أيامه وفرغ من ان يكون له رزق في الدنيا اقبل عليه ملك الموت لقبض روحه.

واما صفة ملك الموت، فروي ان الخليل عليه السلام قال لملك الموت يوماً ياملك الموت أحب ان اراك على الصورة التي تقبض فيها روح المؤمن، فقال: ياابراهيم أعرض عني بوجهك حتى أتصور لك على تلك الصورة، فلما رآه ابراهيم رأى صورة شاب حسن الوجه ابيض اللون، تعلوه الأنوار في أحسن مايتخيل من الهيئة، فقال: ياابراهيم في هذه الصورة أقبض روح المؤمن، فقال: ياملك الموت لو لم يلق المؤمن الاَ لقاؤك لكفاه راحة، ثمَ قال له: أريد ان اراك على الصفة التي تقبض فيها روح الكافر، فقال: ياابراهيم لاتقدر، فقال: احب ذلك، فقال: أعرض بوجهك فأعرض بوجهه ثمَ قال أنظر اليه فاذا هو اسود كالليل المظلم وقامته كالنخلة الطويلة والنار والدخان يخرجان من منخريه الى عنان السماء فلمّا نظر اليه غشي على ابراهيم عليه السلام فرجع ملك الموت الى حالته، فلما افاق الخليل عليه السلام قال: ياملك الموت لو لم يكن للكافر هول من الموت الاَ رؤيتك لكفته عن سائر الأهوال فاذا اتى الى المؤمن سلَ روحه سلاً رقيقاً لطيفاً حتَى انه يحصل له الراحة من ذلك السلَ لما يشاهده من مكانه في الجنة، وان كان كافراً أتى اليه بحديدة محميّة بنار جهنّم فأدخلها في حلقومه وجذب روحه بها جذبة يخيّل اليه انَ اطباق السماوات والأرض كلّها قد وقعت عليه وطبقته حتى يخرج زبده على فمه كالبعير.

وعن الصادق عليه السلام قال دخل رسول الله صلى الله عليه وآل وسلم على رجل من اصحابه وهو يجود بنفسه، فقال: ياملك الموت ارفق بصاحبي هذا فانَه مؤمن، فقال: ابشر يامحمد فانّي بكل مؤمن رفيق، واعلم يامحمد اني أقبض روح ابن آدم فيجزع اهله فأقوم في ناحية من دارهم فأقول ماهذا الجزع؟ فوالله ماتعجلناه قبل اجله، وما كان لنا في قبضه من ذنب فان تحتسبوه وتصبروا تؤجروا وان تجزعوا تأثموا وتوزروا، واعلموا انَ لنا فيكم عودة ثم عودة، فالحذر الحذر انَه ليس في شرقها ولاغربها أهل بيت مدر ولا وبر الاَ وانا أتصفحهم في كلَ يوم خمس مرات، ولأنا أعلم بصغيرهم وكبيرهم منهم بأنفسهم ولو أردت قبض روح بعوضة ماقدرت عليها حتى يأمرني ربي بها، فقال رسول الله صلى الله عليه وآل وسلم إنّما يتصفحهم في مواقيت الصلاة؟ فان كان ممن يواظب عليها عند مواقيتها لقنه شهادة ان لااله الا الله وأنّ محمداً رسول الله صلى الله عليه وآل وسلم ونحى عنه ملك الموت ابليس .

أقول في هذا الحديث اشارة الى انَ البعوضة وغيرها من ذوات الأرواح لاتموت الا ان يكون ملك الموت يقبض ارواحها كما يقبض ارواح بني آدم، وعن مولانا الأمام زين العابدين

عليه‌السلام قال: الموت للمؤمن كنزع ثيابه وسخة قلمة وفك قيود وأغلال ثقيلة والأستبدال بأفخر الثّياب واطيبها روائح، وأوطي المراكب وآنس المنازل وللكافر كخلع ثياب فاخرة والنقل عن منازل انيسه والأستبدال بأوسخ الثياب وأخشنها وأعظم العذاب.

وفي خبر آخر قال عليه‌السلام: ألقدوم على الله أتا المؤمن فكالغائب يقدم على اهله وأما الكافر فكالأبق يرجع الى مولاه.

وامَا لحظات ملك الموت وتصفحاته فورد في بعض الأخبار أنَ القوم يكونون في المجلس يتكلَمون فربما أخذتهم الفترة عن الكلام حتى يسكتوا كلهم عن الكلام فتلك السكتة هي اللحظة التي لحظهم ملك الموت وهو الذي اسكتهم، واما ملك الموت المقدم فهو عزرائيل عليه‌السلام.

وفي حديث المعراج انَ النبي صلى الله عليه وآل وسلم رآه في السماء الرابعة وهو عبوس الوجه ينظر في لوح بين يديه قد كتبت فيه الآجال فسأله صلى الله عليه وآل وسلم كيف تقبض الأرواح وانت في هذا المكان؟ فقال: يارسول الله انّ الدنيا في يدي كالدرهم في يد احدكم يقلبه كيف شاء، او كالعصفور بيد الطفل، ومع هذا الأقتدار التام قد جعل الله سبحانه له أعواناً من الملائكة يرسلهم الى قبض الأرواح الاَ انهم اذا قبضوها أتوا بها اليه فعرضوها عليه حتى يأمرهم بأمره فيها اين يضعونها في الجنَة ام في النار، ومن هنا ورد الدعاء اللهم صل على ملك الموت واعوانه.

وامَا النطفة التي خلق منها وهي المني ومامزج به من تراب قبره، فقال الصادق عليه‌السلام: انَها تخرج منه حال خروج الروح فلذلك يغسل غسل الجنابة، وتلك النطفة تارة يخرج من عينه كالدموع، واخرى من فيه كالزبد، ولكن قدمنا انَه لأجل الجمع بين الأخبار ينبغي ان نقول بخروج بعضها وبقاء بعضها تكون معه في القبر تدور معه كيف دار وهي التي يخلق بدنه منها اذا قامت القيامة الكبرى.

بقي الكلام في موت الفجأة فالذي ورد في الدعاء هو الأستعاذة بالله سبحانه منه وذلك لما تحققت مافي الأرض من الثواب، نعم قد ورد في الأخبار انَ موت الفجحأة على المؤمن راحة معجَلة، وعلى الكافر تدارك منه تعالى له على ماصنع من اعمال الخير حتى اذا مات تبادرته ملائكة العذاب واما الموت الشديد فعلى الكافر عقاب معجَل، وامَا على المؤمن فكفارة لما بقي عليه من الذنوب، وامَا حدّه فقال الباقر عليه‌السلام من مات دون الأربعين فقد اخترم، ومن مات دون اربعة عشر يوماً فموته موت فجأة، وكذا روي عن الصادق عليه‌السلام ايضاً، وامَا تشديد الموت على الأطفال والصبيان فهو كفَارة لوالديهم على ما في الروايات اذا عرفت هذا.

فاعلم انَ الكافر الواقع في هذه الأخبار المراد به مايشمل الفاسق المصرَ على فسقه، ولاتأخذك الغرة ايها الأخ، وتدخل نفسك في المؤمنين الذين ورد في شأنهم تخفيف الموت عنهم، وذلك انَ للإيمان درجات ومراتب فلعل المراد بهم أهل الدرجة العليا، كيف لا وقد ورد في الخبر انه مولانا امير المؤمنين عليه السلام لَمّا كان في بعض غزواته وانتهى بعسكره الى قرب جبل، فقام وتوضأ وأخذ ماء ورشه على ذلك الجبل فانفطر فخرج منه رجل ابيض الرأس واللّحية، فسلم على امير المؤمنين عليه السلام، فسئله من انت؟ وهو اعلم به، قال: انا وصي عيسى ياأمير المؤمنين لولا مرارة الموت لخرجت وكنت اقاتل معك، فقال: انا في هذا القبر ثمانين سنة وماخرجت مرارة الموت من حلقي، فرجع الى مكانه.

وفي الرواية ان جماعة قالوا لعيسى عليه السلام قد أحييت من كان حديث العهد من الموت فاحي لنا من كان بعيد العهد منه فقال عليه السلام اختاروا من شئتم، فاختاروا سام بن نوح فصلّى ركعتين فدعى الى الله تعالى فأحياه فاذا هو قد ابيض رأسه ولحيته، فقال عيسى عليه السلام ماهذا الشّيب؟ ولم يكن في زمانه بل عرض في ومان ابراهيم عليه السلام، قال: سمعت الندا فظننت انها يوم القيامة فشاب رأسي ولحيتي من الهيبة، وقال: كم وقتاً متَ؟ فقال: منذ اربعة آلاف سنة فما ذهبت عنّي سكرات الموت.

فان كان حاله خروج الروح ودعت جوارحه بعضها بعضاً فيقول السلام عليكم فما نلتقي بعد هذا اليوم ابداً الى يوم القيامة، فعند ذلك يأتي اليه ملك الموت فيسل روحه من أصابع رجليه الى صدره، فاذا بلغت الصدر وقفت وعاينت ورأت مكانها فذلك هو اوّل منزل من منازل الآخرة، وهو منزل الحسرة والندامة حتى انه يقول لملك الموت ارجعني الى الدنيا يوماً لأعمل صالحاً، فيقولكفنيت الأيام، فيقول ارجعني ساعة فيقول: فنيت الساعات.

وذها معنى قوله تعالى ربَ ارجعوني لعلّي اعمل صالحاً فيما تركت، فيجاب كلا انها كلمة هو قائلها، يعني لو رجع الى الدنيا لم يعمل الا ما كان يعمل سابقاً وليس مايقوله الاَ مجرد الكلام، فعند ذلك تسدّ ابواب الرجاء وتفتح له ابواب اليأس.

واما راحة الموت فهو السكون عن الأضطراب والشعور الذي يعرض له قبل قبض الروح حتَى انَ اهل الميت ربّما رجوا حياته نظراً الى السكون بعد الأضطراب واليقظة من سكر المرض فالذي ورد في الأخبار انّ الله تعالى يرجع اليه عقله عند الموت لأجل الوصيّة حتى يفعل او يترك فلا يكون له حجّة على الله سبحانه اذا قدم عليه بأني انما تركت الوصية لأجل سكرة الموت، وأمّا عند الأطباء فقالوا: انَ الطبيعة انّما تضطرب من جهة مقاومة المرض والعراك بينهم، فاذا غلب المرض على الطبيعة ايست الطبيعة من قهر المرض فاستسلمت له فسكنت عن الأضطراب، فعند

سكونها عقلت الأمور وعرفتها لأنّ المانع انّما كان ذلك الحرب بين الطبيعة والمرض، فاذا خرجت الرَوح من الصدر رأتت الى الفم، وخرجت منه، فهنا ينتهي آخر الباب الثاني ويتلوه الباب الآخر.

الباب الثالث

في أحواله بعد الموت، نور في بعض احوال البرزخ

اعلم ان الرَوح اذا خرجت من البدن لم تخرج خروجاً دفعيَاً بل يبقى أثرها وهو حرارة البدن بعد خروجها ساعة، ومن ثمّ لم يجب الأغتسال على من مسه الاّ بعد برد بدنه لأنه علامة خروج الروح وآثارها، وقال الصادق عليه السلام: اذا قبضت الروح فهي مظلّة فوق الجسد، روح المؤمن وغيره ينظر الى كل شيء يصنع به، فاذا كفن ووضع على السرير وحمل على اعناق الرجال عادت الروح اليه ودخلت فيه فيمد له في بصره فينظر الى موضعه في الجنة ومن النار، فينادي بأعلى صوته ان كان من اهل الجنة عجلوني عجلوني، وان كان من اهل النّار ردَوني ردَوني وهو يعلم كلّ شيء يصنع به ويسمع الكلام، ومن هذا ورد الأمر بالرفق به حال الغسل والكفن والحمل والأنزال في القبر.

واما الكفن فينبغي ان يكون ثلاثة أثواب شاملة للميت او ثوبين وقميصاً، وامّا المئزر الذي ذكره فقهاؤنا رضوان الله عليهم وهو الذي يشدّ على الوسط فلم نتحققه في صريح الأخبار، وحينئذ فالأحتياط في الجمع بين الأمرين، ويكون الكفن حسناً قال عليه السلام تنوقوا بأكفانكم فانَها زينتكم يوم القيامة، ومن ثمّ استحب الحبرة اليمانية وهو حلّة مخطَطة بخطوط الأبريسم ذات قيمة عالية تبلغ قيمة الحبرة مائة دينار وأكثر أو أقل، ولَما لم تتعارف في هذه الأعصار ذهب شيخنا المعاصر ادام الله ايامه الى انه ينبغي ان يجعل بدلها مايناسبها في اللون والقيمة مثل التفاصيل اليزدية والقطاني القاشانيّة او الهنديّة او البروجيّة او نحو ذلك بأن تجعل فوق الأكفان زينة للمؤمن لأنَ حرمته ميتاً كحرمته حيّاً.

فان قلت: كيف التوفيق بين هذا الخبر وبيم ماروي في الأخبار الصحيحة انَ الناس يحشرون حفاة عراة يمنعهم النظر الى عورات بعضهم اهوال يوم القيامة وأشغالها وان ابصارهم شاخصة الى فوق لملاحظة مايرونه من العذاب الذي يأتي من فوق رؤوسهم حتى انه روي انَ النبي صلى الله عليه وآله لما قال لأبنته فاطمة (ع) انّ الناس يحشرون عراة قالت: يارسول الله صلى الله عليه وآله وانا احشر عريانة؟ فقال: نعم:

فقالت واسوئتاه حياء من الله سبحانه، فأتى جبرئيل الى رسول الله ﷺ وقال: قل لفاطمة انّها استحيت من الله تعالى فضمن لها ان يبعثها في حلّتين يغشى نورهما المحشر وكذلك يكسو علياً مثلهما، ولّما ماتت فاطمة بنت اسد كفنها النبي ﷺ بثوبه، فقيل له في ذلك؟ فقال: اني ذكرت لها يوماً أحوال الناس في القيامة وانهم يحشرون حفاة عراة فقالت: وافضيحتاه فقلت لها: انّي اضمن لك على الله تعالى ان تحشرك مكسوّة فكفنتها بثوبي لأنّ الأرض لاتبليه ولايندرس بها، قلت يمكن الجمع بين هذه الأخبار بوجوه:

احدها انّه محمول على تفاوت مراتب اهل المحشر فمنهم العريان ومنهم المكسو بكفنه او بحلّة من الجنّة.

وثانيها انّ المكسوين انّما هم المؤمنون والعراة هم الكفّار، ولكن المؤمنين بالنسبة الى الكفّار كالقطرة الى البحر المحيط، فمن ثمّ اطلق عليهم الناس من باب تغليب الأكثر على الأقل.

وثالثها انه محمول على تعدد ارض القيامة وأختلاف احوال الناس في كلّ ارض فيكونون عراة في بعضها ومكسوين في البعض الآخر، وذلك لأنّ يوم القيامة يوم طويل عريض ويقابل ألف سنة من أيّام الدنيا، ومثل هذا اليوم تفنى فيه الأكفان وغيرها.

ورابعها انّ المكسوّ في أرض القيامةمن كان يستحي من الله عزّ وجلّ كما علل في حديث فاطمة(ع) والعريان من لم يستح من الله تعالى.

فاذا رفع على رؤوس الرجال تكون الروح مع التابوت ترفرف فوقه فهو يناشد حامليه ويتمنّى الرجوع الى الدنيا ولو ساعة واحدة، قال بعض العارفينك ايها الغافل عن مستقبل احوالك ينبغي ان تتعقل بخاطرك انّم قدمت وحملت على اكتاف الرجال وتمنّيت الرجوع الى الدنيا فاعمل بمقتضى ماتمنّيت قبل ان يأتيك يوم يحال بينك وبين متمنّاك.

فاذا شيّعه المؤمنون الى قبره غفر الله لهم ذنوبهم، كما روي ان اول مايتحف به الميت في قبره ان يغفر لمن شيّعه، فاذا بلغوا الميت الى قبره وضعوا تابوته قريباً من القبر ليأخذ أهبته وعدّته، فاذا وضعوه في لحده وهالوا عليه التراب دخلت الروح فيه الى حقويه، وفي حديث انّه يسمع نفض ايدي القوم من تراب قبره، فعند ذلك ينظر يميناً وشمالاً فلا يرى الاّ ظلمات ثلاث ظلمة الأرض وظلمة العمل وظلمة الوحشة، فيالها من داهية عظيمة ومرزية جسيمة.

فاذا وضع في القبر فأول ملك يدخل عليه رومان فتّان القبور، روي عن عبد الله بن سلام انّه قال سئلت رسول الله ﷺ عن اول ملك يدخل في القبر على الميّت قبل منكر ونكير، فقال رسول الله ﷺ ملك يتلألأ وجهه كالشمس اسمه رومان، يدخل على الميت ثمّ يقول له: أكتب ماعملت من حسنة ومن سيئة، فيقول له: بأي شيءٍ اكتب؟اين قلمي ودواتي ومدادي؟ فيقول له:

ريقك مدادك، وقلمك اصبعك، فيقول: أي شيءٍ أكتب وليس معي صحيفة؟قال: صحيفتك كفنك فاكتبه فيكتب ماعمله في الدنيا خيراً فاذا بلغ سيئاته يستحي منه، فيقول له الملك: ياخاطي ماتستحي من خالقك حتى عملتها في الدنيا وتستحي الآن، فيرفع الملك العمود ليضربه به فيقول العبد ارفع عنّي حتى أكتبها فيكتب فيها جميع حسناته وسيئاته، ثمّ يأمره ان يطوي ويختم، فيقولك باي شيء اختمه وليس معي خاتم؟فيقول: اختمه بظفرك وعلّقه في عنقك الى يوم القيامة كما قال تعالى {وكلّ انسان الزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيمة كتاباً يلقيه منشورا}.

وفي رواية اخرى انه يأتي الى الميت فيشمه فان عرف منه خيراً أخبر منكرا ونكيرا حتى يرفقا به وقت السؤال، وان عرف منه شراً أخبرهما حتّى يشدّدا عليه الحال والعذاب.

ثم يأتيانه ملكا القبر كما قال مولانا امير المؤمنين عليه السلام يجرّان اشعارهما ويخدان الأرض بأقدامهما أصواتهما كالرعد القاصف وأبصارهما كالبرق الخاطف، فيقولان له من ربك؟ ومادينك؟ ومن نبيّك؟ومن امامك؟ فيقول: الله ربي، وديني الأسلام، ونبيّ محمد وامامي علي بن ابي طالب عليه السلام ثمّ يعد الأئمة واحداً بعد واحد حتى يصل الى امام زمانه، وهو في هذا الزمان مولانا المهدي عليه وعلى آبائه السلام، فيقولان: ثبتك الله فيما تحب وترضى وهو قول الله عز وجل{يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الآخرة}، ثمّ يفسحان له في قبره مدّ بصره ثمّ يفتحان له باباً الى الجنة ثمّ يقولان له نم قرير العين نوم الشاب الناعم، فان الله عزّ وجلّ يقول {أصحاب الجنّة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا}.

واذا كان لربه عدواً فانّه يأتيه أقبح من خلق الله زيّاً وأنتنه ريحاً فيقول: أبشر بنزل من حميم وتصلية جحيم، فاذا اتيا اليه ألقيا أكفانه فيسألانه عن ربه وعن نبيه وعن دينه وعن امامه، فيقول: لاادري فيقولان: لادريت ولاهديت، فيضربان يافوخه بمرزبة معهما ضربة ماخلق الله عزّ وجلّ من دابّة الاّ تذعر لها ماخلا الثقلين ثم يفتحان له باباً الى النار، ثمّ يقولان له نم بشر حال، ويسلط الله عليه حيّات الأرض وعقاربها وهوامها فتنهشه حتى يبعثه الله من قبره.

أقول قد وقع في هذا الخبر انّ الفسح بمقدار مد البصر، وروي عن النبي صلى الله عليه وآله انّه يفسح له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين وفي الكافي عن الأمام ابي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام يفسح له في قبره سبعة اذرع، ولامنافاة بينهما لأختلاف الفسحة بأختلاف الرجات.

فلعلّ فسحة الأدنى سبعة اذرع والأوسط سبعون والأعلى مد البصر، ولعلّ الحكمة في عدم سماع الثقلين صورت المرزبة أنهم لو سمعوه لصار الأيمان ضرورياً فيرفع التكليف الأختياري، وروي عن مولانا الباقر غليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله انّي كنت لأنظر الى الأبل والغنم وانا ارعاها وليس من نبيّ الاّ وقد رعى الغنم فكنت أنظر اليها وهي ترعى وماحولها شيء يهيّجها

حتى تذعر فتطير فأقول ماهذا وأعجب حتى جائني جبرئيل عليه السلام فقال: انّ الكافر يضرب ضربة ماخلق الله شيئاً الاّ سمعها ويذعر لها الاّ الجن والأنس.

وعن زيد بن ثابت قال بينا رسول الله صلى الله عليه وآله في حائط لبني النّجار على بغلة له ونحن معه ازحادت به فكادت تلقيه واذا أقبر ستة او خمسة فقال صلى الله عليه وآله من يعرف صاحب هذه الأقبر؟قال رجل: انا قال: فمتى ماتوا؟ قال: في الشرك، فقال: انّ هذه الأمة تبتلى في قبورها فلولا تدافنوا لدعوت الله ان يسمعكم من عذاب القبر الذي اسمع منه الحديث، وقوله عليه السلام لولا ان تدافنوا اه قد ذكر في معناه المحدثون وجوهاً:

منها انّهم لو سمعوا ذلك لم يدفنوا الميّت ليسلم من عذاب القبر، وأورد عليه انّ المؤمن ينبغي أن يعتقد حصول العذاب لأهله ولو في حواصل الطّيور وبطون السباع والحيتان فلا يمنع ترك التدافن.

ومنها ان المراد أنّهم لو سمعوا ذلك لكانوا يهربون عن كلّ ميت لعدم طاقتهم سماع عذابه، فلا يدفنونه اذ العذاب يحصل لأهله عقيب الموت بغير فاصلة.

ومنها ان يكون المراد أنّهم ماكانوا يقربون المقابر من أصوات عذاب الأموات، وأورد عليه انّ هذا لايقتضي ترك التّدافن مطلقاً وانّما يقتضي تركه بين المقابر والحديث مطلق.

ومنها انّهم لو سمعوا ذلك لحملهم سماعه على عدم التدافن لخوف الفضيحة في أقاربهم وعشائرهم، فانّ زيارة القبور كانت متعارفة بينهم وسماع صوت القريب يوجب فضيحة قريبه الى غير ذلك من الوجوه، وقوله عليه السلام في الحديث السابق ويسلّط الله عليه حيّات الأرض وعقاربها آه:

روي في الكافي عن الأمام ابي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام انّ الله يسلط عليه تسعة وتسعين تنيناً لو انّ تنيناً واحداً منها نفخ على الأرض مانبت شجراً ابداً، قال بعض العارفين ولاينبغي ان تتعجب من التخصيص بهذا العدد فلعلّ عدد هذه الحيّات بقدر عدد الصّفات المذمومة من الكبر والرياء والحسد والحقد وسائر الأخلاق والملكات المردية، فانّها تتنوع انواعاً كثيرة، وهي بعينها تنقلب حيّات في تلك النشأة اذا تحقّقت هذا كله، فقد بقي الكلام في امور:

الأول انّ الملائكة وهم منكر ونكير أهما بعينهما مبشّر وبشير ام غيرهما؟قلت: ظاهر الدعوات المأثورات عن الأئمة الأطهار(ع) المغايرة بينهما، وذلك انّ منكراً ونكيراً يأتيان لسؤال الكفّار والفساق، ومبشَراً وبشيراً يأتيان لسؤال المؤمن على أحسن هيئة وأتمّ خلق، حتى ان المؤمن ليفرح بدخولهما عليه والى هذا ذهب بعض العلماء.

وامّا الأخبار فظاهر كثير منها انّهما واحد ولكن قادران على التّشكلات المختلفة، فيأتيان الى المؤمن بصورة مبشّر وبشير، والى غيره بصورة منكر ونكير، ومع كلّ واحد منهما عمود من

نار لو أراد الجنّ والأنس ان يحرّكوا طرفه لما قدروا عليه، والى هذا ذهب جماعة من الأصحاب ولعلّه الأقوى، وما في ظاهر الدعوات يحمل عليه ايضاً وليس هو بحمل بعيد، وامّا انّ منكرا ونكيرا هل هما شخصان او نوعان فذاك خلاف آخر وان كان الظاهر من الأخبار هو الأول.

الأمر الثاني في تجسّم الأعمال في البرزخ والقيامة بأن يكون هذه الأعراض المعنوية في هذه النَشأة الدنيَة تكون اجساماً بعد الموت والأخبار متظافرة في الدّلالة على هذا كما انّ الصلاة تأتي الى الميّت في قبره بصورة شابّ حسن الوجه والثياب وكذلك الزكاة والبر وصلة الأرحام فيؤنسانه في قبره، وكذلك إدخال السرور على المؤمن وقضاء حوائجه ونحو ذلك.

روى اصحابنا رضوان الله عليهم عن قيس بن عاصم قال: وفدت مع جماعة من بني تميم على النبي ﷺ فدخلت عليه وعنده الصّلصال بن الدّلهمس، فقلت: يانبي الله عظنا موعظة ننتفع بها فانّا قوم تعبر في البرية، فقال رسول الله ﷺ: ياقيس انّ مع العز ذلاً وان مع الحياة موتاً، وان مع الدنيا آخرة، وان لكلّ شيءٍ رقيبا، وعلى كل شيءٍ حسيباً، وان لكل اجل كتاب، وانه لابد لك ياقيس من قرين يدفن معك وهو حي تدفن معه وانت ميت، فان كان كريماً اكرمك وان كان لئيماً اسئمك ثمّ لايحشر الا معك ولاتحشر الا معه ولاتسأل الا عنه، فلا تجعله الاّ صالحاً فانه ان صلح آنست به وان فسد لاتستوحش الا منه وهو فعلك.

فقال: يانبي الله أحب ان يكون هذا الكلام في ابيات من الشعر نفتخر به على من يلينا من العرب وندّخره، فأمر النبي ﷺ من يأتيه بحسّان، فأستبان لي القول قبل مجيء حسّان، فقلت: يارسول الله قد حضرني ابيات أحسبها توافق ماتريد فقلت:

تخيّـر خليطـا مـن فعالـك انمّـا	قرين الفتى في القبر ماكان يفعل
ولابـد بعـد المـوت مـن ان تعـده	ليـوم ينـادي المـرء فيـه فيقبـل
فـان تـك مـشغولا بـشيء فـلا تكـن	بغـير الـذي يرضـى بـه الله تـشتغل
فلـن يـصحب الأنـسان مـن بعـد موتـه	ومـن قبلـه الاّ الـذي كـان يعمـل

وذهب بعض المحدثين من المعاصرين وغيرهم الى انّ الأعراض لايعقل تجسمها فيكون مثال الصلاة والصوم والزكاة ونحوها معناه انّ الله سبحانه يخلق للمؤمن في قبره جزاء الصلاة مثالاً نورانياً يأنس به المؤمن في البرزخ والقيامة، وكذا يخلق له جزاء الزّنا حيّة وعقرباً، ا ان الزنا يتصور حيّة على هذا القياس أعمال الخير والشر أقول هذا تأويل للأخبار من غير علة محوجة اليه، وذلك لأنّ تلك النشأة لايدركها العقل وهي أمر وراء طول العقل.

والحاصل انَ الصواب هو القول بصريح الأخبار المستفيضة بل المتواترة الدالة على تجسم الأعمال وانها هي التي توزن في موازين العدل يوم القيامة كما سيأتي عن قيرب ان شاء الله تعالى.

الأمر الثالث في ضغطة القبر اعلم انَ المؤمن اذا وضع في القبر قالت الأرض له مرحباً وأهلاً أما والله لقد كنت احبك وأنت تمشي على ظهري فكيف اذا ادخلت بطني فسترى ذلك، قال: فيفسح له مد البصر، واذا دخلها الرجل الخبيث الفاسق قالت: لا مرحباً بك ولاأهلاً، اما والله لقد كنت أبغضك وانت تمشي على ظهري فكيف اذا دخلت بطني سترى ذلك، فتضغطه ضغطه تخرج مخ رأسه من أظافير رجليه ويفتح له باب الى النار.

ثم يخرج اليه رجل قبيح فيقول: ياعبد الله من انت مارأيت شيئاً أقبح منك؟فيقول: انا عملك السيء الذي كنت تعمله ورأيك الخبيث، وهذه الضَغطة الشديدة هي التي ضمنها رسول الله ﷺ لفاطمة بنت اسد، وذلك انَه لَما حفر لها قبر اضطجع فيه رسول الله ﷺ، فقيل له في ذلك؟فقال: اني ذكرت عندها ضغطة القبر يوما وذكرت شدتها فقالتكواضعفاه ليس لي طاقة عليها فقلت لها: انّي أضمن لك على الله فاضطجعت في قبرها لذلك.

وروي في الكافي عن ابي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام أيفلت من ضغطة القبر أحد؟قال: فقال نعوذ بالله منها ماأقل من يفلت من ضغظة القبر، انَ رقيَة لَما قتلها عثمان وقف رسول الله ﷺ على قبرها فرفع رأسه الى السماء فدمعت عيناه وقال للناس: ذكرت هذه ومالقيت فرققت لها واستوهبتها من ضمّة القبر، قال فقال: اللَهمَ هب لي رقية من ضمة القبر فوهبها الله له.

قال وان رسول الله ﷺ خرج في جنازة سعد وقد شيَعه سبعون ألف ملك، فرفع رسول الله ﷺ رأسه الى السماء ثم قال مثل سعد يضمَ، قال: قلت جعلت فداك انّا نتحدث انَه كان يستخف بالبول فقال: معاذ الله انَما كان من زعارة في خلقه على اهله، قال: فقلت امَ سعد هنيئاً لك ياسعد، قال: فقال لها رسول الله ﷺ يام سعد لاتحتمي على الله.

اقول اذا كان سعد الذي شيَعت جنازته الملائكة اصابته ضغطة القبر فمن الذي ينجو منها، ومن هنا روي عن عمر بن يزيد قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام انّي سمعتك وانت تقول كل شيعتنا في الجنة على ماكان فيهم؟ قال: صدقت كلَهم والله في الجنة، قال: جعلت فداك انَ الذنوب كبائر فقال: اما في القيامة فكلكم في الجنة بشفاعة النبي المطاع أو وصي النبي، ولكني والله أتخوف عليكم في البرزخ، قلت: وما البرزخ؟قال: القبر منذ حين موته الى يوم القيامة، نعم قد ورد في الأخبار المعتبرة انَ من مات من المؤمنين ليلة الجمع او يومها أمن من ضغطة القبر.

وكذلك الجريدتان فانّهما مادامتا خضراويين لم ينله عذاب القبر وقد ورد انّ بعض أعمال البر والأدعية المأثورة تدفعها ايضاً وهو ليس ببعيد فان رحمة الله قريب من المحسنين.

وايضاً ذكر في ارشاد القلوب في فضل المشهد الشريف العزوي وما لتربته، والدّفن فيها من المزيّة والشرف، روي عن ابي عبد الله عليه السلام انّه قال في الغري قطعة من الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام تكليماً وقدس عليه تقديساً واتخذ عليه ابراهيم خليلاً ومحمّداً صلى الله عليه وآله حبيباً وجعل للنبيين مسكناً، وروي انّ امير المؤمنين عليه السلام نظر الى ظهر الكوفة فقال: ما أحسن منظرك واطيب قعرك اللهمّ اجعل قبري بها.

ومن خواص تربته اسقاط عذاب القبر وترك محاسبة منكر ونكير من المدفون هناك كما وردت به الأخبار الصحيحة عن اهل البيت(ع)، وروي عن القاضي بن بدر الهمداني الكوفي وكان رجلاً صالحاً متعبداً قال: كنت في جامع الكوفة ذات ليلة مطيرة فدق باب مسلم جماعة ففتح لهم وذكر بعضهم انّ معهم جنازة فادخلوها وجعلوها على الصفة التي تجاه باب مسلم بن عقيل ثمّ انّ احدهم نام فرأى في منامه قائلاً يقول لآخر: اما نسفره(نصبر ظ) حتى نبصر هل لنا معه حساب ام لا؟ فكشف عن وجه الميّت وقال لصاحبه: بل لنا معه حساب وينبغي ان نأخذ منه معجّلاً قبل ان يتعدى الرصافة فما يبقى لنا معه في طريق فانتبه وحكي له المنام وقال: خذوه معجّلاً فأخذوه ومضوا به في الحال الى المشهد الشريف صلوات الله وسلامه على مشرّفها شعر:

اذا مت فادفني الى جنب حيدر ... ابي شبر اكرم به وشبير
فلست أخاف النار عند جواره ... ولاأتّقي من منكر ونكير
فعار على حامي الحمى وهو في الحمى ... اذا ضلّ في البيداء عقال بعير

وروي انّ جماعة من صلحاء المشهد الشريف الغروي انّه رأى انّ كلّ واحد من القبور التي في المشهد الشريف الطاهرة قد خرج منه حبل ممتدّ متّصل بالقبة الشريفة صلوات الله وسلامه على مشرّفها.

وامّا المصلوب والغريق فروي انّ الله سبحانه يأمر الماء والهوى فيضغطانه أشدّ من ضغطة القبر، وقال امير المؤمنين عليه السلام: من مات يوم الخميس بعد الزول وكان مؤمناً أعاذه الله عزّ وجلّ من ضغطة القبر وقبل شفاعته في مثل ربيعة ومضر.

الأمر الرابع قد عرفت من تضاعيف الأخبار المذكورة وغيرها انّ السؤال في القبر قد وقع في شأن الميّت مطلقاً، فما تقول في الأخبار الصحيحة المعتبرة التي رواها المشايخ رضوان الله عليهم

في الأصول الأربعة وغيرها عن الأمام ابي عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام انه قال: لايسأل في القبر الاّ من محضَ الأيمان محضاً والكفر محضاً، وامّا ماسوى ذلك فملهو عنهم الى يوم القيامة؟.

قلت امّا شيخنا الشهيد تغمده الله برحمته فقال: انّ هذا الخبر وهو لايسأل في القبر الاّ من محض الأيمان او من محض الكفر، على سؤال خاص ليوافق الأخبار العامّة في سؤال القبر، وتفصيله انّه قال مولانا الصادق عليه السلام يسأل الميت في قبره عن خمس: عن صلاته وزكاته وحجّه وصيامه وولايته ايّانا أهل البيت، فتقول الولاية من جانب القبر للأربع مادخل فيكن من نقص فعليَ تمامه، وحينئذ فلعل الملهوَ عنه السؤال عن تفاصيل الصلاة والزكاة ونحوها فان كثيراً من المستضعفين من النساء والكهول ومن كان في أطراف البلاد وأهل الصحاري وبعض أهل القرى الذين بعدوا عن ديار العلم ولم يوجد بينهم عالم ولافقيه ولم يعرفوا تفاصيل هذه الواجبات ولاتحقّقوا وجوب السؤال عليهم ولاوجوب المهاجرة الى ديار العلم، بل تحقّقوا أنَ الواجب عليهم انّما هو هذا الذي يأتون به من الواجبات من صلاة وصيام، بل وبعض ساكني الأمصار حالهم ايضاً مثل هذا، وحينئذٍ فلعلَ السؤال الملهو عنه الى يوم القيامة هو هذا السؤال لا السؤال عن الرب والنبي والأمام ونحو ذلك من البديهيّات الّتي ملأت الأسماع والأقطار.

وامّا شيخنا الكليني قدس ضريحه فقال في الكافي باب المسئلة في القبر ومن يسأل ومن لايسأل ثمَ شؤرع في نقل هذه الأخبار فظاهره العمل بظاهرها، وكذلك شيخنا الصدوق ره فانّه نقل الخبر من غير تعرّض لتأويله، وهو قد ذكر في أوائل كتابه ان كلَ مايذكره فيه فهو حجّة بينه وبين ربّه، وظاهر شيخنا البهائي ره أنّه جنح اليه ايضاً.

اقول ويمكن ان يراد بالملهو عنهم الذين وردت الأخبار في شأنهم وأنّهم يكلّفون يوم القيامة بأن تؤجج لهم نار نار فيؤمروا بالدّخول فيها مثل البله والمجانين، ومن كان في فترات الأنبياء والشيخ الفاني والعجوز الفانية ونحوهم ممّا سيأتي ذكرهم ان شاء الله تعالى وهؤلاء لم يمحضوا الأيمان وهو ظاهر ولم يمحضوا الكفر ايضاً لمقصورهم عن ورود الموردين فيبقون على حالتهم في قبورهم حتّى يمنحهم الله سبحانه في القيامة قوة إدر التكاليف والعقل القابل له.

الأمر الخامس في بيان الأمور النافعة للميت في أحوال البرزخ، فمنها ذكر من بقي بعده من ارحامه واخوان دينه له بشيءٍ من أنواع البر والصدقة وصلاة وتلاوة قرآن وحجَ ونحو ذلك، فقد ورد في الخبر انَ الميت قد يكون في ضيق من العذاب فيهدي اليه واحد من أخوانه شيئاً من البرَ فيدخل عليه ملك في قبره بطبق من نور فيقول هذه هديّة من فلان اليك فيوسع عليه ويرفع عنه العذاب، ومن هذا ورد انّه قد يكتب البار بوالديه في حياتهما عاقّاً لهما بعد موتهما، اذا لم يذكرهما بشيءٍ من أفعال البر وكذا العكس.

وقد ورد بعض المحققين شبهة في هذا المقام وهي انّه تعالى قال في كتابه العزيز وان ليس للأنسان الاّ ماسعى، فانّ ظاهره ان سعى أحد في فعل من أفعال الخير لايصل ثوابه الى غيره، وقد أجيب عنه بوجوه:

الأول ان سعى الغير لاينفعه اذا أوقعه عن نفسه فامّا اذا نواه به فهو بحكم الشرع كالنّائب عنه والوكيل القائم مقامه كالوكيل في اخراج الزكاة والخمس مثلاً.

الثاني انّ وصول ثواب تلك الأعمال اليه لاريب انّه نتيجة سعيه في تحصيل الأيمان وأصول العقائد وفي اتخاذ الأصدقاء والأخوان ومعاشرتهم وإهذاء المعروف اليهم فما أهدوا اليه بعد موته فهو ممّا حصل بسعيه في الحقيقة.

الثالث انّ مضمون الآية مخصوص بامّة موسى وابراهيم كما يساعد عليه السياق لأنّ الآية هكذا: ام لم ينبأ بما في صحف موسى وهارون الذي وفّى ألاّ تزر وازرة وزر أخرى وان ليس للإنسان الا ماسعى، وامّا هذه الأمة فلا بعد في ان يصل اليهم ماسعى فيه غيرهم ايضاً تفضّلاً من الله عليهم، واقوى هذه الوجوه أوسطها كما انّ أضعفها أخيرها وفي الصحيح عن عمر بن يزيد قال: كان ابو عبد الله عليه السلام يصلّي عن ولده في كلّ ليلة ركعتين وعن والديه في كل يوم ركعتين قلت له جعلت فداك وكيف صار للولد الليل قال لأنّ الفراش للولد، قال وكان يقرأ فيهما انا انزلناه في ليلة القدر وانّا اعطيناك الكوثر.

ومنها ماروي عن النبي صلى الله عليه وآله قال: المؤمن اذا مات يصعد ملكاه الى السماء فيقولان عبدك فلان قد مات فأذن لنا حتى نعبدك على السماء فيقول الله تعالى انّ سماواتي مملوة بملائكتي ولكن اذهبا الى قبره واكتبا له الى يوم القيامة.

ومنها شهادة المؤمنين له بالخير والصلاح، فانّه قد ورد في الخبر انّ الله تعالى يجيز شهادتهم ويكتبه عنده من الأخيار وان كان في علم الله تعالى انه من الأشرار، وقال الصادق عليه السلام اذا حضر الميّت اربعون رجلاً فقالوا: اللهم انّا لانعلم منه الاّ خيراً، قال الله عزّ وجلّ قد قبلت شهادتكم وغفرت له ماعلمت ممّالا تعلمون.

وروى شيخنا الكليني قدس الله روحه باسناده الى الأمام ابي عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام قال: كان في بني اسرائيل عابد، فأوحى الله تعالى الى داود عليه السلام انّه مراء، قال: ثمّ انّه مات فلم يشهد جنازته داود عليه السلام فقام أربعون من بني اسرائيل فقالوا: اللهم انّا لانعلم منه الا خيراً وانت اعلم به منا فاغفر له قال: فلمّا غسل أتى اليه اربعون غير الأربعين وقالوا: اللهم انّا لانعلم منه الاّ خيراً وانت اعلم به منا فاغفر له، قال: فأوحى الله تعالى الىداود عليه السلام مامنعك ان

تصلي عليه؟قال داود عليه السلام للّذي أخبرتني به قال: فأوحي الله اليه انّه قد شهد له قوم فأجزت شهادتهم وغفرت له وعملت بما لايعلمون.

ومن هنا كان شيخنا المعاصر أدام الله ايّامه قد طلب من اخوانه المؤمنين ان يكتبوا على كفنه بالتّربة الحسينية الشهادة منهم بايمانه، فكتبوا هذا لاريب في ايمانه كتبه شاهداً به فلان وربما جعلوا تحت الشهادة نقش خواتيمهم، وكان يأمر الناس بهذا وأمثاله وهو حسن، وذلك انّ الله تعالى كريم والوافد عليه يكفيه أدنى الأعمال.

وقد كتب المولى الورع الأردبيلي ره كتابة الى الشاه طهماسب تغمده الله برحمته يوصيه في رجل سيّد وانّه من أهل الأستحقاق فصدّر كتابه بقوله ايها الأخ، فلمّا بلغ السيّد بذلك الكتاب الى الشاه قبل ذلك وقام له تعظيماً واحتراماً، فلما قرأه ورأى انّه ذكر فيه لفظ الأخ قال لغلامه: علي بكفني، فأتى اليه بكفنه فوضع الكتابة في الكفن وقال لخاصّتهكاذا أنتم دفنتموني فضعوا هذه الكتابة تحت رأسي لأحتج بها على منكر ونكير.

واقول ان المولى الأردبيلي الذي هو اتقى أهل الزمان قد قبلني أخاً وهذا خطّه وكاعذه، ففعلوا ما أمروا ولاريب في نجاته بهذا وأمثاله، ثمّ انّه قضى جميع حوائج ذلك السيّد وزاد عليه بما اراد.

وقد نقل لي رجل من الثقاة قال: ان الوزير الأعظم ميرزا تقي وزير الشاه المرحوم الشاه عباس طلب رجلاً من خواصه يوماً وقال: أريد منك قضاء حاجة، فقال: وما هي؟ قال: ان تأخذ مني ثلاث بغال وتمضي الى مشهد مولانا الحسين عليه السلام وتأتني بتراب من حريمه الشريف حتى اذا انا مت أوصي بان يطين قبري بذلك التراب، ويوضع منه فوقي وتحتي، فمضى ذلك الرجل من اصفهان وأتى بذلك التراب، واتّفق ان ذلك الوزير قد قتل فجعل ذلك التراب في قبره كما قال، ولاشك في انّ الله سبحانه يرفع عنه بيمن التراب وبركته.

ورأيت جماعة من العلماء والأخيار يكتبون على الأكفان هذين الشعرين:

وفدت على الكريم بغير زاد ... من الحسنات والقلب السليم

وحمل الزاد أقبح كل شيءٍ ... اذا كان الوفود على الكريم

وآخرون يكتبون هذا البيت وربّما نسبوه الى مولانا علي بن الحسين عليه السلام وهو هذا

فزادي قليل لم أراه مبلغي ... أللزاد أبكي ام لبعد مسافتي

وقد ذكر بعض اصحاب المصابيح من اصحابنا استحباب كتابة دعاء الجوشن وهذا كله زيادة خير وبركة فلا بأس به، وفي الرواية عنه صلى الله عليه وآله انّه خرج يوماً الى اصحابه فقال: ماتقولون في

رجل مات؟فقام رجلان ذوا عدل فقالا: لانعلم منه الاّ خيراً قالوا: الله ورسوله اعلم، قال ذلك في الجنة، قال: فما تقولون في رجل مات؟فقام رجلان ذوا عدل وقلا: لانعلم منه (الاّ شراً) خيراً قالوا: ذلك في النار فقال بئس ماقلتم عبد مذنب والله غفور رحيم.

وروي انَ رجلاً من الصالحين قال يوماً لرجل والله لايغفر الله لفلان، قال: فأوحى سبحانه وتعالى الى نبيَ ذلك الوقت ان قل لفلان قد غفرت له وأحبطت عمل ذلك الرجل.

وروي ايضاً انَ شاباً كان يتعاطى الفواحش فلم يدع شيئاً الا فعله، فمرض فلم يعده جيرانه فدعى بعضهم وقال: ان جيراني تأذوا منّي في حال حياتي وأعلم انَ جيراني في المقبرة يتأذون منّي ومن جواري فادفنوني في زاوية بيتي، فلمّا مات راى في المنام على هيئة حسنة، فقيل له: مافعل الله بك؟فقال: قال لي عبدي ضيّعوك وأعرضوا عنك اما انّي لااضيعك ولااعرض عنك برحمتي.

فان قلت اذا كان الرجل معلوم الحال بالفسق والمعاصي والأصرار على انواع الذنوب فكيف يجوز للمصلّين ان يقولوا في حقّه اللهم انّا لانعلم منه الاّ خيراً مع ان المعلوم منه خلافه، قلت يجوز ان يقال هذا الكلام في حقه وذلك لأنّه معلوم المذهب بأنه من الشيعة الأمامية فهذا الخير منه معلوم، واما الفسق فهو غير معلوم بقاؤه واستمراره الى وقت الموت لأحتماله التوبة فانك قد عرفت انّها مقبولة الى ماقبل المعاينة والدّخول في أحوال تلك النشأة، ولو سلّمنا عدم توبته لكن عفو الله سبحانه عن المجرمين لايفقد بحالة من الحالات فلعلّه قد شمله وأحاط به.

وماقيل بان مثل هذا الشخص يجوز ان يضطرب ايمانه عند صدمات الموت وحضور الشياطين فتعد له جماعة من الشياطين من محض الأيمان الى محض الكفر كما هو الواقع في شأن بعض الناس من اهل الأيمان المستودع.

فمعارض بأن الأصل في افعال المؤمن الصحّة الى ان يعلم نقيضها، وامّا الأستصحاب فليس هو بحجّة في مثل هذه المقامات فلا تغفل.

ومنها ان يجري صدقة في حياته كوقف مزرعة او قرآن او كتاب او ان يخلف ولداً صالحاً يستغفر له بعد موته، قال الصادق ﷺ ستّة خصال ينتفع بها المؤمن من بعد موتهكولد صالح يستغفر له ومصحف يقرأ فيه وقليب يحفره وغرس يغرسه وصدقة ماء يجريه وسنة حسنة يؤخذ بها بعده، الى غير ذلك من الأمور النافعة للميّت.

الأمر السادس قد عرفت انّ الأخبار قد تواترت في الدلالة على حقيّة عذاب القبر وقد اتّفقت عليه الأمّة سلفاً وخلفاً وبه قال اكثر أهل الملل ولم ينكرهأحد من المسلمين سوى ضرار بن عمرو وجماعة من المعتزلة، وقد ظهر في شيراز في عشر الستين بعد الألف جماعة من علماء الملاحدة وكان عالمهم يذهب الى انكار عذاب القبر ويموه على عوام الناس بأنّ الميت ينبغي ان

يتعرّف حاله، بأن يحشى فمه بالدّخن وماشابه ويدفن فيؤتى اليه في اليوم الآخر وتنبش قبره فانّك تراه على حاله، فلو كان في القبر سؤال وحساب لتغيرت حالته ولسقط الدّخن من فمه، وايضاً فانّا لانسمع عذابه في القبر مع شدّته وصعوبته، وهذا كلام بارد فان هذه الأذن والعين لاتصلحان لسماع تلك الأمور الملكوتيَة ومشاهدتها، بل انّما تدرك تلك الأمور بحس آخر من الحواس الا ترى الصحابة فانهم كانوا يجلسون عند النبي ﷺ وقت نزول جبرئيل ﷺ عليه ﷺ وهو يراه ويتكلم معه في حضورهم والناس لايرونه، ونظيره في عالم الشهود انّ النائم بحضور الجالسين قد يشاهد في نومه الحيات والعقارب والبلدان البعيدة وربّما يتألم مما يرى غاية الألم وربّما صرخ الصراخ العالي ومع هذا فالحاضرون الجالسون عنده لايسمعون ولايرون شيئاً ممّا يرى.

الأمر السابع في مآل الروح بعد عذاب القبر، قد تحقّقت انّ السؤال في القبر وضغطته وبعض انواع عذابه انّما هو على هذا البدن، فاذا فرغت الروح من هذا العذاب او الثواب لأنه، كما قال ﷺ: القبر امّا روضة من رياض الجنان واما حفرة من حفر النيران، انتقلت الى سعادة اخرى او شقاوة كالأولى فدخلت في قوالب مثل هذه القوالب والهياكل، الاّ انّها ألطف منها وأرق فهي عالم بين المجردات والماديّات أقدرها الله سبحانه بذلك القالب على الطيران في الهواء وقطع المسافات البعيدة بالزمان القليل، فاذا دخلت في ذلك القالب طارت به الى عالم الأرواح، فان كانت مؤمنة مضت الى وادي السلام وهي جنّة الدنيا خلقها الله تعالى في ظهر الكوفة وغيّبها عن ابصار الناظرين وفيها ارواح المؤمنين التي في القوالب المثالية وهم يتنعمون فيها بكل مافي جنة الآخرة، فانّ في هذه الجنة الأثمار والأنهار، والولدان والحور العين، والشراب والسلسبيل، وانهار اللبن والعسل وأنواع الحلي والحلل فهم يأكلون ويشربون وينكحون ويجلسون حلقاً حلقاً يتحاكمون ويتكلّمون.

روى الكليني بأسناده الى مولانا الصادق ﷺ قال: انذ الأرواح في صفة الأجساد في شجر في الجنة تتعارف وتتسائل، فاذا قدمت الروح على تلك الأرواح تقول(يقولون ظ) دعوها فانّها قد أقبلت من هو عظيم، ثم يسئلونها مافعل فلان؟ومافعل فلان؟ فان قالت لهم تركته حياً إرتجوه، وان قالت لهم قد هلك قالوا هوى هوى.

وفي حديث آخر انّ أرواح المؤمنين في حجرات في الجنّة يأكلون من طعامها ويشربون من شرابها، ويقولون ربنا أقم لنا الساعة وأنجز لنا ماوعدتنا وألحق آخرنا بأوّلنا.

وفي التهذيب ايضاً انه قال ليونس بن ظبيان ماتقول الناس في ارواح المؤمنين فقال يونس: يقولون يكونون في حواصل طير خضر في قناديل تحت العرش، فقال ﷺ: سبحان الله المؤمن اكرم على الله عز وجل من ذلك ان يجعل روحه في حوصلة طير أخضر اذا كان ذلك اتاه محمد

وعلي وفاطمة والحسن والحسين والملائكة المقربون صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين يايونس المؤمن اذا قبضه الله تعالى صيّر روحه في قالب كقالبه في الدنيا فيأكلون ويشربون، فاذا قدم عليهم القادم عرفوه بتلك الصورة التي كانت في الدنيا، والأخبار الواردة بهذه الجنة ومكانها وكيفيتها مستفيضة بل متواترة.

روى الكليني طاب ثراه عن حبة العرنى قال: خرجت مع امير المؤمنين عليه السلام الى ظهر الكوفة فوقف بوادي السلام كأنه مخاطب لأقوام فقمت بقيامه حتى أعييت ثم جلست حتّى مللت ثم قمت حتى نالني مثل مانالني اولاً ثم جلست حتى مللت ثم قمت وجمعت ردائي، فقالت ياأمير المؤمنين: انّي قد اشفقت عليك من طول القيام فراحة ساعة، ثم طرحت الرداء ليجلس عليه فقال لي: يلحبة ان هو الا محادثة مؤمن اة مؤانسته، قلت ياأمير المؤمنين وانهم لكذلك؟ قال: نعم ولو كشفت لك لرأيتهم حلقا حلقا محتبين[٢٠] يتحادثون، فقلت: اجساد ام ارواح؟فقال: ارواح، ومامن مؤمن يموت في بقاع الأرض الا قيل لروحه ألحقي بوادي السلام وانها لفبقعة من جنة عدن، وعن احمد بن عمر رفعه عن ابي عبد الله عليه السلام قال: قلت له ان اخي ببغداد واخاف ان يموت بها، فقال: مايبالي حيث مامات اما انه لايبقى مؤمن في شرق الأرض ولاغربها الا حشر الله روحه الى واد السلام، قال: قلت له واين وادي السلام؟قال: ظهر الكوفة اما اني كأني بهم حلق حلق قعود يتحدثون.

وروينا من كتب بحار لالأنوار من مؤلفات بعض مشايخنا رواه بسنده الى سلمان الفارسي رضي الله عنه انه قال يوماً لأمير المؤمنين عليه السلام بعد موت عمر بن الخطاب: يا امير المؤمنين اني حزين من موت رسول الله صلى الله عليه وآله الى هذا اليوم واريد ان تروحني هذا اليوم وتريني من كراماتك مايزيل عني هذا الغم، فقال عليه السلام: عليّ بالبغلتين اللتين من رسول الله صلى الله عليه وآله فلمّا آتي بهما ركب هو واحدة وركب سلمان الأخرى، قال سلمان: فلما خرجنا من المدينةواذا بكل بغلة جناحان فطارا في الهواء وارتفعا فتعجب غاية التعجب، فقال لي: ياسلمان انظر هل ترى المدينة فقلت اما المدينة فلا ولكن ارى آثار الأرض فاشار الى البغلتين فارتفعتا في الجو لحظة، فنظرت فلم ار شيئاً في الأرض واذا انا اسمع اصوات التسبيح والتهليل، فقلت: ياأمير المؤمنين الله اكبر ان هيهنا لبلاد قد وصلنا اليها؟فقال: ياسلمان هذه اصوات الملائكة بالتسبيح والتهليل وهذه هي السماء الدنيا فقد وصلنا اليها، فاشار الى البغلتين وحركَ شفتيه فانحطتا طائرتين نحو الأرض فكان وقوعهما على بحر عريض كثير الأمواج كأن امواجه الجبال، فنظر الى ذلك البحر مولانا امير المؤمنين

---

(٢٠) احتبى الرجل اذا جمع ظهره وساقيه بعمامة وقد يحتبي بيديه.

فسكنت امواجه فنزل عليه السلام ومشى على وجه الماء، ونزلت انا والبغلتان تمشيان خلفنا فلما خرجنا من ذلك البحر واذا هو تتلاطم امواجه كهيئة الأولى، فقلت: ياامير المؤمنين ماهذا البحر: فقال عليه السلام كهذا هو البحر الذي اغرق الله فيه فرعون وقومه فهو يضطرب خوفاً من الله تعالى من ذلك اليوم الى يوم القيامة فلما نظرت اليه خاف مني فسكن وهاهو رجع الى حالته الأولى، قال سلمان: فلمّا خرجنا من ذلك البحر ومشينا رأيت جداراً ابيضاً مرتفعاً في الهوى ليس يدرك اوله ولاآخره فلمّا قربنا اليه واذا هو جدار من ياقوت او نحوه فاذا بباب عظيم فلما دنا منه امير المؤمنين عليه السلام انفتح فدخلنا فرأيت اشجاراً وانهاراً وبيوتاً ومنازل عالية فوقها غرف، واذا في تلك البستان انهار من خمر وانهار من لبن، وانهار من عسل واذا فيها اولاد وبنات وكل ماوصفه الله تعالى في الجنة على لسان نبيه صلى الله عليه وآله رأيته فيها فرأيت اولاداً وبناتاً اقبلوا الى امير المؤمنين عليهه السلام يقبلون اياديه واقدامه فجلس على كرسي ووقف الأولاد والبنات حوله، فقالوا: ياامير المؤمنين ماهذا الهجران الذي هجرتنا؟هذا سبعة ايّام مارأيناك فيها ياأمير المؤمنين، فقلت: ياامير المؤمنين: ماهذه المنازل في هذا المكان؟ فقال: ياسلمان هذه منازل شيعتنا بعد الموت تريد ياسلمان ان تنظر الى منزلك؟فقلت: نعم فامر واحداً وأخذني الى منزل عالي مبني من الياقوت والزبرجد واللؤلؤ وفيه كل ما تشتهي الأنفس فأخذت رمّانة من ثماره وأتيت اليه، فقلتكياأمير المؤمنين هذا منزلي ولا أخرج منه فقال: ياسلمان هذا منزلك بعد الموت وهذه منازل شيعتنا بعد الموت وهذه جنَة الدنيا تأتي اليه شيعتنا بعد الموت فيتنعمون بها الى يوم القيامة حتى ينتقلون عنها الى جنة الآخرة، فقال: ياسلمان تعال حتى نخرج، فلما خرج عليه السلام ودّعه اهل تلك الجنة فخرجنا فانغلق الباب فمشينا، فقال لي: ياسلمان اتحب ان اريك صاحبك؟فقلتكنعم فحرّك شفتيه فرأيت ملائكة غلاضاً شداداً يأتون برجل قد جعلوا في عنقه سلاسل الحديد والنار تخرج من منخريه وحلقه الى عنان السماء والدخان قد احاط بتلك البرية وملائكة خلفه تضربه حتى يمشي ولسانه خارج من حلقه من شدة العطش فلما قرب الينا قال لي: تعرفه؟ فنظرته واذا هو عمر بن الخطاب، فقال: ياامير المؤمنين اغثني فانا عطشان معذب فقال امير المؤمنين عليه السلام كضاعفوا عليه العذاب فرأيت السلاسل تضاعفت والملائكة والنيران تضاعفت فاخذوه ذليلاً صاغراً فقال: ياسلمان هذا عمر بن الخطاب وهذا حاله فانه مامن يوم يمضي من يوم موته الى هذا اليوم الا وتأتي الملائكة به وتعرضه عليَ فأقول لهم ضاعفوا عذابه فيتضاعف عليه العذاب الى يوم القيامة.

قال سلمان: فركبنا فقال لي غمّض عينيك ياسلمان، فغمضت عيني فقال لي: افتحها واذا انا بباب المدينة، فقال: ياسلمان مضى من النهار سبع ساعات وطفنا في هذا اليوم البراري والقفار والبحار وكل الدنيا ومافيها.

اقول هذا الحديث لاينافي كون محلها ومكانها ظهر الكوفة، وذلك لأنَ هذه الجنة التي رآها سلمان هي التي بظهر الكوفة، ويكفي في هذا قوله عزّ وعلا{ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أموتاً بل احياء عند ربهم يرزقون فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ}وقوله ﷺ الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا، وهذا ليس للمقتول فقط اذ لاقيل ولاقائل به.وقد انكر بعضهم هذا النعيم وقال: ان الروح عرض فلا يجوز ان تتنعم، وهذا لايصح لأن الروح كما سبق جسم رقيق هوائي مأخوذ من الريح، ويدل على ذلك انّه يخرج من البدن ويرد اليه وهي الحساسة الفعالة مع انك قد عرفت انّها تدخل في قالب مثل هذا القالب الاّ انّه ألطف منه ليست في كثافة الماديات ولالطاقة المجردات بل هي ذوات وجهين وواسطة بين العالمين، وهذا ماقاله طائفة من أساطين الحكماء كأفلاطون وأتباعه من انّ في الوجود عالماً مقدارياً غير العالم الحسي وهو واسطة بين عالم المجردات وعالم الماديات ليس في تلك اللطافة ولا في هذه الكثافة، فيه الأجسام والأعراض من الحركات والسكنات والأصوات والطعوم والروائح وغيرها مثل قائمة بذاتها معلقة لافي مادة، هو عالم عظيم الفسحة وسكّانه على طبقات متفاوتة في اللطافة والكثافة وقبح الصورة وحسنها، ولأبدانهم المثالية جميع الحواس الظاهرة والباطنة فيتنعمون ويتألمون باللذات والألآم النفسانيّة والجسمانية.

وقد نسب العلامة في شرح حكمة الأشراق القول بوجود هذا العالم الى الأنبياء والأولياء والمتألهين من الحكماء، قال شيخنا البهائي عطّر الله مرقده: وهذا وان لم يقم على وجوده شيء من البراهين العقلية لكنه قد تأيّد بالظواهر النقلية وعرّفه المتألّهون بمجاهداتهم الذوقية وتحققوه بمشاهداتهم الكشهية.

وانت تعلم ان ارباب الأرصاد الروحانية أعلى قدراً وارفع شأناً من اصحاب الأرصاد الجسمانية فكما انك تصدق هؤلاء فيما يلقونه اليك من خفايا الهيات الفلكية فحقيق ان تصدق اولئك ايضاً فيما يتلونه عليك من خبايا العوالم المقدسة الملكية هذا كلامه ره.

فهذه الجنة التي هي دار السلام هي مأوى المؤمنين في نهارهم واما ليلهم فلهم جنَة اخرى يارون اليها في الليل ويسكنون فيها فهي محل نومهم فاذا اضاء الصبح طاروا منها الى وادي السلام وتلاقوا فيها وتعارفوا وتصاحبوا وتحادثوا واكلوا من ثمارها وبقوا فيها الى الليل فاذا جاء الليل طاروا الى الجنة التي في المغرب ليناموا فيها وتكون محلى الليل.

روى الكليني في الصحيح عن ضريس الكناسي قال: سئلت ابا جعفر عليه السلام ان الناس يذكرون ان فراتنا تخرج من الجنة فكيف هو؟ يقبل من المغرب وتصب فيه الأودية والعيون؟ فقال ابو جعفر عليه السلام: ان لله جنة خلقها الله في المغرب وماء فراتكم هذه يخرج منها واليها تخرج ارواح

المؤمنين من حفرهم عند كل مساء فتسقط على ثمارها وتأكل منها وتتنعم فيها وتتلاقى وتتعارف فاذا طلع الفجر هاجت من الجنة فكانت في الهواء فيما بين السماء والأرض تطير ذاهبة وجائية وتعهد حفرها اذا طلعت الشمس وتتلاقى في الهواء تتعارف.

واما ارواح الكفّار المصرين على الفسق فأرواحهم بعد الفراغ من عذاب القبر واني لهم الفراغ منهم تدخل ارواحهم في قوالب مثل هذه القوالب فيطيرون بها الى برهوت وهو وادٍ في حضرموت في ارض اليمن وهو وادٍ مملو من النار وعقاربها وحيّاتها وما تعته الله سبحانه في نار جهنم من انواع العذاب واقسامه قال الله تعالى حكاية عن آل فرعون {النار يعرضون عليها غدواً وعشية ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب} فان العطف يقتضي ان العرض على النار غدواً وعشياً غير العذاب بعد قيام الساعة فيكون في القبر.

وعن الأمام ابي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ان هذا في نار البرزخ قبل القيامة اذ لاغدو ولاعشي في القيامة ثم قال عليه السلام ك ألم تسمع قول الله عز وجل {ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب}، وقال سبحانه في حق قوم نوح{اغرقوا فادخلوا نارا}، والفاء للتعقيب من غير مهلة، فالمراد دنا والبرزخ ولو اراد الله سبحانه ادخالهم النار يوم القيامة لكان مناسباً بثم والآيات الدالة على عذاب البرزخ كثيرةوهذه النار التي هي برهوت هي محل عذابهم في النار، واما في الليل فقد خلق الله سبحانه لهم ناراً في المشرق اذا جاء الليل طاروا اليها وعذبوا فيها الى ان يجيء النهار.

وفي صيحة ضريسل لمتقدمه عن مولى الصادق عليه السلام قال: وان لله في المشرق ناراً خلقها ليسكنها ارواح الكفّار ويأكلون من زقومها ويشربون من جميمها ليلهم فاذا طلع الفجر هاجت الى واد باليمن يقال: لت برهوت أشد حراً من نيران الدنيا فكانوا فيها يتلاقون ويتعارفون فاذا كان المساء عادوا الى النار فهم كذلك الى يوم القيامة قال: قلت اصبحك الله ماحال الموحدين المقرّين بنبوة محمّد صلى الله عليه وآله من المسلمين المذنبين الذين يموتون وليس لهم امام ولايعرفون ولايتكم؟ فقال: اما هؤلاء فانهم في حفرهم لايخرجون منها فمن كان منهم عمل صالح ولم يظهر منه عداوة فانه يخد له خدا الى الجنة التي خلقها الله في المغرب فيدخل عليه منها الروح في حفرته الى يوم القيامة فيلقى الله فيحسبه بحسناته وسيئاته فاما الى جنة واما الى النار فهؤلاء موقوفون لأمر الله قال: وكذلك يفعل الله بالمستضعفين والبله والأطفال واولاد المسلمين الذين لم يبلغوا العلم فامّا النصب من اهل القبلة فانّهم يخدّ لهم خداً الى النار التي خلقها الله في المشرق فيدخل عليهم منها اللهب والشرروالدخان وفورة الحميم الى يوم القيامة ثم مصيرهم الى الحميم ثم في النار يسجرون، ثمّ

قيل لهم اينما كنتم تدعون من دون الله اين امامكم الّذي اتخذتموه دون الأمام الّذي جعله الله للناس اماماً.

وينبغي زيارة القبور لأنس الميت بالزائرين، روى الكليني في الصحيح عن مولانا الصادق عليه السلام في زيارة القبور قال: انّهم يأنسون بكم فاذا غبتم عنهم استوحشوا، وعن اسحق بن عمّار عن ابي الحسن عليه السلام قال: قلت له المؤمن يعلم من يزور قبره؟قال: نعم لايزال مستأنساً به مازال عند قبره فاذا قام وانصرف من قبره دخله من انصرافه عن قبره وحشة، وقال صفوان بن يحيى لأبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام بلغني انّ المؤمن اذا اتاه الزائر أنس به فاذا انصرف عنه استوحش فقال: لايستوحش.

اقول يمكن الجمع بين هذه الأخبار بوجوه: الأوّل حملها على تفاوت مراتب المؤمنين، فمنهم الكاملون الّذين لايستوحشون من مفارقة الزائرين لأنسهم بربهم وانواع عطاياه.

الثاني ان يكون المراد انّه لايستوحش من جهة مارزقه الله من اللّذات الروحانيّة بل والجسمانية وان كان يستوحش من جهة مفارقة الزائرين كما هو الظاهر من خبر اسحق بن عمّار، الثالث انّ المراد بالوحشة المتّقية الوحشة الكاملة والمراد بالوحشة الثابتة الناقصة القليلة.

فان قلت اذا كانت الأرواح في قوالبها المثاليّة محلّها وادي السلام فكيف تعلم بمن يزور قبرها وبينهما المسافات البعيدة؟قلت قد روى عن الصادق عليه السلام انّ الأرواح وان كانت في وادي السلام الاّ انّ لها اشعة علمية متصلة بالقبر فهي بتلك الأشعة تعلم بالزائرين والواردين الى القبور، وقد مثّلها عليه السلام بالشمس فانّها في السماء واشعتها في أقطار الأرض، فيقال انّ الشمس هنا وهناك وفي الأماكن البعيدة مع انّ قرصها في السماء، وفي بعض الأوقات تأتي هي أيضاً بذلك المثال الى القبر فتزوره وتطلع عليه وتزور اهلها.

روى الكليني ره عن اسحق بن عمّار عن ابي الحسن الأول عليه السلام قال: سئلته عن الميت يزور اهله؟ قال: نعم فقلت في كم يزور؟ قال: في الجمعة وفي الشهر والسنة على قدر منزلته، فقلتكفي أي صورة يأتيهم؟ فقال: في صورة طائر لطيف يسقط على جدرهم ويشرف عليهم فان رآهم بخير فرح وان رآهم بشرّ وحاجة حزن واغتمّ، وعن مولانا الصادق عليه السلام قال: انّ المؤمن ليزور اهله فيرى مايحب ويستر عنه مايكره، وانّ الكافر ليزور اهله فيرى مايكرهه يستر عنه مايحب، قال: فيهم من يزور كلّ جمعة ومنهم من يزور كلّ سنة على قدر عمله.

وقال عليه السلام: في حديث ىخر مامن مؤمن ولا كافر الاّ وهو يأتي أهله عند زوال الشمس فاذا رأى اهله يعملون بالصالحات حمد الله على ذلك واذا رأى الكافرأهله يعملون بالصالحات كانت عليه حسرة.

وقال ﷺ: يزور اهله عند زوال الشمس ومثل ذلك، قال: قلت في ايّ صورة؟ قال: في صورة العصفور وأصغر من ذلك، فيبعث الله عز وجل معه مايسره ويستر عنه مايكره فيرى مايسره ويرجع الى قرّة عين، واما اذا كان كافراً يريه الملك مايكره ويستر عنه مايحب وهذا الصنع مع المؤمن هو أحد معاني قوله ﷺ لي: الدعاء يامن أظهر الجمل وستر القبيح.

واما التسليم على القبور فهو ماقال الصادق ﷺ كالسلام على اهل الديار من المؤمنين والمسلمين انتم لنا فرط ونحن ان شاء الله بكم لاحقون، وفي الصحيح عن مولانا الرضا ﷺ قال: من أتى قبر أخيه ثمّ وضع يده على القبر وقرأ انا انزلناه في ليلة القدر سبع مرات امن يوم الفزع الأكبر.

وقال الصادق ﷺ: انّ الله تبارك وتعالى تطوّل على عباده بثلاث ألقى الريح بعد الموت ولولا ذلك مادفن حميم حميما، والقى اليهم السلوة ولولا ذلك لأنقطع النسل وألقى على هذه الحيّة الدابّة ولولا ذلك لكنزها ملوكهم كما يكنزون الذهب والفضة وقال ﷺ: اذا مات الميّت بعث الله ملكاً الى أوجع أهله فمسح على قلبه فأنساه لوعة الحزن ولولا ذلك لم تعمر الدنيا.

خاتمة هذا النور في احوال الأطفال امّا اطفال المسلمين فقد انعقد الأجتماع على دخولهم الجنّة بغير حساب، وقال ابو عبد الله ﷺ: اذا مات طفل من اطفال المؤمنين نادى مناد في ملكوت السماوات والأرض الا ان فلان بن فلان قد مات، فان كان قد مات والداه او احدهما دفع اليه يغذوه والاّ دفع الى فاطمة ﷺ تغذوه حتّى يقدم أتواه واحدهما او بعض اهل بيته فتدفعه اليه.

وعنه ﷺ قال: انّ الله تبارك وتعالى يدفع الى ابراهيم وسارة أطفال المؤمنين يغد وانهم بشجرة في الجنة لها أخلاف كأخلاف البقر في قصر من در، فاذا كان يوم القيامة ألبسوا وطيبوا وأهدوا الى آبائهم فهم ملوك في الجنّة مع آبائهم وهو قول الله تعالى{والذين آمنوا واتبعتهم ذريّاتهم بإيمان الحقنا بهم ذريّتهم، ولامنافاة بين هذين الخبرين لجواز ان يكون بعض الأطفال عند فاطمة ﷺ والبعض الآخر عند ابراهيم وسارة، وهذا انّما يكون في عالم البرزخ والاّ فهم في الجنّة الأخروية مع آبائهم ولاحاجة بهم الى التربيّة،

وامّا اطفال الكفّار فقد اختلف في شأنهم أقوال العلماء، فمن الأقوال انّهم خدمة أهل الجنّة وهم في الجنّة وهم في الجنّة لقوله تعالى{فطرة الله التي فطر الله عليها، وقول رسول الله ﷺ كلّ مولود يولد على الفطرة، ولم يصدر منهم مايوجب العذاب.

ومنها ماقيل انّهم من أصحاب الأعراف الّذين حكى الله سبحانه عنهم بقوله {وعلى الأعراف رجال يعرفون كلاً بسيماهم} وفي بعض الأخبار دلالة عليه.

ومنها ماقيل انّهم تابعون لآبائهم في دخول النّار ولكن لايتألّمون بحرارتها، فانّه قد روي في كثير من الأخبار انّ بعض الناس يدخلون النار ولايتألّمون بحرارتها، فانّه قد روي في كثير من الأخبار انّ بعض الناس يدخلون النار ولايتألّمون بها كما تقدم في حديث الكافر الذي اضاف المؤمن لما ورد عليه فاراً من سلطان بلاده.

ومنها مذهب التوقف في شأنهم وارجاع علم حالهم الى الله تعالى وهذا ايضاً موجود في الأخبار، ومنها انّ الله تعالى يعمل معهم بمقتضى علمه فمن علم منه الأيمان لو بقي الى وقت التكليف أدخله الجنّة، ومن علم منه الكفر في ذلك الوقت أدخله النار، والصواب هو مادلّت عليه الأخبار، روى الصدوق ره في الصحيح عن عبد الله بن سنان قال: سئلت ابا عبد الله عليه السلام عن اولاد المشركين يموتون قبل ان يبلغوا الحنث؟قال الله تعالى يؤجّج لهم ناراً فيقال لهم: ادخلوها فان دخلوها كانت عليهم برداً وسلاماً وان ابوا قال الله عز وجل هو ذا أنا قد أمرتكم فعصيتموني فيأمر الله عز وجل بهم الى النار، اقول وهذه النار الّتي تؤجّج يجوز ان يكون في عالم البرزخ، ويجوز ان يكون في القيامة الكبرى واذا جاء النصّ الصحيح قطع مادّة النزاع والكلام.

تذييل في حال ولد الزنا اذا ورد على ربّه عزّ وجلّ اعلم انّ المشهور بين اصحابنا رضوان الله عليهم هو انّه اذا ظهر دين الأسلام كان مسلماً بحكم المسلمين في الطّهارة ودخول الجنة وقد نقل عن المرتضى والصدوق وابن ادريس انه كافر نجس يدخل النار كغيره من الكفّار، ولكن وجد بخطّ شيخنا الشهيد الثاني قدّس الله روحه مسائل نقلها عن المرتضى تغمده الله برحمته وهذه عبارته وسئل عن ولد الزنا وماروي فيه من انّه في النّار وانّه لايكون من اهل الجنّة، فأجاب رضي الله عنه انّ هذه الرواية موجودة في كتب اصحابنا الاّ انه غير مقطوع بها ووجهها ان صحّت انّ كلّ ولد زنية لابد ان يكون في علم الله انه يختار الكفر ويموت عليه وانّه لايختار الأيمان، وليس كونه من ولد الزنية ذنباً يؤاخذ به فانّ ذلك ليس بذنب له في نفسه وانّما الذنب لأبويه ولكنّه انما يعاقب بأفعاله الذميمة القبيحة الّتي علم الله انّه يختارها ويصير كونه ولد زنا علامة على وقوع ما يستحق به العقاب وانّه من اهل النّار بتلك الأفعال لا لأنه مولود من الزنا.

أقول وهذا لاينافي ماحكيناه عنه لأنه رحمه الله تعالى قد يذهب في المسئلة الواحدة الى مذاهب مختلفة يكون له في كل كتاب من مصنفاته مذهب من المذاهب والحق انّ الأخبار متظافرة في الدلالة على سوء حاله وانّه من اهل النار، روى الصدوق ره باسناده الى الأمام ابي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال: يقول ولد الزنا: يارب ماذنبي فما كان لي في امري صنع؟ قال: فيناديه مناد فيقول انت شر الثلاثة أذنب والداك فثبت عليهما وانت رجس ولن يدخل الجنّة الا طاهر وهذا مما لامسلك فيه للعقول وان اردت تأويل مثل هذا الخبر لينطبق على اقوال الأصحاب

رضوان الله عليهم فاحمله على ارادة ولد الزنا اذا كان مخالفاً في المذهب مع ان هذه سياسات شرعية اظهرها الشارع لحكم ومصالح حتى لايتجرى الناس على الزناء وله نظائر كثيرة، مع ان الغالب في ولد الزنا سوء الحال والأعمال حتّى يكون هو الذي يدخل النار بعمله على انه يجوز ان الله تعالى يحتجَ عليه يوم القيامة بدخول نار يؤجّجها كما يحتجّ على غيره ممن تحققت سابقاً والظاهر وروده في الأخبار ايضاً وبالجملة فاحوال الناس في عالم البرزخ على ماسمعت من انه اما نعيم مقيم او عذاب اليم حتى تجيئهم القيامة الصغرى وهي ظهور مولانا صاحب الزمان عليه السلام فيحشر الله سبحانه من كل امّةٍ فوجاً كما تقدم تفصيله فلا يبقى الا القيامة الكبرى وما أقربها فها ذا نحن نعقد نور البيانها.

نور في القيامة الكبرى

اعلم وفقك الله تعالى ان وقتها ومعرفته مما استأثر به تعالى وتقدّس فقال: ان الله عنده علم الساعة، نعم قد علّمها لنبيه واوصيائه ﷺ وهم قد كتموا هذا العلم عنا كغيره من اكثر العلوم لحكم ومصالح كثيرة فتبقى الناس على هذه الحال بعضهم احياء وبعضهم اموات حتى يأذن الله تعالى بفناء الدنيا واهلها فيأمر اسرافيل فينفخ نفخة فيهلك فيها كل ذي روح ثم ينفخ النفخة الثانية التي يحييهم بها للحشر.

وروى الجليل علي بن ابراهيم في تفسيره عن الأمام زين العابدين عليه السلام انّه سئل عن النفختين كم بينهما قال: ماشاء الله وفي خبر آخر اربعين سنة فقيل له: فأخبرنا ياابن رسول الله كيف فيه؟ فقال: اما النفخة الأولى فان الله جلَ جلاله يأمر اسرافيل فيهبط الى الدنيا ومعه صور والصور رأس واحد وطرفان وبين طرفي كل رأس منهما مابين السماء(الى) والأرض قال: فاذا رأت الملائكة اسرافيل وقد هبط الى الدنيا ومعه الصور قالوا: قد اذن الله تعالى في موت اهل الأرض وفي موت اهل السماء قال: فيهبط اسرافيل عليه السلام بحضرة بيت المقدس ويستقبل القبله فاذا رآه اهل الأرض قالواكقد اذن الله تعالى في موت اهل الأرض قال: فينفخ فيه نفخة فيخرج الصوت من الطرف الذي يلي الأرض فلا يبقى في الأرض ذو روح الا صعق ومات ثمَ ينفخ فيه نفخة اخرى فيخرج الصوت من الطرف الذي يلي السماء فلا يبقى في السماء ذو روح الا صعق ومات الا اسرافيل، قال: فيقول الله تعالى لأسرافيل يااسرافيل مت فيموت اسرافيل فيمكثون في ذلك ماشاء الله تعالى، ثم يأمر الله تعالى السماوات فتمور ويأمر الجبال فتسير وهو قوله تعالى{يوم تمور السماء موراً وتسير الجبال سيراً} يعني تبسط وتبدل الأرض غير الأرض يعني بأرض لم يكتسب عليها الذنوب بارزة ليس عليها جبال ولانبات كما دحاها اول مرة ويعيد عرشه على الماء كما كان اول مرة فعند ذلك ينادي الجبّار جل جلاله بصوت له جهوري يسمع اقطار السماوات والأرض اين الجبّارون وابن الملاك(الملوك) لمن الموت؟ فلا يجيبه احد، فعند ذلك يقول الجبار عز وجل مجيباً لنفسه لله الواحد القهّار انا قهرت الخلائق كلّهم وأمتهم انّي انا الله لااله الا انا وحدي لاشريك لي ولا وزير وانا خلقت خلقي وامتهم بمشيئتي وانا احييهم بقدرتي قال: فينفخ الجبار نفخة في الصور يخرج الصوت من احد الطرفين الذي يلي السماوات فلا يبقى احد في السماوات الاحي وقام كما كان وتعود حملة العرش وتحضر الجنّة والنار ويحشر الخلائق للحساب قال: فرأيت علي بن الحسين صلوات الله عليهما يبكي عند ذلك بكاءً شديداً وقال رسول الله ﷺ: كيف انعم وصاحب الصور قد التقمه واصغى سمعه واحنى جبهته ينتظر حتّى يؤمر بالنفخ

فقالواكيارسول الله وماتأمرنا؟ قال: قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل وروى شيخنا الكليني تغمده الله برحمته في الصحيح عن يعقوب الأحمر قال دخلنا على ابي عبد الله عليه السلام نعزيه باسماعيل فترحم عليه ثم قال: ان الله عز وجل نعى الى نبيه صلى الله عليه وآله نفسه، فقال: انك ميت وانهم ميتون وكل نفس ذائقة الموت ثمّ أنشأ يحدّث فقال: انه يموت اهل الأرض حتّى لايبقى احد ثم يموت اهل السماء حتّى لايبقى احد الا ملك الموت وحملة العرش وجبرئيل وميكائيل قال: فيجيء ملك الموت يقوم حتى(يقف) بين يدي الله عز وجل فيقول له: من بقى؟ وهو اعلم فيقول: يارب لم يبق الا ملك الموت وحملة العرش وجبرئيل وميكائيل فيقال له: قل لجبرئيل وميكائيل فليموتا عند ذلك يارب رسوليك وامينيك؟ فيقول: اني قد قضيت على كل نفس فيها الروح الموت ثم يجيء ملك الموت حتى يقف بين يدي الله عز وجل فيقال له: من بقى وهو اعلم فيقول: يارب لم يبق الا ملك الموت وحملة العرش فيقول: قل لحملة العرش فليموتوا ثم يجيء كئيبا حزيناً لايرفع طرفه فيقول له من بقى فيقول: يارب لم يبقى الا ملك الموت فيقول له: مت ياملك الموت فيموت ثم يأخذ الأرض بيمينه(بشماله) والسماوات بيمينه ويقول: اين الذين كانوا يدّعون معي شريكاً اين الذين كانوا يجعلون معي الهاً آخر؟.

وبالجملة فاذا امات تعالى فشأنه جميع اهل السماوات والأرض بقى وحده لاشريك له في الحياة والقدرة كما كان قبل ابتداء الخلق وهاتان النفختان قد حكاهما سبحانه حيث قال: { وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ{٦٧} وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ{٦٨} وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ{٦٩} وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ}.

والصور على ماقاله المفسرون قرن ينفخ فيه اسرافيل، والنفخة الأولى التي للأهلاك تأتي الناس بغتة وهم في اسواقهم، طلب معائشهم فاذا سمعوا صوت الصور تقطّعت قلوبهم واكبارهم من شدّته فيموتوا دفعة واحدة، فيبقى الجبار جلّ جلاله فيأمر ريحاً عاصفة فتقلع الجبال من اماكنها وتلقيها في البحار وتغور مياه البحار وكلّ مافي الأرض ويسطّح الأرض كلّها للحساب فلا يبقى جبل ولاشجر ولابحر ولاوهدة ولاتلعة فتكون ارضا بيضا حتّى انّه روي لو وضعت بيضة في المشرق رؤيت من المغرب فيبقى سبحانه على هذا الحال مقدار اربعين سنة.

فاذا اراد أن يبعث الخلق قال مولانا الصادق عليه السلام مطر السماء على الأرض اربعين صباحاً فاجتمعت الأوصال ونبتت اللحوم ويأمر الله تعالى ريحاً حتّى تجمع التراب الّذي كان لحماً

واختلط بعضه ببعض وتفرق في البراري والبحار وفي بطون السباع فتجمعه تلك الريح في القبر، فعند ذلك يجيء اسرافيل وصوره ويأمره بالنفخة الثانية، فاذا نفخ تركَبت اللّحوم والأعضاء، واعيدت الأرواح الى ابدانها وانشقَت القبور فخرجوا خائفين من تلك الصيحة ينفضون التراب عن رؤوسهم.

فيجيء الى كل واحد ملكان عند خروجه من القبر يقبض كلّ واحد منهما عضدا منه فيقولان لهكاجب رب العزة فيتحير من لقائهما ويأخذ الخوف والفزع حتّى انه في تلك الساعة يبيض شعر رأسه وبدنه بعد ما كان اسود، وعند ذلك يكثر في الأرض الزلزال حتّى تخرج مافيها من الأثقال وتشيب الأطفال وتضع كلّ ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد.

روي انّ الأرض تزلزلت في زمن تخلف عمر بن الخطاب ففزع الناس اليه فقال: اغدوا بنا الى علي بن ابي طالب عليه السلام فاتوا اليه وقام معهم بيده قضيب رسول الله صلى الله عليه وآله فخرج معهم الى البقيع والأرض تزلزل فضربها بالقضيب.

وقال مالك: ايَها الأرض مالك لاتتكلمين؟ فلمّا لم تتكلم قال عليه السلام: ليست هذه تلك، فقيل له كيف هذا؟ قال: انّ الأرض تزلزل عند القيامة فآتي انا اليها وانا ذلك الأنسان فأقول لها: مالك ايَتها الأرض فتحدثني بأخبارها، وتقول ان الله تعالى اوحى اليّ ان اخرج ما في بطني من المعادن والأموات والأثقال فيومئذ يصدر الناس من الأرض متفرقين يطلبون ارض القيامة ليرون اعمالهم من خير وشر فيحشرون وهم حفاة عراة عزلاً يعني بلا ختان ينظرون الى ما فوقهم من العذاب والى ما تحت ارجلهم فاذا خرجوا من القبور بهذه الأبدان الدنيوية وأراد التوجه الى الله تعالى والى عرصات القيامة فعند ذلك تتفرق احوال الناس في المضي الى عرصات القيامة وتنصب عليهم انواع العذاب او انواع الرحمة.

وقد روي ان الوحوش والبهائم يحشر يوم القيامة فتسجد لله سجدة فتقول الملائكة ليس هذا يوم السجود هذا يوم الثواب والعقاب فتقول البهائم هذا سجود شكر حيث لم يجعلنا الله سبحانه من بني آدم ويقال انّ الملائكة تقول للبهائم لم يحشركم الله جلّ جلاله لثواب ولاعقاب وانّما حشركم لتشهدوا فضائح بني آدم، وفي قوله تعالى{واذا الوحوش حشرت} دلالة على حشرها ولكنّ الّذي ورد في احاديث اخرى انّ الله تعالى يحشر الوحوش والبهائم للعدل وليقتصّ بعضها من بعض، كما قال عليه السلام: يوم يقتص للجماء من القرناء، وذلك انّ القرناء اذا نطحت الجمّاء أتي بها يوم القيامة فيؤخذ قرون القرناء وتعطي الجماء فتقتصّ منها.

وكذلك جميع الحيوانات وكلَ ذي روح حتَى الذباب يحشرها ليوصل اليها ما تستحقّه من الأعواض على الالآم التي لاقتها في الدنيا، فاذا اوصل اليها مااستحقت من الأعواض فمن قال انَ العوض دائم قال: تبقى منعمة على الأرض، ومن قال تستحق العوض منقطعاً قال: يديم الله تعالى لها تفضلاً لئلا يدخل على المعوض غمّ بانقطاعه، وقال بعضهم اذا فعل الله بها مااستحقّته من الأعواضات صارت تراباً فلا يبقي منها الا مافيه سرور ابني آدم واعجاب بصورته كالطاووس ونحوه، وفي بعض الأخبار انَ الله تعالى يخلق لها حضيرة بين الجنة والنار لمرعاها فتبقى فيه ابد الآبدين.

فاذا توجه الناس الى عرصات القيامة فمنهم من يبعث الله اليه ملائكة مع ناقة من نوق الجنَة فيركبها فتطير به الى الجنة ولايرى عرصات القيامة الاّ ماراً عليها، وأكثر هؤلاء هم الفقراء وأهل الآفات في الدنيا والصابرون على البلايا، ومنهم من يمشي مع الناس الى عرصات القيامة ولكنَه يحشر بصورة الذرَ تطأه الخلائق تحت أرجلها حتَى يوافي القيامة وهؤلاء المتكبرون، امَا في المشي او في الأكل، او على قبول الحق من اهله، او على التكاليف الشرعية فلم يأتوا بها كما سبق في باب الكبر والعجب.

ومنهم من يحشر أسود الوجه قال رسول الله ﷺ يحشر صاحب الطنبور يوم القيامة وهو اسود الوجه وبيده طنبور من نار وفوق رأسه سبعون ألف ملك بيد كل ملك مقدمة يضربون رأسه ووجهه، ويحشر صاحب الغناء من قبره اعمى وأخرس وأبكم، ويحشر الزاني مثل ذلك، وصاحب المزمار مثل ذلك، وصاحب الدفّ مثل ذلك وروي عنه ﷺ انَه قال: مارفع أحد صوته بغناء الا بعث الله شيطانين على منكبيه يضربان بأعقابهما على صدره حتَى يمسك.

ومنهم من يحشر تحت أظلاف الأنعام فهي تطأه بأظلافها فيموت ويحيى وهو تحت أظلافها، وهذا هو الذي منع زكاة الأنعام فتلك الأنعام التي منع زكاتها هي الَتي يحشرها الله تعالى حتَى تطأه بأرجلها، واما من منع زكاة الغلاَت فيكلَفه الله تعالى بأن ينقل تراب تلك الأرض الى المحشر، بل في بعض الأخبار انَه يكلَف نقل ترابها من طبقات الأرض السابعة فلا يقدر عليه فتضربه الملائكة، واما من منع زكاة النقدين فيأمر الله سبحانه باحضارها فتحضر وتحمى بنار جهنم فيكوى بها جبهة الَتي اعرض بها اولاً عن الفقير، ثمَ يكوى بها جنبه الَذي أعرض به ثانياً عن مستحقها، ثمَ يكوى بها ظهره الذي هو اشد مراتب اعراضه عن الفقير وآخرها.

فاذا مشى الناس من القبور مشوا في الظلمات كقطع الليل والملائكة تسوقهم وتنصب وراءهم سرادق من نار حتَى تسوقهم فلا يقفون، كما قال ﷺ: تسوقهم النار وتجمعهم الظلمة، وذلك لأنَ الشمس والقمر يكوّران فيذهب نورهما ولاتبقى فيهما الا الحرارة، وتنحطَ الشمس

عن مكانها كما اشار اليه سبحانه بقوله{اذا الشمس كوّرت}فتصير على رؤوس الخلائق حتى تغللا حرارتها الهام والدماغ، ولكن الله سبحانه يرسل الى المؤمنين غماماً يظلهم من حرها.

واما ظلمة القيامة فقد قال ﷺ: بشّر المشّائين في الظلمات الى المساجد بالنور الساطع يوم القيامة، وذلك انَ الله سبحانه يعطي المؤمن نوراً يمشي به في تلك الظلمات فمنهم من يكون نوره مقدار خمسة فراسخ، ومنهم الأقلّ على تفاوت مراتب اعمالهم ويكون الأقلَ منهم من نوره يرى به مواضع أقدامه فهؤلاء يقولون ربنا أتمم لنا نورنا، وفي الخبر انّ مطالع هذه الأنوار هي أعضاء الوضوء كما ورد في نعوت مولانا امير المؤمنين ﷺ انه قائد الغرّ المحجلية وهم المؤمنون، وتلك الأنوار يمشي بها المؤمن واهل بيته وجيرانه كما روي انّ المؤمن ليشفع في مثل قبيلة ربيعة ومضر فيشفعه الله تعالى.

وقال العسكري ﷺ يأتي علماء شيعتنا القوّامون بضعفاء محبّينا وأهل ولايتنا يوم القيامة والأنوار تسطع من تيجانهم، على رأس كلّ واحد منهم تاج بها قد انبثت تلك الأنوار في عرصات القيامة ودورها مسيرة ثلاثمائة ألف سنة، فشعاع تيجانهم ينبث فيها كلّها فلا يبقى هناك يتيم قد كفلوه ومن ظلمة الجهل قد أنقذوه ومن حيرة التيه أخرجوا الاّ تعلّق بشعبة من انوارهم، فترفعهم الى العلو حتى تحاذي بهم فوق الجنان ثم تنزلهم على منازلهم المعدّة في جوار أستاديهم ومعلميهم وبحضرة أئمتهم الّذين كانوا اليهم يدعون، ولايبقي ناصب من النواصب يصيبه من شعاع تلك التيجان الاّ عميت عينه وصمّت اذنه وأخرّس لسانه وتحول عليه اشد من لهب النيران فتحملهم حتّى تدنيهم الى الزبانية فيدعوهم الى سواء الجحيم.

ومنهم من يأتي من قبره وله لسانان من نار وهو الّذي كان في الدنيا يلاقي الناس بلسان وله في غيبتهم لسان آخر، ومنهم من يأتي ولسانه مخرج من قفاه وهو الّذي كان يؤذي الناس بلسانه الى غير ذلك.

وامّا ارض القيامة التي يحشرون اليها فقد قال الله تعالى{يوم تبدل الأرض غير الأرض}فروي عن مولانا الصادق ﷺ انّه تبدل خبزاً نقياً يأكل منه أهل المحشر حتّى يفرغوا من الحساب، حتّى قال له ابو حنيفة يابن رسول الله ﷺ انّ الناس في عرصات القيامة في شغل عن الأكل، فقال ﷺ كانّ شغل أهل النار بالعذاب اشد منهم وهم يقولون لأهل الجنّة أفيضوا علينا مما أفاض الله عليكم فيقولون لهم انّ طعام الجنة محرّم على أهل النار فيسقون حميماً وصديداً، كما قال تعالى{وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقاً}، وفي بعض الأخبار انّ ارض القيامة جمر يتوقد فتقف عليه الخلائق وحرارة الشمس من فوق رؤوسهم.

وفي حديث الصادق عليه السلام لأبن ابي ليلى ماتقول اذا جيء بأرض من فضة وسماوات من فضَة ثمَ أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيدك فأوقفك بين يدي ربَك وقال: انَ هذا قضي بغير ما قضيت؟فأصفَر وجه ابن ليلى، وفي اخبار اخرى انَها تبدل بارض اخرى لم يكتسب عليها ذنوب، ووجه الجمع بين هذه الأخبار بوجوه: احدها انَ الأختلاف منزَل على اختلاف مراتب اهل القيامة، فالمؤمنون تكون ارض محشرهم خبزة بيضاء، وامَا الكافرون فأرض محشرهم الجمر والنار، وامَا القضاة والفسَاق فيحشرون على ارض من فضَة محميَة بالماء تتوقد، وامَا غير هؤلاء فيحشر على ارض كهذه الأرض الاَ انَها غيرها والكلَ يحتاج الى الخبز في عرصات القيامة لكن يكون بعضهم أهله كالمؤمنين وبعضهم أهل السؤال منهم.

وثانيها انَه منزل على اراضي وقطعاتها فمنها جمر، ومنها خبز، ومنها فضَة، وكل الخلائق ترد على هذه القطعات لكنَها تكون على المؤمنين برداً وسلاماً.

وثالثها ان يكون الأختلاف محمولاً على اختلاف احوالهم في القيمة، فيكون أرضهم قبل سؤالهم وظهور فضائحهم وقبائحهم أرضاً بيضاء من الخبز، وبعد ظهور اعمالهم وقبائحهم يدفعونهم الى تلك الأرض الأخرى، وبالجملة على اختلاف احوالهم وسوءها وينبغي ان يبلغوا ارواحهم الى الموقف.

(نور في موقف الناس في القيامة وبعض احوالهم)

إعلم ثبتك الله تعالى انَ السماوات تطوى يوم القيامة كطي المكتوب فلا يبقى سماء وينزل العرش من مكان ارتفاعه الى الأرض الَتي هي ارض القيامة، وفي الأخبار انَها ظهر الكوفة، وينزل الله سبحانه الجنَة من مكانها وكذا النار فتكون الجنَة ودرجاتها ومراتبها اماكن السماوات والنيران مكانها موضع الأرضين السبع، فهذا في علوَ وهذا في انخفاض، وينصب العرش وسط ارض القيامة فيستظلَ به من شاء الله من المؤمنين.

قال عليه السلام: من عزيَ الثكلى أظله الله تعالى يوم لاظل الا ظله، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: اذا كان يوم القيامة زيَن عرش رب العالمين بكلَ زينة ثم يؤتى بمنبرين من نور طولهما مائة ميل، فيوضع احدهما على يمين العرش والآخر على يسار العرش ثمَ يؤتى بالحسن والحسين عليهما السلام فيقوم الحسن عليه السلام عن يمين العرش والحسين عن يسار العرش بزيَن الرب تبارك وتعالى بهما عرشه كما يزيَن المرأة قرطيها هذا حال الحسنين عليهما السلام ذلك، اليوم وامَا ابواهما فروي الصدوق ره مسنداً الى ابي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: اذا سألتم الله عز وجل فاسئلوه لي الوسيلة، فسئلت النبي صلى الله عليه وآله عن الوسيلة، فقال: هي درجتي في الجنَة وهي الف مرقاة مابين المرقاة الى

المرقاة حضر(مسير خ ل) الفرس الجواد شهرا، وهي مابين مرة جوهر الى مرقاة زبرجد، ومرقاة ياقوت الى مرقاة ذهب الى مرقاة فضة، فيؤتى بها يوم القيامة حتى تنصب مع درجة النبيين كالقمر بين الكواكب فلا يبقى يومئذ نبي ولاصديق ولا شهيد الاّ قال: طوبى لمن كانت هذه الدرجة درجته، فيأتي النداء عند الله عزّ وجلّ يسمع النبيين وجميع الخلق هذه درجة محمّد ﷺ، فأقبل أنا يومئذ متزر بربطة من نور على تاج الملك واكليل الكرامة، وعلي بن ابي طالب عليه السلام امامي وبيده لوائي وهو لواء الحمد، مكتوب عليه لااله الا الله، المفلحون هم الفائزون بالله، واذا مررنا بالنبيين قالوا: هذان ملكان مقرّبان لم نعرفهما ولم نرهما، واذا مررنا بالملائكة قالوا: هذان نبيان مرسلان حتى اعلو الدرجة وعلي عليه السلام يتبعني حتى اذا صرت في اعلى درجة منها وعلي عليه السلام أسفل مني بدرجة فلا يبقى يومئذ نبيّ ولاصديق ولا شهيد الاّ قال: طوبى لهذين العبدين ما أكرمهما على الله، فيأتي النداء من قبل الله عز وجل يسمع النبيين والصديقين والشهداء والمؤمنين هذا حبيبي محمد ﷺ وهذا وليّ علي عليه السلام طوبى لمن احبه وويل لمن أبغضه وكذب عليه.

ثمّ قال رسول الله ﷺ: فلايبقى يومئذ احد أحبّك ياعلي الاّ استروح الى هذا الكلام وابيضّ وجهه وفرح قلبه، ولايبقى احد ممن عاداك ونصب لك حرباً او جحد لك حقاً الاّ اسودّ وجهه واضطربت قدماه، فبينا انا كذلك اذا ملكان قد اقبلا على امّا احدهما فرضوان خازن الجنّة، وامّا الآخر فمالك خازن النار، فيدنو رضوان فيقولكالسلام عليك يااحمد فأقول: وعليك السلام ايها الملك من انت؟ماحسن وجهك واطيب ريحك؟فيقول: انا رضوان خازن الجنّة وهذه مفاتيح الجنّة بعث بها اليك رب العزّة فخذها ياأحمد، فأقول: قد قبلت ذلك من ربي فله الحمد على ما فضّلني به ادفعها الى اخي علي بن ابي طالب عليه السلام، ثم يرجع رضوان فيدنو مالك فيقول: السلام عليك ياأحمد فأقول: وعليك السلام ياملك من انت؟فما اقبح وجهك وانكر رؤيتك؟ فيقول: انا مالك خازن النّار وهذه مقاليد النّار بعث بها اليك ربّ العزة فخذها يااحمد فأقول: قد قبلت ذلك من ربي فله الحمد على ما فضّلني به ادفعها الى اخي عليّ بن ابي طالب عليه السلام، ثمّ يرجع مالك فيقبل علي عليه السلام ومعه مفاتيح الجنّة ومقاليد النار حتّى نقف على عجزة جهنم وقد تطاير شررها وعلا زفيرها واشتدّ حرّها وعلي عليه السلام أخذ بزمامها فيقول: جهنم جزني ياعلي فقد أطفأ نورك لهبي، فيقول لها عليه السلام قري ياجهنم خذي هذا واتركي هذا خذي هذا عدوي واتركي هذا وليي فلجهنم يومئذ اشد مطاوعة لعلي عليه السلام من غلام احدكم لصاحبه فان شاء يذهبها يمينه وان شاء يذهبها يساره، وللجنّة يومئذ اشد مطاوعة لعلي عليه السلام فيما يأمرها به من جميع الخلائق.

وعن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ اذا كان يوم القيامة ضرب لي عن يمين العرش قبة من ياقوتة حمراء، وضربت لأبراهيم عليه السلام من الجانب الآخر قبة من درّة بيضاء، وبينهما قبة من زبر جدة خضراء لعلي بن ابي طالب عليه السلام فما ظنّكم بحبيب بين خليلين.

وفي خبر آخر انّ الحسن عليه السلام يؤتيي فيعلموا ذلك المنبر فيجلس اسفل من درجة ابيه عليهما السلام بدرجة وكذا الحسين وباقي الأئمة عليهم السلام كلّ اسفل بدرجة، ثمّ يؤتى بابراهيم ونوح وموسى وعيسى وآدم يجلس كلّ واحد في درجته، يكسى كلّ واحد حلّة على قدر مرتبته ودرجته فيؤتى بأهل المحشر ويقفون صفوفاً وعددهم مائة الف صف وعشرون الف صف، امّة محمد ﷺ ثمانون الف صف والباقون امم ساءر الأنبياء، فاوّل ديوان يكون يوم القيامة ديوان فاطمة الزهراء عليها السلام مع من ظلمها في نفسها وفي اولادها، واول دم يؤخذ دم ابنها المحسن كما وردت به الروايات وذلك الديوان اصعب هول يكون على اهل المحشر لأن الله تعالى يغضب لغضبها حتّى يخشى على الخلق كلّهم من غضب الله تعالى.

وروي عن النبي ﷺ قال: انّ الله تعالى اذا بعث الأوّلين والآخرين نادى منادي ربّنا من تحت عرشه يامعشر الخلائق غضّوا ابصاركم لتجوز فاطمة بنت محمّد سيّدة نساء العالمين على الصّراط، فيغض الخلق كلّهم ابصارهم فتجوز فاطمة على الصراط لايبقى احد في القيامة الاّ غض بصره عنها الاّ محمد وعلي والحسن والحسين والطاهرون من اولادهم فانّهم محارمها، فاذا دخلت الجنة بقي مرطها ممدوداً على الصّراط طرف منه بيدها وهي في الجنّة وطرف في عرصات القيامة، فينادي منادي ربنا ايّها المحبون لفاطمة تعلّقوا بأهداب مرط فاطمة سيّدة نساء العالمين، فلا يبقى محبّ لفاطمة الاّ تعلق بهدبة من اهداب مرطها حتّى يتعلق بها اكثر من الف فياء والف فياء، قالوا: وكم فياء واحد يارسول الله؟قال: الف الف وينجي بها من النار.

وعن ابي جعفر عليه السلام لفاطمة وقفة على باب جهنم فاذا كان يوم القيامة كتب بين عيني كلّ رجل مؤمن او كافر، فيؤمر بمحب قد كثرت ذنوبه الى النار فتقرأ فاطمة بين عينيه محبّاً، فتقول: الهي وسيدي سمّيتني فاطمة وفطمت بي من تولاني وتولاّ ذريّتي من النار، ووعدك الحق وانت لاتخلف الميعاد، فيقول الله عز وجل صدقتي يافاطمة اني سمّيتك فاطمة وفطمت بك من احبك من النار وتولاك وأحب ذريتك وتولاهم من النار وعدي الحق وانا لااخلف الميعاد، وانّما امرت بعبدي هذا الى النار لتشفعي فيه فأشفعك فيتبين لملائكتي وانبيائي ورسلي وأهل الموقف موقعك منّي ومكانك عندي فمن قرأت بين عينيه مؤمناً او محبّاً فخذي بيده وادخليه الجنّة.

وروي الصدوق باسناده الى النبي ﷺ قال: اذا كان يوم القيامة تقبل ابنتي فاطمة على ناقة من نوق الجنّة مدبجة الجنبين، خطامها من لؤلؤ رطب، قوائمها من الزمرد الأخضر ذنبها من

المسك الأذفر، عيناها ياقوتتان حمراً وان عليها قبة من نور يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها داخلها عفو الله وخارجها رحمة الله، على رأسها تاج من نور للتاج سبعون ركناً كلّ ركن مرصّع بالدر والياقوت يضيء كما يضيء الكواكب الدرّي في افق السماء، وعن يمينها سبعون الف ملك وجبرئيل آخذ بخطام الناقة ينادي بأعلى صوته غضّوا ابصاركم حتّى تجوز فاطمة بنت محمد ﷺ، فلا يبقى يومئذ نبي ولارسول ولا صدّيق ولا شهيد الاّ غضّوا ابصارهم حتّى تجوز فاطمة عليها السلام، فتسير حتى تحاذي عرش ربها جلّ جلاله فترمي بنفسها على ناقتها ويقولكالهي وسيدي احكم بيني وبين من ظلمني، اللهم احكم بيني وبين من ظلمني اللهم احكم بيني وبين من ظلمني اللهم احكم بيني وبين من قتل ولدي فاذا النداء من قبل الله عزّ وجلّ ياحبيبتي وبنت حبيبي سلي تعطي واشفعي تشفعي فوعزتي وجلالي لايتجاوز بي اليوم ظلم ظالم فتقولكالهي وسيدي ذرّيتي وشيعتي وشيعة ذريتي ومحبيّ ومحبّ ذريتي فاذا النداء من قبل الله جلّ جلالهكاين ذرية فاطمة وشيعتها ومحبوها ومحبّو ذريتها؟فيقبلون وقد احاط بهم ملائكة الرحمة فتقدّمهم فاطمة حتّى تدخلهم الجنّة.

اقول وللمؤمنين شفعاء وهم الأئمة عليهم السلام قال الله تعالى{يوم ندعوا كل اناس بامامهم} يعني كما قال الصادق عليه السلام: يقال ياشيعة جعفر بن محمد وياشيعة مهدي آل محمد فتقوم شيعة كل امام وذلك الأمام يقدمهم حتّى يدخلهم الجنة، وامّا المخالفون فانّ لهم ائمة يوردونهم موارد الهلاك كما قال تعالى{ومنهم ائمة يدعون الى النار} والثلاثة ومن حذا حذوهم من الأمويين والعبّاسيين.

واعلم انّ ليوم القيامة مواقف والناس في كلّ موقف على حال من الأحوال، وفي احتجاج مولانا امير المؤمنين عليه السلام على الزّنديق الّذي ذهب الى انّ في آيات القرآن تناقضاً حيث قال: لولا مافي القرآن من الأختلاف والتناقض لدخلت في دينكم فقال عليه السلام: وما هو؟ فعدّ من الأياب الى ان قال: وقوله {يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لايتكلمون} وقوله{ربنا ماكنا مشركين} وقوله{ويوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن ببعضكم بعضاً}، وقوله{انّ ذلك لحق تخاصم اهل النار}، وقوله{لاتختصموا لدي} وقوله{اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم}وذلك انّ ظاهر هذه الآيات التناقض فأجابه عليه السلام بأنّ ذلك المواطن غير واحد من مواطن ذلك اليوم الذي كان مقداره خمسين الف سنة، والمارد يكفر اهل المعاصي بعضهم ببعض ويلعن بعضهم بعضاً والكفر في هذه الآية البراءة يقول يبرأ بعضهم من بعض، ونظيرها في سورة ابراهيم، وقول الشيطان انّي كفرت بما اشركتموني من قبل.

ثمّ يجتمعون في موطن آخر يبكون فلو انّ تلك الأصولت فيها بدت لأهل الدنيا لازالت جميع الخلق عن معائشهم وانصدعت قلوبهم الاّ ماشاء الله ولايزالون يبكون حتّى يستفد

والدموع ويفضون الى الدماء، ثم يجتمعون في موطن آخر فيستنطقون فيه فيقولون: والله ربنا ماكنا مشركين، وهؤلاء خاصة هم المقرون في دار الدنيا بالتوحيد فلم ينفعهم ايمانهم الله لمخالفتهم رسله وشكهم فيما اتوا به عن ربه، ونقضهم عهودهم في اوصيائهم واستبدالهم الذي هو ادنى بالذي هو خير، وكذبهم الله فيما انتحلوه من الأيمان بقوله انظر كيف كذبوا على انفسهم، فيختم الله على افواههم ويستنطق الأيدي والأرجل والجلود فتشهد بكل معصية كانت منهم ثم يرفع عن ألسنتهم الختم فيقولون لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا: انطقنا الله فيفر بعضهم من بعض لهول مايشاهدونه من صعوبة الأمر وعظيم البلاء، فذلك قوله عز وجل {يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه} الآية.

ثم يجتمعون في موطن آخر يستنطق فيه اولياء الله واصفياؤه فلا يتكلم احد الا من اذن له الرحمن وقال صوابا فيقام الرسل فيسألوا عن تأدية الرسالات التي حملوها الى امهم، فاخبروا انهم ادوا ذلك الى امهم وتسأل الأمة فيجحدوا كما قال الله تعالى فلنسألن الذين ارسل اليهم ولنسألن المرسلين، فيقولون: ماجاءنا من بشير ولانذير فيستشهد الرسل رسول الله ﷺ فيشهد بتصديق الرسل وتكذيب من جحدها من الأمم، فيقول لكل امة منهم بلى قد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير أي مقتدر على شهادة جوارحكم عليكم بتبليغ الرسل اليكم رسالاتهم، ولذلك قال الله تعالى لنبيه ﷺ فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً، فلا يستطيعون رد شهادته خوفاً من ان يختم الله على افواههم وان تشهد عليهم جوارحهم بما كانوا يعملون ويشهد على منافقي قومه وامته وكفارهم بالحادهم وعنادهم ونقضهم عهده وتغييرهم سنته واعتدائهم على اهل بيته، وانقلابهم على اعقابهم وارتدادهم على ادبارهم واحتذائهم في ذلك سنة من تقدمهم من الأمم الظالمة الخائنة لأنبيائها فيقولون بأجمعهم: ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين.

ثم يجتمعون في موطن آخر يكون فيه مقام محمد ﷺ وهو المقام المحمود فيثني على الله عز وجل بما لم يثن عليه أحد مثله، ثم يثني على الملائكة كلهم فلا يبقى ملك الا اثنى عليه محمد ﷺ ثم يصلي(يثني خ) على الأنبياء عليهم السلام بما لم يثن عليهم احد مثله ثم يثني على كل مؤمن ومؤمنة يبدأ بالصديقين والشهداء ثم الصالحين فيحمده اهل السماواتواهل الأرضين، فذلك قوله تعالى{عسى ان يبعثك ربك مقاماً محموداً فطوبى لمن كان له في ذلك اليوم حظ ونصيب} ، وويل لمن لم يكن له في ذلك المقام حظ ولانصيب.

ثم يجتمعون في موطن آخر وهذا كله قبل الحساب، فاذا اخذ في الحساب فذلك محل المصائب والأهوان فهو تعالى وتقدس يحاسب المؤمنين بالملاطفة والرفق، ويظن كل واحد ان الله

سبحانه يحاسب ولايحاسب غيره فهو تعالى في اللحظة الواحدة يحاسب الجمَ الفقير، واما غير المؤمنين فلما لم يكونوا قابلين لأن يكون الله سبحانه هو الذي يخاطبهم يأمر ملائكة بحسابهم وهم الذين لاينظر الله اليهم ولايكلمهم يوم القيامة والويل لهؤلاء وامثالهم.

وفي الحديث انّ اعرابياً جاء الى النبي ﷺ فقال: يارسول الله من يحاسب الخلائق غداً؟ فقال: الله يحاسبهم، فقال: نجونا والله لأنّ الكريم اذا حاسب عفى، والحال كما قال الأعرابي، ويؤيده ماروي انَ النبي ﷺ كان في بعض الأسفار فمرَ بامرأة تخبز ومعها صبيَ لها، فقيل لها انَ رسول الله ﷺ يمرَ فجاءت وقالت يارسول الله بلغني انَك قلت انَ الله ارحم بعبده من الوالدة بولدها افهو كما قيل لي؟ فقال: نعم فقالت: انَ الأم لاتلقي ولدها في هذا التنور، فبكى رسول الله ﷺ وقال: انَ الله لايعذب بالنار الاّ من أنف ان يقول لااله الا الله، أقول المراد بقول لااله الا الله مع شرائطها كما ورد التصريح به في الأخبار، وقال الأمام علي بن موسى الرضا عليه السلام انا من شرائطها يعني القول باني امام واجب الطاعة ولايوجد هذا الا في هذه الفرقة الأماميَة من بين فرق الشيعة كلّها وفرق المسلمين ايضاً، ومن هذا قال الجواد عليه السلام زيارة ابي الفضل من زيارة جدي ابي عبد الله الحسين عليه السلام لأن جدي عليه السلام يزوره كلَ احد واما ابي فلا يزوره الاّ الخالص من الشيعة، وذلك انَ الشيعة تتفرق الفرق المختلفة حتّى تبلغ الى ملانا علي الرضا عليه السلام فاذا بلغت اليه قالت بما عنده من الأئمة فلا يزوره اذا الاّ هذه الفرقة الاثنى عشرية الأمامية.

فاذا اخذت الملائكة في حساب الخلائق فروى الصدوق ره باسناده الى مولانا الأمام ابي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام قال: اوّل مايسأل عنه العبد اذا وقف بين يدي الله عز وجل عن الصلوات المفروضة وعن الزكاة المفروضة وعن الصيام المفروض وعن الحج المفروض وعن ولايتنااهل البيت فان أقرَ بولايتنا ثم مات عليها قبلت منه صلاته وصومه وزكاته وحجَه وان لم يقر بولايتنا بين يدي الله عز وجل لم يقبل الله شيئاً من اعماله.

وروى شيخنا الكليني وغيره مسنداً الى ملانا الأمام ابي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام قال: كلَ سهو في الصلاة يطرح منها غير انَ الله يتم بالنوافل انَ اوّل مايحاسب به العبد الصلاة فان قبلت قبل ماسواها، ولامنافاة بين الخبرين اذا لولاية شرط لقبول كل الأعمال الصلاة وغيرها واما واما الصلاة فهي شرط لقبول ماسواها من الأعمال وبعد هذا يأخذ الله والملائكة في سؤال الخلائق فيقول الله لعبده: ياايها الأنسان ماغرك بربك الكريم؟ قال عليه السلام: ان الله سبحانه علّم عباده الجواب وذلك انَه قال في سؤاله: ماغرّك بربك الكريم ولم يقل بربَك القهار والجبار فيقول في الجواب يارب غرّني كرمك، وذلك انَ العبد اذا عرف من مولاه الحمة والكرم ربَما تجري على

معاصيه في هذه الحالة ترى كلاً يطلب بحقه اما ان يكون مالاً او دماً او ضرباً او شتماً الى غير ذلك من الحقوق.

روي ان النبي ﷺ قال لأصحابه: أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لادرهم له ولامال ولامتاع، قال: انّ المفلس من امتي من اتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل ان يقضي ماعليه أخذ من خطاياه فطرحت عليه ثمّ يطرح في النار.

وفي الرواية ان عيسى عليه السلام دعى على قبر فأحيا الله تعالى من فيه، فسأله عن حاله فقال: كنت حمّالاً فحملت يوماً حطباً لرجل فكسرت خلالاً وخللت به اسناني فأنا مطالب به مذ مت.

وفي الآثار ان رجلاً فقيراً مات فلمّا رفعت جنازته بالغداة لم يفرغوا من دفنه الى العشاء لكثرة الزّحام فراي في المنام فقيل مافعل الله بك؟فقال: غفر لي واحسن اليّ الكثير تلاّ انّه حاغسبني حتّى طالبني بيوم كنت صائماً وكنت قاعداً على حانوت صديق لي حنّاط، فلمّا كان وقت الأفطار أخذت حبّة حنطة من حانوته فكسرتها نصفين فتذكرت انّها ليست لي فألقيتها على حنطته فأخذ من حسناتي قيمة مانقص من تلك الحبّة من الكسر في فمي.

في الأخبار انّه يؤخذ بدانق فضّة سبعمائة صلاة مقبولة فيعطاها الخصم، وروي ايضاً انّه يؤخذ بيد العبد يوم القيامة على رؤوس الأشهاد، فينادي الا من كان له قبل هذا حق فليأخذه، ولايكون اشد على اهل القيامة من ان يروا من يعرفهم مخافة ان يدعي عليه شيئاً.

وفي الخبر انّ رجلاً اشترى لحماً من قصّاب ثم اتى به وردّه عليه، فاذا كان يوم القيامة حاسبه الله سبحانه على رسم اللحم الذي بقي في يده وأخذ مناته وأعطى القصّاب، ومن هذا ورد في الحديث عن النبي ﷺ انّه قال: درهم يردّه العبد الى الخصماء خير له من عبادة الف سنة وخير له من عتق الف رقبه وخير له من الف حجة وعمرة، واعطاه الله لكل دانق ثواب نبي وبكل درهم مدينة من درّة حمراء، وقال عليه السلامك من ارضى الخصماء من نفسه وجبت له الجنّة بغير حساب، ويكون في الجنّة رفيق اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام.

وقال عليه السلام: انّ في الجنّة مدائن من نور وعلى المدائن ابواب من ذهب مكلّل بالدرّ والياقوت، وفي جوف المدائن قباب من مسك وزعفران، من نظر الى تلك المدائن يتمنى ان يكون له مدينة منها، قالوا: يانبي الله لمن هذه المدائن؟ قال للتائبين النادمين المرضيّين الخصماء من انفسهم، فانّ العبد اذا ردّ درهماً الى الخصماء اكرمه الله كرامة سبعين شهيداً، وان درهماً يرده العبد الى الخصماء خير له من صيام النهار وقيام اللّيل، زمن ردّه ناداه ملك من تحت العرش ياعبد الله استأنف العمل فقد غفر لك ماتقدّم من ذنبك.

وقال ﷺ: اشدّ مايكون على الأنسان يوم القيامة ان يقوم اهل الخمس فيتعلقوا بذلك الرجل، ويقولوا ربّنا انذ هذا الرجل قد اكمل خمساً وتصرف فيه ولم يدفعه الينا، فيدفع الله اليهم عوضه من حسنات ذلك الرجل وكذلك اهل الزكاة.

وقال ﷺ كلايرفع الأنسان قدماً عن قدم حتّى يسئل عن عمره فيما افناه وعن ماله من اين اكتسبه وفيما انفقه، فاذا قام سوق الحساب وضعت الموازين ونشرت الدّواوين وذلك لأنّ الأعمال تتجسم في تلك النشأة فاذا تجسمت أمر الله تعالى بوزنها ليرى العاملون راجح اعمالهم وناقصها عيانا فلا يظنون الظلم عليه تعالى عمّا يقول الظالمون علوّاً كبيرا.

روي ان رجلاً من الصالحين راى في المنام فقيل مافعل الله بك؟فقال: حاسبني فخفّت كفّه حسناتي فوقعت فيها صرة فثقلت كفه حسناتي، فقلت ماهذا؟فقيل كف تراب القيته في قبر مسلم فرجّح بذلك المقدار ميزاني، وروي ايضاً ان رجلاً وزنت حسناته وسيئاته فرجحت سيئاته فأراد الملائكة ان يأخذوه الى النار فقال الله تعالى: لاتأخذوه وان له عندي عملاً لاتدرون انتم فيه وهو انّه كان اذا شرب الماء صلّ على الحسين بن علي ﷺ ولعن ظالميه، فيوضع في الكفّة الأُخرى فيرجح على تلك السّيئات كلّها فيؤمر به الى الجنة.

وروي ان الله تعالى يأمر الملائكة فتزن اعمال رجل فترجح سيئاته على حسناته فيأمر الله تعالى به الى النار فتأخذه الملائكة فيلتفت الى ورائه فيقول له الله سبحانه: لم تلتفت؟فيقول ربّ ماكان ظنّي بك ان تدخلني النار، فيقول الله تبارك وتعالى: ملائكتي وعزتي وجلالي ماحسن الظّن بي يوماً واحداً ولكن لدعواه حسن الظّن ادخلوه الجنّة.

فان قلت قد روي عن مولانا الأمام ابي عبد الله جعفر بن محمد الصادق ﷺ انّ الموازين الّتي تنصب يوم القيامة هم الأنبياء والأئمة ﷺ وهم الذين يعرفون أعمال الخلائق، فكيف وجه التّوفيق؟حتى انّ الصدوق طاب ثراه وجماعة من المحدثين ذهبوا الى انّ الموازين هم عدل الله تعالى وهم الأنبياء والأوصياء ﷺ، قلت: المؤمنون يجوز ان يكون ميزانهم هو عدل الله والأنبياء فاذا قالوا لهم: هذه حسناتكم وهذه سيئاتكم وهذا ارجح من هذا لم يتّهموا الله تعالى ولاملائكته الكاتبين، واما المنافقين والكفّار فميزان اعمالهم ميزان موجود في ارض القيامة له كفّتان فيوزن به اعمالهم لينظروا اليها بأعينهم ويعرفوا مقدار الرّاجح من المرجوح.

قال ابن بابويه تغمده الله برحمته: حساب الأنبياء والرّسل والأئمة ﷺ يتولاه الله تعالى ويتولّى كل نبي حساب اوصيائه ويتولى الأنبياء حساب الأمم والله شهيد على الأنبياء والرسل وهم الشهداء على الأوصياء والأئمة ﷺ وهم الشهداء على الأمم وذلك قوله تعالى{ليكون الرسول عليهم شهيداً}وماقدمناه في شأن الحساب هو المفهوم من اكثر الأخبار فاذا وزنت الأعمال

بواحد من الميزانين وقع الأحباط وقد نفاه اكثر اصحابنا تبعاً للخواجا نصير الدين الطوسي وقبل الكلام فيه لابد من تعريفه ليتضح حقيقة الحال فنقول له ثلاث تعاريف:

اولها ماقاله المعتزلة من انّ معناه اسقاط الثواب المتقدم بالمعصية المتأخّرة وتكفير الذنوب المتقدمة بالطاعات المتأخرة.

وثانيها قول ابي عليّ الجبائي من انّ المتأخر يسقط المتقدم ويبقى هو على حاله.

وثالثها ماذهب اليه ابو هاشم من انّ الأحباط هو الموازنة وهو ان ينتفي الأقلّ بالأكثر وينتفي من الأكثر بالأقلّ ماساواه ويبقى الزائد مستحقاً وهذا المعنى ممّا لاينبغي الشك في صحته كما لاينبغي الشك في بطلان القولين لأستلزامهما الظلم على العدل تعالى عنه علواً كبيراً.

والآيات والأخبار دالّة عليه قال الله تعالى{ياايها الذين آمنوا لاترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ولاتجهروا له بالقول كجهر بعضكم بعضا ان تحبط اعمالكم}، وقول الأمام عليه السلام لأمراته هذا المكان الّذي احبط الله فيه حجّك العام الأوّل، وقوله عليه السلام من قبّل غلاماً بشهوة احبط الله منه عمل اربعين سنة الى غير ذلك من الأخبار، وقد استدلّ المتكلمون من اصحابنا رضوان الله عليهم بقوله تعالى{فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره}، وهذا الأستدلال كما ترى وذلك انه اذا كان الأحباط على ماقلناه يكون قد رأى العملين الخير والشر، وذلك انّه لولا الشرّ لحصل نعيم الأبد من غير عذاب ولولا الخير لخلّد في العذاب فهو قد راى خير هذا وشرّ هذا وهو ظاهر، والعجب من محققي اصحابنا رضوان الله عليهم كيف اتّفقوا على بطلانه مع دلالة الآيات والأحاديث عليه وعدم منافاته للدلائل العقليّة.

فاذا وقف الناس للحساب اخذهم العطش ثمّ ينظرون فيرون حوض الكوثر وهو كما قال صلى الله عليه وآله انّ عرضه مابين مكّة وصنعاء اليمن وفيه اكواب بعدد كواكب السماء وساقيه امير المؤمنين عليه السلام، وله خدّام من الملائكة والغلمان وهم الذين يسقون المؤمنين بأمره، فذا جاء المؤمن نظر الى وجهه وعرفه لأن بين عيني المؤمن مكتوب هذا مؤمن وبين عيني الكافر مكتوب هذا كافر، فان كان مؤمناً سقاه شربة لن يظمأ بعدها ابداً وان كان مخالفاً امر الملائكة فطردوه عن الحوض حتّى انّ المخالف ربّما دخل في غمار المؤمنين فتخرجه الملائكة من بينهم.

وروي ان ابن بابويه ره باسناده الى مولانا الأمام ابي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام قال: قالت فاطمة عليها السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله ياابتاه اين القاك يوم الموقف العظيم ويوم الأهوال في يوم الفزع الأكبر؟ قال: يافاطمة عند باب الجنة ومعي لواء الحمد وانا الشفيع لأمتي الى ربي، قالت: فان لم القك هناك؟ قال: ألقيتني عند الحوض وانا اسقي امتي، قالت: ياابتاه فان لم القك هناك؟قال: ألقيتني على الصراط وانا قائم أقول رب سلّم امّتي، قالت: فان لم القك هناك؟ قال:

ألقيتني على الصراط وانا قائم أقول رب سلم ربّ سلم امتي، قالت: فان لم القك هناك؟ قال: ألقيتني وانا عند الميزان اقول رب سلم امتي قالت فان لم القك هناك؟ قال: القيتني على شفير جهنم أمنع شررها ولهبها عن امتي، فاستبشرت فاطمة عليها السلام بذلك، ولامنافاة بينهما لأنّ يوم القيامة اذا كان مقداره خمسين الف سنة كان امير المؤمنين عليه السلام يسقي مدّة والنبي صلى الله عليه وآله يسقي مدذة أخرى، وذلك لأنّ كلّ واحد منهما له اشغال متعددة وليس شغل امير المؤمنين عليه السلام هو الحوض وحده بل الحوض من اقلّ اشغاله وانّ مقام الشفاعة والقسمة بين الجنّة والنار وغيرها لأعظم منه.

فاذا ميّزوا اهل الجنّة من أهل النار أمر الله سبحانه ان يؤتى بالموت عليه السلام فيؤتى به في صورة كبش أملح فيذبح بين الفريقين ينظر اليه اهل الجنة واهل النار ففي ذلك الوقت لو انّ احداً مات من الهم لمات اهل النار حيث انّهم علموا انّ العذاب داءم غير منقطع، ولو انّ احداً مات فرحاً لمات اهل الجنة حيث انّهم علموا انّ الخلود في الجنّة مقيم، وذلك انّه ليس من شيء ينغص العيش والحياة سوى الموت فاذا ارتفع ارتفعت الكدورات من الخواطر، قال الغزالي في احيائه هذا الحديث محمول على التّشبيه والمجاز ومعناه انّ اهل الكبش كما انّهم ييأسون من حياته اذا ذبح فكذلك اهل الجنة والنار ييأسون من الموت عند ذلك الكبش الذي سمّي موتاً، وهذا التأويل غير محتاج اليه مع امكان الحمل على الحقيقة وذلك لأنّ الأعراض المعنوية والحسيّة تصير في تلك النشأة اجساماً والأخبار الواردة بهذا المضمون مستفيضة بل متواترة.

روى الصدوق ره باسناده الى مولانا الأمام ابي جعفر محمد بن علي الباقر عليهما السلام قال: اذا كان حيث يبعث الله تبارك وتعالى العباد اتى بالأيام يعرفها الخلائق السلام باسمها وحليتها يقدمها يوم الجمعة له نور ساطع تتبعه سائر الأيام كأنها عروس كريمة ذات وقار تهدي الى ذي حلم ويسار ثم يكون يوم الجمعة شاهداً وحافظاً لمن سارع الى الجمعة، ثمّ يدخل المؤمنون الى الجنة على قدر سبقهم الى الجمعة.

وروى شيخنا الكليني باسناده الى سعد الخفاف عنه عليه السلام انّه قال: ياسعد تعلّموا القرآن فانّ القرآن يأتي يوم القيامة في احسن صورة نظر اليها الخلق والناس صفوف عشرون ومائة الف صف ثمانون الف صف من امة محمد صلى الله عليه وآله، واربعون الف صف من سائر الأمم، فيأتي على صف المسلمين في صورة رجل فيسلّم فينظرون اليه ثم يقولون لااله الا الله الحليم الكريم انّ هذا الرجل من المسلمين نعرفه بصفته غير انّه كان اشد اجتهاداً منّا في القرآن فمن هناك أعطى من البهاء والجمال والنور مالم نعطه، ثمّ يتجاوز حتى يأتي على صف الشهداء فينظر اليه الشهداء ثم يقولون: لااله الا الله الرّحيم انّ هذا الرجل من الشهداء نعرفه بسمته وصفته غير انه من شهداء البحر فمن هناك اعطى من البهاء والفضل مالم نعطه قال: فيتجاوز حتّى على صف شهداء البحر

في صورة شهيد فينظره شهداء البحر ويكثر تعجبهم ويقولون انّ هذا من شهداء البحر نعرفه بسمته وصفته غير انّ الجزيرة التي اصيب فيها كانت اعظم هولاً من الجزيرة التي اصبنا فيها فمن هناك ينظر النبيّون والمرسلون اليه فيشتدّ لذلك تعجّبهم ويقولون: لااله الا الله الحليم الكريم انّ هذا النبيّ مرسل نعرفه بسمته وصفته غير انه أعطى فضلاً كثيرا، قال: فيجتمعون فيأتون رسول الله ﷺ فيسألونه ويقولون: يامحمّد من هذا؟ فيقول لهم أوما تعرفونه؟ هذا ممّن لايغضب الله عزّ وجلّ عليه، فيقول رسول الله ﷺ: هذا حجة الله على خلقه، فيسلّم ثمّ يجاوز حتّى يأتي صف الملائكة في صورة ملك مقرّب فينظر اليه الملائكة فيشتدّ تعجبهم ويكبر ذلك عليهم لما رأوا من فضله ويقولون: تعالى ربنا وتقدّس هذا العبد من الملائكة نعرفه بسمته وصفته غير انه كان اقرب الملائكة الى الله عز وجل مقاماً فمن هناك ألبس من النور والجمال مالم نلبس، ثمّ يجاوز حتّى ينتهي الى رب العزّة تبارك وتعالى فيخر تحت العرش فيناديه تبارك وتعالى كياحجتي في الأرض وكلامي الصّادق النّاطق ارفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع فيرفع رأسه فيقول الله تبارك وتعالى كيف رأيت عبادي فيقول: يارب منهم من صانني وحافظ عليّ ولم يضيّع شيئاً، ومنهم من ضيّعني واستخف بحقي وكذّب بي وانا حجّتك على جميع خلقك، فيقول الله تبارك وتعالى كوعزّتي وجلالي وارتفاع مكاني لأثيبن عليك اليوم أحسن الثواب ولأُعاقبنّ عليك اليوم اليم العقاب.

قال: فيرجع القرآن رأسه في صورة اخرى قال: فقلت له ياابا جعفر في ايّ صورة يرجع؟قال: في صورة رجل شاحب متغيّر يبصره اهل الجمع، فيأتي الرجل من شيعتنا الّذي كان يعرفه ويجادل به أهل الخلاف فيقوم بين يديه فيقول ماتعرفني؟ فينظر اليه الرجل فيقول لاأعرفك ياعبد الله، قال: فيرجع في صورته التي كان عليها في الخلق الأول فيقول ماتعرفني؟ فيقول: نعم فيقول القرآن انا الّذي اسهرت ليلك واتعبت عينيك وسمعك الا وان كل تاجر قد استوفى تجارته وانا وراك اليوم، قال فينطلق به الى رب العزة تبارك وتعالى فيقول: يارب عبدك وانت اعلم به قد كان مواظباً عليّ يعادى بسببي ويحب فيّ ويبغض فيقول الله عزّ وجلّ ادخلوا عبدي جنذتي واكسوه حلّة من حلال الجنّة وتوجوه تياجاً، فاذا فعل به ذلك عرض على القرآن فيقال له: هل رضيت بما صنع بوليّك؟ فيقول: ياربّ انّي استقل هذا فزده مزيد الخير كلّه فيقولكوعزّتي وجلالي وعلوّي وارتفاع مكاني لأنحلنّ له اليوم خمسة اشياء مع المزيد له ولمن كان بمنزلته الاانهم شباب لايهرمون واصحاء لايسقمون واغنياء لايفتقرون وفرحون لايحزنون واحياء لايموتون، ثمّ تلا هذه الآية لايذوقون فيها الموت الاّ الموتة الأولى قال: قلت جعلت فداك ياابا جعفر وهل يتكلّم القرآن؟ قال: فتبسم ثم قال: رحم الله الضعفاء من شيعتنا انّهم اهل تسليم، ثمّ قال: نعم ياسعد والصلاة تتكلم ولها صورة وخلق تأمر وتنهى، قال سعد: فيتغير لذلك لوني وقلت: هذا شيءٌ لااستطيع

التكلم به في الناس فقال ابو جعفر عليه السلام: وهل الناس الا شيعتنا فمن لم يعرف الصلاة فقد انكر حقنا، ثم قال: ياسعد اسمعك كلام القرآن؟قال سعد: فقلت بلى صلى الله عليك فقال: ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله اكبر، فالنهى كلام الفحشاء والمنكر رجال ونحن ذكر الله والأخبار الواردة بهذا المضمون اكثر من ان تنكر.

ومن اهوال الناس في عرصات القيامة مارواه الصدوق ره باسناده الى مولانا الأمام ابي جعفر محمد بن علي الباقر عليهما السلام قال: لَمّا نزلت هذه الآية وجيء يومئذ بجهنم سئل عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: اخبرني الروح الأمين انّ الله لااله الا غيره اذا جمع الأوّلين والآخرين اتى بجهنم تقاد بألف زمام آخذ بكلّ زمام مائة الف ملك من الغلاظ الشداد، لها حدة(هدة) وتغيظ وزفير وانها لتزفر الزَفرة فلولا ان الله عزّ وجلّ أخرهم الى الحساب لأهلكت الجمع ثم يخرج منها عنق يحيط بالخلائق بالبر منهم والفاجر فما خلق الله عز وجل عبداً من عباده ملكاً ولانبياً الاّ نادى رب نفسي نفسي وانت يانبي الله تنادي امّتي امّتي، ثمّ يوضع عليها صراط ادقّ من حدّ السيف عليه ثلاث قناطر، امّا الأولى فعليها الأمانة والرّحم وامّا الأخرى فعليها الصلاة، وامّا الأخرى فعليها عدل رب العالمين لااله غيره فيكلّفون المر عليه فيحبسهم الرّحم والأمانة فان نجوا منها حبسهم الصلاة فان نجوا منها كان المنتهى الى ربّ العالمين جلّ وعزّ وهو قوله تبارك وتعالى انّ ربّك لبالمرصاد، والناس على الصراط فمتعلق قدم يزل وقدم يستمسك والملائكة حولهم ينادون ياحليم اغفر واصفح وعد بفضلك وسلم، والناس يتهافتون فيها كالفراش فاذا نجى ناج برحمة الله تعالى نظر اليها فقال: الحمد لله الذي نجّاني منك بعد يأس بمنّة وفضله انّ ربنا لغفور شكور.

وقال الصادق عليه السلام الناس يمرّون على الصراط طبقات والصراط ادقّ من الشعر واحد من السيف فمنهم من يمرّ مثل البرق ومنهم من يمر مثل عدو الفرس ومنهم من يمرّحبوا ومنهم ومنهم من يمرّ مشياً ومنهم من يمرّ متعلقاً قد تأخذ النار منه شيئاً وتترك شيئاً.

ومن الأهوال ان الله تعالى يحتجّ على الخلائق يوكّل بشكله روي عن عبد الأعلى مولى آل سام قال: سمعت اباعبد الله عليه السلام يقول: يؤتى بالمرأة الحسناء يوم القيامة الّتي قد افتتنت في حسنها فتقول: يارب قد حسّنت خلقي حتّى لقيت مالقيت فيجاء بمريم فيقال: انت احسن ام هذه قد حسّنتها فلم تفتتن، ويجاء بالرجل الحسن الذي قد افتتن في حسنه فيقول: يارب قد حسّنت خلقي حتّى لقيت من الناس مالقيت فيجاء بيوسف عليه السلام فيقال له: انت احسن ام هذا قد حسنّاه فلم يفتتن فيجاء بصاحب البلاء الذي قد اصابته الفتنة في بلائه فيقول: يارب قد شددت على البلاء حتى افتتنت فيؤتى بايوب عليه السلام فيقال له: ابتليتك اشد ام بليّة هذا قد ابتلي فلم يفتتن.

ومن الأهوال والحسرات يوم القيامة ماروي انه قال ﷺ انّ من اشدّ الحسرة يوم القيامة ان يرى الأنسان عمله بميزان غيره وذلك انّ الرجل يكسب مالاً ويتعب في تحصيله ولايخرج منه الواجب ولاينفقه في سبيل الله ويموت فيتركه لوارثه فيعمل فيه ذلك الوارث المصالح والخيرات فيجعل يوم القيامة في ميزان عمله ويجيء صاحب المال الأوّل فيرى ثواب ماله لغيره فيالها من حسرة وندامة ذلك الوقت.

واعلم انّ الله سبحانه وتعالى قد يعفو عن حقوقه بل قد يرضى الناس حتّى يسقطوا حقهم، روى الصدوق طاب ثراه باسناده الى مولانا الأمام زين العابدين علي بن الحسين ﷺ قال: كان في بني اسرائيل رجل ينبش القبور فاعتل جار له فخاف الموت فبعث الى النباش فقال: كيف جواري لك؟ قال: احسن جوار قال: فانّ لي اليك حاجة قال: قضيت حاجتك، قال: فاخرج الي كفنين فقال: احب ان تأخذ احبهما اليك واذا دفنت فلا تنبشني، فامتنع النباش من ذلك وابى ان يأخذه فقال: احب ان تأخذه فلم يزل به حتّى اخذ احبهما اليه ومات الرجل فلمّا دفن قال النباش: هذا قد دفن فما علمه بأني تركت كفنه او اخذته لأخذنّه، فأتى قبره فنبشه فسمع صائحاً يقول ويصيح به لاتفعل ففزع النبّاش من ذلك فتركه وترك ماكان عليه، وقال لوالده أي اب كنت لكم؟ قالوا: نعم الأب كنت لنا، قال: فانّ لي اليكم حاجة قالوا: قل ماشئت فانّا سنصير اليه ان شاء الله تعالى، قال: فأحب اذا أنا مت انّ تأخذوني فتحرقوني بالنار فاذا صرت رماداً فدقوني ثم تعمدوا بي ريحاً عاصفة فذروا نصفي في البر ونصفي في البحر، قالوا: فلمّا مات فعل به ولده ما أوصاهم به فلمّا ذرّوه قال الله جل جلاله للبرّ اجمع مافيك وقال للبحر اجمع مافيك فاذا الرجل قائم بين يدي الله تعالى فقال له عزّ وجلّ ماحملك على ما أوصيت به ولدك ان يفعلوه بك؟قال: حملني على ذلك وعزّتك خوفك، فقال الله جلّ جلاله فانّي سأرضى خصومك وقد امنت خوفك وغفرت لك.

وفي خبر آخر عن الصادق ﷺ انّ المؤمن اكرم على الله من ان يقوم في الليلة الباردة للصلاة ويقوم في الوقت الحار ثم يدفعه يوم القيامة الى خصومه ولكن الله سبحانه يرضي خصومه ويعوضهم عنه؟

وكل عمل من الأعمال يدفع هولاً من اهوال يوم القيامة روى الصدوق طاب ثراه باسناده الى عبد الرحمن بن سمرة قال: كنا عند رسول الله ﷺ يوماً فقال: اني رأيت البارحو عجائب، قال: فقلنا يارسول الله وما رأيت حدّثنا به فداؤك انفسنا واولادنا واهلونا فقال: رأيت رجلاً من امّتي قد اتاه ملك الموت لقبض روحه فجاءه برّه بوالديه فمنعه بره منه ورأيت رجلاً من امّتي قد بسط عليه عذاب القبر فجاءه وضوئه فمنعه منه ورأيت رجلاً من امّتي قد احتوشته الشياطين

فجاءه ذكر الله عز وجل فنجّاه من بينهم، ورأيت رجلاً من امتي احتوشته ملائكة العذاب فجائه صلاته فمنعه منهم، ورأيت رجلاً من امّتي والنبيون حلقاً حلقاً كلّما أتى حلقة طرد فجاءه اغتساله من الجنابة واخذ بيده فأجلسه الى جنبي ورأيت رجلاً من امّتي بين يديه ظلمة ومن خلفه ظلمة وعن يمينه ظلمة وعن شماله ظلمة ومت تحته ظلمة مستنقعاً في الظلمة فجاءه حجّه وعمرته فأخرجاه من الظلمة وادخلاه النور.

ورأيت رجلاً من امتي يكلّم المؤمنين فلا يكلموه فجاءه صلته للرحم فقالت: يامعشر المؤمنين كلّموه فانّه كان واصلاً لرحمه فكلّمه المؤمنون وصافحوه وكان معهم ورأيت رجلاً من امَتي يتقي وهج النيران وشررها بيده ووجهه فجاءته صدقته فكانت ظلاً على رأسه وستراً على وجهه، ورأيت رجلاً من امتي قد اخذته الزّبانية من كل مكان فجاءه امره بالمعروف ونهيه عن المنكر فخلصاه من بينهم وجعلاه مع ملائكة الرحمة، ورأيت رجلاً من امتي جاثياً على ركبتيه بينه وبين رحمة الله حجاب فجاءه حسن خلقه فاخذه بيده فادخله في رحمة الله، ورأيت رجلاً من امَتي قد هوت صحيفته قبل شماله فجاءه خوفه من الله فاخذ صحيفته فجعلها في يمينه، ورأيت رجلاً من امتي قد خفَت موازينه فجاءه افراطه فثقّلوا موازينه، ورأيت رجلاً من امَتي قائماً على شفسر جهنم فجاءه رجاءه من الله عز وجل فاستنقذه من ذلك، ورأيت رجلاً من امتي قد هوى في النار فجاءت دموعه التي بكى من خشية الله فاستخرجه من ذلك، ورأيت رجلاً من امتي على الصراط يرتعد كما يرتعد السعفة في يوم ريح عاصف فجاءه حسن ظنه بالله فسكن رعدته ومضى على الصراط، ورأيت رجلاً من امتي على الصراط يزحف احياناً ويحبوا احياناً ويتعلق احياناً فجاءته صلاته عليَ واقامته على قدميه ومضى على الصراط، ورأيت رجلاً من امتي انتهى الى ابواب الجنة كلَما انتهى الى باب غلق دونه فجاءته شهادة ان لااله الا الله صادقاً ففتحت له الأبواب ودخل الجنة.

وفي كتاب المجالس عن الأمام ابي عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام قال: اذا كان يوم القيامة جمع الله الأوّلين والآخرين في صعيد واحد فتغشاهم ظلمة شديدة فيصيحون الى ربهم فيقولون: يارب اكشف عنّا هذه الظلمة، قال: فيقبل قوم يمشي النور بين ايديهم قد اضاء يوم القيامة فيقول اهل الجمع هؤلاء انبياء الله فيجيء النداء من عند الله ماهؤلاء انبياء، فيقول اهل الجمع هؤلاء ملائكة فيجيئهم النداء من عند الله ماهؤلاء ملائكة، فيقول اهل الجمع هؤلاء شهداء، فيجيئهم النداء من عند الله ماهؤلاء بشهداء فيقولون من هم؟ فيجيئهم النداء ياأهل الجمع سلوهم من انتم فيقول اهل الجمع من انتم فيقولون: نحن العلويّون نحن ذرية محمد رسول الله صلى الله عليه وآله

نحن اولاد علي ولي الله عليه السلام نحن المخصوصون بكرامة الله ونحن الآمنون المطمئنون فيجيئهم النداء من عند الله عز وجل اشفعوا في محبيكم واهل مودتكم وشيعتكم، فيشفعون فيشفّعون.

اقول ينبغي ان يراد بالعلويين هنا غير الأئمة عليهم السلام في ذلك اليوم لايجهلهم احد من الأوّلين والآخرين لأنَ مقامات القيامة من الشفاعة والحوض والجنة والنار كلّه اليهم كما قال مولانا الصادق عليه السلام انّ الينا إياب هذا الخلق وانّ علينا حسابهم واذا كان يوم القيامة مشينا الى الله تعالى باقدامنا حتّى نشفع في شيعتنا ومحبينا فلا يدخل النار منهم احد، وحينئذ فالمراد بالعلويين هنا صلحاء السادة الذين ورد في شأنهم انّ النظر اليهم عبادة.

وروى الصدوق باسناده الى ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله والذي بعثني بالحق بشيراً ونذيراً لايعذب الله بالنار موحّداً ابداً وانّ اهل التوحيد ليفعون ثمّ قال عليه السلام: انّه اذا كان يوم القيامة أمر الله تبارك وتعالى بقوم سائت اعمالهم في دار الدنيا الى النار فيقولون: ياربنا كيف تدخلنا النار وقد كنّا نوحدك في دار الدنيا وكيف تحرق النار ألسنتنا وقد نطقت بتوحيدك فغي دار الدنيا؟وكيف تحرق قلوبنا وقد عقدت على لااله الا الله انت ام كيف تحرق وجوهنا وقد عفرناها لك في التراب؟ام كيف تحرق ايدينا وقد رفعناها بالدعاء اليك؟فيقول جلّ جلاله عبادي سائت اعمالكم في الدنيا فجزاؤكم نار جهنم فيقولون: ياربنا عفوك اعظم ام خطيئتنا؟ فيقول عز وجل بل عفوي فيقولون: رحمتك اوسع ام ذنوبنا؟ فيقول عز وجل: بل رحمتي، فيقولون اقرارنا بتوحيدك اعظم ام ذنوبنا فيقول عز وجل: بل اقراركم بتوحيدي اعظم فيقولون: ياربنا فليسعنا رحمتك وعفوك التي وسعت كل شيء فيقول الله جل جلاله: ياملائكتي وعزتي وجلالي ماخلقت خلقاً احب اليّ من المقرّين لي بتوحيدي وان لااله غيري وحقّ عليّ ان لااعذب اهل توحيدي ادخلوا عبادي الجنة اقول قد عرفت ان المراد بالتوحيد النافع مايكون مقروناً بشرائطه مع انَ غير هذه الفرقة المحقّة كلّهم مشركون كما وردت به الأخبار وذلك انَ من جعل بدل الأمام الذي نصّبه الله تعالى اماماً فقد جعل نفسه وامامه شريكين له سبحانه لأنَ الشرك اخفي في هذه الأمة من دبيب النمل في الليلة السوداء على الصخرة السوداء وهذه كلها من افراد الشرك وتنافي التوحيد منافاة ظاهرة كما لايخفى.

فاذا ساقوا الخلائق الى العبور على جسر جهنم وهو الصراط المستقيم فهناك الويل والثبور نعم الذي يسكن القلوب انّ الأخبار قد استفاضت في انّ امير المؤمنين واولاده المعصومين عليهم السلام بل والنبي صلى الله عليه وآله واقفون هناك وعلي عليه السلام يقسم بين الجنة والنار يقولكيانار هذا لي وهذا لك فان كان مؤمناً مضى كالبرق الخاطف وان كان مخالفاً سقط في جهنم، لكن لذلك الصراط عقبات ومواقف فمنهم من يسقط من عقبة الصلاة ومنهم من يسقط من عقبة الزكاة ومنهم من يسقط من عقبة

الصوم ومنهم من يسقط من عقبة الحجَ ومنهم من يسقط من عقبة الولاية ومنهم من يسقط من عقبة التوحيد ومنهم من يسقط من عقبة هذه الرسالة الى غير ذلك من العقبات.

وروى المفضل قال: سألت اباعبد الله عليه السلام عن الصراط فقال: هو الطريق الى معرفة الله عز وجل وهما صراطان صراط الدنيا وصراط الآخرة، فامّا الصراط الذي في الدنيا فهو الأمام المفترض الطاعة من عرفه في الدنيا واقتدى بهداه مرَ على الصراط الذي هو جسر جهنَم في الآخرة ومن لم يعرفه في الدنيازلت قدمه على الصراط في الآخرة فتردى في جهنَم.

وهذا الصراط الذَي وصفه النبي صلى الله عليه وآله بانَه ادق من الشعر وأحدَ من السيف وعليه القناطر التي تقدمت مع غيرها حتَى ينتهون الى المرصاد وهي قنطرة مظالم العباد، قال مولانا امير المؤمنين عليه السلام لايجوزها عبد بمظلمة عبد حتَى ينتصف للمظلوم من الظالم.

وفي الحديث انَ الناس يقفون عليها ثمانين سنة حتَى يلجمهم العرق فينادي مناد من الله عزَ وجلَ ايَها الخلائق وقد وهبتكم حقوقي فهبوا حقوق بعضكم بعضاً حتَى تدخلوا الجنَة ويقول لرضوان: افتح لهم منازلهم في الجنَة حتَى يروها فيفتح لهم حتَى يرى الجنَة كلَ انسان مكانه في الجنَة فيشتاقون اليها ويعبرون الصراط فمن عبر الصراط لو نام اربعين سنة استراحة ممّا عاين من نصب المحشر لكان قليلاً فاذا اتوا الى رضوان وهو جالس على باب الجنَة ومعه سبعون الف ملك مع كلَ ملك سبعون الف ملك فينظر اليهم وهم في اقبح صورة من سواد البدن وطول الشعور وكونهم عزلاً بلا ختان فيقول لهم: كيف تدخلون الجنة وتعانقون الحور العين على هذه الهيئة فيأمر جماعة من الملائكة الواقفين امامه فيذهبون بالمؤمنين الى عين ماء عند جدار الجنَة وهي عين الحياة فاذا اغتسلوا فيها صار وجه كلَ واحد منهم كالبدر في تمامه، وتسقط شعورهم وغلفهم وتبيَض قلوبهم من النَفاق والحسد والكذب والغوائل والأوصاف الذميمة حتى لايتحاسدوا في الجنَة بعلو الدرجات والتفاوت في المراتب، فيصير كل واحد منهم بصورة ابن اربع عشرة سنة ويعطي حسن يوسف وصوت داود وصبر ايَوب.

فاذا اتوا الى باب الجنة وجدوا على بابها حافة تطن عند كلَ من يدخلها وتقول في طنينها ياعلي لكنَها تطن عند كل داخل بطنين خاص ليس كالطنين الآخر فيعرف بذلك الطَنين اهل المؤمن في منازله وخدمه وحور العين انَ هذا فلان فيأتون لأستقباله.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام انا ادخل امامك الجنَة اوانت تدخل امامي؟ فقال الله ورسوله أعلم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: بل انت تدخل لأنَ معك لوائي يوم القيامة وصاحب اللواء يدخل قبل، وقال عليه السلام: انَ الله يحشر يوم القيامة تحت لوائي علي بن ابي طالب عليه السلام آدم فمن

دونه، وحيث انتهينا الى باب الجنة فلنرجع الى كيفية مافي النار من العذاب والأهوال والله سبحانه اعلم بحقيقة الحلال.

(نور يكشف عن النار ومافيها من العذاب)

اعلم ثبّتك الله ووفّقك انّ قعر جهنّم كما روي عن رسول الله ﷺ ليلة المعراج قال: لّما ركبت البراق وسرت سمعت خلفي هدّة عظيمة تخيّلت انّ اطباق السماوات وقعت على الأرض فقلت لجبرئيل ؑ: ماهذا الصوت الهائل؟ فقال: انّه كان على شفير جهنّم صخرة عظيمة وقد امرت ان ادفعها في جهنّم فدفعتها بجناحيّ قبل هذا اليوم بسبعين عاماً حتّى وصلت هذه السّاعة الى قعر جهنّم، وفيها من الأفاعي والعقارب ما لايعلمه الاّ الله تعالى.

روي عن النبي ﷺ انّه قال: اذا كان يوم القيامة تخرج من جهنّم حية اسمها حريش رأسها في السماء السّابعة وذنبها تحت الأرض السفلي وفمها من المشرق الى المغرب وهي تنادي بأعلى صوتها اين من حارب الله ورسوله؟فعند ذلك يقول جبرئيل من تطلبين ياحريش؟ فتقول: اطلب خمسة نفر: اوّلهم تارك الصلاة، والثاني مانع الزكاة والثالث شارب الخمر والرابع آكل الربا والخامس قوم يتحدّثون في المساجد بحديث الدنيا، وقال ؑ: انّ جهنّم عقارب كالبغال المعلفة يلسعن احدهم فيجدحموتها[٢١] اربعين خريفاً.

وفي تفسير قوله تعالى وقال الشيطان لّما قضي الأمر انّ الله وعدكم وعد الحقّ ووعدتكم فاخلفتم وماكان لي عليكم من سلطان الاّ ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم ما انا بمصرخكم وماانتم بمصرخي انّي كفرت بما اشركتموني من قبل.

روي انّه اذا قضي الأمر وهو ان يدخل اهل الجنة جنّتهم واهل النار نارهم وضع للشيطان منبر في وسط النار فيرقا وبيده عصاة من نار فيجتمع الكفار عليه بالملامة فيقول لهم: انّ الله تعالى ارسل اليكم مائة الف نبي واربعة وعشرين الف نبي فدعوكم الى الجنة ووعده الحق فلم تقبلوا وانا دعوتكم الى هذه النار ومنيتكم بالأباطيل فقبلتم كلامي فلا تلوموني بل الملامة عليكم، لأنّي لم يكن لي عليكم سلطان بالجبر بل قبلتم كلامي بمجرد الدعوة فلستم بمصرخيّ، أي لاتقدرون اغاثتي واعانتي وانا لااقدر على اغاثتكم واعانتكم.

وروي عن الصادق ؑ قال: اذا استقر اهل النار في النار يفقدونكم فلا يرون منكم احداً فيقول بعضهم لبعضكمالنا نرى رجالاً كنّا نعدّهم من الأشرار أتخذناهم سخرياً ام زاغت عنهم

(٢١) حموة الالم: سورته.

الأبصار قال: وذلك قول الله عز وجل انَ ذلك لحق تخاصم اهل النار يتخاصمون فيكم فيما كانوا يقولون في الدنيا.

وروي عنه ﷺ انّه قال له رجل خوّفني ياابن رسول الله فانّ قلبي قد قسى، فقال: استعد في الحياة الطويلة فانّ جبرئيل جاء الى رسول الله ﷺ وهو قاطب وقد كان قبل ذلك يجيء وهو متبسم فقال رسول الله ﷺ: ياجبرئيل جئتني اليوم قاطباً فقال: يامحمد قد وضعت منافخ النار، قال: ومامنافخ النار ياجبرئيل؟فقال: يامحمد انّ الله عز وجل امر النار فنفخ فيها الف عام حتى حتى ابيضت، ثم نفخ عليها الف عام حتى احمرّت، ثم نفخ عليها الف عام حتّى اسودت فهي سوداء مظلمة، لو انّ قطرة من الضريع قطرت في شراب اهل الدنيا لمات اهلها من نتنها، وفي جهنم واد يسمّى الفلق يوقد عليها الف سنة لم يتنفس فاذا تنفس احرق جميع النيران.

فان قلت ماوجه الجمع بين هذين الخبرين وذلك انّ ظاهر قوله يفقدونكم فلا يرون منكم احداً ان لنار القيامة ضوءاً مثل هذه النّيران وظاهر الحديث الثاني انّها مظلمة ليس لها ضوء ويؤيده ماروي من انّ حطبها حجارة الكبريت فهي سواد فس سواد.

قلت قد روي انّ النار طبقات متعددة فلعل لكل طبقة منها حكم خاص من النور او الظلمة، روي عن مولانا الأمام ابي جعفر محمّد بن علي الباقر ﷺ انّ الله جعل للنار سبع درجات، اعلاها الجحيم يقوم اهلها على الصفا منها تغلي ادمغتهم فيها كغلي القدور بما فيها.

والثانية لظى نزّاعة للشوى تدعو من ادبر وتولى وجمع فأوعى، والثالثة سقر لاتبقي ولاتذر لوّاحة للبشر عليها تسعة عشر، والرابعة الحطمة ومنها يثور شرر كالقصر كأنّها جمالات صفر تدقّ من صار اليها كاكحل فلا يموت الرّوح كلّما صار مثل الكحل عاد.

والخامسة الهاوية يدعون اهلها يامالك: أغثنا فاذا اغاثهم جعل لهم آنية من صفر من نار فيها صديد ماء يسيل من جلودهم كأنّه مهل، فاذا اتوه ليشربوا منه تساقط لحم وجوههم من شدّة حرّها وهو قول الله تعالى{وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا، ومن هوى فيها هوى سبعين عاماً في النار كلّما احترق جلده بدّل جلداً غيره.

والسادسة هي السعير فيها ثلاثمائة سرادق من نار في كل سرادق ثلاثمائة قصر من نار كلّ قصر ثلاثمائة بيت من نار في كلّ بيت ثلاثمائة لون من العذاب من غير عذاب النار فيها حيّات من نار وعقارب وجوامع من نار وسلاسل من نار واغلال من نار وهو الذي يقول الله {انّا اعتدنا للكافرين سلاسل واغلالا وسعيرا}.

والسابعة جهنم وفيها الفلق وهو جب في جهنم اذا فتح اسعر النار سعرا وهو اشد النار عذاباً، واما صعود فجبل من صفر من نار وسط جهنّم، وعن مولانا زين العابدين ﷺ انّ النيران

بعضها فوق بعض فأسفلها جهنَم وفوقها لظى، وفوقها الحطمة، وفوقها سقر وفوقها الجحيم وفوقها السعير وفوقها الهاوية ويجوز ان يكون التفقد باعتبار الأصوات فانّه قد روى الصدوق عن الباقر عليه السلام انَ اهل النار يتعاوون فيها كما تتعاوى الكلاب والذئاب ممّا يلقون من عذاب اليم ماظنّك بقوم لايقضي عليهم فيموتوا ولايخفف عنهم من عذابها من شيء، عطاش فيها جياع كليلة ابصارهم بكم عمي مسوّدة وجوههم خاسئين فيها نادمين مغضوب عليهم فلا يرحمون ومن العذاب لايخفف عنهم وفي النار يسجرون ومن الحميم يشربون ومن الزقوم يأكلون وبكلاليب النار يحطمون وبالمقامع يضربون والملائكة الغلاظ الشّداد لايرحمون فهم في النار يسجرون وعلى وجوههم يسحبون، ومع الشّياطين يقرنون وفي الأنكال والأغلال يصفدون ان دعوا لم يستجب لهم وان سألوا حاجة لم تقض لهم هذا حال من دخل النار.

وبالجملة فالمخالفون اذا استقروا في النار اصوات الشيعة لمعرفتهم بها في الدنيا فلا يرونهم ويجوز ان يكون التّفقد في حال البرق فانذ نار جهنم فيها ظلمات ورعد وبرق وقد جاء به المثل القرآني في قوله تعالى{او كصّيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق على ماقيل، وروي في تفسير قوله تعالى{ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلاَلاً فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ{٨} وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ}انَ الأغلال انما جعلت في اعناقهم لترسب بهم في النار، وذلك انَ لهب النار من شدته يرفعهم الى فوق فاحتاجوا الى الأغلال الحديد لثقلهم حتّى لايطير بهم اللهب.

واما السد فروي ايضاً انّه يجعل بين ايديهم سداً ومن خلفهم سداً من حديد النار وكذلك من سائر جوانبهم ويضيّق المكان عليهم بالسد حتى لايسع احدهم الجلوس الاّ محتبياً وهم عميان والنار معهم في ذلك المكان الضيق، وحينئذ فيكون تفقد مثل هؤلاء المؤمنين انّما هو في حال ابتداء سقوطهم الى جهنّم وهذه الأحوال الأخر انّما تعرض لهم على طول المدة فهذا وجه جمع آخر لتلك الأخبار.

واعلم انَ النار طبقات وتتفوت مراتب شدّتها وعذابها باعمال الداخلين اليها قال الصادق عليه السلام انَ النَواويس وهي طبقة من طبقات النيران شكت الى الله عز وجل شدّة حرها فقال لها عز وجل اسكني فانَ مواضع القضاة اشدّ حراً منك، اقول وهذه النار على مافيها من الألم قد جعل الله تعالى لها مايطفيها.

روي ان الرجل اذا ذكر ذنبه وبكى من خشية الله تبادرت الملائكة تختطف تلك الدمعات وتجعلها في قدح من نور ويختم بخاتم من مسك فاذا كان يوم القيامة وحوسب صاحبها وزادت سيأته على حسناته فيذهب به الى النار، فاذا ارادوا ان يلقوه فيها قال الله تعالى: لاتعجلوا على

عبدي فانَ له عندي وديعة فيؤمر بان يؤتى بتلك الدمعات فتنصب على النَار فتطفي بحوراً من النيران وقال ﷺ كلَ شيءٍ له وكيل او وزن يوم القيامة الا البكاء من خشية الله تعالى فانَ القطرة منه تطفي بحاراً من النار، وبعض الناس قد يهوى في جهنَم ويخرج منها.

روي عن اميَة بن علي القيسي عن بعض ماروواه عن ابي عبد الله ﷺ قال: قال لي يجوز النبي ﷺ الصراط ويتلوه عليَ ويتلو علياً ﷺ الحسن ﷺ ويتلو الحسن الحسين ﷺ فاذا توسطوه نادى المختار الحسين ﷺ ياابا عبد الله اني طالبت بثارك فيقول النبي ﷺ للحسين ﷺ اجبه فينقض الحسين ﷺ في النار كأنه عقاب كاسر فيخرج المختار حممه[٢٢] ولو شقَ عن قلبه لوجد حبَهما في قلبه، والظاهر انَ الضمير في حبَهما راجع الى ابي بكر وعمر فيكون تعليلاً لدخول المختار النار وجوز بعض الأفاضل ان يكون مرجعه الحسنين ﷺ فيكون كالتعليل لأخراجه من النار وهو بعيد جداً.

بقي الكلام في قوله{وان منكم الا واردها كان على ربك حتماً مقضيا}، واختلف العلماء في معنى الورود على قولين، احدهما انَ ورودها هو الوصول اليها والأشراف عليها لاالدخول بها.

وثانيهما انَ ورودها بمعنى دخولها بدلالة قوله فأوردهم النار، فلا يبقى بر ولافاجر الاَ ويدخلها فتكون برداً وسلاماً على المؤمنين وعذاباً لازماً للكافرين.

وروي عن كثير بن زياد قال: اختلفا في الورود فقال: قوم لايدخلها مؤمن فقال: آخرون يدخلونها جميعاً ثمَ ننجي الذين اتقوا فلقيت جابر بن عبد الله فسألته فاومى باصبعيه الى اذنيه وقال: صمت ان لم اكن سمعت رسول الله ﷺ يقول الورود الدخول لايبقي بر ولافاجر الاَ يدخلها فتكون على المؤمنين برداً وسلاماً كما كانت على ابراهيم حتَى انَ للنار ضجيجاً من بردها ثمَ ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا.

وفي الرواية عن الحسن ﷺ انَه راى رجلاً يضحك فقال: هل علمت انَك وارد النار؟ قال: وهل علمت انَك خارج منها؟ قال: لا قال ففيم هذا الضحك؟ وقيل انَ الفائدة في ذلك ماروي في بعض الأخبار انَ الله تعالى لايدخل احداً الى الجنة حتى يطلعه على النار ومافيها من العذاب ليعلم تمام فضل الله عليه وكمال لطفه واحسانه اليه فيزداد لذلك فرحاً وسروراً بالجنة ونعيمها، ولايدخل احداً النار حتَى يطلعه على الجنة ومافيها من انواع النعيم والثواب ليكون ذلك زيادة عقوبة له حسرة له على مافاته من الجنَة ونعيمها.

---

(٢٢) الحمم جمع الحمة الفحم. الرماد كل ما احترق بالنار الواحدة (حممة) .

وفي اخبار اهل البيت عليهم السلام انه لمّا نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وآله وهو في المسجد غشي عليه حيث انّ الله لم يستثن أحداً فنظر الصحابة اليه وماعلموا كيف الحال، فقالوا لسلمان: امض الى فاطمة عليها السلام حتّى تأتي الى ابيها، قال سلمان: فمضيت اليها واخبرتها فقالت: ياسلمان كيف اخرج من البيت وليس لي ثياب قال: فنظرت واذا في البيت بساط فوضعته على رأسها وبدنها وخرجت، قال سلمان فنظرت في البساط واذا فيه اربع عشرة رقعة من الخوص، فقلت واعجباه بنات كسرى وقيصر يجلسن على الكراسي المذهّبة وبنت رسول الله ليس لها ازار ولاثياب، فقالت: ياسلمان انّ الله تعالى ذخر لنا الثياب والكراسي ليوم آخر، فلمّا أتت المسجد وضعت رأس النبي صلى الله عليه وآله في حجرها، فلمّا احسّ بها قالت لهكمالخبر؟ فقال: يافاطمة أتاني جبرئيل بهذه الآية ولم يستثن احداً، فبكيا طويلاً فأتى امير المؤمنين عليه السلام فأخبراه الخبر فأتى الى زاوية المسجد وجعل يحثو التراب على رأسه ويقول: ليت امي لم تلدني حتى اسمع بهذه الآية، فصاح سلمان وضجّ الناس بالبكاء والعويل، فنزل جبرئيل عليه السلام وقال: يامحمّد وان منكم الاّ واردها الاّ علي وشيعته ففرحوا بها ورجعوا الى منازلهم.

نعم ورد الخلاف بين علمائنا رضوان الله عليهم في انذ المؤمن الفاسق هل يدخل النار ام لا بعد مااتّفقوا على انه لايخلد فيها والحق انّ الأخبار مختلفة كالأقوال، ففي الأخبار عن مولانا الأمام ابي عبد الله عليه السلام انّ من شيعتنا من تدركه شفاعتنا بعد ان يكون في النار ثلاثمائة الف سنة، وفي بعضها عنه عليه السلام ايضاً انّه قال: لايدخل النار منكم واحد، ويدل على مضمون كل واحد من الخبرين اخبار كثيرة يمكن الجمع بين الأخبار بحمل الداخلين على اهل درجة من درجات الأيمان النّاقصة، وقوله عليه السلام لايدخل النار منكم احد على اهل الدرجات الكاملة، فانك عرفت أن للإيمان درجات كما انّ للكفر درجات فهذا مجمل احوال النار بقي الكلام في الجنّة وفقنا الله وسائر المؤمنين للدخول اليها.

(نور في الجنة وبعض مافيها)

اعلم وفقك الله تعالى انّ كلما سمعت من اخبار الجنة وأوصافها فهي فوقه بمراحل وهي التي قال فيها الأنبياء عليهم السلام كلّ شيء سماعه احسن من عيانه وأعظم الاّ الجنة فانّ عيانها أعظم من سماعها وما يصف الواصف منها، وفي الروايات انّ اقل مايعطي المؤمن منها مايقابل الدنيا، وفي خبر بلال الطويل قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول انّ سور الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة ولبنة من ياقوت، وملاطها المسك الأذفر وشرفها الياقوت الأحمر والأخضر والأصفر.

قال: قلت فما ابوابها قال: انّ ابوابها مختلفة باب الرّحة من ياقوتة حمراء، قال له الراوي فما حلقته؟ قال: اكتب سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: امّا باب الصبر فباب صغير مصراع

واحد من ياقوتة حمراء لاحلق له، واما باب الشكر فانَه من ياقوتة بيضاء لها مصراعان مسيرة ما بينهما مسيرة خمسمائة عام له ضجيج وحنين يقول: اللهم جئني بأهلي، قال: قلت هل يتكلم الباب؟ قال: نعم ينطقه الله ذو الجلال والأكرام.

وامَا باب البلاء قلت: اليس باب البلاء هو باب الصبر؟ قال: لا قلت فما البلاء؟ قال المصائب والأسقام والأمراض والجذام وهو باب من ياقوتة صفراء مصراع واحد ما اقلّ من يدخل فيه، قلت برحمتك الله زدني وتفضّل عليَ فاني فقير فقال: وامَا الباب الأعظم فيدخل منه الصالحون وهم اهل الزهد والورع والرّاغبون الى الله عزَ وجلَ المستأنسون به، قلت اذا دخلوا الجنَة فماذا يصنعون؟ قال: يسيرون على نهرين في ماء صاف في سفن الياقوت مجاذيفها اللؤلؤ فيها ملائكة من نور عليهم ثياب خضر شديدة خضرتها، قلت: هل يكون من النَور أخضر قال: انّ الثياب خضر ولكن فيها نور من نور رب العالمين ليسيروا على حافتي ذلك النهر، قلت فما اسم ذلك النهر؟ قال: جنة المأوى، قلت: هل وسطها غيرها؟ قال: نعم جنَة عدن وهي في وسط الجنان، وامَا جنة عدن فسورها ياقوت احمر وحصاها اللؤلؤ، قلت: فهل فيها غيرها؟ قال: نعم جنَة الفردوس، قلت: كيف سورها؟ قال: سورها نور، قلت: الغرف التي فيها؟ قال: هي من نور رب العالمين.

وروى شيخنا الكليني قدس الله روحه باسناده الى مولانا الأمام ابي جعفر محمدذ بن علي الباقر عليه السلام قال: سئل علي عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وآله عن تفسير قوله تعالى{ولكن الذين اتقوا لهم غرف من فوقها غرف} بماذا بنيت هذه الغرف يارسول الله؟ فقال: ياعلي تلك الغرف بناها الله لأوليائه بالدَر والياقوت والزبرجد سقوفها الذهب محبوكة به وفيها فرش مرفوعة بعضها فوق بعض من الحرير والديباج بألوان مختلفة وحشوها المسك والعنبر والكافور، وذلك قول الله تعالى{وفرش مرفوعة}، فاذا دخل المؤمن الى منازله في الجنّة وضع على رأسه تاج الملك والكرامة والبس حلل الذهب والفضة والياقوت والدَر منظومان في الأكليل تحت التاج والبس سبعين حلَة حرير بألوان مختلفة منسوجة بالذهب والفضة واللؤلؤ والياقوت الأحمر وذلك قوله{يحلّون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤ ولباسهم فيها حرير}، فاذا جلس المؤمن على سريره اهتزّ سريره فرحاً، فاذا استقرت بوليَ الله منازله في الجنة استأذن عليه الملك الموكَل بجنابة ليهنيَه بكرامة الله ايَاه فيقول له خدَام المؤمن ووصفؤه مكانك فانّ ولي الله قد اتكىء على اريكته وزوجته الحوراء العيناء قد ذهبت اليه فاصبر لولي الله حتَى يفرغ من شغله، قال: فتخرج عليه زوجته الحوراء من خيمتها تمشي مقبلة وحولها وصفؤها وعليها سبعون حلة منسوجة بالياقوت واللؤلؤ والزبرجد قد صبغن بمسك وعنبر وعلى رأسها تاج الكرامة وفي رجلها نعلان من ذهب مكللان بالياقوت واللؤلؤ شراكهما ياقوت

احمر، فاذا دنت من ولي الله وهمَ يقول اليها شوقاً تقول: ياولي الله ليس هذا يوم تعب ولانصب ولاتقم أنا لك وانت لي فيعتنقان قدر خمسمائة عام من اعوام الدّنيا لاتملّه ولايملها، قال: فينظر الى عنقها فاذا عليه قلادة من قصب ياقوت احمر وسطها لوح مكتوب انت ياولي الله حبيبي وانا الحوراء حبيبتك اليك تتأهب نفسي والـيَ تتأهب نفسك، ثمَ يبعث الله الف ملك يهنونه بالجنة ويزوجونه الحوراء، قال: فينتهون الى اول باب من جنانه، فيقولون: الملك الموكل بأبواب الجنان استأذن لنا ولي الله فان الله بعثنا مهنَين له، فيقول الملك حتَى اقول للحاجب فيعلم مكانكم، قال: فيدخل الملك الى الحاجب وبينه وبين الحاجب ثلاث جنات حتى ينتهي الى اول باب، فيقول للحاجب: انَ علي باب العرصة الف ملك ارسلهم رب العالمين جاؤوا يهنئون ولي الله وقد سئلوا ان يستأذن لهم عليه فيقول الحاجب: انه ليعظم عليَ ان أستأذن لأحد علي ولي الله وهو مع زوجته، قال: وبين الحاجب وبين ولي الله جنتان فيدخل الحاجب على القيَم فيقول له: انَ على باب العرصة الف ملك ارسلهم رب العالمين يهنَون ولي الله فاعلموه مكانهم، قال: فيعلمونه الخدام مكانهم، قال: فيؤذن لهم فيدخلون على ولي الله وهو في الغرفة ولها الف باب وعلى كل باب من ابوابها ملك موكل به فيدخل كل ملك من باب من ابواب الغرفة فيبلّغونه رسالة الجبّار، وذلك قول الله {والملائكة يدخلون عليهم من كل باب} يعني ابواب الغرفة سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار، وذلك قوله{واذا رأيت نعيما وملكا كبيرا} يعني بذلك وليَ الله وماهم فيه من الكرامة والنعيم والملك العظيم وانَ الملائكة من رسل الجبّار ليستأذنون عليهم فلا يدخلون عليه الاَ باذنه فذلك الملك العظيم، أقول وقد روي ايضاً في تفسير الملك العظيم انَ ادنى اهل الجنة منزلة من ينظر في ملكه مسيرة الف عام.

واعلم انَ لذات الجنة انواع: الأول محبَة الله تعالى ايَاهم ورضاؤه عنهم فقد جعله سبحانه اعظم من كلَ لذات الجنة حيث قال بعدما عدد نعم الجنة: ورضوان من الله اكبر يعني انَ رضاء الله عنهم أعظم من كل مافي الجنة من اللّذات، وهذه اللّذة لايدركها كلَ واحد وانَما يدركها الأولياء كما سبق في أحوال مولانا امير المؤمنين ﷺ، الثاني لذة النكاح.

وقد ورد في الروايات انَ الله تعالى ادنى مايعطي المؤمن سبعين الف حوراء لو طلعت واحدة منهنَ الى الدنيا لأشرقت لها ولملت الناس من الشوق اليها، وانه الحوراء اذا ضحكت يعلو نور اسنانها حيطان الجنَة واشجارها وانَها تلبس سبعين حلَة ويرى مخ ساقها من تحت الحلل وانَ الواحدة منهن لها الف وصيفة مقنعة كل وصيفة منهن تعادل قيمة الدنيا ومافيها من الأموال، وانَ الحوراء كلَما جامعها زوجها عادت بكراً وذلك كما قال ﷺ: انَ ابدانهن من المسك والعنبر وليس فيه مدخل الاَ للإحليل فاذا خرج الذكر عاد الى ماكان عليه من الألتئام.

فان قلت قد ورد في الأخبار مايتضمّن من صفات حور العين اموراً لاتقبلها الطّباع البشرية مثل كون الحوراء لها سبعون الف ذوابة وانّ بدنها في غاية العظمة والكبر، وماروي من انّ الحوراء العينا استدارة عجيزتها الف ذراع وفي عنقها الف قلادة من الجوهر بين كل قلادة الى قلادة الف ذراع ونحو ذلك، قلت هذه النشأة لاتقاس على تلك النشأة وامور الجنة لاتقاس على امور للدنيا والله تعالى هو الّذي يزين المرأة ويحسّنها في نظر زوجها فيكون الله تعالى يرى المؤمن زوجته على احسن هيئة وازينها وان كانت بتلك الصفات مع انّ تلك الصفات حسنة ايضاً بالنّظر الى امور الآخرة كما تقدّم.

الثالث المطعومات وطعام الجنّة كلّ لون منه له الف طعم وكذلك ثمارها وفي الرواية انّ طوبى شجرة في الجنة أصلها في بيت امير المؤمنين ﷺ وفي كلّ منزل من منازل الشيعة غصن من اغصانها وفي ذلك الغصن جميع انواع الثمار فاذا حضر بخاطر المؤمن ارادة رمّانة من الرمّان مثلاً تدلى ذلك الغصن الى قربه وتكلم الرمان وقالت كل واحدة منه كلني ياولي الله فتاتي اليه بواحدة منهنّ فاذا اكلها ارتفع القشر الى مكانه فصار رمانة فثمارها لاتنقص ابداً.

وقد شبّه مولانا الصادق ﷺ هذا بالسراج في الدنيا فانّه لو أخذ منه الف سراج لم ينقص من ناره وضوئه شيء، وروي انّ اهل الجنّة يقسم له شهوة مائة رجل من اهل الدنيا وأكلهم وجماعهم، فاذا اكل ماشاء سقي شراباً طهوراً فيذهب ماأكل ويصير عرقاً كالمسك يرشح من بدنه فتضمّر بطنه وتعود شهوته وهو المراد من طهور الشراب في قوله تعالى{وسقاهم ربهم شراباً طهورا}أي مطهّراً لما في بطونهم من الطعام ومذهباً له.

الرابع فرح القلب وسروره وزوال الهمّ عنهم والغم فهو اعظم لذة حتّى انّه روى انّ الجنة تقول يوم القيامة: وعدتني ان تملأني ووعدت النار ان تملأها وملأت النار وهاانا لم تملأني قال: فيخلق الله تعالى خلقاً من ارض القيامة ويدخلهم الجنّة، قال الصادق ﷺ: طوبى لهم لم يروا من همّ الدنيا ولاغمّها شيئاً، فان قلت: كيف استحقّ هؤلاء الجنة مع عدم عمل صدر منهم استحقوا به الجنة، قلت: لأنّ الله تعالى يخلقهم وهم على اعمار الأربعة عشر لم يبلغوا الحنث حتى يدخلوا تحت التكاليف.

الخامس الأجتماع مع الأحباب قال الله تعالى{على سرر متقابلين} فالأحباب يجتمعون في منازلهم ويجلس كلّ واحد منهم على سرير مرصّع بالجواهر فاذا قضوا الصحبة والمسامرة ركب كل واحد منهم فرساً من افراس الجنة لها جناحان فتطير به الى منازله فهم يتزاورون على هذه الحالة وامّا اصدقاؤهم في الدنيا واحباؤهم الذين استحقوا النار فقال الصادق ﷺ: ان الله تعالى

ينسيهم اياهم حتى لايغتموا لهم ولفراقهم وبالجملة فلذة العمر المجالسة مع الأحباب حتى انّه روي انّ المرأة في الدنيا اذا تزوجت زوجين او اكثر اعطيت في الجنّة لأشدّهما حباً معه في الدنيا.

السادس المنازل والأمكنة المزيّنة بأنواع الزينة من الغرف التى يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها، مشبّكة بالفضّة والذهب وسائر المعادن، وروي في تفسير قوله تعالى{الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون}، انّ الله سبحانه قد بنى لكل انسان بيتين احدهما في الجنة والآخر في النار، فالمؤمن بسبب ايمانه استحق منزله في الجنة بالأصل ومنزل مخالف من المخالفين بالميراث وكل واحد من المخالفين استحقّ في النار منزلين احدهما ماله بالأصالة والآخر ماوصل اليه بالميراث وكل واحد من المخالفين استحق في النار منزلين احدهما ماله بالأصالة والآخر ماوصل اليه بالميراث من منازل المؤمنين فالمؤمنون قد ورثوا الفردوس والمخالفون قد ورثوا منازل النار، وقد روي انّ كلّ بيت في الجنة له غرفة مشرفة على النار حتّى اذا فتح بابها نظر الى اهل النار وتعذيبهم فيها فيراهم بهذه الحالات ويرى نفسه بتلك الحالات.

السابع انواع الطرب واعظم انواعه الغناء، روي انّ اعرابياً جاء الى النبي ﷺ فقال: يارسول الله ذكرت في الجنة كل شيءٍ فاين الغناء؟ فقال: نعم ياأعرابي انّ في شجرها اجراساً معلقة، اذا ضرب واحد منها خرجت منه نغمات لو انّ اهل الدنيا سمعوا نغمة منها لماتوا من الشوق والطرب، وفي مجالس طربهم من الولدان الحسان ما لايحصى وهم يخدمونهم في مجالسهم كما قال سبحانه{يطوف عليهم ولدان مخلدون اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منشورا}، قال جماعة من المفسرين انّما شبههم بالمنثور لأنتشارهم في الخدمة، فلو كان صفاً لتشبّهوا بالمنظوم، وقيل انّما شبههم به من جهة الصفا وحسن المنظر والكثرة وفي يد كل واحد من الأولاد قدح من الشراب الطهور ليشربه اهل المجلس رزقنا الله واياكم بمنه وكرمه وانّه رحيم كريم وفي شجرها طيور تصوت بالتسبيح والتقديس لايقدر اهل الدنيا على سماعها.

وامّا انهارها فلا يقدر القادرون على وصفها، وفي الروايات أنّ فيها نهراً وفيه لبن وعسل وخمر تجري كلّ واحد على خطّ مستوى لايمتزج أحدهما بالآخر وفيها نهر اسمه رجب خلقه الله تعالى لمن صام شهر رجب، وفي الحديث انّ بها نهراً اسمه خيرا فاذا قال الرجل لصاحبه جزاك الله خيراً فمعناه سقاك الله من ذلك النهر الذي اسمه خير.

وروي عن النبي ﷺ قال: عرض الجنة ليلة المعراج فرأيت فيها اربعة انهار ماء ولبن وعسل وخمر، فسألت جبرئيل عليه السلام عنها من اين تجيء والى اين تذهب؟ فقال: آخرها يذهب الى حوض الكوثر، وامّا اولها فلا ادري فسل الله تعالى حتى يخبرك به فدعوت الله تعالى وسألته فاذا ملك سلّم عليّ وقال ليكضم عينيك فضممت ساعة، فقال: افتح ففتحت فاذا انا بشجرة تحتها قبّة من

درَة بيضاء لبابها مصراعان من ياقوتة خضراء، وقفل منذهب لو اجتمع جميع الأنس والجن فوقها لكانوا كطائر فوق جبل فأردت ان ارجع فقال الملك: لِمَ لم تدخل القبة؟ قلت: لأنّ بابها مغلق، قال: لِمَ لم تفتح؟ قلت: ليس عندي مفتاحه، فقال: مفتاحه بسم الله الرحمن الرحيم مكتوباً في وسط جدرانها على التدوير واقعاً ميم بسم في زاوية وهاء الله في زاوية اخرى وميم الرحيم في زاوية اخرى يخرج من الأوَل نهر الماء، ومن الثاني نهر اللبن ومن الثالث نهر الخمر ومن الرابع نهر العسل فسمعت هاتفاً يقول يامحمد ﷺ من ذكرني بهذه الأسماء وقال: بسم الله الرحمن الرحيم خالصاً مخلصاً سقية من هذه الأنهار الأربعة.

ومن فوائد هذه الكلمة ماروي انّ شيطاناً سميناً لقي شيطاناً مهزولاً فقال: لم صرت مهزولاً؟انّي مسلط على رجل اذا أكل يقول: بسم الله واذا شرب يقول: بسم الله واذا اتى اهله يقولكبسم الله فحرمت المشاركة فيها فصرت مهزولاً، ثمّ قال للسمين وانت لم صرت سميناً؟ قال: انَي مسلط على رجل غافل عن التسمية يدخل بيته غافلاً عنها ويخرج منه غافلاً ويأكل غافلاً ويشرب غافلاً ويأتي أهله غافلاً فشاركته فيها كما قال الله تعالى{وشاركهم في الأموال والأولاد}.

وبالجملة فانهار الجنَة عجيبة الوصف وكلّها تجري على وجه الأرض من غير اخدود مرتفعة على وجه الأرض تمسكها القدرة الألهيَة، وسئل ﷺ عن انهار الجنَة كم عرض كل نهر منها فقال: عرض كل نهر منها مسيرة خمسمائة عام يدور تحت القصور والحجب تتغنى امواجه وتسبح وتطرب في الجنَة كما تطرب الناس في الدنيا، وقال ﷺ اكثر انهار جنة الكوثر تنبت الكواعب الأتراب عليه يزور اولياء الله يوم القيامة، وعن النبي ﷺ قال: للرجل الواحد من اهل الجنة سبعمائة ضعف من الدنيا وله سبعون الف قبة وسبعون الف قصر وسبعون الف حجلة وسبعون الف اكليل وسبعون الف حلّة وسبعون الف حوراء عيناء وسبعون الف وصيف وسبعون الف وصيفة على كل وصيفة سبعون الف ذوابة واربعون الف كليل وسبعون الف حلَة.

الثامن العلم بالخلود في الجنة من غير موت ولاانتقال قال الله تعالى{فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها مادامت السموات والأرض الاّ ماشاء ربك ان ربك فعال لما يريد}، {واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها مادامت السموات والأرض الاّ ماشاء ربك عطاء غير مجذوذ}، فان قيل مامعنى هذين الأستثنائين ومتى يكون وقتهما؟ قلت: ذكر المحققون من المفسرين انَ هذا الموضع من المواضع المخصوصة بالأشكال فيه من وجهين: احدهما تحديد الخلود بمدَة دوام السموات والأرض والآخر معنى الأستثناء بقوله الاّ ماشاء ربك الأول فيه أقوال:

الأول انَ المراد سماء الآخرة وارضها وهما لايفنيان بعد الأعادة عن الضحاك والجبائي.

الثاني انَ المراد بالسماوات والأرض الجنة والنار وارضهما فان كلّ ما علاك فهو سماء وكل ماأقلّك فهو ارض، الثالث انَ المراد التبعيد فانّ للعرب ألفاظاً للتعبيد في معنى التأبيد يقولون: لا أفعل ذلك ماأختلف الليل والنهار وماذرّ شارق ونحو ذلك ويريدون به التأبيد لا التوقيت، وامَا الثاني وهو الكلام في الأستثناء فقد اختلف فيه اقوال العلماء على وجوه:

احدها انَه استثناء في الزيادة من العذاب لأهل النار والزيادة من النعيم لأهل الجنة، والتقدير الاَ ماشاء ربك من الزيادة على هذا المقدار، ويؤيده قوله تعالى يضاعف عليه العذاب ويخلد فيه مهاناً فانَ الضمير في قوله فيه كما قال بعض المحققين راجع الى المضاعف لا الى اصل العذاب وهذا الوجه منقول عن الزجاج والفرا، وثانيها انَ الأستثناء واقع على مقامهم في المحشر والحساب لأنهم حينئذ ليسوا في جنة ولانار والأستثناء كما يكون باعتبار الأجر يكون باعتبار الأول ونقل هذا عن المازني، وثالثها انَ الأستثناء الأول يتَصل بقوله لهم زفير وشهيق وتقديره الاَ ماشاء ربك ممن أجناس العذاب الخارجة عن هذين الضربين وفي اهل الجنة يتصل بما دل عليه الكلام فكأنه قال لهم فيها نعيم الاَ ماشاء ربك من انواع النعيم، وانما دلَ عليه قوله عطاء غير مجذوذ ونقل هذا عن الزجَاج.

ورابعها انَ المراد بالذين شقوا من ادخل النار من اهل التوحيد الذين فعلوا المعاصي فقال سبحانه: انَهم يعاقبون في النار الاَ ماشاء ربك من اخراجهم الى الجنة وخلَد فيها لابد فيها من الأخبار بتأبيد خلوده ايضاً من استثناء ماتقدَم فكإنَه قال خالدون فيها الا ماشاء ربك من الوقت الَذي ادخلهم فيه الى النار قبل ان ينقلهم الى الجنة، ونقل هذا عن ابن عباس وجماعة من المفسرين.

وخامسها انَ تعليق ذلك على سبيل التأكيد للخلود والتعبيد للخروج انَ الله لايشاء الا تخليدهم على ما حكم به فكأنَه تعليق لما يكون بما لايكون لأنَه لايشاء ان يخرجهم منها.

وسادسها انَ المعنى انَهم خالدون في النار دائمون فيها مدَة كثيرة كونهم في القبور مادامت السماوات والأرض في الدنيا، واذا فنيتا وعدمت انقطع عقابهم الى ان يبعثهم الله للحساب وقوله الاَ ماشاء استثناء وقع على مايكون في الآخرة، وهذا اورده الشيخ ابو جعفر الطوسي تغمده الله برحمته وقال: ذكره قوم من اصحابنا في التفسير.

وسابعها انَ المراد الاَ ماشاء ربَك ان يتجاوز عنهم فلا يدخلهم النار والأستثناء لأهل التوحيد، وقد قيل فيه وجوه اخرى والكلّ لايخلو من تكلف، والأولى ماروي في اخبار الأئمة الطاهرين عليهم السلام من انَ هذه الآية وماذكر فيها من الجنة والنار منزلة على جنة الدنيا وهي وادي السلام وعلى نارها وهي برهوت والمعنى انَ من شقى اذا مات دخل النار وخلَد فيها فهو خالد

فيها مادامت هذه السماوات وهذه الأرض الاّ ماشاء الله وهو اخراجهم من تلك النار في زمن مولانا المهدي عليه السلام حتّى يذّبهم بنوع آخر من العذاب في هذه الدنيا وكذلك الكلام في الجنة فانّ المؤمنين بعد الموت مخلدون في وادي السلام مادامت السماوات والأرض الاّ ماشاء الله ان يخرجهم منها الى نعيم آخر وهو ايضاً في عصر الأمام المهدي عليه السلام فانّه يخرجهم من ذلك النعيم الى نعيم آخر في الدنيا كما تقدم من انّهم يكونون ولاة على البلدان من قبله عليه السلام وينكحون النساء في زمنه ايضاً، ويعيش الرجل منهم الف سنة يولد له في كل سنة ولد ذكر الى غير ذلك وعلى هذا فلا تكلّف في شيءٍ من الوجهين..

وامّا خلود أهل جنة الآخرة فلا يعرض له تغيير ولاتبديل الاّ بالزيادة، روي انّ الله تعالى يبعث كل يوم لكل واحد من المؤمنين حوراء قد فاق حسنها على ماعنده من الحوريات الى غير ذلك من الهدايا كارسال الملائكة كل يوم، بأن يبلغوا سلام الله تعالى اليهم مع سلام الملائكة عليهم كما قيل في قوله تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين، فقال جماعة من المفسرين انّ ذكر المؤمنين في الجنّة ان يقولوا سبحانك اللهم يقولون ذلك لاعلى وجه العبادة لأنه ليس هناك تكليف بل يلتذون بالتسبيح.

وقيل انّه اذا مرّ بهم الطير في الهواء يشتهونه قالوا: سبحانك اللهم فيأتيهم الطير فيقع مشوياً بين ايديهم واذا قضوا منه الشهوة قالوا الحمد لله رب العالمين فيطير الطير حيّاً كما كان فيكون مفتتح كلامهم في كل شيءٍ التسبيح ومختتهم كلامهم التحميد ويكون التسبيح في الجنّة بل التسمية في الدنيا وتحيّتهم فيها سلام أي تحيتهم من الله سبحانه في الجنة سلام، وقيل معناه تحيّة بعضهم لبعض او تحيّة الملائكة لهم فيها سلام يقولون سلام عليكم أي سلمتم من الآفات والمكاره التي ابتلي بها اهل النار، وقوله وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين، وليس المراد ان يكون ذلك آخر كلامهم حتّى لايتكلموا بعده بشيءٍ بل المراد انّهم يجعلون هذا آخر كلامهم في كلّ ماذكروه فيكون الأبتداء في الحمد كما عرفت من قول آدم عليه السلام لّما دخلت فيه الروح الحمد لله رب العالمين عندما عطس والأختتام في كلام اهل الجنة بالحمد.

وروى شيخنا ابن بابويه باسناده الى مولانا الأمام ابي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال: قال النبي صلى الله عليه وآله دخلت الجنة فرأيت اكثر اهلها البله قال: قلت له ماالأبله؟ فقال العاقل: في الخير الغافل عن الشرّ الذي يصوم في كل شهر ثلاثة ايام أقول قد ورد هذا الحديث خالياً عن التفسير في مواضع اخرى مثل قوله صلى الله عليه وآله انّ اكثر اهل الجنة البله انّ اقل ساكني الجنّة النساء والأبله في اللغة الناقص العقل وفسره بعضهم بأن المراد بهم من لاريبة في قلوبهم وىغائلة في دخائلهم فهم بله عن الشرّ لايستعملونه ويمكن الجمع امّا بحمل المطلق على المفيد او على انّ التفسير راجع

الى الفرد الأكمل فانَ من كان غافلاً عن الشرّ يسمّونه اهل الدنيا أبلهاً في اصطلاحهم، وحينئذ فلا ينافي ارادة غيره من ناقص العقل وغيره.

واما قوله ﷺ انّ اقل ساكني الجنة النساء، وفقد روي عنهم ﷺ ايضاً انّ اكثر اهل الجنة النساء والصبيان، ووجه الجمع انّ مراتب الجنان متفاوتة الدرجات كالنيرانفيجوز ان تكون الأقلية بالنسبة الى اعالي درجاتها وذلك لأنّ النساء ناقصات العقول ناقصات الأديان فيكون درجاتهنّ في الجنة ناقصة ايضاً بالنسبة الى الرجال ويجوز ان يراد من النساء والصبيان في قولهم ﷺ انّ اكثر اهل الجنة النساء والصبيان حور العين والولدان فانّ المؤمن يعطي منهما ثمانين الفاً وثمانين الفا وروى الصدوق ره باسناده الى مولانا الأمام علي بن موسى الرضا ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ الذي يسقط من المائدة مهور حور العين.

اقول المائدة كما في كتب اللّغة أتى تارة بمعنى الطعام واخرى بمعنى الخوان او على غيره، وكذا الساقط من الخوان على الأرض او على غيره اذا أكله المؤمن وعظم نعمت الله تعالى كان ثوابه حور العين.

نعم قد روي في صحيفة الرضا ﷺ انّ مايسقط من الخوان مهور الحور، فيمكن حمل ماهنا عليه بارادة الخوان من المائدة لأنّه احد معانيها، وعلى التقديرين فهل يترتب هذا الثواب على أكل الكلّ او البعض كلّ محتمل والأظهر انّ كلّ حبّة من ذلك الحب الساقط مهر واحدة من الحور العين.

فان قلت اذا خلّد أهل الجنة في جنانهم وأهل النار في نيرانهم فما يكون حال هذا العالم بعدهم؟ قلت قد روينا باسناده الى جابر قال: سئلت اباجعفر ﷺ عن قول الله عز وجل {أفعيينا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد} فقال: ياجابر تأويل ذلك انّ الله عز وجل اذا أفنى هذا الخلق وهذا العالم وسكن اهل الجنة بالجنة واهل النار بالنار جدّد الله عالماً غير هذا العالم وجدّد خلقاً من غير فحولة ولااناث يعبدونه ويوحدونه وخلق لهم ارضاً غير هذه الأرض تحملهم وسماء غير هذه السماء تظلهم، لعلك ترى ان الله عز وجل انّما خلق هذا العالم الواحد، وترى انّ الله عز وجل لم يخلق بشراً غيركم، بلى والله لقد خلق الله تبارك وتعالى ألف ألف عالم وألف ألف آدم انت في أواخر تلك العوالم، واولئك الآدميين.

ولنختم هذا الكتاب هنا حامدين ومصلين على النبي ﷺ قد فرغ من مشقة مؤلفه العبد المذنب الجاني نعمت الله الحسيني الجزائري يوم الثلاثاء خامس عشر شهر رمضان المبارك سنة التاسعة والثمانين بعد الألف كتب هذه الأحرف مؤلّفه المزبور حامداً مصلياً على النبي ﷺ تمّ وكمل.

خاتمة في مجمل احوال مؤلف هذا الكتاب وهو

نعمة الله الحسيني الجزائري

اعلم اطال الله بقاك انّ مولد الفقير هو سنة خمسين بعد الألف وسنة تأليف هذا الكتاب هي السنة التاسعة والثمانون بعد الألف فهذا العمر القليل قد مضى منه تسعة وثلاثون سنة فانظر ماأصاب صاحبه من المصائب والأهوال، ومجمع الأحوال هو انه لّما مضى من ايّام الولادة خمس سنين وكنت مشعوفا بالله واللعب الذي يتداوله الأطفال فكنت جالساً يوماً مع صاحب لي ونحن في بعض لعب الصبيان اذ اقبل الى المرحوم والدي، فقال لي: يابني امض معي الى المعلّم وتعلم الخط والكتابة حتّى تبلغ درجة الأعلام، فبكيت من هذا الكلام وقلت هذا شيء لايكون فقال ليكانَ صاحبك هذا نأخذه معنا ويكون معك يقرأ عند المعلم، فأتى بنا الى المكتب وأجلسنا فيه فقرأت انا وصاحبي حروف الهجاء، فأتيت اليوم الآخر الى والدتي وقلت لها ما أريد المكتب بل اريد اللعب مع الصبيان، فحدثت والدي فما قبل منها فأيست من قبوله، فقلت ينبغي ام اجعل جدّي وجهدي في الفراغ من قراءة المكتب، فما مضت ايّام قلائل حتّى ختمت القرآن وقرأت كثيراً من القصائد والأشعار في ذلك الوقت وقد بلغ العمر خمس سنين وستّة اشهر.

فلمّا فرغت من قراءة القرآن جئت الى والدتي وطلبت منها اللعب مع الصبيان فاقبل الي والدي تغمده الله برحمته وقال لي: ياولدي خذ كتاب الأمثلة وامض معي الى رجل يدرسك فيها فبكيت فاراد اهانتي واخذني الى رجل عمي لكنه كان قد احكم معرفة الأمثلة والبصروية وبعض الزنجاني فكان يدوسني وكنت اقوده بالعصا واخدمه وبالغت في خدمته لأجل التدريس، فلمّا قرأت الأمثلة والبصروية أردت قراءة الزنجاني انتقلت الى رجل سيد من اقاربنا كان يحسن الزنجاني والكافية، فقرأت عليه وفي مدة فراءتي عنده كان يأخذني معه كل يوم الى بستانه ويعطيني منجلاً ويقول لي: ياولدي حشّ هذا الحشيش لبهائمنا فكنت احشّ له وهو جالس يتلو على صيغ الصرف والأعلال والأدغام فاذا فرغت شددت الحشيش حزمة كبيرة وحملته على رأسي الى بيته وكان يقول لي لاتخبر أهلك بهذا، فلمّا مضى فصل الحشيش وأقبل فصل رود الأبريسم فكنت كل يوم احمل له حزمة من خشب التوت حتّى صار رأسي اقرعاً فقال لي والدي ره: ما لرأسك فقلت: لا اعلم فداواني حتّى رجع شعر رأسي الى حالته.

فلمّا فرغت من قراءة الزنجاني واردت قراءة الكافية قصدت الى قرية تسمّى كارون ونحن في قرية يقال لها: الصباغية في شطّ المدك، فقرأت في تلك القرية عند رجل فاضل وأقمت عندهم، فكنت يوماً في المسجد فدخل علينا رجل ابيض الثياب عليه عمامة كبيرة كأنها قبّة صغيرة وهو يرى

الناس أنه رجل عالم فتقدمت اليه وسألته بصيغة من صيغ الصرف فلم يرد الجواب وتلجلج فقلت له: اذا كنت لاتعرف هذه الصيغة فكيف وضعت على رأسك هذه العمامة الكبيرة؟! فضحك الحاضرون وقام الرجل من ساعته وهذا هو الذي شجعني على حفظ صيغ الصرف وقواعده وانا استغفر الله من سؤال ذلك الرجل المؤمن لكنّي احمد الله على وقوع ذلك قبل البلوغ والتكاليف، فبقيت هناك كم من شهر ومضيت الى شطّ يقال له نهر عنتر لأنّي سمعت انّ به رجلاً عالماً وقد كان اخي المرحوم المغفور له الفاضل الصالح الورع السيّد نجم الدين يقرأ عنده.

فلما وصلت اليه لقيت اخي راجعاً من عنده فرجعت معه الى قريتنا ثمّ قصدت قرية يقال لها شط بني اسد للقرائة على رجل عالم كان فيها فبقيت هناك مدة مديدة ثم رجعت الى قريتنا فمضى اخي المرحوم وكان اكبر مني الى الحويزة، فقلت لوالدي: اني اريد السفرر الى اخي الى الحويزة لأجل طلب العلم فأتى بي الى شط السحاب وركبنا في سفينة واتينا من طريق ضيق قد احاط به القصب من الجانبين وليس فيه متسع الاّ للسفينة وكان الوقت حاراً وهاج علينا من ذلك القصب بق كلّ واحدة منها مثل الزنبور وأين ما لدغ ورم موضعه، ذلك الطريق اسمه طريق الشريف وفي ذلك الطريق الضيق رأينا جماعة من اهل الجاموس فقصدناهم وكنا جياعاً فخرجنا عليهم وقت العصر وفرش لنا صاحب البيت فراشاً فصار وقت المغرب، فلمّا صلينا صرنا في انتظار العشاء وماجاء لنا بشيءٍ حتّى اتى وقت النوم واشتدّ جوعنا وأخذ النوم فنمنا جياعاً فلمّا بقي من الليل بقيّة قليلة جاء صاحب البيت الى قربنا وشرع ينادي جاموسه ويقول ياصبغا وياقرحاء هاى، فلمّا رفع صوته وسمعت الجاموس ذلك الصوت اقبلن اليه من بين القصب فلمّا خرجن اليه سألت واحداً منهم مايريد هذا الرجل من هذا الجاموس؟ فقال: يريد ان يحلبهن ويبرد الحليب ويطبخ لكم طعاماً من الحليب والأرز، فقلت: انا لله وانا اليه راجعون، وأخذني النوم فلمّا قرب الصباح أتى بقصعة كبيرة وأيقظنا فلم نر على وجه تلك القصعة شيئاً من الأرز، فمددنا ايدينا فيها الى المرافق فوقعنا على حبات منه في قعر تلك الجفنة وشربنا من ذلك الحليب ويالها من ليلة ما اطولها وماكان اجوعنا فيها خصوصاً لّما شربنا من هذا الحليب.

فركبنا بعد طلوع الشمس وأتينا الى الحويزة وقد كان اخي قبلي ضيفاً عند رجل من أكابرها ويقرأ في شرح الجامي عند رجل من افاضلها فتشاركنا في الدرس وبقينا نقرأ عنده في شرح الجار بردي على الشافية، وهذا الأستاد ايضاً رحمة الله تعالى قد استخدم علينا كثيراً واسمه الشيخ حسن بن سبتي وكان قد عيّن على كل واحد منّا انّا اذا اردنا قضاء الحاجة او البول ومضينا الى جرف الشط ان يأتي كل واحد منا معه بصخرتين او آجرتين من قرب قلعة الترك، فربّما ترددنا في اليوم الى الشط مراراً وهذا حالنا فلمّا اجتمع عنده صخر كثير أراد ان يبني منزله فطلب وكنا نحن

العملة فبنينا له ما اراد بناء من البيوت واذا مضينا معه الى الحويزة العتيقة واردنا الرجوع قال: ياولادي تمضون وتمشون من غير حمل؟ فكان يطلب سمكاً عتيقاً من أهلها وأشياء اخرى ويقول لنا احملوه، فكنا نحمله وماؤه يجري على وجوهنا وكنّا اذا اردنا كتابة حاشية من كتابه ما يأذن لنا لكن ربما اخذنا الكتاب منه سرقة وكتبنا منه بعض الحواشي وهكذا كان حاله ره معنا وكنا راضين بخدمته غاية الرضا لبركات انفاسه الشريفة في الدرس، وكان طاب ثراه حريصاً على الكتب وبقية بعده عند أزواج بناته لايعرف لها قيمة وهذا كان حالنا في الدرس.

واما بالنسبة الى المآكل فقد قلنا انّا كنّا في بيت رجل من اكابرها وفي اكثر الأوقات كنّا نبقى في المدرسة لأجل المباحثة الى وقت الظهر فاذا مضينا الى منزل الرجل وجدناهم فرغوا من الغذاء فنبقى الى الليل وقد كان صاحبي يلقط قشور البطيخ والرقي من الأرض ويأكلها بترابها وكان يستتر عنَي بهذا حياء وخجلاً، وكنت انا افعل مثل فعله فأتيت يوماً وطلبته فرأيته قد جمع القشور وجلس تحت الباب يأكلها بترابها فلمّا رأيته ضحكت فقال: فاذا كان هذه حالنا فنجمع هذه القشور كلَ يوم ونغسلها بالماء ونأكلها، فبقينا على هذا مدّة وكنّا في تلك المدة نطالع على نور القمر وكنت تعمدّت حفظ متون الكتب مثل الكافية والشافية والفية ابن مالك ونحوها، فاذا كانت الليالي مقمرة كنت اطالع واذا جاءت الليالي السود كنت اكرر قراءة تلك المتون على ظاهر قلبي حتَى لاانساها، وكان اهل المجلس يجلسون وأنا معهم وكنت اظهر لهم صداع رأسي فاضع رأسي بين ركبتي وأقرأ تلك المتون وهكذا كان حالي.

فبقيت على هذا مدة فأتى والدي من الجزائر وقال: ان امكما تريدكما فأخذنا معه الى الجزائر وبقينا فيها ايّاماً قلائل فرجعنا ايضاً الى الجويزة فرأينا رجلاً من اهل الجزائر يريد السفر الى شيراز فأخذ المرحوم اخي كتبه واسبابه ومضى الى البصرة واتيت انا معه الى الجزائر وكان شهر رمضان المبارك فبقيت عند اهلي اربعة ايام وركبت انا وذلك الرجل في سفينة وقصدنا البصرة فلمّا ركبت الفسينة من غير خبر من اهلي ظننت انّ والدي يطلبني، فقلت لأهل السفينة انا اخلع ثيابي وانزل الى الماء وأقبض سكان السفينة والسفينة تجري فكنت في الماء والسفينة تسير حتى لايراني احد فلما ايست من الطلب ركبت في السفينة وفي اثناء الطريق رأينا جماعة على جرف الشط ونحن في وسطه فصاح لهم ذلك الشيخ وقال: انتم من الشيعة ام من السنة؟ فقالوا: نحن من السنة فقال: لعن الله(فلان وابا زينب وفلان اتعرفون ان ابازينب خ ل) عمر وابا بكر وعثمان اتعرفون ان عمراً كان مخنثاً فصاحوا عليه بالشّتم واللعن فضجوا أهل السفينة عليهم والسفينة تجري وتلك الجماعة على جرف الشط يمشون ويرموننا بالحجارة فبقينا على هذه الحال معهم نصف نهار،

فمضينا الى البصرة وكان سلطانها في ذلك الوقت حسين باشا فبقينا فيها نقرأ عند رجل فاضل من اجلاء السادة فبقينا مدّة قليلة.

ثم ان وادلي ره تبعنا فأتى ليأخذه الى الجزائر فاظهر لنا الرغبة الى ما اراد فأتينا الى سفينة واستأجرنا مكاناً فيها من غير خبر والدي فركبنا فيها وسافرنا الى شيراز فخرجنا من السفينة الى بندر حماد واستأجرت انا واخي دابّة واحدة لقلة ماعندنا من الدراهم وذلك الطريق صعب جداً من جهة الجبال فقطعت تلك الجبال كلها وانا حافي الأقدام وكان عمري في ذلك اليوم يقارب الأحدى عشر سنة، فوصلنا الى شيراز صلاة الصبح فمضينا الى بيت ذلك الشيخ الذي كان معنا وكان منزله بعيداً من مدرسة المنصورية ونحن كنا نريد السكنى فيها لأنَ لأنَ بعض اقاربنا كان فيها، فقال لنا ذلك الشيخ: خذوا الطريق واسألوا وقولوا مدرسة المنصورية(ميخواهيم) ومعناه بالعربية نريدها، فمضينا نمشي فحفظت انا كلمة واخي كلمة اخرى فكنّا اذا سئلنا قال احدنا مدرسة المنصورية وقال الآخر(ميخواهيم) فوصلنا الى تلك المدرسة فجلست انا في الباب ودخل اخي اليها فكان كلَ من يخرج من طلبة العلم ويراني يرق لحالي وما أصابني من آثار التعب.

فلما وجدنا صديقنا قعدنا معه في حجرته واخذنا في اليوم الآخر لزيارة رجل فاضل وهو الشيخ البحراني فكان يدرّس في شرح الفيَة بن مالك فسلّمنا عليه وأمر لنا بالجلوس فلما فرغ سألنا من اين القدوم؟ فحكينا له الأحوال فقام معنا فأخذني وراء اسطوانة المسجد فلزم اذني وعركها عركاً شديداً وقال: ايّها الولدان لِمَ تجعل نفسك شيخاً للعرب وتحب الرئاسة فيضيع به وقتك تصير رجلاً فاضلاً فلزمت كلامه وأنزويت عن الأحباب والأخلاّء في وقت قرائتي فمضى معنا الى متولّي المدرسة فعيّن لنا شيئاً قليلاً لايفي بوجه من الوجوه ثمَ شرعنا قرائة الدرس عند ذلك الشيخ وعند غيره.

فلما مضت لنا أيام قلائل قال لي اخي وصديقي: ينبغي ان نرجع الى الجزائر لأنَ المعاش قد ضاق علينا فقلت لهم: انا اكتب بالأجرة واعبر اوقاتي فكتبت بالأجرة لمعاشي وكاغذي وماحتاج اليه وكنت ايضاً اكتب اربعة دروس للقرائة واحشيها وأصحّحها وحدي وكان حالي في وقت الصيف الحار انَ طلبة العلم يصعدون الى سطح المدرسة وانا اغلق باب الحجرة وأشرع في المطالعة والحواشي وتصحيح الدرس الى ان يناجي المؤذن قريب وقت الصبح، ثم اضع وجهي على الكتاب وأنام لحظة فاذا طلع الصبح شرعت في التدريس الى وقت الظهر فاذا اذن المؤذن قمت اسعى الى درسي التي أقرأها فربما أخذت قطعة خبز من دكان الخباز في طريقي فآكلها وانا امشي وفي اغلب الأوقات ماكان يحصل فأبقى الى الليل، وكنت في اكثر احوالي اذا جاء الليل لم اعلم انّي أكلت شيئاً في النهار ام لا فاذا تفكرت تحقّقته انّي لم آكل شيئاً، فأتى لي زمان ماكان

عندي دهن سراج للمطالة، فأخذت غرفة عالية وجلست بها وكان بها ابواب متعددة فكنت اذا اضاء القمر فتحت كتابي للمطالعة، وكلما دار القمر فتحت باباً من الأبواب وبقيت على هذه الحالة مدَة سنتين فضعف بصري فهو ضعيف الى هذا الآن.

وكان لي درس اكتب حواشيه بعد صلاة الصبح في وقت الشتاء وكان الدم يجري من يدي من شدة البرد وكنت لااشعر به، وهكذا كانت الأحوال الى ثلاث سنوات فشرعت في تأليف مفتاح اللبيب على شرح التهذيب في علم النحو ومتنه من مصنفات شيخنا بهاء الدين محمد تغمده الله برحمته، وكتبت في ذلك الوقت شرحاً على الكافية فقرأت علوم العربية عند رجل فاضل من اهل بغداد، والأصول عند رجل محقق من الأحساء والمنطق والحكمة عند المحققين المدققين شاه ابي الولي وميرزا ابراهيم وعلم القرائة عند رجل فاضل من اهل البحرين، وكنا جماعة نقرأ عند الشيخ الجليل الشيخ جعفر البحراني وكنت انا اسمع ذلك الدرس بقرائة غيري فاذا اتيت الى ذلك الشيخ فكلَ من يجلس قبل يقول له: أقرأ حتَى يجلس القاري وكان يشجعنا على الدرس وعلى فهم معناه من المطالعة، ويقول لنا: انّ الأستاذ انما هو للتيمن والتبرك والاّ ففهم الدرس وتحقيق معناه انما هو من مطالعة التلميذ.

وقد اتفق انَه جاءنا خبر فوت جماعة من اعمامنا وأقاربنا فجلسنا في ذلك اليوم في عزائهم ومارحنا الى الدرس فسأل عنا وقيل لهكانهم اهل مصيبة فمضينا الى الدرس اليوم الثاني فلم يرض ان يدرسنا وقال: لعن الله ابي وامي ان درستكم كيف ماجئتم امس الى الدرس فحكينا له، فقال: كان ينبغي ان تجيئوا الى الدرس فاذا اقرأتموه انصرفتم الى عزائكم هذا ابوكم يأتيكم ايضاً خبر فوته فتقطعون الدرس فحلفنا له اَن لانقطع الدرس يوماً واحداً ولو اصابنا ما أصابنا فقبل ان يدرسنا بعد مدَة واتفق انَنا كنا نقرأ عنده في اصول الفقه في شرح العميدي فاتفقت فيه مسئلة لاتخلو من اشكال فقال لنا ونحن جماعة طالعوها هذه الليلة فاذا اتيتم غدا فكل من عرفها يركب صاحبه ويحمله من هذا المكان الى ذلك المكان فلمَا اتينا اليه غداً وقرر اصحابي تلك المسئلة قال لي: تكلم انت فتكلمت فقال: هذا هو الصواب وكلَما قال الجماعة غلط فقال لي: امل علي ماخطر بخاطرك حتَى اكتبه حاشية على كتابي فكنت انا املي عليه وهو يكتب فلمَا فرغ قال لي: اركب على ظهر واحد واحد من اصحابك الى هناك فحملوني الى ذلك المكان وهذا كان حاله فأخذني ذلك اليوم معه الى بيته وقال لي: هذه ابنتي اريد ان أزوّجك بها فقلت: ان شاء الله تعالى اذا توسعت في طلب العلم فاتَفق انَه سافر الى الهند وصار مدار حيدر آباد عليه وقد سألته يوماً عن تفسير شيخنا الشيخ عبد علي الحويزي الذّي الفه من الأخبار فقال لي: مادام الشيخ عبد علي حياً فتفسيره لايساوي قيمة فلس فاذا مات فاول من يكتبه بماء الذهب انا ثم قرأ:

تــرى الفتـــى ينكـــر فـــضل الفتـــى لومـــاً وبخـــلاً فـــاذا مـــا ذهـــب
لجّ بـــه الحـــرص علـــى نكتـــة يكتبهـــا عنـــه بمـــاء الـــذهب

ونظير هذاانّ رجلاً من فضلاء اصفهان صنّف كتاباً فلم يشتهر ولم يكتبه احد فسأله رجل من العلماء لم لايشتهر كتابك؟ فقال: انّ له عدواً فاذا مات اشتهر كتابي، فقال له وماهو؟ قال: انا وقد صدق في هذا الكلام، وبقيت في شيراز تسع سنوات تقريباً وقد اصابني فيها من الجوع والتعب ما لايعلم به الا الله، وفي خاطري انّي قد بقيت يوم الأربعاء والخميس ماوقع في يدي الاّ الماء فلمّا اتت ليلة الجمعة رأيت الدنيا تدور ب وقد اسودت كلها في عيني فمضيت الى قبة السيداحمد بن الأمام موسى الكاظم فأتيت الى قبره ولزمته وقلت له: انا ضيفك فكنت واقفاً فاذا رجل سيّد قد اعطاني قوت تلك الليلة من غير طلب فحمدت الله وشكرته ومع ماكنت فيه من الجدّ والأجتهاد كنت كثيراً ما اتنزه في البساتين والأماكن الحسنة مع الأصحاب والأعلام وفي وقت الورودات نمضي الى البساتين ونبقى فيها اسبوعاًو اقل و اكثر ولكن الأشتغال ماكنت افوته من يدي وقد منّ الله عليّ في شيراز بأصحاب صلحاء نجباء علماء وكانوا موافقين لي في السن.

ومن جملة رياضاتي للدرس انّ صاحباً لي كان منزله في طرف شيراز وكنت ابات عنده لأجل دهن السراج حتّى اطالع وكان لي درس اقرأه على ضوء سراج آخر الليل في مسجد الجامع وهو في طرف آخر من البلاد، واقوم من هناك وقد بقي من الليل بقية كثيرة ومعي عصا وبين ذلك المنزل وبين المسجد اسواقاً كثيرة وفي آخر الليل وليس في شيءٍ منها سراج بل كلها مظلمة والداهية العظيمة انّ عند كل دكان بقال كلب يقرب من العجل لحراسة ذلك الدكان، وكنت أجيء وحدي من ذلك المكان البعيد فاذا وصلت الى السوق لزمت جداره حتى اهتدي الى الطريق واذا وصلت الى دكان البقال شرعت في قرائة الأشعار جهراً حتّى لايظن الكلب اني سارق بل كان يظن يظن انّنا جماعة عابرين الطريق، وكنت عند كل دكان احتال على الكلب بحيلة حتى اخلص منه وبقيت على هذا برهة من الزمان وكنت في مدرسة المنصورية وحجرتي فوق ولاكنت احبّ احد يجيء اليّ ولايمشي الى قريب منها وكنت احبّ الأنفراد والوحدة وبقيت على هذه الأحوال تلك المدة.

ثمّ كاتبني والدي ووالدتي وألحوا عليّ في الوصول الى الجزائر فمضيت اليهم انا واخي سنة موج الجزائر الأخير لأن الموج الأول موج عواد فلمّا وصلنا الى الأهل فرحوا بنا لقدومنا ولأن كل من مضى من تلك البلاد رجع من غير علم فقالت والدتي: ينبغي ان تتزوجا حتى ارضا عنكما فقلت انّ علم الحديث والفقه قد بقي علينا قرائته فقالت: لابد ان تتزوجا وكان الحامل لها على

هذا هو انا اذا تزوجنا الزمنا السكنى معها فقبلنا كلامها وتزوجنا وبقيت بعد التزويج قريباً من عشرين يوماً فمضيت الى زيارة رجل فاضل في قرية يقال لها نهر الصالح، فلما اجتمعنا وتباحثنا في العلوم العقلية فقالوا لي: وا اسفاً عليك كيف فاتك علم الحديث فقلت: وكيف فاتني علم الحديث قال لقولهم ذبح العلم في فروج النساء فرماني في الغيرة فقلت له: والله ياشيخ لاارجع الى اهلي وها انا اذا قمت من مجلسك توجهت الى شيراز فاستبعد قولي فقمت منه وركبت في سفينة وأتيت الى القرنة وكان فيها سلطان البصرة فاخذني معه الى الصحراء للتنزّه فلما رجعنا أتيت الى البصرة ولاحظت ان والدي يتبعني فركبت في سفينة وقصدت الى شيراز فأتيت الى تلك المدرسة ولحقني اخي فأقمنا فيها وأتى الينا خبر موت الوالد تغمّده الله برحمته فبقينا بعده شهراً او اقلَ.

ثمَ انَ مدرسة النصورية احترقت واحترق فيها واحد من طلبة العلم واحترق لي فيها بعض الكتب وصارت بعض المقدمات فسافرنا الى اصفهان وكنا جماعات كثيرة واصابنا في الطريق برد تيقّنا معه الهلاك فمنّ الله علينا بالوصول فجلسنا في مدرسة ليس فيها الا اربع حجرات في(سرنيم اورد) وجلسنا في حجرة واحدة وكنّا جماعة كثيرة فكنّا اذا نمنا في تلك الحجرة واراد واحد منّا الأنتباه في الليل لحاجة انبهنا جميعاً ثم انَه قد تضايقت علينا امور المعاش وبعنا ماكان عندنا من ثياب وغيرها وكنّا نتعمد اكل الأطعمة المالحة لجل ان نشرب ماءً كثيرا ونأكل الأشياء الثقيلة لذلك ايضاً ثم بعد هذا منّ الله عليّ بالمعرفة مع استاذنا المجلسي ادام الله ايّام سلامته فأخذني الى منزله وبقيت عندهم في ذلك المنزل اربع سنين تقريباً وقد عرفت اصحابي عنده فأيدهم باسباب المعاش وقرأنا عليه الحديث.

ثمَ انَ رجلاً اسمه ميرزل تقي بنى مدرسة وارسل اليَ وجعلني فيها مدرساً والمدرسة تقرب من حملم الشيخ بهاء الدين محمد تغمده الله برحمته فأقمت في اصفهان اقرأ وادرس ثمان سنوات تقريباً ثمَ اصابني ضعف في البصر بكثرة المطالعة وكان في اصفهان جماعة كحّالون فداووا عيوني بكلما عرفوا فما رأيت من دوائهم الاَ زيادة في الألم فقلت في نفسي: انا اعرف بالدواء فقلت لأخي ره انَي اريد السفر الى المشاهد العالية فقال: انا اكون معك فسافرنا من طريق اصفهان وفي اثناء الطريق وصلنا الى كرمان شاه وتجاوزناها وقمنا من منزل ونريد منزلاً آخر وهو الهارونيّة بناها هارون الرشيد لعنه الله تعالى فلما صعدنا الجبل اصابنا فوقه مطر وهواء بارد وصار الصخر تزلق فيه الأقدام ولايقدر يستمسك الراكب على الدابة من الهواء البارد وشدّته والمطر فشرعت انا في قراءة آية الكرسي فليس احد من اهل القافلة الاَ وقد سقط من الدابّة وانا بحمد الله وصلت الى المنزل سالماً، فلما وصلنا المنزل كان فيه خان صغير وله حوش وليس فيه حجر وانَما فيه طوائل للدواب ومرابطها فأدخلنا أعراضنا والكتب الى طويلة ووضعنا فوق صفّتها واتّفق ان تلك

الطوائل كان فيها اسماد كثيروقد عمد اليه بعض المترددين ووضع فيه النار لأجل ان يحترق ذلك السماد فما كان في تلك الطوائل الاّ الدخان الخانق ومطرت السماء فتحيرنا بين المطر والدخان فكنّا نقبض على خياشيمنا فاذا ضاقت انفاسنا خرجنا من الطويلة الى الحوش وتنفسنا ورجعنا فكنا نلك الليلة وقوفاً ليس لنا حاجة الا الخروج للتنفس وياخوان ماكان اطول تلك الليلة فلمّا اصبح الصباح وطلعت الشمس وخرجنا الى الحوش وجاءنا اهل تلك القرية يبيعون علينا الخبز وغيره فأتت الينا امرأة منهم وكان لها لحية طويلة نصفها بيضاء ونصفها سوداء فتعجّبنا منها.

ثمّ اننا وصلنا الى بعقوبا فأودعنا كتبنا وأغراضنا لأهل القافلة ومضينا نحن مع جماعة قليلة الى سرّ من رأى فلما عزلنا عن القافلة وسرنا فرسخاً تقريباً لقينا رجل فقال لنا: انّكم تمضون واللصوص امامكم في نهر الباشا فترددنا في الرجوع والمضيّ فصار العزم على المضي فلما وصلنا الى ذلك النهر طلعت علينا خيولهم فعدوا علينا فقرأت آية الكرسي وأمرت أصحابي بقرائتها فلما وصلوا الينا انفردوا عنّا ناحية وكانوا يتفكّرون فرأيناهم جاؤوا الينا وقالوا لنا: قد ضللتم الطريق وكان الحال كما قالوا فأرسلوا معنا رجلاً منهم وسار معنا الى قرب المنزل وهو القازاني استقبلنا جماعة من سادات[23] سرّ من رأى لأجل ان يأخذونا وكان آخر اختيارنا من ارواحنا واموالنا اوّل وقوعنا بايديهم وكانت عندنا دواب فقالوا: ينبغي ان تركبوا دوابنا لأجل الأجرة فركبنا دوابهم فوصلنا الى المشهد المبارك في الليل فنزلنا في بيت ذلك السيّد فأتت الينا امرأة بقبضة حطب قيمتها أقلّ من الفلس.

فلمّا صلينا قلنا لهكنروح الى الزيارة قال: لا حتى تأكلوا الضيافة عندي فقلنا له: نحن معنا من الخبز واللحم مايكفينا فقال: لايكون هذا فبعد ساعة قدم الينا جفنة من الخشب كبيرة وفيها ماء اسود لاندري مايكون تحته وفيها خواشيق فقلنا هذا أي شيء؟ فقال: مدوا ايديكم فمددنا ايدينا وكان ذلك الماء حاراً فمددنا الخواشيق فقصرت عن الوصول الى قعر الجفنة فمددنا بعض ايدينا وتناولنا بالخواشيق مافي قعر الجفنة فكان حبّات ارزة وكان قد غلاّها مع ذلك الماء فشربنا كلّ واحدة خاشوقة وقمنا للزيارة فقال لنا ذلك السيد المبارك اعلموا ياضيفاني انّ سادة سامراء ليس لهم خوف من الله ولاحياء فاذا دخلتم قبّة الأمام عليه السلام اخذوا ثيابكم ولكنّكم اكلتم ملحي فأنا انصحكم ان تجعلوا ماعندكم من الثياب الجديدة عندي في منزلي وخذوا خلقان ثيابكم حتّى لو

---

(١) عدة من خدم الحرم العسكريين عليهما السلام في سر من رأى يدعون السادة وفي رؤوسهم علامة الهاشميين والله اعلم بحقيقة حالهم واظنهم ان كانوا من بني هاشم انهم من بني العباش وهم من اهل السنة كسائر اهل سامراء ولكن يظهرون للزوار انهم من الشيعة وهم من اشد الناس قساوة وشقاوة وايذاء لخلق الله تعالى والمشهور انهم ليسوا من السادات وانما ادعوا ذلك كذباً.

اخذت منكم ترجعون الى هذه الثياب فاستعقل كلامه اصحابنا ووضعوا ثيابهم عنده واما انا فقلت قد اصابني البرد هذه البارحة فلبست ثيابي واحداً فوق الآخر فلمّا مضينا الى الزيارة اخذوا منا في الباب الأول من كل واحد اربع محمديات فلمّا وصلنا الباب الثاني اخذوا منا ايضاً فزرنا موالينا واتينا الى السرداب فلمّا نزلنا اليه احاطوا بنا تحت الأرض فأخذوا ماأرادوا وكأنّي ارى طرف ميزر واحد ما اصحابي في يده والطرف الآخر في يد رجل سيّد من السادة فأخذه السيّد وبقي صاحبي مكشوف الرأس فأتينا الى منزل صاحبنا فقلنا له: هات الثياب فقال: اولاً حاسبوني على حقوقي وادفعوها اليّ فقلنا هذا يكون فاحسبها انت فقال: الأول حق الأستقبال فقلنا له هذا حق واضح فقال لخواطركم كل واحد محمّديتين فأخذ منا، ثمّ قال: حق المنزل البارحة فأخذ حقه، ثمّ قال: حق الحطب فأخذ من كل واحد نصف محمديّة، ثم قال: حق المرأة التي اتت به فأخذ مأراد، ثمّ قال: والحق اعظم حقّ الضيافة وهو من كل واحد محمّديّة فاخذ ذلك الحق، ثمّ قال: حق الحماية وهو انكم في منزلي ولولاه كان السادة أخذوا مامعكم فأخذ ذلك الحقّ فقال: حقّ المشايعة فأخذه، فلما قبض الحقوق كلها قلنا له: أعطنا الثياب فقال: قولوا مع انفسكم انّنا اخذناها معنا لَما دخلنا القبة الشريفة اما كان السادة يأخذونها منكم فها انا من السادة واخذتها منكم من غير اهانة بكم فقلنا له: جزاك الله خيراً.

فرجعنا الى بغداد وأتينا من بغداد الى مشهد الكاظمين عليهما السلام، ثمّ أتينا الى زيارة مولانا ابي عبد الله الحسين عليه السلام وكنت قد أخذت تراباً من عند رأس كلّ امام فأخذت من تراب رجلي الحسين عليه السلام ووضعته فوق ذلك التراب واكتحلت به ففي ذلك اليوم قوى بصري على المطالعة وصار اقوى من الأول، وكنت قد أفَت شرحاً على الصحيفة الشريفة فشرعت في اتمامه ذلك اليوم والى الآن كلّما عرض لي رمداً او غيره اكتحلت بشيءٍ من ذلك التراب ويكون هو الدواء، ولّما قدمت الى مشهد مولانا امير المؤمنين عليه السلام وزرته مددت يدي الى تحت الفراش من عند رأسه المبارك لأخذ شيءٍ من التارب فجائت في يدي درة بيضاء من درّ النجف فاخذتها ولّما خرجت قلت لأخوانا المؤمنين فتعجبوا وقالوا: ما سمعنا بأنّ احداً وجد درّة النجف في هذا المكان بل هذا ملك اتى بها ووضعها في هذا المكان وذلك انّه قبل ذلك التاريخ باعوام كثيرة قد وجد واحد من الخدام درّة في صحن الحوش فاخذها منه المتولي وارسلها الى حضرة الشاه صفي لأنّها وجدت في لك المكان والحاصل انّ تلك الدرّة صنعناها خاتماص وهي الآن عندنا نتبرك بميامنها وقد شاهدنا لتلك الدرة احوالات عجيبة، منها انّي كنت لابساً ذلك الخاتم فمضيت الى مسجد الجامع في شوشتر فصلّيت المغرب والعشاء وأتيت الى المنزل فلمّا جلست عند السراج ونظرت الى فص الخاتم لم اره وكان قد وقع في ذلك الليل فضاق صدري وحزنت حزناً عظيماً، فقال لي بعض بعض

تلامذتي نأخذ سراجاً ونروح في طلبه، فقلت لهم: لعله يكون قد وقع منّي النهار وانا اليوم مضيت الى اماكن متعددة، فقلت لهم: توكّلوا على الله واطلبوه فاخذوا سراجاً ومضوا فاول ماوضعوا السراج قرب الأرض لطلبه وجدوه مع انّه بمقدار الحمصة فعجب الناس من هذا فلمّا بشرونيتخيّلت ان اموال الدنيا وهبت لي والحمد لله هو الآن موجود.ولمّا فرغنا من الزيارة شرعنا في زيارة الأفاضل والمجتهدين والمباحثة معهم ومصاحبتهم، ثمّ اتينا الى الرماحية وكنت ضيفاً عند رجل من المجتهدين وبقيت عنده ايماً قلائل فاستأجرت سفينة وركبت فيها قاصداً للجزائر فسارت السفينة فرسخين تقريباً ثم وقفت على الطين فبقيت واقفة يوماً وليلة ثمّ سارت فرسخاً او اكثر ثم وقفت كالأول ثمّ سارت وهكذا فتعجب اهل السفينة وقالوا: ماجرى هذا قط على سفينتنا فتفكرت انا وقلت في نفسي هذا الشهر جمادي وصارت زيارة رجب قريبة وانا تركتها وقصدت الجزائر ولايكون هذا التعويق الا لهذا.

فقلت لصاحب السفينة ان اردت ان تسير سفينتك فاخرجني منها وقلت له الكلام فتعجّب، فقلت له: انّ قدّامنا في حقروص رجلاً من اخواننا فانا اخرج الى منزله حتّى تصل السفينة الى مقابل منزله فنخرج اثاثنا فاخرج معي رجلاً ليدلّني على الطريق فلمّا خرجنا ومشينا جرت السفينة وقد تقدّمتنا فوصلنا الى منزل ذلك المؤمن وارسل غلامه وتبع السفينة حتى اتى باسبابي منها، فبقيت عند ذلك المؤمن ايّاماً قلائل وسافرت انا وهوالي زيارة رجب ثم زرنا مولانا امير المؤمنين عليه السلام ثانياً.

فلما فرغنا من الزيارات أتينا الى منزل ذلك الرجل المؤمن في حقروص وكان على شاطيء الفرات وكان له مجلس فوق غصن شجرة قويّ في وسط الماء والسفن تجري من تحته فما رأيت مكاناً أنزه ولاألطف ولاآنس منه وكانوا في النهار يصيدون الحجل والدرّاج ونأكله في الليل، وماء الفرات وهولا لانسأل عن عذوبته ولطافته وحلاوته وبركته لأنّه ورد في الحديث انّه يصبّ فيه في ميزاب من ماء الجنة كلّ يوم.

وفي الحديث انّه كان يبريء الأكمه والأبرص وذوي العاهة لكن باشره نجاسة ابدان المخافين فازال عظيم بركته وبقي القليل وكان مولانا الصادق عليه السلام يقصده من المدينة ليشرب منه ويغتسل به ويرجع، وقد ورده يوماً فقال لرجل كان على الماء: ناولني بهذا القدح ماء فناوله ثمّ قال ناولني اخرى فناوله فشرب واجرى الماء على لحيته الشريفة فلمّا فرغ قال الحمد لله رب العالمين ماء ماأعظم بركته.

ثمّ اني ركبت في السفينة وجئت الى الجزائر فلقيت جماعة من اهل السفينة الأولى فقالوا لي: انّه من وقت خروجك منها ماوقفت ساعة واحدة الا بالمنزل، فلمّا وصلت الى الجزائر الى

منزلنا في الصباغيَة في نهر المدك فرحوا أهلي وذلك انّ اخي تقدمني بالمجيء من بغداد ولّما رأته والدتي خطر ببالها الخواطر من جانبي وانّه ماتأخر الا لقضية حادثته فبقيت في الجزائر مع اخي في الصباغيَة ثلاثة اشهر وشرعت في شرح تهذيب الحديث هناك، ثم انتقلنا الى نهر الصالح فرأينا اهلها اخيار صلحاء وعلماؤها من اهل الإيمان منزّهين عن النفاق والحسد فأحسن كلّهم الينا احساناً كاملاً فبقينا هناك ستة اشهر او اكثر وبنوالنا مسجداً جامعاً كان من الأوّل يصلي فيه شيخنا الأجل خاتمة المجتهدين الشيخ عبد النبي الجزائري وكنّا نصلي فيه جماعة لاجمعة.

ثمّ ان السلطان محمد بعث عساكره الى سلطان البصرة الى انّه يخرب الجزائر والبصرة وينقل اهلها الى مكان اسمه سحاب قريب الحويزة فانتقلنا كلّنا اليها ووضع عسكره في قلعة القرنة وجلس هو مع اهل الجزائر في سحاب وكان يجيء الى عندنا، فاذا جاء وضعوا له في الصحراء عباءة واذا اتيت اليه قام وأجلسني معه على تلك العباءة وكان يظهر المحبة والود لي كثيراً، فلما قرب الينا عساكر السلطان محمد وحصروا القلعة كانوا يرمونها كل يوم ألف مدفع او اقل وكانت الأرض ترجف من تحتنا هذا وانا مشغول في تأليف شرح التهذيب فبعثت العيال واكثر الكتب مع اخي الىالحويزة وبقيت اناوكتبالتاليف.

ثمانَي طلبت الأذنمن السلطان في السفر الى الحويزة فلم يأذن لي وقال: اذاخرجت انت من بينناماايبقى معي احد فبقينا في الحصار اربعة اشهر تقريباً فاتى شهر الله رمضان فسافرت الى الحويزة، وكنت انتظر الأخبار فلمّا كان ليلة الحادية عشر من ذلك الشهر وهي ليلة الجمعة خاف سلطان البصرة من خيانة عسكره وفرّ هارباً الى الدورق، فبلغ الخبر اهل الجزائر طلوع فجر يوم الجمعة ففرّت النساء والرجال والأطفال والشيوخ والعميان وكلّ من كان في ذلك الأقليم طالبين الحويزة وبينهم وبينها مسيرة ثلاثة ايام لكنها مفازة لافيها ماء ولاكلاء بل ارض يابسة فمات من اهل الجزائر في تلك المفازة عطشاً وجوعاً وخوفاً مالايحصى عددهم الا الله تعالى وكذلك العسكر الذي في القرنة قتل منه ايضاً خلق كثير.

والحاصل انّ من شاهد تلك الواقعة عرف احوال يوم القيامة وامّا سلطان الحويزة قدس الله روحه وهو السيد علي خان فأرسل عساكر لأستقبال اهل الجزائر وارسل لهم ماء وطعاماً جزاه الله عنهم كلّ خير، ثمّ اننا اقمنا عنده في الحويزة شهرين تقريباً وسافرنا الى اصفهان لكن من طريق شوشتر فلمّا وصلنا شوشتر رأينا اهلها من اهل الصلاح والفقر ويودّون العلماء، وكان فيهم رجل سيّد من اكابر السادة اسمه ميرزا عبد الله فاخذنا الى منزلهوعيّن لنا كلما نحتاج اليه والآن هو قد مضى الى رحمة الله لكنّه اعقب ولدين السيّد شاه مير والسيد محمد مؤمن وفيهما من

صفات الكمال مالايحصى مع صغر سنهما ولاوجد في العرب والعجم اكرم منهما ولايقارب اخلاقهما وفقهما الله تعالى لجميع مراضيه.

ثم انَ والدهما ارسل الى اهلنا في الحويزة، ولما جاؤا عين لهم منزلاً وكلما يحتاجون اليه فبقينا في شوشتر تقريباص من ثلاثة اشهر وسافرنا الى اصفهان على طريق ديه دشت وبقي الأهل في شوشتر، فلما قدمنا ديه دشت أخذنا حجرة في المكان وجلسنا بها ثم بعد ساعة قلت لواحد من الرفقاء اذهب وانظر لعلَ لنا فيها صديقاً يأخذ لنا منزلاً الى كم يوم.

فلما خرج اتى برجل سيد كان يقرأ عندي في اصفهان فلما رآني فرح فرحاً شديداً وقال: انَ جماعة من تلاميذك من سكان هذه البلاد فاخبرهم وكانوا سادات ديه دشت فاخذوا لنا منزلاً وكان الحاكم في تلك البلاد محمّد زمان خان وكان عالماً كريماً سخياً لايقارب في الكرم فلمّا سمع بنا ارسل وزيره وعيَن لنا مانحتاج اليه ومالا نحتاج اليه فطلبنا الحاكم في يوم آخر وردنا عليه قال لي: سمعت انك شرحت الصحيفة؟ قلت: نعم فقال: ان في دعاء عرفه فقرة كيف شرحتها؟ فقلت: ماهذه الفقرة قال: هي قوله عليه السلام تغمدني فيما اطّلعت عليه مني بما يتغمد به القادر على البطش لولا حلمه فذكرت له وجوهاً ثلاثة في حلّها فقال لي: أحد هذه الوجوه خطر بخاطري والآخر خطر بخاطر الأقا حسين الخوانساري فاستحسنها وشرعنا في المباحثة وكنت احترمه في الكلام فجلس على ركبتيه ورمى حلّته من فوق ظهره وقال: تكلّم كما كنت تتكلم في المدرسة مع طلبة العلم ولاتحترمنيث فتباحثنا وكنت انقله من علم الى علم وكان يسبقني في الكلام الى ذلك العلم حتَى جاء وقت صلاة الظهر فقطعنا الكلام ثم عدنا الى المباحثة يوماً آخر وكنت في بلاده ثلاثة اشهر تقريباً على هذه الحال فما رأيت احداً افهم منه ولاأفصح منه لساناً.

وامّا في جانب الكرم وامداد العلماء والفقراء فحاله فيه مشهور ولّما أستأذنا منه على السفر الى اصفهان احسن الينا غاية الأحسان، فلما سافرنا الى اصفهان فانظر الى ماجرى في الطريق وهو انّا لّما وصلنا الى منزل قبل منزل كنار سقاوه نزلنا في منزل وكان في غاية النزاهة من جهة الماء الجاري والأشجار والأنهار فحصل لنا نهاية الأنتعاش فقلت في خاطري: اعوذ بالله من فرح هذا اليوم لأني عوّدت روحي ان افرح اليوم القى بعده حزناً طويلاً فلمّا جاء وقت الركوب ركبنا فانتهينا الى بقعة في كنار سقاوة وكان معنا رفقاء يمشون وواحد منهم اطرش فلمّا تقدمنا جلس وسط الطريق تحت صخرة فجئت انا واخي ونحن ركوب فلمّا وصلت الخيل اليه فاجئها بالقيام فنفرت ونحن لانعلم فالقتني الدابة على صخرة عظيمة فلمّا افقت رأيت انَ يدي اليسرى قد عرض لها الصدع العظيم فأتاني الرفقاء وشدّوها وبقيت الى اصفهان كلَ يوم يمر عليّ في تلك الحال يصلح ان يكون كفّارة لذنوب مائة سنة.

فوصلنا الى اصفهان وجلست في حجرتي في مدرسة ميرزا تقي دولت آبادي وبقيت اعالج يدي فبقيت مدّة خمسة اشهر فلمّا صارت طيّبة في الجملة عرض لي الم في بدني فصرت لاشعر وقد عاينت الموت وفي وقت معاينته كنت مسروراً به من توفيقات الله سبحانه فبقيت على هذا مدّة، ولمّا شافاني الله من ذلك الألم عرض لأخي المرحوم الم الحمّى فبقي حتّى انجرّ الى الأسهال فمضى الى رحمة الله تعالى ليلة الجمعة اوّل شهر شعبان غريباً فبقي الم في قلبي الى هذا اليوم والى الموت والله ماأسلوه حتّى انطوى تحت التراب ويحتويني الجندل وقد توفي تغمده الله برحمته سنة التاسعة والسبعين بعد الألف وهذه السنة عام التاسع والثمانين بعد الألف ومامضت ليلة الا ورأيته في المنام على احسن هيئة وامّا في النهار فكتبه قدّامي اطالع بها وانظرها وكلّما رأيت كتاباً منها تجدّدت مصائبي عليه فانّا لله وانا اليه راجعون.

فبقيت بعده في اصفهان خيراناً تايهاً في بحار الهموم فتفكّرت وقلت ليس لمثل هذه المصائب دواء الا الوصول لزيارة مولاي الرضا عليه السلام فسافرت فلمّا وصلنا كاشان وخرجنا منها وتوجهنا الى منزل الرمل سرنا فيه ليلاً وظللنا عن الطريق، فأضاء الصبح وعلا النهار فبلغنا في الرمل انّ لانقدر على المشي ولكن نسبح به على بطوننا، وامّا الدواب فكانت تمشي والرمال تساوي ماهبط من السرج فأشرفنا على الهلاك ثمّ منّ الله علينا بالوصول الى الطريق حتى وصلنا الى مشهد مولانا الرضا عليه السلام.

ولمّا اقمنا ايّاماً ورجعنا كان رجوعنا على طريق اسفراين فرأينا في ذلك الطريق منازل عجيبة واحوالات غريبة فلمّا اتيت سبزوار حصل لي بعض الألم فأخذت محملاً على جمل، فلمّا وصلت اصفهان بقيت فيها مدة قليلة ثم سافرت الى شوشتر فجعلتها دار وطن واتخذت فيها مساكن وكان بيني وبين سلطان الحويزة ودادة ومحبة وكان يرسل لنا في كل سنة كتابات متعددة بالقدوم اليه فاذا قدمنا عليه عمل معنا من الأحسان مالانطيق شكره ونحن الآن في شوشتر.

وفي هذا العمر القليل قد رأينا من مصائب الزمان مالا نقدر على بيان شرحه والذي سهله علينا الأخبار الواردة بابتلاء المؤمن وانّه لو كان غريقاً في البحر وهو على لوح لسلّط الله عليه من يؤذيه حتّى يتم ثوابه، وكان شيخنا المجلسي ادام الله ايّام عزه ومجده لايقارب في العلم والعمل ومع هذا كان هدفاً لسهام المصائب واشدّ ما مرّ علينا من هذه الأهوال امور:

اوّلها فراق الأحباب والأصحاب الثاني فراق اخي وموته فانّه جرح القلوب جرحاً لايندمل الى الموت والعدم الثالث موت الأولاد واصعب الأمور اوسطها الرّابع حسد العلماء وابناء

الجنس[٢٤] فانّهم حسدوني في كلّ بلاد أتيت اليها حتّى انتهى حالهم معي في شيراز الى ان سرقوا منّي كتباً مليحة بخطّ يدي وقرائتي وحواشي ورموها في البئر حتّى تلفت ثمّ ظهر لي الذي رماها فما كلّمته كلمة واحدة ولاواجهته بشيءٍ حتّى اخلف الله تعالى عليّ تلك الكتب وغيرها ولم يملك ذلك الرجل ورقة واحدة واحوجه الى سؤال الكفّار، وانا احمد الله سبحانه على انّي لم ارلي محسوداً ولاحسدت احداً وذلك انّ الله وله الفضل لم يحوجني الى الأقران والأمثال ولم يحط مرتبتي عن مراتبهموهذا من باب اظهار فضل الله تعالى وكرمه والاّ فالعبد المذنب الجاني ليس له مرتبة ولادرجة.

الخامس معاشرة الناس والسلوك معهم وذلك انّ الطبائع مختلفة والآراء متفرقة وكلّ واحد يريد من الأنسان الذي يكون على طريقتنا موافقته في الطبيعة وهذا في غاية الصعوبة مع انّه يؤدي الى المداهنة والتقرير على المنكر وهما محرّمان اجماعاً ومثل هذا ماتيسر لأحد كما روي ان موسى ﷺ طلب من الله سبحانه ان يرضى عنه عامّة بني اسرائيل حتى لاينالوا من عرضه ولايتكلموا في غيبته فقال سبحانه: ياموسى هذه خصلة لم توجد لي فكيف توجد لك وهذا الظاهر فانّ من تامّل وراجع النظر وتصفح احوال الناس يرى شكايتهم من الله تعالى اكثر من شكواهم من السلطان الجائر سفاك الدماء ولاترى احداً الاّ وهويّتهم الله تعالى في قضائه وقدره وهذا يكون كثيراً في احوال الفقر والمرض وزوال النعم وانتقالات الأحوال.

السادس وهو الداء العضال والذي نغّص علينا العيش وكدّر الصافي منه مع انه لايوجد وهو انّه ابتلينا بالتوطن في بلاد ليس فيها مجتهد ولامفت حتّى نحيل الناس عليه واذا سألوا منّا مايحتاجون اليه في امور عباداتهم ومعاملاتهم فربّما اشكل الحال واحتاج المقام الى معاونة الآراء.

وان قلت انّ هذه المسئلة لاتخلو من اشكال لايقبل منك ويقولون كيف يشكل عليك شيءٌ وانت فلان الذي عندك من الكتب كذا وكذا وقرأت عند فلان وفلان وهو المطلع على الأسرار والضمائر انّي انزوي عن الناس في اكثر الأوقات واغلق الباب بيني وبينهم لهذا وامثاله والهمّ

---

[٢٤]) العلماء صنفان علماء الدنيا وعلماء الاخرة والمراد من الصنف الاول من كان غرضه من العلم هو الدنيا وهدفه من تحصيله الشهرة والرياسة وحب الجاه وطلب الوقع في قلوب الناس وابتغاء اقبالهم اليه.
والمراد من الصنف الثاني هو العارفون بالله تعالى وبصفاته وملائكته ورسله وكتبه واليوم الاخر والراغبون في الاخرة والمعرضون عن الدنيا والزاهدون فيهما والعاملون بمقتضى عملهم وتعبير اوجز بهم: ان وصفتهم العلم والعمل. وقد تجدهم الشهرة والرياسة والمرجعية قهراً مع فرارهم عنها فرار الغنم من الذئب ولا يحومون حول الاسباب المفضية اليها اصلا.

الذي ينالنا من هذا اصعب من ماتقدّمه من كلّ الأمور ونرجوا من الله سبحانه العصمة من الخلل والخطاء في القول والعمل.

السابع عدم الأسباب التّي نحتاج اليها في التأليف والتصنيف والعلم لاينفعه الاّ الكتب والحمد لله عندنا اكثر الكتب لكن الذي يقصد التأليف في العلوم الكثيرة يحتاج الى اسباب كثيرة ونحن في بلد لايوجد فيها مانحتاج اليه والمأمول من الله تعالى جلّ شأنه ان يوفقنا لتحصيلها انّه على مايشاء قدير وقد وفّق الله تعالى في هذه البلاد لتأليف كتاب نوادر الأخبار المشتمل على مجلدين وتمام شرح تهذيب الحديث المشتمل على ثمان مجلدات وكتاب الهدية في علم الفقه مجلّد واحد وكشف الأسرار لشرح الأستبصار المشتمل على مجلدين وهذا الكتاب الذي هو كتب الأنوار المشتمل على مجلدتين وقد وفّق الله سبحانه ايضاً لشرح الصحيفة وهو مجلّد واحد وفي النحو الّفنا شرحاً على مغنى ابن هشام وشرح تهذيب النحو مجلّد واحد وشرحاً على الكافية وبعض الرسائل.

وامّا الحواشي التّي الفناها على متون كتب الأخبار الأصول الأربعة وغيرها فهي كثيرة جداً نرجو من الله تعالى ان يجعلها عنده من الذخائر لنا اذا زلّت الأقدام وعميت الأفهام ووضعت الموازين ونشرت الدواوين هذا مجمل احوال الفقير من سنة الخمسين بعد الألف الى السنة التاسعة والثمانين بعد الألف قد وقع الفراغ من تحرير هذا الكتاب وتأليفه ليلة الثلاثاء الثاني والعشرين من شهر رمضان المبارك من عام التاسع والثمانين بعد الألف كتبه مؤلفه العبد المذنب الجاني نعمت الله بن عبد الله الحسيني الجزائري حامداً مصلياً على محمد وآله الطاهرين.

حديث حذيفة اليماني رضي الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيّد الأولين والآخرين واشرف الأنبياء والمرسلين وخير الخلائق اجمعين محمد وآله وعترته الطّيبين الطاهرين ولعنة الله على اعدائهم ومخالفيهم الى يوم الدين.

وبعد فقد قال مولانا الأجل العلاّمة الفهّامة الطهر الطاهر الزّكي محمّد باقر بن مولانا المحقّق المدقّق الصفي البهي محمد تقي المجلسي علملهما الله ويانا بلطفه الخفي والجلي وحشرهما الله وايانا مع النبي الأميّ واوصيائه الأزكياء الأصفياء المنصوبين للولاية بالنص الجلي صلوات الله عليهم اجمعين في كتابه المسمّى بالأربعين ماأخرجته من كتاب ارشاد القلوب تأليف الشيخ الزكي الحسن بن ابي الحسن الديلمي ممّا رواه مرفوعاً قال: لّما استخلف عثمان بن عفان آوى اليه عمّه

الحكم بن العاص وولده مروان والحارث بن الحكم ووجّه عما له في امصار يمن وكان فيمن وجه عمر بن سفيان بن المغيرة بن ابي العاص بن اميّة الى مشكان والحارث بن الحكم الى المدائن فأقام بها مدّة يتعسّف اهلها ويسيء معاملتهم فوفد منهم الى عثمان وفد شكوه اليه واعلموه بسوء مايعاملهم به واغلظوا عليه في القول فولي حذيفة بن اليماني عليهم وذلك في آخر ايّامه فلم ينصرف حذيفة بن اليماني عن المدائن الى ان قتل عثمان واستخلف علي بن ابي طالب صلوات الله وسلامه عليه فأقام حذيفة عليها وكتب اليه:

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله علي امير المؤمنين عليه السلام الى حذيفة بن اليماني سلام عليك، اما بعد فأني قد وليت ماكنت تليه لمن كان قبلي من صرف المدائن وقد جعلت اليك اعمال الخراج والرستاق وجباية اهل الذمة فاجمع اليك ثقاتك ومن احببت ممّن ترضى دينه وامانته واستعن بهم على اعمالك فانّ ذلك أعزّ لك ولوليّك واكبت لعدوك وانّي آمرك بتقوى الله وطاعته في السر والعلانية وأحذرك عقابه في المغيب والمشهد وأتقدم اليك بالأحسان الى المحسن والشدّة على المعاند، وآمرك بالرفق في امورك واللين والعدل على رعيتك فانك مسئول عن ذلك وانصاف المظلوم والعفو عن الناس وحسن السيرة ما استطعت والله يجزي المحسنين، وآمرك ان تجبي خراج الأرضين على الحق والنصفة ولاتتجاوز ماتقدمت به اليك ولاتدع منه شيئاً ولاتبتدع فيه أمراً ثم اقسمه بين اهله بالسوية والعدل واخفض جناحك لرعيتك وواس بينهم في مجلسك وليكن القريب والبعيد عندك في الحقّ سواء واحكم بين الناس بالحق واقم فيهم بالقسط ولاتتّبع الهوى ولاتخف في الله لومة لائم فانّ الله مع الذّين اتّقوا والذين هم محسنون وقد وجّهت اليك كتاباً لتقرأه على اهل مملكتك ليعلموا رأينا فيهم وفي جميع المسلمين فاحضرهم واقرئه عليهم وخذ البيعة لنا على الصغير والكبير منهم ان شاء الله تعالى.

قال: فلما وصل عهد امير المؤمنين الى حذيفة جمع الناس فصلى بهم ثمّ امرهم بالكتاب فقرأ عليهم وهو بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله علي امير المؤمنين عليه السلام الى من بلغه كتابي هذا من المسلمين سلام عليكم فانّي احمد الله اليكم الذي لااله الا هو واسئله ان يصلي على محمد وآله صلى الله عليه وآله.

امّا بعد فانّ الله تعالى اختار الأسلام ديناً لنفسه وملائكته ورسله احكاماً لصنعه وحسن تدبيره ونظراً لعباده وخصّ به من احب من خلقه فبعث اليهم محمداً صلى الله عليه وآله فعلّمهم الكتاب والحكمة اكراماً وتفضلاً لهذه الأمّة وادبهم لكي يهتدوا وجمعهم لئلا يجوزوا فلما قضى ماكان عليه ذلك مضى الى رحمة ربه جميلاً محموداً ثمّ ان بعض المسلمين اقاموا بعده رجاين رضوا بهديهما وسيرتهما فأقاما ماشاء الله ثمّ توفّاهما الله عزّ وجلّ ثم ولّوا بعدها الثالث فاحدث احداثاً

ووجدت الأمة عليه فعالاً فاتّفقوا عليه ثم نقموا منا فغيروا ثمّ جاؤوني كتتابع الخيل فبايعوني فانا استهدي بهداه واستعينه على التقوى الا وان لكم علينا العمل بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ والقيام عليكم بحقه واحياء سنته والنصح لكم بالمغيب والمشهد وبالله نستعين على ذلك وهو حسبنا ونعم الوكيل وقد ولّيت اموركم حذيفة بن اليمان وهو من اتضي بهداه وارجو صلاحه وقد امرته بالأحسان الى محسنكم والشّدة على مريبكم والرفق بجميعكم اسئل الله لنا ولكم حسن الخيرة والأحسان ورحمته الواسعة في الدنيا والآخرة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، قال: ثمّ انّ حذيفة صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه وصلى على النبي ﷺ ثمّ قال: الحمد لله الذي أحيى الحق وامات الباطل وجاء بالعدل وادحض بالجور وكبت الظالمين ايها الناس انّما وليكم الله ورسوله وامير المؤمنين حقّاً حقاً وخير من نعلمه بعد نبينا محمد رسول الله ﷺ واولى الناس بالناس واحقهم بالأمر واقربهم الى الصدق ارشدهم الى العدل واهداهو سبيلا وادناهم الى الله وسيلة وأمسّهم برسول الله ﷺ رحماً انيبوا الى طاعة اوّل الناس سلماً واكثرهم علماً واقصدهم طريقاً واسبقهم ايماناً وأحسنهم يقيناً واكثرهم معروفاً وأقدمهم جهاداً وأعزّهم مقاماً أخي رسول الله ﷺ وابن عمّه وابي الحسن والحسين عليهما السلام وزوج الزهراء البتول سيّدة نساء العالمين، فقوموا أيها الناس فبايعوا على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ فان الله في ذلك رضاء ولكم مقنع وصلاح والسلام.

فقام الناس وبايعوا امير المؤمنين عليه السلام احسن بيعة واجمعها فلمّا استتمت البيعة قام اليه فتى من ابناء العجم ولاة الأنصار لمحمد بن عمارة بن تيهان اخي اب الهيثم بن تيهان يقال له مسلم متقلّداً سيفاً فناداه من اقصى الناس ايّها الأمير انّا سمعناك تقول في اوّل كلامك انّما وليكم الله ورسوله ﷺ وامير المؤمنين عليه السلام حقّاً حقّاً تعريضاً بمن كان قبله من الخلفاء انهم لم يكونوا امير المؤمنين حقّاً فعرفنا ذلك ايّها الأمير رحمك الله ولاتكتمنا فانّك ممّن شهد وغبنا ونحن مقلّدون ذلك اعناقكم والله شاهد عليكم فيما تأتون به من النصيحة لأمّتكم وصدق الخبر عن نبيكم ﷺ فقال حذيفة: ايّها الرجل امّا اذا سئلت وفحصت هكذا فاسمع وافهم ما أخبرك به.

اما من تقدم من الخلفاء قبل علي بن ابي طالب عليه السلام ممّن تسمّى بأمير المؤمنين فانّهم تسمّوا بذلك وسمّاهم الناس به وامّا علي بن ابي طالب عليه السلام فان جبرئيل عليه السلام سمّاه بهذا الأسم عن الله تعالى وشهد له رسول الله ﷺ عن سلام جبرئيل عليه السلام بأمرة المؤمنين وكان اصحاب رسول الله ﷺ يدعونه في حياة رسول الله ﷺ بامرة المؤمنين قال الفتى: أخبرني كيف كان ذلك يرحمك الله قال حذيفة: انّ الناس كانوا يدخلونعلى رسول الله ﷺ قبل الحجاب اذا شاؤا فنهاهم رسول الله ﷺ ان يدخل احد عليه وعنده دحية بن خليفة الكلبي فكان رسول الله ﷺ يراسل قيصراً ملك

الروم وبني حنيفة وملوك بني غسان على يده وكان جبرئيل عليه السلام يهبط عليه في صورته ولذلك نهى رسول الله صلى الله عليه وآله ان يدخل المسلمون عليه اذا كان عنده دحية، قال حذيفة: واني اقبلت يوماً لبعض اموري الى رسول الله صلى الله عليه وآله مهجر ارجاء ان القاه خالياً فلما صرت بالباب نظرت فاذا انا بشملة قد سدلت على الباب فرفعتها وهممت بالدخول وكذلك كنّا نصنع فاذا انا بدحية قاعد والنبي صلى الله عليه وآله نائم ورأسه في حجر دحية، فلما رأيته انصرفت فلقيني على بن ابي طالب عليه السلام في بعض الطريق فقال: ياابن اليمان من اين اقبلت؟ قلت: من عند رسول الله صلى الله عليه وآله قال: وماذا صنعت عنده قلت: اردت الدخول عليه في كذا وكذا وذكرت الأمر الذي جئت له فلم يتهيأ لي ذلك قال: ولم قلت كان عنده دحية الكلبي وسئلت علياً عليه السلام معونتي على رسول الله صلى الله عليه وآله في ذلك قال: فارجع معي فرجعت معه فلمَا صرنا الى باب الدار جلست بالباب ورفع علي عليه السلام الشملة ودخل فسلَم فسمعت دحية يقول وعليك السلام ياامير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ثمّ قال: اجلس فخذ رأس اخيك وابن عمك من حجري فأنت اولى به فجلس علي عليه السلام واخذ رأس رسول الله صلى الله عليه وآله فجعله في حجره وخرج دحية من البيت فقال علي عليه السلام: ادخل ياحذيفة فدخلت وجلست فما كان بأسرع ان انتبه رسول الله صلى الله عليه وآله فضحك في وجه علي عليه السلام ثم قال: ياابا الحسن من حجر من اخذت رأسي قال: من حجر دحية الكلبي فقال: ذلك جبرئيل عليه السلام فما قلت حين دخلت وماقال لك؟ قال: دخلت فسلمت فقال لي: وعليك السلام ياامير المؤمنين ورحمة الله وبركاته فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ياعلي سلمت عليك ملائكة الله وسكان سماواته بامرة المؤمنين من قبل ان يسلَم عليك اهل الأرض ياعلي ان جبرئيل فعل ذلك عن امر الله عز وجل وقد اوحي اليَ عن ربي تبارك وتعالى من قبل دخولك ان افرض ذلك على الناس وانا فاعل ذلك ان شاء الله تعالى فلما كان من الغد بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله الى ناحية فدك في حاجة فلبثت اياماً ثمّ قدمت فوجدت الناس يتحدثون ان رسول الله صلى الله عليه وآله امر الناس ان يسلموا على علي عليه السلام بأمرة المؤمنين انَ جبرئيل عليه السلام اتاه بذلك عن الله عز وجل فقلت: صدق رسول الله صلى الله عليه وآله وانا قد سمعت جبرئيل سلَم على علي عليه السلام بامرة المؤمنين وحدّثهم الحديث فسمعني عمر بن الخطاب وانا احدث الناس في المسجد فقال لي: انت رأيت جبرئيل وسمعته فأرغم الله انف من رغم فقال: ياابا عبد الله لقد رأيت وسمعت عجباً.

قال حذيفة فسمعني بريدة بن الخضيب الأسلمي وانا احدث ببعض مارأيت وسمعت فقال لي: والله ياابن اليمان لقد امرهم رسول الله صلى الله عليه وآله بالسلام على علي عليه السلام بامرة المؤمنين فاستجابت له طائفة يسيرة من الناس وردّ علي ذلك واباه كثير من الناس فقلتكيابريدة أكنت شاهداً ذلك اليوم؟ فقال: نعم من اوله الى آخره فقلت له: حدّثني به رحمك الله فانّي كنت عن ذلك اليوم

غائباً فقال بريدة: كنت انا وعمار اخي عند رسول الله ﷺ في نخل بني نجّار فدخل علينا علي بن ابي طالب فسلم ورد عليه رسول الله ﷺ ووردنا ثمّ قال: ياعلي اجلس هناك فجلس فدخل رجل فامرهم رسول الله ﷺ بالسلام على علي بامرة المؤمنين فسلّموا وماكادوا ثم دخل ابوبكر وعمر فسلّما فقال لهما رسول الله ﷺ سلّما على علي عليه السلام بامرة المؤمنين فقالا: عن الله ورسوله فقال: نعم فقالوا: سمعنا واطعنا ثم دخل سلمان الفارسي وابو ذر الغفاري رضي الله عنهما فسلما فرد عليهما السلام ثم قال سلّما على علي عليه السلام بامرة المؤمنين فسلّما ولم يقولا شيئاً ثم دخل خزيمة بن ثابت وابو الهيثم بن التيهان فسلّما فرد عليهما السلام ثمّ قال: سلّما على علي عليه السلام بامرة المؤمنين فسلّما ولم يقولا شيئاً ثم دخل عمّار والمقداد فسلّما فرد عليهما السلام وقال: سلّما على علي عليه السلام بامرة المؤمنين ففعلا ولم يقولا شيئاً ثم دخل عثمان وابو عبيدة فسلّما فرد عليهما السلام وقال: سلّما على علي عليه السلام بامرة المؤمنين قالا: من الله ورسوله قال: نعم ثم دخل فلان وفلان وعد جماعة من المهاجرين والأنصار كل ذلك يقول رسول الله ﷺ سلّموا على علي عليه السلام بامرة المؤمنين فبعض سلم ولايقول شيئاً وبعض يقول للنبي ﷺ اعن الله ورسول الله فيقول: نعم حتّى غصّ المجلس باهله وامتلأت الحجرة وجلس بعض على الباب وفي الطريق وكانوا يدخلون فيسلمون ويخرجون ثمّ قال لي ولأخي: قم يابريدة انت واخوك فسلما على علي عليه السلام بامرة المؤمنين فقمنا وسلمنا ثمّ عدنا الى مواضعنا فجلسنا قالوا: ثمّ اقبل رسول الله ﷺ عليهم جميعاً فقال: اسمعوا وعوا اني امرتكم ان تسلموا على علي عليه السلام بامرة المؤمنين وانَ رجالاً سألوني أذلك عن امر الله وامر رسوله؟ ماكان لمحمّد ان يأتي امراً من تلقاء نفسه بل يوحي ربه وامره افرأيتم والذي نفسي بيده لأن ابيتم ونقضتموه ولتفارقون مابعثني به ربي فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر.

قال بريدة: فلمّا خرجنا سمعت بعض اولئك الذين امروا بالسلام على علي عليه السلام بامرة المؤمنين يقول لصاحبه: وقد التفت بهما طائفة من الجفاة البغاة(البطاة) من الأسلام من قريش اما رأيت ماصنع محمّد بإبن عمه من علو المنزلة والمكانة ولو يستطيع والله لجعله نبياً من بعده فقال له صاحبه: امسك ولايكبرنّ عليك هذا فانّا لو فقدنا محمّداً لكان فعله هذا تحت اقدامنا.

قال حذيفة: ثم خرج ومضى الى بعض طريق الشام ورجع وقد قبض رسول الله ﷺ وبايع الناس ابا بكر فاقبل بريدة فدخل المسجد وابو بكر على المنبر وعمر دونه بمرقاة فناديهما من ناحية المسجد: ياابابكر وياعمر فقالا: مالك يابريدة جننت؟ فقال لهما: والله ماجننت ولكن اين سلامكما بالأمس على علي عليه السلام بامرة المؤمنين؟ فقال له ابو بكر: يابريدة الأمر يحدث بعده الأمر وانَك غبت وشهدنا والشاهد يرى مالا يرى الغائب فقال لهما: رأيتما مالم يره الله ولارسوله وفى لك صاحبك بقوله لو فقدنا محمد لكان هذا قوله تحت اقدامنا الا ان المدينة حرام عليّ ان اسكنها

ابداً حتى اموت ـ فخرج بريدة بأهله وولده فنزل بين قومه بني اسلم فكان يطلع في الوقت دون الوقت فلمّا قضي الأمر الى امير المؤمنين عليه السلام سار اليه وكان معه حتّى قد العراق فلمّا صيب امير المؤمنين عليه السلام صار الى خراسان فنزلها ولبث الى ان مات.

قال حذيفة: فهذا انباء ماسألتني عنه فقال الفتى: لاجزى الله الذين شهدوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسمعوه يقول هذا القول في علي خيراً فقد خانوا الله ورسوله وازالوا الأمر عمّن رضيه الله ورسوله واقرّوه فيمن لم يره الله ولا رسوله لذلك اهلا لاجرم والله لن يفلحوا بعدها ابداً فنزل حذيفة عن منبره فقال: يااخا الأنصار انّ الأمر كان اعظم ممّا تظن انّه عزب والله الصبر وذهب اليقين وكثر المخالف وقلّ الناصر لأهل الحقّ فقال له الفتى: فهلا انتضيتم اسيافكم ووضعتموها على رقابكم وضربتم بها الزائلين عن الحق قدما قدما حتّى تموتوا وتدركوا الأمر الذي تحبونه من طاعة الله عز وجل وطاعة رسوله؟ فقال له: ايّها الفتى انّه اخذوا الله باسماعنا وابصارنا وكرهنا الموت وزينت عندنا الحياة(الدنيا) وسبق علم الله بامرة الظالمين ونحن نسأل الله التغمد لذنوبنا والعصمة فيما بقي من آجالنا فانّه مالك رحيم.

ثمّ انصرف حذيفة الى منزله وتفرّق الناس قال عبد الله بن سلمة فبينما انا ذات يوم عند حذيفة اعوده في مرضه الذي مات فيه وقد كان يوم قدمت فيه الى الكوفة وذلك من قبل قدوم علي عليه السلام الى العراق فبينما انا عنده اذ جاء الفتى الأنصاري فدخل على حذيفة فرحّب به وادناه وقرب مجلسه وخرج من كان عند حذيفة من عوّاده واقبل عليه الفتى وقال: ياابا عبد الله سمعتك يوماً تحدثت عن بريدة بن الخضيب الأسلمي انّه سمع بعض القوم الذين امرهم رسول الله صلى الله عليه وآله ان يسلموا على علي عليه السلام بامرة المؤمنين يقول لصاحبه يوماً اما رأيت اليوم ماصنع محمد بابن عمه من التشريف وعلو المنزلة حتّى لو قدر ان يجعله نبياً لفعل فاجابه صاحبه لايكبرن عليك فلو فقدنا محمداً لكان قوله تحت اقدامنا وقد ظننت بنداء بريدة لهما وهما على المنبر انّهما صاحبا القول: قال حذيفة اجل القائل عمر والمجيب ابوبكر فقال الفتى: انا لله وانا اليه راجعون هلك والله القوم وبطلت اعمالهم قال حذيفة: ولم يزل القوم على ذلك الأرتداد ومايعلم الله منهم اكثر.

فقال الفتى: قد كنت احب ان اتعرف هذا الأمر من فعلهم ولكنّي اجدك مريضاً وانا اكره ان املك بحديثي ومسألتي وقام لينصرف فقال حذيفة: لا بل اجلس ياابن اخي وتلق منّي حديثهم وان كربني ذلك فلا احسبني الا مفارقكم انّي لاحب يغتر بمنزلتهما في الناس فهذا ما اقدر عليه من النصيحة لك ولأمير المؤمنين عليه السلام من الطاعة له ولرسوله صلى الله عليه وآله وذكر منزلته فقال: ياابا عبد الله حدّثني بماعندك من امورهم لأكون على بصيرة من ذلك فقال حذيف: اذن والله لأخبرنك بخبر

سمعته ورأيته ولقد والله دلّنا على ذلك من فعلهم على انهم والله ماآمنوا بالله ولارسوله طرفة عين.

واخبرك ان الله تعالى اخبر رسوله ﷺ في سنة عشر من مهاجرته من مكّة الى المدينة ان يحج هو ويحج الناس معه فأوحى اليه بذلك واذّن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ظامر يأتين من كل فج عميق، فامر رسول الله ﷺ المؤذنين فاذنوا في اهل السافلة والعالية الا ان رسول الله ﷺ قد عزم على الحج في عامه هذا ليفهم الناس حجّهم ويعلمهم مناسكهم فيكون سنّة لهم الى آخر الدهر، قال: فلم يبق احد ممّن دخل الأسلام الاّ حجّ مع رسول الله ﷺ سنة عشر ليشهد منافع لهم ويعلّمهم حجّهم ويعرفهم مناسكهم، وخرج رسول الله ﷺ بالناس وخرج نساؤه معه وهي حجة الوداع فلمّا استتم حجّهم وقضوا مناسكهم وعرّف الناس جميع مااحتاجوا اليه وأعلمهم انّه قد اقام لهم ملة ابراهيم عليه السلام وقد أزال عنهم جميع مااحدثه المشركون بعده وردّ الحجَ الى حالته الأولى ودخل مكة فاقام بها يوماً واحداً عليه فهبط جبرئيل عليه السلام بأول سورة العنكبوت فقال: يامحمد اقرء بسم الله الرحمن الرحيم{ الم{١} أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ{٢} وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ{٣} أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَاء مَا يَحْكُمُونَ}.

فقال رسول الله ﷺ ياجبرئيل وماهذه الفتنة؟ فقال: يامحمد ان الله تعالى يقرؤك السلام ويقول لك انّي ما ارسلت نبياً قبلك الاّ امرته عند انقضاء اجله ان يستخلف على امّته من بعده من يقوم مقامه ويحيي لهم سنته واحكامه، فالمطيعون لله فيما يأمرهم به رسوله هم الصادقون، والمخالفون على امره هم الكاذبون، وقد دنى يامحمد مصيرك الى ربك وجنته وهو يأمرك ان تنصب لأمتك من بعدك علي بن ابي طالب عليه السلام وتههد اليه فهو الخليفة القائم برعايتك وامّتك ان اطاعوه وان عصوه وسيفعلون ذلك وهي الفتنة التي تلوث عليه الآي فيها، وان الله عز وجل يأمرك ان تعلّمه جميع ماعلمك وتستحفظه جميع ماحفظك واستودعك فانّه الأمين المؤتمن، يامحمّد انّي اخترتك من عبادي نبياً واخترته لك وصياً.

قال فدعى فقال رسول الله ﷺ عليّاً يوماً فخلي به يومه ذلك وليلته واستودعه العلم والحكمة التي آتاه الله ايّاها وعرفه جبرئيل عليه السلام وكان ذلك في يوم عائشة بنت ابي بكر، فقالت يا فقال رسول الله لقد طال استخلائك بعلي منذ اليوم؟ قال: فأعرض عنها فقال رسول الله ﷺ فقالت: لم تعرض عني يارسول الله بأمر لعله يكون لي صلاحاً؟فقال: صدقت ايم الله لأنه لأمر صلاح لمن اسعده الله بقبوله والأيمان به وقد امرت بدعاء الناس جميعاً اليه وستعلمين ذلك اذا انا قمت به في الناس قالت: فقال يارسول الله ﷺ ولم لاتخبرني به الآن لأتقدم بالعمل به سوالأخذ

بما فيه صلاح قال: سأخبرك به فاحفظيه الى ان اؤمر بالقيام به في الناس جميعاً فانك ان حفظتيه حفظك الله تعالى في العاجلة والآجلة جميعاً وكانت لك الفضيلة بالسبقة والمسارعة الى الأيمان بالله ورسوله وان اضعتيه وتركت رعاية ماالقي اليك منه كفرت بربك وحبط اجرك وبرأت منك ذمة الله وذمة رسوله وكنت من الخاسرين ولم يضر الله ذلك ولارسوله، فضمنت له حفظه والأيمان به ورعايته فقال: انّ الله تعالى اوحى اليّ انّ عمري قد انقض وامرني ان انصب عليّاً للناس علماً واجعله فيهم اماماً واستخلفه كما استخلف الأنبياء من قبلي اوصيائها وانا صار الى امر ربي وآخذ فيه بأمره فليكن هذا الأمر منك تحت سويداء قلبك الى ان يأذن الله بالقيام به، فضمنت له ذلك وقد اطّلع الله نبيه على مايكون منها فيه وصاحبتها حفصة وابويهما.

فلم تلبث ان اخبرت حفصة واخبرت كلّ واحدة منهما اباها فاجتمعا فأرسلا الى جماعة الطلقاء والمنافقين فخبّراهم فاقبل بعضهم على بعض وقالوا انّ محمداً ﷺ يريد ان يجعل هذا الأمر في اهل بيته كسنّة كسرى وقيصر الى آخر الدهر لاوالله مالكم في الحياة من حظّ ان افضى هذا الأمر الى علي بن ابي طالب عليه السلام وانّ محمّداً عاملكم على ظاهركم وانّ عليّاً يعاملكم على مايجد في نفسه منكم فاحسنوا النظر لأنفسكم في ذلك وقدموا رأيكم فيه، ودار الكلام فيما بينهم وأعادوا الخطاب وأجالوا الرأي فاتّفقوا على ان ينفردوا بالنبي ﷺ ناقته على عقبة هرشي وقد كانوا صنعوا مثل ذلك في غزوة تبوك فصرف الله الشر عن نبيه ﷺ واجتمعوا في امر فقال رسول الله ﷺ من القتل والأغتيال واستقاء السم على غير وجه وقد كان اجتمع اعداء فقال رسول الله ﷺ من الطلقاء من قريش والمنافقين من الأنصار ومن كان في قلبه الأرتداد من العرب في المدينة وماحولها فتعاقدوا وتحالفوا ان ينفردوا به ناقته وكانوا اربعة عشر رجلاً، وكان من عزم رسول الله ﷺ ان يقيم عليّاً وينصبه للناس بالمدينة اذا قدم، فصار رسول الله ﷺ يومين وليلتين فلمّا كان في اليوم الثالث أتاه جبرئيل عليه السلام بآخر سورة الحجر فقال: اقرء{ولنسئلنهم اجمعين عما كانوا يعملون فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين انا كفيناك المستهزئين}.

قال: ورحل رسول الله ﷺ واغذّ[٢٥] المسير مسرعاً على دخول المدينة لينصب عليّاً علماً للناس، فلمّا كانت الليلة الرابعة هبط جبرئيل عليه السلام في آخر الليل فقرأ عليه{ياايها الرسول بلّغ ماانزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ان الله لايهدي القوم الكافرين}، وهم الذين هموا برسول الله ﷺ فقال: رسول الله ﷺ كاما تراني ياجبرئيل اغذّ السير مجدّاً فيه لأدخل المدينة فأعرض ولايته على الشاهد والغائب، فقال له جبرئيل عليه السلام: ان

(٢٥) اغد المسير وفيه اسرع .

الله يأمرك ان تفرض ولايته غداً اذا نزلت منزلك، فقال رسول الله ﷺ: نعم ياجبرئيل غداً افعل ذلك ان شاء الله تعالى وامر رسول الله ﷺ بالرحيل من وقته وسار الناس معه حتّى نزل بغدير خم، وصلّى بالناس وامرهم ان يجتمعوا اليه ودعى عليّاً عليه السلام ورفع رسول الله ﷺ يد علي اليسرى بيده اليمنى ورفع صوته بالولا لعلي عليه السلام على الناس اجمعين وفرض طاعته عليهم وامرهم ان لايختلفوا عليه بعده وخبّرهم انّ ذلك عن امر الله عزّ وجلّ وقال لهم: ألست اولى بالمؤمنين من انفسهم؟ قالوا: بلى يارسول الله قال: من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وىل من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله، ثم امر الناس ان يبايعوه فبايعه الناس جميعاً ولم يتكلم منهم واحد وقد كان ابوبكر وعمر تقدما الى الجحفة فبعث وردهما، قال لهم النبي ﷺ متجهاً لهما يابن ابي قحافة وياعمر بايعا عليّاً بالولاية من بعدي فقالا: امر من الله ومن رسوله الله ﷺ، فقال: وهل يكون مثل هذا من غير امر الله نعم امر من الله ومن رسوله الله ﷺ فبايعا ثم انصرفا.

وسار رسول الله ﷺ باقي يومه وليلته حتى اذا ادنوا من عقبة هرشي تقدمه القوم فتواروا في ثنية العقبة معهم دبابا وطرحوا فيها الحصى فقال حذيفة: فدعاني رسول الله ﷺ ودعا عمار بن ياسر وامره ان يسوقها وانا اقودها حتّى اذا صرنا من رأس العقبة سر القوم من ورائنا ودحرجوا الدباب بين قوائم الناقة فذعرت وكادت تنفر برسول الله ﷺ

فصاح بها النبي ﷺ ان اسكتي فليس عليك بأس فانطقها الله بقول عربي مبين فصيح فقالتكوالله يارسول الله لاأزلت يداً عن مستقرّ يد ولارجلاً عن موضع رجل وانت على ظهري، فتقدم القوم الى الناقة ليدفعوها فاقبلت انا وعمار نضرب وجوههم باسيافنا وكانت ليلة مظلمة فزالوا عنا وأيسوا ممّا ظنوا وقد رواه، فقلت يارسول الله: من هم هؤلاء القوم الذين يريدون ماترى؟فقال: ياحذيفة هؤلاء المنافقون في الدنيا وىلآخرة، فقلت: الا نبعث اليهم يارسول الله رهطاً فيأتوا برؤوسهم فقال: انّ الله أمرني ان اعرض عنهم واكره ان يقول الناس انّه دعا ناساً من قومه واصحابه الى دينه فاستجابوا له فقاتل بهم حتّى اذا ظهر على عدوه أقبل اليهم فقتلهم، ولكن دعهم ياحذيفة فانّ الله لهم بالمرصاد وسيملهم قليلاً ثم يضطرهم الى عذاب غليظ، فقلت: من هؤلاء القوم المنافقون يارسول الله؟أمن المهاجرين ام من الأنصار؟ فسمّاهم لي رجلاً رجلاً حتى فرغ منهم وقد كان فيهم اناس كنت كارهاً ان يكونوا فيهم فامسكت عند ذلك فقال رسول الله ﷺ: ياحذيفم كأنك شاك في بعض من سميت لك؟ ارفع رأسك اليهم، فرفعت طرفي الى القوم وهم وقوف على الثنية فبرقت برق وأضائت جميع ماحولها وثبتت البرقة حتّى خلتها شمساً

طالعة، فنظرت والله الى القوم فعرفتهم رجلاً رجلاً فاذا هم كما قال رسول الله ﷺ عدد القوم اربعة عشر رجلاً تسعة من قريش وخمسة من سائر الناس.

فقال له الفتى: سمّهم لنا يرحمك الله قال حذيفة: هم والله ابوبكر وعمر وعثمان وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص وابوعبيدة بن الجراح ومعاوية بن ابي سفيان وعمرو بن العاص هؤلاء من قريش، واما الخمسة الأخر فابو موسى الأشعري والمغيرة بن شعبة الثقفي واوس بن الحدثان البصري وابو هريرة وابو طلحة الأنصاري، قال حذيفة: ثمّ انحدرنا من العقبة وقد طلع الفجر فنزل رسول الله ﷺ فتوضأ وانتظر اصحابه من العقبة واجتمعوا فرأيت القوم بأجمعهم وقد دخلوا مع الناس وصلّوا خلف رسول الله ﷺ، فلمّا انصرف من صلاته التفت فنظر الى ابي بكر وعمر وابي عبيدة يتناجون فأمر منادياً فنادى في الناس لاتجتمع ثلاثة نفرات من الناس يتناجون فيما بينهم بسرّ وارتحل رسول الله ﷺ بالناس من منزل العقبة فلمّا نزل المنزل الآخر رأى سالم مولى اباحذيفة واابابكر وعمر واباعبيدة يسار بعضهم بعضاً فوقف عليهم وقال: اليس قد أمر رسول الله ﷺ ان لاتجتمع ثلاثة نفرات من الناس على سرّ واحد، والله لتخبروني فيما انتم والاّ أتيت رسول الله ﷺ حتّى اخبره بذلك منكم، فقال ابوبكر: ياسالم اعليك عهد الله وميثاقه لئن نحن خبّرناك بالذي نحن فيه ربما اجتمعنا له ان احببت ان تدخل معنا فيه دخلت وكنت رجلاً منّا وان كرهت ذلك كتمته علينا؟ فقال سالم: لكم ذلك واعطاهم بذلك عهده وميثاقه، وكان سالم شديد البغض والعداوة لعلي بن ابي طالب عليه السلام وعرفوا ذلك منه، فقالوا له: انّا قد اجتمعنا على ان نتحالف ونتعاقد على ان لانطيع محمداً ﷺ فيما فرض علينا من ولاية علي بن ابي طالب بعده، فقال لهم سالم: عليكم عهد الله وميثاقه انّ في هذا الأمر كنتم تخوضون وتتناجون، قالوا: أجل علينا عهد الله وميثاقه انّ في هذا الأمر كنتم تخوضون وتتناجون، قالوا: اجل علينا عهد الله وميثاقه انا انّما كنّا في هذا الأمر بعينه لافي شيءٍ سواه، قال سالم: وانا والله اوّل من يعاقدكم على هذا الأمر ولايخالفكم عليه والله ماطلعت الشمس على اهل بيت ابغض اليّ من بني هاشم ولامن بن هاشم ابغض اليّ ولاأمقت من علي بن ابي طالب عليه السلام فاصنعوا في هذا الأمر مابدا لكم فانّي واحد منكم، فتعاقدوا من وقتهم على هذا الأمر ثم تفرقوا، فلما اراد رسول الله ﷺ المسير اتوه فقال لهم: فيما كنتم تتناجون في يومكم هذا وقد نهيتكم عن النجوى؟ فقالوا: يارسول الله مالتقينا غير وقتنا هذا فنظر اليهم النبي ﷺ مليّاً ثم قال لهم: انتم اعلم ام الله؟ ومن اظلم ممّن كتم شهادة عنده من الله ومالله بغافل عما تعملون.

ثم سار حتى دخل المدينة واجتمع القوم جميعاً وكتبوا صحيفة فيهم على ماذكر ماتعاهدوا عليه في هذا الأمر وكان اوّل مافي الصحيفة النكث لولاية علي بن ابي طالب عليه السلام وانّ الأمر لأبي

بكر وعمر وابي عبيدة وسالم معهم ليس بخارج عنهم وشهد بذلك اربعة وثلاثون رجلاً هؤلاء اصحاب العقبة وعشرون رجلاً آخر واستودعوا الصحيفة اباعبيدة الجراح وجعلوه امينهم عليها.

قال فقال له الفتى: ياباعبد الله يرحمك الله هبنا نقول انّ هؤلاء القوم رضوا بابي بكر وعمر وابي عبيدة لأنهم عن مشيخة قريش فما بالهم رضوا بسالم وليس هو من قريش ولامن المهاجرين ولامن الأنصار انّما هو لأمرأة من الأنصار؟ قال حذيفة: يافتى ان القوم اجمع تعاقدوا على ازالة هذا الأمر عن علي بن ابي طالب عليه السلام حسداً منهم له وكراهة لأمرته، واجتمع لهم مع ذلك ماكان في قلوب قريش عليه من سفك الدماء وكان خاصّة رسول الله صلى الله عليه وآله وكانوا يطلبون الثار الذي اوقعه رسول الله صلى الله عليه وآله بهم من عند علي عليه السلام من بني هاشم فانما كان العقد على ازالة الأمر عن علي عليه السلام من هؤلاء الأربعة عشر وكانوا يريدون سالماً رجل منهم.

فقال الفتى: فخبّرني يرحمك الله عمّا كتب جميعهم في الصحيفة لأعرفه، فقال: حدثني بذلك اسماء بنت عميس الخثعميّة امرأة ابي بكر انّ القوم اجتمعوا في منزل ابي بكر فتوامروا في ذلك واسماء سمعهم وتسمع جميع مايدبّرونه في ذلك حتّى اجتمع رايهم على ذلك فأمروا سعد بن العاص الأموي فكتب لهم الصحيفة باتّفاق منهم وكانت نسخة الصحيفة بسم الله الرحمن الرحيم هذا مااتفق عليه الملأ من اصحاب محمد رسول الله صلى الله عليه وآله من المهاجرين والأنصار الذين مدحهم الله في كتابه على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وآله، اتفقوا جميعاً بعد ان اجهدوا في رأيهم وتشاوروا في امورهم وكتبوا هذه الصحيفة نظراً منهم الى الأسلام وأهله على غابر الأيام وباقي الدهور ليقتدي بهم من يأتي بعدهم من المسلمين.

اما بعد فان الله بمنه وكرمه بعث محمداً رسولاً الى الناس كافة بدينه الذي ارتضاه لعباده فادى من ذلك وبلغ مامره الله به واوجب علينا القيام بجميعه حتّى اذا اكمل الدين وفرض الفرائض، واحكم السنن فاختار الله له ماعنده فقبضه اليه مكرما حبوراً من غير ان يستخلف احداً من بعده، وجعل الأختيار الى المسلمين يختارون لأنفسهم من وثقوا برأيه ونصحه، وانّ للمسلمين في رسول الله اسوة حسنة قال الله عز وجل {قد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر} وان رسول الله لم يستخلف احداً لئلا يجري ذلك في اهل بيت واحد فيكون ارثاً دون سائر المسلمين ولئلا يكون دولة بين الأغنياء منكم، ولأن لايقول المستخلف انّ هذا الأمر باق في عقبه من والد الى ولد يوم القيامة، والذي يجب على المسلمين عند مضيّ خليفة من الخلفاء ان يجتمع ذووا الرأي والصلاح منهم ليشاوروا في امورهم فمن رأوه مستحقاً لها ولوه امورهم وجعلوه القيم عليهم، فانه لايخفى على اهل كلّ زمان من يصلح منهم للخلافة، فان ادّعى مدّع من الناس جميعاً انّ رسول الله صلى الله عليه وآله استخلف رجلاً بعينه نصّبه للناس ونصّ عليه

باسمه ونصبه فقد أبطل في قوله وأتى بخلاف مايعرفه اصحاب رسول الله ﷺ وخالف جماعة من المسلمين، وان ادّعى مدّع انّ خلافة رسول الله ﷺ ارث وانّ رسول الله ﷺ يورث فقد حال في قوله لأنّ رسول الله ﷺ قال: نحن معاشر الأنبياء لانورث ماتركناه صدقة.

وان ادعى مدع ان الخلافة لاتصلح الا لرجل واحد من بين الناس جميعاً وانها مقصودة فيه ولاينبغي لغيره لأنّها تتلو النبوة فقد كذب لأن النبي ﷺ قال: اصحابي كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم، وان ادّعى مدّع انّه مستحق للخلافة والأمامة لقرابة من رسول الله ﷺ ثمّ هي مقصودة عليه وعلى عقبه يرثها الولد منهم عن والده ثمّ هي كذلك في كل عصر وزمان لاتصلح لغيرهم ولاينبغي ان يكون لأحد سواهم الى ان يرث الله الأرض ومن عليها فليس له ولا لولده وان دنى من النبي ﷺ نسبه لأنّ الله يقول وقوله القاضي على كل احد{ان اكرمكم عند الله اتقاكم}، وقال رسول الله ﷺ انّ ذمة المسلمين واحدة يسعى بها ادناهم وكلّهم يد على من سواهم فمن آمن بكتاب الله واقرّ بسنة رسول الله ﷺ فقد استقام واناب وأخذ بالصواب، ومن كره ذلك من فعالهم فقد خالف الحق والكتاب وفارق جماعة المسلمين فاقتلوه فانّ في قتله صلاحاً للأمة وقد قال رسول الله ﷺ: من جاء الى امتي وهم جميع ففرّق بينهم فاقتلوه واقتلوا الفرد كائناً من كان من الناس فانّ الأجتماع رحمة والفرقة عذاب، ولاتجتمع امّتي على الضلال ابداً، وانّ المسلمين يد واحدة على من سواهم وانّه لايخرج من جماعة المسلمين الاّ مفارق معاند لهم ومظاهر عليهم اعدائهم فقد اباح الله ورسوله دمه واحلّ قتله.

وكتب سعد بن العاص باتفاق من أثبت اسمه وشهادته آخر هذه الصحيفة في المحرم الحرام سنة عشرة من الهجرة والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم، ثم دفعت الصحيفة الىابي عبيدة بن الجراح فوجّه بها الى مكة فلم تزل الصحيفة في الكعبة مدفونة الى ان ولي عمر بن الخطاب فاستخرجها من موضعها وهي الصحيفة التي يتمنى امير المؤمنين ؑ لمّا توفي عمر فوقف به وهو مسجى بثوبه فقال: مااحب الي ان القى الله بصحيفة هذا المسجى.

ثم انصرفوا وصلّى رسول الله ﷺ بالناس صلاة الفجر ثمّ جلس في مجلسه يذكر الله عز وجل حتّى طلعت الشمس فالتفت الى ابي عبيدة بن الجراح فقال: بخ بخ من مثلك لقد اصبحت امين هذه الأمة، ثم تلى{فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما يكسبون}، لقد اشبه هؤلاء رجال في هذا الأمة يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ يبيتون مالا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا ثم قال: لقد اصبح في هذا الأمة في يومي هذا قوم ضاهوهم في صحيفتهم الّتي كتبوا علينا في الجاهلية وعلقوها في الكعبة وان الله تعالى يعذبهم عذاباً ليبتليهم ويبتلي من يأتي بعدهم تفرقة بين الخبيث

والطيِّب ولولا انّه سبحانه امرني بالأعراض عنهم للأمر الذي هو بالغه لقدمتهم فضربت اعناقهم.

قال حذيفة: فو الله لقد رأينا هؤلاء النفر عند قول رسول الله ﷺ هذه المقالة وقد أخذتهم الرعدة فما يملك احد منهم نفسه شيئاً ولم يخف على احد ممّن حضر مجلس رسول الله ﷺ ايّاهم عني بقوله، ولهم ضرب تلك الأمثال بما تلي من القرآن.

قال: ولمّا قدم رسول الله ﷺ من سفره ذلك نزل منزل امّ سلمة زوجته فأقام شهراً لاينزل منزل سواه من منازل ازواجه كما كان يفعل قبل ذلك قال: فكشفت عائشة وحفصة ذلك الى ابويهما فقالا لهماكانا لنعلم لم صنع ذلك ولأي شيءٍ هو؟ امضينا اليه فلا طفاه في الكلام وخادعاه عن نفسه فانّكما تجدانه حيّاً كريماً فلعلكما تسئلان مافي قلبه وتستخرجان سخيمته، قال: فمضت عائشة وحدها اليه وأصابته في منزل ام سلمة وعنده علي بن ابي طالب عليه السلام فقال لها النبي ﷺ ماجاء بك ياحميرا قالت: يارسول الله انكرت تخلّفك عن منزلك هذه المدّة وانا اعوذ بالله من سخطك يارسول الله فقال: لو كان الأمر كما تقولين لما اظهرت بسرّ وصيتك بكتمانه لقد هلكت واهلكت امة من الناس.

قال: ثم امر خادمة لأم سلمة فقال: اجمعي لي هؤلاء يعني نساءه فجمعتهن له في منزل ام سلمة فقال لهن: اسمعن ماقول لكن واشار بيده الى علي بن ابي طالب عليه السلام فقال لهن: هذا اخي ووصيي ووارثي والقائم فيكن وفي الأمة من بعدي فاطعنه فيما يأمركن به ولاتعصينه فتهلكن بمعصيته، ثم قال: ياعلي اوصيك بهن فامسكهن ما اطعن الله واطعنك وانفق عليهن من مالك ومرهن بامرك وانههن عمّا يريبك وخلّ سبيلهن ان عصينك، فقال علي عليه السلام: يارسول الله انهنّ نساء ومنهن الوهن وضعف الراي؟ فقال: ارفق بهن ماكان الرفق امثل بهن فمن عصاك منهن فطلّقها طلاقاً يبرأ الله ورسوله منها قال: وكل نساء النبي ﷺ قد صمتن فما يقلن شيئاً، فتكلمت عائشة فقالت: يارسول الله ماكنّا لتأمرنا بشيءٍ فنخالفه الى ماسواه، فقال لهاكبلى ياحميرا لقد خالفت امري أشدّ خلاف وايم الله لتخالفين قولي هذا ولتعصينه بعدي ولتخرجين من البيت الذي اخلفك فيه متبرجة قد حفّ بك فئام[٢٦] من الناس فتخالفينه ظالمة له عاصية لربك ولتنبحنّك في طريقك كلاب الحوئب الا ان ذلك كائن ثم قال: قمن فانصرفن الى منازلكن قال: فقمن فانصرفن.

---

(٢٦) في مجمع البحرين الفئام بالكسر والهمز الجماعة الكثيرة من الناس لاواحد له من لفظه، وقال الجوهري وغيره: والعامة تقول الفيام بلا همزة.

قال: ثمّ ان رسول الله ﷺ جمع اولئك النفر ومن والاهم على علي عليه السلام وطابقهم على عداوته ومن كان من الطلقاء والمنافقين وكانوا زهاء من اربعة الآف رجل فجعلهم تحت يدي اسامة بن زيد مولاه وامرّه عليهم وأمره بالخروج الى ناحية من الشام فقالوا: يارسول الله انّا قدمنا من سفرنا الذي كنا فيه معك ونحن نسألك ان تأذن لنا في المقام لنصلح من شأننا مايصلحنا في سفرنا، قال: فامرهم ان يكونوا في المدينة ريث اصلاح ما يحتاجون اليه وأمر اسامة بن زيد يعسكرهم فعسكر بهم على اميال من المدينة، فأقام بمكانه الذي حدّ له رسول الله ﷺ منتظراً القوم ان يوافوه اذا فرغوا من امورهم وقضوا حوائجهم، وانما اراد رسول الله ﷺ بما صنع من ذلك ان تخلوا المدينة معهم ولايبقى بها احد من المنافقين.

قال: فهم على ذلك من شأنهم ورسول الله ﷺ دائب يحثهم ويأمرهم بالخروج والتعجيل الى الوجه الذي ندبهم اليه اذ مرض رسول الله ﷺ مرضه الذي توفّي فيه فلمّا رأوا ذلك تباطئوا عمّا أمرهم رسول الله ﷺ من الخروج، فامر قيس بن سعد بن عبادة وكان سياق رسول الله ﷺ والحباب بن المنذر حتّى الحقناهم بمعسكرهم وقالا لأسامة انّ رسول الله ﷺ لم يرخّص لك في التخلف فسر من وقتك هذا ليعلم رسول الله ﷺ ذلك فارتحل بهم اسامة وانصرف قيس والحباب الى رسول الله ﷺ فأعلماه برحلة القوم، فقال لهما: انّ القوم غير السائرين.

قال: دخلا ابو بكر وعمر وابو عبيدة بأسامة وجماعة من اصحابه فقالوا لي: اين تنطلق وتخلي المدينة ونحن احوج ماكنا اليها والى المقام بها فقال لهم: وماذلك؟ قالوا انّ رسول الله ﷺ قد نزل به الموت والله لئن خلينا المدينة ليحدثن امور لايمكن اصلاحها، فننظر مايكون من أمر رسول الله ﷺ ثم المسير بين ايدينا قال: فرجع القوم الى المعسكر الأوّل فأقاموا به وبعثوا رسولاً تعرّف لهم امر رسول الله ﷺ فاتى رسول الله الى عائشة فسألها عن ذلك سراً فقال: امض الى ابي بكر وعمر ومن معهما وقل لهما انّ رسول الله ﷺ قد ثقل فلا يبرحن احد منكم وانا اعلمكم الخبر وقتاً بعد وقت، واشتدّت علّة رسول الله ﷺ فدعت عائشة صهيباً فقالت: امض الى ابي واعلمه ان محمداً ﷺ في حال لايرجى فهلمّ الينا انت وعمر وابو عبيدة ومن رأيتم ان يدخل معكم وليكن دخولكم في الليل سراً، قال: فأتاهم الخبر فأخذوا بيد صهيب فادخلوه الى اسامة بن زيد فأخبروه الخبر وقالوا له: كيف ينبغي لنا ان نتخلف عن مشاهدة رسول الله ﷺ واستأذنوه في الدخول فأذن لهم وأمرهم ان لايعلم بدخولهم احد وان عوفي رسول الله ﷺ رجعتم الى عسكركم، وان حدث حادث الموت عرفونا ذلك لنكون في جماعة الناس.

فدخل ابوبكر وعمر وابوعبيدة ليلاً المدينة ورسول الله ﷺ قد ثقل، قال: فأفاق بعض الأفاقة فقال: لقد طرق ليلتنا هذه المدينة شرّ عظيم فقيلكوماهو يارسول الله؟ قال: ان الذين كانوا

في جيش اسامة قد رجع منهم نفر يخالفون عن امري الا انّي الى الله منهم بريء ويحكم نفذوا جيش اسامة فلم يزل يقول ذلك حتّى قالها مرّات كثيرة، قال: وتحامل وخرج وصلّى بالناس وان هو لم يقدر على الخروج امر علي بن ابي طالب ﷺ فصلّى بالناس، وكان علي بن ابي طالب ﷺ والفضل بن العباس لايزايلانه في مرضه ذلك، فلمّا اصبح رسول الله ﷺ من ليلته تلك التي قدم فيها القوم الذين كانوا تحت يد اسامة اذّن بلال ثم اتاه يخبره كعادته، فوجده قد ثقل فمنع من الدخول اليه فأمرت عائشة صهيباً في مرضه وليس يطيق النهوض الى المسجد وعلي بن ابي طالب ﷺ قد شغل به وبمشاهدته عن الصلاة بالناس فاخرج انت الى المسجد فصلّ بالناس فانّها حالة تهنئك وحجّة لك بعد اليوم.

قال: فلم يشعر الناس وهم في المسجد فينتظرون رسول الله ﷺ او عليّاً ﷺ يصلي بهم كعادته التي عرفوها في مرضه اذ دخل ابوبكر المسجد وقال: انّ : ماورائك يابلال؟وانّى لك ذلك وانت في جيش اسامة لاوالله لااعلم احداً بعث اليك ولاامرك بالصلاة ثم نادى الناس بلالاً فقال: على رسلكم رحمكم الله لأستأذن رسول الله ﷺ في ذلك.

ثم اسرع حتى اتى الباب فدقّه شديداً، فسمعه رسول الله ﷺ فقال: ماهذا الدق العنيف فانظروا ماهو قال: فخرج الفضل بن العباس ففتح الباب فاذابلال فقال ماورائك يابلال؟ فقال: ان ابابكر قد دخل المسجد وتقدم حتّى وقف في مقام رسول الله ﷺ وزعم ان : مقام رسول الله ﷺ امره بذلك فقال: اوليس ابو بكر مع اسامة في الجيش هذا والله هو الشر العظيم الذي طرق الباب البارحة؟ لقد خبّرنا رسول الله ﷺ

بذلك ودخل الفضل وادخل بلالاً معه فقال: ماورائك يابلال فاخبر رسول الله ﷺ الخبر فقال: أقيموني اخرجوني الى المسجد والذي نفسي بيده قد نزلت بالأسلام نازلة وفتنة عظيمة من الفتن، ثم خرج ﷺ معصوب الرأس يتهاوى بين علي والفضل بن العباس ورجلاه يجران في الأرض حتى دخل المسجد وابو بكر قائم في مقام رسول الله ﷺ وقد أطاف به عمر وابو عبيدة وسالم وصهيب والنفر الذين دخلوا واكثر الناس قد وقفوا عن الصلاة ينتظرون مايأتي به بلال.

فلمّا رأى الناس رسول الله ﷺ قد دخل المسجد وهو بتلك الحالة العظيمة من المرض أعظموا ذلك وتقدّم رسول الله ﷺ وجذب ابابكر من ردائه فنحاه عن المحراب وأقبل ابو بكر والنفر الذين يركانوا معه فتواروا خلف رسول الله ﷺ وأقبل الناس فصلوا خلف رسول الله ﷺ وهو جالس وبلال يسمع الناس التكبير حتّى قضى صلاته، ثم التفت فلم ير ابابكر، فقال: ايّها الناس الا تعجبون من ابن ابي قحافة واصحابه الذين انفذتهم وجعلتهم تحت يدي اسامة

وامرتهم بالمسير الى الوجه الذي وجَهوا اليه فخالفوا ذلك ورجعوا الى المدينة ابتغاء الفتنة الا وان الله قد اركسهم فيها أعرجوا بي الى المنبر.

فقام وهو مربوط حتى قعد على ادنى مرقاة فحمد الله واثنى عليه ثمّ قال: ايّها الناس انّه قد جائني من امر ربي مالناس اليه صائرون واني قد تركتكم على المحبة الواضحة ليلتها كنهاري فلا تختلفوا من بعدي كما اختلف من كان قبلكم من بني اسرائيل ايها الناس انه لاحل لكم الاّ ماحل القرآن، ولاحرم عليكم الا ماحرمه القرآن، واني مخلف فيكم الثقلين الا ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا ولن تزلوا كتاب الله وعترتي اهل بيتي هما الخليفتان فيكم وانّهما لن يفترقا حتّى يردا علي الحوض فاسئلكم بماذا خلفتموني فيهما، وليذادن يومئذ رجال عن حوضي كما تذاد الغريبة من الأبل فيقول رجال: انا فلان وانا فلان فأقول امّا الأسماء فقد عرفت ولكنكم ارتديهم من بعدي فسحقاً لكم سحقاً، ثم نزل عن المنبر وعاد الى حجرته ولم يظهر ابوبكر ولااصحابة حتى قبض رسول الله ﷺ ، وكان من الأنصار وسعد في الثقيفة ماكان فمنعوا اهل بيت نبيهم حقوقهم التي جعلها الله عز وجل لهم، وامّا كتاب الله فمزقوه كل مزق وفيما اخبرتك ياأخا الأنصار من خطب معتبر لمن احب الله هدايته.

فقال الفتى: سمّ لي القوم الآخرين الذين حضروا الصحيفة وشهدوا فيها، فقال: حذيفة ابوسفيان وعكرمة بن ابي جهل وصفوان بن امية بن خلف وسعيد بن العاص وخالد بن الوليد وعيّاش بن ابي ربيعة وبشر بن سعد وسهيل بن عمرو وحكيم بن جزام وصهيب بن سنان وابو الأعور السلمي ومطيع بن الأسود المدوي وجماعة من هؤلاء ممن سقط عني احصاء عددهم فقال الفتى: يااباعبد الله ماهؤلاء في اصحاب رسول الله ﷺ حتى انقلب الناس اجمعون بسبيلهم؟ فقال حذيفة: انّ هؤلاء رؤوس القبائل وأشرافها ومامن رجل من هؤلاء ومامن رجل من هؤلاء الا ومعه من الناس خلق عظيم يسمعون له ويطيعون واشربوا في قلوبهم من ابي بكر كما اشرب في قلوب بني اسرائيل من حب العجل والسامري حتّى تركوا هارون ليستضعفوه.

قال الفتى: اقسم بالله حقاً انّي لاازال لهم مبغضاً والى الله منهم ومن افعالهم متبرأ ولازلت لأمير المؤمنين عليه السلام متوالياً ولأعاديه معادياً ولالحقن به واني لأمل ان ارزق الشهادة معه وشيكاً ان شاء الله تعالى ثم ودّع حذيفة وقال: هذا وجهي الى أمير المؤمنين عليه السلام فخرج الى المدينة واستقبله وقد شخص من المدينة يريد العراق فسار معه الى البصرة، فلما التقى امير المؤمنين عليه السلام مع اصحاب الجمل كان ذلك الفتى اول من قتل من اصحاب امير المؤمنين عليه السلام ، وذلك انّه لما صاف القوم واجتمعوا على الحرب احب امير المؤمنين عليه السلام ان يستظهر عليهم بدعائهم الى القرآن

وحكمه فدعا بمصحف وقال: من يأخذ هذا المصحف يعرضه عليهم ويدعوهم الى مافيه فيحيى مأحياه ويميت ماأماته؟ قال: وقد شرعت الرماح بين العسكرين حتى لو اراد امرء ان يمشي عليها لمشى، قال: فقام الفتى وقال: ياامير المؤمنين انا آخذه واعرضه عليهم وادعوهم الى مافيه قال: فأعرض عنه امير المؤمنين عليه السلام ثم نادى الثانية من يأخذ هذا المصحف فيعرضه عليهم ويدعوهم الى مافيه؟ فلم يقم اليه احد، فقام الفتى وقال: ياامير المؤمنين انا آخذه وأعرضه عليهم وأدعوهم الى مافيه، قال: فأعرض عنه امير المؤمنين عليه السلام ثم نادى الثالثة فلم يقم احد من الناس الا الفتى فقال/انا آخذه فأعرض عليهم وادعوهم الى مافيه فقال: امير المؤمنين عليه السلام انك ان فعلت ذلك فانَك مقتول، فقال: والله ياامير المؤمنين ماشيءٌ احب الي من ان ارزق الشهادة بين يديك ان اقتل في طاعتك، فاعطاه امير المؤمنين عليه السلام المصحف فتوجه به نحو عسكرهم فنظر اليه امير المؤمنين عليه السلام وقال: انَ الفتى مَمن حشى الله قلبه نوراً وايماناً وهو مقتول، ولقد اشفقت عليه من ذلك ولن يفلح القوم بعد قتلهم اياه فمضى الفتى بالمصحف حتَى وقف بازاء عسكر عاينه، وطلحة وزبير حينئذ عن يمين الهودج وشماله وكان له صوت فنادى بأعلى صوته معاشر الناس هذا كتب الله وانّ امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام يدعوكم الى كتاب الله والحكم بماانزل الله فيه فانيبوا الى طاعة الله والعمل بكتابه قال: وكانت عائشة وطلحة والزبير يسمعون قوله فامسكوا، فلما رأى ذلك أهل عسكرهم بادروا الى الفتى والمصحف في يمينه فقطعوا يده اليمنى فتناول المصحف بيده اليسرى وناديهم بأعلى صوته مثل ندائه اول مرة فبادروا اليه وقطعوا يده اليسرى فتناول المصحف واحتضنه ودماؤه تجري عليه وناداهم مثل ذلك فشدّوا عليه وقتلوه ووقع ميتاً فقطعوه ارباً ارباً ولقد رأينا شحم بطنه اصفر.

قال: وامير المؤمنين واقف يراهم فأقبل على اصحابه فقال: انذي والله ماكنت في شك ولالبس من ضلالة القوم وباطلهم ولكن احببت ان يتبين لكم جميعاً ذلك من بعد قتلهم الرجل الصالح حكيم بن جبلة العبدي في رجال الصالحين معه وتضاعف ذنوبهم بهذا الفتى وهو يدعوهم الى كتاب الله والحكم به والعمل بموجبه فبادروا اليه فقتلوه ولايرتاب بقتلهم اياه مسلم، ووقدت الحرب واشتدت فقال امير المؤمنين عليه السلام: احملوا بأجمعكم عليهم بسم الله الرحمن الرحيم لاينصرون وحمل هو بنفسه والحسنان واصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله معه فغاص في القوم بنفسه فوالله ماكانت الاَ ساعة من نهار حتَى رأينا القوم شلايا يميناً وشمالاً صرعى تحت سنابك الخيل.

ورجع امير المؤمنين عليه السلام مؤيّدا منصوراً وفتح الله عليه ومنحه اكتافهم وأمر بذلك الفتى وجميع من قتل معه فلفوا في ثيابهم بدمائهم ولم تنزع عنهم ثيابهم وصلى عليهم ودفنهم وأمرهم

ان لايجهزوا فيه على جريح ولايتبعوا لهم مدبراً وامر بما حوى العسكر فجمع له وقسمه بين اصحابه وأمر محمد بن ابي بكر ان يدخل اخته الى البصرة فتقيم بها اياماً ثم يرحلها الى منزلها بالمدينة قال عبد الله بن سلمة كنت ممّن شهد حرب اهل الجمل فلمّا وضعت الحرب اوزارها رأيت ام ذلك الفتى واقفة عليه فجعلت تبكي عليه وبقتله ثم أنشأت تقو ل شعراً:

يــــارب ان مـــــسلما أتــــاهم	يتلــــو كتــــاب الله لايخــــشاهم
يــأمرهم بــــالأمر مـــن ومـــولاهم	فخــــضبوا مـــن دمـــه قنـــاهم
وأمـــــــة قائمــــــة تـــــراهم	تـــــأمرهم بـــــالغي لاتنهـــــاهم

بعض فضائل امير المؤمنين عليه السلام الخاصة

بسم الله الرحمن الرحيم

في ارشاد القلوب الدليمي في ضمن مطاعن الثاني، قال: واما ماأمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله بسدّ ابواب الناس عن مسجد النبي صلى الله عليه وآله تشريفاً له وصوناً له عن النجاسة سوى باب النبي صلى الله عليه وآله وباب علي بن ابي طالب عليه السلام، وامره ان ينادي في الناس الصلاة جامعة فاقبل الناس يهرعون[٢٧] فلما تكاملوا صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه، ثم قال ايها الناس انّ الله سبحانه وتعالى قد امرني سدّ ابوابكم المفتوحة الى المسجد وبعد يومي هذا لايدخله جنب ولانجس فبذلك امرني ربي عز وجل فلا يكن في نفس احد منكم امر ولاتقولوا متى وكيف وانى؟ فتحبط اعمالكم وتكونوا من الخاسرين واياكم والمخالفة والشقاق فان الله اوحى الى ان اجاهد من عصاني وانّه لازمة في الأسلام وقد جعلت مسجدي طاهراً من دنس محرما على كل من يدخل اليه من هذه الصفة التي ذكرتها غير انا واخي علي بن ابي طالب عليه السلام وابنتي فاطمة وولدي الحسن والحسين عليهما السلام (كماظ) كان مسجد هارون وموسى فان الله اوحى اليهما ام اجعلا بيوتكما قبلة لقومكما واني قد بلغتكم ما أمرني ربي وأمرتكم بذلك الا فأحذروه الحسد والنفاق، واطيعوا الله طاعة يوافق فيها سركم وعلانيتكم واتقوا الله حق تقاته ولاتموتن الا وانتم مسلمون فقال الناس بأجمعهم: سمعنا واطعنا لله ورسوله ولانخالف ما امرتنا به.

ثم خرجوا وسدوا ابوابهم جميعاً غير باب النبي صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام فاظهر الناس الحسد والكلام فقال عمر: رسول الله صلى الله عليه وآله يؤثر ابن عمه علي بن ابي طالب عليه السلام علينا ويتقول على الله

---

(٢٧) أي يسرعون مع الاضطراب .

الكذب ويخبر عن الله بما لم يقل في ابن ابي طالب وانَما قول محمد محبة لعلي ﷺ واجابة الى مايريد فلو سأل الله ذلك لأجابه واراد عمر ان يكون له باب مفتوح الى المسجد ولَما بلغ رسول الله ﷺ قول عمر وخوض القوم في الكلام امر المنادي بالنداء الى الصلاة الجامعة فلما اجتمع الناس قال لهم النبي ﷺ: معاشر الناس قد بلغني ماخضتم فيه وما قال قائلكم وانّي اقسم بالله العظيم انّي لم اتقول على الله الكذب وماكذبت فيما قلت ولاانا سددت ابوابكم ولا انا فتحت باب علي بن ابي طالب ﷺ ولاامرني في ذلك الا الله عز وجل الذي خلقني وخلقكم اجمعين، فلا تحاسدوا فتهلكوا ولاتحسدوا الناس على ما آتاهم الله من فضله، فانه يقول في محكم كتابه{تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض واتقوا الله وكونوا مع الصادقين}.

ثم صدق الله سبحانه وتعالى رسوله بنزول الكواكب من الله في دار علي بن ابي طالب ﷺ وقد مرَ حديث النجم وقصته مشهورة، وانزل الله قرآناً واقتص فيه بالنجم تصديقاً لرسوله ﷺ قال{والنجم اذا هوى ماضل صاحبكم وماغوى وماينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى}الآيات كلها، وتلاها النبي ﷺ فلم يزدادوا الا غضباً وحسداً ونفاقاً وعتو واستكبروا ثم تفرقوا وفي قلوبهم من الحسد والنفاق مالايعلمه الاّ الله سبحانه.

فلما كان بعد ايام دخل عليه العباس فقال: يا رسول الله ﷺ قد علمت مابيني وبينك من القرابة والرحم الماسة وانَا ممن يدين الله بطاعتك فاسئل الله عز وجل ان يجعل لي باباً الى المسجد اتشرف على من سواي فقال له: ياعم ليس لي الى ذلك سبيل، قال: فميزا بان يكون من داري الى المسجد أتشرف به على القريب والبعيد فسكت النبي ﷺ وكان كثير الأحياء لايدري مايعيد من الجواب خوفاً من الله تعالى وحياءً من عمه العباس فهبط جبرئيل في الحال على النبي ﷺ وقد علم الله من نبيه ﷺ اشفاقه بذلك فقال: يامحمد ﷺ الله يأمرك ان تجيب سؤال عمك وامرك ان تنصب له ميزابا الى المسجد كما اراد فقد علمت مافي نفسك وقد اجبتك الى ذلك كرامة لك ونعمة منّي عليك وعلى عمك العباس فكبَر النبي ﷺ وقال ابي عبد الله: الا اكرامكم يابني هاشم وتفضيلكم على الخلق اجمعين ثم قام ومعه جماعة من الصحابة والعباس بين يديه حتى صار على سطح بيت العباس فنصب ميزاباً الى المسجد وقال: معاشر المسلمين ان الله قد شرّف عمي العباس بهذا الميزاب، فلا تؤذونني في عمي فانه بقية الآباء والأجداد فلعن الله من آذاني في عمي ويحبسه حقه او اغار عليه.

ولم يزل الميزاب على حاله ايام النبي ﷺ وخلافة ابي بكر وثلاثة سنين من خلافة عمر بن الخطاب فلما كان في بعض الأيام وعل العباس ومرض مرضاً شديداً فصعدت الجارية تغسل قميصه فجرى الماء من الميزاب الى صحن المسجد فنال بعض الماء من قعة الرجل فغضب غضباً

شديداً وقال لغلامه: اصعد واقلع الميزاب فصعد الغلام فقلعه ورمى به الى سطح العباس وقال: والله لأن رده احد الى مكانه لأضربن عنقه، فشق ذلك على العباس ودعى بولديه عبد الله وعبيد الله ونهض يمشي متوكئاً عليهما وهو يرتعد من شدة المرض وصار حتى دخل على امير المؤمنين عليه السلام فلما نظر اليه امير المؤمنين عليه السلام على تلك الحالة انزعج لذلك وقال: ياعم ماجائك وانت على هذه الحالة فقص عليه القصة ومافعل معه عمر من قلع الميزاب وتهدده من يعيده الى مكانه وقال له: ياابن اخي انه قد كان لي عينان انظر بهما فمات احديهما وهي رسول الله صلى الله عليه وآله وبقيت الأخرى وهي انت ياعلي، وماأظن انّي اظلم ويزول ماشرَفني به رسول الله صلى الله عليه وآله وانت لي فانظر في امري، فقال له: ياعم ارجع الى بيتك فسترى مني مايسرك ان شاء الله تعالى.

ثم نادى علي بذي الفقار ثم خرج الى المسجد والناس حوله وقال: يا قنبر اصعد حينئذ فردَ الميزاب الى مكانه فصعد قنبر فرده الى موضعه، وقال علي عليه السلام وحقَ صاحب هذا القبر والمنبر لأن قلعه قالع لأضربن عنقه وعنق الآمر له بذلك ولأصلبنهما في الشمس حتى يتقددا، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب فنهض ودخل المسجد ونظر الى الميزاب وهو في موضعه قال: لايغضب احداً ابا الحسن فيما فعله ونكفر عن اليمين فلما كان من الغداة مضى امير المؤمنين عليه السلام الى عمه العباس وقال: كيف اصبحت ياعم؟ قال: بأفضل النعم مادمت لي ياابن اخي، فقال له: ياعم طب نفساً فوالله لو خاصمني اهل الأرض في الميزاب لخصمتهم ثم لقتلتهم بحول الله وقوته ولاينالك ضيم ياعم، فقام العباس فقبَل بين عينيه وقال: ياابن اخي ماخاب من انت ناصره، فكان هذا فعل عمر بالعباس عم رسول الله صلى الله عليه وآله وقد قال في غير موطن وصية منه في عمه انَ عمي العباس بقية الآباء والأجداد فاحفظوني فيه كلّ في كنف وانا في كنف عمي العباسفمن أذاه فقد اذاني، ومن عاداه فقد عاداني، سلمه سلمي وحربه حربي وقد اذاه عمر في ثلاث مواطن ظاهرة غير خفية منها قضية ميزاب ولولا خوفه من علي عليه السلام لم يتركه على حاله.

ومنها ان النبي صلى الله عليه وآله قبل الهجرة خرج يوماً الى خارج مكة ورجع طالباً منزله وجازه بمناد ينادي من بني تميم وكان له سيَد يسمى عبد الله بن جذعان وكان يعد من سادات قريش واشياخهم وكان له منادية ينادون في شعبات مكة وأوديتها من اراد الضيافة والغذاء فليأت مائدة عبد الله بن جذعان، وكان مناديه اباقحافة وأجرته اربع دوانيق، وله مناد آخر ينادي فوق سطح داره فاخبر عبد الله بن جذعان بجواز النبي صلى الله عليه وآله على باب داره وخرج يمشي حتّى لحق به وقال: يامحمد صلى الله عليه وآله بالبيت الحرام الاّ ماشرفتني بدخولك منزلي وتحرمك بزادي وأقسم عليه البيت والبطحي وشيبة عبد المطلب فاجابه النبي صلى الله عليه وآله الى ذلك ودخل منزله وتحرم بزاده فلما خرج النبي صلى الله عليه وآله خرج معه ابن جذعان مشيّعاً لع فلمّا اراد الرجوع عنه قال له النبي صلى الله عليه وآله احب ان تكون غداً

ضيفي انت وتيم واتباعها وخلفائها عند طلوع الغزالة، ثم افترقا ومضى النبي ﷺ الى دار عمه ابي طالب وجلس متفكرا فيما وعده لعبد الله بن جذعان اذ دخلت عليه فاطمة بنت اسد زوجة عمه ابي طالب وكانت هي مربيته وكان يسميها امي فلما رأته مهموماً قالت: فداك امي وابي فاني اراك مهموماً اعارضك احد من اهل مكة؟ فقال: لا فقالت فبحقي عليك الا ما أخبرتني بحالك فقصَ عليها قصته مع ابن جذعان وماقال له وماوعده من الضيافة فقالت: ياولدي لايضيق صدرك مع اتيان عمك يقوم لك بكلما تريد، فبينما هم في الحديث اذ دخل ابو طالب عليه السلام فقال لزوجة فيما انتما؟ فأعلمته بذلك كله وبما قال النبي ﷺ لأبن جذعان فضمه الى صدره وقبل مابين عينيه، وقال: ياولدي بالله عليك لايضيق صدرك من ذلك وفي نهار غد اقوم لك في جميع متحتاج اليه ان شاء الله تعالى وأصنع وليمة تتحدث فيها الركبان في سائر البلدان، وعزم على وليمة تعم سائر القبائل، وقصد نحو اخيه العباس ليقترض منه شيئاً يضمه الى ماله فوجد بني عبد المطلب في الطريق فأقرضوه من الجمال والذهب مايكفيه فرجع عن القصد الى اخيه العبّاس وآثر التخفيف عنه، فبلغ اخاه العباس ذلك وعظم عليه رجوعه عن القصد اليه فاقبل الى اخيه ابي طالب وهو مغموم كئيب فسلَم عليه فقال له ابو طالب: مالي اراك حزيناً كئيباً؟ فقال: بلغني انك قصدتني في حاجة ثم بدا لك عنها فرجعت من الطريق فما هذا الحال؟ فقص عليه القصة الى آخرها فقال له العباس: الأمر اليك وانك لم تزل اهلا لكل مكرمة ومؤملاً لكل نائبة ثم جلس عنده ساعة وقد اخذ ابو طالب فيما يحتاج اليه من آلة الطبخ وغير ذلك، فقال له العباس: ياأخي لي اليك حاجة فقال ابو طالب عليه السلام هي مقضية فاذكرها، فقال العباسكاقسمت عليك بحق البيت وبشيبة الحمد الا قضيتها، فقال: لك ذلك ولو سئلت في النفس والولد، فقال: تهب لي هذه المكرمة تشرفني بها؟ فقال: قد اجبتك الى ذلك مع ماصنعه انا فنحر العباس الجزر ونصب القدور وعقد الحلاوات وشوى المشوي واكثر من الزاد فوق مايزاد، ونادى في سائر الناس واجتمع اهل مكة وبطون قريش وسائر العرب على اختلاف طبقاتها يهرعون في كلِ مكان حتى كأنَه عبد الله الأكبر وبصب للنبي ﷺ منصباً عالياً وزينه بالدر والياقوت والثياب الفاخرة وبقي الناس متعجبين من حسن النبي ﷺ ووقاره وعقله وكماله وضوئه يعلو على ضوء الشمس وتفرق الناس مسرورين وانشدوا الخطب والأشعار ومدح النبي ﷺ واهله وعشيرته على حسن ضيافتهم وكانت يد العباس عن النبي ﷺ اليد العليا، فلما تكامل النبي ﷺ وبلغ اشده وتزوج خديجة واوحى الله اليه ونبأه وارسله الى سائر العرب والعجم واظهره على المشركين وفتح مكة ودخلها مؤيداً منصوراً، وقتل من قتل وبقي من بقي أوحى الله اليه يامحمد ان عمك العباس له عليك يد سابقة وجميع متقدم وهو ماانفق عليك في وليمة عبد الله بن جذعان وهو ستون الف دينار مع ماله عليك في سائر

الأزمان وفي نفسه شهوة سوق عكاظ فامنحه اياه في مدة حياته ولوالديه بعد وفاته، ثم قال: الا لعنة الله على من عارض عمي العباس في سوق عكاظ او نازعه فيه من أخذه منه فأنا بريءٌ منه وعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين فلما تكبر عمر بذلك وحسد العباس على دخل سوق عكاظ وغصبه منه ولم يزل العباس متظلماً منه عليه الى حين وفاته.

ومنها ان النبي ﷺ كان جالساً في مسجد يوماً وحوله جماعة من الصحابة اذ دخل عمه العباس وكان رجلاً صبيحاً حسن الخلق الشمائل فلما رآه النبي ﷺ قام اليه واستقبله وقبل بين عينيه ورحّب فيه وأجلسه الى جانبه وجعله يفديه بأبيه وامه وجعل العباس يقول اشعاراً لمدحه ﷺ فلما فرغ عمه العباس قال النبي ﷺ ياعم خيراً ومكافئتك على الله، قال: معاشر الناس احفظوني في عمي العباس وانصروه ولاتخذلوه ثم قال: ياعم اطلب مني شيئاً اعطك على سبيل الهدية، فقال: ياابن اخي اريد من الشام الملعب، ومن العراق الحبرة، ومن هجر الحظ، وكانت هذه المواضع كثيرة العمارة فقال النبي ﷺ مرحبا(حباً خ د) وكرامة ثم دعا علي بن ابي طالب عليه السلام فقال: اكتب لعمك العباس هذه المواضع فكتب له امير المؤمنين عليه السلام كتاباً بذلك وأملأ رسول الله ﷺ على علي واشهد رسول الله ﷺ الجماعة الحاضرين وختمه النبي ﷺ بخاتمه، وقال: ياعم ان يفتح الله لي هذه المواضع فهي لك هبة وان فتحت بعد موتي فانّي اوصي الذي ينظر في الأمة وآمره بتسليم هذه المواضع المذكورة لعمي العباس فعلى من تغير عليه او يبدله او يمنعه او يظلمه لعنة الله ولعنة اللاعنين ثم ناوله الكتاب، فلما ولي عمر وفتح هذه المواضع المذكورة اقبل اليه العباس الكتاب فلما نظر فيه دعى رجلاً من اهل الشام وسئله عن الملعب، فقال: يزيد ارتفاعه على عشرين الف درهم ثم سأل عن النواحي الأُخر فذكر له ان ارتفاعها يقوم بمال كثير فقال: ياابا الفضل انَ هذا مال كثير لايجوز ذلك اخذه من دون المسلمين، فقال العباس: هذا كتاب رسول الله ﷺ يشهد لي بذلك قليلا كا او كثيراً فقال له عمركلاوالله ان كنت تساوي المسلمين في ذلك والا فارجع من حين اتيت فجرى بينهما كلام كثير فغضب عمر وكان سريع الغضب واخذ الكتابمن العباس وخرقه وتفل فيه ورمى به في وجه العباس وقال: والله لو طلبت منه حبة واحدة ماعطيتك، فأخذ العباس بقية الكتاب وعاد الى منزله حزيناً كئيباً باكياً شاكياً الى الله والى رسوله، فصاح العباس بالمهاجرين والأنصار فغضبوا لذلك وقالوا ياعمر تخرق كتاب رسول الله ﷺ وتبقى الى الأرض هذا شيء لانصبر عليه، فخاف عمران يتخرم عليه الأمر فقال: قوموا بنا الى العباس فنرضيه ونفعل معه مايصلحه فنهضوا باجمعهم الى دار العباس فوجدوه متوركا لشدة مالحقه من الفتن والألم والظلم فقال: نحن في الغداة عائد ان شاء الله تعالى معتذرين اليه مما فعلنا

فمضى غدو بعد غدو لم يعد اليه ولااعتذر منه ثم فرق الأموال على المهاجرين والأنصار وبقى كذلك الى ان مات والله تعالى.

وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون نقل من ارشاد القلوب الديلمي قدس الله روحه الشريف ونوّر ضريحه المنيف والحمد لله اولاً وآخرا وظاهراً وباطناً وصلى الله على خير خلقه محمد وآله وسلم تسليماً كثيرا كثيرا.

الجسد بعد الموت

بسم الله الرحمن الرحيم

حديث مشكل في الكافي والفقيه عن عمار الساباطي عن الصادق عليه السلام انه سئل عن الميت هل يبلى جسده؟ قال: نعم حتى لايبقى له عظم ولالحم الا طينته التي خلق منهافانها لاتبلى بل تبقى في القبر مستديرة حتى يخلق منها كما خلق اول مرة يقال: بلى الميت أي افنته الأرض وهذا كناية عن ذهاب بعض جسده والمراد بالطينة كما في اللغة الأصل والخلقة والجبلة وفي تعيين النراد من الطينة الباقية في القبر على الأستدارة اقوال:

الأول ان المراد بها النفس الناطقة اذ الطين هو الأصل ولاريب في ان النفس الناطقة هو اصل للأنسان وحقيقته وانه يثاب ويعاقب وهي الباقية بعد فناء الجسد حتى يخلق الله الجسد ويتعلق به ثانياً وبقاءه في القبر اشارة الى بقاء تعلقها باجزاء بدنها التي في القبر فان البدن لكونه الة لتحصيل كمالاتها يمتنع ان يزول تعلقها وتعشقها به واما استدارتها فكأنها كناية عن انتقالها عن حال الى حال ومن شأن الى شأن مطلقاً او في حال البرزخ فالأستدارة هنا من الدوران بمعنى الحركة أي المأخوذة من دار دور دورا ودورنا فالمراد ان ماسوى النفس من الأنسان تفنى وانما تبقى النفس مستديمة مستمرة متحركة في جميع مراتب التغيير منتقلة من حال الى حال مع بقاءها بذاتها حتى يتعلق ثانياً ببدنها ويمكن ان يكون استدارتها كناية عن بساطتها وتجردها نظراً الى ان الأستدارة شكل للبسيط وهذا اكمل وان كان بعيداً من حيث اللفظ لأفتقاره الى تجوزات وتأويلات الا انه قريب من حيث المعنى.

الثاني ان المراد بالطينة هو النطفة لأن الطينة هو الأصل الذي يخلق منه أي مايتولد به الأجزاء الأصلية من العظم واللحم والعصب والربائط وغيرها وظاهر ان الأصل الذي خلق منه سوى آدم وزوجته هو المسيح من افراد البشر والمسيح من افراد البشر هو النطفة اما آدم وزوجته فان ما خلق من الطين واما المسيح فالمروي(في) من الأخبار وان لم يحضرني الآن الفاظها ان خلق من بخارات خرجت من آدم حين عطس في اول ماعطس وقد قبضها جبرئيل عليه السلام في كفه بأمر الله تعالى وحفظها الى ان القاها الى مريم ونفخها فيها.

فالمراد ان الأجزاء الفضلية والأصلية تتفرق وتتلاشى بالموت البدني ويبقى مابه تتكون تلك الأجزاء وهو النطفة بحالة ليكون كالمادة يخلق منه جسد الميت كما خلق منها اول مرة اما بضم تلك الأجزاء اليها بعد التفكك والتشتت او بانشائها منها مرة اخرى كما انشأها منها في المرة الأولى

وقد ورد في بعض الأخبار ان الله اذا اراد ان يبعث الخلق مطر السماء على الأرض اربعين صباحاً فاجتمعت الأوصال ونبتت اللحوم.

وبالجملة المراد ان شخص النطفة التي خلق منها الميت تبقى في القبر على هيئة الكرة الى ان يعاد في القيمة ولااستبعاد في بقاءها بحالها بالنظر الى قدرة الله تعالى فلا حاجة الى تأويلها وانما تبقى على هيئة الكرة لكونها في بدو الفطرة حين كونها في الرحم كذلك لأن الماء بطبعه يقتضي الاستداره والكرويه حيثما كان كما بين في محله وهذاالحمل وان كان قريبا من حيث اللفظ الاانه بعيد من حيث المعنى اذ بقاء شخص نطفة الرجل التي وقعت في رحم المرئه وخلقت منه الجنين بحالها الأصلي التي وقعت في الرحم ينادي بفساده القواعد الطبية والحكمية وهذه النطفة لاتبقى على هيئة الأستدارة في البدن الذي يكون منها فكيف يبقى بعد فنائه بالقبر.

الثالث ان المراد بها التراب الذي يدخل في النطفة كما هو ظاهر بعض الآيات والروايات وان فسروها بغيرها كقوله تعالى{منها خلقناكم ومنها نعيدكم ومنها نخرجكم ترة اخرى} وقول احدهما في صحيحة محمد بن مسلم من خلق من تربة دفن فيها وقل الصادق ﷺ في رواية حارث بن المغيرة ان النطفة اذا وقعت في الرحم بعث الله ملكاً فاخذ من التربة التي يدفن فيها وخلطها في النطفةفلا يزال قلبه عنّ اليها حتى يدفن فيها والمراد باستدارتها اما معناها الحقيقي الذي ان هذا التراب على شكل الأستدارة ويمون محفوظاً عليها حتى يبعث فيها او المجازي أي انتقاله من حال الى حال بمعنى انه دار على الحالات والشؤون ولو فيها الصحاف والكيزان حتى يخلق منها ولايخفى ان هذا الحمل ايضاً بعيد من حيث المعنى اذ ظاهر ان ماورد في بعض الأخبار من خلط التراب بالنطفة لايمكن الأخذ بظاهره فكيف يأول اليه غيره ممن لايمكن الأخذ بظاهره ايضاً.

الرابع ان المراد منها أي من الطينة ذرة من الذرات المسئولة في الأزل بقوله تعالى{الست بربكم} بعدما جعلت قابلة للخطاب بتعلق الأرواح فيكون بدن كل انسان مخلوقاً من ذرة من تلك الذرات فينميها الله الى ماشاء من غاية ثم يذهب ويفنى عنها مازاد وتبقى الذرة مستديرة في القبر الى ماشاء الله ثم يزيد فيها وقت الأحياء والقيمة تلك الزيادات فيصير كما كان في الدنيا ولايخفى مافي هذا الحمل من الضعف اما اولاً فلأنه لاريب في ان المسئول والمقابل للخطاب والمطلوب منه الجواب الروح المجرد القائم لذاته لاالذرة ليحتاج الى تعلق الروح بها وانما الأحتياج الى الذرة في ان تصير آلة له في تكلمه الحقيقي بلسانه المقالي ليتمكن بذلك عن الجواب عن السؤال ولاشبهة في ان الذرة التي ماه منها زنة شعير كما في القاموس غير صالحة في هذه الآلية فتعلقه بها مما لافائدة له في هذه الآلية.

واما ثانياً فلانة يوجب القول بازلية الأرواح وهو مخالف لما ذهب اليه المليون ولما تقرر من انها حادثة بحدوث البدن.

واما ثالثاً فلأنه يوجب ان يكون اصل البدن وهو الذرة قديماً ازلياً وينحصر الحادث في اجزائها الفضلية التي تزيد وتنقص.

واما رابعاً فلأنه لايظهر حينئذ وجه لبقائها مستديرة لأن الذرة وهي صغار النمل ليست بمستديرة كما هو المعروف المحسوس الا ان يجعل الأستدارة كناية من انتقالها من حال الى حال مع بقاءها كما سبق .

واما خامساً فلأن تلك الذرات المسئولة في الأزل بعدما جعلت قابلة للخطاب لكانت في تلك المدة المتطاولة الغير المتناهية كاسبة فاين مكسوباتها وان لم تكن كاسبة بل كانت مهملة معطلة لزم التعطيل مع انه لاوجه لتعطلها مع بقاءها وبقاء ما تعلقت هي بها وكونها قابلة للخطاب والسؤال والجواب فيلزم ان يكون لكل انسان علوم وكمالات او نقصان وجهالات غير متناهية مع انه ليس كذلك.

واما سادساً فلأن تلك الذرات لما جعلت عقلاء عارفين للتوحيد يتعلق بكل واحدة منها وجب ان يتذكروا الميثاق لأن اخذه انما يكون حجة على المأخوذ عليه اذا كان ذاكراً له وكيف يجوز ان ينسى الجم الغفير من العقلاء شيئاً كانوا عرفوه وادركوه بحيث لايذكر شيئاً من ذلك واحداً منهم وطول العهد لايوجب النسيانبهذا الحد الا ترى ان اهل الآخرة يتذكرون كثيراً من الدنيا يقول اهل الجنة لأهل النار: انا قد وجدناماوعدنا ربنا حقاً ولو جاز ان ينسوا ذلك لجاز ان يكون الله قد كلف الخلق فيما مضى ثم أعادهم للثواب والعقاب وقد نسوا ذلك وهذا يؤدي الى الأغراء بالجهل والى صحة مذهب التناسخية اذ أقوى الأدلة في الرد عليهم ان النفس المتعلقة بهذا البدن لو كانت منتقلة اليه من بدن آخر لزم ان يتذكر شيئاً من احوال ذلك البدن لأنّ محل العلم والتذكر انما هو جوهر النفس الباقي كما كان مع انه ليس كذلك واما ادّعاء الصوفية تذكره وبقاء لذة الخطاب في آذانهم كما اشار اليه صاحب العرائس(يص) بقوله وقد كاشف الله قوماً حال الخطاب بجماله فطرحهم في هيجان حبّه واسكنه ذلك في كوامن اسرارهم فاذا سمعوا اليوم سماعاً تجدد لهم تلك الأحوال والأنزعاج الذي يظهر منهم بتذكر ماسلف لهم من العهد القديم، فهو باطل عند اهل الأديان بل هو عندهم قسم من الهذيان كادّعائهم انا نسمع حال الرقص والسماع من حورات مقصورات في خيام الجنة ونجامعهن بالجماع المتعارف المعهود فاذا صار وامغشياً عليهم وقت السماع والطرب اغتسلوا بعد الأفاقة غسل الجنابة.

واما سابعاً فلأن الأصل الذي يخلق منه بدن كل الأنسان سوى ماستثني هو النطفة بالنقل والعقل، واما النقل فكقوله تعالى{ولقد خلقنا الأنسان من سلالة من ماء مهين ثم جعلنا نطفة في قرار مكين}، وقوله{فلينظر الأنسان مما خلق خلق من ماء دافق}، وقوله{الم ير الأنسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين}.

واما العقل فهو ماذكروه من انّ نفس الأبوين تجمع بالقوة الجاذبة اجزاء غذائية ثم تجعلها اخلاطاً وتقرر منها بالقوة المولّدة مادة المني وتجعلها مستعدة لقبول من شأنها عدد المادة لصيرورتها انساناً فيصير تلك القوة منياً، وتلك الصورة حافظة لمزاج المني كالصورة المعدنية.

ثم ان المني يتزائد كمالاً في الرحم بحسب استعدادات يكتسبها هناك الى ان تصير مستعداً لقبول نفس اكمل تصدر عنها مع حفظ المادة الأفعال النباتية فتجذب الغذاء وتضيفها الى تلك المادة فينميها فتكامل المادة بترتيبها اياها فتصير تلك الصورة مصدراً لهذه الأفاعيل المختلفة وهكذا الى ان يصير مستعداً لقبول نفس اكمل تصدر عنها الأفاعيل الحيوانية ايضاً فيتم البدن ويتكامل الى ان يصير مستعداً لقبول نفس ناطقة تبقى مديرة الى حلول الأجل، واذا ثبت انّ اصل البدن هو النطفة فلا معنى لجعل اصلها هو الذرة وجعل ماعداها من الأجزاء الفضلية.

واما ثامناً فلأنّ تلك الذرات المسئولة غير ازلية والسؤال لم يكن في الأزل بل انّما كان وقت تخمير طينة آدم قبل خلقه منها او بعد خلقه منها حين اخرجهم من طينة وهم ذر يربون يميناً وشمالاً كما يفهم من الأخبار المذكورة في الكافي كما ذكره صاحب هذا التوجيه من انّ المراد عن الطينة الذرَة المسئولة في الأزل فتقييد السؤال بالأزل غير جيد، ولعله اشتبه عليهم عالم الذر فظن ان المراد به الأزل وليس الأمر كذلك بل المراد به ماذكر الخامس انّ المراد بالطينة الباقية هي الصورة المزاجية وكان المراد بتلك الصورة هي النفس مع قالبها المثالي او مجرد قالبها وهذا الحمل قريب من الأول، وبما ذكر يظهر ان اقرب المحامل المذكورة هو الأول والأخير الذي هو ايضاً راجع اليه في الحقيقة مع انّه ايضاً في غاية البعد.

والأظهر عندي ان يحمل الطينة الباقية على التراب الذي هو الجزء الغالب من كل مركب عنصري فان كل مركب من الحيوان والنبات والجماد انما يتركب من خلقة العناصر الأربعة ويكون الغالب منها هو الجزء الأرضي وبعد انحلال هذا التركيب وفنائه ينحل الى الأربع التي يتركب منها وتتصل كل جزء بكله وكرته فالجزء الناري يتصل بكرة النار والهوائي بكرة الهواء والمائي بكرة الماء ويبقى الجزء الغالب الأرضي متصلاً بالأرض فالمراد من الحديث انما يدخل في القبر من جسد الأنسان ينحل ويتلاشى ويتفرق ولايبقى شيءٌ من أجزائه الأصلية والفضلية في القبر الا طينته التي هي الجزء الغالب من اجزائه الأصلية اعني التراب فانه يبقى في القبر على الأستدارة، اما بمعناها

الحقيقي نظراً الى انه جزء الكرة وجزء الكرى كرى او بمعناها المجازي اعني انتقاله من حال الى حال وتبدله من شأن الى شأن الى ان يخلق منه مرة اخرى بانضمام سائر الأجزاء الفضليّة المفارقة عنه اليه اذ كما خلق منه اول مرة.

تنبيه

المستفاد من الخبر المذكور ان المعاد انما هو الأجزاء الأصلية واعادة الأجزاء الفضلية غير لازمة وبذلك يندفع الشبهة المشهورة الموردة على المعاد الجسماني حتى ربما قد يشك بها الملاحدة واتباعهم من فساق المسلمين الذين هم امثالهم في الباطن وان تميزوا عنهم في الظاهر على استحالة المعاد البدني فهي انَه لو كل انسان انساناً وصار جزء بدنه فاما ان لايعاد اصلا وهو المطلوب او يعاد فيهما معاً وهو محال او في احدهما وحده فلا يكون الآخر معاداً، وهذا مع افضائه الى ترجيح من غير مرجح يستلزم المطلوب وهو عدم امكان اعادة جميع الأبدان بأعيانها.

ووجه الأندفاع انَ المعاد انّما هو الأجزاء الأصلية الباقية دون الأجزاء الفضلية الفانية، وهذا الأنسان المأكول الذي صار جزءً لبدن الأكل ليس من الأجزاء الأصلية للمأكول اعيد فيه والاَ فلا وبتقرير آخر نقول اجزاء الأنسان المأكول اصليَة له او فضليَة فضليَة للإنسان الآكل فيعاد كل منهما مع اجزائه الأصلية، ويرد اصليَة المأكول التي صارت فضليَة للآكل الى المأكول ويبقى اصليَة الآكل معه فلا يمتنع العود، ثم على تقدير عدم اعادة الأجزاء مطلقاً اصلية كانت او فضلية نقول بقاء طينته التي يخلق منها كما خلق اوَل مرَة كاف في القول بالمعاد البدني واليه يشر كلام بعض الفضلاء حيث قال:

الظاهر ان امثال هذه الأخبار وردت لرفع شبهة الملاحدة في نفي المعاد الجسماني لوارد في الكتاب والسنة المتواترة بحيث صار من الضروريات الدينية يكفر منكرها اجماعاً وفاقاً وشبهتهم انَ الميت اذا صار رميماً وصار جزءاً لبدن انسان اخر او حيوان فلا يمكن بعثه في البدنين وان الأنسان الفاعل للخير والشرَ في كل يوم يتحلل بدنه والغذاء يصير بدل مايتحلَل منه حتَى انه لايبقى في سنة ماكان في السنة السابقة فكيف يبعث؟

والجواب ان التربة والنطفة المخلوق منها لايفنى ولايصير جزء للحيوان الآخر ويبعث منها وهو ممكن اخبر به الصادق عليه السلام عن الله تعالى فيجب قبوله على ان الله تعالى قادر على ان لايجعل كله جزء او يبعثه مع اجزائه الذاتية بالتحليل انتهى، وحاصله انَ المناط في الأعادة هو الأصل باي معنى اخذ أي سواء اخذ بمعنى التربة والنطفة والنفس الناطقة وغير ذلك مما مر فاذا اعيد الأصل بان يخلق منها الجسد ويبعث منها يحصل المعاد البدني وان لم يحصل اعادة سائر الأجزاء الفضليَة والأصليَة، ولايخفى ان الشبهة لو قررت على الوجه المذكور فلا ريب في اندفاعها بالوجوه

المذكورة ولكن يمكن ان يقرر بوجه لايندفع بهذه الوجوه بان يقال: على ما اخترتم من كون الأصل هو التربة فاذا فني بدن شخص وتحلّل وبقي منه مجرد التربة في القبر وزالت سائر اجزائه فلا ريب في انّ هذه التربة هو الأصل الذي يخلق منه بدن هذا الشخص فاذا فرض انّ هذه التربة صارت غذاء وهذا الغذاء صار مادة لنطفة تولّد منها شخص آخر فلا ريب في ان هذه التربة اصل بالنسبة الى هذا الشخص الآخر ايضاً لكونه مخلوقاً منها فاذا مات هذا الشخص الثاني وبلى جسده يزول جميع اجزاء بدنه وانّما يبقى في القبر مجرد هذه التربة التي خلق منها بدنه وهذه التربة بعينها كانت اصلاً لبدن الشخص الأول، والمفروض انّه اصل بالنسبة الى بدن هذا الشخص الثاني ايضاً ويلزم الشبهة حينئذ بانها اما ان لاتعاد فهو المطلوب او يعاد فيهما معاً وهو محال او في احدهما وحده فلا يكون الآخر بعينه معاداً ولكون هذه التربة جزء اصلياً بالأتفاق لايمكن الجواب بما مر.

تتمة اعلم ان الحكم المذكور في هذا الخبر اعني بلى لاجسد وفناؤه مخصص بغير النبي ﷺ وعترتع المعصومين ﵈ لما ورد في اخبار كثيرة وآثار عديدة من ان اجسادهم الطاهرة وابدانهم القادسة لاتبلى ولاتتغير كقول الصادق ﵇ على ما في الفقيه ان الله عز وجل حرم عظامنا على الأرض ولحومنا على الدود ان يطعم منها شيئاً وكقول النبي ﷺ على ماروي عنه ﷺ من الطريقين حياتي خير لكم ومماتي خير لكم قالوا: يارسول الله وكيف ذلك قال: اما حياتي فان الله تعالى يقول{وماكان الله ليعذبهم وانت فيهم} واما مفرقتي اياكم فان اعمالكم تعرض علي كل يوم فما كان من عمل حسن استزدت الله لكم وماكان من عمل قبيح استغفر الله لكم قالوا: وقد رممت يارسول الله؟(يعنون صرت رميماً) فقال: كلا ان الله عز وجل حرم لحومنا على الأرض ان يطعم منها شيئاً ومثله ورد في حديث طويل اورده الصدوق في الفقيه وانت تعلم ان من ظاهر هذه الأخبار بملاحظة مانقل من نقل عظام آدم ﵇ الى الغري ونقل عظام يوسف ﵇ الى الأرض المقدسة يستفاد اختصاص هذا الحكم اعني بلى الجسد وتغييره بغير خاتم الرسل واوصيائه المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ولايجري ذلك في سائر الأنبياء واوصيائهم عليهم الصلاة والسلام فتأمل.

الفهرست